2273
.5863
.92 g
v.2

227 2273.5863.92 g v.2
Shaykh-zadah
Hashiyat ala tafsir al-Baydawi

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

2273
5863
.92 ع
v. 2

هذا فهرس الجزء الثانى من حاشية شيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى

٢ سورة يونس الر تلك ايات الكتاب الحكيم
٤ ان الذين لا يرجون لقاءنا
٧ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
٩ واذا اذقنا الناس رحمة
١١ للذين احسنوا الحسنى وزيادة
١٤ قل هل من شركائكم
١٧ ومنهم من ينظر اليك
٢٠ ولو ان لكل نفس ظلمت
٢٢ الا ان اولياء الله
٢٤ واتل عليهم نبأ نوح
٢٦ وقال فرعون ائتونى بكل
٢٨ قال قد اجيبت دعوتكما
٣٠ فلولا كانت قرية آمنت
٣٢ سورة هود الر كتاب احكمت
٣٤ الجزء الثانى عشر وما من دابة
٣٧ ام يقولون افتراه قل فأتوا
٤٠ اولئك لم يكونوا معجزين
٤٢ ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا
٤٣ ويصنع الفلك وكلما مر عليه
٤٨ قال يا نوح انه ليس من اهلك
٥٠ ان نقول الا اعتراك بعض
٥١ قال يا قوم ارأيتم ان كنت
٥٤ قالت يا ويلتاء الدوانا
٥٨ فلما جاء امرنا جعلنا عاليها
٦٠ ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى
٦٤ يقدم قومه يوم القيمة
٦٨ فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء
٧٢ سورة يوسف الر تلك آيات الكتاب المبين
٧٤ قال يا بنى لا تقصص رؤياك
٧٧ فلما ذهبوا به واجمعوا
٨٠ وراودته التى هو فى بيتها
٨٢ فلما سمعت بمكرهن ارسلت
٨٤ واتبعت ملة اباءى ابراهيم
٨٦ قالوا اضغاث احلام وما نحن
٨٩ الجزء الثالث عشر وما ابرء نفسى
٩٠ قال هل آمنكم عليه
٩٢ فلما جهزهم بجهازهم
٩٥ قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا
٩٧ يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف
١٠٠ فلما ان جاء البشير
١٠٢ وما تسئلهم عليه من اجر ان هو
١٠٣ سورة الرعد المر تلك آيات الكتاب والذى
١٠٨ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
١١٣ له دعوة الحق والذين من دونه
١١٦ افمن يعلم انما انزل اليك
١١٨ الذين آمنوا وعملوا الصالحات
١٢٠ مثل الجنة التى وعد المتقون
١٢٣ سورة ابراهيم الر كتاب انزلناه
١٢٥ واذ قال موسى لقومه اذكروا
١٢٨ قالت لهم رسلهم ان نحن
١٣٠ الم تر ان الله خلق السموات
١٣٣ الم تر كيف ضرب الله مثلا
١٣٧ وسخر لكم الشمس والقمر
١٤٠ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
١٤٤ الجزء الرابع عشر سورة الحجر الر تلك آيات
١٤٩ ولقد جعلنا فى السماء بروجا
١٥٤ قال يا ابليس مالك
١٥٨ اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما
١٦٠ لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون
١٦٥ سورة النحل اتى امر الله فلا
١٦٨ وتحمل اثقالكم الى بلد
١٧١ والقى فى الارض رواسى
١٧٥ ثم يوم القيمة يخزيهم
١٧٦ وقال الذين اشركوا لو شاء الله
١٧٨ وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
١٨٣ ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا
١٨٥ وما انزلنا عليك الكتاب
١٩٠ ويعبدون من دون الله
١٩٣ والله جعل لكم من بيوتكم سكنا
١٩٤ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
١٩٧ ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم
١٩٩ ولقد نعلم انهم يقولون
٢٠٢ يوم تأتى كل نفس تجادل
٢٠٥ ثم ان ربك للذين عملوا السوء
٢٠٨ الجزء الخامس عشر سورة الاسرا سبحان الذى
٢١٢ ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم

﴿ هذا فهرس الجزء الثانى من حاشية شيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى ﴾

٢١٦ من كان يريد العاجلة عجلنا له
٢٢٠ واما تعرضن عنهم ابتغاء
٢٢٤ ذلك مما اوحى اليك ربك
٢٢٦ قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا
٢٢٩ وما منعنا ان نرسل بالآيات
٢٣٢ افامنتم ان يخسف بكم جانب
٢٣٦ وان كادوا ليستفزونك
٢٤١ قل لئن اجتمعت الانس والجن
٢٤٢ ومن يهد الله فهو المهتد
٢٤٧ سورة الكهف الحمد لله الذى انزل
٢٤٨ فلعلك باخع نفسك على اثارهم
٢٥١ واذ اعتزلتموهم وما يعبدون
٢٥٣ وكذلك اعثرنا عليهم
٢٥٨ واصبر نفسك مع الذين يدعون
٢٦١ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه
٢٦٢ المال والبنون زينة الحيوة الدنيا
٢٦٥ ولقد صرفنا فى هذا القرآن
٢٦٨ فلما جاوزا قال لفتيه آتنا غدائنا
٢٧٠ الجزء السادس عشر قال الم اقل لك انك
٢٧٣ انا مكناه فى الارض وآتيناه
٢٧٥ قال هذا رحمة من ربى فاذا جاء
٢٧٦ سورة المريم كهيعص
٢٨١ يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه
٢٨٥ فكلى واشربى وقرى عينا
٢٨٩ وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر
٢٩١ ووهبنا له من رحمتنا اخاه
٢٩٥ رب السموات والارض وما بينهما
٣٠١ افرأيت الذى كفر بآياتنا
٣٠٥ سورة طه طه ما انزلنا
٣٠٩ وانا اخترتك فاستمع لما يوحى
٣١٣ اذ اوحينا الى امك ما يوحى
٣١٩ قال علمها عند ربى فى كتاب
٣٢٣ قالوا يا موسى اما ان تلقى
٣٢٦ ولقد اوحينا الى موسى ان اسر
٣٢٩ فاخرج لهم عجلا جسد له
٣٣١ كذلك نقص عليك من انباء
٣٣٣ فتعالى الله الملك الحق
٣٣٦ وكذلك نجزى من اسرف ولم يؤمن
٣٣٩ الجزء السابع عشر سورة الانبياء اقترب للناس
٣٤٢ وكم قصمنا من قرية كانت
٣٤٦ وما ارسلنا من قبلك من رسول
٣٤٩ واذا رأك الذين كفروا
٣٥١ قل انما انذركم بالوحى
٣٥٤ فجعلهم جذاذا الا كبيرا
٣٥٧ وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا
٣٦٢ ومن الشياطين من يغوصون له
٣٦٧ والتى احصنت فرجها
٣٧٠ لا يحزنهم الفزع الاكبر
٣٧٢ سورة الحج يا ايها الناس اتقوا
٣٧٦ وان الساعة آتية لا ريب فيها
٣٧٨ وكذلك انزلناه آيات بينات
٣٧٩ ان الذين كفروا ويصدون
٣٨٤ ذلك ومن يعظم شعائر الله
٣٨٦ اذن للذين يقاتلون بانهم
٣٨٨ ويستعجلونك بالعذاب
٣٩٠ الملك يومئذ لله يحكم بينهم
٣٩٢ الم تر ان الله سخر لكم ما فى
٣٩٤ يا ايها الناس ضرب مثل
٣٩٦ الجزء الثامن عشر سورة المؤمنون قد افلح
٠٠٠ المؤمنون
٤٠٠ وانزلنا من السماء ماء بقدر
٤٠٢ فاذا استويت انت ومن معك
٤٠٤ ثم انشأنا من بعدهم قرونا
٤٠٦ والذين هم بربهم لا يشركون
٤٠٨ ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم
٤١٠ ما اتخذ الله من ولد وما كان
٤١١ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا
٤١٢ سورة النور سورة انزلناها
٤١٧ ان الذين جاؤا بالافك عصبة
٤١٩ يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا
٤٢١ فان لم تجدوا فيها احدا
٤٢٣ وانكحوا الايامى منكم والصالحين
٤٣٠ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع
٤٣٣ يقلب الله الليل والنهار
٤٣٦ قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول
٤٣٨ واذا بلغ الاطفال منكم الحلم
٤٤٢ سورة الفرقان تبارك الذى نزل الفرقان
٤٤٥ واذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها

﴿ هذا فهرس الجزء الثانى من حاشية شيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى ﴾

٤٤٨ الجزء التاسع عشر وقال الذين لايرجون
٤٥٢ ولايأتونك بمثل الاجئناك بالحق
٤٥٤ ام تحسب ان اكثرهم يسمعون
٤٥٨ وماارسلناك الامبشرا ونذيرا
٤٦١ والذين لايدعون مع الله الها آخر
٤٦٤ سورة الشعراء طسم تلك آيات الكتاب المبين
٤٦٧ ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى
٤٦٩ فلما جاء السحرة قالوا لفرعون
٤٧١ قال كلا ان معى ربى سيهدين
٤٧٣ واجعل لى لسان صدق فى الآخرين
٤٧٥ قال وماعلمى بما كانوا يعملون
٤٧٦ انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
٤٧٧ وان ربك لهو العزيز الرحيم
٤٧٨ ولاتبخسوا الناس اشيائهم
٤٨٠ مااغنى عنهم ماكانوا يمتعون
٤٨٢ سورة طس تلك آيات القرءآن وكتاب
٤٨٦ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة
٤٩٠ انى وجدت امرأة تملكهم
٤٩٢ وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة
٤٩٤ قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته
٤٩٧ الجزء عشرون فماكان جواب قومه
٤٩٨ امن يبدأ الخلق ثم يعيده
٥٠١ ان ربك يقضى بينهم بحكمه
٥٠٤ سورة القصص طسم تلك آيات الكتاب المبين
٥٠٧ ولما بلغ اشده واستوى آتيناه
٥٠٨ فخرج منها خائفا يترقب قال رب
٥١١ فلما قضى موسى الاجل وسار باهله
٥١٣ فلما جائهم موسى بآياتنا بينات
٥١٥ وماكنت بجانب الغربى
٥١٧ ولقد وصلنا لهم القول
٥١٩ وما اوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا
٥٢٠ قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل
٥٢٢ قال انما اوتيته على علم

﴿ تم فهرس الجزء الثانى ﴾

قد طبع فى المطبعة العثمانية

معارف عموميه نظارت جليله سنك ١٠٧ نومرولى وفى ٢٣ ذى القعده سنه
١٣١٥ وفى ٢ نيسان سنه ١٣١٤ تاريخلى رخصتنامه‌سنى حائزدر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يونس عليه الصلاة والسلام

سورة يونس مكية وهى مائة وتسع آيات

﴿بسم الله الرحمن الرحيم الر﴾ فخمها ابن كثير ونافع وحفص واماليها الباقون اجرآ لالف الرآء مجرى المنقلبة عن الياء ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ اشارة الى ماتضمنه السورة او القرءآن من الآى والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم اولانه كلام حكيم اومحكم آياته لم ينسخ شئ منها ﴿اكان للناس عجبا﴾ استفهام انكار للتعجب ومعجبا خبر كان واسمه ﴿ان اوحينا﴾ وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس اوعلى ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجب

(٧) (الحواميم) (نسخه)

مكية الا قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لايؤمن به وربك اعلم بالمفسدين فانها مدنية نزلت فى اليهود بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴿الر فخمها﴾ اى قرأ بفتح الرآء على التفخيم ابن كثير وقالون وحفص وقرأ بكسر الرآء على الامالة ابوعمرو وحمزة والكسائى وابن عامر وابوبكر وقرآءة ورش بين الفتح والكسر واختلف القرآء فى الحروف المقطعة التى فى اوآئل السور اذا كان آخرها الفا مقصورة وهى را وطا وها ويا وحا هل تقرأ بالامالة اوبالتفخيم فامال * را * من جميع سورها امالة محضة الكوفيون الاحفصا وابوعمرو وابن عامر وامال الاخوان وابوبكر * طا * من جميع سورها نحو طس وطسم وطه وامال ابوبكر وحمزة والكسائى * يا * من يس وكهيعص ووافقهم ابن عامر فى امالة كهيعص دون يس وامال حمزة والكسائى وابوعمرو وورش وابوبكر * ها * من طه وكذلك امالها من كهيعص ابوعمرو والكسائى وابوبكر وابن ذكوان وامال ابوعمرو وورش وحمزة والكسائى وابوبكر وابن ذكوان * حا * من جميع ال حم (٧) السبع الا ان اباعمرو وورشا يميلان بين بين والباقين يميلون امالة محضة وقرأ ابن كثير وقالون وحفص وهشام حم بفتح الحاء فى جميع سورها وكلها الفات صحيحة على ان الاصل فى هذه الكلمات ترك الامالة لان الفاتها ليست منقلبة عن الياء ومن امالها فقد قصد بامالتها على انها اسماء لاحروف لانها اسماء للحروف المخصوصة وليست بحروف وقدمر ان فى فواتح السور وجهين احدهما من جنس كلامهم اومن جهة ورودها على لسان النبى صلى الله عليه وسلم **قوله** لاشتماله على الحكم على ان يكون الحكيم بمعنى ذى الحكم وقوله اولانه كلام حكيم على ان يكون وصف الكتاب بالحكيم من قبيل وصف الحكم بصفة من تكلم به على طريق الاسناد المجازى نحو نهاره صائم وليله قائم قال الاعشى

* وغريبة تأتى الملوك حكيمة * قد قلتها ليقال من ذا قالها *

اى قصيدة غريبة مدحت بها الملوك حكيمة ليتعجب الناس ويقولوا من ذا قالها والبيت يصلح شاهدا لكل واحد من الوجهين فان حكيمة يحتمل ان يكون بمعنى النسبة وان يكون من قبيل الاسناد المجازى **قوله** اومحكم آياته على ان يكون الحكيم فعيل بمعنى مفعول **قوله** على ان الامر بالعكس اى على ان تكون النكرة المحضة اسم كان الناقصة والمعرفة خبرها على حدّ قوله يكون مزاجها عسل وماء ويحتمل ان يكون ارتفاع عجب مبنيا

(على)

على ان كان تامة وان اوحينا بدل منه بدل اشتمال اى أحدث عجب لان اوحينا احدث وحى والظاهر ان يكون حينئذ متعلقا بعجب على حذف لام العلة اى احدث عجب لان اوحينا او يكون على حذف من اى من ان اوحينا ﴿ **قوله** واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة ﴾ اى امرا عجيبا يتعجب منه يعنى ان اللام فى للناس للبيان كما فى هيت لك اى هذا الخطاب لك وليس متعلقا بقوله عجبا على طريق المفعولية كما فى قولك عجبت لسعى زيد فى حاجتى لان معمول المصدر لا يتقدّم عليه ﴿ **قوله** من افناء رجالهم ﴾ اى ممن لا يعرف بجاه ومال ورياسة ونحو ذلك مما يعدّونه من اسباب العز والجلال وليس المراد انه صلى الله عليه وسلم ليس من مشاهيرهم نسبا لان شرف نسبه عندهم اظهر من الشمس وافناء جمع فنى بوزن فتى اوجمع فناء بوزن قباء وهو ناحية من الناس * الجوهرى فناء الدار ما امتدّ من جوانبها ويقال هو من افناء الناس اذا لم يعلم ممن هو ﴿ **قوله** او المخففة من الثقيلة ﴾ فيكون اسمها ضمير الشأن المقدر والاصل انه اندر الناس ولما تقرر فى النحو ان الجملة الطلبية لا تقع خبر ضمير الشأن وجب ان يكون تقدير هذا الاصل ان الشأن قولنا ان اندر الناس على ان يكون القول المقدر مبتدأ وتكون الجملة الطلبية محكية به خبرا عنه ويكون خبر ضمير الشان جملة اسمية ﴿ **قوله** عمم الانذار ﴾ حيث جعل متعلقه مطلق الناس لان الانذار يعم الناس اى الكل ليرتدعوا عن فعل ما لا ينبغى من الصغائر والكبائر وترك الأولى بخلاف التبشير فانه لا يتعلق بالكفار اذ ليس لهم ما يبشرون به ولم يذكر المنذر به للتعميم والتهويل وذكر المبشر به لتقوى رغبة المطيعين فيما يؤديهم اليه وقدم الانذار على التبشير لان التخلية مقدمة على التحلية وازالة ما لا ينبغى متقدمة فى الرتبة على فعل ما ينبغى والمبشر به ماذكره بقوله تعالى ان لهم قدم صدق وحذف الباء من ان وان شائع كثير ﴿ **قوله** سابقة ﴾ يحتمل ان يكون مصدرا كالعاقبة والكاذبة ويكون المراد بها تقديم الله تعالى يوم القيامة هذه الامة كما قال صلى الله عليه وسلم * نحن الآخرون السابقون * وقال صلى الله عليه وسلم * الجنة محرمة على الانبياء حتى ادخلها ومحرمة على الامم حتى تدخلها امتى * ويحتمل ان يكون اسم فاعل يعنى السعادة السابقة فى القضاء الاوّلى وهى المنازل الرفيعة الروحانية والجسمانية وما ذكره فى بيان وجه اطلاق القدم على السابقة وهو قوله لان السبق بها يؤيد الاحتمال الاوّل وان كان القدم سببا للوصول الى المنازل السابقة كما انها سبب لنفس السبق ايضا ثم انه تعالى لما اجاب عن تعجب الكفار من الوحى والبعثة بقوله اكان للناس عجبا ان يبعث خالق الخلق اليهم رسولا يبشرهم على الاعمال الصالحة بالثواب وينذرهم على الاعمال الفاسدة بالعقاب وكان هذا الجواب موقوفا على ثبوت امرين الاوّل ان يكون لهذا العالم اله قادر نافذ الحكم والتكليف والثانى ان يتحقق البعث بالحشر والقيامة حتى يحصل الثواب والعقاب اثبت الامر الاوّل بقوله تعالى ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فانها لكونها امورا محكية فى ذواتها وصفاتها محتاجة الى ما يرجح جانب وجودها واختصاصها بذلك معين ووصف معلوم وذلك المرجح يجب ان يكون واجب الوجود لذاته متحليا بجميع نعوت الجلال والجمال متخليا عن صفات العجز والنقصان واثبت الامر الثانى بقوله اليه مرجعكم جميعا * فان قيل قوله تعالى الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام يقتضى ان يكون كونه تعالى خالقا للسموات والارض فى ستة ايام امرا معلوما عند العرب وهم لا يعلمون ذلك فكيف يحسن هذا التعريف * فالجواب ان ذلك امر معلوم مشهور عند اليهود والنصارى والعرب كانوا يخالطونهم والظاهر انهم سمعوه منهم فلهذا السبب حسن هذا التعريف ﴿ **قوله** فى ستة ايام ﴾ اى فى مقدارها لان اليوم عبارة عن زمان مقدر مبتداه طلوع الشمس ومنتهاه غروبها فكيف يكون يوم حين لا شمس ولا سماء ويحتمل ان يكون المراد بالايام الاوقات مطلقا كما فى قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اى وقتئذ واتفق المسلمون على ان فوق السموات جسما عظيما هو العرش المحيط بسائر الاجسام وقد يطلق العرش ويراد به الملك ويقال فلان على عرشه اى ملكه وقد يطلق على البناء كما فى قوله تعالى وكان عرشه على الماء اى بناؤه ويدل على انه تعالى بنى السموات والارض على الماء ليعرف العقلاء كمال قدرته ونفاذ مشيئته فان الخلائق يبنون بناءهم فى المواضع الصلبة البعيدة من الماء لئلا ينهدم ومن بنى مثل هذه الاجرام العظام على الماء كان فى غاية العظمة وكمال القدرة فان كل بناء يسمى عرشا وبانيه يسمى عارشا قال تعالى ومن الشجر ومما يعرشون اى يبنون والمشهور عند جمهور المفسرين ان المراد من العرش المذكور هو الجسم المحيط بالعالم وقالوا قوله تعالى ثم استوى على العرش لا يمكن ان يكون معناه انه تعالى خلق العرش بعد خلق السموات والارضين بدليل انه تعالى قال فى آية

واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم ﴿ ٣ ﴾ يوجهون نحوه انكارهم واستهزآءهم ﴿ الى رجل منهم ﴾ من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابى طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحى والنبوّة هذا وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا فى المال وخفة الحال اعون شئ فى هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره فى سورة الانعام ﴿ ان انذر الناس ﴾ انهى المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون فى موقع مفعول اوحينا ﴿ وبشر الذين آمنوا ﴾ عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغى ان ينذر منه وخصص البشارة بالمؤمنين اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ﴿ ان لهم ﴾ بان لهم ﴿ قدم صدق عند ربهم ﴾ سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما نالوها بصدق القول والنية ﴿ قال الكافرون ان هذا ﴾ يعنون الكتاب وما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ لساحر مبين ﴾ وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا ساحر مبين ﴿ ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض ﴾ التى هى اصول الممكنات ﴿ فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ﴾ يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر فى ادبار الامور لتجئ محمودة العاقبة ﴿ ما من شفيع الا من بعد اذنه ﴾ تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ﴿ ذلكم الله ﴾ اى الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ﴿ ربكم ﴾ لا غيره اذ لا يشاركه احد فى شئ من ذلك ﴿ فاعبدوه ﴾ وحدوه بالعبادة ﴿ افلا تذكرون ﴾ تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه

﴿ اليه مرجعكم جميعا ﴾ بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه ﴿ وعدالله ﴾ مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعدمن الله ﴿ حقا ﴾ مصدر آخر مؤكد لغيره وهو مادل عليه وعد الله ﴿ انه يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ بعد بدئه واهلاكه ﴿ ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ﴾ اى بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل فى امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله ﴿ والذين كفروا لهم شراب من حميم عذاب اليم بما كانوا يكفرون ﴾ فان معناه ليجزى الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه ﴿ ٤ ﴾ غير النظم للمبالغة فى استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابدآء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بمايليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه دآء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابدآء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لامحالة ويؤيده قرآءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اى لانه ويجوز ان يكون منصوبا اومرفوعا بما نصب وعدالله او بما نصب حقا ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء ﴾ اى ذات ضياء وهو مصدر كقيام اوجمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين فى كل القرءآن على القلب بتقديم اللام على العين ﴿ والقمر نورا ﴾ اى ذا نور اوسمى نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل مابالذات ضوء ومابالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة فى ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها ﴿ وقدره منازل ﴾ الضمير لكل واحد اى قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذامنازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله ﴿ لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ وحساب الاوقات من الاشهر والايام فى معاملاتكم وتصرفاتكم ﴿ ماخلق الله ذلك الا بالحق ﴾ الاملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة ﴿ نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ﴿ ان فى اختلاف الليل والنهار وماخلق الله فى السموات والارض ﴾ من انواع الكائنات ﴿ لآيات ﴾ على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته ﴿ لقوم يتقون ﴾ العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ﴿ ان الذين لايرجون لقاءنا ﴾ لايتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما ورآءها ﴿ ورضوا بالحياة الدنيا ﴾ من الآخرة لغفلتهم عنها ﴿ واطمأنوا بها ﴾ وسكنوا اليها مقصرين همهم على لذآئذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لايزعج عنها ﴿ والذين هم عن آياتنا غافلون ﴾ ﴿ لايرجون ﴾ لايتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك فى الشهوات بحيث لاتخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين

اخرى وكان عرشه على الماء يدل على ان وجود العرش سابق على تخليق السموات والارض ولا يتوهم ايضا من استوآئه على العرش كونه معتمدا عليه مستقرا فوقه بحيث لولا العرش لسقط ولنزل لان ذلك مستحيل فى حقه تعالى لاتفاق المسلمين على انه تعالى هو الممسك للعرش والحافظ وانه لايحتاج الى شئ مما سواه بل المراد من الاستوآء على العرش والله اعلم الاستيلاء عليه ونفاذ التصرف وخص العرش بالاستيلاء عليه لانه اعظم المخلوقات قال الشاعر

❊ قداستوى بشر على العراق ❊ من غير سيف ودم مهراق ❊

وقوله تعالى يدبر الامر حال من استوى او مستأنف لامحل له وقيل المراد بالعرش البناء وقوله تعالى خلق السموات والارض اشارة الى تخليق ذواتها وقوله ثم استوى على العرش اشارة الى تسطيحها وتشكيلها بالاشكال الموافقة لمصالحها وماخلقت هى لاجلها وغير ذلك من الامور البعيدة المعتبرة فى تعريشها وان قيل المراد بالعرش الملك يكون استوآؤه تعالى على الملك عبارة عن وجود الاحوال المتجددة فى ذوات السموات كدوران الكواكب والافلاك وحصول الفصول الاربعة والاحوال المختلفة بسبب ذواتها ﴿ قوله ﴾ مصدر مؤكد لنفسه ﴿ لكونه تأكيدا وتحقيقا لمضمون قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا ولايحتمل لتلك الجملة غير كونه وعدا بخلاف قوله جميعا فانه ايضا وان كان تأكيدا لمضمون تلك الجملة الا انها لما احتمل غير الحقيقة ﴿ قوله ليجزى ﴾ متعلق بقوله ثم يعيده وبالقسط متعلق بيجزى ويجوز ان يكون حالا من الفاعل اى ليجزيهم منتصبا بالقسط او من المفعول اى ملتبسا بالقسط وهو العدل واليه اشار المصنف بقوله بعدالته او بعدالتهم وعدم ظلمهم انفسهم بارتكاب المعاصى ﴿ قوله ﴾ لكنه غير الاسلوب ﴿ حيث لم يورد الجملة الثانية على صورة تعليل الابدآء والاعادة بمجازاة الكفرة بشراب من حميم وعذاب اليم بل ابتدأ بقوله والذين كفروا اخبر عنه بالجملة التى بعده مستأنفة لبيان جزآئهم لكنه خلاف الظاهر ووجه ماذكره من التنبيه انه تعالى ادخل لام التعليل على العقاب والثالث انه لم يعين ثواب المؤمنين وعين عقاب الكافر واشار المصنف الى وجه كل واحد من وجوه التغيير ﴿ قوله ويجوز ان يكون منصوبا اومرفوعا ﴾ عطف على قوله اى لانه ذكر لقرآءة انه يبدأ الخلق بفتح الهمزة ثلاث تأويلات الاول ان تكون مبنية على حذف لام الجر والثانى ان يكون فى محل النصب بالفعل الذى نصب وعدالله اى وعدالله وعدا بدآء الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه والثالث ان يكون فى محل الرفع بالفعل الذى نصب حقا اى حق حقا بدأ الخلق ثم اعادته ﴿ قوله اى ذات ضياء ﴾ قدر المضاف لان الشمس ليست نفس الكيفية التى تسمى ضوأ وكذا القمر ليس نفس النور ويحتمل ان يكون من باب تسمية الذات بالمصدر للمبالغة كما يقال فى الكريم الله كرم وجود كما اشار اليه بقوله اوسمى نورا للمبالغة لكن الظاهر ان يقال اذ سمى بدل الواو ضياء مفعول ثان لجعل ان كان من الجعل بمعنى التصيير او حال من الشمس ان كان جعل بمعنى انشأ وخلق ﴿ قوله على القلب بتقديم اللام على العين ﴾ فوقعت الواو طرفا بعد الف زآئدة فقلبت همزة كما فى سأر وكساء ﴿ قوله وهو اعم من الضوء ﴾ فان النور اسم لاصل الكيفية الظاهرة فى نفسها المظهرة لغيرها والضوء اسم لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية وقيل الضياء اقوى من النور لان الضوء مابالذات كالكيفية التى على الشمس والنور مابالعرض كالكيفية التى على وجه الارض ومابالذات اقوى ﴿ قوله اى قدر مسير كل واحد منهما منازل ﴾ فعلى هذا منازل منصوب على انه ظرف مكان وعلى الثانى يكون ذامنازل مفعولا ثانيا على تضمين قدره معنى صيره ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولرجوع ضمير قدّره الى القمر خاصة فان بالقمر يعرف انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس وانما يعرف بالشمس اوقات الصلاة والفصول الاربعة التى ينتظم بها مصالح هذا العالم ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهذه المنازل مقسومة على البروج الاثنى عشر ولكل برج منزلتان وثلث فينزل القمر كل ليلة منزلة منها ويستسرّ ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وليلة واحدة ان كان الشهر تسعة وعشرين وقرأ ابن كثير والبصريان وهما ابو عمرو ويعقوب يفصل بياء الغيبة جريا على اسم الله تعالى فى قوله ماخلق الله ذلك المذكور والباقون بنون العظمة التفاتا من الغيبة الى التكلم للتعظيم ومعنى التفصيل ذكر هذه الدلائل اى الدلائل الباهرة واحدة عقيب اخرى مع الشروح والبيان ثم انه تعالى لما اقام الدلائل الدالة على صحة القول بثبوت الاله الحكيم الرحيم وعلى صحة القول بالحشر والمعاد بعده شرع فى شرح احوال من يكفر بها فقال ان الذين لايرجون لقاءنا الآية ثم شرح احوال من يؤمن فقال ان الذين آمنوا الآية ﴿ قوله واما لتغاير الفريقين ﴾ اى لايكون من باب عطف الصفات بل يكون الموصول الثانى معطوفا على اسم ان اى ان الذين

لا يرجون وان الذين واولئك مبتدأ ومأواهم مبتدأ ثان وجهنم خبر الثانى والثانى وخبره خبر اولئك واولئك وخبره خبر الذين ﴿قوله﴾ ومفهوم الترتيب ﴿اى ترتيب الحكم على الموصول الذى صلته مجموع الايمان والعمل الصالح يفهم سببية المجموع ﴿قوله﴾ اوحال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير ﴿وهو يهديهم بسبب ايمانهم لما يريدونه فى الجنة من المآكل والمشارب وغيرهما فان جريان الانهار من تحت سررهم المرفوعة الموضوعة فى البساتين والرياض لا يقارن هدايتهم لما يريدونه فى الجنة ﴿قوله﴾ اى دعاؤهم ﴿يعنى ان الدعوى بمعنى الدعاء ويدل عليه اللهم فانه ندآء فى معنى يا الله دعا يدعو دعاء ودعوى كما يقال شكا يشكو شكاية وشكوى وسبحانك هو المنادى له وهو مصدر بمعنى التسبيح معمول لفعل لا يجوز اظهاره واشار اليه المصنف بقوله اللهم انا نسبحك تسبيحا فلما حذف الفعل اضيف المصدر الى مفعوله لما وصف الله تعالى المؤمنين بالايمان والاعمال الصالحة ذكر بعد ذلك درجاتهم وكراماتهم ومراتب سعادتهم وهى اربع مراتب المرتبة الاولى قوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم الآية اى يهديهم بسبب ايمانهم الى سلوك مايؤديهم الجنة اولعلم مالم يعلموه من الحقائق او لما لا يرونه فى الجنة والمرتبة الثانية ماشار اليه بقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم والمراد ان اهل الجنة يشتغلون بتقديس الله تعالى وتمجيده والثناء عليه لا من حيث انهم يلهمون اياه فينطقون به تلذذا وابتهاجا وسرورا به بناء على ان كمال حالهم لا يحصل الا منه فان سعادة السعدآء ونهاية درجات الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء استعدادهم بمراتب معارف الجلال والارتقاء فيها ابدا ولا سيما انه تعالى لما وعد المتقين بالثواب العظيم كما ذكر فى اول السورة فى قوله تعالى ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالسقط فاذا دخل اهل الجنة ووجدوا ما وعدلهم من تلك النعم العظيمة وشاهدوا كونه تعالى صادقا فيما وعده بسبب ايمانهم فعند ذلك قالوا سبحانك اللهم اى نسبحك عن الخلف فى الوعد والكذب فى القول والمرتبة الثالثة منها قوله تعالى وتحيتهم فيها سلام وهو من اضافة المصدر الى الفاعل ان كان المعنى وتحية بعضهم لبعض ومن اضافته الى المفعول ان كان المعنى وتحية الملائكة اياهم كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم او تحية الله تعالى اياهم كما قال سلام قولا من رب رحيم والمرتبة الرابعة وآخر دعواهم ان يقولوا الحمد لله رب العالمين قوله آخر دعواهم مبتدأ وان هى المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المحذوف والجملة بعدها فى محل الرفع على انها خبرلها وان مع اسمها وخبرها فى محل الرفع خبر للمبتدأ الاول وقرئ ان الحمد لله بتشديد ان ونصب الحمد وهو يؤيد انها مخففة من الثقيلة فى قرآءة العامة ومعنى الآية ان اهل الجنة يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختتمونه بالتحميد ﴿قوله﴾ واثنوا عليه بصفات الاكرام ﴿وهى الصفات الاضافية واعلم ان معرفة ذات الله تعالى والاطلاع على كنه حقيقته مما لا سبيل للخلق اليه بل الغاية القصوى معرفة صفاته السلبية او صفاته الاضافية فهى المسماة بصفات الاكرام فلذلك كان كمال الذكر العالى مقصورا عليه كما قال تعالى تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام ولما كان غاية سعادة السعدآء معرفته تعالى بصفات الجلال والاكرام ذكر الله تعالى كون اهل الجنة مواظبين على هذا الذكر المقدس الذى كانت الملائكة المقربون مشتغلين به قبل ان يخلق آدم عليه وعليهم الصلاة والسلام الا ترى انهم قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فلذلك الهم السعدآء من اولاد آدم عليه الصلاة السلام حتى اتوا بهذا التسبيح فى اوّل صلاتهم بان قالوا عند تكبير الافتتاح سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك واتوا بهذا الذكر بعينه بعد انقراض العالم فى دار الكرامة ﴿قوله﴾ ووضع موضع تعجيله لهم بالخير ﴿يعنى ان المشبه بتعجيل الله تعالى لهم الشر هو تعجيله لهم الخير فعدل عنه الى ما عليه النظم وقد تقرر فى علم البلاغة ان كل مقام استحق ايراد لفظ لو عدل عنه الى لفظ آخر فلابد ان يكون العدول لفائدة فلذلك ذكر المصنف للعدول فائدتين الاولى الاشعار بسرعة اجابته تعالى لهم بحيث عجل لهم الخير كما استعجلوه حتى صار استعجالهم الخير عين تعجيل الله لهم الخير ذلك فلذلك عبر عنه باستعجالهم بالخير والفائدة الثانية الاشعار بان المراد من الشر المعتبر فى جانب المشبه هو الشر الذى استعجلوه فان اهل مكة كانوا يستعجلون الشر كما يستعجلون الخير حيث يقولون اللهم ان كان محمد صلى الله عليه وسلم حقا صادقا فيما ادعاه من النبوّة فامطر علينا حجارة فكان اصل الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حيث استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ماحذف لدلالة الباقى عليه بمعونة * المقام قال الامام الذى يغلب على ظنى ان ابتدآء هذه السورة فيه ذكر شبهات المنكرين للنبوّة مع الجواب عنها الشبهة الاولى القوم تعجبوا من تخصيص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم والمراد بالاوّلين من انكر البعث ولم يرد الا الحياة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل فى الآجل والاعتداد له ﴿اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾ بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصى ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم﴾ بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدّى الى الجنة اولادراك الحقائق كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم اولما يريدونه فى الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له ﴿تجرى من تحتهم الانهار﴾ استئناف او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله ﴿فى جنات النعيم﴾ خبر او حال آخر منه او من الانهار او متعلق بتجرى او بيهدى ﴿دعواهم فيها﴾ اى دعاؤهم ﴿سبحانك اللهم﴾ اللهم انا نسبحك تسبيحا ﴿وتحيتهم﴾ مايحيى به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم ﴿فيها سلام﴾ وآخر دعواهم ﴿وآخر دعائهم﴾ ﴿ان الحمد لله رب العالمين﴾ اى ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هى المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ﴿ولو يعجل الله للناس الشر﴾ ولو يسرعه اليهم ﴿استعجالهم بالخير﴾ وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم فى الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ماحذف لدلالة الباقى عليه ﴿لقضى اليهم اجلهم﴾ لاماتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى

وقرئ لقضينا ﴿فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون﴾ عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا ﴿واذا مس الانسان الضرّ دعانا﴾ لازالته مخلصا فيه ﴿لجنبه﴾ ملقيا لجنبه اى مضطجعا ﴿او قاعدا او قائما﴾ وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضارّ ﴿فلما كشفنا عنه ضره مرّ﴾ مضى على طريقته واستمرّ على كفره او مرّ عن موقف الدعاء لا يرجع اليه ﴿كان لم يدعنا﴾ كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال *ونحر مشرق اللون *كان ثدياه حقان *﴿الى ضر مسه﴾ الى كشف ضرّ ﴿كذلك﴾ مثل ذلك التزين ﴿زين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾ من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات ﴿ولقد اهلكنا القرون من قبلكم﴾ يا اهل مكة ﴿لما ظلموا﴾ حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد أو عطف على ظلموا ﴿وما كانوا ليؤمنوا﴾ وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفي ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم ﴿نجزي القوم المجرمين﴾ نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ﴿ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم﴾ استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر ﴿لننظر كيف تعملون﴾ اتعملون خيرا او شرّا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله

بالنبوّة فازال الله تعالى ذلك التعجب بقوله اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم يقيم على عبادى دلائل وحدانيتى وتفردى بالالوهية والربوبية وانى سأعيدهم بعد الاماتة لاجازيهم على اعمالهم وابين المحسن والمسيئ منهم ثم ذكر دلائل التوحيد ودلائل صحة المعاد والشبهة الثانية للمنكرين انهم كانوا يقولون اللهم ان كان امر محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير الآية وايضا اخبر الله تعالى فى آيات كثيرة ان هؤلاء المشركين متى خوّفوا بنزول العذاب فى الدنيا استعجلوا ذلك العذاب كقوله تعالى فامطر علينا حجارة من السماء وكما قال تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين وكما قال يستعجل بها الذين لا يؤمنون وغير ذلك ثم انهم لما توعدوا بعذاب الآخرة فى هذه الآية وهو قوله اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون لعلهم استعجلوا ذلك العذاب كما قال تعالى فى هذه السورة بعد هذه الآية ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴿قوله﴾ عطف على فعل محذوف يعنى ان الفاء فى قوله فنذر يستدعى معطوفا ولا يجوز ان يكون نذر معطوفا على قوله يعجل الله وقوله لقضى اذ لو كان كذلك لدخل فى الامتناع الذى يقتضيه كلمة لو وتركهم فى طغيانهم يعمهون لم يمتنع بل واقع فهو معطوف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية فان قوله تعالى ولو يعجل يتضمن معنى نفى التعجيل كانه قيل ولا يعجل ولا يقضى فنذرهم امهالا لهم اذ لا صلاح فى اماتتهم واهلاكهم اذ ربما آمنوا بعد ذلك او ربما خرج من صلبهم من كان مؤمنا وذلك يقتضى ان لا يعاجلهم الله تعالى بايصال الشر اليهم المستلزم لاماتتهم واهلاكهم بناء على ان تركهم فى الدنيا لا يحتمل العذاب المتوعد به وسمى العذاب شرا فى هذه الآية لانه اذى فى حق المعاقب ومكروه عنده كما انه تعالى سماه سيئة فى قوله تعالى ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة *قال الامام فى وجه الانتظام فى قوله تعالى واذا مس الانسان الضرّ دعانا لجنبه بما قبله انه تعالى بين فى الآية الاولى انه لو انزل العذاب على العبد فى الدنيا لهلك ولقضى عليه فبين فى هذه الآية ما يدل على غاية ضعفه ونهاية عجزه ليكون ذلك مؤكدا لما ذكره من انه لو انزل عليه العذاب لمات والوجه الثانى فى وجه الانتظام انه تعالى حكى عنهم انهم يستعجلون فى نزول العذاب ثم بين فى هذه الآية انهم كاذبون فى ذلك الطلب والاستعجال لانه لو نزل بالانسان ادنى شئ يكرهه فانه يتضرّع الى الله تعالى فى ازالته عنه ويدل على انه ليس صادقا فى هذا الاستعجال ﴿قوله﴾ تعالى لجنبه فى محل نصب على انه حال من فاعل دعانا ولذلك عطف عليه الحال الصريحة ﴿قوله﴾ او لاصناف المضار من الضرّ ما يغلب الانسان ويجعله صاحب فراش يضطرّه الى الاضطجاع ومنه ما يكون اخف من ذلك ويجعله بحيث يقدر على القعود ومنه ما يتمكن الانسان معه على القيام ﴿قوله﴾ كانه لم يدعنا اى اعتبر ضمير الشان لان حق الحروف المشبهة الدخول على المبتدأ والخبر سواء اعملت او الغيت بالتخفيف فان التخفيف لا يبطل الا العمل وعلى هذا لا حاجة الى ضمير الشان فى قوله* كان ثدياه حقان * فالتمثيل به ليس الا لمجرد بطلان العمل بالتخفيف والنحر الصدر والضمير فى ثدياه يرجع الى النحر وحقان تثنية حقة والاصل حقتان فحذفت التاء على خلاف القياس وخفف كانّ فبطل عمله حيث روى ثدياه بالالف ويروى ثديه بالياء على انها عملت فى الظاهر وهو شاذ وقوله تعالى كان لم يدعنا فى محل النصب على انه حال من فاعل مرّ اى مضى على طريقته مشبها من لم يدع الى كشف ضرّه ﴿قوله﴾ مثل ذلك التزين اشارة الى ان الكاف من كذلك فى محل نصب على المصدر والمراد بالتزين الاعراض عن الابتهال سمى الكافر مسرفا لانه مسرف فى امر دينه متجاوز الحد فى الغفلة عنه فانه لا شبهة فى ان المراد كما يكون مسرفا فى الانفاق فكذا يكون مسرفا فيما يتركه من واجب او يقدم عليه من قبيح اذا تجاوز الحدّ فيه فان من بذل ما انعم الله عليه به من الحواس والعقل والفهم لاكتساب السعادة الباقية الابدية فى تحصيل لذآئذ الدنيا وطيباتها الخسيسة كان قد انفق اشياء عظيمة كثيرة لاجل ان يفوز باشياء حقيرة خسيسة توجب ان يكون من المسرفين ﴿قوله﴾ تعالى وما كانوا ليؤمنوا الظاهر انه معطوف على ظلموا كانه قيل لما ظلموا واصرّوا على الكفر حقا بحيث لم يبق فائدة فى الامهال اهلكناهم فيكون السبب فى اهلاكهم مجموع هذين الامرين فان ظلمهم عبارة عن احداثهم التكذيب وما يتفرّع عليه وهذا عبارة عن اصرارهم عليه بحيث لا فائدة فى امهالهم ﴿قوله﴾ استخلاف من يختبر اشارة الى جواب ما يقال قوله تعالى لهذه الامة ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون يشعر بانه تعالى ما كان عالما باحوالهم قبل وجودهم وانه يحتاج فى العلم بها الى الاختبار والامتحان وهو محال *وتقرير

(الجواب)

الجواب ان المراد منه انه تعالى يقابل ويعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا وفى الحديث* ان الدنيا خضرة نضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون* وعن قتادة رضى الله عنه صدق الله ربنا ما جعلنا خلفاء الا لينظر الى اعمالنا فأروا الله من اعمالكم خيرا بالليل وبالنهار فالكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية المرتبة على استعارة تصريحية تبعية اما كونه من قبيل الاستعارة التمثيلية فظاهر لانه تعالى منزه عن حقيقة الاختبار لكونه شبيه استخلافهم على الوجه المذكور بمعاملة من يختبر فاخرج على صورة كلام المختبر واما كونها مرتبة على استعارة تصريحية تبعية فلان النظر فى اللغة عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئى طلبا لرؤيته فلاشك انه مستحيل فى حقه تعالى من وجوه فلابدّ ان يجعل النظر فى حقه تعالى مجازا عن العلم المحقق الذى لايتطرّق اليه الشك والشبهة بان يشبه هذا العلم بنظر الناظر وادراك عين المرئى على سبيل المعاينة والمشاهدة ويطلق عليه لفظ النظر والرؤية على سبيل الاستعارة التصريحية فلما اشتق منه لفظ لينظر صارت هذه الاستعارة تبعا ﴿ قوله وفائدته ﴾ اى فائدة ايراد كيف اذلايقال لينظر عملكم اخيرام شرّ مع انه اخصر منه الدلالة على ان العبرة فى الجزآء جهات الافعال فان كيف للسؤال عن الحال فكانه قال لينظر على اىّ حال تعملون ثم انه تعالى حكى عن المشركين نوعا ثالثا من كلماتهم التى ذكروها والطعن فى نبوّته صلى الله عليه وسلم *واجاب عنه وهو قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات الآية روى ان خمسة من الكفار كانوا يستهزئون بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فقتل الله تعالى كل رجل منهم بطريق كما قال انا كفيناك المستهزئين فهذه نزلت فى حقهم وقوله تعالى لايرجون لقاءنا عبارة عن كونهم مكذبين للحشر والنشر ومنكرين للبعث والقيامة ﴿ قوله بكتاب نقرؤه ليس فيه مانستبعده ﴾ فسر ما اقترحوه بقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدّله على وجه لايرد ان يقال انه صلى الله عليه وسلم اذا بدل هذا القرآن بغيره فقد اتى بقرآن غير هذا القرآن وكذا اذا اتى بغيره فقد بدله واذا كان كذلك كل واحد من هذين الامرين عين الآخر ومما يدل على ان كل واحد منهما نفس الآخر انه صلى الله عليه وسلم اقتصر فى الجواب على استحالة احدهما وهو قوله قل مايكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى وكون كل واحد منهما نفس الاخر ينافى ان يورد بينهما كلمة او الدالة على الترديد والتخيير ولما فسر الغيرية بعدم كون القرآن المقترح على ترتيب هذا القرآن المنزل ولا على نظمه وبكونه خاليا مما استبعدوه من امر البعث والجزآء ومما استكرهوه من ذم آلهتهم وتحقيرها وفسر التبديل بان يكون هذا القرآن المنزل باقيا على ترتيبه ونظمه لكن يوضع مكان الآيات الدالة على ما استبعدوه واستكرهوه آيات اخر موافقة لهواهم وطريقتهم ﴿ قوله ولعلهم سألوا ذلك كى يسعفهم اليه فيلزموه ﴾ كانه جواب عما يقال كيف يصح من الكفار ان يقترحوا عليه صلى الله عليه وسلم ان يأتى من قبله تعالى بكتاب موافق لما يشتهونه وهم عقلاء جازمون باستحالته وكذا على سبيل الجدّ جازمون باستحالة ان يكذب نفسه ويأتى بما اقترحوه من قبل نفسه فيلزموه احد الامرين على طريق التخيير مع علمهم باستحالة كل واحد من الامرين طمعا منهم فى ان يسعفهم اى بنشأته من قبل نفسه فيلزموه بان يقولوا قد تبين لنا انك كاذب فى دعوى ان ماتقرأه علينا كلام الهى وكتاب سماوى اوحى اليك بواسطة الملك وانك تنزل من عند نفسك وتفترى على الله كاذبا ويحتمل ان يقولوا ذلك على سبيل السخرية والاستهزآء لاعلى سبيل الجدّ ﴿ قوله وهو مصدر ﴾ يعنى ان التلقاء مصدر كاللقاء جاء على وزن تفعال ولم يجئ مصدر بكسر التاء الا التبيان وقرئ شاذا بفتح التاء وهو قياس المصادر الدالة على التكرار كالتطواف والتجوال ويستعمل ظرف مكان بمعنى المقابلة والتجاه ﴿ قوله لوشاء الله غير ذلك ﴾ اى لوشاء الله ان لاينزل القرآن على هذا النظم المتلوّ ماقرأته عليكم ولا انه اعلمكم الله به على هذا الوجه المعهود يقال دريت الشئ اى علمته وادريته غيرى اى اعلمته من الدراية بمعنى العلم روى عن سيبويه انه قال يقال دريته ودريت به ثم قال والاكثر هو الاستعمال بالباء والدليل عليه قوله تعالى ولا ادراكم به ولو كان على اللغة الاخرى ولا ادراكموه ﴿ قوله وقرئ ولا ادرأكم ﴾ بهمزة مفتوحة واسناد الفعل الى ضمير الغائب وهمزته اما مقلوبة من الالف والياء ان كان افعل من الدراية واما اصلية ان كان افعل من الدرء يقال درأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته دارئا اى دافعا وقرئ ايضا ولا ادرأتكم به بهمزة ساكنة واسناد الفعل الى المتكلم وفيه وجهان ايضا احدهما ان يكون من الدراية ويكون اصله ولا ادريتكم قلبت الياء الفاعلى لغة من يقلب الياء الساكنة المفتوح ماقبلها الفا فان اهل تلك اللغة

وفائدته الدلالة على ان المعتبر فى الجزآء جهات الافعال وكيفياتها لاهى من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ﴾ يعنى المشركين ﴿ ائت بقرآن غير هذا ﴾ بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه مانستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت اوما نكرهه من معايب آلهتنا ﴿ او بدله ﴾ بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كى يسعفهم اليه فيلزموه ﴿ قل مايكون لى ﴾ مايصح لى ﴿ ان ابدّله من تلقاء نفسى ﴾ من قبل نفسى وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر ﴿ ان اتبع الا مايوحى الىّ ﴾ تعليل لما يكون فان المتبع لغيره فى امر لم يستبدّ بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض وردّ لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل فى الجواب وسماه عصيانا فقال ﴿ انى اخاف ان عصيت ربى ﴾ اى بالتبديل ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح ﴿ قل لوشاء الله ﴾ غير ذلك ﴿ ماتلوته عليكم ولا ادراكم به ﴾ ولا اعلمكم به على لسانى وعن ابن كثير ولادراكم بلام التأكيد اى لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا علمكم به على لسان غيرى والمعنى انه الحق الذى لامحيص عنه لولم ارسل به لارسل به غيرى وقرئ ولادرأكم ولا ادرأتكم بالهمز فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة اوعلى انه من الدرء بمعنى الدفع اى ولاجعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤنني بالجدال

والمعنى ان الامر بمشيئتى حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله ﴿ فقد لبثت فيكم عمرا ﴾ مقدار عمر اربعين سنة ﴿ من قبله ﴾ من قبل القرآن لاتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا عن كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمى الاصول والفروع واغرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الآخرين على ماهى عليه علم انه معلم به من الله تعالى ﴿ افلا تعقلون ﴾ اى افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس الا من الله ﴿ فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ تفاد مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بافترآئهم على الله تعالى فى قولهم انه لذو شريك وذو ولد ﴿ او كذب بآياته ﴾ فكفر بها ﴿ انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ﴾ لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغى ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ﴿ ويقولون هؤلاء ﴾ الاوثان ﴿ شفعاؤنا عند الله ﴾ تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا وفى الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة مايعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده ﴿ قل اتنبئون الله ﴾ اتخبرونه ﴿ بما لا يعلم ﴾ وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤنا عنده ومالا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما ﴿ فى السموات ولا فى الارض ﴾ حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفى منبهة على ان ماتعبدون من دون الله اما سماوى واما ارضى ولا شئ من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ عن اشراكهم وعن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الموضعين فى اول النحل والروم بالتاء ﴿ وما كان الناس الا امة واحدة ﴾ موجودين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك فى عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال فى فترة من الرسل

تقلب ياء التثنية الفا وتجعلها فى جميع الاحوال على لفظ واحد وتقول جاءنى الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان وتقول فى اعطيته وارضيته اعطاته وارضاته فصار ولا ادراكم به وبه قرأ الحسن ومن قلب الالف المبدلة من الياء همزة قرأ ولا ادرأتكم به ﴿ قوله تعالى عمرا ﴾ مشبه بظرف الزمان فانتصب انتصابه اى مدة متداولة وهى اربعون سنة فانه صلى الله عليه وسلم لبث قبل الوحى اربعين سنة ثم اوحى اليه فاقام بمكة بعد الوحى ثلاث عشرة سنة ثم هاجر الى المدينة فاقام بها عشر سنين وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير هذه الآية اقمت انا فيكم اربعين سنة لا احدثكم بشئ من القرآن ولا آتيكم به افلا تعقلون انه ليس من قبلى قال الامام انما اقترحوا عليه صلى الله عليه وسلم احد الامرين لاجل انهم اتهموه بانه هو الذى يأتى بهذا الكتاب من عند نفسه لا من جهة الوحى فدفع هذا الامر بانهم شاهدوه من اول عمره الى ذلك الوقت وكانوا عالمين باحواله وانه ما طالع كتابا ولا تعلم من احد ثم بعد انقراض اربعين سنة على هذا الوجه جاء بهذا الكتاب العظيم الذى عجز عن معارضته العلماء والفصحاء وكل من كان له عقل سليم فانه يعترف ان مثل هذا لا يحصل الا بالوحى والالهام من الله تعالى وهذا خلاصة ماذكره المصنف ﴿ قوله مما اضافوه اليه كناية ﴾ اى احترازا مما اضافوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم ائت بقرآن غير هذا من انه صلى الله عليه وسلم افترى على الله تعالى كذبا بنسبة القرآن العظيم اليه تعالى وزعموا انه صلى الله عليه وسلم انما يأتى بهذا القرآن من عند نفسه فانهم لما نسبوا هذا القرآن اليه صلى الله عليه وسلم وهو من عند الله افتراء على الله تعالى قال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا الآية فالمقصود من قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا نفى الكذب عن نفسه وكانه قيل لو لم يكن هذا القرآن من عند الله تعالى لما كان احد فى الدنيا اظلم على نفسه منى حيث افتريته على الله تعالى لكن الامر ليس كذلك لما مر من الدليل الباهر الدال على انه ليس الا وحى الهى لا من كلام من لبث فيكم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد علماء ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ﴿ قوله او تظليم ﴾ عطف على قوله تفاد ويجوز ان لا يكون المقصود منه التبرى كما اضافوه اليه صلى الله عليه وسلم بل المقصود تظليمهم بنسبة الافتراء والكذب اليهم فكانه قيل انى لا افترى على الله تعالى ولم اكذب عليه وانتم قد فعلتم ذلك حيث زعمتم ان لله شركاء وولدا وعبدتم الاوثان وكذبتم نبيه وما جاء به من عند الله تعالى ﴿ قوله حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفى ﴾ اى لنفى مازعموا من ان له تعالى شريكا وان هؤلاء شفعاء عنده فان المراد من نفى علم الله تعالى به تقرير نفيه فى نفسه فيكون التقييد بحال كونه فى السموات والارض مؤكدا بعدم تحققه فى نفسه والمعنى اتنبئون الله بالامر الذى لا يعلمه الله كائنا فى السموات ولا فى الارض ﴿ قوله عن اشراكهم ﴾ على ان يكون كلمة ما مصدرية وقوله او عن الشركاء على ان تكون بمعنى الذى ﴿ قوله وقرأ حمزة الى قوله بالتاء ﴾ اى بتاء الخطاب والباقون بياء الغيبة واتى بتشركون مضارعا دون الماضى تنبيها على استمرار حالهم وعلى انهم على الشرك فى المستقبل كما كانوا عليه فى الماضى ثم انه تعالى لما ابطل القول بعبادة الاصنام وتوهم كونهم شفعاء عنده بين السبب بكيفية حدوث هذه المقالة الباطلة فقال وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا فى انهم كانوا امة واحدة واختلفوا ثلاثة اقوال القول الاول انهم كانوا امة واحدة فى انهم خلقوا على فطرة الاسلام ثم اختلفوا فى الاديان واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم * كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه * والقول الثانى انهم كانوا امة واحدة بان كانوا جميعا على الدين الحق ثم اختلف القائلون فى هذا القول فى انهم متى كانوا كذلك قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومجاهد كانوا على دين الاسلام فى عهد آدم عليه الصلاة والسلام وفى عهد ولده فاختلفوا عند قتل احد ابنيه الابن الثانى وقال قائل انهم ثبتوا على دين الاسلام الى زمن نوح عليه الصلاة والسلام ثم اختلفوا على عهد نوح عليه الصلاة والسلام فبعث الله تعالى اليهم نوحا عليه الصلاة والسلام وقال آخرون كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الى ان غير الدين نمرود فاختلفوا فعلى هذا القول يكون المراد من الناس فى قوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة العرب خاصة ويكون انتظام هذه الآية بما قبلها انه تعالى بين فيها فساد القوم بعبادة الاصنام وبين فى هذه الآية ان هذا المذهب ليس مذهبا للعرب من اول الامر بل كانوا على دين الاسلام وهو دين ابراهيم عليه السلاة والسلام وليس فيه عبادة الاصنام وانما حدث فيهم هذا المذهب بتسويل الشيطان واتباعه من الانام والغرض منه ان العرب اذا علموا ان هذا المذهب ما كان اصلا فيهم وانه حدث فيهم بعد ان لم يكن

لم يتعصبوا لنصرته ولم يتأذوا من تزييف هذا المذهب وابطاله والقول الثالث انهم كانوا امة واحدة فى الكفر ففائدة ايراد هذا الكلام فى هذا المقام هو انه تعالى بين للرسول صلى الله عليه وسلم انه لاتطمع فى ان كل من تدعوه الى الايمان والاسلام يكون مجيبا لك قائلا لبيك فان الناس كلهم كانوا على الكفر وانما حدث الاسلام فى بعضهم بعد ذلك فكيف تطمع فى اتفاق الكل على الايمان ﴿قوله﴾ فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل ﴿مبنى على ان المراد من كونهم امة واحدة كونهم مخلوقين على فطرة الاسلام او متفقين على ماهو الحق من الاديان فان من اتبع هواه فقد خالف من لم يضيع فطرته واتبع سبيل الرشاد وكذا من اتبع الاباطيل من الاديان فقد خالف من اتبع الدين الحق وقوله او بعثة الرسل مبنى على ان يكون المراد به اتفاقهم على الضلال فى فترة الرسل ولما وقع الاختلاف بين الناس وناسب تعجيل الحكم بينهم فيما اختلفوا فيه باهلاك المبطلين وتخصيص المحقين او بتعذيب المصرّين على الضلال واثابة المهتدين اجاب الله تعالى عنه بقوله ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم والجزآء الى يوم القيامة لتميز دار التكليف من دار الجزآء لقضى بينهم عاجلا وقوله تعالى ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه نوع رابع من مقالاتهم المتفرعة على انكار النبوّة كان اهل مكة يقترحون شيأ سوى القرآن ليكون معجزة له صلى الله عليه وسلم مثل اليد والعصا وقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات بناء على ما يزعمه بعضهم من ان القرآن يمكن معارضته كما اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿قوله﴾ بجحودكم ما نزل عليه من الآيات العظام ﴿التى اعظمها واجلها القرآن العظيم وان ظهور مثل هذا الكتاب الشريف من مثل ذلك البشر الذى نشأ فيما بينهم ولبث فيهم اربعين سنة لم يطالع كتابا ولم يتلمذ الى استاذ ولم يتعلم حرفا ولم يصاحب عالما لايكون الا بالوحى ﴿قوله﴾ تعالى واذا اذقنا الناس رحمة الآية﴾ جواب ثان عن قول اهل مكة لولا انزل عليه آية من ربه* وتقريره ان مشركى مكة عادتهم المكر واللجاج والفساد وعدم الانصاف لانه تعالى سلط عليهم القحط سبع سنين ثم رحمهم وانزل الامطار على اراضيهم ثم انهم اضافوا تلك المنافع الجليلة الى الانوآء والكواكب او الى الاصنام واذا كان كذلك فبتقدير ان يعطوا ماسألوا من انزال معجزات اخرى فانهم لايؤمنون بل يبقون على كفرهم وجهلهم وانما ينفع انزال الآيات عليهم ان لو كان غرضهم من اقتراحها تحقيق الحق وطلب اليقين وليس كذلك وليس غرضهم الا التعنت واللجاج فلو ظهر لهم جميع ماطلبوه من المعجزات القاهرة فانهم لايقبلونها والحيا المطر العام ويكنى به عن الخصب والانوآء جمع نوء وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة فى منزل منها ويسقط فى المغرب نجم واحد ويطلع رقيبه فى ساعة من المشرق فى مقابلة ذلك الساقط وهذا فى غير الجبهة فان لها اربعة عشر يوما فينقضى الجميع مع انقضاء السنة اى مع انقضاء ثلثمائة وخمسة وستين يوما يقال ناء ينوء نوأ اى نهض بجهد ومشقة وناء اى سقط وهو من الاضداد يقال ناء بالحمل اذا نهض به مستثقلا وانما سمى النجم نوأ لانه اذا سقط الساقط منها بالمغرب فالطالع بالمشرق ينوء اى ينهض ويطلع وقيل انما سمى نوأ لسقوطه وغروبه قال ابو عبيدة ولم يسمع فى النوء انه السقوط الا فى هذا الموضع وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والبرد الى الساقط منها وقال الاصمعى الى الطالع فيقول فى سلطانه مطرنا بنوء كذا فلما انجاهم الله تعالى من القحط وامطرهم نسبوا الامر واضافوا ذلك الى الانوآء لا الى الله لئلا يشكروا الله ولا يؤمنوا بآياته فقيل هذا هو المراد بمكرهم فى آيات الله تعالى ﴿قوله﴾ قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم﴾ يعنى ان ما يأتيهم من العذاب اسرع فى اهلاكهم مما اتوا من المكر فى ابطال القرآن والنبوّة روى عن مقاتل انه تعالى قتلهم يوم بدر وجازى مكرهم فى آياته بعقاب ذلك اليوم فكان اسرع فى اهلاكهم من كيدهم فى اهلاكهم له صلى الله عليه وسلم وابطال آياته ﴿قوله﴾ وانما دل على سرعتهم المفضل عليها﴾ جواب عما يقال كيف وصف الله تعالى نفسه بكونه اسرع مكرا مع انه لم يصفهم بسرعة المكر ولا يعقل تفضيل بدون المفضل عليه* وتقرير الجواب ان كلمة المفاجاة تدل على سرعة مكرهم كانه قيل واذا رحمناهم من بعد ضرّآء فاجأ وقوع المكر منهم وسارعوا قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضرّ ﴿قوله﴾ وهو من الله اما الاستدراج او الجزآء على المكر﴾ فهو على الاوّل استعارة وعلى الثانى مشاكلة ﴿قوله﴾ وعن يعقوب يمكرون بالياء﴾ اى بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب نظرا الى قوله قل الله اذا التقدير قل لهم فناسب الخطاب لذلك ولما اوعدهم الله تعالى بقوله قل الله اسرع مكرا اوعدهم بعقاب الآخرة حيث قال ان رسلنا الآية ﴿قوله﴾ وقرأ ابن عامر ينشركم﴾ بفتح الياء وسكون النون من النشر وهو التفريق والبسط الذى هو ضدّ الطى وقرأ الباقون يسيركم من

الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزآء ﴿لقضى بينهم﴾ عاجلا ﴿فيما فيه يختلفون﴾ باهلاك المبطل وابقاء المحق ﴿ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه﴾ اى من الآيات التى اقترحوها ﴿قل انما الغيب لله﴾ هو المختص بعلمه فلعله يعلم فى انزال الآيات المقترحة مفاسد تصرف عن انزالها ﴿فانتظروا﴾ لنزول ما اقترحتموه ﴿انى معكم من المنتظرين﴾ لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل عليه من الآيات العظام واقترا حكم غيره ﴿واذا اذقنا الناس رحمة﴾ صحة وسعة ﴿من بعد ضرّآء مستهم﴾ كقحط ومرض ﴿اذا لهم مكر فى آياتنا﴾ بالطعن فيها والاحتيال فى دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون فى آيات الله ويكيدون رسوله ﴿قل الله اسرع مكرا﴾ منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج او الجزآء على المكر ﴿ان رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾ تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا فى اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله تعالى وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ماقبله ﴿هو الذى يسيركم﴾ يحملكم على السير ويمكنكم منه (٧) ﴿فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك﴾ فى السفن ﴿وجرين بهم﴾ بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه يذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم ﴿بريح طيبة﴾ لينة الهبوب ﴿وفرحوا بها﴾ بتلك الريح ﴿جاءتها﴾ جواب لاذا والضمير للفلك او الريح الطيبة بمعنى تلقتها ﴿ريح عاصف﴾ ذات عصف شديدة الهبوب ﴿وجاءهم الموج من كل مكان﴾ يجيئ الموج منه ﴿وظنوا انهم احيط بهم﴾ اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدّة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال

(٧) (وقرأ ابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر) (نسخه)

لان دعاءهم من لوازم ظنهم ﴿لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ على ارادة القول اجابة لدعائهم ﴿اذاهم يبغون فى الارض﴾ فاجاؤا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه ﴿بغير الحق﴾ مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق ﴿يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم﴾ فان وباله عليكم اوانه على امثالكم وابناء جنسكم ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ منفعة الحياة الدنيا لاتبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته اوخبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اى تتمتعون متاع الحياة الدنيا اومفعول البغى لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور اوضلال اومفعول فعل دل عليه البغى وعلى انفسكم خبره ﴿ثم الينا مرجعكم﴾ فى القيامة ﴿فننبئكم بما كنتم تعملون﴾ بالجزاء عليه ﴿انما مثل الحياة الدنيا﴾ حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها ﴿كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض﴾ فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا ﴿مما يأكل الناس والانعام﴾ من الزروع والبقول والحشيش ﴿حتى اذا اخذت الارض زخرفها﴾ تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزينة وتزينت بها ﴿وازينت﴾ اصله تزينت فادغم وقدقرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاعيلت والمعنى صارت ذات زينة وازدانت كاباضت ﴿وظن اهلها انهم قادرون عليها﴾ متمكنون من حصدها ورفع غلتها ﴿اتاها امرنا﴾ ضرب زرعها مايحتاجه ﴿ليلا اونهارا فجعلناها﴾ فجعلنا زرعها ﴿حصيدا﴾ شبيها بما حصد من اصله ﴿كأن لم تغن﴾ اى كأن لم يغن زرعها اى لم يلبث والمضاف محذوف فى الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل ﴿بالامس﴾ فيما قبيله

التسيير والتضعيف للتعدية يقال سار الرجل وسيرته انا * فان قيل كيف جعل قوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة غاية لقوله يسيركم فى البحر وغاية الشئ تكون بعده والحال ان السير فى البحر يكون بعد الكون فى الفلك * قلنا اشار المصنف الى جوابه بقوله يحملكم على السير ويمكنكم منه * واجاب عنه صاحب الكشاف بان الغاية ليس مجرد الكون فى الفلك بل الغاية هى الكون فى الفلك مع ماعطف عليه من قوله وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها فان هذا المجموع بعد السير فى البحر وجرين يجوز ان يكون معطوفا على كنتم وان يكون حالا بتقدير ضمير جرين للفلك كانه جمع مكسر وان تغيره تقديرى بناء على ان ضمته كضمة اسد وبدن وضمة مفرده كضمة قفل وقرب والالتفات فى بهم للمبالغة والتقبيح * الجوهرى عصفت الريح اى اشتدت فهى ريح عاصف وقوله يجئ الموج منه صفة مخصصة لكل مكان ﴿قوله وهو بدل من ظنوا﴾ لان دعاءهم ملابس لظنهم الهلاك ملابسة اللزوم ويجوز ان يكون كلا مامستأنفا على انه جواب لمن قال ماذا كان عليهم وحالهم اذذاك فقيل دعوا الله واللام للقسم فى قوله لئن اى والله ان انجيتنا من هذه الريح العاصفة اومن هذه الامواج المتلاطمة والشدائد الهائلة لنكونن من الشاكرين على نعمة الانجاء باتباع اوامرك والاجتناب عن مساخطك ولانكفر نعمتك بعبادة غيرك فان اخلاص الدين والطاعة له تعالى عبارة عن ترك الشرك وان لايشركوا به شيأ من آلهتهم قيل هذا الاخلاص ليس سببا عن الايمان بل هو لاجل ان لاينجيهم من تلك الاهوال الاالله عز وجل فيكون ذلك جاريا مجرى الايمان الاضطرارى فانهم يدعون مع الله مايدعون فاذا جاءهم الضر والبلاء لم يتضرعوا الا الى الله على سبيل الاضطرار وقيل المراد بذلك الدعاء بقولهم اهيا شراهيا فان تفسيره ياحى ياقيوم ﴿قوله فاجأوا الفساد فيها﴾ يعنى ان البغى وان كان يطلق بمعنى الطلب فيقال بغاه اى طلبه لكن المراد به ههنا الفساد والتكذيب والجرأة على الله تعالى قيل معنى البغى قصد الاستعلاء بالظلم وقال الزجاج البغى الترقى فى الفساد * الجوهرى البغى التعدى بغى الرجل على الرجل استطال وبغت السماء استهل مطرها وبغى الوالى وكل مجاوزة وافراط على المقدار الذى هو حدّ الشئ فهو بغى فان قيل فامعنى قوله تعالى بغير الحق والبغى لايكون بحق * قلنا البغى بمعنى الفساد والافساد وابطال المنفعة قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة والبغى الذى لايكون بحق هو البغى بمعنى الظلم ﴿قوله مبطلين﴾ اشارة الى ان قوله بغير الحق حال بمعنى ملتبسين بغير الحق ثم انه تعالى بين ان هذا البغى امر باطل يجب على العاقل ان لايحوم حوله فقال يأيها الناس انما بغيكم على انفسكم ﴿قوله فان وباله عليكم﴾ اى على انفسكم متعلقا بقوله بغيكم خبر بغيكم بتقدير المضاف فى المسند اليه والانفس بمعنى الذوات وقوله اوانه على امثالكم على ان يكون على انفسكم متعلقا بقوله بغيكم وان يكون انفسكم بمعنى امثالكم وبعض منكم كما فى قوله تعالى ولاتقتلوا انفسكم وقوله ولاتلمزوا انفسكم والمعنى انما بغى بعضكم على بعض وماتنالون به امر تتمتعون به فى الحياة الدنيا فهو متاع فى الدنيا فعلى هذا يكون متاع الحياة الدنيا خبر بغيكم وعلى الاول يكون خبر مبتدأ محذوف وان نصب متاع الحياة باحد الوجوه المذكورة يكون الخبر هو على انفسكم ﴿قوله حالها العجيبة﴾ سميت الحال العجيبة مثلا تشبيها لها بالمثل السائر فى الغرابة كما قال تعالى انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا ضرب هذا المثل لمن اغترّ بالحياة الدنيا واعرض عن التأهب للآخرة قوله تعالى مما يأكل الناس حال من النبات اى كائنا مما يأكل وحتى كلمة غاية فلا بدّ لها من شئ معناه من شأنه ان يستمر ويبقى الى امر وهو الاختلاط هاهنا كانه قيل اختلط نبات الارض الى ان يأتيها امرنا حين مااخذت زخرفها وتزينت واخذت الارض زخرفها استعارة بالكناية شبهت الارض بالعروس واثبت لها مايلائم العروس وهو اخذ الزينة وهى قرينة الاستعارة بالكناية وازينت ترشيحها ﴿قوله وقرئ﴾ على الاصل ﴿قوله لان الفعل مسند فى الاصل الى المضاف المقدّر يقال غنى بالمكان اذا اقام به قال الليث يقال للشئ اذا فنى كأن لم يغن بالامس اى كان لم يكن وهو من باب علم وهذه الجملة يجوز ان تكون فى محل النصب على انها حال من مفعول جعلناها وان تكون مستأنفة لامحل لها من الاعراب جواب لسؤال مقدّر ﴿قوله لانه من التشبيه المركب﴾ حيث شبهت الهيئة المنتزعة من اجتماع الحياة ونهايتها وسرعة انقضائها بالهيئة المنتزعة من اجتماع خضرة الارض ونضارتها وانعدامها عقيبها دفعة بآفة سماوية ومشيئة الهية كما فى قول الشاعر

* كأنّ مثار النقع فوق رؤسنا * واسيافنا ليل تهاوت كواكبه *

حيث شبه الاضوآء الحاصلة من هوى اجرام مشرقة مستطيلة متناسبة الاضوآء متفرقة فى جوانب شئ مظلم بليل سقطت كواكبه والكاف فى كذلك صفة مصدر محذوف اى مثل هذا التفصيل الذى فصلناه فى الماضى نفصل فى المستقبل ووجه ارتباط هذه الآيات انه تعالى لما قال واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضرّآء مستهم اذا لهم مكر فى آياتنا وكان هذا كلاما كليا ضرب له مثالا لان المعنى الكلى لايصل الى الافهام الا بالامثلة فذكر ان الانسان اذا ركب فى السفينة ووجد الريح الطيبة حصلت له المسرّة القوية ثم لو ظهرت علامات الهلاك من الرياح العاصفة والامواج المتراكمة فظن الهلاك وقع فى خوف شديد وبلاء عظيم فان هذه الاحوال توجب شدّة الخوف والبلاء اذا كان على سبيل الابتدآء فكيف اذا كان بعد الفرح العظيم ولاشك انه فى هذه الاحوال لايطمع الا فى فضل الله تعالى متضرّعا اليه ويقطع الطمع عن جميع الخلق ثم اذا نجاه الله تعالى من هذه البلية العظيمة يرجع الى ماالفه واعتاد من العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة فهذا مكر الانسان بعد انتقال الانسان من الضرّ الى الرحمة ولما انساق الكلام الى ذكرانهم يسارعون الى ماكانوا عليه من البغى فى الارض بين ان بغيهم على انفسهم متاع الحياة الدنيا ثم مثل الحالة العجيبة لتلك الحياة من نهايتها وسرعة انقضائها بالحاصلة من اخضرار الارض بانواع النبات ثم انعدامها بالكلية بآفة سماوية ﴿قوله﴾ دار السلامة من التقضى ﴿ اى الانقضاء بيان لوجه تسمية الجنة بدار السلام لمانفر الله تعالى عباده بالمثال المذكور عن الحياة الدنيا والركون اليها رغبهم فى الآخرة بهذه الآية روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال *مامن يوم تطلع فيه الشمس الا وبجنبها ملكان يناديان بحيث يسمع كل الخلق الا الثقلين ياأيها الناس هلموا الى ربكم والله يدعو الى دار السلام * ﴿قوله﴾ وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية ﴿ يعنى انه تعالى عم الدعوة لجميع الخلق وخصص الهداية بالمشيئة فالكل مأمور ولايريد من الكل الا الاهتدآء لان ظاهر يهدى من يشاء انه يهدى من يشاء هداه ورشده فلو شاء الله تعالى اهتدآء للكل كان هاديا للكل وليس كذلك ويلزم من ذلك على المعتزلة امران احدهما ان الامر غير الارادة والا لكان ارادة متعلقة بالكل وليس الامر كذلك والثانى ان من استمرّ على الضلالة لايريد اهتداءه ولانه لو اراد اهتداء كل واحد من المهتدين ومن المستمرين على الضلالة لم يبق لتخصيص الهداية بالمشيئة وجه ثم انه تعالى لما دعا عباده الى دار السلام ذكر السعادات التى تحصل لهم فيها فقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال المراد باحسان المحسنين ذكر لااله الاالله وقال الاصم الذين احسنوا فى كل ماكلفوا بان يأتوا بالمأمورات كما ينبغى ويجتنبوا عن المنهيات من الوجه الذى صارت منهيا عنها من ذلك الوجه وهذا اقرب الى الصواب لان الدرجات العالية لاتحصل الا لاهل الطاعات والحسنى فى اللغة تأنيث الاحسن والعرب تطلق هذا اللفظ على الخصلة المرغوب فيها وقال اهل التفسير المراد منها الجنة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما للذين قالوا لااله الاالله الجنة وزيادة هى النظر الى وجه الله تعالى وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قرأ للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد ياأهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريدان ينجزكموه فيقولون ماهذا الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجينا من النار فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فماشئ مما اعطوه احب اليهم من النظر اليه وهو الزيادة ولايرهق وجوههم قتر ولا ذلة بعد نظرهم اليه ويؤكده قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فاثبت لاهل الجنة امرين احدهما نضرة الوجوه والثانى النظر الى الله تعالى وروى عن علىّ رضى الله تعالى عنه ان الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الحسنى هى الجنة والزيادة هى عشر امثالها الى سبع مائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الزيادة ان تمرّ السحابة باهل الجنة فتقول ماتريدون ان امطركم فلا يريدون شيأ الا امطرتهم ﴿قوله﴾ والمعنى لايرهقهم مايرهق اهل النار ﴿ ويرهقهم حالتان الاولى مااخبر الله عنه بقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة والثانى مااخبر الله عنه بقوله وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة والغرض من نفى هاتين الصفتين نفى اسباب الخوف والحزن والذل عنهم ليعلم ان الذى ذكره الله تعالى خالص لايشوبه شئ من المكروهات وانه لايطرأ عليهم غير ماتحصل به صباحة الوجوه ويزيد مافيها من النضارة والحسن ﴿قوله﴾ اولا يرهقهم مايوجب ذلك ﴿ على ان يكون الكلام كناية لان عدم غشيانهما لازم لعدم غشيان مايوجبهما فذكر اللازم لينتقل الى الملزوم ﴿قوله﴾ مذهب من يجوّز فى الدار زيد والحجرة عمرو ﴿ اى على مذهب من يجوّز العطف على

وهو مثل فى الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاما بعد ماكان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قدسلم من الجوآيح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ فانهم المنتفعون به ﴿والله يدعو الى دار السلام﴾ دار السلامة من التقضى والآفة اودار الله وتخصيص هذا الاسم للتنبيه على ذلك اودار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ﴿ويهدى من يشاء﴾ بالتوفيق ﴿الى صراط مستقيم﴾ وهو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصرّ على الضلالة لم يرد الله رشده ﴿للذين احسوا الحسنى﴾ المثوبة الحسنى ﴿وزيادة﴾ ومايزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء ﴿ولايرهق وجوههم﴾ لايغشاها ﴿قتر﴾ غبرة فيها سواد ﴿ولاذلة﴾ هوان والمعنى لايرهقهم مايرهق اهل النار اولا يرهقهم مايوجب ذلك من حزن وسوء حال ﴿اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ دآئمون لازوال فيها ولاانقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها ﴿والذين كسبوا السيئات جزآء سيئة بمثلها﴾ عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوّز فى الدار زيد

والجملة عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزآء سيئة على تقدير وجزآء الذين كسبوا السيئات جزآء سيئة بمثلها اى ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هى الفضل او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزآء سيئة مبتدأ خبره محذوف اى فجزآء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدّر بمثلها ﴿وترهقهم ذلة﴾ قرئ بالياء ﴿مالهم من الله من عاصم﴾ ما من احد يعصمهم من سخط الله ومن جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين ﴿كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما﴾ لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة او معنى الفعل فى من الليل وقرأ ابن كثير والكسائى ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه ﴿اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾ مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية فى الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ﴿ويوم نحشرهم جميعا﴾ يعنى الفريقين جميعا ﴿ثم نقول للذين اشركوا مكانكم﴾ الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم ﴿انتم﴾ تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله ﴿وشركاؤكم﴾ عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه ﴿فزيلنا بينهم﴾ ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون﴾ مجاز عن برآءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا فى الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به

معمولى عاملين مختلفين بشرط ان يتقدّم الجار ولا يجوّزه اذا لم يتقدم كما فى قولك ان زيدا فى الدار وعمرا فى القصر بمعنى وان عمرا فى القصر وفى المسئلة ثلاثة مذاهب احدها الجواز مطلقا وهو قول الفرآء والثانى المنع مطلقا وهو مذهب سيبويه والثالث التفصيل الذى ذكرناه وتقدير الكلام للذين احسنوا الحسنى والذين كسبوا السيئات جزآء سيئة بمثلها لا يزاد عليها ثابت للذين كسبوا السيئات ﴿قوله وفيه تنبيه﴾ اى وفى تقييد جزآء السيئة بكونه مماثلا لاجل السيئة غير زآئد عليها تنبيه على ان المراد من قوله وزيادة على المثوبة تفضلا او ما يزيد عليها من الاضعاف ووجه التنبيه ان المقصود من الآية الدلالة على الفرق بين الحسنات والسيئات بان الحسنات تجازى بالمثوبة الحسنى والزيادة عليها وان السيئات تجازى بالعقوبة المماثلة لها بدون ان يزاد عليها شئ ويفهم منه بقرينة المقابلة ان الزيادة على الثواب تكون من جنس المزيد عليه يزاد عليه تفضلا مع قطع النظر عن كونه ضعف المزيد عليه او اضعافه او يزاد عليه مقيدا بكونه عشر امثال الحسنات وذكر الزمخشرى هذا الوجه ثم قال وفى هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ولانه دل باثبات الزيادة على المثوبة على فضله ﴿قوله او كانما اغشيت﴾ عطف على جزآء فى قوله والخبر جزآء اى ويحتمل ان يكون قوله تعالى والذين كسبوا مبتدأ ويكون الخبر الجملة التشبيهية من قوله كانما اغشيت وكأن حرف تشبيه زيدت عليه كلمة ما لتكفه عن العمل وتهيئه للدخول على الفعل وعلى هذا الوجه فصل بين المبتدأ وخبره ثلاث جمل اعتراض وقوله او اولئك عطف عليه ايضا وعلى هذا الوجه قد فصل باربع جمل معترضة اوّلها قوله تعالى جزآء سيئة بمثلها والثانية وترهقهم ذلة والثالثة مالهم من الله من عاصم والرابعة كانما اغشيت وجوههم وينبغى ان لا يجوز الفصل بثلاث جمل فضلا عن اربع ﴿قوله وقرئ بالياء﴾ من تحت لان تأنيث الذلة غير حقيقى والظاهر ان قوله تعالى وترهقهم ذلة معطوف على كسبوا جيئ على لفظ المستقبل لكون المقصود تعيينهم بوصفين الاوّل ان كسبوا السيئات فى الماضى والثانى سيرهقهم الذلة يوم القيامة ﴿قوله لانه العامل فى قطعا﴾ فان قطعا منصوب باغشيت مفعول ثانى له وقد اقيم مفعوله الاوّل مقام الفاعل ومن الليل فان كان من الليل صفة لقطعا المعمول لاغشيت كان من الليل معمولا لاغشيت ايضا بحكم ان العامل فى الموصوف هو العامل فى الصفة ايضا وحيث كان مظلما حالا من الليل يكون معمولا لاغشيت ايضا لان العامل فى الحال هو العامل فى صاحبها ويجوز ان يكون العامل فى مظلما على تقدير كونه حالا من الليل معنى الفعل فى من الليل اى قطعا كائنة من الليل فى حال كونه مظلما ﴿قوله وعلى هذا﴾ اى على ان يقرأ قطعا بسكون الطاء يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه ولا يجوز شئ منهما على قرآءة من قرأ قطعا بفتح الطاء لان قطعا جمع قطعة مثل دمنة ودمن وكسرة وكسر فكان يجب حينئذ ان يقال مظلمة لان الموصوف اذا كان جمعا وجب تأنيث الصفة والحال لوجوب المطابقة بين الصفة والموصوف وكذا بين الحال وصاحبها بخلاف ما اذا قرئ قطعا بسكون الطاء حينئذ فانه يكون اسم جنس ويجوز تذكير صفته نحو نخل منقعر وتأنيثها نحو نخل خاوية وكذا يجوز التذكير والتأنيث فيما انتصب منه على الحالية ويوم فى قوله تعالى ويوم نحشرهم منصوب بفعل مقدّر اى خوفهم اذكرهم يوم والفريقان هم الذين احسنوا والذين كسبوا السيئات وجميعا حال ومكانكم اسم فعل اى اثبتوا مكانكم وحذف فاعله وانتقل اليه الضمير الذى اسند اليه عامله ولذلك اكد بقوله انتم وعطف عليه شركاؤكم وقوله تعالى فزيلنا بينهم وزنه فعلنا والتضعيف فيه للتكثير لا للتعدية لان ثلاثيه متعد بنفسه تقول زلت الشئ ازيله زيلا اى ميزته وفرقته ويقال زل ضانك من معزك وزلته منه وزيلته فتزيل اى فرقته فتفرق وقيل وزنه فيعلنا من زال يزول اصله زيولنا اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء والاوّل اظهر لان فعل اكثر من فيعل ولان مصدر التزييل لو كان وزنه فيعل لكان مصدره فيعلة كبيطرة لان فيعل ملحق بفعلل وهذا التزييل وان كان مما سيكون يوم القيامة الا انه لتحقق وقوعه صار كالكائن الآن فلذلك جاء بلفظ الماضى بعد قوله ويوم نحشرهم ثم نقول وكل منهما مستقبل كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة واضاف الشركاء اليهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم فصيروهم كأنفسهم فى تلك وقيل لان الاضافة يكفى فيها ادنى تعلق فلما كان هم الذين اثبتوا هذه الشركة حسنت اضافة الشركاء اليهم ﴿قوله مجاز عن برآءة ما عبدوه من عبادتهم﴾ جواب عما يقال كيف يتأتى للشركاء ان يقولوا ما كنتم ايانا تعبدون مع ان المشركين كانوا قد عبدوهم فيكون هذا الكلام من الشركاء على ارادة حقيقته وليس كذلك بل هو مجاز عن برآءة الشركاء من

عبادة المشركين حيث لم تكن تلك العبادة بامر الشركاء وارادتهم وانما الآمر بها هو اهواؤهم والشياطين فالمشركون فى الحقيقة انما عبدوا الشياطين واهواءهم ويدل عليه امران الاوّل انهم استشهدوا بالله تعالى فى ذلك حيث قالوا فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم والثانى انهم قالوا ان كنا عن عبادتكم لغافلين فاثبتوا لهم عبادة الا انهم زعموا انهم كانوا غافلين عن تلك العبادة وقد صدقوا فى ذلك لان من اعظم اسباب الغفلة كونها جمادات لاحس لها ولاشعور البتة ﴿قوله وقيل الخ﴾ يعنى انهم اختلفوا فى المراد بهؤلاء الشركاء المتبرئين من عبادة المشركين فقال بعضهم هم الملائكة والمسيح استشهادا بقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وبقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام ءأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله قال سبحانك الى قوله ماقلت لهم الاما امرتنى به ان اعبدوا الله وقال آخرون هم الشيطان حيث تبرأ ممن عبدوه بقوله ليس لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وقيل بل هم الاصنام والاصنام تقول هذا الكلام بان يخلق الله فيها الحياة والعقل والنطق ولا جرم ان تذكر هذا الكلام * فان قيل اذا احيى الله تعالى الاصنام فهل يبقيهم اويميتهم * قلنا الكل محتمل ولا اعتراض عليه تعالى فى شئ من افعاله واحوال القيامة لايعلم منها الا القليل الذى اخبر الله تعالى عنه فى القرءآن وقيل قول الشركاء ماكنتم ايانا تعبدون يجرى على حقيقته بناء على ان ذلك الموقف موقف الدهشة والحيرة فذلك الكذب يكون جاريا مجرى كذب الصبيان والمجانين المدهوشين ولانهم ما اقاموا لاعمال الكفار وزنا وجعلوها لبطلانها كالعدم فلهذا قالوا ماعبدونا ولان المشركين لما تخيلوا فيما عبدوه اوصافا كثيرة غير موجودة فى الشركاء كانوا فى الحقيقة انما عبدوا ذوات موصوفة بتلك الصفات ولما كانت ذوات الشركاء خالية عن تلك الصفات صدق ان يقال ان المشركين ماعبدوا الشركاء وانما عبدوا امورا تخيلوها ولاوجود لها فى الاعيان ﴿قوله فى ذلك المقام﴾ يعنى ان هناك باق على اصله الذى هو كونه ظرف مكان لان فى ذلك الموقف الدهش وقيل هو هنا ظرف زمان على سبيل الاستعارة كما فى قوله تعالى هنالك ابتلى المؤمنون اى فى ذلك الوقت ﴿قوله فتعاين نفعه وضرّه﴾ اشارة الى ان المراد باختبار النفس ماقدّمت من خير اوشرّ حدوث العلم لها بكون ماقدّمته من الاعمال خيرا اوشرّا بمعاينة نتائجها وآثارها فان الاختبار سبب لحدوث العلم فاطلق اسم السبب على المسبب مجازا ومن قرأ تتلو بتائين منقوطتين من فوق جعله من التلاوة او من التلوّ والمعنى على الاوّل ان كل نفس تقرأ ذكر ماعملته مسطورا فى صحف الحفظة وعلى الثانى تتبع كل نفس ماأسلفت لان ماعملته هو الذى يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار وقرأ عاصم نبلو كل بنون عظمة المتكلم المعظم نفسه ونصب كل على انه مفعول به وقوله ما اسلفت على هذه القرآءة يحتمل ان يكون فى محل النصب على اسقاط الخافض فيكون نبلو من البلاء اى العذاب بمعنى نعذبها بسبب ما اسلفت ويحتمل ان يكون منصوبا على انه بدل اشتمال من كل نفس لان تعرّف حال عملها من كونه حسنا او قبيحا سبب لتعرف انها سعيدة اوشقية فكان بينهما ملابسة السببية فالمعنى ان الله تعالى يقول فى ذلك الوقت نختبر كل نفس بسبب اختبار ما اسلفته من العمل على معنى انا نعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهى سعيدة وان كان قبيحا فهى شقية وحقيقة الاختبار لاتتصوّر منه تعالى فالكلام من قبيل الاستعارة كما اشار اليه بقوله نفعل بها فعل المختبر لحالها الخ ﴿قوله الى جزآئه﴾ او الى موقف جزآئه لابدّ هنا من تقدّم المضاف لان الرجوع الى ذاته تعالى مما لايتصوّر اى وردّ العابدون والمعبودون الى جزآء الله تعالى وحكمه الذى هو مولاهم فى الحقيقة لامولى لهم غيره يجازى كل واحد منهم على حسب ماهو وقرئ الحق منصوبا اما على القطع فان اصله الجرّ على انه تابع فقطع باعتبار أمدح او اعنى كقولهم الحمدلله اهل الحمد واما على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدّمة وهو ردّوا الى الله كما تقول هذا عبدالله الحق لا الباطل اى احق الحق ﴿قوله من ان آلهتهم تشفع لهم﴾ اومن نفس شركائهم الذين كانوا يدعون فى حقهم انهم آلهة ثم انه تعالى لما بين فضائح عبدة الاوثان اتبعها بذكر مايدل على فساد مذهبهم فذكر امورا لايقدرون على ادّعاء ان شركاءهم تقدر عليها وهو احوال الرزق واحوال الحواس واحوال الموت والحياة ﴿قوله باسباب سماوية﴾ كالامطار واختلاف الفصول المتفرّع عليها او على حركة الكواكب والافلاك ولاشك انه تعالى يرزق عباده من المواد الارضية ايضا لان الغذآء لابدّ ان يكون نباتيا او حيوانيا والنبات لاينبت الا من الارض والحيوان محتاج الى الغذآء ولايمكن ان يكون غذآء كل حيوان حيوانا والا لزم الذهاب

وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين ﴿فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم﴾ فانه العالم بكنه الحال ﴿ان كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ ان هى المخففة من المثقلة واللام هى الفارقة ﴿هنالك﴾ فى ذلك المقام ﴿تبلو كل نفس ما اسلفت﴾ تختبر ماقدّمت من عمل فتعاين نفعه وضرّه وقرأ حمزة والكسائى تتلو من التلاوة اى تقرأ ذكر ماقدّمت اومن التلوّ اى تتبع عمله فيقودها الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اى نفعل بها فعل المختبر لحالها لتعرّف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اى بالعذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشرّ فتكون ما منصوبة بنزع الخافض ﴿وردّوا الى الله﴾ الى جزآئه اياهم بما اسلفوا ﴿مولاهم الحق﴾ ربهم ومتولى امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد ﴿وضل عنهم﴾ وضاع عنهم ﴿ماكانوا يفترون﴾ من ان آلهتهم تشفع لهم اوماكانوا يدعون انها آلهة ﴿قل من يرزقكم من السماء والارض﴾ اى منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية وموادّ ارضية اومن كل واحد منهما توسعة عليكم

وقيل من لبيان من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض ﴿ ام من يملك السمع والابصار ﴾ ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتهما وسرعة انفعالهما من ادنى شئ ﴿ ومن يخرج الحىّ من الميت ويخرج الميت من الحىّ ﴾ ومن يحيى ويميت اومن ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ﴿ ومن يدبر الامر ﴾ ومن يلى تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص ﴿ فسيقولون الله ﴾ اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد فى ذلك لفرط وضوحه ﴿ فقل افلا تتقون ﴾ انفسكم عقابه باشراككم اياه مالا يشاركه فى شئ من ذلك ﴿ فذلكم الله ربكم الحق ﴾ اى المتولى لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذى انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم ﴿ فاذا بعد الحق الا الضلال ﴾ استفهام انكارى اى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله تعالى وقع فى الضلال ﴿ فانى تصرفون ﴾ عن الحق الى الضلال ﴿ كذلك حقت كلمة ربك ﴾ اى كما حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه ﴿ على الذين فسقوا ﴾ تمرّدوا فى كفرهم وخرجوا عن حدّ الاستصلاح ﴿ انهم لا يؤمنون ﴾ بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب ﴿ قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول عليه الصلاة والسلام ان ينوب عنهم فى الجواب فقال ﴿ قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها ﴿ فانى تؤفكون ﴾ تصرفون عن قصد السبيل ﴿ قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق ﴾ بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدّى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدّى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدّى بها ما اسنده الى الله ﴿ قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع ام من لا يهدى الا ان يهدى ﴾ ام الذى لا يهتدى الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدى غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير

الى ما لا نهاية له وذلك محال فثبت ان اعتذآء الحيوانات يجب انتهاؤه ومن المعلوم ان تولد النبات من الارض فلزم القطع بانه لا تحصل الارزاق الا من السماء والارض ومن المعلوم ان مدبر السموات والارض ليس الا الله وكذا احوال الحواس لا يقدر عليها الا الله تعالى وكان على رضى الله عنه يقول سبحان من ابصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم ﴿ قوله وقيل من لبيان من ﴾ اى وقيل ان كلمة من فى قوله من السماء ليست لابتداآء الغاية بل هى لتبيين جنس من يرزق وام فى قوله تعالى ام من يملك منقطعة لانه لم يتقدمها همزة استفهام ولا همزة تسوية ولكن تقدر بل وحدها دون الهمزة بعدها وقد تقرّر أن المنقطعة عند الجمهور تقدر بل وحدها وانما لم تقدر هنا بل والهمزة لانه وقع بعدها اسم استفهام صريح وهو من فهو كقوله ام ماذا كنتم تعملون والاضراب هنا اضراب انتقال كما هو القاعدة المتقرّرة فى القرآن لا اضراب ابطال ﴿ قوله ومن يحيى ويميت ﴾ فان كل واحد من الاحياء والاماتة اخراج احد الضدّين من الآخر بمعنى تحصيله منه لان كثيرا ما يقال كان الخارج كذا بمعنى كان الحاصل كذا وايضا انه يخرج الانسان من النطفة وبالعكس ويخرج الطائر من البيضة وبالعكس وقيل المراد انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ﴿ قوله وهو تعميم بعد تخصيص ﴾ لانه تعالى ذكر اوّلا تدابير مخصوصة متعلقة بعلم الاجساد فان اقسام تدبير الله فى ملكه امور لا نهاية لها وذكرها على التفصيل كالمتعذر فذكر بعض التفاصيل ثم عقبها بالكلام الكلى ليكون دالا على الباقى ﴿ قوله هو ربكم الثابت ربوبيته ﴾ اشارة الى ان ربكم الحق خبر ذلكم الله فان الجلالة صفة ذلكم وان الحق بمعنى الصادق اى الثابت ربوبيته ردّ لمن اتخذ مالا تحقق لربوبيته كانه قيل ان الذى يفعل هذه الاشياء هو ربكم الحق لا ما اشركتم معه ﴿ قوله اى كما حقت الربوبية لله الخ ﴾ يعنى ان الكاف فى كذلك فى محل نصب على انه صفة مصدر محذوف والاشارة بذلك الى المصدر المفهوم من الحق فى قوله ربكم الحق او الى حقية مضمون قوله تعالى فاذا بعد الحق الا الضلال او الى حقية انهم مصروفون عن الحق بعد الاقرار به كما قال فسيقولون الله ﴿ قوله بدل من الكلمة ﴾ اى حق عليهم بانتفاء ايمانهم او تعليل لحقية الكلمة على ان يراد بالكلمة العدة بالعذاب وان الاصل لانهم لا يؤمنون ﴿ قوله تعالى قل هل من شركائكم الآية ﴾ احتجاج آخر على بطلان مذهب عبدة الاوثان ﴿ قوله جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها ﴾ جواب عما يقال المشركون ينكرون البعث والاعادة فكيف احتج عليهم بذلك * وتقرير الجواب ان الزام الخصم كما يصح بما يساعده ويعترف به يصح ايضا بما يعين حقيقته لقوّة برهانه وامر الحشر والنشر من هذا القبيل فان وجوب التمييز بين المحسن والمسيئ برهان دال على تحقق وقوعه دلالة قاطعة لا يمكن العاقل دفعه فصح الالزام به وان لم يساعده الخصم عليه ﴿ قوله ولذلك الخ ﴾ جواب عما يقال لم امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان ينوب عنهم فى الجواب والالزام انما يصح ان لو اعترفوا به انفسهم * وتقريره كون الامر ظاهرا جليا مؤيدا بالبراهين القوية اغنى عن الاعتراف به وانيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجواب ﴿ قوله والتوفيق للنظر والتدبر ﴾ اى للنظر الصحيح والتدبر الصائب فان القول مضطرب والافكار مختلط وتعين الحق صعب ولا يسلم من الغلط الا الاقل من القليل فاهتدآء ادراك الحقائق لا يكون الا باعانة الله تعالى وهدايته وارشاده وهذا احتجاج آخر على فساد مذهب المشركين والاستدلال على وجود الصانع اوّلا بالحق وثانيا بالهداية عادة مطردة فى القرآن قال تعالى حكاية عن الخليل عليه الصلاة والسلام الذى خلقنى فهو يهدين وحكى عن موسى عليه الصلاة والسلام قوله تعالى ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى * اعلم ان هدى يتعدّى الى اثنين اوّلهما بنفسه وثانيهما اما باللام واما بالى وقد يحذف حرف الجرّ تخفيفا وقد جمع بين التعديتين بحرف الجر هنا فعدى الاوّل والثالث بالى والثانى باللام وحذف المفعول الاوّل من الافعال الثلاثة والتقدير هل من شركائكم من يهدى غيره الى الحق والمصنف بين سرّ كل واحدة من التعديتين فقال يعدّى بالى ليدل على ان انتهاء الهداية مدخولها ويعدّى باللام ليدل على ان الهداية لا تتوجه نحو ما دخلت عليه الا لاجل ان تؤدى اليه ويترتب عليها كما هو شان العلة والمعلل بها ﴿ قوله ام الذى لا يهتدى الخ ﴾ اختار فى قوله ام من لا يهدى الا ان يهدى قرآءة حمزة والكسائى وهو ان يقرأ قوله الا ان يهدى بسكون الهاء وتخفيف الدال على معنى يهتدى فان العرب تستعمل يهدى بمعنى يهتدى فتقول هديته فهدى اى فاهتدى ﴿ قوله او لا يهدى غيره ﴾ عطف على قوله يهتدى فى قوله ام الذى لا يهتدى ﴿ قوله وهذا حال اشراف شركائهم ﴾ جواب عما يقال من ان المراد من الشركاء فى هذه الآية الاصنام وانها

جمادات لاتقبل الهداية فكيف يصح ان يقال فى حقها الا ان يهدى وايضا كلمة من تستعمل فى ذوى العقول دون الجمادات فلايليق ان يقال فى حقها ام من لايهدى فلماقيل ان الله تعالى اكتفى فى بيان فساد مذهب مطلق اهل الشرك من عبدة الاوثان وغيرها بقوله تعالى قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده فانه لاشك ان المراد بالشركاء فيه مايتناول الاصنام وغيرها ثم بين فى هذه الآية فساد مذهب من يتخذ العقلاء الذين يقبلون الهداية اربابا كالملائكة والمسيح وعزير سقط الاشكال المذكور ﴿قوله والاصل يهتدى﴾ اى اصل كل واحدة من القرآءتين وهما قرآءة يهدى بفتح الياء والهاء وتشديد الدال وقرآءة يهدى بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال فلما ادغمت التاء فى الدال فيهما اجتمع الساكنان فحركت الهاء بفتحة التاء المدغمة فى احدى القرآءتين وحركت الهاء بالكسر فى القرآءة الاخرى لكون الكسر اصلا فى تحريك الساكن ﴿قوله وروى ابوبكر﴾ عن عاصم يهدى بكسر الياء والهاء اتباعا لحركة الياء بحركة الهاء وقيل هى على لغة تميم ﴿قوله وقرأ ابوعمرو بالادغام المجرّد﴾ بان ترك الهاء ساكنة على حالها بعد ادغام التاء فى الدال فجمع بين الساكنين ونسب الامام هذه القرآءة الى قالون عن نافع ثم قال ابوعمرو بالاشارة الى فتحة الهاء من غير اشباع فهو بين الفتح والسكون والفتحة مختلسة على اصل مذهبه اختيارا للتخفيف ثم قال وذكر على بن عيسى انه الصحيح والاجود من قرآءة نافع وقرئ الاان يهدى بضم الياء وفتح الهاء والدال المشدّدة على بناء المفعول من باب التفعيل ﴿قوله والمراد بالاكثر الجميع﴾ لان ابقاءه على اصل معناه يدل على ان اعتقاد بعضهم فيما ذهب اليه من قاعدة الشرك وان شركاءهم شفعاؤهم عندالله يستند على برهان وليس كذلك بل كلهم متفقون على اتباع الظن والتقليد ويجوز ان يكون الاكثر باقيا على اصل معناه ويكون التقييد به للاشارة الى ان الظن انما يتأتى ممن له نظر واستدلال وان بعضا منهم بمعزل عنه فضلا عن ان ينسب حكمه ومذهبه الى البرهان ﴿قوله تعالى وما كان هذا القرآن ان يفترى﴾ لما تقدّم قول اهل مكة ويقولون لولا انزل عليه آية وذكروا ذلك لاعتقادهم ان القرآن ليس بمعجز وانه صلى الله عليه وسلم انما اتى بهذا القرآن افتراه على الله تعالى وماهو وحى نازل عليه من عندالله تعالى احتج على صحة هذا الكلام بقوله قل فأتوا بسورة مثله وذلك يدل على انه معجز لايتأتى ان يكون من عند غيره تعالى ﴿قوله افتراه من الخلق﴾ اشارة الى ان قوله تعالى ان يفترى فى محل نصب على انه خبر ماكان وانه فى تقدير المصدر اى ماينبغى لهذا القرآن ان يفترى به على الله تعالى لان المفترى هو الذى يأتى به البشر والقرآن معجز على كل حال لايقدر عليه البشر والافتراء فى الاصل افتعال من فريت الاديم اذا قدرته للقطع ثم استعمل فى الكذب واحتج على ان القرآن من عندالله تعالى بكونه مطابقا مصدّقا لما تقدّمه من الكتب الالهية وكل واحد من الكتب السابقة وان تعين صدقه بان صدق الله تعالى مبلغه بان اظهر على يديه من المعجزات القاهرة لكن ليس شئ من تلك الكتب معجزا مصدّقا لنفسه بخلاف هذا القرآن الكريم المشتمل على اقاصيص الاوّلين فانه قد بلغ الينا من قبل رجل لم يكتب ولم يقرأ شيأ من المدونات ولم يخالط احدا من العلماء مشتملا على نفائس علم الاصول وحقائق علم الاحكام ولطائف علم الاخلاق واسرار قصص الاوّلين وعجز عن معارضته العلماء والفصحاء والبلغاء مع غاية عداوة اهل عصره فلولم يكن مافيه من قصص الاوّلين موافقا لمافى التوراة والانجيل لقدحوا فيه ولبالغوا فى الطعن فيه قائلين ان ماجئت به من الاقاصيص غير مطابق لما اخبرالله تعالى فلما لم يقل احد منهم ذلك مع شدّة حرصهم على الطعن علمنا انه صلى الله عليه وسلم اتى بتلك الاقاصيص مطابقة لمافى الكتب المتقدّمة مع انه صلى الله عليه وسلم ماطالع شيأ منها وذلك يدل على انه صلى الله عليه وسلم انما اخبر عن هذه الاشياء بوحى من الله تعالى فاذا ثبت ان القرآن العظيم مصدّق لنفسه بسبب كونه معجزا ثبت انه مصدّق للكتب المتقدّمة عيار عليها شاهد على ضمنها وصحتها بسبب كون مضمونه مطابقا لمضمون تلك الكتب ﴿قوله لكونه معجزا دونها﴾ جواب عما يقال كما ان القرآن دال على نزول الكتب المتقدّمة وعلى اخبارالاوّلين كذلك الكتب المتقدّمة دالة عليها فكما ان القرآن مطابق لها كذلك هى مطابقة له فكيف حكم بان القرآن مصدّق لها دون العكس بوجهين بان القرآن معجز دونها فهو صالح لان يكون حجة وبرهانا لغيره لا العكس وقرأ الجمهور تصديق وتفصيل بالنصب لوجهين الاوّل انه خبر كان المقدّرة اى ولكن كان تصديقا والثانى انه مفعول له لفعل مقدّر اى ولكن انزل للتصديق ﴿قوله وتفصيل ماحقق واثبت﴾ على ان الكتاب من كتب

وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدّى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدى باتباع الياء الهاء وقرأ ابوعمرو بالادغام المجرّد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرّك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الاان يهدى للمبالغة ﴿فالكم كيف تحكمون﴾ بما يقتضى صريح العقل بطلانه ﴿ومايتبع اكثرهم﴾ فيما يعتقدون ﴿الا ظنا﴾ مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمى منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ﴿ان الظن لايغنى من الحق﴾ من العلم والاعتقاد الحق ﴿شيأ﴾ من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ﴿ان الله عليم بما يفعلون﴾ وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان ﴿ماكان هذا القرآن ان يفترى من دون الله﴾ افتراء من الخلق ﴿ولكن تصديق الذى بين يديه﴾ مطابقا لما تقدّمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدّر او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزل الله تصديق الذى وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق ﴿تفصيل الكتاب﴾ وتفصيل ماحقق واثبت من العقائد والشرائع ﴿لاريب فيه﴾ منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل فى حكم الاستدراك

ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول فى المعنى وان يكون استئنافا ﴿من رب العالمين﴾ خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين اومتعلق بتصديق او بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير ﴿١٦﴾ فى فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان مايجب اتباعه والبرهان عليه ﴿ام يقولون﴾ بل ايقولون ﴿افتراه﴾ محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾ فى البلاغة وحسن النظم وقوّة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى فى العربية والفصاحة واشد تمرّنا فى النظم والعبارة ﴿وادعوا من استطعتم﴾ ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به ﴿من دون الله﴾ سوى الله فانه وحده قادر على ذلك ﴿ان كنتم صادقين﴾ انه اختلقه ﴿بل كذبوا﴾ بل سارعوا الى التكذيب ﴿بما لم يحيطوا بعلمه﴾ بالقرآن اوّل ماسمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزآء وسائر مايخالف دينهم ﴿ولما يأتهم تأويله﴾ ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه اوولم يأتهم بعد تأويل مافيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع فى لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدّى فرازوا قواهم فى معارضته فتضاءلت دونها اولما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمرّدا وعنادا ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ انبياءهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ فيه وعيد لهم بمثل ماعوقب به من قبلهم ﴿ومنهم﴾ ومن المكذبين ﴿من يؤمن به﴾ من يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند اومن سيؤمن به ويتوب عن كفره ﴿ومنهم من لا يؤمن به﴾ فى نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره اوفيما يستقبل بل يموت على الكفر ﴿وربك اعلم بالمفسدين﴾ بالمعاندين اوالمصرّين ﴿وان كذبوك﴾ وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة ﴿فقل لى عملى ولكم عملكم﴾ فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لى جزآء عملى ولكم جزآء عملكم حقا كان اوباطلا ﴿انتم بريؤن مما اعمل وانا بريئ مما تعملون﴾ لاتؤاخذون بعملى ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف

بمعنى فرض وقدر وحكم قال الشاعر

* يابنت عمى كتاب الله آخر جنى * عنكم وهل امنعن الله مافعلا *

والناس اختلفوا فى ان القرآن معجز من اى الوجوه فقال بعضهم انه معجز لاشتماله على الاخبار عن العلوم الكثيرة واليه الاشارة بقوله وتفصيل الكتاب من الاحكام والشرآئع فى كل باب ﴿قوله ويجوز ان يكون حالا من الكتاب﴾ ولما ورد ان يقال كيف جاز مجيئ الحال من المضاف اليه والحال انما يبين هيئة الفاعل او المفعول به اجاب عنه بقوله فانه مفعول فى المعنى فكانه قيل كان يفصل الكتاب منتفيا عنه الريب وان كان مستأنفا لا يكون له محل من الاعراب وان كان قوله من رب العالمين متعلقا بتصديق او بتفصيل بطريق التنازع يكون قوله لا ريب فيه اعتراضا بين العامل ومعموله ﴿قوله بل ايقولون﴾ اشارة الى ان ام هذه منقطعة مقدرة ببل والهمزة اضرب عن الكلام الاوّل واخذ فى انكار قولهم انه صلى الله عليه وسلم اختلق هذا القرآن من عند نفسه ثم افتراه على الله تعالى ثم احتج عليهم بانه يقول ان كان الامر كما تزعمون فأتوا بسورة مثله فان لم يف عقل الواحد والاثنين منكم فى استخراج مايعارض القرآن فاجتمعوا وليف بعضكم بعضا فى هذه المعارضة مع انه لم يف ولو اجتمع الانس والجن بعضهم ظهيرا لبعض لان قدرة البشر عاجزة عنها فعلم ان نظمه وتنزيله ليس الا من قبل الله تعالى ﴿قوله بل سارعوا الى التكذيب﴾ فسر بل كذبوا بقوله بل سارعوا لدلالة قوله بما لم يحيطوا ولما يأتهم على المسارعة فان تكذيب الكلام قبل الاحاطة بمعانيه مسارعة اليه فى اوّل الوهلة فان التصديق والتكذيب بالشئ ينبغى ان يكون بقدر العلم به والاحاطة بكنهه ومعرفة مآله ومرجعه والا لكان مسارعا اليه فى غير اوانه ومعنى الاضراب فى بل ذمهم على التقليد وترك النظر مع التمكن منه كانه قيل دع تحدّيهم والزامهم فانهم لا يتأهلون للخطاب لانهم مقلدون متهافتون فى الامر لا عن خبر وتعقل فان كان قوله ولم يحيطوا به علما عبارة عما يؤول اليه نظم القرآن من المعانى يكون وجه الذم انهم سارعوا الى تكذيبه قبل الاحاطة به علما فيعرفوا اعجاز نظمه وقبل ان يعرفوا مآله ومرجعه من المعانى فان القرآن كما انه معجز من جهة حسن نظمه كذلك هو معجز من جهة اشتماله على مافيه من المعانى وان كان مالم يحيطوا عبارة عما جهلوه مما يخالف دينهم وكان تأويله عبارة عما يؤول اليه مافيه من الاخبار بالغيوب كان وجه الذم انهم يسارعون الى تكذيب كل واحد منهم قبل ان يتبين لهم حقيقة الاوّل بالنظر فى دلائل حقيقته وحقيقة الثانى ايضا بدلائله وبحصول المآل ووقوع تلك المغيبات قال الامام محيى السنة رضى الله تعالى عنه ولما يأتهم تأويله اى عاقبة ماوعد الله تعالى فى القرآن من انه يؤول اليه امرهم من العقوبة يريد انهم لم يعلموا مايؤول اليه امرهم ﴿قوله فرازوا﴾ اى جربوا تقول رزته اروزه روزا اى جربته وخبرته ﴿قوله ومعنى التوقع فى لما﴾ فانه يدل على ان الفعل المنفى به امر متوقع لما قيل انه لنفى ما قد يفعل وكلمة لم لنفى مافعل يعنى انه اتى بكلمة التوقع فى قوله تعالى ولما يأتهم تأويله للدلالة على ان اتيان المرجع والمآل وحصول العلم بحقيقة الحال كان امرا متوقعا منتظرا ومع ذلك سارعوا الى التكذيب لقلة ثباتهم وغلبة اتباع الاباء على طباعهم ﴿قوله ولما فيه من ايهام الاعراض﴾ اشارة الى انه ليس بمنسوخ حقيقة لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول هذه الآية اختصاص كل احد بافعاله وبثمرات افعاله من الثواب والعقاب وذلك لا يقتضى حرمة القتال فان آية القتال ما رفعت شيأ من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا * واعلم انه تعالى قسم الكفار فى هذه الآية قسمين منهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به ثم قسم من لا يؤمن به قسمين منهم من يكون فى غاية البغض له صلى الله عليه وسلم والعداوة ونهاية النفرة من قبول دينه ومنهم من لا يكون كذلك فوصف القسم الاوّل فقال منهم من يسمع كلامك مع انه يكون كالاصم من حيث لا ينتفع البتة بذلك الكلام ومنهم من ينظر اليك ويعاين فيك شواهد نبوّتك ولكن لا يصدقك كالاعمى الذى لا يشاهد محاسن صاحبه شبه المكذبين الذين اصرّوا على الكذب وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منعهم عن ادراك محاسن كلامه ومعاينة دلائل نبوّته كما يمنع الصمم فى الاذن عن ادراك محاسن الكلام ويمنع العمى فى العين عن مشاهدة محاسن الصور فلما شبههم بالصم والعمى فرّع عليه وجوب التبرّى عنهم فقال تعالى افأنت تسمع الصم اوتهدى العمى بمعنى انهم صاروا بسبب شدّة عداوتهم وبغضهم ونفرتهم عنك بمنزلة الصم والعمى فكما لا يمكنك جعل الاصم سميعا والاعمى بصيرا فكذا لا يمكنك جعلهم اصدقاء يقبلون كلامك ويهتدون بدعوتك وارشادك والمقصود من نفس هذا الكلام اعلام الرسول صلى الله عليه وسلم بانهم قد بلغوا فى مرض

﴿ومنهم من يستمعون اليك﴾ اذا قرأت القرءآن وعلمت الشرآئع ولكن لا يقبلون كالاصم الذى لا يسمع اصلا ﴿افانت تسمع الصم﴾ تقدر على اسماعهم ﴿ولو كانوا لا يعقلون﴾ ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم فى تدبره وعقولهم لما كانت مؤوفة بمعارضة ﴿ ١٧ ﴾ الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعانى الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ﴿ومنهم من ينظر اليك﴾ يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقونك ﴿افأنت تهدى العمى﴾ تقدر على هدايتهم ﴿ولو كانوا لا يبصرون﴾ وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبرّى والاعراض عنهم ﴿ان الله لا يظلم الناس شيأ﴾ بسلب حواسهم وعقولهم ﴿ولكن الناس انفسهم يظلمون﴾ بافسادها وتفويت منافعها عليها وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس بمسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ﴿ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار﴾ يستقصرون مدّة لبثهم فى الدنيا او فى القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية فى موقع الحال اى نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اى حشرا كأن لم يلبثوا قبله ﴿يتعارفون بينهم﴾ يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا اوّل ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدّة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدّرة او بيان لقوله كأن لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾ للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى يتعارفون على ارادة القول ﴿وما كانوا مهتدين﴾ لطرق استعمال ما منحوا من المعاون فى تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادّت بهم الى الردى والعذاب الدآئم ﴿وامّا نرينك﴾ نبصرنك ﴿بعض الذى نعدهم﴾ من العذاب فى حياتك كما اراه يوم بدر ﴿او نتوفينك﴾ قبل ان نريك ﴿فالينا مرجعهم﴾ فنريكه فى الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب

العقل الى حيث لا يقبلون الصلاح والطبيب اذا رأى مريضا لا يقبل العلاج اعرض عنه لانه يستوحش من عدم قبوله العلاج فكذلك وجب عليك ان تبرأ منهم ولا تنفعل من اصرارهم على التكذيب وهذا معنى قوله اى المصنف والآية كالتعليل للامر بالتبرّى ﴿قوله وفيه تنبيه الخ﴾ اى فى ان استماع الاصم العديم العقل ابعد من استماع الاصم العاقل تنبيه على ان حقيقة الاستماع ليست عبارة عن مجرّد وصول الهوآء المكيف بكيفية الصوت الى الصماخ السليم والافكان الاصم العاقل وغيره سوآء فى عدم الاستماع ولم يكن استماع غير العاقل ابعد من استماع العاقل بل هى متوقفة على سلامة كل واحد من الصماخ والعقل واستماع واحد منهما على وجه يؤدّى الى ارتسام المعنى المقصود من الكلام فى المدركة فلذلك كان الاستماع بعيدا منكرا بمجرّد تحقق الصمم وانتفاء سلامة الصماخ وعند انتفاء كل واحد منهما كان ابعد واتم فى كونه منكرا كما قال تعالى افأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ﴿قوله بسلب حواسهم﴾ لما حكم الله عليهم بانهم مسلوبوا العقل والحواس فلا يدركون حسن الايمان ولا يقبلونه ولا يسمعون كلام الداعى سماع قبول ولا يبصرون شواهد صدقه فى دعوى النبوّة رؤية اعتبار واستبصار قال ان الله لا يظلم الناس بسلبها لانه متصرّف فى ملك نفسه ومن كان كذلك لم يكن ظالما ثم قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل اليهم منسوب بسبب الكسب وليس هذا مسلوب الاختيار بالكلية كما ذهب اليه الجبرية وقرأ حمزة والكسائى بتخفيف ولكن ومن ضرورة ذلك كسر النون لالتقاء الساكنين وصلا ورفع الناس لبطلان العمل بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد ونصب الناس ولما وصف الله تعالى الكفار بقلة الاصغاء وترك التدبر اتبعه بالوعيد فقال تعالى ويوم نحشرهم ويوم منصوب بفعل مقدّر اى اذكر ما حدث يوم او يتعارفون اى يتعارفون يوم نحشرهم ﴿قوله او صفة﴾ اى يوما مشبها اهله بمن لم يلبث قبله الا ساعة واندفع بهذا التقدير ما يرد من ان هذه الجملة كيف تكون صفة مع ان مضمونها وصف المحشورين لا وصف يوم حشرهم ولا بدّ من مثل هذا التقدير على تقدير ان تكون الجملة المذكورة صفة للمصدر المحذوف اى حشرا كأن المحشورين لم يلبثوا وقرأ حفص يحشرهم بياء الغيبة على اسناد الفعل الى ضمير الجلالة فى قوله ان الله لا يظلم والباقون بنون العظمة ﴿قوله يستقصرون مدّة لبثهم فى الدنيا او فى القبور لهول ما يرون﴾ فان ما يشاهده الكفار من اهوال الآخرة اشدّ الشدآئد واقصاها والعياذ بالله والانسان اذا عظم خوفه نسى الامور الظاهرة وايضا يستقلون ذلك اللبث فى جنب لبثهم فى موقف الحساب وفى سائر مواقف الآخرة ﴿قوله يعرف بعضهم بعضا﴾ كما كانوا يعرفون فى الدنيا فكانهم لم يتفارقوا بسبب الموت الا مدّة قليلة لا تؤثر فى زوال ذلك التعارف فلما وردوا يقال فاوجه التوفيق بين هذا التعارف وبين قوله تعالى فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون اشار الى جوابه بان حمل الآيتين على الحالتين فانهم يتعارفون اذا بعثوا ثم ينقطع التعارف اذا عاينوا العذاب ويتبرأ بعضهم من بعض والجملة حال اخرى من مفعول نحشرهم اى نحشرهم مشبهين بمتعارفين وهى حال مقدّرة لان التعارف يكون حال الحشر او بيان لكونهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب الامر به الى التناكر للشهادة على خسرانهم يعنى ان هذه الجملة ليست من مقالة الكفار المحشورين بل هى كلام الهى مسوق للشهادة عليهم بالخسران والتكذيب بلقاء الله وعبارة عن ايثار الحظوظ الدنيوية العاجلة الخسيسة الفانية على السعادة الاخروية الشريفة الباقية فكانه قيل قد خسر من باع آخرته بالدنيا ثم قال ويجوز ان يكون الخ والتقدير ويوم نحشرهم حال كونهم متعارفين وحال كونهم قائلين قد خسر الذين كذبوا فيكون حكمه كحكمه فى الوجهين المذكورين ويجوز ان يكون معطوفا على صلة الذين فيكون كالتأكيد لجملة الصلة لان من كذب بلقاء الله غير مهتد الى رعاية مصالح ما هو فيه من التجارة فيضيع رأس المال خاليا عن الخير بالكلية ﴿قوله وهو جواب نتوفينك﴾ جعل فى الكلام شرطين لهما جوابان جواب الاوّل محذوف وجواب الثانى مذكور والتقدير وامّا نرينك بعض الذى نعدهم اى ما نعدهم من العذاب فى الدنيا فذلك هو المأمول او ان نتوفينك قبل ان نريك ذلك الموعود فانك تراه فى الآخرة ولا حاجة الى ارتكاب حذف الجواب لان قوله فالينا مرجعهم صالح لان يكون جوابا للشرط وما عطف عليه ﴿قوله ولذلك رتبها على الرجوع ثم﴾ ولو كان المراد من الشهادة نفسها لما صح الترتيب المذكور لانه تعالى شهد على ما يفعلونه من التكذيب والمجازاة حال رجوعهم اليه تعالى وقبله ﴿قوله فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه﴾ يعنى الكلام فيه الاضمار فاذا جاء رسولهم فبلغهم رسالته

نرينك محذوف مثل ذلك ﴿ثم الله شهيد على نى ما يفعلون﴾ مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع ثم او مؤدى شهادته على افعالهم يوم القيامة ﴿ولكل امّة﴾ من الامم الماضية ﴿رسول﴾ يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق ﴿فاذا جاء رسولهم﴾ بالبينات فكذبوه ﴿قضى بينهم﴾ بين الرسول ومكذبيه ﴿بالقسط﴾ بالعدل فانجى الرسول واهلك المكذبون ﴿وهم لا يظلمون﴾

ودعاهم الى الحق فكذبوه فحذف ماحذف للعلم به والتقدير بمعونه المقام لما بين الله تعالى حال نبينا مع قومه بين ان حال كل الانبياء مع اقوامهم كذلك * فان قيل كيف يصح ان يقال انه تعالى ما اهمل امّة من الامم قط بل بعث الى كل واحدة منهم رسولا ينذرهم من المخالفة مع ان زمان الفترة ليس فيه رسول كما يشهد عليه قوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير وقوله تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم * والجواب ان عموم قوله تعالى ولكل امة رسول يقتضى ان يكون الرسول حاضرا مع كل واحدة منهم لان تقدّم الرسول على بعض منهم لا يمنع من كونه رسولا الى ذلك البعض كما لا يمنع تقدّم رسولنا صلى الله عليه وسلم من كونه مبعوثا الينا الى آخر الابد غاية ما فى الباب ان ما وقع من تخليط القوم فى زمن الفترة مؤدّ الى ضعف اثر دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيه ﴿قوله استبعادا له واستهزآء به﴾ يعنى ان من جملة شبه منكرى النبوّة انه صلى الله عليه وسلم كلما هدّدهم بنزول العذاب ومرّ زمان ولم يظهر ذلك العذاب قالوا له متى هذا الوعد واحتجوا بعدم ظهوره على حسب القدح فى نبوّته فان معنى الاستفهام فى متى الاستعجال بمعنى طلب العجل والمقصود من هذا الاستعجال هو استبعاد الموعود وانه مما لا يكون وانه يستهزأ به فامره الله تعالى بان يجيب عن هذه الشبهة بجواب يحسم مادّة الاشكال فقال قل لا املك لنفسى الآية والمراد ان انزال العذاب على الاعداء واظهار النصرة للاولياء لا يقدر عليه الا الله تعالى وانه تعالى ما عين لذلك الوعد والوعيد وقتا معينا ثم اختلف ما وعد او اوعد فى ذلك الوقت حتى يرد الاشكال وان وقت كل حادث انما يتعين فى علم الله تعالى فاذا حضر الوقت الذى وقته الله تعالى لحدوث ذلك الحادث فانه لابدّ وان يحدث فيه ويمتنع ان يتقدّم عليه او يتأخر عنه ﴿قوله الا ماشاء الله ان املكه﴾ او اقدر عليه ويحتمل ان يكون منقطعا والتقدير ولكن ماشاء الله من ذلك يعنى ان هذا الاستثناء يجوز ان يكون متصلا والتقدير الا ماشاء الله ان املكه او اقدر عليه وان يكون منقطعا والتقدير ولكن ماشاء الله من ذلك النفع والضرّ فيكون هذا التقدير تصويرا لمعنى الانقطاع لان قوله من ذلك اشارة الى النفع والضرّ فانه كائن بمشيئة الله تعالى لا بان املكه واقدر عليه مستقلا بدون حصوله بمشيئة الله حتى يكون الاستثناء متصلا فيكون الاستثناء من فاعل لا املك على تقدير ان يكون منقطعا وتقديره لا املك انا ولكن الله تعالى هو المالك لكل ما يشاء بفعله بمشيئته ﴿قوله تعالى لكل امّة اجل﴾ اى مدّة مضروبة لهلاكهم على وجه الاستئصال جزآء على تكذيبهم رسلهم فان الظاهر ان يكون المراد بقوله لكل امّة اجل الامّة الذين اجترؤا على تكذيب الرسل وقرينة التخصيص بالامم الماضية كونه فى جواب قول المشركين متى هذا الوعد ومتى هذا الحكم لان الحكم المذكور لا يعم امتنا بالحديث ويحتمل ان يكون المعنى لكل امّة عدة مضروبة لفناء عمر كل واحد منهم فدلول الآية ان احدا لا يموت الا بانقضاء اجله والمعنى الاوّل انسب لقوله ولكل امّة لانه لو كان المراد المعنى الثانى لكان الظاهر ان يقال ولكل احد بدل امّة ﴿قوله ان اتاكم عذابه الذى تستعجلون به﴾ الاستفهام المذكور بقولهم متى هذا الوعد يدل على ان معنى الكلام قل لهم يا محمد اخبرونى عن عذاب الله ان اتاكم اى شئ تستعجلون به وليس شئ من العذاب يستعجل به لمرارته وشدّة اصابته فهو مقتضى لنفور الطبع منه وهو استفهام معناه التفظيع والتهويل كما تقول لمن هو فى امر تستوخم عاقبته ماذا تجنى على نفسك ﴿قوله وقت بيات﴾ اشارة الى ان قوله تعالى اتاكم بياتا من قبيل قولهم آتيك صياح الديك وان البيات اسم بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بات بيتوتة وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا كما يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا ﴿قوله اى شئ من العذاب﴾ قد تقرّر ان ماذا فيه وجهان ان يكون اسمين بمعنى ما الذى وان يكون اسما واحدا بمعنى اى شئ ولا يجوز ان يكون المراد ههنا ما الذى لان الضمير فى منه للعذاب فلو كان بمعنى ما الذى لخلت الصلة عن ضميره فلذا حمله على اى شئ والتنكير فيه اما للوحدة النوعية او للتهويل فان كان للوحدة فالمعنى اى نوع من العذاب يستعجلونه وعلى هذا تكون كلمة من فى منه للتبعيض او للتبيين وان كان للتهويل فالمعنى اى شئ هائل شديد يستعجلون منه فمن حينئذ تجريدية جرّد من العذاب شئ هائل شديد يتعجب منه ومن شدّة هوله كل من يراه او يسمعه وهو العذاب نفسه لا الفرد منه او النوع وكونها للتجريد عائد الى كونها للبيان لان ما جرّد من العذاب وهول ذلك الامر المتعجب منه صادق على جنس العذاب مبين له بخلاف ما اذا كانت للوحدة فان كان قوله منه بمعنى من جنس العذاب فهى للبيان وان كان بمعنى من انواع العذاب فهى للتبعيض ﴿قوله وهو متعلق بارأيتم﴾ يعنى ان قوله ماذا يستعجل

(متعلق)

وقيل معناه لكل امّة يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضى بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجيئ بالنبيين والشهداء وقضى بينهم ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ استبعادا له واستهزآء به ﴿ان كنتم صادقين﴾ خطاب منهم للنبىّ صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿قل لا املك لنفسى ضرّا ولا نفعا﴾ فكيف املك لكم فأستعجل فى جلب العذاب اليكم ﴿الا ماشاء الله﴾ ان املكه او ولكن ماشاء الله من ذلك كائن ﴿لكل امّة اجل﴾ مضروب لهلاكهم ﴿اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ لا تأخرون ولا تقدّمون فلا تستعجلوا فسيجين وقتكم وينجز وعدكم ﴿قل ارأيتم ان اتاكم عذابه﴾ الذى تستعجلون به ﴿بياتا﴾ وقت بيات واشتغال بالنوم ﴿او نهارا﴾ حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ﴿ماذا يستعجل منه المجرمون﴾ اى شئ من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بأرأيتم لانه بمعنى اخبرونى

متعلق الاستخبار فان ارأيتم استخبار اذمعنى ارأيتم اخبرونى فيستدعى مفعولا يتعلق هو به وهو جملة الاستفهام فيكون الشرط مع جوابه المحذوف مقررا لمضمون الاستخبار ولذلك وسط بين جملة الاستخبار ومتعلقه ولما كان فى هذا الاستفهام تجهيل لهم وتنديم قدر الجواب تندموا على الاستعجال اوتعرفوا الخطأ فيه ولا مانع من تقدير مايفيد المعنيين ولهذا حذف الجواب ووسط تأكيدا على تأكيد ثم قيل زيادة تنديم وتجهيل اذا وقع العذاب آمنتم به وعاد استهزاؤكم وتكذيبكم تصديقا واذعانا حتى يتم زيادة على زيادة الاستبعاد وفيه ان هذا الثانى ابعد من الاوّل وادخل فى الانكار وظهر من هذا التقدير انه لايرد ان يقال فى قوله وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال اوتعرفوا الخطأ فيه ولامانع من تقدير هما معا اذ تقدير مايفيد المعنيين ليس بسديد بناء على ان الجواب المقدّر لايكون الامايدل عليه ماتقدمه لفظا اوتقديرا فلو قيل انت طالق ان فعلت كذا يكون تقديره ان فعلت كذا فانت طالق فينبغى ان يجعل تقدير الآية ان اتاكم عذابه فاخبرونى ماذا يستعجل منه المجرمون تجهيلا لهم وتنديما ﴿ **قوله** ويجوز ان يكون الجواب ماذا ﴾ ويكون الجملة الشرطية متعلقه بارأيتم والمعنى اخبرونى ان اتاكم عذابه بياتا اونهارا فاىّ شئ يستعجل منه المجرمون * قيل عليه فى جعل جواب الشرط جملة الاستفهام جواب الشرط بدون الفاء محل بحث فان جواب الشرط اذا كان استفهاما فلا بدّ فيه من الفاء تقول ان زارنا فلان فاىّ شئ نصنع معه ولا يجوز حذفها الاعن ضرورة وما ذكره من المثال وهو ان اتيتك ماذا تعطينى فهو من تمثيله لامن كلام العرب * وقيل ايضا فى جعل ماذا يستعجل جواب الشرط اشكال وهو ان استعجال العذاب قبل اتيانه فكيف يكون مرتبا عليه جزآء له * واجيب بانه لاشك ان الاستعجال ماض بالنسبة الى العذاب فلايجوز ان يكون قوله ماذا يستعجل بمعنى الحال حقيقة بل يكون حكاية عن الحال الماضية اى ماذا كنتم تستعجلون لكن مجرّد هذا ايضا لايكون جوابا لان الاستعجال السابق لايترتب على اتيان العذاب فلا بدّ من تقدير وهو ان يقال ان اتاكم عذابه فحينئذ تعلمون لاىّ شئ تستعجلون ﴿ **قوله** اوبقوله تعالى اثم اذا ماوقع آمنتم به ﴾ لما كان ظاهر العطف يدل على ان المراد كون الجملة الشرطية متعلقة بقوله أثم اذا ماوقع تعلق المفعولية وليس بمراد فسر المراد بقوله بمعنى اى ان اتاكم عذابه الخ ويجوز ان يكون الجواب قوله أثم اذا ماوقع وتكون الجملة الشرطية متعلقة بارأيتم ايضا ويكون قوله ماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا بين الشرط وجوابه ويكون المعنى واخبرونى ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا اووقع وتحقق آمنتم به بعد وقوعه ثم جيئ بحرف التراخى بدل الواو للدلالة على تأخر الايمان عن وقوع العذاب والجزآء لايترتب على الشرط بكلمة ثم وانما يترتب عليه بالفاء الاانه اجرى ثم ههنا مجرى الفاء لان ثم ايضا يفيد الترتب مع زيادة التراخى المناسب لمقام التوبيخ ﴿ **قوله** اى قيل لهم ان آمنوا بعد وقوع العذاب آلان آمنتم به ﴾ اشارة الى ان الآن منصوب بفعل مضمر تقديره آمنتم آلان آمنتم ودل على هذا الفعل المقدّر الفعل الذى تقدّمه وهو قوله اثم اذا ماوقع آمنتم به آلان ولايجوز ان يعمل فيه آمنتم الظاهر لان ماقبل الاستفهام لايعمل فيما بعده كما ان مابعده لايعمل فيما قبله لان له صدر الكلام وهذا الفعل المقدر ومعموله مقول قول مقدّر كما صرح به وقدّر القول والفعل الناصب لقوله آلان بلفظ الماضى ليطابق ماقبله وهو اذا ماوقع آمنتم ومابعده وهو قوله ثم قيل وهذه الاشياء لم تكن بعد بقرينة ماسبق من قوله تعالى قل ارأيتم ان اتاكم عذابه وعبر عنها بالفعل الماضى تنبيها على انها كائنة لامحالة والمعنى ثم قيل لهم ذوقوا هذا العذاب فانه لكم لايزول حيث تصيرون الى القبر فتعذبون ثم تبعثون فتحشرون الى جهنم فتعذبون فيها ابدا ثم انه تعالى ايما ذكر العذاب الشديد ذكر بعده هل تجزون الا بما كنتم تكسبون تنبيها على ان رحمته سابقة على غضبه وانه لم يخلق عباده الا ليرحمهم ويتفضل عليهم وان هذا العذاب الشديد المؤبد لم يصدر منه ابتداء بل هو نتيجة عملهم الباطل بمنزلة الهلاك المرتب على تناول السم ﴿ **قوله** احق هو ﴾ سألوا اوّلا عن زمان وقوعه وههنا سألوا عن تحققه نفسه ولهذا اختلف جوابهما * فاجاب عن الاوّل بقوله لكل امّة اجل اذا جاء اجلهم * واجاب عن الثانى بتحققه مؤكدا بالقسم حيث قال اى وربى انه لحق ﴿ **قوله** والضمير ﴾ الذى هو لفظ هو مرتفع بانه فاعل احق فانه صفة مشبهة بمعنى ثابت غير واقع فيرفع الفاعل وهذا الفاعل سادّ مسدّ الخبر ويجوز ان يكون خبرا مقدّما وهو مبتدأ مؤخرا وجملة احق فى محل النصب على انها مفعول ثان ليستنبئونك فان انبأ بمعنى اخبر فيعدّى الى اثنين والاشهر ان يتعدّى الى الثانى بكلمة عن بان يقال استنبأت زيدا عن

والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغى ان يفزعوا من مجيئ الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال اوتعرفوا خطأه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطينى وتكون الجملة متعلقة بارأيتم اوبقوله ﴿ اثم اذا ماوقع آمنتم به ﴾ بمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لاينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التأخير ﴿ آلان ﴾ على ارادة القول اى قيل لهم ان آمنوا بعد وقوع العذاب آلان آمنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام ﴿ وقد كنتم به تستعجلون ﴾ تكذيبا واستهزاء ﴿ ثم قيل للذين ظلموا ﴾ عطف على قيل المقدّر ﴿ ذوقوا عذاب الخلد ﴾ المؤلم على الدوام ﴿ هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ﴾ من الكفر والمعاصى ﴿ ويستنبئونك ﴾ ويستخبرونك ﴿ احق هو ﴾ احق ماتقول من الوعد واداء النبوّة تقوله بجدّ ام باطل تهزل به قاله حيّ ابن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدأ والضمير مرتفع به سادّ مسدّ الخبر او خبر مقدّم والجملة فى موضع النصب يستنبئونك

﴿ قل اى ور بى انه لحق ﴾ ان العذاب لكائن اوما أدّعيه لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن ﴿ واى بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه فى التصديق فيقال اى والله ولا يقال اى وحده ﴿ وما انتم بمعجزين ﴾ بفائتين العذاب ﴿ ولو ان لكل نفس ظلمت ﴾ بالشرك او التعدّى على الغير ﴿ ما فى الارض ﴾ من خزآئنها واموالها ﴿ لافتدت به ﴾ لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه ﴿ واسرّوا الندامة لما رأوا العذاب ﴾ لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسرّوا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها اولانه يقال سرّ الشئ لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم سرّ الشئ واسرّه اذا اظهره ﴿ وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ﴾ ليس تكريرا لان الاوّل قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثانى مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم ﴿ الا ان لله ما فى السموات والارض ﴾ تقدير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب ﴿ الا ان وعد الله حق ﴾ ما وعده من الثواب والعقاب كائن لاخلف فيه ﴿ ولكن اكثرهم لا يعلمون ﴾ لانهم لا يعلمون لقصور عقولهم الا ظاهرا من الحياة الدنيا ﴿ هو يحيى و يميت ﴾ فى الدنيا فهو يقدر عليهما فى العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادّة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما ابدا ﴿ واليه ترجعون ﴾ بالموت او النشور ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ اى قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة فى المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التى هى شفاء لما فى الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمقاعدهم من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم ﴿ قل بفضل الله وبرحمته ﴾ بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله ﴿ فبذلك فليفرحوا ﴾ فان اسم اشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك فليفرحوا

عمرو اى طلبت منه ان يخبرنى عن عمرو وقد يعدّى اليهما بنفسه ﴿ قوله واى بمعنى نعم ﴾ اى حرف جواب مثل نعم الا انه لا يجاب به الا مقرونا بالقسم قال صاحب الكشاف سمعتهم فى التصديق يوصلونه بواو القسم ﴿ قوله بمعجزين بفائتين العذاب ﴾ اى ما انتم بمعجزين ربكم حين اراد ان يعذبكم حتى يفوتكم العذاب عن ابن عباس رضى الله عنهما يريد ان الله لا يعجزه شئ ولا يفوته شئ ثم اخبر الله تعالى عن حالهم حين ينزل بهم العذاب فقال ولو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض بالكفر والاشراك والافتداء يجيئ بمعنيين مطاوع فداه فيكون لازما يقال فديته فافتدى ويكون بمعنى فداه فيتعدّى الى واحد يقال فداه وافتداه اذا اعطاه فداءه وهو فى الآية بالمعنى الثانى لان النفس الظالمة هى المعطية لفدآئها ﴿ قوله لانهم بهتوا ﴾ اى صاروا متحيرين بما رأوه من العذاب الشديد فلا يطيقون عنده كلاما ولا بكاء ولا صراخا ولا يبقى لهم الا اخفاء الندامة كمن يذهب به ليصلب فانه يبقى مبهوتا لا ينطق بكلمة وقيل اسرار الندامة كناية عن اخلاصها لله تعالى فان من اخلص فى العمل استزاد خيرا واسرّ جعلها خالصة صافية عن شوب ضدّها بناء على ان الاخفاء من لوازم كون الشئ صافيا هذا على تقدير ان يكون الاسرار بمعنى الاخفاء وهو المشهور فى اللغة واسرّ من الاضداد يستعمل بمعنى اظهر ايضا على معنى ان ليس لهم هناك قوّة اخفاء فاظهروها لضعفهم وفى الكشاف سرّ الشئ واسرّه اذا اظهره ﴿ قوله والثانى مجازاة المشركين على الشرك ﴾ قال الامام قضى بينهم قيل بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار بانزال العقوبة عليهم وقيل ان الكفار وان اشتركوا فى العذاب فانه لابدّ ان يقضى الله بينهم لانه لا يمتنع ان يكون قد ظلم بعضهم بعضا فى الدنيا وخانه فيكون ذلك القضاء تخفيفا من عذاب بعضهم وتثقيلا لعذاب الباقين لان العدل يقتضى ان ينصف المظلومين ولا سبيل اليه الا ان يخفف من عذاب المظلومين ويثقل فى عذاب الظالمين ثم انه تعالى لما اوعد الظالمين بقوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت قرر قدرته على الاثابة والعقاب بقوله الا ان لله ما فى السموات والارض وقيل انه لما اراد ان الظالم لو ملك خزآئن الارض واموالها لافتدى بها بين فى هذه الآية العظيمة ان الظالم ليس له شئ يفتدى به فان الاشياء باسرها ملك خاص لله تعالى لا يتصرّف فيه غيره قال تعالى وكلهم آتيه يوم القيامة فردا * قال الامام فى قوله الا ان لله ما فى السموات والارض دقيقة وهى ان كلمة الا انما تذكر لتنبيه الغافلين واهل هذا العلم مشغولون بالنظر الى الاسباب الظاهرة فيضيفون الاشياء الى ملاكها الظاهرة المجازية فيقولون الدار لزيد والغلام لعمرو والسلطنة للخليفة والتصرف للوزير ونحو ذلك فكانوا مستغرقين فى نوم الجهل والغفلة حيث يظنون صحة تلك الاضافات فلذلك نادى الحق تعالى هؤلاء الغافلين بقوله تعالى الا ان لله ما فى السموات والارض لانه قد ثبت ان جميع ماسواه ممكن لذاته وان الممكن لذاته مستند للواجب لذاته اما ابتداء او بواسطة فثبت ان جميع ماسواه مملوك له تعالى ثم انه تعالى لما قال ان القرآن من رب العالمين وما كان افتراء من دونه تعالى واثبت رسالته صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فأتوا بسورة مثله وصف القرآن ههنا بصفات اربع وهى كونه موعظة وشفاء لما فى الصدور وهدى رحمة للمؤمنين والعطف المعتبر فى هذه الآية من قبيل عطف الصفات المتغايرة بعضها على بعض مع اتحاد الذات واشار اليه المصنف بقوله قد جاءكم كتاب جامع الخ والموعظة مصدر بمعنى الوعظ وهو ارشاد المكلف ببيان ما ينفعه من محاسن الاعمال وما يضره من القبائح والترغيب فى المحاسن والزجر عن القبائح والعلم الكافل بهذا البيان هو الحكمة العملية التى هى الموعظة وكونه شفاء لاشتماله على الحكمة النظرية التى هى شفاء لما فى الصدور من الامراض القلبية ﴿ قوله بانزال القرآن ﴾ اشارة الى ان فضل الله ورحمته عبارتان عن انزال القرآن لان هذه الآية متصلة بالآية الاولى وهى فى ذكر القرآن وقد وصفه الله تعالى بالرحمة فى الآية وقال فى آية اخرى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته الى ان قال ذلك فضل الله كانه قيل قل يا محمد لهؤلاء الذين همتهم جمع الاموال والتزين بزخارف الدنيا بفضل الله وبرحمته افرحوا لا بالاموال والحظوظ الفانية السريعة الزوال روى انه صلى الله عليه وسلم قال * بفضل الله وبرحمته * اى بكتاب الله والاسلام ﴿ قوله والباء متعلقة بفعل يفسره فليفرحوا ﴾ اعنى ان قوله تعالى بفضل الله وبرحمته لابدّ له من متعلق ومتعلقه لا يكون فليفرحوا المذكور لانه متعلق لقوله فبذلك فلا بدّ ان يتعلق بمقدّر والمقدّر لابدّ له من قرينة تدل عليه ولا قرينة سوى الفعل المذكور بعد قوله فبذلك وذلك الفعل وان كان متعلقا

لقوله بذلك الا ان اسم الاشارة لما كان بمنزلة الضمير كان بمنزلة ان يقال فبهما فليفرحوا وهو ظاهر واما كونه مفسرا بتقدير فليعتنوا فلان الفرح بالشئ انما يكون بالاعتناء بشانه مع ان له قرينة اخرى وهى ان قوله تعالى فبذلك اشارة الى فضل الله ورحمته وقد تقدّم على الفعل فتقديمه يدل على الاعتناء بشانهما وتكرير الامر بتخصيص الفرح بالفضل والرحمة يفيد التاكيد لا محالة مع ان العامل اجل فيما ذكره اوّلا وبين فى الثانى ولا شك ان تبيين شئ اجل اوقع فى النفس والتقرير وايضا التكرير على الوجه الخاص والتكرير بتقديم المعمول على عامله يفيد ايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح بتسامح والمراد اختصاص الفرح بهما ﴿قوله﴾ او بفعل دل عليه قدجاءتكم ﴿﴾ اشارة الى ان صاحب الكشاف نسيهما ويجوز ان يراد قدجاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اى فبمجيئها فليفرحوا فانه يدل على كونها متعلقة بجاءتكم المذكور ولا وجه للفصل بينه وبين الجار والمجرور ويحتمل ان يكون الفاء فيه للدلالة على ان ماذكر قبله من مجيئ الكتاب الجامع للاوصاف المذكورة سبب موجب لفرحهم وعلى التقادير تكون الفاء الثانية تكريرا للاولى لقصد التأكيد كما فى قوله

* لا تجزعى ان منفسا اهلكته * واذا هلكت فعند ذلك فاجزعى *

فان الفاء الاولى فيه جزآئية والثانية تأكيد لها وقرأ الجمهور فليفرحوا بياء الغيبة وعن يعقوب فلتفرحوا بتاء الخطاب وهى قرآءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماروى عنه مرفوعا والاصل الامر سوآء كان امر الغائب او امر المخاطب بان يكون باللام فاصل اضرب لتضرب لكنهم حذفوا اللام فى امر المخاطب لكثرة استعماله كما حذفوا حرف المضارعة ايضا لذلك تخفيفا ثم ادخلوا همزة الوصل احترازا عن الابتدآء بالساكن وهذا معنى قول المصنف على الاصل المرفوض ﴿قوله﴾ وقرأ ابن عامر تجمعون ﴿﴾ بتاء الخطاب على انه خطاب للناس الذين خوطبوا بقوله يا ايها الناس قد جاءتكم وهم كفار مكة خاطبهم ثم قال لهم فبذلك فليفرح المؤمنون وانه خير مما تجمعون ايها الكفار والباقون بياء الغيبة على وفق فليفرحوا الا ان يفرحوا مسند الى ضمير المؤمنين ويجمعوا مسند الى ضمير الكفار او كلاهما مسند الى ضمير الكفار ﴿قوله﴾ جعل الرزق منزلا ﴿﴾ اى من السماء مع ان الارزاق انما تخرج من الارض اما لانه مقدّر فى السماء كما قال تعالى وفى السماء رزقكم ولا يخرج من الارض الا على حسب ماقدر فيها فصار ذلك كانه منزل منها او لانه انما يخرج من الارض باسباب متعلقة بالسماء كالمطر والشمس والقمر فان المطر سبب الاتيان والشمس سبب النضج والقمر سبب التلوّن ووجه اتصال الآية بماقبلها انه تعالى اثبت اوّلا نبوّته صلى الله عليه وسلم واجاب عن شبه اهل مكة فى انكار نبوّته واتبع ذلك شأن فساد طريقتهم فى شرآئعهم وبين ان التمييز بين هذه الاشياء بتحليل بعضها وتحريم البعض الآخر مع انه لم يشهد بذلك عقل ولا نقل فرق باطل ومنهج فاسد والمقصود ابطال مذاهب القوم فى اديانهم وفى احكامهم وانهم ليسوا على شئ فى باب من الابواب ﴿قوله﴾ وما فى موضع النصب بانزل او بارأيتم ﴿﴾ يريد ان كلمة ما يجوز ان تكون موصولة بمعنى الذى منصوبة على انه مفعول اوّل لارأيتم والعائد محذوف والتقدير اخبرونى ماانزل الله ومفعوله الثانى هو قوله آلله اذن لكم والعائد من هذه الجملة الى المفعول الاوّل محذوف تقديره آلله اذن لكم فيه *فان قيل قوله تعالى قل يمنع من كون الجملة بعده مفعولا ثانيا *والجواب ان كلمة قل فى قوله تعالى قل آلله اذن لكم هى قل المذكورة اوّلا كرّرت للتأكيد لانه لو حذف من الكلام وقيل قل ارأيتم ماانزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا آلله اذن لكم فيه يتم الكلام بدونه فعلم بذلك انها انما ذكرت للتأكيد فلا تمنع كون مابعدها معمولا لماقبلها ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة المحل بانزل وهى حينئذ تكون متعلقة لارأيتم وتكون سادّة مسدّ المفعولين والمعنى اخبرونى اىّ شئ انزل الله من رزق فبعضتموه والمقصود الانكار لتجزئتهم الرزق ﴿قوله﴾ ويجوز ان تكون المنفصلة ﴿﴾ اراد قوله آلله اذن لكم فانه قد انفصل من قوله ارأيتم بتخلل كلمة قل بينهما يريد انه قد سبق عليه شيئان احدهما ارأيتم والآخر قل فجاز فى قوله قل آلله اذن لكم امران الاوّل ان يكون متعلق الاستخبار ومفعوله والثانى ان يكون متعلق القول ومقوله فان علق بارأيتم فلابدّ ان تكون الهمزة فى آلله للاستخبار وتكون ام متصلة *فان قيل الهمزة وام المتصلة سؤال عن تعيين احد الامرين وذلك يقتضى ان يكون كل واحد من الامرين محتملا ومن المعلوم انتفاء الاذن من الله تعالى فتعين كونهم مفترين على الله فكيف يسأل عن تعيين احدهما *اجيب بان هذا السؤال ليس لطلب العلم بل هو للوعيد ولطلب الاقرار منهم على الافتراء والزام

وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قدجاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اى فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشئ فبهما فليفرحوا والربط بماقبلها والدلالة على ان مجيئ الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله واذا هلكت فعند ذلك فاجزعى *وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روى مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا ﴿هو خير مما يجمعون﴾ من حطام الدنيا فانها الى الزوال قريب وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون ﴿قل ارأيتم ماانزل الله لكم من رزق﴾ جعل الرزق منزلا لانه مقدّر فى السماء محصل باسباب منها وما فى موضع النصب بانزل او بارأيتم فانه بمعنى اخبرونى ولكم دل على ان المراد منه ماحل ولذلك وبخ على التبعيض فقال ﴿فجعلتم منه حراما وحلالا﴾ مثل هذه انعام وحرث حجر ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرّم على ازواجنا ﴿قل آلله اذن لكم﴾ فى التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ﴿ام على الله تفترون﴾ فى نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بارأيتم وقل مكرر للتأكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترآئهم على الله ﴿وما ظنّ الذين يفترون على الله الكذب﴾

اى شئ ظنهم ﴿ يوم القيامة ﴾ ايحسبون ان لايجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه الوعيد تهديد عظيم ﴿ ان الله لذو فضل على الناس ﴾ حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ﴿ ولكن اكثرهم لايشكرون ﴾ هذه النعمة ﴿ وماتكون فى شأن ﴾ ولا تكون فى امر واصله الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت قصدة والضمير فى ﴿ وماتتلو منه ﴾ له لان تلاوة القرآن معظم شأن الرسول عليه الصلاة والسلام اولان القرآءة تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو ﴿ من قرآن ﴾ على ان من تبعيضية او مزيدة لتأكيد النفى او للقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ﴿ ولاتعملون من عمل ﴾ تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص مافيه فخامة وذكر حيث عم مايتناول الجليل والحقير ﴿ الا كنا عليكم شهودا ﴾ رقباء مطلعين عليه ﴿ اذتفيضون فيه ﴾ تخوضون فيه وتندفعون ﴿ ومايعزب عن ربك ﴾ ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائى بكسر الزاى هنا وفى سبأ ﴿ من مثقال ذرّة ﴾ موازن نملة صغيرة اوهباء ﴿ فى الارض ولا فى السماء ﴾ اى فى الوجود والامكان فان العامة لاتعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام فى حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها ﴿ ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين ﴾ كلام برأسه مقرّر لماقبله ولانافية واصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرأ حزة ويعقوب بالرفع على الابتدآء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرّة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ ﴿ الا ان اولياء الله ﴾ الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة ﴿ لاخوف عليهم ﴾ من لحوق مكروه ﴿ ولاهم يحزنون ﴾ بفوات مأمول والآية كجمل فسره قوله ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه ﴿ لهم البشرى فى الحياة الدنيا ﴾ وهو مابشر به المتقين فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم

الحجة عليهم فلامحذور وان علق بقل جاز ان تكون ام متصلة وهو ظاهر والتقدير قل آلله اذن لكم فى التحليل والتحريم وانكم تفعلون ذلك بحكمه ام تكذبون على الله فى نسبة ذلك اليه وان تكون منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله والهمزة للانكار على انه تعالى قرّر عليهم تحليله وتحريمه اوّلا ثم انكر عليهم ان يكون ذلك باذن الله تعالى ثم اضرب عنهم وقرّر افتراءهم ﴿ قوله اى شئ ظنهم ﴾ اشارة الى ان ما استفامية فى محل الرفع على الابتدآء وظن خبرها ويوم منصوب بنفس الظن والمصدر مضاف الى فاعله ﴿ قوله ولاتكون فى امر ﴾ اشارة الى ان ما نافية وان الشأن بمعنى الامر ويجمع على شؤون ويكون الشأن بمعنى الحال ايضا ويقال ماشأن فلان بمعنى ماحاله وفى شأن خبر تكون والضمير فى منه راجع الى الشأن اما على تقدير ماتتلو حال كون القرآءة بعض شؤونك واما ان يحمل الكلام على حذف المضاف تقديره وما تتلو من اجل الشأن بان يحدث لك شأن تتلو القرءآن من اجله كقوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا اى من اجل خطيئاتهم ﴿ قوله او للقرءآن ﴾ اى ويكون ضمير منه للقرءآن فتكون من تبعيضية والتى فى قوله من قرءآن زآئدة فى سياق النفى واطلق القرءآن على بعضه لان كل جزء منه قرءآن وهو اسم للقدر المشترك بين الكل والجزء وان قلنا ان ضمير منه لله عزوجل تكون من ابتدآئية ولما اوعد الله الذين يفترون على الله الكذب بعذاب يوم القيامة بين كون علمه محيطا بعمل كل واحد من المطيعين والعصاة والمذنبين والخطاب وان خص به صلى الله عليه وسلم بحسب الظاهر الا ان الامّة داخلون فيه لان رئيس القوم اذا خوطب دخل قومه فى ذلك الخطاب كما فى قوله تعالى يأيها النبى اذا طلقتم النساء وقوله تعالى الا كنا عليكم شهودا جلة حالية وهو استثناء مفرّغ اى مايكون شئ مما ذكر فى حال من الاحوال الا فى حال كوننا مشاهدين مطلعين عليه وقوله اذتفيضون ظرف معمول لشهوداً والافاضة الدخول فى العمل يقال افاض القوم فى العمل اذا اندفعوا فيه وافاضوا من عرفة اذا دفعوا منها لكثرتهم ﴿ قوله موازن نملة صغيرة اوهباء ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى من مثقال ذرّة فاعل يعزب وكلمة من فيه زآئدة وان الذرّة عبارة عن النملة الصغيرة اوالهباء وان مثقالها عبارة عما يوازنها ويساويها فى الثقل ﴿ قوله كلام برأسه ﴾ اى غير معطوف على ماقبله لانه لو عطف على محل من مثقال ذرّة فكان مرفوع المحل على انه فاعل يعزب ومن مزيدة فيه كما فى قولك ماجاءنى من احد اوعلى لفظ مثقال ذرّة او على لفظ ذرّة فكان فتح اصغر واكبر مع كونهما فى موضع الجرّ لعدم انصرافهما لوزن الفعل والصفة لكان المعنى لايعزب عنه مثقال ذرّة ولا اصغر شئ من ذلك ولا اكبر فى حال من الاحوال الا فى حال كونه فى كتاب وهو اللوح او علمه تعالى فاما مافى الكتاب من مثقال الذرة وماهو اصغر منه او اكبر فانه يعزب عنه ولاشك ان كون الشئ الذى فى الكتاب خارجا عن علم الله تعالى عازبا عنه باطل ومحال فلذلك جعله كلاما برأسه بان جيئ به لتقرير ماقبله وجعل لانافية للجنس واصغر واكبر اسمها فهما مبنيان على الفتح على قرآءة الجمهور وقرأ حزة ويعقوب برفع رآء اصغر واكبر اما عطفا على محل مثقال ذرة واما على الابتدآء ليكون كلاما برأسه * ولما ورد ان يقال ان كثيرا من القرآء جعلوا قوله تعالى ولا اصغر ولا اكبر على قرآءة الجمهور معطوفا على المجرور وجعلوا صورة الفتح جرّ غير المنصرف وجعلوه على قرآءة حزة معطوفا على محل الجار والمجرور فهم كيف يتخلصون من لزوم فساد المعنى حينئذ * اجاب عنه بقوله ومن عطف جعل الاستثناء منقطعا والمعنى لايعزب عنه شئ ولكن جميع الاشياء فى كتابه وقال ابو شامة يزول الاشكال بان يقدّر قبل قوله الا فى كتاب ليس شئ من ذلك اى ليس شئ من ذلك الا فى كتاب مبين ثم انه تعالى لما عمم وعده ووعيده فى حق كافة من اطاع وعصى فى الآية السابقة اتبعه بشرح اولياءه المخلصين فقال الا ان اولياء الله ﴿ قوله يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة ﴾ اى يتقرّبون اليه ويتقرّب هو تعالى اليهم فان الولى القرب وولى كل شئ هو الذى يكون قريبا منه والقرب من الله تعالى بحسب المكان والجهة محال بل القرب منه انما يكون بطاعته والاستغراق فى معرفته بحيث اذا رأى رأى دلائل قدرته واذا سمع سمع آياته واذا نطق نطق بالثناء عليه واذا تحرّك تحرّك فى خدمته واذا اجتهد اجتهد فى طاعته فبهذه الحيثية يكون فى غاية القرب منه تعالى ويكون ولياً له عزوجل فيكون الله تعالى وليه ايضا كما قال الله ولى الذين آمنوا لان القرب لايكون الامن الجانبين واليه اشار المصنف بقوله يتولونه ويتولاهم والخوف انما يكون من حدوث شئ من المكاره فى المستقبل والحزن انما يكون من تحقق شئ مما يكرهه فى الماضى او من فوت شئ احبه فيه ﴿ قوله والاية كجمل ﴾ لان قوله اولياء الله عنوان مجمل لم يتبين فيه جهة قربهم من الله تعالى فخفى المراد منه وقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون سوآء كان

ومايريهم فى الرؤيا الصالحة ومايسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عندالنزع ﴿وفى الآخرة﴾ بتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان
لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب اوالرفع على المدح اوعلى وصف الاولياء اوعلى الابتدآء وخبره لهم البشرى ﴿لاتبديل لكلمات الله﴾

منصوبا على انه صفة للاولياء اومنصوبا على المدح اومرفوعا على الابتدآء يفسر و يبين جهة قربهم منه تعالى
وهى ايمانهم وخوفهم من المقام بين يدى الله تعالى كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما يريد بهم الذين صدقوا
النبى صلى الله عليه وسلم وخافوا مقامهم بين يدى الله تعالى فكان بيانا لما اجمل اوّلا والفرق بين كونه تفسيرا
للمراد من اولياء الله و بين كونه بيانا لتوليهم لربهم ظاهر لان الاوّل لايستلزم الثانى والثانى يستلزم الاوّل
﴿قوله ومايريهم فى الرؤيا الصالحة﴾ روى ان عبادة بن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذه
البشرى التى ذكرها الله تعالى بقوله لهم البشرى فى الحياة الدنيا فقال صلى الله عليه وسلم *الرؤيا الصالحة يراها الرجل
اوترى له* قال الامام اذا حملنا قوله تعالى لهم البشرى على الرؤيا الصادقة فظاهر هذا النص يقتضى انه لاتحصل
هذه الحالة الآ لاولياء الله تعالى والفعل ايضا يدل عليه وذلك لان ولىّ الله هو الذى يكون مستغرق القلب
والروح بذكر الله تعالى ومن كان كذلك فانه عند النوم لايبقى فى روحه الا معرفة الله تعالى ومن المعلوم
ان معرفة الله تعالى ونور جلال الله لايفيد الا الحق والصدق واما من يكون متوزع الخاطر على احوال هذا العالم
الكدر المظلم فانه اذا نام كذلك فلا يبقى الا جرم خال من ذلك النور فانه لااعتماد على رؤياه وعنه صلى الله عليه وسلم
ذهبت النبوّة و بقيت المبشرات *وعنه صلى الله عليه وسلم *الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان واذا حلم احدكم
حلما يخافه فليتعوّذ وليبصق عن شماله ثلاث مرات فانه لايضرّه *قيل اذا رأى احدكم مايحزنه فليقل اعوذ
بما عاذت به ملائكة الله من شرّ الرؤيا التى رآها ان تضرّ فى دنياى وفى آخرتى وعنه صلى الله عليه وسلم* الرؤيا الصالحة
التى يبشرها المؤمن جزء من ستة واربعين جزأ من النبوّة فمن رأى شيئا من ذلك فليخبر بها ومن رأى سوى ذلك فانما
هى من الشيطان ليحزنه بها فلينفث عن يساره ثلاث مرات وليسكت ولايخبر بها احدا * ﴿قوله وبشرى الملائكة
عند النزع﴾ قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولاتحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون
﴿قوله وليس من شرطه ان يقع بعده كلام متصل بماقبله﴾ جواب عما يقال كل واحدة من الجملتين كيف تكون
اعتراضا والاعتراض انما يكون فى اثناء الكلام او بين كلامين متصلين لافى آخرهما وقد انقطع الكلام عندهما *وتقرير
الجواب ان ماذكر كلام اكثرى لاكلى فانه لايجب ان يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق
ابلج وتسكت وحدث لى حادث والحوادث جمة وتسكت ومن شرط ذلك فهو تذنيب لا اعتراض
﴿قوله وتهديدهم﴾ فانه تعالى لما ابطل جميع شهاداتهم المتعلقة بالبطلان فى النبوّة وعدلوا الى طريق آخر
فى القدح فى امره صلى الله عليه وسلم وهو انهم هدّدوه وخوّفوه بانهم اصحاب اموال واتباع فنسعى فى قهرك وفى ابطال
امرك اجاب تعالى عن طريقتهم بقوله ولايحزنك قولهم ﴿قوله من الملائكة والثقلين﴾ بيّنه بهما لان كلمة
من فى السموات والارض مختصة بالعقلاء كانه قيل فمن يتعزز عليك بكثرة اتباعه واموالهم فهو متعزز بما ليس له
لان الموجودات كلها لله تعالى فمن استعان بها عليك فقل امره الى الذل والهوان لانه تعالى قادر على ان يسلب منهم
تلك الاشياء وينصرك عليهم وينفد اموالهم وديارهم ﴿قوله اى شركاء على الحقيقة﴾ اشارة الى ان ما نافية وشركاء
مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لانفهامه بمعونة المقام والتقدير مايتبع الذين يدعون الهة من دون الله شركاء
لان شركة الله تعالى فى الربوبية محال فالهة مفعول يدعون وشركاء مفعول يتبع ﴿قوله ويجوز ان تكون
ما استفهامية﴾ بمعنى الانكار والتوبيخ فيكون شركاء منصوبا بيدعون والمعنى اى شئ يتبع المشركون اى مايتبعونه
ليس بشئ ﴿قوله وقرئ تدعون﴾ بتاء الخطاب من المشركين على ان يحمل ومايتبع على الاستفهام كما صوّره
من المعنى ﴿قوله اويخرصون﴾ عطف على يكذبون ويقدرون تفسير ليخرصون فان الخرز التقدير يعنى ان
الخرص مشترك بين معنيين الخرز والكذب يقال خرص يخرص خرصا اى كذب وهو من باب نصر والخراص الكذاب
﴿قوله وانما قال مبصرا﴾ يعنى ان المبصر هو الذى يبصر والنهار لايبصر بل يبصر فيه وكان الظاهر ان يقال
لتبصروا فيه كما فى الليل لتسكنوا فيه فعدل عن هذا الظاهر واسند الابصار الى الظرف مجازا على طريق نهاره
صائم وليله قائم ونكتة العدول الى الاسناد المجازى ماذكره من التفرقة فنص على ظرفية ماهو مجرّد حيث قال
لتسكنوا واسند الابصار الى ماليس ظرفا مجرّدا ولم يصرّح بظرفيته له تنبيها على انه ليس بظرف مختص بل هو
لكونه ذا ضياء سبب لابصار اسباب المعاش قيل هذه الآية فى غاية الفصاحة حيث حذف من كل جملة ماثبت
فى الاخرى فانه تعالى ذكر علة جعل الليل مظلما وهى قوله لتسكنوا فيه وحذفها من جعل النهار مبصرا

لاتغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ﴿ذلك﴾ اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين ﴿هو الفوز العظيم﴾ هذه الجملة والتى قبلها
اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ﴿ولايحزنك قولهم﴾ اشراكهم
وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ﴿ان العزة لله جميعا﴾ استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة
بالفتح كانه قيل لاتحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لايملك غيره شيأ منها فهو
يقهرهم وينصرك عليهم ﴿هو السميع﴾ لاقوالهم ﴿العليم﴾ بعزماتهم فيكافيهم عليها
﴿الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض﴾ من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم
اشرف الممكنات عبيدا لايصلح احد منهم للربوبية فالايعقل منها حق ان لايكون له ندّا
وشريكا فهو كالدليل على قوله ﴿ومايتبع الذين
يدعون من دون الله شركاء﴾ اى شركاء على
الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز
ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع
محذوف دل عليه ﴿ان يتبعون الا الظن﴾
اى مايتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم
انها شركاء ويجوز ان تكون ما استفهامية
منصوبة بيتبع اوموصولة معطوفة على
من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واى شئ
يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة
والنبيين اى انهم لايتبعون الا الله ولا يعبدون
غيره فالكم لاتتبعونهم فيه لقوله اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون
الزاما بعد برهان وما بعده مصروف
عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم
﴿وان هم الا يخرصون﴾ يكذبون فيما
ينسبون الى الله اويحزرون ويقدرون
انها شركاء تقديرا باطلا ﴿هو الذى
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
مبصرا﴾ تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته
المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرّده باستحقاق
العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا
فيه تفرقة بين الظرف المجرّد والظرف
الذى هو سبب ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم
يسمعون﴾ سماع تدبّر واعتبار ﴿قالوا اتخذ الله ولدا﴾ اى تبناه ﴿سبحانه﴾ تنزيه له عن التبنى فانه لايصح الا ممن يتصوّر له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء

﴿ وفى الآخرة ﴾ فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم فى الموقف ولا يدهشهم اهوال يوم القيامة روى انه عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره فيقولان له من ربك ومادينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴿ ويضل الله الظالمين ﴾ الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون فى مواقف الفتن ﴿ ويفعل الله مايشاء ﴾

من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه ﴿ الم تر الى الذين بدّلوا نعمة الله كفرا ﴾ اى شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدّلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما هم الاقجران من قريش بنوا المغيرة وبنوا امية فاما بنوا المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنوا امية فمتعوا الى حين ﴿ واحلوا قومهم ﴾ الذين شايعوهم فى الكفر ﴿ دار البوار ﴾ دار الهلاك بحملهم على الكفر ﴿ جهنم ﴾ عطف بيان لها ﴿ يصلونها ﴾ حال منها اومن القوم اى داخلين فيها مقاسين حرها او مفسر لفعل مقدّر ناصب لجهنم ﴿ وبئس القرار ﴾ اى وبئس المقرّ جهنم ﴿ وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله ﴾ الذى هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو وورش عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم فى اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض ﴿ قل تمتعوا ﴾ بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التى يتمتع بها وفى التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله ﴿ فان مصيركم الى النار ﴾ وان المخاطب لانهما كه فيه كالمأمور به من آمر مطاع ﴿ قل لعبادى الذين آمنوا ﴾ خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف دل عليه جوابه اى قل لعبادى الذين آمنوا اقيموا الصلاة وانفقوا ﴿ يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم ﴾ فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدّر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن فى قوله

لم اقدر على الفلك فاحاطوا به فى منامه وشدّوه كذلك وألقوه من قصر الملك فهلك واما اصحاب الاخدود فقد روى مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان فى طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى فى طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعده يبرئ الاكمه والابرص ويشفى من الادواء وعمى جليس الملك فابرأه فسأله الملك من ابرأك فقال ربى فغضب الملك فدل على الغلام فغربه فعز على الراهب فقده فدما فهلك من معه ونجا فاجلسه فى سفينة ليغرق فدما فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس وتصلبنى وتأخذ سهما من كنانتى وتقول باسم رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع السهم فى صدغه فمات فآمن الناس فامر باخاديد اوقد فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست فقال الصبى امّاه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت

﴿ قوله فلا يتلعثمون ﴾ اى لا يتمكثون يقال تعلثم الرجل فى كلامه اذا تمكث فيه وتأنى ﴿ قوله اى شكر نعمته ﴾ قدّر المضاف لان الكفر المذكور بجنب النعمة يراد به الكفران ومقابله الشكر واعلم ان بدّل تتعدّى الى مفعولين الى اوّلهما بنفسه والى ثانيهما بواسطة الباء وان المجرور بالباء هو المتروك والمنصوب هو الحاصل المختار وقد يحذف حرف الجرّ فيتعدّى الفعل اليهما بنفسه كما فى هذا المقام والمجرور بالباء ههنا هو النعمة لانها هى المتروكة والذى تعدّى الفعل اليه بنفسه هو الكفران فهو المفعول الاوّل ﴿ قوله واحلوا قومهم وقوله وجعلوا لله اندادا ﴾ معطوفان على الصلة وهى قوله بدّلوا نعمة الله وصفهم اوّلا باشار كفران نعم الله تعالى على شكرها وثانيا بانهم اضلوا قومهم وحملوهم على الكفر الذى اداهم الى جهنم وثالثا بانهم جعلوا لله المستجمع لجميع صفات الكمال اشباها وشركاء والمراد من هذا الجعل الحكم والاعتقاد والقول واللام فى ليضلوا سوآء قرئ بفتح الياء او ضمها لام العاقبة لان كل واحد من الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد وعاقبته ﴿ قوله وفى التهديد بصيغة الامر ﴾ لما كانت صيغة الامر موضوعة لطلب الفعل ولو على طريق الندب والاباحة وكان التمتع بالشهوات غير مطلوب بوجه مّا فضلا عن ان يكون وسيلة الى مطلوب آخر وهو كون المصير الى النار جعل المصنف صيغة الامر للتهديد كقول الطبيب للمريض الذى خالف امره بترك الاجتناب عما يضرّه بعد ما امره الطبيب به مرات كل ماشئت فان مصيرامرك الى الموت يريد به التهديد ليرتدع المريض عما هو عليه ويقبل قول الطبيب فكذلك الله تعالى ترك الكفار وخلاهم وانفسهم قائلا تمتعوا والمقصود ردعهم عن تلك الحالة ثم بين ان فائدة تخصيص صيغة الامر لتأدية معنى التهديد امران الاوّل ان ترتب المهدّد عليه على المهدّد به ايذان باستعارة تمثيلية شبه حال المخاطب فى انهماكه فى التمتع المؤدّى الى النار بحال من امر بالتمتع من قبل الآمر المطاع الذى ليس فى وسع المخاطب مخالفته فاطلق فى حقه العبارة الواقعة فى حق المشبه به فقيل فى تهديده تمتعوا والثانية ايذان بان كل واحد من المهدّد عليه وبه واقع لا محالة بحيث يترتب الثانى على الاوّل ﴿ قوله ويجوز ان يقدّر بلام الامر ﴾ عطف على قوله ومقول قل محذوف اى ويجوز ان لا يكون مقوله محذوفا بان يحتمل ان يكون يقيموا وينفقوا مجزومين بلام الامر المقدّرة ويكون التقدير ليقيموا ولينفقوا ليصح كونهما مقولى القول كما تقول قل لزيد يضرب عمرا فانه قد يحذف الجازم ويبقى عمله ولما * ورد ان يقال كيف يجوز حذف لام الامر مع ان اهل اللغة وضعوا لام المخاطب صيغة مخصوصة وعينوا لام الامر للدلالة على ان المأمور ليس بمخاطب فلا يجوز ان يقال يضرب زيد ويراد امر زيد بالضرب لان المعانى انما تستفاد من الالفاظ الموضوعة للدلالة عليها وعند حذف الدليل كيف ينتقل الذهن الى المدلول * اجاب عنه بقوله وانما حسن ذلك اى انما حسن حذف لام الامر فى هذه الآية مع انه لا يحسن حذفها فى نحو قول الشاعر

* محمد تفد نفسك كل نفس * اذا ماخفت من امر تبالا *

لدلالة قل عليه اى على ان المراد امر الغائب يعنى حسن حذف لام الامر هنا لقيام ما يقوم مقامها فى الدلالة على ان المراد امر غير المخاطب وهو قوله قل فانه امر للمبلغ الحاضر فهو يدل على ان المأمور بقوله يقيموا وينفقوا غير المخاطب فيكون قائما مقام اللام فى الايذان بان الامر لغير المخاطب فحسن حذف لام الامر فيه وفى قوله ويجوز اشارة الى ضعفه لان حذف الجازم وابقاء عمله نادر كحذف الجار فالمختار هو الوجه الاوّل وهو ان يكون يقيموا وينفقوا مجزومين على انهما جواب قوله قل ويدلان على مقوله المحذوف والمعنى قل لهم اقيموا الصلاة وأنفقوا

* محمد تفد نفسك كل نفس * اذا ماخفت من امر تبالا * لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لابدّ من مخالفة مابين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا

فانك ان تقل لهم ذلك يقيموا الصلاة وينفقوا لفرط مطاوعتهم اياك وضعف وجه ان يكونا مجزومين على انهما جواب اقيموا وانفقوا المحذوفين والتقدير اقيموا وانفقوا يقيموا وينفقوا ووجه ضعفه امران الاول ان جواب الشرط لا بدّ ان يخالف نفس الشرط اما فى الفعل او فى الفاعل او فيهما ولا يجوز كونه مثل الشرط فى الفعل والفاعل كقولك قم تقم والتقدير على هذا الوجه ان يقيموا وان ينفقوا ولا وجه له والامر الثانى انهما على تقدير كونهما جواب المقول المقدّر يكون من قبيل اسلم يسلم فى ان يجاب امر المخاطب بلفظ الغيبة وهو انما يجوز اذا كان فاعل الشرط غير فاعل الجزآء واما اذا اتحدا كما فى قولك اسلم تسلم او كان محكيا به كما فى مانحن فيه فحينئذ يجوز ان يجاب بلفظ الغيبة كما تقول قل لعبدى اطعنى يطعك ﴿قوله﴾ اى انفاق سرّ وعلانية ﴿﴾ على الاضافة البيانية فان كل واحد من السرّ والعلانية لما كان نوعا من الانفاق جاز وقوعه موقع الانفاق ﴿قوله﴾ اى ذوى سرّ ﴿﴾ وهو احد التأويلات الثلاثة المذكورة فى رجل عدل ويجوز فيه التأويلان الآخران ايضا وهما ان يجعلوا نفس السرّ والعلانية مبالغة وان يقام سرّا وعلانية مقام مسرّين ومعلنين ﴿قوله﴾ فيبتاع المقصر مايتدارك به تقصيره ﴿﴾ اشارة الى ان فائدة تقية الانفاق مقبولة من قبل ان يأتى يوم لاتقدرون فيه على تدارك مافاتكم من الانفاق لانه لابيع فيه حتى يبتاع ماتنفقونه ولاخلة حتى يسامح اخلاؤكم به اى بما تنفقونه وقوله اويفدى به نفسه عطف على قوله يتدارك به اى ليس فيه بيع حتى يبتاع مايعطيه فداء لنفسه فيخلصها من العذاب وليس فيه مخالة ومصافاة حتى يشفع خليل لخليله فينجيه من العذاب ﴿قوله﴾ اومن قبل ان يأتى يوم لاانتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة ﴿﴾ لما كان اهل الدنيا ينتفعون بالانفاق الواقع فى عقد المعاوضات بان يعطوا شيأ من المال ليأخذوا ما يرغبون فيه عوضا عنه وفى عقد التبرعات الواقعة بين الاصدقاء على طريق المهاداة بان يعطوا شيأ على وجه الهدية ليستخيروا بذلك ماهو خير منه فى حب الله تعالى اى الانفاق الواقع لوجه الله تعالى بان يشارك فى المنفعة التى تترتب على هذا الانفاق الواقع فى عقد المعاوضة والمهاداة فالنفى بقوله تعالى لابيع فيه ولاخلال هو غايتهما ومنفعتهما المترتبة عليهما فعلى هذا المقصود من الآية الحث على الانفاق الواقع فى عقد المبايعة ومهاداة الاخلاء ونفى الانتفاع فى ذلك اليوم بهما كناية عن الانتفاع بمقابلهما ومحصول المعنى على الوجه الاول ان الانفاق امر مطلوب فى نفسه فليغتنموه قبل ان يفوت وقت هذا المطلوب ولايدركه الطالب وعلى الثانى ان الانفاق الذى يتصوّر منكم فى الدنيا يكون على ثلاثة اوجه لاتنتفعون بشئ منها فى الآخرة الا ان يكون على الوجه الثالث والخلال المخالة وهى المصاحبة والمصادقة يقال خالته خلالا ومخالة وقيل الخلال جمع خلة كبرمة وبرام فان قيل كيف نفى المخالة فى هذه الآية مع انه تعالى اثبتها فى قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ الا المتقين فالجواب ان الآية الدالة على نفى المخالة محمولة على المخالة بمثل ميل الطبيعة ورغبة النفس والآية الدالة على حصول المخالة محمولة على المخالة بسبب عبودية الله ومحبة الله ثم انه تعالى لما ذكر احوال السعدآء واحوال الاشقياء وكانت معرفة احوالهما منوطة بمعرفة الصانع بذاته وصفاته ختم وصف احوالهما بذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته وذكر ههنا عشرة انواع من الدلائل وهى خلق السموات وخلق الارض واخراج الثمرات بسبب انزال الماء من السماء وتسخير الفلك لتجرى فى البحر وتسخير الانهار وتسخير الشمس وتسخير القمر وتسخير الليل وتسخير النهار واعطاء البعض من جميع مايطلبه فانه كما بينها بهذه الدلائل الدالة على سلطانه وقدرته حيث سخر هذه الاشياء مع شدّتها وصلابتها وعظمها واهوالها وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض ذكرنا ايضا نعمه التى انعمها علينا اذ تسخير هذه الاشياء منادى بذلك ﴿قوله﴾ وانزل من السماء ماء ﴿﴾ فيه قولان الاول ان الماء ينزل من السحاب وسمى السحاب سماء للاشتقاق من السمو والارتفاع والثانى انه ينزل من نفس السماء وهو بعيد لان الانسان ربما يكون واقفا على جبل عال ويرى الغيم اسفل منه فاذا نزل من ذلك الجبل يرى الغيم ماطرا عليه واذا كان هذا مما يشاهد بالبصر كان النزاع فيه انكارا للمحسوس ولفظ الثمرات يطلق فى الاغلب على ماتحصل من الاشجار ويطلق ايضا على الزروع والنباتات ﴿قوله﴾ تعيشون به ﴿﴾ اشارة الى ان الاضافة الى الله فى انتفاع التعيش معتبرة فى مفهوم الرزق فان الرزق عند الاشاعرة اسم لما يسوقه الله تعالى الى الحيوان ليتنفع به سواء كان بالتغذى اوبغيره مباحا كان اوحراما مملوكا كان اوغير مملوك وهذا التفسير اجل من تفسيره بما يسوقه الله الى الحيوان ليأكله لاختصاصه بالمأكول ومن تفسيره بما يتغذى به الحيوان لذلك ولخلوّه عن معنى الاضافة الى الله مع انه معتبر

(فى مفهوم)

﴿ سرّا وعلانية ﴾ منتصبان على المصدر اى انفاق سرّ وعلانية اوعلى الحال اى ذوى سرّ وعلانية اوعلى الظرف اى وقتى سرّ وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوّع به ﴿من قبل ان يأتى يوم لابيع فيه﴾ فيبتاع المقصر مايتدارك به تقصيره اويفدى به نفسه ﴿ولاخلال﴾ ولامخالة فيشفع لك خليل اومن قبل ان يأتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفى العام ﴿ الله الذى خلق السموات والارض ﴾ مبتدأ وخبر ﴿وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم﴾ تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج فى معنى رزق ﴿وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره﴾ بمشيئته الى حيث توجهتم

فى مفهوم الرزق وعند المعتزلة الحرام ليس برزق لانهم فسروه تارة بما يؤكل يأكله المالك وتارة بما لا يمنع من الانتفاع به وذلك لا يكون الا حلالا ويلزم على التفسير الاوّل ان لا يكون ما يأكله الدواب رزقا وعلى التفسيرين يلزم ان من اكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى اصلا ﴿قوله﴾ فجعلها معدّة لانتفاعكم ﴿﴾ يعنى ان الاصل فى التسخير تذليل الحيوان بجعله منقادا لما اريد منه وهو فى غير الحيوان مجاز عن جعله معدّا لان ينتفع به من يريد الانتفاع به فيصير بذلك كأنه حيوان مسخر للانتفاع ﴿قوله﴾ يدأبان ﴿﴾ اى يدأبان ويستمران ويعبران ابدا فيما يسند اليهما من الافعال يقال دأب فلان فى عمله دؤوبا اى جدّ وتعب ﴿قوله﴾ ان المسئول فى الاوّل ازالة الخوف ﴿﴾ لا جعله بلدا آمنا لان هذا فى قوله هذا البلد آمنا اشارة الى البلد والمشار اليه لابدّ ان يكون موجودا فى وقت الاشارة وهو وقت الدعاء فتكون البلدية موجودة وقت الدعاء فلا تكون داخلة تحت الطلب وانما المطلوب صفة الامن وانما لا تكون مادّة البلد داخلة تحت الطلب لانه طلب تحصيل الحاصل واذا قلت اجعل هذا بلدا آمنا لا يكون المشار اليه بهذا البلد بل يكون المشار اليه موضعا معينا والمعنى اجعل هذا الموضع بلدا آمنا وطلب جعله من الآمنة لا يستلزم ان يكون فى وقت الدعاء بلدا بل يجوز ان لا يكون بلدا ويكون المسئول ان يجعله بلدا موصوفا بالامن ويجوز ان يكون بلدا والمسئول مجرّد صفة الامن كما يقال كن رجلا فقيها فانه يكون المطلوب مجرّد الاتصاف بالفقاهة وذكر رجل للتصريح بالذات التى يجرى عليها الاسم المشتق وهو الفقيه ثم ان كان الدعاء واحدا وعبر عنه بعبارتين مختلفتين فلابدّ ان يحمل ما فى سورة البقرة على ما فى هذه السورة ويجعل المطلوب صفة الامن فقط وان تعدّد الدعاء يجوز ان يكون اجعل هذا بلدا آمنا فى وقت عدم تحقق البلدية ويكون المطلوب البلدية مع صفة الامن فقط قال صاحب الكشف فى تحقيق المقام انه اذا قلت اجعل هذا خاتما حسنا فقد اشرت الى المادّة وسألت ان يسبك منها خاتما حسنا واذا قلت اجعل هذا الخاتم حسنا فقد عمدت نحو الحسن دون الخاتمية وذلك لان محط الفائدة هو المفعول الثانى الكائن بمنزلة الخبر ثم قال وفيه ان المصنف قدّر فى البقرة هذا البلد بلدا آمنا فلا يلوح فرق والجواب ان المسئول البلدية مع الامن فقوله فى التقدير هذا البلد اشارة الى الحاضر فى الذهن لا الى الكائن فى الخارج بخلاف ما نحن فيه ﴿قوله﴾ وقرئ وأجنبنى ﴿﴾ بقطع الهمزة يقال جنبه شرا وأجنبه شرا ثلاثيا ورباعيا وهى لغة نجد وجنبه شرا مشدّدا وهى لغة الحجاز ﴿قوله﴾ وهو بظاهره لا يتناول احفاده ﴿﴾ اى اولاد اولاده جمع حافد وهو ولد الولد يعنى ان قوله وبنىّ اراد به بنيه من صلبه لان الظاهر من الآية انه عليه الصلاة والسلام اراد بنيه من غير واسطة ولو صح فاين دليل الاجابة حتى يستدل بقوله واجنبنى وبنىّ على ان احدا من احفاده لم يعبد الصنم مع ان قوله تعالى لا ينال عهدى الظالمين يدل على ان فيهم من هو كذلك وايضا قد حكى الله تعالى عن قريش عبادتهم الاصنام فى مواضع من القرآن ولا يقبل التعليل فى مقابلة النص لان حفدته لو دخلوا فى دعائه عليه الصلاة والسلام لما اشرك احد منهم مع ان كفار قريش كانوا من حفدته ثم انهم كانوا يعبدون الاصنام بناء على انه تعالى لا يردّ دعاء الانبياء * قال الامام فى هذه الآية اشكال من وجوه احدها ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام دعا به ان يجعل مكة بلدا آمنا وما قبل الله دعاءه لان جماعة خربوا الكعبة واغاروا على مكة وثانيها ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يعبدون الوثن البتة واذا كان كذلك فما الفائدة فى واجنبنى عن عبادة الاصنام وثالثها انه طلب من الله تعالى ان لا يجعل ابناءه من عبدة الاصنام والله تعالى لم يقبل دعاءه لان كفار قريش كانوا من اولاده ثم انهم كانوا يعبدون الاصنام فان قيل انهم ما كانوا ابناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام وانما كانوا ابناء ابنائه والدعاء مخصوص بالابناء فنقول ان كان المراد بقوله وبنىّ ابناءه من صلبه فهم اسماعيل واسحق وما كانا الا من اكابر الانبياء وقد علم ان الانبياء لا يعبدون الصنم فقد عاد الاشكال فى انه ما الفائدة فى ذلك الدعاء ثم اجاب عن السؤال الاوّل من وجهين الاوّل انه نقل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء البيت ذكر هذا الدعاء والثانى هو ان المراد جعل اهلها آمنين كقوله واسأل القرية اى اهلها وهذا الوجه عليه اكثر المفسرين فان مكة قد اختصت بمزيد الامن الا ترى ان الخائف وصاحب الجريمة كان اذا التجأ الى مكة امن وكان الناس مع شدّة العداوة بينهم يتلاقون بمكة فلا يخاف بعضهم بعضا ومن ذلك امن الوحوش فانهنّ لا ينفرن اذا كن بمكة ويستوحشن على الناس خارج مكة فهذا النوع من الامن حاصل فى مكة فوجب حمل الدعاء عليه والجواب عن السؤال الثانى قال الزجاج معناه ثبتنى على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك اى ثبتنا على الاسلام ثم قال ولقائل ان

﴿وسخر لكم الانهار﴾ فجعلها معدّة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دآئبين﴾ يدأبان فى سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكوّنات ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ اى بعض جميع ما سألتموه يعنى من كل شئ سألتموه شيأ فان الموجود من كل صنف بعض ما فى قدرة الله ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل اولم يسأل وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اى وآتاكم من كل شئ ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية فى موضع الحال اى وآتاكم من كل شئ غير سائليه ﴿وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾ لا تحصروها ولا تطيقوا عدّ انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ﴿ان الانسان لظلوم﴾ يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان ﴿كفار﴾ شديد الكفران وقيل ظلوم فى الشدّة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع ﴿واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد﴾ بلد مكة ﴿آمنا﴾ ذا أمن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول فى الاوّل ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفى الثانى جعله من البلاد الآمنة ﴿واجنبنى وبنىّ﴾ بعدنى واياهم ﴿ان نعبد الاصنام﴾ واجعلنا منها فى جانب وقرئ واجنبنى وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبنى شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسماعيل عليه الصلاة والسلام لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته

﴿رب انهنّ اضللن كثيرا من الناس﴾ فلذلك سالت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهنّ واسناد الاضلال اليهنّ باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحياة الدنيا ﴿فمن تبعنى﴾ على دينى ﴿فانه منى﴾ اى بعضى لاينفك عنى فى امر الدين ﴿ومن عصانى فانك غفور رحيم﴾ تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره ﴿ربنا انى اسكنت من ذرّيتى﴾ اى بعض ذرّيتى او ذرّية من ذرّيتى فحذف المفعول وهو اسماعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم ﴿بواد غير ذى زرع﴾ يعنى وادى مكة فانها حجرية لاتنبت ﴿عند بيتك المحرم﴾ الذى حرمت التعرّض له والتهاون به اولم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة اومنع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمى عتيقا اى اعتق منه ودعا بهذا الدعاء اوّل ماقدّم فلعله قال ذلك باعتبار ماكان اوماسيئول اليه روى ان هاجر كانت لسارة رضى الله عنها فوهبتها لابراهيم عليه السلام فولدت منه اسماعيل عليه السلام فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثم طيورا فقالوا لاطير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركنا فى مائك نشركك فى ألباننا ففعلت

يقول السؤال باق لانه لما كان من المعلوم انه تعالى ثبت الانبياء عليهم الصلاة والسلام على الاجتناب عن عبادة الاصنام فما الفائدة فى هذا السؤال ثم قال والصحيح عندى فى الجواب وجهان الاوّل انه عليه الصلاة والسلام وان كان يعلم انه تعالى عصمه من عبادة الاصنام الا انه ذكر ذلك هضما لنفس واظهارا للحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى فى كل المطالب والثانى ان الصوفية يقولون الشرك نوعان شرك حكمى وهو ماعليه المشركون وشرك خفى وهو تعلق القلب بالوسائط والاسباب الظاهرة والتوحيد المحض هو ان يقطع العبد نظره عن الوسائط ولا يرى متوسطا بينه تعالى وبين الممكنات الحادثة فيحتمل ان يكون مراده بقوله واجنبنى وبنىّ ان يعصمه من هذا الشرك الخفى والله اعلم بمراده والجواب عن السؤال الثالث من وجوه الاوّل ماقال صاحب الكشاف من ان قوله وبنىّ اراد به بنيه من صلبه والفائدة فى هذا الدعاء عين الفائدة التى ذكرناها فى قوله واجنبنى والثانى ان بنيه يتناول اولاد اولاده الذين كانوا موجودين فى حال الدعاء ولاشك ان دعوته مجابة فيهم والثالث ماقاله مجاهد من انه لم يعبد احد من ولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام صنما وانما عبدوا الوثن فان الصنم هو التمثال المصوّر وماليس بمصوّر فهو وثن وكفار قريش ماعبدوا التماثيل وانما كانوا يعبدون احجارا مخصوصة واشجارا مخصوصة وهذا الجواب ليس بقوىّ لانه عليه الصلاة والسلام لايريد بهذا الدعاء الا تجنب عبادة غير الله والحجر كالصنم فى ذلك والرابع ان هذا الدعاء مختص بالمؤمنين من اولاده والدليل عليه انه قال فى آخر الآية فمن تبعنى فانه منى وذلك يدل على ان من لم يتبعه على دينه فانه ليس منه ولا من اولاده والخامس انه عليه الصلاة والسلام وان دعا فى حق ابنائه الصلبية وحفدته الا انه تعالى اجاب دعاءه فى حق البعض دون البعض وذلك لايوجب تحقير الانبياء عليهم الصلاة والسلام ونظيره قوله تعالى فى حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين الى هنا كلام الامام ﴿قوله﴾ فانه منى اى بعضى ﴿/قوله﴾ لايريد ان من فى قوله منى تبعيضية وان صرح بلفظ البعض بل يريد انها اتصالية كما فى قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ولهذا فسر معنى البعضية بقوله لاينفك عنى فى امر الدين اى فكان بذلك كأنه بعض منى ﴿قوله﴾ وفيه دليل على ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره ﴿/قوله﴾ لان هذا الكلام من ابراهيم عليه الصلاة والسلام شفاعة منه فى حق اهل العصيان مطلقا بان يغفر لهم ويرحمهم بايّ وجه كان ولاشك ان مطلق المعصية يتناول الشرك ومادونه فلو كان مغفرة الشرك مما يستحيل عليه تعالى لما وقعت هذه الشفاعة منه عليه الصلاة والسلام كأنه يقول فانك تقدر على ان تغفر او ترحم للمشرك مع عظم جرمه فضلا عن سائر العصاة فاسألك ان تغفر وترحم من لاتكون مغفرتهم ورحمتهم مخالفة لحكمتك وفى الوسيط قال قوله عليه الصلاة والسلام ومن عصانى فانك غفور رحيم معناه ومن عصانى ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل فيما دون الشرك فانك غفور رحيم وقال ابن الانبارى ويحتمل ان هذا كان قبل ان يعلمه الله انه لايغفر الشرك كما استغفر لابيه وقال الامام هذا القول من ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى حق اهل الكبائر ممن آمن منهم لا فى اسقاط عقاب الكفر والشرك لانه عليه الصلاة والسلام قال فى مقدّمة هذه الآية واجنبنى وبنىّ ان نعبد الاصنام ولما تبرأ من الكفر بهذا الاجمال دل على انه لاتجوز الشفاعة فى اسقاط عقاب الكفر ودل ذلك على انه ليس مراده الشفاعة فى حق المشركين ﴿قوله﴾ الذى حرمت التعرّض له ﴿/قوله﴾ ذكر لتوصيف البيت بالمحرم ثلاثة اوجه مبنى الوجه الاوّل على كون المحرّم من التحريم الذى هو ضدّ التحليل وصف البيت بكونه محرّما مبالغة فى توصيفه بحرمة اهانته والتعرّض له بسوء ومبنى الوجه الآخر ليس على كونه من التحريم بالمعنى المذكور وانما هو بمعنى المنع كما فى قوله وحرّمنا عليه المراضع فانه ليس بمعنى لايحل له المراضع بل هو بمعنى المنع اى منعناها عنه ليردّه الى امّه فكذا قوله عند بيتك المحرّم اى الممنوع عن الخلق حتى لم يقدر احد من الفراعنة والملوك على الغلبة عليه او الممنوع منه الطوفان ﴿قوله﴾ ودعا بهذا الدعاء اوّل ماقدم ﴿/قوله﴾ جواب عما يقال اسكان الخليل اسماعيل بمكة قبل بنائهما الكعبة فكيف يصح له عليه الصلاة والسلام ان يقول اسكنت بوادٍ عند بيتك المحرم* واجاب عنه بان مراده عند بيتك الذى سيحدث فى هذا الوادى فقوله غير ذى زرع توصيف للوادى باعتبار ماكان عليه وقت قدومه وقوله عند بيتك توصيف له باعتبار ماسيحدث فيه وهذا التقرير مبنى على ماوجدت فى نسخة مطالعتى وهو باعتبار ماكان وماسيئول بالوادى دون اليه ثم ظهر فى نسخة اخرى فيكون قوله اوّل ماقدم معناه اما على ماكان قبل الطوفان واما على ماسيحدث ببنائه وعلى هذا الجواب يجوز ان يكون دعاؤه هذا بعد بنائهما البيت حال كبر اسماعيل عليهما الصلاة والسلام كما ذكر الامام فى جواب

السؤال الاوّل من انه نقل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء البيت ذكر هذا الدعاء وفى التيسير قيل ان هذا الدعاء كان بعد بنائه وقيل كان قبل بنائه لكن كان الله تعالى ابان له موضع البيت فصحت اشارته اليه ﴿قوله﴾ ما اسكنتهم بهذا الوادى البلقع من كل مرتفق ومرتزق الاالاقامة الصلاة ﴿البلقع﴾ الارض القفر آه التى لاشئ بها والقفر آه مفازة لانبات بها ولاماء والارتفاق الانتفاع والحصر المدلول عليه من الاستثناء بعد النفى مستفاد من تقدير محذوف مؤخر يتعلق به هذا المذكور اى ليقيموا من اسكنتهم هذا المكان البلقع اخبر اوّلا بانه اسكنهم بواد قفر واديح فيه حاجتهم الى الوافدين واشار بقوله عند بيتك المحرّم الى ان وجه الايثار انما هو شرف الجوار ثم اخبر ثانيا بانه انما آثر ذلك الموضع ليعمروا حرمك المحرم باقامة الصلاة المعرفة وما تشتمل عليه من الاذكار والدعوات او بادآء العبادات والقربات مطلقا وتخصيص الصلاة بالذكر من قبيل الاكتفاء بذكر معظم افراد الحقيقة النوعية عن ذكر الكل ودل على اسكانهم فى الوادى المذكور لهذا الغرض الدعاء بقوله فاجعل افئدة من الناس ويدل على ان ليقيموا غير متعلق باسكنت المذكور تخلل ربنا ثانيا بين الفعل ومتعلقه وهذا ابين الا ان قول المصنف وتكرير النداء وتوسيطه صريح فى انه متعلق بالمذكور فلا يكون الكلام حينئذ مشتملا على شئ من طرق الحصر فلا يستفاد الحصر حينئذ الامن اسلوب الكلام وسياقه فانه عليه الصلاة والسلام نفى اوّلا ان يكون اسكانهم فى ذلك الوادى لاجل التوسع فى اسباب المعيشة حيث وصف موضع الاسكان بكونه غير ذى زرع ثم لما وصفه بكونه عند بيت الله الحرام دل ذلك على انه انما آثر ذلك الموضع بالاسكان للانقطاع لعبادة الله تعالى والتبتل اليه والتبرك بشرف جوار بيته ثم انه لما كرر ذكر قوله ربنا اشعر ذلك بان له كمال الاهتمام بشأن المطلوب المدعوّ له وبجملة هذه الامور ولما علل اسكانه فى الوادى المذكور بقوله ليقيموا دل ذلك على ان المقصود من الاسكان فيه ليس الا التقرّب الى الله تعالى بالاشتغال بالصلاة التى هى عماد الدين ﴿قوله﴾ او للابتدآء كقولك القلب منى سقيم ﴿اى القلب الكائن منى وافئدة كائنة من الناس والمصنف نكر لفظ الناس حيث قال اى افئدة ناس مع انه فى الآية معرف باللام لان الافئدة فى الآية وقعت منكرة ولما اراد تصوير كون القلوب مبتدأة من الناس اضاف الافئدة اليهم ونكر الناس ليحفظ معنى تنكير افئدة فى الآية فان تنكير المضاف اليه يفيد مايستفاد من تنكير المضاف فى مقام الاثبات من البعضية وعدم الاستغراق والعموم وناس اسم جمع فمعنى افئدة ناس اى مما يطلق عليه لفظ ناس وهو معنى قوله افئدة من الناس وان كان لفظ الناس المعرف باللام فى هذا التعبير محمولا على العموم ﴿قوله﴾ وقرأ هشام افئيدة ﴿قيل حصلت الياء باشباع كسرة الهمزة وردّ بان الاشباع انما يرتكب لاجل ضرورة الشعر فكيف يحمل عليه افصح الكلام مع ان هشاما انما قرأ بتسهيل الهمزة بين بين وظن زيادة ياء بعد الهمزة ليس بشئ لان الرواة اجل من ان يسند اليهم مثل هذا وقرئ آفدة على وزن عابدة اما على تقديم الهمزة على الفاء او على ان يكون اسم فاعل من افد الرجل بالكسر يافد افدا اى عجل فهو آفد على فاعل اى مستعجل وافد الرحيل اى دنا وازدلف فقوله آفدة على هذا صفة محذوف اى فاجعل جماعة آفدة يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ افدة على ان اصلها افئدة طرحت الهمزة للتخفيف فصار افدة وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين وقيل فيه نظر لان الهمزة المتحرّكة الساكن ماقبلها حيث كان حرفا صحيحا انما يكون تخفيفها بنقل حركة الهمزة الى ماقبلها وحذفها كما فى مسئلة وخب فى مسئلة وخئ ولا يجوز جعلها بين بين لانه شبه ساكن واجتماع ساكن وشبه ساكن كاجتماع ساكنين ﴿قوله﴾ ويجوز ان يكون من افد ﴿اى من افد يأفد افدا فهو افد على وزن فعل كزفر فالمعنى فاجعل جماعة افدة يعجلون نحوهم ﴿قوله﴾ تعالى تهوى اليهم ﴿مفعول ثان للجعل وقرأ العامة بكسر الواو من هوى بفتح الواو يهوى بالكسر هويا اى سقط من اعلى الى اسفل والمعنى ههنا تسرع اليهم وقيل تحن اليهم وقيل تنزع اليهم وقرئ تهوى بفتح الواو من هوى بكسر الواو يهوى بفتحها هوى اى احب وهو يتعدّى بنفسه وعدّى بالى لتضمينه معنى الميل وقرئ تهوى بضم التاء وفتح الواو على بناء المفعول من اهوى المنقول من هوى اللازم اى يسرع بها اليهم ﴿قوله﴾ وقيل ما تخفى من وجد الفرقة ﴿اى من اسماعيل وامّه وهو عطف على قوله تعلم سرّنا وعلانيتنا جعل نخفى ونعلن اوّلا عطفا من قبيل يعطى ويمنع تتميما لحسن الطلب ثم قدّر لكل منهما معنى على حدة ﴿قوله﴾ تعالى الحمد لله الذى وهب لى على الكبر الآية ﴿قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى وقت آخر لاعقيب ماتقدّم من الدعاء لان الظاهر انه عليه الصلاة والسلام دعا بذلك اوّل ماقدم بهاجر وابنها وهى ترضعه

﴿ربنا ليقيموا الصلاة﴾ اللام لام كى وهى متعلقة باسكنت اى ما اسكنتهم بهذا الوادى البلقع من كل مرتفق ومرتزق الاالاقامة الصلاة عند بيتك المحرّم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقام الصلاة كأنه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها ﴿فاجعل افئدة من الناس﴾ اى افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لوقال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولجت اليهود والنصارى او للابتدآء كقولك القلب منى سقيم اى افئدة ناس وقرأ هشام افئيدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر ادؤر وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اى جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد ﴿تهوى اليهم﴾ تسرع اليهم شوقا ووداد وقرئ تهوى على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع ﴿وارزقهم من الثمرات﴾ مع سكناهم واديا لانبات فيه ﴿لعلهم يشكرون﴾ تلك النعمة فاجاب الله عزوجل دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد ﴿ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن﴾ تعلم سرّنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ماعندك وقيل ما نخفى من وجد الفرقة وما نعلن من التضرّع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة فى التضرّع واللجأ الى الله تعالى ﴿وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء﴾ لان العالم بعلم ذاتى يستوى نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق ﴿الحمد لله الذى وهب لى على الكبر﴾ اى وهب لى وانا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من الآية

﴿اسماعيل واسحق﴾ روى انه ولد له اسماعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتى عشرة سنة

﴿ان ربى لسميع الدعاء﴾ اى لمجيبه من قولك سمع الملك كلامى اذا اعتدّ به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ماوقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها ﴿رب اجعلنى مقيم الصلاة﴾ معدّا لاقامتها مواظبا عليها ﴿ومن ذريتى﴾ عطف على المنصوب فى اجعلنى والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقرآء عادته فى الامم الماضية انه يكون فى ذريته كفار ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ واستجب دعائى او وتقبل عبادتى ﴿ربنا اغفرلى ولوالدىّ﴾ وقرئ ولابوىّ وقد تقدّم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحوّآء ﴿وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه فيا مهم مجازا ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد تثبيته على ماهو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لايخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لامحالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم ﴿انما يؤخرهم﴾ يؤخر عذابهم وعن ابى عمرو بالنون ﴿ليوم تشخص فيه الابصار﴾ اى تشخص فيه ابصارهم فلا تقرّ فى اماكنها من هول ما ترى ﴿مهطعين﴾ مسرعين الى الداعى او مقبلين بابصارهم لايطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشئ ﴿مقنعى رؤسهم﴾ رافعيها ﴿لايرتدّ اليهم طرفهم﴾ بل بقيت عيونهم شاخصة لاتطرف اولا يرجع اليهم نظرهم فينظرون الى انفسهم

ووضعها عند البيت واسحق ماولد فى ذلك الوقت فقد روى انه عليه الصلاة والسلام وضعها عند البيت وليس بمكة يومئذ احد ولاماء وانطلق ابراهيم نحو الشام فتبعته هاجر وقالت يا ابراهيم تزهت وتركتنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انيس ولاشئ فلم يلتفت اليها فقالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لايضيعنا ثم غاب ابراهيم عن نظرها واستقبل البيت ودعا بهذه الدعوات من قوله ربنا انى اسكنت الى قوله ومايخفى على الله من شئ ولهذا اشار المصنف بقوله آنفا ودعا بهذا الدعاء اوّل ماقدم الى احتمال ان يكون الدعاء ايضا فى وقت آخر والله اعلم وكلمة على فى قوله على الكبر يحتمل ان تكون للاستعلاء المجازى اى وهب لى وانا متمكن على الكبر وان تكون بمعنى مع كما فى قوله

* انى على ماترين من كبرى * اعلم من حيث تؤكل الكتف *

وهو فى موضع الحال من الياء فى قوله وهب لى والمعنى وهب لى وانا كبير اى فى حال الكبر كذا فى الكشاف ومعنى البيت انى على ماترين من كبرى وتغير احوال الحواس منى اعرف الاشياء حق معرفتها لانى جربتها ومارستها فان قوله اعلم من حيث تؤكل الكتف مثل فى التجربة لان المجرّب يأخذ الكتف من اعلاها ليجذب اللحم منها وقيل تؤكل من اسفلها ليسهل ﴿قوله اى لمجيبه﴾ جواب عما يقال ان ابراهيم دعا ربه وجد على اجابته فكان المناسب ان يقول ان ربى مجيب الدعاء لانه تعالى يسمع الدعاء اجابه اولم يجبه ﴿قوله وقد تقدّم عذر استغفاره لهما﴾ وكانا كافرين وهو ان المنع من الاستغفار للكافر لايعلم الابالتوقيف ولعله لم يجد المنع منه حينئذ فظن كونه جائزا ويحتمل ان يكون المراد من سؤال المغفرة لهما سؤال مايكون سببا لمغفرتهما وهو الاسلام فانه سبب لصيرورة الانسان اهلا للمغفرة فطلب الشئ طلب لما يتوقف حصوله عليه وهو المراد بقول نوح عليه الصلاة والسلام لقومه المشركين استغفروا ربكم انه كان غفارا * فان قيل كيف طلب المغفرة لنفسه وان طلبها لها يؤذن بسابقة الذنب ولايصدر الذنب من الانبياء سوى ترك الاولى ونحوه مما يعلم ان الله تعالى يغفر ذلك منهم فيكون طلبهم المغفرة لانفسهم طلبا لما يعلم حصوله * واجيب بان ليس المقصود منه الا الالتجاء الى الله وقطع الطمع فى غيره وانه ليس الا فى فضله وكرمه ورحمته ﴿قوله مستعار من القيام على الرجل﴾ بان شبه ثبات الحساب بقيام القائم على الرجل فاستعير القيام لذلك الثبات ثم اطلق يقوم واريد يثبت فهى استعارة تبعية كما استعير القيام على الساق لثبات الحرب ويمكن ان يقال شبه الحساب فى الثبات والاستقرار بالقائم على الرجل فاثبت له القيام على سبيل التخييل فهى استعارة مكنية قرينتها التخييلية فالمجاز على هذا التقرير فى المفرد وعلى الثالث فى الاسناد ولا مجاز على الثانى لانه مبنى على تقدير المضاف ﴿قوله والمراد تثبيته عليه الصلاة والسلام على ماهو عليه﴾ جواب عما يرد على قوله انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو انه تعالى منزه عن السهو والغفلة وانه عليه الصلاة والسلام اعلم الناس بما يستحيل فى حقه تعالى فكيف نهاه الله نهيا مؤكدا عن الحسبان المذكور ﴿قوله والوعيد﴾ عطف على قوله تثبيته * اجاب عنه اوّلا بان المراد من النهى المذكور تقوية نشاطه على الثبات على ماهو عليه من الاعتقاد الصحيح فى حقه تعالى وثانيا بانه كناية او مجاز فى المرتبة الثانية عن التهديد والوعيد بعقوبة الظالمين على ظلمهم كقوله والله اعلم بما تعملون فانه كناية عن المجازاة ﴿قوله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم﴾ على ان يكون الخطاب كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر لكل مكلف ولا يختص به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا من توهم غفلته فان الناس لايخلون عن المظلوم والظالم فاذا سمع المظلوم ان الله تعالى عالم بما يفعله الظالم وينتقم له هان عليه ظلمه والظالم اذا تصوّر ان الله تعالى عالم بما يفعله ولابدّ ان يجازيه على ظلمه ربما ارتدع عن ظلمه خوفا من العقوبة فقوله تعالى ولا تحسبن على جميع التقادير دليل على انه لابدّ من وجود يوم الحساب فان اطلاعه تعالى على مايعمله الظالمون يستلزم ان ينتقم للمظلوم ﴿قوله وعن ابى عمرو بالنون﴾ على طريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وقرأ العامة يؤخرهم بياء الغيبة لتقدّم اسم الله وقوله تعالى ليوم اى لاجل يوم فاللام للعلة وقيل بمعنى الى للغاية وتشخص صفة ليوم وشخوص البصر ارتفاعه وعدم استقراره فى مكانه من حدّة النظر وقيل بقاؤه مفتوحا بحيث لايغمض ولا يرتدّ اليه طرفه * الجوهرى شخص بالفتح شخوصا اى ارتفع وشخص بصره فهو شاخص اذا فتح عينه وجعل لايطرف ﴿قوله تعالى مهطعين مقنعى رؤسهم﴾ حالان من المضاف اليه المحذوف اذ التقدير تشخص فيه ابصارهم ويجوز فى مقنعى ان يكون حالا من الضمير فى مهطعين فيكون حالا متداخلة واضافة مقنعى غير حقيقية فلذلك وقعت حالا من الضمير وقوله

لا يرتدّ اليهم فى محل النصب على انه حال من الضمير فى مقنعى والطرف فى الاصل مصدر اطلق ههنا على الفاعل وهو العين كقولهم مافيهم عين تطرف والطرف الجفن ايضا يقال ماطبق طرفه اى جفنه على الآخر والطرف ايضا تحريك الجفن ويجوز ان يكون كل واحد من قوله لا يرتدّ اليهم طرفهم وقوله وافئدتهم هوآء استئنافا وان يكون حالا وقوله هوآء وان كان خبرا عن جمع فانه فى معنى فارغة وخالية ثم انه تعالى لما اوعد الظالمين بانه لا يخفى عليه شئ من احوالهم وافعالهم ولكن يؤخر عذابهم ليوم القيامة الذى من صفته انه تشخص فيه الابصار وكذا امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الناس يوم يأتيهم ذلك العذاب المعهود على ان يوم يأتيهم مفعول ثان لانذر فانه يتعدّى الى اثنين كما فى قوله انذرتكم صاعقة ﴿ قوله قال زهير ﴾

* كأنّ الرجل منها فوق صعل * من الظلمان جؤجؤه هواء *

الصعل الصغير الرأس والعنق من الرجال والنعام ومن غيرهما والجؤجؤ من الطائر والسفينة صدرهما يهمز ولا يهمز يصف مطية بالقلق يقول كانّ رجل هذه المطية فوق ظليم اى نعامة لا قوّة فى قلبه ولا جرآءة فان النعام يضرب به المثل فى الجبن قيل فى حق الحجاج وصفا له بالجبن

* اسد علىّ وفى الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر *

﴿ قوله اوأخرآجالنا ﴾ هذا على تقدير ان يكون المراد باليوم يوم موتهم معذبين بشدّة السكرات ومانالهم بمعاينة ملائكة العذاب وايقنوا بسوء عاقبتهم والاوّل على تقدير ان يراد باليوم يوم القيامة ﴿ قوله على ارادة القول ﴾ اى القول الجارى من قبلهم بلسان المقال والمعنى اولم تكونوا قائلين بلسان المقال والله مالنا من زوال وان كان المتبادر من ظاهر العبارة ان يكون المراد من القول قول الله تعالى او قول الملائكة فى جواب قول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب ويكون المعنى والتقدير فيقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ اولم تكونوا الا ان عطف قوله اودل عليه حالهم يدل على ان المراد منه القول الجارى من قبلهم كأنه قيل اولم تكونوا اقسمتم بلسان المقال صريحا او بدلالة الحال وشهادة الافعال هذا هو المفهوم من تقرير الكشاف ويحتمل ان يكون مراد المصنف من قوله على ارادة القول ماذكرنا من انه المتبادر الى الذهن ويكون قوله اودل عليه حالهم معطوفا على قوله اقسموا بطرا وغرورا ويكون مقصوده انه لما حكى عنهم انهم اقسموا على انهم باقون فى الدنيا لا يزالون عنها بالموت وردان يقال كيف يقسموا عليه وليسوا بمجانين اجاب عنه بقوله ولعلهم اقسموا عليه بطرا وغرورا اودل عليه حالهم ﴿ قوله تعالى وسكنتم فى مساكن الذين ﴾ عطف على قوله اقسمتم اى ولم تكونوا سكنتم فهو تقريع ثان للذين ظلموا فانهم لما سكنوا فى مساكن الذين كفروا وعصوا وبين لهم ماحل بهم بسبب كفرهم وتكذيبهم الانبياء ولم يعتبروا فقد استوجبوا الذم والتقريع ﴿ قوله واصل سكن الخ ﴾ اشارة الى وجه تعدّيه تارة بفى كما فى هذه الآية وتارة بدونها * وقرأ العامة وتبين فعلا ماضيا وقرئ ونبين بضم النون الاولى والثانية على انه مضارع بين وهو خبر مبتدأ محذوف والجملة حال اى ونحن نبين وفاعل تبين مضمر لدلالة الكلام عليه اى وتبين لكم حالهم وخبرهم وهو هلاكهم بطريق الاستئصال وكيف فى موضع النصب بفعلنا ولا يجوز ان يكون فاعلا ﴿ قوله اى بينا لكم انكم مثلهم فى الكفر ﴾ فيكون لكم متعلقا بمحذوف فى محل النصب على انه حال من الامثال والتقدير ضربنا امثال احوالهم ثابتة لكم والمراد بالامثال معناها اللغوى وعلى الثانى تكون الامثال مستعارا لصفات مافعلوا وما فعل بهم تشبيها لها بالامثال المضروبة فى الغرابة لما ذكر الله تعالى صفة عقابهم اتبعها بذكر كيفية مكرهم فقال وقد مكروا مكرهم الخ ﴿ قوله المستفرغ فيه جهدهم ﴾ هذه المبالغة والاهتمام بالمكر مستفادة من اضافة المكر اليهم لان صناديد قريش لما اشتهروا بشدّة الشكيمة والتمادى فى الطغيان كان ما اضيف اليهم من المكر المتعلق بابطال الحق وتقرير الباطل مكرا مبذولا فيه جهدهم ونهاية قدرتهم ﴿ قوله ومكتوب عنده فعلهم ﴾ مبنى على ان يكون المكر مضافا الى فاعله كالمكر الاوّل والمعنى ان مكرهم الذى مكروه مكتوب عند الله وقوله اوعنده مايمكرهم به على ان يكون المصدر مضافا الى مفعوله ومكر الله تعذيبه اياهم وسمى مكرا للمشاكلة ﴿ قوله مسوّى لازالة الجبال ومعدّا لها ﴾ على ان تكون كلمة ان شرطية حذف جوابها لدلالة قوله وعند الله مكرهم عليه والتقدير وان كان مكرهم معدّا لازالة امثال الجبال الرواسى وهى المعجزات والآيات فالله تعالى مجازيهم بمكرهم واعظم من مكرهم ﴿ قوله وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها ﴾ اى للنفى المستفاد منها فان اللام حينئذ هى لام الجحود التى ينتصب الفعل بعدها باضمار ان لوقوعها بعد كون منفى وخبر كان

لاوليائه من اعدآئه ﴿ يوم تبدّل الارض غير الارض ﴾ بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدّر باذكر اولا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ماقبل ان لا يعمل فيما بعده ﴿ والسموات ﴾ عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون فى الذات كقولك بدّلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدّلناهم جلودا غيرها وفى الصفة كقولك بدّلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدّل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما فمن علىّ رضى الله تعالى عنه تبدّل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضى الله تعالى عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هى تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ماروى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تبدّل الارض غير الارض فتبسط وتمدّ مدّ الاديم العكاظى لاترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لايلزم على الوجه الاوّل ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثانى ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة كما اشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وقوله ان كتاب الفجار لفى سجين ﴿ وبرزوا ﴾ من اجدا ثهم ﴿ لله الواحد القهار ﴾ لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر فى غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لايغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار ﴿ وترى المجرمين يومئذ مقرّنين ﴾ قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم فى العقائد والاعمال لقوله واذا النفوس زوّجت اوقرنوا مع الشياطين او مع ماكتسبوا من العقائد الزآئغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ماقترفته ايديهم وارجلهم ﴿ فى الاصفاد ﴾ متعلق بمقرّنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل * وزيد الخيل قد لاقى صفادا * يعض بساعد وبعظم ساق * واصله الشدّ (الله)

محذوف عند البصريين تتعلق به هذه اللام والتقدير وما كان مكرهم مريدا لازالة ماهو كالجبال لان انتفاء ارادة الفعل آكد من انتفاء نفس الفعل وهو معنى قوله اللام مؤكدة لان النافية كما ان قوله ماكان الله مريدا لتعذيبهم آكد من قولك ماكان الله يعذبهم وعلى تقدير كونها مخففة من الثقيلة تكون اللام فارقة بين النافية والمخففة ويكون المقصود تعظيم مكرهم لان مافعل لازالة ماهو كالجبال الراسية فى الثبات والقوّة يكون فى غاية الشدّة والقوّة بخلاف ماذا كانت نافية فان المعنى حينئذ حصر مكرهم ببيان انه ماكان مكرهم بحيث تزول منه الشرآئع التى هى كالجبال لانه تعالى وعد نبيه صلى الله عليه وسلم اظهار دينه على كل الاديان فكيف يزول امره الذى هو دين الاسلام بمكرهم فان مكرهم اوهن واضعف من ان تزول منه الجبال الراسيات التى هى دين محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل شريعته ويؤيد صحة هذا المعنى قوله تعالى بعد هذه الآية فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله اى قد وعدك الظهور عليهم فلا يخلف وعده بمكرهم وقوله تعالى فلا تحسبن على جميع التقادير الظاهر انه جواب شرط محذوف اى اذا تقرر ان مكرهم مكتوب عند الله وهو مجازيهم عليه فلا تحسبن او اذا تقرّر ان مكرهم اوهن من ان يزول منه امرك الذى هو ثابت واقوى من الجبال الراسيات فلا تحسبن ﴿ قوله ﴾ مثل قوله انا لننصر رسلنا ﴿ يعنى ان المراد بالوعد قوله تعالى فى غير هذا الموضع انا لننصر رسلنا وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلى ويحتمل ان يكون المراد به مايفهم من قوله فى هذا الموضع وعند الله مكرهم فانه على التقدير بن دال على انه تعالى يجازيهم على مكرهم وينصر رسوله عليهم ﴿ قوله ﴾ واصله مخلف رسله وعده ﴿ لان فعل الاخلاف يتعدّى الى مفعولين اوّلهما الموعود له وهو ههنا الرسل وحق المفعول الاوّل ان يقدّم على الثانى يقال اخلفه ماوعده وهو ههنا الرسل لكن قدّم المفعول الثانى واضيف اليه اسم الفاعل تخفيفا نحو هذا الكاسى جبة زيدا قيل لما تعدّى الفعل اليهما لم يبال بالتقديم والتأخير والاخلاف ان يقول شيأ ولا يفعله ﴿ قوله ايذانا بانه لايخلف الوعد اصلا ﴾ اعترض عليه بانه لما كان رسله مفعولا كان اخلاف الوعد مقيدا به سوآء قدّم على الوعد او اخر فلم يكن اخلاف الوعد مطلقا ثم قيد برسله واجيب بان المفعول الثانى حقه التأخير فلما قدّم دل على انه اهم والعناية بشأنه اتم فالمقصود الاصلى من الكلام ليس الا نفى اخلاف الوعد واما نفى خلف وعد الرسل فهو شئ متفرّع على ذلك لانه لما لم يكن من شان الله تعالى اخلاف الوعد كان عدم اخلافه وعد من هو خيرته وصفوة عبيده تابعا له وثابتا بطريق الاولى ونظيره فى تقديم المفعول الثانى على الاوّل للاهتمام بشأنه قوله تعالى فى سورة الانعام وجعلوا لله شركاء الجن فانه قدّم الشركاء ليدل على ان المقصود الاصلى استعظام اتخاذ الشركاء ونفى شركاء الجن تابع لهذا المقصود ومتفرّع عليه ﴿ قوله تعالى وبرزوا ﴾ معطوف على قوله تبدّل الارض وهو ماض يراد به الاستقبال كقوله تعالى ونادى اصحاب النار ﴿ قوله قرن بعضهم مع بعض ﴾ يعنى ان قوله مقرّنين فيه ثلاثة اوجه الاوّل ان بعض الكفار قرن ببعض على حسب تجانس ماكتسبوه من العقائد الزآئغة والملكات الباطلة المتجانسة فن حيث الجزآء ايضا تجتمع اصحابها فان الجنسية سبب الاجتماع فى الامور المتجانسة والثانى قرن كل كافر مع شيطانه فى سلسلة قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين والعاشى عن سوآء السبيل لما كان يتبع الشيطان ويأتمر بامره حشر معه مقرونا فى سلسلة واحدة اومع ماكتسبه من العقائد الزآئغة والملكات الباطلة التى هى بمنزلة الشيطان بالنسبة اليه فى كونها سببا لتأذى نفسه منها وخروجها عن الاعتدال اللائق بها والثالث قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال اما حقيقة واما على ان يكون الايدى والارجل عبارة عن الافعال الصادرة من الجوارح والاعضاء على طريق اطلاق اسباب الاكتساب على الامور المكتسبة بتلك الاسباب ويكون مقارنة تلك الامور الى الرقاب عبارة عن مؤاخذة انفسهم بها يقال قرنت الشئ بالشئ اذا وصلته به وجاء ههنا على التشديد لكثرة هؤلاء القوم فان بناء التفعيل قد يكون لتكثير المفعول نحو قتحت الابواب والاصفاد جمع صفد وهو القيد قال عطاء يريد سلاسل الحديد والاغلال وكل من شددته شدّا وثيقا فقد صفدته قال الراغب الصفد والصفاد الغل وجمعه اصفاد وفى الصحاح صفده يصفده صفدا اى شدّه واوثقه وكذلك التصفيد والصفاد مايوثق به الاسير من قيد وغل والاصفاد القيود وبيت سلامة يدل على انه اطلق الصفاد على مايتناول كل واحد من الغل والقيد فان الغل يوضع على الساعد والعنق والقيد يوضع على الرجل وظاهر البيت يدل على ان صفادا واحدا يعض ويجمع تلك الثلاث فكأنه نوع من الغل تجمع فيه الرجل واليد وتشدّان على العنق وزيد الخيل اسم رجل من قبيلة طىّ قدم على النبى صلى

﴿سرابيلهم﴾ قصانهم ﴿من قطران﴾ وجاء قطران وقطران لغتين فيه وهو مايتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدّته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار فى جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطرآن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآنى المتناهى حره والجملة حال ثانية او حال من ضمير مقرّنين ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ اى وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا فى تدبره مشاعرهم وحواسهم التى خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله تعالى يوم يسحبون فى النار على وجوههم ﴿ليجزى الله كل نفس﴾ اى يفعل بهم ذلك ليجزى كل نفس مجرمة ﴿ما كسبت﴾ او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ﴿ان الله سريع الحساب﴾ لانه لايشغله حساب عن حساب ﴿هذا﴾ اشارة الى القرآن او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله ﴿بلاغ للناس﴾ كفاية لهم فى الموعظة ﴿ولينذروا به﴾ عطف على محذوف اى لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل اوتلى وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعدّ له ﴿وليعلموا انما هو اله واحد﴾ بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على مايدل عليه ﴿وليذكر اولوا الالباب﴾ فيتدعوا عما يردیهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوآئد هى الغاية والحكمة فى انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوّة النظرية التى منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوّة العملية الذى هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بها

الله عليه وسلم وسماه صلى الله عليه وسلم زيد الخيل ومات منصرفه من عند النبى صلى الله عليه وسلم محموما وقوله مقرنين حال من المجرمين ان كانت الرؤية بصرية ومفعول به ثان ان كانت علمية وفى الاصفاد اما ظرف متعلق بمقرنين او ظرف مستقر متعلق بمحذوف حال من ضمير المجرمين وقوله سرابيلهم من قطران حال ثانية من المجرمين او حال من الضمير فى مقرنين وكذا قوله وتغشى وجوههم النار على انها معطوفة على الحال الاان الاخيرتين حالان مقدّرتان او جملتان مستأنفتان لامحل لهما من الاعراب مقتطعتان عن كلم الرؤية لان قوله مقرنين بيان لحالهم فى الموقف الى ان يكب بهم فى النار والحالان الاخيرتان لبيان حالهم بعد دخول النار كان قوله مقرنين حرك فى السامع ان يقول اذا كان هذا شأنهم وهم فى الموقف فكيف حالهم وهم فى جهنم خالدون فاجيب بقوله سرابيلهم من قطران واوثر الفعل المضارع فى قوله وتغشى ولم يجعل اسمية كما قبله الاستحضار الحال والدلالة على تجدّد الغشيان حالا فحالا ﴿قوله وجاء قطران وقطران لغتين فيه﴾ يعنى ان قرآءة العامّة قطران بفتح القاف وكسر الطاء وجاء فيه لغتان غيرها احداهما قطران بفتح القاف وسكون الطاء على وزن سكران والاخرى قطران بكسر القاف وسكون الطاء على وزن سرحان وهو مايتحلب اى يستخرج من شجر يسمى الابهل والعرعر ايضا فيطبخ ويطلى به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدّته وحرارته والسربال القميص وسربلته فتسربل اى البسته السربال وجمعه سرابيل فلذلك قال المصنف قصانهم وهو جمع قيص ويحتمل ان يكون قوله تعالى سرابيلهم من قطران استعارة تمثيلية مبنية على تشبيه الهيئة الحاصلة لجوهر النفس من احاطة الملكات الرديئة والهيئات القبيحة بها حيث يترتب على تلك الاحاطة اغتمام النفس بانواع من الغموم والآلام بالهيئة الحاصلة من تسربل البدن سربالا من القطران بحيث يترتب على ذلك التسربل ما ذكر من الانواع الاربعة المعدّة وهى لذع القطران بحرارته وحدته ووحشة لونه ﴿قوله وعن يعقوب قطرآن﴾ بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين الرآء وآن على وزن رام فيكون قطرآن كلمتين والقطر النحاس او الصفر المذاب والآنى اسم فاعل من انى يأنى اذا تناهى فى الحرارة قال الله تعالى وبين حميم آن ﴿قوله اى وتغشاها﴾ اى يجب على قرآءة وتغشى بتشديد الشين ان تحمل الكلمة على المضارع بحذف احدى التاءين لتوافق المشهورة فيكون تفعل بمعنى فعل نحو تيسير بمعنى يسر كما ان تغشاه بمعنى غشيه فقوله تتغشاها بمعنى تعلوها وتغطيها ﴿قوله كما تطلع على افئدتهم﴾ يعنى انه تعالى خص القلب والوجه بظهور آثار العذاب فيهما حيث قال فى القلب نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة وقال فى الوجه وتغشى وجوههم النار لان الحكمة فى خلق المكلفين انما هى معرفة ربهم وخالقهم بمعاينة مايدل على كمال علمه وقدرته واستعمال المشاعر والحواس المجتمعة فى الرأس والوجه ليؤدّى استعمالها الى المعرفة التى موضعها القلب ليخضعوا لعظمته وكبريائه ويرغبوا فى طاعته ومرضاته ويجتنبوا عن سخطه وعقابه ويحوزوا بذلك سعادة الدارين فمن اهمل هذه القوى التى هى اسباب السعادات كلها فجدير ان يكون معظم مايتعلق به من العذاب ظاهرا فى محال تلك القوى ﴿قوله ونظيره قوله تعالى افمن يتقى بوجهه سوء العذاب﴾ فان من اصاب وجهه اذى فى الدنيا يتقى عنه بيده والمجرمون لما كانت ايديهم مغلولة الى اعناقهم لايقدرون على ان يتقوا النار بايديهم فلا جرم يتقونها بوجوههم ﴿قوله اى يفعل بهم ذلك ليجزى﴾ يعنى ان اللام متعلقة بمحذوف * ولما ورد ان يقال تعذيب المجرمين كيف يصح تعليله بمجازاة كل نفس بما كسبت فان علته ليست الا مجازاة انفسهم فقط لامجازاة عامة النفوس * اشار الى دفعه بوجهين الاول ان المراد بكل نفس النفوس المجرمة والثانى ان تعذيب المجرمين لاجرامهم لما استلزم اثابة المطيعين لطاعتهم كان قوله يفعل بهم ذلك متضمنا لكل واحد من الاثابة والتعذيب فصح تعليله بمجازاة كل نفس على العموم ثم اشار الى جواز كون اللام فى ليجزى متعلقة بقوله وبرزوا فحينئذ لاحاجة الى تخصيص كل نفس بالمجرمين بل يتعين ابقاؤه على عمومه ﴿قوله ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوآئد﴾ ذكر الفائدة الاولى بقوله ولينذروا به وذكر الثانية بقوله وليعلموا انما هو اله واحد والثالثة بقوله وليذكر * واعلم ان النفس الناطقة لها قوّتان نظرية تستكمل بها النفس معرفة الموجودات باقسامها التى هى الواجب لذاته وصفاته وآثاره الممكنة من الجواهر العلوية والسفلية ومعلولات الاعراض القائمة بها حتى تصير النفس بتلك المعرفة عالما آخر ارتسمت فيه صور جميع الموجودات من اجناسها وانواعها واصنافها مضاهيا للعالم الاكبر الذى تحققت فيه اعيان الموجودات المذكورة واجل هذه المعارف معرفة

وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

ذات الواجب بصفات جلاله وجماله وقوّة عملية تتمكن النفس بها على اعمال جوارحها وقواها الظاهرة والباطنة وتستعين بها فى تحصيل المقاصد الدنيوية والاخروية التى هى الاعمال الصالحة وهى التى عبر عنها المصنف بالتدرع بلباس التقوى والمراد بالتقوى ههنا التجنب عن كل مايؤثم من فعل او ترك فقوله تعالى وليعلموا انما هو اله واحد اشارة الى مايجرى مجرى الرئيس بكمال القوّة النظرية وقوله وليذكر اولوا الالباب اشارة الى مايجرى مجرى الرئيس بكمال حال القوّة العملية فان غاية هذا التذكر وفائدته هى الاعراض عن الاعمال الباطلة والاقبال على الاعمال الصالحة وهذه الآيات مشعرة بان التذكر بهذه المواعظ والنصائح يوجب الوقوف على التوحيد والاقبال على العمل الصالح والوجه فيه ان من سمع هذه التخويفات والتحذيرات عظم خوفه واشتغل بالنظر والتأمل والنظر يوصل الى معرفة التوحيد والنبوّة والاشتغال بالاعمال الصالحة * واعلم ان هذه الآية الكريمة دالة على ان العقل اشرف مايتوصل به الى الحق لان اعز المطالب واكرم المواهب هو هداية الله تعالى بانزال الكتب وبعثة الرسل وقد تبين بهذه الآية ان من ينتفع به ويتذكر هم اولوا الالباب فظهر به ان من لالب له كالبهائم اللهم اجعلنا من المهتدين بنور العقل والمتذكرين بنصائحك ومواعظك يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

﴿ سورة الحجر مكية بالاجماع وهى تسع وتسعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله الر تلك ايات الكتاب وقرءآن مبين قدمرّ ان فواتح السور يحتمل ان تكون اسماء لها وان تكون مذكورة على نمط التعديد للتحدّى وتعديد دليل الاعجاز اما من جهة المتحدّى مركب من جنس مامنه كلامهم وقد عجزوا عن اتيان مثله او من جهة ان من يأتى بهذه الفواتح لم يكتب ولم يقرأ ولم يخالط الكتب فعلم اسامى حروف المبانى من مثله معجزة فيكون الافتتاح بالمقطعات للايقاظ وقرع العصا من جملة المعجزات الخارقة للعادة فعلى هذا لايكون لها محل من الاعراب والذى يلوح من تقرير المصنف ان يكون الر اسما لهذه السورة الكريمة ويكون كلاما مستقلا تقديره هذه الر مثل قولك هذا زيد اى مسمى بزيد ويكون تلك اشارة الى مافى ضمنها من الآيات مرفوعة المحل على الابتداء وآيات الكتاب خبره ووصف الكتاب بكونه كاملا مستفاد من التعريف الجنسى فان تعريف الجنس فى مثل زيد الشجاع يفيد الحصر فيدل على ان زيدا لكماله فى الشجاعة لاينبغى لاحد سواه ان يدعى شجاعا فكذا اذا كان الخبر مضافا الى المعرف بلام الجنس فاذا اخبرت عن آيات هذه السورة بانها آية السورة دل ذلك على كمالها وتفضيل الشئ على غيره ادّعاء لايستلزم ان يكون ماعداه مفضولا بالنسبة اليه حقيقة واذا كان المراد بالقرءآن ايضا السورة يكون عطفه على الكتاب من قبيل عطف الصفات بان يكون الكتاب عبارة عن السورة الموصوفة بالكمال والقرءآن عبارة عن السورة الموصوفة بانها المقروء المبين والواو المتوسطة بين الصفات تفيد الجمع بينها والمبين من ابان المتعدّى وتنكير قرءآن مبين للتفخيم فيرجع المعنى الى انه قرءآن جامع لفخامة الشان وغرابة البيان ولما كان فى التعريف نوع من الفخامة وفى التنكير نوع آخر وكان الغرض الجمع بينهما عرف الكتاب ونكر القرءآن وان كان الافتتاح بقوله الر للايقاظ وتعديد دليل الاعجاز فحينئذ يحتمل ان يكون تلك اشارة الى مابعده كما فى قولك هذا اخوك فانه نقل عن الزمخشرى ان هذا لايكون اشارة الى غير الاخ وان المشار اليه لايجب ان يكون موجودا حاضرا بل يكفى ان يكون موجودا ذهنا وجملة تلك آيات الكتاب لامحل لها ان قيل الر كلام مستقل جيئ به لمجرّد التنبيه والايقاظ وفى محل الرفع على الخبرية ان قيل الر مبتدأ **قوله** ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين اختلف فى وقت ودادتهم ذلك والاصح ماقاله الزجاج فان حال الكافر كما رأى حالا من احوال العذاب ورأى حالا من احوال المسلم ودّ لو كان مسلما روى عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * اذا كان يوم القيامة واجتمع اهل النار فى النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة قال الكفار لهم ألستم مؤمنين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا فى النار فيتفضل الله تعالى بفضل رحمته فيأمر باخراج كل من كان من اهل القبلة من النار فيخرجون * فحينئذ يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقيل وقت ودادتهم حين حلول الموت ونزول ملائكة العذاب فانهم اذا شهدوا علامات العذاب ودّوا لو كانوا مسلمين وقيل يودّون ذلك اذا اسودّت وجوههم ونودى امتازوا اليوم ايها المجرمون **قوله** وما كافة اعلم ان رب حرف جرّ تلحقها ماعلى وجهين احدهما ان تكون بمعنى شئ كما فى قول الشاعر

(ربما تكره)

﴿ سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الر تلك آيات الكتاب وقرءآن مبين ﴾ الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرءآن وتنكيره للتفخيم اى آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرءآنا يبين الرشد من الغى بيانا غريبا ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيها ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ربتما ودونها وما كافة تكفه عن الجرّ فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضى لكن لما كان المترقب فى اخبار الله تعالى كالماضى فى تحققه اجرى مجراه

ص الى الصعيد بانفسهم وضائعهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها
فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والضجيج واخلصوا التوبة وكشف واظهروا الابتهال
وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف غمهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ج ١ صحيح قاضي

في بيان الظلم

قوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم اى بشرك واهلها مصلحون اى فيما بينهم لا
يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لقرط رحمته وسامحته في حقوقه ولذلك
قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى
مع الظلم ج ١ صحيح قاضي ٧١

في بيان الحسنات

قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وعامة اهل التفسير الى ان تعريف
الحسنات للعهد الخارجي والمراد ان الصلوات الخمس تكفر ما بينهن في الذنوب
وعن مجاهد رحمه الله ان الحسنات هو قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ج ١ صحيح قاضي ٧٠ في بيان دعاء يونس
روى ان يوسف لما القي في الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا
غالبا غير مغلوب اجعل لي من امري هذا فرجا ومخرجا واجعل لي فرجا لما انا فيه فجاءت
فيه وعلم جبرائيل عليه السلام هذا الدعاء اللهم يا كاشف كل كربة ويا مجيب كل دعوة ويا جابر
كل كسير ويا مؤنس كل غريب ويا صاحب كل وحيد ويا قوي كل ضعيف ويا
الله لا اله الا انت سبحانك اسألك ان تجعل لي فرجا ومخرجا وان تقذف حبك
في قلبي حتى لا يكون لي هم ولا ذكر غيرك وان تحفظني وترحمني يا ارحم الراحمين ج ١ صحيح قاضي ٧٧
قال الحسن رضي الله عنه القي يوسف في الجب وهو ابن اثنتي عشرة سنة والقي ابوه بعد ثمانين سنة
وقيل ويوسف ابن سبع عشرة سنة وروي ان هوام البئر قال بعضها لبعض لا تؤذوا هذا
حاكيكن فان نبيا من الانبياء يخرج من نسل يعقوب الا الا يخرج ما دمت فان قصدت يوسف

في بيان جري النيل

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال غار النيل على عهد فرعون فأتاه أهل مملكته فقالوا أيها الملك أجر لنا النيل فقال إني لست براض عنكم حتى قال ذلك ثلاث مرات فذهبوا فأتوه فقالوا أيها الملك هلكت البهائم وهلكت الصبيان والأبكار فأتاه فجر لهم النيل فاتخذنا إليها غيرك فقال لهم اخرجوا إلى الصعيد فخرجوا فتحي بحيث لا يردونه ولا يسمعون كلامهم والصق عقبه بالأرض وأشار بالسبابة وقال اللهم إني خرجت إليك خروج العبد الذليل إلى سيده وأنا أنه لا يقدر أحد على حبس أجرائه غيرك فأجره قال فجرى النيل جريا فأتاهم فقال لهم إني خرجت إليكم فجرى النيل قال فخروا له سجدا فقرض له جبريل فقال أيها الملك إن عبدا طلكته عبيدك وأعطيته مفاتيح خزائني وعادني واجب في عادته الملك أن عبدا طلكته عبيدك وأعطيته مفاتيح خزائني وعادني واجب في عادته دعاك في أصبعه فقال له فرعون لو كان لي ذلك العبد لقرنته في بحر القارم فقال له جبريل دعاك في أصبعه فقال له فرعون لو كان لي ذلك العبد لقرنته في بحر القارم فقال له جبريل أيها الملك اكتب لي بذلك كتابا قال فدعا بدواة وقلم وقرطاس فكتب فرعون فيه يقول أيها العباس الوليد مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يغرق في بحر القارم فلما أتى البحر فلما الفرق ناداه جبريل خطه فغرقه فقال جبريل هذا جزاء من كفر نعمتك

في بيان قرية قوم يونس

حكي عن فرعون أنه تاب في آخر الأمر فلم تقبل توبته وعن قوم يونس أنهم تابوا فقبلت توبتهم فما الفرق والجواب أن فرعون إنما تاب بعد أن شاهد العذاب وقوم يونس تابوا قبل أن يشاهدوا العذاب والمصنف أشار إلى هذا الفرق بقوله لما آمنوا أزلنا عنهم أي أزلنا عنهم العذاب تابوا قبل أن يشاهدوا العذاب وحين ظهر الفرق

روي أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من الموصل فكذبوه وأمرهم أن يعذبهم بالعذاب إلى ثلاث وقيل إلى ثلاثين وقيل إلى أربعين فلما دنا الموعد غامت السماء غيما أسود هائلا دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم فهالهم فظنوا أن يونس فلم يجدوه وأيقنوا بحلول العذاب فلبسوا المسوح وبرزوا

* ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال *

فكلمة تكره النفوس صفته بحذف العائد والتقدير رب شئ تكرهه النفوس ولولا انها اسم لما جاز عود الضمير اليها والوجه الثانى ان تكون كافة تكف الحرف عن العمل ولما صارت مكفوفة عنه تهيأت وصلحت للدخول على مالم تكن تدخل عليه قبل كونها مكفوفة فان رب حال كونها عاملة انما تدخل على الاسم المفرد وتجره نحوه رب رجل كريم لقيته ولا تدخل على الفعل فلما دخلت عليها ماهيأتها للدخول على الفعل كما فى هذه الآية ثم انهم اتفقوا على ان كلمة رب اذا دخلت على الفعل لا تدخل الا على غير المستقبل كما يقال ربما قصدنى عبد الله لانها لتقليل ماثبت وتحقق وقيل هى لتقليل المحقق فلا معنى لدخولها على المستقبل ولا ينتقض بدخولها على المستقبل فى قوله ربما تكره النفوس لما مرّ من انها داخلة على اسم نكرة والقاعدة انما هى فيما اذا دخلت على الفعل لكنه ينتقض بهذه الآية حيث دخلت فيها على المستقبل على تقدير كون ما كافة * قال الامام قول النحويين انه لا يجوز دخول رب على الفعل المستقبل لا يمكن تصحيحه بالدليل العقلى وانما الرجوع فيه الى النقل والاستعمال ولو انهم وجدوا بيتا مشتملا على هذا الاستعمال لقالوا انه جائز صحيح وكلام الله تعالى اقوى والحمل فى الاستدلال بالجواز اولى فلم لم يتمسكوا فى دخولها على المستقبل بهذه الآية والحمل على جوازه وصحته ثم قال اجاب النحويون عن النقض المذكور بوجهين الاوّل قالوا المترقب فى اخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه فكأنه قيل ودّوا والثانى ان كلمة ما فى قوله ربما يودّ الذين كفروا اسم ويودّ صفته والتقدير رب شئ يودّ الذين كفروا

﴿ قوله ومعنى التقليل فيه ﴾ جواب عن سؤال مبنى على مقدّمة وهى انهم اتفقوا على ان رب موضوعة للتقليل وهى فى التقليل نظيركم فى التكثير فاذا قال الرجل ربما زورفلانا دل بربما على تقليل الزيارة قال الزجاج من قال ان رب يعنى بها الكثرة فكلامه مخالف لما يعرف من اهل اللغة والسؤال المتفرع عليها هو ان تمنى الكافر الاسلام كثير دآئم فلا يليق به لفظة ربما التى تفيد التقليل * وتقرير الجواب انه لا شك فى كثرة ودادتهم الاسلام لكنها صوّرت بالقلة لكون التقليل ابلغ فى التهديد والمعنى ان ودادتهم الاسلام وتمنيهم ذلك لو كانت قليلة بل مرّة لوجب مسارعتهم الى الاسلام فكيف اذا كانت كثيرة مستمرّة فى كل ساعة وقوله فبالحرىّ مبتدأ وان يسارعوا خبره والباء زآئدة كما فى قولك بحسبك درهم والتقدير فالحرى اى الحقيق المسارعة اليه والفاء فى فكيف جواب شرط محذوف تقديره اذا كفى ودادتهم مرّة فى المسارعة الى الاسلام فكيف لا يسارعون اليه والحال انهم يودّون فى كل ساعة * فان قلت قوله يودّ لابدّله من مفعول فما مفعوله * فالجواب انه محذوف اى يودّون اسلامهم فحينئذ تكون كلمة لو فى قوله لو كانوا مسلمين امتناعية ويكون جوابها محذوفا تقديره لو كانوا مسلمين لسرّوا بذلك وتخلصوا مما هم فيه ويحتمل ان تكون لو مصدرية لوقوعها بعد فعل دال على معنى التمنى فحينئذ يكون المصدر المأوّل مفعولا ليودّ اى يودّون كونهم مسلمين وقد ذكر فى شرح الرضى ان كلمة لو فى قولهم يودّوا لو انهم بادون بمعنى ان المصدرية وليست بشرطية لمجيئها بعد فعل دال على معنى التمنى وهذا على تقدير ان تكون ما كافة واما ان جعلتها نكرة موصوفة فحينئذ يكون مفعول يودّ ضميرا محذوفا يعود الى النكرة الموصوفة وتكون لو المصدرية مع ما فى حيزها بدلا من ما

﴿ قوله وقيل تدهشهم اهوال القيامة ﴾ اى قيل فى وجه تقليل ودادة الكافر الاسلام ان غلبة الدهشة عليهم تجعلهم مبهوتين متحيرين بحيث تمنعهم غلبة الحيرة عليهم من تمنى الاسلام الا فى زمان افاقتهم عما هم فيه من الفكرة والدهشة ومن المعلوم ان زمان افاقتهم فى غاية القلة فلا جرم تقل ودادتهم الاسلام ﴿ قوله والغيبة فى حكاية ودادتهم ﴾ يعنى ان قوله تعالى لو كانوا مسلمين حكاية لودادتهم بقول مقدّر والتقدير يودّ الذين كفروا قائلين لو كانوا مسلمين فالظاهر حينئذ ان يقال لو كنا مسلمين لتكون الحكاية مطابقة للمحكى الا انه جئ بها على لفظ الغيبة لتطابق اللفظ الذى ذكر قبلها وهو قوله الذين كفروا * واعلم ان قوله تعالى ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين الى قوله وما يستأخرون جملة معترضة بين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرءآن مبين وبين قوله يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون فانه تعالى لما بالغ فى وصف آيات هذه السورة الكريمة بما ينبئ عن بلوغها الى اقصى درجات الكمال وحكى عن المشركين انهم بالغوا فى التكذيب حتى قالوا على سبيل خطاب المواجهة يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ربما يود الذين كفروا والمعنى هوّن على نفسك فانك بالغت فى الارشاد والانذار وهم ايضا افرطوا فى التكذيب والانكار فهم قوم جهلة عديموا الدراية والاعتبار فانهم لو كانوا يودّون الاسلام مرّة فالحرىّ

وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرّة فبالحرىّ ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودّونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيامة فان حانت منهم افاقة فى بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة فى حكاية ودادتهم كالغيبة فى قولك حلف بالله ليفعلنّ ﴿ذرهم﴾ دعهم ﴿يأكلوا ويتمتعوا﴾ بدنياهم ﴿ويلههم الامل﴾ ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد

ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودّونه كل ساعة واذا كان كذلك فاقطع طمعك فى ارعوائهم ودعهم من النهى عما هم عليه من الاغترار بالحظوظ العاجلة وعدم الالتفات الى مايؤدّى الى سعادة الآخرة واللذة الباقية بل مرهم امر تهديد بأكل الطعام والتمتع فيها اياما قلائل فسوف يعلمون سوء صنعهم ﴿قوله﴾ وفيه الزام الحجة ﴿ اى فى قوله ذرهم مع تخصيص الاكل والتمتع بالمشتهيات والتلهى بالامل بالذكر فان تخلية الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم وبين مايشتهون وصدّه عن انذارهم ودعوتهم الى الحق لايكون الا عند تكرر الانذار والجحود الى ان يحصل اليأس من الايمان كأنه قيل قد بالغت فى الانذار والزمت الحجة فدعهم بعد ذلك الى ان يعاينوا جزآء اصرارهم وعنادهم فقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ليس امر تكليف بل هو على طريق التهديد والتوعيد والابلاغ فى الوعيد والتأكيد كقوله تعالى اعملوا ماشئتم انه بما تعملون بصير وقوله تعالى ويلههم الامل اى يشغلهم مايؤملون من امور الدنيا عن الاخذ بحظهم من الايمان والطاعة يقال الهاه الشئ اى شغله وانساه ثم انه تعالى لما هدّد المكذبين المعاندين بقوله فسوف يعلمون بين ان تأخير العذاب ليس مبنيا على الاهمال بل هو امهالهم ليبلغوا الاجل المقدّر لهم فقال وما اهلكنا من قرية اى من اهل قرية قبل ان يبلغوا اجلهم فهذا الامهال لاينبغى ان يجهل به العاقل لان العذاب مؤخر وان كل اجل له وقت معين لنزوله لايتقدّم ولايتأخر ﴿قوله﴾ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية ﴿ لان قوله الا ولها كتاب استثناء مفرغ من الصفة وتقدير الكلام وما اهلكنا من قرية على اى صفة الا على صفة انها لها كتاب معلوم ولانه فى قوّة قوله اهلكنا قرية لها كتاب معلوم فلها كتاب معلوم صفة لقرية ﴿قوله﴾ والاصل ان لاتدخلها الواو ﴿ يعنى ان القياس ان لايتوسط العاطف بين الصفة والموصوف لشدّة اتصالها به لكن لما كانت الصفة كالحال فى المعنى وان كان بينهما فرق من بعض الوجوه وجاز ان الواو تدخل على الجملة الواقعة حالا كذلك جاز ان تدخل على الجملة الواقعة صفة فكما ان معنى الحالية لايتغير بدخول الواو عليها نحو اذا قلت جاءنى زيد عليه ثوب وجاءنى وعليه ثوب كذلك معنى الوصفية لايتغير بدخول الواو عليها وعدم دخولها وكما ان الواو الداخلة على الحال انما تدخلها لمجرّد الربط كذلك الواو الداخلة على الصفة وذلك ان الاصل فى الجملة الواقعة موقع الحال ان لاتدخلها الواو لفوات المغايرة لان حكم الحال مع صاحبها حكم الخبر مع المخبر عنه والخبر ليس موضعا لدخول الواو فكذا الحال وانما يدخلها لمجرّد الربط لاسيما اذا كانت جملة اسمية فانها اشدّ اقتضاء للربط فكذا حكم الوصف لان الصفة مرتبطة بالموصوف فتكون الواو لتأكيد ذلك الارتباط واعترض على جعل الجملة صفة لقرية لان توسيط الواو بين الصفة والموصوف غير معهود وكذا توسيط كلمة الا بينهما لم يعرف ان احدا من النحاة ذهب الى جوازه صفة بل ذهب الى جوازه حالا والحال ليس وزانها ووزان الصفة اذا حققتها الواو ولعل من جعلها صفة لقرية ولم يجعلها حالا نظر الى تنكير ذى الحال وهو قرية وليس بقوىّ اذ يجوز ان يقال عمومها يصحح كونها ذا الحال كما فى المبتدأ نحو ما احد خير منك وهذا المعترض قد تبع صاحب المفتاح حيث قال فالوجه عندى هو ان ولها كتاب معلوم حال من القرية لكونها فى حكم الموصوفة اى قرية من القرى لا وصف لها وجعله على الوصف سهو لا خطأ ولا عيب فى السهو ﴿قوله﴾ ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ﴿ قال المصنف فى تفسير قوله تعالى ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا من المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت انتهى * فان قيل لما كان قوله تعالى الا ولها كتاب معلوم صفة لقرية كما فى قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فما الفرق بينهما حتى اكد لصوق الصفة بالموصوف فى احداهما ولم يؤكد فى الاخرى * فالجواب ان الوصف المذكور فى هذه الآية غير الوصف المذكور فى قوله الا لها منذرون لان الوصف فيما نحن فيه لازم عقلى وفى تلك لازم عادى جرت عليه سنة الله تعالى فان وجود الحوادث فى اىّ وقت كان على سبيل الاتفاق لايقتضيه العقل والحكمة بل هما يقتضيان ان يكون لكل حادث وقت مقدّر وكتاب معلوم لايتقدّم عليه ولايتأخر بخلاف لزوم سبق وجود المنذر على الاهلاك فان لزومه له بمجرّد جرى عادة الله تعالى على ذلك ﴿قوله﴾ تعالى من امّة ﴿ فاعل تسبق ومن مزيدة للتأكيد وحمل على لفظ امّة حيث انث تسبق لاسناده الى امّة وافرد الضمير المجرور وانث فى قوله اجلها كذلك وحمل على معناها فى قوله ومايستأخرون فجمع وذكر وحذف متعلق يستأخرون وتقديره ومايستأخرون عنه للدلالة عليه ورعاية للفواصل ﴿قوله﴾ لمغنين ﴿ اى على سبيل البدل اما الامتناع واما التحضيض فان قوله لولا علىّ لهلك عمر ليس فيه سوى الامتناع وقوله تعالى لو ماتأتينا ليس فيه سوى

(التحضيض)

﴿فسوف يعلمون﴾ سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم من اعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لاطائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم ومايؤدّى اليه طول الامل ﴿وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم﴾ اجل مقدّر كتب فى اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لاتدخلها الواو كقوله الا لها منذرون ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تأكيدا لصوقها بالموصوف ﴿ماتسبق من امّة اجلها ومايستأخرون﴾ اى ومايستأخرون عنه وتذكير ضمير امّة للحمل على المعنى ﴿وقالوا ياايها الذى نزل عليه الذكر﴾ نادوا به النبى صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ماناده له وهو قولهم ﴿انك لمجنون﴾ ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدّعى ان الله تعالى نزل عليك الذكر اى القرآن ﴿لو ما تأتينا﴾ ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشئ لوجود غيره والتحضيض ﴿بالملائكة﴾ ليصدّقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل ﴿ان كنت من الصادقين﴾ فى دعواك

فضیلتلو استاذم حاجی احمد افندی

مخصوص سلام ایدوب خاطر عالیلرنی استفسار ایدرم بوکون والده مه زیارت

مقصدیله یاده سیله مصر ده خسته اولدیغم حالده بوله جسدم وایورلرده

دها زیاده خسته اولرمه کورجک حالم ایله جانمزه کله بیلدم برحالده بزی

طبیب تداوی ایجاده در ایکی هفته اغریسه سوده بوغورتمه یشیم ومعده صوبیوتمه یشیم

برشی قویمه جغم اولدی حمد اولسون بوکونلرده براز اباغم قالقدم بیوب اجمکدیم

ذات عالیلرنی اصرحالده تراجعه ارضوایدرم اکر تشریفلرنه محکمه اولمزایسه

تبدیل هوا ضمنده رمضانه تریفی ذات عالیلرنی باینده کیرمك فکرنده یم

تبدیل هوا یرایسه برایمیه جغم وبوفکرمده مصیب اولیه اولمم دیغم رمضانه اول

بیاله بیورمکدن وشاید اولیه جغم ایسه اصرحال رمضانه باقمیوب سرمضانه دکمکله

تشریف بیورمکدن تمنی ایدرم شوالك هفته سنه قدر بورایه کلوب جکم نقد مصیبه وخسته اولدیغم

ایسه کیده جکم اولمزایسه اوج مالك برایوب کلوب جکم نقد مصیبه وخسته اولدیغم

شو بازمدن اکلایه سکز باقی دعا)

مخلصکز اسکی عبد القادر

زاده از هر تریفه

طلبه سندن محمد لاری

التحضيض والفرق بين التحضيضية والامتناعية هو ان التحضيضية لايليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا كما فى قوله

* تعدّون عقر النيب افضل مجدكم * بنى ضوطرى لولا الكمىّ المقنعا *

اى هلا تعدّون الشجاع المتقنع بآلات الحرب والامتناعية لايليها الا الاسم لفظا او تقديرا عند البصريين وفى قوله مايُنزل الملائكة اربع قراآت مايُنزل على لفظ المضارع المعلوم المسند الى ضمير الغائب ونُنزل بنونين اولاهما مضمومة وثانيتهما مفتوحة وكسر الزاى ونصب الملائكة فيهما على المفعولية وتنزل بضم التاء وفتح النون والزاى ورفع الملائكة على انه قائم مقام الفاعل وتنزل بفتح التاء والنون والزاى على ان اصله تتنزل فحذفت احدى التاءين ورفع الملائكة على الفاعلية وقوله الا بالحق مستثنى مفرغ من اعم عام المصدر اى ماتنزل الملائكة تنزيلا الا تنزيلا ملتبسا بالحق وقوله بالحق متعلق بمحذوف منصوب على انه نعت لمصدر محذوف ﴿قوله ولا حكمة فى ان تأتيكم بصورة﴾ على ان يكون قولهم لوما تأتينا بالملائكة بمعنى لوما تأتينا بهم ليصدّقوك فيما تدّعيه من الرسالة حتى تزول الشكوك والشبهات فى ذلك بشهادتهم عندنا وقوله ولا فى معاجلتكم بالعقوبة على ان يكون معناه لوماتأتينا بالملائكة الذين ينزلون علينا بذلك العذاب الذى تخوّفنا به على تقدير عدم ايماننا بك كما قال ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب ﴿قوله وقيل الحق الوحى اولعذاب﴾ عطف على قوله اى بالوجه الذى قدّره فالمعنى على هذا مايُنزل الملائكة الا لاجل تبليغ الوحى اولعذاب الاستئصال وتصديق المدّعى والشهادة بصدقه فى دعواه ليس شيأ منهما فلا ينزلهم لذلك ولايردّ عذاب الاستئصال لهذه الامّة ﴿قوله اذا جواب لهم وجزآء﴾ فان اذا انما يذكر حيث خاطبك احد بشئ وتريد ان تجيبه فتقول فى جواب كلامه اذا يكون كما اذا قال لك انسان انا آتيك فتقول اذا اكرمك كانك قلت ههنا ان كان الامر كما ذكرت اكرمك فكذا هذه الآية ﴿قوله ردّ لانكارهم واستهزآئهم﴾ فان الكفرة قالوا ياايها الذى نزل عليه الذكر فقد انكروا ان ينزل عليه ذكر من ربه واستهزؤوا به حيث نادوه بهذا العنوان زاعمين انه عليه الصلاة والسلام غير موصوف به فكأنهم قالوا ياايها المفترى ان الله تعالى لم ينزل عليك الذكر وهذا الذى تزعم انه من عند الله ليس منه بل هو من القاء الجن وانك لمجنون فردّ الله عليهم بقوله انا نحن نزلنا الذكر وأكده من وجوه تصدير الجملة بان وتوسيط ضمير الفصل بين اسمها وخبرها والتعبير عن المتكلم الواحد بضمير الجمع للتعظيم والاجلال وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وتقريره واسمية الجملة *فان قيل قد حصل ردّ انكارهم واستهزآئهم بقوله انا نحن نزلنا الذكر فما وجه اتصاله بقوله وانا له لحافظون *اجيب بان اتصاله من قبيل اتصال الدليل بالمدلول فان حفظ الله اياه يدل على كونه من عند الله لانه لوكان من عند غيره لما كان مصونا من الزيادة والنقصان بل مجرّد كونه من عند الله تعالى لايستلزم كونه محفوظا مالم يحفظه الله تعالى ويتكفل بحفظه الاترى انه لم يتفق لشئ من الكتب مثل هذا الحفظ فانه لا كتاب الا وقد دخله التحريف والتغيير اما فى الكثير منه او فى القليل وبقاء هذا الكتاب مصونا عن جميع جهات التحريف مع ان دواعى الملاحدة واليهود والنصارى متوفرة على ابطاله وافساده من اعظم المعجزات وذكر لطريق حفظ الله تعالى اياه وجهين الاوّل جعله اياه معجزا مباينا لكلام البشر فان الخلق عجزوا بذلك عن الزيادة والنقصان لانهم لو زادوا فيه ونقصوا لتغير نظم القرآن وظهر لكل العقلاء ان هذا ليس من القرآن فصار كونه معجزا كالحاطة السور بالمدينة فى كونه سببا للحفظ والصيانة والثانى ماأشار اليه بقوله او نفى تطرق الخلل فانه مصدر معطوف على قوله بان جعلنا فانه فى تأويل المصدر فانه تعالى لمادام واستمرّ على ضمان الحفظ له امتنع تطرّق الخلل اليه وكان ذلك طريق الحفظ وكلمة ما فى قوله كما نفى ان يطعن فيه مصدرية والباء فى قوله بانه المنزل له متعلقة بالذكر واشار به الى بيان المناسبة بين قوله وانا له لحافظون وبين قوله انا نحن نزلنا الذكر ليصح عطف احداهما على الاخرى وهى كون كل واحدة من الجملتين متعلقة بالذكر ﴿قوله وقيل الضمير فى له للنبى صلى الله عليه وسلم﴾ والمعنى وانا لمحمد لحافظون وصح ارجاع الضمير اليه لانه لما ذكر الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه فحسن ارجاع الضمير اليه لكونه امرا معلوما كما فى قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر فان ضمير انزلناه للقرآن مع انه لم يتقدّم ذكره وحسن ذلك لما ذكر فكذا ههنا ثم ان القوم لما اساؤا الادب وخاطبوه عليه الصلاة والسلام خطاب السفاهة حيث قالوا له انك لمجنون فالله تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم وقال ان عادة الجهال مع جميع الانبياء كانت هكذا وكانوا يصبرون على اذى الجهال وسفاهتهم ويستمرّون على الدعوة والانذار

﴿مايُنزل الملائكة﴾ بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالنون وابوبكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تُنزل بمعنى تتنزل ﴿الا بالحق﴾ الا تنزيلا ملتبسا بالحق اى بالوجه الذى قدّره واقتضته حكمته ولا حكمة فى ان تأتيكم بصورة تشاهدونها فانه لايزيدكم الا لبسا ولا فى معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحى اوالعذاب ﴿وماكانوا اذا منظرين﴾ اذا جواب لهم وجزآء لشرط مقدّر اى ولو نزلنا الملائكة ماكانوا منظرين ﴿انا نحن نزلنا الذكر﴾ ردّ لانكارهم واستهزآئهم ولذلك اكده من وجوه وقرّره بقوله ﴿وانا له لحافظون﴾ اى من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لايخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفى تطرق الخلل اليه فى الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير فى له للنبى صلى الله عليه وسلم

فاقتدبهم فى ذلك وهو قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الا انه حذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وسميت الفرقة المتفقة على طريق ومذهب شيعة لكون بعضهم تبعا لبعض وتباعاله والشياع التباع واحدهم شيعة وشيعة الرجل اتباعه قيل شيع الاوّلين من باب اضافة الموصوف الى الصفة كقوله حق اليقين وجانب الغربى والاصل فى الشيع الاوّلين والبصريون يأوّلون مثله على حذف المضاف اليه اى فى شيع الامم الماضين الاوّلين وجانب المكان الغربى ﴿قوله﴾ والمعنى نبأنا رجالا ﴿جواب عمايقال الاصل فى فعل الارسال ان يتعدّى بالى فينبغى ان يقال ولقد ارسلنا من قبلك الى شيع الاوّلين فكيف عدّى بكلمة فى* والجواب ان يقال عدّى بفى لتضمين ارسلنا معنى نبأنا الا انه زاد قوله رجالا للاشارة الى ان مفعول ارسلنا محذوف تقديره ارسلنا رسلا فيهم وزاد قوله وجعلناهم رسلا فيمابينهم اتماما لمعنى ارسال الرسل لما تقرّر من ان الرسول من له معجزة باهرة وكتاب سماوى والنبى صاحب المعجزة فقط وليس له كتاب سماوى فلو اقتصر على قوله نبأنا رجالا فيهم لكان المذكور بعض معنى ارسلنا وهو بصدد بيان تمام معناه فدل بقوله نبأناهم فيهم على معنى اعطيناهم المعجزة وبقوله وجعلناهم رسلا فيمابينهم على معنى صيرناهم صاحب كتاب وشريعة مستقلة والفائدة فى ارتكاب مايحوج الى اعتبار التضمين الاعلام بمزيد تمكين الرسل واستقرارهم فيمابين الامم ﴿قوله﴾ تعالى ومايأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ﴿نظير قوله تعالى وماأهلكنا من قرية الا لها منذرون فيكون المنفى فيه صفة لرسول الله على مااختاره المصنف لانه فى قوّة ان يقال اتاهم رسول مستهزأ به ولم يأتهم رسول غير مستهزأ به ويكون حالا من مفعول يأتيهم على مااختاره السكاكى والكاف فى قوله تعالى كذلك منصوب المحل على انه صفة مصدر محذوف اوحال منه اى سلكنا الاستهزآء فى قلوبهم سلكنا مثل هذا السلك ويحتمل ان يكون مرفوع المحل على انه صفة مصدر محذوف اوحال منه اى الامر كذلك ويستأنف وقوله وقيل للذكر فان المعتزلة لما ابوا من ارجاع ضمير نسلكه الى الاستهزآء المدلول عليه بقوله يستهزئون على ان الاستهزآء بالانبياء كفر وضلال والله تعالى لايخلق الباطل فى قلب العبد على زعمهم قالوا ان الضمير للذكر واستدلوا عليه بان الضمير فى قوله لايؤمنون به عائد الى القرآن بالاجماع فوجب ان يكون ضمير نسلكه ايضا عائدا اليه لانهما ضميران متعاقبان فيجب عودهما الى شئ واحد ﴿قوله﴾ لايؤمنون به ﴿حال من ضمير نسلكه فلو كان ذلك الضمير للاستهزآء لكان المعنى نسلك الاستهزآء فى قلوبهم حال كونهم لايؤمنون بذلك الاستهزآء وذلك يوجب التناقض لان الكافر لابدّ وان يكون مؤمنا بكفره واستهزآئه والذى لايؤمن ولايصدّق بالكفر هو المسلم العالم ببطلان الكفر اذهو بيان وتفسير لجملة كذلك نسلكه فينبغى ان يكون المبين مشتملا على مايشتمل عليه البيان واجاب المصنف عن وجوه احتجاجهم بان الاصل فى الضمائر ان ترجع الى اقرب المذكورات وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر بعيد وقوله يستهزئون قريب والاصل المذكور يقتضى ان يرجع ضمير نسلكه الى الاستهزآء المدلول عليه باقرب المذكورين ولا مانع من اعتبار هذا الاصل فى ضمير نسلكه* فان قلت انه راجع الى الاستهزآء اذا لم يتحقق مانع والا فلا قلنا انه راجع الى الاستهزآء ولما تحقق المانع من اعتبار هذا الاصل فى الضمير الثانى وهو لزوم التناقض قلنا ان الضمير الثانى يرجع الى الذكر المذكور اوّلا وتفريق الضمائر المتعاقبة على الاشياء المختلفة ليس بقليل فى القرآن فان تعاقب الضمائر لايستلزم الرجوع الى شئ واحد بل الامر فيه موقوف على الدليل ولما دل الدليل فى هذه الآية على رجوع الضمير الاوّل الى الاقرب ورجوع الضمير الثانى الى الابعد عملنا بمقتضى الدليل واجاب عن قولهم ان يؤمنون به حال من ضمير نسلكه فلو كان الضمير للاستهزآء لزم التناقض بقوله ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير الخ يعنى ان التناقض انما يلزم على تقدير كون ضمير نسلكه للاستهزآء وكون الجملة حالا منه وذلك غير لازم لجواز ان تكون حالا من المجرمين بل ويجوز ان لايكون لها محل من الاعراب بان تكون جملة مستأنفة لبيان حالهم بدخول الاستهزآء فى قلوبهم ويكون المعنى لايؤمنون بسببه واجاب عن قولهم ان كون الجملة الثانية بيانا للاولى يستدعى ان يكون ضمير نسلكه للذكر وهو ينافى كونه للاستهزآء بقوله ولا ينافى كونها مفسرة للمعنى الاوّل بل يقويه فان تمكن الاستهزآء بالرسل فى القلب عبارة عن الامتناع عن الايمان بسبب ذلك الاستهزآء فيصلح ان يكون لايؤمنون به تفسيرا لقوله كذلك نسلكه اى الاستهزآء فى قلوبهم ﴿قوله﴾ بان خذلهم وسلك الكفر فى قلوبهم ﴿قدّم هذا المعنى لكونه اكثر ارتباطا بماذكر قبل وعلى المعنى الثانى يكون تهديدا للكفار مكة ﴿قوله﴾ على هؤلاء المقترحين ﴿من كفار مكة فانه تعالى حكى عنهم توغلهم فى الكفر والعناد بقوله وقالوا ياايها الذى نزل عليه

﴿ولقد ارسلنا من قبلك فى شيع الاوّلين﴾ فى فرقهم جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيمابينهم ﴿ومايأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن﴾ كايفعل هؤلاء وهو تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ومالحال لايدخل الامضارعا بمعناه اوماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية ﴿كذلك نسلكه﴾ ندخله ﴿فى قلوب المجرمين﴾ والسلك ادخال الشئ فى الشئ كالخيط فى المخيط والرمح فى المطعون والضمير للاستهزآء وفيه دليل على ان الله تعالى يوجد الباطل فى قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر فى قوله ﴿لايؤمنون به﴾ له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر فى قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به اوبيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لايلزم من تعاقب الضمائر توافقها فى المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافى كونها مفسرة للمعنى الاوّل بل يقوّيه ﴿وقد خلت سنة الاوّلين﴾ اى سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر فى قلوبهم اوباهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ﴿ولو فتحنا عليهم﴾ على هؤلاء المقترحين

الذكر انك لمجنون لو ماتأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين وقد حكى الله تعالى فى مواضع اخر انهم كانوا يقترحون الآيات ويعلقون اسلامهم على مجيئها نحو قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها فكان المسلمون يظنون انهم صادقون مسترشدون فى ذلك الاقتراح فكانوا يشفعون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يسأل من الله ان يعطيه الآيات التى سألوها لعلهم يؤمنون فبين الله تعالى انهم فى ذلك الاقتراح غير مسترشدين بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء لأصروا على العناد والمكابرة فلا تلتفتوا الى قولهم لو ما تأتينا بالملائكة ونظيرها قوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقوله قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ﴿قوله﴾ تعالى فظلوا ﴿قوله﴾ من الافعال الناقصة واسمه مستتر فيه راجع الى الكفار المفتح لهم الباب وقيل راجع الى الملائكة وقد اشار اليه المصنف بقوله او تصعد الملائكة فالمعنى لو كشف لهؤلاء عن ابصارهم حتى عاينوا بابا من السماء مفتوحا فظل الملائكة ينزلون منه ويصعدون فان الصعود لا يكون بدون النزول فكان ذكره مستغنى عنه لصرفوا ذلك الى انهم سحروا اولا أصروا على كفرهم ولم يؤمنوا فعلى هذا يكون النظم من قبيل ماتعاقب فيه الضمائر مع اختلاف المرجع اليه والظلول فعل الشئ نهارا يقال ظل يفعل كذا اذا فعله بالنهار وبات يفعل كذا اذا فعله بالليل فقوله ظلوا فيه يعرجون بمعنى يصعدون اليه فى بياض النهار ليكونوا مستوضحين لما يرون ﴿قوله﴾ اليها ﴿قوله﴾ اشارة الى ان متعلق يعرجون محذوف اى يعرجون اليها فيه بتضمين معنى الارتفاع اى يرتفعون ﴿قوله﴾ سدّت عن الابصار بالسحر من السكر ﴿قوله﴾ بفتح السين وسكون الكاف وهو مصدر سكرت النهر اسكره اذا سددته وهو من باب نصر والسكر بالكسر العزم والسكر بضم السين وسكون الكاف اسم للسكر من الشراب وفعله من باب علم يقال سكر يسكر سكرا وهذا لازم والاوّل متعدّ فيكون بناء التفعيل فى الاوّل للتكثير اى تكثير المفعول وهو الابصار وفى الثانى للتعدية وقرأ ابن كثير سكرت بتخفيف الكاف وبناء المفعول وباقى السبعة قرأوا على بناء المفعول ايضا الا انهم شدّدوا الكاف والفعل على قرآءة الجميع من السكر بمعنى السدّ بشهادة قرآءة ابن كثير فانه لو لم يكن من السكر المتعدّى لما بنى الفعل للمفعول وذلك يدل على ان باقى القرآآت ايضا من المتعدّى وان التضعيف للتكثير ﴿قوله﴾ او حيرت من السكر ﴿قوله﴾ بالضم عطف على قوله سدّت فعلى هذا يكون التضعيف للتعدية ﴿قوله﴾ وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له ﴿قوله﴾ اما دلالة كلمة الحصر عليه فانها تدل على ان مسكرا تعلق بناتسكيره وحيرنا الا ان ذلك التسكير والتحيير لم يتعلق الا بابصارنا ولم يتعلق بعقولنا ولا يخفى ان هذا بت بان ما يرونه لا حقيقة له واما دلالة كلمة الاضراب عليه فانهم اضربوا عن الحصر فى الابصار وقالوا بل جاوز التسكير الى عقولنا وان سحر السحرة كما حير ابصارنا حير عقولنا ايضا فقد حكموا بانه كما لا اعتماد على شهادة حواسهم لا اعتماد ايضا على شهادة عقولهم لكون الكل حيرى سكرى فهو بت بان ما يرونه بابصارهم ويحكمون عليه بعقولهم امور موهة لا حقيقة لها * قال الامام فان قيل كيف يجوز من الجماعة العظيمة ان يصيروا شاكين فى وجود مايشاهدونه بالعين السليمة فى النهار الواضح ولو جاز حصول الشك فى ذلك كان حصول السفسطة لازما ولا يبقى حينئذ اعتماد على الحس والمشاهدة ثم قال واجاب القاضى عنه بانه تعالى ماوصفهم بالشك فيما يبصرونه وانما وصفهم انهم يقولون هذا القول وقد يجوز ان يقدم الانسان على الكذب على سبيل العناد والمكابرة وقال بعده فيصح من الجمع العظيم ان يظهروا الشك فى المشاهدات واجاب ايضا بان ذلك اذا جلهم غرض معتبر من المواطأة على دفع حجة او غلبة خصم فهذه الحكاية ايضا انما وقعت من قوم مخصوصين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن انزال الملائكة وهم رؤساء القوم وكانوا قليلى العدد واقدام القليل على مايجرى مجرى المكابرة جائز ﴿قوله﴾ مختلفة الهيئات والخواص ﴿قوله﴾ اشارة الى وجه دلالة جعل السماء ذات البروج على وجود الفاعل المختار وكمال قدرته وعلمه فانه تعالى لما اجاب عن شبه منكرى النبوّة وبين توغلهم فى المكابرة والعناد وقد تقرّر ان القول بالنبوّة متفرع على قول بالتوحيد اتبع مايدل على حقية النبوّة بذكر دلائل التوحيد فبدأ بذكر الدلائل السماوية فقال ولقد جعلنا فى السماء بروجا الآية واصل البرج الحصن والقصر قال الله تعالى ولو كنتم فى بروج مشيدة اى ابنية عالية قيل لها البروج لظهورها من بعيد فان اصل البروج الظهور ومنه قوله تعالى غير متبرجات بزينة اى غير ظاهرات بها روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد ببروج السماء منازل الشمس والقمر فانه تعالى جعل لكل واحد منهما منزلا ينزل كل ليلة فى منزل على حدة

﴿بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون﴾ يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم ﴿لقالوا﴾ من غلوّهم فى العناد وتشكيكهم فى الحق ﴿انما سكرت ابصارنا﴾ سدّت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قرآءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه قرآءة من قرأ سكرت ﴿بل نحن قوم مسحورون﴾ قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ﴿ولقد جعلنا فى السماء بروجا﴾ اثنى عشر مختلفة الهيئات والخواص على مايدل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء

﴿ وزيناها ﴾ بالاشكال والهيئات البهية ﴿للناظرين﴾ المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرّف فى امرها ويطلع على احوالها ﴿الا من استرق السمع﴾ بدل من كل شيطان واسترق السمع اختلاسه سرّا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات بما بينهم من المناسبة فى الجواهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكوّنها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن من استرق السمع ﴿فاتبعه﴾ فتبعه ولحقه ﴿شهاب مبين﴾ ظاهر للبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكواكب والسنان لما فيهما من البريق ﴿والارض مددناها﴾ بسطناها ﴿والقينا فيها رواسى﴾ جبالا ثوابت ﴿وانبتنا فيها﴾ فى الارض او فيها وفى الجبال ﴿من كل شئ موزون﴾ مقدّر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون او مايوزن ويقدّر اوله وزن فى ابواب النعمة والمنفعة ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز على التشبيه بشمائل ﴿ومن لستم له برازقين﴾ عطف على معايش او على محل لكم

وقيل هى النجوم الكبار وقيل يحتمل ان يكون المراد بها مطالع الشمس والقمر والنجوم ومغاربها وقيل البروج الاثنى عشر واسماؤها الحمل والثور والجوزآء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت ﴿قوله المعتبرين المستدلين﴾ فان ما يقبح فى العين منظرا لا يتفكر الناظر فيه ولا ينظر اليه فزينها الله تعالى ليحملهم ذلك على النظر اليها والتفكر فيها فيعلموا ان ذلك تدبير العزيز العليم حيث دبر نظام العالم على احسن تقويم وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما ﴿قوله بدل من كل شيطان﴾ اى الا من استرق السمع * قيل فيه نظر لان النحاة قد صرّحوا بان المستثنى بالا لغير الصفة اذا وقع فى كلام موجب تام يجب نصبه ويمتنع البدل لاقتضائه فساد المعنى لان المبدل منه فى حكم الساقط فيكون تقدير جاءنى القوم الازيد مثلا جاءنى الازيد ويفهم منه ان مجيئ اليه جميع العالم غير زيد وهو معنى فاسد * واجيب عنه بان قوله تعالى وحفظناها من كل شيطان فى معنى النفى كأنه قيل لا يقربها شيطان الا من استرق السمع ولو قيل انه فى محل النصب على انه مستثنى متصل لان من استرق من جنس الشيطان والمعنى انا حفظناها من قرب كل شيطان الا من استرق السمع فانا لم نحفظها من قربه لم يتوجه النظر المذكور ولم يحتج فى دفعه الى تكلف فان المستثنى من كلام تام موجب يجب نصبه على الاستثناء بالاتفاق ومن جعله منقطعا لعله نظر الى ان قوله وحفظناها معناه انا حفظناها لكن من استرق السمع ممنوع من دخول السماء فاسترقه السمع لا يخرج السماء عن كونها محفوظة من دخول الشيطان فلا يصح الاستثناء الا على سبيل الانقطاع * قال الامام فان قيل ما معنى قوله وحفظناها من كل شيطان والشيطان لا قدرة له على هدم السماء فاىّ حاجة الى حفظ السماء منه واجاب بانه تعالى لما منعه من القرب منها فقد حفظ السماء من مقاربة الشيطان فيكون حفظ الله تعالى السماء منهم كما نحفظ منازلنا ممن يتجسس ويخشى منه الفساد ﴿قوله واسترق السمع اختلاسه سرّا﴾ قال الامام لا يمكن حمل لفظ الا على الاستثناء بدليل ان اقدامهم على استراق السمع لا يخرج السماء عن ان تكون محفوظة منهم لانهم ممنوعون من دخولها وانما يحاولون القرب منها فلا يصح ان يكون استثناء على التحقيق فوجب ان يكون معناه ولكن من استرق السمع يقال استرقت السمع اى استغفلت قوما حتى سمعت حديثهم وهم لا يعلمون نقل الامام عن ابن عباس انه قال فى قوله الا من استرق السمع يريد به الخطفة اليسيرة وذلك ان المارد من الشياطين من يعلو فيرمى بالشهاب فيحرقه ويفنيه ومنهم من يخيله الشهاب اى يفسده فيصير ذلك الشيطان غولا فيضل الناس فى البرارى وقال الامام ابو الليث كان الشيطان المارد منهم يصعد على آخر ويكون الآخر اسفل منه فاذا سمع قال للذى اسفل منه قد كان من الامر كذا وكذا فيهرب الذى اسفل ويرمى الذى استرق السمع بالشهاب ويأتى الذى هو اسفل بالامر الذى سمعه الى كهنتهم فذلك قوله الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين اى تبعه ولحقه شعلة نار ساطعة اى مرتفعة لا تخطئه الشهاب اى يصيبه فهو اما ان يأتى على نفسه واما ان يخيله حتى لا يعود الى الاستماع من السماء والمصنف جعل استراق السمع استعارة لاستلاب الشياطين من سكان السموات امورا يسيرة من غير توسيط حاسة السمع اصلا بل اما بان تتلقى منهم تلقيا معنويا بناء على ما بينهما من المناسبة فى الجوهر واما بطريق الاستدلال باوضاع الكواكب وحركاتها ﴿قوله فى الارض او فيها وفى الجبال﴾ قدّم الاحتمال الاوّل لان انواع النبات المنتفع بها انما تتولد فى الارض واما الفواكه الجبلية فليست بكثيرة النفع وقيل رجوع الضمير الى الجبال اولى لان المعادن انما تتولد فى الجبال والاشياء الموزونة فى العرف والعادة هى المعادن لا النبات قال الكلبى وانبتنا فيها اى فى الجبال من كل شئ موزون وهى الاجساد التسعة كالذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والكحل والزرنيخ والملح والزاج ونحوها ﴿قوله وقرئ بالهمز﴾ يعنى ان فى لفظ معايش يجوز ان يتلفظ بياء صريحة لكونها ياء اصلية بمنزلة الصاد من مناصر لكون الكلمة من العيش بخلاف نحو الشمائل والخبائث فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة لان الهمزة فيها زآئدة لبناء فعائل كما فى نحو قبيلة وقبائل وسحابة وسحائب وحالة وحائل فمن قرأ معائش بالهمزة فوجه قرآءته تشبيه الكلمة بالشمائل ﴿قوله او على محل لكم﴾ وهو النصب لانه مفعول كأنه قيل جعلناكم معايش ومن لستم له برازقين لكن حذف الجار واوصل الفعل وانما قال على محل لكم لما تقرّر فى النحو من انه لا يجوز العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار فى حال السعة والاختيار عند البصريين ويجوز ترك الاعادة حال الضرورة كما فى قوله

* فاليوم قد بت تهجونا وتشتمنا * فاذهب وما بك والايام من عجب *

واجاز الكوفيون ترك الاعادة فى حال السعة بقوله تعالى تساءلون به والارحام بالجرّ فى قرآءة حمزة اذا تقرّر هذا فقد ظهر الفرق بين العطف على الضمير المجرور والعطف على محل مجموع الجار والمجرور والذى لم يجوّزه البصريون حال السعة هو الاوّل دون الثانى ﴿قوله﴾ وسائر مايظنون انهم يرزقونهم ﴿﴾ اشارة الى ان كلمة من يراد بها مايعم العقلاء وغيرهم من الدواب المنتفع بها على سبيل تغليب العقلاء على غيرهم ﴿قوله﴾ اى ومامن شئ ﴿﴾ يعنى ان كلمة ان نافية ومن مزيدة فى المبتدأ وعندنا خبره وخزآئنه فاعل للظرف لاعتماده على المبتدأ ويجوز ان يكون خزآئنه مبتدأ ثانيا وعندنا خبره قدّم عليه والجملة خبر للمبتدأ الاوّل والخزآئن جمع خزانة كحمالة وحمائل وهو اسم للمكان الذى تخزن فيه الاشياء اى تحفظ فان كان محصل المعنى مامن شئ من الممكنات الغير المتناهية الا وخزآئنه عندنا تكون الخزآئن استعارة تصريحية للقدرة شبه اقتداره على ايجاد الممكنات باسرها بالخزانة فاطلق عليه اسم الخزانة وجمع مع ان قدرة الله تعالى لاتعدّد فيها فضلا عن القدرة المتعلقة بكل واحد من الاشياء المقدورة وفائدة العدول الى المجاز الايذان بان مقدورات الله تعالى كانها حاصلة موجودة بالفعل وهذه الفائدة لاتحصل بان يقال وان من شئ الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه وان كان محصل المعنى مامن شئ من الاشياء المقدورة الاوهى مخزونة عندنا كان من قبيل التشبيه البليغ حيث شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة والجامع عدم الاحتياج فى اظهارها الى كلفة واجتهاد والبقاء مارتفع من الارض واضافة البقاع الى القدرة بيانية ولما كان تنزيل الشئ عبارة عن تحريكه من اعلى الى اسفل شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة والقدرة بالارض المرتفعة واشار به الى ان قوله وما ننزله الا بقدر ترشيح لاستعارة الخزانة للقدرة لكون التنزيل مما يلائم المستعار منه ﴿قوله﴾ تعالى لواقح ﴿﴾ حال مقدّرة من الرياح قيل اللواقح جمع ملقح لانه من ألقح يلقح فهو ملقح فحقه ملاقح يقال ألقحت الريح السحاب كما يقال ألقح الفحل الانثى اذا ألقى الماء فيها فحملته فكذلك الرياح جارية مجرى فحل السحاب وكون لواقح جمع ملقح من النوادر ونظيره كون الطوآئح جمع مطيحة او مطوّحة يقال طاح يطوح ويطيح اى هلك وكذلك اذا تاه فى الارض واطاحه وطوّحه اى توّهه فتطوّح فى البلاد اى تحير ورمى بنفسه ههنا وههنا وطوّحته الطوآئح قذفته القواذف ولا يقال المطوحات ولا المطيحات وهو نادر وكذا لواقح قال

* ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوآئح *

وقيل اللواقح جمع لاقح بمعنى حامل يقال لقحت الريح اذا حملت الماء قال الازهرى لواقح اى حوامل تحمل السحاب والماء قال تعالى وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا اى حملت فعلى هذا تكون الريح لاقحة والمصنف قدّم هذا الاحتمال لما فيه من حمل لفظ اللواقح على ظاهره حيث جعلت الرياح لواقح فى انفسها لاملقحات لغيرها على ان ضدّ هذه الرياح العقيم وهى التى لاتحمل الماء وهو يرجح ان تكون اللواقح على ظاهرها وهو كونها بمعنى الحوامل ﴿قوله﴾ فجعلناه لكم سقيا ﴿﴾ اى جعلنا لكم ماء المطر معدّا لسق انفسكم وارا ضيكم ومواشيكم هذا على قول من فرّق بين سقاه واسقاه فقال سقاه اذا اعطاه ماء يشربه فى الحال فيسكن به عطشه واسقاه اذا جعل له شربا يتمكن به من الانتفاع زمانا وقيل هما لغتان بمعنى ﴿قوله﴾ وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم اى حمل قوله تعالى اسقيناكموه على معنى وجعلنا ماء المطر محفوظا معدّا لانتفاعكم زمانا وما انتم له بحافظين يدل على وجود المدبر الحكيم كما يدل عليه حمله على معنى انا دبرنا لصلاح احوالكم وانتظام امر معاشكم هذا التدبير العجيب حيث تفردنا بخلق الماء فى السماء وانزاله منها وجعله لكم سقيا ترجعون اليه كلما احتيج الى الماء وما انتم بقادرين على شئ منها ﴿قوله﴾ فان طبيعة الماء تقتضى الغور ﴿﴾ علة لدلالته على ماذكر وقوله كما يدل حركة الهوآء الخ معترضة بين العلة والحكم المعلل والمقصود بيان ان فذلكة قوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح الآية مثل فذلكة الآية المتقدّمة على اىّ معنى من المعنيين المذكورين حملت قوله وما انتم له بخازنين ﴿قوله﴾ وقد اوّل الحياة بمايعم الحيوان والنبات ﴿﴾ يعنى ان منهم من حمله على القدر المشترك بين احياء الحيوان والنبات ومنهم من يقول وصف النبات بالاحياء مجاز فوجب تخصيصه باحياء الحيوان وايا ما كان تصلح الآية دليلا على وجود الاله الفاعل المختار كما ثبت بالدلائل العقلية انه لاقدرة على خلق الحياة بالمعنى الاعم المتحقق فى الحيوان والنبات ولا بالمعنى المختص بالحيوان الا الله تعالى فقوله نحن نحيى من قبيل القادر على كل ما يريد ﴿قوله﴾ وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ﴿﴾ وذلك لان قوله تعالى نحن نحيى من قبيل قولك انا قمت من حيث ان نحن

ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر مايظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزآء فى الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لايكون كذلك على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرّد فى الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم فى ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ فى ذلك وقال ﴿وان من شئ الا عندنا خزآئنه﴾ اى وما من شئ الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ماوجد منه فضرب الخزآئن مثلا لاقتداره اوشبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التى لايحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد ﴿وما ننزله﴾ من بقاء القدرة ﴿الا بقدر معلوم﴾ حدّه الحكمة وتعلقت به المشيئة فان تخصيص بعضها بالايجاد فى بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لابدّ له من مخصص حكيم ﴿وارسلنا الرياح لواقح﴾ حوامل شبه الريح التى جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه مالايكون كذلك بالعقيم او ملحقات للشجر اوالسحاب ونظيره الطوآئح بمعنى المطيحات فى قوله

ومختبط مما تطيح الطوآئح * وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجنس ﴿فانزلنا من السماء ماء بقدر فاسقيناكموه﴾ فجعلناه لكم سقيا ﴿وما انتم له بخازنين﴾ قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه اوحافظين فى الغدران والعيون والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهوآء فى بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضى الغور فوقوفه دون حدّه لابدّ له من مخصص ﴿وانا لنحن نحيى﴾ بايجاد الحياة فى بعض الاجسام القابلة لها ﴿ونميت﴾ بازالتها وقد اوّل الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر

﴿ ونحن الوارثون ﴾ الباقون اذا ماتت الخلائق كلها ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين ﴾ من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر اومن خرج ومن اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد اومن تقدّم فى الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة وتأخر لايخفى علينا شئ من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان مايدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاوّل فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدّم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت ﴿ وان ربك هو يحشرهم ﴾ لامحالة للجزآء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر المتولى لحشرهم لاغير وتصدير الجملة بانّ لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ماسبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله ﴿ انه حكيم ﴾ باهر الحكمة متقن فى افعاله ﴿ عليم ﴾ وسع علمه كل شئ ﴿ ولقد خلقنا الانسان من صلصال ﴾ طين يابس يصلصل اى يصوّت اذا نقر وقيل هو من صلصال اذا انتن تضعيف صلّ ﴿ من حمأ ﴾ طين تغيرواسودّ من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اى كائن من حمأ ﴿ مسنون ﴾ مصوّر من سنة الوجه اومصبوب ليبس ويتصوّر كالجواهر المذابة تصب فى القوالب من السنّ وهو الصب كأنه افرغ الحمأ فصوّر منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سوّاه ونفخ فيه من روحه اومنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان مايسيل منهما يكون منتنا ويسمى السنين

مبتدأ ونحيى خبره والجملة خبر وقوله انا وقد تقرّر فى علم المعانى ان تقديم المسند اليه يفيد الاختصاص بشرطين الاوّل ان نحن يجوز ان يقدّر كونه فى الاصل مؤخرا على انه فاعل معنى فقط وان كان فى اللفظ تأكيدا للفاعل والثانى ان لايقدّر ذلك وان لم يوجد الشرطان لايفيد التقديم الاتقوّى الحكم وقد وجد الشرطان ههنا اما الاوّل فظاهر واما الثانى فلكون الآية مسوقة لتقرير دليل اثبات الصانع وذلك يقتضى اعتبار الحصر فى التخصيص وما يتوقف اعتباره عليه ويحتمل ان يكون نحن تأكيدا لاسم ان ونحيى خبرهما وذلك لايمنع تحقق الشرطين ايضا كما لايخفى ولايجوز ان يكون نحن فصلا لان ضمير الفصل لايكون الا بين اسمين ونحن ههنا لم يقع بين اسمين وقد اتفق شراح الكشاف على ان الحصر فى قوله تعالى وان ربك هو يحشرهم مستفاد من توسيط ضمير الفصل بين اسم ان وخبرها ﴿ قوله ونحن الوارثون الباقون اذا ماتت الخلائق كلها ﴾ يعنى ان الوارث من يخلف الميت ويقوم مقامه فى تملك تركته بعد موته وهو مستحيل فى حقه تعالى لانه تعالى مالك للموجودات باسرها اصالة لاخلافة فوجب جعله مستعارا لمعنى الباقى بعد هلاك الخلق تشبيها له تعالى بوارث الميت فى بقائه بعد فنائه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى دعائه * واجعله الوارث منا * واوّله * اللهم امتعنا باسماعنا وابصارنا وقوّتنا ما احييتنا واجعله الوارث منا * قيل ضمير اجعله راجع الى السوابق باعتبار المذكور والمعنى واجعلها سالمة لازمة معنا الى الموت فبولغ فيه وقيل اجعلها كأنها تبقى بعدنا لان الوارث يبقى بعد الموروث وقيل الضمير يرجع الى التمتع المدلول عليه بقوله امتعنا اى اجعل التمتع بماذكر كأنه الوارث لما انحل من القوى النفسانية عند الكبر والباقى بعد زوالها روى انه عليه الصلاة والسلام ماكان يقوم من مجلس حتى يدعو بهذه الدعوات له ولاصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ﴿ قوله تضعيف صلّ ﴾ يقال صلّ اللحم يصلّ بالكسر صلولا اى صار مطبوخا بعد ان كان نيئا والحمأ الطين الاسود وكذلك الحمأة بالتسكين يقال جئت البئر حمأ بالتحريك اى كثرت حمأتها والحمأ المسنون اى المتغير المنتن وسنة الوجه صورته قال ذو الرمة

* تريك سنة وجه غير مفزعة * ملساء ليس بها خال ولا ندب *

والمسنون المصوّر على صورة مثال وقد سنته اسنه سنا اذا صوّرته وسننت التراب اى صببته على وجه الارض صبا سهلا حتى صار كالصورة والكل من الصحاح عن ابن عباس انه تعالى خلق آدم من اديم الارض فالقى على الارض حتى صار طينا لازبا وهو الطين الملتزق ثم ترك حتى صار حمأ مسنونا وهو المنتن ثم خلقه الله تعالى بيده وكان اربعين يوما مصوّرا حتى يبس فصار صلصالا كالفخار اذا ضرب عليه صلصل اى صوّت ومن فى قوله من صلصال لابتداء الغاية اوللتبعيض تقول العرب سننت الماء اى صببته وهذه الآية ايضا مسوقة لاثبات الصانع وكمال قدرته فانه قد ثبت بالدلائل القاطعة انه يمتنع القول بوجود حوادث لا اوّل لها بل يجب انتهاء الحوادث الى اوّل حادث فلزم من ذلك ان ينتهى الناس الى الانسان الذى هو اوّل الناس وذلك الانسان لايكون مخلوقا من الابوين فيكون مخلوقا لامحالة بقدرة الله تعالى فقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان اى ذلك الانسان الاوّل وقد اجمع المفسرون على ان المراد منه آدم عليه الصلاة والسلام وقد دل قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب على انه تعالى خلق آدم من تراب ودلت آية اخرى على انه مخلوق من طين وهى قوله تعالى انى خالق بشرا من طين وجاء فى هذه الآية انه عليه الصلاة والسلام مخلوق من صلصال كائن من حمأ مسنون وقال فى موضع آخر انا خلقناهم من طين لازب هو الملتزق والظاهر ان ليس المراد انه تعالى خلقه من هذه المذكورات المتخالفة فى حالة واحدة لقيام التنافى بين هذه الاوصاف فى شئ واحد فى زمان واحد فيشتبه فثبت ان يكون المراد من هذه المذكورات ان مبدأ خلق آدم عليه الصلاة والسلام على اختلاف الاحوال والاوقات بان يكون مبدأ التكوين فى اوّل الحال ترابا وفى حال آخر صار طينا لازبا وفى آخر صار حمأ مسنونا وهو الذى اسودّ وتغير لطول مكثه وفى حال آخر صار صلصالا كالفخار قبل ان يخلق فيه اللحم والعظم ويركب فيه الجوارح والاعضاء ولما كان على هذه الاحوال المذكورة على ما اخبر الله تعالى وكان تغير احوال اولاده كذلك حيث قال فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة فذكر ان اولاده كانوا على هذه الاحوال قبل ان يخلق فيهم لحما وعظما كما ذكر فى حق آدم عليه الصلاة والسلام من انه خلق من تراب وطين لازب وصلصال وحمأ مسنون حمل على ماذكر فى اولاده قال المفسرون خلق الله آدم من طين فصوّره وتركه فى الشمس اربعين سنة فصار صلصالا لايدرى احد مايراد منه ولم يروا شيأ

من الصور يشبهه الى ان نفخ فيه الروح وحقيقة كلامهم انه تعالى خلق آدم من طين على صورة الانسان فجف فكانت الريح اذا مرّت به سمع له صلصلة ولذلك سماه الله تعالى صلصالا وهو الطين اليابس الذى يصلصل اى يصوّت وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار ﴿قوله والجانّ ابا الجنّ﴾ قال عامة المفسرين الجانّ ابو الجنّ كما ان ابليس ابو الشياطين سمى جانا لتواريه عن الاعين يقال جنّ الشئ اذا استتر امره فالجانّ يستر نفسه عن اعين بنى آدم ﴿قوله من نار الحرّ الشديد﴾ الظاهر ان المراد بالحرّ الشديد حرّ النار وان المراد من حرّ النار لهب النار الذى لا دخان له كما نه قيل من نار اللهب الشديد وقوله النافذ فى المسام اشارة الى صفاء ذلك اللهب وخلوّه عن الدخان ولما كان من طبع لهب النار العلوّ والارتفاع ومن طبع التراب التنزل والتسفل كان خلق ماخلق من كل واحد منهما مناسبا لمادّته قيل السموم اسم من اسماء جهنم اخبر الله تعالى انه خلق الجانّ من نار جهنم وقيل السموم الريح الحارّة التى تقتل قال الكلبى هى نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وقال ابن مسعود من نار الريح الحارّة قال وهذا السموم جزء من سبعين جزأ من السموم التى خلق منها الجانّ وتلا هذه الآية ومعنى السموم فى اللغة الريح الحارّة وفيها نار وفى الخبر انها من نفح جهنم كذا فى الوسيط وقول المصنف من نار الحرّ الشديد يدل على ان السموم عبارة عن الحرّ المفرط سواء كان من شمس اوريح اونار وان مافيه من النارية لشدّته ولطافته يدخل المسام فيقتل وقيل السموم ماكان ليلا والحرور ماكان نهارا وقيل من فى من قبل ومن نار السموم متعلقتان بخلقنا لاختلاف معناهما لان الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض ﴿قوله ولا يمتنع خلق الحياة فى الاجرام البسيطة﴾ جواب عما يقال لاتتصوّر الحياة بدون تركيب يتوقف عليه بقاء البنية واعتدال المزاج فكيف تخلق فى الجسم البسيط ولاسيما فى الجوهر الذى يكون فى غاية الحرارة *والجواب ان البنية ليست بشرط لامكان حصول الحياة فانه تعالى خلق الحياة والعقل والعلم فى الجوهر المفرد فى الجسم الذى يكون فى غاية الحرارة ﴿قوله ولما كان الروح﴾ اى النفس الناطقة تتعلق اوّلا بالبخار اللطيف الذى هو الروح الحيوانى لكونه اقبل لها بالنسبة الى سائر مافى البدن من الاعضاء للمناسبة بينهما فى اللطافة وهو جواب عما يقال النفخ اجرآء الريح فى تجويف شئ آخر ولاريح ههنا ولانفخ فما وجه قوله تعالى ونفخت فيه من روحى * وتقرير الجواب انه من قبيل الاستعارة التبعية شبه تعلق الروح بمعنى النفس باجزآء البدن بواسطة سريان الروح الحيوانى فيها جاريا فى تجاويف الشرايين بجريان الريح فى تجويف اخر فاطلق على المشبه اسم النفخ واشتق منه نفخت ويحتمل ان يكون المراد بالروح الروح الحيوانى السارى فى البدن بتوسط الشرايين فيشبه اجرآء هذا الروح فى البدن وهو سبب للحياة باجرآء الريح فى الشئ وهو النفخ بل هو اظهر الا ان اضافته للتشريف فى قوله من روحى تستدعى ان يراد به النفس الناطقة التى هى المشرف بمعرفة الله تعالى والمكلف بطاعته ﴿قوله تعالى فقعوا له﴾ امر من الوقوع وفاء التعقيب فيه تدل على انه تعالى لما نفخ الروح فى آدم عليه الصلاة والسلام اوجب على الملائكة ان يسجدوا له سجود التحية والتعظيم وقيل المسجود له هو الله تعالى وانه كان آدم كالقبلة لذلك السجود حيث امروا بان يتوجهوا اليه فى سجودهم لله تعظيما له بجعلهم اياه وسيلة الى عبادة الله تعالى وتعظيمه حيث ماينوا قدرة الله تعالى فى خلق البشر المسوّى من الحمأ المسنون وقيل اخبر الله تعالى الملائكة انه سيفعل امر كذا وامرهم بالسجود له ان فعل فيكون امرا بالسجود لآدم قبل خلقه ليفعلوا ذلك حين ماعاينوا انه تعالى عدّل صورته وسوّاه بالصورة الانسانية ونفخ فيه الروح وسمى الانسان بشرا لكونه حيوانا ظاهر البشرة لاشعر عليه ولاوبر ولاصوف وقيل لكونه جسما كثيفا باشرا ى يمس ظاهر جلده والملائكة والجن لا يباشرون للطافة اجسامهم والبشر والبشرة ظاهر جلد الانسان ﴿قوله اكد بتأكيدين﴾ ولا يفيد الاجتماع فى الوقت كما ذهب اليه البعض فتكون الفائدة فى تكرار التأكيد المبالغة فى الدلالة على سجود الكل فانه لو قيل فسجد الملائكة من غير تأكيد لاحتمل ان يكون الساجد بعض الملائكة فلما قيل كلهم زال هذا الاحتمال وظهر انهم سجدوا باسرهم ثم كرر التأكيد للمبالغة فى ازالة احتمال كون الساجد بعضهم وقيل كل واحد من اللفظين يفيد غير ما افاده الآخر فان الاوّل يفيد ان الساجد كل الملائكة لا بعضهم والثانى يفيد ان الكل سجدوا فى وقت واحد غير متفرقين واعترض عليه المصنف بانه لو كان الامر كذلك لكان الثانى حالا لا تأكيدا اى ان الثانى لا يكون تأكيدا وقد فرض ان كل واحد منهما تأكيد جيئ به ليفيد فائدة جديدة غير مايفيده الآخر وفيه بحث لانه ان اراد بقوله لكان الثانى حالا لا تأكيدا ان الثانى لا يكون تأكيدا حينئذ ممنوع اذ لا شك ان اجمعون

(والجانّ) ابا الجنّ وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادّة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره قوله (خلقناه من قبل) من قبل خلق الانسان (من نار السموم) من نار الحرّ الشديد النافذ فى المسام ولا يمتنع خلق الحياة فى الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها فى الجواهر المجرّدة فضلا عن الاجساد المؤلفة التى الغالب فيها الجزء النارى فانها اقبل لها من التى الغالب فيها الجزء الارضى وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدّمة الثانية التى يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء (واذ قال ربك) واذكر وقت قوله (للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سوّيته) عدّلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه (ونفخت فيه من روحى) حتى جرى آثاره فى تجاويف اعضائه فحيى واصل النفخ اجرآء الريح فى تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اوّلا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوّة الحيوانية فيسرى حاملا لها فى تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه كما مرّ فى سورة النساء (فقعوا له) فاسقطوا له (ساجدين) امر من وقع يقع (فسجد الملائكة كلهم اجمعون) اكد بتأكيدين للمبالغة فى التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثانى حالا لا تأكيدا

يؤكد ما دل عليه لفظ الملائكة معرفا باللام الاستغراقية وان اراد به مع انه تأكيد يفيد فائدة الحال والتأكيد لا يفيد فائدة الحال فهو ايضا ممنوع اذ لا منافاة بينهما بالنسبة الى المعنى الآتى انه يجوز ان يقال جاؤنى جميعا على انه حال مع افادته معنى التأكيد ﴿قوله﴾ ان جعل منقطعا ﴿قوله﴾ بان يكون الا بمعنى لكن فحينئذ يكون ابى خبره اتفق المفسرون على ان ابليس كان مأمورا بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام الا انهم اختلفوا فى انه من الملائكة والاستثناء متصل او ليس منهم بل كان جنيا من جنس الجن وليس من الملائكة فلما امر الملائكة بالسجود لآدم تناول ذلك الامر له ايضا لكونه ملحقا بهم واذا لم يكن منهم حقيقة كان الاستثناء منقطعا وقوله لم اكن لاسجد مشتمل على دليلين احدهما ان كونه بشرا يشعر بكونه جسما كثيفا لان الانسان انما سمى بشرا لظهور جلده لما مر ان البشر والبشرة ظاهر جلد الانسان فكأنه يقول البشر جسمانى كثيف وانا روحانى لطيف والجسمانى الكثيف ادون حالا من الروحانى اللطيف والادون لا يجوز ان يكون مسجودا لاعلى وثانيهما انه مخلوق من صلصال وابليس مخلوق من نار والنار اشرف من الصلصال ومايكون مخلوقا من الاشرف فهو اشرف والاشرف لا يجوز ان يسجد للادون والمصنف اشار اليهما بقوله استنقص آدم باعتبار النوع والاصل قال المصنف فى سورة الاعراف قد غلط اللعين فى ذلك حيث رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدىّ وباعتبار الصورة حيث سوّاه الله تعالى ونفخ فيه من روحه وباعتبار الفائدة فانه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والحق انه تعالى نص على السجود وعارضه ابليس بالقياس ومن عارض النص بالقياس كان رجيما ملعونا ﴿قوله﴾ فان من يطرد يرجم بالحجر ﴿قوله﴾ بيان لوجه انتقال الذهن من المرجوم الذى هو المرمى بالحجر الى معنى المطرود من الرحمة والكرامة وتوضيحه ان الرجيم كناية عن كونه مطرودا ملعونا لان الطرد مستلزم للرجم فاطلق اللازم على الملزوم ﴿قوله﴾ او شيطان يرجم بالشهب ﴿قوله﴾ اى ويحتمل ان يكون الرجيم بمعنى المرجوم بالشهب ويكون كناية عمن اشتهر بهذا الوصف وهو الشيطان كقولك جاء المضياف وتريد زيدا لشهرته بالضيافة ﴿قوله﴾ وهو وعيد ﴿قوله﴾ اى الاخبار بانه رجيم بأىّ معنى كان وعيد اما ان كان بمعنى الطرد من الخير والكرامة فلان معظم الخير ما يكون يوم القيامة بلا حرمان ولا وعيد اعظم من الحرمان من الخير فيه واما ان كان بمعنى الشيطان المرجوم بالشهب فلأن الشيطان لا يخلو اما ان يكون من شطن بمعنى بعد او من شاط بمعنى هلك وكل واحد منهما ينبئ عن الوعيد واما كونه متضمنا للجواب عن شبهته فلأن المرجومية كناية عن الملعونية والشيطانية اللتين هما غاية الخذلان والهوان فيكون ابطالا لادّعائه الفضل والرجحان ﴿قوله﴾ فانه منتهى أمد اللعن ﴿قوله﴾ جواب عما يقال من ان كلمة الى لانتهاء الغاية فيلزم زوال اللعن وانتهاؤه عند يوم القيامة الذى هو يوم الدين والجزآء * واجاب عنه اوّلا بان المراد ان يكون مخذولا غير موفق للاهتداء الى طاعة الله تعالى ودينه ومن هذا شأنه يكون مطرودا من رحمة الله تعالى لان اصل الرحمة ما يكون ايام التكليف فلما كان المرجوم من وفق للاهتداء ايام التكليف والملعون من كان مخذولا غير موفق له زمان التكليف ظهر ان اللعنة بهذا المعنى تنتهى بانتهاء زمان التكليف * ثم استشعر ان يقال كيف تكون اللعنة بمعنى الابعاد عن الرحمة فى قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين فاجاب عنه بان اللعنة تطلق على معنيين فالتى جعلها الله تعالى منتهية بيوم الجزآء هى اللعنة بمعنى الطرد عن الهداية الى الحق والتى اثبتها يوم الجزآء هى اللعنة بمعنى آخر ثم نقل جوابين آخرين على سبيل التضعيف والتمريض الاوّل ان اللعن وان حدّ بيوم الجزآء الا ان المراد به التأبيد وذكر يوم الدين لكونه ابعد غاية يذكرها الناس فى مقام التأبيد كقوله تعالى مادامت السموات والارض الا ماشاء والثانى ان قوله تعالى وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال الكلبى معناه يلعنك اهل السماء واهل الارض الى يوم الحساب لانك اوّل من عصى الله ثم اذا جاء يوم الجزآء عذب عذابا ينسى عنده اللعن فيصير اللعن حينئذ كالزآئل بسبب ان شدّة العذاب تذهل عنه وتنسيه فكانت مذمة الخلائق اياه ودعاؤهم عليه باللعن كأنها مختصة بزمان التكليف ومنتهية عند مجيئ يوم الجزآء فلذلك قال الى يوم الدين ﴿قوله﴾ والفاء متعلقة بمحذوف ﴿قوله﴾ تقديره اذا جعلتنى رجيما ملعونا الى يوم القيامة فانظرنى طلب ان يبقيه الله تعالى الى يوم البعث وهو يوم القيامة عند يأسه من سعادة الآخرة اى طلب اصل الانظار ليجد فسحة فى الاغواء وطلب كون الانظار المطلوب منتهيا الى يوم البعث لئلا يموت لعلمه بان لا يموت احد يوم الحشر فأنظره الله تعالى الى يوم الوقت الذى سمى وعين عند الله تعالى حلول اجله فيه ولم يبين ذلك الوقت ولم يطلعه عليه الا ترى

﴿الا ابليس﴾ ان جعل منقطعا اتصل به قوله ﴿ابى ان يكون مع الساجدين﴾ اى لكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استثنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد ﴿قال يا ابليس مالك ان لا تكون﴾ اىّ غرض لك فى ان لا تكون ﴿مع الساجدين﴾ لآدم ﴿قال لم اكن لأسجد﴾ اللام لتأكيد النفى اى لا يصح منى وينافى حالى ان اسجد ﴿لبشر﴾ جسمانى كثيف وانا ملك روحانى ﴿خلقته من صلصال من حمأ مسنون﴾ وهو اخس العناصر وخلقتنى من نار وهو اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف ﴿قال فاخرج منها﴾ من السماء او الجنة او زمر الملائكة ﴿فانك رجيم﴾ مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته ﴿وان عليك اللعنة﴾ هذا الطرد والابعاد ﴿الى يوم الدين﴾ فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزآء وما فى قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عنده هذه وقيل انما حدّ اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس اولانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزآئل ﴿قال رب فأنظرنى﴾ فأخرنى والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم ﴿الى يوم يبعثون﴾ اراد ان يجد فسحة فى الاغواء او نجاة من الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاوّل دون الثانى

الى قوله حكاية عنه وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برئ منكم انى ارى مالا ترون انى اخاف الله فاخبر تعالى انه يخاف الله ولو بين له الوقت المعلوم لكان لا يخاف هلاكه قبل ذلك وقيل الوقت المعلوم هو الوقت الذى عين فى علم الله تعالى انقراض الناس كلهم فيه وهو وقت النفخة الاولى على ماروى انه اذا نفخت النفخة الاولى مات الخلائق كلهم ومات ابليس معهم ﴿قوله﴾ لما عرفت ﴿قوله﴾ اى من ان حكمة الحشر ان تجازى الخلائق باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر ﴿قوله﴾ وثانيا يوم البعث ﴿قوله﴾ لكونه صالحا لان يكنى به عن مقصود اللعين وهو ان يكون الانظار الى وقت انقطاع التكليف وحصول اليأس من اغواء بنى آدم وتضليلهم ولا شك ان يوم البعث ينتقل منه الذهن الى الوقت المذكور فعبر به عن ذلك الوقت لهذا الاعتبار وعبر عنه ثالثا بالمعلوم لانه لما ذكر فى كلامه تعالى بيوم الدين وفى كلام اللعين بيوم يبعثون صار معلوما معينا *ولما ورد ان يقال كونه منظرا الى يوم القيامة يستلزم ان لا يموت ابدا لانه لا موت بعد يوم البعث *اشار الى جوابه بقوله فلعله يموت اوّل اليوم لا فى اثنائه والذى تقرّر انتفاؤه هو الموت فى اثناء ذلك اليوم لا فى اوّله الذى الجزآء ينتهى اليه ﴿قوله﴾ وهذه المخاطبة الخ ﴿قوله﴾ جواب عما يقال ظاهر الآية يدل على انه تعالى تكلم مع ابليس بغير واسطة وهو من اعظم المناصب واشرف المراتب فلا يليق بمن هو رأس الكفرة ورئيسهم *وتقرير الجواب ان مكالمة الله تعالى بغير واسطة انما تكون منصبا عاليا اذا كان على سبيل الاكرام والاعظام واما اذا كان على سبيل الاهانة والاذلال فلا ﴿قوله﴾ والمعنى اقسم باغوائك ﴿قوله﴾ ونظيره قوله تعالى حكاية عنه فبعزتك لأغوينهم اجمعين الا انه فى هذا الموضع اقسم بعزة الله وهى من صفات الذات وفى قوله فبما اغويتنى اقسم باغوآء الله وهو من صفات الفعل والفقهاء قالوا القسم بصفات الذات صحيح واما القسم بصفات الافعال فقد اختلفوا فيه وذكر فى شرح الوافى قال العراقيون الحلف بصفات الذات كالقدرة والعظمة والعزة والجلال والكبرياء يمين وبصفات الفعل كالرحمة والسخط والغضب والرضى ليس بيمين وصفة الذات مالا يجوز ان يوصف بضدّه وصفة الفعل مايجوز ان يوصف بضدّه فانه تعالى يرضى بالايمان ولا يرضى بالكفر ثم قال الشارح والمذهب عندنا ان صفات الله تعالى لا هو ولا غيره وكلها قديمة فلا يستقيم الفرق ﴿قوله﴾ لا زينن لهم المعاصى فى الدنيا ﴿قوله﴾ اشارة الى ان مفعول لأزينن محذوف وهو المعاصى وعدّى الفعل بفى بناء على ان يراد بالارض جهة السفل وهى الدنيا كما فى قوله تعالى اخلد الى الارض اى ركن الى الدنيا ﴿قوله﴾ والمعتزلة ﴿قوله﴾ فانهم لما ابوا عن القول بانه تعالى يحدث الغواية والضلال فى العبد بناء على مازعموا من ان بعض الافعال قبيح فى حقه تعالى اوّلوا قوله اغويتنى بقولهم نسبتنى الى الغىّ وسميتنى بذلك او بكونه تعالى سببا لغيه فانه تعالى لما امره بالسجود وافضى ذلك الى غيه بالاباء عن السجود كان له تعالى مدخل فى غيه فاسند الاغواء اليه تعالى على طريق اسناد الفعل السبب فانظر الى ابليس علم انه تعالى هو الذى يخلق فعل الغواية والضلال فيمن يختار له ذلك ولم تعلم المعتزلة ذلك وايضا اوّلوا الاغواء بالاضلال عن طريق الجنة اى ان اضللتنى عن طريق الجنة اضلهم انا بالدعاء الى المعصية وضعف هذا التأويل لانه لما اقدم على الكفر باختياره فقد خيب نفسه عن رحمة الله تعالى وايضا لما توجه عليهم ان قوله انك من المنظرين مخالف لمذهبهم لانه لما سأل من الله تعالى هذا العمر الطويل لزيادة الكفر والمعصية وبسبب تلك الزيادة يزداد استحقاقه لانواع العذاب والتعذيب كان هذا الامهال سببا لمزيد عذابه وذلك يدل على انه تعالى اراد به ان يزداد عذابه وعذاب من يتبعه لا انه تعالى امهله تلك المدّة الطويلة لعلمه بانه لا تتفاوت حاله ولا حال من يتبعه فى الاستحقاق للعذاب الشديد بالكفر والضلال ويموت على الكفر ويخلد فى العذاب الشديد فلا يكون امهاله الا مريدا لتعذيبهم ويدل على ضعفه الدلائل النقلية والعقلية اما النقلى فمثل قوله فازلهما الشيطان وقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فانه يدل على ان للشيطان مدخلا وسببية فى تلك الافعال واما الدليل العقلى فان بداهة العقل شاهدة بانه ليس حال من ابتلى بمحاولة شخص رغبته ابدا فى القبائح ونفرته عن الخيرات مثل حال شخص كان حاله على ضدّ حاله فظهر بهذه الدلائل ان القول بعدم تفاوت الحال بين وجود اغواء الشيطان وامهاله وعدم ذلك وبين وجود وسوسته وعدمها ضعيف وان ليس للمعتزلة اعتذار يعتدّ به ﴿قوله﴾ ولأغوينهم اشارة الى ان اسناد الاغواء اليه من قبيل اسناد الفعل الى سببه الحامل واستثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم وانهم لا يقبلون منه فلو لم يذكر الاستثناء لكان كاذبا فى قوله فابليس مع كونه ابليسا لما احترز عن الكذب ظهر ان الكذب فى غاية الخبث بحيث لا يرضى به سعيد ولا شقى ثم ان ابليس لما استثنى

﴿قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم﴾ المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اوّلا بيوم الجزآء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس من التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه فى الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اوّل اليوم ويبعث الخلائق فى تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على علوّ منصب ابليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الاهانة والاذلال ﴿قال رب بما اغويتنى﴾ الباء للقسم وما مصدرية وجوابه ﴿لأزينن لهم فى الارض﴾ والمعنى اقسم باغوائك اياى لأزينن لهم المعاصى فى الدنيا التى هى دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفى انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اوّلوا الاغواء بالنسبة الى الغىّ او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليطه له على اغواء بنى آدم بان الله تعالى علم منه ومن يتبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل اولم يمهل وان فى امهاله تعريضا بمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوى الالباب ﴿ولأغوينهم اجمعين﴾ ولأجلنهم اجمعين على الغواية ﴿الا عبادك منهم المخلصين﴾ اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوآئب فلا يعمل فيهم كيدى وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر فى كل القرآن اى الذين اخلصوا نفوسهم لله

﴿قال هذا صراط علىّ﴾ حق علىّ ان اراعيه ﴿مستقيم﴾ لا انحرف عنه والاشارة الى ماتضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوآئه او الاخلاص على معنى انه طريق علىّ يؤدى الى الوصول الىّ من غير اعوجاج وضلال وقرئ علىّ من علوّ الشرف ﴿ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين﴾ تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم اوتكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص وانما يتم على هذا يكون قوله تعالى منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وماكان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاوّل يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقى لافضائه الى تناقض الاستثنائين ﴿وان جهنم لموعدهم﴾ لموعد الغاوين او المتبعين ﴿اجمعين﴾ تأكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لايعمل ﴿لها سبعة ابواب﴾ يدخلون منها لكثرتهم اوطبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار جميع المهلكات فى الركون الى المحسوسات ومتابعة القوّة الشهوية والغضبية اولان اهلها سبع فرق

المخلصين من الغاوين باغوآئه قال تعالى هذا اشارة الى الاخلاص المدلول عليه بلفظ المخلصين صراط علىّ مستقيم من سلكه يمرّ علىّ اى على مرضاتى وفضلى واحسانى ومن مرّ على مرضاتى فكأنه مرّ علىّ وقيل علىّ ههنا بمعنى الى والمعنى انه اشارة الى ماستثناه ابليس وهو انه لايغوى عباده المخلصين وهم الذين لايختارون اتباع ابليس فيكون علىّ متعلقا بمحذوف وهو حق ويكون استقامته كناية عن عدم الانحراف عن الحق وقرئ علىّ بالرفع على انه صفة لقوله صراط ﴿قوله﴾ تصديق لابليس ﴿﴾ صدّقه الله تعالى فى قوله الاعبادك منهم المخلصين وبين انه لايقدر على اغوآء المخلصين الا انه تعالى غير الوضع بان جعل ماستثناه ابليس مستثنى منه على غير الوضع الذى استثناه ابليس فان الاضافة فى قوله الاعبادك لتعريف الجنس وفى قوله تعالى ان عبادى لتشريف المخلصين باضافتهم الى نفسه والمصنف جعل الاستثناء متصلا بان جعل قوله تعالى ان عبادى لجنس العباد فيكون المستثنى داخلا فى جنس المستثنى منه وقال جعل وضع ماورد بتصديق قول ابليس مغايرا لوضع ابليس لان ابليس استثنى من جنس العباد المخلصين وهو تعالى استثنى منه الغاوين لفائدتين الاولى لتعظيم المخلصين لانهم هم الباقون بعد الاستثناء فهم الاحقاء لان يعبر عنهم بلفظ عبادى والثانية ان المقصود انما يتم بهذا الوضع فعلى هذا يكون قوله تعالى الا من اتبعك بمعنى لكن من اتبعك لعدم دخول متبعى ابليس فى المخلصين وان كان انما يحصل بتغيير الوضع وجعل التعريف للعهد ﴿قوله﴾ اوتكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص ﴿﴾ فان قول ابليس لاغوينهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين يوهم ان له سلطانا على عباد الله تعالى الغير المخلصين لانهم هم الباقون بعد استثناء المخلصين فتعينوا بذلك لان يكونوا متعلق اغوآئه فى قوله لاغوينهم وهو يوهم ان يكون له سلطان على اغوآئهم فكذبه الله تعالى حيث بين بهذه الآية انه ليس له سلطان عليهم ثم استدرك فقال لكن من اتبعك منهم باختياره فهو من الغاوين الا ان غوايته ليس لاجل ان ابليس يقهره على تلك المتابعة ويجبره عليها بل هو مختار فى ذلك كما قال تعالى حكاية عنه وماكان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فظهر بهذا التقرير كون استثناء الا من اتبعك منقطعا لان اتباع ابليس لايخرجون باتباعهم اياه عن كونهم موصوفين بان ليس للشيطان سلطان عليهم ويمكن ان يجعل الاستثناء متصلا بان يحمل العباد فى قوله تعالى ان عبادى على العموم من المطيعين والعصاة ويكون السلطان بمعنى التمكن والوسوسة والدعوة الى الضلال ﴿قوله﴾ وعلى الاوّل ﴿﴾ اى على ان تكون الآية تصديقا لابليس وتوضيح المقام يتوقف على بسط الكلام فاعلم ان الاصوليين اتفقوا على ان الشرط فى الاستثناء المتصل ان لايكون المستثنى مستغرقا للمستثنى منه فيبطل ان يقال مثلا علىّ خمسة الاخمسة لانه يفضى الى اللغو وشرط الحنابلة مع ذلك ان لايزيد المستثنى على نصف المستثنى منه وقالوا لايصح نحو ان يقال له علىّ عشرة الاستة ويصح الاخمسة وشرط القاضى ابوبكر ان ينقص المستثنى عن نصف المستثنى منه فلا يصح علىّ عشرة الاخمسة ويصح الااربعة واحتج على مذهبه بان قال القياس يقتضى ان لايصح الاستثناء اصلا لان الحكم على المستثنى منه يتناول جميع مايندرج تحته وذكر الاستثناء بعده بمنزلة الانكار بعد الاعتراف الا انه خولف هذا القياس فيما اذا كان المستثنى اقل لمعنى لم يوجد فيما اذا كان مساويا اواكثر وهو ان الاقل قد ينسى لعدم الاعتداد وقلة التفات النفس اليه فيستدرك بالاستثناء فلم يلزم من صحة استثناء الاقل صحة استثناء الاكثر والمساوى وقوله تعالى الا من اتبعك ان جعل مستثنى متصلا من جنس العباد واراد تصديق ابليس فى قوله لاغوين عبادك الا المخلصين لزم اندفاع ماذهب اليه القاضى من وجوب كون المستثنى اقل من الباقى ووجه اندفاعه كونه مفضيا الى ان يكون كل واحد من المخلصين والغاوين اقل من الآخر وذلك لان استثناء المخلصين من جنس العباد فى قوله لاغوين عبادك يستلزم ان يكون المخلصين اقل من الغاوين واستثناء والغاوين من جنس العباد فى قوله تعالى الا من اتبعك يستلزم ان يكون الغاوين اقل من المخلصين فيكون كل واحد منهما اقل مما هو اقل من نفسه فيكون كل واحد منهما اقل من نفسه بدرجتين وماهو الاتناقض وباطل ﴿قوله﴾ او حال ﴿﴾ اى من الضمير فى موعدهم وهذا على رأى من يجوّز الحال من المضاف اليه فان جعلت الموعد مصدرا يجوز ان يعمل فى الحال الا انه لابدّ من حذف مضاف اى مكان موعدهم لان جهنم ليست نفس المعنى المصدرى وان جعلت الموعد اسم مكان لايحتاج الى تقدير المضاف الا ان اسم المكان لايعمل فحينئذ يكون العامل فى الحال معنى الاضافة ﴿قوله﴾ اوطبقات ينزلونها ﴿﴾ يعنى اختلف فى ان المراد بابواب جهنم ماهو فقيل لها سبع طبقات بعضها اسفل من

بعض وتسمى تلك الطبقات بالدركات ويدل على كونها كذلك قوله تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وقيل ان اهل النار سبع فرق لكل فرقة باب معين وقد فصل المصنف اسامى طبقات النار فقال اوّلها جهنم ثم لظى ثم سقر ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية وقال الضحاك الطبقة الاولى فيها اهل التوحيد يعذبون على قدر اعمالهم ثم يخرجون والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وهو قوله تعالى لكل باب منهم جزؤ مقسوم اى صنف اوجنس جزؤ مقسوم اى حظ معين معلوم اولكل منزل وطبقة جزؤ كائن من اهل النار على ان قوله منهم حال من جزء لانه فى الاصل صفة له فلما قدّم عليه انتصب حالا وعلى الاوّل يكون منهم حالا من الضمير المستقرّ فى قوله لكل باب والعامل فى هذه الحال ما هو العامل فى هذا الجار والمجرور ولا يجوز ان يكون منهم حالا من المستكنّ فى مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف وقوله لها سبعة ابواب يجوز ان يكون جملة مستأنفة وهو الظاهر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا قيل جهنم من قول العرب بئر جهنام اى بعيدة القعر ولظى من التلظى وهو التوقد والحطمة من الحطم وهو الكسر لانها تحطم عظام الكفار اى تكسرها وسقر لانها تذيب عظامهم ولحومهم يقال سقرته الشمس وسقرته اى اذابته والسعير لانها سعرت اى التهبت والجحيم لانها نار عظيمة وهاوية لانها تهوى بهم اى تسقطهم ﴿قوله وقرأ ابو بكر جزؤ بالتثقيل﴾ اى بضمتين والباقون بسكون الزاى ثم انه تعالى لما شرح احوال العقاب اتبعه بيان احوال الثواب فقال ان المتقين فى جنات وقدمّ ان التقوى لها ثلاث مراتب الاولى تقوى عامة المؤمنين وهى التقوى عن العذاب المخلد بالتبرى من الشرك والثانية تقوى الخواص وهو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك والثالثة تقوى اخص الخواص وهو التنزه عن كل ما يشغل سرّه عن الحق والتبتل اليه بشراشره والمصنف حمل التقوى المذكورة ههنا على المرتبة الثانية منها حيث قال المتقين من اتباع ابليس فى الكفر والفواحش لكون الحمل المذكور انسب بهذا المقام لما مرّ ان الناس فريقان المخلصون والغاوون وان جهنم مقسومة سبعة اقسام وان الدركة الاولى منها لعصاة المؤمنين يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها فاذا لابدّ من تفسير المتقين فى هذا المقام بما يتميزون به عن الغاوين الذين قيل فى حقهم وان جهنم لموعدهم اجمعين لكل طبقة منها صنف معين من الغاوين حتى يكون المتقون مقابلا للغاوين ومرادفا للمخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وطهرهم من شوائب معصيته وغاية ما فى الباب انه لا يعلم من هذه الآية خروج عصاة المؤمنين من النار ودخولهم فى الجنة بالآخرة ولا محذور لكونه يعلم من نصوص اخر وقال جمهور المعتزلة القائلين بوجوب عقاب اصحاب الكبائر وخلودهم فى النار المتقون هم الذين اتقوا جميع المعاصى لانه اسم مدح فلا يتناول الا من يكون كذلك وقال جمهور الصحابة والتابعين وهو المنقول عن ابن عباس ان المتقين هم الذين اتقوا الشرك والكفر بالله تعالى ووجهه ان المتقى من اتصف بالتقوى فى الجملة وليس من شرط الاتصاف بها ان يكون الشخص آتيا بجميع انواع التقوى وكان القياس ان يصح توصيف الشخص بانه متق بمجرّد كونه آتيا بنوع من انواع التقوى اىّ نوع كان الا ان الامّة اجمعوا على ان التقوى عن الكفر شرط فى صحة الحكم بانه فى جنات فوجب ان يعتبر فى التقوى خصوص الاتقاء عن الكفر وقد تقرّر ان تحقق شئ من انواع التقوى فى الشخص يكفى فى توصيفه بانه متق فلا يشترط فى توصيف الشخص بالتقوى ان يتحقق فيه شئ زائد فى الاتقاء عن الكفر هذا كلام الامام ولا يخفى ان ليس الكلام فى كفاية تحقق الاتقاء عن الشرك فى صحة التوصيف بانه متق بل الكلام فى رعاية المناسبة للمقام وهى تقتضى اعتبار التوقى عن سائر الكبائر ايضا فلذلك حمل التقوى فى هذا المقام على المرتبة الثانية منها ﴿قوله اولكل عدّة منهما﴾ فيكون لكل واحد اربع جنات بمقتضى الآيتين واربعة انهار بمقتضى قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى هذا على تقدير ان تكون العيون المذكورة بقوله فى جنات وعيون الانهار المذكورة فى هذه الآية ويحتمل ان يكون المراد من هذه العيون منابع مغايرة لتلك الانهار ثم انه يحتمل ان يكون كل واحد من المتقين له عيون تخصه وينتفع بها هو وكل من فى حمايته من الحور والولدان ويحتمل ايضا ان تجرى تلك العيون من بعضهم الى بعض لانهم مطهرون عن الحقد والحسد ﴿قوله على ارادة القول﴾ بان يقال لاهل الجنة ادخلوها ويحتمل ان يكون القائل هو الله تعالى ويحتمل ان يكون بعض الملائكة * فان قيل قد حكم الله تعالى بان المتقين فى جنات وعيون واذا كانوا فيها فكيف يمكن ان يقال لهم ادخلوها مع السلامة من كل الآفات * قلنا يمكن ان

﴿لكل باب منهم﴾ من الاتباع ﴿جزؤ مقسوم﴾ افرزله فأعلاها للموحدين العصاة والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جزء على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاى ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجرآء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكنّ فى الظرف لا فى مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدّم موصوفها ﴿ان المتقين﴾ من اتباعه فى الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة ﴿فى جنات وعيون﴾ لكل واحد جنة وعين او لكل عدّة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وحفص وابو عمرو وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ﴿ادخلوها﴾ على ارادة القول

وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين ﴿بسلام﴾ سالمين او مسلما عليكم ﴿آمنين﴾ من الآفات والزوال ﴿ونزعنا﴾ فى الدنيا بما الف بين قلوبهم او فى الجنة بتطييب نفوسهم ﴿مافى صدورهم من غل﴾ من حقد كان فى الدنيا وعن علىّ رضى الله تعالى عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم اومن التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب ﴿اخوانا﴾ حال من الضمير فى

جنات اوفاعل ادخلوها او الضمير فى آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله ﴿على سرر متقابلين﴾ ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا اوحالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستقرّ فى على سرر ﴿لا يمسهم فيها نصب﴾ استئناف اوحال بعد حال اوحال من الضمير فى متقابلين ﴿وماهم منها بمخرجين﴾ فان تمام النعمة بالخلود ﴿نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم﴾ فذلكة ماسبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفى ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقى الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفى توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفى عطف ﴿ونبئهم عن ضيف ابراهيم﴾ على نبئ عبادى تحقيق لهما يعتبرون به ﴿اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما﴾ اى نسلم عليك سلاما اوسلمنا سلاما ﴿قال انا منكم وجلون﴾ خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت اولانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ماتكره ﴿قالوا لا توجل﴾ وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله ﴿انا نبشرك﴾ استئناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر ﴿بغلام﴾ هو اسحق عليه السلام لقوله فبشرناها باسحق ﴿عليم﴾ اذا بلغ ﴿قال أبشرتمونى على ان مسنى الكبر﴾ تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه وانكار لان يبشر به فى مثل هذه الحالة وكذلك قوله ﴿فبم تبشرون﴾ اى فبأىّ امجوبة تبشرونى اوفبأىّ شئ تبشرونى فان البشارة بما لا يتصوّر وقوعه عادة بشارة بغير شئ وقرأ ابن كثير بكسر النون مشدّدة فى كل القرآن على ادغام نون الجمع فى نون الوقاية وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء ﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ بما يكون لامحالة اوباليقين الذى لالبس فيه اوبطريقة هى حق وهو قول الله تعالى وامره ﴿فلا تكن من القانطين﴾ من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يحلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ وعجوز عاقر والقنوط اليأس من الخير وقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون يدل على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن قانطا ولكنه استبعد ذلك باعتبار العادة فظنت الملائكة انه قنوطا فنفى عن نفسه واخبر ان القانط من رحمة ربه ضال جاهل والاستفهام فى قوله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون يدل على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن قانطا لانه

يقال لهم ادخلوها مع السلامة من كل الآفات فى الحال مع القطع ببقاء هذه السلامة والامن من زوالها وبسلام حال اى ملتبسين بالسلامة او مسلما عليكم وآمنين حال اخرى بدل من الاولى بدل الكل او الاشتمال لان الامن مشتمل على السلامة اوبالعكس ﴿قوله وقرئ بقطع الهمزة﴾ اى مضمومة على انه ماض مبنى للمفعول يعنى ان العامة على وصل الهمزة على انه امر من دخل يدخل وحينئذ يجوز كسر تنوين عيون لالتقاء الساكنين ويجوز ضمه ايضا بالقاء ضمة الهمزة على التنوين وحذف الهمزة حال الوصل وعلى تقدير ان يقرأ بقطع الهمزة لا يجوز كسر التنوين لانه لم يكن ساكنا ويجوز ضمه بالقاء ضمة الهمزة عليه واسقاط الهمزة اجراء لها مجرى همزة الوصل فى الاسقاط ﴿قوله ونزعنا فى الدنيا بما الف بين قلوبهم﴾ بان اتفقوا على مايقتضيه الاسلام من الاخلاق الحسنة والافعال المرضية بعد ما كانوا عليه من الكفر وخصائل الجاهلية من اتباع الشهوة والغضب كما قال تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار بسبب اجتماعكم على الكفر والاحوال المناسبة له كأنه قيل ان المتقين فى جنات بسبب اناطهرنا قلوبهم فى الدنيا عن الكفر وما يناسبه من الكدورات الطبيعية والملكات الردية ﴿قوله او فى الجنة﴾ بان ينسى الله تعالى ما كان بينهم من الجفاء والعقوق لان ذكر الجفاء والمخالفة ينغص النعم التى فى الجنة فيجتمعون فيها على التلذذ والتنعم بنعيمها مع صفاء القلوب يروى ان المؤمنين يحاسبون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يمرّ بهم الى الجنة وقد نقى الله قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد والسرر بضمتين والاسرّة جمع سرير قيل انه مجلس رفيع مهيأ للسرور فهو مأخوذ منه لانه مجلس سرور روى ان كل سرير مثل صنعاء الى الجابية ﴿قوله لانه بمعنى متصافين﴾ وتأويل الجامد بالمشتق البعيد منه لا يخلو عن بعد ﴿قوله تحقيق لهما بما يعتبرون به﴾ فانه تعالى لما ذكر ان ضيف ابراهيم بشروه بالولد بعد الكبر وبانجاء المؤمنين من قوم لوط من عذاب الاستئصال واهلاك الآخرين على اسوء الاحوال كان ذلك تحقيقا وتقريرا لما قبله من انه غفور رحيم للمؤمنين وان عذابه عذاب اليم فى حق الكفار والضيف فى الاصل مصدر ضاف يضيف اذا اتى انسانا الطلب القرى ثم سمى به واطلق على الملائكة ضيفا مع امتناعهم من الاكل وطلب القرى من حيث ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام ظنهم اضيافا لدخولهم عليه على صورة الاضياف ﴿قوله تعالى اذ دخلوا﴾ فيه وجهان احدهما انه مفعول به لفعل مقدّر اى اذكر اذ دخلوا والثانى انه ظرف محذوف اى اذكر خبر ضيفه اذ دخلوا اوظرف لنفس ضيف بناء على انه كان فى الاصل مصدرا فاعتبر ذلك فيه ويدل على اعتبار مصدريته بعد جعله اسما وصفهم به وعدم مطابقته لما قبله تثنية وجمعا وتأنيثا فى الاغلب ﴿قوله اولانهم امتنعوا من الاكل﴾ فانه قد كانت عادتهم انه اذا اكل من يطرقهم طعامهم أمنوا والا خافوا ﴿قوله وقرئ لا تاجل﴾ العامة على فتح تاء توجل من وجل يوجل كشرب يشرب وقرئ لا تاجل والاصل لا توجل كقراءة العامة الا انه قلبت الواو الفا لانفتاح ماقبلها وان لم تكن هى متحرّكة كقولهم ثابه وصامه فى ثوبه وصومه وسمع الامهم تقبل تابتى وصامى وقرئ ايضا لا توجل مبنيا للمفعول من الايجال وقرئ لا تواجل ايضا ﴿قوله وقرأ حمزة نبشرك﴾ اى بفتح النون وسكون الباء من بشرت الرجل ابشره بشرا وبشورا من البشرى فالبشر والابشار والتبشير ثلاث لغات وقرأ الباقون نبشرك بضم النون وفتح الباء من التبشير بشروه بامرين احدهما ان الولد ذكر والثانى انه عليم واختلفوا فى تفسير العليم فقيل بشروه بنبوّته وقيل بشروه بانه عليم بالدين وما يتعلق به ﴿قوله تعجب او انكار الخ﴾ اذ لا محل لحمله على الاستفهام حقيقة اذ لا وجه للاستفهام بعد ان قالوا انا نبشرك بغلام عليم وكذا الوجه للاستفهام عن المبشر به بعد ما بينوه بانه غلام عليم فلذلك حمل الاستفهام على التعجب والانكار والباء صلة تبشرون كما فى قولك بشرته بقدوم زيد ويجوز ان لا تكون صلة تبشرون بل تكون كالباء فى قوله ضربته بالسوط والمعنى باىّ طريقة تبشرونني بالولد أيحصل ذلك منى حال كونى باقيا على صفة الشيخوخة ام اصير وانقلب الى الشباب ثم يحصل الولد منى وكل ذلك بعيد بحسب العادة وامر عجيب وكذا قوله بالحق يحتمل ان تكون الباء فيه صلة اى بشرناك بطريقة هى حق وهى ان يحصل الولد منكما حال بقائكما على صفة الشيخوخة التامة بفعل الله تعالى وامره فانه تعالى قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ وعجوز عاقر والقنوط اليأس من الخير وقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون يدل على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن قانطا ولكنه استبعد ذلك باعتبار العادة دون القدرة ولذلك ﴿قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون﴾ اى المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائى يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح

(بمعنى) استعجاب ابراهيم صلوات الله عليه باعتبار العادة دون القدرة ولذلك ﴿قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون﴾ اى المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائى يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح

بمعنى النفى ولذلك وقع بعده الايجاب بالا ﴿قوله ولعله علم الخ﴾ جواب عما يقال الملائكة لما بشروه بغلام عليم تبين غرضهم من المجيء فكيف سأل عليه الصلاة والسلام بعد ذلك بقوله فما خطبكم ﴿قوله ويدل عليه﴾ اى على ان ارسال الملائكة الى المجرمين لاجل اهلاكهم الاستثناف بقوله انا لمنجوهم اجمعين فانه لما قيل انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم توجه ان يقال فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فانه صريح فى ان المقصود من ذلك الارسال اهلاك القوم المجرمين ﴿قوله لاختلاف الحكمين﴾ فان آل لوط مستثنى من حكم الاجرام وامرأته مستثنى من حكم التنجية والاستثناء من الاستثناء لايصح الا فيما اتحد الحكم فيه مثل ان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته ومانحن فيه ليس كذلك الا ان يجعل انا لمنجوهم معترضة بين الاستثناء الثانى والاوّل نقل عن صاحب التقريب انه قال وقديتوهم من الارسال اذا كان بمعنى الاهلاك انه لا اختلاف اذ التقدير الا آل لوط لم نهلكهم فهو بمعنى منجوهم وجوابه ان الاستثناء من متعدّد يصلح مستثنى منه ان كان متصلا بما قبله وههنا تخلل انا لمنجوهم فلو قال الا آل لوط الا امرأته لجاز ذلك قال الطيبى قلت لاسيما ان قوله انا لمنجوهم على تقدير ان يكون الاستثناء متصلا جملة منقطعة عما قبلها على تقدير سؤال سائل فيبعد من البليغ ان يجعل ما فى حيزه متعلقا بما قبله وقوله جملة منقطعة خبر قوله ان قوله الخ وقال صاحب الكشاف قوله انما يكون فيما اتحدا الحكم اى شخصا وعددا فلايرد ان الارسال اذا كان بمعنى الاهلاك كان قوله انا لمنجوهم وقوله الا آل لوط فى معنى واحد واخر الاستثناء من الاوّل فى المعنى وانما شرط الاتحاد اذ المتصل كاسم واحد ولايجوز تخلل جملة بين العصا وحالها ولا كذلك فى المنقطع ﴿قوله وانما علق﴾ ودليل تعليقه ان قوله انها لمن الغابرين فى موضع المفعول لقدّرنا والمعنى قضينا انها تتخلف وتبقى مع من يبقى حتى تهلك مع الهالكين فلما كسرت ان مع وقوعها فى حيز المفعول علمنا ان الفعل قبلها معلق عما بعده فان ان المكسورة من المعلقات اذا كان فتحها ممنوعا وذلك اذا جاء فى خبرها لام الابتداء نحو علمت ان زيدا لقائم فان لام الابتداآ لاتدخل الا مع المكسورة واما اذا تجرّدت ان عن اللام فانها لاتعلق وجاز فتحها وجعلها مع صولة للفعل واصل الكلام قدّرناها من الغابرين ثم جيء بلام الابتداآ فصار قدّرنا لها من الغابرين ثم جيء بان فاخر لام الابتداء الى الخبر وقيل قدّرنا انها لمن الغابرين ومعنى التقدير جعل الشيء على مقدار غيره يقال قدر هذا الشيء بهذا اى اجعله على مقداره وقدّر الله تعالى الاقوات اى جعلها على مقدار الكفاية ويستعمل فى معنى القضاء يقال قدّر الله عليه اى قضى عليه بذلك قضاء كائنا على قدر ماتقتضيه الحكمة وقيل قدّرنا بمعنى كتبنا وقيل بمعنى دبرنا * فان قيل لم اسند الملائكة التقدير الى انفسهم مع انه لله تعالى * فالجواب انهم انما ذكروا هذه العبارة لما لهم من القرب والاختصاص بالله تعالى كما تقول خواص الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لاهم وانما يريدون بهذا الكلام اظهار مالهم من الاختصاص بذلك الملك فكذا هذا ﴿قوله لتضمنه معنى العلم﴾ فان تقدير الشيء ينبيء على العلم به ويستلزمه فعومل معاملة العلم فى التعليق بسبب تلك العلاقة والمعتزلة يفسرون تقدير الله تعالى اعمال العباد بالعلم بها ويجحدون القضاء والقدر لامتناعهم عن القول بتعلق قدرة الله تعالى بالمعاصى والتقدير عندهم هو العلم لا الارادة ﴿قوله مخافة ان تطرقونى بشرّ﴾ وذلك لان الملائكة كانوا على صورة شبان مرد حسان الوجوه فخاف ان يهجم قومه عليهم بغتة بسبب طلبهم فقال هذه الكلمة لذلك ويحتمل ان يكون المراد بقوله انكم قوم منكرون انى لااعرفكم ولااعرف انكم من الاقوام ولاىّ غرض دخلتم علىّ وذلك لان النكرة ضدّ المعرفة الا ان قولهم بل جئناك يدل عن المقول المحذوف والتقدير ماذكره ﴿قوله فاسر بوصل الهمزة﴾ يقال سريت اسرى سرى واسريت وهما لغتان بمعنى واحد اى سرت ليلا ﴿قوله وقيل فى آخره﴾ كلمة فى ههنا مستدركة لان القطع آخر الليل لافى آخره * الجوهرى القطع ظلمة آخر الليل ومنه قوله تعالى فاسر باهلك بقطع من الليل وقال الاخفش بسواد من الليل ثم اورد قول الشاعر

* اقحمى الباب وانظرى فى النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم *

اى كم علينا من آخر الليل المظلم كأنّ القائل طال عليه الليل فخاطب نفسه او حبيبته بذلك او كان يحب طوله للوصال فقال لها ذلك والبهيم المظلم الذى لايخالطه شيء سوى لونه يقال فرس بهيم اى مصمت وهو الذى لايخالط لونه شيء سوى لونه ﴿قوله تذودهم﴾ اى تسوقهم ليكون مسيره مسيرا لهارب الذى يقدّم اهله حال فراره ويفوت بهم عما ورآءه من المكروه وتسرع بهم اهتماما لامر خلاصهم بانقاذهم قبل ان يفجأ الصبح وينزل العذاب ومسارعة

عددا والبشارة لاتحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد فى بشارة زكريا ومريم اولانهم بشروه فى تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها ﴿قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين﴾ يعنى قوم لوط ﴿الا آل لوط﴾ ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير فى مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجى آل لوط ويدل عليه قوله ﴿انا لمنجوهم اجمعين﴾ اى مما نعذب به القوم وهو استثناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله ﴿الا امرأته﴾ استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاوّل لايكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائى لمنجوهم مخففا ﴿قدّرنا انها لمن الغابرين﴾ الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابوبكر عن عاصم قدرنا هنا وفى النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدّرنا اجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به ﴿فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون﴾ تنكركم نفسى وتنفر عنكم مخافة ان تطرقونى بشرّ ﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ اى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرّك ويشفى لك من عدوّك وهو العذاب الذى توعدتهم به فيمترون فيه ﴿وأتيناك بالحق﴾ باليقين من عذابهم ﴿وانا لصادقون﴾ فيما اخبرناك به ﴿فأسر باهلك﴾ فاذهب بهم فى الليل وقرأ الحجازيان بوصل الهمزة من السرى وهما بمعنى وقرئ سر من السير ﴿بقطع من الليل﴾ فى طائفة من الليل وقيل فى آخره قال شعر

* اقحمى الباب وانظرى فى النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم * ﴿واتبع أدبارهم﴾ وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم

العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ الى حيث امركم الله بالمضيّ اليه وهو الشام اومصر فعدّى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع ﴿وقضينا اليه﴾ اى اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدّى بالى ﴿ذلك الامر﴾ مبهم يفسره ﴿ان دابر هؤلاء مقطوع﴾ ومحله النصب على البدل منه وفى ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لايبقى منهم احد ﴿مصبحين﴾ داخلين فى الصبح وهو حال من هؤلاء اومن الضمير فى مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء فى معنى مدبرى هؤلاء ﴿وجاء اهل المدينة﴾ سدوم ﴿يستبشرون﴾ باضياف لوط طمعا فيهم ﴿قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون﴾ بفضيحة ضيفى فان من اسيئ الى ضيفه فقد اسيئ اليه ﴿واتقوا الله﴾ فى ركوب الفاحشة ﴿ولاتخزون﴾ ولاتذلون بسببهم من الخزى وهو الهوان اوولا تخجلون فيهم من الخزاية وهو الحياء ﴿قالوا اولم ننهك عن العالمين﴾ عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرّضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه اوعن ضيافة الناس وانزالهم ﴿قال هؤلاء بناتى﴾ يعنى نساء القوم فان نبى كل امّة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت فى سورة هود ﴿ان كنتم فاعلين﴾ قضاء الوطر اوما اقول لكم ﴿لعمرك﴾ قسم بحياة المخاطب والمخاطب فى هذا القسم هو النبى عليه الصلاة والسلام وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمى وهو لغة فى العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على ألسنتهم ﴿انهم لفى سكرتهم﴾ لفى غوايتهم اوشدّة غلمتهم التى ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطاهم والصواب الذى يشاربه اليهم ﴿يعمهون﴾ يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض

الى امتثال قوله تعالى فاسر باهلك وتطلع على حالهم لئلا يتخلف احد منهم لغرض له فى ورآئه فيصيبه العذاب وهذه فوآئد الامر باتباعه ادبار اهله اما فوآئد النهى عن الالتفات بمعنى النظر الى ورآئه فامران الاوّل ان الالتفات بذلك المعنى ربما يؤدّى الى رؤية مالايطيقه من الهول ويكون ذلك سببا لهلاكه والثانى انه يؤدّى الى رؤية هلاك قومه وان تحمله تلك الرؤية على ترحمهم والرقة عليهم فى مقام البغض لله فيصاب بما اصابهم وان كان الالتفات المنهى عنه بمعنى الانصراف والتخلف لغرض ففائدة النهى عنه ظاهرة وهى الاحتراز عن اصابة العذاب ﴿قوله الى حيث امركم الله﴾ اشارة الى ان حيث على بابها من كونها ظرف مكان مبهم ولابهامها تعدّى الفعل اليها من غير واسطة فى ثم صرح بهذا فى قوله فعدّى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع يعنى ان حيث من الظروف الغير اللازمة الظرفية لكونه مفعولا به فى قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقد يتوسع فى الظروف الغير اللازمة الظرفية فتجعل مفعولا بها فحينئذ يسوغ ان ينصب سواء كان مستغنيا عن لفظ فى نحو قولك يوم الجمعة صمته وان يضاف اليه المصدر والصفة المشبهة كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وقول من قال * ياسارق الليلة اهل الدار * وقد اتفقوا على ان معناه سواء كان متوسعا فيه اوغير متوسع فيه لايخرج عن كونه ظرفا لعامله وحيث على تقدير اتصابه على الظرفية لايحتاج الى فى لانه مبهم وقد تقرّر ان ظرف المكان المبهم منصوب غير مجرور بفى بخلاف المؤقت فان حكمه حكم ماليس بظرف فيحتاج الى فى وكذا الضمير فى تؤمرون ظرف مكان مبهم لكونه راجعا الى حيث فلذلك عدّى الفعل اليه اتساعا على طريق تعديته الى المفعول به ولوكان مؤقتا لقيل تؤمرون فيه ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون قضينا بمعنى اوجبنا عدّى بالى والافالفعل القضاء لايتعدّى بالى قال تعالى وقضى ربك الاتعبدوا الا اياه وقد عدّى ههنا الى لوط عليه الصلاة والسلام بكلمة الى باعتبار المضمن واسم الاشارة اشارة الى ماوعد من اهلاك قومه والامر منصوب على انه عطف بيان له وجملة ان دابر هؤلاء مقطوع فى محل النصب على انه بدل من ذلك ﴿قوله سدوم﴾ اسم قرية لوط عليه الصلاة والسلام والاستبشار اظهار السرور لما جاء الملائكة دار لوط عليه الصلاة والسلام اشتهر خبرهم وهو انه نزل بلوط ثلاثة من المرد فى غاية الحسن فذهب القوم الى دار لوط طلبا لهم فقال لهم لوط لما قصدوا اضيافه هؤلاء الخ ﴿قوله هؤلاء بناتى﴾ يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون هؤلاء منصوب المحل على انه مفعول فعل مقدّر اى تزوّجوا هؤلاء وبناتى عطف بيان له اوبدل منه والثانى ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتى بدلا اوعطف بيان والخبر محذوف اى هنّ اطهر لكم كما صرح به فيما هو نظير لهذه الآية والثالث ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتى خبره ﴿قوله لعمرك﴾ مبتدأ محذوف الخبر وجوبا وقوله انهم مع ما فى حيزه جواب القسم تقديره لعمرك قسمى او يمينى انهم الى آخره والعمر بفتح العين وضمها بمعنى واحد هو البقاء فاذا اقسموا فتحوا العين لاغير لان الفتح اخف وهم يكثرون القسم بلعمرى ولعمرك فاختاروا الاخف والعمر بفتح العين متى اقترن به لام الابتدآء التزموا فيه الرفع بالابتدآء وحذفوا خبره لسدّ جواب القسم مسدّه ﴿قوله والمخاطب فى هذا القسم هو النبى صلى الله عليه وسلم﴾ لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال يريد وعيشك يامحمد وعنه انه قال ماخلق الله نفسا اكرم عليه من محمد عليه الصلاة والسلام وماسمعت الله تعالى اقسم بحياة احد الا بحياته قال لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون وقيل ان هذا القسم مع جوابه كلام الملائكة للوط حكاه الله تعالى عنهم بقول مقدّر اى قالت الملائكة للوط عليه الصلاة والسلام لعمرك انهم كذا ﴿قوله اوشدّة غلمتهم﴾ وهو بضم الغين وسكون اللام شهوة الضراب وقوله التى ازالت عقولهم صفة لكل واحدة من الغواية وشدّة الغلمة وبيان لوجه الشبه بين ماهم عليه من الغواية وشدّة السكرة على ان كل واحدة منهما على سبيل البدل على وجه الاستعارة التصريحية ﴿قوله وقيل الضمير لقريش﴾ عطف من حيث المعنى على مايفهم من الكلام السابق وهو ان المخاطب بقوله لعمرك سواء كان لوطا اونبينا عليه الصلاة والسلام يكون الضمير فى قوله انهم لفى سكرتهم يعمهون لقوم لوط وعطف على هذا المفهوم قول من قال ان الضمائر المذكورة فى قوله انهم لفى سكرتهم يعمهون راجعة الى قريش على تقدير ان يكون خطاب لعمرك لنبينا صلى الله عليه وسلم فعلى هذا تكون جملة القسم مع جوابه معترضة فى خلال قصة قوم لوط كأنه سبحانه وتعالى خاطب رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فقال لعمرك ان قومك الذين هم قريش لفى سكرتهم اى غوايتهم التى هى كحال سكر السكران يعمهون اى يتردّدون فى الباطل غافلين عما اعدّ الله تعالى لاهل

معصيته كما انزله بقوم لوط وهذا كرجل يذكر قصة قوم خرجوا على السلطان فاخذوا وقتلوا فاذا ذكر بعض القصة وهو يريد ان يسمعه قوم مثلهم فعلوا كذلك ولم يعاقبوا بعد قال قيل تمام القصة سمع فان هؤلاء فى غفلة لا يدرون ماذا يحل بهم ثم يعود الى تمام القصة ﴿قوله﴾ وقيل صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام ﴿ضعفه ظاهر لانه ليس فى الآية مايدل على ان تلك الصيحة صيحة جبريل وان ثبت بالدليل المقوّى لذلك قيل به والا فليس فى الآية الا مايدل على انه جاءتهم صيحة عظيمة مهلكة وانه تعالى عذبهم بثلاثة انواع من العذاب احدها الصيحة الهائلة المنكرة وثانيها ماذكره بقوله فجعلنا عاليها سافلها وثالثها قوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وقوله مشرقين حال من مفعول اخذتهم وشروق الشمس طلوعها يقال شرق يشرق شروقا لكل ماطلع من جانب الشرق واشرقت الشمس اى اضاءت قيل كان ابتداء العذاب حين اصبحوا وكان تمامه حين اشرقوا فلذلك قال اوّلا ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقال ههنا مشرقين ﴿قوله﴾ ثابت ﴿تفسير لقوله مقيم والمعنى ان مدينة قوم لوط بطريق ثابت لا يندرس ولا يخفى يسلكه من يسافر من الحجاز الى الشام والمقصود ان الاعتبار بها يمكن ﴿قوله﴾ ان فى ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسله ﴿فان كل من آمن بالله ورسله عرف ان ماذكر انما كان من الله تعالى انتقاما لانبيائه من اولئك الجهال واما الذين لا يؤمنون بالله ورسله فانهم يحملون ذلك على حوادث العالم ووقائعه وحصول القرانات الكواكبية والاتصالات الفلكية ذكر الله تعالى اوّلا ان فيما ذكر من هذه القصة آيات للمتوسمين ولم يبين انه من اىّ جهة يكون فيه آيات لهم وذلك يحتمل وجوها الاوّل هو ان قوله ان فى ذلك لآية يدل على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه عليه الصلاة والسلام ذكر قصة ابراهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام على ما كانت وهو لم يشهدها ولم يقرأ كتابا ولم يخالط اهل العلم والاخبار فكان ذلك آية على صدقه فى دعوى الرسالة والثانى ان فى هلاك من اهلك منهم ونجاة من نجا منهم آية للمتوسمين لان من هلك منهم هلك بالتكذيب ومن نجا منهم نجا بالتصديق ويستدلون بذلك على ثبوت الصانع القادر العليم الحكيم وعلى حقية امر البعثة والنبوّة وحقية ماجاء به الانبياء والمرسلون من الشرائع والاحكام وقيل انما جمع الآيات للمتوسمين ووحد الآية للمؤمنين بناء على ان لفظ ذلك اشارة الى وقوع القرية الهالكة بسبيل مقيم والله اعلم ﴿قوله﴾ فاهلكوا بالظلة ﴿روى انه تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام فبعث الله تعالى سحابة فالتجأوا اليها يلتمسون منها الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فذلك قوله تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة ﴿قوله﴾ ومن كذب واحدا من الرسل فكأنما كذب الجميع ﴿جواب عما يقال ان ثمود انما كذبوا رسولهم صالحا فكيف قيل كذب اصحاب الحجر المرسلين* وتقرير الجواب ان صالحا كان يدعوهم الى ماكان دعاء سائر الرسل اليه فاذا كذبوه صاروا كأنهم قد كذبوا الرسل جميعا لان كل رسول كان يدعوا الى الايمان بالرسل جميعا فمن كذب واحدا منهم فقد كذب الكل وقيل الرسول من اوتى الكتاب بعد اظهار المعجزة وكل من لم يصدق هذا فقد عمم التكذيب والردّ ﴿قوله﴾ ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه ﴿بطريق تغليب صالح على امّته المؤمنين ﴿قوله﴾ او معجزاته ﴿يحتمل انه تعالى اعطاه آيات ومعجزات سوى الناقة وان لم تذكر فى القرآن ويحتمل ان تكون الناقة وحدها آيات من حيث انها خرجت من الصخرة وتحركت الصخرة بخروجها ودنت ولادتها لسقيها من حين خروجها والسقب الذكر من ولد الناقة والانثى سقبة ومن حيث انها ترد الماء يوما وتترك يوما ومن حيث كثرة درّها ولبنها حتى كان يكفيهم جميعهم ومن حيث انتصابها لهم حتى يحلبوها ومن حيث عظم خلقها حتى لم تشبهها ناقة فلذلك كانت تصدر من طريق غير الطريق الذى وردت منه لانه كان يضيق عنها وغير ذلك من امورها التى كل واحد منها آية على حدة وان كانت الآيات عبارة عن الادلة والحجج فوجه جمعها ظاهر واضافة الناقة اليهم وان كانت الناقة لصالح لانها آيات رسولهم ﴿قوله﴾ او من العذاب ﴿كأنهم كانوا آمنين مما وعدهم صالح من عذاب الله حيث قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين وكانوا آمنين من انهدام ما نحتوا اعتمادا على حذاقتهم فى صنعة النحت قال تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين على تأويل حاذقين ﴿قوله﴾ الا خلقا ملتبسا بالحق ﴿اشارة الى ان قوله بالحق صفة مصدر محذوف وان الاستثناء مفرّغ من اعم عام المصدر واشار الى وجه انتظام هذه الآية بما قبلها بما محصوله انه تعالى بين اوّلا انه يهلك الكفار لاصرارهم على الكفر والعناد ثم ذكر انه ماخلق الخلق عبثا مهملا عن التقييد بقيد التكليف حتى تعمل كل نفس ماتشتهيه وانما خلقهم وهيأ لهم اسباب معاشهم وبين لهم دلائل الرشد والهدى ومايؤدّى الى الهلاك والردى ليعرفوا خالقهم ورازقهم وحق احسانه اليهم ويشتغلوا بشكره وطاعته

﴿فاخذتهم الصيحة﴾ يعنى صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل ﴿مشرقين﴾ داخلين فى وقت شروق الشمس ﴿فجعلنا عاليها﴾ عالى المدينة او عالى قراهم ﴿سافلها﴾ فصارت منقلبة بهم ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ من طين متحجرا وطين عليه كتاب من السجل وقد تقدّم مزيد بيان لهذه القصة فى سورة هود ﴿ان فى ذلك لآيات للمتوسمين﴾ المتفكرين المتفرّسين الذين يتثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشئ بسمته ﴿وانها﴾ وان المدينة او القرى ﴿لبسبيل مقيم﴾ ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ﴿ان فى ذلك لآية للمؤمنين﴾ بالله ورسوله ﴿وان كان اصحاب الايكة لظالمين﴾ هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة ﴿فانتقمنا منهم﴾ بالاهلاك ﴿وانهما﴾ يعنى سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر ﴿لبأمام مبين﴾ لبطريق واضح والامام اسم مايؤتم به فسمى به اللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به ﴿ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين﴾ يعنى ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونه ﴿وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين﴾ يعنى آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها ودرّها او ما نصب لهم من الادلة ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين﴾ من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسابهم ان الجبال تحميهم منه ﴿فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد ﴿وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق﴾ الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة افسادهم من الارض

ويفوزوا بالحسنى والدولة العظمى يوم لقائه فمن اعرض عن النظر فى الدلائل البينات واصرّ على الاستهزآء بالحجج والآيات ورغب فى ارتكاب المعاصى والسيئات فقد استحق لان يعاقب بانواع العقوبات فلذلك اهلك من آثر سبيل الضلالات والجهالات اخلاء لوجه الارض عن تلك الحالات ولم يكتف باهلاكهم بل اعدّ دار الجزآء لينتقم فيها من الاعدآء ويتفضل فيها على الاولياء فان الدنيا ليست بدار الجزآء بل هى دار التكليف والابتلاء فلابدّ من يوم الدين والجزآء ليصل الى كل ذى حق حقه كما قال تعالى انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم ثم انه تعالى لما صبره على اذى قومه رغبه بعد ذلك فى الصفح عن سيئاتهم فقال فاصفح الصفح الجميل اى فاعرض عنهم واحتمل ماتلقى منهم اعراضا جميلا ملتبسا بحلم واغضاء ولاتكافئهم بما آذوك قولا وفعلا فان الساعة آتية فانا اكافئهم عنك ووصف الصفح بالجميل للدلالة على معنى ان لايترك نصحهم ودعاءهم الى الحق مع ذلك والصفح بهذا المعنى لايقبل النسخ والذى يقبله هو الصفح بمعنى الاعراض عن قتالهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وهو بعيد لان المقصود من ذلك ان يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح فكيف يصير منسوخا فانه عليه الصلاة والسلام كان مأمورا بالصفح فى موضعه وبالقتال فى موضعه ﴿قوله﴾ او هو الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم ﴿عطف على قوله الذى خلقك وخلقهم فالوجه الاوّل على تفسير الصفح بالمعاملة بالخلق الحسن فى تبليغ الرسالة والصبر على ايذآئهم بلسانهم وفعلهم فحينئذ تكون الآية متعلقة بقوله وان الساعة آتية والوجه الثانى مبنى على تفسير الصفح بالاعراض عن قتالهم فتكون الآية حينئذ متعلقة بقوله فاصفح وقوله وهو يصلح للقليل والكثير فان صيغة فاعل موضوعة لمن يقوم به الفعل على وجه الحدوث سواء كان متعلق الفعل واحدا او كثيرا وصيغة فعال انما تطلق اذا كان متعلق الفعل كثيرا ثم انه تعالى لما صبره على اذى قومه وامره بالصفح الجميل اتبعه بذكر ماخصه من النعم الجليلة لان الانسان اذا تذكر نعم الله عليه سهل عليه الصفح والتجاوز فقال ولقد آتيناك سبعا من المثانى والسبع يحتمل ان يكون المراد منه سبع آيات او سبعا من السور او سبعا غيرهما من الفوآئد وليس فى اللفظ مايدل على التعيين والمثانى صيغة جمع واحده امامثناة وهى موضع الثنى او مثنية اسم فاعل والتأنيث لكونها صفة آية فان الآية انما تتلى مكررة او هى مثنية كأنها تثنى على الله بصفاته الحسنى على الاسناد المجازى او الاستعارة المكنية ﴿قوله تعالى سبعا من المثانى﴾ مفهومه سبعة اشياء من جنس الاشياء التى هى موضع الثنى والتكرير او موضع الثناء والعطف او الاشياء المثنية وهذا القدر مفهوم مجمل لاسبيل الى تعيين المراد منه الا بدليل منفصل فذهب اكثر المفسرين الى ان المراد منه فاتحة الكتاب وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قرأ فاتحة الكتاب وقال هى السبع المثانى ووجه التسمية بالسبع والمثانى لانها سبع آيات ولانها تثنى فى كل صلاة بمعنى انها تقرأ فى كل ركعة لانها تثنى بما يقرأ بعدها ولانها قسمان نصفها ثناء ونصفها دعاء كما ورد فى الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال *يقول الله تعالى قسمت الصلاة *اى الفاتحة *بينى وبين عبدى نصفين الخ *فان النصف الاوّل منها حق الربوبية وهو الثناء والنصف الثانى حق العبودية وهو الدعاء ولان كلها مثناة مكررة مثل الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين الصراط صراط عليهم عليهم ولفظ غير وغير فى قرآءة عمر رضى الله عنه فانه قرأ غير المغضوب عليهم وغير الضالين وقيل انها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة فلذلك سميت مثانى وقال الزجاج سميت الفاتحة مثانى لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله تعالى وتوحيده وملكه ونحو ذلك وعلى تقدير ان يكون المراد بقوله تعالى سبعا من المثانى هو الفاتحة دلت الآية على ان هذه السورة الكريمة افضل سور القرآن من وجهين احدهما ان افرادها بالذكر مع كونها من جملة القرآن لابدّ ان يكون لاختصاصها بمزيد الشرف والفضيلة والثانى انه تعالى لما انزلها مرتين دل ذلك على زيادة فضلها وشرفها ويدل عليه ايضا قوله عليه الصلاة والسلام *لاصلاة الا بفاتحة الكتاب * وانه عليه الصلاة والسلام واظب على قرآءتها فى جميع الصلوات طول عمره وما اقام سورة اخرى مقامها فى شئ من الصلوات وقيل المراد من السبع المثانى السبع الطول والطول جمع الطولى تأنيث الاطول كالكبر جمع الكبرى تأنيث الاكبر وهى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال والتوبة وسميت هذه السور مثانى لانه يثنى فيها حدود القرآن وفرآئضه وامثاله وعبره وعامة احكامه فان عامة الاحكام فى هذه السبع * واعترض على هذا القول بان هذه الآيات مكية واكثر هذه السور السبع مدنية فكيف يمكن حمل هذه الآية عليها *واجيب عنه بان الله تعالى انزل القرآن

﴿ وان الساعة لآتية ﴾ فينتقم الله لك فيها ممن كذبك ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف ﴿ان ربك هو الخلاق﴾ الذى خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم ﴿العليم﴾ بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفى مصحف عثمان وابىّ رضى الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ﴿ ولقد آتيناك سبعا ﴾ سبع آيات وهى الفاتحة وقيل سبع سور وهى الطول وسابعتها الانفال والتوبة فانهما فى حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس

كله الى السماء الدنيا وقضى فى علمه ان ينزله على نبيه صلى الله عليه وسلم نجوما وبهذا الاعتبار كأنه قد آتاه وانزله عليه فلذلك قال تعالى فى حق ما ينزله بعد ولقد آتيناك ﴿ قوله اوالحواميم ﴾ عطف على قوله الطول يعنى على تقدير ان يحمل سبعا على سبع سور يحتمل ان يراد بتلك السور الطول السبع وان يراد الحواميم السبع بناء على انه قد ثنى فيها القصص وبعض الاحكام ﴿ قوله وقيل سبع صحائف ﴾ عطف على قوله وقيل سبع سور وهذا هو القول الثالث فى بيان قوله تعالى سبعا والصحائف جمع صحيفة بمعنى الكتاب فان القرءآن العظيم سبعة اسباع كل سبع صحيفة وكتاب ومثناة ومثنية فعلى هذا القول السبع المثانى هو القرءآن كله ودليل هذا القول قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى ووصف كل القرءآن بالمثانى لانه كرر فيه دلائل التوحيد والنبوّة والتكاليف وانه مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثن على الله بما هو اهله فعلى هذا يكون عطف والقرءآن العظيم على السبع من قبيل عطف الصفات مع وحدة ذات الموصوف كما فى قوله

* انا الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم *

ويكون المعنى ولقد آتيناك مايقال له السبع المثانى والقرءآن العظيم اى الجامع لهذين الوصفين ونظير هذه الآية فى القرءآن قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء اى كتابا جامعا بين هذين الوصفين ثم انه تعالى لما منّ على رسوله بان آتاه اشرف النعم وابقاها ثوابا ولذة نهاه عن الالتفات الى ما آتاه بعض الكفرة من نعيم الدنيا وادامة النظر اليها فقال ولا تمدّن عينيك والزوج فى اللغة الصنف وازواجا مفعول متعنا قال عليه الصلاة والسلام لاتغبطن فاجرا بنعمة فانك لاتدرى مالاقى بعد موته ان له عندالله قاتلا لايموت* يعنى النار وقال عليه الصلاة والسلام*ليس منا من لم يتغنّ بالقرءآن*اى من لم يتغن على ان يكون التغنى من الغنى المقصور وهو اليسار وقد جاء التغنى فى الحديث الصحيح وهو قوله عليه الصلاة والسلام*ان الخيل لرجل خير ولآخر شرّ ولثالث وزر*ثم قال واما الذى هى له شرّ فرجل ربطها تغنيا وتعففا ثم لم ينس حق الله تعالى فى رقابها والمشهور حمله على تحسين الصوت بجعله من الغناء الممدود فان التغنى بهذا المعنى اشهر كيف وقد قيل لبعض رواة هذا الحديث يا ابا محمد ارايت ان لم يكن حسن الصوت قال يحسنه مااستطاع ويشهد له الحديث الآخر* زينوا القرءآن باصواتكم* وقيل المراد من التغنى بالقرءآن الافصاح بالفاظه وقيل اعلانه والجهر به وقيل قرءآته على خشية من الله ورقة من فؤاده وقيل معناه كشف الغموم بقرءآته وذلك ان الانسان اذا اصابه غم ربما تغنى بالشعر فطلب بذلك فرجه مما هو فيه والصدّيقون همومهم المعاد وضيق صدورهم بما يشغلهم عن الله ولا يفرّجون كربهم الا بذكر كلام ربهم واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام*من لم يتغن بالقرءآن فليس منا* اى من لم يتفرّج من غمومه بقرءآة القرءآن والتدبر فيه فليس منا خلقا وسيرة ﴿ قوله انه عليه الصلاة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ﴾ اى صادف فيها فلا يكون المقصود من ايراد هذه الرواية بيان سبب نزول الآية لان الآية مكية وهو عليه الصلاة والسلام انما سافر ديار الشام بالمسلمين فى آخر عمره بل المقصود مجرّد بيان ان سبعا من المثانى خير من الدنيا وان التقرّب بها افضل وانفع من التقرّب بانفاق الدنيا فى سبيل الله تعالى وراوية الكشاف والكبير هكذا وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل اى اتت يقال وافى فلان اى اتى وحينئذ يحتمل ان تكون هذه الواقعة متقدّمة على نزول الآية وتكون سببا لنزولها واذرعات بكسر الراء موضع بالشام تنسب اليه الخمر وبصرى موضع بالشام ايضا تنسب اليه السيوف وقوله انهم لم يؤمنوا علة لنهيه عليه الصلاة والسلام عن التحزن على المشركين ان نزل بهم العذاب نهاه اوّلا عن الالتفات الى اموالهم ثم نهاه عن الالتفات الى انفسهم كأنه قيل كيف يضيق صدرك مما اصابهم من بأس الله تعالى وعذابه والحال انهم لم يؤمنوا فيتقوّى بهم الاسلام وتنتعش بهم المؤمنون ﴿ قوله وقيل انهم الممتعون به ﴾ اى قيل انه عليه الصلاة والسلام لما رأى قوافل الكفار وكثرة اموالهم وخطر بقلبه عليه الصلاة والسلام ان اصحابه ليس لهم الاقدر الحاجة ولا عداء الله هذه الاموال الكثيرة انزل الله تعالى عليه قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرءآن العظيم وهو خير مما يتمتعون به اياما قلائل ثم يزول عنهم عن قرب ثم قال ولا تحزن عليهم اى ولا تحزن لاجل فقرءآ المسلمين حتى تكون رقة قلبك لاجلهم تؤدّيك الى الالتفات الى المتاع القليل الزآئل عن قرب لانهم الممتعون به اى لان مافى ايدى الكفرة سيصير الى اصحابك عن قرب فيتمتعون به زمانا والله اعلم ﴿ قوله

اوالحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهى الاسباع ﴿ من المثانى ﴾ بيان للسبع والمثانى من التثنية اوالثناء فان كل ذلك مثنى تكرّر قرءآته والفاظه اوقصصه ومواعظه ومثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثنى على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثانى القرءآن اوكتب الله كلها فتكون من للتبعيض ﴿ والقرءآن العظيم ﴾ ان اريد بالسبع الآيات والسور فمن عطف الكل على البعض اوالعام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر ﴿ لاتمدّن عينيك ﴾ لاتطمح ببصرك طموح راغب ﴿ الى مامتعنا به ازواجا منهم ﴾ اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى مااوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وعن ابى بكر من اوتى القرءآن فرأى ان احدا اوتى من الدنيا افضل مما اوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروى انه عليه الصلاة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لوكانت هذه الاموال لنا لتقوّينا بها ولأنفقناها فى سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ انهم لم يؤمنوا وقيل انهم الممتعون به

﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ وتواضع لهم وارفق بهم ﴿وقل انى انا النذير المبين﴾ انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا ﴿كما انزلنا على المقتسمين﴾ مثل العذاب الذى انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فاهلكهم الله تعالى يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اى تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم اهل الكتاب ﴿الذين جعلوا القرءآن عضين﴾ حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاوّلين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرءآن مايقرأونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لاتمدّنّ الخ اعتراضا ممدّا لها الذين جعلوا القرءآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضو من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفى الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وقيل اسحارا وعن عكرمة العضة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره ﴿فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون﴾ من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل هو عام فى كل مافعلوا من الكفر والمعاصى

وتواضع لهم ﴿يعنى ان جناح الانسان يده كما قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام واضمم اليك جناحك والخفض ضدّ الرفع قال تعالى فى صفة القيامة خافضة رافعة اى انها تخفض اهل المعاصى وترفع اهل الطاعة وخفض الجناح ههنا كناية عن اللين والرفق والتواضع فهو تعالى لما نهاه عن الالتفات الى الاغنياء من الكفرة امره بالتواضع لفقرآء المسلمين ثم امره بان يقول للقوم انى انا النذير المبين اى الآتى بجميع البيانات الشافيات والبينات الوافيات ﴿**قوله** فهو وصف لمفعول النذير﴾ يعنى ان الكاف اسم بمعنى المثل منصوب المحل على انه صفة لمحذوف وهو مفعول النذير اى عذابا مثل العذاب الذى انزلناه على المقتسمين وهم نفر من قريش بعثهم الوليد بن المغيرة ايام الموسم فاقتسموا مداخل مكة وطرقها يقولون لمن سلكها لاتغتروا بالخارج منا والمدّعى للنبوّة فانه مجنون وكانوا ينفرون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول كل واحد منهم فى شأنه عليه الصلاة والسلام شيأ من المطاعن مثل كاهن وساحر وشاعر ومفتر ومجنون فانزل الله تعالى بهم جربا فاتوا شر ميتة وقيل هم الذين تقاسموا وتحالفوا على ان يبيتوا صالحا عليه الصلاة والسلام فرمتهم الملائكة بالحجارة فقتلوهم والقصة مذكورة فى تفسير قوله تعالى قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك اهله وعلى هذا يكون الاقتسام من القسم لا من القسمة وعلى هذين القولين المشبه محذوف وهو مفعول النذير حذف لدلالة المشبه به عليه كما تقول رأيت انسانا كالقمر ليلة البدر فى الحسن والتقدير مامرّ وهو انا النذير المبين عذابا مثل العذاب الذى انزلناه على المقتسمين ثم ذكر احتمالا آخر وهو ان لايكون كما انزلناه واقعا فى حيز النذير بل يكون واقعا فى حيز آتيناك من حيث المعنى فان معنى آتيناك انزلنا اليك فيكون الكاف منصوب المحل على انه صفة مصدر محذوف اى انزالا مثل ماانزلنا على المقتسمين وهم اهل الكتاب الذين جعلوا القرءآن عضين حيث قالوا بعنادهم وجهلهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل اواقتسموا القول فيه فقال بعضهم سحر وبعضهم كهانة اوشعر اواساطير الاوّلين اوافترآء فهو تعالى شبه انزاله على رسوله عليه الصلاة والسلام بانزاله عليهم تسلية له عليه الصلاة والسلام عن تكذيبهم وعداوتهم وتوسط قوله تعالى ولاتمدّنّ عينيك الى قوله كما انزلنا بين المشبه والمشبه به اعتراضا بما هو مدد لمعنى التسلية من النهى عن الالتفات الى اموالهم والتأسف على كفرهم ويحتمل ان يكون المراد بالقرءآن كتبهم بان يكون بمعنى المقروء الذى يقرأونه ويكون المعنى على المقتسمين من اهل الكتاب الذين جعلوا مايقرأون من الكتاب مقسوما مفرّقا بان آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعض فما وافق هواهم اخذوه ومالم يوافق غيروه وبدّلوه كما قال تعالى تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ﴿**قوله** واصلها عضو من عضى الشاة﴾ اى فرقها الان المشركين فرقوا تأويلهم فى القرءآن فجعلوه كذبا وسحرا وكهانة ونحو ذلك وقيل بنقصان الهاء واصله عضهة لان العضة والعضين فى لغة قريش السحر وهم يقولون للساحر عاضه وللساحرة عاضهة روى انه عليه السلام لعن العاضهة والمستعضهة فقوله تعالى جعلوا القرءآن عضين على هذا القول جعلوه اسحارا وقال الكسائى العضة الكذب والبهتان وجمعها عضون مثل عزة وعزون فقوله تعالى جعلوا القرءآن عضين معناه جعلوه مفترى وعلى القولين جمعت العضة جمع مايعقل لما لحقها من الحذف فجعل الجمع بالواو والنون عوضا عن المحذوف ﴿**قوله** وقيل هو عام فى كل مافعلوا﴾ وعلى القولين ضمير لنسألنهم يرجع الى المقتسمين لانه الاقرب ويحتمل ان يرجع الى جميع المكلفين لتقدّم ذكرهم فى قوله وقل انى انا النذير المبين اى لجميع الخلق *فان قيل كيف الجمع بين قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين وبين قوله فيومئذ لايسأل عن ذنبه انس ولاجانّ *اجيب عنه بوجوه الاوّل ان المعنى لايسألون سؤال الاستفهام لانه تعالى عالم بكل اعمالهم بل يسألون سؤال تقريع فيقال لهم لم فعلتم كذا وهو ضعيف لانه لوكان المراد من قوله فيومئذ لايسأل عن ذنبه انس ولاجانّ نفى سؤال الاستفهام لما كان فى تخصيص هذا النفى بقوله فيومئذ فائدة لان مثل هذا السؤال محال على الله تعالى فى كل الاوقات لافيه والثانى ان يصرف النفى الى بعض الاوقات والاثبات الى وقت آخر لان يوم القيامة يوم طويل وفيه مواقف يسألون فى بعضها ولايسألون فى بعضها ونظيره قوله تعالى هذا يوم لاينطقون وقال فى آية اخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ولقائل ان يقول قوله فيومئذ لايسأل الآية صريح فى انه لايحصل السؤال فى ذلك اليوم فلو حصل السؤال فى جزء من اجزآء ذلك اليوم لحصل التناقض والوجه الثالث ان قوله فيومئذ لايسأل عن ذنبه الآية يفيد عموم النفى والضمير فى قوله فوربك لنسألنهم يرجع الى المقتسمين فيكون خاصا والخاص مقدّم على العام

(قوله)

﴿فاصدع بما تؤمر﴾ فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اى بما تؤمر به من الشرائع ﴿وأعرض عن المشركين﴾ فلا تلتفت الى مايقولون ﴿انا كفيناك المستهزئين﴾ بتمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد

ابن المغيرة والعاص بن وائل وعدى بن قيس والاسود ابن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون فى ايذآء النبى صلى الله عليه وسلم والاستهزآء به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فأومأ الى ساق الوليد فرّ بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات وأومأ الى اخمص العاص فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدى بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عينى الاسود بن المطلب فعمى ﴿الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون﴾ عاقبة امرهم فى الدارين ﴿ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون﴾ من الشرك والطعن فى القرآن والاستهزآء بك ﴿فسبح بحمد ربك﴾ فافزع الى الله تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق ﴿وكن من الساجدين﴾ من المصلين وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ اى الموت فانه متيقن لحاقه كل حىّ مخلوق والمعنى فاعبده مادمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

﴿سورة النحل مكية غير ثلاث آيات فى آخرها وهى مائة وثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الرحمن الرحيم﴾

﴿اتى امر الله فلا تستعجلوه﴾ كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة او اهلاك الله تعالى اياهم كما فعل يوم بدر استهزآء وتكذيبا ويقولون ان صح مايقوله فالاصنام تشفع لنا او تخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتى المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لاخير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه ﴿سبحانه تعالى عما يشركون﴾ تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فبدفع ماارادبهم وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين اولهم ولغيرهم لما روى انه نزلت اتى امر الله فوثب النبى صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾ بالوحى او القرآن فانه يحيى به القلوب الميتة بالجهل

﴿قوله﴾ واصله الابانة والتمييز ﴿اصل الصدع الشق يقال صدعته فانصدع اى شققته فانشق ويستعمل بمعنى التفرقة ايضا كقوله يومئذ يصدّعون فقوله فاصدع بمعنى فافرق بين الحق والباطل وافصل بينهما قال الزجاج معناه اظهر ما امرت به اخذا من الصديع وهو ضوء الصبح قال الشاعر فان بياض غرّته صديع * وقال المفسرون معناه اجهر بامرك وما مصدرية اى فاصدع بامرك وشأنك وهو تبليغ الرسالة والدعوة الى التوحيد وما يتفرع عليه من الاحكام قالوا ومازال النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية ﴿قوله﴾ فرّ بنبال ﴿اى برجل يصنع السهام والنبل السهم والاخمص مادخل من باطن القدم بحيث لايصيب الارض ﴿قوله﴾ تعالى فسبح بحمدك ربك ﴿جواب شرط محذوف اى ان ضاق صدرك بمايقولون بمقتضى الجبلة البشرية والمزاج الانسانى فالتجئ الى الله تعالى فيما نابك بالاشتغال بهذه العبادات وهى اربعة اشياء التسبيح والتحميد والصلاة والملازمة عليها مادام حيا قال المحققون فى بيان كون هذه المذكورات سببا لزوال ضيق القلب والحزن ان الانسان اذا اشتغل بهذه العبادات انكشفت له اضواء عالم الربوبية ومتى حصل له ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة عنده فيستوى عنده وجدانها وفقدانها فلا يستوحش من فقدانها ولا يستريح بوجدانها وعند ذلك يزول الحزن والغم بالكلية ﴿قوله﴾ والمعنى فاعبده مادمت حيا ﴿اى معنى التقييد بقوله حتى يأتيك اليقين مع ان كل احد يعلم انه متى مات سقطت عنه العبادات التكليف بالاستمرار والمواظبة على العبادة ابدا مادام حيا لانه لوقيل اعبد ربك من غير توقيت لجاز انه اذا عبد الانسان مرّة يكون مطيعا ممتثلا للامر بناء على ان الامر لايقتضى التكرار فلما قيل حتى يأتيك اليقين فقد امر بالاقامة ابدا مادام حيا روى انه صلى الله عليه وسلم قال * ما امرت ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحى الىّ ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين * تمت السورة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿سورة النحل مائة وعشرون وثمان آيات وهى مكية الا آخر السورة فانها نزلت بالمدينة بعد قتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وهى قوله وان عاقبتم الى آخر السورة﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قوله﴾ ويقولون ان اصح ﴿عطف على قوله يستعجلون اى كان اولا استعجال ما اوعدوا به استهزاء وتكذيبا له وكانوا يقولون بعده ان صح الخ واجاب الله تعالى عن استعجالهم بان ما امر الله من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة لكونه محققا الوقوع ومقررا فى علم الله تعالى وقضائه بمنزلة الواقع بالفعل فلذلك قال فى حقه انه قد اتى اجرآءله مجرى الواقع كما يقال لمن طلب الاغاثة وقرب حصولها جاء الغوث فلا تجزع ولا تستعجل واجاب عن قولهم ان صح كونه واجب الوقوع وجاريا مجرى الواقع فما نعبده من الاصنام شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فتخلص منه بسبب شفاعتهم بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون به غيره فانى يكون لمبدع السموات والارض شريك فى تصرّف ملكه فضلا عن ان يشاركه فى ذلك اخس خلقه ﴿قوله﴾ لما روى ﴿قال الامام انه لما نزل قوله تعالى اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ماتعملون حتى يأتى ماهو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيأ فنزل قوله تعالى اقترب للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا وقوعها فلما امتدّت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزل قوله تعالى اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزل قوله فلا تستعجلوه انتهى كلامه يعنى انه لما نزل اتى امر الله ظنوا انها قد اتت حقيقة ففزعوا وخافوا فلما نزل قوله فلا تستعجلوه اطمأنوا وسكنوا فعلى قرآءة حمزة والكسائى يكون الخطاب فى الموضعين للكفار وعلى قرآءة الباقين يحتمل ان يكون للغيبة مبنيا على الالتفات وان يكون الخطاب فى قوله فلا تستعجلوه للمؤمنين اولهم ولغيرهم وتكون الغيبة على ظاهرها ﴿قوله﴾ فانه ﴿اى فان كل واحد من الوحى والقرآن يحيى به القلوب بيان لوجه الشبه بين الروح وبين كل واحد منهما شبههما اولا بالروح من حيث كونهما سببا لحياة القلوب مثل كون الروح سببا لحياة الجسد وشبههما ثانيا بالروح ايضا لكونهما بالنسبة الى الدين بمنزلة الروح للجسد فكما ان قوام الجسد وزينته بالروح فكذلك قوام الدين وزينته بالوحى والقرآن اذ بهما تكون المعارف الربانية والتكاليف الالهية فالروح الاصلى ليس الا القرآن والوحى من حيث ان ارتقاء الجسد عن درجة البهيمية لايحصل الا بهما ثم عبر بالمشبه به عن المشبه فصار استعارة تصريحية تحقيقية ثم انه تعالى لما بين بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم ان ما توعدهم به لكونه محقق

الوقوع فى حكم الواقع وانه تعالى منزه عن الشركاء والانداد بين لهم الطريق الذى علم به الرسول صلى الله عليه وسلم تحقق ماتوعدهم به ودنوه وازالة استبعادهم اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالعلم به فقال ينزل الملائكة بالروح اى الملتبسين بالوحى او القرآن او ينزلهم ومعهم الروح على ان تكون الباء للمصاحبة كما فى قولهم خرج زيد بعشيرته فان هذه الجملة مستأنفة لبيان ماذكر من طريق علمه عليه الصلاة والسلام بذلك ولازالة استبعادهم اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالعلم المذكور كأنهم قالوا سلمنا انه تعالى قضى على بعض عبيده بالسرآء وعلى آخرين بالضرآء ولكن كيف يمكنك ان تعرف هذه الامور التى لايعلمها الا الله فكيف صرت بحيث تعرف اسرار الله تعالى واحكامه فى ملكه وملكوته فاجاب الله تعالى عنه بقوله ينزل الملائكة بالروح وتقرير هذا الجواب انه تعالى ينزل الملائكة على من يشاء من عباده بامره وذلك الامر ان بلغ الى سائر الخلق انه اله العالم وكلفهم بالتوحيد وبالعبادة وبين لهم انهم ان فعلوا ذلك فازوا بخيرى الدنيا والآخرة فبهذا الطريق صار مخصوصا بهذه المعارف من دون سائر الخلق وقرأ العامة ينزل بضم ياء الغيبة وبسكون النون وكسر الزاى الخفيفة ونصب الملائكة وقرئ تنزل بتاء واحدة فوقانية مفتوحة وتشديد الزاى على بناء الفاعل والاصل تتنزل بتاءين حذفت احداهما وقرئ تنزل بضم التاء الفوقانية وفتح النون والزاى المشددة على انه مضارع مبنى للمفعول من التنزيل ورفع الملائكة على انه قائم مقام الفاعل قيل المراد بلفظ الملائكة جبريل وحده وقد يطلق لفظ الجمع على الواحد اذا كان ذلك الواحد معظما ومنه نحو قوله تعالى انا ارسلنا وانا انزلنا وانا نحن نزلنا الذكر والمراد بالروح ههنا الوحى او القرآن كما مر وقيل المراد به ههنا جبريل عليه الصلاة والسلام والباء فى قوله بالروح بمعنى مع كما فى قولهم خرج زيد بعشيرته اى ومعه عشيرته والمعنى ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل عليه الصلاة والسلام فانه عليه الصلاة والسلام مانزل وحده فى اكثر الاحوال بل كان ينزل مع جبريل اقوام من الملائكة كما فى يوم بدر وفى كثير من الغزوات وفى سائر المصالح والمهمات ﴿قوله بامره ومن اجله﴾ يعنى ان كلمة من فى قوله من امره للسببية والتعليل كما فى قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا والمعنى ان ذلك التنزيل والنزول لايكون الا بامر الله كما قال تعالى وما نتنزل الا بامر ربك وقال لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وغير ذلك مما يدل على ان الملائكة لايقدمون على عمل من الاعمال الا بامر الله تعالى واذنه والمراد بالعباد فى قوله على من يشاء من عباده الانبياء الذين يخصهم الله تعالى برسالته والانذار هو الاعلام مع التخويف يقال نذر القوم بالعدو بكسر الذال اذا علموا وكثيرا مايستعمل الانذار فى مجرد التخويف كما اشار اليه المصنف بقوله اوخوفوا عطفا على قوله اى اعلموا والمخاطب بقوله تعالى انذروا هو الانبياء عليهم الصلاة والسلام الا انه تعالى انما يخاطبهم به بواسطة الملائكة المرسلة فانهم هم الذين يتلقون الوحى من الله تعالى ابتداء من غير واسطة سواء كان ذلك الوحى وحيا متلوا مكتوبا فى المصاحف وكان من قبيل الالهام والقاء الكلام الخفى ثم ان الملائكة يوصلون ذلك الوحى الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلذلك قال تعالى فى آخر سورة البقرة والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فبدأ بذكر الله تعالى الذى هو اول مايجب ان يؤمن بوجوده ووحدانيته ثم ذكر الملائكة الذين يتلقون منه تعالى الوحى من غير واسطة ثم ذكر الكتب التى تتلقاها الملائكة منه تعالى ثم ذكر الرسل فى الدرجة الرابعة لانهم وسائط فى تلقى المكلفين احكام الله تعالى وحدوده التى اجملها الله تعالى فى قوله انه لااله الا انا فاعبدون فانه يدل على ان الروح المشار اليه بقوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره ليس الا مايدل عليه الكلمة الجامعة وهو التوحيد الذى هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذى هو اقصى كمال القوة العملية فان النفوس البشرية لها نسبة الى عالم الغيب تستعد بها لقبول حصول الواردات وتجلى المعارف والادراكات من ذلك العالم نسبة الى عالم الشهادة تستعد بها لان تتصرف فى اجسام هذا العالم ويسمى استعدادها الحاصل لها باعتبار النسبة الاولى قوة نظرية واستعدادها باعتبار النسبة الثانية قوة عملية واشرف كمال القوة النظرية معرفة انه لااله الا هو واشرف كمالات القوة العملية الاتيان بالاعمال الصالحة الواقية من خزى يوم القيامة وقدم قوله لااله الا انا على قوله فاتقون للدلالة على ان مايستند القوة النظرية اعلى كمالا مما يستند الى القوة العملية والكمال الانسانى باعتبار هاتين القوتين يسمى كمالا نفسانيا وللانسان كمالات غير ماذكر وهى كمالاته الجسدية البدنية وهى صحة جسده وكمال قواه الحيوانية وهى تسع عشرة قوة وذلك لان قواه الحيوانية لاتخلو اما ان تكون محركة او مدركة اولا تكون محركة ولا مدركة فالمحركة منها قوتان شهوية وغضبية والمدركة منها عشر قوى الحواس

اويقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذى به علم الرسول ماتحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تنزل وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبنى للمفعول من التنزيل ﴿من امره﴾ بامره ومن اجله ﴿على من يشاء من عباده﴾ ان يتخذه رسولا ﴿ان انذروا﴾ بان انذروا اى اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته ﴿انه لااله الا انا فاتقون﴾ ان الشأن لااله الا انا فاتقون اوخوفوا اهل الكفر

الظاهرة والباطنة والتى لاتكون محرّكة ولامدركة سبع وتسمى القوى النباتية وهى الغاذية والنامية والمولدة والجاذبة والهامضة والماسكة والدافعة فالمجموع تسع عشرة وفى بدن الانسان ثلاث قوى غيرماذكر وهى الروح الحيوانى والروح الطبيعى والروح النفسانى اما الروح الحيوانى فهو البخار اللطيف المتولد من غليان الدم المنبث فى التجويف الايسر من اللحم الصنوبرى واما الروح الطبيعى فهو الذى انتقل من هذا البخار الى جانب الكبد ووصل اليه واصلح حاله من التغذى والطبخ ونحو ذلك والروح النفسانى هو مادخل الشرايين من هذا البخار وتصاعد حتى وصل الى الدماغ والبخار فى هذه الدرجة يكون فى غاية اللطافة ويتفرّع عليه الانفعال الحيوانى فيكون لغاية اللطافة ساريا الى جميع الاعضاء والعروق نافذا فى اعماق البدن فان اتفق ان ظهرت سدّة فى شئ من الاعضاء سقط ذلك العضو عن العمل لعدم نفوذ الروح النفسانى اليه بسبب السدّة والله اعلم ﴿قوله وان مفسرة﴾ ذكر فى كلة ان ثلاثة اوجه الاوّل ان تكون مفسرة لان الوحى فيه ضرب من القول وفى الصحاح الوحى الكتاب والوحى ايضا الاشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفى وكل ما القيته الى غيرك يقال وحيت اليه الكلام واوحيت وهو ان تكلمه بكلام تخفيه والثانى ان تكون مصدرية وهى التى من شأنها ان تنصب المضارع ووصلت ههنا بالامر كما فى قولك كتبت اليه بان قم فان فعل الامر لمادل على المصدر كالمضارع صح ان يدخل عليه مايجعله فى تأويل المصدر والثالث ان تكون مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف تقديره ينزل الملائكة بان الشأن وهو مبتدأ وأنذروا خبره وهو انشاء فلابدّ من تقدير القول ليصح حمل الانشاء على المبتدأ فان قلنا انها مفسرة لايكون لها محل من الاعراب وان كانت مخففة او ناصبة تكون فى محل الجرّ اما على انها بدل من الروح كما اختاره الزجاج وقال انه بدل من الروح والمعنى ينزل الملائكة بان انذروا اى اعلموا الخلائق انه لااله الاانا واما على اسقاط الخافض وابقاء عمله كما هو مذهب بعض النحاة او فى محل النصب بنزع الخافض كما ذهب اليه الآخرون والاصل بان انذروا ﴿قوله وان النبوّة عطائية﴾ اى لايخصصها بواحد دون واحد سوى تعلق المشيئة ويدل عليه قوله تعالى على من يشاء من عباده ثم انه تعالى لما بين ان اصل السعادات ومنتهى كمال القوّة العلمية معرفة الصانع شرع فى تقرير الدلائل الدالة على وجود الصانع ووحدته ودلالة المصنوعات على وجود الصانع من حيث انها لحدوثها تحتاج الى محدث ولامكانها تحتاج الى مرجح يرجح احد طرفى وجودها وعدمها على الآخر فالذى وقع فى القرآن هو الاستدلال بحدوثها وتغير احوالها فابتدأ سبحانه وتعالى فى هذه السورة فى الاحتجاج على وجود الاله المختار بايجاد اجرام السموات والارض فان كل واحد منهما محدث لما تبين ان كل جسم متناه وكل ما كان متناهيا فى الحجم والقدر كان اختصاصه بذلك القدر المعين دون الازيد والانقص مع جواز الكل لابدّ له من مقدّر ومخصص فكل ما كان مفتقرا الى الغير فهو محدث وكذا كل جسم له شكل معين ووضع معين وصفات مختلفة مع تساوى نسبة جميع الاشكال والاوضاع والصفات بالنسبة الى ذاته فلابدّ له من مخصص يخصص بعض تلك الاشكال والاوضاع لذلك الجسم ثم انه تعالى ثنى بذكر الاستدلال باحوال الانسان ثم ثلث بذكر الاستدلال باحوال الحيوان ثم ربع بذكر الاستدلال باحوال النبات ثم خمس بذكر الاستدلال باحوال العناصر الاربعة فان شيأ منها لايقدر عليه غيره تعالى ﴿قوله تعالى عما يشركون منهما الخ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى تعالى عما يشركون ليس تكريرا لماذكر فى اوّل السورة لانه ذكر اوّلا لابطال قول من يزعم ان الاصنام تشفع لمن عبدها وتدفع ماارادالله به من العقاب وقد اشار المصنف اليه هناك بقوله فيدفع ماارادبهم وذكر ههنا لكونه نتيجة متفرّعة على ماذكر قبله من دليل الوحدانية كانه قيل خالق السموات والارض كيف يكون له شريك مع ان مايتصوّر ان يكون شريكا له اما شئ منهما او شئ يفتقر اليهما او شئ لايقدر على خلقهما وشئ منها لايصلح ان يكون شريكا له فثبت انه تعالى هو الواحد المتعالى عن الشركاء والانداد وهذا التقرير مبنى على ان تكون كلة ما فى قوله عما يشركون موصولة والمعنى تعالى عن الاشياء التى تشركونها لمن هو خالق السموات والارض القادر على كل شئ ﴿قوله وفيه دليل﴾ اى وفى قوله خلق السموات والارض بالحق وجه دلالته على ماذكر ان من هو خالق اصول الاجرام كيف يكون من قبيل الاجرام المحدثة المحتاجة الى موجد ومخصص يخصص لها المقادير والاشكال والاوضاع والاوصاف ولما كان اشرف الاجسام بعد الافلاك وهو الانسان مركبا من بدن ونفس استدل به على وجود الصانع الحكيم باعتبار كل واحد من بدنه ونفسه بعد الاستدلال عليه بخلق الافلاك بقوله خلق الانسان من نطفة اشار الى الاستدلال عليه باعتبار بدنه بقوله

والمعاصى بانه لااله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بماهو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحى الدال على القول اومصدرية فى موضع الجرّ بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحى بوساطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذى هو منتهى كمال القوّة العلمية والامر بالتقوى الذى هو اقصى كمال القوّة العملية وان النبوّة عطائية والآيات التى بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولوكان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع ﴿خلق السموات والارض بالحق﴾ اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدّرها وخصصها بحكمته ﴿تعالى عما يشركون﴾ منهما اومما يفتقر فى وجوده او بقائه اليهما اومما لايقدر على خلقهما وفيه دليل على انه سبحانه وتعالى ليس من قبيل الاجرام

خلق الانسان من نطفة وقوله فاذا هو خصيم مبين استدلال عليه باحوال نفسه فان خلق الجسد الحساس المتحرك بالارادة من الماء المهين لايقدر عليه سوى الاله القادر وايضا النفوس الانسانية فى اوّل الفطرة اقل فهما وذكاء وفطنة من نفوس الحيوانات الاترى ان ولد الدجاجة حين خروجه من قشر البيضة يميز بين الصديق والعدوّ فيهرب من الهرّة ويلتجئ ويميز بين مايوافقه من الغذآء ومالا يوافقه بخلاف ولد الانسان فانه حين انفصاله عن بطن الامّ لايميز البتة بين الضارّ والنافع ثم انه حال كبره يقوى عقله ويكمل فهمه بحيث يقدر على تعقل المعانى الدقيقة والعلوم الغامضة ويتمكن من ان يخاصم ويناظر ويجادل مع من ينازعه فى جميع المطالب والمهمات فانتقال نفس الانسان من تلك المرتبة الدنية الى هذه الكياسة المفرطة لابدّ ان يكون بتدبير اله مختار قادر على مايشاء فهذا هو المراد من قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين وقيل معناه فاذا هو خصيم لربه ينكر مااخبر به خالقه من البعث والجزآء مبين ظاهر الخصومة والمكافحة المخاصمة مواجهة ومشافهة والصحيح ان الآية عامة لكونها مذكورة لتقرير الاستدلال على وجود الصانع وكمال قدرته لالتقرير وقاحة الانسان وتماديه فى الكفر والغواية ﴿ قوله ﴾ بعد ماقد رمّ ﴿ اى بلى وتفتت يقال رمّ العظم يرم بالكسر رمّة اذا بلى فهو رميم وانما قال تعال من يحيي العظام وهى رميم والقياس رميمة لان فعيلا وفعولا قد يستوى فيهما المذكر المؤنث والجمع مثل رسول وعدوّ وصديق ولما كان اشرف الاجسام الموجودة فى العالم السفلى بعد الانسان الحيوانات التى ينتفع بها الانسان وهى الانعام ذكرها بعد ذكر الانسان والانعام عبارة عن الازواج الثمانية وهى الضأن والمعز والابل والبقر والغنم اسم للجنس المتناول للضأن والمعز والدفئ السخونة واللام فى قوله تعالى لكم فيها دفئ يجوز ان تتعلق بخلقها اى خلقها لاجلكم ولمنافعكم ويكون قوله فيها دفئ جملة اسمية قدّم فيها الخبر او يكون فيها حالا من دفئ لانه لو تأخر لكان صفة له قال الواحدى تم الكلام عند قوله والانعام خلقها لكم ثم ابتدأ وقال فيها دفئ وقيل احسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها ويبدأ بقوله لكم فيها دفئ ليناسب قوله ولكم فيها جمال فانه معطوف والتقدير لكم فيها دفئ ولكم فيها جمال ﴿ قوله ﴾ وتقديم الظرف ﴿ جواب عمايقال تقديم الظرف فى قوله ومنها تأكلون يفيد الحصر وليس الامر كذلك فانه يؤكل من غير الانعام كالدجاج والبط وصيد البر والبحر والحبوب والثمار ومحصول الجواب ان المراد حصر الاكل المعتاد المعتمد عليه فى المعاش والحصر بهذا المعنى صحيح ﴿ قوله ﴾ الى مراحها ﴿ بضم الميم وهو اسم للمكان الذى تأوى اليه الابل والغنم بالليل يقال اراح ابله اى ردّها الى المراح وذلك لايكون الا بعد الزوال ويقال سرح القوم ابلهم سراحا اذا اخرجوها الغداة الى المرعى ﴿ قوله ﴾ حافلة الضروع ﴿ اى ممتلئة يقال حفل الوادى بالسيل اى امتلأ ﴿ قوله ﴾ لم تكونوا بالغيه ان لم تكن الانعام ولم تخلق ﴿ اشارة الى جواب مايقال كيف ناسب قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم فان المناسب للامتنان بخلق الانعام لحمل الاثقال ان يوصف البلد بان يقال لم تكونوا حامليها اليه فان الحمل شئ والبلوغ شئ آخر والمناسب للمقام هو الاوّل دون الثانى * وتقرير الجواب ان بينهما مناسبة من حيث المعنى وذلك لان تنكير البلد للتفخيم والتهويل والمعنى الى بلد بعيد غاية البعد بحيث لايبلغ الانسان اليه بالمشى على رجليه فضلا عن ان يبلغه وهو يحمل اثقاله على ظهره ولما كان المقام مقام توصيف البلد بالبعد وتحقيق بعده حسن توصيفه بقوله لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس فقوله تعالى لم تكونوا صفة لبلد وقوله الا بشق الانفس حال من الضمير المرفوع فى بالغيه اى لم تبلغوه الا ملتبسين بالمشقة والعامة على كسر الشين وقرئ بفتحها وقيل هما مصدران بمعنى واحد وهو المشقة وقيل الشق بالكسر كما يكون بمعنى المشقة يكون ايضا بمعنى نصف الشئ ويجوز حمل اللفظ على كل واحد من المعنيين ههنا اما حمله على المعنى الاوّل فظاهر واما حمله على نصف الشئ فالمعنى لم تكونوا بالغيه عند ذهاب نصف قوّتكم ونقصانها ﴿ قوله ﴾ ولتتزينوا بها زينة ﴿ يعنى ان زينة منصوب على انه مصدر فعل محذوف وقيل انها مفعول لاجله معطوف على محل قوله لتركبوها ولم ينصب الاوّل لفقدان شرط نصبه وهو اتحاد الفاعل فان الخالق هو الله تعالى والراكب المخاطبون بخلاف قوله وزينة فان فاعله الزآئن الذى هو الخالق فاتحد الفاعل روى عن ابى يوسف ومحمد رحمهما الله انهما يبيحان اكل لحم الخيل لماروى عن جابر رضى الله عنه انه قال كنا قد جعلنا فى قدورنا لحم الخيل ولحم الحمار فنهانا عليه الصلاة والسلام ان نأكل لحم الحمار وامرنا بان نأكل لحم الخيل وروى عن اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنهما انها قالت نحرنا فرسا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكلناه وروى عن حسن عن ابى

﴿ خلق الانسان من نطفة ﴾ جماد لاحس لها ولاحراك سيالة لاتحفظ الوضع والشكل ﴿ فاذا هو خصيم ﴾ منطيق مناظر مجادل ﴿ مبين ﴾ للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهى رميم روى ان ابىّ بن خلف اتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد أترى ان الله تعالى يحيي هذا بعدما قد رمّ فنزلت ﴿ والانعام ﴾ الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره ﴿ خلقها لكم ﴾ او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان لما خلق لاجله وما بعده تفصيل له ﴿ فيها دفئ ﴾ مايدفأ به فيقى البرد ﴿ ومنافع ﴾ نسلها ودرّها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ﴿ ومنها تأكلون ﴾ اى تأكلون مايؤكل منها كاللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآى اولان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه فى المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوى او التفكه ﴿ ولكم فيها جمال ﴾ زينة ﴿ حين تريحون ﴾ تردّونها من مراعيها الى مراحها بالعشيّ ﴿ وحين تسرحون ﴾ تخرجونها بالغداة الى المراعى فان الافنية تتزين بها فى الوقتين وتجل اهلها فى اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوى الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه ﴿ وتحمل اثقالكم ﴾ احمالكم ﴿ الى بلد لم تكونوا بالغيه ﴾ ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا عن ان تحملوها على ظهوركم اليه ﴿ الا بشق الانفس ﴾ الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوّته بالتعب ﴿ ان ربكم لرؤف رحيم ﴾ حيث رحكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم ﴿ والخيل والبغال والحمير ﴾ عطف على الانعام ﴿ لتركبوها وزينة ﴾ اى لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هى معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا فى موضع الحال من احد الضميرين اى متزينين او متزينا بها ﴿ حنيفة ﴾

حنيفة انه كان يحرم اكلها والرواية الظاهرة عن ابى حنيفة انه لا يحرّم الاكل بل يكرهه كراهة تنزيه ولم يصرح بالتحريم لاختلاف الصحابة والسلف ﴿قوله﴾ واستدل به على حرمة لحومها ﴿﴾ حيث قيل منفعة الاكل اعظم من منفعة الركوب فلو جاز اكل لحم الخيل لكان الانسب بيان هذه المنفعة فلما بين منفعة الركوب علم منه حرمة لحوم هذه المذكورات وان تمام المقصود من خلقها هو الركوب والزينة فان الانعام وما ذكر بعدها من الخيل والبغال والحمير وان كان الانسان يحتاج اليها غالبا الا ان احتياجه الى الانعام ضرورىّ لا يتأتى له ان يعيش بدونها لكونها مناط مأكولاته وملبوساته بخلاف ما ذكر بعدها من الانواع الثلاثة فان الاحتياج اليها ليس من ضروريات الانسان وبقى من الحيوانات ما لا ينتفع به الانسان غالبا فذكره على سبيل الاجمال بقوله ويخلق ما لا تعلمون ﴿قوله﴾ بيان مستقيم الطريق ﴿﴾ اى على تقدير المضاف وان يكون القصد مصدرا بمعنى الاستقامة والعدل وصف به السبيل على طريق قولك رجل عدل فهو بمعنى قاصد يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه ولما شرح الله تعالى دلائل التوحيد قال وعلى الله قصد السبيل اى حق عليه بيان ما يكون مستقيما من السبيل وما يكون جائرا وليس كلمة على ههنا للوجوب اذ لا يجب على الله تعالى شئ لكن بيان الرشد من الغى مما تقتضيه الحكمة الالهية كأنه قيل انما ذكرت هذه الدلائل وشرحتها ازاحة للعذر وازالة للعلة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حىّ عن بينة ﴿قوله﴾ او اقامة السبيل وتعديلها ﴿﴾ اى ويجوز ان يكون المعنى وحق على الله تعديل الطريق وجعلها مستقيمة فان قصد السبيل معناه لغة استقامة الطريق وكون هذه الاستقامة على الله تعالى معناه انه حق عليه تعالى تعديل طريق المكلفين بان يهديهم الى ما يوصل الى مرضاته ﴿قوله﴾ او عليه قصد السبيل ﴿﴾ اى او يمرّ على فضل الله ورضوانه مستقيم الطريق بمعنى ان من سلكه يصل الى ذلك لا محالة فعلى هذا يكون قوله تعالى ومنها جائر بمعنى ومن الطريق ما هو جائر مائل عن الله ورضوانه يؤدّى من سلكه الى نهيه وعقابه ﴿قوله﴾ وتغيير الاسلوب ﴿﴾ يعنى الظاهر ان يقال وعليه جائرها على معنى وعليه بيان المائل المعوج منها وعدل عن هذا الاسلوب بناء على ان مقتضى الحكمة انما هو بيان الطريق المستقيم المؤدّى الى السعادة الابدية او بيان ما يمرّ عليه ويوصل الى الله ﴿قوله﴾ تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين ﴿﴾ صريح فى انه تعالى ما شاء هداية الكفار جميعا وما اراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفاء الشئ لانتفاء غيره فمعنى الآية ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم لعلمه بان بعضهم لا يختار ذلك بل يختار ما يوافق هواه ثم انه تعالى لما قرّر الاستدلال على وجود الصانع الحكيم بعجائب احوال الحيوانات ذكر بعده الاستدلال عليه بعجائب احوال النبات لان اشرف ما فى العالم السفلى بعد الحيوان هو النبات فقال تعالى هو الذى انزل من السماء ماء ﴿قوله﴾ ولكم صلة انزل ﴿﴾ اى متعلق به فيكون شراب مبتدأ ومنه خبره قدّم عليه والجملة صفة لقوله ماء ﴿قوله﴾ وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ﴿﴾ اى فى المطر لان معناه منه لا من غيره مع انا قد نشرب ماء الينابيع والآبار ولا بأس به لان ماء الارض من جملة ماء المطر فسكن فيها ﴿قوله﴾ ومنه يكون شجر ﴿﴾ اى بسببه نبت الشجر فان من فى قوله ومنه شجر للسببية ويدل عليه قوله ينبت لكم به الزرع والذى ينبت فى الارض بسبب ماء السماء نوعان نجم وشجر فالنجم كل ما ينجم اى يظهر ويطلع من الارض مما ليس له ساق والشجر ما له ساق وقوله تعالى فيه تسيمون اى فى الشجر تخلون مواشيكم ترعى يقتضى ان يراد بالشجر الاشجار التى ترعاها الماشية ويمكن اسامتها فيها فان الابل تقدر على رعى اوراق الاشجار الكبار فلهذا قال المصنف يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى مما له ساق ثم عطف عليه قوله وقيل كل ما ينبت على الارض شجر سواء كان له ساق او لم يكن واستدل على صحة هذا القول بقول الشاعر

* نعلفها اللحم اذا عز الشجر * والخيل فى اطعامها اللحم ضرر *

يقول الخيل نغذيها اللحم الذى هو الضرع بان نسقيها اللبن المحلوب منه اذا اجدبت الارض وقل الكلأ فانه اطلق الشجر على الكلأ ﴿قوله﴾ ترعون ﴿﴾ اى ترعون مواشيكم من قولك رعيت الابل ارعاها اذا خليتها ترعى وانت ترقبها ويقال رعى البعير الكلأ بنفسه والرعى بهذا المعنى لا يصلح ان يذكر فى تفسير تسيمون بضم التاء من قوله اسام ماشيته اذا ارسلها وخلاها ترعى وسامت هى تسوم سوما اذا رعت بنفسها حيث شاءت قال الزجاج اخذ ذلك من السومة وهى العلامة وتأويلها انها تؤثر فى الارض برعيها علامات ﴿قوله﴾ ولعل تقديم ما يسام فيه الخ ﴿﴾ يعنى ان النبات قسمان احدهما معد لرعى الانعام وقد ذكره بقوله تسيمون وثانيهما مخلوق لان يكون غذآء للانسان وهو

مكية وعامة المفسرين والمحدّثين على ان الحمر الاهلية حرّمت عام خيبر ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ لما فصل الحيوانات التى يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضرورىّ اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق فى الجنة والنار مما لا يخطر على قلب بشر ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يقصده السالك لا يميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال ﴿ومنها جائر﴾ مائل عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله تعالى ان يبين طريق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اى عن القصد ﴿ولو شاء لهداكم اجمعين﴾ اى ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء ﴿هو الذى انزل من السماء﴾ من السحاب او من جانب السماء ﴿ماء لكم منه شراب﴾ ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه فى الارض ﴿ومنه شجر﴾ ومنه يكون شجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وقيل كل ما ينبت على الارض شجر قال الشاعر

* نعلفها اللحم اذا عز الشجر * والخيل فى اطعامها اللحم ضرر * ﴿فيه تسيمون﴾ ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهى العلامة لانها تؤثر بارعى علامات ﴿ينبت لكم به الزرع﴾ وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم ﴿والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات﴾ وبعض كلها اذ لم ينبت فى الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذآء حيوانيا وهو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها

المراد بقوله ينبت لكم به الزرع والزيتون وكان الظاهر ان يقدّم مايأكله الانسان لامايكون مرعى للحيوانات من النبات الا ان مرعى الحيوان بسبب اكل الحيوان اياه يكون جزأ منه فيصير غذآء حيوانيا وهو اشرف من الاغذية النباتية فبهذا الاعتبار يكون مرعى الحيوان اشرف مما يأكله الانسان فلذلك قدّم الاوّل على الثانى لان الغذآء الحيوانى انما يحصل من اسامة الحيوانات والسعى فى تسمينها بواسطة الرعى ثم ان الغذآء النباتى قسمان حبوب وفواكه فهو تعالى اشار الى الحبوب بلفظ الزرع والى الفواكه بقوله والزيتون والنخيل والاعناب ولاشك ان الحبوب اشرف فى الغذآئية بالنسبة الى الفواكه واشرف الفواكه الزيتون والنخيل والاعناب فلذلك خص هذه الفواكه الثلاث بالذكر مع كثرة الفواكه واشرف هذه الثلاث هو الزيتون لانه فاكهة من وجه وأدم من وجه لكثرة مافيه من الدهن ومنافع الادهان كثيرة حيث تصلح للاكل والطلى واشتعال السرج واشرف الباقيين النخيل فلذلك قدّم الزيتون على النخيل وقدّم النخيل على الاعناب ﴿قوله﴾ نفعكم بها حال كونها مسخرات ﴿جواب عما يقال فيه تحصيل الحاصل وتقييد الشئ بنفسه وتكرار بلا فائدة * وتقرير الجواب ان سخرها لكم بمعنى نفعكم بها عبر عن النفع بالتسخير لكون النفع غاية للتسخير مترتبا عليه فهو تعبير عن الشئ بغايته والامر فى هذه الآية امر تكوين لا امر تكليف بناء على ان الافلاك والكواكب جمادات على ماذهب اليه اكثر المسلمين فالامر المتعلق بها امر تخليق وتدبير لا امر تكليف بالفعل ومنهم من يقول انها ليست جمادات فهم يحملون الامر على الادآء والتكليف ﴿قوله﴾ رفعا للدور والتسلسل ﴿ فانه لو اسند حوادث العالم السفلى الى الحركات الفلكية والكوكبية لاحتاجت تلك الحركات الى ان تسند الى حركات اخرى ولاشك ان الحركات الكوكبية والفلكية لا يمكن استنادها الى افلاك وكواكب اخرى والا لزم الدور او التسلسل وكلاهما محالان ولا يمكن استناد تلك الحركات والاوضاع الى قوّات الافلاك والكواكب من حيث انها اجسام متماثلة فلو كان جسم معين من تلك الاجسام علة لصفة ووضع معين لكان كل جسم واجب الاتصاف بذلك الوضع والصفة ولامتنع اختلاف الصفات والاوضاع فثبت ان الجسم يمتنع ان يكون متحرّكا لكونه جسما وبقى ان يكون متحرّكا لغيره وذلك الغير اما ان يكون قوّة قائمة به اوامرا مباينا عنه والاوّل باطل لان البحث المذكور يعود بان يقال ان ذلك الجسم بعينه لم اختص بتلك القوّة بعينها دون سائر الاجسام فتعين ان تكون تلك الحركة مستندة الى امر مباين عنه وذلك المباين لا يخلو اما ان يكون موجبا بالذات الى جميع الاجسام على السوية فلا يكون بعض الاجسام بقبول بعض الصفات المعينة اولى من بعض فتعين ان يكون فاعلا مختارا قادرا على مايشاء وهو الله تعالى وان الحركات الفلكية على تقدير استناد الحوادث السفلية اليها حادثة بتخليق الله تعالى وتقديره وتكوينه وكان هذا اعترافا بان الكل من الله تعالى وباحداثه وتخليقه وهذا هو المراد من قوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم الآية يعنى ان كانت تلك الحوادث السفلية لاجل تعاقب الليل والنهار وحركات الشمس والقمر فهذه الاشياء لابدّ وان يكون حدوثها بتخليق الله تعالى وتسخيره قطعا للتسلسل ولما تم هذا الدليل فى هذا المقام ختم الآية بقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون يعنى ان كل من كان له عقل يعلم ان التسلسل والقول بما يؤدّى اليه باطل بل لابدّ من الانتهاء فى آخر الامر الى الفاعل المختار القديم تعالى شأنه من غير احتياج الى تفكر وتأمل بخلاف الاستدلال باحوال النبات على وجود اله يوجد الكائنات فان احوال النبات وان كانت دالة عليه الا ان دلالتها على وجوده تحتاج الى التفكر والتأمل فانه لما ذكر انه تعالى انزل من السماء ماء فانبت به الزرع والزيتون ونحوهما توهم ان يقال لانسلم انه هو الذى انبتها ولم لا يجوز ان يقال هذه الاشياء انما حدثت بسبب اختلاف الفصول الاربعة وتأثيرات الشمس والقمر والكواكب فلما لم يقم الدليل على فساد هذا الاحتمال لا يكون الاستدلال باحوال النبات وافيا بافادة هذا المطلوب قاطعا للشكوك والريوب بل يكون الاحتياج الى التفكر والتأمل باقيا بعد فلهذا السبب ختم الاستدلال باختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والنجوم لما خلقت له بقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون تنبيها على ان هذا الدليل واف لافادة هذا المطلوب لمن له عقل سليم ولا يحوجه الى مزيد التفكر والتأمل فان من يعقل ان اختلاف الفصول والاوضاع الفلكية والكوكبية لا يستند الى افلاك واوضاع ضرورة بطلان التسلسل يقطع بان جميع الحوادث مسندة اليه تعالى ابتدآء وانتهاء وجمع لفظ الآية للدلالة على اختلاف انواع الدلالة ﴿قوله﴾ او مصدر ميمى ﴿ عطف على قوله حال من الجميع فيكون مسخرات مفعولا مطلقا على ان يكون مسخر بمعنى التسخير لان المصدر الميمى من المزيدات يكون على وزن

﴿ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع فى الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجر وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم تنمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدّس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية به لذلك ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم﴾ بان هيأها لمنافعكم ﴿مسخرات بامره﴾ حال من الجميع اى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى خلقها ودبرها كيف شاء اوخلقن له بايجاده وتقديره او بحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلاريب فى انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلابدّ لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود رفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمى جمع لاختلاف الانواع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتدآء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه

اسم المفعول من ذلك الباب ويجوز ان يجمع المصدر للدلالة على اختلاف الانواع والمعنى انه سخرها انواعا من التسخير على اسلوب قولك ضربه ضربات ﴿قوله ورفع ابن عامر﴾ فانه قرأ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع فى الاربعة وقرأ حفص برفع النجوم ومسخرات فقط والباقون بنصب الجميع وكسر تاء مسخرات * فان قيل التسخير انما يتعلق بمن له حياة وقدرة يصح منه الانقياد والمخالفة حتى يقهر ويسخر فكيف يصح ان يتعلق التسخير بما هو من قبيل الاعراض كالليل والنهار وماهو من قبيل الجمادات كما فى المذكورات * فالجواب ان تسخير هذه الاشياء عبارة عن انه تعالى خلق هذه الاشياء ودبرها كيف شاء من غير ان يتوهم الامتناع والمخالفة من قبلها فهن مسخرات لله تعالى دبرها كيف شاء من غير ان يتوهم الامتناع او هو عبارة عن انه تعالى جعل فيها منافع للخلق تصل اليهم تلك المنافع شئن او ابين ولم يجعل لهن ما يمتنع عن الخلق استيفاء تلك المنافع منهن بسببه فهن مسخرات لما خلقن له بايجاده وتقديره على الوجهين فالمراد بالامر امر التكوين والتقدير لا امر التكليف والحاصل انه تعالى لما كوّن هذه الاشياء على وجه ملائم لمصالح العباد وتكوّنت على وفق ارادته صارت شبيهة بالعبد المنقاد المطواع فاطلق على هذا التكوين والتدبير لفظ التسخير على طريق التخييل فصيغ المشتقات استعارة تبعية وكانت قرينة للاستعارة المكنية ﴿قوله يذكرون ان اختلافها ليس الا بصنع صانع﴾ اشارة الى انه تعالى ختم الاستدلال باختلاف اصناف ماذرأ بقوله لقوم يذكرون بناء على ان خلاصة هذا الدليل راجعة الى ماذكر فى الاستدلال باحوال النبات من ان الحبة الواقعة فى الارض ينشق اسفلها فيخرج منه عروق الشجر وينشق اعلاها فيخرج منه ساقها ثم تنمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار الى قوله علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار فيتم الاستدلال باحوال النبات فلذلك قال ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون ثم انه تعالى لما احتج على اثبات الصانع بالاجرام العلوية والسفلية من السموات والارض وخلقة نوع الانسان وانواع الحيوانات والنباتات شرع الآن فى الاستدلال عليه بعجائب احوال العناصر فبدأ منها بالاستدلال بعنصر الماء * واعلم ان علماء الهيئة قالوا ثلاثة ارباع كرة الارض غائصة فى الماء الذى هو البحر المحيط وهو كله عنصر الماء وحصل فى هذا الربع المسكون سبعة من البحار كما قال تعالى والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحار التى سخرها الله تعالى للناس هى هذه البحار ومعنى تسخير الله تعالى اياها للخلق جعلها بحيث يتمكن الناس من الانتفاع بها اما بالركوب او بالغوص لاستخراج مافيها من اللؤلؤ والمرجان واصطياد مافيها من اللحوم الطرية ونحو ذلك والماء الزعاق هو المالح الاجاج اى المرّ ﴿قوله وتمسك به الامام مالك﴾ حيث قال كيف لا يحنث باكل السمك مع انه تعالى نص على كونه لحما فى هذه الآية وليس فوق بيان الله تعالى بيان روى عن ابى حنيفة انه لما قال لحم السمك ليس بلحم حتى لو حلف لا يأكل اللحم فاكل لحم السمك لا يحنث وسمعه سفيان انكر عليه واحتج عليه بهذه الآية فبعث اليه ابو حنيفة وسأله عن رجل حلف لا يصلى على البساط فصلى على الارض فهل يحنث او لا قال سفيان لا يحنث فقال السائل أليس الله تعالى قال والله جعل لكم الارض بساطا فعرف سفيان ان ذلك كان بتلقين ابى حنيفة ﴿قوله تشقه بجيرومها﴾ اى بوسط صدورها قال اهل اللغة مخر السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفرآء ان المخر صوت جرى الفلك وقوله تعالى منه لحما طريا يجوز ان يتعلق بقوله لتأكلوا وان يتعلق بمحذوف على ان يكون حالا من النكرة بعده وكذا منه فى قوله وتستخرجوا منه حلية يحتمل الوجهين المذكورين والحلية اسم لما يتحلى به وقوله تعالى وترى الفلك جملة معترضة بين التعليلين وهما قوله لتأكلوا منه وماعطف عليه وقوله ولتبتغوا وانما قلنا معترضة لانه خطاب لواحد وقع بين خطابين لجمع ﴿قوله بركوبها للتجارة﴾ اضافة الركوب الى ضمير الفلك يشعر ان يكون تقدير الكلام لتنتفعوا بكونها مواخر فيه ولتبتغوا الربح والنماء من فضل الله بركوبها للتجارة فاذا وجدتم ماتبتغونه من فضل الله واحسانه فعلكم تؤدّون حق شكره اذلو جعل معطوفا على قوله تعالى لتأكلوا منه لحما وجعل قوله وترى الفلك اعتراضا بين التعليلين كما هو الظاهر لكان المناسب تذكير الضمير بان يقال بركوبه للتجارة ﴿قوله كراهة ان تميل بكم﴾ الميد الميل والحركة والاضطراب يمينا وشمالا يقال ماد يميد ميدا ﴿قوله او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك﴾ كالسفينة اذا القيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وضعت احرام ثقيلة فى تلك السفينة استقرّت على وجه الماء واستوت لان تلك الاجرام بسبب ثقلها تتوجه نحو المركز وتمنع السفينة عن ان تضطرب يمينا وشمالا فكذلك الجبال بالنسبة الى الارض فانها بمنزلة الاوتاد بالنسبة الى الامواج كما قال تعالى ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات ﴿وماذرأ لكم فى الارض﴾ عطف على الليل اى وسخر لكم ماخلق لكم فيها من حيوان ونبات ﴿مختلفا الوانه﴾ اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ﴿ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون﴾ ان اختلافها فى الطبائع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم ﴿وهو الذى سخر البحر﴾ جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص ﴿لتأكلوا منه لحما طريا﴾ هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته فى خلقه عذبا طريا فى ماء زعاق وتمسك به مالك والثورى على ان من حلف ان لا يأكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ كاللؤلؤ والمرجان واصطياد مافيها من اللحوم الطرية ونحو ذلك والماء الزعاق هو المالح الاجاج اى المرّ ﴿قوله وتمسك به الامام مالك﴾ حيث قال كيف لا يحنث باكل السمك مع انه تعالى نص على كونه لحما فى هذه الآية وليس فوق بيان الله تعالى بيان روى عن ابى حنيفة انه لما قال لحم السمك ليس بلحم حتى لو حلف لا يأكل اللحم فاكل لحم السمك لا يحنث وسمعه سفيان انكر عليه واحتج عليه بهذه الآية فبعث اليه ابو حنيفة وسأله عن رجل حلف لا يصلى على البساط فصلى على الارض فهل يحنث او لا قال سفيان لا يحنث فقال السائل أليس الله تعالى قال والله جعل لكم الارض بساطا فعرف سفيان ان ذلك كان بتلقين ابى حنيفة ﴿قوله تشقه بجيرومها﴾ اى بوسط صدورها قال اهل اللغة مخر السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفرآء ان المخر صوت جرى الفلك وقوله تعالى منه لحما طريا يجوز ان يتعلق بقوله لتأكلوا وان يتعلق بمحذوف على ان يكون حالا من النكرة بعده وكذا منه فى قوله وتستخرجوا منه حلية يحتمل الوجهين المذكورين والحلية اسم لما يتحلى به وقوله تعالى وترى الفلك جملة معترضة بين التعليلين وهما قوله لتأكلوا منه وماعطف عليه وقوله ولتبتغوا وانما قلنا معترضة لانه خطاب لواحد وقع بين خطابين لجمع ﴿قوله بركوبها للتجارة﴾ اضافة الركوب الى ضمير الفلك يشعر ان يكون تقدير الكلام لتنتفعوا بكونها مواخر فيه ولتبتغوا الربح والنماء من فضل الله بركوبها للتجارة فاذا وجدتم ماتبتغونه من فضل الله واحسانه فعلكم تؤدّون حق شكره اذلو جعل معطوفا على قوله تعالى لتأكلوا منه لحما وجعل قوله وترى الفلك اعتراضا بين التعليلين كما هو الظاهر لكان المناسب تذكير الضمير بان يقال بركوبه للتجارة ﴿قوله كراهة ان تميل بكم﴾ الميد الميل والحركة والاضطراب يمينا وشمالا يقال ماد يميد ميدا ﴿قوله او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك﴾ كالسفينة اذا القيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وضعت احرام ثقيلة فى تلك السفينة استقرّت على وجه الماء واستوت لان تلك الاجرام بسبب ثقلها تتوجه نحو المركز وتمنع السفينة عن ان تضطرب يمينا وشمالا فكذلك الجبال بالنسبة الى الارض فانها بمنزلة الاوتاد بالنسبة الى الامواج كما قال تعالى

وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقرّ احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال ﴿ وانهار ﴾ وجعل فيها

وجعلنا الجبال اوتادا على طريق التشبيه البليغ ﴿ قوله ما هي بمقرّ أحد على ظهرها ﴾ كذا فيما رأيته من النسخ والظاهر ان يقال بمقرة احد بتأنيث مقرّة منوّنة او غير منوّنة لكونها خبرا عن ضمير الارض ﴿ قوله لان الق فيه معناه ﴾ اى معنى جعل فان الالقاء حقيقة هو طرح الشئ من اعلى الى اسفل ولا يخفى ان اثبات الجبال الرواسى فى وجه الارض ليس بطريق الالقاء بل بطريق الجعل والخلق ويدل عليه قوله فى آية اخرى وجعل فيها رواسى من فوقها ولما كان قوله فى هذه والقى فى الارض رواسى بمعنى وجعل فيها رواسى ثم عطف قوله وانهارا وسبلا على قوله رواسى كان المعنى وجعل فيها رواسى وانهارا وسبلا ومعنى القاء السبل وجعلها فى الارض انه تعالى اظهرها وبينها ليهتدى بها من يشاء الى مقصده ووضع فيها علامات اى معالم وهو جمع معلم وهو الاثر الذى يستدل به على الطريق من جبل وسهل وريح ونحوها مما يستدل به فى النهار ولعل النهار تهب فيه الريح من جهة الى جهة اخرى فيستدل بها على الطريق فى الليل كما يستدل بالجبل ونحوه قال الامام ورأيت جماعة يشمون التراب وبواسطة ذلك الشم يعرفون الطرقات ﴿ قوله ولعل الضمير لقريش ﴾ يعنى غير اسلوب الخطاب فى قوله ان تميد بكم الى طريق الغيبة فى قوله وبالنجم هو يهتدون وخص اولئك الغائبين بالاهتداء دون غيرهم بدلالة تقديم هم على يهتدون وخص اهتداءهم بالنجم دون غيرهم حيث قدّم بالنجم على عامله الذى هو يهتدون فلعل المراد بهؤلاء الغائبين قريش فانهم امتازوا من بين جملة الناس بكثرة الاسفار للتجارة ومن سافر فى الديار لتجارة يكون اكثر سفره واقعا فى ظلمة الليالى فيكون اهتداؤه مختصا بالنجم وقوله عن سنن الخطاب اى عن طريقه الى طريق الغيبة اشارة الى قريش لكون هذا المعنى فيهم اتم واكمل ثم انه تعالى لما اقام الدليل على وجود الاله القادر ووجود نعمه واحسانه اتبعه بذكر ما يدل على بطلان عبادة غيره بانه الذى هو المتفرّد بخلق هذه الآثار البعيدة والمولى لجميع هذه النعم الجليلة فقال افمن يخلق كمن لا يخلق ﴿ قوله انكار بعد اقامة الدلائل ﴾ الانكار مستفاد من الهمزة والبعدية من الفاء ولما كان المقصود من هذا الكلام الانكار على من يجعل غير الخالق مثل الخالق فى تسميته باسم الاله فى الاشتغال بعبادته كان الظاهر ان يقال أفمن لا يخلق كمن يخلق ليتم الالزام والتجهيل فى جعلهم العاجز كالقادر الا انه تعالى عكس هذا النظم للتنبيه على كمال جهالة المشركين فانه لا شك فى انحطاط شأن من لا يخلق شيأ وهم يخلقون بالنسبة الى خالقهم فمن سلك سبيل الاشتراك يلزمه ان يجعل الخالق القادر مماثلا لهؤلاء المخلوقات العجزة وهو غاية الجهالة والغواية فانكر عليهم فى هذه الجهالة فقال افمن يخلق كمن لا يخلق عبر عن الاصنام التى هى جمادات بلفظ حقه ان يطلق على اولى العلم لاجرآئها مجرى اولى العلم او للمشاكلة او للمبالغة فى انكار المماثلة بين الخالق والاصنام فانه اذا امتنعت المماثلة بين الخالق وبين من لا يخلق من اولى العلم كان امتناعها بين الخالق وبين من لا يخلق ولا يعلم بطريق الاولى ﴿ قوله فانه لجلائه كالحاصل ﴾ يعنى ان قوله تعالى أفلا تذكرون استعارة تبعية شبه ادراك الصورة الجلية الغير الحاصل بالحاصلة المخزونة تشبيها مضمرا بتذكر الصورة المخزونة التى ذهل عنها فاطلق عليه اسم التذكر بناء على تلك المشابهة ثم اشتق منه تذكرون او هو استعارة مكنية شبهت الصورة الجلية الغير الحاصلة بالحاصلة المخزونة تشبيها مضمرا فى النفس وجعلت نسبة التذكر اليها تخييلا ﴿ قوله بادنى تذكر ﴾ الظاهر ان يقال بادنى توجه ﴿ قوله فضلا عن ان تطيقوا القيام بشكرها ﴾ يعنى ان الاشتغال بشكر النعم مشروط بعلم المنعم عليه بتلك النعم على سبيل التفصيل فان ما لا يكون معلوما امتنع الاشتغال بشكره واذا كان عقل الانسان قاصرا عن احصاء نعم الله تعالى والاحاطة بها تفصيلا امتنع منه ان يشتغل بشكرها على الوجه الذى يكون ذلك الشكر لائقا بتلك النعم فلما كان احصاء النعم والعلم بتفاصيلها من لوازم الطاقة على القيام بشكرها كان انتفاء الاحصاء مستلزما لانتفاء الطاقة على الشكر * فان قيل اذا لم يكن القيام بالشكر مما لا يطيقه الانسان فكيف امرهم الله تعالى بذلك * فالجواب ان الشكر المأمور به هو الاشتغال بالعبادة على حسب الطاقة بان يلاحظ كمال عظمة الله تعالى وكبريائه وكثرة ما انعم به عليه من وجوه فضله واحسانه ويجتهد فى رعاية حدوده وتكاليفه على حسب طاقته واستطاعته ﴿ قوله وتزييف للشرك باعتبار العلم ﴾ يعنى انه تعالى زيف الشرك وعبادة الاصنام فى الآية الاولى باعتبار القدرة على الخلق وزيفه فى هذه الآية باعتبار العلم كأنه قال ان الاله يجب ان يكون عالما بالسرّ والعلانية والاصنام جمادات لا شعور لها بشئ اصلا فكيف تحسن عبادتها وقرأ العامة تسرّون وتعلنون بتاء الخطاب وقرأ عاصم فى رواية حفص يسرّون ويعلنون ويدعون فى كلهنّ بياء الغيبة للغائبة وكذلك الكسائى وروى عن عاصم يدعون خاصة بياء الغائبة والباقون كلهم بتاء

﴿ وانهارا لان الق فيه معناه ﴾ وسبلا لعلكم تهتدون ﴾ لمقاصدكم او الى معرفة الله سبحانه وتعالى ﴿ وعلامات ﴾ معالم تستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك ﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴾ بالليل فى البرارى والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قرآءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء فى مسائرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾ انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرّد بخلق ما عدّد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شئ من ذلك بل على ايجاد شئ ما وكان حق الكلام أفمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله سبحانه وتعالى مغلبا فيه او لوا العلم منهم او الاصنام واجراؤها مجرى اولى العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة فكأنه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولى العلم فكيف بمن لا علم عنده ﴿ أفلا تذكرون ﴾ فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذى يحضر عنده بادنى تذكر والتفات ﴿ وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ اى لا تضبطوا عددها فضلا عن ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرّده باستحقاق العبادة تنبيها على ان ورآء ما عدّد نعما لا تحصر وان حق عبادته غير مقدور ﴿ ان الله لغفور ﴾ حيث يتجاوز عن تقصيركم فى ادآء شكرها ﴿ رحيم ﴾ لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها ﴿ والله يعلم ما تسرّون وما تعلنون ﴾ من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم

الخطاب للمخاطبة كذا فى تفسير التيسير وليس فى تفسير القرآء الا قوله قرأ عاصم والذين يدعون بالياء والباقون بالتاء ﴿ قوله ﴾ لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق ﴿ اشارة الى جواب مايقال من ان قوله تعالى فى اوّل الآية أفمن يخلق يفيدان هذه الاصنام لا تخلق شيأ فيكون قوله ههنا لا يخلقون شيأ تكرارا محضا فاوجه وقوعه فى القرآن * وتقرير الجواب ان ماذكر اوّلا لا يدل على ماذكر بعده بل كل واحد منهما مقدمة مستقلة لدليل بطلان القول بالاشراك وترتيب الدليل هكذا الآلهة الذين يعبدهم المشركون من دون الله لا يخلقون شيأ ولاشئ مما لا يخلق بشريك مماثل للخالق فلاشئ من الاصنام بشريك للخالق فلا تكرار ﴿ قوله ﴾ هم اموات لا تعتريهم الحياة ﴿ اشارة الى ان قوله اموات خبر مبتدأ محذوف والى دفع مايقال من ان قوله اموات يفيد كونهم غير احياء فما الفائدة فى ذكر قوله غير احياء بعد ذكر اموات دفعه اوّلا بان قوله غير احياء صفة مخصصة لقوله اموات فان من الاموات ماتعتريه الحياة بعد زمان كالنطفة والبيضة ونحوهما ومالا تعتريه الحياة ابدا والاصنام من قبيل الثانى فكيف تكون شركاء للآله الحق الحىّ الذى لا يجوز ان يعتريه الموت ابدا والحال ان الميت الذى لا تعتريه الحياة ابدا فى غاية البعد عن الحىّ الذى لا يعتريه الموت ابدا ويمتنع ذلك فى حقه قطعا ودفعه ثانيا بان المراد بقوله اموات مايتناول الاموات حالا كالاصنام وعيسى وعزير والاموات مآلا كالملائكة الذين هم تعبدهم طائفة من المشركين والاموات بهذا المعنى يلزم ان لا تكون احياء بالذات الا انها وصفت بانها غير احياء بالذات للتأكيد كما فى قوله نفخة واحدة فانه لما كان المقصود نفى الالهية عن شركاء المشركين اقتضى المقام الاهتمام بنفى لوازم الالوهية عنها وتوصيفها بماينافى الالوهية فلذلك اكد كونها اموتا حالا اومآلا بكونها غير احياء بالذات فانه تعالى وصفهم بثلاث صفات كل واحدة منها تنافى الالوهية وهى انهم غير خالقين بل هم مخلوقون وانهم اموات غير احياء وانهم لا يعلمون وقت البعث والمقصود منها نفى الالوهية عنهم واثبات وجوب كون الآله خالقا غير مخلوق حيا لا يموت عالما بالغيب كعلمه بالشهادة فالذى يكون موصوفا باضداد هذه الاوصاف لا يكون الها قطعا ﴿ قوله ﴾ ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم ﴿ اشارة الى ان ضمير يشعرون للمعبودات البتة وان ضمير يبعثون يحتمل ان يكون للمعبودات ايضا ويكون المعنى ان الاصنام لا يشعرون متى يبعثها الله تعالى قال ابن عباس ان الله تعالى يبعث الاصنام ولها ارواح ومعها شياطينها فتبرأ من عابديها فيؤمر بالكل الى النار ويحتمل ان يكون للعابدين ويكون المعنى ان الاصنام وسائر المعبودات من دون الله لا يشعرون وقت بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزآء منهم على عبادتهم ﴿ قوله ﴾ وفيه تنبيه ﴿ اى فى قوله ومايشعرون ايان يبعثون تنبيه على انه لابدّ من البعث وان البعث من لوازم التكليف على معنى ان من شأن المعبود ان يجازى عابده الذى كلفه بعبادته والدنيا دار تكليف لا تأتى المجازاة فيها فلابدّ من دار الجزآء وبعث الخلق للثواب والعقاب ثم انه لابدّ للاله من العلم بما صدر من المكلف وبما يعادله من الثواب والعقاب وبالوقت المقدّر للجزآء والذى لا يعلم شيأ من ذلك كيف يكون الها وقوله تعالى ايان منصوب بما بعده لا بما قبله وهو يشعرون لانه استفهام علق يشعرون ﴿ قوله ﴾ تكرير للمدّعى بعد اقامة الحجج ﴿ يعنى ان قوله تعالى الهكم اله واحد فذلكة لما سبق واعادة للمدّعى بعد اقامة الحجج عليه مفصلا كرره ليكون توطئة لما ذكر بعده من بيان مالاجله اصرّ الكفار على القول بالشرك وانكار التوحيد والفاء فى قوله فالذين جواب شرط محذوف كأنه قال اوّلا قد ثبت بالدلائل الواضحة ان الالوهية مختصة بالله تعالى وانه واحد متفرّد بالالوهية ثم قال اذا كان كذلك فمن حقه ان يخص بالعبادة وينزه عن الشريك فمن لم يحترز عن الشرك بعد اقامة هذه الدلائل لم ينتفع بها اى بهذه الدلائل حيث استمرّ على ضلاله القديم واستمراره انما يكون لاجل انه لا يؤمن بالآخرة بل ينكرها فلذلك لا يرغب فى الثواب ولا يرهب من الوقوع فى العقاب فيبقى قلبه منكرا لكل كلام يخالف هواه ومستكبرا عن الرجوع الى قول الناصح فلاجرم يبقى مصرّا على الجهل والضلال ﴿ قوله ﴾ وانكار قلوبهم ﴿ عطف على قوله عدم ايمانهم بالآخرة وكذا قوله والاستكبار عطف عليه ايضا والمراد بالاوّل عدم الايمان بالآخرة فانه هو العمدة فى باب الاصرار على الضلال وبالآخرين انكار القلوب والاستكبار وبكونهما مرتبين على الاوّل وقوعهما خبرا للمبتدأ المتضمن لمعنى الشرط ﴿ قوله ﴾ لا جرم حقا ﴿ نقل الجوهرى عن الفرآء ان قولهم لا جرم كلمة كانت فى الاصل بمعنى لابدّ ولا محالة فجرت على ذلك وكثرت حتى تحوّلت الى معنى القسم وصارت بمنزلة حقا فلذلك يجاب عنها باللام كما يجاب عن القسم بها والاتراهم يقولون لاجرم لآتينك وقيل لارد لكلامهم وجرم بمعنى حق ووجب يعنى ان لا نافية لكلام متقدّم تكلم به الكفرة

﴿ والذين تدعون من دون الله ﴾ اى والآلهة الذين تعبدونهم من دون الله وقرأ ابو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثتها بالياء ﴿ لا يخلقون شيأ ﴾ لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيأ ليتتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافى الالوهية فقال ﴿ وهم يخلقون ﴾ لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغى ان يكون واجب الوجود ﴿ اموات ﴾ هم اموات لا تعتريهم الحياة او اموات حالا او مآلا ﴿ غير أحياء ﴾ بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغى ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات ﴿ وما يشعرون ايان يبعثون ﴾ ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزآء على عبادتهم والاله ينبغى ان يكون عالما بالغيوب مقدّرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف ﴿ الهكم آله واحد ﴾ تكرير للمدّعى بعد اقامة الحجج ﴿ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ﴾ بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها تكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم مالا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافى النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاوّل هو العمدة فى الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين ﴿ لا جرم ﴾ حقا

فردّالله تعالى عليهم ذلك بقوله لاكما تردّلاهذه الواقعة قبل القسم فى قوله لا اقسم وقوله فلا وربك لايؤمنون ثم اتى بعدها بجملة فعلية وهى جرم ان لهم كذا اى حق ووجب ان يكون الامر كذافيكون مابعد جرم مرفوعا بالفاعلية وقيل ان لاجرم لفظ مركب من لا النافية وجرم جعلا لفظا واحدا مبنيا بناء خمسة عشر وصار بعد التركيب بمعنى حق فيرتفع مابعد هما بالفاعلية ايضا فقوله تعالى لاجرم ان لهم النار معناه حق وثبت كون النار مثوى لهم واستقرارها لهم وقيل ان لاجرم بمنزلة لارجل فى كون لا نافية للجنس وجرم اسمها مبنى معها على الفتح وهى واسمها فى محل الرفع بالابتدآء ومابعدهما خبر لا النافية وصار معناها لامحالة ولابدّ ان الله تعالى يجازيهم على حسب عمله بما اسرّوا واعلنوا ﴿قوله﴾ فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده ﴿﴾ يعنى ان المستكبرين بم كل من عرف الحق واستكبر عن قبوله وعرف النعمة واستكبر عن شكرها ويدخل فى هذا القبح من سيق له الكلام دخولا اوّليا وهم المشركون الذين يستكبرون عن التوحيد وجاز ان يكون لفظ المستكبرين من وضع الظاهر موضع ضمير المشركين المستكبرين عن التوحيد فقط وتكون النكتة فى العدول عن الضمير الاشارة الى علة الحكم بانه تعالى لايحبهم ثم انه تعالى لما بالغ فى تقرير دلائل التوحيد وبطلان مذهب عبدة الاوثان حكى عن منكرى النبوّة وبين ان عاقبة طعنهم ان يحملوا الاوزار واشار اليه المصنف بقوله فحملوا اوزار ضلالتهم فانه عليه الصلاة والسلام لما احتج على صدقه فى دعوى النبوّة بانزال القرءآن المعجز عليه طعنوا فى القرءآن وقالوا انه اساطير الاوّلين وليس هو من قبيل المعجزات فقال تعالى انما قالوا ذلك ليحملوا اوزارهم كاملة واللام فيه لام العاقبة لانهم لم يصفوا القرءآن بانه اساطير الاوّلين لاجل ان يحملوا ولكن لما كانت عاقبة ذلك التوصيف ان يحملوها شابه الحمل المذكور الغرض المطلوب من الفعل فحسن ادخال لام العلة عليه كما فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنا ﴿قوله﴾ ماذا ﴿﴾ فى محل الرفع على الابتدآء وقوله انزل ربكم خبره اى اىّ شئ انزل ربكم غاية ما فى الباب ان يكون التركيب من قبيل زيد ضربت فى حذف العائد المنصوب والمسئلة مختلف فيها بين النحاة والصحيح جوازه والقائم مقام الفاعل لقوله قيل هو الجملة من قوله ماذا انزل ربكم لانها هى المقولة والبصريون يأبون ذلك ويجعلون القائم مقامه ضمير المصدر لان الجملة لاتكون فاعلة ولاقائمة مقام الفاعل واختلفوا فى قائل هذا القول وفاعله المحذوف بعد اتفاقهم على ان المقول لهم المشركون الطاعنون فى القرءآن وكونه منزلا من الله تعالى فقيل هو كلام بعضهم لبعض وقيل هو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما انزل الله تعالى على رسوله كذا فى التفسير الكبير وفيه تسامح والمراد انه قول الوافدين على المشركين كما اختاره المصنف وعلى تقدير ان يكون هذا قول بعض المشركين لبعض يكون قوله ماذا انزل ربكم مبنيا على التهكم لانهم منكرون للانزال والنبوّة ﴿قوله﴾ اى ماتدّعون نزوله او المنزل اساطير الاوّلين ﴿﴾ وارتفاع اساطير دليل على ان ماذا مرفوع على الابتدآء وخبره مابعده لانه لوكان منصوبا على انه مفعول محذوف لطابق الجواب السؤال فان جواب المرفوع ينبغى ان يكون مرفوعا وجواب المنصوب منصوبا ولم يقرأ احد اساطير الاوّلين بالنصب ﴿قوله﴾ وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب ﴿﴾ يعنى ان كلمة من فى قوله تعالى ومن اوزار الذين يضلونهم تبعيضية اى ان الرؤساء فى كمال الضلالة حيث جمعوا بين الضلالة عن الحق بانفسهم وبين الضلالة التى يتعدّى اثرها الى الغير وهى ضلالة الاضلال فلما كانت ضلالتهم كاملة لاجرم حملوا اوزار ضلالتهم كاملة وكذلك الاتباع فان لهم ضلالة متسببة من اضلال الرؤساء اياهم ولهم ضلالة غيرها فالرؤساء يحملون من اوزار الاتباع ماهو حصة الضلال الحاصل فيهم باضلال الرؤساء اياهم ولاتحمل الرؤساء جميع اوزار الاتباع وهذا لايخالف ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * من دعا الى هدى فاتبع كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لاينقص ذلك من اجورهم شيأ ومن دعا الى ضلال فاتبع كان له من الاثم مثل آثام من تبعه من غير ان ينقص من آثامهم شئ * لان المراد ببعض اوزار من ضل هو وزر الضلالة الذى تسبب فيه المضل وكذلك الآثام المذكورة فى الحديث * قال الامام واعلم انه ليس المراد انه تعالى يحملهم اوزار غيرهم ويدل عليه قوله تعالى وان ليس للانسان الا ماسعى وقوله ولاتزر وازرة وزر اخرى بل المعنى ان الرئيس اذا وضع سنة قبيحة استحق بذلك عقابا عظيما حتى يكون ذلك العقاب مساويا لكل مايستحقه كل واحد من الاتباع ثم نقل عن الواحدى انه قال انها لوكانت للتبعيضية لخف عن الاتباع بعض اوزارهم وذلك غير جائز

﴿ ان الله يعلم مايسرّون وما يعلنون ﴾ فيجازيهم وهو فى موضع الرفع بجرم لانه مصدر اوفعل ﴿ انه لايحب المستكبرين ﴾ فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده اواتباع رسوله ﴿ واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم ﴾ القائل بعضهم على التهكم اوالوافدون عليهم او المسلمون ﴿قالوا اساطير الاوّلين﴾ اى ماتدّعون نزوله او المنزل اساطير الاوّلين وانما سموه منزلا على التهكم اوعلى الفرض اى على تقدير انه منزل فهو اساطير لاتحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون ﴿ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة﴾ اى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالتهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم فى الضلال ﴿ومن اوزار الذين يضلونهم﴾ و بعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب

(لقوله)

﴿بغير علم﴾ حال من المفعول اى يضلون من لايعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لايعذرهم اذكان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل ﴿ألاساء مايزرون﴾ بئس شيأ يزرونه فعلهم ﴿قدمكر الذين من قبلهم﴾ اى سوّوا منصوبات ليمكروا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ فأتاها امره من جهة العمد التى بنوا عليها بان ضعضعت ﴿فخرّ عليهم السقف من فوقهم﴾ وصار سبب هلاكهم ﴿واتاهم العذاب من حيث لايشعرون﴾ لايحتسبون ولايتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد من فى السماء فأهب الله الريح فخرّ عليه وعلى قومه فهلكوا ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ يذلهم اويعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ﴿ويقول اين شركائي﴾ اضاف الى نفسه استهزآء اوحكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم قرأ البزى بخلاف عنه اين شركاى بغير همز والباقون بالهمز ﴿الذين كنتم تشاقون فيهم﴾ تعادون المؤمنين فى شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقوننى فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله عزوجل ﴿قال الذين اوتوا العلم﴾ اى الانبياء او العلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة ﴿ان الخزى اليوم والسوء﴾ الذلة والعذاب ﴿على الكافرين﴾ وفائدة قولهم اظهار الشماتة بهم وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا ووعظا لمن سمعه ﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء فى التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة ﴿ظالمى انفسهم﴾ بان عرضوها للعذاب المخلد ﴿فألقوا السلم﴾ فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ﴿ماكنا نعمل من سوء﴾ قائلين ماكنا نعمل من سوء كفران وعدوان ويجوز ان يكون تفسير السلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام ﴿بلى﴾ اى فتجيبهم الملائكة بلى ﴿ان الله عليم بما كنتم تعملون﴾ فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فألقوا السلم الى آخر الآية استئناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اوّل من لم يجوّز الكذب يومئذ ماكنا نعمل من سوء بانا لم نكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوأ واحتمل ان يكون الرادّ عليهم هو الله اواولوا العلم ﴿فادخلوا ابواب جهنم﴾ كل صنف بابه المعدّله وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها ﴿خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين﴾ جهنم

لقوله عليه الصلاة والسلام من غير ان ينقص من آثامهم شئ ولكنها للجنس اى ليحملوا من جنس اوزار الاتباع انتهى كلامه ولايخفى ان من التى تكون لبيان الجنس لايكون تقديرها هكذا بل الظاهر ان يقال فى تقديرها واوزارهم التى هى اوزار الذين يضلونهم ﴿قوله﴾ حال من المفعول ﴿ويجوز ان يكون حالا من الفاعل فالمعنى حينئذ يضلونهم جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الاضلال الا ان الفائدة المتفرّعة على كونه حالا من المفعول تفوت حينئذ فانه تعالى لما وصف الذين لايعلمون انهم ضلال بالضلال وبكونهم حاملين للاوزار حيث اضاف اليهم اوزار من يضلونهم والاضلال لايتحقق بدون الضلال علم منه ان جهلهم بذلك لايخرجهم عن كونهم ضلالا حاملى الاوزار فى انفسهم* واعلم انه تعالى حكى عن المشركين انهم وصفوا القرءآن بانه اساطير الاوّلين اى احاديثهم واباطيلهم ولم يجب عنه ببيان حقيقته وكونه كلاما آلهيا معجزا بل اقتصر على مجرّد بت الوعيد بناء على ماتكرّر من بيان ذلك فى مواضع متعدّدة من القرءآن ثم انه عليه الصلاة والسلام لما تأسف من قول المشركين فى حق القرءآن انه اساطير الاوّلين وجعلهم هذا القول وسيلة الى تكذيبه فى دعوى الرسالة نزل قوله قدمكر الذين من قبلهم الآية والمراد بالمكر ههنا التدبير الفاسد اى قدمكر الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء المشركين بانبيائهم كمامكر بك هؤلاء ولم يضر ذلك بالانبياء بل ابطل الله تعالى مكرهم وردّ فى نفوسهم كيدهم وتحقق فيهم معنى ماقيل من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا والمنصوبات جمع منصوبة وهى الحيلة يقال سوّى فلان منصوبة وهى فى الاصل صفة الشبكة اوالحبالة فجرت مجرى الاسماء كالدابة والمجوز وفسر الزجاج القواعد بالاساطين التى تعمد البنيان اى انهدمت عمد البنيان فانهدم اى افناه بعماد يعتمد عليه والعمد بضمتين جمع عماد ﴿قوله﴾ بان ضعضعت ﴿اى انهدمت القواعد* الجوهرى ضعضعه اى هدمه حتى الارض وهو استعارة تمثيلية شبه حالهم فى انهم سوّوا منصوبات ليمكروا بها الانبياء فجعلها الله تعالى سبب هلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من تلك الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا واليوم فى قوله تعالى ان الخزى اليوم معمول للخبر وهو قوله على الكافرين اى كائن على الكافرين اليوم وفصل بين العامل ومعموله بالمعطوف اتساعا فى الظروف ﴿قوله﴾ وقرأ حمزة بالياء ﴿اى التحتانية اذلا تأنيث فى الملائكة ومن قرأ بالتاء الفوقانية نظر الى لفظ الملائكة ﴿قوله﴾ وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة ﴿الجرّ على انه صفة لما قبله والنصب بتقدير اعنى والرفع بتقدير هم الذين وعلى التقادير يكون قوله تتوفاهم واردا على حكاية الحال الماضية لان الذين اوتوا العلم يقولون هذا القول حين يرون خزى الكفار وفضاحتهم يوم القيامة على اظهار الشماتة بهم وزيادة الاهانة لهم والظاهر ان توفى الملائكة اياهم امر ماض بالنسبة الى يوم القيامة فيكون التعبير عنه بلفظ المستقبل مبنيا على حكاية الحال الماضية وقوله فألقوا السلم يجوز ان يكون معطوفا على تتوفاهم لكونه بمعنى الماضى وان يكون معطوفا على قوله قال الذين اوتوا العلم فتكون المسالمة المذكورة من جملة احوالهم الواقعة يوم القيامة ولاتكون من جملة مقالة اولى العلم بخلاف ما اذا كان معطوفا على تتوفاهم الا ان قول المصنف واخبتوا حين عاينوا الموت يدل على انه جعله معطوفا على تتوفاهم والاخبات الخشوع يقال اخبت لله اى تواضع واصل الالقاء فى الاجسام واستعمل هنا فى اظهارهم الانقياد اشعارا بغاية خضوعهم واستكانتهم وانها كالشئ الملقى بين يدى الغالب القاهر ﴿قوله﴾ ماكنا نعمل من سوء ﴿مقول قول مضمر منصوب على انه حال من فاعل ألقوا اى فألقوا السلم قائلين ذلك ومن سوء مفعول نعمل زيدت فيه من ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم الذى هو القول لانه بمعنى القول الدال على الاستسلام والانقياد والاقرار لله تعالى بالربوبية كما قال تعالى فى آية اخرى فألقوا اليهم القول كأنه قيل فألقوا مايدل على الاستسلام وقالوا ما كنا نعمل من سوء وهذا الاستسلام وان وقع من المشركين يوم القيامة بان قالوا فيه ماكنا نعمل فى الدنيا من سوء على سبيل الكذب كان ذلك دالا على صحة قول من يجوّز صدور الكذب من اهل القيامة لفرط الخوف والدهشة وهو ظاهر واما الذين قالوا ان الكذب لايجوز عليهم فانهم قالوا معنى الآية على تقدير ان يكون المراد من حكاية كلام المشركين يوم القيامة ماكنا نعمل من سوء أنا لم نكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوأ فيجاب عنه ردّا عليهم وتكذيبا لهم قولهم ماكنا نعمل من سوء بقول بلى الخ ولايبعد ان يكون قائل هذا القول هو الله سبحانه وتعالى او بعض الملائكة او الذين اوتوا العلم والمعنى انه تعالى عالم بما كنتم عليه فى الدنيا فيجازيكم عليه ولاينفعكم هذا ثم صرح بذكر العقاب فقال فادخلوا ابواب جهنم ﴿قوله﴾ وقيل قوله فألقوا السلم الخ ﴿

﴿وقيل للذين اتقوا﴾ يعنى المؤمنين ﴿ماذا انزل ربكم قالوا خيرا﴾ اى انزل خيرا وفى نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا فى الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبى ﴿١٧٦﴾ صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ماقالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك ﴿للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة﴾ مكافاة فى الدنيا ﴿ولدار الآخرة خير﴾ اى ولثوابهم فى الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ﴿ولنعم دار المتقين﴾ دار الآخرة فحذفت لتقدّم ذكرها وقوله ﴿جنات عدن﴾ خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح ﴿يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها مايشاؤن﴾ من انواع المشتهيات وفى تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لايجد جميع ماير يده الا فى الجنة ﴿كذلك يجزى الله المتقين﴾ مثل هذا الجزآء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاوّل ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾ طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس ﴿يقولون سلام عليكم﴾ لايلحقكم بعد مكروه ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ حين تبعثون فانها معدّة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفى وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ ﴿هل ينظرون﴾ ماينتظر الكفار المارّ ذكرهم ﴿الا ان تأتيهم الملائكة﴾ لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائى بالياء ﴿او يأتى امر ربك﴾ القيامة او العذاب المستأصل ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب ﴿فعل الذين من قبلهم﴾ فاصابهم ما اصاب ﴿وما ظلمهم الله﴾ بتدميرهم ﴿ولكن كانوا انفسهم يظلمون﴾ بكفرهم ومعاصيهم المؤدّية اليه ﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾ اى جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزآء باسمها ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ واحاط بهم جزاؤه والحيق لايستعمل الا فى الشرّ ﴿وقال الذين اشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ﴾ انما قالوا ذلك استهزآء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ماشاء الله يجب ومالم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكار القبح ماانكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لماشاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا (او لم يبعث) اليه لاعتذار اذلم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب من الشبهتين

عطف على مايفهم من التقرير السابق فانه يفهم منه ان قوله تعالى فألقوا حكاية لشرح حال الكفار عند القرب من الموت ومعاينته وعلى هذا القول يكون فألقوا استئنافا يتم كلام الذين اوتوا العلم عند قوله ظالمى انفسهم ويكون قوله قال الذين اوتوا العلم الى قوله انفسهم جملة معترضة بين قوله تعالى ثم يوم القيامة يخزيهم وبين قوله فالقوا السلم ﴿قوله﴾ وفى نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا ﴿اى لم يمكثوا فى الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال وقد اشتهر ان فى نحو ماذا صنعت وجهين احدهما ان تكون ما استفهامية بمعنى اىّ شئ ويكون ذا بمعنى الذى فيكون الكلام جملة اسمية تقديره اى شئ صنعته فحق ماذكر فى جوابه ان يكون مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف ليكون الجواب مطابقا للسؤال وثانيهما ان يكون ماذا بمنزلة اسم واحد معناه اىّ شئ منصوب المحل على انه مفعول صنعت لانه غير مشتغل عنه بضميره فيكون الكلام جملة فعلية فحق جوابه النصب على ان يكون مفعولا لفعل مقدّر ليطابق السؤال وفى هذه الآية الكريمة قد اجاب المقرّون بالانزال بالنصب حيث قالوا خيرا اى انزل خيرا بخلاف المنكرين للانزال فانهم اجابوا بالرفع حيث قالوا اساطير الاوّلين لكون اللائق بحال كل واحد من الفريقين ان يجيب بما اجاب به فلذلك اجابوا بالرفع فان قولهم اساطير الاوّلين كان مطابقا له وبيانه موقوف على الفرق بين ان يكون السؤال جملة اسمية وبين كونه فعلية وهو انه اذا سأل سائل اىّ شئ انزل ربكم فقد تقرّر عنده اصل الانزال وانما يسأل عن تعيين المنزل ولا دلالة فيه على كون المخاطب مقرّا بالانزال او منكرا له بخلاف ما اذا سئل بان يقال اىّ شئ الذى انزله ربكم فان السؤال بهذا الطريق يدل على كون المخاطب معترفا بالانزال لما تقرّر ان الجملة التى تقع صلة للموصول حقها ان يكون مضمونها معلوما للمخاطب فلما اجاب المخاطب بان ماتدّعون او المنزل اساطير الاوّلين خالف السائل المخاطب فقد اجاب المخاطب بانه غير مسلم عندى بل ماتدّعى نزوله او المنزل اساطير الاوّلين مطابقا للسائل فيما زعمه من ان اصل النزول محقق مسلم عنده فكان جوابه مخالفا للسؤال ومطابقا لما يقتضيه حاله ولو اجاب بالنصب لكان موافقا للسائل فى الاعتراف بكون اصل النزول مسلما عنده ولكان مناقضا لنسفه فى توصيف ما اعترف بكونه منزلا من ربه بانه اساطير اذ من المعلوم ان المنزل من قبله لايكون اساطير بخلاف المقرّ فان اللائق بحاله ان يحمل السؤال على الجملة الفعلية ويجيب بالنصب لانه كان اللائق بحاله ان لايتلعثم ويوافق السائل فى الاعتراف باصل النزول لا ان يكون متلعثما فى الجواب ويجيب بتعيين ان المنزل ماهو فلو اجاب بالرفع وقال المنزل خير لكان موافقا للسائل فى الاعتراف باصل النزول الا انه يكون متلعثما فى الجواب بتغييره اسلوب السائل فانه سأل بالجملة الفعلية طالبا لتعيين المفعول وهو قد اجاب بتحقيق كون المنزل خيرا ﴿قوله﴾ وهو عدة ﴿اى قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى الآية كلام منقطع عما قبله اى ليس من جملة كلام الذين اتقوا بل هو ابتداء كلام من الله تعالى بين به ان من احسن اعتقادا وعملا فله حسنة فى الدنيا وحسنة فى الآخرة والذى يفهم من تقرير المصنف انه جعل قوله فى هذه الدنيا متعلقا بقوله احسنوا وحمل قوله حسنة على المكافأة الواقعة فى الدنيا بقرينة قوله بعد ذلك ولدار الآخرة خير ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من حسنة اذلو تأخر عنها لكان صفة لها ولا وجه لجعله متعلقا بنفس حسنة لتقدّمه عليها ويدخلونها صفة جنات وتجرى اما صفة اخرى او حال من مفعول يدخلونها وقوله لهم فيها مايشاؤن جملة اسمية والخبر امالهم واما فيها واعرابها كاعراب الجملة التى قبلها ﴿قوله﴾ وهو يؤيد الوجه الاوّل ﴿وهو كون قوله تعالى للذين احسنوا الى آخر الآية عدة للذين اتقوا على قولهم وقوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة صفة للمتقين وطيبين حال من المفعول ويقولون حال من الفاعل اى يقبضون ارواحهم مسلمين عليهم او مبلغين سلام الله عليهم ويحتمل ان يكون الذين مبتدأ ويقولون خبره فلابدّ حينئذ من عائد محذوف ثم انه تعالى لما وصف جزآء الذين اتقوا على قولهم فى حق القرآن انه خير عادالى بيان ان اولئك الكفار الذين طعنوا فى القرآن بان قالوا اساطير الاوّلين ماينتظرون فى الايمان بك وبما انزل اليك الا الوقت الذى لاينفعهم الايمان فى ذلك الوقت ﴿قوله﴾ تعالى فاصابهم ﴿معطوف على قوله فعل الذين ومابينهما اعتراض ﴿قوله﴾ انما قالوا ذلك استهزآء ﴿ذكر الامام الواحدى فى الوسيط ان الزجاج قال انهم قالوا هذا على الاستهزآء ولو قالوه معتقدين لكانوا مؤمنين ولكنهم قالوا ذلك مستهزئين انتهى وزاد المصنف انهم قصدوا بذلك الطعن فى النبوّة والتكليف متمسكين فى ذلك بالقول بالجبر وقالوا الكل من الله تعالى ولو شاء الله منا الايمان والتوحيد لحصل لنا ذلك سواء بعث الرسول

اولم يبعث فلا فائدة فى البعثة فالحوادث كلها منوطة بمشيئة الله تعالى ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يستحقون بهذا القول اللوم والتوبيخ فى البعثة * قال الامام فى الجواب عن شبهة الكفار ان قولهم لما كان الكل من الله تعالى كانت بعثة الانبياء عبثا اعتراض على الله فان قولهم اذا لم يكن فى بعثة الرسل مزيد فائدة فى حصول الايمان واندفاع الكفر والعصيان كانت بعثة الانبياء غير جائزة من الله تعالى هذا القول منهم صار جاريا مجرى طلب العلة فى احكام الله تعالى وفى افعاله وذلك باطل بل لله تعالى ان يحكم فى ملكه مايشاء ويفعل مايريد ولا يجوز ان يقال له لم فعلت هذا ولم تفعل ذاك فهذا القول من الكفار من حيث دلالته على تعليق جميع الحوادث بمشيئة الله صحيح والفساد والانكار انما يتوجه اليه من حيث انهم قصدوا الاعتراض على الله وطلبوا العلة فى احكامه وافعاله ويدل عليه انه تعالى صرح فى آخر هذه الآية بهذا المعنى فقال ولقد بعثنا فى كل امّة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فبين تعالى بهذا المعنى ان سنة الله فى عبيده الارسال اليهم وامرهم بعبادة الله ونهيهم عن عبادة الطاغوت ثم قال فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة والمعنى انه تعالى وان امر الكل بالايمان ونهى الكل عن الكفر والعصيان الا انه تعالى هدى البعض واضل البعض فهذه سنة قديمة لله تعالى مع عباده ويحسن منه ذلك بحكم كونه آلها منزها عن اعتراضات المعترضين فثبت انه تعالى انما حكم على هؤلاء الكفار باستحقاق الخزى واللعن لا لانهم كذبوا فى قولهم لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ بل لانهم قالوا ذلك بناء على اعتقادهم انه لو كان الامر كذلك لامتنع جواز بعثة الانبياء والرسل وتكليف العباد بالاوامر والنواهى فلاجرم استحقوا على هذا الاعتقاد مزيد الذم واللعن فهذا هو الجواب الصحيح فى امثال هذه الشبهات ﴿ قوله ﴾ وماشاء الله وقوعه انما يحب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدّرها له ﴿ لما كانت خلاصة شبهة الكفار ان تعلق مشيئة الله كافية فى تحقق الحوادث فاىّ حاجة الى بعثة الرسل اشار تعالى بقوله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الى ان المؤثر فى حصول الاهتداء ليس الا الله تعالى ولا تأثير فيه لتبليغ الرسل الا ان له مدخلا فيه من حيث توسطه بينه تعالى وبين المكلفين وتعلق مشيئة الله تعالى بوجود الحوادث وان يوجبها الا انها لا تعلق لها بوجود شئ منها الا عند تحقق اسبابها العادية التى من جملتها سعى المكلف ومباشرته لاسباب حصولها باخبار الانبياء بالنسبة الى اهتداء من اهتدى وضلالة من ضل فان كون الدنيا دار تكليف والكسب والاختيار يستدعى ان تجعل الحوادث مرتبطة بالاسباب العادية وذلك من كمال الحكمة الالهية والا فلا حاجة الى توسط الاسباب فى نفاذ قدرته ومشيئته فاىّ واسطة فى حصول امور الآخرة فما انكر عليه الشرع قبيح شرعا وواقع بقدرة الله تعالى ومشيئته عند كسب العبد واختياره اياه فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة يعنى فمنهم من هداه الله الى الايمان واتباع الحق ومنهم من اضله عن الحق واعماه عن الهدى واوقعه فى الكفر والضلال وهذا يدل على ان امر الله تعالى لا يوافق ارادته بل قد يأمر بالشئ ولا يريده وينهى عن الشئ ويريده وهذا مذهب اهل الحق والمعتزلة يقولون الامر والارادة متطابقان ونحن نقول ان الامر والارادة قد يختلفان ولفظ هذه الآية صريح فى قولنا وهو ان الامر بالايمان عام فى حق الكل واما ارادة الايمان فخاصة بالبعض دون البعض ﴿ قوله يأمر بعبادة الله ﴾ اشارة الى انّ ان فى قوله ان اعبدوا الله مصدرية اى بعثناه بان اعبدوا الله والباء المقدّرة متعلقة بمحذوف منصوب المحل على انه حال من رسولا واختلف فى الطاغوت قال بعضهم كل ماعبد من دون الله تعالى فهو طاغوت وقال الحسن الطاغوت الشيطان والمراد من اجتنابه اجتناب مايدعو هو اليه مما نهى عنه شرعا ولما كان ذلك الارتكاب بامر الشيطان ووسوسته سمى ذلك عبادة للشيطان ثم انه لما بين ان البعثة كالغذاء الصالح تكون سببا لهداية قوم وضلال آخرين امر قريشا بان يسيروا فى الارض ويعاينوا هلاك من ضل بتكذيب الرسل ليعتبروا بذلك ويعلموا ان العذاب نازل بهم كما نزل باولئك لاجل ضلالهم وتكذيبهم ثم انه بين ان من حقت عليه الضلالة لا يهتدى فقال ان تحرص على هداهم الآية وقرأ الكوفيون لا يهدى بفتح الياء وكسر الدال فقوله من يضل مفعول يهدى وفاعله مضمر فيه راجع الى الجلالة والعائد على من محذوف اى الذى يضله الله تعالى وقيل يجوز ان يكون لا يهدى بمعنى لا يهتدى فان هدى كما يكون متعدّيا يكون ايضا لازما يقال هدى الرجل اى اهتدى والمعنى ان الله تعالى اذا اضل احدا لم يصر ذلك مهتديا فقوله من يضل فاعل يهدى بمعنى يهتدى والباقون لا يهدى بضم الياء وفتح الدال على بناء المفعول ومن قائم مقام فاعله وعائده محذوف ايضا فتكون الآية نظير قوله تعالى من يضلل الله فلا هادى له وقوله فمن يهديه من بعد ﴿ كذلك فعل الذين من قبلهم ﴾ فأشركوا بالله وحرموا حلاله وردّوا رسله ﴿ فهل على الرسل الا البلاغ المبين ﴾ الا ابلاغ الموضح للحق وهو ان لم يؤثر فى هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدّى اليه على سبيل التوسط وماشاء الله وقوعه انما يحب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدّرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية فى الامم كلها سببا لهدى من اراد وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء اهتدآء الصالح فانه ينفع المزاج السوىّ ويقوّيه ويضرّ المنحرف ويفنيه بقوله تعالى ﴿ ولقد بعثنا فى كل امّة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ يأمر بعبادة الله تعالى واجتناب الطاغوت ﴿ فمنهم من هدى الله ﴾ وفقهم للايمان بارشادهم ﴿ ومنهم من حقت عليه الضلالة ﴾ اذلم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به فى الآية الاخرى ﴿ فسيروا فى الارض ﴾ يامعشر قريش ﴿ فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ﴿ ان تحرص ﴾ يامحمد ﴿ على هداهم فان الله لا يهدى من يضل ﴾ من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ ﴿ ومالهم من ناصرين ﴾ من ينصرهم بدفع العذاب عنهم

﴿ واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ﴾ عطف على وقال الذين اشركوا اذا نابانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة فى البت على فساده ولقد ردّ الله تعالى عليهم ابلغ ردّ فقال ﴿ بلى ﴾ يبعثهم ﴿ وعدا ﴾ مصدر مؤكد لنفسه وهو مادل عليه بلى فان بعث موعد من الله تعالى ﴿ عليه ﴾ انجازه لامتناع الخلف فى وعده اولان البعث مقتضى حكمته ﴿ حقا ﴾ صفة اخرى للوعد ﴿ ولكن اكثر الناس لا يعلمون ﴾ انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التى جرت عادته بمراعاتها واما لقصر نظرهم على المألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ﴿ ليبين لهم ﴾ اى يبعثهم

الله اى من بعد اضلال الله تعالى اياه وهو ابلغ فى نفى الهداية عنه ﴿ قوله انكروا البعث مقسمين عليه ﴾ وجعلوا انكاره ذريعة الى انكار النبوّة لانه عليه الصلاة والسلام انما يدعو الى طاعة الله تعالى ورعاية حدوده وتكاليفه بسبب ترغيبه فى ثواب الآخرة والترهيب من عقابه الكائنين بعد البعث فاذا بطل القول بالبعث بطل نبوّة من دعا الى الاقرار به لكونه داعيا الى الباطل ثم انهم ادّعوا البديهة فى انكارهم البعث وقالوا الانسان ليس الا هذه البنية المخصوصة فاذامات وتفرقت اجزآؤه وبطل المزاج والاعتدال امتنع عوده بعينه لان الشئ اذا عدم وفنى ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فنائه فالذى يعود يجب ان يكون شيأ مغايرا للاوّل لاعينه واشاروا الى ادّعائهم ضرورة ذلك الانكار بالاقسام واليمين ولم يصرّحوا بتفريع بطلان القول بالنبوّة على بطلان القول بالبعث لكون تفرعه عليه جليا مستغنيا عن التصريح ﴿ قوله مصدر مؤكد لنفسه ﴾ فان وعدا معنى مضمون الجملة التى دل عليها بلى وتلك الجملة لا تحتمل لها من المصادر الا ذلك المصدر الذى هو الوعد فقوله وعدا يؤكد الوعد المدلول عليه ببلى واللام فى قوله ليبين متعلق بالفعل المقدّر بعد حرف الايجاب اى بلى يبعثهم ليبين لهم بالبعث الذى اختلفوا فيه مع المؤمنين وذهبوا فيه الى خلاف ماذهب اليه المؤمنون ﴿ قوله بين الامرين ﴾ بين اوّلا ان البعث مقتضى الحكمة فان الحكمة تقتضى التمييز بين المحق والمبطل وبين المظلوم والظالم بمجازاة كل احد على حسب عمله وذلك التمييز لا يكون الا بالبعث والجزآء وقدمرّ ان البعث من توابع التكليف ومقتضياته ثم بين امكان البعث وان اقسامهم على نفيه وانكاره انما نشأ من قصر نظرهم على ماألفوه من استمرار الميت على الموت وعدم طريان الحياة عليه وعدم التفاتهم الى مايدل على امكانه وصحته فقال انما قولنا لشئ الآية كلمة انّ مكفوفة بما وقولنا مرفوع على الابتدآء وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التى بمعنى الحدوث والوجود اى اذا اراد حدوث شئ لم يكن وسماه شيأ وان كان معدوما لقربه الى الوجود فليس الا ان يقول له احدث يحدث عقيبه من غير توقف واللام فى قوله لشئ وفى له لام التبليغ كما فى قولك قلت له قم وجعلها الزجاج للسببية فيهما اى انما قولنا لاجل شئ ان نقول لاجله وليس بواضح وقرأ الجمهور فيكون برفع النون وقرأ ابن عامر والكسائى بنصبها قال الفرآء ولقرآءة الرفع وجهان الاوّل ان يجعل قوله ان نقول له كن كلاما تاما ثم عبر عنه بانه سيكون كما يقال ان زيدا يكفيه ان آمر فيفعل برفع قولك فيفعل والثانى ان يجعل كلاما مبتدأ اى فهو يكون ووجه قرآءة النصب ان يكون معطوفا على ان نقول ويبعد كونه منصوبا على انه جواب كن لان قوله كن وان كان على لفظ الامر فليس القصد به ههنا الامر بل المقصود بيان ان يكون الله تعالى لا يحتاج الى سبق المادّة والمدّة * فان قيل قوله كن ان كان خطابا مع المعدوم فهو محال وان كان خطابا مع الموجود كان امرا بتحصيل الحاصل وهو محال * والجواب انه لا قول ثمة ولا خطاب فالمقصود بيان سهولة خلق الانسان عليه وانه متى اراد الشئ كان فمثل الله تعالى تكوينه للمكوّنات بمجرّد تعلق ارادته من غير توقف وامتناع بامر الآمر المطاع اذا امر المأمور المطيع المسارع فى الامتثال فعبر عن سرعة تكوينه على الوجه المذكور بالامر المستلزم للامتثال فانه تعالى لو اراد خلق الدنيا والآخرة بما فيهما من السموات والارض والجنة والنار وما فيهما فى قدر لمحة البصر لقدر على ذلك ولكن خاطب الخلق بما يفهمون والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو اهون من الابدآء بالنسبة الى عقولنا ثم انه تعالى لما حكى عن الكفار انهم اقسموا بالله جهد أيمانهم على انكار البعث والقيامة وجعلوه ذريعة الى تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم دل ذلك على انهم يعادون المسلمين ويؤذونهم ايذآء يلجئ طائفة منهم الى المهاجرة عن الاهل والاوطان فبين الله تعالى مالهؤلاء المهاجرين من الحسنة فى الدنيا والآخرة فقال والذين هاجروا فى الله من بعد ماظلموا الآية وقوله فى الله يدل على ان الهجرة اذا لم تكن لله لم يكن لها قدر واعتبار وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد ﴿ قوله مباءة حسنة ﴾ اودارا حسنة او بلدة حسنة وهى المدينة آواهم اهلها ونصروهم وهو اشارة الى ان قوله حسنة صفة لموصوف محذوف مفعول ثان لقوله لنبوّئنهم لانه يتضمن معنى لنعطينهم والمباءة منزل القوم وعلى قوله او تبوئة حسنة يكون حسنة صفة لمصدر محذوف ﴿ قوله اى ارسلناهم بالبينات ﴾ على ان قوله بالبينات متعلق بمحذوف جوابا لسؤال مقدّر كأنه قيل بم ارسلوا فقيل بالبينات والزبر ﴿ قوله داخلا فى الاستثناء مع رجالا ﴾ حال من فاعل يتعلق فان تعلقه بما ارسلنا يتصوّر على وجهين احدهما ان يتعلق به غير داخل مع رجالا فى الاستثناء بان يكون المستثنى المفرغ رجالا فقط ويكون بالبينات قيدا للمستثنى منه المقدّر ويكون على نية التقدير على ارادة

﴿ الاستثناء ﴾

جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا ممتثلين بصورة الرجال وردّ بما روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل عليه السلام على صورته التى هو عليها مرّتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم ﴿ بالبينات والزبر ﴾ اى ارسلناهم بالبينات والزبر اى المعجزات والكتب كانه جواب قائل بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا فى الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات

الاستثناء ويكون التقدير وماارسلنا جماعة من الجماعات بالبينات والزبر الارجالا يوحى اليهم كما فى قول الشاعر

* بينهم عذبوا بالنار جارهمو * ولا يعذب الاالله بالنار *

اى لا يعذب بالنار الاالله على مايقتضيه سياق الكلام ومثل هذا التركيب ضعيف لان الاصل ان يذكر المستثنى منه بجميع ما يتعلق به بتمامه ثم يستثنى منه وفى هذه الصورة قد تأخر بعض قيود المستثنى منه عن المستثنى وثانيهما ان يتعلق الجار والمجرور بقوله وماارسلنا حال كونه داخلا مع المستثنى فى حكم الاستثناء بان يتعدد المستثنى المفرّغ ويكون التقدير ما ارسلنا جماعة من الجماعات بشئ من الاشياء الا رجالا بالبينات والضعف الذى يتوجه على تعلقه بماارسلنا غير داخل مع رجالا لا يتوجه على تعلقه به بهذا الوجه فلهذا احترز على تعلقه به على الوجه الاوّل بقوله داخلا فى الاستثناء مع رجالا وكذا تقدير قولك ماضربت الازيدا بالسوط ماضربت احدا بالسوط الا زيدا لما فيه من ذكر الاستثناء قبل تمام المستثنى منه بجميع قيوده والوجه الثالث ان يكون بالبينات صفة لرجالا فيتعلق بمحذوف اى الا رجالا ملتبسين بالبينات مصاحبين لها والوجه الرابع ان يتعلق بيوحى على انه مفعول به غير صريح له اى يوحى اليهم بالبينات كما يقال اوحى اليه بحق والوجه الخامس ان يتعلق بيوحى على انه حال من القائم مقام فاعله وهو اليهم اى يوحى اليهم ملتبسين بالبينات والزبر ومعنى تعلقه بيوحى حينئذ مع انه انما يتعلق بمحذوف كون يوحى هو العامل فى متعلقه وقوله تعالى فاسألوا يكون اعتراضا على جميع الوجوه المتقدمة والمعنى على الوجه الاوّل فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون انا ارسلناهم بالبينات وعلى الثالث فاسألوهم ان كنتم لا تعلمون انا ما ارسلنا الا رجالا ملتبسين بالبينات وعلى الرابع فاسألوهم ان كنتم لا تعلمون انه يوحى اليهم ملتبسين بالبينات والوجه السادس ان يتعلق بقوله لا تعلمون على معنى فاسألوهم ان لم يكن عندكم علم بالبينات والزبر فان من قدر على اقامة البينات على صحة ماقلنا اوكان عنده كتاب ناطق بصحته فانه يستغنى عن السؤال ﴿قوله﴾ على ان الشرط للتبكيت والالزام ﴿قوله﴾ يعنى ان الاصل فى الشرط الذى تعلق به الحكم بكلمة ان يكون محتمل الوقوع وقد استعملت هنا فى امر معلوم مقطوع به لان الكلام مع قريش لقول المفسرين ان هذه الآية ردّ لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا ولاشك ان قريشا لم يكونوا من علم البينات والزبر فى شئ فالمقصود من تعليق السؤال بهذا الشرط التبكيت والالزام اى لا ارتياب فى انكم غير عالمين بالبينات والزبر واحتمال عدم علمكم بها يستلزم السؤال فكيف اذا كنتم غير عالمين بها البتة ولستم ايضا ممن يسألون منهم لانكم تعلمون انهم لا يجيبونكم الا بما ذكرنا من انا ما ارسلنا من قبل ارسال هذا الرسول الا رجالا يوحى اليهم فلم يبق لهم طريق سوى التسليم والاذعان وعليه قول الاجير ان كنت عملت لك فأعطنى حقى وقرأ حفص نوحى اليهم بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء وحزة والكسائى بميلانها على اصلها ﴿قوله﴾ بتوسط انزاله اليك ﴿قوله﴾ بيان لوجه قوله مانزل اليهم مع ان القرءآن منزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ودفع لما يقال من ان كونه عليه الصلاة والسلام مبينا لما نزل يقتضى ان يكون القرءآن كله مجملا بان يكون المراد منه خفيا لا يطلع عليه ما لم تأت البينات من قبل المجمل لان المفتقر الى البيان يكون مجملا مع ان بعضه محكم والمحكم يجب ان يكون مبينا ووجه الدفع ان القرءآن المشتمل على الاحكام المتعلقة بهم لما كان منزلا عليه عليه الصلاة والسلام بالذات ليبلغه اليهم ويبين احكامه لهم لم تكن البينات بمعنى بيان المجمل بل بمعنى تبليغ ما كلفوا به اليهم ولو سلم انه بمعنى المجمل فالمراد ببيان مانزل بيان ما كان مجملا منه بقرينة ان المحكم لا يحتاج الى البيان ﴿قوله﴾ والتبين ﴿قوله﴾ على ان المبين لجميع التكاليف والاحكام هو الرسول صلى الله عليه وسلم لعلمنا منها ان القياس ليس بحجة لانه لو كان حجة لما تعين الرسول صلى الله عليه وسلم لبيان جميع مانزل اليهم لجواز ان يبين المكلف بعض الاحكام بطريق القياس * وتقرير الجواب ان شارع جميع التكاليف والاحكام هو الله تعالى والقياس هو المظهر لبعض منها وهو عليه الصلاة والسلام مرشد الى مايكون طريقا لاظهاره فصار بذلك مبينا لجميع مانزل اليهم فان التبيين اعم من ان ينص بما هو المقصود من الاحكام او يرشد الى مايدل عليه ويؤيد هذا الجواب عطف قوله ولعلهم يتفكرون على قوله ليبين فان الاحكام المنصوص عليها لا تحتاج الى التفكر ثم انه تعالى لما ردّ قول قريش فى استبعاد ان يكون البشر رسولا من الله تعالى ونص على ارساله عليه الصلاة والسلام ليبين للناس مانزل اليهم شرع فى تهديد ماكريه والسيئات منصوب على انه صفة مصدر محذوف وان يخسف معمول أمن وخسوف المكان ذهابه فى الارض يقال خسف الله به الارض خسفا اى غاب به

كقولك ماضربت الازيدا بالسوط اوصفة لهم اى رجالا ملتبسين بالبينات او بيوحى على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فاسألوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام ﴿وانزلنا اليك الذكر﴾ اى القرءآن وانما سمى ذكرا لانه موعظة وتنبيه ﴿لتبين للناس مانزل اليهم﴾ فى الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه اومما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى مايدل عليه كالقياس ودليل العقل ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات﴾ اى المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صدّ اصحابه عن الايمان ﴿ان يخسف الله بهم الارض﴾ كما خسف بقارون ﴿او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط

فيها هدّدهم الله تعالى اوّلا بذلك وثانيا بان يأتيهم ملائكة العذاب من جانب السماء فتهلكهم بغتة وثالثا ان تأخذهم العقوبة فى اسفارهم فانهم لايعجزون الله تعالى بسبب ذهابهم فى البلاد البعيدة بل يهلكم الله تعالى حيث كانوا ورابعا بان يأخذهم بالعذاب لكن لايأخذهم به ابتداء بل يخيفهم اوّلا ثم يعذبهم بعده فانه تعالى اذا اهلك فرقة فخافت التى تليها زمانا تكون الاخافة نوعا من التعذيب ثم اذا اهلكهم بعد ذلك يكون ذلك الاهلاك اشدّ عليهم وافضح من اهلاكهم ابتداء اوان يأخذهم جميعا بالعذاب على ان ينقص شيأ بعد شئ فى انفسهم واموالهم بان يظهر فيهم القتل اوالموت اوالغارة فيأخذ منهم شيأ فشيأ حتى يأتى الاخذ على جميعهم والحاصل انه تعالى خوّفهم بخسف يحصل فى الارض او بعذاب ينزل من السماء اوبأفات تحدث دفعة واحدة حال انهم لم يكونوا عالمين بعلاماتها ودلائلها اوبافات تحدث قليلا قليلا الى ان يأتى الهلاك على جميعهم ﴿قوله تخوّف الرحل منها تامكا قردا كما تخوّف عود النبعة السفن﴾ وروى الجوهرى ظهر النبعة بدل عود النبعة وتخوّف اى تنقص منها اى من الناقة والتامك السنام والقرد مايتلبد من الصوف الجوهرى سحاب قرد ركب بعضه بعضا والنبع شجر يتخذ منه القسىّ والسفن بالتحريك الحديدة التى ينحت بها ويطلق على المبرد ايضا يصف ناقة اثر الرحل فى سنامها ونقصه كما ينقص المبرد من العود ويقول تنقص الرحل منها سناما مشرفا مرتفعا متراكم اللحم اى ركب بعضه فوق بعض ﴿قوله لاتضلوا﴾ مجزوم على انه جواب الامر وهو عليكم لانه بمعنى الزموا اى لاتضلوا الديوان ويروى لاتضلوا اى لاتضلوا فى تفسير كتاب الله تعالى ديوانكم من دوّن الكتب اذا جمعها وقطعها لانه قطع من القراطيس مجموعة وديوان الشاعر مجموع متفرّقات اشعاره ثم انه تعالى لما هدّد المشركين بانواع عذابه اردفه بذكر مايدل على كمال قدرته ليعلموا انه لايعجز عن ايصال ماذكره من انواع العذاب فقال اولم يروا الآية قرأ حمزة والكسائى اولم تروا بالتاء على الخطاب جريا على اسلوب قوله فان ربكم والباقون بالياء جريا على قوله أفأمن الذين مكروا وقرأ ابو عمرو تتفيأ بتاءين والباقون بياء وتاء وكلمة ما فى قوله ماخلق الله موصولة مبهمة ومن شئ بيان لها فان قيل كيف يبين الموصول وهو مبهم مثله بل هو ازيد ابهاما مما قبله * فالجواب ان شيأ لما وصف بقوله يتفيأ ظلاله اختص بالمخلوقات التى لها ظلال متفيئة من الجبال والاشجار والابنية ونحوها من الاجرام الكثيفة فصلح بذلك لان يكون مبنيا لما خلق الله فلما كان البيان فى الحقيقة مستندا الى ماوقع صفة لشئ قال المصنف بيانها يتفيأ ظلاله وقوله يتفيأ يتفعل من القيى يقال فاء الظل يفيئ فيئا اذا رجع وعاد بعد ماكان ضياء الشمس نسخه فان ظل الارض ينبسط على وجه الارض بغروب الشمس فاذا طلعت الشمس ينتسخ من الظل ماكان فى جانب المشرق من الاجرام الكثيفة الى ان ينتصف النهار فاذا مالت الشمس الى جانب المغرب يرجع الظل الذى نسخته الشمس فى جانب المشرق الى ذلك الجانب ايضا فذلك الظل يسمى فيئا فالظل اعم من الفيئ حيث يطلق الظل على ماكان قبل الزوال وبعده والفيئ لايطلق الاماكان بعد الزوال قال الازهرى تفيئ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار والتفيئ لايكون الابالعشىّ بسبب انصراف الشمس عنه والظل مايكون بالغداة وهو مالم تنله الشمس وقيل الفيئ والظل مترادفان يطلق كل واحد منهما على ماكان قبل الزوال وماكان بعده واستدل عليه بقول الشاعر

* فسلام الاله يغدو عليهم * وفيوء الفردوس ذات الظلال *

فان الشاعر اطلق لفظ الفيئ فى هذا البيت على مالم تنسخه الشمس لان مافى الجنة من الظل دائم لايحصل بعدان كان زائلا بسبب ضوء الشمس لقوله تعالى اكلها دائم وظلها واضيف لفظ الظلال الى ضمير مفرد لان مرجع الضمير وان كان مفردا فى اللفظ وهو قوله ماخلق الله لكنه كثير فى المعنى وهو نظير قوله تعالى لتستووا على ظهوره فانه اضيف الظهور الى ضمير مفرد لرجوعه الى ماهو كثير فى المعنى وهو قوله ماتركبون ثم قيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك الذى هو المشرق وشماله الذى هو المغرب تشبيها لجانب المشرق باقوى جانبى الانسان وهو جانب يمينه من حيث ان اقوى الحركات الفلكية التى هى الحركة اليومية آخذة من المشرق الى المغرب فلذلك جعل المشرق يمين الفلك والمغرب شماله ووجه تفيئ الظلال عن يمين الفلك الى الشمال وبالعكس ظاهر وهو ان الشمس عند طلوعها الى وقت انتهائها الى وسط الفلك تكون ظلالها مائلة الى الجانب الغربى ثم بزوالها ترجع الظلال الى الجانب الشرقى وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الاجرام التى لها ظلال فان ظلالها تتفيأ من جانب يمينها الى جانب شمالها وبالعكس وعلى القولين يكون اطلاق لفظ اليمين والشمال على جانبى الاشياء المذكورة على سبيل الاستعارة

﴿ اويأخذهم فى تقلبهم ﴾ اى متقلبين فى مسارهم ومتاجرهم ﴿ فما هم بمعجزين اويأخذهم على تخوّف ﴾ على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوّفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوّفون اوعلى تنقص شيأ بعد شئ فى انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوّفته اذا تنقصته روى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال على المنبر ماتقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوّف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك فى اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته

تخوّف الرحل منها تامكا قردا *
كما تخوّف عود النبعة السفن *

فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا ومادیواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم ﴿ فان ربكم لرؤف رحيم ﴾ حيث لايعاجلكم بالعقوبة ﴿ اولم يروا الى ماخلق الله من شئ ﴾ استفهام انكارى قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها ﴿ يتفيأ ظلاله ﴾ اى اولم ينظروا الى المخلوقات التى لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائى تروا بالتاء وابو عمرو تتفيأ بالتاء

﴿عن اليمين والشمائل﴾ عن ايمانها وشمائلها او عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله ﴿سجدا لله وهم داخرون﴾ وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام

التصريحية او على سبيل التخييل للاستعارة المكنية لانهما لايطلقان على سبيل الحقيقة الا على جانبي الانسان والظاهر ان قوله عن اليمين متعلق بيتفيأ اى يتجاوز الظلال عن اليمين الى الشمال وبالعكس والتعريف الحاصل بالايمان والشمائل بدل من التعريف الحاصل بالاضافة والمصنف اشار الى الاوّل بقوله عن ايمانها وشمائلها والى الثاني بقوله او عن جانبي كل واحد منها واشار بايراد لفظ عن ايمانها بدل اللفظ المفرد المطابق لما في نظم القرآن لان لفظ اليمين وان كان مفردا فهو اسم جنس يتناول جميع مسمياته فعبر به عن الجمع لخفة المفرد كما في قوله تعالى ويولون الدبر اى الادبار ﴿قوله باعتبار اللفظ والمعنى﴾ فان لفظ ما مفرد معناه كثير فافرد لفظ اليمين اعتبارا لافراد ما اضيف هو اليه من حيث اللفظ وجمع لفظ الشمائل اعتبارا لكثرة معنى ما خلق الله فان قوله عن اليمين والشمائل بمعنى عن يمين ما خلق الله وشماله وسجدا جمع ساجد كراكع وركع ﴿قوله وهما حالان من الضمير في ظلاله﴾ والمعنى يتفيأ ظلال ما خلق الله في حال كون انفسهم ساجدين لله تعالى متواضعين متصاغرين منقادين لحكمه والجمهور وان كانوا لايجوّزون انتصاب الحال من المضاف اليه الا ان منهم من جوّز ذلك اذا كان المضاف جزأ من المضاف اليه نحو حلقت رأس زيد قائما او كالجزء منه كما في قوله تعالى اتبع ملة ابراهيم حنيفا وظل الشئ بمنزلة الجزء منه اذ هو ناشئ عنه والعامل في مثل هذا الحال معنى الاختصاص والالتصاق المستفاد من الاضافة ﴿قوله او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير﴾ اى في ظلاله فالمعنى ظلالهم ساجدة وهم في انفسهم صاغرون متواضعون ﴿قوله او واقعة على الارض﴾ يعني جعلت الظلال ساجدة اما لكونها منقادة لارادة الله تعالى خاضعة لتقديره وتدبيره او لكونها واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجدين ولما كانت هيئة الظلال شبيهة بهيئة الساجدين اطلق عليها لفظ السجود على سبيل الاستعارة وكان الحسن يقول اما ظلك فيسجد لربك واما انت فلا تسجد له بئس ما صنعت وعن مجاهد ظل الكافر يصلي وهو لايصلي وقيل ظل كل شئ يسجد لله تعالى سواء كان ذلك الشئ ساجدا ام لا ﴿قوله عطف جبريل على الملائكة﴾ بناء على ان اسم الدابة يتناول الاجسام اللطيفة السماوية والدواب الكثيفة الارضية من حيث ان كل واحد من النوعين له دبيب يليق به فيكون عطف الملائكة على المبين من قبيل عطف الخاص على العام اظهارا لشرفه وان جعل اسم الدابة مختصا بالحيواني الجسماني الذي يتحرّك ويدب وجعل الملائكة ارواحا محضة مجرّدة عن الدبيب والحركة الجسمانية يكون من عطف احد المتباينين على الآخر * قال صاحب الكشاف فان قلت هلا جيئ بمن دون ما تغليبا للعقلاء على غيرهم والمصنف اجاب عنه بان استعمال كلمة ما في القبيلين حقيقة فهو اولى من سلوك طريق التغليب الذي هو من باب المجاز وقوله تعالى وهم لايستكبرون يجوز ان يكون استئنافا اخبر بذلك عنهم وان يكون حالا من فاعل يسجد وقوله يخافون ربهم من باب حذف المضاف اى يخافون عذاب ربهم ومن فوقهم صفة للمضاف المقدّر اى الكائن من فوقهم وصف العذاب بذلك لان اكثر ما يأتي من العذاب المهلك انما يأتي من فوق ويجوز ان يكون من فوقهم حالا من ربهم اى يخافون ربهم عاليا عليهم علوّ الرتبة والقدرة قاهرا لهم كيف يشاء ويدل على صحة هذا المعنى قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده * واحتج الطاعنون في عصمة الملائكة بهذه الآية فقالوا انه تعالى وصفهم بالخوف فلولا انهم يجدون من انفسهم الاقدام على الذنب لما حصل لهم الخوف * واجيب عنه بوجهين الاوّل انه تعالى حذرهم من العقاب حيث قال ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فلخوف العقاب يتركون الذنب والثاني ان ذلك الخوف خوف الاجلال كقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكقوله عليه الصلاة والسلام * اني لأخشاكم لله * فانه يدل على انه كلما كانت معرفة الله تعالى اتم كان الخوف اكثر منه واعظم وهذا الخوف لايكون الا خوف الاجلال والهيبة من كمال الكبرياء ﴿قوله ذكر العدد﴾ جواب عما يقال انما يحتاج الى ذكر العدد حيث لا يتعين العدد بدلالة المعدود عليه وذلك انما يكون اذا كان المعدود ورآء الواحد والاثنين واما نحو رجل ورجلين فانهما يدلان على الوحدة والاثنينية فلا حاجة الى ذكر شئ زائد يدل على الوحدة والاثنينية معهما فاوجه قوله تعالى الهين اثنين انما هو اله واحد وذكر المصنف لذكر العدد فائدتين الاولى الدلالة على ان الكلام مسوق للنهي عن اتخاذ الاثنين من الآلهة فان لفظ الهين حامل لمعنى الجنسية اعني الآلهة ومعنى العدد اعني الاثنينية وكذا لفظ اله حامل لمعنى الجنسية والوحدة والغرض المسوق له الكلام في الاوّل النهي عن اتخاذ الاثنين من اله لا عن اتخاذ جنس الاله وفي الثاني اثبات الواحد من الاله لا اثبات جنسه فوصف الهين باثنين واله بواحد ايضاحا لهذا الغرض وتفسيرا فان حق الكلام

سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اى صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان الظلال في اوّل النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ﴿ ولله يسجد ما في السموات وما في الارض ﴾ اى ينقاد انقيادا بيّنا لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله ﴿من دابة﴾ بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كانت في ارض او سماء ﴿والملائكة﴾ عطف على المبين عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجرّدات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجرّدة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما والمراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء ﴿ وهم لايستكبرون ﴾ عن عبادته ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لايستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته ﴿ويفعلون مايؤمرون﴾ من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء ﴿ وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين﴾ ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه

ان يجيء لما سيق له الكلام من الغرض وذلك قد يكون بحذف ما يخيل غرضا آخر وزيادة ما يزيل ذلك التخيل والاوّل كما تقول اللباس طويل واللابس قصير اذا رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة والثانى كما نحن فيه فانه زيد فيه لفظ واحد واثنين مع انفهام الوحدة والاثنينية من لفظ الموصوف اعتناء بشأنهما ودلالة على انهما الغرض المسوق له الكلام فكل واحد من لفظى اثنين وواحد وصف صناعى جيء به لبيان الغرض وتفسيره كما فى قوله تعالى ومامن دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه اذ قوله فى الارض صفة لدابة ويطير بجناحيه صفة لطائر ليدل على ان القصد الى الجنس دون الوحدة فالاثنان يشتركان فى ان الوصف فيهما للبيان ويفترقان من حيث انه فى الهين اثنين واله واحد لبيان القصد الى العدد دون الجنس بخلاف الوصف فى قوله تعالى ومامن دابة وفى قوله يطير بجناحيه فانه لبيان القصد الى الجنس دون العدد والخطيب الدمشقى اورد هذه الآية فى باب الوصف وذكر انه للبيان والتفسير واورده السكاكى فى باب عطف البيان مصرحا بانه من قبيل التابع الذى يراد به البيان والتفسير وذهب العلامة الى ان مذهب صاحب الكشاف ان الهين اثنين ونفخة واحدة من التأكيد الصناعى بناء على قوله شفع اسم اله والهين بما يؤكد للدلالة على ان المعنى بهما العدد لا الجنس ولا خلاف بينهم اذ ليس فى كلام السكاكى ما يدل على انه عطف بيان صناعى لانه لا يكون الا بتكرير لفظ المتبوع او بالفاظ مخصوصة وكلا الامرين منتف ههنا والفائدة الثانية لذكر العدد فى هذه الآية ما اشار اليه بقوله او ايماء بان الاثنينية تنافى الالهية ووجه الايماء ان توصيف الهين باثنين يشعر بان علة النهى هى الاثنينية وكونها منافية للالهية ووجه المنافاة انا لو فرضنا تعدّد الواجب لذاته لكانا مشتركين فى الوجوب الذاتى ومتباينين بالتعيين وما به المشاركة غير ما به المباينة فيكون كل واحد منهما مركبا من جزءين وكل مركب ممكن وقد فرض ان كل واحد منهما واجب لذاته هذا خلف ولانا لو فرضنا الهين فلا يخلو اما ان يكون كل واحد منهما علة مستقلة لكل واحد من الممكنات الموجودات او يكون لكل واحد منهما معلول مغاير لمعلول الآخر والاوّل يستلزم توارد العلتين المستقلتين على معلول شخصى والثانى يستلزم التمانع والتنازع ولانه لو حاول احدهما تحريك جسم مثلا والآخر تسكينه فاما ان يحصل مراد كل واحد منهما وهو محال لاستلزامه اجتماع الضدّين فى موضع واحد او لا يحصل مراد كل واحد منهما فيلزم عجزهما والعاجز لا يكون الها او يحصل مراد احدهما فيلزم عجز احدهما دون الآخر فلا يكون الآخر الها فثبت ان الاثنينية تنافى الالهية وانتظام قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا بما قبله انه معطوف على قوله ماخلق الله من شئ على اسلوب قوله * علفتها تبنا وماء باردا * وقوله * متقلدا سيفا ورمحا * اى وسقيتها ماء باردا وحاملا رمحا اى اولم ينظروا الى ماخلق الله من الدلائل الدالة على كمال قدرته ولم يستمعوا الى ماقاله الله واوحاه فى الكتب المنزلة من بيان التوحيد ونفى الشركاء ﴿قوله وتصريحا بالمقصود﴾ وهو ان الاله الذى ثبتت وحدته هو متكلم هذا الكلام ليسارع الى تأمل كلامه ويتعظ بما فيه من وجوه الهدى والرشاد ﴿قوله فاياى﴾ منصوب بفعل مقدّر بعده يفسره هذا الظاهر اى اياى ارهبوا فارهبون والواو فى قوله وله ما فى السموات عاطفة على قوله اله واحد وهو مفرد فيجب ان تأوّل الجملة المعطوفة ايضا بالمفرد لانها لما عطفت على الخبر كانت هى ايضا خبرا ويجوز كونها معطوفة على الجملة باسرها وهى قوله انما هو اله واحد ويجوز ان تكون واو ابتداء واستئناف فانه قد يؤتى بالواو اوّل كلام من غير ان يقصد بها عطف وتشريك وقوله واصبا حال من الدين والعامل فيها الاستقرار الذى تعلق به الحال الواقع خبرا والواصب الدآئم قال تعالى ولهم عذاب واصب قيل ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك الدين والطاعة بسبب فى حال الحياة او بالموت الا الحق تعالى فانه طاعته لازمة ابدا لان العلة فى كونه تعالى مطاعا وهى تفرّده بالالهية ثابتة لازمة له ابدا فيدوم له معلولها الذى هو الطاعة والانقياد ﴿قوله وقيل واصبا من الوصب﴾ وهو التعب ويكون بناء فاعل حينئذ للنسب بمعنى ذا وصب لان الدين فيه تكاليف ومشاق على العباد ﴿قوله واىّ شئ اتصل بكم من نعمة﴾ على انّ ما شرطية وفعل الشرط بعدها محذوف وقوله فمن الله جواب للشرط قال الفرآء التقدير ومايكن بكم وقد ردّ هذا الوجه بانه لا يحذف فعل الشرط الا بعد ان خاصة فى موضعين احدهما ان تكون فى باب الاشتغال نحو وان احد من المشركين استجارك لان المحذوف فى حكم المذكور والثانى ان تكون متلوّة بلا النافية وان يدل على الشرط مع ماتقدّم من الكلام كقوله

* فطلقها فلست لها بكفؤ * والا يعل مفرقك الحسام *

اى وان لا تطلقها اضرب رأسك بالسيف فحذف لدلالة قوله فطلقها ويحتمل ان تكون كلمة ما موصولة وبكم صلة فهى

(مبتدأ)

اوايماء بان الاثنينية تنافى الالهية كما ذكر الواحد فى قوله ﴿انما هو آله واحد﴾ للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية اوللتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية ﴿فاياى فارهبون﴾ نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة فى الترهيب وتصريحا بالمقصود فكأنه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياى فارهبون لاغيرى ﴿وله ما فى السموات والارض﴾ خلقا وملكا ﴿وله الدين﴾ اى الطاعة ﴿واصبا﴾ لازما لما تقرّر من انه الآله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزآء اى وله الجزآء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر ﴿أفغير الله تتقون﴾ ولا ضارّ سواه كما لا نافع غيره كما قال تعالى ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ اى واىّ شئ اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله تعالى لا لحصولها منه ﴿ثم اذا مسكم الضرّ فاليه تجأرون﴾ فما تتضرّعون الا اليه والجؤار رفع الصوت فى الدعاء والاستغاثة ﴿ثم اذا كشف الضرّ عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون﴾ وهم كفاركم

مبتدأ وقوله فمن الله خبرها زيدت الفاء فى الخبر لتضمن الموصول معنى الشرط ومن نعمة بيان للموصول والتقدير والذى استقرّ بكم من نعمة فهو من الله ولما كان مضمون الصلة فى مثله سببا لحصول مضمون الخبر كما فى قولك الذى يأتينى فله درهم وليس استقرار النعمة بالمخاطبين سببا لحصولها من الله بل الامر بالعكس بين المصنف ان الوجه فى كون مضمون الصلة شرطا لمضمون الخبر كون مضمونها سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى بين اوّلا انه يجب على العاقل ان لا يتقى غير الله ثم بين فى هذه الآية انه يجب عليه ان لا يشكر احدا الا الله اذ لا منعم غيره تعالى ثم بين انه اذا اتفق لاحدهم مضرّة توجب زوال شئ من تلك النعم فالى الله يجأر اى يرفع صوته بالاستغاثة والتضرّع لعلمه بانه لا تضرّع للخلق الا اليه فكأنه تعالى قال لهم فاين انتم عن هذه الطريقة فى حال الرخاء والسلامة ثم بين انهم عند كشف الضرّ وسلامة الاحوال يفترقون ففريق منهم يبقى على مثل ما كان عليه حال الضرّ اى لا يفزع الا الى الله وفريق منهم يتغير حالهم فيشركون بالله تعالى غيره وهذا غاية الجهل والضلالة لانه لما شهدت فطرته الاصلية عند نزول البلاء والضرّ بانه لا مفزع للعبد الا الله تعالى فعند زوال البلاء يجب ان لا ينصرف عن ذلك الاعتقاد ومقتضاه وهذا التقرير مبنى على ان يكون منكم صفة لفريق ومن للتبعيض وهذا انما يكون اذا كان الخطاب فى قوله ومابكم من نعمة عاما ويكون المراد بالفريق من دامت حالته فى دين الله واستمرّ على ما كان عليه من العبودية ﴿قوله﴾ كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة ﴿/قوله﴾ بان اضافوها الى شركائهم واصنامهم اشارة الى ان اللام فى قوله تعالى ليكفروا لام العاقبة كما فى قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا ولما كان شركهم مؤدّيا الى كفران النعمة صار الكفران لهم غرضا مطلوبا من الشرك فادخل عليه لام العلة تشبيها لعاقبة الشئ بعلته وقيل انها لام كى متعلقة بيشركون والمعنى ان اشراكهم سببه كفرهم به اى بالقرآن وبما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام من النبوّة والشرائع على ان يكون المراد بقوله تعالى بما آتيناهم القرآن والنبوّة وما يتفرّع عليهما ﴿قوله﴾ وقرئ فيتمتعوا ﴿/قوله﴾ بضم الياء التحتانية وهذا المضارع فى هذه القراءة يجوز ان يكون حذف النون فيه للنصب عطفا على ليكفروا ان كانت اللام فيه لام الصيرورة او للنصب ايضا ولكن على جواب الامر ان كانت اللام لام الامر الوارد للتهديد ويجوز ان يكون حذف النون فيه للجزم عطفا على ليكفروا ان كانت اللام فيه للامر ﴿قوله﴾ والتى لا يعلمونها ﴿/قوله﴾ فالمعنى ويجعلون لآلهتهم التى ليس اعتقادهم فى حقها علما فانهم يعتقدون انها آلهة وانها تنفع وتضرّ وان طاعتهم اياها تنفعهم واعراضهم عنها يضرّهم وليس شئ من هذه الاعتقادات علما لكونها مخالفة للواقع فصح ان يقال انهم لا يعلمونها فان من رأى شيأ واعتقد انه انسان وهو شجر او حجر صح ان يقال انه لا يعلم ذلك الشئ مع انه يعرف ذاته ولو كان لا يعلمونها بمعنى لا يعرفون ذاتها يفسد المعنى لانه يستحيل ان يجعل الشخص نصيبا من رزقه لمن لا يعلمه ﴿قوله﴾ او لجهلهم ﴿/قوله﴾ معطوف على قوله اى لآلهتهم والمعنى ويجعلون لعدم علمهم نصيبا والمجعول له هو الآلهة وحذف للعلم به والجعل بمعنى التصيير ونصيبا هو المفعول الاوّل للجعل والجار قبله هو الثانى ومما رزقناهم يجوز ان يكون نعتا لنصيبا وان يتعلق بالجعل فمن على الاوّل للتبعيض وعلى الثانى للابتداء وكان مشركوا العرب يجعلون لاوثانهم جزأ من اموالهم لقوله تعالى فى حقهم قالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا اى يجعلون نصيبا من الحرث والانعام لله تعالى يتقرّبون به اليه ونصيبا للاصنام يتقرّبون به اليها وقيل المراد بهذا النصيب البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ثم انه تعالى لما حكى عن هؤلاء المشركين قولهم الفاسد بطريق الغيبة التفت اليهم وخاطبهم مقسما على نفسه قائلا تالله لتسألن الخ اى انكم تسألون سؤال توبيخ وتهديد عما تقولونه على الله تعالى من انه امركم بذلك ويجوز فى ما يشتهون الرفع بالابتداء كأنه بعد ما حكى عنهم انهم يجعلون لله البنات استأنف به ويجوز ان تكون ما منصوبة المحل عطفا على البنات ولهم عطف على الله اى يجعلون لهم ما يشتهون وهذا الوجه يقتضى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشئ واحد فان ضمير الفاعل وهو واو يجعلون عبارة عن المشركين وكذا الضمير المجرور فى لهم عبارة عنهم ايضا وقد تقرّر فى النحو انه لا يجوز اتحاد ضميرى الفاعل والمفعول الا فى باب ظننت واخواتها من افعال القلوب ولا فرق فى عدم وقوعه بين ان يتعدّى الفعل الى الضمير بنفسه او بحرف الجرّ فلا يجوز زيد ضربه اى ضرب نفسه ولا زيد مرّ به اى مرّ بنفسه ويجوز زيد ظنه قائما وزيد فقده وعدمه اى ظن نفسه قائما وفقد نفسه وعدمها اذا تقرّر هذا فجعل ما منصوبة عطفا على البنات يؤدّى الى اتحاد ضميرى الفاعل والمفعول الذى عدّى اليه الفعل بحرف الجرّ * قال الامام اجاز الفرآء فى ما وجهين الاوّل ان تكون فى محل النصب على معنى

(ليكفروا) بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان فكأنه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البرّ فمنهم مقتصد (بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله تعالى (فتمتعوا) امر تهديد (فسوف تعلمون) اغلظ وعيده وقرئ فيتمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان تكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب (ويجعلون لما لا يعلمون) اى لآلهتهم التى لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التى لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به (نصيبا مما رزقناهم) من الزروع والانعام (تالله لتسألنّ عما كنتم تفترون) من انها آلهة حقيقة بالتقرّب اليها وهو وعيد لهم عليه (ويجعلون لله البنات) كانت خزاعة وكنانة يقولون ان الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه له من قولهم او تعجب منه (ولهم ما يشتهون) يعنى البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو ان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشئ واحد لكنه لا يبعد تجويزه فى المعطوف

ويجعلون لانفسهم مايشتهون والثانى ان يكون رفعا على الابتدآء لانه تم الكلام عند قوله سبحانه ثم ابتدأ فقال ولهم مايشتهون يعنى البنين وهو كقوله ام له البنات ولكم البنون ثم اختار الوجه الثانى لانه لو كان فى محل النصب ينبغى ان يقال ولا نفسهم مايشتهون لانك تقول جعل لنفسه كذا وكذا ولا تقول جعل له وابى الزجاج اجازة الوجه الاوّل وقال مافى موضع رفع لاغير والتقدير ولهم الشئ الذى يشتهون ولا يجوز النصب لان العرب تقول جعل لنفسه مايشتهى ولا تقول جعل له مايشتهى وهو معنى لنفسه انتهى ماذكره الامام بعبارته والحاصل ان الممتنع هو اتحاد ضمير الفاعل مع ضمير المفعول بان يكونا عبارتين عن شئ واحد فلا يمتنع ان يقال زيد ضرب نفسه وضرب نفسه زيد اذ لامتناع اتحاد الضمير شرط آخر وهو ان يكون كل واحد من الضميرين متصلا اذلو كان ضمير المفعول منفصلا جاز اتحاده مع الضمير المرفوع نحو زيد ماضرب الا اياه والمصنف فرق بين اتحاد ضمير الفاعل مع ضمير المفعول المذكور ابتدآء وبين اتحاده مع ضمير المفعول المذكور معطوفا على ضمير المفعول المرفوع بالابتدآء وجعل الممتنع هو الاتحاد على الوجه الاوّل دون الوجه الثانى **قوله** اخبر بولادتها يعنى ان التبشير ههنا بمعنى الاخبار مطلقا وان كان فى عرف اللغة مختصا بالاخبار بالخبر الذى يفيد السرور والاخبار بولادة الانثى لما لم يفد السرور حمل على مطلق الاخبار **قوله** صار اودام النهار كله يعنى ان ظلول الشئ على صفة قد يعبر به عن كونه عليها فى تمام النهار وقد يكون بمعنى صيرورته عليها مطلقا وعلى التقديرين يكون ظل من الافعال الناقصة ووجهه اسمها ومسودّا خبرها **قوله** واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير التشوير التخجيل يقال شوّر به فتشوّر اى انجله فخجل اذا فعل به مايستحيى منه والمناسب التشوّر بدل التشوير ولعله سهو من قلم الناسخ وقوله كناية عن الاغتمام لكون اسوداده وغبرته من لوازم الغم كما ان اشراقه واستنارته من لوازم الفرح فان الانسان اذا قوى فرحه انبسط روح قلبه الى الاطراف فيستبشر وجهه واذا قوى غمه تختنق الروح فى داخل قلبه فلا يبقى منها اثر قوىّ فى ظاهر الوجه فلا جرم يصفرّ وجهه ويظهر فيه اثر الارضية والكآبة **قوله** محدّثا نفسه اشارة الى ان الجملة الاستفهامية معمولة لشئ محذوف هو حال من فاعل يتوارى وهو مراد من قال انها فى موضع الحال لان النحاة قد نصوا على ان الحال لاتقع جملة طلبية فالمعنى يتوارى محدّثا نفسه ومتفكرا أيمسكه على هون وتذكير ضمير يمسكه ويدسه اعتبارا بلفظ ما فى قوله مابشر به وقوله على هون يحتمل ان يكون حالا من الفاعل المسك اومن المفعول اى يمسكها ذليلة مهانة والدس اخفاء الشئ والمراد به ههنا الوءد وهو دفن المولود حيا وكانت العرب تدفن البنات احياء خوفا من الفقر عليهنّ وطمع غير الاكفاء فيهن نقل عن صحيح مسلم انه عليه الصلاة والسلام قال *من ابتلى من البنات بشئ فاحسن اليهنّ كن له سترا من النار* وقال عليه الصلاة والسلام *من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة انا وهو كهاتين* وضم اصابعه اخرجهما مسلم **قوله** المنادية بالموت وصف الحاجة الى الولد التى هى بيان صفة السوء فان الافراد الانسانية يطرأ عليهم الموت والفناء والملائكة لاتتوالد لكون انفسهم مصونة عن تطرّق الفناء اليها **قوله** اومن دابة ظالمة عطف على قوله من دابة قط قيل على الاوّل التنكير فى الدابة للجنس وعلى هذا النوع ولما دل ظاهر الآية على ان ظلم الناس يوجب اهلاك جميع الدواب ظالمة كانت اوغير ظالمة ولا وجه لاهلاك غير الظالمة منها اشار المصنف الى ان الآية على ظاهرها وان هلاك الجميع بسبب شؤم ظلم الناس وايده بما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قيل فى طريق هلاك الجميع انه تعالى يمسك القطر بشؤم ظلمهم وانقطاعه يوجب انقطاع النسل فلا يبقى على ظهرها دابة قط وقوله وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء اى وذلك يستلزم ان لا يبقى فى العالم احد من الناس اذ من المعلوم انه لا احد الا وفى آبائه من يستحق العذاب فاذا هلكوا فقد انقطع نسلهم فيلزم ان لا يبقى فى العالم احد من الناس وذلك يستلزم ان لا يبقى احد من الدواب ايضا لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد ومصالحهم واذا لم يبق من يتفع بها فقد انتفت الحكمة فى بقائها فوجب اهلاكها ووجه انتظام الآية بما قبلها انه تعالى لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وقبيح قولهم بين انه يمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة لحكمة توجب ذلك **قوله** ولا يلزم من عموم الناس جواب عن احتجاج الطاعنين فى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية قائلين انه تعالى اضاف الظلم الى ما يعبر به عن جميع اولاد آدم من الانبياء وغيرهم فلو لا ان كل واحد منهم اتى بالذنب والمعصية لما صحت اضافة المعصية الى كافة الناس* وتقرير الجواب انا لا نسلم ان اضافة الظلم الى الناس بناء على كون كلهم ظالمين لجواز ان يضاف الحكم الصادر عن بعض القوم الى كلهم نحو بنوا فلان قتلوا زيدا مع ان القاتل واحد منهم فلما جاز ذلك فبالاولى

(ان يضاف)

(واذا بشر احدهم بالانثى) اخبر بولادتها (ظلّ وجهه) صار اودام النهار كله (مسودّا) من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير (وهو كظيم) مملوء غيظا من المرأة (يتوارى من القوم) يستخفى منهم (من سوء مابشر به) من سوء المبشر به عرفا (أيمسكه) محدّثا نفسه متفكرا فى ان يتركه (على هون) ذلّ (ام يدسه فى التراب) ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما (ألا ساء مايحكمون) حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ماهذا محله عندهم (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة السوء وهى الحاجة الى الولد المنادية بالموت واشتهاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهنّ خشية الاملاق (ولله المثل الاعلى) وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين (وهو العزيز الحكيم) المتفرّد بكمال القدرة والحكمة (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ماترك عليها) على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس او الدابة عليها (من دابة) قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم اومن دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء (ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى) سماه لاعمارهم اولعذابهم كى يتوالدوا (فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) بل هلكوا وعذبوا حينئذ لامحالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لجواز ان يضاف اليهم ماشاع فيهم وصدر عن اكثرهم

ان يضاف اليهم ماشاع فيهم وصدر عن اكثرهم *واجيب ايضا بانه قد ثبت بالدلائل القاطعة ان كل الناس ليسوا بظالمين منها قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولو كان المقتصد والسابق ظالمين لفسد ذلك التقسيم فعلمنا ان المقتصدين والسابقين ليسوا ظالمين فثبت بهذا الدليل انه لايجوز ان يقال كل الخلق ظالمون فوجب ان يخصص الناس المذكورون فى قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بالعصاة الذين هم استحقوا العقاب او يحمل التفريق فيه على العهد والمعهود المشركون الذين تقدّم ذكرهم والذين اثبتوا لله البنات وعلى التقديرين يسقط استدلال الطاعنين فى عصمتهم بهذه الآية

قوله والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال معطوفان على البنات فانهم كما يكرهون البنات والشركاء فى رياستهم يكرهون ايضا ان يستخف رسلهم وان يخصصوا برذائل الاموال وان يخص شركاؤهم فى رياستهم بكرائم الاموال ثم انهم يجعلون لله تعالى جميع هذه المكروهات عندهم فانهم يسمون الملائكة بنات الله ويثبتون له شركاء فى الوهيته ويستخفون برسله ويجعلون ارذل اموالهم وللاصنام اكرمها

قوله مع ذلك الجعل المشتمل على القول والفعل القبيحين الجمهور على ان الكذب منصوب على انه مفعول به وان لهم الحسنى بدل منه بدل كل من كل اى تصف ألسنتهم معنى كاذبا غير مطابق للواقع وهو ان لهم الحسنى عند الله فى الآخرة *فان قيل كيف يحكمون بذلك وهم كانوا منكرين للقيامة *اجيب بان جميعهم لم ينكروا القيامة بل كان فى العرب جمع يقرّون بالبعث والقيامة حتى روى انهم كانوا يربطون البعير النفيس على قبر الميت ويتركونه الى ان يموت ويقولون ان ذلك الميت اذا حشر فانه يحشر معه مركوبه *واجيب ايضا بان حكمهم بذلك لايستلزم اعتقادهم بالبعث والقيامة لجواز ان يكونوا منكرين لها طبعا ويكون حكمهم بذلك مبنيا على الفرض والتقدير بان يقولوا ان كان محمد صادقا فى قوله بالبعث والنشور فانه يحصل لنا الجنة والثواب بهذا الدين الذى نحن عليه ويؤيد هذا الجواب ماحكاه الله تعالى عنهم بقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى فان كلمة ان انما تستعمل فى الامور المحتملة التى لاقطع بتحققها والاصل ان فريقا من الكفار يدّعى الاشتراك مع المؤمنين فى نعيم الآخرة كما كان لهم اشتراك معهم فى نعيم الدنيا كقوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون ومنهم من ادّعى ان نعيم الآخرة لانفسهم خاصة وان النار للمؤمنين لما يرون اكثر المؤمنين على الفقر والقلة ويرون انفسهم اصحاب السعة فى انواع الاموال فيحتمل ان يكون قوله تعالى وتصف ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى واردا فى حق الذين ادّعوا ان الجنة لانفسهم خاصة ثم كذبهم الله تعالى فى قولهم بان لهم الحسنى فقال لاجرم ان لهم النار اى حقا ان لهم النار وقيل لاردّ لقولهم اى ليس الامر كما وصفوا وزعموا جرم فعلهم اى كسب ذلك القول فعلى هذا يكون أنّ مع ما فى حيزه فى محل النصب بوقوع الكسب عليه

قوله من افرطته فى طلب الماء اذا قدّمته وهو منقول بالهمزة من فرط الى كذا اى تقدّم اليه وجعل صاحب الكشاف فعل وافعل بمعنى حيث قال فالمفتوح بمعنى مقدّمون الى النار مجعلون اليها من افرطت فلانا وفرطته فى طلب الماء اذا قدّمته والمعنى على قراءة نافع انهم متجاوزون الحدّ فى معاصى الله تعالى وافرط بمعنى تجاوز الحدّ لازم فلا يجئ منه اسم المفعول ويقال فرّط فى الامر بالتشديد اذا قصر فيه ثم انه تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم فيما كان يناله من الغم بسبب جهالات القوم فقال تالله لقد ارسلنا الآية وختم تسليته بما يدل على انك لم تبعث الا لتبلغ وتبين للناس ماهو الحق من العقائد والاعمال لالان تلتفت الى سفاهات قومك وجهالاتهم وتغتم لاجلها فقال وما انزلنا عليك الكتاب الآية ثم انتقل الى تقرير دلائل الوهيته وتفرّده بها فقال والله انزل من السماء ماء الآية تنبيها على ان دلائل حقية مادعوت اليه واضحة وان من خالفك فانما يخالف عنادا فلا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون

قوله فان الانعام اسم جمع علة لقوله للفظ يعنى ان انعاما اسم مفرد بمعنى الجمع مثل أسمال وأخلاق وأكياش وأعشار فانها اسماء مفردة حيث يوصف بها المفرد يقال ثوب اسمال واخلاق اذا كانت الخلوقة فيه كله وكذا السمول يقال خلق الثوب وسمل اى بلى وثوب اكياش وهو ضرب من الثياب يغزل غزله مرتين وفى المثل عليك بالثوب الاكياش فانه من ثياب الاكياس ويقال ايضا برمة أعشار

قوله دلالة يعبر بها اشارة الى ان العبرة مصدر بمعنى العبور اطلق على مايعبر به الى العلم مبالغة فى كونه سببا للعبور وقيل ذكر الضمير فى بطونه مع ان الظاهر ان يقال فى بطونها لرجوعه الى الانعام لكون المراد بعضا منها وهو

(ويجعلون لله مايكرهون) اى مايكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء فى الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال (وتصف السنتهم الكذب) مع ذلك وهو (ان لهم الحسنى) اى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة (لاجرم ان لهم النار) ردّ لكلامهم واثبات لضدّه (وانهم مفرطون) مقدّمون الى النار من افرطته فى طلب الماء اذا قدّمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من الافراط المعاصى وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته فى طلب الماء ومكسورا من التفريط فى الطاعات (تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم) فأصرّوا على قبائحها وكفروا بالمرسلين (فهو وليهم اليوم) اى فى الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اى زين الشيطان للكفرة المتقدّمين اعمالهم وهو ولىّ هؤلاء اليوم يغرّهم ويعويهم وان يقدّر مضاف اى فهو ولىّ امثالهم والولىّ القرين حيث كان او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه (ولهم عذاب اليم) فى القيامة (وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم) للناس (الذى اختلفوا فيه) من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين (والله انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها) انبت فيها انواع النبات بعد يبسها (ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون) سماع تدبر وانصاف (وان لكم فى الانعام لعبرة) دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم

﴿نسقيكم مما فى بطونه﴾ استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه فى سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عدّه سيبويه فى المفردات المبنية على أفعال كاخلاق وأكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده اوله على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفى المؤمنين ﴿من بين فرث ودم لبنا﴾ فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزآء اللطيفة التى فى الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام فى الكرش وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادّة اللبن واعلاه مادّة الدم الذى يغذى البدن لانهما لا يتكوّنان فى الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوّة المميزة تلك المائية بمازاد على قدر الحاجة من المرتين ويدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع الباقى على الاعضاء بحسبها فيجرى الى كل حقه على مايليق به بتقدير العليم الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذآئها لاستيلاء البرودة والرطوبة على مزاجها فيندفع الزآئد اوّلا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزآئد او بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى فى احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارّها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرّفة فيها كل وقت على مايليق به اضطرّ الى الاقرار بكمال حكمته وتناهى رحمته ومن الاولى تبعيضيه لان اللبن بعض مافى بطونها والثانية ابتدآئية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذى يبتدئ منه الاسقاء وهى متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدّمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة ﴿خالصا﴾ صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رآئحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزآء الكثيفة بتضييق مخرجه ﴿سائغا للشاربين﴾ سهل المرور فى حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف

اشارة الى ان الذكور لا ألبان لها فكان العبرة انما هى لبعض منها وقيل ذكر باعتبار ماذكر ومن فى قوله مما فى بطونه يجوز ان تكون للتبعيض لان اللبن بعض مافى بطونها وفى قوله من بين فرث لابتدآء الغاية لان الاسقاء يبتدأ من المكان الواقع بين الفرث والدم وهو اللبن الواقع اوّلا فى خلال الفرث وثانيا فى خلال الدم ويجوز ان تكون الاولى لابتداء الغاية فيكون مجرور الثانية بدلا من مجرور الاولى لئلا يتعلق جارّان متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد وهو نسقيكم وهو من بدل الاشتمال لان المكان مشتمل على ماحل فيه ومن فتح النون فى قوله نسقيكم فدليله واضح اذيقال سقيته ماء ولبنا وماكان سقيا للشفعة فهو بفتح النون ومن ضم النون جعله من قولهم اسقاه اذا جعل له شربا كقوله تعالى وأسقيناكم ماء فراتا اى جعلناه لكم شربا وقيل سقى واسقى كلاهما بمعنى والفرث سرجين الكرش لكل مجترّ وهو للحيوان بمنزلة المعدة للانسان قال المص فى الفرث وهو الخ يوهم ان يكون هو فى قوله وهو بعض الاشياء راجعا الى الفرث وليس كذلك بل ينبغى ان يكون راجعا الى الدم لان المنهضم بعض الانهضام فى الكرش هو الدم لا الفرث اى بعض الاشياء الماكولة ثم قال الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث *قال الامام القول الصحيح فى كيفية تولد اللبن ان الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته اوالى كرشه سوآء كان من الانعام اوغيرها فاذا طبخ وحصل الهضم الاوّل فيه فما كان منه صافيا يجذب الى الكبد وماكان كثيفا ينزل الى الامعاء ثم ذلك الذى يحصل منه فى الكبد ينطبخ فيها ويصير ماء وذلك هو الهضم الثانى ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية اما الصفراء فتذهب الى المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة واما ذلك الدم فانه يدخل فى الاوردة وهى العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد والضروع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضروع والضرع لحم غددىّ رخو ابيض فيقلب الله عز وجل الدم الى صورة اللبن فاذا تقرّر هذا ظهر ان الدم واللبن ليسا البتة فى الكرش ومنعه الحس ايضا فان هذه الحيوانات تذبح ذبحا متواليا ومارأى احد فى كرشها لادما ولا لبنا ولو كان تولد اللبن والدم فى الكرش لوجب ان يشاهد ذلك فى بعض الاحوال والشئ الذى دلت المشاهدة على فساده لم يجب المصير اليه فقول من قال ان المراد من قوله تعالى من بين فرث ودم هو ان هذه الثلاثة تتوالد من موضع واحد فالفرث يكون فى اسفل الكرش والدم يكون فى اعلاه واللبن يكون فى الوسط قول مخالف للحس والتجربة وايضا لو تولد الدم فى اعلى المعدة والكرش كان تحته لكان الحيوان يقيئ الدم وذلك باطل قطعا فلذلك ذهب المحققون الى ان المراد من قوله تعالى نسقيكم من بين فرث ودم لبنا انما نسقيكم لبنا متولدا من الاجزاء التى كانت حاصلة فيما بين الفرث اوّلا ثم كانت حاصلة فيما بين الدم ثانيا فصفاه الله تعالى عن تلك الكثيفة الغليظة وخلق فيها الصفات التى باعتبارها صارت لبنا موافقا لبدن الطفل وانما قلنا ان مادة اللبن كانت حاصلة فيما بين الفرث اوّلا والدم ثانيا بناء على ان اللبن انما يتولد من بعض اجزاء الدم والدم انما يتولد من الاجزآء اللطيفة التى فى الفرث وهى الاشياء المأكولة الحاصلة فى الكرش ﴿قوله ومن تدبر صنع الله الخ﴾ بيانه من وجوه الاوّل انه تعالى خلق فى اسفل المعدة منفذا يخرج منه ثفل الغذآء فاذا تناول الانسان غذآء وشربه انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا لا يخرج منه شئ من ذلك المأكول والمشروب الى ان يكمل انهضامه فى المعدة وينجذب ماصفا منه الى الكبد ويبقى الثفل هناك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه الثفل فحصول الانطباق تارة والانفتاح اخرى بحسب الحاجة وبقدر المنفعة مما لا يتأتى الا بتقدير العليم الحكيم والثانى انه تعالى اودع فى الكبد قوّة هاضمة طباخة تطبخ بهاتلك الاجزآء اللطيفة فى الكبد وتنقلب دما ثم انه تعالى اودع فى المرارة قوّة جاذبة للصفراء وفى الطحال قوّة جاذبة للسوداء وفى الكلية قوّة جاذبة لزيادة المائية حتى يبقى الدم صافيا اى الصافى الموافق لما تقدّم منه فى البدن وتخصيص كل واحد من هذه الاعضاء بتلك القوّة الحاصلة فيها لا يمكن الا بتقدير العليم الحكيم والثالث ان فى الوقت الذى يكون الجنين فى رحم الامّ ينصب من ذلك الدم نصيب وافر اليه حتى يصير مادّة لعموم اعضاء ذلك الولد وازدياده فاذا انفصل ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك النصيب الى جانب الثدى يتولد منه اللبن الذى يكون له غذآء فاذا كبر الولد لم ينصب ذلك النصيب لا الى الرحم ولا الى الثدى بل ينصب الى جميع بدن المغتذى فانصباب ذلك الدم فى كل وقت الى عضو آخر انصبابا موافقا للحكمة والمصلحة لا يتأتى الا بتقدير الفاعل المختار الحكيم والرابع انه تعالى جعل الثقوب والمسام التى احدثها فى حملة الثدى ضيقة جدّا بحيث اذا اتصل المص والحلب بتلك الحملة لا يخرج منها الا ماكان فى غاية الصفاء واللطافة فانه لا يمكنها

الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى محبوسة فى الداخل فكانت حملة الثدى بسبب ضيق المنافذ كالمصفاة فبهذا الطريق يصير ذلك اللبن خالصا موافقا لبدن الصبى سائغا للشاربين والخامس انه تعالى ألهم ذلك الصبى وهداه الى المص فان الام لما ألقمت حلمة الثدى للطفل الصغير ألهمه ذلك العمل المخصوص والا لما حصل بتخليق ذلك اللبن فى الثدى فائدة والى غير ذلك من غرائب الحكم ودقائق الفضل والرحمة فسبحان من شهد بجميع ذرّات الاعلى والاسفل بكمال قدرته وبدائع حكمته له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ﴿قوله والسكر مصدر﴾ سكر يسكر سكرا وسكرا سمى به الخمر تسمية للشئ باسم مسببه *فان قيل الخمر محرّمة فكيف ذكرها الله تعالى فى معرض الانعام اجيب عنه بان هذه السورة مكية وتحريم الخمر نزل فى سورة المائدة وهى مدينة فكان نزول هذه الآية قبل كونها محرمة وقيل السكر هو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتدّ وهو حلال عند ابى حنيفة قدّس الله روحه الى حدّ السكر واحتجّ عليه بان هذه الآية تدل على ان السكر حلال لانه تعالى ذكره فى معرض الانعام والمنة وردّ بقوله عليه الصلاة والسلام *الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب حرام باخبار جة *قيل ان اباعلىّ الجبائى صنف كتابا فى تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن العافية قيل له لو شربت منه تقوى فابى فقيل له قد صنفت فى تحليله فقال تناولته الدمارة فسمح بالمروءة اى صحبه اصحاب الدمارة وهى الخبث والفجور فقبح فى المروءة للتشبه بهم يقال رجل داعر اى خبيث فاجر وفيه دعارة والكلام على حذف المضاف اى تناولته اصحاب الدمارة ﴿قوله والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها﴾ بطريق التعريض حيث عطف قوله ورزقا حسنا على السكر ومايكون مقابلا للرزق الحسن لاجرم يكون قبيحا ومكروها ﴿قوله والا﴾ اى وان كانت نازلة بعد تحريمها تكون جامعه بين العتاب والمنة اذ قوله رزقا حسنا بطريق المنة كانه تعالى وبخهم على الجمع بين السكر والرزق الحسن ﴿قوله وقيل الطعم﴾ اى قيل السكر الطعام واحتجّ عليه بقوله *جعلت اعراض الكرام سكرا* اى جعلت ذمهم وغيبتهم طعاما ونقلا النقل بالضم مايتنقل به على الشراب وقيل هذا بالخمر اشبه منه بالطعام والمعنى جعلت تتخمر باعراض الكرام جعل شغفه بغيبتهم وتمزيق اعراضهم جاريا مجرى شرب الخمر وقيل السكر سدّ الجوع من السكر بفتح السين وسكون الكاف وهو مصدر سكرت النهر اسكره اذا سددته ﴿قوله يستعملون عقولهم﴾ يعنى ان قوله يعقلون لم يقصد تعديته الى المفعول بل هو منزل منزلة اللازم ﴿قوله ألهمها وقذف فى قلوبها﴾ اى سخرها وقرّر فى نفوسها هذه الاعمال التى يعجز عنها العقلاء من البشر وان كانوا فى غاية الذكاء والكياسة وقوله وقذف عطف تفسير لقوله ألهمها فان الهام البهائم ان يسخرها الله تعالى وينشئها على طبائع يصدر عنها مايصدر من الاحوال الغريبة من غير ان يعلمها احد كسباحة الاوز وطيران الطير فى الهواء بطبعهما من غير تعلم ومعنى كون الفعل طبيعيا ان لا مدخل للاختيار فيه لا كون الطبيعة مؤثرة فيه اذ لا مؤثر الا الله تعالى قال القرطبى الالهام هو مايخلقه الله تعالى فى القلب ابتداء من غير سبب ظاهر قال تعالى ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها ومن ذلك البهائم ومايخلقه الله تعالى فيها من ادراك منافعها واجتناب مضارّها وتدبير معايشها الا ترى حذاقة النحل فى صنعتها وبنائها البيوت المسدّسة من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض فانها لو كانت مربعة بقيت منها فرج ضائعة عند دخولها فيها ولو كانت مستديرة بقيت الفرج التى بين البيوت ضائعة والعقلاء من البشر لا يمكنهم بناء مثل هذه البيوت الا بآلات وادوات مثل المسطرة والبركار وبالجملة لو كانت تلك البيوت مشكلة بما عدا الشكل المسدّس من الاشكال لبقى فى داخلها او فيما بينها فرج خالية ضائعة فاهتدآء ذلك الحيوان الضعيف الى هذه الصنعة المشتمل على الحكمة اللطيفة واخراج العسل منه فى ذلك من غير تفكر وسابق تدبير دليل على ان احدا القى فى قلوبها كما يلقى الشيطان وسوسته ويلهم الملك بنى آدم اشياء من غير ان علموا ان احدا دعاهم الى ذلك او القى فى قلوبهم لانها لما وقعت فى قلوبها من غير ان يسبق منها فكر وتدبير علم ان هناك ملقيا واخراج العسل المصفى من لعابه دليل قاطع وبرهان ساطع على ان لهذا العالم آلها قادرا عليما حكيما يفعل ما يشاء ﴿قوله ولعل ذكره﴾ ذكر اوّلا ان البيت هنا مستعار لمحل النحل تشبيها له بما يبنيه الانسان ويبيت فيه من الابنية فى اشتماله على حسن الصنعة وصحة القسمة ثم قال لعل النكتة فى سلوك الاستعارة التنبيه على ما فى محل العسل من الصنائع العجيبة التى لا يقدر عليها المهندسون الا بالآلات والانظار الدقيقة ﴿قوله من كل ثمرة تشتهيها﴾ اشارة الى ان الاستغراق المدلول عليه بقوله من كل الثمرات المراد به الاستغراق العرفى كما فى قوله تعالى

﴿ومن ثمرات النخيل والاعناب﴾ متعلق بمحذوف اى ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اى من عصيرهما وقوله ﴿تتخذون منه سكرا﴾ استئناف لبيان الاسقاء او تتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اى ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاوّلين لانه للمضاف المحذوف الذى هو العصير اولان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمى به الخمر ﴿ورزقا حسنا﴾ كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال *جعلت اعراض الكرام سكرا* اى تنقلت باعراضهم وقيل مايسدّ الجوع من السكر فيكون الرزق مايحصل من ثمانه ﴿ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون﴾ يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل فى الآيات ﴿واوحى ربك الى النحل﴾ ألهمها وقذف فى قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ﴿ان اتخذى﴾ بان اتخذى ويجوز ان تكون ان مفسرة لانّ فى الايحاء معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر ﴿من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون﴾ ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبنى فى كل جبل وكل شجر وكل مايعرش من كرم او سقف ولا فى كل مكان منها وانما سمى ماتبنيه لتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التى لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء للياء وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء

و اوتيت من كل شئ فان بلقيس لم تؤت جميع ما يطلق عليه اسم الشئ بل المراد انها اوتيت من كل شئ اوتى الملوك اياه فقوله تعالى ان اتخذى من الجبال بيوتا ثم قوله كلى من كل الثمرات فيه طباق وهو الجمع بين معنيين متقابلين فى الجملة لانه اورد فى الاوّل من التبعيضية وفى الثانى كلمة كل وفيه ارشاد لها الى وجوه العمل وترتيبه حيث سخرها الله تعالى لان تسوّى البيت ثم تأخذ من كل ثمرة جزأ للجرس للعسل ﴿قوله﴾ فاسلكى ما اكلت فى مسالكه ﴿اى التى هى اجوافك وعروقك على ان قوله فاسلكى امر من سلكت الشئ فى الشئ فانسلك اى ادخلته فيه فدخل وهو متعدّ ولهذا قدّر قوله ما اكلت ليكون مفعولا والسبل مجاز عن مسالك الغذاء وهى الاجواف والعروق فقوله من اجوافك بيان للمسالك وقوله اوفاسلكى الطرق على ان قوله فاسلكى لازم من السلوك والسبل مجاز والمراد سبل عمل العسل وقوله فاسلكى راجعة على ان فاسلكى لازم والسبل حقيقة والمراد سبل الرجوع الى البيوت فهذه ثلاثة اوجه اى اذا اكلت الثمار فى المواضع البعيدة عن بيوتك فاسلكى سبل ربك راجعة الى بيوتك والجرس اكل النحل وهو فى الاصل صوت النحل عند الاكل سمى اكلها جرسا لانها تصوّت عند الاكل وزاد صاحب الكشاف احتمالا رابعا وهو ان يكون المراد بالسبل سبل الذهاب الى طلب الثمار ويكون المعنى ثم اقصدى اكل الثمار فاسلكى فى طلبها ومظانها سبل ربك ولعلّ الوجه فى عدم التفات المصنف اليه كونه مستلزما لان يكون قوله ثم كلى بمعنى ثم اقصدى اكل الثمار والفاء فى فاسلكى على ماهو الوجه الاوّل للعطف والتعقيب وعلى الوجوه الاخر جواب شرط محذوف اى اذا اكلتها فاسلكى ﴿قوله﴾ وانت ذلل ﴿جمع الخبر مع ان المبتدأ مفرد لان الخطاب فى قوله تعالى فاسلكى سبل ربك لجنس النحل بدليل قوله تعالى واوحى ربك الى النحل وقد اشار المصنف اليه بقوله وتأنيث الضمير على المعنى يعنى ان الجنس فى معنى الجماعة ﴿قوله﴾ عدل به عن خطاب النحل ﴿على طريق الامر التكليفى اظهارا لكمال قدرته ووحدانيته وتخلص منه الى خطاب الناس وامتنانه بما انعم عليهم بخلق النحل والهامه لاجل انتفاعهم والظاهر ان توجه الامر والتكليف الى البهائم كما فى هذه الآية وفى قوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم على طريق التمثيل شبه خلق الله تعالى اياها على غرائز وطبائع توجب ما اسند اليها من الاحوال بامرها وتكليفها فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به وان كان لا يبعد ان يكون لهذه الحيوانات عقول تصلح بها لان يتوجه اليها من الله تعالى امر ونهى ثم ان كانت النحل نوعين احدهما مايسكن الجبال والغياض جمع غيضة ولا يكون تحت تصرّف احد من الناس وثانيهما مايسكن فى بيوت الناس وما يعرشونه اى يبنونه ويرفعونه من سقوف البيت ويكون فى تصرّفهم فالاوّل هو المراد بقوله تعالى اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر والثانى هو المراد بقوله تعالى ومما يعرشون اى يعرشه الناس والعرش سرير الملك وعرش البيت سقفه والعرش والعريش مايستظل به وعرش يعرش عرشا اى بنى بيتا من خشب والمراد بما يعرشه الناس ههنا اما ما يبنونه لانفسهم من البيوت ويؤمر النحل بان تتخذ بعضا منها بيوتا تعسل فيها واما ما يبنونه للنحل من الاماكن وهى خلايا النحل ﴿قوله﴾ واحتجّ به ﴿اى بقوله تعالى يخرج من بطونها * اعلم انهم اختلفوا فى كيفية حصول العسل فالمشهور ان النحل تأكل من الازهار والاوراق العطرة فما اكلته ينقلب فى جوفها وداخل بدنها عسلا ثم تقئ ادّخارا للشتاء وذلك هو العسل ومنهم من يقول يحدث فى الهوآء طل لطيف فى الليالى فيقع على اوراق الاشجار والازهار وقد يكون كثيرا يجتمع منه اجزآء محسوسة كالترنجبيل وقد تكون الاجزآء الطلية صغيرة لطيفة فالنحل تلتقط تلك الذرّات اللطيفة من الازهار والاوراق بافواهها وتتغذى بها فاذا شبعت التقطت شيأ آخر من تلك الذرّات وذهبت بها الى بيوتها كانها تدخر بها غذاءها للشتاء فاذا اجتمع فى بيوتها شئ كثير من تلك الاجزآء الطلية ينعقد عسلا ومال الامام الى هذا المذهب وقال انه اقرب الى العقل والاستقرآء ومال المصنف الى ماهو المختار عند المحققين من الحكماء حيث قال اوّلا فاسلكى اى ادخلى ما اكلت فى اجوافك التى تحيل النور المرّ عسلا وهو تصريح بان ما اكلته النحل انما ينقلب عسلا فى اجوافها ومنافذها كلها لا فى خلاياها ومعاسلها ثم قال ومن ذهب الى المذهب الآخر فقد احتاج الى تفسير البطون بالافواه ويدل على ضعف هذا المذهب ايضا قوله تعالى ثم كلى فانه يدل على ان لمعدة النحل تأثيرا فى تكوّن العسل ومن جعل العسل نباتيا محضا فسر البطون بالافواه فليت شعرى ماذا يصنع بقوله تعالى ثم كلى ﴿قوله﴾ اما بنفسه او مع غيره ﴿اشارة الى جواب مايقال من ان تعريف الناس يفيد العموم فدلت الآية على ان العسل شفاء من كل داء مع انه

(ثم كلى من كل الثمرات) من كل ثمرة تشتهيها مرّها وحلوها (فاسلكى) ما أكلت (سبل ربك) فى مسالكه التى يجعل فيها بقدرته النور المرّ عسلا من اجوافك اوفاسلكى الطرق التى الهمك فى عمل العسل اوفاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس (ذللا) جمع ذلول وهى حال من السبل اى مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك اومن الضمير فى اسلكى اى وانت ذلل منقادة لما امرت به (يخرج من بطونها) عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم (شراب) يعنى العسل لانه مما يشرب واحتجّ به من زعم ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل فى باطنها عسلا ثم تقيئ ادّخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزآء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها فى بيوتها ادّخارا فاذا اجتمع فى بيوتها شئ كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه (مختلف ألوانه) ابيض واصفر واحمر واسود بحسب اختلاف سن النحل والفصل (فيه شفاء للناس) اما بنفسه كما فى الامراض البلغمية اومع غيره كما فى سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم

يضرّ الصفراوى والمحمومين والمحرورين *وتقرير الجواب ان مايكون علاجا للصفراوى ايضا انما يتم ويكمل بالعسل فيكون شفاء من كل داء بهذا الاعتبار ثم اجاب بمنع دلالة الآية على ان العسل شفاء لكل مرض لانه تعالى لم يقل شفاء لكل الناس ولكل داء وفى كل حال بل اشار بتنكير شفاء الى ان فيه بعض الشفاء وان جاز ان يكون التنكير فيه لتعظيم ما فيه من الشفاء وماروى عن قتادة رضى الله عنه انما يدل على كونه شفاء فى الجملة لاعلى كونه شفاء لكل داء لجواز ان يكون استطلاق بطن الرجل من فضلة بلغمية فاحتاج الى شرب العسل لانضاجها ودفعها وقوله عليه الصلاة والسلام *وكذب بطن اخيك * معناه ان بطنه لم يأخذ من العسل ماينضج مادّته ويصلح مزاجه الا انه لما ذكر قوله صدق الله حسن ان يقال فى جنبه كذب بطن اخيك روما للمشاكلة ﴿قوله﴾ فكأنما انشط من عقال ﴿﴾ اى تخلص يقال نشطت الحبل انشطه اى عقدته وانشطته اى حللته وقد يقال كانما نشط من عقال وليس بصحيح ﴿قوله﴾ وقيل الضمير للقرءآن ﴿﴾ تمم الامتنان على الناس بخلق النحل والهامه طريق تولد العسل منه عند قوله يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ثم ابتدأ وقال فيه شفاء للناس اى فى هذا القرءآن شفاء للناس من آفة الكفر والبدعة ولم يرض المصنف بهذا القول لان الاصل فى الضمير ان يرجع الى اقرب المذكورات قبله وما ذلك الا قوله شراب مختلف الوانه وارجاعه الى مالم يذكر قبله بعيد ولان قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث قتادة *صدق الله وكذب بطن اخيك * يدل على انه عليه الصلاة والسلام جعل ضمير فيه للشراب المذكور قبله فلاوجه لجعله راجعا الى القرءآن ثم انه تعالى لما استدل على ان هذا العالم لابدّله من آله واجب الوجود لذاته ببعض احوال النبات ثم ببعض عجائب الحيوان اتبعه بذكر اختلاف اعمال الناس ومراتبها واختصاص كل مرتبة بحكم يخالف حكم باقى المراتب والعقلاء ضبطوا مراتب اعمار الانسان فى اربع المرتبة الاولى سن النشو والنماء ونهايته الى ثلاثين سنة اوالى خمس وثلاثين سنة والمرتبة الثانية سن الوقوف وهوسن الشباب ونهايته الى ان تتم اربعون سنة من عمره والمرتبة الثالثة سن الكهولة وهو سن الانحطاط اليسير الخفى ونهايته الى سبعين سنة والرابعة وهو سن الانحطاط العظيم الظاهر وتمامه عند الاطباء الى مائة وعشرين سنة فاختلاف احوال البدن الحيوانى بالتزايد والوقوف والانحطاط الخفى والجلىّ مع استوآء احوال التربية والتدبير الكائنين من قبل نفسه يدل على انه بتدبير الفاعل المختار قبل الارتداد الى ارذل العمر وارادبه محض الكافر لان المسلم لايزداد بسبب طول العمر الاكرامة عندالله تعالى ولايجوز ان يقال فى حقه انه تعالى ردّه الى ارذل العمر لقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الاالذين آمنوا وعملوا الصالحات فانه صريح فى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لايردّون الى اسفل سافلين وعن عكرمة ان من قرأ القرءآن لايردّ الى ارذل العمر ﴿قوله﴾ ليصير الى حالة ﴿﴾ اللام فى هذه العبارة لام كى المفيدة للتعليل والفعل بعدها منصوب باضمار ان المصدرية ويحتمل ان تكون لام العاقبة والتى فى نظم القرءآن لايجوز ان تكون لام كى لان كى بعدها مذكورة صريحا بل هى امالام العاقبة اواللام التى تكون لمجرّد التعليل من غيران يضمر بعدها ان المصدرية وكى بعدها مصدرية ناصبة بنفسها للفعل بعدها وهى مع منصوبها فى تأويل مصدر مجرور باللام المتعلقة بقوله يردّ ولااشعار لكى بالتعليل فى هذا الموضع قال ابو البقاء شيأ منصوب بالمصدر على قول البصريين وبعلم على قول الكوفيين انتهى يعنى انه من قبيل ماتنازع فيه عاملان لانه قدتقدّمه عاملان يعلم وعلم فعلى رأى البصريين وهو المختار يكون منصوبا بعلم وقوله تعالى لكيلا يعلم بعدعلم شيأ كناية عن النسيان لان الناسى يلزمه ان يعلم شيأ ثم ينساه فلا يعلمه بعد ما علمه وهذه صفة الاطفال والهرم بكسر الراء الشيخ الفانى ﴿قوله﴾ فنكم غنىّ ومنكم فقير ﴿﴾ وليس غنى المكثر من كياسته ووفور عقله وكثرة سعيه واجتهاده ولا فقر المقل من بلادته ونقصان عقله وقلة سعيه فانك ترى اكيس الناس واكثرهم عقلا وفهما يفنى عمره فى طلب القليل فى الدنيا ولاينال ذلك وترى أجهل الناس واخسهم عقلا وفهما ينفتح عليهم ابواب الدنيا ولو كان الغنى منوطا بالسعى وكمال العقل لماوجد فى اكل الناس عقلا واكثرهم سعيا فى تحصيل الدنيا من هواقل نصيبا منها فلما رأينا الاعقل الافضل اقل نصيبا منها والاخس الاجهل اوفر نصيبا علمنا ان ذلك بسبب قسمة القسام الذى يفعل مايشاء كما قال الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا روى عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه قال ومما يدل على أن القضاء والقدر حق بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق وهذا التفاوت غير مختص بالمال بل هو حاصل فى الذكاء

وعن قتادة ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرئ فكأنما انشط من عقال وقيل الضمير للقرءآن او لما بين الله من احوال النحل ﴿ ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لابدّ من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه ﴿ والله خلقكم ثم يتوفاكم ﴾ بآجال مختلفة ﴿ ومنكم من يردّ ﴾ يعاد ﴿ الى ارذل العمر ﴾ اخسه يعنى الهرم الذى يشابه الطفولية فى نقصان القوّة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون سنة ﴿ لكيلا يعلم بعد شيأ ﴾ ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية فى النسيان وسوء الفهم ﴿ ان الله عليم ﴾ بمقادير اعمارهم ﴿قدير﴾ يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم الفانى وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدّل امزجتهم على قدر معلوم ولوكان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ ﴿ والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ﴾ فنكم غنىّ ومنكم فقير ومنكم موالى يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك ﴿ فما الذين فضلوا برادّى رزقهم ﴾ بمعطى رزقهم ﴿ على ماملكت ايمانهم ﴾ على مماليكهم فانما يردّون عليهم رزقهم الذى جعله الله تعالى فى ايديهم ﴿ فهم فيه سوآء ﴾ فالموالى والمماليك سوآء فى ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقرّرة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كأنه قيل فما الذين فضلوا برادّى رزقهم على ماملكت ايمانهم فيستووا فى الرزق على انه ردّ وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته فى الالوهية ولايرضون ان تشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه

والبلادة والحسن والقبح والصحة والسقم ونحو ذلك اسند الله تعالى تفاوت ارزاق عباده الى نفسه ويلزم منه كونه تعالى هو الرازق للجميع على وجه فضل بعضهم على بعض فى الرزق ثم فرّع عليه ان المفضلين فى الرزق ليسوا رازقين مماليكهم شيأ من الرزق الكائن من قبلهم بل الرازق للجميع هو الله تعالى وحده لكنه اجرى رزق المماليك على ايدى الموالى فقوله فما الذين فضلوا لازم لما قبله وقوله فهم فيه سوآء اى الجميع فى الرزق من الله سوآء لازم للجملة المنفية متفرّع عليها اومقرّر مؤكد لها ويجوز ان يكون جوابا للنفى المذكور قبله ردّا على المشركين ﴿قوله وقرأ ابو بكر﴾ اى وقرأ الباقون بياء الغيبة مراعاة لقوله فما الذين فضلوا وقوله فهم فيه سوآء ثم انه تعالى استدل على وجود الاله العليم القادر المختار بنوع آخر من احوال الناس فقال مخاطبا للكل والله جعل لكم اى انه تعالى خلق النساء ليتزوّج بهنّ الذكور وجعل ازواجهم من جنسهم ليستأنسوا بهنّ ومن جعل خطاب الجمع فى قوله جعل لكم من انفسكم ازواجا للتعظيم وحمله على خلق حوّآء من نفس آدم فقد ارتكب خلاف الظاهر من غير ضرورة ﴿قوله فان الحافد هو المسرع فى الخدمة﴾ يعنى ان الحفدة وان كانت اعم من البنات والاعم لادلالة له على الخاص الا ان البنات لكونها اكمل فى الخدمة واسرع فيها يتبادر الذهن من لفظ الحفدة اليها عند الاطلاق قال الواحدى اصل الحفدة من الحفد وهو الخفة فى الخدمة والعمل يقال حفد يحفد حفدا وحفودا اذا اسرع ومنه ما فى دعاء القنوت واليك نسعى ونحفد فالحفدة جمع الحافد وهو كل من يحفد فى خدمتك ويسرع فى العمل بطاعتك فمعنى الحفدة فى اللغة الاعوان والخدم ثم يجب ان يكون المراد من الحفدة الاعوان الذين حصلوا للرجل من قبل المرأة لانه تعالى قال وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة فالاعوان الذين لايكونون من قبل المرأة لايدخلون تحت هذه الآية فلذلك قيل هم الاختان وقيل الربائب وقيل هم الاصهار وقيل ولد الولد والاولى دخول الكل فيه لما بينا من ان اللفظ يحتمل الكل من حيث كونه موضوعا للقدر المشترك بين الكل ثم انه تعالى لما ذكر انعامه على عبيده بالمنكوح ومافيه من المنافع والمصالح ذكر انعامه عليهم بطيبات النعم نباتية كانت اوحيوانية فقال ورزقكم من الطيبات ثم قال تعالى افبالباطل يؤمنون والهمزة فيه للانكار والتوبيخ والفاء للدلالة على ان صدور ما اسند اليهم من القبائح عنهم بعد تقرّر ماذكر قبلها اشدّ قباحة وضلالة والمراد بالباطل اعتقاد ان الاصنام تنفعهم اواعتقاد ان من الطيبات مايحرم عليهم وكذا الكلام فى قوله تعالى أفبنعمة الله يجحدون والمراد بنعمة الله ما انعم به على جميع عباده من الرزق وسوّى فيه بين الموالى والمماليك وبجحودها اضافة بعضها الى الشركاء وانكار كونها من الله تعالى اوما انعم به عليهم من ايضاح الدلائل الدالة على تفرّده تعالى بالوهيته وتنزهه عن الشركاء والانداد وبجحودها عدم الالتفات الى تلك الدلائل وترك التأمل فيها بالانهماك فى تقليد الآباء الضالين بين الله تعالى انه هو الرازق لجميع عباده من الموالى والمماليك ثم فرّع عليه توبيخ المشركين على اتخاذهم الشركاء وانكر عليهم بقوله افبنعمة الله يجحدون باضافة بعض مارزقهم الله الى تلك الشركاء وجحود انه من عند الله اواوضح لهم دلائل الحق ثم وبخ عليهم لعدم التفاتهم اليها ورجوعهم بها الى الحق ثم فصل لذآئذ النعم اوحالاتها ثم اعاد التوبيخ على المشركين فيما هم عليه من الاعتقاد الباطل والمذهب الزآئغ وقدّم المعمول على عامله فى الموضعين ولايصار اليه الا لنكتة وهى ههنا اما الاهتمام ووجهه ان الغرض الذى سيق له الكلام فى الاوّل ليس انكار نفس الجحود بل الغرض انكار متعلق الجحود وهو نعمة الله تعالى فكان محل الاهتمام فقدّم المفعول لذلك واما ايهام التخصيص مبالغة فان تقديم المفعول به يفيد الحصر والتخصيص فكانه قيل فلا يجحدون الا بنعمة الله ولايؤمنون الا بالباطل ولما لم يستقم ارادة حقيقة التخصيص كفى ان يراد مايفيد التخصيص ولما كان نسبة جحود نعمة الله اليهم كافيا فى توبيخهم كان نسبة تخصيص الجحود بها اليهم ابلغ فى التوبيخ وكذا نسبة الايمان بالباطل لما كان كافيا فى التوبيخ كان نسبة ذلك اليهم بطريق يفيد التخصيص ابلغ فيه ﴿قوله وبنعمة الله هم يكفرون﴾ داخل فى حيز الاستفهام الانكارى ويفهم من تقرير المصنف ان قوله تعالى ويعبدون من دون الله معطوف على قوله يكفرون بيانا وتفسيرا لكفرهم بنعمة الله لقوله فان اتخاذ الشركاء يقتضى ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدون انه من عند الله ﴿قوله ورزقا ان جعلته مصدرا فشيأ منصوب به﴾ على معنى لايملك ان يرزق شيأ وان كان بمعنى المرزوق المنتفع به كان شيأ بدلا منه بمعنى لاقليلا ولا كثيرا ومن السماء والارض متعلق بقوله رزقا ان كان مصدرا والمعنى لايملك لهم ان يرزق من جانب السماء المطر ومن جانب

﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾ حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضى ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله اوحيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمين الجحود معنى الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله تعالى خلقكم وفضل بعضكم ﴿والله جعل لكم من انفسكم ازواجا﴾ اى من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حوّآء من آدم ﴿وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة﴾ واولاد اولاد وبنات فان الحافد هو المسرع فى الخدمة والبنات يخدمن فى البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ من اللذآئذ اومن الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق فى الدنيا انموذج منها ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ وهو ان الاصنام تنفعهم اوان من الطيبات مايحرم عليهم كالبحائر والسوائب ﴿وبنعمة الله هم يكفرون﴾ حيث اضافوا نعمه الى الاصنام اوحرّموا ما أحل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام اولايهام التخصيص مبالغة اوللمحافظة على الفواصل ﴿ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ﴾ من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيأ منصوب به والا فبدل منه

﴿ولا يستطيعون﴾ ان يملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده فى مالا يملك لان ما مفرد فى معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار اى ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرّفون شيأ من

ذلك فكيف بالجماد ﴿فلا تضربوا لله الامثال﴾ فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ﴿ان الله يعلم﴾ فساد ما تعوّلون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل فى التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون ﴿وانتم لا تعلمون﴾ ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهى او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبدونه فقال ﴿ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرّا وجهرا هل يستوون﴾ مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرّف رأسا ومثل نفسه بالحرّ المالك الذى رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرّف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشراك والتسوية بينهما مع تشاركهما فى الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التى هى اعجز المخلوقات وبين الله الغنى القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحرّ فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرّف يدل على ان المملوك لا يملك والا ظهر ان من نكرة موصوفة لتطابق عبدا وجمع الضمير فى يستوون لانه للجنسين فان المعنى هل يستوى الاحرار والعبيد ﴿الحمد لله﴾ كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها ﴿بل اكثرهم لا يعلمون﴾ فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها ﴿وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم﴾ ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم ﴿لا يقدر على شئ﴾ من الصنائع والتدابير لنقصان عقله ﴿وهو كل على مولاه﴾ عيال وثقل على من يلى امره ﴿اينما يوجهه﴾ حيث ما يرسله مولاه فى امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضى ﴿لا يأت بخير﴾ بنجح وكفاية مهم ﴿هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل﴾ ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لجامع الفضائل ﴿وهو على صراط مستقيم﴾ وهو فى نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعى

الارض النبات والثمار التى تخرج منها او متعلق بمحذوف هو صفة لرزقا ان كان اسما لما يرزق ﴿قوله ولا يستطيعون ان يملكوه﴾ جواب عما يقال من ان قوله لا يستطيعون فعل متعدّ يستدعى مفعولا تقديره ولا يستطيعونه ومعناه بعينه معنى قوله لا يملك لهم رزقا فهو من عطف الشئ على نفسه * وتقرير الجواب انا لا نسلم ان لا يستطيعون يستدعى تقدير ضمير يرجع الى الرزق بل اجرى مجرى اللازم كقولك فلان يعطى ويمنع اى يفعل الاعطاء والمنع فالمعنى انهم لا يملكون رزقا وليس لهم استطاعة اصلا وان سلنا انه يستدعى ذلك لكن لا نسلم ان ذلك الضمير يرجع الى الرزق بل هو راجع الى تملك الرزق والمعنى انهم لا يقدرون على تملك الرزق فضلا عن ان يملكوه بالفعل ﴿قوله فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه﴾ يعنى ان المقصود بنهيهم عن الاشراك تفريعه على قوله ويعبدون من دون الله الخ فانه تعالى لما وصف المشركين بانهم يعبدون ما لا يملك شيأ من الرزق ولا استطاعة لهم اصلا فرع على ذلك نهيهم عن ان يجعلوا له مثلا يشركون به تعالى فى الوهيته او يقيسون تعظيمه على تعظيم ذلك المثل بان يقولوا هو مثل له تعالى فى استحقاق التعظيم لما ان عبادة عبيد الملك ادخل فى تعظيمه من عبادة نفسه بالذات فالمثل على الاوّل ما يعبدونه من الشركاء وعلى الثانى ما يقيسونه به مما يعظم شانه عندهم ﴿قوله فساد ما تعوّلون عليه﴾ اى تعتمدون عليه فى ان تجعلوا له مثلا ومن القياس بيان ما ﴿قوله وجعله قسيما﴾ اى توصيف العبد بانه مملوك لا يقدر على شئ ثم جعله قسيما لقوله ومن رزقناه الخ يدل على ان المملوكية تنافى المالكية فان الفقهاء احتجوا بهذه الآية على ان العبد لا يملك شيأ ووجه دلالتها عليه انه ثبت فى اصول الفقه ان الحكم المذكور عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الوصف علة لذلك الحكم وكونه عبدا وصف مشعر بالذل والمقهورية وقوله لا يقدر على شئ حكم مذكور عقيبه فهذا يقتضى ان يكون العلة لعدم القدرة على شئ هى كونه عبدا مملوكا فثبت ان العبد لا يملك شيأ وان ملك والآية تدل على ما ذكر من وجه آخر وهو انه تعالى قال بعد ذكر العبد ومن رزقناه منا رزقا حسنا فوجب ان لا يحصل هذا الوصف للعبد حتى يحصل الامتياز بين القسم الثانى والاوّل فانه لو ملك العبد لكان الله تعالى قد آتاه رزقا حسنا لان الملك الحلال رزق حسن سواء كان قليلا او كثيرا فلا يكون احد القسمين قسيما للآخر ﴿قوله وقيل هو تمثيل للكافر المخذول﴾ فالمعنى على الاوّل لا يستوى عندكم العبد المملوك العاجز عن التصرّف بالحرّ المالك الذى قدر رزقه الله المال فهو يتصرّف فيه وينفق كيف يشاء فكيف يستوى من يملك الانفاق والانعام على التوالى والدوام وهو المعبود الحق بمن لا يملك شيأ من ذلك وهو المعبود الباطل وعلى الثانى لا يستوى عندكم العبد والحرّ المذكوران فكيف يستوى المؤمن الموفق للطاعات والخيرات والاعمال الصالحة التى يجهر بها المؤمن ويخفيها فى بيته والكافر المخذول الذى حرمه الله التوفيق فهو لا يحصل منه عمل صالح ولا يوفق لباب من ابواب الطاعات والانفاق قد يعبر به عن العمل الصالح حتى ذهب بعض المفسرين فى قوله تعالى لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون الى ان المعنى حتى تعملوا الطاعات فان العامل المطيع ينفق قواه وجوارحه ابتغاء لوجه الله تعالى والانفاق سرّا وجهرا اتيان ما يجهر به من الاعمال كالصلوات المفروضة والحج والجهاد والاعمال التى تظهر للناس واتيان ما يخفى من الاعمال كالنوافل التى يصنعها المرء فى بيته والاعمال القلبية ثم انه تعالى لما بين امتناع المساواة بين العبد المملوك الذى لا يقدر على شئ وبين السيد الكريم الغنى على الاطلاق عقبه بقوله الحمد لله للدلالة على انه تعالى هو الغنىّ المطلق القادر على الانفاق والافضال وان من يعبد الاصنام التى لا تملك ولا تقدر على شئ البتة فى غاية الجهالة والضلال ﴿قوله تعالى اينما يوجه لا يأت بخير﴾ مجزوم ان على انهما شرط وجزآه وقرئ اينما يوجه بالهاء الواحدة الساكنة وكسر الجيم وفاعله ضمير الابكم فيكون يوجه بمعنى يتوجه يقال وجه يوجه بمعنى توجه يتوجه مثل قدّم بمعنى تقدّم وقد اشتهر ان المقدّمة بمعنى المتقدّمة وقوله اينما اوجه الق سعدا مثل يضرب لمن يتلقاه الشرّ اينما يتوجه وكان اصله ان رجلا اسمه اضبط كان سيد قومه فاصابه منهم جفوة فارتحل عنهم الى آخرين فرأهم يصنعون بساداتهم مثل صنع قومه فقال اينما اوجه الق سعدا وسعد كان رجلا شريرا والنجح والنجاح الظفر بالحوائج وفى الكلام حذف ما يقابل قوله احدهما ابكم كأنه قيل والآخر ناطق متصرّف قادر على الصنائع والتدابير لكمال عقله وسلامة اعضائه وهو خفيف على مولاه ولا يتحمل التعب والمؤونة من قبله اصلا اينما يوجهه يأت بخير ونجح دل عليه قوله هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وقوله ومن يأمر مرفوع

وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال مايقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها اولمؤمن والكافر ﴿ولله غيب السموات والارض﴾ يختص به علمه لايعلمه غيره وهو ماغاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض ﴿وما امر الساعة﴾ وما امر قيام القيامة فى سرعته وسهولته ﴿الا كلمح البصر﴾ الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها ﴿او هو اقرب﴾ اوامرها اقرب منه بان يكون فى زمان نصف تلك الحركة بل فى الآن الذى يبتدأ فيه فانه تعالى يحيى الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان فى آن وأو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشئ الذى يقولون فيه هو كلمح البصر اوهو اقرب مبالغة فى استقرابه ﴿ان الله على كل شئ قدير﴾ فيقدر على ان يحيى الخلائق دفعة كما قدر أن احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال ﴿والله اخرجكم من بطون امهاتكم﴾ وقرأ الكسائى بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها وحزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها فى اهراق ﴿لاتعلمون شيأ﴾ جهالا مستحبين جهل الجمادية ﴿وجعل لكم السمع والابصار والافئدة﴾ اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرار الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها ﴿لعلكم تشكرون﴾ كى تعرفوا ما انعم الله عليكم طورا بعد طور فتشكروا

معطوف على الضمير المرفوع فى يستوى وسوّغه الفصل بالضمير المنفصل وقوله وهو على صراط مستقيم اما استئناف او حال ﴿قوله وانما قابل تلك الصفات﴾ اى الاربع وهى انه ابكم وانه عاجز لايقدر على شئ وانه كل اى ثقيل على مولاه وان مولاه اينما يرسله لايأت بخير وهى صفات الاصنام فانها لاتسمع ولاتنطق وانها عاجزة لاتقدر على شئ وانها كل على عابديها تحتاج الى ان تحملها وتضعها وتمسح عنها ماوقع عليها من الاذى وتخدمها والى اىّ مهم يوجهها عابدوها لاتأت بخير قابل تعالى تلك الصفات الاربع بهذين الوصفين وهما كونه آمرا بالعدل وكونه فى نفسه على صراط مستقيم لانهما كمال مايقابل تلك الصفات الاربع لان كونه آمرا بالعدل يتضمن كونه ذافهم منطيقا قادرا على كفاية الناس وارشادهم الى مافيه صلاح حالهم فى الدارين يحثهم على العدل الشامل لجامع الفضائل وكونه على صراط مستقيم وسيرة صالحة سنية يتضمن كونه بحيث انه الى اىّ مطلب يتوجه يبلغه ويظفر به باقرب سعى فالرجل الموصوف بتلك الصفات الاربع اذا لم يكن مساويا فى الفضل والشرف لمن اتصف بهذين الوصفين مع استوائهما فى الخلقة والصورة البشرية فلأن يحكم بان الجماد لايكون مساويا لرب العالمين فى المعبودية كان اولى اوفلا ن لايكون الكافر مساويا للمؤمن كان اولى بين الله تعالى بضرب هذا المثل ان الذى لاينطق بالحق ولايأمر بالعدل ليس كالذى يأمر بالعدل مع كونه فى نفسه متصفا بالعدل متباعدا عن الظلم والجور وبين فى المثل الاوّل ان الذى لايملك الانفاق ليس كالذى يملكه ﴿قوله يختص به علمه﴾ وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه مثل نفسه بالذى يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ومعلوم ان احدا لايكون كذلك الا اذا كان كاملا فى العلم والقدرة فبين بقوله ولله غيب السموات والارض كونه كاملا فى العلم وبين كمال قدرته بقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر والساعة هى الوقت الذى تقوم فيه القيامة سميت ساعة لانها تفجأ الانسان فى ساعة فيموت الخلق بصيحة واحدة وقوله او هو اقرب ليس المراد منه الشك بل المراد بل هو اقرب اضرابا عن تشبيه امر قيام الساعة فى السرعة برجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها ولاشك ان الحدقة مؤلفة من اجزاء لاتتجزأ ولمح البصر عبارة عن مرور الجفن على جملة تلك الاجزاء التى منها تتركب الحدقة فيكون الزمان الذى يحصل فيه لمح البصر مركبا من آنات وازمان متعاقبة والله تعالى قادر على اقامة القيامة فى زمان واحد من تلك الازمان فلذلك اضرب عن تشبيه الاوّل الى الحكم بانه اقرب تنبيها على ذلك وقال الزجاج المراد الابهام على المخاطبين انه تعالى يأتى بالساعة فى زمان لمح البصر وفيما هو اقل منه لان المراد من تشبيه امر قيامها بامر لمح البصر تشبيه زمان الاوّل بزمان الثانى وهذا هو الذى اراد المصنف بقوله اوللتخيير لانه تعالى لما ابهم الامر عليهم فقد خيرهم بين الامرين وعلى الوجهين يكون المقصود تقريب وقوعها وان كان بعيدا بالنسبة الينا ﴿قوله والهاء مزيدة﴾ يعنى ان اصل امهاتكم اماتكم الا انه زيدت الهاء فيه كما زيدت فى اهراق اصله اراق وقوله لاتعلمون شيأ حال من مفعول اخرجكم اى اخرجكم غير عالمين وقوله شيأ منصوب اما على المصدرية اى شيأ من العلم اوعلى انه مفعول به والعلم ههنا العرفان فيتعدّى الى واحد ﴿قوله مستحبين جهل الجمادية﴾ اى لا الجهل الذى هو عدم العلم عما من شأنه ان يكون عالما لان الجنين فى بطن امّه فى حكم الجماد لخلوّه عن العلوم البديهية رأسا فضلا عن العلوم النظرية المكتسبة التى يترتب عليها العلوم البديهية فان النفس فى مبدأ الفطرة كانت خالية عن جميع العلوم الا انه تعالى لما خلق لها قوى وحواس ظاهرة وباطنة توسلت بها الى ان ترسم فيها ماهيات المحسوسات لما بينها وبينها من المشاركات والمباينات وان تنتزع منها صورا كلية بصورة تتمكن بترتيبها على وجه خاص من اكتساب المجهولات التصوّرية وتتمكن بادراك النسبة بين بعض تلك التصوّرية مع بعض من ايقاع تلك النسبة وانتزاعها وادراك انها واقعة وليست بواقعة مثل ادراك ان الكل اعظم من الجزء ومثل هذه الادراكات علوم تصديقية يتمكن للنفس ترتيبها على الوجه الخاص من اكتساب المجهولات التصديقية فظهر ان السبب الاوّل لحدوث العلم فى النفس هو انه تعالى اعطى هذه الحواس واليه اشار بقوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ليصير حصولها سببا لانتقال نفوسكم من الجهل الى العلم بالطريق المذكور * فان قيل قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار عطف على قوله اخرجكم ويفهم منه ان يكون جعل لكم السمع والابصار متأخرا عن الاخراج من البطن وليس كذلك * فالجواب ان حرف الواو لايقتضى الترتيب وايضا اذا حملنا السمع على الاستماع والابصار على الرؤية زال السؤال وهذا اذا جعلنا قوله

﴿الم يروا الى الطير﴾ قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب للعامة ﴿مسخرات﴾ مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المؤاتية له ﴿فى جوّ السماء﴾ فى الهواء المتباعد من الارض ﴿مايمسكهنّ﴾ فيه ﴿الا الله﴾ فان ثقل جسدها يقتضى سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ﴿ان فى ذلك لآيات﴾ تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجوّ بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها فى الهوآء على خلاف طبعها ﴿لقوم يؤمنون﴾ لانهم هم المنتفعون بها ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنا﴾ موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول ﴿وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا﴾ هى القباب المتخذة من الادم

ويجوز ان تتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها ﴿تستخفونها﴾ تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها ﴿يوم ظعنكم﴾ وقت ترحالكم ﴿ويوم اقامتكم﴾ ووضعها او ضربها وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ﴿ومن اصوافها واوبارها واشعارها﴾ الصوف للضأن والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها ﴿اثاثا﴾ مايلبس ويفرش ﴿ومتاعا﴾ مايتجر به ﴿الى حين﴾ الى مدّة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدّة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم ﴿والله جعل لكم مما خلق﴾ من الشجر والجبل والابنية وغيرها ﴿ظلالا﴾ تقون بها حرّ الشمس ﴿وجعل لكم من الجبال اكنانا﴾ مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن ﴿وجعل لكم سرابيل﴾ ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها ﴿تقيكم الحرّ﴾ خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدّين اولأن وقاية الحرّ كانت أهم عندهم ﴿وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ يعنى الدروع والجواشن والسربال يعم كل مايلبس ﴿كذلك﴾ كاتمام هذه النعم التى تقدّمت ﴿يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾ اى تنظرون فى نعمه فتؤمنون به اوتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اى تشكرون فتسلمون من العذاب اوتنظرن فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع ﴿فان تولوا﴾ اعرضوا اولم يقبلوا منك ﴿فانما عليك البلاغ المبين﴾ فلا يضرّك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب ﴿يعرفون نعمة الله﴾ اى يعرف المشركون نعمة الله التى عدّدها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ﴿ثم ينكرونها﴾ بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن ادآء حقوقها وقيل نعمة الله نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعادا لانكار بعد المعرفة ﴿واكثرهم الكافرون﴾ الجاحدون عنادا وذكر الاكثر امالان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط فى النظر اولم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف

واما لانه يقام مقام الكل كما فى قوله بل اكثرهم لايعلمون ﴿ويوم نبعث من كل امّة شهيدا﴾ وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ﴿ثم لايؤذن للذين كفروا﴾ فى الاعتذار اذلا عذر لهم وقيل فى الرجوع الى الدنيا ﴿ثم لزيادة مايحيق بهم من شدّة المنع عن الاعتذار لمافيه من الاقناط الكلى على مايمنون به من شهادة الانبياء عليهم السلام ﴿ولاهم يستعتبون﴾ ولاهم يسترضون من العتبى وهى الرضى وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر اوخوّفهم اويحيق بهم مايحيق

وجعل معطوفا على اخرجكم فيكون داخلا فيما اخبر به عن المبتدأ ويجوز ان يكون مستأنفا كما قال البغوى ثم الكلام عند قوله لاتعلمون شيأ ثم ابتدأ فقال وجعل لكم السمع الآية لان الله تعالى جعل هذه الاشياء لهم قبل الخروج من بطون الامّهات ﴿قوله والاسباب المؤاتية له﴾ اى الموافقة للطلب يقال آتيته على ذلك الامر مؤاتاة اذا وافقته وطاوعته والعامة تقول واتيته * قال الامام هذا دليل على كمال قدرته فانه لولا انه تعالى خلق الطير خلقة يمكنه معها الطيران وخلق الجوّ خلقة يمكنه معها الطيران فيه لما امكن ذلك فانه تعالى اعطى الطير جناحا تبسطه مرّة وتكسره اخرى مثل مايعمل السابح فى الماء وخلق الهوآء خلقة لطيفة رقيقة يسهل بسببها خرقه والنفاذ فيه ولولا ذلك لما كان الطيران ممكنا ﴿قوله وقرأ الحجازيان﴾ وهما نافع وابن كثير والبصريان وهما ابوعمرو ويعقوب ﴿يوم ظعنكم﴾ بفتح العين والباقون بسكونها وهما لغتان كالشعر والشعر والنهر والنهر * واعلم ان البيوت التى يسكن الانسان فيها على قسمين احدهما البيوت المتخذة من الخشب والطين والحجر والآلات التى بها يمكن تسقيف البيوت واليها الاشارة بقوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا اى ماتسكنون فيه والجعل بمعنى الخلق فيتعدّى الى واحد وهو سكنا ومن بيوتكم متعلق بمحذوف على انه حال من سكنا قدّم عليه لكونه نكرة ويجوز ان يكون بمعنى التصيير فيكون سكنا مفعوله الثانى والقسم الثانى من البيوت القباب والخيام والفساطيط واليه الاشارة بقوله تعالى وجعل لكم من جلود الخ اى بيوتا يمكن نقلها وتحويلها من مكان الى مكان والظعن فى الاصل سير البادية لنجعة اوحضور ماء والنجعة بالضم طلب الكلأ فى موضعه وقد يطلق على طلب كل مايتغذى به من الطعام او طلب مربع وقد يطلق الظاعن على كل خارج للسفر والسكن المسكن وانشد الفرآء

* جاء الشتاء ولم اعدد له سكنا * ياويح نفسى من حفر القراميص *

والبيت مايأوى الانسان اليه ليلا لبيت فيه وجعل السكن بعضا من البيوت يدل على ان السكون المعتبر فى السكن بمعنى الاقامة التى هى ضدّ السفر ويؤيده ان المصنف فسر السكن بقوله موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم فكان هذا قرينة على ان المراد بالسكن البيوت المتخذة من الحجر والمدر والخشب قال المفسرون الاثاث انواع متاع البيت من الفرش والالبسة من قولهم شعر اثيث اى كثير واث النبت يئث أثا اذا كثر والتف ولا واحد للاثاث وقيل واحدها اثاثة وعطف المتاع على الاثاث لما اقتضى المغايرة بينهما اشار المصنف الى الفرق بينهما بان حمل المتاع على مايتجر به والاثاث على مالايقصد به التجارة بل يقصد به الخدمة من الاكتساء والتغطى والافتراش وقوله اثاثا الظاهر انه منصوب عطفا على بيوتا اى وجعل لكم من اصوافها اثاثا فيكون قد عطف المجرور على المجرور والمنصوب على المنصوب ﴿قوله والسربال يعم كل مايلبس﴾ سوآء كان لبسه للتوقى عن الحرّ والبرد او عن الشدّة فى الحرب ولايخص بالاوّل بدليل انه تعالى جعل مايقى عن شدّة الطعن والضرب والرمى من قبيل السرابيل ﴿قوله وقرئ تسلمون﴾ بفتح التاء واللام مضارع سلم وهو مناسب لقوله تقيكم بأسكم فان المراد به الدروع الملبوسة فى الحروب الا ان المصنف لم يرض بكونه مربوطا به واختار كونه مربوطا بقوله كذلك يتم نعمته عليكم كما انه مرتبط به على قرآءة العامة ﴿قوله وهذا من اقامة السبب مقام المسبب﴾ يعنى ان ماهو جواب للشرط حقيقة محذوف وهو فانت معذور ولما كان تبليغه عليه الصلاة والسلام سببا لكونه معذورا غير متضرّر بقولهم اقيم هذا السبب مقام المسبب وجعل جوابا للشرط وقوله تعالى يعرفون نعمة الله استئناف لبيان حالهم فى توليهم عن الايمان وذمهم بانهم يعرفون جميع ماانعم الله تعالى عليهم من النعم المذكورة فى هذه السورة وغيرها ويعترفون بان جميعها من الله ثم ينكرونها بان يقولوا رزقنا الله اياها بشفاعة آلهتنا فلايشكرونها والتولى عن الايمان بهذا الطريق لما كان يستلزم مجاهرة الكفار عنادا لجواز ان لايعلم المتولى المذكور بطلان اعتقاد ان ما انعم الله عليه انما هو بشفاعة الآلهة قال واكثرهم الكافرون ترقيا فى ذمهم بمعنى انهم مع كونهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها كافرون * فان قيل هم كلهم كافرون فما معنى قوله واكثرهم الكافرون * قلنا لانه لما حمل الكافر على الجاحد المعاند خرج من تولى جاهلا بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه غير معاند ولانه كثيرا ما يراد الجميع بلفظ الاكثر كما فى قوله تعالى الحمد لله بل اكثرهم لايعلمون ثم انه تعالى لما ذكر الذين تولوا عن الايمان ووصفهم بما وصفهم اتبعه بالوعيد فذكر حال يوم القيامة فقال ويوم نبعث اى اذكر يوم نبعث ﴿قوله يمنون﴾ اى يبتلون * الجوهرى منوته ومنيته اذا ابتليته ﴿قوله ولاهم يسترضون﴾ هو من الارضاء لامن الرضى اى لايطلبون الارضاء على ان الاستعتاب طلب العتبى

وهو اسم بمعنى الاعتاب الذى هو ازالة العتب فقوله تعالى ولاهم يستعتبون معناه لايطلب منهم الاعتاب اى ازالة عتاب ربهم وغضبه بان يتوبوا وينزجروا عما هم عليه من الكفر والمعاصى لان الآخرة ليست بدار تكليف وعمل وانما يطلب ذلك منهم فى الدنيا وفى الصحاح يقال اعتبنى فلان اذا عاد الى مسرّتى راجعا عن الاساءة فظهر بما ذكرنا ان تفسير الاستعتاب بالاسترضاء وتفسير الاعتاب بالارضاء تفسير باللازم ﴿قوله﴾ وكذا قوله واذا رأى الذين ظلموا ﴿ يعنى انه ايضا منصوب بمحذوف اى اذا رأوه وقعوا فيه ويحيق بهم مايحيق والفاء فى قوله تعالى فلا يخفف عنهم ليست فاء جواب اذا بل هى عاطفة لما بعدها على الجزآء المقدّر لان جوابها متى كان مضارعا لايكون مصدّرا بالفاء سوآء كان موجبا كما فى قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه او منفيا نحو اذا جاء زيد لايكرمك وانما يصدّر بالفاء اذا كان جملة اسمية نحو اذا جاءنى زيد فانا اكرمه وتقدير المبتدأ فى الآية بان يجعل تقديرها فهو لايخفف خلاف الظاهر وقوله تعالى الذين ظلموا مظهر وقع موقع المضمر للاشعار بان العذاب لايخفف عنهم ويجب ان يكون دآئما وهو المراد من قوله ولاهم ينظرون ﴿قوله﴾ اوثانهم التى دعوها شركاء ﴿ يراها المشركون لان الله تعالى يبعثها الفائدتين الاولى ان يشاهدها المشركون فى غاية الذل والحقارة والثانية ان تكذب تلك الاصنام المشركين فى قولهم انها شركاء الله تعالى فى استحقاق العبادة ومن قال ان المراد بالشركاء الشياطين الذين دعوا الكفار الى الكفر انما ذهب الى هذا القول لانه تعالى حكى عن اولئك الشركاء انهم ألقوا الى الذين اشركوا انكم لكاذبون والاصنام جمادات فلايصح منهم هذا القول فوجب ان يكون المراد من الشركاء الشياطين حتى يصح منهم هذا القول ودليل هذا ضعيف لانه تعالى قادر على ان يخلق الحياة والعقل والنطق فى تلك الاصنام فحينئذ يصح منها هذا القول ﴿قوله﴾ وهو اعتراف ﴿ جواب عما يقال ماالفائدة فى قول المشركين ربنا هؤلاء شركاؤنا مع ان فائدة الخبر ولازمه كلاهما معلومان لله تعالى * وتقرير الجواب الاوّل ان المشركين يقولون هذا الكلام تعجبا من حضور تلك الاصنام مع انه لاذنب لها واعترفا بانهم كانوا مخطئين فى عبادتها * وتقرير الثانى ان المشركين انما قالوا ذلك احالة لهذا الذنب على تلك الاصنام وظنوا ان ذلك ينجيهم من عذاب الله او ينقص من عذابهم بأن يحمل شطر منه على الاصنام فعند هذا تكذبهم تلك الاصنام وهو قوله تعالى فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون فى قولكم فى حقنا انهم شركاء الله فى المعبودية او فى استحقاق العبادة او فى انهم حملوا المشركين على الكفر وقوله تعالى الذين كفروا مبتدأ وزدناهم خبره لما ذكر الله تعالى وعيد الذين كفروا اتبعه بوعيد من ضم الى الكفر صدّ الغير عن سبيل الله فان رؤساء الكفر وقادتهم وساداتهم ضلوا بانفسهم وأضلوا اتباعهم فلهم العذاب الاليم بكفرهم بانفسهم وزيادة العذاب باضلالهم غيرهم ثم انه تعالى ذكر نوعا آخر من التهديدات المانعة للمكلفين عن المعاصى فقال ويوم نبعث اى اذكر يامحمد يوم نبعث فى كل جماعة نبيا يشهد على من كذب وعصى لانه لما بعث فى كل امّة رسولا وبلغهم الرسول رسالة الله فاىّ عذر يبقى للمكلف فى ارتكاب المعصية قال تعالى وان من امّة الا خلا فيها نذير وقوله تعالى وجئنا بك شهيدا تخصيص بعد التعميم كقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ﴿قوله﴾ بيانا بليغا ﴿ اشارة الى ان التبيان اسم فى معنى البيان كالتلقاء فى معنى اللقاء كما نقل عن الزجاج الا انه روى ثعلب عن الكوفيين والمبرد عن البصريين انهم قالوا لم يأت من المصادر على تفعال الا حرفان تبيان وتلقاء فعلى هذا يجب ان تكون المصادر التى تكون على تفعال كلها مفتوحة التاء كالتستار والتذكار والتكرار والتهذار والتلعاب وان يكون ماهو مكسور التاء غير التبيان والتلقاء اسماء نحو التمساح والتمثال وقوله بليغا اشارة الى ان صيغة تفعال سوآء كانت مفتوحة التاء او مكسورتها اذا كانت مصدرا او اسما بمعنى المصدر تكون من ابنية المبالغة وتكرير الفعل فالتكرار والتذكار والتلعاب بمعنى كثرة الكرّ والذكر واللعب قال المفسرون القرآن تبيان لكل شئ يحتاج اليه من الامر والنهى والحلال والحرام والحدود والاحكام وقال نفاة القياس دلت هذه الآية على ان القرآن تبيان لكل شئ اى لكل شئ من العلوم الدينية لان غير ذلك ليس مما يجب الالتفات اليه وعلوم الدين اما اصول واما فروع فاما علم الاصول فهو بتمامه موجود فى القرآن واما علم الفروع فالاصل برآءة الذمة الا ماورد على سبيل التفصيل فى هذا الكتاب وذلك يدل على انه لاتكليف من الله تعالى الا ماورد فى هذا واذا كان كذلك كان القول بالقياس باطلا وكان القرآن وافيا بتبيان كل الاحكام واما الفقهاء فانهم قالوا القرآن انما كان تبيانا لكل شئ لانه دل على ان الاجماع

وكذا قوله ﴿ واذا رأى الذين ظلموا العذاب ﴾ عذاب جهنم ﴿ فلا يخفف عنهم ﴾ اى العذاب ﴿ ولاهم ينظرون ﴾ يمهلون ﴿ واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم ﴾ اوثانهم التى دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه ﴿ قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك ﴾ نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين فى ذلك او التماس بان يشطر عذابهم ﴿ فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون ﴾ اى اجابوهم بالتكذيب فى انهم شركاء الله وانهم ماعبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهوآءهم كقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او فى انهم حملوهم على الكفر وازموهم اياه كقوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى ﴿ وألقوا ﴾ وألقى الذين ظلموا ﴿ الى الله يومئذ السلم ﴾ الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار فى الدنيا ﴿ وضل عنهم ﴾ وضاع عنهم وبطل ﴿ ماكانوا يفترون ﴾ من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرأوا منهم ﴿ الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله ﴾ بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر ﴿ زدناهم عذابا ﴾ لصدّهم ﴿ فوق العذاب ﴾ المستحق بكفرهم ﴿ بما كانوا يفسدون ﴾ بكونهم مفسدين بصدّهم ﴿ ويوم نبعث فى كل امّة شهيدا عليهم من انفسهم ﴾ يعنى نبيهم فان نبى كل امّة بعث منهم ﴿ وجئنا بك ﴾ يامحمد ﴿ شهيدا على هؤلاء ﴾ على امّتك ﴿ ونزلنا عليك الكتاب ﴾ استئناف اوحال باضمار قد ﴿ تبيانا ﴾ بيانا بليغا ﴿ لكل شئ ﴾ من امور الدين على التفصيل والاجمال بالاحالة الى السنة او القياس ﴿ وهدى ورحمة ﴾ للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه ﴿ وبشرى للمسلمين ﴾ خاصة

حجة وكذا كل واحد من القياس وخبر الواحد فضلا عن السنة المتواترة واذا ثبت حكم من الاحكام باحد هذه الاصول كان ذلك الحكم ثابتا بالقرآن روى عن علىّ رضى الله عنه انه قال كل شئ علمه فى القرآن الا ان الرجال تعجز عنه فبعضه مبين فيه بان نصّ عليه صريحا و بعضه مبين على وجه الاجمال بالاحالة على ما يوجب العلم من بيان النبى صلى الله عليه وسلم او اجماع المسلمين او القياس على ما نصّ عليه للاشتراك فى علة الحكم ثم انه تعالى لما استقصى فى شرح الوعد والوعيد والترغيب والترهيب اتبعه بقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وهى اجمع آية لوجوه ارشاد المكلفين وهدايتهم الى ما فيه صلاح حالهم فى الدارين امر الله تعالى فى هذه الآية بثلاثة اشياء وهى العدل والاحسان وايتاء ذى القربى ونهى عن ثلاثة وهى الفحشاء والمنكر والبغى اما العدل فهو عبارة عن الامر المتوسط بين طرفى الافراط والتفريط ورعاية العدل واجبة فى جميع الاشياء لاسيما فيما يتعلق بالاعتقاد وفيما يتعلق بافعال الجوارح وفيما يتعلق بالاخلاق النفسانية واجل وجوه العدل اعتقادا الاعتقاد بوحدة الآله فانّ نفى الآله تعطيل محض واثبات اكثر من آله تشريك وتشبيه وهما مذمومان والعدل هو اثبات الله واحد واعتقاد انه لا اله الا الله وايضا الاعتقاد بان العبد ليس له قدرة ولا اختيار جبر محض والاعتقاد بانه مستقل بافعاله قدر محض وهما مذمومان والعدل ان يقال ان العبد يفعل الفعل بواسطة انه تعالى يخلق فيه قدرة كاسبة تدعوه الى الفعل والقدرة المؤثرة ليست الا له تعالى والعدل فيما يتعلق باعمال الجوارح كالتعبد باداآء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب فان قوما من اهل البطالة ونفاة التكاليف يقولون الاحتراز عن شئ من المعاصى ليس لله عليه تكليف اصلا وقال قوم من المانوية انه يجب على الانسان ان يجتنب عن كل اكل الطيبات وان يبالغ فى تعذيب نفسه وان يحترز عن كل ما يميل الطبع اليه حتى انهم يخصون انفسهم ويحترزون عن التزوّج وعن اكل الطعام الطيب وانهم يحرقون انفسهم ويرمون انفسهم من شاهق الجبل فهذان الطريقان مذمومان والعدل الوسط هو هذا الشرع الذى جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الزيادة على العدل فى باب العمل بحسب الكمية قد تكون احسانا الى نفسه اذا كانت على الوجه الذى استحسنه الشرع وندب اليه كالتطوّع بعد اداآء الواجبات وقد تكون اساءة على خلاف الوجه المشروع وكذا الزيادة بحسب الكيفية وبالجملة فالمبالغة فى اداآء الطاعات بحسب الكمية و بحسب الكيفية هو الاحسان والاحسان بهذا المعنى يدخل فيه التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ومن الظاهر ان الشفقة على خلق الله اقسام كثيرة اشرفها واجلها صلة الرحم فقوله وايتاء ذى القربى من قبيل التخصيص بعد التعميم ايذانا بشرف الخاص ومبالغة فى الحث عليه ﴿قوله﴾ عن الافراط فى متابعة القوّة الشهوية ﴿قوله﴾ البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية والثلاث الاول هى المداخل التى يأتى الشيطان من قبلها بخلاف القوّة الرابعة اعنى القوّة العقلية الملكية فان الشيطان لا يغوى الانسان من قبلها اذ لا مناسبة بينها وبين الشرور الشيطانية فلا وجه لان يتوسل الشيطان بها الى اغواآء بنى آدم بخلاف القوى الثلاث الاول فانها مبدأ الشرور والقبائح وداعية اليها فان الفحشاء اثر القوّة الشهوية والمنكر اثر الغضب والبغى اثر القوّة الوهمية فان القوّة الشهوية انما ترغب فى تحصيل اللذات الشهوية والتى خرجت منها عن الحدّ المأذون فيه شرعا فهى المسماة بالفحشاء واما القوّة الغضبية السبعية فهى ابدا تسعى فى ايصال الشرّ والبلاء والايذآء الى سائر الناس ولا شك ان الناس ينكرون تلك الحالة فالمنكر عبارة عن الافراط الحاصل من اثارة القوّة الغضبية فقول المصنف والمنكر ما ينكر على متعاطيه من اثارة القوّة الغضبية معناه ان المنكر من اثارة القوّة الغضبية هو الحدّ الخارج عما يقبله الناس من اثارة الغضبية وتهيجها واما القوّة الوهمية الشيطانية فهى ابدا تسعى فى الاستعلاء على الناس والترفع واظهار الرياسة والتقدّم وذلك هو المراد من البغى فانه لا معنى للبغى الا التطاول على الناس والترفع عليهم فظهر بما ذكر ان هذه الالفاظ الثلاثة منطبقة على احوال هذه القوى الثلاث ﴿قوله﴾ وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ﴿قوله﴾ روى عن ابن عباس ان عثمان بن مظعون قال ما اسلمت اوّلا الاحياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتقرّر الاسلام فى قلبى فحضرته عليه الصلاة والسلام ذات يوم فبينما هو يحدثنى اذ رأيت بصره شخص الى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسألته فقال بينما انا احدثك اذ جبريل عليه الصلاة والسلام نزل عن يمينى فقال يا محمد ان الله يأمر بالعدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان القيام بالفرائض وايتاء ذى القربى

﴿ان الله يأمر بالعدل﴾ بالتوسط فى الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداآء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير ﴿والاحسان﴾ احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوّع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ﴿وايتاء ذى القربى﴾ واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ عن الافراط فى متابعة القوّة الشهوية كالزنى فانه اقبح احوال الانسان واشنعها ﴿والمنكر﴾ ما ينكر على متعاطيه من اثارة القوّة الغضبية ﴿والبغى﴾ والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التى هى مقتضى القوّة الوهمية ولا يوجد من الانسان شرّ الا وهو مندرج فى هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه هى اجمع آية فى القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان ابن مظعون رضى الله تعالى عنه ولو لم يكن فى القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شئ وهدى ورحمة للعالمين ولعلّ ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه

اى صلة الرحم وينهى عن الفحشاء الزنى والمنكر مالايعرف فى شريعة ولاسنة والبغى الاستطالة قال عثمان فوقع الايمان فى قلبى واتيت ابا طالب فاخبرته فقال يامعشر قريش اتبعوا ابن اخى ولئن كان صادقا او كاذبا فانه مايأمركم الا بمكارم الاخلاق فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمه الاين قال ياعماه اتأمر الناس ان يتبعونى وتدع نفسك فنزل انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء روى ان بنى امية كانوا يسبون امير المؤمنين علىّ بن ابى طالب فى الخطبة رضى الله عنه الى ان ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة فترك ذلك وكتب الى العمال فى الآفاق بترك ذلك وكان سبب محبته عليا انه قال كنت بالمدينة اتعلم العلم وكنت الزم عبد الله بن عبد الله بن عيينة فبلغه شئ من ذلك فاتيته يوما وهو يصلى فاطال الصلاة فقعدت انتظر فراغه فلما فرغ التفت الىّ وقال متى علمت ان الله تعالى غضب على اهل بدر وبيعة الرضوان بعدان رضى الله عنهم قلت لم اسمع بذلك قال فالذى بلغنى عنك فى علىّ قلت ماهو قال يابنى انك تمضى فى خطبتك فاذا اتيت الى ذكره عرف منك تقصيرا وخطبت كذلك قلت نعم قال يابنى ان الذين حولنا لو يعلمون من علىّ مانعلم لما تفرقوا عنا فى اولاده فلما ولى الخلافة لم يكن عنده من الرغبة فى الدنيا مايركب بسببها هذا الامر العظيم فترك ذلك وكتب بتركه وقرأ عوضه ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فجل هذا الفعل عند الناس محلا عظيما واكثروا مدحه بذلك ﴿قوله تعالى يعظكم﴾ الظاهر انه مستأنف فى قوة التعليل للامر بما تقدّم اى ان الوعظ سبب لما تقدّم من الامر والنهى المذكورين ويبعد جعله حالا من فاعل ينهى اذ لاوجه لتخصيص الحال بهذا الفاعل دون فاعل يأمر فان الوعظ يكون بكل واحد من الاوامر والنواهى ولاخصوصية له بالنهى ثم انه تعالى لما جمع جميع المأمورات والمنهيات فى هذه الآية على سبيل الاجمال ذكر بعدها بعض تلك الاقسام على سبيل التفصيل فبدأ بالوفاء بعهد الله فقال واوفوا بعهد الله وهو معطوف من حيث المعنى على قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية عطف الخاص على العام اهتماما بوفاء العهد والثبات عليه واستشهد المصنف بقوله تعالى ان الذين يبايعونك على ان عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد الله واحد ولم يرد ان هذه الآية واردة فى تلك البيعة اعنى بيعة الرضوان لان هذه السورة مكية نزلت حين كان المسلمون مستضعفين فيما بين قريش وانما هذه البيعة هى البيعة الاولى وكل من دخل فى الاسلام فقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه البيعة ﴿قوله وقيل كل امر يجب الوفاء به﴾ اى العمل بمقتضاه فعهد الله تعالى يتناول الادلة العقلية والسمعية عند هذا القائل وان لم يكونا من العهود التى يلتزمها الانسان باختيار نفسه لانهما اوكد فى لزوم الوفاء بما يدلان على وجوبه بالنسبة الى اليمين وسائر العهود ولذلك لايصح فى هذين الدليلين التغير والاختلاف ويصح فى غيرهما ذلك وربما ندب فيه ترك الوفاء فان اليمين انما يجب الوفاء به اذا لم يكن الصلاح فى خلافه لقوله عليه الصلاة والسلام * من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت بالذى هو خير ثم ليكفر عن يمينه * ولم يرض المصنف بهذا القول وقال لايلائمه قوله اذا عاهدتم لانه يدل على ان المراد بعهد الله مايلتزمه الانسان باختياره ومعنى الوفاء به الثبات عليه كانه قيل اثبتوا على ماعاهدتم الله عليه وبايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تؤكد تلك البيعة بالايمان التى يحلفون بها على الثبات عليها والتوكيد مصدر وكد يوكد بالواو وفيه لغة اخرى اكد يؤكد بالهمزة ونظيره قولهم ورخت الكتاب وارخته قال الراغب وكدت القول والعهد واكدته بمعنى احكمته وكل واحدة منهما لغة اصلية وليست الهمزة بدلا من الواو لانهما متساويتان فى الاستعمال فليس ادّعاء كون احداهما اصلا والاخرى منقولة منها اولى من عكسه وذهب المصنف الى ان الكلمة واوية وان الهمزة مبدلة من الواو على ماهو مذهب الزجاج وتوكيدها مصدر مضاف الى مفعوله وقوله وقد جعلتم حال امامن فاعل تنقضوا وامامن فاعل المصدر وان كان محذوفا وقوله تعالى ولاتنقضوا الايمان بعد توكيدها عام دخله التخصيص لما تقدّم من قوله عليه الصلاة والسلام * من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت بالذى هو خير وليكفر عن يمينه ﴿قوله شاهدا بتلك البيعة﴾ وبما يترتب عليها من الثبات عليها والعمل بمقتضاها ومن نقضها والعمل بما ينافيها فان من حلف بالله تعالى على امر فقد منع نفسه عن اتيان مايخالفه احترازا عن هتك حرمة اسمه تعالى ومايتفرّع عليه من تهديد اليم عذابه فصار بذلك كانه جعل الله تعالى شاهدا عليه يراقب أنه هل يحنث فى يمينه اويحفظه ويترقبه والشاهد بهذا المعنى لماشابه الكفيل من حيث ان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه عبر عن الشاهد بالكفيل فقوله كفيلا من قبيل التشبيه البليغ

﴿يعظكم﴾ بالامر والنهى والميز بين الخير والشر ﴿لعلكم تذكرون﴾ تتعظون ﴿واوفوا بعهد الله﴾ يعنى البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولايلائمه قوله ﴿اذا عاهدتم﴾ وقيل النذر وقيل الايمان بالله ﴿ولاتنقضوا الايمان﴾ ايمان البيعة او مطلق الايمان ﴿بعد توكيدها﴾ بعد توثيقها بذكر الله تعالى ومنه اكد بقلب الواو همزة ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾ شاهد ابتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ﴿ان الله يعلم ماتفعلون﴾ فى نقض الايمان والعهود ﴿ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها﴾ ماغزلته مصدر بمعنى المفعول ﴿من بعد قوة﴾ متعلق بنقضت اى نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام ﴿انكاثا﴾ طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثانى لنقضت فانه بمعنى صيرت

ثم انه تعالى مثل نقض العهد بنقض الغزل بعد ابرامه واحكامه تأكيدا لوجوب الوفاء وتحريم النقض فقال ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوّة انكاثا والنكث بالكسر مصدر قولك نكثت الحبل اذا نقضت فتله والانكاث هنا جمع نكث بمعنى منكوث اى منقوض ﴿ قوله والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه ﴾ كائنا من كان لاتشبيهه بشخص معين يفعل ذلك وهو امرأة اسمها ريطة وذلك لان المقصود من الامثال صرف المكلف عن الفعل اذا كان قبيحا والدعاء اليه اذا كان حسنا وذلك يتم بدون التعيين وان تحقق فى الخارج من اتصف به ﴿ قوله تعالى دخلا ﴾ مفعول ثان لتتخذون ويحتمل ان يكون مفعولا من اجله والدخل الفساد والدغل وهو الغش والخيانة وقيل هو ان تظهر الوفاء وتبطن الغدر والنقض وقيل الدخل الداخل فى الشئ وليس منه وقيل ما ادخل فى الشئ على فساد وقال الجوهرى دخلا بينكم اى مكرا وخديعة وهم دخل فى بنى فلان اذا انتسبوا اليهم وليسوا منهم هذه كلمات القوم فى بيان مفهوم لفظ الدخل والمصنف اختار منها كونه موضعا للنقض والابرام والافساد فيكون جعل ماعقد للافساد عين الفساد للمبالغة فى النهى والتقبيح وقوله تعالى ان تكون اى بسبب ان تكون متعلق بقوله تتخذون وقوله تكون يجوز ان تكون تامة وامّة فاعلها وان تكون ناقصة وامة اسمها وقوله هى على التقديرين مبتدأ واربى خبره والجملة فى محل النصب على الحال على الوجه الاوّل وعلى انها خبر كان على الثانى وجعل الامام قوله تعالى تتخذون ايمانكم استفهاما على سبيل الانكار والمعنى اتتخذون ايمانكم دخلا بينكم بسبب ان تكون امّة ازيد فى القوّة والكثرة من امّة اخرى ولم يلتفت المصنف اليه لان ارتكاب تقدير الهمزة مع صحة المعنى وانتظامه ليس باولى من غير ارتكاب التقدير بلا دليل ﴿ قوله تصريح للنهى عنه يعد التضمين ﴾ فان قوله تعالى ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوّة انكاثا تتخذون ايمانكم مفسدة وموضع الدغل والمكر والخديعة يتضمن النهى عن اتخاذ الايمان دخلا من حيث ان موضعه النهى عن مشابهة تلك المرأة حال اتخاذ الايمان دخلا وقد تقرّر ان النهى عن المقيد يرجع الى قيده فيكون المنهى عنه حقيقة هو القيد فيكون قوله ولاتتخذوا معطوفا على قوله ولاتكونوا مع قيده وقوله انما يبلوكم الله به وليبينن لكم تعليلا لقوله تعالى ولاتكونوا وقوله ولو شاء الله معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه تأكيدا لمعنى الابتلاء وانه تعالى ينصر قليل العدد والعدد بحكم الآلهية على ذى القوّة والشوكة والمال كما انه بحكم الآلهية يضل من يشاء ويهدى من يشاء وقوله ولتسألن معطوفا على قوله يبلوكم وقوله تعالى فتزل منصوب باضمار ان فى جواب النهى ﴿ قوله بصدودكم ﴾ على ان ما مصدرية وان صددتم لازم من الصدود وهو الاعراض وقوله او صدّكم غيركم على انه متعدّ من الصدّ وهو المنع ومفعوله محذوف ثم انه تعالى اكد هذا اليمين والتحذير فقال ولاتشتروا بعهد الله ثمنا اى لاتنقضوا عهودكم تطلبون بنقضها عرضا قليلا من الدنيا ولكن اوفوا بعدها فان ماعند الله من الثواب هو خير لكم ثم ذكر دليلا قاطعا على ان ماعند الله خير فقال ماعندكم ينفد اى يذهب ويفنى ﴿ قوله بما ترجح فعله ﴾ اشارة الى جواب مايقال من ان كلمة ما مصدرية واحسن افعل تفضيل فيكون المعنى لنجزينهم اجرهم بمقابلة احسن اعمالهم ويفهم منه ان لايجازى المرء بمقابلة اعماله الحسنة وهو خلاف مايدل عليه قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * وتقرير الجواب ان صيغة احسن هنا ليست للتفضيل بل هى صيغة بمعنى الحسن الذى يترجح فعله على تركه من الواجبات والمندوبات فان المؤمن يثاب بكل واحدة منهما بخلاف المباحات التى لايترجح احد طرفيها على الآخر فان المؤمن لايثاب بها ولايتركها سلمنا انها للتفضيل لكن لانسلم ان الموصوف باحسن هو العمل بل الموصوف به هو الجزاء المقدّر واضافة احسن بمعنى من ثم انه تعالى لما بالغ فى النهى عن نقض العهود والايمان وبيان مايترتب عليه من عذاب الدنيا والآخرة عقبه بالترغيب فى الصبر على مشاق التكاليف مع فقرهم وقلة عددهم وكثرة الكفرة وعلى بيعة الاسلام والوفاء بعهد الله الذى هو البيعة لرسول الله والكفرة اربى منهم عددا وشوكة ومالا او على مشاق التكاليف الشرعية مطلقا التى من جملتها الوفاء بالعهد ببيان انه تعالى يجازيه على اعماله الحسنة واجبة كانت اومندوبة او ببيان انه تعالى يجازيه بجزاء هو احسن من اعماله ثم ان كان المراد بالصبر الصبر على مشاق الاحتراز عن نقض ايمان البيعة يكون قوله تعالى من عمل صالحا الآية ترغيبا فى اتيان كل ما كان من شرائع الاسلام بان وعد على اتباعه سعادة الدنيا والآخرة وان كان المراد به الصبر على مشاق

بينكم ﴾ حال من الضمير فى ولاتكونوا او فى الجار الواقع موقع الخبر اى ولاتكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذى ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل مايدخل الشئ ولم يكن منه ﴿ ان تكون امّة هى اربى من امّة ﴾ بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لاتغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم وقوّتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأوا شوكة فى اعادى حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم ﴿ انما يبلوكم الله به ﴾ الضمير لان تكون امّة لانه بمعنى المصدر اى يختبركم بكونكم اربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترّون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربى وقيل للام بالوفاء ﴿ وليبينن لكم يوم القيامة ماكنتم فيه تختلفون ﴾ اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ﴿ ولو شاء الله لجعلكم امّة واحدة ﴾ متفقة على الاسلام ﴿ ولكن يضل من يشاء ﴾ بالخذلان ﴿ ويهدى من يشاء ﴾ بالتوفيق ﴿ ولتسألن عما كنتم تعملون ﴾ سؤال تبكيت ومجازاة ﴿ ولاتتخذوا ايمانكم دخلا بينكم ﴾ تصريح بالنهى عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة فى قبح المنهى ﴿ فتزل قدم ﴾ اى عن محجة الاسلام ﴿ بعد ثبوتها ﴾ عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة ﴿ وتذوقوا السوء ﴾ العذاب فى الدنيا ﴿ بما صددتم عن سبيل الله ﴾ بصدودكم عن الوفاء او صدّكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتدّ جعل ذلك سنة لغيره ﴿ ولكم عذاب عظيم ﴾ فى الآخرة ﴿ ولاتشتروا بعهد الله ﴾ ولاتستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ﴿ ثمنا قليلا ﴾ عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد ﴿ ان ماعند الله ﴾ من النصر والتغنيم فى الدنيا والثواب فى الآخرة ﴿ هو خير لكم ﴾ مما يعدونكم ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ ان كنتم من اهل العلم والتمييز ﴿ ماعندكم ﴾ من اعراض الدنيا ﴿ ينفد ﴾ يتقضى ﴿ وماعند الله ﴾ من خزائن رحمته ﴿ باق ﴾ لاينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ﴿ وليجزين الذين صبروا اجرهم ﴾ على الفاقة واذى الكفار او على مشاق التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون ﴿ باحسن ماكانوا يعملون ﴾ بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم

﴿من عمل صالحا من ذكر او انثى﴾ بينه بالنوعين دفعا للتخصيص ﴿وهو مؤمن﴾ اذ لا اعتداد باعمال الكفرة فى استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ فى الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم فى الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدع الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه وقيل فى الآخرة ﴿ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون﴾ من الطاعة ﴿فاذا قرأت القرآن﴾ اذا اردت قرآءته كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة ﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ فاسأل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك فى القرآءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلى يستعيذ فى كل ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القرآءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ ﴿انه ليس له سلطان﴾ تسلط وولاية ﴿على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ على اولياء الله تعالى المؤمنين والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على تدور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا

التكاليف بمعنى توطئة النفس على رعاية حق الربوبية وتحقيق مقتضى العبودية وقهر النفس الامّارة بالسوء بمخالفة مقتضياتها وحظوظها الطبيعية يكون قوله من عمل صالحا الآية ترغيبا فى الاعمال الظاهرة البدنية بعد الترغيب فى الاخلاق النفسانية والفضائل القلبية وتصريحا بان كون الاعمال الصالحة مؤدّية الى الحياة الطيبة وثواب الآخرة مشروط بالايمان * فان قيل كيف يكون مشروطا به مع ان قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره يدل على ان العمل الصالح يفيد الاجر مطلقا * قلنا لانسلم ذلك فان رؤيته لا تستلزم كون العامل مثابا بعمله لجواز ان يكون فائدة عمله تخفيف العقاب فانه لا يتوقف على الايمان واليه اشار المصنف بقوله وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب ﴿قوله بينه بالنوعين﴾ جواب عما يقال من ان كلة من تفيد العموم فما الفائدة فى ذكر الذكر والانثى * وتقرير الجواب ان لفظ من صح اطلاقه على النوعين ﴿قوله وقيل فى الآخرة﴾ لعلّ وجه ضعفه انه تعالى عقبه بقوله ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ولا شبهة فى ان المراد به ما يكون فى الآخرة فينبغى ان تحمل الحياة الطيبة على ما يكون فى الدنيا وايضا لو حمل الحياة الطيبة على ما يكون فى الآخرة لزم ان لا يعذب المؤمن الذى عمل عملا واحدا من الاعمال الصالحة بعذاب الآخرة اصلا لان من عذب بقدر ذنوبه كيف يصح ان يقال فى حقه انه تعالى احياه حياة طيبة فى الآخرة فان قوله من عمل صالحا يصدق على من اتى بعمل واحد مما يكفى فى اجرآء حكم الاسلام عليه وذلك لا يستلزم ان لا يعذب اصلا بل امره منوط بمشيئة الله تعالى ان شاء عذبه بقدر ذنوبه وان شاء عفا عنه فان مصيره على التقديرين الى الجنة بخلاف ما لو حملت على ما يكون فى الدنيا فان من عمل عملا واحدا مما يصح ان يجرى عليه حكم الاسلام بسببه يكون حياته فى الدنيا طيبة يسلم فى نفسه وماله ويستقل فى اموره وادنى مراتب طيب حياته فى الدنيا ان يسلم فى نفسه ثم انه يجزى فى الآخرة بعمله ذلك قيل الحياة الطيبة فى الدنيا عبادة الله تعالى مع اكل الحلال وقيل القناعة لانه لا يطيب فى الدنيا الا عيش القانع واما الحريص فانه يكون ابدا فى الكدّ والعناء ولا شك ان عيش المؤمن فى الدنيا اطيب من عيش الكافر لان المؤمن يعرف ان رزقه انما حصل بتدبير الله تعالى ويعرف انه محسن كريم لا يفعل الا الصواب فيكون راضيا بكل ما قضاه وقدّره لعلمه بان مصلحته فى ذلك والكافر لا يعرف هذه الاصول فكان ابدا فى الحزن والعناء وايضا المؤمن يعلم ان خيرات الدنيا واجبة التغير سريعة التقلب فلو لا تغيرها وانقلابها لم تصل من غيره اليه فلا جرم لا يعظم فرحه بوجدانها وغمه بفقدانها ثم انه تعالى لما ذكر انه يجازى على الاعمال الصالحة اتبعه بالارشاد الى طريق تخلص به الاعمال عن وساوس الشيطان وهو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والقائه الوساوس فى كل قلب خص قرآءة القرآن بالذكر من بين الاعمال الصالحة لانها داعية الى كل عمل صالح من الاعمال القلبية والقالبية فكانت بذلك رأس الاعمال الصالحة ولما كانت الفاء فى قوله فاستعذ بالله للتعقيب دل ظاهر الآية على ان تكون الاستعاذة بعد قرآءة القرآن كما ذهب اليه جماعة من الصحابة والتابعين وقالوا انه لو لم يأت بالاستعاذة بعد القرآءة لربما يوسوس اليه الشيطان انك قد اتيت من العمل الصالح ما يمحو الله تعالى به ذنوب كذا وكذا سنة فيعتمد على عمله فيضيع ثواب قرآءته واما اذا استعاذ بعد القرآءة فحينئذ تندفع الوساوس ويبقى الثواب الموعود مصونا عن الخلل الا ان الاكثر من علماء الصحابة والتابعين قد اتفقوا على ان الاستعاذة متقدّمة على القرآءة وقالوا معنى الآية اذا اردت ان تقرأ القرآن فاستعذ بالله وليس معناه استعذ بعد القرآءة ونظيره قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وقولك اذا اكلت فقل بسم الله واذا سافرت فتأهب وقد روى أئمة القرآءة مسندا عن نافع عن جبير بن مطعم انه عليه الصلاة والسلام كان يقول قبل القرآءة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وعن معقل بن يسار انه عليه الصلاة والسلام قال * من قال حين يصبح ثلاث مرّات اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسى * وفى شرح الشاطبية اجمع القرآء وجمهور الفقهاء على ان الاستعاذة حال الشروع فى القرآن ودل الحديث على ان التقديم هو السنة ونفى سببية القرآءة لها والفاء فى فاستعذ لما دلت على السببية قدّرت الارادة ليصح معنى السببية ﴿قوله اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ﴾ هكذا رواه القرآء فى كتب القرآءة وينبغى ان لا يكون المراد بالقلم القلم الاعلى لانه متقدّم فى الرتبة على اللوح بالنص وانما يراد به القلم الذى نسخ به من اللوح ونزل به جبريل عليه الصلاة والسلام الى سماء الدنيا ﴿قوله

لئلا يتوهم منه ان له سلطانا ﴾ فان قارئ القرآن لما امر بان يسأل الله تعالى ان يعيذه من وسواسه توهم منه ان له تسلطا وولاية على اغواء بنى آدم كلهم فنفى الله تعالى انه لا تسلط له على المؤمنين بالله والمتوكلين عليه بعصمة الله تعالى اياهم عن طاعته وقبول وسوسته فقوله تعالى انه ليس له سلطان الآية فى معرض التعليل للامر بالاستعاذة واشارة الى ان الاستعاذة المأمور بها ليست عبارة عن مجرّد القول الفارغ من الالتجاء الى عصمة الله تعالى وتفويض الامر اليه معتقدا بانه لا حول عن معصية الله تعالى الا بعصمته ولا قوّة على طاعته الا بتوفيقه وهذا الالتجاء والاعتقاد انما يكون بالايمان به اوّلا والتوكل عليه ثانيا فمن جمع بين الامرين لا يكون للشيطان عليه سبيل البتة ﴿ **قوله** يحبونه ويطيعونه ﴾ يقال توليته اذا واليته واطعته ومنه قوله تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ويقال ايضا توليت عنه بمعنى اعرضت عنه يتعدّى بنفسه اذا كان بمعنى الاطاعة والموالاة وبكلمة عن اذا كان بمعنى الاعراض ﴿ **قوله** بالله او بسبب الشيطان ﴾ يعنى ان ضميره يحتمل ان يرجع الى ربهم ويكون الباء صلة مشركون محذوفا اى هم مشركون بالله من اجل الشيطان او بسبب حمله اياهم على الشرك والعصيان ﴿ **قوله** لفظا او حكما ﴾ يعنى ان تبديل الآية مكان الآية قد يكون بان ينسخ تلاوة آية وينزل آية اخرى تتلى بدلها وقد يكون بان ينسخ حكم آية من غير ان ينسخ تلاوة لفظها ويشرع مكانه حكم آخر والتبديل رفع الشئ مع وضع غيره مكانه والمراد به ههنا النسخ * واعلم انه تعالى شرع ههنا فى حكاية شبهات منكرى نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال كان المشركون اذا نزلت آية فيها شدّة ثم نزلت آية اخرى تنسخها الى اخف منها يقولون ان محمدا يسخر باصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا انما هو مفتر يتقوّله من تلقاء نفسه فانزل الله تعالى هذه الآية والظاهر ان قوله تعالى والله اعلم بما ينزل اعتراض بين الشرط وجوابه جيئ به توبيخا للكفار على قولهم انما انت مفتر اى اذا كان هو اعلم بما ينزل من المصالح فما لهم ينسبون محمدا الى الافتراء بناء على تبديله آية مكان آية ونسخ بعضها ببعض مع ان ذلك مقتضى الحكمة البالغة والمصلحة اللائقة بكل وقت وزمان ويحتمل ان تكون جملة حالية من فاعل بدّلنا اى بدّلناها عالمين بما فى التبديل من الحكمة والمصلحة وانما عدل عن التكلم الى الغيبة للاشارة الى علة العلم والمشركون نسبوه عليه الصلاة والسلام الى الافتراء بانواع من المبالغات وهى تصدير الجملة باداة الحصر على طريق قصر الموصوف على الصفة والخطاب والجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستقرار وحذف مفعول لا يعلمون للعلم به اى لا يعلمون حكمة الاحكام وما فى تبديلها من المصالح والحكم ﴿ **قوله** كقولهم حاتم الجود ﴾ بمعنى حاتم جواد او صاحب جود وكذا روح القدس بمعنى روح مقدّس او صاحب قدس اضيف الموصوف الى صفته للاشعار باختصاصه بها وانه ليس شأن سوى الاتصاف بها ﴿ **قوله** وفى ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرّجا على حسب المصالح مما يقتضى التبديل ﴾ يعنى ان بناء فعل هنا للعمل المتكرر فى مهلة اى لوجود اصله شيأ فشيأ كدرجته الى كذا اذا بلغته اليه درجة درجة فتنزيل القرآن توزيع نزوله الى الاوقات بانزاله مدرّجا على حسب المصالح وذلك يقتضى ان ينسخ حكم آية ويبدّل مكانه اخر وذلك لان المصالح تختلف باختلاف الاوقات فلا جرم يكون انزاله متدرّجا على حسب اختلاف المصالح مستلزما للنسخ والتبديل ومقتضيا اياه لما بنى المشركون قولهم انما انت مفتر على اشتمال القرآن على النسخ والتبديل كان قوله قل نزله روح القدس واردا لبيان فساد سندهم لان ايثار اللفظ الدال على تدرّج النزول للتنبيه على حقية النسخ والتبديل اشارة الى ما يقتضيهما والمعنى ان جبريل نزل بالقرآن من كلام ربك ملتبسا بالحق اى الامر الصحيح الثابت ليثبت الذين آمنوا بما فيه من الحجج والآيات فيزدادوا تصديقا ويقينا وقرئ ليثبت مخففا من اثبت ﴿ **قوله** وفيه تعريض الخ ﴾ اى وفى اثبات التثبيت والهدى والبشارة للمؤمنين تعريض بحصول اضدادها للمشركين وذلك لان قوله قل نزله روح القدس الآية جواب عن قول المشركين انما انت مفتر فانما ارادوا بقولهم انما انت مفتر ان هذا ليس من كلام الله تعالى لان الله تعالى لا يسخر من احد بان يأمره اليوم بشئ وينهاه غدا عنه بل هو من تلقاء نفسك واجيبوا بان هذا من الله تعالى وزيد فى التصوّر بان قيل نزله روح القدس ثم زيد قوله بالحق دفعا لطعنهم بالطف الوجوه اى تنزيلا ملتبسا بالحق والحكمة ومصالح الخلق ثم شنع على قبيح افعالهم بان قيل ليثبت الذين آمنوا الخ تعريضا بان اضداد هذه الخصال حاصلة فيهم وانهم متزلزلون ضالون موبخون

﴿ انما سلطانه على الذين يتولونه ﴾ يحبونه ويطيعونه ﴿ والذين هم به ﴾ بالله او بسبب الشيطان ﴿ مشركون واذا بدّلنا آية مكان آية ﴾ بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما ﴿ والله اعلم بما ينزل ﴾ من المصالح فلعل ما يكون مصلحة فى وقت يصير مفسدة بعده فينسخه ومالا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف ﴿ قالوا ﴾ اى الكفرة ﴿ انما انت مفتر ﴾ متقوّل على الله تأمر بشئ ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا ﴿ بل اكثرهم لا يعلمون ﴾ حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب ﴿ قل نزله روح القدس ﴾ يعنى جبريل عليه السلام واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفى ينزل ونزله تنبيه على انزاله مدرّجا على حسب المصالح مما يقتضى التبديل ﴿ من ربك بالحق ﴾ ملتبسا بالحكمة ﴿ ليثبت الذين آمنوا ﴾ على الايمان بانه كلامه وانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم ﴿ وهدى وبشرى للمسلمين ﴾ المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اى تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ﴿ ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ﴾ يعنون جبرا الرومى غلام عامر بن الحضرمى وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرءان التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمرّ عليهما ويسمع ما يقرءانه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسى ﴿ لسان الذى يلحدون اليه اعجمى ﴾ لغة الرجل الذى يميلون قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائى يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمى غير بين

منذرون بالخزى والنكال واللعن فى الدنيا والآخرة ليزيد فى غيظهم وضيقتهم وما احسن هذا البيان ثم انه تعالى حكى شبهة اخرى عن طاعنى نبوّته عليه الصلاة والسلام بانه يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم يظهرها من نفسه ويزعم انه انما عرفها بالوحى وهو كاذب فيه ثم انه تعالى اجاب عنه بان قال لسان الذى يلحدون اليه اعجمى الآية واللسان وان كان اسما لجارحة المتكلم الا ان العرب يطلقونه على اللغة والالحاد فى اللغة الميل يقال لحد اليه وألحد اذا مال عن القصد ومنه يقال للعادل عن الحق ملحد وقرأ حمزة والكسائى يلحدون بفتح الياء والحاء اى يميلون وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الحاء والالحاد قد يكون بمعنى الامالة * قال صاحب الكشاف يقال ألحد القبر ولحده فهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستواء والاستقامة فحفر فى شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقيل ألحد فلان فى قوله وألحد فى فعله ودينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها فعلى هذا يكون كل واحد من ألحد ولحد متعدّيا وفسر هذه الآية بالقولين قال الفرآء يميلون اليه القرآن او يميلون قولهم عن الاستقامة اليه وكون اللغة عبارة اعجمية عبارة عن كونها مبهمة لا يتضح المراد منها والاعجم الذى لا يفصح مراده ولا يبين كلامه وان كان عربيا واشار المصنف اليه بقوله لغة الرجل الذى ذكروه لسان اعجمى غير بين ﴿قوله﴾ ماتلقفه ﴿ اى اخذه وتناوله بسرعة يقال لقفت الشئ القفه لقفا وتلقفته اذا تناولته بسرعة بين المصنف بطلان مازعمه المشركون من انه عليه الصلاة والسلام تعلم القرآن من بشر ثم ادّعى انه اوحى اليه بواسطة الملك بوجهين الاوّل ان القرآن المبين كيف يكون مأخوذا ممن لسانه اعجمى غير بين ومن المعلوم ان المعانى المبينة الواضحة لا تؤخذ ممن لا تعرف لغته ولسانه والثانى انا سلمنا انه اخذ تلك المعانى باستماع الكلام الاعجمى الذى لا يفهمه هو ولا انتم لكن لا نسلم انه اخذ منه لفظ القرآن ايضا لان لفظه لكونه فى اعلى درجات الفصاحة والبلاغة يمتنع ان يكون كلام البشر ثم اشار الى بطلان ذلك بوجوه اخر الاوّل ان تعلم مافى القرآن من العلوم الكثيرة والمعانى الدقيقة لا يتأتى ان يحصل فى بعض اوقات مرور المتعلم على المعلم بل يحتاج الى ملازمته مدّة متطاولة ولو كان الامر كذلك لاشتهر فيما بين الخلق انه عليه الصلاة والسلام تعلم من فلان وفلان ولم يتفوّه بذلك احد سواهم والثانى ان تعلم تلك العلوم الكثيرة المتعلقة باحوال جميع المكلفين فى السنين لا يتصوّر الا من معلم بلغ فى غاية الفضل والتحقيق الى حيث يكون مشارا اليه بالبنان ويخضع له اهل الدنيا باجمعهم فكيف يذهب الوهم الى تعلمها من غلام سوقى يدعى بعبد فلان باستماع كلمات اعجمية تعلمها لم يعرف معناها ﴿قوله﴾ واولئك اشارة الى الذين كفروا ﴿ لانهم المذكورون بقوله الذين لا يؤمنون او الى قريش لان سياق الكلام فيهم لانهم هم الذين قالوا انما انت مفتر وقالوا انما يعلمه بشر والمشار اليه على الاوّل وان كان متناولا لقريش وغيرهم الا انهم يدخلون فيه دخولا اوّليا * ولما ورد ان يقال انه تعالى اثبت افترآء الكذب للذين لا يؤمنون حيث قال انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون فما فائدة قوله بعد ذلك واولئك هم الكاذبون اليس هو مستدركا خاليا عن الفائدة * نبه بهذا الكلام على وجه يندفع به الاستدراك ووجه اندفاعه على تقدير ان تكون الاشارة الى قريش ظاهر لانهم لما نسبوا الكذب والافتراء اليه عليه الصلاة والسلام بقولهم انما انت مفتر قلب الله تعالى ذلك الامر عليهم وجعل قوله انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون مقدّمة كلية يتفرّع عليها المقصود كانه قيل انهم لا يؤمنون بآيات الله وكل من لا يؤمن بها فهم الذين يفترون الكذب فقريش هم المفترون الكاذبون لا انت فلا استدراك ووجه اندفاعه على تقدير ان تكون الاشارة الى قوله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله لعنادهم ومكابرتهم انهم كانوا يعاندون بآيات الله ويكابرونها ويكذبون مع علمهم انها آيات الله لان مضمون الجملة الاولى عاما ويحتمل ان يكون فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون بآيات الله ويموتون عليه فمن علم الله منه ذلك لا يهديه اذ افترآء الكذب لا يصدر الا من الذين لا يؤمنون بآيات الله ولا يصدر عمن آمن بها لان خوف العقاب اذا يردعه عنه ومضمون الثانية خص الجماعة الذين يعرفهم المخاطب بانهم الكاذبون من الذين كفروا بآيات الله على ان يكون تعريف الكاذبين للعهد الخارجى واشار المصنف اليه بقوله هم الكاذبون على الحقيقة وان كان التعريف الذى فيه تعريف الجنس والحقيقة بان يكون الكاذبون اشارة الى مايعرفه كل احد من حقيقة الكاذبين وخصوصياتهم يكون مضمون الثانية خص تلك الحقيقة بهم مبالغة كما فى قولك عمرو الشجاع اى الكامل فى الشجاعة تبرز الكلام فى صورة توهم ان الشجاعة منحصرة فيه لا تتجاوز الى غيره لعدم الاعتداد بشجاعة غيره

﴿وهذا﴾ القرآن ﴿لسان عربى مبين﴾ ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان مايسمعه منه كلام اعجمى لا يفهمه هو ولا انتم والقرآن عربى تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون ماتلقفه منه وثانيهما هب انه يفهم منه المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذا اعجمى وهذا عربى والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التى فى القرآن لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق فى تلك العلوم مدّة متطاولة فكيف يعلم جميع ذلك من غلام سوقى سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية تعلمها لم يعرف معناها وطعنهم فى القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ﴿ ان الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴾ لا يصدّقون انها من عند الله ﴿لا يهديهم الله﴾ الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ﴿ ولهم عذاب اليم ﴾ فى الآخرة هدّدهم على كفرهم بالقرآن بعدما اماط شبهتهم وردّ طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال ﴿انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾ لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه ﴿واولئك﴾ اشارة الى الذين كفروا او الى قريش ﴿هم الكاذبون﴾ اى الكاذبون على الحقيقة او الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة او الكاذبون فى قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر

(لقصوها)

(من كفر بالله من بعد ايمانه) بدل من الذين لايؤمنون ومابينهما اعتراض اومن اولئك اومن الكاذبون اومبتدأ خبره محذوف دل عليه

لقصورها عن رتبة الكمال فكذا الحال فى قوله تعالى واولئك هم الكاذبون واليه اشار بقوله او الكاملون فى الكذب وعلى التقديرين تفيد الجملة الثانية غير ماتفيده الاولى فلا استدراك وكذا ان اريد بالثانية اولئك الذين عادتهم الكذب واستمرّوا عليه بناء على انه عبر عن المسند فى الجملة الاولى بلفظ الفعل الدال على الحدوث وعدم الدوام وفى الثانية عدل الى الجملة الدالة على الاستمرار والوجه الرابع لاندفاع الاستدراك ان ماأثبت للذين كفروا فى الجملة الاولى هو مطلق الكذب وماأثبت لهم فى الثانية هو الكذب المخصوص الواقع فى قولهم انما انت مفتر وانما يعلمه بشر وفى الآية دليل على ان الكذب من اكبر الكبائر والفحش الفواحش لان كلمة انما للحصر فدلت على ان الكذب والفرية لايقدم عليه الامن كان كافرا بآيات الله وهذا تهديد عظيم روى الامام محيى الدين والسنة فى تفسيره ان عبدالله بن جراد قال قلت يارسول الله المؤمن يزنى قال *قد يكون ذلك* قلت المؤمن يسرق قال *قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال *لاقال الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله ﴿قوله﴾ بدل من الذين لايؤمنون ﴿ فان قلت كيف يكون بدلا منه مع ان قوله تعالى انما يفترى الكذب ردّ لقول قريش انما انت مفتر وهم ماكفروا بعد الايمان *اجيب عنه بان قوله تعالى من بعد ايمانه المراد منه من بعد تمكنه من الايمان كقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اذلاهدى لهم بل بتمكنهم من الهدى والاعراض عن الايمان بعد التمكن منه على سبيل العناد والتمرّد ابلغ فى ابطال مقالتهم كانه قيل انما يفترى الكذب من كفر بالله عنادا بعد تمكنه من الايمان الصحيح المستند الى الدليل القاطع والبرهان الساطع واستثنى منه المكره فلم يدخل تحت من افترى الكذب ﴿قوله﴾ او مبتدأ خبره محذوف ﴿ تقديره فعليه غضب حذف لدلالة مابعد من الثانية عليه وكذا ان كانت من شرطية حذف جوابها اعتمادا على دلالة مابعد من فان جواب من شرح يدل عليه تقديره فعليهم غضب الامن اكره لكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب اى فتح صدره ووسعه لقبول الكفر وطابت به نفسه واصل الشرح بسط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم وشرحت الكلام المشكل اى بسطته واظهرت معانيه ومنه شرح الصدر وصدرا منصوب على التمييز والاصل شرح صدره فاسند الفعل الى المضاف اليه وانتصب صدرا على التمييز وقال الامام انتصب صدرا على انه مفعول للشرح والتقدير ولكن من شرح بالكفر صدره وحذف الضمير لانه لايشكل بصدر غيره اذ البشر لايقدر على شرح صدر غيره فهو نكرة ويراد به المعرفة ﴿قوله﴾ استثناء متصل ﴿ لان من اكره على كلمة الكفر داخل فى جنس من كفر لان الكفر لغة يعم القول والعقد ﴿قوله﴾ تعالى وقلبه مطمئن بالايمان ﴿ جملة حالية اى الامن اكره فى هذه الحالة ووجه الاستدراك فى قوله ولكن من شرح بالكفر دفع توهم ان من اكره من غير اعتقاد له اومع اعتقاد والعياذ بالله مستثنى من استحقاق الغضب والعذاب العظيم وقوله وقلبه مطمئن لاينفى ذلك الوهم فاحتيج الى الاستدراك لدفع ذلك الوهم روى عن مجاهد انه قال اوّل من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر وحباب وصهيب وبلال وعمار وسمية رضوان الله عليهم اجمعين اما الرسول فمنعه ابوطالب واما ابوبكر فمنعه قومه واخذوا الآخرين والبسوهم ادرع الحديد ثم اجلسوهم فى الشمس فبلغ منهم الجهد بحرّ الحديد والشمس واتاهم ابوجهل يشتمهم ويوبخهم وشتم سمية ثم طعن بالحربة فى فرجها وقال الآخرون ماقالوا لهم غير بلال فانهم جعلوا يعذبونه ويقول احد احد حتى ملوه فتركوه قال عمار كنا نتكلم بالذى ارادوا غير بلال هانت عليه نفسه فتركوه وقال حباب لقد اوقدوا لى نارا ماأطفاها الاودك ظهرى قال الامام قوله تعالى فعليهم غضب معناه انه تعالى حكم عليهم بالعذاب ثم وصف ذلك العذاب فقال ولهم عذاب عظيم اذلا اعظم من جرمه لان الغضب لكونه من الكيفيات النفسانية المستحيلة فى حقه تعالى يراد غايته وهى العذاب فيكون فائدة قوله ولهم عذاب عظيم توصيف ذلك بالعظم ﴿قوله﴾ اى الكافرين فى علمه ﴿ فالمعنى انه تعالى لايهدى الى مايوجب ثبات الايمان ولايعصم من الزيغ والميل عن الحق من علم الله انه يختار الكفر وان يموت عليه واذا كان كل واحد من ايثار الامور الدنيوية وعدم هدايتهم الى مايوجب الثبات على الحق سببا للكفر بعد تبين الحق وقبوله يكون سببا لما يترتب عليه من العذاب العظيم ثم انه تعالى بين طريق عدم هدايتهم الى مايوجب الثبات على الحق بقوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم اى خلق فى قلوبهم ومشاعرهم لاطبع عليها حقيقة فان القلوب والمشاعر لاتقبل حقيقة الطبع ثم وصفهم بكمال الغفلة حيث حصر حقيقة الغفلة فيهم بحيث لا تتجاوزهم الى غيرهم وذلك اما لكونهم كاملين فى الغفلة

قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون من شرطية محذوفة الجواب (الامن اكره) على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان (وقلبه مطمئن بالايمان) لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) اعتقده وطاب به نفسا (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) اذلا اعظم من جرمه روى ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووخز بحربة فى قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اوّل قتيلين فى الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ماأرادوا مكرها فقيل يارسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من فرقه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه فقال مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روى ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ماتقول فى محمد قال رسول الله قال فماذا تقول فىّ فقال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ماتقول فى محمد قال رسول الله قال فماتقول فىّ قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاوّل فقد اخذ برخصة الله واما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئا له (ذلك) اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد (بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) بسبب انهم آثروها عليها (وان الله لايهدى القوم الكافرين) اى الكافرين فى علمه الى مايوجب ثبات الايمان ولايعصمهم من الزيغ (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم) فأبت عن ادراك الحق والتأمل فيه (واولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة عما يراد بهم اذا غفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب (لاجرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون) اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد

بحيث لاتعدّ غفلة غيرهم فى جنب غفلتهم فان من اتصف بما ذكر من الاستحقاق لغضب الله تعالى وعذابه العظيم وايثار الحياة الدنيا على الحياة الآخرة والحرمان من هداية الله تعالى وكونه مطبوعا على قلبه ومشاعره ثم غفل عما يراد به من العذاب الشديد الدائم فى الآخرة تكون غفلته اشدّ واكمل ويكون عن الطامات وتحصيل اسباب السعادات الابدية ابعد فلاجرم يكون فى الآخرة اخسر ثم انه تعالى لما ذكر حال من كفر بالله بعد ايمانه وحال من اكره على الكفر فاظهر الكفر حذرا من الهلاك ذكر بعده حال من اظهر الكفر مكرها اذا هاجروا وجاهدوا وصبروا وحال من آذى المسلمين واكرههم وحملهم على الارتداد على القرآءتين فى قوله من بعد ما فتنوا فقال ثم ان ربك للذين هاجروا الآية ﴿قوله﴾ بالولاية والنصر ﴿﴾ اشارة الى ان قوله تعالى للذين هاجروا خبر ان كما تقول ان زيدا لك اى هو لك لاعليك بمعنى هو ناصر لك لاخاذل لك ﴿قوله﴾ تجادل عن ذاتها ﴿﴾ اشارة الى ان النفس الثانية عبارة عن ذات الشخص وعينه وحقيقته والنفس الاولى عن جسد الشخص وجملته فليس للنفس نفس اخرى تضاف احداهما الى الاخرى روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الاحبار خوّفنا قال يا امير المؤمنين والذى نفسى بيده لو وافيت فى القيامة بعمل سبعين نبيا لاتت عليك امارات وانت لايهمك الانفسك وان لجهنم زمزمة مايبقى ملك مقرّب ولانبى مرسل الا وقع جاثيا على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يارب لا اسألك الا نفسى وان تصديق ذلك قوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها والسعى فى خلاصها ﴿قوله﴾ اى وجعلها ﴿﴾ اشارة الى ان ضرب عدّى الى مفعولين اوّلهما القرية الموصوفة وثانيهما مثلا لتضمين ضرب معنى جعل فان ضرب المثل اعتماله ووضعه من ضرب اللبن والخاتم فلا يتعدّى الا الى مفعول واحد فلما عدّى ههنا الى مفعولين احتيج الى اعتبار التضمين والمراد بالقرية اهلها بقرينة ما اسند اليها من كفران النعم والجوع والخوف وقوله بما كانوا يصنعون لما هدّد الله تعالى الكفار بالوعيد الشديد الواقع فى الآخرة هدّدهم ايضا بآفات الدنيا وهى الوقوع فى الجوع والخوف * واعلم ان المثل قد يضرب بشئ موصوف بصفة معينة سواء كان الشئ موجودا اولم يكن لان المثل انما يضرب لترغيب المكلف فى الاتصاف بتلك الصفة او لتنفيره عنها ولا مدخل فى ذلك الترغيب والترهيب لتحقق تلك الصفة فى شئ بعينه كما مرّ فى قوله ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها وقد يضرب بشئ معين فالمقصود ضرب القرية الموصوفة مثلا سواء كان ترهيب كل قوم انعم الله عليهم فكفروا فانزل الله تعالى بهم نقمته او ترهيب كفار مكة بخصوصهم ولا يلزم ان تكون القرية الموصوفة الممثل بها قرية من قرى الاوّلين بل قرية كانت حالها كذلك فضرب بها الله مثلا لاهل مكة اولكل قوم شأنهم كشأن اهل مكة وان لايكون موجودا فى قرى الاوّلين مثلها بل يقدّر قرية على هذه الصفة فيضرب بها المثل ثم ان اهل مكة قد ابتلاهم الله تعالى بما ذكر من المحن فانهم كانوا آمنين لاتغار عليهم العرب بل كانوا يحترمونهم ويخصونهم بالتعظيم والتكريم لكونهم اهل حرم الله مع انهم كانوا يغير بعضهم على بعض وكانوا مطمئنين فى بلدهم من حيث ان ذلك البلد كان ملائما لامزجتهم فاطمأنوا اليه واستقرّوا فيه من غير اضطراب وانزعاج وكان يأتيهم رزقهم رغدا من كل مكان وهذه النعم الثلاث جمعها من قال ثلاثة ليس لها نهاية * الامن والصحة والكفاية * فقوله تعالى آمنة اشارة الى الامن وقوله مطمئنة اشارة الى الصحة وقوله يأتيها رزقها اشارة الى الكفاية والمفهوم من كلام المصنف ان يكون الاطمئنان اثر الامن ولازمه من حيث ان الخوف يوجب الانزعاج وينافى الاطمئنان ثم انه تعالى زاد على هذه النعم المذكورة فى حق اهل مكة حيث بعث فيهم رسولا من انفسهم ينذرهم عما يوجب العذاب الاليم ويدعوهم الى النعيم المقيم فكفروا به وبالغوا فى ايذائه فسلط الله عليهم البلاء وابتلاهم بالجوع سبع سنين وقطعت عنهم العرب الميرة بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا واكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعلهز وهو الوبر الذى يعجن بالدم وابتلاهم الله تعالى بالخوف حيث كان عليه الصلاة والسلام يبعث اليهم السرايا فيغيرون عليهم ﴿قوله﴾ استعار الذوق ﴿﴾ لما كان فى الآية اشكال من حيث ان الله تعالى اوقع الاذاقة على اللباس مع ان اللباس ليس مما يدرك بالذوق ثم اضاف اللباس الى الجوع والخوف وليس لهما لباس فكيف صحت اضافة اللباس اليهما اشار المصنف الى دفع الاشكال المذكور بان جعل الذوق مستعارا لادراك اثر الضرر بان شبه ادراك الانسان اثر مايضرّه باحساس طعم الشئ المرّ بالفم الذى هو الذوق فاطلق على المشبه الذى هو امر عقلى اسم المشبه به وهو الذوق وجعل اللباس مستعارا لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف بان شبه مايغشى الانسان

﴿ويلتبس﴾

﴿ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾ اى عذبوا كعمار رضى الله تعالى عنه بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اى بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمى اكره مولاه جبرا حتى ارتدّ ثم اسلما وهاجرا ﴿ثم جاهدوا وصبروا﴾ على الجهاد وما اصابهم من المشاق ﴿ان ربك من بعدها﴾ من بعد الهجرة والجهاد والصبر ﴿لغفور﴾ لما فعلوا قبل ﴿رحيم﴾ منعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد ﴿يوم تأتى كل نفس﴾ منصوب برحيم او باذكر ﴿تجادل عن نفسها﴾ تجادل عن ذاتها وتسعى فى خلاصها لايهمها شأن غيرها فتقول نفسى نفسى ﴿وتوفى كل نفس ما عملت﴾ جزآء ما عملت ﴿وهم لايظلمون﴾ لاينقصون اجورهم ﴿وضرب الله مثلا قرية﴾ اى وجعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم النقمة او لمكة ﴿كانت آمنة مطمئنة﴾ لايزعج اهلها خوف ﴿يأتيها رزقها﴾ اقواتها ﴿رغدا﴾ واسعا ﴿من كل مكان﴾ من نواحيها ﴿فكفرت بانعم الله﴾ بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس ﴿فاذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾ استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف

ويلتبس به من اثر الجوع والخوف باللباس الحقيقي والجامع بينهما كونهما مشتملين على الانسان وغاشيين له ثم اطلق اسم اللباس على مايغشى الانسان من اثرهما وجعل اضافته اليهما قرينة صارفة عن ارادة المعنى الحقيقي فكل واحد من الاذاقة واللباس استعارة مغايرة لاستعارة الآخر ثم اوقعت الاذاقة المستعارة على اللباس المستعار بان جعل اللباس مفعولا للاذاقة بالنظر الى المستعار له يعني ان الاذاقة بمعنى الاصابة والايصال وان لم تكن ملائمة للمعنى الذي استعير منه اللباس لكنها ملائمة للمعنى الذي استعير له اللباس وهو اثر الخوف والجوع الذي يغشى الانسان كما يغشاه اللباس فاوقعت الاذاقة بمعنى الاصابة على اللباس فاطلاق الاذاقة بمعنى الاصابة او الايصال على اللباس بالمعنى المجازي بطريق التجريد لكونها ملائمة لما هو اثر الجوع والخوف فان الاستعارة على ثلاثة اقسام مطلقة ومجرّدة ومرشحة فالمطلقة مالم تقرن بصفة مما يلائم المستعار له او المستعار منه والاستعارة المجرّدة ماقرنت بما يلائم المستعار له كقوله * غمر الرداآء * اي كثير العطايا استعير الرداآء للعطاء من حيث انه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداآء مايلقى عليه ثم وصف الرداآء بالغمر الذي يلائم العطاء دون المعنى المستعار منه وهو الرداآء الحقيقي تجريد والاستعارة المرشحة ما قرنت بما يلائم المستعار منه كقوله

* ينازعني ردآئي عبد عمرو * رويدك يا اخا عمرو بن بكر *
* لي الشطر الذي ملكت يميني * ودونك فاعتجر منه بشطر *

استعار الرداء للسيف والاعتجار لف العمامة على الرأس من غير ادارة تحت الحنك ثم اوقع الاعتجار على شطر الرداآء بالنظر الى المستعار منه لكونه ملائما للرداآء الحقيقي ومعنى البيت يجاذبني سيفي عبد عمرو ويريد ان يأخذه مني فقلت له رويدك لي الشطر الاعلى من السيف وهو طرفه الذي في يميني وخذ انت الطرف الآخر منه فاعتجر اي لف برأسك ﴿قوله﴾ غلقت لضحكته رقاب المال ﴿ اي بقيت رقاب الرهن في يد المرتهن ولم يتأت للممدوح فكها منه يقال غلق الرهن اذا استحقه المرتهن وذلك اذا لم يقل بعتك في الوقت المشروط يقول اذا ضحك ضحكة ايقن السائل انه بذلك التبسم استغلق رقاب ماله ويعطي بلا خلاف ﴿قوله﴾ بعد ما زجرهم عن الكفر ﴿ اشارة الى ان الفاء في قوله تعالى فكلوا للتفريع مابعدها على ماذكر قبلها من التمثيل وما حل بهم من العذاب حال التباسهم بالظلم كانه قيل اذا تبين لكم مضمون التمثيل وتحقق عندكم ان ماحل بهم بسبب التباسهم بالظلم فاتركوا الشرك والظلم حتى تأكلوا وتشكروا وامتنعوا عن صنع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة بعد ما علمتم وخامة عاقبتها ﴿قوله﴾ عدّد عليهم محرّماته ليعلم ان ماعداها حلّ لهم ﴿ اعلم انه تعالى حصر المحرّمات في هذه الاربعة في هذه السورة وحصرها ايضا في هذه الاربعة في سورة الانعام حيث قال قل لا اجد فيما اوحي الي محرّما على طاعم وهاتان السورتان مكيتان وحصرها ايضا في هذه الاربعة في سورة البقرة وحصرها ايضا في هذه الاربعة في سورة المائدة فانه تعالى قال في اوّل تلك السورة احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم فاباح الكل الا ما يتلى عليهم واجمعوا على ان المراد بقوله الا ما يتلى عليكم هو قوله تعالى في تلك السورة حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فذلك تلك الاربعة المذكورة في تلك السور الثلاث ثم قال والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وهذه الاشياء داخلة في الميتة ثم قال وما ذبح على النصب وهو احد الاصناف الداخلة تحت قوله وما اهل لغير الله به فثبت ان السور الاربع دالة على حصر المحرّمات في هذه الاربعة سورتان مكيتان وسورتان مدنيتان فان سورة البقرة مدنية وسورة المائدة من آخر ما نزل بالمدينة فمجموع ما نزل في مكة والمدينة دال على انحصار المحرّمات فيها وما زيد عليها فبدليل شرعي يثبت الحكم به وما ذهب اليه الكفار من زيادة المحرّمات على هذه الاربعة بلا شرع ثابت مقرّر لا يصح القول بزيادته اذ هو قول مزيف فانهم كانوا يحرّمون البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وكانوا يقولون ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرّم على ازواجنا فتحريمها ذهاب الى زيادة المحرّمات باهوآئهم وجهالاتهم متجاوزين عن اتباع ماشرعه الله تعالى على لسان انبيائه وزادوا ايضا في المحللات حيث حللوا الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فبين الله تعالى ان المحرّمات هي هذه الاربعة وأكد هذا البيان بالنهي عن التحريم بمجرّد اهوآئهم فقال ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ﴿قوله﴾ تعالى حلالا طيبا ﴿ قال بعضهم الحلال والطيب واحد كانه قال كلوا ما احل لكم فهو كقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم اي ما حلّ لكم وقال بعضهم الطيب ما تستطيبه النفس وتتلذذ به لان من الحلال مالا تتلذذ به النفس بل تكرهه فانه تعالى جعل غذآء

واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير * غمر الرداآء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال * فانه استعار الرداآء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداآء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداآء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله

ينازعني ردآئي عبد عمرو * رويدك يا اخا عمرو بن بكر *
لي الشطر الذي ملكت يميني *
ودونك فاعتجر منه بشطر *

استعار الرداآء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار ﴿بما كانوا يصنعون﴾ بصنيعهم ﴿ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم ﴿فاخذهم العذاب وهم ظالمون﴾ اي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر ﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا﴾ امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهدّدهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدّا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة ﴿واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون﴾ تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته ﴿انما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم﴾ لما امرهم بتناول ما احل لهم عدّد عليهم محرماته ليعلم ان ماعداها حل لهم ثم أكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوآئهم فقال ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام﴾ كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية وسياق مقتضى الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الاما اقيم عليه دليل كالسباع والحمر الاهلية

البشر ماهو اطيب والذ وجعل للبهائم والانعام ماهو اخبث واخشن ولاشك ان ماهو اطيب والذ اتم نعمة وادعى الى الشكر وقوله تعالى فمن اضطرّ غير باغ اى فمن اضطرّ الى تناول ماذكر من المحرّمات وقيل معناه غير باغ على الوالى ولامتعدّ على الناس بالخروج لقطع الطريق فعلى هذا لايباح تناول شئ من المحرّمات فى سفر المعصية ﴿قوله وانتصاب الكذب بلا تقولوا﴾ على انه مفعول به ويحتمل ان يكون مفعولا مطلقا فان القول قد يتعدّى وقد لا يتعدّى فهو مفعول به والا فمفعول مطلق فعلى هذا تكون ما موصولة واللام صلة لقوله لاتقولوا اى لاتقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهائم وذلك الكذب هو ان تقولوا فى حقها هذا حلال وهذا حرام ومتعلقة بتصف بان يكون مسوقا لبيان الوصف الذى تبينه الالسنة فالفاء فى قول المصنف فتقول كالفاء التى فى قوله تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم فان الفاء العاطفة للجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ماقبلها فى الذكر لان مضمون مابعدها واقع عقيب مضمون ماقبلها فى الزمان كقوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وقوله واورثنا الارض نتبوّأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين فان ذكر ذم الشئ ومدحه انما يصح بعد جرى ذكره ومن هذا الباب عطف تفصيل المجمل كقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى فان موضع ذكر التفصيل بعد الاجمال ومنه قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا وهم نائمون فان تبييت البأس تفصيل الاهلاك المجمل وما نحن فيه من هذا القبيل فان قول الالسنة هذا حلال وهذا حرام تفصيل للوصف الذى اسند اليها فكلمة ما ايضا موصولة واللام صلة ولا تقولوا ﴿قوله او مفعول لاتقولوا﴾ عطف على قوله بدل منه وقوله لوصف السنتكم الكذب اشارة الى ان اللام فى قوله لما تصف للتعليل والمعنى لاتقولوا هذا حلال وهذا حرام لاجل وصف السنتكم الكذب اى لاجل قول تنطق به السنتكم من غير حجة * فان قيل حمل الآية على هذا الوجه يؤدّى الى التكرار لان قوله لتفتروا على الله الكذب عين قوله لاجل وصف السنتكم الكذب * فالجواب ان قوله لما تصف ألسنتكم ليس فيه بيان انه كذب على الله فاعاد قوله لتفتروا على الله الكذب ليفيد هذا البيان الزائد ونظيره فى القرآن كثير فانه تعالى يذكر كلاما ثم يعيده بعينه مع فائدة زائدة ﴿قوله ووصف السنتهم بالكذب﴾ جواب عما يقال الكذب مصدر لكذب والالف واللام فيه لتعريف الحقيقة والسنتهم لاتصف اى لاتوضح ولاتبين حقيقة الكذب وماهيته بل تتكلم كلاما موصوفا بالكذب فما وجه كون الكذب مفعول تصف * وتقرير الجواب نعم ان مقتضى الظاهر ان يقال مما تصف السنتكم الكلام الكاذب وتظهره الا انه جعل الظاهر المتبين بالسنتهم نفس الكذب وحقيقته مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب فان اصل الكلام مما تصف السنتكم الكلام الكاذب ثم عدل عنه فقيل الكلام الكذب مبالغة على طريق رجل عدل ثم حذف الموصوف واقيم الكذب مقامه فقيل لما تصف السنتكم الكذب كما يقال وجهها يصف الجمال * مع ان وجهها انما يظهر الشكل المخصوص الموصوف بالجمال لانفس الجمال وحقيقة الا ان وجهها لما كان فى غاية الحسن والجمال صار كأنه عين حقيقة الجمال فاذا وصف الشكل الجميل صح ان يقال انه وصف نفس الجمال وكذلك العين لما كانت تشبه الساحر وتصفه كمال المشابهة والتوصيف صح ان يقال انها تصف السحر ﴿قوله وقرئ الكذب بالجرّ بدلا من ما﴾ قال ابو البقاء ويقرأ بفتح الكاف وكسر الذال والباء على البدل من جعلها مصدرية او بمعنى الذى انتهى اى ولاتقولوا لوصف السنتكم الكذب او للذى تصف السنتكم الكذب والمراد من كونه بدلا من ما المصدرية كونه بدلا منها مع مافى حيزها اى من المصدر المنسبك منها وهو وصف السنتكم ﴿قوله والكذب﴾ اى وقرئ الكذب بضم الكاف والذال ورفع الباء على انه صفة الالسنة جمع كذوب كصبور وصبر او جمع كاذب كشارف وشرف او جمع كذاب نحو كتاب وكتب وهو مصدر بمعنى الكذب قال والمرء يتبعه كذابه * اى كذبه وقرئ الكذب بفتحتين ونصب الباء بتقدير اعنى قصد الذم الالسنة او بمعنى الكلم الكواذب اى ولما تصف السنتكم الكلم الكواذب ﴿قوله تعليل لايتضمن الغرض﴾ يعنى ان اللام فيه لام العاقبة والصيرورة لا للتعليل الصريح اذ ليس الافتراء على الله غرضهم من التحريم والتحليل من غير حجة بل كانوا ينسبون ذلك التحريم والتحليل اليه تعالى ويقولون انه تعالى امرنا بذلك فكان عاقبة قولهم هذا افتراء على الله تعالى ثم انه تعالى اوعد المفترين فقال ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون ثم بين ان ماهم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال متاع قليل اى ما يتمتعون به من نعيم الدنيا شئ قليل فى ذاته وبحسب

واتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اى ولاتقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لاتقولوا او الكذب منتصب بتصف وما مصدرية اى ولاتقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب اى ولاتحرّموا ولاتحللوا بمجرّد قول تنطق به ألسنتكم من غير دليل ووصف ألسنتهم بالكذب مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجهولة وألسنتهم تصفها وتعرّفها بكلامهم هذا ولذلك عدّ من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجرّ بدلا مما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب ﴿لتفتروا على الله الكذب﴾ تعليل لايتضمن الغرض ﴿ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون﴾ لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله ﴿متاع قليل﴾ اى ما يفترون لاجله او ماهم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ﴿ولهم عذاب اليم﴾ فى الآخرة

مدّة الانتفاع به بل متاع كل الدنيا قليل ثم انه تعالى لما بين مايحل ويحرم لاهل الاسلام اتبعه ببيان ماخصّ اليهود بتحريمه فقال وعلى الذين هادوا حرّمنا ماقصصنا عليك من قبل اى من قبل تحريمنا على اهل ملتك ماعددناه من المحرّمات ﴿قوله كما يكون للمضرّة﴾ اى لمضرّة ماحرّم لمن اكله فان ماحرّم على المسلمين لم يحرّم عليهم الاصونا لهم عن مضرّته بخلاف اليهود فانه حرّم عليهم ماحرّم جزآء لبغيهم وعقوبة على ظلمهم وقال ايضا ذلك جزيناهم ببغيهم ثم انه تعالى لما بالغ فى تهديد المشركين على انواع قبائحهم من انكار البعث والنبوّة وكون القرءآن العظيم من عند الله وتحريم مااحل الله وتحليل ماحرّمه ونحو ذلك بين ان امثال تلك القبائح لاتمنعهم من قبول التوبة وحصول المغفرة والرحمة اذا ندموا على مافعلوا وآمنوا واطاعوا ولم يقدّر للجهالة متعلق لتعم كل جهالة وكل من يفعل السوء فانما يفعله ملتبسا بالجهالة اما الكفر فلأن احدا لا يرضى به مع العلم بكونه كفرا وانه مالم يعتقد ان ماهو عليه حق لايختاره ولا يثبت عليه واما المعصية فلما لم تصر الشهوة غالبة على العقل والعلم لم تصدر تلك المعصية فثبت ان كل من عمل السوء فانما يقدم عليه بسبب الجهالة فلذلك قيل كل من عصى الله فهو جاهل ثم انه تعالى لما زيف فى هذه السورة مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوّة وتحريم مااحله الله تعالى ذكر فى آخر السورة من هو رئيس الموحدين ووصفه باوصاف شريفة وطريقة حسنة مقبولة لذوى العقول ليكون ذكره حاملا لهؤلاء المشركين على الاقرار بالتوحيد والاقتدآء به فى الاتصاف بماله من الفضائل والكمالات فقال ان ابراهيم كان امّة فانتالله الآية سميت الامّة امّة لكثرة افرادها وفى الحديث *لولا ان الكلاب امّة لامرت بقتلها *جعل الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام امّة تشبيها له بالامّة من حيث استجماعه فضائل لاتكاد توجد الامتفرّقة فى جماعة فان ذلك ليس ببديع من قدرة الله تعالى كما قال الشاعر

* وليس من الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد *

يعنى ان الله تعالى قادر ان يجمع فى واحد مافى الناس من انواع الفضل والكمال والدامغة اسم لشجة بلغت ام الدماغ وهى الجلدة التى تجمع الدماغ شبه المذاهب الزائغة باشخاص لها رؤس مشتملة على الدماغ وشبه ابطال حجج تلك المذاهب بشجها شجة دامغة فاطلق اسم الدمغ على الابطال المذكور ثم اشتق من الدمغ بمعنى الابطال لفظة الدامغة بمعنى المبطلة لجعل هذه الاستعارة التبعية تخييلا لما اضمر من تشبيه المذاهب الزآئغة بالاشخاص المذكورة وهذا التشبيه المضمر فى النفس هو الاستعارة بالكناية عند الخطيب الدمشقى ﴿قوله ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين﴾ اى ولاجل كونه عليه الصلاة والسلام رئيس الموحدين جعل الله تعالى ذكره عليه الصلاة والسلام بحيث يعقب التزييف ويخلفه على ان قوله تزييف ثانى مفعولى عقب يقال عقبه مخففا يعقبه بمعنى خلفه يخلفه وعاقب كل شئ آخره الذى يخلفه ويكون بعده وبالتضعيف يتعدّى الى اثنين وان شئت قلت عقب ذكره تزييف بان يجعل عقب ثلاثيا وذكره مرفوعا على انه فاعل عقب وتزييف منصوبا على المفعولية ﴿قوله اولانه كان وحده مؤمنا﴾ قسيما للامّة والرحلة بضم الرآء الذى يرحل اليه يقال انتم رحلتى اى الذين أرتحل اليهم والنخبة المنتخب يقال جاءنى نخبة اصحابه اى خيارهم فان كان امّة فعلة بمعنى المفعول يكون اما بمعنى المأموم اى المقصود الذى يؤمّه الناس اى يقصدونه ليأخذوا منه الخير* الجوهرى الأم بالفتح القصد يقال امّه يؤمّه اذا قصده واما بمعنى المؤتم به المقتدى به * الجوهرى ائتم القوم فى الصلاة اماما وائتم به اى اقتدى وصف الله تعالى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بتسع صفات الصفة الاولى انه كان امّة اى كالأمّة من حيث استجماعه فضائل لاتكاد توجد الامتفرّقة فى الجماعة والثانية كونه قانتا لله تعالى اى مطيعا له قائما بما امره قال الراغب القنوت لزوم الطاعات مع الخضوع وفسر بكل واحد منهما فى قوله تعالى كل له قانتون قيل خاضعون وقيل طائعون والثالثة كونه حنيفا اى مائلا عن الملل الى ملة الاسلام والرابعة انه لم يكن من المشركين وكيف يكون مشركا وقد كان اكبر همته فى حال صغره وكبره مصروفا الى تقرير دلائل ثبوت الصانع ووحدته حتى قابل ملك زمانه واقام عليه الحجج والبراهين الدالة على وجود الآله القادر على كل شئ مثل قوله ربى الذى يحيى ويميت وقوله فان الله يأتى بالشمس من المشرق فائت بها من المغرب ثم ابطل عبادة الاصنام والكواكب بقوله لااحب الآفلين ثم كسر تلك الاصنام حتى آل الامر الى ان ألقوه فى النار ثم طلب من الله تعالى ان يريه كيفية احياء الموتى ليحصل له مزيد الطمأنينة ومن وقف على علم القرءآن علم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان مستغرقا

﴿وعلى الذين هادوا حرّمنا ماقصصنا عليك﴾ اى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذى ظفر ﴿من قبل﴾ متعلق بحرّمنا او بقصصنا ﴿وماظلمناهم﴾ بالتحريم ﴿ولكن كانوا انفسهم يظلمون﴾ حيث فعلوا ماعوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم وانه كما يكون للمضرّة يكون للعقوبة ﴿ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة﴾ بسببها او ملتبسين بها لتمام الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ﴿ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها﴾ من بعد التوبة ﴿لغفور﴾ لذلك السوء ﴿رحيم﴾ يثيب على الانابة ﴿ان ابراهيم كان امّة﴾ لكماله واستجماعه فضائل لاتكاد توجد الامتفرّقة فى اشخاص كثيرة كقوله وليس من الله بمستنكر *

ان يجمع العالم فى واحد *

وهو عليه السلام رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزآئغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوّة وتحريم ماحله اولانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمّونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله انى جاعلك للناس اماما ﴿قانتا لله﴾ مطيعا له قائما باوامره ﴿حنيفا﴾ مائلا عن الباطل ﴿ولم يك من المشركين﴾ كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم صلوات الله عليه ﴿شاكرا لانعمه﴾ ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لايخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة ﴿اجتباه﴾ للنبوّة ﴿وهداه الى صراط مستقيم﴾ فى الدعوة الى الله ﴿وآتيناه فى الدنيا حسنة﴾ بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة ﴿وانه فى الآخرة لمن الصالحين﴾ لمن اهل الجنة كما سأله بقوله وألحقنى بالصالحين

فى بحر التوحيد والخامسة كونه شاكرا لانعامه روى انه عليه الصلاة والسلام كان لا يتغدّى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غدآءه فاذا هو بقوم من الملائكة فى صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله تعالى على انه عافانى مما ابتلاكم فلولا قوّة عزمكم على الصبر على ما اصابكم لما ابتلاكم بهذا البلاء والسادسة مادل عليه قوله اجتباه اى اصطفاه للنبوّة واختاره للخلة والسابعة مادل عليه قوله وهداه الى صراط مستقيم فى الدعوة الى الله والترغيب فى الدين الحق والترهيب والتنفير عن الدين الباطل والثامنة مادل عليه قوله وآتيناه فى الدنيا حسنة قال قتادة ان الله تعالى حببه الى كل الخلق وكل اهل الاديان يتولونه اى يحبونه ويفتخرون بالانتساب اليه اما المسلمون واليهود والنصارى فظاهر واما كفار قريش وسائر العرب فانه لافخر لهم الا به وذلك لانه تعالى اجاب دعاءه فى قوله واجعل لى لسان صدق فى الآخرين حتى قال من يصلى منا كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم والتاسعة قوله وانه فى الآخرة لمن الصالحين اجاب الله تعالى دعاءه فى قوله رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين وكونه من الصالحين لا ينفى كونه فى اعلى مقامات الصالحين ثم انه تعالى لما وصفه بهذه المدآئح التسع وصفه بخصلة عاشرة هى اجل واشرف من المدآئح السابقة وهى ان يكون سيد الانبياء والمرسلين عليه وعليهم صلوات الله وسلامه اجمعين مأمورا باتباع ملته فكلمة ثم للتنبيه على ان منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلى من منزلته عليه الصلاة والسلام وكون نبينا صلى الله عليه وسلم مأمورا باتباع ملته لا ينافى اختصاصه بفضائل اخر يفضل بها على جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام واصل الملة الدين لقوله عليه الصلاة والسلام لا يتوارث اهل ملتين اى اهل دينين ﴿قوله حنيفا فى التوحيد﴾ اشارة الى ان قوله حنيفا حال من المضاف اليه وامتناع الحال من المضاف اليه ليس على اطلاقه وانما يمتنع اذا لم يكن بين المضاف والمضاف اليه ملابسة قوية مثل ان يكون المضاف جزأ من المضاف اليه او بمنزلة الجزء منه والملة ههنا بمنزلة الجزء من ابراهيم فلذلك كان انتصاب الحال منه بمنزلة انتصابها من الملة والعامل فيها معنى الاضافة وقوله تعالى انما جعل السبت الآية جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام لما امر بمتابعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فكيف خالفه باختيار يوم الجمعة فان الظاهر ان ابراهيم قد اختار فى شرعه تعظيم يوم السبت بشهادة ان قوم موسى عليه الصلاة والسلام يعظمون يوم السبت ويروى ذلك على ان تعظيمه شريعة متواترة من يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال امرهم موسى عليه الصلاة والسلام بالجمعة وقال تفرّغوا لله تعالى فى كل سبعة ايام يوما واحدا وهو يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيأ من اعمالكم فابوا ان يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذى فرغ الله تعالى فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل عليهم السبت وشدّد عليهم ثم جاء هم عيسى عليه الصلاة والسلام وامرهم ايضا بالجمعة فقالت النصارى لا نريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وروى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا اليه فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد فقوله تعالى على الذين اختلفوا فيه ليس معناه ان اليهود اختلفوا فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود متفقون على ذلك بل معناه انهم اختلفوا على نبيهم من حيث انه امرهم باختيار الجمعة وخالفوه باختيارهم يوما آخر وما يدل عقلا على ان يوم الجمعة سيد الايام واجدر للاختيار ان اهل الملل اتفقوا على انه تعالى خلق العالم فى ستة ايام وبدأ بالخلق والتكوين فى يوم الاحد وتم فى يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم الفراغ فقال اليهود نحن نوافق ربنا فى ترك الاعمال فعينوا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى مبدأ الخلق والتكوين يوم الاحد فنجعل هذا اليوم عيدا لنا فهذا وجه الفريقين فى اختيار اليومين ونحن نقول يوم الجمعة هو يوم التمام والكمال وتمام النعمة وكمالها هو الموجب لكمال الفرح والسرور والموجب للاشتغال بالشكر والخضوع فكان يوم الجمعة افضل بالنسبة الى سائر الايام من هذا الوجه وفضله عليها من هذا الوجه يصلح ان يكون وجها عقليا للتخصيص بجعله يوم العيد والعبادة الزآئدة وقيل معنى اختلافهم فى السبت انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرّموه اخرى ولم يتفقوا على كلمة واحدة مع انه تعالى امرهم بتعظيمه والامتناع عن الصيد فيه قال قتادة استحل الصيد فيه بعضهم زمن داود يعنى اهل ايلة فجعل السبت عليهم حيث عوقبوا بترك تحريمه بان لعنوا ومسخوا قردة دون الذين نهوا آباءهم عن ذلك ثم انه تعالى لما امره عليه الصلاة والسلام باتباع ابراهيم عليه السلام بين فى اىّ شئ يتبعه فقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة

﴿ثم اوحينا اليك﴾ يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما اوتى ابراهيم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ملته اولتراخى ايامه ﴿ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا﴾ فى التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرّة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه ﴿وما كان من المشركين﴾ بل كان قدوة الموحدين ﴿انما جعل السبت﴾ تعظيم السبت والتخلى فيه للعبادة ﴿على الذين اختلفوا فيه﴾ اى على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرّغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا الا طائفة منهم وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدّد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فأحلوا الصيد فيه تارة وحرّموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التى كفرت بانعم الله ﴿وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق من الآبين والمعظمين بما يستحقه

(قوله)

(ادع) من بعثت اليهم (الى سبيل ربك) الى الاسلام (بالحكمة) بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة (والموعظة الحسنة) الخطابات المقنعة والعبر النافعة والاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم (وجادلهم) وجادل معانديهم (بالتى هى احسن) بالطريقة التى هى حسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التى هى اشهر فان ذلك انفع فى تسكين لهبهم وتبيين شغبهم (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) اى انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازى لهم (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به) لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من شايعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لاتنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح فى دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما رأى حمزة وقد مثل به قال والله لئن اظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجانى وليس له ان يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الاكد بقوله (ولئن صبرتم لهو) اى لاصبر (خير للصابرين) من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اولى الناس به لزيادة عمله بالله ووثوقه عليه فقال (واصبر وما صبرك الا بالله) الا بتوفيقه وتثبيته (ولا تحزن عليهم) على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم (ولا تك فى ضيق مما يمكرون) فى ضيق صدر من مكرهم

قوله بالمقالة المحكمة اشارة الى ان المراد بالحكمة البراهين القطعية المفيدة للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية وبالموعظة الحسنة الامارات اللطيفة والدلائل الاقناعية وبالدلائل الجدلية الدلائل التى يكون المقصود من ذكرها الزام الخصم وافحامه ثم ان الجدل على قسمين احدهما هو الدليل المركب من مقدمات مشهورة مسلمة عند الخصم وهذا القسم هو الجدل الواقع على الوجه الاحسن والقسم الثانى مايكون مركبا من مقدمات فاسدة الا ان المستدل يوردها ويحوزها دفعا لتشغب الخصم وسفاهته بسلوك الطريق الفاسدة عند المناظرة وهذا القسم لايليق بالعقلاء وانما اللائق بهم هو القسم الاول وذلك هو المراد بقوله تعالى وجادلهم بالتى هى احسن فهو تعالى حصر الحجج والدلائل الصادرة عن العقلاء فى هذه الاقسام المذكورة فى الآية الكريمة والذين يدعون الى الحق بطريق المناظرة ثلاث طوائف القسم الاول الكاملون الطالبون للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية وهى الحكمة والقسم الثانى الذين يغلب عليهم المشاغبة والمخاصمة لاطلب الحق واليقين والمكالمة اللائقة بهم المجادلة التى تفيد الافحام والالزام فهاتان الطائفتان قسمان الاول منهما هم الكاملون فى الاستكمال بحسب القوة النظرية والثانى هم الناقصون الذين لم يستعدوا للاستكمال بحسب القوة النظرية والقسم الثالث هم المتوسطون بين الطائفتين حيث لم يبلغوا فى الكمال الى درجة الحكماء المحققين ولا فى النقصان الى حد المشاغبين بل هم اقوام بقوا على الفطرة الاصلية والسلامة الخلقية وما بلغوا الى درجة الاستعداد لفهم الدلائل اليقينية والمعارف الحكمية والمكالمة مع هؤلاء لاتمكن الا بالموعظة الحسنة وهى الدلائل الاقناعية الظنية والتكلم مع المشاغبين بالجدل على الطريق الاحسن ودلت هذه الآية الكريمة على ان الدعوة لابد ان تكون بالدلائل القطعية التى هى الحكمة والا فبالدلائل الظنية وهى الموعظة واما الجدل فهو ليس من طرق الدعوة بل المقصود منه غرض آخر وهو الالزام والافحام واليه اشار المصنف بقوله وجادل معانديهم بالطريقة التى هى احسن طرق المجادلة ثم انه تعالى قال ان ربك هو اعلم يعنى معناه انك يامحمد مكلف بالدعوة الى الله بهذه الطرق المذكورة واما حصول الهداية فلا يتعلق بك فهو تعالى اعلم بالضالين واعلم بالمهتدين فان جواهر النفوس البشرية مختلفة بالماهية فبعضها نفوس مشرقة صافية قليلة التعلق بالجسمانية كثيرة الانجذاب الى عالم الروحانيات ولما كانت هذه الاستعدادات من لوازم جواهرها لاجرم يمتنع انقلابها وزوالها قال تعالى اشتغل انت بالدعوة ولا تطمع فى حصول الهداية للكل فانه تعالى هو العالم بخصوصيات استعدادات النفوس ولكل نفس فطرة مخصوصة كما قال فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله **قوله** لما امره بالدعوة الخ بيان لارتباط هذه الآية بما قبلها فان المحقين لما امروا بالدعوة الى الدين الحق وكانت الدعوة المذكورة تتضمن امر المبطلين بالرجوع عن دين آبائهم واسلافهم والحكم عليه بانه كفر وضلالة وكان ذلك مما يشوش قلوبهم وربما يحملهم ذلك على ايذاء الداعى بنحو الشتم والضرب والقتل وكان يؤدى المحقين الى تأديب هؤلاء السفهاء المشاغبين بالضرب والقتل ونحو ذلك ولم يرض المصنف بما قيل من كون الآية نازلة فى قصة حمزة لان تلك القصة لاتعلق لها بما قبل الآية فذلك القول يستلزم القول بجواز ان لايرتبط بعض الآيات ببعض وما روى من انه عليه الصلاة والسلام ترك العزم على المثلة وكفر عن يمينه بسبب هذه الآية لايقتضى كون الآية نازلة فى تلك القصة لجواز كونها نازلة لحكمة اخرى وتمسكه عليه الصلاة والسلام فى الانتهاء عما عزمه من المثلة بهذه الآية من حيث كون حرمة المثلة متفرعة من عموم هذه الآية لاجرم امر الله تعالى المحقين فى هذا المقام برعاية العدل والانصاف وترك الزيادة فقال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم وهو تعالى لايرضى بالظلم وفى الآية دلالة على ان الاولى ترك المقاصة فانك اذا قلت للمريض ان كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح فانه يفهم منه ان الاولى ان لايأكلها ثم انه تعالى عدل عن طريق التعريض الى التصريح حيث قال ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فانه تصريح بان الاولى ترك الانتقام ولما كان الصبر شاقا شديدا ذكر بعده مايفيد سهولته لمن اختار العفو فقال وما صبرك الا بالله ولما كان السبب الحامل على الغضب والانتقام لايخلو عن امرين احدهما فوات نفع كان من الماضى والآخر توقع ضرر يكون فى المستقبل نهى عن الالتفات الى السبب الاول بقوله ولاتحزن عليهم اى على الكافرين بسبب اعراضهم عنك واستحقاقهم للعذاب الدائم او على المؤمنين وعن الالتفات

وقرأ ابن كثير فى ضيق بالكسر هنا وفى النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ﴿ ان الله مع الذين اتقوا ﴾ المعاصى ﴿ والذين هم محسنون ﴾ فى اعمالهم بالولاية والفضل اومع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه *

الى السبب الثانى بقوله ولاتك فى ضيق مما يمكرون اى انبت على دعوتك ودع ما اصابك منهم من الاذى **قوله** وقرأ ابن كثير فى ضيق بالكسر اى بكسر الضاد والباقون بفتحها وهما لغتان بمعنى وقيل المفتوح مخفف من ضيق المشدد كيت فى ميت اى فى امر ضيق امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بان يدعو الخلق الى سبيل رب العالمين باحد الطرق الثلاثة كل طائفة بما يليق بها من طرق الدعوة ثم قال ان ادّت الدعوة المذكورة الى مناصبة المبطلين لاتزيدوا فى الانتقام على قدر اعتدآئهم ورمز فى هذه المرتبة الى ان ترك الانتقام هو الاولى ثم عدل عن الرمز الى التصريح حيث قال واصبر ثم ترقى فى المرتبة الرابعة الى التهديد على استيفاء الزيادة فقال ان الله مع الذين اتقوا عن المعاصى بالصبر على اذى السفهاء وترك اصل الانتقام منهم ومن تأمل هذه الآية الكريمة وترتيبها عرف ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر يجب ان يكون على هذا الوجه وان القرءآن العظيم بحر لاساحل له قيل لبعض العلماء عند قرب وفاته اوص فقال انما الوصية من المال ولامال لى ولكنى اوصيك بخواتيم سورة النحل * والحمد لله على جزيل آلائه تم فى اوآئل جمادى الاولى من شهور سنة خمسين وتسعمائة

سورة بنى اسرآئيل مكية وهى مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله وقد يستعمل علما يعنى ان اكثر استعماله على انه اسم مضاف غير علم لان الاعلام لاتضاف الا ان يقع فيها الاشتراك اتفاقا وان استعماله علما شاذ نادر فحينئذ يمنع من الصرف للتعريف والالف والنون المزيدتين فى آخره كعثمان والدليل على ان سبحان علم للتسبيح قول الشاعر

* قد قلت لما جاءنى فخره * سبحان من علقمة الفاخر *

فانه لولا انه علم لوجب صرفه لان الالف والنون فى غير الصفات انما تمنع مع العلمية والعرب تقول سبحان من كذا اذا تعجبت منه **قوله** سبحان من علقمة الفاخر معناه اتعجب منه اذا فخر واصل السبح السير السريع فى الماء او فى الهوآء يقال سبح سبحا وسباحة واستعير لمرّ النجوم فى الفلك كل فى فلك يسبحون ولجرى الفرس والسابحات سبحا ولسرعة الذهاب فى العمل وان لك فى النهار سبحا طويلا والتسبيح تنزيه الله واصله المرّ السريع فى عبادة الله وسبحان الله معناه التنزيه نصب على المصدر كانه قال ابرّئ الله من السوء برآءة وهو فى الآية على معنى الامر اى نزهوا الله وبرّئوه من قول المشركين ومن العجز عما اراده ومن جملته اسرآء عبده فى بعض من الليل من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الى ماشاء الله **قوله** واسرى وسرى بمعنى يقال سريت سرى ومسرى واسريت بمعنى سرت ليلا والذى بالالف لغة اهل الحجاز والفعل على اللغتين لازم وعدّى فى الآية بالباء فى بعبده * ولما ورد ان يقال الاسرآء لايكون الا بالليل فما الفائدة فى قوله ليلا * اجاب عنه بقوله وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدّة الاسرآء يعنى ان اسم الجنس اذا استعمل منكرا يكون تنكيره اما للبيان شخصا او نوعا فيكون المعنى اسرى بعبده ليلا واحدا من الليالى او نوعا واحدا من انواعها دفعا لتوهم ان يكون الاسرآء فى ليالى متعدّدة كما فى قوله سيروا فيها ليالى اى ليل دنا فيه المحب الى المحبوب وفاز فى مقام الشهود بالمطلوب واما للتكثير او التقليل فكان ليلا المنكر بمنزلة اللفظ المشترك الذى لايتبين المراد منه الا بالقرينة المعينة للمراد وتصدير السورة بالكلمة الدالة على التعجب البليغ قرينة دالة على ان الوارد بعدها امر خارق للعادة وآية عظيمة لايقدر عليها الا الله عزوجل فلما قيل بعدها ليلا تبين بتلك القرينة ان المراد منه بعض الليل فان التبعيض قريب من التقليل فكانه قيل اسرى بعبده فى بعض ليل من مكة الى بيت المقدس مسيرة اربعين ليلة فتعين بهذه القرينة ان المراد تقليل مدّة الاسرآء والدلالة على ان الاسرآء وقع فى بعض الليل **قوله** ليطابق المبدأ المنتهى علة لكون المراد ان المسجد الحرام المحيط به على طريق تسمية احد الملابسين باسم الآخر فانهم اتفقوا على ان المراد بقوله الى المسجد الاقصى بيت المقدس وكلة الى فيه لانتهاء الغاية وسمى بالاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ولم يكن خلفه مسجد فيكون ابعد المساجد من مكة فدلول قوله الى المسجد الاقصى انه وصل الى ذلك المسجد فاما كونه دخل ذلك المسجد ام لا فليس فى اللفظ دلالة عليه فلما كان المراد بالمنتهى الحدّ الملتبس بالمسجد الاقصى كان المناسب ان يكون المراد بالمبدأ ايضا الحدّ الملتبس بالمسجد الحرام ليطابق المبدأ المنتهى **قوله** واستنعته اى طلبوا منه عليه الصلاة والسلام ان يبين لهم نعت بيت المقدس والمسجد الاقصى فجلى اى ظهر له فى الحال فطفق ينظر اليه وينعته لهم **قوله** ولذلك تعجب قريش واستحالوه بناء على ان ارتفاع الجسد من مكة الى بيت المقدس ثم منه الى مافوق العرش

عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه فى دار الدنيا وان مات يوم تلاها او ليلته كان له من الاجر كالذى مات واحسن الوصية

سورة بنى اسرآئيل مكية وقيل

الا قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك

الى آخر ثمان آيات وهى مائة

وعشر آيات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سبحان الذى اسرى بعبده ليلا ﴾ سبحان اسم بمعنى التسبيح الذى هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال

* قد قلت لما جاءنى فخره * سبحان من علقمة الفاخر * واتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدّة الاسرآء ولذلك قرئ من الليل اى بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به ﴿ من المسجد الحرام ﴾ بعينه لما روى انه عليه الصلاة السلام قال بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتانى جبريل بالبراق اومن الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد اولانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روى انه صلى الله عليه وسلم كان نائما فى بيت امّ هانئ بعد صلاة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقصّ القصة عليها وقال مثل لى النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد الحرام واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا اتصدّقه على ذلك قال انى لاصدّقه على ابعد من ذلك فسمى الصدّيق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلى له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشدون العير الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ماهذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف فى انه كان فى المنام او فى اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسرى بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه

فى مقدار ثلث الليل مما لايقبله العقل *قال الامام ومما يدل على جوازه عقلا انه ثبت فى الهندسة ان قرص الشمس يساوى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرّة ثم انا نشاهد ان طلوع القرص يحصل فى زمان لطيف سريع وذلك يدل على ان بلوغ الحركة فى السرعة الى الحدّ المذكور امر ممكن فى نفسه غاية ما فى الباب انه يبقى التعجب الا ان مثل هذا التعجب لايختص بهذا المقام بل هو حاصل فى جميع المعجزات فمجرّد التعجب لايستلزم الانكار والبطلان وايضا كما يستبعد فى العقل صعود الجسم الكثيف من مركز العالم الى مافوق العرش فكذلك يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحانى من فوق العرش الى مركز العالم فان كان القول بمعراج محمد صلى الله عليه وسلم فى ليلة واحدة ممتنعا كان القول بنزول جبريل عليه الصلاة والسلام من العرش الى مكة فى اللحظة الواحدة ممتنعا ولو حكمنا بهذا الامتناع كان ذلك طعنا فى نبوّة جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والقول بثبوت المعراج متفرّع على تسليم جواز اصل النبوّة فثبت ان القائلين بامتناع حصول حركة جسمانية سريعة الى هذا الحدّ يلزمهم القول بامتناع نزول جبريل عليه الصلاة والسلام فى لحظة واحدة من العرش الى مكة ولما كان ذلك باطلا كان ماذكر ايضا باطلا *فان قالوا نحن لانقول ان جبريل عليه السلام جسم ينتقل من مكان الى مكان وانما نقول المراد من نزول جبريل عليه الصلاة والسلام هو زوال الحجب الجسمانية عن روح محمد صلى الله عليه وسلم حتى يظهر فى روحه من المكاشفات والمشاهدات بعض ماكان حاضرا متجليا فى ذات جبريل عليه الصلاة والسلام * قلنا تفسير الوحى بهذا الوجه هو قول الحكماء فاما جمهور المفسرين فهم يقرّون بان جبريل جسم وان نزوله عبارة عن انتقاله من عالم الاملاك الى مكة واذا كان كذلك كان الالزام المذكور قويا وهذا تقرير ماذهب اليه الاكثرون من طوائف المسلمين وذهب الاقلون الى انه عليه الصلاة والسلام ماأسرى الا بروحه روى عن حذيفة انه كان ذلك رؤيا وانه ماقفد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اسرى بروحه وحكى هذا القول عن عائشة رضى الله عنها وعن معاوية والذى ذهب اليه اهل التحقيق انه تعالى اسرى بروح محمد صلى الله عليه وسلم وجسده من مكة الى المسجد الاقصى واختلف العلماء فى ان الاسرآء والمعراج هل كانا فى ليلة واحدة اوكل واحد فى ليلة فمنهم من زعم ان الاسرآء وقع فى اليقظة والمعراج فى النوم وذهب آخرون الى ان الاسرآء وقع مرّتين مرّة بروحه مناما ومرّة بروحه وجسده يقظة وذهب آخرون الى تعدد الاسرآء فى اليقظه وقال انها اربع اسرآت لتعدّد الروايات فى الاسرآء واختلاف مايذكر فيها فبعضهم يذكر شيأ لم يذكره الآخر وبعضهم يسقط شيأ ذكره الآخر وهذا لايدل على التعدّد لان بعض الرواة قد يحدث بعض الخبر لعلمه به ونسيانه البعض الآخر اويذكر ماهو الاهم عنده اويبسط تارة فيسوق الحديث كله وتارة يحدّث المخاطب بما هو الانفع له ﴿قوله﴾ وصرف الكلام من الغيبة ﴿﴾ يعنى ان الجمهور قرأوا لنريه بنون العظمة على اسلوب قوله باركنا فقيهما التفات من الغيبة فى قوله اسرى بعبده الى التكلم فى باركنا وفى لنريه ثم التفت من التكلم الى الغيبة فى قوله انه هو السميع ففى الكلام التفاتان وقرئ ليريه بياء الغيبة وعلى هذه القرآءة يكون فى الآية اربع التفاتات لانه التفت اوّلا من الغيبة فى قوله الذى اسرى بعبده الى التكلم وقوله وآتينا موسى الكتاب معطوف على الجمله السابقة الدالة على تنزيه الله تعالى على طريق عطف الجملة على الجملة ذكر الله تعالى اكرامه محمدا صلى الله عليه وسلم بانه اسرى به وذكر فى هذه الآية انه اكرم موسى عليه الصلاة والسلام قبله بايتاء الكتاب والضمير المنصوب فى جعلناه يجوز ان يكون للكتاب وهو الظاهر وان يكون لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿قوله﴾ على اى لاتتخذوا ﴿﴾ اى على ان يكون ان فيه مفسرة ولاناهية على طريقة قولك كتبت اليه ان افعل كذا فان ان فيه مفسرة للمفعول المقدّر للفظ كتبت اى كتبت اليه شيأ هو افعل كذا فكلمة ان حرف دال على ان افعل كذا يفسر به المقدّر لكتبت الدال على معنى القول والمؤدّى معناه فكذا ان التى فى الآية مفسرة بمعنى اى تفسر ماتضمنه الكتاب من التكاليف فان نهى بنى اسرآئيل عن ان يتخذوا من دونه تعالى وكيلا اى ربا يكلون اليه امورهم فى معنى تكليفهم بان يتعبدوا بامتثال جميع ماكلفهم الله تعالى من الاوامر والنواهى ولا يلتفتوا الى ماتدعو اليه نفوسهم وطبائعهم ورؤساؤهم الضالون وقرأ ابو عمرو ان لايتخذوا بياء الغيبة جريا على قوله لبنى اسرآئيل والباقون ان لاتتخذوا بتاء الخطاب التفاتا وحكم ان فى قرآءة ابى عمرو مصدرية ناصبة للفعل بعدها على حذف الخافض اى لئلا يتخذوا من دونى وكيلا اى ربا يكلون اليه امورهم ﴿قوله﴾ اوالندآء ﴿﴾ فالمعنى لاتتخذوا

والاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة ان مابين طرفى قرص الشمس ضعف مابين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرّة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من ثانية وقد برهن فى الكلام ان الاجسام متساويه فى قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى صلى الله عليه وسلم اوفى مايحمله والتعجب من لوازم المعجزات ﴿الى المسجد الاقصى﴾ بيت المقدس لانه حينئذ لم يكن ورآءه مسجد ﴿الذى باركنا حوله﴾ ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالانهار والاشجار ﴿لنريه من آياتنا﴾ كذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء عليهم الصلاة والسلام له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء ﴿انه هو السميع﴾ لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم ﴿البصير﴾ بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك ﴿وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ان لاتتخذوا﴾ على اى لاتتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وقرأ ابو عمرو بالياء على لئلا يتخذوا ﴿من دونى وكيلا﴾ ربا تكلون اليه اموركم غيرى ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ نصب على الاختصاص اوالندآء ان قرئ ان لاتتخذوا بالتاء على النهى يعنى قلنا لهم لاتتخذوا من دونى وكيلا ياذرية من حملنا مع نوح اوعلى انه احد مفعولى لاتتخذوا ومن دونى حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا

من دونى وكيلا ياذرية من حملنا مع نوح فى السفينة وهم مؤمنوا قومه وبنو اسرآئيل من نسل سام بن نوح وبنى انتصابه على النداء على قرآءة ان لاتتخذوا بتاء الخطاب لان النداء انما يكون للحاضر لالمن غاب عنهم فلا وجه لانتصابه على النداء على قرآءة ان لايتخذوا بياء الغيبة كما لاوجه لكونها مصدرية على قرآءة الخطاب لان بنى اسرآئيل غائبون ويحتمل ان يكون انتصاب ذرية على انه مفعول اوّل ليتخذوا وقوله وكيلا ثانيهما قدّم على الاوّل وهو وان كان مفرد اللفظ الا انه فى معنى الجمع والمعنى لاتتخذوا ذرية من حملنا مع نوح وكلاء كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير عليهم الصلاة والسلام ﴿قوله او بدل من واو تتخذوا﴾ قال ابو البقاء هذا على القرآءة بالياء لانهم غائبون يعنى قوله ذرية لكونه اسما ظاهرا منزلا منزلة الغائب لايصح ابدالها من ضمير المخاطب قال ابن الحاجب فى الكافية ولا يبدل ظاهر من مضمر بدل الكل الا من ضمير الغائب نحو ضربته زيدا فان الابدال انما يكون لتبيين الذات المرادة وتوضيحها بكون البدل اوضح تعريفا وابين دلالة عليها وضمير المتكلم والمخاطب لتعين مدلولهما حسا ابين واوضح من الاسم الظاهر لان مدلوله انما يتعين بحسب العقل فقط فلو ابدل الظاهر من ضمير المتكلم والمخاطب لكان المقصود بالنسبة اقل تعيينا ودلالة على الذات المرادة من غير المقصود وذا لايجوز فلهذا جاز ضربته زيدا ولم يجز مرّ بى المسكين زيد ولاعليك الكريم المعوّل ﴿قوله وفيه ايماء﴾ اشارة الى وجه ارتباط قوله انه كان عبدا شكورا بما قبله يعنى انه استئناف لبيان علة ماذكر قبله وحث الذرية على الاقتداء به ﴿قوله واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا﴾ اشارة الى ان القضاء اتمام الشئ على وجه البت والاحكام وضمن ههنا معنى الايحاء لاقتضائه كلمة الى لما ذكر الله تعالى انعامه على بنى اسرآئيل بانزال التوراة وانه جعل التوراة هدى لهم بين انهم مااهتدوا بهداه بل وقعوا فى الفساد فقال وقضينا الى بنى اسرآئيل اى اعلمناهم واخبارهم فيما آتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون ومفعول لتفسدنّ محذوف اى لتفسدنّ ماكلفتم بارتكاب المعاصى ومخالفة احكام التوراة ويجوز ان لايقدّر له مفعول اى لتوقعنّ الفساد ﴿قوله مرّتين افسادتين﴾ اشارة الى ان مرّتين منصوب على المصدرية وكذا علوّا فانه مصدر علا يعلو ﴿قوله وقتل شعياء﴾ قد كان عادة الله تعالى انه اذا ملك الملك على بنى اسرآئيل بعث معه نبيا يسدّده ويرشده ولا ينزل عليهم الكتب وانما يؤمرون باتباع الاحكام التى فى التوراة فملك الله تعالى منهم ملكا يدعى صديعة فبعث معه شعياء وهو الذى بشر ببعثة عيسى ومحمد بعده عليه الصلاة والسلام وعليهم فملك ذلك الملك بنى اسرآئيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الاحداث فبعث الله تعالى سنجاريب ملك بابل ومعه ستمائة الف راية فاقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض فى مسافة فرسخ فاوحى الله تعالى الى شعياء النبى ان ائت ملك بنى اسرآئيل فره ان يوصى وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من اهل بيته فاتى شعياء ملك بنى اسرآئيل فاخبره بما اوحى اليه فقال الملك الملك لله رضينا بقضاء الله فاستقبل القبلة وصلى ودعا وبكى للانابة والتسليم وطلب الرحمة فى الدنيا وكان عبدا صالحا فاوحى الله تعالى الى شعياء ان تخبر الملك بان ربه قد رحمه واخر اجله خمس عشرة سنة وانجاه من عدوّه سنجاريب فاتاه شعياء فاخبره به فخرّ الملك ساجدا متضرّعا فشفى الله تعالى قرحته واصبح عسكر العدوّ كلهم موتى الا سنجاريب وخمسة نفر من كنانة احدهم بخت نصر فصرخ رجل على باب المدينة ياملك بنى اسرآئيل ان الله قد كفاك عدوّك فاخرج فان سنجاريب ومن معه قد هلكوا فخرج الملك وفتشوا هل بقى منهم احد فلم يوجد سنجاريب فى الموتى فتفرّق طالبوه فوجدوه مع اصحابه الخمسة فى مغارة فجعلوهم فى الجوامع ثم اتوا بهم ملك بنى اسرآئيل فلما رآهم الملك خرّ ساجدا من حين طلعت الشمس الى العصر ثم رفع رأسه فامر امير عسكره ان يقيدهم بالاغلال ويطوف بهم حول بيت المقدس وايلياء فطاف بهم سبعين يوما مقيدين فاوحى الله تعالى الى شعياء النبى ان قل لملك بنى اسرآئيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من ورآءهم وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعياء الملك ذلك ففعل فخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف بخت نصر ابن ابنه ثم قبض الله تعالى ملك بنى اسرآئيل صديعه فخرج امر بنى اسرآئيل وتنازعوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا ونبيهم شعياء معهم لايقبلون منه شيأ فجمعهم يوما وقام فيهم خطيبا بامر الله فألهمه الله تعالى خطبة بليغة ووعظهم وامرهم ونهاهم وحذرهم عقابه تعالى ان اصروا على ماهم عليه فلما فرغ شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته

وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم فى انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام فى السفينة ﴿انه﴾ ان نوحا عليه السلام ﴿كان عبدا شكورا﴾ يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿وقضينا الى بنى اسرآئيل﴾ واوحينا اليهم وحيا مقتضيا مبتوتا ﴿فى الكتاب﴾ فى التوراة ﴿لتفسدنّ فى الارض﴾ جواب قسم محذوف اوقضينا على اجرآء القضاء المبتوت مجرى القسم ﴿مرّتين﴾ افسادتين اولاهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعياء وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام ﴿ولتعلنّ علوّا كبيرا﴾ ولتستكبرنّ عن طاعة الله تعالى او لتظلمنّ الناس

(شجرة)

شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ هدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه فى وسطها واستخلف الله تعالى على بنى اسرآئيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشيه ابن اموص وبعث لهم ارميا بن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون عليه الصلاة والسلام وذكروا انه الخضر واسمه ارميا وسمى خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهى تهتز خضراء فبعث الله ارميا الى ذلك الملك يسدده ويرشده فعظمت الاحداث فى بنى اسرآئيل وركبوا المعاصى واستحلوا المحارم فاوحى الله تعالى الى ارميا ان ائت قومك من بنى اسرآئيل فاقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمتى وعرفهم باحداثهم فقام ارميا فيهم ولم يدر مايقول فألهمه الله عز وجل فى الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله عز وجل وانى حلفت بعزتى لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولأسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى الى ارمياء انى مهلك بنى اسرآئيل بملك اهل بابل فسلط الله عليهم بخت نصر فقتل علماءهم وحرّق التوراة وخرب المسجد والقى فيه الجيف وسبى سبعين الفا وذهب بهم الى بابل فكانوا بها سبعين سنة ثم لما اراد الله هلاك بخت نصر انبعث فقال لمن بين يديه من بنى اسرآئيل ارأيتم هذا البيت الذى خرّبت والناس الذين قتلت منهم وما هذا البيت قالوا هذا بيت الله وهؤلاء اهله كانوا من ذرارى الانبياء فظلموا وتعدّوا فسلطت عليهم بذنوبهم وقد كان ربهم ورب الخلق اجمعين يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا مافعلوا اهلكهم وسلط عليهم غيرهم فاستكبر وظن انه يجبروته فعل ذلك ببنى اسرآئيل قال فاخبرونى كيف بى ان اطلع الى السماء العليا فاقتل من فيها واتخذها ملكا فانى قد عرفت من فى الارض قالوا مايقدر عليها احد من الخلائق قال لتفعلنّ او لاقتلنكم عن آخركم فبكوا وتضرّعوا الى الله فبعث الله عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت بام دماغه فما كان يقرّ ولا يسكن حتى يوطأ رأسه على ام دماغه فلما مات شق رأسه فوجد البعوضة عاضة فى ام دماغه ليرى الله تعالى العباد قدرته ونجى الله تعالى من فى يديه من بنى اسرآئيل فردّهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على احسن ما كانوا عليه ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله تعالى وكانت التوراة قد احرقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع الى الشام يبكى عليها ليله ونهاره وقد خرج من الناس وهو كذلك اذ اقبل اليه رجل وقال ياعزير مايبكيك فقال ابكى على كتاب الله وعهده الذى كان بين اظهرنا الذى لايصلح دنيانا وآخرتنا غيره قال افتحب ان يردّ اليك مافات قال نعم قال ارجع فصم وتطهر فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد الى المكان الذى وعده فجلس فيه فاتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء فخلت التوراة فى صدره فرجع الى بنى اسرآئيل فوضع لهم التوراة فاحبوه حتى لم يحبوا كحبه شيأ قط ثم قبضه الله وجعلت بنو اسرآئيل بعد ذلك يحدثون الاحداث وكلما بعث الله تعالى فيهم الرسل كانوا فريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم من انبيائه زكريا ويحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وكانوا من بيت آل داود فمات زكريا وقيل قتلوا زكريا ويحيى وقصدوا قتل عيسى عليه الصلاة والسلام ثم انهم اختلفوا فى العباد الذين بعثهم الله على بنى اسرآئيل حتى تعظموا وتكبروا واستحلوا المحارم وسفكوا الدماء الذى هو اوّل الفسادين من هم فقيل بخت نصر وجنوده وقيل هم جالوت وجنوده سلطه الله تعالى عليهم حتى اهلكهم وقهرهم الى ان ردّ الله الكرّة عليهم بتقوية طالوت حين محاربة جالوت فلما التقى العسكران تقدّم جالوت وطلب من يقاتله فقتل داود وقيل سنجاريب * قال الامام لا يتعلق كثير غرض فى معرفة الاقوام باعيانهم بل المقصود من هذه الآيات بيان ان بنى اسرآئيل افسدوا فى الارض بكثرة المعاصى فسلط الله عليهم قوما قهروهم بالقتل والسبى وتخريب الديار ثم ردّ الله اليهم الدولة وامدهم باموال وبنين ثم افسدوا مرّة ثانية فرجع الله اليهم بالقهر وان عادوا الى الافساد عاد الله اليهم بالقهر والتعذيب

قوله فجاسوا الجوس بفتح الجيم وضمها مصدر جاس يجوس اى فتش وطلب الشئ باستقصاء كما يجوس الرجل الاخبار ويطلبها والخلال هو الانفراج بين الشيئين والديار بيت المقدس ثم انه تعالى لما بين ان افسادهم الاوّل استمرّ الى ان بعث الله اليهم قوما اولى بأس شديد فقهروهم بالقتل والاسر ونحوهما بين على طريق الاستئناف ان ضرر افسادهم وعصيانهم لا يتعدّى الى غيرهم بقوله ان احسنتم فان حقيقة الحال انكم ان احسنتم واطعتم الله تعالى ففعة ذلك الاحسان لا ترجع الا اليكم وان اسأتم فضرّتها لا تتعدّى عنكم الى غيركم روى عن علىّ رضى الله عنه انه

﴿فاذا جاء وعد اولاهما﴾ وعد عقاب اولاهما ﴿بعثنا عليكم عبادا لنا﴾ بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الخزرى وقيل سنجاريب من اهل نينوى ﴿اولى بأس شديد﴾ ذوى قوّة وبطش فى الحرب شديد ﴿فجاسوا﴾ تردّدوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان ﴿خلال الديار﴾ وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرّقوا التوراة وخربوا المسجد واعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اوّلوا البعث بالتخلية وعدم المنع ﴿وكان وعدا مفعولا﴾ وكان وعد عقابهم لابدّ ان يفعل ﴿ثم رددنا لكم الكرّة﴾ اى الدولة والغلبة ﴿عليهم﴾ على الذين بعثوا عليكم وذلك بان ألقى الله فى قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جدّه كشاسف بن لهراسف شفقة عليهم فردّ اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله ﴿وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا﴾ مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدوّ ﴿ان احسنتم احسنتم لانفسكم﴾ لان ثوابه لها ﴿وان اسأتم فلها﴾ فان وبالها عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا

آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اوّلا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائى بالنون وقرئ ليسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة وليسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام فى قوله ﴿ وليدخلوا المسجد ﴾ متعلق بمحذوف هو بعثناهم ﴿ كما دخلوه اوّل مرّة وليتبروا ﴾ ليهلكوا ﴿ ماعلوا ﴾ ماغلبوه واستولوا عليه اومدّة علوّهم ﴿ تتبيرا ﴾ وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرّة اخرى ففزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جوذرز وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ماصدقونى فقتل عليه ألوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقونى ماتركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال ياليحيى قدعلم ربى وربك ماأصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقى احدا منهم فهدأ ﴿ عسى ربكم ان يرحمكم ﴾ بعدالمرّة الاخرى ﴿ وان عدتم ﴾ نوبة اخرى ﴿ عدنا ﴾ مرّة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بنى النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم فى الدنيا ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴾ محبسا لايقدرون على الخروج منها ابدا الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ﴿ ان هذا القرءآن يهدى للتى هى اقوم ﴾ للحالة او الطريقة التى هى اقوم الحالات او الطرق ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا ﴾ وقرأ حمزة والكسائى ويبشر بالتخفيف ﴿ وان الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا اليما ﴾ عطفا على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدآئهم او على يبشر باضمار يخبر

قال ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه ﴿ قوله ﴾ فحذف لدلالة ذكره اوّلا ﴾ اى حذف جواب اذا وهو قوله بعثناكم لدلالة ماتقدّم عليه وهو قوله بعثنا عليكم عبادا لنا وكذا حذف موصوف الآخرة فان التقدير وعد المرّة الآخرة للعلم به ﴿ قوله ﴾ اى ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها ﴾ يعنى ان المساءة وهى الحزن من الاعراض النفسانية القلبية ولاتتعلق بالوجوه الا انها عدّيت الى الوجوه لكون آثارها بادية فيها فانه اذا حصل الفرح فى القلب ظهرت النضرة والاشراق فى الوجه وان حصل الحزن والخوف فى القلب ظهر الكلوح والغبرة والسواد فى الوجه وذلك ان الانسان اذا قوى فرحه انبسط روح قلبه الى الاطراف فاستبشر وجهه واذا قوى غمه يختنق الروح فى داخل قلبه فلايسرى اثره الى الوجه فلاجرم يظهر فيه اثر الارضية والغبرة فساءة الوجه كناية عن الغم الشديد فلهذا عدّيت المساءة الى الوجه فى هذه الآية ﴿ قوله ﴾ وقرئ ليسوؤن ﴾ على الاوجه الاربعة بنون العظمة وبنون التأكيد المخففة والمثقلة وبياء الغيبة ونون التأكيد واللام مكسورة فى الجميع على انها لام الامر والجملة جواب اذا على انها لام كى لان نون التأكيد لاتدخل على المضارع الا اذا كان فيه معنى الطلب والتمنى والاستفهام والعرض ولكن على حذف الفاء اى فليسوؤن لما تقرّر فى النحو من ان الجزآء اذا لم يكن ماضيا بغير قد لفظا او معنى ولم يكن المضارع مثبتا ولا منفيا بلا وجب دخول الفاء فى الجزآء سوآء كان جملة اسمية كقوله تعالى أفان مت فهم الخالدون او امرا كقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى او نهيا كقوله تعالى فان علمتموهنّ مؤمنات فلاترجعوهنّ الى الكفار او غير ذلك وقرئ ليسوؤن على الاوجه الاربعة بفتح اللام على انها لام القسم وهو جواب القسم المقدّر لفظا وجواب الشرط معنى فلاحاجة الى تقدير جواب ولايجوز حينئذ ان يكون قوله وليدخلوا المسجد معطوفا على ليسوؤوا بل يتعلق بمحذوف معطوف عليه تقديره وبعثناهم ليدخلوا وانما اتى بالواو ليعلم انه معطوف على جواب الشرط وبالجملة من جعل اللام الاولى لام كى جعل اللام التى فى قوله وليدخلوا ايضا لام كى معطوفة عليها عطف علة على اخرى ومن جعلها لام امر اولام قسم جعل اللام فى ليدخلوا لام التعليل متعلقة بمحذوف وان جعلت الاولى لام امر يجوز ان تكون الثانية ايضا كذلك وقوله كما دخلوه صفة مصدر محذوف ﴿ قوله ماغلبوه ﴾ على ان تكون ماموصولة منصوبة المحل على انها مفعول بها اى ليهلكوا الذى علوا وغلبوا عليه وظفروا به وقوله اومدّة علوّهم على ان تكون مامصدرية قائمة مقام الوقت كما فى قولك آتيك خفوق النجم اى زمان خفوقه فيكون عدم ذكر المفعول امالقصد التعميم او لتنزيل الفعل منزلة اللازم نحو هو يعطى ويمنع وقوله تتبيرا مصدر مؤكد كما فى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما اى حقا لاشك فيه ﴿ قوله ﴾ وذلك بان سلط الله ﴾ يعنى بعث العباد اولى البأس الشديد عند افسادهم مرّة ثانية بقتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام وقع بان سلط الله عليهم الفرس مرّة اخرى حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم من ديارهم فذلك قوله تعالى ليسوؤوا وجوهكم الآية وقوله عسى ربكم من جملة ماقضاه الله تعالى الى بنى اسرآئيل فى التوراة والمعنى لعل ربكم يابنى اسرآئيل ان يرحمكم ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم مرّة ثانية ثم عاد الله عليهم برحمته حتى كثروا وانتشروا ثم انهم قد عادوا بتكذيب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فعاد الله تعالى عليهم بالتعذيب على ايدى العرب فجرى على بنى النضير وقريظة وبنى قينقاع ويهود خيبر ماجرى من القتل والجلاء ثم الباقون منهم مقهورون بالجزية لاملك لهم ولاسلطان ابدا ﴿ قوله محبسا لايقدرون على الخروج منها ابد الآباد ﴾ جواب عما يقال ان قوله حصيرا فعيل بمعنى فاعل وقد اجرى على جهنم وهى مؤنث سماعى فينبغى ان يقال حصيرة بالتاء لما تقرّر من ان فعيلا بمعنى فاعل يلزم تأنيثه وبمعنى مفعول يجب تذكيره وما جاء شاذا من النوعين بحسب تأويله * وتقرير الجواب ان جهنم مؤوّل بالسجن والحبس وقيل انها فى معنى الفراش والبساط ويجوز ان يقال تأنيث جهنم مجازى فلذلك ذكر صفته ثم انه تعالى لما شرح معاملته مع عباده المخلصين وهو اسرآء سيد المرسلين وايتاء التوراة لموسى عليهما الصلاة والسلام وبين مافعله فى حق العصاة بتسليط من يعينهم عليهم ويتبين به ان طاعة الله تعالى توجب كل خير ومعصيته توجب كل بلية وقهر لاجرم اثنى على القرءآن فقال ان هذا القرءآن يهدى الآية ﴿ قوله للتى ﴾ صفة لمحذوف اى للطريقة التى هى اقوم الطرق وعدل الى الحذف مع ان الذكر هو الاصل ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يهدى اليه القرءآن من وجوه الخير فان ابهام الموصوف وعدم تعينه بنحو الملة او الطريقة او الحالة او الخصلة يؤدّى الى ان ينتقل الذهن اليها والى مايشاكلها فكانه قيل يهدى لما لايدخل تحت

الوصف والحصر بخلاف مالو ذكر واحد من الامور المذكورة فان ذلك يتعين حينئذ وحقيقة اقوم ههنا للزيادة المطلقة كما فى قولنا الله اكبر لان ماهدى اليه القرآن من الملل والشرائع لايشاركه سائر الاديان والملل فى اصل الاستقامة حتى يقال حصولها فى هذه الملة اكثر واكمل من حصولها فى غيرها وصف الله تعالى القرآن بثلاثة اوصاف اوّلها انه يهدى للتى هى اقوم وثانيها انه يبشر المؤمنين الذين اهتدوا لما هدى اليه القرآن من الطرق بالاجر الكبير لان من سلك اقوم الطرق لابدّ ان يفوز باعز المقاصد ولما كان الاجر الكبير مبشرا به وجب ان يكون تقدير قوله تعالى ان لهم اجرا كبيرا بان لهم وحذف حرف الجرّ من ان وان كثير شائع والصفة الثالثة قوله تعالى وان الذين لايؤمنون فانه ان كان معطوفا على قوله ان لهم اجرا كان المعنى ويبشر المؤمنين بان لاعدآئهم عذابا اليما وان كان معطوفا على يبشر باضمار يخبر يكون المعنى ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ويبشر المؤمنين بكذا ويخبر بان الذين لايؤمنون كذا * فان قيل هذه الآية فى شرح احوال اليهود وهم ماكانوا ينكرون الايمان بالآخرة فكيف يليق بهذا الوصف قوله وان الذين لايؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما *اجيب عنه بوجهين احدهما ان اكثر اليهود ينكرون الثواب والعقاب الجسمانى والثانى انهم يؤمنون بالآخرة على خلاف ماهى عليه كقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات فمثل هذا القول ليس ايمانا بحقيقة الآخرة ثم انه تعالى لما بين شأن القرآن وكونه مدارا لمنافع الدارين بين ان الانسان قد يعدل عن التمسك بشرآئعه والرجوع الى بيانه ويقدم على مالا فائدة له فيه فقال ويدع الانسان بالشر والباء فى الموضعين متعلقة بالدعاء اى يدعو الله عند غضبه بما يعلم انه شرّ او بما يحسب انه خير وهو شرّ له مثل دعائه بما هو خير فى نفسه وفى علمه والقياس ان تثبت واو يدعو لانه فى موضع الرفع الا انه لما وجب سقوطها لفظا لاجتماع الساكنين اسقطت فى الخط ايضا على خلاف القياس ونظيره سندع الزبانية وسوف يؤت الله المؤمنين ﴿قوله صبرا﴾ اى مصبورا يقال قتل فلان صبرا اذا حبس على القتل حتى يقتل ﴿قوله تدلان على القادر الحكيم﴾ لما قال يهدى للتى هى اقوم وكان اقوم الاحوال المتعلقة بالاعتقاد الاعتقاد بان هذا العالم لابدّ له من صانع قادر حكيم ذكر مايكون هاديا ودليلا يؤدّى الى هذا الاعتقاد ﴿قوله مبصرة﴾ لما كان الابصار عبارة عن ادراك الشئ بحاسة البصر وذلك لايتصوّر فى النهار جعل الابصار مجازا عن الاضاءة على طريق اطلاق اسم المسبب على السبب من حيث ان الاضاءة سبب لحصول الابصار ويجوز ان يكون بناء ابصرته لتعدية بصر يقال بصرت بالشئ اذا علمته قال تعالى بصرت بمالم يبصروا به فلا يكون ابصرت الشئ بمعنى رأيته بل بمعنى بصرت به وعرفته فيكون اسناد الابصار الى النهار من قبيل اسناد الحكم الى سببه ﴿قوله اومبصرا اهله﴾ على ان يكون تركيب ابصر الرجل لاسناد الفعل الى فاعله والمراد اسناده الى من يلابس ذلك الفاعل كما يقال اضعف الرجل اذا ضعفت ماشيته واجبن الرجل اذا كان اهله جبناء فقولك ابصر النهار معناه ابصر اهله وهذا على تقدير ان يكون المعنى وجعلنا نفس الليل والنهار آيتين وقيل ليس المراد بالآيتين نفس الليل والنهار بل مافيهما من النيرين الشمس والقمر على حذف المضاف اما من الاوّل فالتقدير وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين واما من الثانى فالتقدير وجعلنا الليل والنهار ذوى آيتين فعلى هذا لاتكون اضافة آية الليل وآية النهار بيانية بل تكون بمعنى اللام وقوله تعالى وكل شئ فصلناه منصوب على الاشتغال ورجح نصبه لتقدّم جملة فعلية وكذلك وكل انسان ألزمناه وذكر المصدر وهو قوله تفصيلا لاجل تأكيد الكلام وتحقيقه كانه قيل فصلناه حقا واليه اشار المصنف بقوله بيانا غير ملتبس لما بين الله تعالى من اوّل السورة الى هنا ان سعادة الانسان دائرة على طاعة الرحمن وشقاوته منوطة بالعصيان وبين ايضا علوّ شأن القرآن وانحطاط شأن الانسان وان من جملة ما فى القرآن من البيان بيان ان الليل والنهار آيتان اتبعه بقوله وكل شئ فصلناه تفصيلا ثم صرّح بان من جملة مابينه الله تعالى ان كل ماقدّره الله تعالى على الانسان وحكم به عليه فى سابق علمه لازم له يجب حصوله له ويمتنع زواله عنه فقال وكل انسان الزمناه طائره اى عمله وسائر ماقدّر له من السعادة والشقاوة والرزق والمصائب وكونه طويل العمر اوقصيره سليم الاعضاء اومعيبها ونحو ذلك ﴿قوله كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر﴾ اشارة الى ان الطائر مستعار لتعذر حمله على الحقيقة لان المقدر لايطير حقيقة فى وصوله الى الانسان من المقرّ الاصلى فكما ان الطائر الحقيقى يأتى الى كل مايأتى اليه منتقلا من عشه ووكره فكذلك الحوادث تنتهى الى الانسان بعد ثبوتها فى علم الله تعالى وعالم الغيب ووكر الطائر ماكان من شجر اوجبل

﴿ويدع الانسان بالشرّ﴾ ويدع الله تعالى عند غضبه بالشرّ على نفسه واهله وماله اويدعوه بما يحسبه خيرا وهو شرّ ﴿دعاءه بالخير﴾ مثل دعائه بالخير ﴿وكان الانسان عجولا﴾ يسارع الى كل مايخطر بباله لاينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرّته ذهب لينهض فسقط روى انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحته لانينه فارخت اكتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال عليه السلام اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائى رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزآء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خيرا لحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره ﴿فمحونا آية الليل﴾ اى الآية التى هى الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين كاضافة العدد الى المعدود ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ مضيئة اومبصرة للناس من ابصره فبصر اومبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين اوجعلنا الليل والنهار ذوى آيتين ومحو آية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور اونقص نورها شيأ فشيأ الى المحاق وجعل آية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها ﴿لتبتغوا فضلا من ربكم﴾ لتطلبوا فى بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ﴿ولتعلموا﴾ باختلافهما او بحركتهما ﴿عدد السنين والحساب﴾ وجنس الحساب ﴿وكل شئ﴾ تفتقرون اليه فى امر الدين والدنيا ﴿فصلناه تفصيلا﴾ بيناه بيانا غير ملتبس ﴿وكل انسان ألزمناه طائره﴾ عمله وماقدّر له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر

وعش الطائر موضعه الذى يجمعه من دقاق العيدان وغيرها فى افنان الشجر فاذا كان فى جبل او جدار او نحوهما فهو وكر والاضافة فى قوله عش الغيب ووكر القدر بيانية والقضاء هو الارادة الازلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء فى اوقاتها استعير العش والوكر لعالم الغيب والتقدير العلمى ﴿قوله لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون﴾ اى لما جعلوا الطائر سببا للخير والشر واسندوهما اليه باعتبار سنوحه وبروحه استعير الطائر لما كان سببا لهما وهو قدر الله وقسمته وعمل العبد فكانا سببى الخير والشر وسنوح الطائر عبارة عن مروره عن مياسر الانسان الى ميامنه وبروحه عبارة عن ضد ذلك كانوا يتيمنون بالاول ويتشاءمون بالثانى شبه المصنف المقدرات من حيث كونها سبب الخير والشر المكتسب والتقدير الازلى بالطائر على زعم العرب وجعل هذا التشبيه طريقا لاطلاق اسم الطائر عليهما بعدما اشار الى تحقق المشابهة بين الاعمال والطائر من وجه آخر وهو المجيء من المقر الاصلى ﴿لزوم الطوق فى عنقه﴾ الظاهر ان ليس المراد تقدير متعلق قوله فى عنقه لان اللزوم والالزام لا يتعديان بكلمة فى بل المقصود الايماء الا ان قوله فى عنقه جيء به بعد تمام الكلام بقوله الزمناه طائره للدلالة على كمال الالزام بحيث لا سبيل الى ان ينفك عنه ما قدر له من الخير والشر اصلا فانه اذا قصدت المبالغة فى الزام الشيء لاحد يقال جعلت هذا الشيء فى عنقك اى قلدتك اياه والزمتك حفظه لان من عظمت رغبته فى حفظ الشيء يربطه على عنقه ويجعله فى موضع القلادة قال اهل المعانى انما خص العنق من بين سائر الاعضاء بكونه محل الالزام لان ما علق عليه يكون الزم بالشخص لان الذى عليه اما خير يزينه او شر يشينه ومايزين يكون كالطوق والحلى ومايشين يكون كالغل وكل واحد منهما مما يلازم صاحبه وانا اقول كان الظاهر ان يقال الزمناه عنقه بالنصب على انه بدل من مفعول الزمناه الا انه جيء بكلمة فى للدلالة على كمال الالزام حتى كان الطائر شيء حال فى عنقه لا امر معلق عليه ﴿قوله ونصبه﴾ اى ونصب كتاب يحتمل ان يكون على انه حال من مفعول به اى لنخرج بنون العظمة مضارع اخرج ويحتمل ان يكون على انه حال من المفعول المحذوف والتقدير ونخرجه له كتابا اى نخرج الطائر ويعضده قرآءة ويخرج بضم الياء وفتح الراء اى يخرج الطائر كتابا قال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك فى قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة فعلى هذا قوله تعالى ونخرج له يوم القيامة معناه نخرج من قبره ﴿قوله من لقيته كذا﴾ وهو منقول بتضعيف العين من لقيت الشيء فيتعدى الى اثنين قال تعالى ولقاهم نضرة وسرورا ﴿قوله اى كفى نفسك﴾ فعلى هذا ينبغى ان يؤنث الفعل لتأنيث فاعله كما فى قوله وما تأتيهم من آية الا انه ذكر لكونه مسندا الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقى وفى مثله يجوز الامران وقوله لكشف الغطاء هذا على ان يكون المراد بالكتاب المخرج له يوم القيامة نفسه المنتقشة بظاهر اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان كثيرا كان او قليلا قويا كان او ضعيفا فانه يحصل بسببه فى جوهر النفس الانسانية اثر مخصوص فان كان ذلك الاثر اثرا يجذب الروح من حضرة الحق الى الاشتغال بالخلق كان ذلك من موجبات الشقاوة والخذلان وان كان يجذبه الى التبتل والانقطاع اليه تعالى كان موجبا للسعادة والايقان الا ان تلك الآثار تخفى مادام الروح متعلقا بالبدن لان اشتغال الروح بتدبير البدن يمنع من انكشاف هذه الاحوال وظهورها واذا انقطع تعلق الروح عن تدبير البدن وتخلص عن كونه محتجبا بحجاب البدن فحينئذ زال الغطاء وانكشف الحجاب فيخرج من عمق البدن المظلم حال كونه كتابا منتقشا بالاعمال الصادرة فى الدنيا ويكون هذا الكتاب فى هذا الوقت كانه منشور بعد ان كان مطويا مغمورا فى ظلمة البدن وعند ذلك تشاهد القوة العقلية جميع تلك الاشياء مكتوبة بالكتابة الذاتية فى جوهر الروح فيقال له فى تلك الحالة اقرأ كتابك ثم يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فان كانت تلك الآثار من موجبات الشقاوة حصلت الشقاوة لا محالة * واعلم انه تعالى جعل كل مايصدر من العبد باختياره من قول وفعل ولمحة وفكرة ونحو ذلك مما تتعلق به الارادة الازلية والعناية الالهية كالطير الذى يطير اليه وذلك لانه تعالى قدر لكل احد فى الازل مقدارا من الخير والشر فذلك الحكم الذى سبق فى علمه الازلى لابد وان يصل اليه هو ذلك الطائر فعند ذلك عرف ان الكفاية الابدية لا تتم الا بالعناية الازلية والارادة السابقة ثم ان كل طائر وصل اليه من عالم الغيب محفوظ فى صحيفة عمله ومنتقش منه اثر فى جوهر روحه يلقى اليه ذلك الكتاب منشورا ويجازى على حسب ما فى كتابه ثم انه تعالى بين ان ثواب العمل

لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد ﴿فى عنقه﴾ لزوم الطوق فى عنقه ﴿ونخرج له يوم القيامة كتابا﴾ هى صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث فى النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر ويعضده قرآءة يعقوب ويخرج من خرج يخرج وقرىء ويخرج اى الله تعالى ﴿يلقاه منشورا﴾ لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا ﴿اقرأ كتابك﴾ على ارادة القول ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ اى كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافى فوضع موضع الشهيد لانه يكفى المدعى مااهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تأويل النفس بالشخص

الصالح وعقاب العمل السيئ يختص بفاعله لا يتعدّى منه الى غيره فقال من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ثم قرّر ذلك بقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الزجاج وزر يزر وزرا فهو وازر ومعناه اثم يأثم عن ابن عباس ان الوليد بن المغيرة قال اتبعونى وانا احمل اوزاركم فقال تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم انه تعالى لما بين انه لا يعذب احدا بما يعلم منه من اختياره المعاصى واتباعه الشهوات ما لم يعمل به اى لا يجعل علمه حجة على من علم منه انه اذا امره عصاه بل يبعث اليه رسولا يمهد له الشرآئع فاذا خالف ما امر به من الطاعة وظهر عصيانه للناس فحينئذ يعذبه لانه تعالى الزم عليهم الحجة ببعثة الرسل ولم يبق للناس على الله حجة بعد بعثتهم قال تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى حيث قال ههنا وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يلزمهم الحجة بين طريق تعذيبه من قضى عليه الشقاوة فى الازل وعلم منه اختيار الضلالة فقال واذا اردنا ان نهلك قرية اى قضى الله تعالى باهلاكها لعلمه بان اهلها يختارون الضلالة على الهدى فان الحوادث كلها مسبوقة بقضاء الله تعالى وقدره والقضاء عبارة عن الارادة الازلية والسعادة الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر عبارة عن تعلق تلك الارادة بالاشياء فى اوقاتها لانفاذ القضاء السابق امرنا مترفيها اى عظماءها الذين ابطرتهم النعمة وسعة العيش بطاعة الرسول الذى بعث اليهم حتى اذا عصوه عنادا ومكابرة فعند ذلك يهلكون ولا يهلكون بمجرّد علمنا بانهم لا يقدمون الا على المعصية ولا يختارون او متابعة الهوى والشهوة فمعنى الآية اذا اردنا امضاء ما سبق من القضاء باهلاك قوم امرنا المتنعمين المغترين الظانين ان اموالهم واولادهم وانصارهم تردّ عنهم بأسنا بالايمان والعمل بشرآئع دينى على ما يبلغهم عنى رسولى ففسقوا اى خرجوا عما امرهم الله تعالى فاستحقوا العذاب فحينئذ يحق عليهم القضاء السابق باهلاكهم لظهور معاصيهم فحينئذ ندمرها والحاصل ان المعنى واذا اردنا ان نهلك قرية بسبب علمنا بانهم لا يقدمون الا على المعصية لم نكتف فى تحقيق ذلك الاهلاك بمجرّد ذلك العلم بل امرنا مترفيها ففسقوا واذا ظهر منهم ذلك الفسق فحينئذ نوقع العذاب الموعود به وهذا كالتقرير لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون فلما حكم الله تعالى فى هذه الآيات انه لا يهلك قرية حتى يخالفوا امر الله لاجرم ذكر ههنا انه يأمرهم فاذا خالفوا الامر فعند ذلك استوجبوا العذاب والاهلاك المعبر عنه بقوله فحق عليها القول فدمرناها تدميرا اى اهلكناها هلاك الاستئصال والدمار هلاك الاستئصال فقول المصنف لانفاذ قضائنا السابق اشارة الى دفع ما يقال انه تعالى كيف يريد اهلاك قوم ابتداء اى من غير ان يسبق منهم ما يستحقون الاهلاك بسببه مع انه تعالى قال ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون ثم اشار الى دفعه بوجه آخر وهو ان المراد بارادة اهلاكها دنوّ وقت هلاكها تشبيها لدنوّ وقت الشئ بارادته فى كونه كالسبب المؤدّى اليه كما يقال اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدّة واذا اراد التاجر ان يفتقر اتاه الخسران من كل جهة وليس المراد ان المريض يريد ان يموت حقيقة والتاجر يريد ان يفتقر حقيقة بل الارادة مجاز عن دنوّ الوقت لكونه كالارادة فى التأدّى الى الموت والفقر فكذلك الحال ههنا ﴿قوله ويدل على ذلك ما قبله وما بعده﴾ يعنى انه تعالى قال امرنا مترفيها ولم يصرح بما ذا يأمرهم فاختلف العلماء فى ان المأمور به ماهو فذهب اكثر المفسرين الى ان المراد به الطاعة وذهب صاحب الكشاف الى ان المراد به الفسق وان المعنى امرناهم بالفسق ففسقوا وجعل امرهم بالفسق مجازا عن ان يصب عليهم انواع النعمة صبا ويجعلوها ذريعة الى المعاصى واتباع الشهوات فصاروا بذلك كانهم مأمورون بالفسق والافلا وجه لامرهم بالفسق حقيقة بان يقال لهم افسقوا وشدّد النكير على من جعل المعنى امرناهم بالطاعة ففسقوا وقال انه تقدير شئ لا دليل عليه مع الاعراض عن تقدير ما يدل عليه الدليل فان قوله تعالى امرنا مترفيها ففسقوا فيها يدل على ان المعنى امرناهم بالفسق ففسقوا فانه اذا قيل امرته فقام وامرته فقرأ فهم منه ان المأمور به قيام او قرآءة فكذا فيما نحن فيه لا يفهم الا ان المأمور به هو الفسق لا امر آخر فتقدير الطاعة تقدير شئ لا دليل عليه مع العدول عما يقتضيه الدليل ومنع المصنف كونه تقديرا بلا دليل حيث قال ان ما بعده وما قبله يدل على ان المقدر هو الطاعة اما دلالة ما بعده عليه فلان الفسق هو الخروج عن الطاعة الخ واما دلالة ما قبله عليه فلان الرسول انما يبعث ليطاع ويعمل بالشرآئع التى يبلغها

﴿من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها﴾ لا ينجى اهتداؤه غيره ولا يردى ضلاله سواه ﴿ولا تزر وازرة وزر اخرى﴾ ولا تحمل نفس حاملة وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ يبين الحجج ويمهد الشرآئع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع ﴿واذا اردنا ان نهلك قرية﴾ واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق اودنا وقته المقدّر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدّة ﴿امرنا مترفيها﴾ متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرّد فى العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله

﴿ ففسقوا فيها ﴾ كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقرءآة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوىّ كقولهم امرته فعصانى وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشئ وآمرته فامر اذا كثرته وفى الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اى كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قرآءة يعقوب امرنا ورواية امرنا عن ابى عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اى جعلناهم امرآء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور ﴿ فحق عليها القول ﴾ يعنى كلمة العذاب السابقة بحلوله او بظهور معاصيهم او بانفهما كهم فى المعاصى ﴿ فدمرها تدميرا ﴾ اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارهم ﴿ وكم اهلكنا ﴾ وكثيرا اهلكنا ﴿ من القرون ﴾ بيان لكم وتمييز له ﴿ من بعد نوح ﴾ كعاد وثمود ﴿ وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا ﴾ يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدّم متعلقه ﴿ من كان يريد العاجلة ﴾ مقصورا عليها همه ﴿ عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ﴾ قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمنّ ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض

الرسول عن الله تعالى اليهم فيطيعوا ربهم فيما امرهم به فيدل ذلك دلالة ظاهرة على ان المعنى امرنا مترفيها بان يطيعوا الرسول الذى بعث اليهم ﴿ قوله او التسبب له ﴾ لا معنى لكلمة او ههنا لان الحمل على الفسق لا محل له سوى السببية ﴿ قوله وقيل معناه كثرنا ﴾ قرأ الجمهور امرنا بالتخفيف والقصر وفيه وجهان احدهما انه من الامر الذى هو ضدّ النهى وقدمرّ ما يتعلق بهذا الوجه وثانيهما ان امرنا بمعنى كثرنا قال الواحدى العرب تقول امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم وآمرهم ايضا بالمدّ لان امر الثلاثى يستعمل لازما بمعنى كثر ويستعمل ايضا متعدّيا بمعنى آمر بالمدّ اى كثر واستعمل فى الآية متعدّيا فيكون فعل وافعل بمعنى وهو معنى قول المصنف يقال امرت الشئ وآمرته فامر اذا كثرته واستدل على استعمال الثلاثى متعدّيا بقوله عليه الصلاة والسلام * خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة * اى مكثرة كثر الله ولدها فلولا ان الثلاثى متعدّ لما بنى منه اسم المفعول وقرئ امرنا بكسر الميم بمعنى امرنا بالفتح روى عن ابى عبيدة امره الله وامره بفتح الميم وكسرها وقرئ آمرنا بالمدّ والهمزة فيه للتعدية * حكى الجوهرى عن ابى عبيدة ان آمرته بالمدّ وامرته لغتان بمعنى كثرته ومنه الحديث * خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة * اى كثيرة النتاج والنسل وامر هو اى كثر فمخرج على تقدير قولهم علم فلان ذلك واعلمته انا ذلك قال يعقوب ولم يقله احد غيره قال الحسن امر ماله بالكسر اى كثر وامر القوم اى كثروا وآمر الله ماله بالمدّ وانما قيل مهرة مامورة للازدواج والاصل مؤمرة على مفعلة كما قال عليه الصلاة والسلام للنساء * ارجعن مأزورات غير مأجورات * وانما هو موزورات من الوزر فقيل مأزورات للازدواج بقوله مأجورات وقرئ ايضا امرنا بالتشديد وفيه وجهان احدهما ان يكون التضعيف للتعدية عدّى الفعل تارة بالهمزة واخرى بتضعيف العين والثانى ان يكون بمعنى جعلناهم امرآء فى الصحاح امر فلان وامر ايضا بالضم اى صار اميرا والمصدر الامرة بالكسر والامارة والمهر ولد الفرس والجمع امهار ومهار والانثى مهرة والجمع مهر ومهرات وفرس ممهر اى ذات مهر والسكة الطريقة المصطفة من النخل وسكة مأبورة اى ملقحة يقال ابر فلان نخله اى لقحه واصلحه وتأبير النخل تلقيحه ﴿ قوله وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ﴾ اى كما ان امرناهم بالفسق مجاز من الحمل عليه او التسبب له فكذا امرناهم بمعنى كثرناهم ايضا مجاز من قبيل اطلاق ما يدل على السبب وارادة المسبب فانك اذا قلت امر الله المهرة وامر الله المترفين واردت معنى كثرهم فقد استعملت الامر الذى هو ضدّ النهى فى لازم معناه فانه تعالى اذا قال للمهرة كونى كثيرة النتاج او قال للمترفين كونوا كثيرى الاعوان والاموال والعدد والعدد تكون كثرتهم لازمة له متفرّعة عليه لا محالة ﴿ قوله بحلوله او بظهور معاصيهم ﴾ الاوّل على ان يكون قوله فحق عليها القول لتفريع الحكم على السبب المؤدّى اليه والثانى على ان يكون التركيب من قبيل قولك اطعمته فاشبعته وسقيته فارويته فان الاشباع ليس حكما متفرّعا على الاطعام وكذا الارواء ليس امرا مغايرا للسقى فان كلمة الفاء فى مثلهما لتفسير ما قبلها وتبيينه فيكون تحقق كلمة العذاب السابقة عبارة عن ظهور فسقهم ومعاصيهم الثابتة فى العلم الازلى والقضاء السابق وهذا على ان يكون امرنا من الامر الذى هو ضدّ النهى وان كان بمعنى كثرنا يكون قوله فحق عليها القول بيانا لانهما كهم فى المعاصى لان تكثير المترفين وتسليطهم على الضعفاء وتفريع الفسق عليه يستلزم انهماك الجميع فى الفسق ثم انه تعالى لما بين طريق اهلاك قوم يستحقون الاهلاك على ظهور معصيتهم الثابتة فى العلم الازلى بين ان الاهلاك على الطريق المذكور كان عادته مع الذين فسقوا وتمرّدوا من القرون الذين كانوا بعد نوح عليه الصلاة والسلام تخويفا لكفار مكة فقال وكم اهلكنا الآية فقوله كم منصوب باهلكنا ومن القرون تمييز لكم ومن فى من بعد نوح لابتدآء الغاية ولما اختلف معناهما جاز اتحاد متعلقهما والقرن مائة وعشرون سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اوّل قرن آخره يزيد بن معاوية وقيل مائة سنة وقيل ثمانون سنة وقيل اربعون ﴿ قوله بذنوب عباده ﴾ متعلق بخبيرا قدّم على عامله والخبير هو الذى لا تعزب عنه الاخبار الباطلة فلا يجرى فى الملك والملكوت شئ ولا تتحرّك ذرّة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئنّ الا ويكون عنده خبره وهو بمعنى العليم لكن العلم القديم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة سمى خبرا وصاحبه خبيرا كذا فى المقصد الاقصى للغزالى رحمه الله ولما كان متعلق الخبير بواطن الامور ومتعلق البصير ظواهرها قدّم الخبير على البصير لكون البواطن مقدّمة بالشرف على الظواهر ﴿ قوله مقصورا عليها همه ﴾ انما قيده به لقوله تعالى ثم جعلنا له جهنم ومن المعلوم ان من يريد الدنيا

والآخرة معا لايكون حكمه كذلك ومن فى من كان شرطية وعجلنا جوابها وما نشاء مفعوله ولمن نريد بدل بعض من كل من ضميرله باعادة العامل تقديره لمن نريد تعجيله له وقوله تعالى ثم جعلنا له جهنم جعل هنا بمعنى صير ومفعولاه له جهنم لانعقاد الجملة منهما وقيل ثانيهما محذوف اى مصيرا اومأوى ويصلاها اى يدخلها حال امامن الضمير فى قوله له واما من جهنم ومذموما حال من فاعل يصلاها ﴿قوله﴾ وقيل الآية فى المنافقين ﴿﴾ فيكون المعنى من كان يريد العاجلة بعمل الآخرة كالجهاد والصوم والصلاة وهو معطوف من حيث المعنى على قوله مقصورا عليها همه فانه يتناول المنافق والكافر المجاهر والمراد بالعاجلة الدنيا لانها تكون قبل الآخرة قيل هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى وكل انسان ألزمناه طائره اى ماقدّرله وماطيراليه من عش الغيب بين اوّلا ان ماقدّرله من الاعمال يصدرعنه ثم بين ان ذلك العمل محفوظ يلقاه مكشوفا يوم القيامة فهو يجازى على حسب عمله وبين هاهنا ان العامل فى الدنيا قسمان منهم من يريد بعمله الدنيا ويقصر همه عليها فحاله انا نعجل القدر الذى نشاء تعجيله فى الدنيا لا القدر الذى يشاؤه العامل لمن نريد ان نعجل له شيأ فيها الا ان عاقبته جهنم ندخله فيها فيصلى عينها مذموما اى ملوما مدحورا اى منفيا مطرودا من رحمة الله تعالى اشار الله به الى ان عقوبة من قصر همه على الدنيا مضرّة مقرونة بالذم الى المضرّة العظيمة وقوله مذموما اشارة الى اقترانها بالذم والاهانة وان تلك المضرّة دائمة خالية عن شوب المنفعة فقوله ثم جعلناله جهنم يصلاها اشارة الى المضرّة العظيمة وقوله مذموما اشارة الى اقترانها بالذم والاهانة وقوله مدحورا اشارة الى البعد والطرد من رحمة الله تعالى وذلك يستلزم ان تكون تلك المضرّة خالية عن شوب النفع والرحمة لكونها دائمة غير مبدّلة بالخلاص والراحة ﴿قوله﴾ حقها من السعى ﴿﴾ اشارة الى ان قوله سعيها مفعول مطلق مبين للنوع وهذا المعنى مستفاد من اضافة السعى الى ضمير الآخرة وعبدة الاوثان وان كانوا يزعمون انهم انما يسعون فيما عملوه طلبا لمنافع الآخرة ويقولون اله العالم اجل واعظم من ان يقدر الواحد منا على اظهار عبوديته وخدمته بل غاية قدرتنا ان نشتغل بعبادة بعض المقرّبين من عباد الله كالملك والكوكب ونحوهما ثم ان ذلك المقرّب يشتغل بعبادة الله تعالى فانهم لايتقرّبون الى الله تعالى بهذا الطريق بل هو تقرّب بما يخترعون بآرائهم الفاسدة واللام فى لها لام العلة اى سعى لاجل الآخرة وهو يدل على ان الساعى انما يثاب على سعيه اذا كان سعيه مقرونا بالنية والاخلاص وحاصل الآية ان القسم الثانى من العمال تحقق فيه اربعة امور احدها ان يريد الآخرة اى يريد ثوابها ومنافعها ولايقصر همه على الدنيا وثانيها ان يسعى سعيا يليق بالآخرة وثالثها ان يكون سعيه مقرونا بالنية والاخلاص لاكمن هاجر الى المدينة لاجل ان يتزوّج بام قيس ولاكمن هاجر لاجل ان ينال منفعة الدنيا والآخرة ورابعها ان تكون هذه الامور المذكورة مسبوقة بالايمان الصحيح فعند اجتماع هذه الشرآئط يكون السعى مشكورا والعمل مبرورا وشكر العبد عبارة عن ان يجعل جوارحه ولسانه مشغولا بالافعال الدالة على تعظيم المنعم وكونه معظما عند ذلك الشاكر كما قيل

﴿ افادتكم النعماء منى ثلاثة ﴿ يدى ولسانى والضمير المحجبا ﴾

والله تعالى يعامل المطيعين بهذه الامور الثلاثة فانه تعالى عالم بكونهم محسنين فى تلك الاعمال وانه يثنى عليهم بكلامه القديم وانه تعالى يعاملهم بمعاملات دالة على كونهم مطيعين عند الله ولما اتصف الله بهذه الامور الثلاثة بالنسبة الى المؤمن المطيع وصف نفسه تعالى بانه شاكر وجعل المؤمن مشكورا على طاعته من قبل الله تعالى ثم انه تعالى لما بين ان من يريد العاجلة يعجل له فيها القدر الذى شاء الله تعجيله ومن يريد الآخرة يثاب على سعيه وطاعته بين ان كل واحد من الفريقين يعطى ماقسم له من الاموال والاولاد ونحوهما مما ينتفع به فى الدنيا على وجه يكون آنفه مددا لسالفه ولايحرم من العاجلة من اراد الآخرة وان كان يحرم من الآخرة من قصر همه على العاجلة فان العطايا الدنيوية لاتمنع عن احد مؤمنا كان او كافرا لان الكل مخلوق فى دار التكليف والعمل فوجب ازاحة القذر وازالة العلة عن الكل بايصال متاع الدنيا الى الكل على القدر الذى تقتضيه الحكمة ثم انه تعالى امره عليه الصلاة والسلام بان ينظر ويرى تفاوت اهل الدنيا فى متاعها ويعلم ان تفاوت درجات الآخرة ودركاتها وتفاوت اهلها فيها اكثر من تفاوت اسباب الدنيا وتفاوت اهلها فيها فان نسبة التفاوت فى درجات منافع الآخرة ودركات عقابها الى التفاوت فى امور الدنيا كنسبة نفس الآخرة الى نفس الدنيا ثم انه تعالى لما بين ان سعادة الآخرة منوطة بارادة الآخرة بان يسعى سعيا موافقا لطلب الآخرة وبان يكون مؤمنا شرع فى تفصيل هذه الامور

وقرئ مايشاء والضمير فيه لله تعالى حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله تعالى به ذلك وقيل الآية فى المنافقين كانوا يرآؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم فى الغنائم ونحوها ﴿ثم جعلناله جهنم يصلاها مذموما مدحورا﴾ مطرودا من رحمة الله تعالى ﴿ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾ حقها من السعى وهو الاتيان بما امر به والانتهاء عما نهى عنه لا التقرّب بما يخترعون بآرآئهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص ﴿وهو مؤمن﴾ ايمانا صحيحا لاشرك معه ولاتكذيب فانه العمدة ﴿فاولئك﴾ الجامعون للشروط الثلاثة ﴿كان سعيهم مشكورا﴾ من الله تعالى اى مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة ﴿كلا﴾ كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه ﴿نمدّ﴾ بالعطاء مرّة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه ﴿هؤلاء وهؤلاء﴾ بدل من كلا ﴿من عطاء ربك﴾ من معطاه متعلق بنمدّ ﴿وما كان عطاء ربك محظورا﴾ ممنوعا لايمنعه فى الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ فى الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال ﴿وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا﴾ اى التفاوت فى الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها

المجملة فبدأ بشرح حقيقة الايمان وبيان ماهو العمدة فيه وهو التوحيد والتبرئ من الشرك فقال لاتجعل مع الله آلها آخر ثم ذكر عقيبه سائر الاعمال التى يكون من عمل بها ساعيا سعى الآخرة ﴿قوله اولكل احد﴾ قيل هذا الاحتمال اولى لانه تعالى عطف عليه قوله وقضى ربك ان لاتعبدوا الا اياه الى قوله اما يبلغنّ عندك الكبر احدهما اوكلاهما وهذا لايليق بالنبى صلى الله عليه وسلم لان ابويه مابلغا عنده الكبر فعلمنا ان المخاطب بهذا نوع الانسان ﴿قوله اوفتعجز﴾ يعنى ان قوله فتقعد يجوز ان يكون بمعنى فتصير فينتصب مابعده على الخبرية وان يكون على اصل معناه ويكون كناية عن ملزومه الذى هو العجز فان القادر المتمكن من تحصيل الخيرات يسعى فى تحصيلها والسعى انما يتأتى بالقيام على الرجل بخلاف العاجز عن تحصيلها فانه لايسعى بل يبقى جالسا قاعدا عن السعى والطلب فلما كان القعود من لوازم العجز والصعف صح ان يكنى به عنه فيكون مذموما منصوبا على الحال وقوله تعالى فتقعد منصوب باضمار ان بعد الفاء جوابا للنهى كقولك لاتقطع عنا فتجفوك اى لايكن منك انقطاع فيحصل ان تجفوك فمابعد الفاء متعلق بالجملة المتقدّمة على حرف الفاء التى هى حرف العطف وسماه النحويون جوابا لكونه مشابها للجزآء فى ان الثانى مسبب عن الاوّل الاترى ان المعنى ان انقطعت جفوناك فكذلك تقدير الآية ان جعلت مع الله الها آخر صرت مذموما بكل لسان مخذولا من قبله تعالى لانه يكلك الى من اتخذته شريكا له ولا تنصر عنده ولاعون اوعجزت عن دفع ماتوجه اليك من المكاره لانه تعالى لاينصرك ومن المعلوم ان الشركاء لايقدرون على النصر والشفاعة ﴿قوله وامر امرا مقطوعا به﴾ يعنى ان القضاء فى اصل اللغة اتمام الشئ والفراغ منه وماتم وفرغ منه يلزمه ان يتقرّر ولا يتغير اى لايقبل النسخ والتغيير فاذا استعمل القضاء فى موضع الامر والالزام كما فى هذه الآية يفهم منه ان الايجاد والتكوين على ذلك الوجه دون الآخر امر مقرّر موافق للحكمة كما فى قوله تعالى فقضاهن سبع سموات وقد يطلق القضاء على تعلق الارادة الالهية بوجود الشئ من حيث انه يوجبه ويطلق ايضا على وجود جميع الموجودات فى اللوح المحفوظ اجمالا والقدر هو تفصيل قضائه السابق بايجادها فى مواد الاحكام الخارجة واحدا بعد واحد ولما ذكر فى الآية ماهو الركن الاعظم فى الايمان والتوحيد اتبعه بذكر ماهو من الشرآئع المترتبة عليه وهو انواع النوع الاوّل تخصيص العبادة لله تعالى والاحتراز عن عبادة غيره ﴿قوله ويجوز ان تكون ان مفسرة ولاناهية﴾ يعنى اى لاتعبدوا لوقوعها بعدماهو بمعنى القول واما ان جعلت مصدرية ناصبة لمابعدها فحينئذ تكون لانافية لان صلة المصدرية لاتكون شيأ ممافيه معنى الطلب على الاصح وان اجاز سيبويه كون صلة المصدرية ذلك فقال يجوز ان يقال فى تقدير امرته ان قم امرته بان قم اى بالقيام واختاره المصنف فى بعض المواضع ﴿قوله وبان تحسنوا﴾ على ان الباء فى قوله وبالوالدين متعلقة بقضى ﴿قوله احسانا﴾ واقع موقع فعله المحذوف والجملة معطوفة على جملة قوله ان لاتعبدوا على تقدير ان تكون كلمة ان فيها مصدرية عطف الجملة المثبتة على المنفية وقوله اووا حسنوا بالوالدين احسانا على ان يكون قوله احسانا واقعا موقع فعل الامر المحذوف ويكون بالوالدين متعلقا بذلك المحذوف على التقدرين وتكون هذه الجملة الامرية معطوفة على ان لاتعبدوا على ان تكون ان فيها مفسرة ولاناهية عطف الجملة الامرية على النهى ووجه المناسبة بين تخصيص العبادة به تعالى وبين الوالدين ان السبب الحقيقى لوجود الانسان هو الله تعالى والسبب الظاهر الابوان فامر بتعظيم السبب الحقيقى ثم اتبعه بالامر بتعظيم السبب الظاهرى ﴿قوله وبدل على قرآءة حمزة والكسائى﴾ فانهما قرأ ايبلغانّ بالف التثنية قبل نون التأكيد المشدّدة المكسورة على ان الالف ضمير الوالدين لتقدّم ذكرهما فيكون احدهما بدلا منه بدل البعض من الكل ويكون اوكلاهما بدلا منه ايضا لكونه معطوفا على البدل وهو بدل الكل من الكل لان كلاهما مرادف للالف التثنية ولايجوز ان يكون الاوّل بدلا والثانى تأكيدا معطوفا على البدل لان عطفه على البدل يدل على ان تأكيد التثنية غير مراد والحاصل ان بين ابدال الاوّل بدل البعض وبين تأكيد المبدل منه بكلاهما تدافعا لان فائدة التأكيد دفع توهم ارادة احدهما واما الاعتراض بانه لاتدافع بناء على ان المعنى اما يبلغان احدهما اويبلغان كلاهما فيراد البدل اوّلا والتأكيد ثانيا فمدفوع بانه اذ ذاك يخرج الكلام عن كون كلاهما معطوفا على احدهما اى عطف الجملة وهو معنى قول المصنف ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف اى ولاجل ان يكون كلاهما معطوفا على البدل الذى هو احدهما على قرآءة يبلغان لم يجز ان يكون كلاهما تأكيدا اللالف لان التأكيد يجب ان يكون معمولا لعامل المؤكد فلما ابدل احدهما من المؤكد بدل البعض كان المقصود بالنسبة هو البعض فينافيه تأكيده بالكل

﴿لاتجعل مع الله الها اخر﴾ الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امّته اولكل احد ﴿فتقعد﴾ فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة اوفتعجز من قولهم قعد عن الشئ اذا عجز عنه ﴿مذموما مخذولا﴾ جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا ﴿وقضى ربك﴾ وامر امرا مقطوعا به ﴿ان لاتعبدوا﴾ بان لاتعبدوا ﴿الا اياه﴾ لان غاية التعظيم لاتحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعى الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولاناهية ﴿وبالوالدين احسانا﴾ وبان تحسنوا اووا حسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولايجوز ان تتعلق الباء بالاحسان لان صلته لاتتقدّم عليه ﴿اما يبلغنّ عندك الكبر احدهما اوكلاهما﴾ اما هى ان الشرطية زيدت عليها ماتأكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن وبدل على قرآءة حمزة والكسائى من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا اوبدلا ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا فى كفه وكفالته

وان قدّر فعل آخر مسند الى ضمير التثنية وكان كلاهما تأكيدا لذلك الضمير لزم الخروج عن البحث لان المفروض كونه تأكيداً لفاعل الفعل المذكور ﴿قوله﴾ وقيل اسم الفعل الذى هو اتضجر ﴿عطف على قوله وهو صوت اى قيل انه ليس من قبيل الاصوات بل هو اسم للفعل المضارع وهو قليل فان الاكثر فى باب اسماء الافعال ان يكون اسما للامر نحو رويد فانه اسم لامهل وبله اسم لدع وقد يكون اسما للفعل الماضى نحو هيهات اسم لبعد ولم يذكر ابن الحاجب ماكان اسما للفعل المضارع حيث قال فى الكافية اسماء الافعال ماكان بمعنى الامر او الماضى نحو رويد زيدا اى امهله وهيهات ذلك اى بعد ﴿قوله﴾ وهو مبنى على الكسر ﴿لانه لو بنى على السكون لاجتمع ساكنان لان الفاء الاولى ساكنة وفيه سبع قراءآت ثلاث فى المتواتر واربع فى الشاذ فقرأ نافع وحفص بالكسر والتنوين وابن كثير وابن عامر بالفتح دون التنوين كثم والباقون بالكسر دون تنوين ولا خلاف بينهم فى تشديد الفاء وقرأ نافع فى رواية اف بالرفع والتنوين وقرئ بالضم من غير تنوين وبالنصب والتنوين واف بالسكون ﴿قوله﴾ قياسا بطريق الاولى ﴿اى بواسطة القياس الجلىّ الذى يكون من باب الاستدلال على الاعلى وقيل النهى عنه يدل على المنع من سائر انواع الايذآء دلالة لفظية من حيث ان اهل العرف اذا قالوا لاتقل لفلان اف عنوا به لاتتعرّض له بنوع من انواع الاذى كقولك فلان لايملك النقير والقطمير فانه يدل بحسب العرف على انه لايملك شيأ النقير النقرة التى فى ظهر النواة والقطمير القشرة الرقيقة التى تكون على النواة ﴿قوله﴾ ولذلك ﴿اى ولكون النهى عن التأفيف يدل على المنع من سائر انواع الايذآء اما بالاستدلال بحرمة الادنى على حرمة الاعلى او بكونه دالا عليه دلالة لفظية بحسب العرف والشرس والشراسة سوء الخلق يقال رجل شرس اى سيئ الخلق شديد الخلاف ﴿قوله﴾ تذلل لهما وتواضع معهما ﴿يريد أن خفض الجناح استعارة تمثيلية استعير للتذلل والتواضع لان الطائر اذا قصد الجوّ بسط جناحه واذا هم بالنزول خفض الجناح فشبه مايتصوّر من الانسان فى حال التواضع من الانخفاض بما يشاهد من الطائر عند انحطاطه من الجوّ ثم كثر استعمال له فيه حتى صار عبارة عن التواضع واما الوجه فى اضافة الجناح الى الذل وليس له جناح فكونها دليلا على الاستعارة بالكناية مخيلا كون الذل من جنس الطائر ويسمى اثبات الامر المختص بالمشبه به للمشبه استعارة تخييلية فانه شبه الذل بالطائر تشبيها مضمرا فى النفس ولم يصرّح من اركان التشبيه بشئ سوى المشبه وهو الذل ودل على ذلك التشبيه المضمر فى النفس بان اثبت للذل المشبه مايختص بالمشبه به وهو الجناح من غير ان يتحقق فى الذل شئ يجرى عليه اسم الجناح بل الوهم يخترع له صورة تشبهه بالجناح فاثبتت تلك الصورة المخترعة ليكون اثباتها قرينة للاستعارة بالكناية ونظيره فى قول لبيد

* وغداة ريح قد كشفت وقرّة * اذأصبحت بيد الشمال زمامها *

فانه شبه الشمال بالانسان واضاف اليه لازم الانسان وقت اشتغاله بالعمل وهو اليد على سبيل الاستعارة التخييلية وكذلك شبه القرّة بالناقة واثبت لها مابه قوام انقيادها وهو الزمام على سبيل التخييل هذا على ان يكون ضمير زمامها للقرّة ويحتمل ان يكون للغداة بل هو الظاهر فتكون الاستعارة بالكناية هى تشبيه الغداة بالناقة والقرّة والقرّ البرد يقول كم من غداة تهب الشمال وهى ابرد الرياح وقرّة قد ملكت الشمال زمامها فهى فى قبضتها متصرّفة على حكم ارادتها قد كشفت وانما اذهبت غادية البرد عن الناس بايقاد نار القرى ونحر الجزور لهم وتحرير المعنى كم من برد كففت غادیته باطعام الناس فعلى هذا يكون اضافة الجناح الى الذل تفيد غاية المبالغة فى التذلل لان خفض الجناح عبارة عن التذلل والتذلل منه غاية التذلل ﴿قوله﴾ اوارد جناحه ﴿عطف على قوله جعل للذل جناحا فيكون هذا وجها ثانيا لاضافة الجناح الى الذل مع ان الذل لاجناح له وتقريره ان اضافة الجناح الى الذل ليست بمعنى اللام حتى يستبعد ويقال مامعنى اضافة الجناح اليه بل المراد من الجناح جناح المخاطب واضافته الى الذل من قبيل اضافة الموصوف الى صفته كانه قيل واخفض لوالديك جناحك الذليل كما يقال حاتم الجود وحاتم الجواد ﴿قوله﴾ وقرئ الذل بالكسر ﴿قيل الذل بالكسر فى الدابة ضدّ الصعوبة وبالضم للانسان ضدّ العز ولما كان مايلحق الانسان اشدّ واكثر واوقع بالنسبة الى مايلحق الدابة وهو كونها ذلولا منقادة لصاحبها فرقوا بينهما فاختاروا الضمة التى هى اقوى الحركات لمايلحق الانسان والكسر الضعيف لمايلحق الدابة للاشارة الى مابينهما من الفرق ﴿قوله﴾ من فرط رحمتك عليهما ﴿اشارة الى ان كلمة من للتعليل كما فى قوله

﴿فلا تقل لهما اف﴾ فلا تتضجر مما يستقذر منهما ولا تستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذى هو اتضجر وهو مبنى على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه فى قرآءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منوّنا وبالضم للاتباع كمنذ منوّنا وغير منوّن والنهى على ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذآء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لايملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو فى صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ﴿ولا تنهرهما﴾ ولا تزجرهما عما لايجبك باغلاظ وقيل النهى والنهر والنهم اخوات ﴿وقل لهما﴾ بدل التأفيف والنهر ﴿قولا كريما﴾ جميلا لاشراسة فيه ﴿واخفض لهما جناح الذل﴾ تذلل لهما وتواضع معهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد فى قوله وغداة ريح قد كشفت وقرّة *

اذأصبحت بيد الشمال زمامها *

للشمال يدا وللقرّة زماما وامره بخفضه مبالغة اوارد جناحه كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول ﴿من الرحمة﴾ من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله تعالى اليهما بالامس

﴿ وقل رب ارحمهما ﴾ وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما ﴿ كما ربياني صغيرا ﴾ رحمة مثل رحمتهما علىّ وتربيتهما وارشادهما لى فى صغرى وفاء بوعدك للراحمين روى ﴿ ٢٢٠ ﴾ ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوىّ بلغا من الكبر أنى ألى منهما ماوليا منى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وتريد موتهما ﴿ ربكم اعلم بما فى نفوسكم ﴾ من قصد البرّ اليهما واعتقاد مايجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ﴿ ان تكونوا صالحين ﴾ قاصدين للصلاح ﴿ فانه كان للاوّابين ﴾ للتوّابين ﴿ غفورا ﴾ مافرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجانى على ابويه اندراجا اوّليا لوروده على اثره ﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾ من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبرّ عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقرآء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذا القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ﴾ بصرف المال فيما لا ينبغى وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ماهذا السرف فقال او فى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ﴿ ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ﴾ امثالهم فى الشرارة فان التضييع والاتلاف شرّا واصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم فى الاسراف والصرف فى المعاصى روى انهم كانوا ينحرون الابل ويياسرون عليها ويبذرون اموالهم فى السمعة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم بالانفاق فى القربات ﴿ وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ مبالغا فى الكفر به فا ينبغى ان يطاع ﴿ واما تعرضن عنهم ﴾ وان اعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الردّ ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ﴿ ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ﴾ لانتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه اومنتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذى هو قوله تعالى ﴿ فقل لهم قولا ميسورا ﴾ اى فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغنا كم الله تعالى ورزقنا الله واياكم

تعالى مما خطاياهم اغفروا اى واخفض جناحك من اجل الرحمة وقوله رحمة مثل رحمتهما علىّ اشارة الى ان الكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف ولم يقل رحمة مثل تربيتهما الىّ مع ان المذكور فى القرآن هو التربية للاشارة الى ان التربية لكونها ناشئة عن الرحمة كانها عين الرحمة ﴿ قوله وفاء بوعدك ﴾ مفعول له لقوله تعالى ارحمهما قال عليه الصلاة والسلام * الراحمون يرحمهم الرحمن * وقال عليه الصلاة والسلام * رضى الله فى رضى الوالد وسخطه فى سخط الوالد * وقال * لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر ﴿ قوله وان كانا كافرين ﴾ اشارة الى ردّ ماقيل من ان الآية منسوخة بقوله تعالى ماكان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين فلا ينبغى للمسلم ان يستغفر لوالديه اذا كانا مشركين ولا يقول لهما رب ارحمهما لانهما وان كانا كافرين فله ان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد وان يطلب الرحمة لهما بعد حصول الايمان ووجه الردّ ماذكره المصنف * قال الامام قوله تعالى وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا امر وظاهر كون الامر للوجوب انه لا يقتضى التكرار فيكفى فى العمل بمقتضى هذه الآية ذكر هذا القول فى العمر مرّة وسئل سفيان كم يدعو الانسان لوالديه فى اليوم مرّة او فى الشهر او فى السنة فقال نرجو ان يجزيه اذا دعا لهما فى اواخر التشهدات كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقال تعالى واذكروا الله فى ايام معدودات فهم يكبرون فى ادبار الصلوات ﴿ قوله وفيه تشديد عظيم ﴾ وكيف لا وقد غفر مافرط منهم على سبيل المبادرة فى حق من كان اوّابا وهو صيغة مبالغة فيقتضى الكثرة والمداومة كما روى عن سعيد بن المسيب ان الاوّاب هو الرجل الذى كلما اذنب بادر بالتوبة وقوله تعالى وآت ذا القربى حقه الذى يدل على ان المراد بذى القربى غير الوالدين كون التوصية نوعا آخر من انواع السعى الموافق لطلب الآخرة المدلول عليه بقوله تعالى وسعى لها سعيها وهو معطوف على قوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه الى هذا الموضع والمعنى انك بعد فراغك من برّ الوالدين يجب عليك ان تشتغل ببرّ سائر الاقارب فالاقرب فالاقرب ثم باصلاح احوال المساكين وابناء السبيل * وذوو القربى ان كانوا محارم وفقرآء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا حقهم ان ينفق الرجل عليهم بقدر الحاجة عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى وقال الامام الشافعى لا يجب الانفاق الا على الولد والوالدين محتسبا وان كانوا مياسير ولم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودّة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة فى السرّآء والضرّآء ونحو ذلك ﴿ قوله تعالى واما تعرضن عنهم الآية ﴾ قيل انها نزلت فى مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب رضى الله تعالى عنهم وكانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم فى الاحايين ما يحتاجون اليه وقد لا يجد عليه الصلاة والسلام ما يدفعه اليهم فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول فنزلت يعنى انه عليه الصلاة والسلام لما كان يعرض عنهم بوجهه الكريم ويسكت ولا يجيبهم حياء من التصريح بردّهم قال تعالى واما تعرضن عنهم ولما لم يكن لترتيب قوله فقل لهم قولا ميسورا على تحقق الاعراض المترقب منه عليه الصلاة والسلام فى المستقبل وجه لانه فى قوّة قولك وان لم تجبهم فاجبهم بقول فيه يسر قال فى توجيه الآية وان اعرضت عنهم اى فيما مضى فاجبهم من بعد بقول ميسور فيكون قوله تعرضن على حكاية الحال الماضية ثم عطف على هذا التأويل قوله ويجوز ان يراد بالاعراض الخ اى ويجوز ان يكون الاعراض كناية عن عدم النفع بدفع ما يحتاجون اليه لعدم الاستطاعة عليه بناء على ان الاعراض بالوجه من لوازم عدم النفع فحينئذ يكون ترتيب الجزآء المذكور عليه ظاهرا ﴿ قوله لانتظار رزق من الله ﴾ يعنى ان قوله ابتغاء رحمة مفعول له لقوله تعرضن وعلة للاعراض بان يكون الابتغاء بمعنى الانتظار فانه يصلح ان يكون علة حاملة على الاعراض ويجوز ان يكون انتصابه على انه مصدر واقع موقع الحال من فاعل تعرضن او من ضمير عنهم ﴿ قوله وقيل معناه لفقد رزق ﴾ يعنى ان قوله تعالى ابتغاء متعلق بالشرط منصوب به الا انه لا يجوز اجراء الكلام على ظاهره لان الاعراض عن المحتاج ليس لابتغاء رحمة الله بل هو مجاز عن فقد الرزق لانه سبب لابتغائه فهو من قبيل اطلاق المسبب على السبب ثم قال ويجوز ان يكون الابتغاء متعلقا بالجواب منصوبا به على معنى قل لهم قولا سهلا ابتغاء وهذا الجواز مبنى على قول من يجوّز اعمال ما بعد الفاء الجزآئية فيما قبلها وقد ثبت ذلك فى قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر الآية فان اليتيم وما بعده منصوبان بما بعد فاء الجواب ﴿ قوله والميسور من يسر الامر ﴾ يعنى انه اسم مفعول من يسر كما ان المسعود والمنحوس كذلك يقال سعد الرجل فهو مسعود ونحس فهو منحوس ثم قيل ويحتمل ان يكون الميسور مصدرا بمعنى اليسر ويكون المعنى قل لهم قولا

يذكر فيه معنى اليسر ويدل على طلب اليسر مثل اغنا كم الله ورزقنا الله واياكم وفى الصحاح المجلود مصدر بمعنى الجلادة كالمحلوف والمعقول يقال عقل يعقل عقلا ومعقولا ويقال حلف اى اقسم يحلف حلفا ومحلوفا وهو احد ماجاء من المصادر على مفعول مثل المجرود والمعقود والمعسور ﴿قوله﴾ تمثيلان لمنع الشحيح ﴿﴾ اى لامتناع البخيل عن انفاق ماله على المحاويج مثل حال من يده مغلولة الى عنقه فلا يقدر على شئ من التصريف وحال من يسرف بحال من يبسط يده كل البسط فلا يبقى شئ فى كفه ثم استعمل الفاظ الممثل به فى الممثل والمعنى لاتجعل يدك فى الانقباض عن الانفاق كالمغلولة الممنوعة من الانبساط ولا تتوسع فى الانفاق توسعا بحيث لايبقى فى يدك شئ وحاصل الكلام ان الحكماء ذكروا فى الكتب الاخلاق وان لكل خلق طرفى افراط وتفريط وهما مذمومان والخلق الفاضل ماهو العدل القاسط بين الطرفين فالبخل افراط فى الامساك والاسراف تفريط والمعتدل وهو الكرم الوسط ﴿قوله﴾ نادما اومنقطعا بك ﴿﴾ الجوهرى حسر الشخص بالكسر يحسر حسرا وحسرة فهو حسير اذا تلهف وتحزن على الشئ الفائت وحسر البعير يحسر حسورا اعيى واستحسر وتحسر مثله وحسرته انا حسرا يتعدى ولا يتعدى وقطع بفلان فهو مقطوع به وانقطع به فهو منقطع به اذا عجز عن سفره من نفقة ذهبت اومن راحلة عطبت واتاه امر لايقدر بسببه على ان يتحرك ﴿قوله﴾ حسره السفر اذا بلغ منه ﴿﴾ يقال بلغ منه المرض اذا اثر فيه تأثيرا بليغا ﴿قوله﴾ فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا ﴿﴾ على هذه الرواية يحتمل ان كلمة من متعلقة بمحذوف اى اخر سؤالك من ساعة ليس فيها دروع الى ساعة يظهر لنا فيها درع ودرع المرأة قميصها وهذا القول مبنى على رواية الكشاف وهى هكذا من ساعة الى ساعة فعد الينا وعلى تلك الرواية يحتمل ان يكون من متعلقة بيظهر ﴿قوله﴾ ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق ﴿﴾ الظاهر ان ليس مقصوده ان الآية نازلة لتسليه عليه الصلاة والسلام بخصوصه مما حصل من الاعسار والاضافة بل المراد انها نازلة لتسلية المعسرين مطلقا وحصل له عليه الصلاة والسلام التسلى فى ضمن هذه التسلية العامة وذلك لان المخاطب فى قوله تعالى وآت ذا القربى حقه عام للكل بقرينة كونه معطوفا على قوله وقضى ربك ان لاتعبدوا الا اياه وان قيل انه خطاب له عليه الصلاة والسلام بخصوصه امره الله تعالى ان يؤتى اقاربه الحقوق التى وجبت لهم فى مال الفئ والغنيمة واوجب عليه ايضا ان يؤتى حق المساكين وابناء السبيل من هذين المالين كما اشار اليه بقوله وقيل المراد بذا القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم ولما كان الخطاب فى هذه الآيات يعم الكل وامر الله تعالى الموسرين منهم بالانفاق على المعسرين منهم سلاهم بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يضيق بحسب مشيئته وهى تابعة للحكمة والمصلحة عند المعتزلة وبالعكس عندنا وليس اعسار المعسر لهو ان منك عليه ولا لبخل به عليك لكونه مهانا عند الله ولا لبخل منه تعالى عليه بل هو لكون مصلحته فيه وفى ضمن هذه التسلية العامة تحصل تسليته عليه الصلاة والسلام ايضا فقوله بمشيئته التابعة للحكمة ليس معناه ان افعاله تعالى ومشيئته معللة بالحكمة والمصلحة وان رعاية ماهو الاصلح فى حق العبد واجبة عليه بل المراد ان مشيئته تعالى موافقة للحكمة ولاتخلو عنها وانه تعالى منزه عن ان يفعل مالا حكمة فيه ولا مصلحة ﴿قوله﴾ ويجوز ان يراد الخ ﴿﴾ اشارة الى وجهين آخرين لانتظام هذه الآية بما قبلها وعلى كل واحد من الوجهين تكون هذه الآية تعليلا للآية الناطقة بالنهى عن القبض المفرط والبسط المفرط والامر بالاقتصاد تقرير الاوّل ان القبض المفرط والبسط المفرط كل واحد منهما مختص بالله فاقتصد انت واترك ماهو مختص به تعالى وتقرير الثانى انكم اذا تحققتم وتأملتم فيما بسط الله وقبض وامعنتم النظر فيه وجدتموه مقتصدا يقبض تارة ويبسط اخرى فاقتصدوا واستنوا بسنته ﴿قوله﴾ وان يكون تمهيدا ﴿﴾ من حيث انه يدل على انه تعالى متكفل بارزاق العباد على حسب مشيئته المتضمنة للحكم والمصالح فيحق ان يبنى عليه النهى عن قتل الاولاد خشية الانفاق فان العرب كانوا يقتلون البنات لعجزهن عن الكسب وقدرة البنين عليه بسبب اقدامهم على النهب والغارة وايضا كانوا يخافون ان فقر البنات ينفر الاكفاء هن عن الرغبة فيهن فيحتاجون الى انكاحهن من غير الاكفاء وفى ذلك عار شديد ﴿قوله﴾ والخطئ ﴿﴾ بكسر الخاء وسكون الطاء والهمزة بعدها مصدر خطئ يخطأ بمعنى اثم يأثم وكلاهما من باب علم يعلم علما وهو قرأة الجمهور وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر خطأ بفتح الخاء والطاء من غير مدّ وفيه وجهان الاوّل ان يكون اسم مصدر من اخطأ يخطئ اخطاء اذا اتى بما ليس بصواب فهو مغاير الخطأ الذى يقابل العمد والثانى ان يكون لغة فى الخطئ بمعنى الاثم كمثل ومثل وحذر وحذر فالمعنى على هذه القرأة ان قتلهم ليس

﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما آمرا بالاقتصاد بينهما الذى هو الكرم ﴿فتقعد ملوما﴾ فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير ﴿محسورا﴾ نادما او منقطعا بك بلا شئ عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اتاه صبىّ فقال ان امّى تستكسيك درعا فقال صلى الله عليه وسلم من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امّه فقالت قل له ان امّى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا الصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ﴿ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة البالغة فليس ما يرهقك من الاضافة الا لمصلحتك ﴿انه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾ يعلم سرّهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم مايخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرآئر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا اوانه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله تعالى ﴿ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق﴾ مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو أدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال ﴿نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا﴾ ذنبا كبيرا ما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطئ الاثم يقال خطئ خطئا كاثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضادّ الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر

بصواب وقرأ ابن كثير خطاء بكسر الخاء وفتح الطاء والمدّ فيه وجهان ايضا الاوّل ان يكون لغة فى خطئ والثانى ان يكون مصدر خاطأ يخاطئ خطاء مثل قاتل يقاتل قتالا وخاطأ وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ ومجيئه يدل على وجود خاطأ لان تفاعل مطاوع فاعل كباعدته فتباعد وناولته فتناول فى قول الشاعر

* تخاطأه القناص حتى وجدته * وخرطومه فى منقع الماء راسب *

القناص الصياد ومنقع الماء بالفتح الموضع الذى يحبس فيه الماء اى قصده الصياد ففر منه وخاطأه فعلى هذا معنى الآية ان الذين يقتلون اولادهم كان قتلهم الاولاد خطأ اى عدولا عن الحق والصواب وقرئ خطاء بالفتح والمدّ وهو اسم مصدر اخطأ كالعطاء اسم الاعطاء وقرئ خطا بفتح الخاء والطاء المنوّنة اصله خطأ كقرآءة ابن ذكوان الا انه سهل الهمزة بابدالها الفا ثم حذفها للساكنين كعصا وقرئ خطا بكسر الخاء كزنى ﴿قوله الا باحدى ثلاث﴾ اشارة الى ان قوله تعالى بالحق متعلق بلا تقتلوا كانه قيل لا تقتلوا النفس التى عصمها الله تعالى وحقن دمها بالاسلام او بالعهد او بسبب من الاسباب الا بان تستحق القتل بارتكاب شئ مما يوجب قتلها الا ان قوله تعالى الا بالحق محتمل ليس فيه بيان ان ذلك الحق ماهو وان الشئ الذى يستحق المرء بسببه لان يقتل اى شئ هو فبينه عليه الصلاة والسلام بقوله *لا يحل دم امرء مسلم الا لاحد معان ثلاثة كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق* وقوله تعالى انما جزآء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا دل على ان قطع الطريق من جملة الاسباب التى يحل بها دم المرء وقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وقوله اقتلوهم حيث وجدتموهم دل على ان الكفر مع الحرب من جملة الاسباب المبيحة لقتل النفس ومن جملة الاسباب المبيحة للقتل عند الامام الشافعى ترك الصلاة عمدا مجانا معتقدا بفرضيتها وعمل اللواطة وقول الساحر قتلت فلانا بسحرى والقتل بالمثقل فانه يوجب القصاص عنده خلافا لابى حنيفة فى الجميع وبالجملة الاصل فى الدماء الحرمة والحل انما يثبت باسباب عارضة محللة لها بين الشارع كيفيتها وقوله تعالى الا بالحق بين على سبيل الاجمال ان قتل النفس قد يباح بسبب ما وقد فصل بعض تلك الاسباب بنص القرآن وبعضها بالاحاديث المشهورة ﴿قوله تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل﴾ اى موجبه على من عليه لما جعل ثبوت التسلط لولى القتيل متفرّعا على مجرّد كون القتيل مقتولا ظلما مع قطع النظر عن كون ذلك القتل عمدا عدوانا موجبا للقصاص او خطأ موجبا للدية جعل الجزآء المتفرّع على ذلك الشرط ان قتل عمدا ان يثبت للوارث التسلط بالمؤاخذة بمقتضى القتل سواء كان ذلك المقتضى ثابتا على القاتل وهو ان يقتصّ منه او ان يعطى دية القتيل فان اولياء المقتول مخيرون بين امرين ان احبوا قتلوا وان احبوا اخذوا الدية من ماله او كان ثابتا على العاقلة ان كان القتل خطائم اشار الى جواز ان يكون المراد بالتسلط المتفرّع عليه التسلط على القاتل بان يقتصّ منه ﴿قوله فلا يسرف اى القاتل﴾ اى اذا تقرّر انه تعالى جعل لولى المقتول ظلما تسلطا على القاتل فى الاقتصاص منه فلا يسرف القاتل فى القتل بان يقتل من لا يحق قتله فيقتل فيكون قد اسرف فى القتل حيث كان سببا لهلاك نفسه وهلاك غيره وفى الارتداع عنه سلامة نفسه وسلامة نفس الغير فعلى هذا يكون الضمير فى قوله انه كان منصورا للمقتول اى لا يسرف القاتل المبتدى لان من قتل مظلوما كان منصورا فى الدنيا بايجاب القود على قاتله بان يقتص له وليه فان لم يكن له ولى فالسلطان وليه ﴿قوله او الولى بالمثلة او قتل غير القاتل﴾ عطف على قوله القاتل يعنى يحتمل ان يكون المنوى فى قوله فلا يسرف ضمير الولى واسراف الولى يكون على وجهين احدهما ان لا يكتفى بقتل القاتل بل يقتله ثم يمثل به ويقطع اعضاءه وثانيهما ان لا يكتفى بقتل القاتل بل يقتل به جماعة غيره وكل ذلك كان يفعله اهل الجاهلية كانوا يقتلون غير القاتل وكذا كانوا يمثلون بالمقتول فنهى عن كل منهما ﴿قوله والضمير اما للمقتول واما لوليه﴾ على تقدير ان يكون الحكم المعلل فلا يسرف القاتل ﴿قوله واما للذى يقتله الولى اسرافا﴾ على تقدير ان يكون المعلل فلا يسرف الولى بالمثلة وقتل غير القاتل فان الذين قتله الولى اسرافا منصور بايجاب القصاص على المسرف ان كان اسرافه بالمثلة ثم انه تعالى لما نهى عن اتلاف النفوس اتبعه بالنهى عن اتلاف الاموال فقال ولا تقربوا مال اليتيم الآية وخص مال اليتيم بالذكر لانى لضعفه وكال عجزه يعظم ضرره باتلاف ماله ونظيره قوله ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا اى مخافة ان يكبروا فيأخذوا اموالهم منكم ومبادرة فى اكله ﴿قوله غاية لجواز التصرّف﴾ لا للنهى اذ لا يجوز للوصى ان يتصرّف

وقرأ ابن كثير خطاء بالمدّ والكسر وهو اما لغة فيه او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء فى قوله تخاطأه القناص حتى وجدته *

وخرطومه فى منقع الماء راسب * وهو مبنى عليه وقرئ خطاء بالفتح والمدّ وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ﴿ولا تقربوا الزنى﴾ بالعزم والاتيان بالمقدّمات فضلا ان تباشروه ﴿انه كان فاحشة﴾ فعلة ظاهرة القبح زائدته ﴿وساء سبيلا﴾ وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدّى الى قطع الانساب وتهييج الفتن ﴿ولا تقتلوا النفس التى حرّم الله الا بالحق﴾ الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ﴿ومن قتل مظلوما﴾ غير مستوجب للقتل ﴿فقد جعلنا لوليه﴾ للذى يلى امره بعد وفاته وهو الوارث ﴿سلطانا﴾ تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من قتله او بالقصاص على القاتل فان قوله تعالى مظلوما يدل على ان القتل عمدا عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما ﴿فلا يسرف﴾ اى القاتل ﴿فى القتل﴾ بان يقتل من لا يستحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولى بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاوّل قرآءة ابىّ فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائى فلا تسرف على خطاب احدهما ﴿انه كان منصورا﴾ علة النهى على الاستئناف والضمير اما للمقتول فانه منصور فى الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفى الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله تعالى نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذى يقتله الولى اسرافا بايجاب القصاص او التعزير والوزر على المسرف ﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾ فضلا عن ان تتصرّفوا فيه ﴿الا بالتى هى احسن﴾ الا بالطريقة التى هى احسن بان ينميه او ينمّره ﴿حتى يبلغ اشدّه﴾ غاية لجواز التصرّف الذى دل عليه الاستثناء

(فى مال)

فى مال الصبى بعد بلوغ اشدّه اى بعد بلوغه الى حيث يمكنه بسبب عقله ورشده القيام بمصالح نفسه وعند ذلك لاتبقى ولاية غيره عليه وذلك حدّ البلوغ واذا بلغ غير كامل العقل لم تترك الولاية عليه قيل اشدّ الرجل غير اشدّ اليتيم وان كان لفظهما واحدا لان قوله تعالى حتى اذا بلغ اشدّه آتيناه حكما انما هو الاكتهال وذلك ثلاثون سنة واشدّ الغلام ان يشتدّ خلقه وذلك ببلوغه ثمانى عشرة سنة ﴿قوله بما عاهدكم الله﴾ على ان العهد بمعنى الوصية والتكليف قال الزجاج كل ما امر الله به ونهى عنه فهو من العهد ﴿قوله او ما عاهدتموه وغيره﴾ على ان يكون العهد بمعنى العقد والالتزام كالنذر والشروع فى النوافل والمعاملات الواقعة بين العباد فمقتضى هذه الآية ان كل عقد وعهد يجرى بين انسانين كعقد البيع والشركة والصلح وغيرها فانه يجب عليهما بمقتضى ذلك العقد ﴿قوله يطلب من المعاهد ان لايضيعه﴾ يعنى ان قولك سألته الشئ معناه طلبته منه وليس المراد من كون العهد مسؤلا كون ذاته مطلوبا بل المعنى ان عدم تضييع العهد كان مطلوبا من المعاهد وان المعاهد كان مسئولا مطلوبا فحذف المضاف والمضاف اليه وهما العدم والتضييع وكذا المطلوب منه اعتمادا على دلالة المقام على المراد ﴿قوله او مسئولا عنه﴾ فان صاحب العهد اذا سئل لم نكثت العهد وما وفيت به يكون العهد مسئولا عنه فحذف الجار واوصل مسئولا الى الضمير ﴿قوله او يسأل العهد لم نكثت﴾ بان يكون ضمير مسئولا راجعا الى العهد وينسب اليه السؤال على طريق الاستعارة التمثيلية بان يشبه العهد بمن نكث عهده وسئل عن نكث عهده واستعمل عبارة المشبه به فى المشبه او شبه العهد بمن نكث عهده تشبيها مضمرا فى النفس ويجعل نسبة السؤال اليه تخييلا للاستعارة بالكناية والاستشهاد بسؤال الموؤدة باىّ ذنب قتلت فى مجرّد السؤال لان سؤالها بعد الاحياء يوم القيامة وهو سؤال على التحقيق وسؤال العهد على التخييل ولاتبكيت فى الكلام على الوجه الاوّل وانما هو فى الوجه الثانى والثالث ﴿قوله ولاتتبع﴾ فان قوله تعالى لاتقف مأخوذ من قولهم قفوت اثر فلان اقفوه قفوا وقفوّا اذا اتبعت اثره وسميت قافية الشعر قافية لانها تقفو البيت وسمى القفا قفا لانه مؤخر بدن الانسان كانه شئ يتبعه ويقفوه فمعنى الآية لاتتبع مالاعلم لك به من قول او فعل وحاصله يرجع الى النهى عن الحكم بمالايكون والقافة جمع قائف وهو من يتبع آثار اقدام الناس ويستدل بها على احوال الانسان كحكم المشركين فى باب الآلهيات والنبوّات بمايعتقدونه بسبب تقليد اسلافهم او اتباع اهوآئهم رجما بالغيب ﴿قوله واحتج به من منع اتباع الظن﴾ اى العمل بالقياس بان قال القياس لايفيد الا الظنّ والظنّ يغاير العلم فالحكم فى دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم فوجب ان لايجوز بمقتضى هذه الآية *واجاب عنه بان الظن قد يسمى علما كما فى قوله تعالى اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهنّ الله اعلم بايمانهنّ فان علمتموهنّ مؤمنات فلا ترجعوهنّ الى الكفار ومن المعلوم انه انما يمكن العلم بايمانهنّ بناء على اقرارهنّ وامارات تدل عليه وهو لايفيد الا الظنّ وقد رأيت انه تعالى سمى هذا الظنّ علما وقيل انه مخصوص بالعقائد فالنهى عنه هو اتباع الادلة الظنية فى الاعتقادات فلا ينافى جواز اتباعها فى العمليات كيف وقد ثبت ان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين قد تكلموا فى الحوادث بارآئهم وشاوروا فى امرهم وولى ابو بكر وعمر رضى الله عنهما الخلافة باجماع الصحابة بغير نص من الرسول صلى الله عليه وسلم وجعلها عمر شورى ولم يرد ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم فلا يقال انهم فعلوا مافعلوا وقالوا ماقالوا مخالفين لمقتضى هذه الآية تاركين اياه فدل على ان قوله تعالى ولاتقف ماليس لك به علم ليس فيه الاجتهاد فى الاحكام وتشبيه الفروع بالاصول المنصوص عليها لان الامّة قد اجمعوا على ان العمل بالظن جائز فى صور كثيرة منها العلم بالفتوى فانه عمل بالظن ومنها العمل بالشهادة فانه عمل بالظن ومنها نقص قيم المتلفات وارش الجنايات فانه لاسبيل اليه الا بالظن ومنها الصلاة على الميت ودفنه فى مقابر المسلمين وتوريث المسلم من ابنه بناء على اسلامه وهو مظنون ومنها اكل الذبيحة بناء على اعتقاد انها ذبيحة مسلم وهو مظنون *وسند الاجماع فى مثل هذه الصورة قوله نحن نحكم بالظاهر وهو يتولى السرآئر وذلك تصريح فى ان الظن معتبر فى باب العمل فلذلك تخص هذه الآية بالعقائد وقيل انها مخصوصة بالرمى وشهادة الزور ومعناها لاترم ولاتقل ماليس لك به علم * نقل عن محمد بن الحنفية ان المراد منه شهادة الزور وقال ابن عباس لا تشهد الا بما رأته عينك وسمعته اذنك ووعاه قلبك ومن هذا القبيل قذف المحصن والمحصنة ورميهما بالكاذيب فان بعض الناس يذكرون مثالب الناس وعيوبهم ويهجونهم ويبالغون فيه فالمقصود النهى عنه وعن امثاله ويؤيد كون الآية مخصوصة بالرمى قوله عليه الصلاة والسلام * من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله

﴿واوفوا بالعهد﴾ بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ﴿ان العهد كان مسئولا﴾ مطلوبا يطلب من المعاهد ان لايضيعه ويفى به او مسئولا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤودة باىّ ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد صاحب العهد كان مسئولا ﴿واوفوا الكيل اذا كلتم﴾ ولاتبخسوا فيه ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ بالميزان السوىّ وهو رومى عرّب ولايقدح ذلك فى عربية القرآن لان العجمى اذا استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم فى الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف هنا وفى الشعراء ﴿ذلك خير واحسن تأويلا﴾ واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ﴿ولاتقف﴾ ولاتتبع وقرئ ولاتقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ﴿ماليس لك به علم﴾ مالم يتعلق به علمك تقليدا اورجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا اوظنا واستعماله بهذا المعنى شائع

وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمى وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج وقول الكميت * ولا ارمى البرى بغير ذنب * ولا اقفو الحواصن ان قفينا ﴿ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك﴾ اى كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب فى العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع

لذا وهو بيع القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام ﴿كان عنه مسئولا﴾ فى ثلاثتها ضمير كل اى كان كل واحد منها مسئولا عن نفسه يعنى عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير فى عنه لمصدر لاتقف اولصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسند الى عنه كقوله تعالى غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل ومايقوم مقامه لا يتقدّم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ﴿ولاتمش فى الارض مرحا﴾ اى ذامرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت ﴿انك لن تخرق الارض﴾ لن تجعل فيها خرقا لشدّة وطئتك ﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾ بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهى بان الاختيال حماقة مجرّدة لاتعود بجدوى ليس فى التذلل ﴿كل ذلك﴾ اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله تعالى ولاتجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها المكتوبة فى الواح موسى عليه السلام ﴿كان سيئه﴾ يعنى المنهى عنه فان المذكورة مأمورات ومناهى وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى مانهى عنه خاصة وعلى هذا قوله ﴿عند ربك مكروها﴾ بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن فى كان او فى الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضىّ لامايقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ﴿ذلك﴾ اشارة الى الاحكام المتقدّمة ﴿مما اوحى اليك ربك من الحكمة﴾ التى هى معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ﴿ولاتجعل مع الله الها آخر﴾ كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لاقصد له لايقبل عمله ومن قصد بفعله اوتركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اوّلا ماهو غاية الشرك فى الدنيا وثانيا ماهو نتيجته فى العقبى فقال تعالى ﴿فتلقى فى جهنم ملوما﴾ تلوم نفسك ﴿مدحورا﴾ مبعدا من رحمة الله تعالى ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾ خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بفضل الاولاد وهم البنون ﴿واتخذ من الملائكة اناثا﴾ بناتا لنفسه هذا خلاف ماعليه عقولكم وعادتكم ﴿انكم لتقولون قولا عظيما﴾ باضافة الاولاد اليه وهى خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ماتكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف الخلق أدونهم

فى ردغة الخبال والردغة بفتح الدال وسكونها وبالغين المعجمة الماء والطين والوحل الشديد وفى حديث الحبال عصارة اهل النار وهو فى الاصل الفساد وقوله حتى يأتى بالمخرج يريد حتى يرجع عما قال اى حتى يخرج من عهدته وقول الكميت

* ولا ارمى البرئ بغير ذنب * ولا اقفو الحواصن ان قفينا *

الحواصن جمع حاصنة بمعنى محصنة وهى المرأة العفيفة ﴿قوله﴾ فى ثلاثتها ﴿قوله﴾ وهى كان عنه مسئولا ولا يبعد ان يخلق الله الحياة والعقل والنطق فى هذه الاعضاء ثم انه تعالى يوجه السؤال اليها ويسألها أصرفها صاحبها فى الطاعة ام فى المعصية ويحتمل ان يكون التقدير ان صاحب السمع والبصر والفؤاد هو المسئول بناء على ان السؤال لايصح الا ممن يكون عاقلا ناطقا وهذه الجوارح ليست كذلك بل العاقل الفاهم هو الانسان فيقال له لم سمعت مالا يحل لك سماعه ولم نظرت الى مالا يحل لك النظر اليه ولم عزمت على مالا يحل لك العزم عليه ﴿قوله﴾ اى ذامرح ﴿قوله﴾ اشارة الى ان المرح بفتح الراء مصدر واقع موقع الحال بتقدير المضاف والمرح شدّة الفرح يقال مرح يمرح مرحا فهو مرح المصدر بفتح الراء والنعت بكسرها والمراد من الآية النهى عن ان يمشى الانسان مشيا يدل على الكبرياء والعظمة اى لاتمش فى الارض مختالا فخورا وقد جاء بكسر الراء وان كان ابلغ فى الدلالة على المعنى المراد وهى نهى المخاطب عن المشى بالكبر والتعظم الا ان المصدر آكد اى اكثر تقريرا للاتصاف بالمرح وفيه بحث لان المصدر انما يكون آكد للاتصاف اذا ترك على حاله كما فى رجل عدل واما اذا اوّل المصدر بقوله ذامرح كما فعل المصنف فحينئذ لايكون فرق بين القراءتين ولما كانت مشية المرح مشتملة على شدّة الوطأة والتكبر على الارض بمشيه عليها وعلى التطاول والتعظم قال تعالى فى تعليل النهى عنها انك لن تخرق الارض اى كيف تتكبر على الارض ولن تقدر على ان تجعل فيها خرقا وشقا وكيف تتعظم وتتطاول ولن تبلغ الجبال طولا فانت احقر واضعف من كل واحد من الجمادين فكيف يليق بك التكبر ﴿قوله﴾ يعنى المنهى عنه ﴿قوله﴾ فان الكوفيين وابن عامر لما قرأوا سيئه بضم الهمزة والهاء وتذكير الكلمة من غير تنوين باضافة سيئ الى الضمير الراجع الى قوله كل ذلك مشيرا بقوله ذلك الى جميع ما تقدّم وفيه السيئ والحسن حكم على سيئ ماتقدّم وهو المنهى بانه كان عند ربك مكروها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب سيئة بفتح الهمزة وتاء تانيث منصوبة منوّنة فحينئذ يكون ذلك اشارة الى مانهى عنه خاصة ويحتمل ان يكون اشارة الى مصدرى قوله تعالى لاتقف ولاتمش وهما قفو مالا يس لك به علم والمشى فى الارض مرحا على طريق قوله تعالى لافارض ولا بكر عوان بين ذلك ﴿قوله﴾ والمراد به المبغوض ﴿قوله﴾ جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على ان هذه الآية دلت على ان هذه الاعمال مكروهة عند الله تعالى والمكروه لايكون مرادا فهذه الاعمال لا تكون مرادة لله تعالى واذا ثبت انها ليست بارادة الله تعالى وجب ان لاتكون مخلوقة لله تعالى لان كونها مخلوقة له تعالى يستلزم كونها مرادة له ﴿قوله﴾ ذلك اشارة الى الاحكام المتقدّمة ﴿قوله﴾ وهى الخصال الخمس والعشرون بعضها نواهى وسماها حكمة لان الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير للعمل به والامر بالتوحيد من القسم الاوّل وباقى التكاليف من القسم الثانى فانها خيرات تعلم لاجل العمل بها ﴿قوله﴾ ورتب عليه ﴿قوله﴾ اى على قوله تعالى ولاتجعل مع الله الها آخر ماهو غاية الشرك فى الدنيا حيث قال فتقعد مذموما مخذولا والذم والخذلان يحصلان فى الدنيا والقاؤه فى جهنم ملوما مدحورا حيث يحصل يوم القيامة وهذا الكلام لا يتضح الا ببيان الفرق بين المذموم والمخذول وبين الملوم والمدحور فنقول كونه مذموما معناه ان يذكر ان الفعل الذى اقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموما واذا ذكر ذلك له يقال له لم فعلت مثل هذا الفعل وما الذى حملك عليه وما استفدت من هذا العمل الا الحاق الضرر بنفسك فهذا هو اللوم فثبت ان اوّل الامر هو ان يصير مذموما وآخره ان يصير ملوما واما الفرق بين المخذول وبين المدحور فهو ان المخذول عبارة عن الضعيف يقال تخاذلت اعضاؤه اى ضعفت واما المدحور الذى هو المطرود فهو عبارة عن الاستخفاف والاهانة قال تعالى ويخلد فيه مهانا فكونه مخذولا عبارة عن ترك اعانته وتفويضه الى نفسه وكونه مدحورا عبارة عن اهانته والاستخفاف به فثبت ان اوّل الامر ان يصير مخذولا وآخره ان يصير مدحورا ثم انه تعالى لما امر بالتوحيد ونهى عن اثبات الشريك لله تعالى واوعد عليه اتبعه بذكر فساد طريقة من اثبت الولد لله تعالى لاسيما كون ذلك الولد اخس الاولاد فقال أفأصفاكم ربكم بالبنين اى اتزعمون انه تعالى اختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه الاخس بان اختصكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا وتقولون

ان الملائكة بنات الله والهمزة فيه للانكار والتوبيخ والتفضيح باختيار مذهب ظاهر الفساد وقوله تعالى واتخذ يجوز ان يكون معطوفا على أفاصفاكم فيكون داخلا فى حيز الانكار ويجوز ان يكون الواو فيه للحال وقد مقدّرة عند قوم واتخذ يجوز ان يكون متعدّيا الى اثنين قال ابو البقاء اناثا مفعول اوّل لاتخذ وثانيهما محذوف اى اولادا واختاره المصنف ايضا حيث قال بناتا لنفسه ومن الملائكة متعلق باتخذ او بمحذوف على انه حال من النكرة بعده وفيما ذهب اليه ابو البقاء نظر لانه يستلزم ان يبتدأ بالنكرة من غير مسوغ لان مايقع مفعولا اوّلا فى هذا الباب يجب ان يصح وقوعه مبتدأ ومالا يصح ان يكون مبتدأ لايصح كونه مفعولا اوّلا والظاهر ان يقال المفعول الثانى هو من الملائكة قدّم على الاوّل كما فى قولك فى الدار رجل او يقال ان اتخذ ههنا متعدّية الى واحد كما فى قوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا ﴿ قوله ﴾ كرّرنا هذا المعنى بوجوه من التقرير ﴿ اشارة الى ان مفعول صرّفنا محذوف وهو قوله هذا المعنى والمراد به ابطال اضافتهم البنات الى الله تعالى والمراد من تصريفه صرف تقريره من وجه الى وجه آخر وتلخيصه تكرير تقريره وتبيينه بوجوه مختلفة فى مواضع من التنزيل ﴿ قوله ﴾ ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه تعالى ﴿ بان يطلق القرآن على المعنى بطريق اطلاق اسم الدال على المدلول وحينئذ يقدّر لصرّفنا مفعول وهو القول ووجه ظرفية هذا المعنى لتصريف القول كونه محلا لتغيير القول وصرفه من اسلوب الى اسلوب آخر ﴿ قوله ﴾ من الذكر الذى هو بمعنى التذكر ﴿ وهو التفكر والتأمل فان الذكر قد يجيئ بهذا المعنى كقوله تعالى خذوا ما آتيناكم بقوّة واذكروا مافيه والتذكر الاعتبار والاتعاظ قال الواحدى التذكر ههنا اشبه من الذكر لان المراد منه التذكر والتدبر وليس المراد منه الذكر الذى يحصل بعد النسيان ثم ان المقصود من التذكر والاتعاظ ان تطمئن قلوبهم الى هذا المعنى الذى كرّر تقريره بوجوه مختلفة بقرينة قوله وما يزيدهم الا نفورا فان النفور مقابل للطمأنينة كانه قيل كرّرنا القول فى هذا المعنى او كرّرنا هذا المعنى فى القرآن المنزل ليتعظوا ويطمئنوا اليه فما يزيدهم الا نفورا وفيه تعكيس بما ينبغى من حيث ان حق هذا التكرير ان يزيدهم اتعاظا وطمأنينة قلب ومع هذا قد زادهم نفورا وعنادا والكاف فى قوله تعالى كما تقولون فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اى كونا مثل قولكم وقوله تعالى عطف على ماتضمنه المصدر تقديره تنزه وتعالى وعن متعلقة به ﴿ قوله ﴾ حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ﴿ هذا التعليل مبنى على ان قوله تعالى يسبح استعارة تبعية شبه دلالة ماذكر على تنزيه الله تعالى عما لا يجوز عليه من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بالتسبيح فاستعمل يسبح مكان يدل كما فى قولهم نطق الحال لما ابطل الله تعالى قول الذين قالوا الملائكة بنات الله ونزه ذاته عما نسبوا اليه عقبه بقوله تسبح له السموات السبع دلالة على ان الاكوان باسرها دالة شاهدة بتلك النزاهة ولكن ايها المشركون لاتفهمون دلالتها عليها لاخلالكم بالنظر الصحيح ﴿ قوله ﴾ ويجوز ان يحمل التسبيح الخ ﴿ عطف على ماسبق من حيث المعنى فان التسبيح الحقيقى وهو ان يقول المسبح بلسانه سبحان الله مثلا لما لم يتصوّر من الجمادات لتوقفه على الفهم والنطق حمل التسبيح اوّلا على الدلالة على وحدانية الله تعالى وتنزهه عما لا يليق بالالوهية تشبيها لدلالة الحال بالتسبيح الحقيقى والتسبيح بهذا المعنى المجازى حاصل فى جميع الموجودات والحى المكلف كما يسبح الله تعالى بهذا التسبيح المجازى يسبحه ايضا بالقول ثم قال ويجوز ان يحمل التسبيح على عموم المجاز بان يراد مطلق الدلالة سواء كانت دلالة الحال او دلالة اللسان لاسناده الى مايتصوّر منه اللفظ وهو الملائكة والثقلان والى مالا يتصوّر منه ذلك وهو السموات والارض ولا يجوز ان يحمل على المعنيين جميعا لان عند من يجوز كون الكلمة الواحدة فى حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز ﴿ قوله ﴾ وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وابو بكر يسبح بالياء ﴿ اى الياء المنقوطة من تحت لاسناد الفعل الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقى ولوجود الفصل بين الفعل وفاعله المؤنث والباقون بتاء التأنيث ﴿ قوله ﴾ حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم ﴿ جواب عما يقال كيف يصح ان يجعل خطاب لاتفقهون للمشركين ولا يخاطب بالحلم والمغفرة الا المؤمنون * وتقرير الجواب ان قوله تعالى انه كان حليما استئناف فى موضع التعجب كانه قيل ما احلمه واعظم غفرانه حيث يعلم من هؤلاء المعاندين ماهم عليه ثم لا يعاجلهم بالعقوبة ﴿ قوله ﴾ مستورا ذاستر ﴿ على ان مستورا من باب النسب كقولهم مكان مهول وجارية مغنوجة اى ذو هول وذات غنج ورجل مرطوب اى ذو رطوبة وكان وعده مأتيا بمعنى ذى اتيان لانه يؤتى اليه وسيل مفعم بفتح العين اى ذو ملئ لانه مملوء فان السيل مفعم بكسر العين والوادى مفعم

اضافة البنات اليه على تقدير ولقد صرّفنا القول فى هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ﴿ ليذكروا ﴾ ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الفرقان ليذكروا من الذكر الذى هو بمعنى التذكر ﴿ ومايزيدهم الا نفورا ﴾ عن الحق وقلة طمأنينة اليه ﴿ قل لو كان معه آلهة كما تقولون ﴾ ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء فيه وفى مابعده على ان الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب فى الثانية على ان الاولى مما امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم ﴿ اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا ﴾ جواب عن قولهم وجزآه لو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرّب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ﴿ سبحانه ﴾ تنزه تنزيها ﴿ وتعالى عما يقولون علوّا ﴾ تعاليا ﴿ كبيرا ﴾ متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه فى اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص مايمتنع بقاؤه ﴿ تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهنّ وان من شئ الا يسبح بحمده ﴾ ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ﴿ ولكن لاتفقهون تسبيحهم ﴾ ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذى به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى مايتصوّر منه اللفظ والى مالا يتصوّر منه وعليهما عند من جوّز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وابو بكر يسبح بالياء ﴿ انه كان حليما ﴾ حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم ﴿ غفورا ﴾ لمن تاب منكم ﴿ واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا ﴾ يحجبهم عن فهم ما تقرأه عليهم ﴿ مستورا ﴾ ذاستر كقوله

ولايفهمون انهم لايفهمون نفى عنهم ان يفهموا ماانزل عليهم من الآيات بعد مانفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة فى الانفس والآفاق تقريراً له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرّح به بقوله ﴿ وجعلنا على قلوبهم اكنة ﴾ تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ﴿ ان يفقهوه ﴾ كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لمادل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اى منعناهم ان يفقهوه ﴿ وفى آذانهم وقرا ﴾ يمنعهم عن استماعه استماع تأمل فى لفظه وتدبر فى معناه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه مايمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ ﴿ واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ﴾ واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله تحد وحده اوبمعنى واحدا وحده ﴿ ولوا على ادبارهم نفورا ﴾ هربا من استماع التوحيد ونفرة اوتولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود ﴿ نحن اعلم بما يستمعون به ﴾ بسببه ولاجله من الهزؤ بك وبالقرآن ﴿ اذيستمعون اليك ﴾ ظرف لاعلم وكذا ﴿ واذهم نجوى ﴾ اى نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجىّ ﴿ اذيقول الظالمون ان تتبعون الارجلا مسحورا ﴾ مقدّر باذكر اوبدل من اذهم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا من باب الظلم والمسحور هو الذى سحر به فزال عقله وقيل الذى له سحر وهو الرئة اى الارجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم ﴿ انظر كيف ضربوا لك الامثال ﴾ مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون ﴿ فضلوا ﴾ عن الحق فى جميع ذلك ﴿ فلا يستطيعون سبيلا ﴾ الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير فى امره لايدرى مايصنع اوالى الرشاد ﴿ وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا ﴾ وحطاما ﴿ أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحىّ ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل فى اذا مادل عليه مبعوثون لانفسه لان مابعد ان لايعمل فيما قبلها وخلقا مصدر اوحال ﴿ قل ﴾ جوابا لهم ﴿ كونوا حجارة اوحديدا اوخلقا مما يكبر فى صدوركم ﴾ اى مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شئ منها فان قدرته تعالى لاتقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام فى قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما ورفاتا وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشئ اقبل لماعهد (زيد) فيه مما لم يعهد ﴿ فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اوّل مرة ﴾ وكنتم ترابا وماهو ابعد منه من الحياة ﴿ فسينغضون اليك رؤسهم ﴾ فسيحرّكونها نحوك تعجبا واستهزآء

بفتح العين * الجوهرى الفم الممتلئ يقال ساعد فم وافعمت الاناء ملأته وافم المسك البيت ملأه بريحه والحجاب ليس بمستور بل المستور ماوراءه فلذلك جعل المستور للنسب ويحتمل ان يكون توصيف الحجاب بكونه مستورا عبارة عن كونه غير مرئى على طريق اطلاق الملزوم وارادة لازمه لانّ مايكون مستورا يلزمه ان لايرى ﴿ قوله او بحجاب آخر ﴾ بان يكونوا محجوبين بالحجاب الاوّل عن فهم مايقرأه عليهم وبالحجاب الثانى حجبوا عن فهم كونهم محجوبين عن فهم ماتلى عليهم وهو قوله لايفقهون ولا يفهمون انهم لايفهمون ﴿ قوله نفى عنهم ان يفهموا ماانزل عليهم ﴾ بيان لوجه ارتباط هذه الآية بماقبلها وذلك انه تعالى ابطل مقالة المشركين ونزه نفسه عما نسبوا اليه تعالى ثم قال تسبح له السموات السبع الآية على معنى ان جميع الكائنات تدل على تنزيهه عن جميع لوازم الامكان والحدوث ولكن لاتفقهون الدلالات المنصوبة فى الانفس والآفاق ثم قرّر ذلك بقوله واذا قرأت القرآن الآية وقوله تعالى ان يفقهوه اما مفعول له بتقدير المضاف اومفعول به على تقدير ومنعناهم ان يفقهوه لدلالة الجملة على قوله ومنعناهم ﴿ قوله واصله تحد وحده ﴾ فحذف الفعل الذى هو تحد واقيم المصدر مقامه ولوقيل المصدر بمعنى اسم الفاعل كأنه قيل واحدا لكان له وجه ﴿ قوله هربا ونفرة اوتولية ﴾ الاوّل على ان يكون انتصاب نفورا على انه مفعول له اى تركوا مجلس الذكر هربا عن استماعه والثانى على انه مفعول مطلق من غير لفظ الفعل لان التولى والنفور بمعنى وان كان جمع نافر يكون حالا من فاعل ولوا فالكفار كانوا عند استماع القرآن على حالتين فاذا سمعوا من القرآن ماليس فيه ذكر الله تعالى بقوا مبهوتين متحيرين لايفهمون منه شيأ واذا سمعوا آيات فيها ذكر الله تعالى وذم المشركين تركوا ذلك المجلس وولوا هاربين ثم ان القوم لما وصفوه عليه الصلاة والسلام بكونه مسحورا فاسد العقل ذكر مايدل على فساد عقله عليه الصلاة والسلام بحسب زعمهم وهو قولهم انه عليه الصلاة والسلام يدعى ان الانسان بعد مايصير عظاما ورفاتا يعود حيا طريا كما كان فحكى الله تعالى عنهم ذلك تجهيلا لهم وابطالا لمقالتهم فقال وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا قال الواحدى الرفت كسر الشئ بيدك تقول رفته وارفته على وزن جبرته واجبرته بكسر العين فى المضارع اذا كسرته كما يكسر المدر والعظم البالى والرفات الاجزآء المتفتتة من كل شئ يقال رفت رفتا فهو مرفوت مثل حطم حطما فهو محطوم وزنا ومعنى والحطام اسم بمعنى المحطوم كالجذاذ والرضاض والفتات ﴿ قوله وخلقا مصدر ﴾ اى على غير لفظ الفعل اى أئنا لمبعوثون بعثا جديدا وحال بمعنى مخلوقين فالقوم لما استبعدوا ان يردّوا الى حال الحياة بعد ان صاروا عظاما ورفاتا ثانيا بجعلها حية عاقلة كما كانت والدليل على صحة ذلك ان تلك الاجسام قابلة للحياة والعقل على خلاف مازعموا من امتناع العظام المرفوتة عن قبول الحياة لغلبة اليبس عليها اجابهم الله تعالى بمامعناه تحولوا وتعادوا بعد الموت الى اىّ صفة تزعمون انها اشدّ منافاة للحياة وابعد عن قبولها كصفة الحجرية والحديدية ونحوهما مما هو ابعد من قبول الحياة بالنسبة الى حال كونكم عظاما مرفوتة فى صفة الحياة والعقل والادراك ونحوها مما هو لازم الحياة فانه تعالى يعيد الحياة اليها اذ لولم تكن قابلة لها لما قبلت اياها فى اوّل الامر والله العالم العالم بجميع الجزئيات فلاتشتبه عليه اجزآء بدن زيد المطيع باجزآء بدن عمرو العاصى وقادر على الممكنات واذا ثبت ان عود الحياة الى تلك الاجزآء ممكن قطعا سوآء صارت عظاما ورفاتا اوصارت شيأ ابعد من العظام المرفوتة فى قبول الحياة نحو ان تصير حجارة اوحديدا فقوله تعالى كونوا حجارة ليس المراد منه الامر بل المراد انكم لوكنتم كذلك لما اعجزتم الله تعالى عن الاعادة وذلك كقول القائل للرجل اتلومنى وتغلظ على وانا فلان فيقول كن من شئت كن ابن الخليفة فسأطلب منك حقى فكذا المعنى ههنا كونوا على اىّ صفة كانت فاعادة الحياة اليكم ممكنة ﴿ قوله فسيحرّكونها ﴾ يقال انغض رأسه ينغضه انغاضا اذا حركه انكارا اواستبعادا وامانغض ثلاثيا ينغض بفتح الغين وضمها فمعناه تحرك وهو لايتعدّى ﴿ قوله وان يكون اسم عسى اوخبره والاسم مضمر ﴾ اعلم ان عسى يرفع الاسم وينصب الخبر نحو كان كقوله * عسى الغوير ابؤسا وعسيت صائما الا ان خبرها فى الاغلب يكون ان مع الفعل نحو عسى زيد ان يخرج فان زيدا فيه مرفوع على انه اسم عسى وان يخرج منصوب المحل على انه خبرها والتقدير عسى زيد الخروج اى ذا الخروج واحتيج الى تقدير المضاف لئلا يلزم كون الحدث خبرا عن الجثة وتستعمل على وجه آخر وهو ان تتم بمرفوعها الذى كان منصوب المحل فى الاستعمال الاوّل وتستغنى عن خبرها لاشتمال الاسم على المنسوب والمنسوب اليه نحو عسى ان يخرج زيد فالآية التى نحن فيها يحتمل ان يكون اسم عسى فيها راجعا الى البعث وتكون كلمة ان مع مافى حيزها خبر عسى كما فى قوله عسى

زيد ان يخرج والظاهر ان يكون ضميرا للفظ يكون التامة ويكون التقدير عسى البعث ان يقع فى زمان قريب وان يكون قوله يوم يدعوكم بدلا من قريبا والمعنى عسى ان يقع البعث يوم يدعوكم وهو يوم النفخة الاخيرة ويحتمل ان يكون منصوبا باذكر جعل قوله تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده مجازا على طريق التمثيل كما فى قوله كن فيكون لان حقيقة الدعاء والاجابة غير معقول فى حق الاموات فالظاهر انه لادعاء ههنا ولا اجابة ولا خطاب ولا مخاطب شبه حال المكلفين من لدن آدم عليه الصلاة والسلام الى يوم النفخة الاولى ومطاوعة الجميع لارادة الباعث وانبعاثهم انبعاث شخص واحد منقاد لامر الآمر المطاع بالدعوة والاجابة فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن المشبه به والاستجابة فى الاصل موافقة الداعى فيما دعا اليه وهى الاجابة الا ان الاستجابة تقتضى طلب الموافقة فهو اوكد من الاجابة وقد ورد فى الاخبار ان اسرافيل عليه الصلاة والسلام يقوم على صخرة بيت المقدس يدعو اهل القبور فى قرن يقول ايتها العظام البالية واللحوم المتفرقة والعروق المتقطعة اخرجوا من قبوركم فيخرجون وظاهره يدل على ان الدعاء القول والاجابة اجابة القول والعمل فلا ينبغى لنا الا ان نقول آمنت بالله وبما جاء من عند الله على مراد الله وآمنت بالله وبرسول الله وبما جاء من عنده على مراده وقوله بحمده حال من فاعل تستجيبون اى تستجيبون ملتبسين بحمده ﴿ **قوله** ﴾ وتستقصرون مدّة لبثكم فى القبور ﴿ ينبغى ان يراد من اللبث فى القبور لبثهم فيما بين النفختين الاولى والثانية فانه يزال عنهم العذاب فى هذا الوقت كما روى عن ابن عباس انهم لما بعثوا وعاينوا اهوال القيامة استقصروا مدّة لبثهم فى القبور فيما بين النفختين استقصار من اماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم وانما قلنا هذا لان الكلام مع من ينكر البعث ويقول متى هو فلا جرم ان يكون هو فى العذاب الشديد من حين مات فكيف يمكنه ان يستقصر جميع تلك المدّة كالذى مرّ على قرية فان من كان مبتلى بالعذاب الشديد فى القبر فلا يستقصر مقامه فيه يوم يبعثه الله فيبعث الا ان يقال يوم البعث والانبعاث يوم ممتدّ يتناول الزمان الذى قاسى فيه شدائد عذاب النار واهواله فان من عاينها وابتلى بها يصح منه ان يستقصر مدّة لبثه فى القبر ويستحقر ما ابتلى به فيه بالنسبة الى ما ابتلى به بعد البعث فان من كان فى بلاء وشدّة اذا انزل به ماهو اشدّ منه واعظم استقصر ما كان فيه قبل ذلك فكذا المشرك اذا عاين عذاب القيامة واهوالها استقصر ما كان فيه من العذاب فى القبر ونسى ذلك ثم انه تعالى لما بين صحة المعاد بقوله قل الذى فطركم اوّل مرّة امر النبى صلى الله عليه وسلم بان يقول للمؤمنين اذا اردتم ايراد الحجج الدالة على صحة الحشر والمعاد على المخالفين فاذكروا تلك الدلائل والحجج بالطريق الاحسن وهو ان لا يكون ذكرها مخلوطا بالشتم والسبّ اذ لو اختلط بذكرها شئ من السبّ لقابلوكم بمثله كما قال تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ويزداد الغضب وتتكامل النفرة ويمتنع حصول المقصود بخلاف ما اذا اقتصر على ذكر الحجة بالطريق الاحسن الخالى عن الشتم والايذاء فان ذكرها على هذا الوجه يؤثر فى القلب تأثيرا شديدا ﴿ **قوله** تفسير للتى هى احسن ﴾ فيكون المراد بقوله قل لعبادى الذين آمنوا ويكون قوله ربكم اعلم بكم خطابا مع الكفار على انه مقول لقوله يقولوا وقوله التى هى احسن توطئة وتمهيد له وقوله وما ارسلناك عليهم وكيلا كالتذييل لمجموع مجادلته مع المشركين فامر المؤمنين بما من لدن قوله وقالوا أئذا كنا عظاما الى ههنا ويكون المعنى ايها المشركون ان يشأ ربكم يرحكم بان يوفقكم للايمان والمعرفة وان يشأ يمتكم على الكفر فيعذبكم الا ان تلك المشيئة غائبة عنكم فاجتهدوا انتم فى طلب الدين ولا تصرّوا على الجهل والباطل لئلا تصيروا محرومين من السعادات الابدية وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض بين المفسر والمفسر ثم انه تعالى لما قال ربكم اعلم بكم قال بعده وربك اعلم بمن فى السموات والارض بمعنى ان علمه غير مقصور عليكم ولا على احوالكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والكائنات فيعلم حال كل احد ويعلم مايليق به من المصالح والمفاسد فلهذا السبب فضل بعض النبيين على بعض وآتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الانجيل وخص كلا منهم بما يقتضيه علمه ومشيئته فيه فلم يبعد ايضا ان يؤتى خاتم النبيين القرآن ويفضله على جميع افراد نوع الانسان وان يخص اصحابه العراة الجوّع بشرف صحبته وكل ذلك لاجل انه تعالى لا ينظر الى الصور وظواهر العلائق الجسمانية وانما ينظر الى طهارة الباطن واستعداده للتحلى بالفضائل النفسانية والمعارف الذوقية الربانية والحاصل انه تعالى ردّ أوّلا على المشركين فى استبعادهم البعث بقولهم أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون وامر النبى صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم ويجادلهم بالطريق الذى امره به

﴿ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا﴾ فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اى يكون فى زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون﴾ اى يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزآء ﴿بحمده﴾ حال منهم اى حامدين الله تعالى على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه ﴿وتظنون ان لبثتم الا قليلا﴾ وتستقصرون مدّة لبثكم فى القبور كالذى مرّ على قرية او مدّة حياتكم لما ترون من الهول ﴿وقل لعبادى﴾ يعنى المؤمنين ﴿يقولوا التى هى احسن﴾ الكلمة التى هى حسن ولا يخاشنوا المشركين ﴿ان الشيطان ينزغ بينهم﴾ يهيج بينهم المرآء والشرّ فلعل المخاشنة بهم تفضى الى العناد وازدياد الفساد ﴿ان الشيطان كان للانسان عدوّا مبينا﴾ ظاهر العداوة ﴿ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم﴾ تفسير للتى هى احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرّحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشرّ مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله

﴿ وما ارسلناك عليهم وكيلا ﴾ موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم وامر اصحابك بالاحتمال منهم روى ان المشركين افرطوا فى ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رجل منهم فهم به فامره الله بالعفو ﴿وربك اعلم بمن فى السموات والارض ﴾ وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو ردّ لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابى طالب نبيا وان يكون العراة الجوّع اصحابه ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ بالفضائل النفسانية والتبرى من العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحى اليه من الكتاب لا بما اوتيه من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله ﴿وآتينا داود زبورا﴾ تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب فى الزبور من ان الارض يرثها عبادى الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور لانه فى الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس او الفضل اولان المراد وآتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم ﴾ انها آلهة ﴿ من دونه ﴾ كالملائكة والمسيح وعزير ﴿فلا يملكون﴾ فلا يستطيعون ﴿ كشف الضرّ عنكم ﴾ كالمرض والفقر والقحط ﴿ولا تحويلا﴾ ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم ﴿ اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ﴾ هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ﴿ايهم اقرب﴾ بدل من واو يبتغون اى يبتغى من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾ كسائر العباد فكيف تزعمون انهم الهة ﴿ان عذاب ربك كان محذورا﴾ حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة

ثم امر المؤمنين بان يجادلوا معهم بالطريقة التى هى احسن ولا يخاشنوهم لئلا يفوت المقصود ثم قال فى آخره كيف تخاشنهم انت والمؤمنون وما ارسلناك تقسرهم على الايمان ثم انه تعالى ردّ على المشركين فى استبعادهم امر النبوّة بعد الردّ عليهم فى استبعادهم البعث بمثل قولهم كيف يكون يتيم ابى طالب نبيا ويكون العراة الجوّع اصحابه فقال وربك اعلم بمن فى السموات والارض على معنى انهم ان كانوا لا يعلمون وجه استحقاقك للنبوّة واستحقاق اصحابك للتقدّم فى اتباعك والاهتداء لدينك فاعلم ان ربك اعلم باحوال من فى السموات والارض وبما آتى كل واحد منهم من الفضل والتقدّم ولذلك لا تتفاوت مراتب الانبياء فى الاتصاف بالملك وتشييد القصور والبقاع حتى ان داود عليه الصلاة والسلام مع كونه ملكا عظيما لم يذكر الله تعالى ما آتاه من الملك وذكر ما آتاه من الكتاب للتنبيه على ان المراد من تفضيل بعض النبيين على بعض هو التفضيل بالعلم والدين والفضائل النفسانية والتبرى من العلائق الجسمانية لا بالمال والجاه فظهر بما ذكر من التقرير ان ليس المراد منه البعض المطلق والكلام مسوق لتقرير ما اجمل فى قوله وربك اعلم بمن فى السموات والارض فان علمه بمن فيهما عبارة عن انه تعالى انما يفضل منهم من يفضله على حسب علمه بحاله ومشيئته فى حقه وقوله وآتينا داود زبورا انما ذكر فى هذا المقام للتنبيه على ان المراد بتفضيل بعض الانبياء على بعض التفضيل بالفضائل النفسانية والعلوم الدينية لا بالملك وسعة المال حتى انه تعالى لم يتعرّض لشئ من فضائل داود عليه الصلاة والسلام سوى ما شرفه به من ايتائه الزبور **قوله** وقيل هو اى قوله تعالى ولقد فضلنا الآية اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قيل ان المراد بالبعض المعهود نبينا وذكر هذا المعطوف فى مقام تبيينه وكان الزبور مشتملا على وجه تفضيله وهو انه عليه الصلاة والسلام خاتم الانبياء وان امّته عليه الصلاة والسلام خير الامم فان ذلك مكتوب فى زبور داود عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون والمراد بهم نبينا صلى الله عليه وسلم وامّته فكان عطفه عليه تنبيها على وجه تفضيله **قوله** وتنكيره ههنا يعنى ان الزبور علم لكتاب داود عليه الصلاة والسلام فكيف عرّف تارة ونكر اخرى والتعريف العلمى يغنى عن التعريف اللامى واجاب عنه اوّلا بانه ليس من الاعلام المرتجلة بل هو من الاعلام المنقولة فانه منقول عن اسم صفة كحاتم وعباس او عن اسم معنى كفضل لانه اسم فعول بمعنى مفعول كحلوب او بمعنى المصدر كقبول وبعد ما نقل الى العلمية جاز تعريفه تلميحا واشارة الى اصله وجاز تنكيره اعتبارا لعلميته كعباس والعباس وفضل والفضل وثانيا بانه ليس من الاعلام بل هو اسم جنس بمعنى المزبور وهو المكتوب فاذا اريد به المعهود المعين يحتاج الى تعريفه باللام كما فى قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر وان اريد به فرد من جنس المزبور عظيم الشان كامل فى كونه كتابا يستعمل نكرة كما فى قوله تعالى وآتينا داود زبورا وكذا ان اريد به قطعة من قطع الزبور المعهود بان يكون الزبور اسما مشتركا بين الكل والبعض كما يطلق على الكل يطلق على كل بعض منه كما يطلق على بعض القرآن قرآن فلما قصد به فرد مما يصدق عليه زبور بمعنى قطعة من الزبور نكر كما فى قوله تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى **قوله** انها آلهة اشارة الى ان كل واحد من مفعولى زعمتم محذوف لدلالة المقام عليه اى زعمتموهم آلهة او زعمتم انها آلهة **قوله** كالملائكة والمسيح وعزير لم يذكر الاصنام لانه تعالى قال فى صفتهم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة وابتغاء الوسيلة الى الله تعالى لا يليق بالاصنام البتة فينبغى ان تكون الآية نازلة فى قوم عبدت الملائكة من المشركين ازاما لهم انه ليس لنا اهلية ان نشتغل بعبادة الله تعالى فنحن نعبد بعض المقرّبين من عباد الله تعالى وهم الملائكة فاتخذوا للملك الذى عبدوه تمثالا وصورة واشتغلوا بعبادة ذلك التمثال على زعم انه تمثال ملك فانزل الله تعالى هذه الآية احتجاجا على بطلان قولهم ووجه الاحتجاج ان الاله المعبود هو القادر على ازالة الضرر وايصال النفع والاشياء التى يعبدونها لا يقدرون على كشف الضرّ ولا على تحصيل النفع وغاية شأن الملائكة انهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون فوجب القطع بان شيأ منها ليس بآله وروى عن ابن عباس ومجاهد انها نزلت فى الذين عبدوا المسيح وعزيرا والملائكة والشمس والقمر والنجوم وفى الوسيط قال المفسرون ان المشركين من قريش واهل مكة اصابهم قحط شديد سبع سنين حتى اكلوا الكلاب والجيف واستغاثوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله قل ادعوا الذين زعمتم اى ادعيتم انها آلهة من دون الله **قوله** هؤلاء الآلهة يبتغون اشارة الى ان اولئك مبتدأ يشير الى الذين زعمهم المشركون انهم آلهة من دون الله وقوله الذين يدعون صفة للمبتدأ وفاعل

يدعون ضمير المشركين وعائداً لصلة محذوف والمعنى اولئك الآلهة الذين يدعونهم المشركون لكشف ضرّهم او يدعونهم الآلهة ففعولها اومفعولاها محذوفان ويبتغون خبر المبتدأ والوسيلة القربة وايهم موصولة بمعنى الذى حذف صدر صلتها وهى بدل من الضمير فى يدعون والتقدير ماذكره بقوله يبتغى من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة اى التقرّب اليه تعالى فكيف بغير الاقرب ﴿قوله﴾ بالموت والاستئصال ﴿قوله﴾ فان الهلاك قد يستعمل فى الموت كقوله تعالى ان امرؤ هلك اى مات عن قتادة انه قال هذا قضاء من الله تعالى كما سمعت ليس منه بدّ اما ان يهلكنا بموت كقوله كل نفس ذآئقة الموت اويهلكنا بعذاب مستأصل اذ تركوا امره وكذبوا رسله حمل الاهلاك على الاماتة من غير تسليط احد على الميت والتعذيب الشديد على الاهلاك بعذاب الاستئصال وقال الزجاج مامن اهل قرية الاوستهلك اما بموت واما بعذاب يستأصلهم وقال مقاتل اما المؤمنة الصالحة فبالموت واما الطالحة فبالعذاب وهذه كلمات متقاربة سكت المصنف عنها لانه تعالى جعل التعذيب قسيما للاهلاك فلا بدّ ان يكون ادنى حالا من الاهلاك وعليه فلا وجه لحمله على عذاب الاستئصال بخلاف قتل الرؤساء واصابة انواع البلاء فانه ادنى حالا من اهلاك الاستئصال والله اعلم لما قال تعالى فى الآية المتقدّمة ان عذاب ربك كان محذورا بين ان كل قرية مع اهلها لابدّ ان يرجع حالها الى احد امرين اما الاهلاك واما التعذيب وقيل المراد من قوله وان من قرية قرى الكفار ولابدّ ان يكون عاقبتها احد الامرين اما الاستئصال بالكلية وهو المراد من الاهلاك واما العذاب الشديد من قتل كبرآئهم وتسليط المسلمين عليهم بالسبى واغتنام الاموال واخذ الجزية فتصير القرى كلها فى حكم اهل الاسلام على ماقال بعض اهل التأويل فى قوله تعالى اولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها لايزال ينقص اهل الكفر قرية فقرية وبلدة فبلدة حتى تصير الارض كلها لاهل الاسلام وهو ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال * رئيت لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ماروئ لى منها * فذلك والله اعلم تأويل قوله تعالى الانحن مهلكوها قبل يوم القيامة اومعذبوها عذابا شديدا اى نهلك اهل الكفر ويحتمل ان يكون المراد من الآية انه يفنى جميع من كان على وجه الارض ويجعل الارض مستوية لابناء فيها ولا ارتفاع حيث قال كل من عليها فان وقال ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا امتا وقال وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا ونحو ذلك وجميع ذلك يدل على انه لايبقى عليها احد ولا بناء فتصير كلها صفصفا لاترى فيها عوجا ولا امتا فذلك هلاكها وتعذيبها والله اعلم كذا فى شرح التأويلات ﴿قوله﴾ واستوجبوا الاستئصال ﴿قوله﴾ وذلك انه تعالى قد انزل ابان رسالة كل رسول من الآيات والحجج مالايحتاج الامّة بعدها الى انزال آية اخرى فاذا سألوا شيأ من الآيات بعد ذلك يكون ذلك السؤال سؤال تعنت وعناد لاسؤال استرشاد واستهداء وقد جرت سنة الله تعالى على ان كل من سأل تعنتا وتمرّدا شيأ من الآيات واظهر الله تعالى ماسأله ولم يعتبر بها وكفر بعد رؤيتها ولم يؤمن بسببها يحل بهم عذاب الاستئصال الاترى ان قوم عيسى عليه الصلاة والسلام سألوه ان يسأل ربه ان ينزل عليهم مائدة من السماء تكون لهم آية فسأله فاخبره الله تعالى انه ينزلها عليهم ثم اخبر ان من كفر منهم بعد انزالها عليهم فانه يعذبه عذابا لايعذبه احدا من العالمين وذلك لان سؤالهم كان مبنيا على التمرّد والعناد * روى ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل الله تعالى لهم الصفا ذهبا وان يزيل عنهم الجبال التى حوالى مكة حتى يزرعوا تلك الاراضى فطلب عليه الصلاة والسلام ذلك من الله تعالى فقال تعالى ان شئت فعلت ذلك لكن بشرط ان كفروا اهلكتهم فقال عليه الصلاة والسلام لااريد ذلك فنزلت هذه الآية وكانت كفار قريش يقترحون عليه عليه الصلاة والسلام اظهار معجزات قاهرة غير ذلك مثل قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وقولهم له عليه الصلاة والسلام انك تزعم انه كان قبلك انبياء فمنهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيى الموتى فائتنا بشئ من هذه المعجزات فاجاب الله تعالى عنه بقوله ومامنعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاوّلون اى مامنعنا ان نرسل بها الا علمنا بان الآخرين يكذبون بها كما كذبت بها الاوّلون فيستوجبون بذلك التكذيب عذاب الاستئصال على ماجرت عليه السنة الالهية وقد سبق من وعده انه لايهلك هذه الامّة بعذاب الاستئصال رحمة وفضلا وتكريما لنبيهم الذى ارسله رحمة للعالمين بل اخر جزآءهم الى يوم القيامة ﴿قوله﴾ بينة ذات ابصار ﴿قوله﴾ اشارة الى ان مبصرة حال من الناقة والاسناد مجازى لان الابصار قائم بمن اعتبر بها واستدل والناقة سبب ابصار الحق وتصديق الرسول فقوله مبصرة بتاء النسبة اى بينة ذات ابصار على معنى ان فيها ابصارا لمن تأملها يبصر بسببها الحق او بينة

﴿وان من قرية الانحن مهلكوها قبل يوم القيامة﴾ بالموت والاستئصال ﴿او معذبوها عذابا شديدا﴾ بالقتل وانواع البلية ﴿كان ذلك فى الكتاب﴾ فى اللوح المحفوظ ﴿مسطورا﴾ مكتوبا ﴿ومامنعنا ان نرسل بالآيات﴾ وماصرفنا عن ارسال الآيات التى اقترحتها قريش ﴿الا ان كذب بها الاوّلون﴾ الاتكذيب الاوّلين الذين هم امثالهم فى الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستئصال على مامضت به سنتنا وقد قضينا ان لانستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال ﴿وآتينا ثمود الناقة﴾ بسؤالهم ﴿مبصرة﴾ بينة ذات ابصار او بصائر

﴿ فظلموا بها ﴾ فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها ﴿ وما نرسل بالآيات ﴾ اى الآيات

ذات بصائر وهو جمع بصيرة بمعنى الحجة الواضحة وتسمى بصيرة على الاسناد المجازى لكونها سببا للابصار والناقة وان كانت شيأ واحدا لكنها مشتملة على آيات كثيرة من ظهورها من الصخرة الصماء وظهور سقيها عقيب خروجها وعظم ضرعها وكثرة درّها وغير ذلك ﴿ قوله ﴾ او جاعلتهم ذوى بصائر ﴿ اى حجج وقرئ بالفتح اى بفتح الميم والصاد بمعنى محل ابصار كقوله عليه الصلاة والسلام * الولد مبخلة مجبنة * اجرآء لها مجرى الامكنة على طريق ارض مسبعة ﴿ قوله اى الآيات المقترحة ﴾ فان اصل الآيات يظهرها الله تعالى لان يستدل بها على صدق مدّعى النبوّة واما الآيات التى اقترحها القوم بعد ظهور مايكون كافيا فى الدلالة على صدق المدّعى فليس ارسالها لاجل ان يهتدى بها القوم لكونهم معاندين غير طالبين للرشاد وانما يرسلها الله تعالى لاجل ان يخافوا من نزول العذاب المستأصل ويعدّوها كمقدّمة الجيش وطليعته من حيث معاينتهم كمال قدرة الله تعالى حال تعنتهم ومخالفتهم امره ﴿ قوله او بغير المقترحة ﴾ فان قيل المقصود الاعظم من اظهار الآيات ان يستدل بها على صدق المدّعى فكيف قيل ليس المقصود من اظهارها الا التخويف * فالجواب ان ظهور الآية الخارقة للعادة انما يؤدّى الى التصديق والايمان من حيث دلالتها على ان من لم يتفكر فيها ولم يستدل بها على الصدق يستحق العذاب الشديد فهذا الخوف هو الذى يحمله على التفكر والتأمل فى تلك المعجزة والباء فى قوله بالآيات امامزيدة فى المفعول او التقدير ومانرسل الرسل ملتبسين بالآيات والمعجزات الا تخويفا وقوله تعالى واذ قلنا لك كأنه جواب عما خطر بباله عليه الصلاة والسلام من ان عدم ارسال ما اقترحه القوم من الآيات يوجب ان يزداد عنادهم الى حيث يمنعه من تبليغ رسالته واظهار دينه كأنه قيل لاتتوهم ذلك واذكر مااوحى اليك ربك من ان الناس فى قبضة قدرتى انصرك واعصمك منهم على ماانت عليه ﴿ قوله اوعام الحديبية ﴾ عطف على قوله ليلة المعراج اى المراد رؤياه التى رآها فى عمرة الحديبية فانه عليه الصلاة والسلام رأى ان يدخل مكة واخبر بذلك اصحابه فلما منع من البيت الحرام عام الحديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم حتى قال عمر لابى بكر رضى الله تعالى عنهما قداخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ندخل البيت ونطوف به فقال ابوبكر انه لم يخبرأنا نفعل ذلك فى هذه السنة وسنفعل ذلك فى سنة اخرى فلما جاء العام المقبل دخلها فانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وكون الواقعة مدنية لاينافى كون رؤيتها حاصلة فى مكة كما ان مارآه ليلة المعراج كان فتنة للناس من حيث انه عليه الصلاة والسلام لما ذكرلهم قصة الاسرآء كذبه وكفر به كثير ممن كان قدآمن به وازداد المخلصون ايمانا ﴿ قوله ولعله رؤيا رآها فى وقعة بدر ﴾ وماقيل من ان تلك الواقعة مدنية والسورة مكية فجوابه ماذكرنا من ان كونها مدنية لاينافى ان تقع رؤية مايتعلق بها فى مكة ﴿ قوله ان من قدر ان يحمى وبر السمندل ﴾ وهو دويبة تكون فى بلاد الترك لاتؤثر فيها النار ويتخذ من وبرها مناديل فاذا اتسخت المناديل القيت فى النار فيذهب الوسخ ويبقى المنديل ﴿ قوله ولعنها فى القرآن ﴾ جواب عما يقال ليس فى القرآن لعن هذه الشجرة فكيف وصفت بانها ملعونة فى القرآن * اجاب عنه اوّلا بان اسناد اللعن الى الشجرة اسناد مجازى من قبيل اسناد وصف طاعمها من الكفرة والظلمة اليها وثانيا بان اللعن فى اللغة التبعيد فلما كانت هذه الشجرة مبعدة عن جميع وجوه الخير حيث كان موضع استقرارها اصل الجحيم سميت ملعونة بناء على عرف العرب فانهم يقولون لكل طعام مكروه ضارّ انه ملعون لكونه ضارّا مكروها وهو المراد بكونها ملعونة فى القرآن ﴿ قوله وقداوّلت بالشيطان ﴾ عطف على قوله وهى شجرة الزقوم وقيل المراد بالشجرة الملعونة فى القرآن الشيطان الخ روى عن ابن عباس ان الشجرة الملعونة فى القرآن المراد بها بنوا امية بن الحكم بن ابى العاص قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ان بنى مروان يتداولون منبره فقص رؤياه على ابى بكر وعمر وقد دخلا فى بيته معهما فلما تفرّقوا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم يخبر برؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتدّ ذلك عليه واتهم عمر فى افشاء سرّه ثم ظهر ان الحكم كان يتسمع اليهم والى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواحدى هذه القصة كانت بالمدينة والسورة مكية فيبعد هذا التفسير الا ان يقال هذه الآية مدنية ولم يقل به احد ومما يؤكد هذا التأويل قول عائشة رضى الله عنها لمروان لعن الله اباك وانت فى صلبه فانت ابغض من لعنه الله قيل فى وجه ذكر الرؤيا وذكر الشجرة التى جعلها الله تعالى فتنة للناس بهذا القول ان القوم لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الاتيان بالمعجزات القاهرة واجيبوا بانه لامصلحة فى اظهارها لانها لوظهرت ولم يؤمنوا انزل الله عليهم عذاب الاستئصال وقد رفع ذلك عن هذه الامّة صار عدم ظهورها شبهة لهم فى انه عليه الصلاة

اوجاعلتهم ذوى بصائر وقرئ بالفتح ﴿ المقترحة ﴾ ﴿ الا تخويفا ﴾ من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا أنزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيامة والباء مزيدة او فى موقع الحال والمفعول محذوف ﴿ واذ قلنا لك ﴾ واذكر اذ اوحينا اليك ﴿ ان ربك احاط بالناس ﴾ فهم فى قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدوّ فهى بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضى لتحقق وقوعه ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى اريناك ﴾ ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان فى المنام ومن قال انه كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية اوعام الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه ان الآية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها فى وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولما روى انه لما ورد ماءه قال لكأنى انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامغت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بنى امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله ﴿ الا فتنة للناس ﴾ ماحدث فى ايامهم ﴿ والشجرة الملعونة فى القرآن ﴾ عطف على الرؤيا وهى شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمى وبر السمندل من ان تأكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحر التى تبتلعها قدر ان يخلق فى النار شجرة لاتحرقها ولعنها فى القرآن لعن طاعمها ووصفت به على المجاز للمبالغة اووصفها بانها فى اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة اوبانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارّا وقد اوّلت بالشيطان وابى جهل والحكم بن ابى العاصى وقرئت بالرفع على الابتدآء والخبر محذوف اى والشجرة الملعونة فى القرآن كذلك ﴿ ونخوّفهم ﴾ بانواع التخويف ﴿ فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا ﴾ الاعتوّا متجاوز الحدّ

(والسلام)

والسلام ليس بصادق فى دعوى الرسالة والا لما امتنع عن اظهارها وكانت شبهتهم هذه مظنة ان تورث نوع اضطراب فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية تسلية له عليه الصلاة والسلام كانه قيل هذه الشبهة لاتوهن امرك ولاتصير سببا لضعف حالك الاترى ان ذكر تلك الرؤيا صار سببا لوقوع الشبهة العظيمة وكذا ذكر الشجرة المصوفة ثم ان تلك الشبهات ماوجب ضعفا فى امرك ولافتورا فى اجتماع المحقين عليك فكذلك هذه الشبهة الحاصلة بسبب عدم ظهور هذه المعجزات المقترحة لاتوجب فتورا فى حالك ولاضعفا فى امرك ثم انه تعالى وصفهم بقسوة القلب والتمادى فى الغىّ والطغيان حيث قال ونخوّفهم فما يزيدهم الا طغيانا اشارة الى وجه آخر لعدم اظهار ما اقترحوه من الآيات والمعجزات فان من لم يتأثر من التخويف بمخاوف الدنيا والآخرة كيف ينتفع باظهار ما اقترحه من الآيات تعنتا وعنادا ﴿قوله﴾ تعالى واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية ﴿متصل بقوله ان الشيطان كان للانسان عدوّا مبينا فانه تعالى بين به انه عدوّلهم من قديم الزمان وبين ههنا سبب عداوته وانه من اىّ وقت كان عدوّا لهم ﴿قوله وفيه﴾ اى فى قوله طينا سواء كان انتصابه بنزع الخافض او على انه حال من عائد الموصول اومن نفس الموصول ايماء الى ان الانكار المدلول عليه بقوله ءأسجد مبنى على كون اصله اشرف من اصل آدم عليه الصلاة والسلام كانه قال كيف اسجد له وسجود الاشرف للادنى غير معقول ﴿قوله والمعنى اخبرنى﴾ اطلق لفظ الاستفهام واريد الامر بجامع الطلب والرؤية التى هى سبب للاخبار المسبب عنها فى لفظ ارأيت تجوّز من وجهين ﴿قوله مع التقرير﴾ اى مع انه تعالى قرّر قوله هذا ولم ينكر عليه فى ذلك القول ﴿قوله اوتفرّسا من خلقه﴾ فانه عرف انه مركب من قوّة بهيمية شهوانية وقوّة سبعية غضبية وقوّة وهمية شيطانية وقوّة عقلية ملكية وعرف ان القوى الثلاث الشهوانية والغضبية والوهمية هى المستولية فى اوّل الخلقة ثم ان القوّة العقلية انما تكمل فى آخر الامر ومتى كان الامر كذلك علم اللعين بالفراسة ان اغواءه يؤثر فيهم ﴿قوله امض لماقصدته﴾ يعنى ان قوله تعالى اذهب ليس من الذهاب الذى هو ضدّ المجيء وانما معناه امض لشأنك الذى اخترته والمقصود التخلية وتفويض الامر اليه ﴿قوله من قولهم فرلصاحبك﴾ يعنى ان وفر يستعمل لازما ومتعدّيا يقال وفر الشئ بنفسه وفورا ويقال وفرته افره وفرا فهو موفور فعدّى ﴿قوله باضمار فعله﴾ اى تجازون جزآء اوحال موطئة كقولك جاء زيد رجلا صالحا والحال الموطئة اسم جامد فصفته هى الحال فى الحقيقة وذلك الاسم كانه وطاء وطريق لما هو حال حقيقة لمجيئه قبلها موصوفا بها كقرءآنا فى قوله تعالى انا انزلناه قرءآنا عربيا ﴿قوله واستخف﴾ ولو قال واستخفف بفك الادغام لكان اوفق للمفسر وهو استفزز يقال استفزه الخوف او الفرح اى استخفه وافزته انا اى افزعته وازعجته وطيرت فؤاده ورجل فزّ اى خفيف ومن فى من استعطت موصولة فى محل النصب على انها مفعول استفزز اى استفزز الذى استطعت افزازه منهم قال ابن عباس صوت ابليس دعاؤه الى معصية الله تعالى وقيل المراد بصوته الغناء واللهو واللعب ومعنى الامر ههنا التهديد كما يقال اجهد جهدك فسترى ماينزل بك ﴿قوله من الجلبة وهى الصياح﴾ وقيل فعل وافعل بمعنى يقال اجلب على العدوّ اجلابا اذاجمع عليه الخيول والمعنى حينئذ اجمع عليهم كل ماتقدر عليه من مكايدك والباء فى بخيلك زآئدة على هذا القول ﴿قوله والخيل الخيالة﴾ اى اصحاب الخيول يعنى ان الخيل تطلق على الفرسان كما فى قوله عليه الصلاة والسلام *ياخيل الله اركبى *اى يا اصحاب خيل الله وقد تقع على نفس الافراس كما فى قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها والمراد به ههنا الاوّل والمراد بخيل ابليس ورجله كل من كان فى معصية من راكب وماش ﴿قوله ويجوز ان يكون تمثيلا﴾ اى ان يكون قوله واستفزز من استطعت واجلب عليهم بخيلك ورجلك تمثيلا لحال الشيطان فى تسلطه واغوآئه من غير ان يكون هناك استفزاز وصوت وخيل ورجل بحال مغوار قدّر فيه هذه الامور المذكورة فاستعمل فى حال الشيطان ماستعمل فى حال المغوار اى كثير الغارات اثبت لابليس اوّلا صوتا يستفز به العصاة وهو دعاؤه اياهم الى المعصية والفساد واعوانا من الخيالة والرجالة يصيح بهم على العصاة ويحتمل ان يكون لابليس جند من الشياطين بعضهم راكب وبعضهم راجل والاقرب ان يكون الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية بان يشبه حال ابليس بحال المغوار الذى يجتهد فى امره بالصوت والاعوان من الخيالة والرجالة *فان قيل كيف امر الله ابليس بهذه الاشياء وهو يقول ان الله لايأمر بالفحشاء *والجواب انه ليس امر تكليف بل هو امر تهديد كقوله اعملوا ماشئتم ويتضمن تجهيز

﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءأسجد لمن خلقت طينا﴾ لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طين اومنه اى ءأسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار ﴿قال أرأيتك هذا الذى كرّمت علىّ﴾ الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اوّل والذى صفته والمفعول الثانى محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرنى عن هذا الذى كرّمته علىّ بامرى بالسجود له لم كرّمته علىّ ﴿لئن اخرتنى الى يوم القيامة﴾ كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه ﴿لاحتنكنّ ذريته الاقليلا﴾ اى لاستأصلنهم باغوآء الا قليلا لااقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرّد ماعليها اكلا مأخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير اوتفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب ﴿قال اذهب﴾ امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ماسوّلت له نفسه ﴿فمن تبعك منهم فان جهنم جزآؤكم﴾ جزآؤك وجزآؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات ﴿جزآء موفورا﴾ مكملا من قولهم فرلصاحبك غرضه وانتصاب جزآء على المصدر باضمار فعله او بما فى جزآؤكم من معنى تجازون اوحال موطئة لقوله موفورا ﴿واستفزز﴾ واستخف ﴿من استطعت منهم﴾ ان تستفزه والفز الخفيف ﴿بصوتك﴾ بدعائك الى الفساد ﴿وأجلب عليهم﴾ وصح عليهم من الجلبة وهى الصياح ﴿بخيلك ورجلك﴾ باعوانك من راجل وراكب والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ياخيل الله اركبى والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوّت على قوم فاستفزهم من اماكنهم وأجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك

﴿ وشاركهم فى الاموال ﴾ بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرّف فيها على مالا ينبغى ﴿ والاولاد ﴾ بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة ﴿ وعدهم ﴾ المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل ﴿ ومايعدهم الشيطان الاغرورا ﴾ اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطأ بما يوهم انه صواب ﴿ ان عبادى ﴾ يعنى المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد فى قوله الاعبادك منهم المخلصين يخصصهم ﴿ ليس لك عليهم سلطان ﴾ اى على اغوائهم قدرة ﴿ وكفى بربك وكيلا ﴾ يتوكلون به فى الاستعاذة منك على الحقيقة ﴿ ربكم الذى يزجى ﴾ هو الذى يجرى ﴿ لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله ﴾ الربح وانواع الامتعة التى لاتكون عندكم ﴿ انه كان بكم رحيما ﴾ حيث هيأ لكم ماتحتاجون اليه وسهل عليكم ماتعسر من اسبابه ﴿ واذا مسكم الضرّ فى البحر ﴾ خوف الغرق ﴿ ضل من تدعون ﴾ ذهب عن خواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم ﴿ الااياه ﴾ وحده فانكم حينئذ لايخطر ببالكم سواه فلاتدعون لكشفه الااياه او ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الاالله ﴿ فلما نجاكم ﴾ من الغرق ﴿ الى البرّ اعرضتم ﴾ عن التوحيد وقيل اتسعتم فى كفران النعمة كقول ذى الرمة

عطاء فتى تمكن فى المعالى * فاعرض فى المكارم واستطالا

﴿ وكان الانسان كفورا ﴾ كالتعليل للاعراض ﴿ أفامنتم ﴾ الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم فى البحر بالغرق قادر ان يهلككم فى البرّ بالخسف وغيره ﴿ ان يخسف بكم جانب البرّ ﴾ ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفى الاربعة التى بعده وفى ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات فى قدرته سوآء لامعقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك ﴿ اويرسل عليكم حاصبا ﴾ ريحا تحصب اى ترمى بالحصباء ﴿ ثم لاتجدوا لكم وكيلا ﴾ يحفظكم من ذلك فانه لاراد لفعله ﴿ ام أمنتم ان يعيدكم فيه ﴾ فى البحر ﴿ تارة اخرى ﴾ بخلق دواعى تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه ﴿ فيرسل عليكم قاصفا من الريح ﴾ لاتمرّ بشئ الاقصفته اى كسرته ﴿ فيغرقكم ﴾ وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح ﴿ بما كفرتم ﴾ بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ﴿ ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا ﴾ مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ﴿ ولقد كرّمنا بنى آدم ﴾ بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدى الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على مافى الارض والتمكن من الصناعات وانسياق (الانسان)

ابليس فى تعريفه ان ذلك لايضرّ الله شيأ ولا ينقص من ملكه شيأ وان سلطان ابليس انما يجرى على الجهال الذين قد اخرجهم الله تعالى من جملة من شرّفهم بعبوديته ﴿ قوله اعتراض ﴾ اى هو كلام وقع فى اثناء ماخو طب به ابليس لبيان حال مواعيده وليس من جملة ماخوطب به ابليس والاقيل ماتعده انت ﴿ قوله والغرور تزيين الخطأ ﴾ فان قيل مواعيد الشيطان ليس نفس الغرور فكيف قيل ومايعدهم الاغرورا * فالجواب ان تقدير الكلام مايعدهم الاوعدا ذا غرور اوجعل مواعيده نفس الغرور مبالغة كما فى رجل عدل ويحتمل ان يكون قوله الاغرورا مفعولا من اجله اى مايعدهم شيأ من الامانى الكاذبة الا لاجل الغرور ثم انه تعالى لما مكن ابليس من ان يأتى بأقصى مايقدر عليه فى باب الوسوسة وكان ذلك سببا لحصول الخوف الشديد فى قلب الانسان قال وكفى بربك وكيلا والمعنى ان الشيطان وان مكنه الله تعالى من ذلك الا ان سلطانه وولايته مقصورة على من استعبده هو واسترقه حيث آثر الحظوظ العاجلة الخسيسة واختار اتباع الشياطين على ابتغاء رضى الرحمن وتولاه كما قال تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه واما من لازم طريق العبودية واستعبده محافظة حق الربوبية واتخذ ربّه مفزعا يفزع اليه ومعتمدا يعتمد عليه فى جميع اموره فانه تعالى يدفع عنه كيد الشيطان ويعصمه من اضلاله واغوآئه ﴿ قوله ربكم الذى يزجى ﴾ تعليل لكفايته وبيان لقدرته على عصمة من توكل عليه فى اموره ورد فى الخبر ان الله تعالى لما لعن ابليس وطرده قال يارب اسألك ان تعينى على بنى آدم قال اعنتك قال يارب زدنى قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم فاستعاذ آدم بالله تعالى وقال انك جعلت بينى وبين ابليس عداوة وقوّيته علىّ فاعنى عليه يارب فقال اذا عملت حسنة فلك بها عشر وان عملت سيئة فواحدة قال يارب زدنى قال اغفر لمن شئت ولا ابالى فقال آدم حسبى يارب والخطاب فى قوله ربكم وفى قوله انه كان بكم رحيما عام فى حق الكل والمراد من الرحمة منافع الدنيا والازجاء سوق الشئ حالا بعد حال والمعنى ربكم الذى يسير الفلك على وجه البحر لتبتغوا من فضله ﴿ قوله وقيل اتسعتم ﴾ على ان يكون اعرضتم من العرض مقابل الطول من قولهم اعرض فى الشئ وعرضه اذا جعله عريضا او صار عريضا كما فى قوله * فاعرض فى المكارم اى صار عريضا فيها واتسع ﴿ قوله ان يقلبه الله وانتم عليه ﴾ اى ان يقلب الله تعالى جانب البرّ ممحوا بكم على ان يكون جانب البرّ مفعولا به لقوله يخسف كالارض فى قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض ويكون بكم حالا من المفعول بتقدير ممحوا بكم وفاعله مستترفيه يرجع الى الجلالة وقوله او يقلبه بسببكم على ان تكون الباء سببية متعلقة بيخسف ﴿ قوله لامعقل ﴾ اى لاملجأ ﴿ قوله ريحا تحصب ﴾ وفى الصحاح الحاصب الريح الشديدة التى تثير الحصباء وهى الحصى يقال حصبت الرجل احصبه بالكسر اى رميته بالحصباء والقصف الكسر يقال قصفت الريح السفينة وريح قاصف اى شديد ورعد قاصف شديد الصوت ﴿ قوله مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ﴾ يعنى ان التبيع من يلازم الغير لمطالبته بالحق اى لاتجدوا لكم من يتبعنا بانكار مانزل بكم وانتقامه منا بسببه ولا من يتبعنا بصرفه عنكم ومنعه اياناعن انزاله بكم ﴿ قوله بحسن الصورة ﴾ فان صورة الانسان احسن من صور جميع الحيوانات قال تعالى فاحسن صوركم والله تعالى لما ذكر خلق الانسان قال فتبارك الله احسن الخالقين وقال ولقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم والمزاج الاعدل يدل على انه تعالى جعل ارزاقهم اطيب الارزاق وجعل لغيرهم ماخبث منها ومافضل منهم واعتدال القامة اى بالنسبة الى سائر الحيوانات فان فى الاشجار مايماثله من جهة القامة والتمييز بالعقل فان الانسان يشارك سائر الحيوانات فيما لها من القوى فان النفس النباتية لها قوى ثلاث قوّة الاغتذآء والنماء وتوليد المثل والنفس الحيوانية لها قوّتان زيادة على هذه الثلاث وهما القوّة الحساسة سوآء كانت ظاهرة اوباطنة والقوّة المحركة بالاختيار فهذه القوى الخمس اعنى قوى الاغتذآء والنماء والتوليد والحس والحركة الاختيارية حاصلة للنفس الانسانية ثم ان النفس الانسانية مختصة بقوّة اخرى وهى القوّة العاقلة المدركة لحقائق الاشياء كما هى وهى التى يتجلى بها نور معرفة الله تعالى وضوء كبريائه فهذه القوّة لانسبة لها فى الشرف والفضل الى القوى النباتية والحيوانية والافهام بالنطق فان ماسوى الانسان من الحيوانات عاجز عن تفهيم ماحصل فى باطنه من لذة اوالم تفهيما تاما وافيا بخلاف الانسان فانه يمكنه تفهيمه وتعريف غيره كل ماعرفه ووقف عليه واحاط به فكونه قادرا على هذا التعريف هو المراد بكونه ناطقا سوآء كان ذلك التعريف باستعمال آلة اللسان اوبغيره كما فى الانسان الاخرس فانه يمكنه ذلك بطريق الاشارة اوبطريق الكتابة ومن كرامات الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى مايعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ماذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده ﴿ وحملناهم فى البرّ والبحر ﴾ على الدواب والسفن من جملته حملا اذا جعلت له ماير كبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم

الانسان ان آتاه الخط وذلك لان ما استنبطه كل انسان من العلوم قليل فاذا اودع الانسان ما علمه فى الكتاب وجاء انسان آخر واستفاد بذلك الكتاب وضم اليه من عند نفسه اشياء اخر ثم جاء ثالث وفعل كذلك ثم لا يزالون يتعاقبون ويضم كل متأخر مباحث كثيرة الى علم المتقدمين كثرت العلوم والفضائل وانتهت المباحث العقلية والمطالب الشرعية الى اقصى الغايات واكمل النهايات ومعلوم ان هذه النعمة المستفادة لا تتأتى الا بواسطة الخط والكتب ولهذه الفضيلة الثابتة فى الكتب قال تعالى اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم والتسلط على ما فى الارض فان الارض بالنسبة الينا كالام الحاضنة تكفلنا احياء واموانا وينتفع بالماء العذب بالشرب وسقى الاشجار والبساتين وبالبحر ايضا كما قال وسخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه وبالهواء لانه مادة حياتنا ولولا هبوب الرياح لاستولى الطين على هذه العمارة وبالنار اذ بها طبخ الاغذية والاشربة والاستضاءة بضوئها فى الليالى المظلمة وهى الدافعة لضرر البرد وهذا وجه انتفاعه بالبسائط الارضية واما المركبات من المعادن والحيوان والنبات فالانسان هو المستولى عليها والمنتفع بها وبالجملة جميع منافع هذا العالم مصروفة الى الانسان والانسان فيه كالرئيس المخدوم والملك المطاع وسائر الحيوان بالنسبة اليه كالعبد وكل ذلك يدل على انه تعالى خصه من عنده بمزيد التكريم والتفضيل والتكريم جعل الشئ مكرما باعطائه مايكون مكرما بسببه ولا يعتبر فى مفهومه الاضافة الى الغير بخلاف التفضيل

﴿قوله﴾ بالغلبة والاستيلاء ﴿﴾ فاللازم ان لا يكون الانسان مفضلا على الجن والملك ونحوهما وان اريد بتفضيلهم على الكثير التفضيل بالشرف والكرامة يكون المراد بالقليل الذى لا يكون الانسان مفضلا عليه بالشرف الملائكة بل يكون الملك افضل من الانسان وهذا القول مذهب ابن عباس واختاره الزجاج على ما رواه الواحدى فى البسيط ﴿قوله﴾ والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ﴿﴾ يعنى ان المخرج بقوله تعالى على كثير ممن خلقنا وهو القليل الذى لا يكون الانسان مفضلا عليه اختلف فى تعيينه فقيل انه جنس الملائكة وقيل انه خواصهم كجبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم الصلاة والسلام قال الامام محيى السنة وفى تفضيل الملائكة على البشر اختلاف قال قوم فضلوا على جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم وقد يوضع الاكثر موضع الكل كما قال الله تعالى هل أنبئكم على من تنزل الشياطين الى قوله واكثرهم كاذبون اى كلهم وفى حديث عن جابر مرفوعا قال لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بنى آدم دنيا يأكلون ويشربون وينكحون ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطنا ذلك فى الآخرة فقال وعزتى لا اجعل ذرية من خلقته بيدى كمن قلت له كن فكان وقال ابو هريرة المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده كذا اورده الواحدى فى البسيط وقال قوم الملك افضل من البشر على الاطلاق تمسكا بهذه الآية * قال الامام الرازى وهو فى الحقيقة تمسك بدليل الخطاب وذهب الحنفية الى ان خواص بنى آدم وهم المرسلون افضل من جملة الملائكة وخواص الملائكة افضل من عوام بنى آدم والاتقياء والزهاد افضل من عوام الملائكة لان تقرير الدليل ان يقال تخصيص الكثير بالذكر يدل على ان الحال فى القليل بالضد وذلك تمسك بدليل الخطاب وقال الكلبى فضل بنو آدم على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة وهو قول المصنف او الخواص منهم وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واشباههم قال الامام محيى السنة والاولى ان يقال عوام المؤمنين افضل من عوام الملائكة وخواص المؤمنين افضل من خواص الملائكة قال الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وروى عن ابى هريرة انه قال المؤمن اكرم على الله من الملائكة * وقال الامام ابو منصور الماتريدى اما الكلام فى تفضيل البشر على الملائكة والملائكة على البشر فانا لا نتكلم فيه بما لم نعلم وليس لنا الى معرفته حاجة فالامر فيه الى الله تعالى ﴿قوله﴾ ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس ﴿﴾ اى جنس بنى آدم يعنى ان سلمنا ان قوله تعالى وفضلناهم على كثير يدل على ان جنس بنى آدم ليسوا مفضلين على جنس الملائكة او على الخواص منهم بناء على ان الكثير لم يعبر به عن الكل فان المراد بالتفضيل الشرف والكرامة لكن اللازم منه وهو ان لا يكون جميع افراد بنى آدم مفضلا على ما ذكر لا ينافى ان يكون بعض الافراد مفضلا عليه وذلك لان الاضافة الى بنى آدم ليست للعهد الخارجى ولا الذهنى لان الكلام ليس فى تكريم بعض الافراد وتفضيله ولا لتعريف نفس الحقيقة بقرينة ذكر بنى آدم فى مقابلة كثير من الخلق وذكر الحقيقة فى مقابلة الفرد غير معقول فتعين ان تكون اضافة بنى آدم للاستغراق فظهر بذلك وجه قوله ولا يلزم من عدم

(وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف

تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده ثم ذكر انه تعالى لما ذكر ان الشيطان ليس له سلطان على المخلصين من عباد الله تعالى وانه كان فى عصمة من يتوكل عليه واتبعه بذكر مايدل على كمال قدرته من اجرآء السفن لهم فى البحر ابتغاء منافع الدنيا وان تكريمه لبنى آدم ليس من جهة تسخير الفلك لهم فقط بل انه تعالى كرّمهم من وجوه شتى من جملتها انه حملهم فى البرّ والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير من المخلوقات حرّضهم على الاجتهاد فى اكتساب الخيرات المؤدّية الى سعادة الآخرة فقال يوم ندعو كل اناس بامامهم الآية قرأه الجمهور بنون العظمة وقرئ يدعو بياء الغيبة واسناد الفعل الى ضمير الجلالة او الملك وكل اناس على القرآءتين منصوب على انه مفعول به وقرئ يدعى مبنيا للمفعول وحينئذ كل مرفوع لقيامه مقام الفاعل وقرئ يدعو بضم الياء وفتح العين بعدها واو ساكنة نقل عن الفرآء انه قال اهل العربية لايعرفون وجها لهذه القرآءة ولعل القارئ قرأ يدعا بفتحة ممزوجة بالضمة فظن الراوى انه قرأ يدعو وذكر لها وجهين الاوّل ان الاصل يدعا على بناء المفعول الا ان القارئ قلب الالف واوا حال الوقف على لغة قوم يقولون هذه افعو وعصو وصلو فى الافعى والعصا والصلا ثم اجرى الوصل مجرى الوقف وكل مرفوع لقيامه مقام الفاعل والوجه الثانى ان الفعل مفرد والاصل يدعا ابدلت الواو من الالف لتدل على ان الفاعل جمع وليست ضمير جمع بل الفعل باق على افراده كما فى قولهم اكلونى البراغيث واعراب الفعل بالحركة التقديرية ومعنى كون الواو علامة الجمع انها حرف جيئ به ليدل على ان الفاعل جمع كما يؤتى بالتاء لتدل على ان الفاعل مؤنث فعلى هذا كل مرفوع على انه قائم مقام الفاعل ﴿قوله﴾ او ضميره ﴿ونون الرفع محذوفة لقلة المبالاة بها فان علامة الرفع قد تكون مقدّرة كما فى نحو يرمى ويغزو ويدعا فان رفعها بالحركة التقديرية فعلى هذا الوجه يكون كل مرفوعا على انه بدل من الواو التى هى ضمير الجمع وجعل الواو ضميرا اولى من جعلها علامة الجمع لان جعلها علامة يستلزم ارتكاب حذف الفاعل من غير سبب وذلك غير معهود فى قواعد العربية والباء فى قوله تعالى بامامهم متعلقة بقوله ندعو اى ندعوهم باسم امامهم الذى يأتمون به ويقتدون فيقال ياامة فلان ويا اهل القرآن مثلا ويجوز ان يكون بامامهم فى موضع الحال والباء متعلقة بمحذوف اى ندعوهم ملتبسين بكتابهم والامام من يؤتم به ويقتدى والمراد به نبيهم وقيل كتابهم السماوى الذى انزل عليهم فان كل امّة تقتدى بكتابها كما تقتدى بنبيها وقيل رئيسهم الذى كان يدعوهم فى الدنيا الى هدى او الى ضلالة فيقال ياصحاب عالم كذا وفاضل كذا ويا اتباع نمرود ويا اتباع فرعون من رؤساء كل قوم فى الدين محقين كانوا او مبطلين وقيل كتاب اعمالهم فيقال ياصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشرّ فيقام الامتياز بحسب الاعمال مقام الامتياز بالانساب وقيل القوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم كالقوّة النظرية والعملية والقوّة الغضبية والشهوية سوآء كانت شهوة النقود او شهوة الضياع او شهوة الجاه والرياسة والقوّة العقلية الداعية الى العفة والشجاعة والكرم والصبر والقناعة ونحو ذلك من الاخلاق الذميمة والحميدة ومايدعو اليها من القوى النفسانية فان كل ذلك بمنزلة الامام وقيل امامهم امّهاتهم والمعنى ان كل اناس يدعى يوم القيامة باسماء امّهاتهم دون اسماء آبائهم والحكمة فى ذلك ثلاثة امور منها اجلال عيسى عليه الصلاة والسلام اذلم يكن له اب يدعى باسمه فلاجرم يدعى باسم امّه فدعى سائر الناس باسماء امّهاتهم اتباعا له عليه الصلاة والسلام واجلالا له وتعظيما ﴿قوله ولا ينقصون من اجورهم ادنى شئ﴾ يعنى ان المراد من المظلومية المنفية نقص مايستحقونه من الثواب الموعود بازآء عملهم وان الفتيل مستعار للشئ التافه الحقير وهو فى الاصل اسم للقشرة الرقيقة التى تكون على ظهر النواة وسميت فتيلا لانه اذا اراد الانسان استخراجها انفتلت وقيل الفتيل هو الوسخ الذى يفتله الانسان بين سبابته وابهامه وهو فعيل بمعنى مفعول ﴿قوله وجمع اسم الاشارة والضمير﴾ جواب عما يقال اسم الاشارة وضمير يقرأون كتابهم عبارة عما يعبر عنه بضمير قوله كتابه بيمينه فلم افرد الاوّل وجمع الثانى وتقرير الجواب انه حمل اوّلا على لفظ من اوتى فافرد الضمير الراجع اليه وحمل ثانيا على معناه فجمع ماهو عبارة عنه ﴿قوله وتعليق القرآءة بايتاء الكتاب باليمين﴾ مع ان من اوتى كتابه بشماله يقرأ كتابه ايضا مبنى على ان اصحاب الشمال تثقل ألسنتهم فيعجزون عن القرآءة الكاملة المبينة بسبب ماغشيهم من الخجلة والحيرة حين معاينتهم مافى كتابهم من القبائح بخلاف اصحاب اليمين فان حالهم على عكس ذلك فلاجرم انهم يقرأون كتابهم على احسن الوجوه وابينها ثم انهم لايكتفون بقرآءتهم بانفسهم بل يقولون لاهل المحشر هاؤم اقرأوا كتابيه يدل على حال مقابليهم انهم

﴿يوم ندعو﴾ نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا فى لغة من يقول افعو او على ان الواو علامة الجمع كما فى قوله واسرّوا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الاعلامة الرفع وهو قد يقدّر كما فى يدعى ﴿كل اناس بامامهم﴾ بمن ائتموا به من نبىّ او مقدّم فى الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التى قدّموها فيقال ياصاحب كتاب كذا اى تتقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامّهاتهم جمع امّ كخف وخفاف والحكمة فى ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضى الله عنهما وان لايفتضح اولاد الزنى ﴿فمن اوتى﴾ من المدعوّين ﴿كتابه بيمينه﴾ اى كتاب عمله ﴿فاولئك يقرأون كتابهم﴾ ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ﴿ولا يظلمون فتيلا﴾ ولا ينقصون من اجورهم ادنى شئ وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتى فى معنى الجمع وتعليق القرآءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتى كتابه بشماله اذا اطلع على مافيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس ألسنتهم عن القرآءة ولذلك لم يذكرهم

لايقدرون على قرآءة كتابهم على طريق الابتهاج والتبجح فاستغنى عن ذكر حال مقابليهم ﴿قوله اعمى القلب﴾ اى ليس المراد بالعمى فى قوله ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى عمى البصر بل المراد منه عمى القلب ولا يمكن حمل العمى فى قوله فهو فى الآخرة اعمى على عمى البصر لانهم يعرفون الله تعالى بالضرورة وكان المراد منه العمى عن طريق الجنة والنجاة من النار لما روى انه لما نزلت هذه الآية جاء ابن ام مكتوم وكان ضريرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انا فى الدنيا اعمى أفاكون فى الآخرة اعمى فانزل الله تعالى انها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقيل المراد بالعمى الثانى عمى البصر لقوله تعالى ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وهذا المعنى من جملة عقوبتهم ﴿قوله لزوال الاستعداد﴾ يعنى انه وان كان فى الدنيا ضالا عن الصراط المستقيم الا ان ضلاله فى الآخرة اشدّ واقوى بالنسبة الى ضلاله الكائن فى الدنيا لانه يمكنه الاهتداء فى الدنيا بالتوبة عما هو فيه وبالخروج عن جهله وعماهو فيه بالتفكر فى الادلة وتحصيل ماكلف به من الايمان بالغيب والاعمال الصالحة بخلاف ضلاله فى الآخرة فانه لايمكنه الخروج عنه لزوال الاستعداد للاهتداء الى الحق الذى كلف به ولزوال الآلة والمهلة ﴿قوله وقيل الثانى للتفضيل﴾ يعنى قيل ان لفظ اعمى فى قوله تعالى فهو فى الآخرة اعمى ليس افعل التى للصفة بل هى صيغة التفضيل بمعنى اشدّ عمى ولذلك عطف عليه قوله تعالى واضل سبيلا واختلف فى تقرير المعنى حينئذ فقيل هذه اشارة الى النعم المذكورة فى الآيات المتقدّمة من قوله تعالى الذى يزجى لكم الفلك الى قوله تفضيلا فالمعنى من كان فى هذه النعم التى رآها وعاينها اعمى ولم يعلم كونها نعمة آلهية وصلت اليه بقدرة الله تعالى ورحمته فهو فى الآخرة التى لم يرها ولم يعاينها اشدّ عمى عن معرفة كون النعم المشاهدة بين السماء والارض والبحار والجبال والناس والدواب اثر قدرة الله تعالى والاستدلال بها عليه فهو فى الآخرة اى فى امرها اشدّ عمى واضل سبيلا وابعد عن تحصيل العلم به وعلى القولين يكون العمى عن الامرين حاصلا فى الدنيا والعمى المفضل هو عمى القلب عن معرفة احوال الآخرة والمفضل عليه هو عمى القلب عن معرفة كون العالم ومافيه من النعم من آثار قدرة الفاعل المختار الخلاق لمايشاء الفعال لمايريد وقيل هذه اشارة الى الدنيا ايضا والمعنى من كان فى الدنيا ضالا كافرا فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا لانه فى الدنيا تقبل توبته وفى الآخرة لاتقبل توبته وفى الدنيا يهتدى الى التخلص عما يهلكه من المهلكات بازالة عماه وجهله بالتفكر فى الدلائل المنصوبة وفى الآخرة لايهتدى الى ذلك البتة واضل سبيلا لان ضلاله فى الآخرة لاسبيل له الى الخروج منه بخلاف ضلاله فى الدنيا ﴿قوله ولذلك لم يمله﴾ اى ولكون الثانى للتفضيل قرأ ابوعمرو ويعقوب وابو بكر عن عاصم من كان فى هذه اعمى بالامالة والكسر فهو فى الآخرة اعمى بالفتح والتفخيم وقرأ حمزة والكسائى وابوبكر فى رواية بالامالة فيهما لكون الكلمة من ذوات الياء والباقون وهم ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالفتح والتفخيم فيهما لانه الاصل وابوعمرو فرّق بينهما فاماله الاوّل لانه ليس افعل تفضيل فألفه متطرّفة لفظا وتقديرا والاطراف محل التغيير غالبا فاميل اعتبارا لكون الكلمة من ذوات الياء وايضا آخر الكلمة موضع الوقف والالف تخفى فى الوقف فاذا اميلت جيئ بها نحو الياء فتظهر بخلاف ماذا كانت فى وسط الكلمة كألف اعمالكم فانه ليس محل الوقف فابقيت الالف فيه على اصل حالها واما الثانى فانه للتفضيل فألفه فى حكم المتوسط لان تمام افعل التفضيل بمن الداخلة على المفضول فهى فى حكم الملفوظ بها لكونها شديدة الاتصال بماقبلها فلما لم تكن الالف واقعة فى الطرف كانت مصونة عن التغيير فبقيت على حالها وردّ هذا الوجه بانهم امالوا قوله ولادنى من ذلك مع التصريح بمن فلأن يميلوا اعمى مقدّرا معه من اولى واحرى ﴿قوله لانعشر ولانحشر ولانحنى فى صلاتنا﴾ اى اشترطوا ان لايؤخذ عشر اموالهم وقيل ارادوا بالعشر الصدقة الواجبة ويجوز ان يسمى آخذ مايجب على المسلمين من ربع العشر عاشرا لاضافة مايؤخذ منهم الى العشر ونصف العشر وقد يؤخذ العشر تمامه وهو زكاة ماسقته السماء واشترطوا ايضا ان لايحشروا اى ان لايبعثوا الى الغزو وقتال الكفار والحنية ان يقوم الانسان قيام الراكع وفى حديث ابن مسعود فى ذكر القيامة حين ينفخ فى الصور فيقومون فيحنون حنية رجل واحد قياما لرب العالمين قال ابوعبيدة الحنية تكون فى حالين احدهما ان يضع يديه على ركبتيه وهو قائم والوجه الآخر ان ينكب على وجهه باركا وهو السجود وقولهم ولانحنى يريدون به ولانصلى تسمية للصلاة باسم جزئها والحاصل انهم اشترطوا ان لايكون عليهم

مع ان قوله ﴿ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى﴾ ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لايقرأ الكتاب والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا اعمى القلب لايبصر رشده كان فى الآخرة اعمى لايرى طريق النجاة ﴿واضل سبيلا﴾ منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقد ان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لاينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثانى للتفضيل من عمى بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابوعمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم المتوسطة فى اعمالكم بخلاف النعت فان ألفه واقعة فى الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية وقد اماله حمزة والكسائى وابوبكر وقرأ ورش بين بين فيهما ﴿وان كادوا ليفتنونك﴾ نزلت فى ثقيف قالوا لاندخل فى امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لانعشر ولانحشر ولانحنى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرّم وادينا كما حرّمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرنى وقيل فى قريش قالوا لانمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هى المخففة واللام هى الفارقة

والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك فى الفتنة بالاستنزال ﴿عن الذى اوحينا اليك﴾ من الاحكام ﴿لتفترى علينا غيره﴾ غيرما اوحينا اليك ﴿واذا لاتخذوك خليلا﴾ ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتنانك وليا لهم بريئا من ولايتى ﴿ولولا ان ثبتناك﴾ ولو تثبيتنا اياك ﴿لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا﴾ لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوّة خدعهم وشدّة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا عن ان تركن اليهم وهو صريح فى انه عليه السلام ماهمّ باجابتهم مع قوّة الداعى اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه ﴿اذا لأذقناك﴾ اى لوقاربت لأذقناك ﴿ضعف الحياة وضعف الممات﴾ اى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف مايعذب به فى الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ﴿ثم لاتجد لك علينا نصيرا﴾ يدفع العذاب عنك ﴿وان كادوا﴾ وان كاد اهل مكة ﴿ليستفزونك﴾ ليزعجونك بمعاداتهم ﴿من الارض﴾ ارض مكة ﴿ليخرجوك منها واذا لايلبثون خلفك﴾ ولو خرجت لايبقون بعد خروجك ﴿الا قليلا﴾ الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت فى اليهود حسدوا مقام النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك فى قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو اقريظة واجلى بنو النضير بقليل وقرئ لايلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لاعلى خبر كاد فان اذا لاتعمل اذا كان معتمدا مابعدها على ماقبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال الشاعر

عفت الديار خلافهم فكانما *
بسط الشواطب بينهن حصيرا *

﴿سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا﴾ نصب على المصدر اى سنّ الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امّة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه ﴿ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾ اى تغييرا ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ (ومن)

زكاة وجهاد وصلاة وان كل ربا يستحقونه على غيرهم فهو لهم وكل ربا يستحقه غيرهم عليهم فهو موضع عنهم وان تترك لهم الاصنام حولا بشرط ان لايكسروها بايديهم عند رأس الحول وان يقدروا على منع من قصد واديهم المسمى بوج ليعضد شجره ويقلع حشيشه كما حرّم حرم مكة شرّفها الله ﴿قوله﴾ ولو اتبعت مرادهم ﴿اشارة الى ان اذا حرف جواب وجزآء فاقام اداة الشرط مقامها دليلا على تضمينها معنى المجازاة وقوله لاتخذوك جواب قسم محذوف تقديره اذن والله لاتخذوك وليس مراد المصنف ان كلمة لو مقدّرة فى النظم واذا لاتخذوك جواب لها اذ لا حاجة الى تقديرها وانما المراد تفسير المعنى وهو لايوجبه الاعراب واصل الفتنة الاختبار يقال فتن الصائغ الذهب اذا ادخله النار وأذابه ليميز جيده من رديئه ثم استعمل فى كل من ازال الشئ عن حدّه وجهته ويقال فتنه اى خدعه وصرفه عما هو عليه فقوله وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك اى يزيلونك ويصرفونك عن الذى اوحينا اليك وهو القرآن اى عن حكمه وذلك لان فى اعطائهم ماارادوا مخالفة لحكم القرآن واللام لام العاقبة فى لتفترى علينا غيره اى بان يقول الله امرنى بذلك ﴿قوله﴾ عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ﴿اضمر العذاب وجعل الحياة والممات عبارتين عن الدنيا والآخرة لان العذاب يوصف بالضعف كما فى قوله تعالى فآتهم عذابا ضعفا من النار اى عذابا مضاعفا وقوله من قدّم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار قال لكل ضعف اى عذاب مضاعف وحاصل المعنى انك لو مكنت خواطر الشيطان من قلبك وعقدت على الركون اليه همك لاستحقيت تضعيف العذاب عليك فى الدنيا والآخرة ولصار عذابك مثلى عذاب المشركين فى الدنيا ومثلى عذابهم فى الآخرة والسبب فى تضعيف هذا العذاب ان اقسام نعم الله تعالى فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام اكثر فكانت ذنوبهم اعظم فلذلك كانت العقوبة المستحقة عليهم اكثر ونظيره قوله تعالى يا نساء النبىّ من يأت منكنّ بفاحشة مبينة يضعف لها العذاب ضعفين وقوله فى حق الاماء فعليهنّ نصف ما على المحصنات من العذاب لان الرق منصف للنقمة ﴿قوله﴾ وان كاد اهل مكة ﴿اى وان الشان قرب اهل مكة ليزعجونك من ارض مكة على ان مخففة واللام فارقة والاستفزاز هو الازعاج بسرعة جعل اسم كاد مشركى مكة وجعل الارض على ارض مكة على ماقاله مجاهد وقتادة لان الآية مكية وماقبلها اخبار عن احوال اهل مكة يعنى همّ المشركون ان يخرجوه من مكة فكفهم الله تعالى عنه وامره عليه الصلاة والسلام بالهجرة فخرج بنفسه * فان قيل قال الله تعالى وكأين من قرية هى اشدّ قوّة من قريتك التى اخرجتك يعنى اهلها وهو صريح فى انهم اخرجوه وذكرهنا وان كادوا ليستفزونك من الارض فكيف الجمع بينهما على قول من قال المراد بالارض ههنا ارض مكة * اجيب بان قوله اخرجتك من قبيل اسناد الحكم الى سببه فانهم هموا باخراجه عليه الصلاة والسلام منها الا انه عليه الصلاة والسلام ماخرج باخراجهم وانما خرج بامر الله تعالى فزال التناقض ﴿قوله﴾ لايلبثوا ﴿بحذف النون قرأ الجمهور لايلبثون برفع الفعل واثبات النون بعد اذا ولم يعملوا اذا لكونها متوسطة بين المعطوف والمعطوف عليه فان لايلبثون معطوف على قول يستفزونك وهو مرفوع لخلوّه عن الجازم والناصب على انه خبر كاد والمعطوف على خبر كاد واقع موقع خبر كاد فيكون واقعا موقع الاسم فلا تعمل اذا فيه لاعتمادها بعدها على ماقبلها فيصير اذا لغوا واذا قرئ لايلبثوا بغير النون لايكون معطوفا على خبر كاد فيلزم الغاء اذن بل تكون جملة قوله اذا لايلبثوا معطوفة على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك ﴿قوله﴾ عفت الديار خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا ﴿عفت اى اندرست وخلافهم اى بعدهم والشواطب النساء اللاتى تشقق الجريد ليعمل منه الحصير والشطبة السعفة الخضراء الرطبة والجمع الشطب يقال شطبت المرأة الجريد شطبا اذا شققته لتعمل منه الحصير يصف دروس ديار الاحباب بعدهم بانها غير مسكونة حيث شبه مابقى بعد ترحل الاهل من الديار بالشطب التى تفشر حال نسج الحصير فقال فكأنما بسط الشواطب بين تلك الديار ماينسج منه الحصير لنسجه لانهنّ بسطن نفس الحصير للجلوس عليه فانه لايناسب الاسناد الى الشواطب ثم انه تعالى لما قال له عليه الصلاة والسلام يوم ندعو كل اناس بامامهم الآية امره بالمواظبة على اشرف الطاعات بعد الايمان فقال اقم الصلاة الآية ويجوز ان يرتبط بقوله وان كادوا ليستفزونك من الارض الآية فكأنه قيل لاتبال بسعيهم فى اخراجك من بلدك ولاتنبعث اليهم واشتغل بعبادة الله تعالى والمداومة على ادآء الصلاة فانه تعالى يدفع مكرهم وشرّهم عنك ويجعل يدك فوق ايديهم ودينك غالبا على اديانهم ونظيره قوله تعالى فى سورة طه فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها

زوالها ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام اتانى جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بى الظهر وقيل لغروبها

ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقوله فى سورة الحجر فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اختلف اهل اللغة والمفسرون فى معنى دلوك الشمس على قولين احدهما ان دلوكها غروبها روى عن علىّ رضى الله عنه انه قال دلوك الشمس غروبها وروى هذا القول عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم والقول الثانى ان دلوك الشمس هو زوالها عن كبد السماء وهو اختيار اكثر الصحابة والتابعين ويدل على صحة هذا القول وجوه الاوّل ماروى عن جابر انه قال طعم عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس فقال عليه الصلاة والسلام *هذا حين دلكت الشمس* والثانى ماروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال اتانى جبريل عليه الصلاة والسلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بى الظهر * والثالث قول اهل اللغة معنى الدلوك فى كلام العرب الزوال ولذا قيل للشمس اذا زالت نصف النهار دالكة وقيل لها ايضا اذا افلت دالكة لانها فى الحالتين زائلة هكذا قاله الازهرى وقال القفال اصل الدلوك الميل يقال مالت الشمس للزوال ويقال مالت للغروب قال الازهرى الاولى حمل الدلوك على الزوال فى نصف النهار والمعنى أقم الصلاة اى ادّها من وقت زوال الشمس الى غسق الليل وعلى هذا التقرير يدخل فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم قال وقرءآن الفجر فاذا حملنا الدلوك على الزوال دخلت الصلوات الخمس فى هذه الآية فان حملناه على الغروب لم يدخل فيه الا ثلاث صلوات وهى المغرب والعشاء والصبح وحمل كلام الله تعالى على مايكون اكثر فائدة اولى فوجب ان يكون المراد من الدلوك الزوال ﴿قوله﴾ وكذا كل ماتركب من الدال واللام ﴿﴾ فان جميع ذلك يتضمن معنى الانتقال كدلح اى مشى بحمله غير منبسط الخطو لثقله عليه ودلج يدلج دلوجا من باب دخل يدخل دخولا وهو بالجيم المعجمة والاوّل بالحاء المهملة ومعناه اخذ الدلو ومشى بها من رأس البئر الى الحوض حتى يفرغها فيه وذلك الموضع مدلج ومدلجة والدلج بفتح اللام اسم للسير من اوّل الليل ودلع الرجل لسانه فدلع اى خرج يتعدّى ولا يتعدّى ودلف الشيخ اذا مشى وقارب الخطو والدله التحير وذهاب العقل من الهوى يقال دلهه الحب اى حيره وادهشه ودله هو بنفسه يدله اى تحير والمصنف فسر دلوك الشمس بزوالها ثم نقل انه يفسر بغروبها ثم اشار الى وجه كل واحد من التفسيرين فقال واصل التركيب الانتقال يعنى ان الدلوك فى اصل اللغة ينبئ عن التغيير والانتقال من حال الى حال وهو حاصل فى كل واحد من الغروب والزوال فكان كل واحد منهما من انواع الدلوك فصح اطلاقه على كل واحد منهما اطلاق الكلى على كل واحد من افراده وجزئياته ثم نقل مايرجح ان يكون المراد به الزوال وهو كون الدلوك مشتقا من الدلك والدلوك بهذا المعنى صفة الناظر الى الشمس واضيف الى الشمس لكونها حاملة للناظر اليها على ان يدلك عينه ليدفع تأثيرها من شعاع الشمس وذلك التأثير انما يحصل فيها عند النظر الى الشمس وقت دنوّها من الزوال فظهر ان مراد من يقول الدلوك من الدلك بيان ان الدلوك بمعنى الزوال ﴿قوله﴾ وصلاة الصبح ﴿﴾ على معنى واقم صلاة الصبح لان قوله وقرءآن الفجر معطوف على قوله الصلاة فيكون المعنى واقم قرءآن الفجر اى صلاتها تسمية لها باسم بعض اركانها ﴿قوله﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ﴿﴾ يعنى ان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فى صلاة الصبح خلف الامام تنزل عليهم ملائكة النهار وهم فى صلاة الغداة قبل ان تعرج ملائكة الليل لقيام شئ من ظلمة الليل بعد فاذا فرغ الامام من صلاته عرجت ملائكة الليل ومكثت ملائكة النهار ثم ان ملائكة الليل اذا صعدت قالت يارب اتاركنا عبادك يصلون لك وتقول ملائكة النهار ربنا أتيناعبادك وهم يصلون فيقول الله تعالى لملائكته اشهدوا انى قدغفرت لهم ﴿قوله﴾ اوشواهد القدرة ﴿﴾ عطف على قوله ملائكة الليل والمعنى ان قرءآن الفجر تشهده دلائل القدرة الباهرة فان الانسان اذا شرع فى ادآء صلاة الصبح فى اوّل وقتها الذى هو وقت بقاء الظلمة يستمرّ الى الضياء وهو فى اثناء الصلاة بعد والظلمة مناسبة للموت والعدم والضوء مناسب للحياة والوجود فالمصلى يشاهد فى اثناء صلاته انقلاب كلية هذا العالم من الظلمة الى الضياء فكأنما تحوّلت من العدم الى الوجود ويشهد عقله السليم بان هذا التقليب والتحويل لايقدر عليه الا الحق سبحانه ويستنير باطنه بنور هذه المعرفة وقوّة اليقين ﴿قوله﴾ اوكثير من المصلين ﴿﴾ اى يشهده كثير من المصلين فى العادة وقوله اومن حقه ان يشهده الجم الغفير فعلى هذا يكون المقصود الترغيب فى ان تؤدّى هذه الصلاة بالجماعة ووجه الفرق بينها وبين سائر الصلوات ان تأثير هذه الصلاة فى تصفيته وتنويره اكثر من تأثير سائر الصلوات فاذا حضر جمع من المسلمين لادآء هذه الصلاة استنار قلب كل واحد منهم بسبب ذلك الاجتماع لانه ينعكس نور معرفة الله تعالى ونور طاعته فى ذلك الوقت من قلب كل واحد الى قلب

واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لاتستقرّ يده وكذا كل ماتركب من الدال واللام كدلح ودلج ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها لثلاث خلون ﴿الى غسق الليل﴾ الى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الاخيرة ﴿وقرءآن الفجر﴾ وصلاة الصبح سميت قرءآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القرآءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوّز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقرآءة فى صلاة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفى غيرها قياسا ﴿ان قرءآن الفجر كان مشهودا﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار اوشواهد القدرة من تبدّل الظلمة بالضياء والنوم الذى هو اخ الموت بالانتباه اوكثير من المصلين اومن حقه ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلاة الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب

وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ﴿ ومن الليل فتهجد به ﴾ وبعض الليل فاترك التهجد للصلاة والضمير للقرآن ﴿ نافلة لك ﴾ فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك ﴿ عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال هو المقام الذى اشفع فيه لامتى ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وماذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اى فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام ﴿ وقل رب ادخلنى ﴾ اى فى القبر ﴿ مدخل صدق ﴾ ادخالا مرضيا ﴿ واخرجنى ﴾ اى منه عند البعث ﴿ مخرج صدق ﴾ اخراجا ملتبسا بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله فى كل مايليه من مكان اوامر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلنى فادخل دخولا واخرجنى فاخرج خروجا ﴿ واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ حجة تنصرنى على من خالفنى او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفهم فى الارض ﴿ وقل جاء الحق ﴾ الاسلام ﴿ وزهق الباطل ﴾ وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ﴿ ان الباطل كان زهوقا ﴾ مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلاثمائة وستون صنما فجعل ينكث بمخصرة فى عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال ياعلى ارم به فصعد فرمى به وكسره ﴿ وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ ماهو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافى للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انها للتبعيض والمعنى ان منه مايشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف

الآخر فتصير ارواحهم كالمرآتى المشرقة المتقابلة اذا وقعت عليها انوار الشمس فانه ينعكس النور من كل واحدة من تلك المرآتى الى الاخرى فكذا فى هذه الصورة ولهذا السبب كل من له ذوق سليم اذا ادّى هذه الصلاة بالجماعة وجد من قلبه فسحة ونورا ﴿ قوله ﴾ بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه ﴿ وذلك لان اللام فى قوله لدلوك الشمس للتعقيب وقوله الى غسق الليل متعلق باقم وكلمة الى لانتهاء غاية الاقامة وغسق الليل تراكم ظلمته واشتدادها والظلمة المتراكمة انما تحصل عند غيبوبة الشفق الابيض والحكم الممدود الى غاية يكون مشروعا قبل حصول تلك الغاية منتهيا عندها فيكون قوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيانا لمبدأ الوقت ومنتهاه ﴿ قوله ﴾ من الليل ﴿ متعلق بتهجد اى تهجد بالقرآن بعض الليل كما يشعر به قوله وبعض الليل فاترك التهجود والاظهر ان يكون متعلقا بمقدّر عطف عليه فتهجد لان الفاء لابدّ لها من معطوف عليه والتقدير وقم من الليل اى فى بعض الليل فتهجد بالقرآن فالمراد منه الصلاة المشتملة على القرآن عبر عنها باسم بعض اركانها والمعروف فى كلام العرب ان التهجود عبارة عن النوم بالليل يقال هجد فلان اذا نام بالليل ثم لما رأينا فى عرف الشرع انه يقال لمن انتبه بالليل من نومه وقام الى الصلاة انه متهجد وجب ان يقال سمى ذلك متهجدا من حيث انه ألقى الهجود عن نفسه كما قيل للعابد مخبت لالقائه الخبت وهو الاثم والخوف عن نفسه ونافلة مصدر على وزن العافية منصوب بفعله المقدّر اى تنفل نافلة لك والنافلة فى اللغة الزيادة على الاصل ومعناها فى هذه الآية ايضا الزيادة وفى تفسير كونها زيادة قولان مبنيان على ان صلاة الليل أكانت واجبة على النبى صلى الله عليه وسلم ام لا فمنهم من قال انها كانت واجبة عليه بقوله تعالى يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا ثم نسخت فصارت نافلة اى تطوّعا وزيادة على الفرآئض وقال آخرون ان صلاة الليل كانت واجبة عليه عليه الصلاة والسلام ومعنى كونها نافلة له على التخصيص انها فريضة زآئدة له عليه الصلاة والسلام على الصلوات الخمس واختار المصنف هذا القول لان فتهجد امر وصيغة الامر للوجوب فوجب ان يكون التهجد واجبا عليه ومن قال ان صلاة الليل ليست بواجبة عليه بل هى تطوّع فى حقه كما هى تطوّع فى حق امّته قال فى وجه قوله نافلة لك بلام الاختصاص انه تعالى غفر للنبى صلى الله عليه وسلم ماتقدّم من ذنبه وماتأخر فكل طاعة يأتى بها سوى المكتوبة فانه لايكون تأثيرها فى كفارة الذنوب البتة بل يكون تأثيرها فى زيادة الدرجات وكثرة الثواب فلما كانت لزيادة المثوبات سميت نافلة بمعنى زيادة المثوبات بخلاف الامّة فان لهم ذنوبا محتاجة الى الكفارات فهم يحتاجون الى النوافل لتكفير الذنوب والسيئات لالمحض زيادة المثوبات وللاشارة الى هذا المعنى جعلت تطوّعاته عليه الصلاة والسلام زوآئد ونوافل فى مثوبته بخلاف تطوّعات امّته ﴿ قوله ولاشعاره ﴾ عطف على قوله لما روى فهو وجه ثان لكون المراد بالمقام المحمود مقام الشفاعة وتقريره كون المقام من حيث هو مقام محمودا يشعر بالانعام عليه وذلك الانعام لايجوز ان يراد به تبليغ الدين والهداية الى الشرع القويم والصراط المستقيم لان ذلك الانعام كان حاصلا الآن وقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يشعر بكون المراد منه مقام الشفاعة واتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله تدخل فيما هو قطعى الوقوع لان لفظ عسى يفيد الاطماع ومن اطمع انسانا فى شئ ثم حرمه كان عارا عليه والله تعالى اكرم من ان يطمع احدا فى شئ ثم لايعطيه ﴿ قوله اى فى القبر ﴾ قدّم هذا الوجه واختاره لكونه مناسب المذكور عقيب قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا والعامة على ضم الميم فى قوله مدخل ومخرج لوقوعهما بعد فعل رباعى وجعلهما المصنف مصدرا ميميا وان جاز ان يكونا اسمى مكان وقرئ بفتح الميم فيهما على ان كل واحد منهما مصدر ميمى من الفعل الثلاثى منصوب بفعل مقدّر موافق لهما تقديره فادخل مدخل واخرج مخرج والاضافة فيهما للتعيين مدحا للمضاف كانه سأل الله تعالى ادخالا حسنا واخراجا حسنا لايرى فيه مايكرهه وان كان المعنى ادخلنى مكة ظاهرا عليها يكون المأمور به ان يسأل الله تعالى ان يفتح له مكة ويدخل فيها ادخالا مرضيا وان كان المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة تكون الآية مرتبطة بقوله وان كادوا ليستفزونك من الارض والمعنى ان كفار مكة لما ارادوا اخراجه عليه الصلاة والسلام من مكة امره الله تعالى بالهجرة الى المدينة وقال له قل رب ادخلنى مدخل صدق وهو ادخاله المدينة واخرجنى مخرج صدق وهو اخراجه من مكة او ادخاله الغار واخراجه منه ﴿ قوله ومن للبيان ﴾ فان قيل من البيانية لابدّ ان يتقدمها مايحتاج الى البيان لا ان تقدّم هى عليه وهاهنا قد تقدّمت عليه فكيف تكون بيانية * فالجواب ان المبين لايجب تقدّمه لفظا بل يكفى تقدّمه رتبة وهو حاصل هاهنا فان قوله من القرآن بيان لمفعول ننزل وهو قوله ماهو شفاء

وحال منه كما ان من الاوثان فى قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان حال من الرجس وبيان له وذو الحال متقدّم من حيث الرتبة على الحال وان كانت تبعيضية يكون من القرءآن مفعولا به وماهو شفاء بدلا منه شبه المؤمنون بالمرضى من حيث احتياجهم فى تقوية دينهم وعقائدهم واصلاح نفوسهم واخلاقهم الى مايعينهم ويصلح شأنهم فى البابين وشبه القرءآن بالدوآء الشافى من حيث كونه خالعا ومزيلا لضعف العقائد والاخلاق الذميمة ويصلح شأن المؤمن فى باب العقائد والاعمال والاخلاق فعبر عن المشبه باسم المشبه به فقيل ونزل من القرءآن ماهو شفاء ثم بين المراد بهذا اللفظ المستعار بقوله من القرءآن وان شئت قلت ذكر طرفى التشبيه البليغ وجعل كون القرءآن بمنزلة الشفاء بالنسبة الى المؤمنين تخييلا للاستعارة التى هى تشبيه المؤمنين بالمرضى *ثم انه تعالى لما وصف القرءآن بانه شفاء ورحمة للمؤمنين وانه لايزيد الظالمين الاخزيا وخسارا بين ان شأن نوع الانسان انه ان فاز بالنعمة والدولة اغترّ بها ونسى ذكر الله تعالى والاشتغال به ثم اتبع ذلك بقوله قل كل يعمل على شاكلته اى على حسب طريقته المشاكلة لما هو عليه من الهدى والضلال فالكافر يعمل مايشبه طريقته من الاعراض عن الذكر عند الانعام ومن اليأس من رحمة الله عند الشدّة والمؤمن يفعل مايشبه طريقته من الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء ويدل على هذا قوله تعالى فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اى المؤمن الذى لايعرض عند النعمة ولا ييأس عند المحنة ثم ذكر وجها آخر وهو ان يكون المراد بالشاكلة مايشاكل جوهر روحه والمعنى كل احد يفعل على وفق مايشاكل جوهر نفسه ومقتضى روحه فان كانت نفسه نفسا مشرقة طاهرة علوية صدرت عنه افعال فاضلة كريمة وان كانت نفسه نفسا كدرة خبيثة سفلية ظلمانية صدرت عنه افعال خسيسة *قال الامام اختلف العقلاء فى ان النفوس الناطقة البشرية هل هى مختلفة بالماهية اولا فمنهم من قال انها مختلفة بالماهية وان اختلاف افعالها واحوالها لاجل اختلاف جواهرها وماهياتها ومنهم من قال انها متساوية فى الماهية واختلاف افعالها لاجل اختلاف امزجة ابدانها ثم قال والمختار عندى هو القسم الاوّل والقرءآن مشعر بذلك فانه تعالى بين فى الآية المتقدّمة ان القرءآن بالنسبة الى البعض يفيد الشفاء والرحمة وبالنسبة الى البعض الآخر يفيد الخسار والخزى ثم اتبعه بقوله قل كل يعمل على شاكلته ومعناه ان اللائق بتلك النفوس الطاهرة ان يظهر فيها من القرءآن آثار السعادة والكمال وتلك النفوس الكدرة ان يظهر فيها من القرءآن آثار الخزى والضلال كما ان الشمس تعقد الملح وتلين الدهن وتبيض ثوب القصار وهذا الكلام انما يتم المقصود منه اذا كانت الارواح والنفوس مختلفة بماهياتها فبعضها مشرقة صافية يظهر فيها من القرءآن آثار السعادة والكمال وتلك النفوس نور على نور وبعضها كدرة ظلمانية فيظهر فيها من القرءآن ضلال ونكال على نكال انتهى كلامه والمصنف اشار الى القول الاوّل بقوله اوجوهر روحه والى الثانى بقوله واحواله التابعة لمزاج بدنه من غير تعرّض لترجيح احد القولين على الآخر ويحتمل ان يكون قوله هذا ترجيحا للقول الاوّل ويكون عطف قوله واحواله التابعة للاشارة الى ان اختلاف جوهر الروح بالماهية انما يقتضى اختلاف الافعال بواسطة اختلاف تدبيره فى مادّة بدنه **قوله** من الابداعيات اى من الامور المخترعة لاعلى مثال والسؤال عن الروح وان كان يقع على وجوه كثيرة احدها ان يقال اى شئ ماهية الروح وحقيقته اهو متحيز ام حال فى المتحيز ام موجود غير متحيز ولا حال فى المتحيز وثانيها ان يقال الروح هل هو قديم اوحادث وثالثها انه هل يبقى بعد موت الاجسام اويفنى ونحو ذلك من احوالها الا ان الظاهر انهم سألوه عليه الصلاة والسلام عن حقيقة الروح وانه عليه الصلاة والسلام اجابهم بان بين لهم ذات الروح ببعض عوارضه واحواله وهو قوله تعالى قل الروح من امر ربى يعنى انه موجود بامر الله تعالى وتكوينه وانه ليس من عالم الخلق حتى يمكن تعريفه لاهل الظاهر اذ من البين انه لايتجاوز ادراكهم عن عالم المحسوسات ومايدركونه من المعانى المعقولة ليس الا صورا منتزعة من الجزئيات المحسوسة على حسب الاستعدادات المختلفة بل هو من عالم الامر اى عالم الابداع الذى هو عالم الذوات المجرّدة عن الهيولى والجواهر المقدّسة عن الشكل واللون والجهة والاين فلا يمكنكم ادراكه ايها المحجوبون بالكون لقصور ادراككم عنه فالجواب المذكور اشارة الى ان الروح مما لايمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به ولذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه الصلاة والسلام فى جواب ومارب العالمين على ذكر بعض صفاته وان ارادوا بسؤالهم عن الروح انه هل هو قديم اوحادث يكون الجواب بانه من امر ربى بمعنى انه حادث بتكوينه وموجود بامره اى بقوله كن ولفظ الامر قد جاء بمعنى الفعل كما فى قوله تعالى وما امر فرعون

﴿ ولا يزيد الظالمين الا خسارا ﴾ لتكذيبهم وكفرهم به ﴿ واذا انعمنا على الانسان ﴾ بالصحة والسعة ﴿ اعرض ﴾ عن ذكر الله ﴿ ونأى بجانبه ﴾ لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبدّ بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفى فصلت وناء على القلب اوعلى انه بمعنى نهض ﴿ واذا مسه الشرّ ﴾ من مرض اوفقر ﴿ كان يؤوسا ﴾ شديد اليأس من روح الله ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ قل كل احد يعمل على طريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة اوجوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه ﴿ فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ﴾ اسدّ طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾ الذى يحيى به بدن الانسان ويدبره ﴿ قل الروح من امر ربى ﴾ من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادّة وتولد من اصل كاعضاء جسده اووجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه

وقيل مما استاثره الله بعلمه لما روى ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنها اوسكت فليس بنبىّ وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبىّ فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم فى التوراة وقيل الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرءآن ومن امر ربى معناه من وحيه ﴿وما اوتيتم من العلم الا قليلا﴾ تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لايدركه الحس ولاشياء من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لايمكن معرفة ذاته الابعوارض تميزه عما يلتبس به فلهذا اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى فى جواب ومارب العالمين بذكر بعض صفاته روى انه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ماتسعه الطاقة البشرية بل ماينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التى لانهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك﴾ اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزآء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرءآن ومحوناه من المصاحف والصدور

برشيد اى ومافعله برشيد وقوله فلما جاء امرنا اى فعلنا فقوله تعالى قل الروح من امر ربى اى من فعل ربى وانه حادث حصل بفعل الله وتكوينه وايجاده ﴿قوله﴾ وقيل مما استأثره الله بعلمه ﴿الظاهر ان يقال مما استأثر الله بعلمه بدون الضمير بمعنى استبدّ وتفرّد بعلمه واستعماله متعدّيا غير معهود فى اللغة ومعنى الجواب حينئذ قل معرفة الروح من شأن الله تعالى لامن شأن غيره على ان يقدّر المضاف بعد قوله قل ويكون الامر بمعنى الشأن وهذا التوجيه يطابقه قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولم يرض المصنف بهذا الوجه لان معرفة الروح ليست اعظم شأنا من معرفة الله تعالى واذا كانت معرفته تعالى ممكنة بل حاصلة فاىّ مانع يمنع من معرفة الروح مع ان مسألة الروح يعرفها اوساط العقلاء من الفلاسفة والمتكلمين فكيف يليق بالرسول الذى هو اعلم العلماء وافضل الفضلاء ان يقول انا لا اعرف هذه المسألة وانما علمها من امر ربى وشأنه فلذلك اختاران يكون السؤال عن حقيقة الروح اوعن قدمه وحدوثه وانه عليه الصلاة والسلام اجاب عن ذلك السؤال بان بين لهم ماسألوه فى قوله نزل به الروح الامين على قلبك وفى قوله فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا حيث سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم كيف جبريل فى نفسه وكيف قيامه فى تبليغ الوحى فقال قل الروح من امر ربى اى انه من عالم الامر اوموجود بامره وتكوينه اوينزل ويبلغ بامر ربه كما قال جبريل عليه الصلاة والسلام وما نتنزل الا بامر ربك ﴿قوله وقيل خلق﴾ اى قيل ان الروح المسئول عنه فى هذه الآية ملك من ملائكة السموات وهو اعظمهم قدرا وقوّة وهو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا روى عن علىّ رضى الله عنه انه قال انه ملك له سبعون الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها وما خلق الله تعالى خلقا اعظم من الروح غير العرش ولوشاء ان يبتلع السموات السبع والارضين السبع ومافيهنّ بلعة واحدة لفعل صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة الآدميين يقوم يوم القيامة عن يمين العرش وهو اقرب الخلق الى الله تعالى اليوم بعد الحجب السبعين ويقرب الى الله عزوجل يوم القيامة وهو يشفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق اهل السموات من نوره ﴿قوله وقيل القرءآن﴾ اى وقيل المراد بالروح المسئول عنه فى هذه الآية القرءآن لانه تعالى سمى القرءآن فى كثير من الآيات روحا منها قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقوله ينزل الملائكة بالروح من امره ولان القرءآن تحصل به حياة الارواح والعقول اذبه تحصل معرفة الله ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله واحوال الآخرة والارواح انما تحيى بهذه المعارف مع ان اللائق بهذا الموضع القرءآن لانه تقدّمه قوله تعالى وننزل من القرءآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين وجاء بعده ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك الى قوله على ان يأتوا بمثل هذا القرءآن لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا فلما كان ماقبل هذه الآية ومابعدها فى وصف القرءآن ناسب ان يكون المراد بالروح المذكور فى هذه الآية ايضا القرءآن ولما استعظم القوم امر القرءآن وسألوا انه هل هو من جنس الشعر والكهانة اجابهم الله تعالى بانه ليس من جنس كلام الشعر وانما هو كلام ظهر بامر الله تعالى ووحيه وتنزيله فقال قل الروح من امر ربى اى القرءآن انما ظهر بامر ربى ووحيه ﴿قوله ولعل اكثر الاشياء لايدركه الحس﴾ جواب عما يقال سلمنا ان علم الانسان مقتصر على مايستفيده بواسطة الحواس لكن كيف يلزم منه ان يكون معلومه شيأ قليلا بالنسبة الى معلومات الله تعالى ومعلومات النفوس المجرّدة عن الحجب الطبيعية والغواشى الجسمانية واشار بقوله من احساس الجزئيات اى بطريق الاحساس المستفاد من احساس الجزئيات المعرّفة لذاته الى ان الانسان يجوز له ان يعلم شيأ من الابداعيات على سبيل التشبيه والمقايسة بما شاهده فى عالم الشهادة كما يعلم الملائكة واحوال الآخرة بهذا الطريق ﴿قوله ومحوناه من المصاحف والصدور﴾ اشارة الى جواب من زعم ان هذه الآية تدل على ان القرءآن مخلوق لان القديم لايقبل الازالة والاذهاب لما تقرّر من ان ماثبت قدمه يمتنع عدمه * وتقرير الجواب ان المراد بهذا الاذهاب ازالة العلم به عن القلوب وازالة النقش الدال عليه من المصاحف وذلك لايوجب كون ذلك المعلوم المدلول بها عليه محدثا روى محيى السنة فى تفسيره عن عبدالله بن مسعود انه قال اقرأوا القرءآن قبل ان يرفع فانه لاتقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما فى صدور الناس قال يسرى عليهم ليلا فيرفع ما فى صدورهم فيصبحون لايحفظون شيأ ولايجدون فى المصاحف شيأ ثم يفيضون فى الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لاتقوم الساعة حتى يرجع القرءآن من حيث نزل له دوىّ حول العرش كدوىّ النحل فيقول الرب تعالى مالك فيقول يارب

اتلى ولا يعمل بى اتلى ولا يعمل بى ﴿ قوله بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به ﴾ يعنى انه على تقدير ان يكون الاستثناء منقطعا يكون استدراكا على قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا وعلى تقدير ان يكون متصلا يكون المستثنى منه قوله وكيلا بناء على ان الرحمة من جنس الوكيل مندرجة فيه كما قال ابو البقاء ﴿ قوله ولولا هى ﴾ اى اللام الموطئة فان القسم مقدر معها لجاز ان يكون قوله لا يأتون جواب الشرط غير مجزوم بناء على ان حرف الشرط اذا لم يعمل فيما هو اقرب منه فلأن لا يعمل فى الأبعد اولى كما فى البيت فانه رفع يقول فيه مع انه جواب الشرط لما ذكرنا ﴿ قوله ولعله لم يذكر الملائكة الخ ﴾ يعنى ان هذه الآية دلت على وقوع التحدى مع الجن والانس * فلما ظهر عجز كل واحد من الفريقين عن اتيان مثله ظهر ان القرآن ليس من نظم هذين الفريقين ولم يلزم منه كونه وحيا آلهيا لجواز كونه من نظم الملائكة وانما يظهر ذلك لو ذكر الملائكة ووقع التحدى مع جميع الفرق الثلاث فلم لم يذكر الملائكة * اجاب عنه اولا بان المقصود من تحقيق اعجاز القرآن دفع شبهة القوم باحتمال كونه كلام البشر او الجن ولم يذهب احد منهم الى احتمال كونه تأليف الملائكة فلذلك لم يذكر الملائكة فى مقام التحدى وثانيا بانه لو وجه لذكر الملائكة فى هذا المقام من حيث كونهم وسائط فى اتيانه ونزوله الى البشر ﴿ قوله ويجوز ان تكون الآية تقريرا ﴾ لا بيانا لكونه معجزا بعد الامتنان بتنزيله ثم ببقائه كما يفهم ذلك من التقرير السابق ﴿ قوله كررنا بوجوه مختلفة من كل معنى ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى من كل مثل مفعول صرفنا وكلمة من فيه زائدة فى المفعول وقد جوز الكوفيون والاخفش زيادتها فى الاثبات والمعنى ولقد صرفنا تقرير كل معنى من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والمواعظ وتقرير الدلائل الدالة على حقية ماهو الحق فى باب الاعتقاد والعمل وبطلان ماهو الباطل منهما من وجه الى وجه آخر وكررنا تقريره بوجوه مختلفة ليذكروا ويذعنوا الى الحق فابى اكثر اهل مكة الا الجحود للحق واصرارا على الكفر والعناد ﴿ قوله وانما جاز ذلك ﴾ يعنى ان قوله الا كفورا مستثنى مفرغ فى الكلام الموجب وقد تقرر ان عدم ذكر المستثنى منه انما يجوز فى غير الموجب ولا يجوز فى الموجب لفساد المعنى فكان القياس ان لا يجوز ان يقال ابى اكثر الناس الا كفورا الا انه جاز من حيث ان قوله ابى اكثر الناس فى قوة لم يفعلوا ولم يرضوا الا كفورا وفسر الكفور بالجحود لانه تعالى اثبت نبوة النبى صلى الله عليه وسلم ببيان كون القرآن معجزا وانه عليه الصلاة والسلام اظهره على وفق دعواه وحينئذ يتم الدليل على كونه نبيا صادقا لان كل من ادعى النبوة واظهر المعجزة على وفق دعواه فهو نبى صادق فصح انه نبى صادق عليه الصلاة والسلام وليس من شرط كونه نبيا صادقا تواتر المعجزات الكثيرة وتواليها لانه يستلزم ان لا يتنهى الامر فيه الى حد ينقطع عنده عناد المعاندين لانه كلما اتى الرسول بمعجز اقترحوا عليه معجزا آخر لا الى نهاية فكفار مكة بعد ان اظهر كون القرآن معجزا التمسوا منه عليه الصلاة والسلام ستة انواع من المعجزات فالتماسهم هذا ليس الا تعنتا وجحودا ﴿ قوله وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر ﴾ بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم خفيفة مضارع فجرت الماء فانفجر بمعنى بجسته فانبجس ويؤيد هذه القراءة كون الينبوع واحدا وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الفاء وكسر الجيم المشددة مضارع فجر للتكثير واتفقوا على ان الثانية بالتشديد للتصريح بمصدرها ﴿ قوله لا ينضب ماؤها ﴾ بضم الضاد اى لا يغور فى الارض ولا يتسفل ونبع الماء ينبوعا اى خرج واليعبوب الفرس الكثير الجرى والنهر الشديد الجرية وعب الماء اذا زخر وكثر وارتفع يقال زخر الوادى اذا امتلأ وارتفع ماؤه وبحر زاخر والعباب بالضم معظم الماء وكثرته وارتفاعه اقترح القوم وقالوا له عليه الصلاة والسلام ازل عنا جبال مكة وفجر لنا الينبوع ليسهل علينا امر الزراعة والحراثة ثم قالوا فان لم تستطع اظهار الخير فأظهر الشر بان تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا اى قطعا جمع كسفة وهى القطعة مثل قربة وقرب وانتصابه على الحال من السماء ﴿ قوله وحفص فيما عدا الطور ﴾ الظاهر انه معطوف على ابن كثير كما ان قوله وابن عامر وقوله ونافع وابو بكر معطوفان عليه فيكون المعنى وسكنه حفص فيما عدا الطور وهو مخالف لما ذكره الامام الرازى فى تفسيره وهو قوله قرأ ابن عامر كسفا بفتح السين ههنا وفى سائر القرآن بسكونها وقرأ نافع وابو بكر عن عاصم ههنا وفى الروم بفتح السين وفى باقى القرآن بسكونها وقرأ حفص فى سائر القرآن بالفتح الا فى الطور وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى فى الروم بفتح السين وفى سائر القرآن بسكونها هذه عبارة الامام فى الكبير وفى تفسير الامام ابى الليث وحاشية الطيبى وتفسير القراءة هكذا قرأ نافع وعاصم وابن عامر كسفا بفتح السين والباقون باسكانها والله اعلم فمن فتح السين جعله جمع كسفة نحو قطعة وقطع

عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا ببقائه بعد المنة فى تنزيله ﴿ ان فضله كان عليك كبيرا ﴾ كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه فى حفظه ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ﴾ فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى ﴿ لا يأتون بمثله ﴾ وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هى لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير

وان أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالى ولا حرم * ﴿ ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط فى اتيانه ويجوز ان تكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ﴿ ولقد صرفنا ﴾ كررنا بوجوه مختلفة زيادة فى التقرير والبيان ﴿ للناس فى هذا القرآن من كل مثل ﴾ من كل معنى هو كالمثل فى غرابته ووقوعه موقعا فى الانفس ﴿ فأبى اكثر الناس الا كفورا ﴾ الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفى ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر من الارض ينبوعا ﴾ تعنتا واقتراحا بعد ما الزمهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر ﴿ او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ﴾ او يكون لك بستان يشتمل على ذلك ﴿ او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ﴾ يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب فى جميع القرآن الا فى الروم وابن عامر الا فى هذه السورة وابو بكر ونافع فى غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدرا وفعل بمعنى مفعول كالطحن

﴿ او تأتي بالله والملائكة قبيلا ﴾ كفيلا بما تدّعيه او شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله * ومن يك امسى بالمدينة رحله * فاني وقيار بها لغريب * او جماعة فيكون حالا من الملائكة ﴿ او يكون لك بيت من زخرف ﴾ من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة ﴿ او ترقى في السماء ﴾ في معارجها ﴿ ولن نؤمن لرقيك ﴾ وحده ﴿ حتى تنزل علينا كتابا نقرأه ﴾ وكان في تصديقك ﴿ قل سبحان ربي ﴾ تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان يأتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربي اي قال الرسول ﴿ هل كنت الا بشرا ﴾ كسائر الناس ﴿ رسولا ﴾ كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى يتخيروها عليّ هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا ﴿ وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ﴾ اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق ﴿ الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا ﴾ الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا ﴿ قل ﴾ جوابا لشبهتهم ﴿ لو كان في الارض ملائكة يمشون ﴾ كما يمشي بنو آدم ﴿ مطمئنين ﴾ ساكنين فيها ﴿ لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ﴾ لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا او ان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق ﴿ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ﴾ على اني رسول اليكم باظهاره المعجزة على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز ﴿ انه كان بعباده خبيرا بصيرا ﴾ يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ﴿ ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ﴾ يهدونه ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم ﴾ يسحبون عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم ﴿ عميا وبكما وصما ﴾ لا يبصرون ما يقرّ اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصامّوا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوفي القوى والحواس ﴿ مأواهم جهنم كلما خبت ﴾ سكن لهبها بان اكلت (على) جلودهم ولحومهم ﴿ زدناهم سعيرا ﴾ توقدا بان تبدّل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة فانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالون على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ﴿ ذلك جزآؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ لان الاشارة الى ما تقدّمه من عذابهم

وكسرة وكسر ومن سكنه جعله ايضا جمعا على وزن فعل بفتح العين لكنه سكن عينه تخفيفا كما خففت سدر اصله سدر بفتح الدال جمع سدرة او جعله فعلا بمعنى المفعول كالطحن بمعنى المطحون والكاف في قوله كما زعمت صفة محذوف اي اسقاطا مثل مزعومك على ان ما مصدرية والمصدر بمعنى المفعول والمراد بمزعومه عليه الصلاة والسلام ما حكى عنه تعالى من قوله ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم اي لا يصدّقون انها كسف ساقطة للعذاب فعلم منه ان ما حكى عنهم في هذه السورة من قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا انما يقولونه عنادا وتمرّدا لا لتحصيل اليقين ﴿ قوله كفيلا او مقابلا او جماعة ﴾ فسر القبيل بثلاثة اوجه الاوّل الكفيل يقال قبل به يقبل ويقبل قبالة والثاني المقابل كالعشير بمعنى المعاشر والثالث الجماعة يكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى كالروم والزنج والعرب والقبيل بهذا المعنى يجمع على قبل ومنه قوله تعالى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا اي قبيلا واذا كان قبيلا بمعنى كفيلا كان التقدير او تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا واذا كان مقابلا كان التقدير تأتي بالله مقابلا وبالملائكة مقابلين وعلى الوجهين يكون قبيلا حالا من الله وحال الملائكة محذوف لدلالة المذكور عليه كما حذف خبر قيار في قوله

* فمن يك امسى بالمدينة رحله * فاني وقيار بها لغريب *

اي فاني لغريب وقيار كذلك وان كان قبيلا بمعنى جماعة يجوز ان يكون حالا من الله والملائكة وان يكون حالا من الملائكة فقط اي فوجا بعد فوج وكل فوج من الجنّ والانس قبيل ﴿ قوله في معارجها ﴾ قدّر المضاف لان هذا الفعل اذا عدّي بكلمة في انما يعدّى الى ما هو آلة الارتقاء يقال رقي في السلم وفي الدرجة والرقيّ الصعود يقال رقي بكسر العين يرقى بالفتح رقيا على وزن فعول اصله رقويا فادغم بعد قلب الواو ياء ﴿ قوله ولن نؤمن لاجل رقيك وحده ﴾ روي عن عبد الله بن ابيّ انه قال لن نؤمن لك حتى تضع على السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر اليك حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون ان الامر كما تقول فقال تعالى له عليه الصلاة والسلام قل سبحان ربي ﴿ قوله حتى يتخيروها عليّ ﴾ اي حتى يحكموا عليّ باختيارها يقال تخير عليه اي اقترح عليه في اختيار الخير ﴿ قوله باظهاره المعجزة على وفق دعواي ﴾ اذ كان ذلك شهادة منه تعالى على كونه عليه الصلاة والسلام صادقا في دعوى الرسالة ومن شهد الله تعالى على صدقه فهو صادق فكل من قال بعد ذلك يجب ان يكون الرسول ملكا لا انسانا يكون كلامه مهملا لا يلتفت اليه ﴿ قوله لا يبصرون ما يقرّ اعينهم ﴾ اشارة الى جواب ما يقال كيف يحشرون عميا وبكما وصما وقد قال تعالى ورأى المجرمون النار وقال سمعوا لها تغيظا وقال دعوا هنالك ثبورا وقال يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقال حكاية عن الكفار والله ربنا ما كنا مشركين فثبت بهذه الآيات انهم يرون ويسمعون وينطقون فكيف قال ههنا عميا وبكما وصما * اجاب عنه المصنف اوّلا بان المعنى انهم يحشرون عما بحيث لا يرون شيأ يسرّهم صما لا يسمعون شيأ يلتذون بسماعه بكما لا ينطقون بحجة * ثم اشار الى الجواب ثانيا بقوله ويجوز ان يحشروا الخ يعني انهم يكونون رائين سامعين ناطقين في الموقف ولو لا ذلك لما قدروا على ان يطالعوا كتبهم ولا ان يسمعوا الزام حجة الله عليهم الا انهم اذا اخذوا يذهبون من الموقف الى النار يجعلهم الله تعالى عميا وبكما وصما ﴿ قوله مؤوفي القوى ﴾ من الآفة يقال ايف الزرع على ما لم يسم فاعله اي اصابته آفة فهو مؤوف ﴿ قوله توقدا ﴾ اشارة الى ان السعير مصدر بمعنى التسعير وهو التوقد والتلهب كالنذير والنكير بمعنى الانذار والانكار ويجوز ان يكون السعير بمعنى النار المسعورة يقال سعرت النار بمعنى هيجتها والهبتها وقد تشدّد العين لتكثير المبالغة * فان قيل قال تعالى لا يخفف عنهم العذاب وقوله كلما خبت يدل على ان العذاب يخفف عنهم في ذلك الوقت * اجيب بان قوله كلما خبت معناه كلما ارادت ان تخبو زدناهم تسعرا وتلهبا ﴿ قوله تعالى ذلك جزآؤهم ﴾ مبتدأ وخبر والباء في قوله بانهم كفروا باء السببية اي ذلك العذاب الموصوف المذكور فيما تقدّم جزآؤهم بسبب انهم كفروا بآياتنا الدالة على صدق مدّعي النبوّة مكابرة وعنادا وعطف على كفرهم بالآيات المذكورة قولهم وقالوا أئذا كنا عظاما الخ يعني انهم كما انكروا النبوّة انكروا البعث والحشر واستبعدوا ان يعود الانسان بعينه بعد ان يصير عظاما ورفاتا واجاب الله تعالى عن هذا الاستبعاد بقوله اولم يروا الخ يعني ان من خلق السموات والارض كيف يستبعد منه ان يقدر على اعادتهم باعيانهم واراد بخلق مثلهم خلق انفسهم ثانيا فان مثل الشيء لما كان مساويا له في حالته جاز ان يعبر به عن الشيء نفسه الا ترى انه يقال مثلك لا يفعل هذا ويراد انت لا تفعله وقيل المراد انه قادر

على ان يخلق عبيدا آخرين يوحدونه ويقرّون بكمال حكمته وقدرته ويتركون ذكر الشبهات الفاسدة وما اختاره المصنف انسب بالمقام وتم الجواب عند قوله تعالى قادر على ان يخلق مثلهم ثم عطف قوله وجعل لهم اجلا على جملة الجواب وهى قوله اولم يروا الخ فانه فى قوّة قد رأوا فليس هو داخلا فى حيز الانكار بل هو معطوف على جملة برأسها وقوله لاريب فيه صفة لاجلا اى اجلا غير مرتاب فيه فان اريد به اجل الموت فوجه الافراد واضح وان اريد به اجل القيامة يكون المقصود من هذه الجملة بيان ان لوقوعه ودخوله فى الوجود وقتا معلوما عند الله وبيان انه فى نفسه امر ممكن الوجود بناء على ان اعادة امثالهم اهون فى عقولهم من خلق السموات والارض ابتداء ﴿قوله﴾ وانتم مرفوع بفعل يفسره مابعده ﴿اى وليس بمرفوع على الابتداء لان كلمة لو للشرط والتعليق والمعلق عليه لابدّ ان يكون من الاحوال المتغيرة القائمة بالذوات ولا يجوز ان يعلق الحكم بنفس الذوات وكان من حقها ان تختص بالافعال لان الاسم يدل على المعانى والاحوال فلابدّ ان يليها الفعل ظاهرا او مضمرا ولما وقع الاسم بعدها فى الآية وجب ان يقال ان ذلك الاسم مرفوع بفعل مقدّر يفسره هذا الظاهر والاصل لو تملكون فحذف الفعل لدلالة مابعده عليه فانفصل الضمير وهو الواو واذا لم يمكن بناؤه متصلا بعد حذف رافعه ونظيره فى وجوب تقدير الفعل قوله وان احد من المشركين اى وان استجارك احد وقول حاتم * لوذات سوار لطمتنى * اى لو لطمتنى ذات سوار لان لو طالبة للفعل فللم يوجد لفظا جعل مقدّرا والمعنى لو لطمنى من كان كفؤا لى لها على ولكن لطمنى من هو غير كفئ وقيل اراد لو لطمنى حرّة فكنى بكون اللاطمة ذات سوار عن الحرّة لان العرب قلما يلبسون الاماء السوار فالمعنى لو كانت اللاطمة حرّة لكان اخف على وذكر للعدول عن الظاهر الى طريق الحذف والتفسير فائدتين الاولى المبالغة فى ترتب الجزآء على الشرط لان تكرار الشرط يتضمن تكرار الجزآء الثانية الدلالة على الاختصاص وهو التعليق وذلك ان انتم وان كان فاعلا لفعل مقدّر الا انه لما كان عبارة عن ضمير تملكون المتأخر ومتحدا معه بالذات كان من حيث المعنى فاعلا له قدّم عليه وقد تقرّر فى علم المعانى ان تقديم الفاعل المعنوى يفيد الاختصاص فقوله تعالى لو انتم تملكون يدل على انهم المختصون بهذه الحالة الخسيسة والشح الكامل فانه من المعلوم ان خزآئن الله تعالى غير متناهية لا يتصوّر نفادها بكثرة الانفاق فمن ملكها واستولى عليها من غير منازع ومزاحم ثم امسكها ولم يقض بها حاجة احد من المحتاجين يكون فى غاية الشح ونهاية البخل ﴿قوله لبخلتم﴾ اشارة الى ان امسكتم لا يقدّر له مفعول ويجعل لازما لتضمنه معنى بخلتم ويجوز ان يجعل متعدّيا ويقدّر له مفعول اى لأمسكتم المال والخيرات التى ملكتموها الا انه لما حصل المقصود بدون التقدير استغنى عنه وخشية الانفاق مفعول له لقوله امسكتم وقيل انه مصدر فى موضع الحال اى لامسكتم خاشين الانفاق وفيه نظر لان المصدر المعرّف لا يقع موقع الحال الا سماعا نحو وارسلها العراك ولا يقاس عليه والانفاق مصدر انفق اذا اخرج المال وجعله المصنف مصدر انفق بمعنى انفد وفى الصحاح نفق الزاد ينفق نفقا اى نفد وانفق الرجل اى افتقر وذهب ماله فعلى هذا خشية الانفاق معناه خشية الفاقة والافتقار ﴿قوله اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه﴾ جواب عما يقال كيف يصح ان يخاطب كافة الانسان خطابا ما ويصفهم بالبخل المفرط بهذه المبالغة العظيمة مع ان فى الانسان من هو جواد كريم * وتقرير الجواب وصف كافة الانسان بالبخل لان الاصل فيهم البخل من حيث خلق محتاجا الى ما ينتظم به احواله والمحتاج لابدّ وان يحب ما به يدفع حاجته وان يمسكه لنفسه ولا يؤثر به غيره وان انفق ان يؤثر به غيره انما يفعل ذلك لطلب عوض يفوق ما انفق مثل ان يحمد ويذكر بالجميل او يخرج من عهدة الواجب او يتقرّب به الى الله تعالى وقلما ينفق لا لعوض وفائدة تصل اليه فكان المنفق بهذه الكيفية بهذا الغرض فى الحقيقة بخيلا فان الجود هو العطاء تفضلا من غير داعى يدعو اليه سوى الكرم ودفع حاجة المحتاج ثم اشار الى وجه آخر وهو انه وصف الكل بالبخل على اقامة الاكثر مقام الكل لان البخلاء اغلب فيهم وقيل الخطاب فى قوله تعالى قل لو انتم تملكون خزآئن رحمة ربى الآية ليس للكل بل هو خطاب للذين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فانهم لما طلبوا اجرآء الانهار والعيون فى بلدهم لتكثر اموالهم اجابهم الله تعالى بانكم لو تملكون خزآئن رحمة الله لبقيتم على بخلكم وشحكم ولما اقدمتم على ايصال النفع الى احد فلا فائدة فى اسعافكم بما طلبتموه وقوله تعالى قتورا اى بخيلا مما يقال قتر على عياله يقتر ويقتر قترا وقتورا اى ضيق عليهم فى الانفاق وقصر وكذلك التقتير والاقتار ثلاث لغات ﴿قوله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل﴾ اذ لو اريد بها ﴿اولم يروا﴾ اولم يعلموا ﴿ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم﴾ فانهم ليسوا اشدّ خلقا منهنّ ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء ﴿وجعل لهم اجلا لاريب فيه﴾ هو الموت او القيامة ﴿فأبى الظالمون﴾ مع وضوح الحق ﴿الا كفورا﴾ الا جحودا ﴿قل لو انتم تملكون خزآئن رحمة ربى﴾ خزآئن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره مابعده كقول حاتم * لوذات سوار لطمتنى * وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص ﴿اذن لأمسكتم خشية الانفاق﴾ لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشئ فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم ﴿وكان الانسان قتورا﴾ بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بنى اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاث الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرّم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببرئ الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفرّوا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا فى السبت فقبل اليهود يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة فى كل الشرآئع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها فى الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستأنف زآئد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام

الاحكام المطلقة سواء كانت عامة او خاصة لما كان الجواب مطابقا للسؤال لان الآيات المذكورة فى الجواب عشر والسؤال عن تسع كانه عليه الصلاة والسلام قال اعلموا معاشر اليهود ان الآيات التى اوتيها موسى عليه الصلاة والسلام ولم تنسخها شريعة ونكون نحن وانتم فيها سواء هذه المذكورات لكن آية اخرى تختص بكم وهى هذه الآية العاشرة قيل فى ارتباط هذه الآية بماقبلها انها جواب عن قولهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بهذه الآيات المعجزات وتقريره انه تعالى قال انا قد آتينا موسى معجزات مساوية لهذه الاشياء التى طلبتموها بل اقوى منها واعظم فلو حصل فى علمنا ان جعلها فى زمانك مصلحة لفعلناها كما فعلنا فى زمان موسى لكن لما علمنا ان جعلها فى زمانك لامصلحة فيه لم نفعلها وقوله تعالى بينات يجوز ان يكون منصوبا على انه صفة للعدد وان يكون مجرورا على انه صفة للمعدود ﴿قوله فقلنا له سلهم من فرعون﴾ على ان يكون قوله تعالى فاسأل خطابا لموسى عليه الصلاة والسلام اذلو كان الخطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم لما احتيج الى تقدير القول فالمسؤل هو فرعون والمسؤل عنه انقاذ بنى اسرآئيل من ايدى القبط فانهم كانوا بمنزلة الاسرى فى يد فرعون والمعنى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فارسلناه الى فرعون وملئه وقلنا له اذجاءهم سل بنى اسرآئيل وخلهم وشأنهم فالسؤال بمعنى الطلب من قولهم سألته الشئ لامن قولهم سألته عن الشئ واذجاءهم متعلق بقلنا المقدّر ﴿قوله اوسلهم عن حال دينهم﴾ على ان يكون الخطاب ايضا لموسى عليه الصلاة والسلام بتقدير القول الاان المسؤل حينئذ بنو اسرآئيل والمسؤل عنه شأن دينهم والمعنى فقلنا لموسى سل بنى اسرآئيل اذجاءهم عن حال دينهم وقل لهم هل انتم ثابتون على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام اودخلتم فى دين فرعون واذمتعلقة بقلنا المقدّر ايضا ﴿قوله ويؤيده﴾ اى يؤيد كون الخطاب لموسى عليه الصلاة والسلام بتقدير القول ووجه التأييد ان تلك القرآءة صريح فى ان السائل هو موسى عليه الصلاة والسلام لان ضمير سال عائد اليه والمعنى فطلب موسى بنى اسرآئيل من فرعون اوسألهم عن حال دينهم واذجاءهم فى هذه القرآءة متعلقة بسال ﴿قوله اوفسل يامحمد﴾ عطف على قوله فقلنا له سلهم من فرعون اى ويجوز ان يكون السائل سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والمسئولون بنى اسرآئيل والمسؤل عنه ماجرى بين موسى وفرعون بعد ان اظهر موسى له ماآتاه الله من المعجزات التسع اى سلهم ان فرعون هل قبل آيات موسى وآمن بها اوانكرها واصرّ على الكفر لتسلى نفسك ولاتضطرب من تعنت المشركين اوسلهم عن الآيات العامة الغير المنسوخة التى آتاها الله تعالى موسى فانه امر محقق عندهم ثابت فى كتابهم وليس المقصود حقيقة السؤال ببيان شئ من العام بل كونهم اعنى المسئولين من اهل علمه ولهذا لم يسأل عليه الصلاة والسلام منهم ﴿قوله وعلى هذا كان اذنصبا آياتنا﴾ اى ظرف له وتكون جملة فاسأل بنى اسرآئيل معترضة بين الظرف وعامله وفائدة الاعتراض ازدياد اليقين فان تظاهر الادلة يوجب طمأنينة القلب اوهو من باب التهييج والالهاب وزيادة التثبيت والطمأنينة على اسلوب قوله تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك والمعنى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات اذجاء بنى اسرآئيل اوفرعون وملأه فاسأل عن ذلك من مسلمى اهل الكتاب يخبروك به كما اخبرت ﴿قوله اوباضمار يخبروك﴾ الذى هو جواب قوله فاسأل بنى اسرآئيل فلايكون اذجاءهم ظرفا ليخبروك اذلا يتصوّر وقوع اخبارهم عن حال الآيات التسع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى زمان مجيئ موسى عليه الصلاة والسلام الى بنى اسرآئيل بل يكون مفعولا به واخبارهم اياه عليه الصلاة والسلام ذلك الزمان عبارة عن اخبارهم اياه ماوقع فى ذلك الزمان من القصة بتمامها والمعنى سل بنى اسرآئيل عن حال الآيات التسع فانهم يخبرونك القصة بتمامها من لدن مجيئ موسى من مدين الى مصر عند ايابه اليهم وذهابه الى فرعون وطلبه منه ارسال بنى اسرآئيل معه وادّعائه النبوّة واظهار تلك الآيات القاهرة باسرها وعجز فرعون وعناده الاانه يجب ان يكون قوله اذجاءهم بمعنى اذجاء آباءهم بتقدير المضاف لان الخطاب لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وبنو اسرآئيل هم الموجودون فى زمانه وموسى عليه الصلاة والسلام ماجاءهم بل جاء آباءهم وان كان اذجاءهم منصوبا باضمار اذكر على انه مفعول به جاز ان لايجعل فاسأل اعتراضا بان يجعل اذكر بدلا من اسأل لماسبق من ان المقصود من السؤال بيان كون المسئولين من اهل علمه والفاء فى قوله فقال له فرعون على هذه الاوجه فصيحة والمعنى اذجاءهم فذهب الى فرعون فادّعى النبوّة واظهر المعجزة وكذبه فقال ﴿قوله وقرأ الكسائى بالضم﴾ والقرآءة بفتح التاء

﴿فاسأل بنى اسرائيل اذجاءهم﴾ فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك اوسلهم عن ايمانهم وحال دينهم ويؤيده قرآءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ المضىّ بغير همز وهو لغة قريش واذمتعلق بقلنا اوسال على هذه القرآءة اوفسل يامحمد بنى اسرئيل عما جرى بين موسى وفرعون اذجاءهم اوعن الآيات ليظهر للمشركين صدقك اولتتسلى نفسك اولتعلم انه تعالى لوأتى بما اقترحوا لأصرّوا على العناد والمكابرة كمن قبلهم اوليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوّة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذنصبا بآياتنا اوباضمار يخبروك على انه جواب الامر اوباضمار اذكر على الاستئناف ﴿فقال له فرعون انى لأظنك ياموسى مسحورا﴾ سحرت فتخبط عقلك ﴿قال لقد علمت﴾ يافرعون وقرأ الكسائى بالضم على اخباره عن نفسه ﴿ما انزل هؤلاء﴾ يعنى الآيات ﴿الا رب السموات والارض بصائر﴾ بينات تبصرك صدقى ولكنك تعاند وانتصابه على الحال

﴿وانى لاظنك يافرعون مثبورا﴾ مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ماثبرك عن هذا اى ماصرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان مابين الظنين فان ظن فرعون كذب محض وظن موسى يحوم حوم اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يافرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هى الفارقة ﴿فاراد﴾ فرعون ﴿ان يستفزهم﴾ ان يستخف موسى وقومه وينفيهم ﴿من الارض﴾ ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستئصال ﴿فاغرقناه ومن معه جميعا﴾ فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق ﴿وقلنا من بعده﴾ من بعد فرعون واغراقه ﴿لبنى اسرآئيل اسكنوا الارض﴾ التى اراد ان يستفزكم منها ﴿فاذا جاء وعد الآخرة﴾ الكرّة او الحياة او الساعة او الدار الآخرة يعنى قيام القيامة ﴿جئنا بكم لفيفا﴾ مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى ﴿وبالحق انزلناه وبالحق نزل﴾ اى وما انزلنا القرآن الاملتبسا بالحق المقتضى لانزاله ومانزل الاملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الامحفوظا بالرصد من الملائكة ومانزل على الرسول الامحفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفى اعتراء البطلان له اوّل الامر وآخره ﴿وما ارسلناك الامبشرا﴾ للمطيع بالثواب ﴿ونذيرا﴾ للعاصى من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار ﴿وقرءانا فرقناه﴾ نزلناه مفرّقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما فى قوله ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل فى تضاعيف عشرين سنة ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون فى الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ﴿ونزلناه تنزيلا﴾ على حسب الحوادث ﴿قل آمنوا به اولا تؤمنوا﴾ فان ايمانكم بالقرآن لايزيده كمالا وامتناعكم عنه لايورثه نقصانا وقوله ﴿ان الذين اوتوا العلم من قبله﴾ تعليل له اى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحى وامارات النبوّة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل اورأوا نعتك وصفة ماانزل اليك فى تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم ﴿اذا يتلى عليهم﴾ القرآن ﴿يخرّون للاذقان سجدا﴾ يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله وشكرا لانجازه وعده فى تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وانزاله القرآن عليه ﴿ويقولون سبحان ربنا﴾ عن خلف الوعد ﴿ان كان وعد ربنا لمفعولا﴾ انه كان وعده كائنا لامحالة ﴿ويخرّون للاذقان يبكون﴾ كرّره لاختلاف الحال او السبب فان الاوّل للشكر عند انجاز الوعد والثانى لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اوّل مايلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ﴿ويزيدهم﴾ سماع القرآن ﴿خشوعا﴾ لما يزيدهم علما ويقينا بالله

اجود لان احتجاج موسى عليه الصلاة والسلام على فرعون بعلم فرعون اوكد من الاحتجاج بعلم نفسه ﴿قوله﴾ فان ظن فرعون كذب محض ﴿قوله﴾ فانه وصف موسى بكونه مسحورا مع انه العقل ولاشك انه كذب محض لادليل عليه ولا امارة وموسى وصف فرعون بكونه مثبورا اى مصروفا عن الخير وهالكا وتصدقه الامارات المتظاهرة وهى ان موسى عليه الصلاة والسلام اثبت نبوّته بالمعجزات القاهرة التى لاريب العاقل فى انها من عند الله تعالى وانه تعالى انما اظهرها على يده تصديقا له فى دعواه وكل من انكرها لايحمله على الانكار الا الحسد والعناد والجهل وحب الدنيا ومن كان كذلك تكون عاقبته الهلاك والثبور ﴿قوله﴾ وقرئ وان اخالك ﴿قوله﴾ مضارع قولك خلت الشئ خيلا وخيلة ومخيلة اى ظننته وفى المثل *من يسمع يخل* وهو من باب ظننت وتقول فى مستقبله اخال بكسر الهمزة وهو الافصح وبنو اسد تقول اخال بفتح الهمزة وهو القياس ثم انه تعالى لما بين اعجاز القرآن وكفايته فى الدلالة على صدق مدّعى النبوّة عاد الى تعظيم القرآن وبيان شأنه فقال وبالحق انزلناه وبالحق نزل اى ماانزلناه الا لتقرير الحق وتبيينه فلما اردنا هذا المعنى بانزاله وقع وحصل نزوله بسبب الحق فعلى هذا يكون بالحق متعلقا بانزلنا والباء سببية وعلى ماذكره المصنف تكون الباء متعلقة بمحذوف والجار والمجرور فى محل النصب على انه حال من مفعول انزلناه او فاعل نزل والحق الاوّل عبارة عن الحكمة الداعية لانزاله والحق الثانى هو الثابت الذى لايزول كما ان الباطل هو الزائل الذاهب وكل مااشتمل عليه هذا الكتاب الكريم من دلائل التوحيد وصفات الاكرام وكون الملائكة عباد الايقبل الزوال ﴿قوله﴾ الامحفوظا بالرصد ﴿قوله﴾ تفسير لقوله بالحق وبيان لكونه منصوبا على انه حال من المفعول وكل واحد من لفظى الحق على هذا عبارة عن الثابت المقابل للباطل والذى لايكون انزاله ونزوله الا حال كونه ثابتا غير باطل لايكون الامحفوظا بالرصد كذلك الآيات لاتكون فى تينك الحالين الامحفوظة بالرصد وهو جمع راصد كالحرس جمع حارس ثم انه تعالى لما بين اعجاز القرآن بين عظم شأن رسوله فقال وما ارسلناك الخ اى فمن آمن بك واتبع دينك بما اظهرته من المعجزات فقد اهتدى ومن عاندك واقترح معجزات اخر فلا عليك من كفرهم شئ لانك ماارسلت الامبشرا ونذيرا ليس لك ورآء ذلك شئ من اكراه على الدين او نحو ذلك وقرأ نافع قرءانا فرقناه بالنصب *فان قيل النصب على الاشتغال انما يجوز حيث يجوز فى الاسم المذكور الرفع بالابتدآء وقرءانا نكرة لايصلح للابتدآء فكيف يجوز فيه النصب على الاشتغال *فالجواب ان التنكير فيه للتعظيم فكان فى حكم المخصص بالوصف فكأنه قيل وقرءانا اى قرءآن بمعنى قرءآن عظيم فرقناه ﴿قوله﴾ تعالى على مكث ﴿قوله﴾ متعلق بمحذوف على انه حال من فاعل لتقرأه ثم انه تعالى خاطب الذين اقترحوا تلك المعجزات العظيمة على وجه التهديد والانكار فقال قل آمنوا به اولا تؤمنوا اى فقد انزل الله تعالى وبلغ الرسول فاختاروا ماتريدون وهو فى معنى الامر بالاعراض عنهم كأنه قال له اتركهم ولا تبال بهم والفرق بين كون قوله تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليلا لقوله آمنوا به اولا تؤمنوا وبين كونه تعليلا لقل هو ان المقصود بقوله تعالى ان الذين اوتوا العلم على الاوّل هو تحقير اهل مكة وتجهيلهم وماحصل من تسليته عليه الصلاة والسلام بايمان العلماء انما يحصل فى ضمن هذا المقصد والمقصود على الثانى انما هو التسلية وماحصل من تجهيل القوم وعدم المبالاة بهم انما يحصل تبعا وضمنا ﴿قوله﴾ وذكر الذقن ﴿قوله﴾ جواب عما يقال المقصود من قوله تعالى ويخرّون اى يسقطون حكاية الهيئة الحاصلة لهم عند استماع القرآن التى هى هيئة السجود وهى انما تحصل بالسقوط على الجبهة والانف والظاهر ان يقول ويسجدون اى ويخرّون على وجوههم او على جباههم وانوفهم فما وجه ذكر الاذقان هنا* واجاب عنه بان الذقن اوّل مايلقى الارض من وجه الساجد *وفيه بحث لان الظاهر ان اوّل مايلقى الارض من وجه الساجد هو الجبهة والانف دون الذقن الا ان يقال المراد بكون الذقن اوّل مايلقى الارض كونه اقرب الى الارض واقدم من سائر مايلقى الارض من اجزآء الوجه والقائم الذى بصدد السجود فالاوّلية بمعنى الاقدمية فعبر عن خرور الساجد بخرور اقرب اجزآء وجهه الى الارض واقدمها ﴿قوله﴾ واللام فيه لاختصاص الخرور به ﴿قوله﴾ فيه بحث لان اختصاص الخرور بالذقن عبارة عن كون سقوط الساجد مقصورا على الذقن لايتعدّى الى سائر الاعضاء على منوال قول صاحب الكشاف فى قوله تعالى له الملك وله الحمد قدّم الظرفان ليدل على اختصاص الملك والحمد بالله تعالى ومن المعلوم انه لااختصاص لخرور الساجد بالذقن الذى هو مجتمع اللحيين بل هو لايسقط عليه اصلا الا ان يقال ليس المقصود من الآية بيان انهم يسجدون حقيقة اذا تلى عليهم القرآن بل المقصود بيان انهم ينقادون لما سمعوا ويخضعون له كمال الانقياد والخضوع فاخرج الكلام على

﴿ قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ﴾ نزل حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد آلهين وهو يدعو الها آخر او قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله فى التوراة فالمراد على الاوّل هو التسوية بين اللفظين اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذى هو المعبود المطلق وعلى الثانى انهما سيان فى حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجوب لقوله ﴿ اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ﴾ والدعاء فى الآية بمعنى التسمية وهو يتعدّى الى مفعولين حذف اوّلهما استغناء عنه وأو للتخيير والتنوين فى اياً عوض عن المضاف اليه وما صلة لتأكيد ما فى اياً من الابهام والضمير فى فله للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ماهو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ﴿ ولا تخافت بها ﴾ حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد فى جميع الامور محبوب روى ان ابا بكر رضى الله عنه كان يخفت ويقول انا اناجى ربى وقد علم حاجتى وعمر رضى الله عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا ﴿ وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن شريك فى الملك ﴾ فى الالوهية ﴿ ولم يكن له ولىّ من الذل ﴾ ولى يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا وما يعاونه ويقوّيه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذى يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المتفرّد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله ﴿ وكبره تكبيرا ﴾ وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ فى التنزيه والتمجيد واجتهد فى العبادة والتحميد ينبغى ان يعترف بالقصور عن حقه فى ذلك * روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا افصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بنى اسرآئيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

﴿ بخاتمة ﴾

سبيل الاستعارة التمثيلية بان شبهت الهيئة الحاصلة من كمال الانقياد والخضوع بهيئة من يخص الخرور بالذقن من حيث ان هيئة الخرور على الوجه اقصى هيئات الخضوع ثم ان الذقن مع كونه ابعد شئ من الارض من اجزآء وجه من خرّ على وجهه اذا خص الخرور به كان وصول سائر اجزآء الوجه الى الارض اتم واولى فعبر عن الهيئة المشبهة بما يعبر به عن المشبه بها تصويراً لغاية خضوعهم ونظيره فى كون الكلام محمولا على التمثيل دون الحقيقة قوله تعالى انقلبتم على اعقابكم وقوله فنبذوه وراء ظهورهم ﴿ قوله وهو اجوب ﴾ اى كون المراد من الآية انه لا رجحان لاحد الاسمين على الآخر بل هما سيان فى حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود اجوب لما ذكر بعده وذلك لان اعتراض اليهود كان تعييرا للمسلمين على ترجيح احد الاسمين على الآخر واعتراض المشركين كان تعييرا على الجمع بين اللفظين فقوله تعالى اياما تدعوا مطابق للردّ على اليهود لان المعنى اى اسم من الاسمين سميتموه به فهو حسن لا رجحان لاحدهما على الآخر فى الحسن ولا يظهر كونه ردّا على من يقول كيف تعبدون آلهين وتمنعون عنهما ﴿ قوله حذف اوّلهما ﴾ اى فى الموضعين لان المفعول هو المسمى وهو محذوف فيهما وانما المذكور فيهما هو المفعول الثانى وهو الاسم والتقدير سموا معبودكم الله او سموه الرحمن اىّ هذين الاسمين تدعوه وتسموه فقوله ايا منصوب بتدعوا على انه مفعول ثان له والظاهر ان قوله وأو للتخيير مبنى على كون الآية مسوقة للردّ على اليهود الذين رجحوا تسميته تعالى باسم الرحمن وطعنوا فى المسلمين بتغليطهم ذكر هذا الاسم فان الجواب بالتخيير انما يناسب الردّ على من زعم رجحان التسمية باحد الاسمين ولو كانت الآية مسوقة للردّ على المشركين الذين حظروا الجمع بين الاسمين لكان المناسب ان تحمل كلمة او على الاباحة فانها وان كانت لاحد الشيئين او الاشياء الا انها اذا وقعت حيث يحصل بالجمع بين الفعلين او الافعال فضيلة وشرف فى الغالب تحمل على الاباحة نحو تعلم الفقه او النحو وجالس الحسن او ابن سيرين وان وقعت حيث لا يحصل به ذلك تحمل على التخيير نحو اضرب زيدا او عمرا ولا شك انها اذا وقعت فى جواب من منع الجمع بين الاسمين يكون حملها على الاباحة انسب لكون المقام مقام الترغيب فى الجمع بينهما ذكر فى شرح الرضى ان أو اذا كان فى الامر فله معنيان التخيير والاباحة فان حصل للمأمور بالجمع بين الامرين فضيلة وشرف فى الغالب فهى للاباحة نحو تعلم الفقه او النحو والا فهى للتخيير نحو اضرب زيدا او عمرا والفرق بينهما ان الاباحة يجوز فيها الجمع بين الفعلين والاقتصار على احدهما وفى التخيير يحتم احدهما ولا يجوز الجمع ﴿ قوله بقراءة صلاتك ﴾ بتقدير المضاف او على اطلاق اسم الكل وارادة الجزء فان الصلاة عبارة عن مجموع الافعال والاذكار والجهر والمخافتة من عوارض الصوت يقال خفت صوته يخفت خفتا وخفوتا اذا ضعف وسكن وصوت خفيت اى ضعيف خفى روى انه عليه الصلاة والسلام كان يرفع صوته بالقرآءة فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن انزله ومن جاء به فانزل الله تعالى هذه الآية ﴿ قوله وفيه تنبيه ﴾ وجه التنبيه انه تعالى امره عليه الصلاة والسلام بان يخص الحمد والثناء بالآله المنزه عن جميع صفات النقصان المنفرد بالملك المنعم على الاطلاق ثم امره بان يصفه بصفة الكبرياء المطلق فى ذاته وصفاته وافعاله واحكامه ويعتقد انه واجب الوجود لذاته غنى عن كل ما سواه ويعتقد ان كل ما كان صفة له فهو من صفات العظمة والجلال والعز والكمال وان كل واحدة من تلك الصفات ازلية قديمة سرمدية منزهة عن التغيير والزوال وان كل واحدة منها متعلقة بما لا نهاية له من التعلقات ويعتقد ان كل ما يجرى فى ملكه وسلطانه واقع بقضائه وقدره ومشيئته وقالت المعتزلة انا نكبر الله تعالى ونعظمه عن ان يكون فاعلا لهذه القبائح والفواحش بل نعتقد ان حكمته تقتضى التنزه والتقدّس عنها وعن ارادتها قال واحد من رؤساء المعتزلة يقال له القاضى عبد الجبار الهمذانى حيث رأى الاستاذ ابا اسحق الاسفرايينى سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ ابو اسحق سبحان من لا يجرى فى ملكه الا ما يشاء ويعتقد انه ملك مطاع وله الامر والنهى والرفع والخفض ولا اعتراض لاحد عليه فى شئ من احكامه ثم انه تعالى اكد التكبير المأمور به فقال تكبيرا اى اقصى ما يقدر عليه الانسان الضعيف بان يجتهد ويسعى فى تعظيمه وتقديسه حسبما يسعه قدرته ثم يعترف بان عقله وفهمه لا يفى بمعرفة جلال الله تعالى ولسانه لا يفى بشكره وثنائه وجوارحه واعضاءه لا تفى بخدمته فيكبر الله تعالى على قدر طاقته فانه جل عن ان يكبره تكبيرا يليق بعزه ومجده ﴿ قوله اذا افصح الغلام ﴾ اى فهم ما يقوله فى اقل ما يتكلم وخلص كلامه عن اللكنة والمراد بهذه الآية قوله تعالى وقل الحمد لله الى آخر السورة عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه قال قول العبد لله اكبر خير من الدنيا وما فيها قيل افتتحت التوراة بفاتحة سورة الانعام واختتمت

بخاتمة هذه السورة والحمد لله رب العالمين

سورة الكهف وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله رتب استحقاق الحمد اشارة الى ان ليس تقدير الكلام قولوا الحمد لله بل هو جملة اسمية لا محل لها من الاعراب ناطقة بان حقيقة الحمد له وجميع افراده مختصة به تعالى وانه المستحق لها لانه الذى وصلت الى كل احد نعمته وان الذى وصلت النعمة على يده طريق لوصولها الى الحامد وذلك الغير وان استحق الحمد ايضا فى مقابلة سعيه واجتهاده فى قضاء حاجة المحتاج الا ان التمكين والاقدار على ذلك السعى ليس الا منه تعالى وبتوفيقه فما يتوجه الى ذلك الغير من الحمد فهو بالحقيقة راجع اليه تعالى وانه تعالى مستعمل لذلك الغير فى ايصال نعمته الى العبد الا ان الحمد لا يجب ان يكون فى مقابلة النعمة البتة بل قد يكون بمقابلة الفضائل الغير المتعدية كما اشار اليه بقوله فى آخر السورة السابقة ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذى يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات ويدل عليه ايضا انه تعالى ذكر الحمد لنفسه ليدل على كماله ويدل على اثره اما مايدل على قدرته وسلطانه فكقوله تعالى الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا وقوله تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض واما مايدل على انعامه وافضاله فكقوله تعالى الحمد لله رب العالمين وقوله تعالى الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب **قوله** وهو فى المعانى قال ابن السكيت كل ما ينتصب كالحائط والعود قيل فيه عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان فى عرض او دين او معاش يقال فى دينه عوج كذا فى الصحاح **قوله** او قيما بمصالح العباد يقال فلان قيم المسجد اذا كان قائما بمصالح المسجد مقيما لشأنه وكذا قيم الاطفال فالقرآن لما كان سببا لهداية الخلق قائما باصلاح الارواح البشرية كان كالقيم المشفق القائم بمصالح الاطفال **قوله** او على الكتب عطف على قوله بمصالح العباد فان بعض اهل التأويل فسر القيم بالشاهد وقال القرآن قيم على الكتب المتقدمة وشاهد عليها فى الزيادة والنقصان وفى التغيير والتحريف مبين ما زادوا فيها وما نقصوا وما حرفوا وغيروا والحاصل ان قيما اذا لم يقدر له متعلق كان بمعنى مستقيما فيكون بمعنى غير ذى عوج الا ان من عادة العرب تكرار الكلام واعادته كقوله تعالى محصنات غير مسافحات فانهن اذا كن محصنات لم يكن مسافحات واذا كن مسافحات لم يكن محصنات فهما يؤديان معنى واحدا الا انه كرر بناء على عادة العرب وكذا قوله تعالى لينذر بأسا شديدا فان الشديد هو البأس وكرر للتأكيد هذا اذا لم يقدر لقوله قيما متعلق واما اذا قدر له متعلق فاما ان يقدر على نحو ما فى قوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت اى رقيب حفيظ شهيد فيكون تتميما لقوله ولم يجعل له عوجا لان المعنى حينئذ انه كامل فى نفسه مكمل لغيره فيكون بالغا فى الاستقامة جدا ويقدر له الباء على نحو قولهم فلان قيم بهذا الامر اى قائم بمصالحه فيكون تكميلا بمعنى انه مستقيم فى نفسه قيم بامور غيره **قوله** تقديره جعله قيما بزيادة بل ايضا اى ولم يجعل له عوجا بل جعله قيما وقوله قيما سواء كان منصوبا بمضمر او على انه حال من الضمير فى له يكون قوله ولم يجعل له عوجا معطوفا على جملة الصلة بخلاف ما اذا كان قيما حالا من الكتاب فانه حينئذ لا يكون قوله ولم يجعل له عوجا معطوفا على قوله انزل الكتاب لئلا يلزم الفصل بين الحال وذى الحال باجنبى فان الحال من تمام المعطوف عليه وبعض منه والمعطوف اجنبى فاصل بينهما ولا يجوز الفصل بين الحال وذى الحال باجنبى وعلى تقدير ان يكون قوله ولم يجعل معطوفا على انزل قال بعض اهل التأويل الكلام محمول على التقديم والتأخير اى انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا واحسن الوجوه ان يجعل قيما منصوبا بمضمر لان الظاهر ان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فلو جعل قيما حالا من الكتاب لزم العطف قبل تمام الصلة وحمل الكلام على التقديم والتأخير بعيد جدا وكذلك جعل قوله ولم يجعل حالا من الكتاب كأنه قيل انزله منتفيا عنه العوج بعيد خلاف الظاهر *واعلم ان حفصا وقف على تنوين عوجا مبدلا الفا بسكتة لطيفة من غير قطع نفس اشعارا بان قيما ليس متصلا بعوجا وانما هو من صفة الكتاب وغيره لم يعبأ بهذا الوهم فلم يسكت اتكالا على فهم المعنى وفعل حفص فى مواضع من القرآن مثل ما فعله ههنا من سكتة لطيفة نافية للوهم الفاسد فنها انه يقف على مرقدنا ويبتدئ بقوله هذا ما وعد الرحمن ليفهم من الوقف ان كلام الكفار قد انقضى وان ما بعده كلام غيرهم قيل هم الملائكة وقيل المؤمنون ومنها انه يقف على من فى قوله كلا اذا بلغت التراقى وقيل من راق ويبتدئ براق لئلا يتوهم انهما كلمة واحدة على فعال اسم مبنى للمبالغة من مرق يمرق فهو مراق ومنها انه يقف على لام بل فى قوله تعالى بل ران

سورة الكهف مكية وقيل الا قوله
واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم وهى مائة واحدى عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب) يعنى القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادى الى ما فيه كمال العباد والداعى الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد (ولم يجعل له عوجا) شيأ من العوج باختلال فى اللفظ وتناف فى المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو فى المعانى كالعوج فى الاعيان (قيما) مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير فى له او من الكتاب على ان الواو فى ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف كان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير وقرئ قيما

﴿ لينذر بأسا شديدا ﴾ اى لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاوّل اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه ﴿ من لدنه ﴾ صادرا من عنده وقرأ ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ﴾ هو الجنة ﴿ ماكثين فيه ﴾ فى الاجر ﴿ ابدا ﴾ بلا انقطاع ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ﴾ خصهم بالذكر وكرّر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدّم ذكره ﴿ مالهم به من علم ﴾ اى بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذى ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوّزوا نسبة الاتخاذ اليه ﴿ ولا لآبائهم ﴾ الذين تقوّلوه بمعنى التبنى ﴿ كبرت كلمة ﴾ عظمت مقالتهم هذه فى الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية ﴿ تخرج من افواههم ﴾ صفة لها تفيد استعظام اجترآئهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهوآء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ﴿ ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك ﴾ قاتلها ﴿ على آثارهم ﴾ اذا ولوا عن الايمان شبهه لما يداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ﴿ ان لم يؤمنوا بهذا الحديث ﴾ بهذا القرآن ﴿ اسفا ﴾ للتأسف عليهم او متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية

ويبتدئ بران لما تقدّم ﴿ قوله ﴾ صادرا من عنده ﴿ اشارة الى ان من لدن متعلق بمحذوف منصوب على انه نعت لبأسا او حال من الضمير فى شديدا وان لدن بمعنى عند ﴿ قوله وقرأ ابو بكر ﴾ اى لدنهى باسكان الدال واشمامها شيأ من الضم وبكسر النون والهاء موصولة بياء ووجهه انه سكن الدال تخفيفا كتسكين عين عضد وسبع فالتقى ساكنان فكسر النون لالتقاء الساكنين فكان حقه ان يكسر الاوّل على القاعدة المعروفة الا انه يلزم منه العود الى مافرّ منه ثم لما كسرت النون كسرت الهاء ايضا اتباعا ووصلها بياء واشمام الدال شيأ من الضم اشارة الى اصلها وقرأ الباقون من لدنه بضم الدال واسكان النون وضم الهاء وابن كثير يصلها بواو ويقرأ من لدنهو نحو منهو وعنهو وغيره لايصلها بشئ ﴿ قوله استعظاما لكفرهم ﴾ فان الخاص قد يعطف على العام للتنبيه على مرتبة الخاص وتنزيل تلك المرتبه منزلة المتباينين حكما اذلا يعلم حكم احد المتباينين ببيان حكم المباين الآخر بل لابدّ من ذكر الآخر بعده والتنصيص على حكمه فكذا يعطف الخاص على العام ويبين حكمه قصدا واصالة بناء على تنزيله منزلة المباين بالنسبة العام المذكور قبله بطريق تنزيل التغاير فى الوصف منزلة التباين فى الذات وقوله تعالى مالهم به من علم لايستدعى تحقق المعلوم فى نفسه لان انتفاء العلم بالشئ قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون لانه فى نفسه محال لايمكن تعلق العلم به ومانحن فيه من قبيل الثانى وهذا معنى قوله يقولونه عن جهل مفرط اى لايحكم به عقولهم ولايؤدّى اليه فكرهم البتة لكونه فى غاية الفساد والبطلان بل هو مجرّد لقلقة لسانهم يجرى على ألسنتهم ليس فى قلوبهم من معناه شئ وصفت الكلمة بالخروج الذى هو من صفات الاجسام بناء على ان الاصوات والحروف والكلمات المركبة منها انما تحدث بسبب خروج النفس من الحلق فوصفت الاعراض المذكورة بوصف مايكون سببا لحدوثها والا فالاعراض لايصح عليها الخروج والانتقال ﴿ قوله فانهم كانوا يطلقون الاب الخ ﴾ لعل هذا الاطلاق كان جائزا فى شريعة من قبلنا كما يجوز فى شريعتنا نسبة الغضب والرحمة ونحوهما اليه تعالى على ارادة غاياتها الا انه لم يجز فى شريعتنا اطلاق الاب عليه تعالى ولا اطلاق الابن على بعض عبيده لايهامه معانى فاسدة ﴿ قوله وكلمة نصب على التمييز ﴾ لانها ترفع الابهام المستقرّ عن ذات مقدّرة وهى النسبة الملحوظة فى قولك كبرت المقالة او الكلمة فانها مبهمة لان من سمع تلك الجملة يجوّز ان يكون المراد ان تلك المقالة كبرت كذبا او جهلا او افتراء فلما اضمر فاعل كبرت فيه حصل الابهام واحتاج الى رفعه بخلاف ماذا قرئ برفع الكلمة على الفاعلية فانه لايضمر فيه شئ فيكون حينئذ على طريق قولك عظم فلان وعلى تقدير الاضمار يكون ذلك راجعا الى مقالتهم المفهومة من قوله تعالى قالوا اتخذ الله ولدا اى كبرت مقالتهم تلك كلمة ومعنى الكلام التعجب اى ما اكبرها كلمة وقوله تخرج من افواههم صفة الكلمة تؤذن باستعظامها لان بعض مايخطر بالبال لايجترئ الانسان على اظهاره باللفظ ﴿ قوله وقيل صفة محذوف ﴾ يعنى قيل ان كبرت بمعنى بئس وفاعله مضمر مفسر بالنكرة المنصوبة بعده على التمييز كما فى قولك بئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت كلمة الخارجة من افواههم وقرئ كبرت بسكون الباء واشمام الضم وهى لغة تميم ﴿ قوله قاتلها ﴾ البخع الاهلاك يقال بخع الرجل نفسه بخعا وبخوعا اى اهلكها على وجد والمقصود من الآية تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى لايعظم حزنك وأسفك بسبب كفرهم فانا بعثناك منذرا وبشيرا واما تحصيل الايمان فى قلوبهم فلا قدرة لك عليه والفاء فى قوله فلعلك جواب الشرط وهو قوله ان لم يؤمنوا قدّم عليه وحقه التأخير وقال الجمهور جواب الشرط محذوف لدلالة قوله فلعلك قيل كلمة لعل وهنا للاشفاق الذى يقصد به التسلى والحث على ترك التحزن والتأسف ثم قيل الاسف هو النهاية فى الغضب كقوله تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم قال اهل التأويل المعنى فلما اغضبونا وقيل الاسف هو النهاية فى الحزن كقوله تعالى يا اسفا على يوسف اى ياحزنا فانه عليه الصلاة والسلام كادت نفسه الكريمة تهلك حزنا عليهم واشفاقا من ان تتلف انفسهم فى النار بتركهم الايمان وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقاتل الكفرة للقتل والاتلاف وانما يقاتلهم ليسلموا ويتخلصوا من الهلاك الابدى فان من كان باخع نفسه اشفاقا عليهم من الهلاك كيف يقاتلهم للاهلاك وقوله تعالى على آثارهم متعلق بقوله باخع اى باخع نفسك من بعد هلاكهم حال بقاء آثارهم وعلاماتهم وعدم اندراسها بالكلية فانه يصح ان يقال مات الثانى فى اثر الاوّل اى حال بقاء أثره ﴿ قوله وقرئ ان بالفتح ﴾ قرأ الجمهور ان لم يؤمنوا بكسر الهمزة على انها شرطية فعلى هذه القرآءة يكون باخع للاستقبال فيعمل لان الشرطية للاستقبال كأنه قيل لعلك تبخع نفسك الآن او غدا ان لم يصدر منهم ايمان

(وقرئ)

﴿انا جعلنا ما على الارض﴾ من الحيوان والنبات والمعادن ﴿زينة لها﴾ ولاهلها ﴿لنبلوهم ايهم احسن عملا﴾ فى تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغترّ به وقنع منه بما يزجى به ايامه وصرفه على ما ينبغى وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا﴾ تزهيد فيه والجرز الارض التى قطع نباتها مأخوذ من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه ﴿ام حسبت﴾ بل احسبت ﴿ان اصحاب الكهف والرقيم﴾ فى ابقاء حياتهم مدّة مديدة ﴿كانوا من آياتنا عجبا﴾ وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادّة واحدة ثم ردّها اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادى الذى فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابى الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا *

وصيدهموا والقوم فى الكهف همدا *

اولوح رصاصىّ او جرىّ رقت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهليهم فاخذتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدّت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال احدهم استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل فى بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم ففضب احدهم وترك اجره فوضعته فى جانب البيت ثم مرّ بى بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ماشاء الله فرجع الىّ بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال انّ لى عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك ففرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان فىّ فضل واصابت الناس شدّة فجاء تنى امرأة فطلبت منى معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبى له واغيثى عيالك فأتت وسلمت الىّ نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت مالك قالت اخاف الله فقلت لها خفته فى الشدّة ولم اخفه فى الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك ففرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لى ابوان هممان وكان لى غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمى فحبسنى ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فأتيت اهلى واخذت محلبى فحلبت فيه ومضيت اليهما فى (٣٢) فوجدتهما نائمين فشق علىّ ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبى على يدى حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلته لوجهك ففرج عنا ففرّج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير ﴿اذ أوى الفتية الى الكهف﴾ يعنى فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا الى الكهف

وقرئ شاذا بفتح الهمزة على حذف الجار اى لان لم يؤمنوا فعلى هذه القراءة المناسب ان يكون باخع للمضىّ لان لم يؤمنوا ماض ولا ضرورة تدعو الى صرفه عن معناه فلا يعمل الا اذا جعل حكاية حال ماضية كأنه قيل لعلك تبخع نفسك لاجل ان لم يؤمنوا فجيئ باسم الفاعل لتصوير تلك الحالة فى ذهن السامع واستحضارها وان لم يحمل على حكاية الحال الماضية لا يعمل فيجب اضافته الى ما بعده ﴿قوله وفيه تسكين﴾ اى تسكين لوجده واغتمامه على عدم ايمانهم ووجه التسكين ان الآية لما دلت على ان اهل الارض لم يعط لهم ما عليها من الزينة لينتفعوا به مجانا وانما اعطى لهم ذلك ابتلاء واختبارا ليظهر منهم ما علم الله تعالى انه يكون منهم فيجازى كل واحد ممن آثر الحياة الدنيا وزينتها ومن آثر رضى الرحمن وطاعته على حسب قصده ونيته ظهر له عليه الصلاة والسلام ان شأنه وما يليق به ليس الا بشارة المطيع وانذار العاصى وانه تعالى هو المطلع على اعمالهم ونياتهم ومن يستحق لان يخلق فيه الاهتداء او الضلالة فيسكن بذلك وجده وغضبه والزهد خلاف الرغبة يقال زهد فى الشئ وعن الشئ بمعنى واحد اى لم يرده ولم يرغب فيه والصعيد التراب وقيل الصعيد المستوى من الارض وقيل هو وجه الارض مطلقا والجرز الذى لا نبات فيه ولا ماء ﴿قوله بل احسبت﴾ اشارة الى ان ام منقطعة مقدّرة ببل والهمزة وبل هى التى للانتقال لا لابطال ما سبق والهمزة للانكار وذكر الله تعالى اوّلا من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التى لا حصر لها ثم ذكر انه يزيل ذلك كله ويجعله كأن لم يكن ثم اضرب عنه وقال ام حسبت كأنه قيل يتعجب من قصة اصحاب الكهف ولا يتفكر فى سائر الآيات فان تزيين الارض بانواع المعادن والحيوان والنبات وازالتها بالكلية بعد ما اخذت الارض زخرفها وازينت اعظم واعجب من قصة اصحاب الكهف والانسان عادته ان يتعجب من شئ قل ايناسه به وان كان الذى بحضرته اعجب *منه قال الامام تعجبوا من قصة اصحاب الكهف وسألوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الامتحان فقال الله تعالى ام حسبت انهم كانوا من آياتنا عجبا فقط فلا تحسبن ذلك فان آياتنا كلها عجب فان من كان قادرا على تخليق السموات والارض ثم تزيين الارض بانواع المعادن والنبات والحيوان ثم جعلها بعد ذلك صعيدا جرزا خاليا من الكل كيف يستبعدون قدرته على حفظ طائفة مدّة ثلاثمائة سنة او اكثر فى النوم روى ان قريشا بعثوا الى المدينة رهطا وقالوا لهم سلوا احبار اليهود عن محمد وصفته واخبروهم عن قوله فانهم اهل الكتاب الاوّل وعندهم من العلم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرج الرهط حتى قدموا المدينة فسألوا احبار اليهود عن اخبار محمد صلى الله عليه وسلم فقال احبار اليهود سلوه عن ثلاث عن فتية ذهبوا فى الدهر الاوّل ما كان من امرهم فان حديثهم عجب وعن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأه وسلوه عن الروح ما هو فان اخبركم عن اثنين ولم يخبركم عن الثالث فهو نبىّ والا فتقوّل فلما قدم الرهط مكة قالوا قد جئناكم بفصيل ما بيننا وبين محمد واخبروا ما قالت اليهود فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه فقال عليه الصلاة والسلام اخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون خمس عشرة ليلة وشق عليه ذلك حتى ارجف اهل مكة به وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم مضى خمس عشرة ليلة وشق عليه ذلك ثم جاء جبريل من عند الله عز وجل بسورة اصحاب الكهف وفيها معاتبة الله تعالى اياه على حزنه وفيها خبر اولئك الفتية وخبر الرجل الطوّاف وعجبا فى قوله تعالى كانوا من آياتنا عجبا خبر كان ومن آياتنا حال منه لانه فى الاصل صفته فلما قدّم صار حالا قال امية بن ابى الصلت

* وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهموا والقوم فى الكهف همدا *

استشهد على ان الرقيم الكلب وهذا يدل على ان قصة اصحاب الكهف كانت فى علم العرب وان لم يكونوا عالمين على وجهها * الوصيد فناء البيت وهو مفعول مجاورا والهمد جمع هامد بمعنى الراقد والنائم يعنى ان اصحاب الكهف كانوا رقودا فى الغار وكلبهم مجاورا لوصيدهم كما قال تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ﴿قوله اولوح رصاصىّ﴾ فيكون الرقيم بمعنى المرقوم وهو المكتوب قال تعالى كتاب مرقوم اى مكتوب ﴿قوله تعالى اذ أوى الفتية﴾ منصوب بعجبا او باذكر المقدّر لا بقوله ام حسبت لانه كان بين النبى صلى الله عليه وسلم وبينهم مدّة طويلة فلا يجوز حسبانه عليه الصلاة والسلام فى ذلك الوقت الذى أووا فيه الى الكهف اى صاروا فيه وكانوا فتية اى شبانا متقابلين فى الاسنان من اولاد عظماء الروم آمنوا بربهم وكان ذلك الايمان عبرة

وتفكرا منهم فى عظمة الله تعالى وملكه وقدرته لم يأتهم بذلك وحى ولم يقرأوا كتابا ولم يدركوا زمان نبوّة وكانوا فى زمن فترة قبل ان يبعث الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام ثم بعثه الله تعالى وهم فى الكهف راقدون ولبث فى امّته ثلاثا وثلاثين سنة ثم رفعه الله ومضى بعده زمان طويل ثم بعثهم الله تعالى وايقظهم واطلع اهل ذلك العصر على حالهم ليعلموا ان وعد الله بالبعث حق وان الساعة آتية ﴿قوله﴾ واجعل امرنا كله رشدا ﴿على ان تكون كلمة من فى قوله من امرنا رشدا تجريدية اذ هو الامر بعينه مبالغة فى ارشاده ولهذا قال اجعل امرنا كله رشدا والتجريد من المحسنات البديعية المعنوية وهو ان ينتزع من امر ذى صفة امر آخر مماثل لذلك الامر ذى الصفة فى تلك الصفة لاجل المبالغة فى كمال تلك الصفة فى ذلك الامر ذى الصفة حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة فان جعلت كلمة من فى الآية تجريدية يكون مطلوبهم ان يبلغ امرهم فى الرشد والهداية حدّا يصح مع ذلك الحدّ ان يستخلص منه امر آخر مثله فى الرشد وفى الوجه الاوّل تكون من متعلقة بهيئ ويكون المعنى انهم لما هربوا الى الكهف وفارقوا الناس وطلبوا سلامة الدين سألوا ربهم ان يهيئ لهم الرشد والاستقامة فى مفارقتهم الكفار ﴿قوله﴾ يعنى انمناهم انامة لاتنبههم فيها الاصوات ﴿يعنى ان ضرب الحجاب المانع من ان تصل الاصوات الموقظة الى آذانهم واسماعهم كناية عن الانامة الثقيلة وانما صلح كناية عنها لان الصوت والتنبيه طريق ازالة النوم فسدّ طريقه يدل على استحكام النوم وثقله وخصت الآذان دون العيون مع ان النوم يتعلق بها دون الآذان لان ضرب الحجاب على العين لايصلح كناية عن المبالغة فى النوم لان سدّ الابصار انما يدل على كمال ان لايكون ماهو طريق الازالة مؤثرا فى زواله ﴿قوله﴾ بنى على امرأته ﴿ اى بنى عليها القبة عند دخوله عليها فان المعرّس كان يبنى على اهله حجابا ﴿قوله﴾ ظرفان لضربنا ﴿ الاوّل ظرف مكان والثانى ظرف زمان والمعنى انمناهم فيه سنين ذوات عدد وقد بينها الله تعالى بقوله ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ﴿قوله﴾ ليتعلق علمنا تعلقا حاليا ﴿ لما كان قوله تعالى لنعلم متعلقا بقوله بعثناهم ودل الكلام على ان يكون علمه تعالى حادثا مترتبا على ايقاظهم دفع ذلك الاحتمال بما يدل على ان علمه تعالى سرمدىّ لايجوز عليه التغيير والزوال وانما التغيير فى المعلومات وانه تعالى عالم بها فى الازل على ما ستكون عليه فى اوقات حدوثها وبقائها وكلما تجدّد لها حال من الاحوال تعلق علمه تعالى بتلك الحال عند تجدّدها فالتجدّد والتغيير انما هو فى تعلقات العلم لا فى نفسه وقال هشام انه تعالى لايعلم الحوادث قبل وقوعها ولا يعلمها الا عند حدوثها واحتج عليه بهذه الآية ﴿قوله﴾ المختلفين منهم اومن غيرهم ﴿ اشارة الى ان اهل التأويل اختلفوا فى الحزبين قال مجاهد رضى الله عنه ان الحزبين من الفتية لان اصحاب الكهف لما انتبهوا اختلفوا فى انهم كم ناموا ويدل عليه قوله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما اوبعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فاصحاب الكهف كانوا حزبين استقل احدهما مدّة لبثهم واستطالها آخرون وهم الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وقال الفرّاء ان طائفتين من المسلمين اختلفوا فى مدّة لبثهم فى الكهف قبل خروجهم منه فبعثهم الله تعالى ولم يبين ذلك بل ابهمه وليس لنا حاجة الى تعيين ما ابهم الله تعالى بيانه ﴿قوله﴾ ولما لبثوا حال منه ﴿ اى من امدا لانه لو تأخر عنه لكان نعتا له فلما قدّم عليه صار حالا والمعنى ضبط امدا كائنا لزمان لبثهم فى الكهف وان كانت اللام لام العلة يكون المعنى حينئذ لنعلم اىّ الحزبين احصى اى علم كقوله احصاه الله ونسوه للسبب الذى لبثوا فيه لاجله ﴿قوله﴾ وقيل احصى اسم تفضيل ﴿ لم يرض به لان افعل من كذا لايبنى من باب افعل يفعل وقولهم ما اولاه للخير وما اعطاه للمال فمن الشواذ والشاذ النادر لايقاس عليه والمذلق يروى بالدال والذال وهو رجل من بنى عبد شمس وابوه واجداده يعرفون بالافلاس قال الشاعر فى حقه

* فانك ان ترجو تميما ونفعها * كراجى الندا والعرف عند المذلق *

وقوله وامدا نصب بفعل دل عليه احصى اى دل احصى الذى هو للتفضيل على ذلك الفعل المضمر من جنسه واحتج الى الاضمار لان افعل التفضيل لايعمل فى مظهر واوّل البيت

* ولم ارمثل الحىّ حيا مصبحا * ولامثلنا يوم التقينا فوارسا *
* اكرّ وأحمى للحقيقة منهموا * واضرب منا بالسيوف القوانسا *

المصبح المغار عليه وقت الصبح وحقيقة الرجل مايحق على الرجل ان يحميه والدفاع عنه من اهل بيته والقوانس

﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدوّ ﴿وهيئ لنا من امرنا﴾ من الامر الذى نحن عليه من مفارقة الكفار ﴿رشدا﴾ نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رأيت منك اسدا واصلى التهيئة احداث هيئة الشئ ﴿فضربنا على آذانهم﴾ اى ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى أنمناهم انامة لاتنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف فى قولهم بنى على امرأته ﴿فى الكهف سنين﴾ ظرفان لضربنا ﴿عددا﴾ اى ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدّة لبثهم كبعض يوم عنده ﴿ثم بعثناهم﴾ ايقظناهم ﴿لنعلم﴾ ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اوّلا تعلقا استقباليا ﴿اىّ الحزبين﴾ المختلفين منهم اومن غيرهم فى مدّة لبثهم ﴿احصى لما لبثوا امدا﴾ ضبط امدا لزمان لبثهم ومافى اىّ من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه احصى كقوله * وأضرب منا بالسيوف القوانسا

جمع قونس وهو اعلى البيضة من الحديد ويطلق على مابين اذنى الفرس ايضا يمدح كلا الفريقين اعدآءه واصحابه بقول لم ار مغارا عليهم مثل الذين صبحناهم ولامغيرين مثلنا يوم لقيناهم وصف المغار عليهم بكمال الشجاعة ليكون ادل على شجاعة من غلب عليهم فالقوانس فى البيت منصوب بفعل مقدّر من جنس افعل التفضيل اى يضرب القوانس لابنفس افعل التفضيل لانه لايعمل فى المظهر فكذا فيما نحن بصدده * فان قيل انه انما لايعمل فى مظهر فاعل او مفعول به فلم لايجوز ان يكون امدا منصوبا على التمييز ويعمل فيه احصى كما فى اكثر منه مالا واحسن وجها * اجيب بان التمييز فى امثال ذلك انما هو فاعل فى المعنى لان المال هو الذى كثر والوجه هو الذى حسن وليس الامد هو الذى احصى ﴿قوله﴾ تعالى آمنوا بربهم ﴿فيه التفات من التكلم الى الغيبة اذ لوجاء على نسق قوله نحن نقص عليك لقيل بربك وقوله زدناهم وربطنا التفات من هذه الغيبة الى التكلم ايضا ﴿قوله﴾ وقوّيناها بالصبر ﴿يعنى ان قوله تعالى وربطنا على قلوبهم استعارة تبعية شبه تثبيت قلوبهم وتقويتها وحملها على الصبر على الشدآئد التى تحملوها بربط الدابة وشدّها بالرباط وهو الحبل فان ربط الدابة شدّها بالرباط والمربط ايضا هو الحبل ومن المجاز ربط الله على قلوبهم لانه يتعدّى بنفسه الا انه نزل منزلة اللازم وزيدت كلمة على الاستعلائية للمبالغة والدلالة على كون الربط والتقوية مستوليا على قلوبهم مستقرّا عليها كما فى قوله ويجرح دوما فى عراقيبهم نصلى ﴿قوله﴾ اذ قاموا ﴿منصوب بربطنا والمعنى قوّينا قلوبهم اذ قاموا بين يدى ملكهم دقيانوس حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض اقرّوا بربوبية الله تعالى بين يدى ذلك الجبار بتقوية الله تعالى اياهم على مخالفته وعصيانه وقيل انهم كانوا عظماء المدينة فخرجوا منها ذات يوم فاجتمعوا ورآء المدينة من غير ميعاد فقال اكبرهم انى لأجد فى شيأ وهو ان ربى رب السموات والارض فقالوا نحن كذلك نجد فى انفسنا فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض ﴿قوله﴾ والله لقد قلنا قولا ذا شطط ﴿يعنى ان قوله لقد قلنا جواب قسم مضمر وشططا مصدر شطت الدار تشط اى بعدت وشط الرجل اى بعد عن الحق والشطط مجاوزة القرب فى كل شئ اشار اليه بقوله مفرط فى الظلم وانتصابه على انه صفة مصدر محذوف اى قولا ذا شطط لانّ اذا جواب وجزآء ﴿قوله﴾ تعالى لولا يأتون ﴿تحضيض فيه معنى الانكار وقوله عليهم تقديره على عبادتهم وعلى اتخاذهم فحذف المضاف للعلم به ولم يكتفوا بالانكار على اتخاذهم الشركاء وعبادتهم اياها من غير ان يقيموا برهانا قطعيا على صحته بل قالوا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى لا احد اظلم منه يعنون ان الحكم بان له تعالى شريكا وولدا مع فقدان مايدل عليهما ظلم وافترآء عليه تعالى ﴿قوله﴾ تعالى ومايعبدون ﴿ذكر فيه ثلاثة اوجه الاوّل ان ما بمعنى الذى والعائد محذوف اى واعتزلتم الذى يعبدونه اشار اليه بقوله ومعبوديهم وقوله الا الله مستثنى متصل من الذى يعبدونه والثانى ان تكون مامصدرية وان يكون الا الله مستثنى متصلا ايضا بتقدير المضاف اى واذ اعتزلتموهم اى تركتموهم وعبادتهم الا عبادة الله والثالث ان تكون نافية وتكون الجملة من كلام الله تعالى وقعت معترضة بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم والا مستثنى مفرّغ اخبر الله تعالى عن الفتية انهم لايعبدون غيره ﴿قوله﴾ من امركم ﴿متعلق بالفعل قبله ومن لابتدآء الغاية او للتبعيض وقيل هى بمعنى بدل كما فى قوله تعالى ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ويجوز ان يكون حالا من مرفقا فيتعلق بمحذوف ﴿قوله﴾ تعالى مرفقا ﴿قرأ الجمهور بكسر الميم وفتح الفاء وقرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء فقيل هما لغتان بمعنى واحد فى الجارحة وفى مايرتفق به اى ينتفع به وقد يستعمل كل واحد منهما فى موضع الآخر وقيل هما لغتان فيما يرتفق به واما الجارحة فبكسر الميم فقط ﴿قوله﴾ لنصوع يقينهم ﴿اى لخلوص يقينهم عن شوب الشك والناصع الخالص من كل شئ ﴿قوله﴾ لو رأيتهم ﴿يعنى ان قوله تعالى وترى ليس المراد به ان المخاطب يرى هذه الصورة بل المقصود بيان ان باب ذلك الكهف الى جهة الشمال نحو بنات نعش فتكون الشمس طالعة وغاربة لاتدخل عليهم فيؤذيهم حرّها وتغير الوانهم فالمعنى انك لو رأيتهم على هذه الصورة ثم اخبرانهم كانوا فى متسع من الكهف ينالهم فيه برد الريح ونسيم الهوآء قال وهم فى فجوة منه اى من الكهف والفجوة متسع فى مكان الراغب فى فجوة اى فى ساحة واسعة ﴿قوله﴾ لان الكهف كان جنوبيا ﴿اى كانت ساحة الغار وداخله فى جانب الجنوب وذلك يقتضى ان يكون بابه فى جانب الشمال ﴿قوله﴾ او لان الله تعالى زوّرها عنه ﴿يعنى ان للمفسرين فى تفسير الآية قولين الاوّل ان باب ذلك الكهف كان الى جانب الشمال مستقبل بنات نعش لايقع فيه شعاع الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب ولا فيما

﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ بالصدق ﴿انهم فتية﴾ شبان جمع فتىّ كصبىّ وصبية ﴿آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ بالتثبت ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ وقوّيناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجرآءة على اظهار الحق والردّ على دقيانوس الجبار ﴿اذ قاموا﴾ بين يديه ﴿فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا﴾ والله لقد قلنا قولا ذا شطط اى ذا بعد عن الحق مفرط فى الظلم ﴿هؤلاء﴾ مبتدأ ﴿قومنا﴾ عطف بيان ﴿اتخذوا من دونه آلهة﴾ خبره وهو اخبار فى معنى انكار ﴿لولا يأتون﴾ هلا يأتون ﴿عليهم﴾ على عبادتهم ﴿بسلطان بين﴾ ببرهان ظاهر فان الدين لايؤخذ الا به وفيه دليل على ان مالا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز ﴿فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ بنسبة الشريك اليه ﴿واذ اعتزلتموهم﴾ خطاب بعضهم لبعض ﴿ومايعبدون الا الله﴾ عطف على الضمير المنصوب اى واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم ﴿فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم﴾ يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم ﴿من رحمته﴾ فى الدارين ﴿ويهيئ لكم من امركم مرفقا﴾ ماترتفقون به اى تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوّة وثوقهم بفضل الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح ﴿وترى الشمس﴾ لو رأيتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ﴿اذا طلعت تزاور عن كهفهم﴾ تميل عنه ولايقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله تعالى زوّرها عنه

واصله تتزاور فادغمت التاء فى الزاى وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ﴿ذات اليمين﴾ جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين ﴿واذا غربت تقرضهم﴾ تقطعهم وتصرم عنهم ﴿ذات الشمال﴾ يعنى يمين الكهف وشماله لقوله ﴿وهم فى فجوة منه﴾ اى وهم فى متسع من الكهف يعنى فى وسطه بحيث يناله روح الهوآء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حرّ الشمس وذلك لان

والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذى يلى المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدّل هوآءه ولا يقع عليهم فيؤذى اجسادهم ويبلى ثيابهم ﴿ذلك من آيات الله﴾ اى شأنهم اوايوآؤهم الى كهف شأنه كذلك اواخبارك قصتهم اوازورار الشمس وقرصها طالعة وغاربة من آياته ﴿من يهد الله﴾ بالتوفيق ﴿فهو المهتد﴾ الذى اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم والتنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للتأمل فيها والاستبصار بها ﴿ومن يضلل﴾ ومن يخذله ﴿فلن تجد له وليا مرشدا﴾ من يليه ويرشده ﴿وتحسبهم ايقاظا﴾ لانفتاح عيونهم اولكثرة تقلبهم ﴿وهم رقود﴾ نيام ﴿ونقلبهم﴾ فى رقدتهم ﴿ذات اليمين وذات الشمال﴾ كيلا تأكل الارض مايليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ يقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقليبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اى وترى تقليبهم ﴿وكلبهم﴾ هو كلب مرّوا به فتبعهم فطردوه فأنطقه الله تعالى فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم اوكلب راع مرّوا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قرآءة من قرأ وكالبهم اى وصاحب كلبهم ﴿باسط ذراعيه﴾ حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل ﴿بالوصيد﴾ بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة ﴿لو اطلعت عليهم﴾ فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت عليهم بضم الواو ﴿لوليت منهم فرارا﴾ لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال ﴿ولملئت منهم رعبا﴾ خوفا يملأ صدرك لما ألبسهم الله من الهيبة اولعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية رضى الله عنه انه غزا الروم فمرّ بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضى الله عنه ليس لك ذلك وقد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعثنا ساقلما دخلوا جاءت ريح فأحرقتهم وقرأ الحجازيان للمثلت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائى ويعقوب رعبا بالتثقيل ﴿وكذلك بعثناهم﴾ وكما انمناهم آية بعثناهم آية على كمال (بعاقبة) قدرتنا ﴿ليتساءلوا بينهم﴾ ليسأل بعضهم بعضا فيتعرّفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم به عليهم

بين ذلك من حيث ان الشمس اذا طلعت تطلع عن يمين الكهف واذا غربت تغرب عن شماله فضوء الشمس ما كان يصل الى داخل الكهف وكان الهوآء الطيب والنسيم الموافق يصل اليهم فلا جرم بقيت اجسامهم مصونة عن العفونة والفساد والقول الثانى ان الله تعالى منع ضوء الشمس عن الوقوع عليهم عند طلوعها وعند غروبها وكان ذلك فعلا خارقا للعادة وكرامة عظيمة خص الله تعالى بها اصحاب الكهف قاله الزجاج واستدل على صحته بقوله ذلك من آيات الله قال ولو كان الامر كما ذكره اصحاب القول الاوّل لما كان ذلك كرامة عجيبة من آيات الله ﴿قوله واصله تتزاور﴾ وذلك لانه اختار قرآءة تزاور بفتح الزاى المشدّدة واصله تتزاور فاسكنت التاء الثانية فادغمت فى الزاى وقرأ الكوفيون تزاور بحذف احدى التاءين للتخفيف وابن عامر ويعقوب تزور بسكون الزاى وتشديد الرآء من الازورار وهو العدول عن الشئ والزور بالتحريك الميل يقال زور عنه وازورّ عنه وتزاور عنه تزاورا كله عدل عنه وانحرف ﴿قوله وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين﴾ اى خلاصة المعنى ان الشمس حين طلوعها تميل عن كهفهم جهة اليمين الا ان ذات اليمين صفة اقيمت مقام الموصوف لما تقرّر ان كلمة ذو وذات موضوعة لان يوصف بها النكرة ولعل تعريف الجهة للعهد الذهنى فيكون كالنكرة معنى ولو قال جهة ذات اسم اليمين لكان اظهر ﴿قوله والمراد به اما الثناء عليهم﴾ لانهم تفكروا فى دلائل وحدانية الله تعالى وعظمته وقدرته من غير ان يأتيهم بذلك وحى الهى ومن غير ان يقرأوا كتابا سماويا وان يجالسوا اهل التوحيد والمعرفة لكونهم فى زمان فترة من الرسل قبل ان يبعث الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام فيكون قوله تعالى من يهد الله فهو المهتدى كالتذييل للكلام السابق من قوله تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف الى ههنا وجيئ به عاما فى كل من سلك طريق المهتدين ومن آثر الغواية وقلبه قلب اسلافه الضالين ليدخل اصحاب الكهف فى الاوّلين دخولا اوّليا ويدخل دقيانوس الضال فى الآخرين كذلك والتذييل هو ان تقطع الكلام بما يشتمل على معناه تأكيدا ولا محل له من الاعراب ﴿قوله او التنبيه الخ﴾ على ان يكون قوله من يهد الله فهو المهتدى مرتبطا بقوله ذلك من آيات الله وفى التيسير قيل ذلك من آيات الله اى ما اخبرنا من قصتهم آية صدقك فى دعوى النبوّة فمن هداه الله بها صدّقك لذلك فآمنوا بالله تعالى ووحدوه واعتزلوا اهل الشرك والضلال وآثروا المواضع الخالية فى الجبال على طيب العيش فى الاوطان والاموال طلبا لمرضاة الملك المتعال ﴿قوله تعالى وتحسبهم ايقاظا﴾ قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائى بكسر السين ومعناه كما ذكر فى قوله وترى الشمس اى فلو رأيتهم لحسبتهم ايقاظا وهو جمع يقظ ويقظ بضم القاف وكسرها وهو اليقظان ورقود جمع راقد كقاعد وقعود ﴿قوله او كلب راعى مرّوا به﴾ اى مروا براعى غنم فقال لهم اين تذهبون فقالوا نفرّ من هذا الجبار فقال الراعى ما انا اغنى عن ربى منكم فترك غنمه ولحق بهم فتبعه كلبه ﴿قوله وقيل الوصيد الباب﴾ قيل الكهف لا يكون له باب ولا عتبة والمراد موضع الباب والعتبة ﴿قوله وقرئ لو اطلعت عليهم بضم الواو﴾ وقرأها الجمهور بكسر الواو على ما هو الاصل فى التقاء الساكنين وقرئ بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير عن عباس رضى الله عنهما انه غزا مع معوية غزوة المصطلق نحو الروم فروا بالكهف الذى فيه اصحاب الكهف فقال معوية لو كشف لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله ذلك من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فقال معوية لا انتهى حتى اعلم علمهم فبعث رجلا فقال لهم اذهبوا فادخلوا الكهف فارسل الله عليهم ريحا فاحرقتهم كذا فى الوسيط ﴿قوله ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم﴾ فانه يجوز ان حالة غريبة تدل على كمال قدرة الله تعالى فيزدادون هدى واستيقانا وفى شرح التأويل اخبر الله تعالى انه انما بعثهم للتساؤل فحينئذ لا تكون اللام لام كى بل هى لام العاقبة لانه لما علم منهم ما يكون عند بعثهم من التساؤل بعثهم لذلك وكذلك جميع ما يخلق ويشاء انما يخلق لما يعلم انه كذا فيظهر ما علم على ما علم وهو كقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجنّ والانس ذرأهم لما علم انه يكون منهم وهو ان يعملوا عمل اهل جهنم فيصيروا اليها وعلى هذا قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون معناه ان من علم انه يعبد ويعمل عمل اهل الجنة خلقه كذلك والحاصل ان كل ما يخلقه الله تعالى انما يخلقه لما يعلم انه يكون منه اذ لا يجوز ان يخلق لغير ما يعلم انه يكون منه اذ يجرى الفعل لذلك مجرى العجز او الجهل بالعواقب وهو متعال عن ذلك علوّا كبيرا او يخرج الفعل لذلك مخرج العجز او الجهل بالعواقب فاذا كان الله تعالى عالما بما كان وما يكون وتعالى عن ان يكون فعله عبثا لم يجز ان يخلق شيأ بغير ما علم انه يكون وهكذا يكون فى الشاهد فان من عمل عملا لغير ما علم انه يكون فهو عابث وجاهل

بعاقبة عمله وكم فى قوله تعالى كم لبثتم استفهامية منصوبة بالفعل الذى بعدها كما فى قولك كم يوما صمت لان الفعل الذى بعدها غير مشتغل بضميرها وفى مثله تكون كم معربة على حسب اقتضاء العامل والمميز محذوف تقديره كم يوما لبثتم حذف لدلالة الجواب عليه واو فى قوله او بعض يوم للشك منهم لما ذكره من ان جوابهم هذا مبنى على غالب الظن قيل انهم دخلوا الكهف اوّل النهار فنظروا حين استيقظوا فاذا هو آخر النهار فقالوا لبثنا يوما ثم رأوا من الشمس بقية فقالوا او بعض يوم وهم فى هذا الجواب وان كانوا مخطئين الا انهم لما بنوا هذا الجواب على غالب الظن وكان الامر عندهم كذلك لم يوصفوا فيه بالكذب ولم يؤاخذوا به ﴿ قوله ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى ﴾ يدل على ان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وان ما بعده بدل منه وعلى الاحتمال الثانى يكون اصحاب الكهف ثلاث فرق قال واحد منهم كم لبثتم واجاب جماعة منهم بان قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وانكر عليهم الآخرون بان قالوا ربكم اعلم بما لبثتم روى ان ابن عباس استدل بهذه الآية على ان الصحيح من الاقوال فى عددهم انهم سبعة لان الله تعالى قال فى اوّل الآية قال قائل منهم هذا واحد وقال فى جواب قول هذا القائل قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقالوا قول جمع اوّل واقله ثلاثة ثم قال قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وهذا قول جمع آخر سواهم خاطب هذا الجمع الاوّل بان قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فكان المجيبون ستة والسائل واحدا فالمجموع سبعة ﴿ قوله ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم ﴾ بيان لوجه ارتباط قولهم فابعثوا احدكم الآية بما قبله الذى هو تذاكر حديث اللبث مع انه لا مناسبة بينهما بحسب الظاهر وتقريره ان الآية من باب اسلوب الحكيم كقوله

* اتت تشتكى عندى مزاولة القرى * وقد رأت الضيفان ينحون منزلى *
* فقلت كأنى ما سمعت كلامها * هم الضيف جدى فى قراهم وعجلى *

وكقول بعضهم للحجاج وقد قال الحجاج له متوعدا لاحملنك على الادهم يعنى القيد مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب اى على الفرس الادهم يعنى الذى غلب سواده والاشهب الذى غلب بياضه فان المتكلم قد يتلقى المخاطب بغير كلامه لحمله على وجه آخر وقوله وقرأ ابو عمرو الى قوله بالتخفيف اى باسكان الرآء وفتح الواو والباقون بكسر الرآء وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الرآء وادغام القاف فى الكاف وقرئ بالتخفيف اى باسكان الرآء وكسر الواو وبادغام القاف فى الكاف وبعدم ادغامها ﴿ قوله وحلهم له ﴾ اى حمل اصحاب الكهف الورق يدل على ان امساك الزاد امر مشروع لا ينافى التوكل ﴿ قوله من العود بمعنى الصيرورة ﴾ كما يقال للآخرة معاد فانه من العود بمعنى التحوّل لا من العود بمعنى الرجوع الى الامر الاوّل ﴿ قوله اذ دخلتم فى ملتهم ﴾ قدّره لكون اذا مضافا * فان قيل أليس انهم لو اكرهوا على الكفر حتى اظهروا ولم يكن عليهم مضرّة فكيف قالوا ولن تفلحوا اذا ابدا * اجيب بانه يحتمل ان يكون المراد انهم خافوا من انهم لو ردوا الى الكفر وبقوا مظهرين لذلك الكفر مدّة لربما تميل قلوبهم الى ذلك الكفر ويصيرون كافرين فى الحقيقة فلهذا الاحتمال خافوا وقالوا ذلك ﴿ قوله أطلعنا عليهم ﴾ اى على احوالهم غيرهم يقال عثرت على كذا اى علمته واختلفوا فى السبب الذى عرف الناس طول مدّة اصحاب الكهف على وجهين الاوّل انه طالت شعورهم واظفارهم طولا مخالفا للعادة وظهرت فى بشرة وجوههم آثار عجيبة تدل على ان مدّتهم قد طالت طولا خارجا عن العادة والثانى ان ذلك الرجل الذى بعثوه الى المدينة لما ذهب الى السوق ليشترى الطعام اخرج الدراهم التى عليها اسم دقيانوس فقال صاحب الطعام هذه الدراهم غير موجودة فى هذا اليوم وانما كانت موجودة قبل هذا الوقت بمدّة مديدة ودهر داهر فلعلك وجدت كنزا فاجتمع الناس اليه وحملوه الى ملك البلد فقال الملك من اين وجدت هذه الدراهم فقال بعت بها شيأ من التمر وخرجنا فرارا من الملك دقيانوس فعرف ذلك الملك انه ما وجد كنزا بل الله تعالى بعثه بعد موته ﴿ قوله ليعلموا ان وعد الله بالبعث ﴾ على ان الوعد مصدر على حاله اى ليعلموا ان ما اخبرهم الرسل من بعث الاموات ليس اختراعا من عند انفسهم بل كونه وعد الله تعالى وخبرا منه حق فان القوم لما علموا ان الله تعالى أنامهم مدّة طويلة وابقاهم من غير طعام ولا شراب فى تلك المدّة على ان الانسان لا يبقى من غير طعام ولا شراب فى مدّة اسبوع فضلا عن مثل تلك المدّة علموا ان من قدر على حفظهم من كل ضرر واذى وابقائهم فيها لقادر على البعث والاحياء بعد الموت ولا يعجز عن شئ يريد كونه ﴿ قوله حين اماتهم الله تعالى ثانيا ﴾ فان الملك وقومه لما رأوا يعثان ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اوّل مرّة مدّة لبثه ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى ﴿ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ﴾ ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم لما دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم فى يومهم او اليوم الذى بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ئم علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا ﴿ فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة ﴾ والورق الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف فى الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم وردّ المدغم لالتقاء الساكنين على غير حدّه وحلهم له دليل على ان التزوّد رأى المتوكلين والمدينة طرسوس ﴿ فلينظر ايها ﴾ اى اهلها ﴿ ازكى طعاما ﴾ احل واطيب واكثر وارخص ﴿ فليأتكم برزق منه وليتلطف ﴾ وليتكلف اللطف فى المعاملة حتى لا يغبن او فى التخفى حتى لا يعرف ﴿ ولا يشعرنّ بكم احدا ﴾ ولا يفعلنّ ما يؤدّى الى الشعور ﴿ انهم ان يظهروا عليكم ﴾ ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدّر فى ايها ﴿ يرجموكم ﴾ يقتلوكم بالرجم ﴿ او يعيدكم فى ملتهم ﴾ او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اوّلا على دينهم فآمنوا ﴿ ولن تفلحوا اذا ابدا ﴾ اذ دخلتم فى ملتهم ﴿ وكذلك اعثرنا عليهم ﴾ وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ﴿ ليعلموا ﴾ ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ﴿ ان وعد الله ﴾ بالبعث او الموعود الذى هو البعث ﴿ حق ﴾ لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث ﴿ وان الساعة لا ريب فيها ﴾ وان القيامة لا ريب فى امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردّها عليها ﴿ اذ يتنازعون ﴾ ظرف لأعثرنا اى اعثرنا عليهم حين يتنازعون ﴿ بينهم امرهم ﴾ امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجرّدة وبعضهم يقول

او قال طائفة نبنى عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذنّ عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال تعالى ﴿ فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذنّ عليهم مسجدا ﴾ وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض امامن الله ردّا على الخائضين فى امرهم من اولئك المتنازعين فى زمانهم اومن المتنازعين فيهم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم اومن المتنازعين للردّ الى الله بعدما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام فى انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حتى ان المبعوث لمادخل السوق واخرج الدراهم وكان عليها اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فرّوا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلوهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شرّ الجنّ والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك فى الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اوّلا ثلا يفزعوا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا ﴿ سيقولون ﴾ اى الخائضون فى قصتهم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين ﴿ ثلاثة رابعهم كلبهم ﴾ اى هم ثلاثة رجال ربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ﴿ ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ﴾ قاله النصارى اوالعاقب منهم وكان نسطوريا ﴿ رجما بالغيب ﴾ يرمون رميا بالخبر الخفى الذى لامطلع لهم عليه واتيانا به اوظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظنّ وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ماهو فيه ﴿ ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ انما قاله المسلمون باخبار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم عن جبرائيل عليه السلام وايماء الله تعالى اليه بان اتبعه قوله ﴿ قل ربى اعلم بعدّتهم مايعلمهم الاقليل ﴾ واتبع الاوّلين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعدما حصر اقوال الطوائف فى الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع فى نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم ردّ الاوّلين بان اتبعهما رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا من المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت

اصحاب الكهف ووقفوا على احوالهم عاد القوم الى كهفهم فاماتهم الله تعالى فعند هذا اختلف الناس فقال قوم انهم نيام كالمرّة الاولى وقال آخرون بل الآن ماتوا ﴿ قوله ﴾ او قال طائفة نبنى عليهم بنيانا ﴿ عطف على قوله فقال وقوله بنيانا يجوز ان يكون مفعولا به جمع بنيانة وان يكون مصدرا ﴿ قوله ﴾ وقيل لما انتهوا الى الكهف ﴿ اى وروى ان الملك واهل المدينة لما دخلوا عليهم وعمى عليهم مكانهم حين دخله الفتى وهو يملخا وانما علم اهل المدينة حقيقة البعث وحقيقة استدلاله باخبار يملخا عنهم وثبت عندهم صدقه بما شاهدوا من حاله ومامعه ﴿ قوله قيل هو قول اليهود ﴾ وهذا القول يستدعى ان يكون اطلاع اهل المدينة على حال اصحاب الكهف قبل بعثة موسى عليه الصلاة والسلام لان علم اليهود باحوالهم يستلزم ان تكون احوالهم مذكورة فى التوراة وذكر فى شرح التأويلات انه اختلف فى وقتهم قال بعضهم كان فيما بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه وقال بعضهم كان ذلك قبل بعث موسى عليه الصلاة والسلام وهو قول الحسن وابى بكر وغيرهما وهذا اشبه لانهم انما سألوا عنه اهل التوراة وهم اليهود فلا يحتمل ان يكون بعد عيسى وهم لا يؤمنون بعيسى ولا بالانجيل ﴿ قوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم ﴾ اى امر اصحاب الكهف قيل المراد به الملك المسلم وقيل اولياء اصحاب الكهف وقيل رؤساء البلد لان من له الغلبة فى هذا النزاع لابدّ ان يكون احد هؤلاء ذكر فى القصة ان الملك جعل على باب الكهف مسجدا وجعل عنده عيدا عظيما وامر ان يؤتى كل سنة وعن الزجاج انه قال هذا يدل على انه لما ظهر امرهم غلب المؤمنون بالبعث والنشور لان المساجد للمؤمنين به ثم انه تعالى اخبر انه سيقع نزاع فى عددهم وقد وقع ذلك لما وفد نصارى نجران على النبى صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقالت اليعقوبية منهم كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقالت النسطورية منهم كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقالت المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم ولفظ يقولون فى المواضع الثلاثة جيء للاستقبال اما الاوّل فلكونه مصدّرا بسين الاستقبال واما الآخران فلكونهما معطوفين على يقولون الاوّل فيكونان داخلين فى حكم السين وهو المتبادر من قوله اكتفاء بعطفه على ماهو فيه لان الواو ولما كانت لمطلق الجمع كان معنى يقولون بعد سيقولون انه سيحصل منهم الاقوال الثلاثة فلو قيل سيقولون لكان تكرارا لما يدل على الاستقبال وان جعل الاخيران معطوفين على قوله سيقولون يحملان ايضا على الاستقبال لاشتراك لفظ المضارع بين الحال والاستقبال واختصاصه فى هذا الموضع بالاستقبال بقرينة المقام كاختصاص الاوّل به بواسطة السين ﴿ قوله يرمون رميا بالخبر الخفى الذى لامطلع لهم عليه واتيانا به ﴾ اشارة الى ان رجما منصوب بمقدّر من لفظه اى يرجمون رجما وان الرجم معناه الرمى واتيان الكلام والتكلم به من غير تدبر وعلم بحقيقة كلامه والمطلع مصدر ميمى بمعنى الاطلاع ويحتمل ان يكون اسم فاعل من باب الافعال ﴿ قوله وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة ﴾ فان الجملة اذا وقعت صفة للنكرة جاز ان يدخلها الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف فان للصفة نوع اتصال بالموصوف فاذا اريد تأكيد ذلك الاتصال واللصوق وسط بينهما هذه الواو لتؤذن ان هذه الصفة غير منفكة عن الموصوف لازمة له غير مفارقة عنه كما تتوسط بين الجملة الواقعة حالا وبين ذى الحال تأكيدا لما بينهما من اللصوق والاتصال وتنبيها على اللصوق والاتصال الاترى ان ماوقع صفة للنكرة اذا تقدّم عليها وهى بعينها تصير حالا ولو لم يكونا متحدتين معنى لما كان كذلك سواء كان فى الصورة اى فى اعتبار المعرفة والنكرة اوفى المعنى ايضا لما ذكرنا فلما توسطت الواو بين الجملة والمعرفة التى قبلها لمجرّد الربط وتأكيد الاتصال توسطت بين الجملة والنكرة ايضا لذلك وماقيل من ان دخول الواو بين الصفة والموصوف غير مستقيم لاتحاد الصفة والموصوف ذاتا وحكما وتأكيدا للصوق يقتضى شيئين مبنىّ على ان تكون الواو فى مثل هذا الموضع عاطفة مقتضية للمغايرة وليست كذلك بل هى تجرّدت لمحض الجمعية واللصوق فان واو العطف تقتضى المغايرة وتتضمن معنى الجمعية فاذا اريد منها معنى الجمعية دون المغايرة كان من باب اطلاق اسم الكل على الجزء كهمزة الاستفهام فى قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون فان الهمزة فيه مسلوبة الدلالة على معنى الاستفهام متمحضة لمجرّد الاستواء كتمحيض النداء فى قولك انا نفعل كذا ايتها العصابة فانه لمجرّد الاختصاص ومسلوب عنه معنى طلب الاقبال وقيل انها واو الثمانية فان السبعة عند العرب كانت متميزة عن سائر اسماء العدد من حيث دلالتها

على الكثرة والمبالغة فى العدد قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرّة على معنى ان تكثر الاستغفار لهم غاية الاكثار فاذا ذكروا سبعة جاؤا بالواو لتدل على ان السبعة دالة على الكثرة والمبالغة فى العدد وان مدخولها ثامن فلما كانت السبعة اصلا فى المبالغة فى العدد عندهم كانوا اذا وصلوا الى الثمانية ذكروا لفظا يدل على الاستئناف فقالوا وثامنهم وكان قريش اذا عدّوا يقولون واحد اثنان ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة فيدخلون الواو على عقد الثمانية خاصة وكان العقد عندهم سبعة كما انه اليوم عندنا عشرة فاذا جاوز السبعة جاؤا بالواو على الاستئناف ونظيره قوله تعالى التائبون العابدون الى قوله والناهون عن المنكر وقوله تعالى فى حق ازواج النبى صلى الله عليه وسلم عسى ربه ان طلقكنّ ان يبدّله ازواجا خيرا منكنّ مسلمات مؤمنات الى قوله وابكارا فان قوله والناهون عن المنكر هو الثامن ومنه قوله تعالى اذا جاؤها وفتحت ابوابها بالواو لان ابواب الجنة ثمانية وابواب النار سبعة وكذا قوله وابكارا ثامن ماتقدّم ولم يذكر المصنف هذا الوجه لان هذه الواو لم تثبت فى اللغة وقد انكرها حذاق النحاة ﴿قوله واسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره﴾ وكان الملك يستشير هؤلاء الستة وكانوا يتصرّفون فى مهماته والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس قيل اسمه كفيشططيوش وروى عن ابن عباس ان اسماءهم مكشلينا ويمليخا ومرطوش وينبوش وسارينوش ودونوارش وكفيشططيوش قال عبدالله بن عمر اذا وقع الحريق فى موضع فكتبت هذه الاسماء على قطعة ورق وطرحت فى الحريق طفئ باذن الله تعالى ﴿قوله فلا تجادل فى شأن الفتية﴾ فان المرآء فى اللغة الجدال يقال ماراى يمارى مراة ومرآء اى جادل والمراد بكون الجدال ظاهرا ان لا يتعمق بل يقتصر على ماوحى اليه فى القرآن وهو انه لا يعلم عددهم الا القليل فوجب التوقف وترك قطع النزاع ونظيره قوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن ونقل عن الفرآء انه اتاه صلى الله عليه وسلم فريقان من نصارى نجران يعقوبى ونسطورى فسألهم النبى صلى الله عليه وسلم عن عدد اصحاب الكهف فنهى عنه بقوله تعالى ولا تستفت فيهم منهم احدا ﴿قوله ولم يستثن﴾ اى لم يقل ان شاء الله سمى قولك ان شاء الله كلمة استثناء لانه عبر عنها بقوله الا ان يشاء الله قيل احتبس الوحى بعده خمسة عشر يوما وفى رواية اربعين يوما ثم نزلت هذه الآية جعل قوله الا ان يشاء الله متعلقا بالنهى وذكر لتعلقه به وجهين الاوّل ان يجعل الا ان يشاء الله مستثنى مفرّغا من اعم الاحوال بان يقدّر المضاف بعد الباء المقدّرة بعد الا ويحذف مفعول المشيئة وهو الضمير الراجع الى الفعل المدلول عليه بقوله انى فاعل ذلك اى لا تقولنّ انى فاعله غدا فى حال من الاحوال الا فى حال كونك ملتبسا بذكر مشيئة الله والثانى ان يجعل مستثنى مفرّغا من اعم الاوقات اى لا تقولنّ ذلك من تلقاء نفسك فى وقت ما الا فى وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه وفيه وجه ثالث وهو الا ان يشاء الله فى معنى كلمة تأبيد كأنه قيل فلا تقولنّه من تلقاء نفسك ابدا فيحمل الاستثناء على تأكيد النهى والمبالغة على هذا الوجه فهو وجه تعلقه به ﴿قوله ولا يجوز تعليقه بفاعل﴾ لان قوله تعالى الا ان يشاء الله ان كان متصلا بقوله انى فاعل لا يخلو اما ان يكون المستثنى اقتران المشيئة بالفعل او اعتراضها قبله ولا وجه لشئ منهما اما الاوّل فلان المشيئة المقترنة بالفعل سواء كانت مشيئة الفعل بالفعل توجب الفعل ولا تنافيه حتى يصح استثناؤه من قوله انى فاعل ذلك بكل حال ومشيئة الله تعالى بترك الفعل لا يمكن اقترانها بفعل العبد حتى يصح استثناؤها منه واما الثانى فلأنه لو كان المراد انى فاعل ذلك غدا بكل حال الا فى حال ان تعترض مشيئة الله تعالى بترك الفعل لأفاد كون هذا القول منهيا عنه ولا وجه لان ينهى العبد عن ان يقول انى فاعل ذلك فيما يستقبل الا ان يشاء الله تعالى منى ترك الفعل لان تمكن العبد من الفعل متوقف على انتفاء مشيئة الترك فكيف ينهى عن تقييد الفعل بانتفائها وتعليقه عليه فلما امتنع تعلقه بقوله انى فاعل تعين تعلقه بالنهى على احد الوجهين نهى الله تعالى عن ان يعد الانسان عدة ولا يستثنى فيها لان العدة اضافة الفعل الى نفسه وهو لا يستقل فى افعاله فلذلك امر بان يلحق الاستثناء بها لئلا يلحقه معرّة الخلف فى الوعد اذا لم يفعل ماوعد فقول الواعد ان شاء الله يدفع عنه حنث خلف الوعد على تقدير عدم وفائه بعهده لان ارادة الله تعالى لا يقدر العبد على ايقاعها فلا يحنث بتركه الا انهم اختلفوا فى ان الاستثناء هل يجب ان يكون متصلا بما قبله فى اللفظ لدفع الحنث او لا يجب فذهب ابن عباس ومن تبعه الى انه لا يجب ان يكون متصلا به حتى اذا نسى ان يقول ان شاء الله ثم تذكر بعد سنة وقاله كفى

وعن علىّ رضى الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم واسماءهم يمليخا ومكشلينا ومشلمينا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعى الذى وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم ﴿فلا تمار فيهم الا مرآء ظاهرا﴾ فلا تجادل فى شأن الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما فى القرآن من غير تجهيل لهم والردّ عليهم ﴿ولا تستفت فيهم منهم احدا﴾ ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما اوحى اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح المسئول عنه وتزييف ماعنده فانه مخل بمكارم الاخلاق ﴿ولا تقولنّ لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله﴾ نهى تأديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال ائتونى غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحى بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهى اى ولا تقولنّ لاجل شئ تعزم عليه انى فاعله فيما يستقبل الا بان يشاء الله اى الا ملتبسا بمشيئه قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهى

فى دفع الحنث واحتج عليه بقوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت وذلك لان الظاهر انه كلام متصل بما قبله والتقدير انه اذا نسى ان يقول ان شاء الله فليذكره اذا تذكر وقوله واذكر غير مختص بوقت معين بل يتناول جميع الاوقات فوجب ان يكون دافعا للحنث فى اىّ وقت ذكره * واعلم ان استدلال ابن عباس ظاهر فى ان الاستثناء لا يجب ان يكون متصلا واما الفقهاء فقالوا انا لو جوّزنا ذلك لزم ان لا يستقرّ شئ من العهود والايمان * حكى انه بلغ المنصور أن اباحنيفة خالف ابن عباس فى الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك فانك تأخذ البيعة بالايمان كما يقول المبايع ابايعك على السمع والطاعة ثم يؤكدها بالايمان بان يقول والله لا اخرج من هذه البيعة فلو جاز انفصال الاستثناء لجاز ان يخرج من عندك ويستثنى بان يقول الا زمان كذا او لامر كذا او ان يفعل كذا فاستحسن المنصور كلامه ورضى عنه * قال الامام حاصل كلامهم يرجع الى تخصيص النص بالقياس وفيه مافيه وايضا فلو قال ان شاء الله تعالى فى نفسه خفية بلسانه بحيث لم يسمعه احد فهو معتبر ودافع للحنث بالاجماع مع ان المحذور الذى ذكروه حاصل فثبت ان الذى عوّلوا عليه ليس بقوىّ والاولى ان يحتج على وجوب كون الاستثناء متصلا بدليل آخر ﴿قوله ولذلك جوّز﴾ اى لما ذكر من الآية ولما روى انه عليه الصلاة والسلام قال ان شاء الله لما نزل قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت ولما روى عن ابن عباس استدل المصنف بها على جواز تأخير الاستثناء عن القول السابق ثم ذكر دليل عامة الفقهاء على عدم جوازه على سبيل المعارضة لدليل المجوّز ثم اجاب عن دليل المجوّز بقوله وليس فى الآية والخبر * وتقريره ان معنى الآية قل ان شاء الله اذا سبق منك وعد وفرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وهو انما يدل على جواز تأخير الاستثناء عن القول السابق ان لو كان الاستثناء المتدارك به من القول السابق ولم يلزم ذلك لانه يجوز ان يكون الاستثناء من مقدّر يدل عليه القول السابق مثلا اذا قال اكرمك فيما يستقبل ونسى الاستثناء ثم تذكره بعد زمان فقال ان شاء الله تعالى جاز ان لا يتعلق هذا الاستثناء بالوعد السابق بل بمقدّر يدل عليه ذلك الوعد وكذا الحال فيما روى من الخبر فان قوله عليه الصلاة والسلام ان شاء الله ليس متعلقا بقوله السابق فى غدا اخبركم بل بمقدّر يدل هو عليه ولم يندفع به حنث خلف الوعد الذى هو من قبيل ترك الاولى والافضل ﴿قوله ويجوز ان يكون المعنى﴾ عطف على قوله مشيئة ربك بحسب المعنى وهو جواب آخر من قبل عامة الفقهاء بمنع ان يكون معنى الآية واذكر مشيئة ربك واستثن اذا ذكرته وباحتمال عدم ارتباطها بما قبلها وضبط ماذكره من الوجوه ان قوله واذكر ربك اذا نسيت اما ان يكون متعلقا بما قبله اولا بل يكون كلاما مستأنفا فان تعلقه بما قبله فيه احتمالان الاوّل ان يكون المعنى اذا نسيت ان تقول ان شاء الله حين وعدت فقله اذا تذكرت والثانى ان يكون المعنى اذا نسيت ذلك استغفر الله وتب اليه ويكون المقصود من الامر بالاستغفار المبالغة فى الحث على الاستثناء على سبيل التغليظ والتشديد على تركه بايهام ان تركه من الذنوب التى تجب فيها التوبة وان لم يتعلق بما قبله بل كان كلاما مستأنفا ففيه قولان فعلى القول الاوّل يقدّر مفعول تركت وهو قوله بعض ماامرك به لا على الثانى بل يجرى مجرى اللازم فسر قوله اذا نسيت بقوله اذا تركت بعض ماامرك به لان النسيان قد يستعمل فى الترك مجازا بطريق اطلاق المسبب وارادة السبب لان الترك سبب للنسيان فالنسيان المذموم هو ما كان مستندا الى السبب الاختيارى والمعذور من نحو ماروى فى الحديث * رفع عن امتى الخطأ والنسيان * هو ما لم يستند الى سبب كذلك وهناك قول ثالث وهو ان يحمل قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها فيكون مفعول نسيت مقدّرا هو اداء الصلاة والظاهر هو الاحتمال الاوّل وان يكون واذكر ربك اذا نسيت متعلقا بما قبله لانه على تقدير ان يكون كلاما مستأنفا يلزم جواز عدم ارتباط بعض الآيات ببعضها وهو بعيد ﴿قوله واظهر دلالة﴾ عطف تفسير لقوله اقرب رشدا فسر اقرب باظهر وفسر رشدا بقوله دلالة والرشد مصدر رشد يرشد من باب علم ومعناه ضدّ الغواية لا الدلالة التى هى ارشاد الغير فتفسيره بالدلالة يستلزم ان يكون الرشد بمعنى سبب الرشد وان يكون تسمية المعجزة بالرشد للمبالغة فى كونها سببا له على تأويل انها ذو رشد وجعل لفظ هذا فى قوله لاقرب من هذا رشدا اشارة الى نبأ اصحاب الكهف فكان المعنى ايها المشركون انكم قد استعظمتم الاخبار عن حالهم وبيان نبأهم وقصتهم وقد بينت لكم ما اوحى الىّ وانى لأطمع من ربى ان يعطينى من الآيات الدالة على نبوّتى ما هو اعظم فى الدلالة عليها ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا افتتح القصة بتقليل

(شأنها)

﴿واذكر ربك﴾ مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روى انه لما نزل قال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله ﴿اذا نسيت﴾ اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوّز تأخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرّر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس فى الآية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدّر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة فى الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسىّ ﴿وقل عسى ان يهدين ربى﴾ يدلنى ﴿لأقرب من هذا رشدا﴾ لاقرب رشدا واظهر دلالة على انى نبىّ من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعدة عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة فى اعصارا لمستقبلة الى قيام الساعة

شأنها ثم اختتمها باطماع ماهو اعظم منها واقرب ارشاداً للمسترشدين ﴿قوله﴾ اولأ قرب رشداً وادنى خيراً من المنسيّ ﴿﴾ فعلى هذا يكون قوله تعالى وقل عسى مرتبطا بقوله واذكر ربك لا بمجموع القصة بان يكون معطوفا على ماهو العامل فى قوله تعالى اذأوى الفتية الى الكهف على معنى اذكر اذأوى الفتية وقل عسى ان يهدينى ربى ويكون المعنى على الوجه الثانى واذكر ربك اذا نسيت شيأ واطمع منه ان يهديك لشئ آخر بدل المنسيّ وقل عسى ان يهدينى ربى لشئ آخر وهو اقرب رشداً ومنفعة من المنسيّ فيكون لفظ هذا اشارة الى المنسيّ ﴿قوله﴾ وهو بيان لما اجمله ﴿﴾ اى بقوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا فانه تعالى اجمل قصتهم بقوله اذأوى الفتية الى قوله نحو نقص عليك نبأهم ثم شرع فى تفصيلها بقوله نحن نقص وساق الكلام فى تفصيلها الى ان عين فى آخر مدّة لبثهم فى كهفهم احيانا محفوظة اجسادهم ﴿قوله﴾ على وضع الجمع موضع الواحد ﴿﴾ فانه لا وجه لقرآءة الاضافة سوى ان يكون سنين تمييزا وحق مائة ان يضاف الى مميزه مفردا ويقال ثلاثمائة سنة كما يقال ثلاثمائة رجل وثلاثمائة درهم قال ابن الحاجب وميز مائة والف وتثنيتهما وجمعهما مخفوض مفرد فقد ظهر ان الاصل فى الاستعمال افراد مميز مائة لكن وضع الجمع مكانه مبالغة فى الدلالة على الكثرة كما وضع الجمع موضع الواحد فى قوله تعالى بالاخسرين اعمالا فان الاصل فيه بالاخسرين عملا لاستقلاله بحصول الفائدة مع كون المفرد اخف لكن اوثر الجمع مبالغة وتنصيصا على الانواع بان كل نوع كأنه جنس مستقل يكفى لزيادة خسرانهم هذا هو الوجه العام لوضع الجمع موضع الواحد وسوّغه ههنا امران الاوّل ان ما فى لفظ سنين من علامة الجمع ليست متمحضة لكونها علامة الجمع بل هى جبر لما حذف من لفظ سنة فكانت كأنها من تمام بناء الواحد قيل اصل سنة سنهة مثل جبهة لانها من سنهت النخلة وتسنهت اذا اتت عليها السنون وقيل المحذوف منه الواو وتشهد اطلاقات العرب على كل واحد من القولين فانهم يقولون سنهت عنده وتسنيت عنده واستأجرته مساناة ومسانهة وتقول فى التصغير سنية وسنيهة والثانى ان الاصل اى القياس المرفوض فى العدد اضافته الى الجمع لكون المعدود جماعة اى فيما فوق الواحد والاثنين لان العدد المضاف ليس الا ما فوقهما الا انه قد يعدل عنه الى المفرد لغرض فلما اضافه الى الجمع استعمل على الاصل المرفوض وقوله ومن لم يضف ابدل السنين من ثلاث جعله صاحب الكشاف عطف بيان له وهو الظاهر لان جعله بدلا يستلزم ان لا يكون تعيين مدّة لبثهم مقصودا وليس كذلك بل المقصود ذلك لانه لما قيل ثلاثمائة لم يعرف انها ايام او شهور او سنون فبين انها سنون وقوله تسعا مفعول به لقوله ازدادوا على وزن افتعلوا ابدلت تاء افتعل دالا لوقوعها بعد الزاى وقلبت الياء ألفا فصار ازدادوا وكان زاد متعدّيا الى اثنين نحو زادهم مرضا وزدناهم هدى فلما نقل الى باب الافتعال عدّى الى واحد والاصل ازدادوا تسع سنين لحذف التمييز لدلالة ما تقدّم عليه اذ لا تقول عندى ثلاثمائة درهم وتسعة الا وانت تريد تسعة دراهم ولو اردت تسعة ثياب او نحوها لم يجز لانه ليس من جنس ما قبله حتى يدل عليه فلما نزل قوله تعالى ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا قالت نصارى نجران اما الثلاثمائة فقد عرفناها واما التسع فلا علم لنا بها فنزل قوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا اى انه تعالى اعلم بمقدار لبثهم من اهل الكتاب المختلفين فيه لانه المنفرد بعلم ما غاب فى السموات والارض عن العباد وادراكهم فيكون عالما بمدّة لبثهم لا محالة ﴿قوله﴾ ومحله الرفع على الفاعلية ﴿﴾ فان المعنى ما ابصر الله بكل موجود واسمعه لكل مسموع زيدت الباء فى الفاعل اصلا حا للفظ قال نجم الدين الاسترابادى فى شرح الكافية واما احسن بزيد فعند سيبويه لفظ افعل صورته الامر ومعناه الماضى من افعل اى صار ذا فعل كالحم اى صار ذا لحم والباء بعده زآئدة فى الفاعل وضعف قوله ان الامر بمعنى الماضى بانه مما لم يعهد بل جاء الماضى بمعنى الامر وبان افعل بمعنى صار ذا كذا قليل وبان زيادة الباء فى الفاعل قليل والمطرد زيادتها فى المفعول ﴿قوله﴾ والنصب ﴿﴾ اى ومحله النصب على المفعولية فان قولك احسن بزيد امر لكل احد بان يجعل زيدا حسنا اى بان يصفه بالحسن فكأنه قيل صفه بالحسن كيف شئت فان فيه كل ما يمكن ان يكون فى الشخص وهذا معنى مناسب للتعجب بخلاف تقدير سيبويه وايضا همزة الجعل اكثر من همزة صار ذا كذا وان لم يكن شئ منهما قياسا مطردا هذا اصل هذا التركيب فالمعنى الامر والخطاب لكل واحد وصار ملخصه انشاء التعجب فهمزة افعل ان كانت للجعل والتعدية فالباء مزيدة فى المفعول وان كانت للصيرورة كانت الباء للتعدية ﴿قوله﴾ وقرأ ابن عامر بالتاء ﴿﴾ اى بتاء الخطاب والجزم عطفا على قوله ولا تقولنّ لشئ وقوله واذكر ربك اذا نسيت وقوله وقل عسى اى ولا تشرك انت ايها الانسان

اولأ قرب رشدا وادنى خيرا من المنسيّ ﴿ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا﴾ يعنى لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما اجمله قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا فى مدّة لبثهم كما اختلفوا فى عدّتهم فقال بعضهم ثلاثمائة سنين وقال بعظهم ثلاثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائى ثلاثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل فى العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلاث ﴿قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض﴾ له ما غاب فيهما وخفى من احوال اهلهما فلا خلق يخفى عليه عملا ﴿أبصر به وأسمع﴾ ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره فى الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذلا يحجبه شئ ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفىّ وجلىّ والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله أبصر اى صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياق الصيغة له اولزيادة الباء كما فى قوله تعالى وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدّية ان كانت للصيرورة ﴿مالهم﴾ الضمير لاهل السموات والارض ﴿من دونه من ولىّ﴾ يتولى امورهم ﴿ولا يشرك فى حكمه﴾ فى قضائه ﴿احدا﴾ منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهى كل احد عن الاشراك

معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال ﴿واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك﴾ من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدّله ﴿لا مبدّل لكلماته﴾ لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ﴿ولن تجد من دونه ملتحدا﴾ ملتجأ تعدل اليه اذ هممت به ﴿واصبر نفسك﴾ احبسها وثبتها ﴿مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ﴾ في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فتكون اللام فيه على تأويل التنكير ﴿يريدون وجهه﴾ رضى الله وطاعته ﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾ ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا يقال نبت وعلت عنه عينه اقتحمته ولم تعلق به والغرض في هذا اعطاء معنيين اى لا تقتحمهم عيناك متجاوزتين الى غيرهم وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعدّ من اعداه وعدّاه والمراد نهى الرسول ان يزدري بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زيّ الاغنياء ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾ حال من الكاف في القراءة المشهورة ومن المستكنّ في الفعل في غيرها ﴿ولا تطع من اغفلنا قلبه﴾ من جعلنا قلبه غافلا ﴿عن ذكرنا﴾ كأمية بن خلف في دمائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل اجبته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اى لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكر اوّلا بقوله ﴿واتبع هواه﴾ وجوابه ما مرّ غير مرّة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة ﴿وكان امره فرطا﴾ اى تقدّما على الحق ونبذا له ورآء ظهره

وقرأ الباقون بالياء التحتانية ورفع الفعل على انه نفي محض مسند الى ضمير الباري تعالى اى لا يشرك الله في حكمه وقضائه احدا من خلقه فلا يجوز ان يحكم حاكم بغير ما انزل الله وحكم به وليس لاحد ان يحكم من ذات نفسه فيكون شريكا لله تعالى في حكمه ﴿قوله امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه﴾ فان كفار قريش لما سألوه عليه الصلاة والسلام عن قصة اصحاب الكهف وقالوا له ان اخبرتنا بما سألناك صدّقناك واتبعناك واخبرهم بها قالوا له عليه الصلاة والسلام ان اردت ان نجالسك فاطرد عنك هؤلاء الفقراء والسفلة الذين اجتمعوا عندك نتبعك فانزل الله تعالى واتل ما اوحى اليك حتى بلغ انا اعتدنا للظالمين نارا فقام عليه الصلاة والسلام يلتمسهم حتى اصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع رجال من امتي معكم المحيا ومعكم الممات * قال الامام من هذه الآيات الى قصة موسى والخضر كلام واحد نزل قصة واحدة وهي ان اكابر قريش اجتمعوا وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان اردت ان نؤمن بك فاطرد من عندك من هؤلاء الذين آمنوا بك فنهاه الله تعالى عن ذلك ومنعه منه وبين في جملة هذه الآيات ان الذي اقترحوه والتمسوه مطلوب فاسد ثم قال قوله تعالى واتل ما اوحي الخ يتناول القرآء ويتناول الاتباع ايضا فيكون المعنى الزم قرآءة الكتاب الذي اوحاه اليك ربك والزم العمل به ﴿قوله لا احد يقدر على تبديلها﴾ اى بطريق من طرق النسخ مع ان النسخ ليس بتبديل في الحقيقة بل المنسوخ مغيى الى وقت طريان الناسخ فالنسخ كالغاية له فكيف يكون تبديلا ﴿قوله وفيه ان غدوة علم في الاكثر﴾ والاعلام لا يدخلها الالف واللام الجوهري الغد اصله غدو فحذفوا الواو بلا عوض قال لبيد

* وما الناس الا كالديار واهلها * فيوم بها حلوا ويغدو بلاقع *

فجاء به على اصله والغدوة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس يقال اتيته غدوة غير مصروفة لانها معرفة مثل سحر ﴿قوله وتعديته بعن﴾ جواب عما يقال من ان قوله ولا تعد نهى من عداه اذا جاوزه وهو يتعدّى بنفسه كما اشار اليه بقوله ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وكان الظاهر ان يقال ولا تعدهم عيناك فلم جيء بكلمة عن * واجاب عنه بان عدا لما ضمن معنى نبا عدّى تعديته يقال نبا الشيء عنه ينبو اى تجافى وتباعد ونبا بصري عن الشيء اذا اقتحمه ولم يعلق به ويقال اقتحمته عيني اى ازدرته واعتبر التضمين لتحصيل مجموع المعنيين معنى المجاوزة ومعنى الاقتحام ولو قيل ولا تنب عيناك عنهم لفهم معنى الاقتحام ولم يفهم معنى المجاوزة فجمع بين مادة العدو وكلمة عن ليحصل مجموع المعنيين وذلك ابلغ من افادة المعنى الواحد ﴿قوله والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال اليه تعالى﴾ اعلم ان اصحابنا احتجوا بهذه الآية على انه تعالى هو الذي يخلق الجهل والغفلة في قلوب الجهال لان قوله اغفلنا يدل على هذا المعنى فالمعنى من خلقنا ظلمة الكفر في قلبهم باختيارهم الكفر وقالت المعتزلة ليس المراد بقوله تعالى اغفلنا خلق الغفلة وايجادها في القلب بل هو من قبيل قول معدي كرب لبني سليم * قاتلناكم فما اجبنا كم * وسألنا كم فما ابخلنا كم * وهجونا كم فما افحمنا كم * اى ما وجدناكم جبناء ولا بخلاء ولا مفحمين فان الهمزة فيه للوجدان فكذا في الآية ويحتمل ان تكون الهمزة في هذه الافعال لنسبة الفاعل الى اصل الفعل فكذا في الآية واحتجوا على ان بناء الافعال في الآية ليس للايجاد والتكوين لقوله تعالى بعده واتبع هواه فانه لو كان المعنى اوجدنا الغفلة في قلبه حقيقة لكان المناسب ان يقال فاتبع هواه ليدل على ان الاغفال سبب في الاتباع فلذا اسند الاتباع الى شهوتهم لا الى مشيئة الله وقد مرّ مرارا ان القدرة المؤثرة ليست الا لله تعالى فلذلك قال قل كل من عند الله وان العبد له قدرة كاسبة يصح اسناد افعاله الاختيارية اليه بسببها والعامة قرأوا من اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى المتكلم المعظم نفسه ونصب قلبه على انه مفعول به وقرئ اغفلنا قلبه بفتح اللام ورفع قلبه على الفاعلية على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا دلت الآية على ان اشرّ احوال الانسان ان يكون قلبه خاليا عن ذكر الحق ويكون مملوأ من الهوى الداعي الى الاشتغال بالخلق ﴿قوله اى تقدّما على الحق﴾ يعني ان اصل الكلمة ينبيء عن العجلة والسبق يقال فرط منه قول قبيح اى سبق وفرس فرط اى سريعة تقدّم الخيل وفي الصحاح فرط عليه اى عجل وعدا ومنه قوله تعالى انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وفرط عليه سبق وفرطت القوم افرطهم فرطا اى سبقتهم الى الماء فانا فارط والجمع فرّاط وفرّاط القطيع من الغنم متقدّماتها الى الوادي والماء وافرط في الامر اى جاوز فيه الحدّ والاسم منه الفرط بالتسكين

والفرط بالتحريك الذى يتقدّم الواردة لهيئ لهم الارشية والدلاء ويمدر الحياض ويستقى لهم وهو فعل بمعنى فاعل مثل تبع بمعنى تابع ومنه قيل للطفل الميت اللهم اجعله لنا فرطا اى اجرا يتقدّمنا وامر فرط اى مجاوز فيه الحدّ ومنه قوله تعالى وكان امره فرطا الى هنا كلام الجوهرى فالفرط على قوله فعل بمعنى المفعول والمعنى لاتطع من كان امور ه التى يلابسها مجاوزا فيها الحدّ والحق بحيث كان نابذا له ورآء ظهره ﴿قوله﴾ ومنه الفرط ﴿يجوز ان تكون الفاء فيه مفتوحه والرآء ساكنة وان تكونا مفتوحتين ﴿قوله﴾ الحق مايكون من جهة الله ﴿يعنى ان الحق مبتدأ ومن ربك خبره والجملة مقول القول ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لايلتفت الى اولئك الاغنياء الذين قالوا ان طردت الفقرآء من عندك وخليت لنا مجلسك نؤمن بك ونجلس معك امره بعد ذلك بان يقول لهؤلاء الحق مايكون من عندالله لامايقتضيه الهوى فان خالفتم اهواءكم وقبلتم الحق الذى جاءكم من عندالله اصبتم وعاد نفعه عليكم وان لم تقبلوه عاد ضرره عليكم ولا مدخل فى اصابة الحق والاهتداء به لكون اهل مجلسكم فقرآء اوغنياء خاملين اومشهورين بالعزة والجاه ثم انه تعالى رتب عليه وعيد من كابر عقله وعاند ربه وترك الحق الصريح ووعد من اذعن للحق وآمن وعمل بمقتضاه بقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وعلل ذلك بقوله انا اعتدنا للظالمين نارا الى آخر الآيات ﴿قوله﴾ ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ﴿نحو هذا الحق اوالذى أتيتكم به الحق كائنا من ربكم والحق هو العامل فى الظرف والمبتدأ المقدّر عبارة عما ذكر من اوّل السورة الى هنا اوعما اوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واياما كان يكون قوله تعالى وقل الحق من ربكم كالفذلكة لما ذكر من مفتتح السورة اولجميع ماجاء به عليه الصلاة والسلام ثم رتب مابعده عليه بالفاء فالمعنى ماجئتكم به من حديث الكتاب القيم المعرّى عن كل الاعوجاج الظاهر الاعجاز الكاشف عن المغيبات المحتوى على مكارم الاخلاق المزيح للعلل والاعذار المزيل للريب والشبهات حق كائن من الرب العزيز الحكيم ﴿قوله﴾ وهو لايقتضى استقلال العبد بفعله ﴿جواب عن قول المعتزلة ان قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر صريح فى ان الايمان والكفر والطاعة والمعصية مفوّض الى العبد واختياره فمن انكر ذلك فقد خالف صريح القرآن وتقرير الجواب صريح الآية وصريح العقل ايضا وان دل على ان نحو الايمان والكفر وسائر الافعال الاختيارية يمتنع حصوله بدون مشيئة العبد وقصده اليه واختياره له الا ان تلك المشيئة والقصد ليست بمشيئة اخرى سابقة عليها والا لزم ان يكون كل قصد ومشيئة مسبوقا بقصد آخر الى غير نهاية وهو محال فوجب انتهاء ذلك القصد الى قصد واختيار يخلقه الله تعالى من غير قصد سابق عليه واذا توقف فعل العبد على ذلك القصد الذى لامدخل له فيه فكيف يصح ان يقال ان العبد مستقل فى فعله بل يجب القول بان الكل من عندالله ﴿قوله﴾ شبه به مايحيط بهم من النار ﴿فتكون الاضافة فى سرادقها بمعنى من كما فى خاتم فضة فان الاغنياء الذين يتفاخرون فى الدنيا تحيط بهم النار من اللباس والطعام والشراب وغير ذلك كما قال سرابيلهم من قطران وقال ليس لهم طعام الا من ضريع وقال فى حق شرابهم يغاثوا بماء كالمهل والله اعلم والحجرة كل مكان محجور عن الغير اى ممنوع عنه من الحجر وهو المنع اثبت الله تعالى للنار شيأ شبيها بما يحيط بهم من جميع الجهات بحيث لامخلص لهم منها ولا فرجة فيها يتفرّجون بالنظر الى ماورآءها من النار بل هى محيطة بهم من كل الجوانب وقيل المراد من هذا السرادق الدخان الذى وصفه الله تعالى فى قوله الى ظل ذى ثلاث شعب وقالوا هذه الاحاطة بهم انما تكون قبل دخولهم النار فيغشاهم هذا الدخان ويحيط بهم كالسرادق حول الفسطاط ﴿قوله﴾ وقيل حائط من نار ﴿روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال سرادق النار اربعة جدر كل جدار مسيرة اربعين سنة * والمعنى انهم ورآء هذه الجدر فهى بهم محيطة ﴿قوله﴾ كالجسد المذاب ﴿يعنى قيل ان المهل كل شئ اذبته من الاجساد السبعة المعدنية كالذهب والفضة والنحاس والرصاص وغيرها وقيل هو دردىّ الزيت ﴿قوله﴾ وهو على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم ﴿يعنى قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وارد على طريق التهكم بهم وتحقيرهم حيث ذكرت الاغاثة مما هم فيه من شدّة العطش واريد مايضادّ الاغاثة وهو ان يؤتى بماء كالمهل اذا قرب اليه شوى وجهه وسقطت فروة رأسه واذا شرب منه قطع امعاءه حتى تخرج من دبره فالمعنى ان يستغيثوا اى يطلبوا الغوث والمدد مماهم فيه من شدّة العطش يؤتوا بماء كالمهل مكان مايغاث به المستغيث من العطش فسمى ايتاء ذلك الماء اغاثة على سبيل التهكم والتحقير كما فى قوله

* غضبت تميم ان يقتل عامر * يوم النثار فأعتبوا بالصيلم *

يقال فرس فرط اى متقدّم للخيل ومنه الفرط ﴿وقل الحق من ربكم﴾ الحق مايكون من جهة الله لا مايقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حالا ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ لاابالى بايمان من آمن ولا كفر من كفر وهو يقتضى استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست الا بمشيئة ﴿انا اعتدنا﴾ هيأنا ﴿للظالمين نارا احاط بهم سرادقها﴾ فسطاطها شبه به مايحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التى تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار ﴿وان يستغيثوا﴾ من العطش ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ كالجسد المذاب وقيل كدردىّ الزيت وهو على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم ﴿يشوى الوجوه﴾ اذا قدّم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء اوحال من المهل اوالضمير فى الكاف

﴿بئس الشراب﴾ المهل ﴿وساءت﴾ النار ﴿مرتفقا﴾ متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر من احسن عملا﴾ خبر ان الاولى هى الثانية بما فى حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه فى قولك نعم الرجل زيد اوواقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لايحسن اطلاقه الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات اوخبرها ﴿اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار﴾ وما بينهما اعتراض وعلى الاول استئناف لبيان الاجر اوخبر ثان ﴿يحلون فيها من اساور من ذهب﴾ من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها عن الاحاطة به وهو جمع اسورة اواسوار فى جمع سوار ﴿ويلبسون ثيابا خضرا﴾ لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة ﴿من سندس واستبرق﴾ ممارق من الديباج وماغلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين ﴿متكئين فيها على الارائك﴾ على السرر كما هو هيئة المتنعمين ﴿نعم الثواب﴾ الجنة ونعيمها ﴿وحسنت﴾ الارائك ﴿مرتفقا﴾ متكأ ﴿واضرب لهم مثلا﴾ للكافر والمؤمن ﴿رجلين﴾ حال رجلين مقدرين اوموجودين هما اخوان من بنى اسرائيل كافر اسمه قرطوس ومؤمن اسمه يهودا ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن فى وجوه الخير وآل امرهما الى ماحكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان من بنى مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿جعلنا لاحدهما جنتين﴾ بستانين ﴿من اعناب﴾ من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل اوصفة للرجلين ﴿وحففناهما بنخل﴾ وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا احاطوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به ﴿وجعلنا بينهما﴾ وسطهما ﴿زرعا﴾ ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق ﴿كلتا الجنتين آتت اكلها﴾ ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله ﴿ولم تظلم منه﴾ ولم تنقص من اكلها ﴿شيأ﴾ يعهد فى سائر البساتين فان الثمار تتم فى عام وتنقص فى عام غالبا

والنثار بكسر النون ماء لبنى عامر والصيلم الداهية والامر العظيم واعتبوا اى ارضوا وازيل غضبهم جعلت الداهية لهم مكان الاعتاب الذى يجرى بين الاحبة تهكما بهم والشوى انضاج اللحم من غير مرقة تكون مع ذلك الشئ المشوى ﴿قوله﴾ واصل الارتفاق نصب المرفق ﴿وهو موصل الذراع والعضد فسر المرتفق فى الآية بالمتكأ وهو موضع الاتكاء على مرفق يده بان ينصبه ويجعله دعامة نحره وذلك انما يكون للاستراحة ولا استراحة لاهل النار فلا اتكاء ﴿قوله﴾ وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا ﴿يعنى اثبات المرتفق لاهل النار مع انه لاارتفاق لهم مبنى على المشاكلة لقوله تعالى فى حق ارائك اهل الجنة وحسنت مرتفقا فان الآية التالية المقابلة لهذه الآية لما كانت مفصولة بذكر الارتفاق جعلت هذه الآية ايضا مفصولة بذكره لاجل المشاكلة لان اثبات المرتفق للكفار مبنى على التهكم كاثبات الاغاثة لهم فى قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الظالمين اردفه بوعد الصالحين فقال ان الذين آمنوا الآية وقوله تعالى انا لانضيع اجر من احسن عملا يجوز ان يكون خبر ان الذين آمنوا بحذف العائد اى منهم او بتنزيل العموم منزلة العائد كما فى قولك نعم الرجل زيد على قول من يجعل المخصوص مرفوعا بالابتداء وماقبله خبره وهو المختار فان قولك نعم الرجل جملة فعلية والجملة الواقعة خبرا للمبتدأ لابد ان تكون مشتملة على الضمير العائد الى المبتدأ واستغنى عنه فى باب نعم لتنزيل استغراق الرجل وعمومه للمبتدأ ولغيره منزلة العائد واما على قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف ويجعل الكلام مبنيا على تقدير سؤال وهو انه لما قيل نعم الرجل مثلا قيل من هو فقيل زيد اى هو زيد فحينئذ يكون الكلام جملتين ليس فى شئ منهما خبر جملة حتى يحتاج الى العائد اوباقامة قوله من احسن عملا مقام الضمير لكونه عبارة عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومتحدا معهم فى المعنى كما فى الجملة الواقعة خبرا عن ضمير الشأن فانها لما كانت عبارة عن الضمير المذكور استغنى فيها عن العائد ﴿قوله﴾ اوخبرها اولئك ﴿عطف على قوله هى الثانية بما فى حيزها ﴿قوله﴾ اوخبر ثان ﴿عطف على قوله استئناف ﴿قوله﴾ وهو جمع اسورة ﴿واسورة جمع سوار وهو زينة تلبس فى الزند من اليد وهو من زينة الملوك كانوا يسوّرون فى ايديهم ويتوّجون على رؤسهم وقال ابو عبيدة اساور جمع اسوار على حذف الزيادة اصله اساوير وقوله فى جمع سوار احتراز عن قول من قال ان اساور جمع اسوار بكسر الهمزة اوضمها فى الصحاح وقد يكون اساور جمع اسوار واسوار قال تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب وقال ابو عمرو بن العلاء واحدها سوار قال الشاعر

* والله لولا صبية صغار * كأنما وجوههم اقمار * اخاف ان يصيبهم اقتار * اولا طم ليس له سوار *
* لما رأتنى ملك جبار *

على كل واحد منهم ثلاث اسورة سوار من ذهب لاجل هذه الآية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا اساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله تعالى ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير * فان قيل ما السبب فى انه تعالى قال فى الحلى يحلون على مالم يسم فاعله وقال فى السندس والاستبرق ويلبسون باسناد اللبس اليهم * قلنا يحتمل ان يكون اللبس اشارة الى ماستوجبوه بعملهم بمقتضى الوعد الالهى وان يكون الحلى اشارة الى ماتفضل به عليهم ابتداء تفضلا زائدا على مقدار الوعد ثم انه تعالى لما بين عاقبة الظالمين الذين اغتروا بزينة الدنيا وزخارفها واقتخروا بها على فقراء المسلمين وآثروها على ماعند الله تعالى من الثواب الجزيل وبين ايضا عاقبة من آمن بالله وبالبعث والجزاء وعمل بمقتضى ايمانه شبه حال الفريقين بحال رجلين موصوفين تصويرا للامر المعقول بصورة المحسوس لزيادة الايضاح والبيان فقال واضرب لهم مثلا الآية فتبين به ان كثرة الاموال والاتباع لاتصلح لان يفتخر بها لاحتمال ان يصير الفقير غنيا والغنى فقيرا بل الفخر انما هو بطاعة الله التى هى زينة المؤمنين وقوله تعالى جعلنا لاحدهما جنتين ان كان بيانا وتفسيرا للمثل لايكون له محل من الاعراب وان كان صفة لجنتين يكون فى محل النصب ﴿قوله﴾ مؤزرا بها ﴿اى ملتفا وفى الاساس ومن المجاز الزرع يؤازر بعضه بعضا اذا التف وتأزر النبت اى التف وتلاصق ﴿قوله﴾ ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه ﴿لاشتماله على الكروم المحفوفة بالنخل وكون كل واحد منهما منتهيا فى احد جوانبه الى الارض المزروعة فيكون بذلك جامعا للمذكور ومتواصل العمارة وتكون منفعته متواصلة لاتيانه فى كل وقت بمنفعة جديدة وثمرة مرغوبة ﴿قوله﴾ وافراد الضمير ﴿فى آتت والظاهر ان يقال آتتا مبنى على رجوعه الى كلتا وهو مفرد اللفظ وان كان مثنى المعنى فاعتبر جانب لفظه والمعنى اعطت كل واحدة

﴿وفجرنا خلالهما نهرا﴾ ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف ﴿وكان له ثمر﴾ انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره قرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك واحيط بثمره ﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره﴾ وهو يراجعه في الكلام من حار اذا رجع ﴿انا اكثر منك مالا واعز نفرا﴾ حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ﴿ودخل جنته﴾ بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ماهو جنته وهي ماتمتع به من الدنيا تنبيها على انه لاجنة له غيرها ولاحظ له في الجنة التي وعد المتقون اولا تصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى اولان الدخول يكون في واحدة واحدة ﴿وهو ظالم لنفسه﴾ ضار لها بعجبه وكفره ﴿قال ما اظن ان تبيد هذه﴾ اي تفنى هذه الجنة ﴿ابدا﴾ لطول امله وتماديه على غفلته واغتراره بمهلته ﴿وما اظن الساعة قائمة﴾ كائنة ﴿ولئن رددت الى ربي﴾ بالبعث كما زعمت ﴿لأجدن خيرا منها﴾ من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين ﴿منقلبا﴾ مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستئهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه ايمانا يلقاه ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾ لانه اصل مادتك او مادة اصلك ﴿ثم من نطفة﴾ فانها مادتك القريبة ﴿ثم سواك رجلا﴾ ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر على ان يعيده منه ﴿لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا﴾ اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان وكان الادغام وقرأه ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها عن الهمزة اولاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشأن وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبرانا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبرانا او الاستدراك من أكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقرئ ولكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ﴿ولولا اذ دخلت جنتك قلت﴾ وهلا قلت عند دخولها ﴿ماشاء الله﴾ الامر ماشاء الله او ماشاء الله كائن على ان ما موصوله او اي شيء ﴿لا قوة الا بالله﴾ فهلا قلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ماتيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيأ فاعجبه فقال ماشاء الله لا قوة الا بالله لم يضره

من الجنتين اكلها اي ثمرها تاما ولم تظلم اي لم تنقص منه شيأ والظلم النقصان يقال ظلمني حقي اي نقصني ولما وصفهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقصان وصفهما بما هو اصل الخير وماديته وهو امر الشرب فقال وفجرنا خلالهما نهرا والعامة على تشديد الجيم للمبالغة في وفائه شربا لهما فانه وان كان نهرا واحدا الا انه لما كان يمتلئ ويصل الى جوانب كلتا الجنتين ويدوم في كل وقت كان كالانهار وقرئ بالتخفيف على الاصل لانه نهر واحد والعامة على فتح هاء نهر وقرئ بسكونها قرأ عاصم كان له اي صاحب البستان ثمر بفتح الثاء والميم فيه وفي قوله واحيط بثمره وهو جمع ثمرة كشجر وشجرة وقرأ ابو عمرو بضم الثاء وسكون الميم فيهما والباقون بضم الثاء والميم فيهما ومن ضمهما يقول انه جمع ثمار يقال ثمار وثمر يخفف ويثقل كالحمار والحمر والكتاب والكتب ويجوز ان يكون ثمر بضمتين جمعا لثمر بفتحتين كخشب وخشب وبالسكون كاسد واسد وذكر اهل اللغة انه بالضم انواع المال من الذهب والفضة وغيرهما وبالفتح حمل الشجر وكان ابن عباس يقرأ بالضم ويقول هو انواع المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد ان الثمر هو الذهب والفضة خاصة وقيل هو المال والولد ﴿قوله﴾ تعالى فقال له صاحبه ﴿يعني قال صاحب البستان للمؤمن وقوله وهو يحاوره يجوز ان يكون حالا من الفاعل او من المفعول مبينا للهيئة اذ لا يلزم من القول المحاورة وهي مراجعة الكلام من حار اي رجع قال تعالى انه ظن ان لن يحور وقال امرؤ القيس

* وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع *

والنفر العشيرة الذين يذبون عن الرجل وينفرون معه والمعنى ان الكافر ترفع على المؤمن بجاهه وماله ثم اراد ان يظهر للمؤمن كثرة ماله وصنوف ما يملكه مما يوجب البهجة والسرور فاخذ بيد اخيه المؤمن يطوف به فيها يريه بهجتها وحسنها وهو قوله تعالى ودخل جنته الخ ﴿قوله﴾ لان المراد ماهو جنته ﴿يعني اي مايقال له انه جنة فلان على ان التعريف فيه للعهد الذهني والمعهود هو الفرد الملحوظ بالاضافة اليه مع قطع النظر عن كونهما قطعتين بينهما مزارع او بقعة واحدة من غيران يراد بها ماشاهده وقت الدخول او يراد دخول كل واحدة منهما على حدة او باعتبار كونهما بمنزلة جنة واحدة نظرا الى اتصالهما وخلوهما عن نكتة تقيد بها احداهما ﴿قوله﴾ تعالى وهو ظالم ﴿يعني حال من فاعل دخل ولنفسه مفعول ظالم واللام فيه مزيدة لتقوية العامل لكونه فرعا وقوله قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا الظاهر انه مستأنف جيء به بيانا لسبب ظلمه فانه لما راقه واعجبه حسنها وزهرتها ظن انها لا تفنى ابدا وما اكتفى بهذا الكفر بل ضم اليه قوله وما اظن الساعة قائمة فجمع بين كفرين * فان قيل هب انه شك في البعث والقيامة فكيف قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا مع ان الحس يدل على ان ما في الدنيا كلها في معرض الزوال والفناء * اجيب بان مراده انها لا تبيد مدة حياته ﴿قوله﴾ وانما اقسم على ذلك ﴿يعني ان الكافر بنى جزمه بذلك على مقدمتين الاولى انه تعالى انما اعطاه الجاه والمال في الدنيا لكونه اهلا مستحقا لذلك والثانية ان الاستحقاق باق بعد الموت والمقدمة الاولى كاذبة لان فتح باب الدنيا على الانسان كثيرا ما يكون للاستدراج ﴿قوله﴾ لانه اصل مادتك ﴿نظرا الى ان النطفة تتولد من الدم المتولد من الاغذية النباتية المتولدة من التراب فكان التراب مادة بعيدة للانسان والاغذية الحيوانية لابد ان تنتهي الى الغذاء النباتي المنتهي الى التراب ﴿قوله﴾ او مادة اصلك ﴿فان آدم عليه الصلاة والسلام مخلوق من التراب وخلقه سبب في خلق كل احد ﴿قوله﴾ ولذلك ﴿يعني منشأ كفره بالبعث شكه في كمال قدرة الله تعالى على انكاره على كفره بالله تعالى باثبات قدرته تعالى لاثبات وجوده ثم ان المؤمن وبخ الكافر على كفره بان قال له ولولا اذ دخلت لما تقرر من ان حرف التحضيض اذا دخل على الماضي يكون للتوبيخ وكلمة ما ان كانت شرطية تكون في محل النصب على انها مفعول شاء قدمت عليه وجوبا احتج اصحابنا بهذه الآية على ان كل ما اراده الله تعالى واقع وما لم يرده لم يقع فثبت انه تعالى لم يرد ايمان الكافر وطاعة العاصي فكانت حجة لنا على المعتزلة ومعنى الآية هلا قلت عند دخولك جنتك ورؤيتك ما انعم الله تعالى به عليك ماشاء الله من ابقائها وافنائها كائن لامعارض لمشيئته وشكرت على انعامه اليك بدل الاشتغال والافتخار بالنعمة عن المنعم وملاحظة التمتع بها دهرا طويلا بناء على طول الامل وتماديا في الغفلة والاغترار بالمهلة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من اعطى خيرا من اهل او مال فيقال عند ذلك ماشاء الله لا قوة الا بالله لم ير فيه مكروها * كذا في الكواشي

شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها ومافيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها ﴿لا قوة الا بالله﴾

﴿ان ترن انا اقل منك مالا وولدا﴾ يحتمل ان يكون انا فصلا والاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثانى لترنى وفى قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد ﴿فعسى ربى ان يؤتينى خيرا من جنتك﴾ فى الدنيا او فى الآخرة لايمانى وهو جواب الشرط ﴿ويرسل عليها﴾ على جنتك لكفرك ﴿حسبانا من السماء﴾ مرامى جمع حسبانة وهى الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة ﴿فتصبح صعيدا زلقا﴾ ارضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها واشجارها ﴿او يصبح ماؤها غورا﴾ غائرا فى الارض مصدر وصف به كالزلق ﴿فلن تستطيع له طلبا﴾ للماء الغائر تردّدا فى ردّه ﴿واحيط بثمره﴾ واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه واندره منه وهو مأخوذ من احاط به العدوّ فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدوّ اذا جاءهم مستعليا عليهم ﴿فاصبح يقلب كفيه﴾ ظهر البطن تلهفا وتحسرا ﴿على ماانفق فيها﴾ فى عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل فاصبح يندم او حال اى متحسرا على ماانفق فيها ﴿وهى خاوية﴾ ساقطة ﴿على عروشها﴾ بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها ﴿ويقول﴾ عطف على يقلب او حال من ضميره ﴿ياليتنى لم اشرك بربى احدا﴾ كأنه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتى من قبل شركه فتمنى انه لم يكن مشركا فلم يهلك الله بسببه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ماسبق منه ﴿ولم تكن له فئة﴾ وقرأ حمزة والكسائى بالياء لتقدّمه ﴿ينصرونه﴾ يقدرون على نصره بدفع الاهلاك اوردّ المهلك والاتيان بمثله ﴿من دون الله﴾ فانه القادر على ذلك وحده ﴿وما كان منتصرا﴾ ممتنعا بقوّته عن انتقام الله منه ﴿هنالك﴾ فى ذلك المقام وتلك الحال ﴿الولاية لله الحق﴾ النصرة له وحده لايقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله ﴿هو خير ثوابا وخير عقبا﴾ اى لاوليائه وقرأ حمزة والكسائى الولاية بالكسر ومعناها السلطان والملك اى هنالك السلطان له لايغلب ولايمنع منه او لايعبد غيره كقوله فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله ياليتنى لم اشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا﴾ اذكر لهم ماتشبهه الحياة فى الدنيا فى زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة ﴿كماء﴾ هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صيره ﴿انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض﴾ فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه (وعن) ابن مسعود وابن عباس وغيرهما رضى الله عنهم ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وهى الحسنات يذهبن السيئات وعن سعيد بن جبير انها الصلوات الخمس والجمعة ورمضان الى رمضان والحج الى الحج ﴿فاصبح هشيما﴾ مهشوما مكسورا ﴿تذروه الرياح﴾ تفرّقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن ﴿وكان الله على كل شئ﴾ من الانشاء والافناء ﴿مقتدرا﴾ قادرا ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ يتزين بها الانسان فى دنياه وتفنى عنه عما قريب ﴿والباقيات الصالحات﴾ واعمال الخيرات تبقى له ثمرتها ابد الآباد ويندرج فيها مافسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله

﴿قوله يحتمل ان يكون انا فصلا﴾ هذا الاحتمال على تقدير ان يكون الرؤية علمية لانها ان كانت بصرية تعين ان يكون انا تأكيدا لياء المتكلم لان ضمير الفصل يشترط ان يقع بين المبتدأ والخبر او بين ما اصله المبتدأ والخبر ﴿قوله وهى الصواعق﴾ وقيل الحسبان سهام صغار ترمى فى القسىّ الفارسية سميت حسبانا لكونها سهاما معدودة محسوبة تجمع فترمى بمرّة واحدة وقيل الحسبان العذاب الا ان ابابكر الاصم قال عذابا على حساب ماعملوا ويقال اصاب الارض حسبان اى جراد ولعل اصل الحسبان السهام التى ترمى واطلاقه على الصواعق على سبيل الاستعارة وهى القطع من النار تشبيها للصواعق بها ومن قال انه مصدر كالغفران والبطلان ينبغى ان يجعله بمعنى اسم المفعول اى شيأ مما يعدّ اى يدخل فى الحساب ويعتدّ به من انواع العذاب المرتبة على الكفر الا ان المتبادر من عبارة المصنف ان يكون المراد بالحساب الحكم الازلى والتقدير الالهى المتعلق بتخريب الجنة وبارساله وقوع المعلوم المقدّر عند تعلق الارادة بوقوعه او يكون الحساب على اصل الاعمال السيئة ومقدارها على ان يكون او عذاب معطوفا على قوله التقدير وقوله حساب الاعمال منصوبا بنزع الخافض اى بحسابها والصعيد وجه الارض والزلق والغور فى الاصل مصدران وصف بهما مبالغة والمعنى عسى ان يصبح ماؤها وهو النهر الذى فى خلالها غائرا ذاهبا فى الارض بحيث لايبقى له اثر حتى تقدر على ان تطلبه وتردّه الى موضعه وخلاصة كلام المؤمن ارجو ان ارزق ماهو خير وافضل من جنتك وان تهلك جنتك ﴿قوله ظهر البطن﴾ منصوب على انه مفعول مطلق اى يقلب كفيه تقليبا خاصا بالنادمين المتلهفين فان قوله يقلب كفيه كناية عن الندم لان النادم يفعل ذلك فلما كان قوله يقلب متضمنا لمعنى يندم عدّى بعلى ﴿قوله او حال﴾ عطف على قوله متعلق بيقلب والمعنى او متعلق بمحذوف على انه حال من فاعل يقلب اى متحسرا على ما انفق ﴿قوله او حال من ضميره﴾ على اعتبار حذف المبتدأ لتكون الجملة اسمية اى يقلب وهو يقول لما تقرّر من ان الجملة الحالية ان كانت جملة فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع دخول الواو عليها ﴿قوله كأنه تذكر موعظة اخيه﴾ من قوله انت كافر بالله لكنى مؤمن الى قوله ان ترنى افقر منك فانا اتوقع من صنع الله تعالى ان يقلب مابى ومابك من الفقر والغنى ويرزقنى لايمانى جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك ما انعم به عليك ويخرب بستانك ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائى بالياء﴾ اى بياء التذكير فى لم يكن لتقدّم الفعل ووجود الفصل واقامته مقام علامة التأنيث ﴿قوله النصرة له وحده﴾ يعنى ان الولاية لى وهى بالفتح بمعنى تولى الامر والنصرة والمعنى فى ذلك الموضع وتلك الحال يريد الله تعالى اظهار كرامة اوليائه واذلال اعدآئه لايتولى الامر احد غير الله تعالى ينصر من يشاء اعزازه ويذل من يشاء اذلاله وقرأ حمزة والكسائى الولاية بكسر الواو والمعنى هنالك السلطان والغلبة له تعالى لايغلب او لايعبد غيره بل يلتجئ اليه كل مضطر مغلوب فيه فلذلك قال الكافر ياليتنى لم اشرك بربى احدا جزعا مما ساقه اليه شؤم كفره ولو كان ندمه على الشرك ورغبته فى التوحيد بناء على النظر فى الادلة وامتثالا لامر الله وتصديقا لكتابه ونبيه لكان ايمانا مقبولا عند الله تعالى لكن كان ندمه وتوبته عند مشاهدة البأس مبنيا على اعتقاده انه لو كان موحدا غير مشرك ومتعظا بموعظة اخيه لبقيت عليه جنته فلم يقبل ولم يصر به مؤمنا لكونه لاجل طلب الدنيا لاخالصا لوجه الله تعالى فالآية بهذا المعنى تكون نظير قوله تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ﴿قوله وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد﴾ فانه يؤكد مضمون الجملة التى لها محتمل غيره نحو زيد ابوك حقا وهنالك فى محل النصب على انه ظرف معمول لما تعلق به خبر الولاية وهو قوله لله ﴿قوله اذكر لهم﴾ اى للمشركين الذين استكبروا على فقرآء المسلمين واقتخروا باموالهم واعوانهم يريد انه يجوز ان يجعل اضرب بمعنى اذكر فيتعدّى الى واحد فعلى هذا يكون كماء انزلناه خبر مبتدأ محذوف اى هو كماء وان يكون بمعنى صير فيكون كماء مفعولا ثانيا ﴿قوله او نجع فى النبات﴾ اى نفذ فتكون الباء فيه للتعدية لا للسببية لان الماء لرقته هو الذى ينفذ فى النبات ولا ينفذ النبات فى الماء فكان حق العبارة فاختلط بنبات الارض ونجع فيه يقال نجع فيه الدوآء اذا نفعه ونجع الطعام اذا هنئ ورف النبات رفيفا اذا اهتز نضارة وتلألأ ﴿قوله مهشوما﴾ من الهشم وهو كسر الشئ اليابس والهشيم من النبات اليابس المتكسر ﴿قوله من الصلوات الخمس الخ﴾

والحمدلله ولااله الاالله والله اكبر والكلام الطيب (خير عندربك) من المال والبنين (ثوابا) عائدة (وخير املا) لان صاحبها ينال بها فى الآخرة ما كان يأمل بها فى الدنيا (ويوم نسير الجبال) واذكر يوم نقلعها ونسيرها فى الجوّ اوتذهب بها فتجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت (وترى الارض بارزة) بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها مايسترها وقرئ وترى على بناء المفعول (وحشرناهم) وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق الحشر اولدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ماوعدلهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد (فلم نغادر) فلم نترك (منهم احدا) يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء (وعرضوا على ربك) تشبيه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لايعرفهم بل ليأمر فيهم (صفا) مصطفين لايحجب احد احدا (لقد جئتمونا) على اضمار القول على وجه يكون حالا اوعاملا فى يوم نسير (كما خلقناكم اوّل مرة) عراة لاشئ معكم من المال والولد لقوله ولقد جئتمونا فرادى اواحياء كخلقتكم الاولى لقوله (بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا) وقتالا نجاوز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى (ووضع الكتاب) صحائف الاعمال فى الايمان والشمائل اوفى الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب (فترى المجرمين مشفقين) خائفين (مما فيه) من الذنوب (ويقولون ياويلتنا) ينادون هلكتهم التى هلكوا بها من بين المهلكات (مالهذا الكتاب) تعجبا من شأنه (لايغادر صغيرة) هنة صغيرة (ولا كبيرة الا احصاها) الاعدّها واحاط بها (ووجدوا ماعملوا حاضرا) مكتوبا فى الصحف (ولايظلم ربك احدا) فيكتب عليه مالم يفعل اويزيد فى عقابه الملائم لعمله (واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس) كرّره فى مواضع لكونه مقدّمة للامور المقصود بيانها فى تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرّر ذلك بانه من سنن ابليس اولما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اوّلا فى زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير مابينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير فى القرآن (كان من الجن) حال باضمار قد او استئناف للتعليل كأنه قيل ماله لم يسجد فقيل كان من الجن (ففسق عن امر ربه) فخرج عن امره بترك السجود والفاء للتسبب وفيه دليل على ان الملك لايعصى البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا فى اصله والكلام المستقصى فيه فى سورة البقرة

وعن الضحاك انها الفرائض وفى رواية عن ابن عباس انها الكلام الطيب وفى رواية عنه انها جميع الاعمال الحسنة فان جميعها باقيات لبقاء اجرها ونفعها وسميت صالحات لانتفاء الفساد عنها وعن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لجلسائه *خذوا جنتكم *قالوا أحضر عدوّ قال *جنتكم من النار قولوا سبحان الله والحمدلله ولااله الاالله والله اكبر ولاحول ولاقوّة الا بالله العلى العظيم فانهنّ المقدّمات وهنّ المعقبات وهنّ الباقيات الصالحات * وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ان عجزتم عن الليل ان تكابدوه وعن العدوّ أن تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول سبحان الله والحمدلله ولااله الاالله والله اكبر فقولوها فانهنّ الباقيات الصالحات * **قوله** لايحجب احد احدا اشارة الى ان اصطفافهم عبارة عن ظهورهم متميزين بحيث يرى جماعتهم كما يرى كل واحد وقوله تعالى صفا حال من مرفوع عرضوا وهو فى الاصل مصدر يقال صف صفا ثم يطلق على جماعة المصطفين واختلف فى صفاهنا هل هو مفرد وقع موقع الجمع والمراد صفوف بدليل ماورد فى الحديث الصحيح وهو انه * يجمع الله الاوّلين والآخرين فى صعيد واحد صفوفا *وفى حديث آخر *اهل الجنة مائة وعشرون صفا انتم منها ثمانون صفا *ونظيره فى وقوع المفرد موقع الجمع قوله تعالى ثم يخرجكم طفلا اى اطفالا وقيل بل الخلائق يكونون صفا واحدا وهو ابلغ فى القدرة واما الحديثان فيحملان على اختلاف الاحوال يوم القيامة لانه طويل مقداره خمسون الف سنة فتارة يكونون فيه صفا واحدا وتارة صفوفا وقيل صفاهنا معناه قياما لقوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها صوافّ اى قياما **قوله** على وجه يكون حالا اى عرضوا وقد قيل لهم لقد جئتمونا اوعاملا فى يوم نسير الجبال اى نقول لهم يوم نسير الجبال لقد جئتمونا كما خلقناكم وليس المراد تشبيه حال البعث من القبور بحال النشأة الاولى من كل وجه لانهم خلقوا صغارا لاعقل لهم ولا قدرة بل المراد تقريع المشركين المنكرين للبعث المفتخرين على فقرآء المسلمين المؤمنين بالاموال والاعوان بان يقال لهم لقد جئتم حفاة بغير اموال ولا اعوان ولقد بعثتم وشاهدتم ان البعث والقيامة حق واقع كما وقع خلقكم اوّل مرّة **قوله** وبل للخروج من قصة الى اخرى يعنى ان الاضراب ههنا ليس لابطال القصة الاولى بل للانتقال الى ماهو اهم منها فانه تعالى لما بين خساسة الدنيا بتمثيل حالها بحال النبات الذى يكون بعد حدوثه اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن اتبعه باحوال القيامة ثم اضرب عن بيانها وانتقل عنه الى تقريع الكفار الذين ينكرون البعث والحساب وان فى قوله ان لن نجعل مخففة من الثقيلة اى بل زعمتم ان الشأن ان لن نجعل لكم موعدا للبعث تبعثون فيه وتحاسبون **قوله** ينادون هلكتهم التى هلكوا بها الويلة والويل الهلكة لما رأوا اعمالهم محصاة عليهم فى كتابهم وعلموا انهم مجازون بها ومهلكون نادوا بالويل والهلاك فان كل من وقع فى مهلكة يدعو بها كما فى قوله تعالى ياحسرة على العباد فانه ندآء للحسرة عليهم كأنه قيل لها تعالى ياحسرة فان هذه الحال من الاحوال التى حقك ان تحضرى فيها الا انهم لما نادوا الويلة المضافة الى انفسهم حيث قالوا ياويلتنا كان المنادى هلكتهم التى هلكوا بها لاجنس الهلاك **قوله** هنة صغيرة الهنة يكنى بها عن الخصلة السوء يقال فى فلان هنات اى خصلات شرّ ولايقال ذلك فى الخير **قوله** قرّر ذلك اى قرّر قبح الكبر والافتخار ببيان انه من سنن ابليس فانه لما امتنع عن السجود لآدم استكبارا وافتخارا بان اصله نار واصل آدم تراب والنار علوى نورانى لطيف فيكون اشرف من التراب الذى هو سفلى ظلمانى كثيف وادّاه ذلك الكبر الى ان صار ملعونا مخلدا فى النار بعد ان كان رئيس الملائكة ومقدّمهم ومعلمهم واشدّهم اجتهادا فى العبادة حتى لم يبق فى سبع السموات ولا فى سبع الارضين موضع قدر شبر الاوقد سجد اللعين لله تعالى عليه سجدة حتى امتلأت من العجب نفسه حيث لم ير احدا مثله فابى ان يسجد لآدم استكبارا فقال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فلعنه الله تعالى وطرده والملائكة لما خلقوا من النور الروحانى العلوى كان من طبعهم الانقياد لامر الله تعالى والطاعة والعبودية فلذلك لما امروا بالسجود لآدم لم يمتنعوا عن ذلك وسجدوا طوعا ورغبة امتثالا لامر الله تعالى وانقيادا لحكمه كما قال تعالى لايعصون الله ما امرهم ويفعلون مايؤمرون بخلاف ابليس فانه تعالى لما خلقه للضلالة والغواية والضلال والاغواء خلق من النار التى طبعها الاستعلاء والاستكبار ونظمه الله فى سلك الملائكة منذ خلقه وكساه كسوة الملائكة تشبيثا بافعالهم تقليدا لاتحقيقا حتى عدّ من جملتهم وذكر فى زمرتهم بل زاد عليهم فى الاجتهاد بالاعتياد والاعتقاد فاتخذوه رئيسا ومعلما لما رأوا منه من الاشتداد والاستزادة فى الاجتهاد بالارادة فلما امتحن بالسجود لآدم فى جملة الملائكة ظهر ماتقتضيه

﴿أفتتخذونه﴾ اعقيب ماوجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجيب ﴿وذريته﴾ اولاده او اتباعه وسماهم ذرية مجازا ﴿اولياء من دونى﴾ فتستبدلونهم بى فتطيعونهم بدل طاعتى ﴿وهم لكم عدوّ بئس للظالمين بدلا﴾ من الله تعالى ابليس وذريته ﴿ماشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم﴾ نفى احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفى الاعتضاد بهم فى ذلك كما صرّح به بقوله ﴿وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾ اى اعوانا ردّا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له فى العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذمّا لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ماشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لايعرفها غيرهم حتى لوآمنوا تبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا فى نصرتهم للدين فانه لاينبغى لى ان اعتضد بالمضلين لدينى ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قوّاه ﴿ويوم يقول﴾ اى الله تعالى للكافرين وقرأ حمزة بالنون ﴿نادوا شركائى الذين زعمتم﴾ انهم شركائى او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابى واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ماعبد من دونه وقيل ابليس وذريته ﴿فدعوهم﴾ فنادوهم للاغاثة ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ فلم يغيثوهم ﴿وجعلنا بينهم﴾ بين الكفار وآلهتهم ﴿موبقا﴾ مهلكا يشتركون فيه وهو النار اوعداوة هى فى شدّتها هلاك كقول عمر رضى الله عنه لايكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك

الجبلة وخلع عنه كسوة اهل الرغبة والرهبة ليميز الله الخبيث من الطيب فطاشت تلك المخادمات وتلاشت منه تلك العبادات وعاد المشوم الى طبعه حين تبين الرشد من اهله فسجدت الملائكة وأبى ابليس واستكبر من غيه وظهر انه كان من الجن كأنه قال ماكان ابليس من الملائكة قط طرفة عين بل كان من الذين تولدوا من الجانّ وهو ابو الجن واصله واوّل من عصى ربه كما ان آدم عليه الصلاة والسلام اوّل الانس وابوهم روى انه تعالى لما خلق الارض خلق الجانّ من مارج من نار يعنى من لهب من نار لادخان لها فكثر نسله وهم الجنّ بنوا الجانّ فاسكنهم الارض فعبدوا الله دهرا طويلا فى الارض ثم ظهر فيهم البغى والحسد فاقتتلوا وافسدوا فبعث الله تعالى اليهم جندا من الملائكة فهبطوا الى الارض وحاربوا الجن وهزموهم وطردوهم من وجه الارض الى شعوب الجبال وجزائر البحور روى ان الملائكة سبوا ابليس من بين الجن ونشأ عند الملائكة وكان معمورا مغلوبا بالالوف منهم فغلبوا عليه فلما كان ابليس داخلا فيهم بالتغليب تناوله امر الملائكة بالسجود لآدم فكان قوله تعالى فسجدوا الا ابليس استثناء متصلا نظرا الى دخوله فيهم بالتغليب ويجوز ان يكون منقطعا وقيل الاستثناء متصل بناء على انه قد كان ملكا من جلة الملائكة ففيرالله تعالى صورته وطبعه وصيره الى صورة الجنّ وطبعهم وسيرهم بعد ابائه واستكباره وكفره فصار ممسوخا كما مسخ الله تعالى بعض بنى آدم فصاروا قردة وخنازير الا انه لما سأل النظرة الى قيام الساعة بقى وصار له نسل والحال ان سائر الممسوخات لاتبقى بعد ثلاثة ايام ولا يصير لها نسل فعلى هذا يكون قوله كان من الجن بمعنى صار من الجن بان مسخت صورته الى صورة الجن وكذا قوله وكان من الكافرين اى صار من الكافرين وقيل معناه كان فى علمه الازلى انه يكون من الجن وقت عصيانه ربه وابائه السجود وكذا قوله وكان من الكافرين معناه كان فى علم الله تعالى انه سيكون كافرا لان جمهور المحققين ذهبوا الى ان ابليس لم يكن كافرا من اوّل الامر بل انه كان مؤمنا ثم صار كافرا بردّه امر الله تعالى واستقباحه كما ان عبدة الاصنام كانوا كفرة وقت عبادتهم ثم صاروا مؤمنين بالتبرى منها الى انه لما كان الاعتبار فى الايمان والكفر بالخواتيم وموافاة الموت قيل ان الذى علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة وان صلى وصام قبله اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهذه المقالات منسوبة الى الشيخ الاشعرى رحمه الله تعالى ﴿قوله أعقيب ماوجد منه تتخذونه﴾ حكى الله تعالى اوّلا عداوة ابليس وذريته لاولاد آدم ثم انكر على الكفار الذين افتخروا على فقرآء المسلمين بشرف الانساب وكثرة الاموال والاتباع فى تركهم الدين الحق بناء على التكبر والترفع فكأنه قال تعالى لهم انكم فى هذا الفعل اقتديتم بابليس فى تكبره على آدم وعلمتم ان ابليس عدوّ لكم فكيف تقتدون به فى طريقته المذمومة وكل من كان غرضه من اظهار العلم والمناظرة التفاخر والتكبر فهو مقتد بابليس فيدخل فى هذا الانكار والتعجب روى عن النسفى انه قال كنت جالسا يوما اذ اقبل رجل فقال اخبرنى هل لابليس زوجة فقلت ان ذلك العرس ماشهدته ثم تذكرت قوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دونى فعلمت انه لايكون له ذرية الا من زوجة فقلت نعم وعن قتادة انهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه او ذكره فى دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين والله اعلم ثم انه تعالى لما قرّر ان القول الذى قالوه فى الافتخار على الفقرآء والاستكبار عليهم اقتداء بابليس عاد بعده الى تهويل احوال يوم القيامة فقال ويوم يقول اى اذكر لهم يوم يقول عطفا على قوله واذ قلنا للملائكة ليعلموا احوالهم واحوال آلهتهم يوم القيامة اذ يقول الله لهم نادوا شركائى اى ادعوا من زعمتم انهم شركائى حتى اهلتموهم للعبادة ﴿قوله فنادوهم للاغاثة﴾ بان قالوا لهم انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار ﴿قوله مهلكا يشتركون فيه﴾ على ان يكون الموبق اسم مكان يعنى ان الله تعالى يدخل هؤلاء المشركين فى موضع الهلاك وهو النار ويجعل الهتهم فى موضع آخر مثل ان يجعل عيسى عليه الصلاة والسلام فى الجنة ويجعل الملائكة الذين ادّعوا انهم شركاء لله فى موضع آخر اراده الله تعالى من دار الكرامة فتكون جهنم موبقا بين هؤلاء الكفار وبين الملائكة وعيسى عليهم السلام ﴿قوله او عداوة هى فى شدّتها هلاك﴾ على ان يكون الموبق مصدرا وعبر عن العداوة بالهلاك اما على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة فى استلزامها للهلاك واما على المجاز باعتبار مايؤول اليه كأنه قيل جعلنا بينهم عداوة تجرّهم وتؤدّيهم الى الهلاك والتلف كقوله * ولا بغضك تلفا * اى ولايكن بغضك بحيث يجرّ الى التلف والهلاك والكلف من كلفت بهذا الامر اى اولعت به وهو اشدّ الحب ونهاية الكلف الولوع بالشئ مع شغل قلب ومشقة ومنه قول عمر رضى الله عنه وعثمان كلف باقاربه اى شديد الحب لهم

(قوله)

﴿قوله وقيل البين الوصل﴾ فلا يكون ظرفا بل يكون مفعولا اوّلا لجعلنا ويكون موبقا مفعولا ثانيا وان جعل ظرفا يكون موبقا مفعولا اوّلا لجعل ويكون الظرف المقدّم مفعولا ثانياله ويجوز ان يكون جعلنا بمعنى خلقنا فيتعدّى الى واحد ويتعلق الظرف حينئذ بالجعل او بمحذوف على انه حال من موبقا ﴿قوله مخالطوها﴾ فسر المواقعة بالمخالطة لان مخالطة الشئ لغيره اذا كانت قوية تامة يقال لها مواقعة ﴿قوله من كل جنس يحتاجون اليه﴾ لما كان لفظ المثل فى اصل اللغة بمعنى الشبه وفى عرف الناس بمعنى المثل السائر المشبه مضربه بمورده ويطلق مجازا على كل حالة غريبة وصفة عجيبة وقصة بديعة تشبيها بالمثل السائر فى الغرابة والمثل الذى تكرّر تقريره فى القرءآن بوجوه مختلفة ليس المثل باحد هذه المعانى بل الذى تكرّر فيه هو تقرير دلائل الوحدانية والنبوّة وتحقيق احوال البعث والقيامة وبيان الاحكام والوعد والوعيد والقصص والامثال وهذه الامور ليست من قبيل المثل المفسر باحد التفاسير المذكورة الا انها لما كانت امورا مهمة يحتاج الانسان الى بيانها اشدّ الاحتياج صح اطلاق لفظ المثل عليها تشبيها لها بالمثل السائر فلذلك قال المصنف فى تفسير الآية من كل جنس يحتاجون اليه والظاهر ان مفعول صرّفنا محذوف وقوله تعالى من كل مثل صفة لذلك المحذوف والمعنى ولقد صرّفنا فى هذا القرءآن للناس معنى من كل جنس يحتاجون اليه ويجوز ان يكون من كل مثل هو المفعول على ان تكون كلمة من زآئدة على رأى الاخفش والكوفيين وشئ فى قوله تعالى اكثر شئ جدلا وضع موضع الاشياء التى يتأتى منها الجدل اى افضلها واحدا واحدا والمعنى ان الانسان اكثر شئ جدلا من كل شئ يجادل والتفضيل مستفاد من اضافة افعل التفضيل الى النكرة فانه اذا اضيف الى النكرة المفردة واريد بيان كون صاحب افعل زآئدا على ما اضيف اليه فى المعنى المدلول عليه بالمصدر الذى اشتق منه افعل التفضيل يجب ان يكون المفضل داخلا فيمن اضيف اليهم فردا منهم ليحصل المقصود من الشركة والزيادة فاذا اضيف الى النكرة المفردة نحو زيد افضل رجل واكثر شئ جدلا يجب ان تكون النكرة بمعنى الجنس المتناول للمفضل وامثاله ليكون المفضل بعضا منهم ومشاركا معهم فى اصل الفعل وزآئدا عليهم فيه فاذا قيل زيد افضل رجل وهما افضل رجلين وهم افضل رجال كان معناه زيد افضل من كل رجل وهما افضل من كل رجلين قيس فضلهما بفضلهما وذكر فى شرح الرضى فى بحث الاضافة ومذهب سيبويه ان اضافة افعل التفضيل حقيقية مطلقا وذلك انه فى حال الاضافة على ضربين احدهما ان يكون بعض المضاف اليه فيدخل فيه اى فيما اضيف اليه والمعنى انّ صاحبه مفضل فى المعنى الذى وضع له المصدر المشتق هو منه على كل واحد مما بقى منهم بعده من اجزآء المضاف اليه فان زيدا فى قولك زيد افضل الناس مفضل فى الظرافة على كل واحد ممن بقى منهم بعده ولا يلزم منه تفضيل الشئ على نفسه لانك لم تفضله على جميع اجزآء المضاف اليه بل على مابقى من المضاف اليه بعد خروج هذا المفضل منه فالاضافة فى هذا المعنى بتقدير اللام كما فى قولك بعض القوم وثلثهم وجزؤهم وأحدهم فاذا كانت اضافته بهذا المعنى كاضافة بعض القوم يكون بتقدير اللام مثله فيكون بعضه بدليل قوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين وثانيهما ان يكون صاحب افعل مفضلا على جميع افراد نوعه مطلقا ثم تضيفه الى شئ للتخصيص سوآء كان ذلك الشئ مشتملا على امثال المفضل نحو زيد افضل اخوته اولم يكن نحو زيد افضل بغداد اى افضل افراد نوع الانسان وله اختصاص ببغداد فالاضافة اليه لاجل التخصيص كما فى غلام زيد ومصارع مصر لا لتفضيله على اجزآء المضاف اليه فهذه الاضافة لاجل التخصيص حقيقية اتفاقا بمعنى اللام ثم نقول افعل بالمعنى الاوّل اما ان تضيفه الى المعرفة او النكرة فان اضفته الى المعرفة لم يجز ان تكون مفردة نحو افضل الرجل وافضل زيد اذ لا يمكن كونه بعض المضاف اليه بل اذا كان ذلك الواحد من اسمآء الاجناس التى يقع لفظ مفردها على القليل والكثير نحو البرنىّ اطيب التمر جاز والرجل ليس جنسا بهذا المعنى فتقول زيد افضل الرجلين اى احدهما المفضل على الآخر وافضل الرجال اى احدهم المفضل على كل واحد من الباقين واما اذا اضفته الى النكرة فتجوز اضافته الى الواحد والمثنى والمجموع نحو زيد افضل رجل وازيدان افضل رجلين والزيدون افضل رجال اى احدهم فيتطابق صاحب افعل والمضاف اليه افرادا وتثنية وجمعا وانما جاز اىّ رجل هو واىّ رجلين هما واىّ رجال هم مع ان المجرور فى جميعها ليس فى الظاهر جملة معينة لكون المضاف بعضا منها لان المراد بكل واحد من هذه المجرورات الجنس المستغرق المجتمع من المسئول ومن امثاله فيكون فى الحقيقة منقسما الى المسئول وامثاله فمعنى اىّ رجل اىّ قسم من اقسام الرجال

وقيل البين الوصل اى جعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا يوم القيامة ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا﴾ فأيقنوا ﴿انهم مواقعوها﴾ مخالطوها واقعون فيها ﴿ولم يجدوا عنها مصرفا﴾ انصرافا اومكانا ينصرفون اليه ﴿ولقد صرّفنا فى هذا القرءآن للناس من كل مثل﴾ من كل جنس يحتاجون اليه ﴿وكان الانسان اكثر شئ﴾ يتأتى منه الجدل

﴿جدلا﴾ خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز ﴿ومامنع الناس ان يؤمنوا﴾ من الايمان ﴿اذجاءهم الهدى﴾ وهو الرسول الداعى والقرآن المبين ﴿ويستغفروا ربهم﴾ ومن الاستغفار من الذنوب ﴿الاان تأتيهم سنة الاولين﴾ الاطلب اوانتظار اوتقديران تأتيهم سنة الاولين وهو الاستئصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ﴿اويأتيهم العذاب﴾ عذاب الآخرة ﴿قبلا﴾ عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه اوجمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب ﴿ومانرسل المرسلين الامبشرين ومنذرين﴾ للمؤمنين والكافرين ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ﴿ليدحضوا به﴾ ليزيلوا بالجدال ﴿الحق﴾ عن مقرّه ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ماانتم الا بشر مثلنا ولوشاء الله لأنزل ملائكة ونحو ذلك ﴿واتخذوا آياتى﴾ يعنى القرآن ﴿وماانذروا﴾ وانذارهم او والذى انذروابه من العقاب ﴿هزؤا﴾ استهزآء وقرئ هزأ بالسكون وهو مايستهزأ به على التقديرين ﴿ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه﴾ بالقرآن ﴿فاعرض عنها﴾ فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ﴿ونسى ماقدمت يداه﴾ من الكفر والمعاصى ولم يتفكر فى عاقبتها ﴿انا جعلنا على قلوبهم اكنة﴾ تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ﴿ان يفقهوه﴾ كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى ﴿وفى آذانهم وقرا﴾ يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه ﴿وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا﴾ تحقيقا ولا تقليدا لانهم لايفقهون ولايسمعون واذا كما عرفت جزآء وجواب للرسول صلى الله عليه وسلم على تقدير قوله مالى لاادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه ﴿وربك الغفور﴾ البليغ المغفرة ﴿ذو الرحمة﴾ الموصوف بالرحمة ﴿لويؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب﴾ استشهاد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿بل لهم موعد﴾ وهو يوم بدر اويوم القيامة ﴿لن يجدوا من دونه موئلا﴾ منجى ولاملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه ﴿وتلك القرى﴾ يعنى قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره ﴿اهلكناهم﴾ او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولابد من تقدير مضاف فى احدهما ليكون مرجع الضمائر ﴿لما ظلموا﴾ كقريش بالتكذيب والمرآء وانواع المعاصى ﴿وجعلنا لمهلكهم موعدا﴾ لاهلاكهم وقتا معلوما لايستأخرون عنه ساعة ولايستقدمون فليعتبروا بهم ولايغترّوا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابوبكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اى لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ماشذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض ﴿واذقال موسى﴾ مقدّر باذكر

اذاقسموا رجلا رجلا واىّ رجلين اى اىّ قسم من اقسام هذا الجنس اذا قسم رجلين رجلين وكذا يجوز زيدا افضل رجل اى افضل اقسام هذا الجنس اذا قسم رجلا رجلا الى هنا كلام الرضى رحمه الله تعالى ﴿قوله خصومة بالباطل﴾ فان القرآن الكريم قدكرر الله فيه تقرير جميع مايحتاج اليه الانسان فى كل واحدة من النشأتين بوجوه مختلفة واساليب عجيبة يتحير الناظرون فيها بالتأمل والاستبصار من اجل فضل الله تعالى ورحمته لعباده ومع هذا فانهم لايتدبرون دلائله ومافيه من الهدى والبيان لكونهم مجبولين على المجادلة والمخاصمة والعناد وبها يقطعون الطريق على انفسهم فتارة يجادلون مع الانبياء ولايقبلونهم بالنبوّة والرسالة ويقاتلونهم وتارة يجادلون فى الكتب المنزلة ويقولون ماانزل الله على بشر من شئ وتارة يجادلون فى متشابهاتها وتارة فى ناسخها ومنسوخها وتارة فى قدمها وحدوثها ونحو ذلك ولو تفرّغوا من المجادلة الى المعادلة والمجاهدة ومن المنازعة الى التعليم والمطاوعة لامتلأت قلوبهم بنور المعرفة والهداية وتوصلوا بذلك الى عز الدارين وكان الانسان ظلوما جهولا ﴿قوله من الايمان﴾ اوردكلمة من لتوضيح المعنى ولاضرورة الى تقديرها لان منع قد يتعدّى الى مفعوله الثانى بنفسه تقول اعطيته مالا ومنعته شرّا فان قوله ان يؤمنوا منصوب المحل على انه مفعول ثان لمنع وقوله الا ان تأتيهم مرفوع المحل على الفاعلية واذ ظرف لمنع ﴿قوله وهو الاستئصال﴾ اى سنة الله تعالى فى المصرّين على الكفر والعناد بعد قيام الحجة وظهور الآيات ان يعذبوا بعذاب الاستئصال وذلك لم يتحقق بعد فى حقهم حتى يجعل مانعا من ايمانهم فوجب تقدير المضاف اذ هم لايجعلون ايمانهم موقوفا على نزول عذاب الاستئصال اوعذاب الآخرة لان العاقل لايرضى بحصول هذين الامرين الا انه قيل فى حقهم انهم يزعمون ان الايمان متوقف على نزول احد الامرين وقد عدم حصول الموقوف عليه تشبيها لحالهم بحال من يعتقد توقف الايمان على احدهما ويترقب نزوله من عنده ومحصول المعنى لم يمنع الناس من الايمان الا التعنت والعناد لانه قد ظهر لهم من الحجج والآيات مالولم يعاندوا ولاكابروا للزمهم الايمان بها والتصديق لكن الذى منعهم من الايمان ماذكر من عنادهم وقيل معنى الآية مامنع كفار مكة من الايمان بعد قيام البرهان الا انى قدّرت فى حقهم ماهو سنتى فيمن قبلهم من المكذبين من التعذيب فتكون الآية نازلة فيمن قتل من المشركين يوم بدر ﴿قوله وهو لغة فيه﴾ الجوهرى رأيته قبلا وقبلا بالضم اى مقابلة وعيانا ورأيته قبلا بكسر القاف اى عيانا والقبيل الكفيل والجماعة من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب والجمع قبل وقوله تعالى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا قال الاخفش اى قبيلا وقال الحسن عيانا ﴿قوله استهزآء﴾ من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة والافالقرآن وانذارهم العقاب المنذر به ليس شئ منهما استهزآء قائما بالمستهزئين * الجوهرى الهزؤ والهزؤ السخرية تقول هزئت منه وهزئت به واستهزأت به والهزأة بالتحريك من يهزأ بالناس ﴿قوله على تقدير قوله مالى لاادعوهم﴾ متعلق بقوله وجواب وقوله فان حرصه على اسلامهم بيان لمايدل على المقدّر يعنى ان الجملة الشرطية جواب لقوله عليه الصلاة والسلام المدلول عليه بماهو عليه من حرصه على اسلامهم فانه عليه الصلاة والسلام لما قيل له انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا فهم منه انه قيل له انهم مأوفوا القلوب والآذان فأعرض عنهم واترك دعوتهم فنزل لكمال حرصه على اسلامهم منزلة من يسأل ويقول مالى لاادعوهم وقد بعثت للدعوة فاجيب عن هذا السؤال المقدّر بانك ان تدعهم الى الهدى فلن يتأثروا بدعوتك اذا اى فى تلك الحال وهى كونهم مطبوعا على قلوبهم وآذانهم ولما اشتمل الجواب على الشرط الذى هو سبب كان مابعد اذا جزآء مسببا عنه فصح ان اذا جواب وجزآء ﴿قوله ولابدّ من تقدير مضاف فى احدهما﴾ اى اما فى تلك او فى القرى اى اهل تلك القرى او تلك اصحاب القرى ﴿قوله لاهلاكهم﴾ اشارة الى ان المهلك بضم الميم وفتح اللام على وزن اسم المفعول مصدر اهلك ومن قرأه بفتحتين جعله مصدرا ميميا من الثلاثى على القياس ﴿قوله مقدّر باذكر﴾ عطف على قوله تعالى واذقلنا للملائكة اى واذكر يامحمد لهؤلاء المشركين المنكرين على قرآء المسلمين قصة موسى عليه الصلاة والسلام وتواضعه للذى ذهب اليه يتعلم منه وفيه تقريعهم على تكبرهم ومدح المؤمنين على تواضعهم وفيه ايضا تعريف اهل الكتاب والمشركين ان اخفاء اصحاب الكهف وذى القرنين عن محمد صلى الله عليه وسلم وتأخر الوحى عنه لايدل على انه ليس بنبىّ فان موسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا اصطفاه الله تعالى بكلامه وبانزال التوراة عليه ثم ذهب يتعلم من العلم ماعلمه غيره واىّ بعد فى ان يكون العالم الكامل فى اكثر العلوم يجهل بعض الاشياء فيحتاج فى تعلمها الى من دونه فلذلك

ارتحل موسى عليه الصلاة والسلام الى الخضر وقال له هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا فظهر ان هذه القصة مع كونها قصة مستقلة فى نفسها فهى نافعة فى تقرير المقصود من القصتين المتقدمتين ﴿قوله﴾ وقوله حتى ابلغ ﴿مجرور بالعطف على المجرور بالاضافة فى قوله لدلالة حاله وقوله عليه اى على الخبر متعلق بالدلالة وتوضيح المقام ان لا ابرح يجوز ان يكون من الافعال الناقصة المستدعية خبرا منصوبا من قولهم لا ابرح افعل ذلك اى لا ازال افعله من زال يزال وان يكون من الافعال التامة الغير المحتاجة الى الخبر من قولهم برح مكانه اى زال عنه وصار الى البراح وهو المتسع من الارض لا زرع فيه ولا شجر من زال يزول زوالا وأزاله غيره فذكر المصنف اولا انه من الافعال الناقصة لكن حذف خبره لان الحال والكلام يدلان عليه معا اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعى ما هى غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح ولا ازال اسير واسافر حتى ابلغ ثم ذكر وجها آخر لكونه من الافعال الناقصة وهو ان فى الكلام حذف مضاف تقديره لا يبرح مسيرى ثم حذف المضاف واقيم ياء المتكلم مقامه فانقلبت مرفوعة مستترة بعد ان كانت مجرورة المحل بارزة وكذا انقلب الفعل من لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وبقى حتى ابلغ هو الخبر وفيه بحث وهو ان هذه الجملة خالية عن ضمير يربطها ويعود الى قوله مسيرى فكيف تكون هذه الجملة خبرا عن مسيرى فى الاصل والضمير الذى فيها يعود الى ضمير المتكلم الذى اضيف اليه المسير وذلك لا يكتفى به رابطا الا ان يقال العائد محذوف تقديره حتى ابلغ به اى بمسيرى او يقال جعلها خبرا على طريق التوسع والمسامحة اقامة لما هو غاية للخبر مقام الخبر والتقدير لا يبرح مسيرى حاصلا او مستمرا حتى ابلغ وفرقه من الوجه الاول مع اشتراك الوجهين فى حذف الخبر ان حذف الخبر فى الوجه الثانى متفرع على حذف المضاف من الاسم بخلاف الوجه الاول فهما متغايران فى التخريج النحوى وان اتحدا فى الاحتياج الى حذف الخبر ثم ذكر وجها آخر وهو ان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول على حذف الصلة اى لا ازول عما انا عليه من المسير ولا افارقه ولا اتركه حتى ابلغ وعلى هذا الوجه وان لم يحذف الخبر لكن حذف المفعول الغير الصريح فالحذف لا بد منه على كل واحد من التقديرين ﴿قوله﴾ وعد لقاء الخضر فيه ﴿روى ان موسى عليه الصلاة والسلام سأل ربه اى عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او تردّه عن ردى فقال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فأخبرنى فذهبا يمشيان حتى بلغا مجمع بينهما فرقد موسى فاضطرب الحوت عند الصخرة فطهر الى البحر وسار وقيل ان يوشع توضأ فى ذلك المكان من عين تسمى ماء الحياة لا يصيب ذلك الماء شيأ الا يحيى فانتضح الماء على الحوت المالح فعاش ووثب فى الماء وقيل انفجر هناك عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين الى السمكة وهى فى المكتل فاضطربت وعاشت فوثبت فى البحر والحاصل انه تعالى بين لموسى عليه الصلاة والسلام ان هذا العالم موضعه مجمع البحرين وما عين له موضعا بعينه لكن جعل انقلاب الحوت حيا علامة دالة على مسكنه المعين ﴿قوله﴾ والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضى الحقب ﴿حقبا منصوب على الظرفية ﴿قوله﴾ او حتى ابلغ الا ان ﴿يعنى ان كلمة او بمعنى الا ان اى لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع البحرين الا ان امضى زمانا اتيقن معه فوات مجمع البحرين ﴿قوله﴾ فاعجب بها ﴿اى استحسن تلك الخطبة لبلاغتها واشتمالها على المعارف والعلوم الكثيرة من قولهم اعجبنى هذا الشئ احسنه ﴿قوله﴾ وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر ﴿وهو من اولاد سام بن نوح لقى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فطاف الدنيا والخضر على مقدمته وسد يأجوج ومأجوج وبنى الاسكندرية واما ذو القرنين الاصغر فهو اليونانى الذى قتل دارى وسلب ملكه وتزوج ابنته واجتمع له ملك الروم وفارس وطاف الدنيا وبلغ الظلمات وقال الامام اختلف الناس فى ان ذا القرنين من هو وذكروا اقوالا الاول انه هو الاسكندر بن فيلبوس اليونانى قالوا والدليل عليه ان القرآن دل على ان الرجل المسمى بذى القرنين بلغ ملكه الى المغرب بدليل قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة وايضا بلغ ملكه اقصى المشرق وان يأجوج ومأجوج قوم من الترك يسكنون فى اقصى الشمال بدليل ان السد المذكور فى القرآن يقال فى كتب التاريخ انه مبنى فى اقصى

﴿لفتاه﴾ يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده ﴿لا ابرح﴾ اى لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله ﴿حتى ابلغ مجمع البحرين﴾ من حيث انها تستدعى ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيرى حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعى الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام فان موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع ﴿او أمضى حقبا﴾ او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضى الحقب او حتى ابلغ الا ان امضى زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روى ان موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر فى ايام افريدون وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه اى عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او تردّه عن ردى فقال ان كان فى عبادك اعلم منى فادلنى عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فأخبرنى فذهبا يمشيان

الشمال فهذا المسمى بذى القرنين قد دل القرءآن على ان ملكه بلغ اقصى المشرق والمغرب والشمال وهذا هو تمام القدر المعمور من الارض ومثل هذا الملك البسيط لاشك انه على خلاف العادات وما كان كذلك وجب ان يبقى ذكره مخلدا على وجه الدهر وان لا يبقى مستترا والملك الذى اشتهر فى كتب التواريخ انه بلغ ملكه الى هذا الحدّ ليس الا الاسكندر وذلك انه لما مات ابوه فيلبوس جمع ملوك الروم بعد أن كانوا طغاة ثم جمع ملوك الغرب وقهرهم وامعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بنى اسرآئيل وورد بيت المقدس وذبح فى مذابحهم ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه الى دارى بن دارى وهزمه مرّات الى ان قتله صاحب حرسه فاستولى الاسكندر على ممالك الفرس ثم قصد الى الهند واليمن وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدآئن الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها فلما ثبت بالقرءآن ان ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية او مايقرب منها وثبت بعلم التواريخ ان الذى هذا شأنه ماكان الا الاسكندر وجب القطع بان المراد بذى القرنين هو الاسكندر بن فيلبوس اليونانى * ثم قال الامام الا ان فيه اشكالا قويا وهو انه كان تلميذ ارسطاطاليس الحكيم وهو على مذهبه فتعظيم الله تعالى اياه يوجب الحكم بان مذهب ارسطاطا ليس حق وصدق وذلك مما لاسبيل اليه * واجيب عنه بما روى من ان الخضر كان على مقدّمة ذى القرنين فدعاه الخضر عليه السلام الى الاسلام فاسلم وكان على ملة الخليل عليه الصلاة والسلام وقد استوزره فلم يقبل منه وانقطع بسببه وبهذا يندفع الاشكال المذكور ان صح والله اعلم وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كان الخضر ابن ملك من الملوك فاراد ابوه ان يستخلفه من بعده فلم يقبل وهرب منه ولحق بجزآئر البحر فطلبه ابوه فلم يقدر عليه ﴿قوله اى مجمع البحرين﴾ يعنى ان ضمير بينهما للبحرين وان حق الاجتماع ان يضاف الى البحرين لا الى البين وانما اضيف الى البين توسعا * قال الامام اجمع المفسرون على ان المعنى انطلقا الى ان بلغا مجمع البحرين بارجاع ضمير بينهما الى البحرين ويحتمل ان يرجع الى موسى والخضر عليهما السلام ويكون المعنى ولما بلغا الموضع الذى هو مجمع موسى وصاحبه الذى كان يقصده لان ذلك الموضع الذى وقع فيه نسيان الحوت هو الموضع الذى كان الخضر يسكن فيه او يسكن بقربه والظاهر ان لفظ البحرين على هذا الاحتمال باق على اصل معناه لا كما قيل من ان البحرين موسى والخضر عليهما السلام ﴿قوله نسى موسى ان يطلبه ويتعرّف حاله﴾ قيل النسيان فعل يوشع وحده والكلام على حذف المضاف اى نسى احدهما كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمصنف لم يرض به بل جعل النسيان مسندا اليهما على معنى نسيا امر الحوت نسى موسى ان يتعرّف حاله ونسى يوشع ان يذكر لموسى ماشاهد من الحوت وهو اضطرابه ووثبته فى البحر ذاهبا فيه وقدّر المضاف ومن المعلوم ان ليس المراد من نسيان الحوت نسيان ذاته بل نسيان حاله قيل انهما خرجا من الشام وذهبا نحو أرمينية فانتهيا الى الصخرة التى قيل لموسى انك تجد عندها العبد الصالح الذى تطلبه فلما انتهيا اليها وضع موسى عليه الصلاة والسلام رأسه فنام فاضطرب الحوت ووثب فى البحر وشاهده يوشع ورآه ولم يره موسى ونسى يوشع ان يذكر امره لموسى وتوضيح الفرق بين قوله نسى موسى ان يطلبه وبين قوله وقيل نسيا تفقد امره الخ يتوقف على بيان مقدّمة وهى انه تعالى بين لموسى عليه الصلاة والسلام ان موضع الخضر بمجمع البحرين ثم ان ذلك المجمع لما كان متسعا عريضا لا يتعين ان موضع ملاقاة الخضر من ذلك المكان المتسع اىّ موضع هو جعل فقدان الحوت المشوىّ علامة دالة على الظفر بالمطلوب وتعيين مكانه من بين ذلك المكان المتسع الذى عبر عنه بمجمع البحرين فلما بلغا ذلك المجمع الذى يتعين به مكان الخضر بنوع تعين كان على موسى عليه الصلاة والسلام ان يطلب ما به يتعين خصوص مسكنه ويتعرّف حاله هل هو باق فى المكتل او مفقود ذاهب وكان على يوشع ان يذكر له مارأى من حاله فنسى كل واحد منهما ما هو اللائق بحاله وارتحلا من ذلك الموضع من غير ان يطلب موسى عليه الصلاة والسلام الحوت ويتعرّف حاله ومن غير ان يذكر يوشع مارأى من حياة الحوت ودخوله البحر وهذا ما اختاره المصنف وذكره بقوله نسى موسى ان يطلبه الخ ولم يرض بقول من قال ان ما نسيه كل واحد منهما امر واحد وهو تفقد مايكون امارة على الظفر بالمطلوب من احوال الحوت لان هذا هو الذى نسيه موسى واما يوشع فقد شاهد من الحوت هذه الامارة وانما نسى ان يذكرها لموسى ﴿قوله مسلكا﴾ على ان السرب مصدر كالطلب اريد به الموضع والمذهب يسرب فيه اى يسلك ويذهب فيه من قولهم سرب اى ذهب على

﴿ فلما بلغا مجمع بينهما ﴾ اى مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل ﴿ نسيا حوتهما ﴾ نسى موسى ان يطلبه ويتعرّف حاله ويوشع ان يذكر له مارأى من حياته ووقوعه فى البحر روى ان موسى رقد فاضطرب الحوت المشوىّ ووثب فى البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب فى الماء وقيل نسيا تفقدا امره ومايكون منه امارة على الظفر بالمطلوب ﴿ فاتخذ سبيله فى البحر سربا ﴾ فاتخذ الحوت طريقه فى البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاقى عليه ونصبه على المفعول الثانى وفى البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ ﴿ فلما جاوزا ﴾ مجمع البحرين

﴿قال لفتاه آتنا غداءنا﴾ ما نتغدّى به ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر ألقى عليه الجوع والنصب وقيل لم يعى موسى فى سفر غيره ويؤيد التقييد باسم الاشارة ﴿قال أرأيت اذ أوينا﴾ أرأيت مادهانى اذ أوينا ﴿الى الصخرة﴾ يعنى الصخرة التى رقد عندها موسى وقيل هى الصخرة التى دون نهر الزيت ﴿فانى نسيت الحوت﴾ فقدته او نسيت ذكره بما رأيت منه ﴿وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره﴾ اى وما انسانى ذكره الا الشيطان فان أذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكره وهو اعتذار

عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى بمشاهدة امثالها عند موسى وألفها قل اهتمامه بها ولعله نسى ذلك لاستغراقه فى الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه اولان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعدّ من نقصان صاحبها ﴿واتخذ سبيله فى البحر عجبا﴾ سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثانى هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اى قال فى آخر كلامه او موسى فى جوابه عجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اى اتخذ موسى سبيل الحوت فى البحر عجبا ﴿قال ذلك﴾ اى امر الحوت ﴿ما كنا نبغ﴾ نطلب لانه امارة المطلوب ﴿فارتدّا على آثارهما﴾ فرجعا فى الطريق الذى جآ فيه ﴿قصصا﴾ يقصان قصصا اى يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى أتيا الصخرة ﴿فوجدا عبدا من عبادنا﴾ والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ هى الوحى والنبوّة ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾ مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب ﴿قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمنى﴾ على شرط ان تعلمنى وهو فى موضع الحال من الكاف ﴿مما علمت رشدا﴾ علما اذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمنى ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذى له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافى نبوّته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا فى ابواب الدين فان الرسول ينبغى ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما يبعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى فى ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه ﴿قال انك لن تستطيع معى صبرا﴾ نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنه مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾ اى وكيف تصبر وانت نبىّ على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره ﴿قال ستجدنى ان شاء الله صابرا﴾ معك غير منكر عليك ﴿ولا اعصى لك امرا﴾ عطف على صابرا اى ستجدنى صابرا وغير عاص او على ستجدنى وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد بلا خلف وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى

وجهه فى الارض والسرب ايضا بيت فى الارض لا منفذ له واذا كان له منفذ يقال له نفق * الجوهرى النفق سرب فى الارض له مخلص الى مكان فقيل ومنه السرب فى الآية روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال معنى جعل سبيله فى البحر سربا انه دخل فى البحر كما يدخل فى السرب كأنّ الماء ارتفع بعضه فصار كالطاق والكوّة فذهب الحوت فيه فصار الماء على الحوت كالطاق وصار الحوت فى البحر كأنه فى السرب ﴿قوله﴾ ما نتغدّى به ﴿قوله﴾ الغداء ما يعدّ للاكل غدوة والعشاء ما يعدّ للاكل عشية ﴿قوله﴾ قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد ﴿قوله﴾ فيكون حكمة هذا الاشارة الى مسيرهما بعد المجاوزة وكان هذا المسير اتعب لهما مما سبق لان رجاء المطلوب يقرّب البعيد والخيبة تبعد القريب ولهذا ورد فى الحديث ان موسى عليه الصلاة والسلام لم ينصب الا منذ جاوز الموضع الذى حدّه الله تعالى ﴿قوله﴾ أرأيت مادهانى اذ أوينا ﴿قوله﴾ يعنى ان قوله ارأيت بمعنى اخبرنى حذف مفعوله الذى هو المستخبر عنه وهو المظروف لقوله اذ أوينا وهو ظرف قوله فانى نسيت الحوت وحذف لدلالة مقام الحيرة عليه ونهر الزيت علم لنهر هناك سمى نهر الزيت لكثرة اشجار الزيت على شاطئه ﴿قوله﴾ وما انسانيه الا الشيطان ﴿قوله﴾ قرأ حفص بضم الهاء فيه وفى قوله فى سورة الفتح عليه فى الوصل والباقون بكسرها فيهما وان اذكره فى محل النصب على انه بدل من هاء انسانيه بدل اشتمال اى انسانى ذكره ﴿قوله﴾ سبيلا عجبا ﴿قوله﴾ على ان يكون فاعل اتخذ ضمير الحوت وسبيله اوّل مفعولى اتخذ وفى البحر يجوز ان يتعلق بقوله اتخذ وان يتعلق بمحذوف على انه حال من المفعول الاوّل او الثانى وعجبا صفة محذوف هو ثانى المفعولين ﴿قوله﴾ واتخاذا عجبا ﴿قوله﴾ على ان عجبا صفة محذوف هو مفعول مطلق لاتخذ وفى البحر هو المفعول الثانى ﴿قوله﴾ او موسى فى جوابه ﴿قوله﴾ عطف على المستتر فى قال لقيام الفصل مقام التأكيد اى قال فتى موسى فى آخر كلامه عجبا اى عجبت عجبا فحكى الله تعالى ذلك او قال موسى ذلك فى جواب فتاه فحكى الله تعالى ذلك عنه وهذا الاحتمال الاخير ليس مما يعوّل عليه لان موسى عليه الصلاة والسلام لما قال ليوشع آتنا غداءنا اجابه بقوله ارأيت اذ أوينا الى الصخرة وهى كلمة تعجب وقال واتخذ سبيله فى البحر اى تعجب فتى موسى من ذلك فحكى الله تعالى تعجبه والارتياب فى نفسه بعيد من بلاغة التنزيل بل ينبغى ان يكون عجبا مقول فتى موسى ﴿قوله﴾ يقصان قصصا ﴿قوله﴾ على ان قصصا مصدر منصوب بفعل مقدّر من لفظه او مصدر لقوله فارتدّا على آثارهما لان معناه اقتصا على آثارهما ﴿قوله﴾ او مقتصين ﴿قوله﴾ على انه مصدر بمعنى اسم الفاعل فنصبه على الحال ﴿قوله﴾ تعالى علما ﴿قوله﴾ مفعول ثان لعلمناه ولو كان مفعولا مطلقا لقيل تعليما وقوله من لدنا يجوز ان يتعلق بالفعل قبله او بمحذوف على انه حال من علما ﴿قوله﴾ وهو فى موضع الحال من الكاف ﴿قوله﴾ فى اتبعك اى اتبعك باذلا لى علمك ﴿قوله﴾ او مصدرا باضمار فعله ﴿قوله﴾ اى على ان تعلمنى وترشدنى رشدا او مما علمت وارشدت رشدا ﴿قوله﴾ فاستجهل نفسه ﴿قوله﴾ فان قوله على ان تعلمنى اقرار منه على نفسه بالجهل وعلى استاذه بالعلم وقوله مما علمت كلمة من فيه للتبعيض فطلب تعليم بعض ما علم كأنه يقول لا اطلب منك ان تجعلنى مساويا لك فى العلم بل اطلب منك ان تفيدنى بعض ما علمت روى انه لما قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا قال له الخضر كفى بالتوراة علما وبنى اسرآئيل شغلا فقال له موسى ان الله امرنى بهذا فحينئذ قال له انك لن تستطيع معى صبرا وانما قال ذلك لانه علم انه يرى امورا كثيرة منكرة بحسب الظاهر ولا يجوز للانبياء ان يصبروا على المنكرات ثم بين عذره فى ترك الصبر فقال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا وخبرا تمييز لقوله لم تحط وهو منقول من الفاعلية اذ الاصل بما لم يحط به خبرك اى علمك ويجوز ان يكون مفعولا مطلقا من غير لفظ الفعل لان قوله لم تحط به بمعنى لم تخبر به خبرا * الجوهرى من اين خبرت هذا الامر اى من اين علمت والاسم الخبر بالضم وهو العلم بالشئ وقولهم لا خبرت خبرك اى لا علمت خبر علمك ﴿قوله﴾ وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى ﴿قوله﴾ فان الصبر فى مقام التوقف واجب مأمور به فلو كان جميع ما امر الله به واجبه على العبد قد أراده الله تعالى لما كان لتعليق صبره بمشيئة الله فائدة فان كلمة ان تفيد الشك فقوله ستجدنى ان شاء الله معناه ستجدنى صابرا ان شاء الله كونى صابرا وهذا يقتضى وقوع الشك فى ان الله تعالى هل يريد كونه صابرا او لا وكونه مشكوكا فيه يدل على انه تعالى قد لا يريد من العبد ما اوجبه عليه وانه تعالى قد يأمر بالشئ مع انه لا يريده لا كما زعمت المعتزلة من ان الامر يستلزم الارادة ولما كان تحقق مشيئة الله تعالى غيبا لا يعلم حصولها الا اذا علمنا حصول متعلقها كان تعليق ما التزمه من الصبر بحصولها موهما لكونه غير

﴿قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ﴾ فلا تفاتحنى بالسؤال عن شئ انكرته منى ولم تعلم وجه صحته ﴿حتى احدث لك منه ذكرا﴾ حتى ابتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألنى بالنون الثقيلة ﴿فانطلقا﴾ على الساحل يطلبان السفينة ﴿حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها﴾ اخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من ألواحها ﴿قال أخرقتها لتغرق اهلها﴾ فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضى الى غرق اهلها وقرئ لتغرّق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائى ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل ﴿لقد جئت شيأ امرا﴾ اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم ﴿قال ألم اقل انك لن تستطيع معى صبرا﴾ تذكير لما ذكره قبل ﴿قال لا تؤاخذنى بما نسيت﴾ بالذى نسيته او بشئ نسيته يعنى وصيته بان لا يعترض عليه او بنسيانى اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه فى معرض النهى عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك اوّل مرّة وقيل انه من معاريض الكلام

والمراد شئ آخر نسيه ﴿ولا ترهقنى من امرى عسرا﴾ ولا تغشنى عسرا من امرى بالمضايقة والمؤاخذة على المنسىّ فان ذلك يعسر علىّ متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وأرهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين ﴿فانطلقا﴾ اى بعد ما خرجا من السفينة ﴿حتى اذا لقيا غلاما فقتله﴾ قيل فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه لما لقيه قتله من غير تروّ واستكشاف حال ولذلك ﴿قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس﴾ اى طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاوّل ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التى لم تذنب قط والزكية التى اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاوّل لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم ير هاقد اذنبت ذنبا يقتضى قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدّا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزآء واعتراض موسى عليه السلام مستأنفا وفى الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزآء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله ﴿لقد جئت شيأ نكرا﴾ اى منكرا وقرأ نافع فى رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر بضمتين ﴿قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا﴾ زاد فيه لك مكافحة بالعقاب على رفض الوصية ووسم بقلة الثبات والصبر لما تكرّر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اوّل مرّة حتى زاد فى الاستنكار ثانى مرّة ﴿قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى﴾ اى وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبنى اى فلا تجعلنى صاحبك ﴿قد بلغت من لدنى عذرا﴾ قد وجدت عذرا من قبلى لمخالفتك ثلاث مرّات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى موسى استحيى فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لأبصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع من لدنى بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدمامة كقوله * قدنى من نصر الخبيبين قدى * وابو بكر لدنى بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد ﴿فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية﴾ قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل ارمينية ﴿استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما﴾ وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال ﴿فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض﴾ يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال

* يريد الرمح صدر ابى براء * ويعدل عن دماء بنى عقيل *

وقال آخر

* ان دهرا يلف شملى بجمل * لزمان يهم بالاحسان *

وانقضّ افعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاض بالصاد المهملة من انقاضت السنّ اذا تشققت طولا ﴿فأقامه﴾ بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه ﴿قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا﴾ تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به

عازم عليه ومعلوم انه عازم على الصبر فيكون تعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر لا لكونه غير عازم على الصبر كتعليق من قال انت طالق ان شاء الله فانه لا يقع الطلاق ولا يكون الزوج عازما على الطلاق بهذا القول والمقصود من هذا الكلام دفع ما يقال من ان ما حكاه الله تعالى عن الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام يستلزم صدور الكذب من احدهما فان الخضر قال لموسى انك لن تستطيع معى صبرا وقال موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا وكل واحد من هذين القولين يكذب الآخر فيلزم الحاق الكذب باحدهما وصدور الكذب من احدهما ينافى عصمة الانبياء * وتقرير الجواب انه لم يحصل صدور الكذب من واحد منهما اما من الخضر فلتحقق عدم الصبر من موسى باستخباره عما رأى من الخضر وانكره نظرا الى ظاهره واما من موسى فانه قد استثنى فى جوابه وقال ستجدنى ان شاء الله صابرا فان التعليق بالمشيئة يدفع الحنث وينافى الكذب وقيل انه من معاريض الكلام بان لا يكون النسيان بمعنى الترك بل اراد به ما يقابل الذكر الا انه لا يراد به نسيان وصيته بل النسيان فى الجملة اذ الانسان لا يخلو عن نسيان لما روى عن ابن عباس انه سمى انسانا لانه عهد اليه فنسى والتعريض خلاف التصريح وذلك يكون بان تصرّح بذكر شئ وتميل كلامك الى عرض وناحية لم تذكر كقولك ما اقبح البخل تعرّض للمخاطب انه بخيل فعلى الاوّل فكان موسى نسى وصية الخضر حقيقة ونهاه عن المؤاخذة معتذرا بالنسيان المانع عنها وعلى الثانى لم ينس فى نفس الامر بل نهاه عن اخذه بالنسيان موهما من قبيل المعاريض او حمل النسيان على الترك لان المؤاخذة بالنسيان حقيقة مما لا يصدر من النبى فلا يحتاج الى النهى عنها وجعل صورة المنهى فى الوجه الاوّل طريقا الى الاعتذار بالنسيان الناشئ عن قلة التحفظ ﴿قوله﴾ ولذلك ﴿ اى ولكون القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فصله بقوله لقد جئت شيأ نكرا فان النكر اعظم من الامر فى القبح لان ما يشتدّ ويعظم من الامور لا يلزم ان يكون منكرا والشئ انما يكون نكرا اذا انكرته العقول ونفرت عنه الطباع والنفوس ﴿قوله﴾ قدنى من نصر الخبيبين قدى ﴿ اكتفى بتحريك الدال من قدى عن نون الوقاية والخبيبان عبد الله بن الزبير وابنه خبيب وقيل هو واخوه مصعب ومن روى الخبيبين على الجمع اراد ثلاثتهم وقرأ ابو بكر لدنى بضم الدال وتشديد النون وعن الزجاج قال اجود القراآت تشديد النون لان اصل لدن الاسكان فاذا اضفته الى نفسك زدت نونا ليسلم سكون النون الاصلية فتقول من لدنى كما تقول منى وعنى ومن قال لدنى لم يجزله ان يقول منى وعنى بتركك نون الوقاية لان لدن اسم غير متمكن فلا ضير فى تحريك آخره بخلاف من وعن فانهما حرفان والدليل على ان الاسماء يجوز فيها حذف النون قولهم قدى فى قدنى فان قد اسم غير متمكن * قال الجوهرى بعد ما ذكر ان كلمة قد حرف لا تدخل الا على الافعال واما قولهم قدك بمعنى حسبك فهو اسم وتقول قدى وقدنى ايضا بالنون على غير القياس لان هذه النون انما تزاد فى الافعال وقاية لها عن صورة الجرّ مثل ضربنى وشتمنى ﴿قوله﴾ تعالى استطعمها اهلها ﴿ اى سألاهم الطعام فان آخر كسب الجائع الاقدام على المسألة والاستطعام وهو امر مباح فى كل الشرآئع وربما يجب ذلك عند خوف التلف والضرر الشديد عن ابىّ بن كعب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كانوا اهل قرية لئام * قال الامام رأيت فى كتب الحكايات ان اهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل من الذهب وقالوا يا رسول الله نشترى بهذا الذهب ان تجعل البناء تاء حتى تصير القرآءة هكذا فأتوا أن يضيفوهما اى اتوا لأن يضيفوهما اى اتيان اهل تلك القرية اليهما لاجل الضيافة وقالوا غرضنا منه ان يدفع عنا هذا اللؤم فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان تغيير هذه النقطة يوجب دخول الكذب فى كلام الله وذلك يوجب القدح فى الآلهية فعلمنا به ان تغيير هذه النقطة الواحدة يوجب بطلان الربوبية والعبودية ﴿قوله﴾ فاستعيرت الارادة ﴿ فانها لكونها من صفات الاحياء لا يوصف الجدار بها حقيقة فشبه مشارفة الجدار الى الانقضاض بالارادة بجامع الميلان بينهما فاستعيرت لها فهى استعارة تبعية ﴿قوله﴾ يلف شملى ﴿ اى يجمع ما تشتت من امرى وجعل اسم محبوبته يقول ان دهرا يجمع بينى وبين محبوبتى دهرهم الاحسان لا الاساءة شبه مساعدة الزمان لاجتماعه مع محبوبته بالهم فاستعير لها ﴿قوله﴾ وقرئ ان ينقض ﴿ على بناء المفعول من النقض بمعنى الهدم يقال نقض البناء ينقضه اذا هدمه وان ينقاض من قاصه يقيصه اى كسره وتقول العرب انقاصت السنّ اذا انشقت طولا ﴿قوله﴾ لينتعشا ﴿ اى ليتقويا ويرتفعا عن انحطاط الضرورة يقال نعشه الله اى رفعه وانتعش

(العاثر)

العاثر اذا نهض من عثرته نفى عنه مشيئة اتخاذ الاجر على عمله تحريضاله على اخذه كأنه قال لم تشأ ذلك وقد علمت حالنا وحالهم ﴿قوله﴾ اوتعريضا بانه ﴿ اى بان الاشتغال باصلاح الجدار فضول اى فعل زائد لايهمنا لانك لاتفعله لاخذ الاجر وليس لنا فى نفس اقامة الجدار فائدة فهى من فضول العمل ﴿قوله﴾ واتخذ افتعل من تخذ ﴿ على وزن علم والظاهر انه افتعل من اخذ اصله ائتخذ ابدلت الهمزة ياء ثم ابدلت الياء تاء وادغمت فى التاء وذلك لان مادّة تخذ لم يذكرها الجوهرى بل قال الاتخاذ افتعال من الاخذ الا انه ادغم بعد تليين الهمزة وابدال الياء تاء ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا ان التاء اصلية فبنوا منه فعل يفعل وقالوا تخذ يتخذ وقرئ لتخذت عليه اجرا وقولهم اخت كذا يبدلون الذال تاء فيدغمونها فى التاء هذا كلامه الا ان البصريين يجعلونه من الاخذ بناء على انه لما جاء فى بعض القراآت لتخذت دل على ان هذه اللغة واقعة فى كلام العرب وكانت التاء الاولى فى اتخذ دآئرة بين الاصالة والانقلاب عن الهمزة ولاشك ان الاولى تحمل على الاصالة فلهذا قطعوا بانه ليس من الاخذ ﴿قوله﴾ الاشارة الى الفراق الموعود ﴿ فان المشار اليه لايجب ان يكون موجودا حاضرا وقت الاشارة بل يكفى ان يكون موجودا ذهنا ويدل عليه قوله تعالى تلك الدار الآخرة وهى معدومة وقت نزول القرآن ولما وعده موسى عليه الصلاة والسلام انه ان حدثت منه مسألة ثالثة يفارقه ولايلح عليه فى المصاحبة فلما وقع منه الاعتراض على ترك الاجر وحل ميعاد الفراق الموعود تصوّر الخضر عليه السلام ذلك الفراق الموعود فاشار اليه وجعله مبتدأ واخبر عنه على طريق قولك هذا اخوك فان لفظ هذا لايشار به الى غير الاخ فكذا فى الآية وخص الاعتراض الثالث بكونه سبب الفراق دون الاوّلين لان لموسى عليه الصلاة والسلام فى السؤالين الاوّلين عذرا وهو كون الظاهر كان منكرا بخلاف الاعتراض الثالث فانه غير مبنى على امر منكر وانما بناه على طمعه الذى هو منكر فى نفسه فان الطمع اردى الخصال فلما نطق موسى عليه الصلاة والسلام بما ينبئ عن الطمع قال له الخضر هذا فراق بينى وبينك وجعله سببا للفراق واصله هذا فراق بينى وبينك فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به ﴿قوله﴾ سأنبئك بالخبر الباطن الخ ﴿ اى بالحكمة التى تخفى عليك فيما توليته من الامور سميت تأويلا لكونها مرجعا ومصيرا لتلك الامور من قولهم آل الامر الى كذا اى صار اليه وتلك الحكمة خفيت على موسى لان احكام الانبياء عليهم الصلاة والسلام مبنية على الظواهر كما قال عليه الصلاة والسلام *نحن نحكم بالظواهر والله يتولى السرآئر* اى من يتولى سرآئر الامور وظواهرها هو الله تعالى والظاهر فى اموال الناس ونفوسهم ان لايكون لغيرهم ولاية التصرّف فيها من غير سبب والخضر لما تصرّف فى اموال الناس ونفوسهم من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرّف كان ذلك التصرّف منكرا فى حكم الشرع الا انه تعالى لما آتى الخضر قوّة عقلية قدر بها ان يطلع على بواطن الامور ويقف على الاسرار الالهية التى هى اسباب معتبرة فى نفس الامر لما ذكر من التصرّفات فعل ما فعل لتلك الاسرار الخفية والحكم الالهية فظهر بهذا تفاوت ما بين موسى والخضر عليهما السلام فى باب العلم وان مرتبة الخضر كانت فوق مرتبة موسى فيه * فان قيل ظهر مما ذكر انه تعالى خص الخضر بما علمه من العلوم اللدنية فكانت مرتبته فوق مرتبة موسى باختصاصه بتلك العلوم والاطلاع على بواطن الاشياء وحقائقها وموسى لايعلم هذا النوع من العلوم الالهية فكان من الواجب على الخضر ان يظهر له علما يمكنه تعلمه وهذه المسائل الثلاث علوم لايمكن تعلمها فما الفائدة فى ذكرها واظهارها * فالجواب ان العلم بالاسرار الالهية وان كان لايمكن تعلمه بنفسه من البشر الا انه يمكن ان يتعلم طريق حصوله بتصفية الباطن وتجريد النفس وتطهير القلب من العلائق البدنية ثم ان موسى عليه السلام لما استكمل بمعرفة الشرآئع الظاهرة بعثه الله تعالى الى هذا العالم ليعلم ان كمال الانسان بان ينتقل من علوم الشريعة المبنية على الظواهر الى علوم البواطن والحقائق المبنية على التنزه عما يشغل سرّه عن الحق والتوجه الى جناب القدس وعالم الغيب ﴿قوله﴾ قدّامهم او خلفهم ﴿ اى ان لفظ وراء من الاضداد يطلق على كل واحد من جهتى الامام والخلف قال تعالى من ورآئهم جهنم اى امامهم وقال ويذرون ورآءهم يوما ثقيلا وذلك ان وراء وان كان ظرف مكان الا انه مأخوذ من التوارى وهو التستر والاختفاء يقال واريت الشئ اى اخفيته وتوارى هو اى تستر وكل ماغاب عنك فهو متوارى عنك وانت متوارى عنه فيصح ان يقال لكل ماغاب عنك انه ورآءك وما كان امام الشئ او قدّامه اذا كان غائبا عنه لايبعد ان يطلق عليه لفظة وراء ولكون الورآء بمعنى القدّام احتج بوروده فى القرآن بذلك المعنى وبقراءة ابن عباس وكان امامهم ملك وان كان الملك الغاصب فى جهة خلفهم لابدّ ان يكون

اوتعريضا بانه فضول لما فى لو من النفى كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لايعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت اى لأخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون ﴿قال هذا فراق بينى وبينك﴾ الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبنى اوالى الاعتراض الثالث اوالوقت اى هذا الاعتراض سبب فراقنا اوهذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل ﴿سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا﴾ بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر ﴿اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر﴾ لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيأ اذالم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك وزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون فى البحر ﴿فاردت ان اعيبها﴾ اجعلها ذات عيب ﴿وكان وراءهم ملك﴾ قدّامهم اوخلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منوار بن جلندى الازدى ﴿يأخذ كل سفينة غصبا﴾ من اصحابها وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعيب مسبب عن خوف الغصب

وانما قدّم للعناية اولان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزءين وأدعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها ﴿واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما﴾ ان يغشاهما ﴿طغيانا وكفرا﴾ لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرّا اويقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع فى بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر اويعديهما بعلته فيرتدّا باضلاله اوبما لأته على طغيانه وكفره حباله وانما خشى ذلك لان الله تعالى اعلمه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان نجدة الحرورى كتب اليه كيف قتله

وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ماعلمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اى فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله تعالى ﴿فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه﴾ ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه ﴿زكاة﴾ طهارة من الذنوب والاخلاق الرديئة ﴿واقرب رحما﴾ رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوّجها نبىّ فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم قرأ نافع وابوعمرو ويدّلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكاة ﴿واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة﴾ قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول خيسون ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ من ذهب وفضة روى ذلك مرفوعا والذم على كنزهما فى قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدّى زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لااله الاالله محمد رسول الله ﴿وكان ابوهما صالحا﴾ تنبيه على ان سعيه فى ذلك كان لصلاحه وقيل كان بينهما وبين الاب الذى حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحا واسمه كاشح ﴿فاراد ربك ان يبلغا اشدّهما﴾ اوالحلم وكمال الرأى ﴿ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾ مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة اومصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف وتقديره فعلت مافعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اوّلا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لامدخل له فى بلوغ الغلامين اولان الاوّل فى نفسه شرّ والثالث خير والثانى ممتزج اولاختلاف حال العارف فى الالتفات الى الوسائط ﴿ومافعلته﴾ ومافعلت مارأيته (وناصح)

﴿عن امرى﴾ عن رأيى وانما فعلته بامر الله عزوجل ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرآئع فى تفاصيله مختلفة ﴿ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا﴾ اى مالم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوآئد هذه القصة ان لايعجب المرء بعمله ولايبادر الى انكار مالم يستحسنه فلعل فيه سرّا لايعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للعلم ويراعى الادب فى المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اضراره ثم يهاجر عنه ﴿ويسألونك عن ذى القرنين﴾ يعنى اسكندر الرومى ملك فارس والروم

مرجع السفينة عليه حتى يكون خرقها فائدة وقوله تعالى غصبا يحتمل ان يكون مصدرا فى موضع الحال وان يكون مفعولا مطلقا لبيان نوع الاخذ نحو رجع القهقرى ﴿قوله وانما قدّم للعناية﴾ يعنى قدّم السبب الذى هو ارادة التعييب على السبب وهو خوف الغصب مع ان حق المسبب ان يترتب على السبب ويتأخر عنه لوجهين احدهما العناية بتقديمه ووجه العناية ان موسى عليه الصلاة والسلام بنى انكاره على خرق السفينة على كون خرقها مؤدّيا الى اغراق اهلها فمن خرقها فانما يريد اغراق اهلها فكان الاهم بالنسبة الى المجيب ان يدفع مبنى انكاره فدفعه بان خرقها لارادة تعييبها لالاجل الاغراق وثانيهما ان السبب ليس مجرّد خوف غصب السفينة الصحيحة بل كون السفينة للمساكين جزؤ سبب التعييب وذكر الجزء الآخر عقيبه على سبيل التقييد لانه حال من فاعل اردت باضمار قد ﴿قوله اويقرن بايمانهما﴾ عطف على قوله فيلحقهما شرّا يعنى ان اثبات الطغيان واغشاءه اياهما يحتمل ان يكون المراد به ان يؤدّيهما ويلحقهما شرّا بسبب عقوقة اوان يجمع بين كفره وايمانهما فى بيت واحد يقال قرنت الشئ بالشئ اى وصلته به ويقال غشيه غشيانا اذا جاءه واغشاه اياه غيره كذا فى الصحاح ﴿قوله اويعديهما بعلته﴾ عطف على ماقبله ايضا وهو من العدوى بمعنى تجاوز نحو اجرب من صاحبه الى غيره يقال اعدى فلان فلانا من خلقه اومن علته به اوجرب اى يحتمل ان يكون المراد باغشائه الطغيان اياهما ان يحملهما حبه على ان يتابعاه على دينه اويرتدّا باضلاله والممالأة المساعدة يقال مالأته على الامر ممالأة اى ساعدته عليه وشايعته ﴿قوله اى كفره كراهة من خاف﴾ على ان يكون قوله فخاف استعارة تبعية متفرّعة على المجاز المرسل حيث اطلق اسم السبب وهو خوف سوء العاقبة على المسبب الذى هو الكراهة واسندت الكراهة المبنية على الخوف اليه تعالى تشبيها لكراهيته تعالى بكراهية الخائف ﴿قوله ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله تعالى﴾ عطف على قوله وانما خشى ذلك والمعنى ان الله تعالى اعلمه بحال الغلام واطلعه على سرّه وقال له اقتل الغلام لانا نكره كراهة من يخاف سوء العاقبة ان يغشى الغلام والديه طغيانا وكفرا ولما قال الخضر واما الغلام فكان ابواه مؤمنين درج قول الله تعالى فخشينا فى اثناء كلامه ولم يقل فخشيت ايماء الى اضمحلال ارادته فى ارادة الله تعالى واعلاما بان عمله مقتبس من المشكاة القدسية ولاشوب فيه لرأيه وتحقيقا لقوله تعالى وآتيناه من لدنا كما قال جبريل عليه السلام لمريم لاهب لك غلاما والواهب هو الله تعالى وهو مبلغ لكلام الله تعالى اياها ﴿قوله وبين الاب الذى حفظا فيه﴾ اى روعى جانبهما لاجله وكرامته وفى المغرب الحفظ خلاف النسيان وقد يجعل عبارة عن الصون وترك الابتذال ﴿قوله ومبنى ذلك﴾ اى مبنى مافعله الخضر فى المسائل الثلاث تحمل ادنى الضررين لدفع اعلاهما اما المسئلة الاولى فلأن الخضر علم انه لولم يعب تلك السفينة بالتخريق لغصبها ذلك الملك وفاتت منافعها على ملاكها بالكلية وان خرقها ينقص بعض ماليتها وهو اهون بالنسبة الى الضرر الاوّل فوجب تحمله دفعا لماهو اعظم منه فكذا المسئلة الثالثة لان المشقة الحاصلة بسبب الاقدام على اقامة ذلك الجدار لوسقط لضاع اولئك الايتام وفيه ضرر شديد قيل وقال الخضر لموسى عليه الصلاة والسلام حين قال له اخرقتها لتغرق اهلها قد القتك امّك فى اليم فلم تغرق فلم خفت الغرق عليهم مع حفظ الله تعالى ولما قال اقتلت نفسا زاكية بغير نفس قال انك قتلت القبطى بالوكزة فلم تعاتبنى بهذا ولما قال له لوشئت لتخذت عليه اجرا قال انك سقيت لابنتى شعيب فلم تطلب لذلك اجرا فلم تأمرنى بذلك فكان له وجوه تنبيه فى هذه القصة قال وهب ثم انطلق موسى والخضر حتى قعدا على الصخرة فاقبل طائر فغمس منقاره فى البحر ثم اخرجه فمسحه على جناحيه فقال الخضر انه يقول ماعلم الخلق فى علم الله الا بقدر ماحملت بمنقارى وقال موسى للخضر حين اراد ان يفارقه اوصنى قال لاتضحك من غير عجب ولاتعير الخاطئ بخطيئته وابك على خطيئتك ولاتؤخر عمل اليوم لغد وروى ايضا ان موسى لما اراد ان يفارقه قال اوصنى قال لاتطلب العلم لتحدّث به واطلبه لتعمل به ﴿قوله يعنى اسكندر الرومى﴾ فيه نظر لان الاسكندر الرومى هو ذو القرنين الاوّل كان مؤمنا عبدا صالحا وقيل كان نبيا وقد اسلم على يدى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان وزيره الخضر وهو اوّل التبابعة وكانت مدّة ملكه الفى سنة لانه كان فى دين الخليل الى ان ادركه سيل العرم ومابعده وكانت امّه رومية وكان يقال لها فيلسوف لعقلها وذو القرنين الثانى كان فيلسوفا حكيما مشركا كافرا وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف كذا نقل من تاريخ ابن كثير وفى تفسير الكواشى انه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا احب الله فاحبه الله

وناصح الله فناصحه الله واسمه عبدالله او الاسكندر من القرون الاول من ولد يونان بن يافث بن نوح او كان بعد ثمود قالوا وعاش الفا وستمائة سنة ﴿قوله قرنان من الناس﴾ الجوهرى القرن من الناس اهل زمان واحد ويطلق القرن ايضا على ثمانين سنة وقيل على ثلاثين سنة وعلى مايماثلك فى السن تقول هو على قرنى اى على سنى وعلى جانب الرأس ايضا قيل ومنه سمى ذو القرنين ذكر فى اوّل هذه السورة ان اليهود امروا المشركين ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة اصحاب الكهف وعن قصة ذى القرنين وعن الروح فالمراد من قوله ويسألونك عن ذى القرنين هو ذلك السؤال عن عقبة بن عامر قال ان نفرا من اهل الكتاب جاؤا بالصحف او الكتب فقالوا استأذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لندخل عليه فانصرفت اليه فاخبرته فقال عليه الصلاة والسلام مالهم يسألوننى عما لا اعلم انما انا عبد لا اعلم لى الا ماعلمنى ربى ثم قال انى ابتغى وضوأ اتوضأ به ثم قام الى مسجد فى بيته وركع ركعتين فما انصرف حتى بدا السرور فى وجهه ثم قال اذهب فادخلهم ومن وجدت بالباب من اصحابى فادخلهم فلما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم ان شئتم اخبرتكم بما اردتم ان تسألونى عنه وان شئتم غير ذلك ففعلوا فهذا ان ثبت يدل على انه اتاه نبأ ذى القرنين وخبره قبل ان يسألوا عنه واما اهل التأويل فانهم قالوا جميعا انه سئل قبل ان ينزل عليه خبره ثم نزل ذلك بعد السؤال ﴿قوله وصلة﴾ اى مايتوصل به كالقربة بمعنى مايتقرّب به قالوا السبب فى اصل اللغة عبارة عن الحبل ثم استعير لكل مايتوصل به الى المقصود فهو يتناول العلم والقدرة والآلة فالمعنى واعطيناه من كل شئ مقاصده واغراضه والامور التى يتوصل بها الى تحصيل ذلك الشئ فانه تعالى اعطاه من كل شئ يحتاج اليه فى فتح الممالك وضبطها وتدبير امرها مايتوصل به الى اسباب تحصيل ذلك المراد فاىّ مقصود اراده هيأ الله له مايوصله اليه فيتبعه قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو فاتبع سببا بوصل الهمزة وتشديد التاء وكذلك ثم اتبع اى سلك وسار وقرأ الكوفيون وابن عامر فأتبع ثم أتبع فى الثلاثة بقطع الهمزة وتخفيف التاء فقيل هما بمعنى واحد فيتعدّيان الى مفعول واحد وقيل أتبع بالقطع متعدّ الى اثنين حذف احدهما تقديره فاتبع سببا سببا ﴿قوله او حمية﴾ عطف على قوله حارّة اى يجوز ان يكون حامية بالالف بدون الهمزة بمعنى حارّة من قولهم حمى النهار بالكسر وحمى التنّور جميعا اذا اشتدّ حرّه ويجوز ان يكون بمعنى حمئة بهمزة من غير الف اى ذات حمأة وهى الطين الاسود على ان تكون ياء حامية مقلوبة عن الهمزة فتكون قرأة حمئة وحامية بمعنى واحد ﴿قوله ولعله بلغ﴾ جواب سؤال مقدّر وهو ان يقال قد تقرّر ان الشمس فى السماء الرابعة ولها فلك خاص يدور بها فى السماء فكيف يكون غروبها فى عين حمئة * وتقرير الجواب انه تعالى لم يخبر بان غروبها فى الحقيقة فى عين حمئة وانما اخبر بان ذا القرنين يجدها ويظن انها تغرب فيها حيث قال وجدها تغرب فى عين حمئة فانه لما بلغ موضعا من المغرب لم يبق بعده شئ من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب فى هذه العين المظلمة وان لم يكن كذلك فى الحقيقة اذ تغيب ورآء البحر ولاشك ان البحار الغربية قوية السخونة فهى حامية وهى ايضا حمئة لكثرة مافيها من الماء ومن الحمأة السوداء فقوله تغرب فى عين حمئة اشارة الى ان الجانب الغربى من الارض قد احاط البحر به وهو موضع شديد السخونة قال اهل الاخبار فى صفة ذلك الموضع اشياء عجيبة قال ابن جريج هناك مدينة لها اثنا عشر الف باب لولا اصوات اهلها لسمع الناس صوت الشمس حين تجرّ اسمهار ومية وفى رواية لسمعوا صوت مرها فى السماء كصوت المنشار فى الخشب وروى ان الله تعالى خلق مدينتين احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب اسم الشرقية جابلق والغربية جابلص وهما اللتان يقول لهما الناس جابلقا وجابلصا وعلى كل مدينة منهما عشرة آلاف باب بين كل بابين مسيرة فرسخ يبيت كل ليلة على كل باب من هذه الابواب عشرة آلاف رجل لايعودون بعد النوبة ابدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم* والذى نفس محمد بيده لولا كثرة اصوات اهل هاتين المدينتين وضجتهم لسمع اهل الدنيا سقطة الشمس حين تسقط وحين تطلع ومن ورآء هاتين المدينتين اربع امم ناسك ومنسك وهائل ويائل ومن دونها يأجوج ومأجوج وقد انطلق بى جبريل ليلة اسرى بى فدعوت يأجوج ومأجوج الى الله فأبوا ان يجيبونى فهم فى النار مع من عصى من ولد آدم وولد ابليس ثم انطلق بى الى اهل المدينتين فدعوتهم الى الله فأجابونى فهم اخواننا فى الدين من احسن منهم فهو مع محسنكم ومن اساء منهم فهو مع مسيئكم* ﴿قوله فبالهام﴾ اى من غير واسطة وذلك يدل على انه كان غير نبىّ وحمل هذا اللفظ على ان المراد انه تعالى خاطبه على لسان بعض الانبياء عدول عن الظاهر والقول بان القول بمعنى الالهام لايخلو عن بعد فنقل الامام

وقيل كان له قرنان اى ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كأنه ينطح اقرانه واختلف فى نبوّته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا او مشركوا مكة ﴿قل سأتلوا عليكم منه ذكرا﴾ خطاب للسائلين والهاء لذى القرنين وقيل لله ﴿انا مكنا له فى الارض﴾ اى مكناله امره من التصرّف فيها كيف شاء فحذف المفعول ﴿وآتيناه من كل شئ﴾ اراده وتوجه اليه ﴿سببا﴾ وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة ﴿فاتبع سببا﴾ اى فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء ﴿حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة﴾ ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابوبكر حامية اى حارّة ولاتنافى بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية على انّ ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسرة ماقبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن فى مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين كذلك نجده فى التوراة ﴿ووجد عندها﴾ عند تلك العين ﴿قوما﴾ قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم مالفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله ﴿قلنا ياذا القرنين اما ان تعذب﴾ اى بالقتل على كفرهم ﴿واما ان تتخذ فيهم حسنا﴾ بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا فى مقابلة القتل ويؤيد الاوّل قوله ﴿قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا﴾ اى فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره او استمرّ على ظلمه الذى هو الشرك فنعذبه انا ومن معى فى الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله فى الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله

﴿ واما من آمن وعمل صالحا ﴾ وهو مايقتضيه الايمان ﴿ فله ﴾ فى الدارين ﴿ جزآء الحسنى ﴾ فعلته الحسنى وقرأ حزة والكسائى ويعقوب وحفص جزآء منوّنا منصوبا على الحال اى فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدّر حالا اى يجزى بها جزآء او التمييز وقرئ منصوبا غير منوّن على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنوّنا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اى ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاوّل لمن اصرّ على الكفر والثانى لمن تاب عنه وندآء الله اياه ان كان غيره فبالهام او على لسان نبىّ ﴿ وسنقول له من امرنا ﴾ بما نأمر به ﴿ يسر ﴾ سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ﴿ ثم اتبع سببا ﴾ ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق ﴿ حتى اذا بلغ مطلع الشمس ﴾ يعنى الموضع الذى تطلع الشمس عليه اوّلا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اى مكان مطلع الشمس فانه مصدر ﴿ وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ﴾ من اللباس او البناء فان ارضهم لاتمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية ﴿ كذلك ﴾ اى امرنى القرنين كما وصفناه فى رفعة المكانة وبسطة الملك اوامره فيهم كامره فى اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم الشمس فى الكفر والحكم ﴿ وقد احطنا بمالديه ﴾ من الجنود والآلات والعدد والاسباب ﴿ خبرا ﴾ علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لايحيط به الا علم اللطيف الخبير ﴿ ثم اتبع سببا ﴾ يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال ﴿ حتى اذا بلغ بين السدّين ﴾ بين الجبال بين المبنىّ بينهما سدّه وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان فى اواخر الشمال فى منقطع ارض الترك منيفان من ورآئهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحزة والكسائى وابو بكر ويعقوب بين السدّين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى والمفتوح لما عمله الناس لانه فى الاصل مصدر سمى به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرّفة ﴿ وجد من دونهما قوما لايكادون يفقهون قولا ﴾ لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حزة والكسائى يفقهون اى لايفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه ﴿ قالوا يا ذا القرنين ﴾ اى قال مترجومهم وفى مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ﴿ ان يأجوج ومأجوج ﴾ قبيلتان من ولد يافث ابن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من أج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم ومنع الصرف للتعريف والتأنيث ﴿ مفسدون فى الارض ﴾ اى فى ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون فى الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس ﴿ فهل نجعل لك خرجا ﴾ جعلا نخرجه من اموالنا وقرأ حزة والكسائى خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر ﴿ على ان تجعل بيننا وبينهم سدّا ﴾ يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدّين غير حزة والكسائى ﴿ قال مامكنى فيه ربى خير ﴾ ما جعلنى فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لى من الخراج ولا حاجة بى اليه وقرأ ﴿ وخروج ﴾ ابن كثير مكننى على الاصل ﴿ فاعينونى بقوّة ﴾ اى بقوّة فعلة او بما تتقوّى به من الآلات ﴿ اجعل بينكم وبينهم ردما ﴾ حاجزا حصينا وهو اكبر من السدّ من قولهم ثوب مردّم اذا كان فيه رقاع فوق رقاع ﴿ آتونى زبر الحديد ﴾ قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا يناسب ردّ الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قرآءة ابى بكر ردما ائتونى بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئونى بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها فى امرتك الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل ﴿ حتى اذا ساوى بين الصدفين ﴾ بين جانبى الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل ﴿ قال انفخوا ﴾ اى قال للعملة انفخوا فى الاكوار والحديد ﴿ حتى اذا جعله ﴾ جعل المنفوخ فيه ﴿ نارا ﴾ كالنار بالاحماء ﴿ قال آتونى افرغ عليه قطرا ﴾

الواحدى عن الانبارى انه قال ان كان ذو القرنين نبيا فان الله تعالى قال له كما يقول للانبياء اما ان تكلم او يوحى اى لا بالهام ﴿ قوله فعلته الحسنى ﴾ اختار قرآءة من عدا حفص وحزة والكسائى وهى رفع جزآء من غير تنوين باضافته الى الحسنى وهى الايمان والعمل الصالح ﴿ قوله وتقديره ذا يسر ﴾ يعنى ان يسرا صفة مصدر محذوف اى قولا ذا يسر وتقييده بقوله من امرنا للدلالة على انه من قول الله كما هو كذلك على تقدير ان يكون حكاية قول جبريل ثم ان ذا القرنين لما وصل الى قرب الاماكن المسكونة من مغرب الشمس انصرف وقصد اقرب الاماكن المسكونة من مطلع الشمس فاتبع طريقا يوصله اليه والعامة على كسر اللام من مطلع وهو اسم مكان بحسب استعمال العرب ومن فتح اللام لا يريد المكان لانه خلاف ماتواطأ عليه اهل اللغة بل يريد المصدر فيحمل الكلام حينئذ على اضمار المضاف الا ان عبارة ابى البقاء تشير الى انه لافرق بين فتح اللام وكسرها فى جواز حمل الكلمة على المعنيين حيث قال مطلع الشمس ﴿ قوله لغرابة لغتهم ﴾ اى لكونهم لا يعرفون غير لغة انفسهم فما كانوا يفقهون اللسان الذى يتكلم به ذو القرنين وقوله تعالى من دونهما بمعنى امام السدّين ﴿ قوله اى قال مترجومهم ﴾ لما وصفهم الله تعالى بانهم لا يفقهون قولا ولا يفقهون غيرهم احتاج اى ذو القرنين فى فهم كلامهم وتفهيم كلامه اياهم الى من يترجم بينه وبينهم ووجود ذلك المترجم من جملة الاسباب التى آتاها الله تعالى اياه ﴿ قوله تعالى حتى اذا ساوى ﴾ فيه اضمار اى فأتوه بها فنضدها اى وضع تلك الزبر بعضها على بعض حتى صارت بحيث سدّت ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ عليها فنفخ فيها حتى صارت كالنار ثم صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فالتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا بين جانبى الجبلين سمى كل جانب للجبلين صدفا لكونه مصادفا ومقابلا للآخر من قولك صادفت الرجل اى لاقيته وقابلته وصارت الزبر المنضودة مساوية لهما كالحشو فيما بينهما * واعلم ان هذا معجز قاهر لان هذه الزبر الكثيرة اذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر الحيوان على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن الا بالقرب منها فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك النافخين عليها قيل كان بعد مابين السدّين مائة فرسخ وحفره الاساس حتى بلغ الماء وجعل عرضه خمسين ذراعا وارتفاعه مائتى ذراع وجعل حشو الاساس الصخور وطينه النحاس يذاب فيصب عليها فصار كأنه عرق من جبل تحت الارض فلما ملأ حشو الاساس بهذا الوجه وبلغ وجه الارض جعل بناء السدّ من زبر الحديد بينها الحطب والفحم نضد الزبر صفا ووضع عليها الحطب والفحم صفا ثم نضد الزبر صفا آخر ونضد فوقها الحطب والفحم وهكذا الى ان بلغ ارتفاع السدّ مائتى ذراع فصار السدّ فى ارتفاعه مساويا للجبلين ثم قال للعملة انفخوا على الزبر المبنية بالكير ففعلوا فصارت كالنار فان الحديد اذا احمى يصير كالنار فاكلت النار ما فى خلال الحديد من الفحم والحطب وصب عليه القطر وهو النحاس المذاب الصالح لان يقطر كالماء فصار النحاس مكان الحطب وتخلل خلال الحديد ولصق كل واحد منهما بالآخر وامتزجا بحيث صار المجموع جبلا صلدا ملسا ﴿ قوله وبه تمسك البصريون الخ ﴾ فانهم يقولون المختار اعمال ثانى المتنازعين مع تجويز اعمال الاوّل ايضا والكوفيون يختارون اعمال الاوّل مع تجويز اعمال الثانى ثم انهم اتفقوا على انه ان اعمل الاوّل واقتضى الثانى المفعول اضمر ذلك المفعول لعدم استلزامه الاضمار قبل الذكر مع انه يندفع به التباس المفعول لغيره وان جاز الحذف ايضا كسائر المفاعيل فوجه استدلال البصريين على مذهبهم بهذه الآية انه لو اعمل الاوّل لقيل آتونى افرغه بالضمير الراجع الى قطرا بناء على ان المختار ان لا يحذف ضمير المفعول فى الثانى لانه يؤدّى الى اللبس وحذف المفعول وان جاز لكن لا يليق بفصاحة القرآن حمله على خلاف المختار ﴿ قوله تعالى قال هذا رحمة من ربى الآية ﴾ يعلم منه ان الله تعالى من كمال حكمته وقدرته ورفعته جعل لوجود كل سبب من اسباب السموات والارض ولبلوغ كل احد الى مقام من مقامات الدنيا والآخرة والى قربة من قربات الحضرة الالهية سببا مناسبا له فاذا اراد بلوغ احد الى مقام او قربه او رفعة بسبب ذلك وفقه لاتباع ذلك السبب كما آتى ذا القرنين من كل شئ سببا ووفقه لاتباع السبب فاتبع سببا حتى بلغ به مشرق الارض ومغربها وجوانبها كلها وسخر الخلق له وحصل مقاصد الملك والسياسة باتباع اسبابها كذلك آتى كل رسول ونبى وولى ومؤمن ومسلم وفاسق ومنافق وكافر اسباب بلوغه الى الرسالة والنبوّة والولاية والايمان والاسلام والفسق والنفاق والكفر ووفقهم لاتباع الاسباب التى آتاهم اياها الى مقاماتهم ودرجاتهم ودركاتهم حتى يبلغ كل مقام قربه من الجنة او النار ﴿ قوله تعالى ونفخ فى الصور ﴾ لما كان اندكاك السدّ

اى آتونى قطرا اى نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاوّل لدلالة الثانى عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثانى من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتونى لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة وابو بكر قال ائتونى موصولة الالف ﴿فما اسطاعوا﴾ بحذف التاء حذرا من تلاقى متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غيره حدّه وقرئ بقلب السين صادا ﴿ان يظهروه﴾ ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه ﴿وما استطاعوا له نقبا﴾ لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صار كالنار فصب النحاس المذاب عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب فى تجاويفها ﴿قال هذا﴾ هذا السدّ او الاقدار على تسويته ﴿رحمة﴾ ٢٧٥ ﴿من ربى﴾ على عباده ﴿فاذا جاء وعد ربى﴾ وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيامة ﴿جعله دكا﴾ مدكوكا مبسوطا مسوّى بالارض مصدر بمعنى المفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمدّ اى ارضا مستوية ﴿وكان وعد ربى حقا﴾ كائنا لا محالة وهو آخر حكاية ذى القرنين ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض﴾ وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السدّ يموجون بعضهم فى بعض مزدحمين فى البلاد او يموج بعض الخلائق فى بعض ويضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده ﴿ونفخ فى الصور﴾ لقيام الساعة ﴿فجمعناهم جمعا﴾ للحساب والجزآء ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا﴾ وابرزناها واظهرناها لهم ﴿الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى﴾ عن آياتى التى ينظر اليها فأذكر بالتوحيد والتعظيم ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعا﴾ استماعا لذكرى وكلامى لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم اصميت مسامعهم بالكلية ﴿أفحسب الذين كفروا﴾ أفظنوا والاستفهام للانكار ﴿ان يتخذوا عبادى﴾ اتخاذهم الملائكة والمسيح ﴿من دونى اولياء﴾ معبودين نافعهم اولا اعذبهم به فحذف المفعول الثانى كما يحذف الخبر للقرينة او سدّ ان يتخذوا مسدّ مفعوليه وقرئ أفحسب الذين كفروا اى أفكافيهم فى النجاة وان مما فى حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل او خبره ﴿انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا﴾ مايقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ماتستحقرونه ﴿قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا﴾ نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوّع اعمالهم ﴿الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا﴾ ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم وآخرتهم ومحله الرفع على الخبر لمحذوف فانه جواب السؤال او الجرّ على البدل او النصب على الذم ﴿وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا﴾ لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق ﴿اولئك الذين كفروا بآيات ربهم﴾ بالقرآن او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوّة ﴿ولقائه﴾ بالبعث على ماهو عليه او لقاء عذابه ﴿فحبطت اعمالهم﴾ بكفرهم فلا يثابون عليها ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ فنزدرى بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها ﴿ذلك﴾ اى الامر ذلك وقوله ﴿جزآؤهم جهنم﴾ جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اى جزآؤهم به او جزآؤهم بدله وجهنم خبره او جزآؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر ﴿بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزؤا﴾ اى بسبب ذلك ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا﴾ فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان الذى يجمع الكرم والنخل ﴿خالدين فيها﴾ حال مقدّرة ﴿لا يبغون عنها حولا﴾ تحوّلا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تأكيد الخلود ﴿قل لو كان البحر مدادا﴾ مايكتب به وهو اسم مايمدّ به الشئ كالحبر للدواة والسليط للسراج

وخروج يأجوج ومأجوج من علامات قيام الساعة ذكر الله تعالى بعده النفخ فى الصور لقيام الساعة قيل الصور قرن من نور يجعل فيه الارواح يقال ان فيه من الثقب على عدد ارواح الخلائق عن مجاهد انه كالبوق ذكره البخارى فاذا نفخ فيه صاحب الصور النفخة الثانية ذهب كل روح الى جسده فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون اى من القبور يخرجون سراعا وقد روى ان الله خلق الصور حين فرغ من السموات والارض وان عظم كل دائرة فيه كغلظ السموات والارض وفى حديث ابى هريرة والذى نفسى بيده ان عظم كل دائرة فيه كعرض السموات والارض وروى انه له رأسين رأس بالمشرق ورأس بالمغرب والله اعلم واختلف فى عدد النفخات فقيل ثلاث نفخة الفزع لقوله تعالى ونفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ونفخة الصعق ونفخة البعث لقوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون وهذا اختيار ابن العربى وقيل هما نفختان ونفخة الفزع هى نفخة الصعق لان الامرين متلازمان فانهم اذا فزعوا فزعا ماتوا قيل اتفقت الروايات على ان بين النفختين اربعين سنة وذلك بعد ان يجمع الله ما تفرق من الاجساد فى بطون السباع وحيوانات الماء وبطن الارض وما اصاب النيران منها بالحرق والمياه بالغرق وما ابلته الشمس وذرته الرياح فاذا جمعها واكمل كل بدن منها ولم يبق الا الارواح جمع الارواح فى الصور وامر اسرافيل عليه الصلاة والسلام فارسلها بنفخة من ثقب الصور فرجع كل روح الى جسده باذن الله تعالى وقد انكر بعض اهل الزيغ ان يكون الصور قرنا قال ابو الهيثم من انكر ان يكون الصور قرنا فهو كمن ينكر العرش والميزان ويطلب لهما تأويلات ﴿قوله﴾ عن آياتى التى ينظر اليها فأذكر ﴿يعنى ان نظر الآيات الدالة على الالوهية والمصنوعات الدالة على القدرة الباهرة كان سببا لذكر الله تعالى عند مشاهدتها كما يقال ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فأطلق المسبب واريد السبب وانما احتيج الى حمل الآية على المجاز المرسل لان المقصود وسمة الكافرين بالعمى والصمم كما فهم من قوله الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى اذ الذكر لا يقال فيه اعينهم فى غطاء عنه بل انما يناسبه الصمم ﴿قوله﴾ كانهم اصميت مسامعهم ﴿اى ابطلت وازيلت قواهم السامعة من قولهم اصميت الصيد اذا رميته فقتلته وانت تراه وفى بعض النسخ اصمتت اى جعلت مصمتة لا جوف لها ﴿قوله﴾ اتخاذهم الملائكة والمسيح ﴿يعنى ان قوله ان يتخذوا فى محل النصب على انه اوّل مفعولى حسب وثانيهما محذوف واراد بقوله عبادى الملائكة وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقال ابن عباس يعنى الشياطين تولوهم واطاعوهم من دون الله وقال مقاتل يعنى الاصنام سماها عبادا كما فى قوله ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ﴿قوله﴾ وقرئ أفحسب ﴿بسكون السين ورفع الباء على انه مبتدأ وان مع ما فى حيزها خبره فحسب مبتدأ مضاف الى الذين كفروا ويجوز ان يكون حسب بمعنى المحسب والكافى وان يتخذوا فاعله بناء على اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل ﴿قوله﴾ وجمع لانه من اسماء الفاعلين ﴿يعنى ان اسم الجنس وان كان يتناول آحاد مدلوله الا انه لا يدل على اختلاف فاعله ولا على تنوّع مدلوله فجمع العمل ليدل على احد الامرين ﴿قوله﴾ الامر ذلك ﴿على ان يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف والمعنى الامر ذلك الذى ذكرت من حبوط اعمالهم وخساسة اقدارهم ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ مشارا به الى ماذكر من اعمالهم الباطلة وجزآؤهم مبتدأ ثانيا وجهنم خبره وهو مع خبره خبر الاوّل والعائد محذوف اى جزآؤهم به كذا ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ اشار به الى الجزآء الحاضر فى الذهن ويكون جزآؤهم بدلا منه وجهنم خبره لما بين الله تعالى سوء صنيعهم بقوله اولئك الى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا انتقل الذهن الى معنى الجزآء فاشير اليه بقوله ذلك وجعل خبره او جعل بدل الجزآء وجعل جهنم خبره او عطف بيان للخبر ثم انه تعالى لما بين وعيد الكفار وان جهنم نزل لهم اتبعه بوعد المؤمنين وبيان ان جنة الفردوس نزل لهم واضافة جنات الى الفردوس اضافة تعيين عن قتادة الفردوس وسط الجنة وافضلها وعن كعب ليس فى الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة مائتى درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس من فوقها فاذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تفجرت انهار الجنة قال بعضهم انه تعالى جعل الجنة بكليتها نزلا للمؤمنين والكريم اذا اعطى النزل اوّلا فلا بدّ وان يتبعه بالخلعة والكرامة الزآئدة وما بعد الجنة الا رؤيته تعالى وكذلك فى الآية الاولى لما جعل الله تعالى جهنم نزلا للكافرين لم يبق عذاب آخر بعد جهنم

﴿لكلمات ربى﴾ لكلمات علمه وحكمته ﴿لنفد البحر﴾ لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه ﴿قبل ان تنفد كلمات ربى﴾ فانها غير متناهية لاتنفد كعلمه ﴿ولو جئنا بمثله﴾ بمثل البحر الموجود ﴿مددا﴾ زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع مايدخل فى الوجود من الاجسام لايكون الامتناهيا للدلائل القاطعة على تناهى الابعاد والمتناهى ينفد قبل ان ينفد غير المتناهى لامحالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدّة وهو مايستمدّه الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقداوتى خيرا كثيرا وتقرأون وما اوتيتم من العلم الاقليلا ﴿قل انما انا بشر مثلكم﴾ لاادّعى الاحاطة على كلماته ﴿يوحى الىّ انما الهكم اله واحد﴾ وانما تميزت عنكم بذلك ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ يأمل حسن لقائه ﴿فليعمل عملا صالحا﴾ يرتضيه الله ﴿ولا يشرك بعبادة ربه احدا﴾ بان يرآئيه او يطلب منه اجرا روى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرّنى فقال عليه الصلاة والسلام ان الله لايقبل ماشورك فيه ونزلت تصديقا له وعنه عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وماالشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتى العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص فى الطاعة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ خاتمة الكهف عند مضجعه كان له نور فى مضجعه تلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نور تلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة مريم مكية الا آية السجدة وهى ثمان او تسع وتسعون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿كهيعص﴾ أمال ابو عمرو الهاء لان ألفات اسماء التهجى يا آت

الا كونهم محجوبين عن رؤية الله تعالى كما قال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴿قوله وهو اسم مايمدّ به الشئ﴾ اى يزاد يقال امددت الجيش بمدد والاستمداد طلب المدد والحبر اسم خاص لما يوضع فى المحبرة ويكتب به والمداد يطلق على كل مايمدّ به غيره كالحبر للدواة والزيت للسراج قال ابن الانبارى سمى الحبر مدادا لامداد الكاتب واصله من الزيادة ومجئ الشئ بعد الشئ ويقال للزيت الذى يوقد به السراج مداد لكونه ممدّا لما فنى منه بالاشتعال والمعنى لوكان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب كلمات الله وحكمته لنفد البحر قبل ان تنفد تلك الكلمات فان كلماته تعالى غير متناهية والبحر كيف مافرض فى الاتساع والعظمة متناه والمتناهى لايفى البتة بغير المتناهى قيل فى سبب نزول هذه الآية انهم لما سألوا عن الروح وعن كذا وكذا ونزل فى جواب الروح فى آخر الآية وما اوتيتم من العلم الاقليلا قالت اليهود انه يقول انا قد اوتينا الحكمة ثم يقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا مع قوله وما اوتيتم من العلم الاقليلا فنزلت هذه الآية اى وان كانت الحكمة وهى القرآن خيرا كثيرا وقد آتانيه الله تعالى ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فانه كما لاغاية لذات الله تعالى ولصفات كماله فى علمه وحكمته فكذا لاغاية للكلمات الدالة عليها ﴿قوله وقرئ بالياء﴾ يعنى ان حمزة والكسائى قرأ ا ينفد بالياء من تحت لكون تأنيث الكلمات غير حقيقى والباقون بالتاء من فوق لتأنيث اللفظ والعامة على قرآءة مددا بفتح الميم وقرئ بكسر الميم ونصب الكلمة على التمييز على انها جمع مدّة وهى اسم ماستمدّ به من المداد على القلم وجواب ولو جئنا محذوف للعلم به تقديره لنفد ﴿قوله يأمل حسن لقائه﴾ الحسن فيه مستفاد من قوله يرجو لان الرجاء ظن المنافع الواصلة اليه كما ان الخوف ظن المضارّ الواصلة اليه ﴿قوله فقال ان الله لايقبل ماشورك فيه﴾ وروى انه عليه الصلاة والسلام قال فى جواب جندب *لك اجران اجر السرّ واجر العلانية *فالرواية الاولى محمولة على مااذا قصد به الرياء والسمعة والرواية الثانية محمولة على ماذا قصدان يقتدى به كما هو دأب الكاملين روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال * من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم الى ستة ايام تكون وان خرج الدجال عصم منه * وقد تمت سورة الكهف بحمد الله تعالى وعونه

سورة مريم عليها السلام وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قوله امال ابو عمرو الهاء﴾ امالة الالف ضدّ تفخيمها واشباعها وهى ان ينحو بالالف نحو الياء وبالفتحة نحو الكسرة ليتجانس الصوت فان سبب ذلك ان يقع بقرب الالف كسرة سواء كانت الكسرة متقدّمة على الالف كما فى عماد اومتأخرة كما فى عالم وكذا تمال الالف اذا كانت الالف منقلبة عن حرف مكسور كما فى خاف اوعن ياء كما فى هاب وباع ورمى وكذا اذا كانت صائرة موضع ياء كما فى دعوى فان الفها تصير ياء فى دعويان وكما فى حبلى كقولك حبليان ولا خلاف فى الاسماء الثلاثة وهى كاف وعين وصاد فانها تمال بالاتفاق وذلك لان اسماء حروف التهجى على نوعين ثنائى وثلاثى وجرت عادة العرب على ان ينطقوا بالثنائيات مقطوعة عما بعدها فيقولون باياطاها وكذلك امثالها وعلى ان ينطقوا بالثلاثيات التى وسطها الالف باشباع فتحتها فيقولون دال ذال كاف صاد وكذلك امثالها واما اسم الزاى فقد اختلفوا فى التلفظ به فمنهم من اظهر الياء بعد الالف وجعله ثلاثيا فهو لايميله ومنهم من لم يظهر الياء ويجعله ثنائيا فهو يميله والاصل فى جميع هذه المواضع اشباع الفتحة والامالة فرع عليه وعلى هذا يجوز اشباع كل تمال ولا يجوز امالة كل مشبع من المفتوحات والعامة على تسكين اواخر اسماء هذه الحروف حتى ان بعضا من القرّآء يقف على كل واحد منها وقفة يسيرة ويفصل بعضها عن بعض بادنى سكتة مبالغة فى تمييز بعضها عن بعض ثم انهم اختلفوا فى امالة ياوها وتفخيمهما مع كونهما ثنائيتين فاختار ابو عمرو امالة ها وتفخيم يا بناء على ان اشباع الفتحة اصل والامالة وان كانت فرعا الا انه فرع مشهور كثير الاستعمال فاشبع احد الاسمين واميل الآخر ليكون القارئ جامعا بين مراعاة الاصل والفرع المشهور وهو احسن من مراعاة احدهما وتضييع الآخر وخصوصا بالامالة فرقا بينها وبين ها التى للتنبيه فانها لاتمال قط وقول المصنف لان ألفات اسماء التهجى يا آت محل بحث لان هذه الاسماء لااشتقاق لها حتى يحكم بان ألفاتها يا آت فى الاصل وان هذا التعليل يستدعى امالة كلمة يا ايضا فلابدّ من الفرق بين كلتى ها ويا حتى يخص الاوّل بالامالة دون الثانى لذلك الا ان يقال لما لم يكن لها اصل حملوها على المنقلبة من الواو تارة فلا يميلوها وحملوا المنقلبة عن

الياء اخرى فاملوها فجوّزوا الامرين دفعا للتحكم وخصوا الاعتبار المؤدّى الى الامالة بكلمة ها فرقا بينها وبين هاء التنبيه ﴿قوله وابن عامر وحزة الياء﴾ يعنى انهما املا الياء وفخما الهاء جمعا بين مراعاة الاصل والفرع المشهور وخصا الياء بالفرع لان الكسرة من جنس الياء فاماله حركة الياء الى ما يجانسها وهو الكسرة اولى من اماله حركة الهاء ومن املهما جميعا نظر الى الوجه الذى اعتبره ابو عمرو وابن عامر وحزة فى ياوها ومن اشبع فتحتهما فقد تمسك بالاصل ﴿قوله ونافع بين بين﴾ يعنى انه اماله بجعلها بين مخرج الالف ومخرج الياء على السوآء لابان جعل امالتها نحو الياء اكثر ثم ان نافعا وابن كثير وعاصما يظهرون دال صاد قبل ذال ذكر لانه الاصل وادغمها فيها الباقون ﴿قوله فانه مشتمل عليه﴾ اى ان ماقبله وهو كهيعص سوآء اوّل بالسورة او بالقرآن مشتمل على ذكر رحة الله عبده زكريا فيصح ان يحكم على كهيعص بانه الذكر بمعنى انه ذاكر ومبين لها او ذو الذكر والبيان وهو كأنه جواب عن قول ابى البقاء من أن قول القرّآء ان قوله تعالى ذكر رحة ربك خبر الحروف المقطعة بعيد لان الخبر هو المبتدأ فى المعنى وليس فى الحروف المقطعة ذكر رحة ولا فى ذكر الرحة معناها وذكر مصدر مضاف قيل الى مفعوله وهو الرحة والرحة فى نفسها مصدر ايضا مضاف الى فاعله وعبده مفعول رحة وفاعل الذكر غير مذكور لفظا وتقديره ذكر الله رحته عبده زكريا وقيل بل ذكر مضاف الى فاعله على الاتساع ويكون عبده منصوبا بنفس الذكر والتقدير ذكرت الرحة عبده فجعلت الرحة ذاكرة له مجازا وزكريا بدل او عطف بيان او منصوب باضمار اعنى هذا على قرآءة ذكر بصيغة المصدر وفيه قرآءة اخرى وهى ان يقرأ على صيغة الماضى بتخفيف الكاف وتشديدها وان يقرأ على صيغة الامر من باب التفعيل الا ان لفظ رحة على قرآءة التشديد مفعول ثان قدّم على الاوّل وهو عبده والفاعل اما ضمير القرآن او ضمير البارى تعالى والتقدير ذكر القرآن المتلوّ او ذكر الله عبده رحته اى جعل العبد يذكر رحته ويجوز على المجاز المتقدّم ان يكون رحة ربك هو المفعول الاوّل والمعنى ان الله جعل الرحة ذاكرة للعبد وعلى قرآءة التخفيف يكون رحة منصوبا على انه مفعول به وعبده مرفوعا على انه فاعل للفعل قبله وزكريا مرفوعا على انه بدل او بيان او على انه خبر مبتدأ محذوف وعلى قرآءة ذكر بلفظ الامر الظاهر ان يكون مفعوله الاوّل محذوفا ورحة منصوبا على المفعول الثانى وعبده منصوبا على انه مفعول رحة اى ذكر امتك رحة ربك عبده زكريا ويكون كهيعص كلاما تاما والمراد بالرحة اجابة الله تعالى دعاءه حين سأل الولد فى ابان الكبر ووقته وابان الشئ بالكسر والتشديد وقته يقال كل فاكهة فى ابانها اى فى وقتها ﴿قوله اولان ضعف الهرم اخفى صوته﴾ عطف على قوله لان الاخفاء والجهر يعنى انه اتى باقصى ما قدر عليه من رفع الصوت الا ان ذلك الصوت كان خفيا فى الواقع لنهاية ضعفه بسبب الكبر فعلى هذا يكون قوله نادى ربه باقيا على ظاهره فان النداآء هو طلب الاقبال بالجهر ورفع الصوت * قال الجوهرى ناداه مناداة وندآء اى صاح به وما كان من زكريا كان صيحة وندآء نظرا الى قصده فعبر عنه بالندآء لذلك ووصف بكونه خفيا فى الواقع * واما ان قيل ان زكريا قصد اخفاء دعائه مع قومه لئلا يلام على طلب الولد فى زمان الكبر او من مواليه الذين خافهم فلا وجه لتسمية ذلك الدعاء ندآء مع انه لاجهر فيه * قلنا الجهر لا يشترط فى ندآئه تعالى بل هو مشروط فى ندآء المخلوق الذى يحتاج فى الاطلاع على ضميره من يطلب اقباله الى ان يسمع منه صوتا دالا على ما فى ضميره واليه اشار المصنف بقوله لان الاخفاء والجهر عند الله سيان ﴿قوله تفسير للندآء﴾ يعنى لم يعطف على ماقبله لتكمال اتصاله به من حيث كونه تفسيرا وبيانا له ﴿قوله ولانه اصلب مافيه﴾ الفرق بين الوجهين مع اشتراكهما فى ان كل واحد منهما كناية عن وهن جميع البدن وضعفه ان الوجه الاوّل يستلزم ضعف جميع البدن من حيث كون العظم عماد جميع البدن واصل بنائه والوجه الثانى يستلزمه من حيث كونه اصلب مافى البدن مع قطع النظر عن كونه عماده واصل بنائه ولما كان كل واحد من كون العظم عماد البدن وكونه اشدّ مافيه واصلبه ينتقل منه الى ضعف جميع البدن من غير ملاحظة الآخر كان كل واحد منهما دليلا مستقلا لتخصيص العظم بالذكر وقيل فى الفرق بينهما ان الاوّل كناية مترتبة على تشبيه البدن بالبيت وتشبيه العظم بالعمود كما يشعر به قوله لانه دعامة البدن واصل بنائه والثانى ليس كذلك وردّ بان العظم عمود للبدن واصل لبنائه وقد ذكره علماء التشريح لاسيما عظام الصلب فليس الوجه الاوّل مبنيا على التشبيه ﴿قوله وتوحيده لان المراد به الجنس﴾ واذا كان العظم الذى هو عمود الجسد قد اصابه الوهن او الذى تقوم به الاعضاء او الذى هو اصلب الاجزآء كان اصابته لسائر

وابن عامر وحزة الياء والكسائى وابو بكر كليهما ونافع بين بين ونافع وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمونها ﴿ذكر رحة ربك﴾ خبر ماقبله ان اوّل بالسورة او بالقرآن فانه مشتمل عليه او خبر محذوف اى هذا المتلوّ ذكر رحة ربك او مبتدأ حذف خبره اى فيما يتلى عليكم ذكرها وقرئ ذكر رحة على الماضى وذكر على الامر ﴿عبده﴾ مفعول الرحة او الذكر على ان الرحة فاعله على الاتساع كقولك ذكرنى جود زيد ﴿زكريا﴾ بدل منه او عطف بيان له ﴿اذ نادى ربه ندآء خفيا﴾ لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء اشدّ اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد فى ابان الكبر او لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف فى سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون وقيل تسع وتسعون ﴿قال رب انى وهن العظم منى﴾ تفسير للندآء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه ولانه اصلب مافيه فاذا وهن كان ماوراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره كل بالحركات الثلاث

الاجزآء والاعضاء اولى ولادخل لجمع العظام فى افادة هذا المعنى ولو جمع لكان الغرض المسوق له الكلام حينئذ العدد لا الجنس ولا مدخل لاعتبار العدد فى هذا المقام ﴿قوله شبه الشيب﴾ اى تشبيها مضمرا فى النفس بشواظ النار اى بلهبها الخالص عن الدخان واقتصر من طرفى التشبيه على ذكر المشبه وهو الشيب كما اقتصر على ذكر المشبه فى انشبت المنية اظفارها ودل على هذا التشبيه باثبات الاشتعال للشيب كما دل على تشبيه المنية بالسبع باثبات الاظفار لها فتشبيه الشيب بالشواظ استعارة بالكناية واثبات الاشتعال له استعارة تخييلية وشبه انتشار الشيب فى شعر الرأس باشتعال النار ودل عليه باثبات لازم المشبه به حيث اقتصر واخرج التشبيه الثانى مخرج الاستعارة التصريحية التبعية حيث اطلق اسم المشبه به وهو الاشتعال على هذا المعنى المجازى واشتق منه لفظ اشتعل فكان استعارة تصريحية تبعية وكانت هذه قرينة للاستعارة بالكناية * فان قيل اللفظ المستعار فى الاستعارة التخييلية يجب ان لا يتحقق معناه لا حسا ولا عقلا بل يكون معناه صورة وهمية محضة كلفظ الاظفار فان الوهم اخترع للمنية صورة شبيهة بصورة الاظفار المحققة ثم عبر عن تلك الصورة الشبيهة باسم المشبه به وهو الاظفار فمعناه صورة وهمية لا تحقق لها حسا ولا عقلا والمعنى الذى عنى بلفظ اشتعل ليس صورة وهمية بل هو امر ثابت للشيب فالجواب ان الاشتعال بمعنى الانتشار والنشور امر محقق ثابت للشيب حسا الا ان الاشتعال الحقيقى الذى هو من لوازم المشبه وهو الشواظ انما ثبت له باختراع الوهم وهذا القدر كاف فى كونها استعارة تخييلية وقرينة للاستعارة بالكناية وكونها صورة وهمية لا تحقق لها حسا ولا عقلا ﴿قوله واسند الاشتعال الى الرأس﴾ يعنى ان الاشتعال بمعنى الانتشار والنشور حقه ان يسند الى الشيب لانه من الصفات القائمة به لكنه اسند الى مكان الشعر الذى هو محل الشيب للمبالغة فى الدلالة على شمول اشتعال الشيب * واعلم ان اصل الكلام المتعارف الاوساط فى هذا المقام ان يقال انى شخت عدل عنه الى ما هو ابلغ منه وهو شاب رأسى لانه كناية عن الشيخوخة والكناية ابلغ من التصريح ثم عدل عنه الى ما هو ابلغ وهو اشتعل شيب رأسى فانه ابلغ من شاب رأسى اذ ليس فيه تعريض لانتشار الشيب ثم عدل عنه الى ما هو ابلغ وهو اشتعل رأسى شيبا فانه ابلغ من قولك اشتعل شيب رأسى من جهات احداها اسناد الاشتعال الى الرأس لافادة شمول الاشتعال اذ وزن اشتعل شيب رأسى واشتعل رأسى شيبا وزن اشتعل النار فى بيتى واشتعل بيتى نارا والفرق بين وثانيتها مافى التمييز من التفصيل بعد الاجمال وثالثتها تنكير شيبا لافادة الكمال ثم عدل عنه الى ما هو ابلغ وهو اشتعل الرأس شيبا لما فيه من مزيد التقرير لان التعويل فيه على شهادة العقل دون اللفظ فلما اشتمل الكلام على هذه اللطائف ترقى الى اعلى درجات البلاغة ﴿قوله ايضاحا للمقصود﴾ فان شيبا تمييز منقول من الفاعلية اذ الاصل اشتعل شيب الرأس فلما قصد سلوك طريق التفصيل بعد الاجمال ابهم ما هو المشتعل حقيقة ثم ميز بقوله شيبا لتعين ان المشتعل هو الشيب ﴿قوله بل كما دعوتك﴾ اشارة الى ان قوله بدعائك من اضافة المصدر الى مفعوله اى بدعائى اياك وقوله شقيا اى خائبا فان العرب تقول سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقى بها اذا خاب ولم ينلها ﴿قوله يعنى بنى عمه﴾ بناء على ان تعريف الموالى للعهد الخارجى وان المولى وان كان يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب الا ان المراد فى الآية ابن العم قال الشاعر

* مهلا بنى عمنا موالينا * لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا *

وقوله وانى خفت الموالى وان خرج على لفظ الماضى لكنه يفيدانه فى المستقبل ايضا كقولك انى خفت وخشيت ان يكون كذا تريد انا خائف بعد لانه قد زال الخوف منى وكذا قوله وكانت امرأتى عاقرا ﴿قوله وعن ابن كثير﴾ قرأ الجمهور ورآئى بالمدّ اى بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة وعن ابن كثير روايتان احداهما بالمدّ كالجمهور والاخرى بالقصر اى بدون الهمزة وفتح الياء فى كل واحدة من قرآءتى المدّ والقصر ﴿قوله وهو متعلق بمحذوف﴾ يريد بالتعلق تعلق الظرفية لا تعلق المفعولية لان خفت اخذ مفعوله وهو الموالى وليس ظرفا لخفت لفساد المعنى وهو كون خوفه من الموالى الكائنين فى الحال واقعا بعد موته لان معنى من ورآئى بعد موتى وعلى ان يكون ظرفا لمعنى الولاية يكون المعنى خفت الذين يلون الامر بعد موتى ﴿قوله وقرئ خفت الموالى﴾ بفتح الخاء والفاء المشدّدة من الخفة بمعنى القلة او بمعنى قدّامى ويقال درج القوم اذا انقرضوا والدرج بمعنى الطىّ استعير للموت والموالى فى هذه القرآءة مرفوع على انه فاعل خفت وفى قرآءة العامة منصوب على انه مفعول به وقوله تعالى من لدنك يجوز ان يتعلق بهب ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه

﴿واشتعل الرأس شيبا﴾ شبه الشيب فى بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوّه فى الشعر باشتعالها ثم اخرج مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس الذى هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغنى عن التقييد ﴿ولم اكن بدعائك رب شقيا﴾ بل كما دعوتك استجبت لى وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعوّ له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوّده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه ﴿وانى خفت الموالى﴾ يعنى بنى عمه وكانوا اشرار بنى اسرآئيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدّلوا عليهم دينهم ﴿من ورآئى﴾ بعد موتى وعن ابن كثير المدّ والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف او بمعنى الموالى اى خفت فعل الموالى من ورآئى او الذين يلون الامر من ورآئى وقرئ خفت الموالى من ورآئى اى قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدى او خفوا ودرجوا قدّامى فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت ﴿وكانت امرأتى عاقرا﴾ لا تلد

حال من ولیا لانه فی الاصل صفة للنکرة قدّم علیها ﴿قوله ولیا من صلبی﴾ قال بعض المفسرین طلب زکریا من یلی امر الدین ویقوم مقامه فی رعایة امره ولدا کان او غیره وقال الاکثرون انه طلب ولدا من صلبه استشهادا بقوله تعالی فی سورة آل عمران حکایة عنه قال رب هب لی من لدنك ذریة طیبة انك سمیع الدعاء واحتج ذلك البعض بعموم لفظ الولی وبانه لما بشر بالولد استعظمه وقال أنی یکون لی غلام ولو کان دعاؤه لان یهبه الله تعالی ولدا لما استعظم ذلك حین بشر به والظاهر ان هذا الدلیل لا یعارض دلیل الاکثرین لانه لیس استعظاما بل سؤال عن جهة حصول الولد کأنه قیل هل یهبه لی من امرأتی ونحن علی حالنا من الهرم والضعف او بان یحوّلنا شابین او یهبه لی من امرأة غیرها فحصول دعائه هب لی ولدا وارثا منی ومن آل یعقوب فیه صلاح ونفع فی الدین وذلك یتناول النبوّة والعلم والسیرة الحسنة والمنصب النافع فی الدین والمال الصالح ومن جزم الفعلین قصد السببیة علی معنی ان تهب یرث ومن رفعهما لم یقصدها وجعلهما صفة لولیا فعلی هذا یکون یرث من جملة المطلوب فلهذا لم یرض به صاحب المفتاح وجعله استئنافا لان الانبیاء مستجابوا الدعوة فلو دعا زکریا ربه ان یهبه ولیا یرثه لاجاب الله دعاءه ووهب له ذلك ولم یوهب ولیا کذلك لهلاك یحیی قبل زکریا علیهما الصلاة والسلام ولو جعل یرث مستأنفا لا یکون من جملة المطلوب بل یکون بیانا للغرض وغرض الانبیاء یجوز ان لا یحصل وجعله صاحب الکشاف صفة لان الثابت عنده هلاك زکریا قبل یحیی ذکره فی سورة بنی اسرآئیل فی قوله لتفسدنّ فی الارض مرّتین حیث قال اولاهما قتل زکریا والآخرة قتل یحیی بن زکریا وقیل قتل عیسی بن مریم علیهم السلام وقیل لاغضاضة ان یستجاب للنبی بعض ماسأل دون بعض فانه روی ان النبی صلی الله علیه وسلم قال * سألت الله تعالی ثلاثا فاعطانی اثنتین منها ومنعنی واحدة * ﴿قوله وهو یعقوب بن اسحق علیهما الصلاة والسلام﴾ قال الامام اکثر المفسرین علی ان یعقوب ههنا هو یعقوب بن اسحق بن ابراهیم علیهم الصلاة والسلام لان زوجة زکریا علیه السلام هی ایشاع اخت مریم بنت عمران بن ماثان وکانت من ولد سلیمان بن داود من ولد یهود ابن یعقوب بن اسحق وکان بین عمران بن ماثان وعمران بن یصهر الف وثمانمائة سنة صرّح به المصنف فی اوّل سورة آل عمران وکانت النبوّة فی سبط یعقوب بن اسحق علیهما الصلاة والسلام وقال بعض المفسرین لیس المراد من یعقوب ههنا ولد اسحق بل هو اخو عمران بن ماثان وکان آل یعقوب اخوال یحیی بن زکریا لما مرّان امّ یحیی هی بنت عمران بن ماثان فتکون قرابة آل یعقوب لیحیی من قبل امّه فیکونون اخواله وعلی تقدیر ان یکون یعقوب اخا زکریا یکون آل یعقوب اعماما لیحیی قال الکلبی کان بنو ماثان رؤس بنی اسرآئیل وملوکهم وکان زکریا رأس الاحبار یومئذ فاراد ان یرث ولده منه حبورته ویرث من بنی ماثان ملکهم ﴿قوله وأویرث﴾ هو تصغیر وارث والاصل وویرث بواوین وجب قلب اولاهما همزة لاجتماعهما متحرکتین فی اوّل الکلمة کما فی اویصل اصله وویصل تصغیر واصل والواو الثانیة بدل من الف فاعل ﴿قوله وهذا یسمی التجرید﴾ ای هذا الصنیع وهو ان ینتزع من امر ذی صفة آخر مثله فیها ایذانا بکمالها فیه نحو ان تجرّد من الولی وهو الوارث نفسه وارثا آخر ایذانا بکمال الوارثة فیه وقد یکون التجرید بکلمة فی کما فی قوله تعالی فی صفة الجنة لهم فیها دار الخلد * واعلم ان زکریا علیه الصلاة والسلام قدّم علی سؤال الولد امورا ثلاثة احدها استیلاء الضعف علیه وعلی امرأته وذلك مما یزید الدعاء تأکیدا لما فیه من الاتکال علی حول الله وقوّته والتبری من الاسباب الظاهرة وثانیها انه تعالی عوّده بالاجابة ولم یردّ دعاءه قط والکریم اذا عوّد احدا بالاحسان لا یقطعه بالآخرة لاسیما فی زمان کونه احوج الیه وثالثها کون المطلوب منتفعا به فی امر الدین وهو قوله وانی خفت الموالی وفرّع سؤال الولد علی هذه الامور الثلاثة وقوله تعالی یا زکریا فیه اختصار ای فاستجبنا دعاءه وقلنا یا زکریا فعلی هذا کان النداء من الله تعالی کما ذهب الیه اکثر المفسرین لانه ذکر قبل هذه الآیة ان زکریا نادی ربه نداء خفیا وسأله الولد وذکر بعدها انه علیه الصلاة والسلام قال رب أنی یکون لی غلام ولما کان ماقبل هذه الآیة ومابعدها خطابا مع الله تعالی وجب ان یکون نداء زکریا من الله تعالی والا لفسد النظم * وقیل هو نداء الملك لقوله تعالی فی سورة آل عمران فنادته الملائکة وهو قائم یصلی فی المحراب ان الله یبشرك بیحیی * والجواب ان حصول النداء من الملائکة وهو قائم لا ینافی حصوله من الله تعالی وقوله وهو شاهد ای مدح یحیی بانه لم یکن له سمی قبل شاهد بان التسمیة بالاسامی النادرة تنویه ای رفع لقدر المسمی یقال ناه الشئ ینوه ای ارتفع ونوّهته تنویها اذا رفعته ونوّهت باسمه اذا رفعت ذکره ﴿قوله کقوله تعالی هل تعلم له سمیا﴾ ای مثلا وشبیها

(فهب لی من لدنك) فان مثله لا یرجی الا من فضلك وکمال قدرتك فانی وامرأتی لا نصلح للولادة (ولیا) من صلبی (یرثنی ویرث من آل یعقوب) صفتان له وجزمهما ابو عمرو والکسائی علی انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبیاء لا یورثون المال وقیل یرثنی الحبورة فانه کان حبرا ویرث من آل یعقوب الملك وهو یعقوب بن اسحق علیهما الصلاة والسلام وقیل یعقوب کان اخا زکریا او کان اخا عمران بن ماثان من نسل سلیمان علیه السلام وقرئ یرثنی وارث آل یعقوب علی الحال من احد الضمیرین واو یرث بالتصغیر لصغره ووارث من آل یعقوب علی انه فاعل یرثنی وهذا یسمی التجرید فی علم البیان لانه جرّد من المذکور اوّلا مع انه المراد (واجعله رب رضیا) ترضاه قولا وعملا (یا زکریا انا نبشرك بغلام اسمه یحیی) جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولی تسمیته تشریفا له (لم نجعل له من قبل سمیا) لم یسم احد بیحیی قبله وهو شاهد بان التسمیة بالاسامی الغریبة تنویه للمسمی وقیل سمیا شبیها کقوله تعالی هل تعلم له سمیا لان المتماثلین یتشارکان فی الاسم

فى صفات الجلال والجمال فان اوّل الآية فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ومعلوم ان مجرّد تفرّده بالاسم لا يوجب عبادته *فان قيل لو كان السمى فى الآية بمعنى المثل لزم تفضيل يحيى على الانبياء الذين قبله كآدم ونوح وابراهيم وموسى عليهم الصلاة والسلام وذلك باطل *اجيب بان المراد هل تعلم له شبيها فيما خص به من الاوصاف وهو ان كل الناس انما يسميهم آباؤهم وامّهاتهم بعد دخولهم فى الوجود واما يحيى عليه الصلاة والسلام فان الله تعالى هو الذى سماه قبل دخوله فى الوجود فكان ذلك من خواصه ولم يكن له شبيه فى هذه الخاصية وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا لا يقرب النساء حصرا لنفسه اى منعا لها من الشهوات ولا يقرب اللعب واللهو ﴿قوله﴾ لانه حيى به رحم امّه ﴿ وزال عقرها الذى هو بمنزلة الموت للرحم وقيل سمى يحيى لان الله تعالى احيى قلبه بالايمان والطاعة فانه تعالى سمى المطيع حيا والعاصى ميتا بقوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه قيل ان يحيى اوّل من آمن بعيسى فصار قلبه حيا بذلك وذلك ان امّ يحيى كانت حاملا به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها امّ يحيى يا مريم أحامل انت فقالت مريم لما ذا تقولين كذا فقالت انى ارى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك وقيل احياه الله تعالى بالطاعة حتى لم يعص ولم يهمّ بمعصية لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * مامن احدا لا وقد عصى او همّ بمعصية الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم ولم يعملها ﴿قوله﴾ تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا ﴿ حال من ياء المتكلم فى قوله أنى يكون لى غلام معطوفة على قوله وكانت امرأتى وقد مقدّرة فيها والمعنى أنى يكون لى غلام حين بلوغى عتيا مع ان العقر صفة قديمة لامرأتى لم يولد لى منها غلام حال شبابى وحال كهولتى لكون امرأتى عاقرا من ابتداء انشائها فكيف تلد حال شيخوختى مع قدم عقرها وتمكن هذه الصفة فيها وضعف بدنى ومحو قوّتى ﴿قوله﴾ جساوة ﴿ اى يبسا وانجمادا يقال جسا الشيخ جسوا اى بلغ غاية السنّ وقحل الشئ قحولا اى يبس وقحل الشيخ قحلا يبس جلده على عظمه ﴿قوله﴾ ثم قلبت الثانية وادغمت ﴿ فصار عتيا بضم العين وكسر التاء وهى قراءة غير حمزة والكسائى وحفص فانهم قرأوا عتيا وصليا وجثيا بكسر اوّلها للاتباع وقرأ حمزة والكسائى بكسر العين والباقون بضم اوّل ذلك كله ﴿قوله﴾ وانما استعجب الولد الخ ﴿ جواب عما يقال الظاهر ان الاستفهام فى قوله تعالى أنى يكون لى ولد ليس استفهام انكار بل هو استفهام تعجبى وما وجهه مع انه هو الذى طلب الولد فى حال كبره وعقر امرأته وطلبه ذلك يستلزم علمه بكونه تعالى قادرا على هبة الولد لهما فما وجه تعجبه حال ما بشر به مع علمه بقدرة الله تعالى عليه * وتقرير الجواب ان علمه بامكان حصول الولد من صلبهما لكونه تعالى قادرا على كل الممكنات لا ينافى ان يتعجب ويستعظم كمال قدرة الله تعالى على تكوين الاشياء من غير توسط الاسباب والوسائط ﴿قوله﴾ ولذلك ﴿ اى ولكون قول زكريا عليه الصلاة والسلام أنى يكون لى غلام اعترافا بكمال قدرة الله وبان تأثيرها لا يتوقف على الاسباب بان قال كذلك على ان محل الكاف رفع على انه خبر مبتدأ محذوف والتقدير الامر كذلك وقوله قال رب ابتداء كلامهم استؤنف به جوابا لما يقال فاذا قال الله تعالى بعد تصديقه زكريا فاجيب قال ربك هو علىّ هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ وقد تقرّر ان الكاف الذى بمعنى مثل فى كذلك تكون مقحمة للتأكيد لما مرّ ان لفظ المثل فى قولهم مثلك لا يبخل بمعنى انت لا تبخل فالمعنى فى الآية انه تعالى قال مثل ذلك الكلام هو علىّ هين فيكون الكاف بمعنى مثل زائدا فى الآية اشارة الى ماسبق ذكره وهو قول زكريا رب أنى يكون لى غلام الخ او ما وعدالله تعالى اياه بقوله يا زكريا انا نبشرك بغلام ﴿قوله﴾ ويؤيد الاوّل ﴿ وهو ان يكون كذلك خبر مبتدأ محذوف وتكون الجملة مقول قال الاوّل على قراءة من قرأ وهو علىّ هين بالواو فان تخلل الواو فيه بين الجملة وذلك يمنع من كون ذلك اشارة الى مبهم وكون الجملة تفسيرا لان المفسر يتعين ان يكون محله هو علىّ هين وان جعلت الكاف منصوبة بقال الثانية تكون قال الثانية مع ما فى حيزها مقول قال الاولى واقحام القول الثانى على قراءة الواو تكرارا ﴿قوله﴾ اوكما وعدت ﴿ لافائدة يعتدّ بها فيه غير ان الاوّل بفتح التاء والموعود له هو ان يحصل له الغلام المبشر به فى المستقبل فيكون هين بمعنى يهون حصوله علىّ والثانى بضم التاء والذى وعده الله تعالى بالنسبة اليه تعالى هين ازلا وابدا وان كان بالنسبة الى زكريا لا يهون عليه ﴿قوله﴾ بل كنت معدوما ﴿ ومن قدر على الخلق والايجاد من العدم الصرف كان قادرا على تبديل صفات الشيخ الضعيف والشيخة العاقرة بان يعيد اليهما القوّة التى منها يتولد المآن اللذان يخلق من اجتماعهما الولد والمعدوم ليس بشئ عند اهل السنة وبعض المعتزلة خلافا لبعضهم ومنهم من قال المعدوم شئ ﴿قوله﴾ علامة اعلم بها

والاظهر انه اعجمى وان كان عربيا فمنقول من فعل كيعيش ويعمر قيل سمى به لانه حيى به رحم امّه اولان دين الله حيى بدعوته ﴿قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ﴾ جساوة وقحولا فى المفاصل واصله عتو وكقعود فاستثقلوا توالى الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة والكسائى عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته فان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك ﴿قال﴾ اى الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له ﴿كذلك﴾ الامر كذلك ويجوز ان تكون الكاف منصوبة بقال فى ﴿قال ربك﴾ وذلك اشارة الى مبهم تفسيره ﴿هو علىّ هين﴾ ويؤيد الاوّل قراءة من قرأ وهو علىّ هين اى الامر كما قلت او كما وعدت وهو علىّ هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثانى محذوف اى افعل ذلك وهو علىّ هين ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ﴾ بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشئ وقرأ حمزة والكسائى وقد خلقناك ﴿قال رب اجعل لى آية﴾ علامة اعلم بها وقوع ما بشرتنى به ﴿قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا﴾ سوىّ الخلق مابك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالى ههنا والايام فى آل عمران للدلالة على انه استمرّ عليه المنع من كلام الناس والتجرّد للذكر والشكر ثلاثة ايام ولياليهن

وقوع مابشرتنى به فان البشارة بالولد وقعت مطلقة فلايعرف وقتها بمجرّد البشارة فطلب آية يعلم بها وقت وقوع ذلك الغلام فى رحم امّه ليزداد فى الشكر ودعاء السلامة واتفقوا على ان تلك الآية هى تعذر الكلام عليه فان مجرّد السكوت مع القدرة على الكلام لايكون معجزا ثم اختلفوا على قولين احدهما انه اعتقل لسانه اصلا والثانى انه امتنع عليه الكلام مع القوم على وجه المخاطبة مع انه كان متمكنا من ذكر الله تعالى ومن قرآءة التوراة واختار المصنف هذا القول حيث قال والتجرّد للذكر والشكر وقوله تعالى سويا حال من فاعل تكلم اى لاتكلم الناس فى هذه المدّة حال كونك صحيحا سويا والمحراب يطلق على المسجد وعلى الغرفة وقوله ان سبحوا يجوز ان يكون تفسيرا لأوحى وان يكون بمعنى المصدر المنصوب على انه مفعول اوحينا وبكرة وعشيا ظرفان للتسبيح ﴿قوله وقيل كتب لهم على الارض﴾ لم يرض به لقوله تعالى فى سورة آل عمران آيتك ان لاتكلم الناس ثلاثة ايام الارمزا والرمز لايطلق على الكتابة روى عن ابى العالية ان البكرة صلاة الفجر والعشىّ صلاة المغرب فيحتمل ان يكون المعنى انهم يصلون معه فى محرابه هاتين الصلاتين بان يخرج اليهم فيأذن لهم بلسانه فى دخول محرابه فلما اعتقل لسانه خرج اليهم على عادته فاذن لهم بالاشارة بدل الكلام وفيه دلالة على ان الصلاة كانت فى الامم الماضية فى ختم الليل والنهار ﴿قوله على تقدير القول﴾ اى فوهبناله يحيى وقلناله بعد ولادته فى حال طفوليته ياحيى وصف الله تعالى اياه بهذه الصفات التسع كرامة له الصفة الاولى كونه مخاطبا من الله بقوله خذ الكتاب فدل ذلك على انه تعالى بلغ يحيى المبلغ الذى يجوز ان يخاطب فيه بذلك والصفة الثانية قوله وآتيناه الحكم صبيا فان صيرورة الصبى فى صغره عاقلا قوىّ القلب بحيث يقدر على قرآءة التوراة بالفهم والاستبصار وتجرى كلمات الحكمة على لسانه كما تجرى على السنة الحكماء ليس اغرب من انشقاق القمر وانفلاق البحر والصفة الثالثة قوله تعالى وحنانا من لدنا وزكاة وهو معطوف على الحكم اى وآتيناه تحننا والحنان الرحمة واللين وحنين الناقة صوتها اذا اشتاقت الى ولدها والصفة الرابعة قوله تعالى وزكاة اى وآتيناه زكاة اى عملا صالحا زاكيا او كونه متصدقا به على ابويه والصفة الخامسة قوله تعالى وكان تقيا يتقى عما نهى الله عنه ويجتنبه واولى الناس بهذا الوصف من لم يعص الله تعالى والصفة السادسة قوله وبرّا بوالديه ولاعبادة بعد تعظيم الله تعالى مثل تعظيم الوالدين ولهذا قال تعالى وقضى ربك ان لاتعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا والصفة السابعة قوله ولم يكن جبارا والمراد وصفه بالتواضع ولين الجانب والصفة الثامنة قوله عصيا وهو ابلغ من العاصى كما ان العليم ابلغ من العالم والصفة التاسعة قوله وسلام عليه اى امان من الله تعالى له وسلامة وهو عطف على آتيناه قيل اوحش مايكون الخلق فيه ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت فيرى مالم يشاهده قط ويوم يبعث حيا فيرى محشرا عظيما فاكرمه الله تعالى يحيى عليه الصلاة والسلام فخصه بالسلامة والسلام عليه فى هذه المواطن الثلاثة ثم انه تعالى لما ذكر ولادة يحيى عليه الصلاة والسلام من شيخ فان وعجوز عاقر ذكر ولادة عيسى الصلاة والسلام من غير اب وقدّم القصة الاولى على الثانية على طريق الترقى مما هو اقرب الى العقل والعادة الى ماهو ابعد عنهما فقال واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت وذكر لكلمة اذ اربعة اوجه الاوّل كونها بدل اشتمال من المحذوف المضاف الى مريم والثانى كونها بدل كل منه بناء على ان يراد بالظرف ماوقع فيه والثالث ان يكون ظرفا للمضاف المقدّر اى اذكر قصة مريم او خبرها او نباها اذ انتبذت والرابع ان يكون بمعنى ان المصدرية فيكون بدل اشتمال اى واذكر مريم انتباذها وتقدير المثال لااكرمك لان لم تكرمنى اى لعدم اكرامك ولايجوز ان يكون ظرفا لاذكر لان الذكر ليس فى ذلك الوقت والنبذ اصله الطرح والالقاء والانتباذ افتعال منه وانتبذت اى اعتزلت وتباعدت وانفردت على سرعة الى مكان هى مكان ناحية الشرق من بيت المقدس او من دارها ثم انها لم تقتصر على ذلك بل اتخذت من دون اهلها حجابا اى حائلا يحول بينها وبينهم ثم لابدّ فى احتجابها من ان يكون لغرض صحيح وليس بمذكور فى القرآن واختلف المفسرون فيه على وجوه فقيل انها لما رأت الحيض تباعدت عن مكانها المعتاد للعبادة تنتظر الطهر لتغتسل وتعود فلما طهرت جاءها جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل قعدت فى المشرقة وهو موضع قعود فى الشمس وضم الرآء وفتحها لغة فيه وفيه لغتان اخريان مشراق وشرقة بفتح الشين وسكون الرآء احتجبت عن اهلها لتتخلى للعبادة ولاتشتغل عنها وقيل كان لها فى منزل زكريا محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها الباب فتمت خلوة فى الجبل لتفلى رأسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست فى المشرقة ورآء الجبل فاتاها الملك وقيل عطشت فخرجت الى

﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ من المصلى اومن الغرفة ﴿فاوحى اليهم﴾ فاومأ اليهم كقوله الارمزا وقيل كتب لهم على الارض ﴿ان سبحوا﴾ صلوا اونزهوا ربكم ﴿بكرة وعشيا﴾ طرفى النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح ويأمر قومه بان يوافقوه وأن يحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة ﴿ياحيى﴾ على تقدير القول ﴿خذ الكتاب﴾ التوراة ﴿بقوّة﴾ بجدّ واستظهار بالتوفيق ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾ يعنى الحكمة وفهم التوراة وقيل النبوّة احكم الله عقله فى صباه واستنباه ﴿وحنانا من لدنا﴾ ورحمة منا عليه اورحمة وتعطفا فى قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم ﴿وزكاة﴾ وطهارة من الذنوب او صدقة اى تصدّق الله به على ابويه اومكنه اووفقه للتصدّق على الناس ﴿وكان تقيا﴾ مطيعا متجنبا عن المعاصى ﴿وبرّا بوالديه﴾ وبارّا بهما ﴿ولم يكن جبارا عصيا﴾ عاقا اوعاصى ربه ﴿وسلام عليه﴾ من الله ﴿يوم ولد﴾ من ان يناله الشيطان بما ينال به بنى آدم ﴿ويوم يموت﴾ من عذاب القبر ﴿ويوم يبعث حيا﴾ من عذاب النار وهول القيامة ﴿واذكر فى الكتاب﴾ فى القرآن ﴿مريم﴾ يعنى قصتها ﴿اذ انتبذت﴾ اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على مافيها اوبدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد اوظرف لمضاف مقدّر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك لااكرمك اذلم تكرمنى فتكون بدلا لامحالة ﴿من اهلها مكانا شرقيا﴾ شرقىّ بيت المقدس اوشرقىّ دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول لانّ انتبذت متضمن معنى اتت ﴿فاتخذت من دونهم حجابا﴾ سترا ﴿فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا﴾ قيل قعدت فى مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بشئ يسترها وكانت تتحوّل من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت

فبينا هى فى مغتسلها اتاها جبرائيل متمثلا بصورة شاب امرد سوىّ الخلق لتستأنس بكلامه ولعله لتهيج شهوتها به فتنحدر نطفتها الى رحمها ﴿قالت انى اعوذ بالرحمن منك﴾ من غاية عفافها ﴿ان كنت تقيا﴾ تتقى الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ماقبله اى فانى عائذة منك او فاتعظ بتعويذى او فلا تتعرّض لى ويجوز ان يكون للمبالغة اى ان كنت تقيا متورّعا فانى اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك ﴿قال انما انا رسول ربك﴾ الذى استعذت به ﴿لأهب لك غلاما﴾ اى لأكون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقوله سبحانه ويؤيده قرآءة ابى عمرو وابن كثير عن نافع ويعقوب بالياء ﴿زكيا﴾ طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اى مترقيا من سنّ الى سنّ على الخير والصلاح ﴿قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر﴾ ولم يباشرنى رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه امّا الزنى فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله ﴿ولم اك بغيا﴾ عليه وهو فعول من البغى قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسبة كطالق ﴿قال كذلك قال ربك هو علىّ هين ولنجعله﴾ اى ونفعل ذلك لنجعله او لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على لأهب على طريقة الالتفات ﴿آية للناس﴾ علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ﴿ورحمة منا﴾ على العباد يهتدون بارشاده

المغارة للسقى والله اعلم ﴿قوله﴾ لتستأنس بكلامه ﴿﴾ فانه لو ظهر فى صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه ﴿قوله﴾ ولعله ﴿﴾ اى ولعل تمثله فى تلك الصورة البهية لتهييج شهوتها اطلق الروح على جبريل عليه الصلاة والسلام تشبيها له بالروح فى انه سبب لحياة الدين كما ان الروح سبب لحياة البدن وهذه استعارة فى مجرّد الروح ثم اضيف الروح الى ضمير المتكلم ليعلم ان المراد منه ليس روح البدن فهو قرينة الاستعارة ﴿قوله﴾ وتحتفل ﴿﴾ اى تنصرف وتذهب يقال حفلته فاحتفل اى جلوته عن مكانه فاجتلى ﴿قوله﴾ ويجوز ان يكون للمبالغة ﴿﴾ اى فى عوذها بالرحمن عطف على ماقبله من حيث المعنى فان محصول ماقبله ان قوله ان كنت تقيا لتقييد الحكم المدلول عليه بما قدّر جزآء ثم قال ويجوز ان لا يكون المقصود منه تقييد الحكم بل يكون للمبالغة فى عوذها بالرحمن كأنها قالت انى عائذة منك ان كنت تقيا فكيف ان لم تتق كقوله عليه السلام * نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه * فان الشرط فيه للمبالغة فى نفى العصيان على انه لو لم يخف منه تعالى لم يعصه فكيف اذا خاف منه ثم ان جبريل عليه الصلاة والسلام لما علم خوفها قال انما انا رسول ربك على طريق قصر الموصوف على الصفة ليزول عنها ذلك الخوف اى ليس بى ماتخافين منى لاجله وانما شأنى الرسالة من قبل ربك فى هبة الغلام واسند الهبة الى نفسه لكونه سببا فى هبته من حيث انه تعالى وهب الغلام لمريم بواسطة نفخ الملك فى درعها ويجوز ان يكون ضمير أهب لله تعالى على ان يكون الملك حاكيا لها كلام ربها بقول مضمر كأنه قال انما انا رسول ربك لابلغ اليك ماقاله الله تعالى فى حقك وهو قوله اهب لك غلاما ﴿قوله﴾ ولم يباشرنى رجل بالحلال ﴿﴾ جواب عما يقال قولها ولم يمسسنى بشر كاف فى مقصودها وهو ان تقول انما يكون بمس البشر وليس بى ذلك فلم قالت بعده ولم اك بغيا * وتقرير الجواب انها حملت المس على المس المشروع وهو مايكون مسبوقا بالنكاح فلذلك احتاجت الى ان تقول ولم اك بغيا كأنها قالت الولد لا يكون الا بنكاح او سفاح ولم يتحقق شئ منهما عندى ونحو المس والمباشرة والقربان مما يكنى به عن الغشيان المشروع وان كان بحسب اللغة يعم المشروع وغيره الا ان المؤمن انما يطلق مثل هذه الكنايات على الوطئ المشروع ولا يكنى عن الزنى الا بما فيه تعيير وتقبيح نحو خبث بها وفجر ﴿قوله﴾ ولذلك لم تلحقه التاء ﴿﴾ اى ولكونه فعولا بمعنى الفاعل يستوى فيه المذكر والمؤنث فيقال بغىّ للمذكر الفاجر والمرأة التى تبغى الرجال لم تلحقه التاء وانما يفرّق بينهما بالتاء اذا كان بمعنى المفعول فيقال ناقة حلوبة مثلا وان جعل البغىّ فعيلا بمعنى فاعل ينبغى ان يكون بتاء التأنيث نحو امرأة بصيرة وقديرة الا انه لم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كذا قاله ابو البقاء وتبعه المصنف وجه التعليل بهما ان التاء انما تلحق اسماء الفاعلين حملا لها على الفعل وانما تحمل عليه اذا كانت جارية عليه وموافقة له لفظا ومعنى بان تكون للحال او الاستقبال والفاعل الذى يكون للمبالغة والنسب يكون للدوام والثبوت لا للحال ولا للاستقبال فلما لم يجر على الفعل لفظا ولا معنى لم تلحقه التاء فرقا بينه وبين مايجرى عليه لفظا ومعنى وكذا لا تلحق التاء ماكان للنسب مما هو على فاعل نحو تامر ولابن وحائض اذا اريد بها ذات تمر وذات لبن وذات حيض فكذا بغىّ اذا كان بمعنى ذات بغى وتعليل الاستواء بكون الصفة للمبالغة مطلقا لا وجه له لانهم صرّحوا بان ابنية المبالغة من الثلاثى ثلاثة اقسام الاوّل مايفرق فيه بين المذكر والمؤنث مطلقا اى سواء كان جاريا على الموصوف او لا يكون كصبار وصدّيق وامير فجعلوا نحو امير مما يلحقه التاء مطلقا والثانى مايستويان فيه مع الموصوف ويفترقان بدونه كمطعام ومسكين وفعول الذى لا يكون بمعنى مفعول كناقة ركوبة والثالث مايستويان فيه مطلقا كضحكة وعلامة ﴿قوله﴾ ونفعل ذلك لنجعله ﴿﴾ يعنى ان قوله ولنجعله علة لمعلل محذوف وجملة التعليل مع المعلل معطوفة على قوله هو علىّ هين ﴿قوله﴾ او لنبين به قدرتنا ولنجعله ﴿﴾ على ان يكون معطوفا على علة مضمرة عطف مفرد على مفرد وحمل الكلام على اضمار المعلل اولى لان اضماره يغنى عن اضمار العلة بخلاف اضمار العلة فانه لا يغنى عن اضمار المعلل اذ لم يذكر قبل العلة المضمرة مايصح تعليله بها اذ لا يصح ان يقال هو علىّ هين لنبين به قدرتنا بل لابدّ ان يجعل التقدير هو علىّ هين وفعلنا ذلك لنبين به قدرتنا والظاهر ان الضمير فى قوله هو علىّ هين راجع الى خلق ذلك الغلام بغير ذكر وكذا ضمير نجعله آية فان ذلك الخلق آية على كمال قدرة الله تعالى لانه قد تقرّر انه تعالى لما خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وخلق حوّآء من ذكر بلا انثى ظهر انه تعالى قادر على انواع الخلق يخلق كيف يشاء وانه على كل شئ قدير الا ان عطف قوله ورحمة منا على قوله آية يستدعى ان يكون ضمير نجعله للغلام لان من كان رحمة للعباد هو الغلام فانه النعمة لمن تبعه فى دنياه وآخرته

﴿قوله﴾ اى تعلق به قضاء الله ﴿قوله﴾ اى حكمه قال تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وما حكم الله بوقوعه يجب وقوعه لانه لو لم يقع لانقلب علم الله جهلا وهو محال ﴿قوله﴾ اوقدّر وسطر فى اللوح ﴿قوله﴾ على ان يكون القضاء بمعنى التقدير ومنه القضاء والقدر ﴿قوله﴾ اوكان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل ﴿قوله﴾ على ان يكون القضاء بمعنى الصنع والفراغ يقال قضيت حاجتى وقال تعالى فقضاهن سبع سموات ولما كان نفس خلقه وايجاده رحمة للعباد وكان خلقه على هذا الوجه علامة دالة على كمال قدرة الله تعالى كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل فصار بذلك كانه امر مقضى ومفعول فلذلك قيل فى حقه قبل ان يولد انه كان امرا مقضيا ﴿قوله﴾ بان نفخ فى درعها ﴿قوله﴾ قيل ان جبريل عليه الصلاة والسلام رفع درعها فنفخ فى جيبه فحملت حين لبسته وقيل نفخ جبريل عليه السلام من بعد فوصل الريح اليها فحملت بعيسى فى الحال وقيل قدّ جيب درعها باصبعيه ثم نفخ فى الجيب حتى وصلت النفخة الى الرحم وقيل نفخ فى ذيلها قال السدّى اخذ بكمّيها فنفخ فى جيب درعها فدخلت النفخة صدرها فحملت فجاءتها اختها امرأة زكريا وهى حامل بيحيى تزورها فلما التزمتها عرفت انها حبلى وذكرت مريم حالها فقالت امرأة زكريا انى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله تعالى فى حق يحيى عليه الصلاة والسلام مصدّقا بكلمة من الله وقيل ان النفخة كانت فى فيها فوصلت الى بطنها فحملت فى الحال وعلى التقادير ظهر ان فى الكلام حذفا وهو وكان امرا مقضيا فنفخ فيها فحملته اى حملت عيسى فى بطنها ﴿قوله﴾ وهو فى بطنها يريد ان الباء فى به للملابسة وان الجار والمجرور فى محل النصب على انه حال من فاعل انتبذت كقوله تنبت بالدهن اى تنبت والدهن فيها كما ان بنا فى قول المتنبى حال من فاعل تدوس اى تدوس الجماجم ونحن عليها والدوس الوطئ بالارجل واوّل البيت

* كانّ خيولنا كانت قديما * تسقى فى قحوفهم الحليبا *
* فرّت غير نافرة عليهم * تدوس بنا الجماجم والتريبا *

القحوف جمع قحف وهو العظم الذى فوق الدماغ والحليب اللبن والضمير فى قحوفهم للاعداء والجماجم جمع جمجمة وهى عظم الرأس المشتمل على الدماغ والتريب عظم الصدر والعرب تسقى اللبن كرام خيولها يقول كأنّ خيلنا كانت تسقى اللبن فى الجماف رؤس الاعداء فألفت بها فكانت خيولنا تمرّ عليهم وتدوس اى تطأ بأرجلها جماجمهم وترائبهم ونحن عليها ولم تنفر عنهم *فان قلت لم لم تجعل الباء فى قوله فانتبذت به للتعدية *فالجواب ان المفعول الذى يتعدّى الفعل اليه بالباء يجب ان يكون بحيث لا يستلزم صدور الفعل من الفاعل التعلق به كما فى قولك ذهبت بزيد وصدور الانتباذ من الفاعل يستلزم انتباذ ما فى بطنها من الجنين فلا فائدة فى ايراد حرف التعدية والقصىّ البعيد يقال مكان قاص وقصىّ مثل عاص وعصىّ واختلف فى علة الانتباذ على وجوه احدها ما رواه الثعلبى عن وهب انه قال ان مريم لما حملت بعيسى عليه الصلاة والسلام كان لها ابن عمّ يسمى يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون فكان مريم ويوسف يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من اهل زمانهما احد أشدّ اجتهادا وعبادة منهما واوّل من عرف بامر مريم يوسف فتحير فى امرها فكلما اراد ان يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وانها لم تغب عنه ساعة قط واذا اراد ان يبرئها رأى الذى ظهر بها من الحمل فاوّل ما تكلم ان قال لها انه قد وقع فى نفسى شئ من امرك وقد حرصت على كتمانه فغلبنى ذلك فرأيت ان الكلام فيه اشفى لصدرى فقالت قل قولا جميلا فقال اخبرينى يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل تنبت شجرة من غير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم الم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر وهذا البذر انما حصل من الزرع الذى انبته الله تعالى من غير بذر أو لم تعلم ان الله انبت الشجر بغير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق كل واحد منهما على حدة او لم تعلم ان الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا انثى فعند ذلك زالت التهمة عن قلب يوسف فكان ينوب عنها فى خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل وتضييق القلب فلما دنا نفاسها اوحى الله تعالى اليها ان اخرجى من ارض قومك لئلا يقتلوا ولدك فاحتملها يوسف الى ارض مصر على حمار له فلما بلغت تلك البلاد وادركها النفاس اجاءها المخاض الى اصل نخلة وذلك فى زمان برد فاحتضنتها فوضعت عندها وثانيها انها استحيت من زكريا فذهبت الى مكان بعيد لئلا يعلم بها زكريا عليه الصلاة والسلام وثالثها انها لما كانت فى نهاية الشهرة استحيت من هذه الواقعة ورابعها انها خافت على ولدها لو ولدته فيما بين اظهرهم * واعلم ان هذه الوجوه كلها محتملة وليس فى القرآن ما يدل على شئ منها

﴿وكان امرا مقضيا﴾ اى تعلق به قضاء الله فى الازل اوقدّر وسطر فى اللوح اوكان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة ﴿فحملته﴾ بان نفخ فى درعها فدخلت النفخة فى جوفها وكانت مدّة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين ﴿فانتبذت به﴾ فاعتزلت وهو فى بطنها كقوله * تدوس بنا الجماجم والتريبا * والجار والمجرور فى موضع الحال ﴿مكانا قصيا﴾ بعيدا من اهلها ورآء الجبل وقيل اقصى الدار

﴿فاجاءها المخاض﴾ فألجاها المخاض وهو في الأصل منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال كما تقدّم في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج ﴿الى جذع النخلة﴾ لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العذق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة فيها وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى ألهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ﴿قالت ياليتني مت قبل هذا﴾ استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر مت من مات يموت ﴿وكنت نسيا﴾ ما من شأنه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأه اهله لقلته ﴿منسيا﴾ منسيّ الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع ﴿فناداها من تحتها﴾ عيسى وقيل جبريل كان بقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح من تحتها بالكسر والجرّ على ان في نادى ضمير أحدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة ﴿ان لا تحزني﴾ اى لا تحزني او بان لا تحزني ﴿قد جعل ربك تحتك سريا﴾ جدولا هكذا روي مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى ﴿وهزي اليك بجذع النخلة﴾ وأميليه اليك والباء مزيدة للتأكيد او افعلي الهز والامالة به او هزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع ﴿تساقط عليك﴾ تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ يتساقط ويسقط وتسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع

قالا ولى السكوت عنها ﴿قوله كالمتعالم﴾ مفعول من تعالمه الجميع اى علموه ﴿قوله من تحتها عيسى﴾ عليه الصلاة والسلام قدّم هذا الاحتمال لان من تحتها بفتح الميم انما يستعمل اذا كان قد علم قبل ذلك ان تحتها احدا والذي علم كونه تحتها هو عيسى عليه الصلاة والسلام فوجب ان يكون هو المراد به ولان ذلك الموضع موضع اللوث والنظر الى العورة فلا يليق بالملك ان يكون في ذلك الموضع بمنزلة القابلة فالمعنى انه تعالى انطقه لها حين وضعته تطييبا لقلبها وازالة للوحشة عنها حتى تشاهد في اوّل الامر ما يسرّها تطييبا لقلبها من علو شأن ذلك الولد ومن قال المنادي هو جبريل عليه الصلاة والسلام قال انه ارسل اليها لينادي بهذه الكلمات كما ارسل اليها في اوّل الامر تذكيرا للبشارات المتقدّمة وكان المراد بالنداء هنا الخطاب لا الصيحة برفع الصوت كما في قوله تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا ولما كان هذا الكلام مبنيا على ان يكون المعنى من تحت مريم عطف عليه احتمال ان يكون المعنى من تحت مكانها بان يكون المنادي في مكان اسفل من مكانها وفيه وجهان الاوّل ان يكونا معا في مكان مستو ويكون هناك مبدأ معين لتلك النخلة فكل من كان اقرب منها كان فوق وكل من كان ابعد كان تحت وعلى هذا الوجه قال بعضهم انه ناداها من اقصى الوادي والثاني ان يكون موضع احدهما اعلى من موضع الآخر فيكون صاحب العلو فوق صاحب السفل وعلى هذا الوجه روي عن عكرمة انها كانت حين ولدت على داسة وجبريل عليه السلام كان اسفل منها والداسة الاكمة المرتفعة عن الارض ﴿قوله ان لا تحزني اى لا تحزني﴾ على ان تكون ان مفسرة لتقدّمها ما هو بمعنى القول وكلمة لا على هذا نافية وحذف نون تحزني للجزم وقوله او بان لا تحزني على ان تكون ان مصدرية ولا نافية وحذف النون للنصب ﴿قوله هكذا روي مرفوعا﴾ اى انه عليه الصلاة والسلام سئل عن السريّ فقال هو الجدول وهو النهر الصغير وسمي سريا لان الماء يسري فيه ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى فكلي واشربي فان تفريعه على ذكر السريّ وتساقط الرطب الجني انما يحسن بان يراد بالسريّ الجدول حتى يجمع في تسليتها بين الماء والرطب فتؤمر بان يقال فكلي واشربي * قال صاحب الكشاف فان قلت ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسريّ والرطب قلت لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل العصمة والعبد من الريبة وان مثلها مما قذفوها به بمعزل وان لها امورا خارجة من العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شأنها ﴿قوله وقيل سيدا من السرو﴾ يقال سرا يسرو سروا من باب نصر وسرى يسرى سرى من باب علم وسرو يسرو سراوة من باب حسن والجميع بمعنى صار سريا اى سيدا وجمع السريّ سراة وجمع السراة سروات والمراد بالسريّ ههنا عيسى عليه الصلاة والسلام ويؤيد هذا القول ان النهر لا يكون تحت الانسان بل يكون الى جنبه ومن قال السريّ هو النهر استشهد بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ضرب عيسى او جبريل بعقبه الارض فظهر ماء عذب فجرى النهر وقيل انه كان هناك ماء جار والاوّل اقرب يقينا لان قوله قد جعل ربك تحتك سريا يشعر بالجدول في ذلك الوقت ولان الله تعالى ذكر ذلك تعظيما لشأنها وذلك لا يثبت الا على الاوّل ﴿قوله واميليه اليك﴾ اشارة الى ان الهز مضمن معنى الامالة لان الهز بمعنى التحريك لا يتعدّى بالى بل يتعدّى بنفسه فالباء زائدة في المفعول كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والتقدير حركي جذع النخلة مميلة ذلك اليك ﴿قوله او افعلي الهز والامالة به﴾ على ان ينزل الفعل المتعدّي منزلة اللازم للمبالغة على طريق قولهم فلان يعطي ويمنع ثم يعدّى كما يعدّى الفعل اللازم فتكون الباء للظرفية فلا تكون زائدة بل تكون للتعدية كما في قول الشاعر

* فان تعتذر بالمحل عن ذي ضروعها * الى الضيف يجرح في عراقيبها نصلي *

فانه جعل الجرح لازما ثم عدّاه بفي اراد بذي ضروعها اللبن الذي في الضرع والمحل الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلا ويجرح جواب الشرط ونصلي فاعله والمراد بالنصل السيف والعراقيب جمع عرقوب وهو العصب الغليظ فوق عقب الحيوان ومعنى البيت اذا اعتذرت الناقة الى الضيف من قلة اللبن بسبب المحل وخلوّ الارض من الكلا اذبحها للضيفان ﴿قوله او هزي الثمرة بهزه﴾ اى بهز الجذع على ان يكون مفعول الهز محذوفا وتكون الباء للاستعانة كما في قولك كتبت بالقلم * فان قلت ان الهز والتحريك يقع على الجذع اصالة وعلى الثمر تبعا فتقديم الثمر يستلزم ان يجعل الاصل تبعا والتبع اصلا فلا وجه لارتكابه مع قيام المعنى الصحيح الحاصل بان تجعل الباء صلة لتأكيد التعلق * قلنا هز الثمر وان كان تابعا بحسب الوجود الا انه اصل بالنظر الى ان

المقصود هو الثمر وقوله وحذفها حزة اى قرأ تساقط بفتح التاء وتخفيف السين وفتح القاف والذى اختارها المصنف يساقط بفتح الياء التحتانية وادغام تاء التفاعل وقرأ حفص تساقط على انه مضارع ساقط بمعنى أسقط ذكره الجوهرى وقرئ تتساقط باظهار التاءين على الاصل وقرئ تسقط ويسقط بضم حرف المضارعة وهى التاء فى الاولى والياء فى الثانية وبسكون السين وكسر القاف من اسقط وقرئ تسقط ويسقط بفتح حرف المضارعة التى هى التاء فى الاولى والياء فى الثانية وسكون السين وضم القاف ورفع الرطب بالفاعلية بتأويله بالثمرة على قراءة التاء فالمجموع تسع قراآت ﴿قوله﴾ لما فيه من المعجزات ﴿اى لمريم على ان يراد بالمعجزة مطلق الامر الخارق للعادة فتتناول الكرامة ويحتمل ان يراد بها معجزات لعيسى عليه الصلاة والسلام على ماقيل انه عليه الصلاة والسلام اعطى النبوة فى حال طفوليته والا فالوجه ان يكون ذلك ارهاصا لنبوة عيسى وكرامة لامه لان المعجزة هى الفعل الخارق للعادة الصادر ممن يدعى النبوة على وجه التحدى ولا دعوى ولا تحدى من احدمنهما والارهاص مايظهر على يد الانبياء قبل نبوتهم كاظلال الغمام لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى طريق الشام وارتجاج ايوان كسرى ليلة ولد ﴿قوله﴾ اومن الرطب وعصيره ﴿على ان يراد بالسرى السيد والاول على ان يراد به الجدول ﴿قوله﴾ اومن القر ﴿بضم القاف وهو البرد ويطلق على القرار ايضا والسخنة الحرارة ﴿قوله﴾ تعالى فاما ترين ﴿دخلت فيه ان الشرطية على ما الزائدة للتأكيد فادغمت فيها وكتبت النون متصلة بما وترين اصله ترأيين حذفت الهمزة كما فى ترى وقلبت الياء الفا ثم حذفت الالف لاجتماع الساكنين فلما دخلت نون التأكيد سقطت نون الاعراب فاجتمع ساكنان فكسرت ياء الضمير فصار فاماترين ﴿قوله﴾ وقرئ ترئن ﴿بقلب ياء الضمير همزة على لغة من يقول لبأت بالحج اصله لبيت بالحج تلبية اى قلت لبيك اللهم لبيك بنية الحج لجريان التآخى بين الهمزة وحروف اللين فى الابدال حيث قلبت الهمزة حرف لين تارة كما فى راس ولوم وبير وقلب حرف اللين همزة اخرى كما فى أخره وأقتت فلما استحكم التآخى بينهما فى الابدال ابدلت ياء ترين همزة ودخلت فيه ان الشرطية على ما الزائدة للتأكيد فادغمت النون وكتبت متصلة بها وترين اصله ترأيين حذف الهمزة كما فى برى وقلبت الياء الفا وحذفت الالف ﴿قوله﴾ صمتا او صياما ﴿لاشك ان المعنى فاماترين من البشر احدا فسألك الكلام معه فقولى كذا ولا تكلميه فى امرك شيأ فان الامساك عن الكلام مراد من الصوم لامحالة وذلك اما بان يكون الصوم عبارة عن الامساك عن الكلام فقط او يكون عبارة عن الامساك عن المفطرات الثلاث والكلام جميعا وكل واحد من المعنيين محتمل فى الآية فان الصوم فى اللغة هو الامساك عن الطعام والشراب والكلام فيصوم عن الكلام كما يصوم عن الطعام ولا يتكلم حتى يمسى فعلى هذا يكون النذر بالصوم نذرا بالامتناع عن الكلام صريحا وعلى الاول ضمنا ﴿قوله﴾ بعدان اخبرتكم بنذرى ﴿اشارة الى جواب مايقال لما التزمت الصمت كيف يصح منها ان تقول انى نذرت للرحمن صوما وهذا الكلام منها ترك لما نذرت من الصوم وحاصل الجواب انها كانت مأمورة بهذا الكلام عند رؤيتها اياهم يسألونها عن سبب ولادتها لقوله تعالى فقولى وبه تكون ناذرة ويجب السكوت عليها بعد هذا الكلام فهى ليست بمأمورة بان تنذر فى الحال بل هى مأمورة بان تصبر الى ان يأتيها قومها فيتهموها فتقول لهم حينئذ انى نذرت للرحمن صوما وقيل فى الجواب انها ماتكلمت معهم لانها كانت مأمورة بان تأتى بهذا النذر عند رؤيتهم فلو اتت بهذا النذر وتكلمت معهم بعد ذلك لكانت تاركة للوفاء بنذرها وماتكلمت بل سكتت واشارت بانها نذرت الصوم فالمراد بالقول فى قوله تعالى قولى انشاء النذر بالقول لا حواب القوم واعلامهم بنذرها ﴿قوله﴾ وانما اكلم الملائكة وانا حجر بى ﴿مفهوم قوله لن اكلم اليوم انسيا حيث نفت عن نفسها التكلم المتعلق بالانس ﴿قوله﴾ وامرها بذلك ﴿يعنى امرها الله تعالى بان تنذر الصوم ولا تباشر الكلام بنفسها لوجهين الاول كراهة مجادلة السفهاء فدل ذلك على ان السكوت عن السفيه واجب قيل اذ الناس سفيه لم يجد مشافها والثانى الاكتفاء بكلام عيسى عليه الصلاة والسلام لكون كلامه اقوى فى ازالة التهمة من كلامها ﴿قوله﴾ مع ولدها ﴿اشارة الى ان به فى محل النصب على انه حال من فاعل اتت اى أتت مصاحبة به نحو جاء بثيابه اى ملتبسا بها وقوله حاملة اياه يحتمل ان يكون حالا ثانية من فاعل اتت وان يكون حالا من الهاء فى به ﴿قوله﴾ بعد ماطهرت من النفاس ﴿بناء على ماروى عن ابن عباس ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها وانتهى بهما الى غار فادخلهما فيه ومكثوا به اربعين يوما حتى طهرت من النفاس ثم أتت به قومها تحمله فكلمها عيسى فى الطريق فقال امّه أبشرى فانى عبد الله ومسيحه ﴿قوله﴾ بديعا ﴿من قولهم

(رطبا جنيا) تمييزا ومفعول روى انها كانت نخلة يابسة لارأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها عليه على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة فى الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شأنها مع مافيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال (فكلى واشربى) اى من الرطب وماء السرى اومن الرطب وعصيره (وقرّى عينا) وطيبى نفسك وارفضى عنها ما احزنك وقرئ وقرّى بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت مايسرّ النفس سكنت اليه من النظر الى غيره اومن القرّ فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارّة ولذلك يقال قرّة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه (فاماترين من البشر احدا) فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين (فقولى انى نذرت للرحمن صوما) صمتا وقد قرئ به اوصياما وكانوا لا يتكلمون فى صيامهم (فلن اكلم اليوم انسيا) بعد ان أخبرتكم بنذرى وانما اكلم الملائكة وانا حجر بى وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه كاف فى قطع الطاعن (فأتت به) اى مع ولدها (قومها) راجعة اليهم بعدما طهرت من النفاس (تحمله) حاملة اياه (قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا) بديعا منكرا من فرى الجلد

﴿ ياأخت هرون ﴾ يعنون هرون النبي عليه الصلاة والسلام وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوّة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما رأوا قبل من صلاحها او شتموها به ﴿ ماكان ابوك امرأ سوء وماكانت امك بغيا ﴾ تقرير لان ماجاءت به فرية وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش ﴿ فاشارت اليه ﴾ الى عيسى ان كلموه ليجيبكم ﴿ قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ﴾ ولم نعهد صبيا في المهد كله عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار ﴿ قال اني عبدالله ﴾ انطقه الله تعالى به اولا لانه اول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته ﴿ آتاني الكتاب ﴾ الانجيل ﴿ وجعلني نبيا وجعلني مباركا ﴾ نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي اما باعتبار ماسبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا ﴿ اينما كنت ﴾ حيث كنت ﴿ وأوصاني ﴾ وأمرني ﴿ بالصلاة والزكاة ﴾ زكاة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل ﴿ مادمت حيا وبرا بوالدتي ﴾ وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكافني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة ﴿ ولم يجعلني جبارا شقيا ﴾ عند الله من فرط تكبره ﴿ والسلام عليّ يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ﴾ كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرّض بان ضدّه عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى

فلان يفري الفرى اي ياتي بالعجب في عمله وظاهر اللفظ يحتمل ان يراد انك قد جئت شيأ عجيبا خارجا عن العادة من غير قصد التعيير والذم الا ان المصنف حمله على الذم حيث اتبعه بقوله منكرا لقولهم بعد يا اخت هرون ماكان ابوك امرأ سوء فان ظاهر هذا القول التوبيخ ﴿ قوله وكانت من اعقاب من كان معه ﴾ اي كانت مريم ممن يعقب هرون النبي عليه الصلاة والسلام في طبقة الاخوّة بان تكون مريم من نسل اخت هرون او اخيه وقيل ليست من نسل اخت هرون او اخيه بل كانت من نسل نفسه عليه السلام وانما قيل لها ياأخت هرون بمعنى يا واحدة من قبيلة هرون بان يراد بهرون القبيلة التي هو ابوها كما يقال ياأخا همدان اي يا واحدا منهم وهمدان اسم قبيلة ﴿ قوله او لما رأوا قبل من صلاحها ﴾ عطف على قوله تهكما يعني انهم شبهوها بالرجل الصالح المسمى بهرون وسموها باسمه على سبيل الاستعارة التهكمية المبنية على تشبيه احد الضدين بالآخر بجامع الضدية تنزيلا للتضاد منزلة التناسب بواسطة التهكم او على سبيل الاستعارة التحقيقية على معنى كنت عندنا مثله في الصلاح ﴿ قوله او شتموها به ﴾ عطف على قوله شبهوها به الاول نشر لقوله هو رجل صالح والثاني نشر لقوله او طالح والمعنى انت في الحال مثله والشخص يقال له ياشبيه الفاسق سب له روي انه كان في بني اسرائيل رجل صالح يسمى هرون نسب اليه كل من عرف بالصلاح وذلك ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمون بهرون تبركا به وباسمه ﴿ قوله وصبيا حال ﴾ اي وليس بخبر لكان لانها زائدة لا تنصب الخبر والمعنى كيف نكلم من استقر في المهد حال كونه صبيا وقيل كان تامة بمعنى وجد فصبيا حال من الضمير فيه وقيل انها دائمة اي ناقصة على بابها من دلالتها على اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي من غير تعرّض للانقطاع ولذلك يعبر عنها بانها ترادف مازال ولفظ كان وان كان يفيد تقييد مضمون الجملة بالزمان الماضي مطلقا الا ان المراد منه في الآية الزمان القريب بقرينة المقام والمعنى كيف نكلم من كان بالامس وقريبا من هذا الوقت في المهد وغرضهم من ذلك استمرار حال الصبي به وان عيسى لم يبرح بعد عنه ولو تكلم من هو بالمهد لم يكن فيه اهلية تلك الوكالة من حيث ان حاله كالشاهد على ذلك ﴿ قوله او بمعنى صار ﴾ اي كيف نكلم من صار في المهد صبيا فصبيا على هذا خبر ها قيل المهد محرابها لما روي انها اخذته في خرقة فأتت به قومها فلما رأوها قالوا ماقالوا والمهد يطلق على المقر مطلقا كما في قوله تعالى وجعل لكم الارض مهادا وقيل هو مهد الصبي اي كيف نكلم صبيا سبيله ان ينام في المهد ومن اهله وان لم يكن في تلك الحال موضوعا فيه * فان قيل كيف عرفت مريم من حال عيسى انه يتكلم * اجيب عنه بان جبريل او عيسى عليهما الصلاة السلام نادى من تحتها ان لاتحزني وامرها عند رؤية الناس بالسكوت فصار ذلك كالتنبيه لها على ان المجيب هو عيسى او لعلها عرفت ذلك بالوحي الى زكريا او بالوحي اليها على سبيل الكرامة لها ﴿ قوله وللرد على من يزعم ربوبيته ﴾ يعني ان الحاجة في ذلك الوقت وان كانت الى دفع تهمة الزنى عن امه الا ان الله تعالى انطقه اول ماتكلم بان يقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل لئلا يتخذه النصارى آلها كأنه تعالى جعل ازالة التهمة عن ذاته المقدسة اولى من ازالة التهمة عن مريم فلذلك انطقه اول ماتكلم بقوله اني عبدالله ﴿ قوله نفاعا معلما للخير ﴾ حيث ينتفع اصحاب الآفات بسبب دعائه فانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص وانه كان يعلم الناس دينهم ويدعوهم الى طريق الحق فان ضلوا فمن قبل انفسهم لامن قبل نفسه ﴿ قوله وامرني بالصلاة ﴾ قيل قوله واوصاني بالصلاة والزكاة لايدل على انه تعالى اوصاه بادائهما في الحال بل بعد بلوغه حدّ التكليف وحصول شرائط الوجوب والاداء ولا يفيد ان جعله الله تعالى لما انفصل عن امه قوي التركيب كامل العقل بحيث يمكنه أداء الصلاة والزكاة مع صغر جثته وآتاه الكتاب وسائر ماخص به من الفضائل ولكن هذا هو الاوفق لقوله مادمت حيا فانه يفيد أن هذا التكليف متوجه اليه في جميع زمان حياته والآية تدل ايضا على ان تكليفه لم يتغير حين كان في الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل مرة اخرى ﴿ قوله ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره ﴾ لما كان المقصود من عطف هذه الجملة على ماقبلها تأكيد مضمون ماقبلها كان المعنى وجعلني برا خاضعا متواضعا لامي ولم يجعلني عاتيا متكبرا مضيعا لحق والدتي التي تأكد حقها لقيامها مقام الوالدين الا انه عليه الصلاة السلام عبر عن هذا المعنى بما يستلزمه وهو كونه جبارا شقيا في علم الله لكون الكناية ابلغ من التصريح ﴿ قوله والتعريف للعهد ﴾ والمعهود هو السلام المذكور في قصة يحيى عليه الصلاة والسلام وهو قوله تعالى وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا فالمعنى والسلام الموجه اليه في المواطن الثلاثة موجه اليه ايضا لكن السلام المعين الذي توجه الى يحيى يستحيل ان يتوجه الى شخص آخر وغاية

الامر ان يتوجه اليه مثله وهو غير معهود بل ليس ذلك الكلام المتوجه الى يحيى ايضا معهودا بين عيسى وبين قومه اذلم يجر بينهم ذكره ومن حق المشار اليه بلام العهد ان يكون معهودا فكان حمل الكلام على العهد خفيا والاظهر ان يحمل على الجنس والتعريض باللعنة على من اتهم مريم بالزنى ووجه كونه للتعريض ان اللام للجنس فلما قال وجنس السلام علىّ اصالة وعلى اتباعى تبعا فقد عرّض بان ضد ذلك على من عداه وروى عن عيسى عليه الصلاة والسلام انه قال ليحيى انت خير منى سلم الله عليك وسلمت على نفسى واجاب الحسن فقال ان تسليمه على نفسه تسليم الله عليه لانه انما فعله بأذن الله * قال الامام واعلم ان اليهود والنصارى ينكرون ان عيسى عليه الصلاة والسلام تكلم فى المهد وفى زمان الطفولية واحتجوا عليه بان هذا من الوقائع العجيبة التى تتوافر الدواعى الى نقلها فلو وجدت لنقلت بالتواتر ولوكان كذلك لعرفه النصارى لاسيما وهم اشدّ الناس بحثا عن احواله واشدّ الناس غلوّا فيه حتى زعموا كونه آلها فلما لم يعرفه النصارى مع شدّة الحب وكمال البحث عن احواله علمنا انه لم يوجد ولان اليهود اظهروا عداوته لما اظهر ادّعاء النبوّة فلوانه عليه الصلاة والسلام تكلم فى زمان الطفولية وادّعى الرسالة لكانت عداوتهم معه اشدّ ولكان قصدهم قتله اعظم فحيث لم يحصل شئ من ذلك علمنا انه ماتكلم واما المسلمون فقد احتجوا من جهة العقل على انه تكلم بانه لولا كلامه الذى دلهم على براءة امّه من الزنى لما تركوا اقامة حدّ الزنى عليها ففى تركهم لذلك دلالة على انه عليه الصلاة والسلام تكلم فى المهد واجابوا عن الشبهة الاولى بانه ربما كان الحاضرون عند كلامه قليلين فلذلك لم يشتهر وعن الثانية بقولهم لعل اليهود ماحضروا هناك وماسمعوا كلامه وانما سمع كلامه اقاربه فلذلك لم يشتغلوا بقصد قتله انتهى كلامه ﴿قوله وهو تكذيب لهم فيما يصفونه﴾ من انه ابن الله او هو الله او ثالث ثلاثة ووجه التكذيب انه تعالى اشار اليه عليه الصلاة والسلام بقوله ذلك اى ذلك الموصوف بهذه الصفات المذكورة بقوله انى عبد الله آتانى الكتاب الخ واخبر عنه بانه عيسى بن مريم ونص على انه ولد هذه المرأة وقد ذكر قبل ان امّه لما انتبذت به مكانا شرقيا ارسلنا اليها روحنا فوهب لها غلاما زكيا بان نفخ فى قميصها فحملته ووضعته عند جذع النخلة وهذه المذكورات توصيف له عليه الصلاة والسلام باضداد مايصفه النصارى به فهو تكذيب لهم بما يكون برهانا على كذبهم فهو ابلغ من ان يقال لهم كذبتم فيما وصفتموه به ﴿قوله ثم عكس الحكم﴾ اى بانهم حكموا بانه عليه الصلاة والسلام هو الله او ابنه فقال تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد حيث صرّح بنفى الولد عنه واحاله اى لايصح له ذلك ولا ينبغى بل يستحيل واكد بقوله سبحانه ثم بين استحالة ذلك بقوله اذا قضى امرا فان قضى هنا بمعنى خلق كما فى قوله فقضاهنّ سبع سموات والمراد انه اذا اراد خلق شئ فانه يكون من غير توقف على سبب وآلة ووجه الدلالة ان من كان شأنه ذلك كان منزها عن اتخاذ الولد لعدم احتياجه حينئذ الى شئ ﴿قوله والاضافة للبيان﴾ اى هى من اضافة الموصوف الى الصفة اى القول الحق كقوله وعد الصدق اى الوعد الصدق والمحكوم عليه بانه القول الحق هو القول بان عيسى عليه الصلاة والسلام ابن مريم اوتمام قصة مريم الى هنا ﴿قوله ومعناه كلمة الله﴾ اى معنى قوله قول الحق سواء كان صفة عيسى او بدله كلمة الله وسمى عيسى عليه الصلاة والسلام قولا كما سمى كلمة لانه انما تكوّن بكلمة كن ونشأ عنها فسمى المسبب باسم سببه ﴿قوله على انه مصدر مؤكد﴾ اى لمضمون الجملة التى لها محتمل غيره اى اقول قول الحق كقولك هذا عبد الحق وقولك رجع القهقرى فان المصدر فى كليتهما مؤكد لما يحتمل غيره الا ان المحتمل فى الاوّل جملة وفى الثانى مفرد اعنى مجرّد الفعل عن نسبته الى الفاعل وقولك لا فعلنه البتة من قبيل الاوّل اى قطعت بالفعل وجزمت به قطعة واحدة اى ليس فيه تردّد بحيث جزم به ثم تردّد فيه ثم جزم به مرّة اخرى فيكون قطعتين او اكثر بل هو قطعة واحدة لايثنى فيها النظر ويحتمل ان يكون منصوبا على المدح ان جعل القول بمعنى الكلمة والحق من اسماء الله * قال صاحب الكشاف ثم انه تعالى بين استحالة اتخاذ الولد على الله تعالى بانه اذا اراد شيأ من الاجناس كلها اوجده بكلمة كن وهو منزه عن شبه الحيوانات المتوالدة والقول ههنا مجاز ومعناه ان ارادته للشئ يتبعها كونه لامحالة من غير توقف على سبب فشبه ذلك بامر الآمر المطاع اذا اورد على المأمور الممتثل انتهى ﴿قوله من﴾ موصولة صلتها اذا اراد الخ وقوله اذا اراد شيأ تفسير لقوله اذا قضى اى اذا اراد قضاءه فالمعنى اذا اراد ايجاد شئ فكما اراده يكون لامحالة ولا يتوقف كونه على اسباب وادوات وقوله تعالى كن عبارة عن نفاذ قدرة الله تعالى ومشيئته فى الممكنات فان تعلق الارادة الازلية

﴿ ذلك عيسى بن مريم ﴾ اى الذى تقدّم نعته هو عيسى بن مريم لامايصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهانى حيث جعله الموصوف باضداد مايصفونه ثم عكس الحكم ﴿ قول الحق ﴾ خبر محذوف اى هو قول الحق الذى لاريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق اولتمام القصة وقيل صفة عيسى اوبدله اوخبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول ﴿ الذى فيه يمترون ﴾ فى امره يشكون اويتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب ﴿ ماكان لله ان يتخذ من ولد سبحانه ﴾ تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى عما يجعلونه ﴿ اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ﴾ تبكيت لهم بان من اذا اراد شيأ اوجده بكن كان منزها عن شبه الخلق والحاجة فى اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب

بالمراد من حيث كونه موجبا لوقوعه يجرى مجرى امر الآمر المطاع ووقوع المراد عقيب تعلق تلك الارادة به يجرى مجرى امتثال المأمور المنقاد لاوامر مولاه فعبرالله عن هذا المعنى بهذه العبارة على سبيل الاستعارة التمثيلية ومن الناس من اجرى الآية على ظاهرها وزعم انه تعالى اذا احدث شيأ قال له كن وهذا ضعيف لانه تعالى اما ان يقول له كن قبل حدوثه او حال حدوثه فان كان الاوّل كان ذلك خطابا مع المعدوم وهو عبث وان كان الثانى فهو حال حدوثه قد وجد بالقدرة والارادة فاىّ تأثير لقوله كن فيه ومنهم من زعم ان المراد بقوله كن هو التخليق وهو التكوين وذلك لان القدرة على الشئ غير تكوين الشئ فانه تعالى قادر فى الازل وغير مكوّن فى الازل ولانه الآن قادر على عوالم سوى هذا العالم وغير مكوّن لها فالقادرية غير المكوّنية والتكوين ليس نفس المكوّن لانا نقول المكوّن انما حدث لان الله تعالى كوّنه واوجده فلو كان التكوين نفس المكوّن لكان قولنا المكوّن انما وجد بتكوين الله بمنزلة قولنا المكوّن انما وجد بنفسه وذلك محال فثبت ان التكوين غير المكوّن فقوله كن اشارة الى الصفة المسماة بالتكوين ﴿قوله سبق تفسيره﴾ وهو ان المقصود من هذا الكلام دعوة الخلق الى الحق وهو الاستكمال بحسب القوّة النظرية اصلا ويتفرّع عليه الامر بالتوحيد فاشار الى الاستكمال بالاعتقاد الحق الذى عمدته الاعتقاد بوجود الآله المستجمع لجميع صفات الجلال والجمال ووحدته فقال ان الله ربى وربكم وفرّع عليه الاستكمال بحسب القوّة العملية الكائن بملازمة الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن النواهى فقال فاعبدوه *فان قيل ان قائل ان الله ربى وربكم لايصح ان يكون هو الله تعالى* قلنا فيه قولان الاوّل ان قائله هو سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم اى قل يامحمد ان الله ربى وربكم بعد ظهور ان عيسى عبد الله المولود من مريم والثانى ان قائله هو عيسى وان الواو فى وان الله ربى عطفت مابعدها على قوله انى عبد الله آتانى الكتاب وفيه ضعف لانه يقتضى وقوع قوله ذلك عيسى بن مريم الى قوله كن فيكون وهو كلام الله اعتراضا بين كلامى عيسى والاعتراض انما يكون من كلام المتكلم ومن قرأ وان الله بفتح الهمزة بناها على حذف حرف الجرّ متعلقا بما بعده والتقدير ولان الله ربى وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله اى ولان المساجد لله فلا تدعوا واللام متعلقة بلا تدعوا والتقدير فلا تدعوا مع الله احدا فى المساجد لان المساجد لله فعلى هذا يعمل مابعد الفاء السببيه فيما قبلها بخلاف الجزآئية وقيل فى وجه هذه القرآءة انه معطوف على الصلاة فى قول عيسى اى اوصانى بالصلاة وبان الله ربى ويؤيده مافى مصحف ابىّ وبان الله ربى باظهار الباء اقول هذا القول ضعيف لكثرة الفواصل بين المتعاطفين ولايؤيده ظهور الباء فى مصحف ابىّ لان الباء باء السببية والمعنى وبسبب ان الله ربى وربكم فاعبدوه فهى كاللام ومن قرأ وان بكسر الهمزة جعله كلاما مستأنفا ويؤيدها قرآءة ابىّ ان الله بكسر الهمزة بدون الواو وترتيب الامر بالعبادة على وصف الربوبية فى قوله تعالى هو ربى وربكم فاعبدوه يدل على انه انما يلزمنا عبادة الله تعالى لكونه ربا لنا ومنعما علينا بانواع النعم لما تقرّر من ان ترتيب الحكم على الوصف المشتق مشعر بالعلية لاسيما اذا كان الترتيب بالفاء السببية وسمى القول بالتوحيد ونفى الولد والصاحبة صراطا مستقيما تشبيها له بالطريق من حيث انه يؤدّى الى الجنة ﴿قوله اليهود والنصارى﴾ قالت اليهود انه ساحر كذاب ولد لغير رشدة وانه ابن يوسف النجار والنصارى يختلفون فيما بينهم فى شأنه عليه الصلاة والسلام قال قتادة بنوا اسرآئيل بعد ما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام الى السماء افترقوا اربع فرق فاخرج كل قوم عالمهم فاختلفوا فى شأنه فقال احدهم هو الله هبط الارض فاحيى من احيى واماث من أمات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقالت الثلاثة له كذبت ثم قال اثنان للثالث قل فيه فقال هو ابن الله اظهره ماشاء ثم رفعه الى السماء وهم النسطورية فقال له الاثنان كذبت ثم قال احد الاثنين منهم للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله آله وامه آله وهو نفسه الثالث وهم الاسرآئيلية ملوك النصارى وقال الرابع هو عبد الله ورسوله وكلمته وهو المسلم الموحد قال اما تعلمون ان عيسى كان يطعم وينام وان الله تعالى لايجوز ذلك عليه فخاصمهم فقام لكل رجل منهم اتباع على ماقال فاقتتلوا فظهروا على المسلمين منهم ﴿قوله من شهود يوم عظيم هوله﴾ يعنى ان مشهد امامن الشهود بمعنى الحضور اومن الشهادة وايا ما كان فاما ان يكون مصدرا ميميا او اسم مكان او اسم زمان واذا كان من الشهادة فالمراد اما الشهادة عليهم اوشهادتهم فى حق عيسى عليه الصلاة والسلام فهذه تسعة اوجه واضافة مشهد الى يوم فى الجميع بمعنى فى كضرب اليوم ﴿قوله اومن وقت الشهود اومن مكانه﴾ اى من زمان شهودهم هول الحساب فى يوم

﴿وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ سبق تفسيره فى سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان ان بالفتحة على ولأن وقيل انه معطوف على الصلاة ﴿فاختلف الاحزاب من بينهم﴾ اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو ثالث ثلاثة وموحدون قالوا هو عبد الله ونبيه ﴿فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾ من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزآؤه وهو يوم القيامة او من وقت الشهود او من مكانه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء وألسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها

القيامة او من مكان شهوهم اياه فى ذلك اليوم ﴿قوله وقيل هو ماشهدوا به﴾ اى قيل المراد بالمشهد المأخوذ من الشهادة ماشهدوا به فى حق عيسى وامه لاماشهد به عليهم الملائكة والانبياء وجوارحهم وعلى هذا ان كان المشهد مصدرا ميميا يكون المعنى ويل لهم من عقوبة شهادتهم فى حقها فى ذلك اليوم ولا وجه لان يكون اسم زمان او مكان حينئذ الا بتكلف بعيد وعلى تقدير جعله مصدرا ميميا وان كان يصح المعنى الا ان المصنف لم يرض به لان تخصيص المشهود به بماشهدوا به فى حق عيسى وامه لايناسب التعبير عنهم بقوله للذين كفروا فانه يشعر بان استحقاقهم للويل معلل بمطلق الكفر ﴿قوله تعجب﴾ فان التعجب له صيغتان احداهما ما افعله والثانية افعل به فقوله تعالى أسمع وقوله وأبصر معناه الظاهر ماأسمعهم وماابصرهم والمتعجب يجوز عليه الجهل فذكر لتوجيه هذه الصيغة فى هذا المقام ثلاثة اوجه الاوّل ان يرجع التعجب الى العباد والمعنى ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ماكانوا صماعميا فى الدنيا والثانى انه ليس المراد التعجب بل المراد التهديد بماسيسمعون ويبصرون يومئذ مما يسوءهم فعلى الوجه الاوّل متعلق الاسماع والابصار منسى ليعم كل مايصح ان يسمع ويبصر وعلى هذا الوجه منوى وهو مايسوءهم ويصدع قلوبهم والثالث ان هذه الصيغة وان اشتهر استعمالها فى معنى التعجب الا انها فى الاصل لفظ امر وقد استعملت ههنا فى اصل معناها والمأمور هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اسمع الناس وابصرهم مواعيد ذلك اليوم والباء زآئدة فى المفعول كما فى قوله تعالى ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة ﴿قوله والجار والمجرور على الاوّل﴾ اى على ان تكون هذه الصيغة للتعجب على احد الوجهين فى موضع الرفع على الفاعلية وذلك لان اكرم بزيد مثلا اصله اكرم زيد اى صار زيد ذا كرم كأعدّ البعير بمعنى صار ذا عدّة الا انه اخرج لفظ الماضى الذى معناه الخبر على لفظ الامر كما اخرج على لفظ الخبر ما معناه الامر والدعاء كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن والمراد الامر وقولهم رحمه الله والمراد الدعاء والباء زآئدة لازمة اصلاحا للفظ لانه لولم تزد الباء لكان ماهو على لفظ الامر الحاضر مسندا الى الاسم الظاهر وقد تقرّر ان فاعله لايكون الاضميرا مستترا وللتنبيه على نقله الى معنى انشاء التعجب فالباء زآئدة فى المرفوع كما فى قوله تعالى وكفى بالله شهيدا فيكون الجار والمجرور فى موضع الرفع على الفاعلية ﴿قوله وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين﴾ فان لكن استدراك على قوله اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا فالمعنى لكن هم اليوم صم عمى لايسمعون ولاينظرون فعبر عن اغفالهم هذا بالضلال المبين ﴿قوله يوم تحسر الناس﴾ الظاهر ان يوم الحسرة مفعول اندرهم لاظرف اذ ليس المعنى اندرهم فى هذا اليوم ومايقع فيه مما لاتطيق سماعه الاذان ولاتسع تصوّره الاذهان ويوم الحسرة قيل يوم الموت وقيل هو يوم القيامة وقيل هو يوم يذبح فيه الموت وقيل هو حين يخرج آخر فريق من المسلمين من النار ثم تسدّ طبقاتها وكل من هذه الايام يصدق عليه انه حين قضى الامر اى اتم وامضى وفرغ منه فان يوم الموت قد صار الامر بحيث لايتدارك ويوم القيامة يستقرّ كل احد فى مقرّه الذى هو موضع الخلود وحين يذبح الموت ينقطع مايؤمله الكفار من انتهاء عذابهم بطريان الموت عليهم كما ينتهى عذاب الدنيا بذلك وبذبحه يتم الامر وينقطع الامل وكذا حين اخرج آخر المؤمنين والظاهر ان الموت عرض لايصير جسما حيوانيا والمراد بذبحه بمنظر الفريقين اعلامهما انه لاموت بعد ذلك البتة فطريق الاعلام غير معلوم لنا ﴿قوله ملك ولاملك﴾ الملك بالضم هو التصرّف فى المملكة بالامر والنهى ومنه اشتق الملك على وزن كبد وهو المتصرّف بالامر والنهى والملك بالكسر اختصاص رقبة الغير بالانسان بحيث يستقل فى منافعها ويتمكن من التصرّف فيها والوراثة الاستقلال بالملك والتصرّف خلافة عن الغير وحاصل الوجه الاوّل ان الارث مجاز عن الاختصاص الملكى اوان الملك بقى مقتصرا على الله تعالى بحيث لم يبق لاحد على الارض ولا على من عليها ملك ولا ملك كما كان يدّعى فى دار التكليف ان لفلان ملكا ولفلان ملكا وحاصل الوجه الثانى انه مجاز عن توفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه وعلى الوجهين الظاهر ان تعريف الارض محمول على العموم لا العهد ﴿قوله ملازما للصدق كثيرا التصديق﴾ يعنى ان الصدّيق من ابنية المبالغة للصادق وكون الشخص مبالغا فى الصدق يكون بحسب الكم وبحسب الكيف ومن لازم الصدق فى اقواله وافعاله واخلاقه ولم يصدر عنه الا مايطابق الحق والواقع وكثرا يضا تصديقه بجميع ماورد من عند الله تعالى قولا وعملا بحيث لم يقع منه توقف ومهلة فى قبول شئ مما ظهر له من الحقوق كان مبالغا فى الصدق كما وكيفا فلذلك قال تعالى فى حقه انه كان صدّيقا وقال ايضا وابراهيم الذى وفى وقال واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهنّ والصدق اصل

وقيل هو ماشهدوا به فى عيسى وامه ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم ﴿يوم يأتوننا﴾ اى يوم القيامة جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صماعميا فى الدنيا او التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم ومايحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاوّل فى موضع الرفع وعلى الثانى فى موضع النصب ﴿لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين﴾ اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ يوم تحسر الناس المسيئ على اساءته والمحسن على قلة احسانه ﴿اذ قضى الامر﴾ فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة ﴿وهم فى غفلة وهم لايؤمنون﴾ حال متعلقة بقوله فى ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بأنذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل ﴿انا نحن نرث الارض ومن عليها﴾ لايبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك اوتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه ﴿واليناير جعون﴾ يردّون للجزآء ﴿واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صدّيقا﴾ ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ماصدّق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله ﴿نبيا﴾ استنبأه الله تعالى

﴿اذقال﴾ بدل من ابراهيم ومابينهما اعتراض اومتعلق بكان او بصدّيقانبيا ﴿لابيه يااابت﴾ التاء معوّضة من ياء الاضافة ولذلك لايقال ياابتى ويقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كرّرها ﴿لم تعبد مالايسمع ولايبصر﴾ فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خشوعك ﴿ولايغنى عنك شيأ﴾ فى جلب نفع ودفع ضرّ دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشقه برفق وحسن ادب حيث لم يصرّح بضلاله بل طلب العلة التى تدعوه الى عبادة مايستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التى هى غاية التعظيم ولاتحق الالمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيى المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغى ان يفعل مايفعل لغرض صحيح والشئ لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضرّ ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله فى الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لايسمع ولايبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهى مستقلا بالنظر السوىّ فقال ﴿يا ابت انى قدجاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا﴾ ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولانفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له فى مسير يكون اعرف بالطريق ثم شبطه عما كان عليه بانه مع خلوّه عن النفع مستلزم للضرّ فانه فى الحقيقة عبادة للشيطان من حيث انه الآمر به فقال ﴿يا ابت لاتعبد الشيطان﴾ واستهجن ذلك وبين وجه الضرّ فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله ﴿ان الشيطان كان للرحمن عصيا﴾ ومعلوم ان المطاوع للعاصى عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته ومايجرّه اليه فقال ﴿يا ابت انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا﴾ قرينا فى اللعن او العذاب تليه ويليك اوثانيا على موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب امّا للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء همته فى الربانية اولانه ملاكها اولانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذرّيته منبه عليها ﴿قال أراغب انت عن آلهتى يا ابراهيم﴾ قابل استعطافه ولطفه فى الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد (بين) فناداه باسمه ولم يقابل ياابت بيابنىّ وأخره وقدّم الخبر على المبتدأ وصدّره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كأنها مما لايرغب عنها عاقل

كل فضيلة وملاك كل كمال وخير ولما كان الصديق اعم من النبىّ لان كل نبىّ يجب ان يكون صدّيقا ولا يجب ان يكون كل صدّيق نبيا انتقل من ذكر كونه صدّيقا الى ذكر كونه نبيا على سبيل التصديق على قوله ملازما للصدق بل جعلهما جميعا تفسيرا للصدق على سبيل الترقى لما كذب الله تعالى النصارى فيما زعموه فى حق عيسى عليه الصلاة والسلام بين ضلال عبدة الاصنام بالشروع فى قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فانه كان ابا للعرب وكانوا مقرّين بعلوّ شأنه وحقية دينه على ماقال تعالى ملة ابيكم ابراهيم فكأنه تعالى قال للعرب ان كنتم من المقلدين لآبائكم كما تقولون انا وجدنا آباءنا على امة فعلوم ان اشرف آبائكم واجلهم قدرا هو ابراهيم فقلدوه فى ترك عبادة الاوثان وان كنتم من المستدلين فانظروا فيما اقام من الدليل الدال على بطلان الشريك لتعرفوا فساد عبادة الاوثان ﴿قوله﴾ ولايقال ياابتى ﴿اى لئلا يجمع بين العوض والمعوض عنه ويقال ياابتا لكون الالف بدلا من الياء ﴿قوله﴾ دعاه الى الهدى واحتج عليه وشبطه ﴿ثم﴾ امور متعاطفة ﴿قوله﴾ ابلغ احتجاج ﴿منصوب على انه مفعول مطلق للنوع وقوله وارشقه عطف عليه والرشاقة اللطافة يقال رجل رشيق القدّ اى لطيفه والركون الميل اليسير والعبادة الخضوع لمن هو فى غاية الفضل والافضال وقوله يا ابت لاتعبد الشيطان بمعنى لاتطعه فيما يوسوس اليك ويقول لك واشار المصنف اليه بقوله ومعلوم ان المطاوع للعاصى عاص حيث عبر عن عبادة الشيطان بمطاوعته لما امر به واشار الى ان قوله عصيا للمبالغة بقوله ان الشيطان مستعص اى بالغ فى العصيان كأنه يطلب من نفسه ان يعصى ربه وعبدة الاوثان وان كانوا يعتذرون فى عبادتها بانها تماثيل الكواكب المدبرة لهذا العالم او انها تماثيل اشخاص معظمة عند الله يصلحون لان يكونوا شفعاء ونحو ذلك من الاعذار الفاسدة فاذكره ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى حق التماثيل بانها لاتسمع ولاتبصر ولاتغنى عن عابدها شيأ من الاغناء لايبطل اعذارهم بحسب الظاهر الا انه عليه الصلاة والسلام احتج عليهم بذلك بناء على انهم يزعمون ان عبادتها تنفعهم وان طريقتهم مقبولة مستحسنة فبين عليه الصلاة والسلام فساد زعمهم ﴿قوله﴾ اوثانا على موالاته ﴿اى على الدخول فى جملة اعوانه واولاده وعدم الخروج عنهم بالدخول فى زمرة اولياء الله فالثبات على موالاة الشيطان عبارة عن ثبات حكم الموالاة الواقعة بينهما فى الدنيا وثباتها بهذا المعنى لاينافى قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ ﴿قوله﴾ فانه اكبر ﴿جواب عما يقال رتب الله تعالى كونه وليا للشيطان على مس العذاب بالفاء السببية وهو ان يكون ولاية الشيطان اسوأ حالا واعظم عقوبة من مس العذاب نفسه حيث جعل هو موصلا اليها اوجعلت هى نتيجة له والظاهر ان الامر بالعكس فان الموالاة مؤدّية اليه معنى لانه مقابل الرضوان وقد قال الله تعالى فى حق الرضوان انه اكبر من الثواب نفسه فيكون مايقابله اسوأ حالا من العقاب نفسه فلذلك رتب ولاية الشيطان على العذاب نفسه بالفاء السببية وجعلها اعظم محذورا واسوأ حالا منه ﴿قوله﴾ وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب ﴿جواب عما يقال المقام يقتضى ان يقال اعلم واثق لان عذاب المشرك مقطوع به وان المس والتنكير يدلان على تقليل عذاب المشرك مع ان عذابه غليظ واجاب عنه بان ذلك مبنى على المقابلة بالجميل وترك التغليظ او على عدم علمه بان اباه سيموت على الكفر فانه يجوز ان يؤمن فيصير من اهل الثواب وهذا الجواب يمنع القطع فى حقه ﴿قوله﴾ ولعل اقتصاره الخ ﴿جواب عما يقال للشيطان وصفان كل واحد منهما يصلح علة للنهى عن عبادته احدهما عصيانه لله تعالى بترك سجوده لآدم استعظاما لامره تعالى اياه بذلك وثانيهما عداوته للانسان قال تعالى فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذرّيته اولياء من دونى وهم لكم عدوّ فلم اقتصر ابراهيم عليه الصلاة والسلام من هذين الوصفين على ذكر العصيان واجاب عنه بثلاثة اوجه الاوّل انه عليه الصلاة والسلام لم يلتفت الى معاداته لآدم وذرّيته بل اقتصر من جناياته على ذكر مايختص منها برب العزة لعلوّ درجته فى كونه ربانيا اى متألها عارفا بالله وبما يليق بشأنه فلم يرض بما ارتكبه الشيطان فى حق الله تعالى جناية والثانى ان عصيانه للرحمن ملاك جناياته كلها واصلها الذى يتفرّع عليه غيره فان ملاك الشئ مايتفرّع عليه الشئ ويقوم به والثالث ان عصيانه منبه على معاداته لآدم عليه الصلاة والسلام من حيث انه نشأ من حسده لآدم ومعاداته اياه ﴿قوله﴾ وقدّم الخبر على المبتدأ ﴿جعل قوله أراغب خبرا مقدّما وانت مبتدأ مؤخرا وان جاز ان يكون اراغب مبتدأ لاعتماده على همزة الاستفهام وانت فاعل سدّ مسدّ الخبر بل هو الاولى لوجهين احدهما انه ليس فيه تقديم ولا تأخير اذ رتبة الفاعل التأخير عن رافعه والثانى انه لايلزم منه الفصل

ثم هدّده فقال ﴿لئن لم تنته﴾ عن مقالك فيها او الرغبة عنها ﴿لأرجمنك﴾ بلساني يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد عني ﴿واهجرني﴾ عطف على مادل عليه لأرجمنك اي فاحذرني واهجرني ﴿مليا﴾ زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني ﴿قال سلام عليك﴾ توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد مايؤذيك ولكن ﴿سأستغفر لك ربي﴾ لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لمايوجب مغفرته وقدمّر تقريره في سورة التوبة ﴿انه كان بي حفيا﴾ بليغا في البرّ والالطاف ﴿وأعتزلكم وماتدعون من دون الله﴾ بالمهاجرة بديني ﴿وأدعو ربي﴾ واعبده وحده ﴿عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا﴾ خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب ﴿فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله﴾ بالهجرة الى الشام ﴿وهبنا له اسحق ويعقوب﴾ بدل من فارقهم من الكفرة قيل انه لما قصد الشام اتى اوّلا حرّان وتزوّج بسارّة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء اولانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد ﴿وكلا جعلنا نبيا﴾ وكلا منهما او منهم ﴿ووهبنا لهم من رحمتنا﴾ النبوّة والاموال والاولاد ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾ يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان مايوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلوّ للدلالة على انهم احقاء بمايثنون عليهم وان محامدهم لاتخفى على تباعد الاعصار وتحوّل الدول وتبدّل الملل ﴿واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا﴾ موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء واسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه ﴿وكان رسولا نبيا﴾ ارسله الله الى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدّم رسولا مع انه اخص واعلى ﴿وناديناه من جانب الطور الايمن﴾ من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة ﴿وقرّبناه﴾ تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته ﴿نجيا﴾ مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو وهو الانتفاع لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ﴿ووهبنا له من رحمتنا﴾ من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا ﴿اخاه﴾ معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسنّ من موسى وهو مفعول اوبدل ﴿هرون﴾ عطف بيان له ﴿نبيا﴾ حال منه ﴿واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد﴾ ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فتقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى ﴿وكان رسولا نبيا﴾ يدل على ان الرسول لايلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم كانوا على شريعته ﴿وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة﴾ اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلاة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امّته فان الانبياء آباء الامم ﴿وكان عند ربه مرضيا﴾ لاستقامته اقواله وافعاله ﴿واذكر في الكتاب ادريس﴾ وهو سبط شيث وجدّ ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يردّه منع صرفه نعم لايبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلاثين صحيفة وانه اوّل من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب

بين العامل ومعموله بما ليس معمولا للعامل وذلك لان قوله عن آلهتي متعلق بأراغب فاذا جعل انت فاعلا فقد حصل الفصل بما هو كالجزء من العامل بخلاف جعله خبرا واما لو جعل مبتدأ فانه حينئذ يكون اجنبيا غير معمول لأراغب ولعل المصنف اراد بالخبر المحكوم به وبالمبتدأ المحكوم عليه فان أراغب ان جعل مبتدأ لايكون مسندا اليه بل يكون المسند اليه فاعله ويكون هو محكوما به مفيدا فائدة الخبر والمعنى انت معرض عن آلهتي وعبادتها ﴿قوله﴾ زمانا طويلا ﴿قوله﴾ على ان مليا منصوب على انه ظرف زمان والملاوة يجوز في ميمها الحركات الثلاث يقال اقمت عنده ملاوة من الدهر اي حينا وبرهة ومضى ملىّ من النهار اي ساعة طويلة ﴿قوله﴾ اوموليا بالذهاب عني ﴿قوله﴾ اي سليما مطيقا به من قولهم فلان ملىّ بكذا اي مطيق به قادر عليه فيكون منصوبا على انه حال من فاعل اهجرني اي اتركني حسبما تقدر عليه والا اصبتك بما لاتقدر عليه ﴿قوله﴾ واضافته الى الصدق ﴿قوله﴾ على طريق اضافة الموصوف الى الصفة فان المراد باللسان مايوجد به من الاثنية بطريق ذكر السبب وارادة المسبب اوذكر المحل وارادة الحال وتلك الاثنية لكونها صادقة لاكذب فيها توصف بالصدق مبالغة كأنه قيل وجعلنا لهم ثناء صادقا يذكرهم الامم كلها الى قيام الساعة بما لهم من الخصائل المرضية ويصلون على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آل ابراهيم في الصلوات الى قيام الساعة وعلو تلك الاثنية عبارة عن امتدادها واقتفائها الى قيام الساعة فالكلام نشر على ترتيب اللف ﴿قوله﴾ ولذلك ﴿قوله﴾ اي ولكون الانباء متفرّعا على الارسال في الوجود سواء كان الارسال ارسال نفس النبيّ او ارسال من هو اقدم فان الرسول هو الذي ينزل عليه الوحي والكتاب والنبي ينبي من غير عكس مع اشتراكهما في ان كل واحد منهما صاحب وحي اي يوحى اليه ﴿قوله﴾ وهي التي تلي يمين موسى ﴿قوله﴾ يعني ان الايمن صفة للجانب والمراد بالجانب الايمن يمين موسى عليه الصلاة والسلام لان الطور جبل بين مصر ومدين وليس للجبل يمين ولايسار فوجب ان يكون اليمين راجعا الى يمين الذي يأتيه والمعنى وناديناه من الجانب الذي كان على يمين موسى وهو متوجه الى الطور واضيف الجانب الايمن الى الطور للملابسة ﴿قوله﴾ شبهه بمن قرّبه الملك ﴿قوله﴾ لما كان الاصل في القرب قرب المكان ولايتصوّر القرب المكاني بالنسبة الى الله تعالى شبه تقريبه وتكليمه اياه بان كلمه بما لم يكلم به غيره مناجيا بحيث لم يطلع على ذلك غيرهما بتقريب الملك بعض خواصه لمناجاته فاطلق اسم التقريب عليه استعارة اصلية وسرت الاستعارة الى المشتق ﴿قوله﴾ من النجو ﴿قوله﴾ الجوهري النجو والنجوة المكان المرتفع الذي تظن انه نجاؤك لانه لايعلوه السيل ﴿قوله﴾ صرير القلم ﴿قوله﴾ اي صوته يقال صرّ القلم والباب يصرّ صريرا اي صوّت وصرير البكرة صوتها عند الاستقاء وكذلك صرير الباب وصرير البعير وفي الكشاف حتى سمع صرير القلم الذي كتب به التوراة والواح التوراة كتبت قبل خلق آدم باربعين سنة على مافي الحديث الصحيح الوارد في شان محاجة آدم موسى عليهما الصلاة والسلام وكتبتها في اللوح المحفوظ اقدم وايضا لعل الكتبة التي سمع موسى صرير قلمها كتبة ثالثة ولايبعد ﴿قوله﴾ فانه كان اسنّ ﴿قوله﴾ علة لتقدير المضاف في قوله معاضدة اخيه لان هرون لما كان اسنّ من موسى عليهما الصلاة والسلام لزم ان لايكون نفس هرون موهوبا لموسى لان الموهوب يجب ان يكون اقل سنا من الموهوب له كما في قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب ﴿قوله﴾ وعد الصبر على الذبح فوفى ﴿قوله﴾ يروى عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة ويروى ان عيسى عليه الصلاة والسلام قال له رجل انتظرني آتك قال عيسى عليه الصلاة والسلام نعم وانطلق الرجل ونسي الميعاد ثم جاء الى ذلك المكان وعيسى هناك للميعاد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد رجلا ونسي ذلك الرجل الميعاد فانتظره من الضحى الى قريب من غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا الى اي وقت ينتظر قال ان واعد به نهارا فكل النهار وان واعد به ليلا فكل الليل ﴿قوله﴾ اشتغالا بالاهم ﴿قوله﴾ تعليل للابتداء باهله في الامر بالعبادة البدنية والمالية فان المقصود من ذكر الاحكام المقيدة ليس بيان صدور الفعل من فاعله بل مقصود بيان كونه مقيدا بالقيد المذكور فالمقصود بقوله تعالى وكان يأمر اهله بيان انه عليه الصلاة والسلام يبدأ بمن هو اقرب الناس اليه في الامر بالعبادة لكون تكميلهم اهم بالنسبة اليه لكسرة حقهم عليه بالنسبة الى حق سائر امّته فيكملهم ليجعلهم قدوة لمن سواهم ولم يرض بما قيل من ان المراد باهله جميع امّته التي هو خيرهم فانه عليه الصلاة والسلام كان رسولا اليهم لانه خلاف الظاهر ﴿قوله﴾ وهو سبط شيث ﴿قوله﴾ اي من نسله وولد اولاده فان ادريس هو اخنوخ بن برد بن مهلا ييل بن فنيان بن انوس بن شيث بن

﴿انه كان صدّيقا نبيا ورفعناه مكانا عليا﴾ يعنى شرف النبوّة وازلفى عندالله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة ﴿اولئك﴾ اشارة الى المذكورين فى السورة من زكريا الى ادريس ﴿الذين انعم الله عليهم﴾ بانواع النعم الدينية والدنيوية ﴿من النبيين﴾ بيان للموصول ﴿من ذرّية آدم﴾ بدل منه باعادة الجارّ ويجوزان تكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرّية ﴿وممن حملنا مع نوح﴾ اى ومن ذرّية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان من ذرّية سام بن نوح ﴿ومن ذرّية ابراهيم﴾ الباقون ﴿واسرآئيل﴾ عطف على ابراهيم اى ومن ذرية اسرآئيل اى يعقوب وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرّية ﴿ومن هدينا﴾ ومن جملة من هديناه الى الحق ﴿واجتبينا﴾ للنبوّة والكرامة ﴿اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجدا وبكيا﴾ خبر اولئك ان جعلت الموصول صفته واستئناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع مالهم من علوّ الطبقة فى شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عزوجل وعن النبى عليه السلام اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكىّ جمع باك كالسجود فى جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التأنيث غير حقيقى وقرأ حمزة والكسائى بكيا بكسر الباء ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون ﴿اضاعوا الصلاة﴾ تركوها او اخروها عن وقتها ﴿واتبعوا الشهوات﴾ كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك فى المعاصى وعن علىّ رضى الله عنه واتبعوا الشهوات من بناء المشيد وركوب المنظور ولبس المشهور ﴿فسوف يلقون غيا﴾ شرّا كقوله

* فمن يلق خيرا يحمد الناس امره *

ومن يغو لا يعدم على الغىّ لائما *

او جزاء غىّ كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد فى جهنم تستعيذ منه اوديتها

آدم وينتهى اليه نسب نوح عليه الصلاة والسلام فانه نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ الذى هو ادريس وكان خياطا واوّل من خاط الثياب فلبسها وكان من قبله يلبسون الجلود واوّل من اتخذ الصلاح وقاتل الكفار ﴿قوله يعنى شرف النبوّة﴾ يعنى قيل المراد بالمكان العلى رفعة المكانة والمنزلة عندالله تعالى وقيل المراد به المكان الرفيع وذلك المكان اما الجنة واما السماء السادسة ومن قال بالاوّل قال انه اذيق الموت ساعة ثم احيى ثم ادخل الجنة ولم يخرج منها فهو حى هناك لايموت بعد واختلف الذين قالوا انه فى السماء أهو حى فى السماء ام ميت فقيل هو ميت وقيل حى قيل اربعة من الانبياء احياء اثنان فى الارض الخضر والياس واثنان فى السماء ادريس وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقصة ادريس آخر القصص ثم انه تعالى اثنى على كل من تقدّم ذكره من الانبياء بالثناء الشامل لهم بعد ما اثنى على كل واحد منهم بما يخصه من الثناء ﴿قوله بيان للموصول﴾ يعنى ان كلمة من فى من النبيين بيانية لان المنعم عليه يجوز ان يكون نبيا وغير نبى والانبياء كلهم منعم عليهم والخاص يبين العام وجعلها على التبعيض باطل لان المنعم عليهم ليس بعض النبيين بل كلهم الا ان المنعم عليهم بعض من ذرية آدم فجاز ان تكون من الثانية للتبعيض كما جاز ان تكون للبيان بدلا من النبيين فى قوله من النبيين فوجب ان يحمل تعريف الموصول على الجنس للمبالغة كما فى قوله ذلك الكتاب وان يقدّر مضاف بان يقال اولئك بعض الذين انعم الله عليهم من النبيين وجعلهم فى كونهم من ذرية آدم ثم خص بعضهم بانهم ممن حمله الله تعالى فى السفينة مع نوح فقال وممن حملنا مع نوح والذى اختص بكونه من ذرية آدم من غير ان يكون ممن حمل مع نوح هو ادريس عليهما السلام فانه كان سابقا على نوح لما مرّ من انه جدّ أب نوح واسمعيل واسحق ويعقوب من ذرية ابراهيم كما قال ومن ذرية ابراهيم ثم خص بعضهم بانهم من ولد اسرآئيل وهو يعقوب عليه الصلاة والسلام وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى من قبل الامّ كما قال تعالى واسرآئيل عطفا على ابراهيم اى ومن ذرية اسرآئيل وكلهم من ذرية آدم ولكن جعل من قرب من آدم من ذريته وجعل من بعد منه من ذرية من قرب منه تشريفا لكل واحد بأب يقرب منه فرتب الله احوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب تنبيها بذلك على انهم كما فضلوا باعمالهم فهم فى منزلة الفضل بولادتهم من هؤلاء الانبياء ثم قال وممن هدينا اى الى الحق واجتبينا اى اصطفينا تنبيها بذلك على انهم كما اختصوا بهذه المنازل اختصوا بهداية الله تعالى لهم وانه تعالى اختارهم للرسالة وقوله تعالى وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية والمعنى على الاوّل انعم الله عليهم من النبيين وممن هدينا واجتبينا وعلى الثانى انعم الله عليهم من النبيين الذين هم بعض ذرية آدم وبعض من حملنا مع نوح وبعض من هدينا واجتبينا ﴿قوله والبكىّ جمع باك﴾ على خلاف القياس والقياس فى جمع اسم الفاعل من الناقص ان يجمع على فعلة نحو قاض وقضاة ورام ورماة ولم يسمع بكاة فى جمع باك بل المستعمل فى جمعه بكىّ واصله بكوى مثل شاهد وشهود وقاعد وقعود ومن قال فى بكيا انه مصدر فقد اخطأ لان سجدا جمع ساجد وبكيا معطوف عليه وسجدا حال مقدّرة لانهم حال الخرور ليسوا ساجدين والمراد بآيات الله تعالى ماخصهم الله تعالى به من الكتب المنزلة عليهم مما يتضمن الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والمعنى ان الانبياء المذكورين مع ما انعم الله عليهم من انواع النعم كان شأنهم اذا تتلى عليهم آيات الله وكتبه المنزلة عليهم يخرّون سجدا وبكيا خضوعا وخشوعا وخوفا وطمعا ثم انه وتعالى لما وصف هؤلاء الانبياء بصفات المدح ترغيبا لنا فى التأسى بطريقهم ذكر بعدهم من هو بالضدّ منهم فقال فخلف من بعدهم خلف اى جاء من بعد هؤلاء الانبياء خلف من اولادهم يقال خلفه اذا عقبه ثم قيل فى عقب الخير خلف بفتح اللام وفى عقب الشرّ خلف بالسكون كما قالوا فى جانب الشرّ وعيد وفى جانب الخير وعد قال الشاعر

* خلفت خلفا ولم تدع خلفا * ليت بهم كان لابك التلفا *

﴿قوله كشرب الخمر﴾ عن ابن عباس قال الذين اتبعوا الشهوات هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب ﴿قوله وركوب المنظور﴾ اى الفرس والبغل للجهاد بل لاجل ماينظر اليه ﴿قوله كقوله فمن يلق خيرا﴾ قابل الغىّ بالخير فدل على انه اراد بالغى الشرّ وما قابل البيت

* أمن حلم اصبحت تنكت واجما * وقد تعترى الاحلام من كان نائما *

يقال نكت فى الارض اذا جعل يخط وينقر باصبعه وهو كناية عن المتهم لان المتهم يفعل ذلك والواجم الحزين يقول أمن اضغاث احلام تصبح حزينا تنكت فى الارض ومن كان نائما تعتريه الاحلام ثم قال

* فمن يلق خيرا يحمد الناس امره * ومن يغو لا يعدم على الغيّ لائما *

اى ومن يفعل الشرّ لا يعدم من يلومه عليه ومن يغو بالكسر من غوى وبالفتح من غوى يغوى غيا وغواية فهو غاو وقوله الا من تاب وآمن يدل على ان الآية فى الكفرة لانه لا يقال آمن الا لمن كان كافرا بحسب التغليظ كما روى عن قتادة ان المراد بالخلف المذكور بقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اليهود وعن مجاهد انهم النصارى وقيل هم مشركوا العرب وهم اولاد اسماعيل عليه الصلاة والسلام وقيل الآية نزلت فى حق المسلمين الذين يؤخرون الصلوات عن اوقاتها وعلى قول من حمل الآية على الكفار يكون قوله تعالى الا من تاب وآمن استثناء منقطعا والمعنى الا من رجع عن كفره وآمن على شرطه وعمل صالحا بعد ايمانه وعلى قول من حملها على المسلمين يكون متصلا ويكون المعنى الا من تاب عن ذنوبه ودام على ايمانه فاولئك يدخلون الجنة * فان قيل الاستثناء دل على ان التوبة والايمان والعمل الصالح لابدّ منها جميعا لدخول الجنة والنجاة من النار وهو محل بحث لان من تاب عن كفره ولم يدخل وقت الصلاة او كانت المرأة حائضا فانه لا يجب عليهما الصلاة والزكاة ايضا غير واجبة وكذا الصوم فهما لو ماتا فى ذلك الوقت كانا من اهل النجاة مع انه لم يصدر منهما عمل فما وجه ترتيب النجاة على العمل الصالح * اجيب بان هذه الصورة نادرة والاحكام انما تأتى بالاعم الاغلب ﴿قوله﴾ ولا يظلمون شيأ من جزآء اعمالهم ﴿﴾ لفظ شيأ فى هذا التركيب منصوب على انه مفعول على اقامة المفعول به المنصوب بنزع الخافض مقام الفاعل فان نقص قد يستعمل لازما وقد يستعمل متعدّيا الى واحد يقال نقص الشئ نقصا ونقصانا ونقصته انا وقد يتعدّى الى ثان بواسطة حرف الجرّ فيقال نقصت من زيد حقه وقد تقرّر فى النحو انه اذا وجد المفعول به تعين للقيام مقام الفاعل واذا لم يوجد فالجميع سواء ويجوز قيام المنصوب بنزع الخافض مع وجود المفعول به بدون حرف الجرّ مقام الفاعل ذكر فى الرضى منع نيابة المنصوب بسقوط الجار كما فى امرتك الخير والوجه الجواز لالحاقه بالمفعول به الصريح انتهى ﴿قوله﴾ ويجوز ان ينتصب شيأ على المصدر ﴿﴾ اى شيأ من الظلم وفى قوله شيأ منكرا فى سياق النفى اشارة الى ان اعمال الخير التى فعلوها فى حال الكفر يثيبهم الله تعالى عليها مثل الصدقة وصلة الرحم قال محيى السنة فى شرح السنة اذا اسلم الكافر يثيبه الله تعالى على اعمال الخير التى عملها فى حال الكفر كما يتجاوز عنه ويعفو عما فعل فى حال الكفر من السيئات ﴿قوله﴾ وعدن علم ﴿﴾ لما جعل جنات بدلا من المعرفة ولا يحسن ابدال النكرة من المعرفة الا موصوفة كما فى قوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وايضا لما وصف جنات بقوله التى وعد الرحمن عباده ولا توصف النكرات بالمعارف احتيج الى تعريف جنات عدن ولا سبيل الى تعريفها الا بتعريف عدن ولفظ عدن ليس فيه شئ من التعريف سوى العلمية وسوى وقوعه مضافا اليه فى العلم فان ما كان مضافا اليه فى العلم لابدّ ان يكون معرفة مثل عبدالله وعبد مناف وعلل علمية عدن اوّلا بوقوعه مضافا اليه فى العلم وثانيا بكونه علما للعدن بمعنى الاقامة اى لحقيقة معنى الاقامة وجنسها فان اعلام الاجناس موضوعة للحقائق الذهنية المتعينة كاسامة فانه علم للحقيقة الذهنية الاسدية وكلفظ برّة فانه اسم للبرة المعرّف بلام الجنس وكذا لفظ عدن فانه علم لمعنى العدن المعرّف تعريف الجنس ﴿قوله﴾ اى وعدها اياهم وهى غائبة عنهم ﴿﴾ على ان الباء فى قوله بالغيب للملابسة كما فرض كون الغيوب من جنس الغيب وهو حال من المفعول المحذوف لوعد اى وعدها وهى غائبة عنهم او من المفعول الثانى وهو عباده ﴿قوله﴾ او وعدهم بايمانهم ﴿﴾ على ان الباء فيه للسببية بتقدير المضاف والمعنى وعدها عباده بسبب تصديقهم بالغيب وايمانهم به ﴿قوله﴾ وعده الذى هو الجنة ﴿﴾ جعل الوعد بمعنى الموعود لئلا يحتاج الى جعل المأتىّ بمعنى الآتى فانه لو جعل الوعد بمعنى المصدر لاحتيج اليه لان الوعد بمعنى المصدر معناه ان وعده الله آت لا محالة وبمعنى المفعول معناه ان الموعود وهو الجنة مأتىّ اى يأتونها العباد لا محالة او المأتىّ اسم مفعول على بابه من اتى اليه احسانا اذا فعله والمعنى ان الرحمن كان وعده لعباده بالجنة مفعولا منجزا لامتناع الخلف فى وعده يقال انجز وعده اذا وفى به فهو تعالى وان وعدهم بامر غائب عنهم فذلك الامر كأنه حاضر حاصل لهم ﴿قوله﴾ فضول كلام ﴿﴾ وهو الكلام الذى سبيله ان يلغى ويطرح لخلوّه عن الفائدة نزه الله تعالى داره التى وعدها عباده عن العيب والنقيصة اذ لا تكليف فيها وجعل الاستثناء اوّلا منقطعا لان السلام سواء كان بمعنى التسليم او بمعنى القول الذى لا يتطرّق اليهم الغير بسببه ليس من جنس اللغو ثم يستثنى منه اصوات العصافير ونحوها من الطيور قال المبرد السلام دعاء الانسان لصاحبه بان يسلم من الآفات فى دينه وبدنه ويتخلص

﴿الا من تاب وامن وعمل صالحا﴾ يدل على ان الآية فى الكفرة ﴿فاولئك يدخلون الجنة﴾ وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل ﴿ولا يظلمون شيأ﴾ ولا ينقصون شيأ من جزآء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيأ على المصدر وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرّهم ولا ينقص اجورهم ﴿جنات عدن﴾ بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه فى العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة كبرّة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله ﴿التى وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ اى وعدها اياهم وهى غائبة عنهم او وهم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب ﴿انه﴾ ان الله ﴿كان وعده﴾ الذى هو الجنة ﴿مأتيا﴾ يأتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اى مفعولا منجزا ﴿لا يسمعون فيها لغوا﴾ فضول كلام ﴿الا سلاما﴾ ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهنّ فلول من قراع الكتائب * او على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام

﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره ﴿تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا﴾ نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما نبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل فى التمليك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل بردّ واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التى كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة فى كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد ﴿وما نتنزل الا بامر ربك﴾ حكاية قول جبريل حين استبطاه رسول الله عليه الصلاة والسلام لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودّعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله على يقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحى ﴿له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك﴾ وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان اولا ننزل فى زمان دون زمان الا بامره ومشيئته ﴿وما كان ربك نسيا﴾ تاركا لك اى ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل ان الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اى وما كان ربك ناسيا لاعمال العاملين وما وعدلهم من الثواب عليها

من المكروه ثم فشا استعماله فى الاكرام حتى لا يفهم منه غيره ولهذا لو تركته لمملوك صاحبك على الاهانة ﴿قوله على عادة المتنعمين﴾ جواب عن سؤال مقدّر وهو ان المقصود من هذه الآيات وصف الجنة باحوال مستعظمة ووصول الرزق اليهم بكرة وعشيا ليس من الامور المستعظمة فما الوجه فى مدح الجنة به * واجاب عنه بوجهين الاوّل ماروى عن الحسن من انه تعالى اراد ان يرغب كل قوم بما احبوه فى الدنيا فلذلك ذكر اساور الذهب والفضة ولبس الحرير وهى من عادة العجم والارائك التى هى الحجال المضروبة على الاسرّة وكانت عادة اشراف اليمن ولا شئ كان احب الى العرب من الغدآء والعشاء فوعدهم بذلك والثانى انه كناية عن اعتدال احوال اهل الجنة من حيث المطاعم والمشارب فان اعدل احوال المطاعم وابعدها عن الضرر هو التغدّى والتعشى وهى عادة محمودة متوسطة بين الزهادة من الطعام والتفريط فيه بالاكل فى اليوم والليلة مرّة وبين الرغابة والافراط فيه وهى الاكل متى وجدوه مرّة بعد اخرى ثم نقل جوابا ثالثا وهو ان ذكره البكرة والعشىّ لبيان دوام رزق اهل الجنة لا لبيان ان الرزق انما يحصل لهم فى هذين الوقتين المعلومين كما يقال انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا ويراد دوام الحضور عنده فى كل وقت * فان قيل كيف يتحقق البكرة والعشى بالنسبة الى اهل الجنة ولا صباح ولا مساء ولا ليل ولا نهار بالنسبة اليهم قال تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وقال عليه الصلاة والسلام * لا صباح عند ربك ولا مساء بل هم فى نور ابدا * واجيب بان المراد انهم يأكلون مطلقا لا ان فى الجنة غدوة وعشيا اذ قيل انهم فيها يعرفون مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارخائها وروى ان بين غدآئهم وعشائهم ست ساعات ﴿قوله نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم﴾ شبه اعمال المتقى بالمورث وشبه ثمرة تلك الاعمال بترك المورث اذا قضى نحبه يبقى للوارث ماله كذلك اعمال المتقين تنقضى وتبقى ثمرتها لهم وهو الجنة فعبر عن ايتاء تلك الثمرات لهم بالايراث واشتق منه نورث فصار استعارة تبعية ونكتتة العدول الى المجاز التنبيه على ان تمليك تلك الثمرات لهم اقوى وجوه التمليك كأنه قيل نملك الجنة اياهم اقوى تمليك والآية تدل على ان المتقى يدخل الجنة وليس فيها دلاله على ان غير المتقى لا يدخلها وايضا صاحب الكبيرة يصدق عليه انه متق لكونه متقيا عن الكفر فيدخلها ﴿قوله حكاية قول جبريل عليه السلام﴾ ولا شك ان قوله تعالى تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا كلام الله تعالى فلا وجه لعطف هذه الجملة المحكية عليه بل هى معطوفة على ما تقدّم من اوّل السورة الى هنا عطف القصة على القصة واللازم فى مثله تناسب القصتين المتعاطفتين فى الغرض الذى سيق الكلام لاجله وذلك التناسب موجود ههنا فان المقصود من ذكر أقاصيص الانبياء عليهم الصلاة والسلام تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته وهى المقصودة من هذه الحكاية ايضا فانه تعالى لما فرغ من اقاصيص الانبياء وذنبها ببيان ما احدث الخلف بعدهم وحكم عليهم بانهم سوف يلقون غيا واستثنى اهل الهداية والتوفيق منهم وقال فى حقهم فاولئك يدخلون الجنة عقب ذلك بذكر حكاية نزول جبريل عليه السلام كانه قال للنبى صلى الله عليه وسلم انك وان اشتقت الىّ ولكنى اليك اشوق الا ان امرنا موكول الى الله عز وجل يتصرّف فينا بحسب مشيئته وارادته وحكمته لا اعتراض لاحد عليه وليس اجتنابى عنك لاجل ان ربك ودّعك وقلاك كما يقول المشركون وما كان ربك نسيا تاركا لك ولا شك ان فى ذكرها زيادة التسلية له عليه الصلاة والسلام ﴿قوله ثم نزل ببيان ذلك﴾ اى ثم نزل جبريل ببيان ما يجيب لمن سأل عن قصة اصحاب الكهف وغيرها ونزل حينئذ قوله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك وقوله ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وسورة والضحى ﴿قوله وقيل ان الآية حكاية قول المتقين الخ﴾ القائل له اختاره لمناسب ماقبله ويظهر عطفه عليه والتنزل هنا من النزول فى المكان اى ما نحلها ونتخذها منازل كما اشار اليه بقوله ننزل الجنة لكنه خلاف الظاهر وايضا مقتضاه بامر ربنا لان خطاب النبى صلى الله عليه وسلم كما فى الوجه الاوّل غير ظاهر الا ان يكون حكاه الله على المعنى لان ربهم وربه واحد ولو حكاه على لفظهم لقال ربنا وانما حكى كذلك ليجعل تمهيدا لما بعده وكذا وما كان ربك نسيا اذ لم يقل ربهم ومرّضه لانه لا يوافق سبب النزول واما كون الخطاب من جماعة المتقين لواحد منهم فبعيد وقوله ولطفه اشارة الى ان الامر هنا امر تكريم ولطف كقولك للمسافر انزل هنا ﴿قوله ما كان ربك ناسيا لاعمال العاملين﴾ اشارة الى ان المنفى اصل النسيان لا زيادته حتى يقتضى ثبوت اصله وانما المبالغة باعتبار كثرة من فرض

تعلقه به كما فى وماربك بظلام للعبيد فى احد الوجوه وقوله بيان لامتناع النسيان لان رب هذه المخلوقات العظيمة المدبر لامرها والممسك لها فى كل حال لايمكن ان يجرى عليه الغفلة والنسيان على مامر فى قوله لاتأخذه سنة ولانوم له مافى السموات وما فى الارض ﴿ قوله وهو خبر محذوف اوبدل من ربك ﴾ فى قوله وما كان ربك نسيا وفى الكشاف هو بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هو رب السموات والارض كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم * وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين ومابعده من كلام رب العزة انتهى وانما لم يجز على البدل ان يكون من كلامهم لانه لايظهر اذ ذاك ترتب قوله فاعبده الخ عليه لانه من كلام الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الدنيا بلاشك وجعله جواب شرط محذوف على تقدير اذا عرفت احوال اهل الجنة واقوالهم فأقبل على العمل لايلائم فصاحة التنزيل للعدول عن السبب الظاهر الى الخفى كذا فى الكشف ولم يذكره المصنف لمافيه من التكلف بل جعله من كلام الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم كمامر ﴿ قوله خطاب للرسول الخ ﴾ الترتيب مأخوذ من الفاء وقوله لماعرفت الخ اشارة الى وجه الترتب وقوله اواعمال بالنصب عطف على مفعول ينساك اشارة الى تفسيره على كونه حكاية قول المتقين وقوله فأقبل لم يقل فاستمر لان الاقبال كان حاصلا قبل لئلا يتكرر مع مابعده لان معناه الثبات والاستمرار فلا يتوهم ماذكر كما قيل ﴿ قوله وانما عدى باللام الخ ﴾ اى والمعروف تعديته بعلى لمافيه من معنى الثبوت المتعدى بها كأنه قيل اصبر ثابتا على طريق التضمين وجعل العبادة بمنزلة القرن اشارة الى قوله رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وقيل انه استعارة تبعية ملوحة الى مكنية بجعل العبادة بمنزلة القرن والصبر والمداومة عليها بمنزلة الثبات له ولوكان تضمينا لم يحتج الى ان العبادة بمنزلة القرن وفيه نظر ﴿ قوله مثلا يستحق ان يسمى الها الخ ﴾ يعنى ان اصل السمى المشارك فى الاسم وذلك يقتضى المماثلة خصوصا فى اسماء الاجناس فاريد بنفى السمى نفى المثل على طريق الكناية ونفى السمى حينئذ يجوز ان يراد به نفى المشاركة فيما يطلق عليه مطلقا كآلهة لان الكفرة وان سموا اصنامهم آلهة لكنها تسمية باطلة لاعتداد بها وان يراد به نفى المشاركة فيما يختص به كالله والرحمن كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما واشار اليه المصنف رحمه الله بقوله اواحدا يسمى الله وقوله فان المشركين الخ تعليل للاول اولهما لان الله اصله الاله كامر فتأمل ﴿ قوله لظهور احديته ﴾ اى احديته الذاتية المقتضية للتفرد باسمائه العلية وتعالى بكسر اللام اسم مصدر مضاف وقوله وهو تقرير للامر اى كونه لايفعل الاباذنه وامره وقوله ولايستحق العبادة اى التى هى غاية الخضوع اذلا تليق بغيره المتعدد الامثال وهذا يعلم من ذكره بعد الامر بعبادته فلا يرد ان التفرد بالتسمية لايدل على التفرد بالعبادة ﴿ قوله المراد به الجنس بأسره الخ ﴾ لما كان هذا القول لم يصدر الا من الكفار المنكرين للبعث اختلف فى تفسيره فقيل ال فيه للعهد والمراد شخص وهو ابى بن خلف لعنه الله او جماعة معينون وهم هؤلاء الكفرة وقيل انها للجنس وهو حينئذ مجاز امافى الطرف بان اطلق جنس الانسان واريد بعض افراده كما يطلق الكل على اجزآئه اوفى الانسان بان يسند الى الكل ماصدر عن البعض كما يقال بنوا فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم ولامنافاة بين كون التعريف للجنس المفيد للعموم وارادة البعض كما توهم وانما الكلام فى انه هل يشترط فى مثله لصحته اولحسنه رضى الباقين به اومطاوعتهم ومساعدتهم حتى يعد كأنه صدر منهم اولا فان قلنا بالاول ورد عليه الاعتراض بان بقية الناس من المؤمنين لم يرضوه وايضا صرح المصنف رحمه الله باشتراطه فى سورة السجدة فان لم يقل به هنا تناقض كلامه وان وفق بينهما بعض اهل العصر بما لاطائل تحته فيحتاج الى تكلف ماقيل ان الاستغراب مركوز فى طبائع الكل قبل النظر فى الدليل فالرضى حاصل بالنظر الى الطبع والجبلة لكن كلام المصنف لايساعده كما سترآه والحق عدم اشتراط ذلك وانما يشترط لحسنه نكتة يقتضيها مقام الكلام حتى يعد كأنه صدر عن الجميع فقد تكون الرضى وقد تكون المظاهرة وقد تكون عدم الغوث والمدد ولذا اوجب الشرع القسامة والدية وقد تكون غير ذلك فذكر المصنف رحمه الله وجها فى محل لايقتضى تعينه فكانت النكتة هنا انه لما وقع بينهم اعلان قول لاينبغى ان يقال مثله واذا قيل لاينبغى ان يترك قائله بدون منع اوقتل جعل ذلك بمنزلة الرضى حثا لهم على انكاره قولا وفعلا فتأمل * واعلم ان ماذكره لايختص بالنسبة الاسنادية بل يجرى فى الاضافة كقوله * فسيف بنى عبس وقد ضربوا به * كما فى الكشاف وقوله على الخبر المراد به مايقابل الانشاء الذى منه الاستفهام ولبعض الناس هنا كلام مختل لاحاجة الى ايراده وقيل ان المراد بكونه على الخبر

وقوله ﴿ رب السموات والارض ومابينهما ﴾ بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف اوبدل من ربك ﴿ فاعبده واصطبر لعبادته ﴾ خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم مرتب عليه اى لما عرفت ربك بانه لاينبغى له ان ينساك اواعمال العمال فأقبل على عبادته واصطبر عليها ولاتتشوش بابطاء الوحى وهزء الكفرة وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدآئد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ مثلا يستحق ان يسمى آلها اواحدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم آلها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اى اذا صح ان لااحد مثله ولايستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها ﴿ ويقول الانسان ﴾ المراد به الجنس بأسره فان المقول مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم كقولك بنوا فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم اوبعضهم المعهود وهم الكفرة اوابى بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد الموت ﴿ أئذا مامت لسوف اخرج حيا ﴾ من الارض اومن حال الموت

بحسب الظاهر والا فالهمزة مقدّرة فيه وليس بمتعين كما ذكره المعرب وقوله من الارض فالخروج حقيقي او من حال الموت فهو مجاز عن الانتقال من حال الى اخرى ﴿ **قوله** لان المنكر كون مابعد الموت وقت الحياة الخ ﴾ يعني ان تقديم الظرف لان الاخراج الى الحياة ليس بمنكر مطلقا وانما المنكر كونه بعد الموت فقدّم الظرف لانه محل الانكار والاصل في المنكر ان يلي الهمزة ويحتمل انه اريد انكار وقته بعينه مبالغة لانه يفيد انكاره بطريق برهاني كما ذكره الطيبي ولما كان وقت اخراجه وخروج الروح ليس وقت اخراجه حيا بل بعده بزمان طويل قال الرضي ان فيه معطوفا محذوفا لقيام القرينة عليه والمعنى ائذا مامت وصرت رميما ابعث اى مع اجتماع الامرين كقوله ائذا متنا وكنا عظاما ورفاتا نبعث خلقا جديدا فمن قال انه لا حاجة اليه لم يصب اللهم الا ان يراد بحال الموت زمان ممتدّ الى اوّل زهوق الروح كما هو المتبادر منه وربما يكون في كلام المصنف رحمه الله اشارة اليه او يقال انهم اذا احالوه في تلك الحال علم احالته اذا كانوا رفاتا بالطريق الاولى وفي كلام الفاضل المحشي هنا شئ فتأمل ﴿ **قوله** وانتصابه بفعل دل عليه اخرج ﴾ سواء كان من لفظه او معناه كابعث ونحوه وعدّ المانع اللام وحدها دون سوف لانها لا تمنع على الصحيح خلافا لابن عطية قيل ان الرضي ذكر ان كلمة الشرط تدل على لزوم الجزآء للشرط ولتحصل هذا الغرض عمل في اذا جزآؤه مع كونه بعد حرف لا يعمل مابعده فيما قبله كالفاء في فسبح وان في قولك ان جئتني فانى مكرم ولام الابتداء في قوله ائذا مامت لسوف اخرج حيا انتهى * فان قلت هذا مبناه على ان العامل الجواب والجمهور على انه الشرط كما في المغني * قلت ذاك في اذا الشرطية وهذه ظرفية انتهى ولا يخفى ان كلام الرضي ليس بمتفق عليه كما في كتب العربية واما ماذكره من السؤال والجواب فانه لا يصح ان يكون على كلام الرضي فانه مخالف لصريح كلامه من جعلها شرطية ولا من قبل المصنف رحمه الله فانه لا يعارض كلام الرضي فلا حاجة لايراده برمته وسياقه يأباه فتدبر ﴿ **قوله** وهي هنا مخلصة الخ ﴾ هذا بناء على ان اللام اذا دخلت على المضارع خلصته للحال وهو قول للنحاة ومن قال انها لا تخلصه يحتج بمثل هذه الآية ولا يحتاج الى دعوى تجريدها للتوكيد وقوله كما خلصت بصيغة المجهول وهذا ايضا بناء على ان اصله الاله وال فيه للتعريف والتعويض عن الهمزة المحذوفة فانها اذا اجتمعت مع حرف الندآء جعلت لمحض التعويض لئلا يجتمع تعريفان وهذا احد الاقوال المشهورة فيه ايضا ولذا قطعت همزته وقوله فساغ الخ تعليل لما نحن فيه ﴿ **قوله** مع ان الاصل ان يتقدّمهما الخ ﴾ تبع في هذا الزمخشري حيث قال وسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني أيقول ذلك ولا يذكر حال النشأة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك اعجب واغرب الخ وهو مخالف للمذهبين في مثله بحسب الظاهر من انها مقدّمة من تأخير فاصله والا يذكر الخ او داخلة على مقدّر واصله ايقول كذا ولا الخ واما كونها مؤخرة من تقديم فلم يقله احد مع انه قيل عليه ان الهمزة ليست من المعطوف لتقدّمها عليه ولا من المعطوف عليه لتأخرها عنه وكيف يدخل الانكار على يقول مع تأخر الهمزة عنه وفيه ابطال صدارتها فالاولى ان يقال لا يذكر معطوف على مقول مقدّر بعد الهمزة لدلالة الاوّل عليه فيرتفع الاشكالان وقيل لا يخلو اما ان يعطف لا يذكر على يقول المذكور او على المقدّر فعلى الاوّل لا يستقيم تقريره المعنى بقوله ايقول ذلك ولا يذكر لان التقدير حينئذ او لا يذكر وعلى الثاني لا يصح قوله ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف قيل ويمكن ان يجاب باختيار الاوّل وقوله ايقول ذلك ولا يذكر بيان لمحصل المعنى لا لتقدير اللفظ وذلك لان الهمزة افادت انكار الجمع لدخولها على الواو المفيدة له وكأنه قيل اينكر الجمع بين القول وعدم التذكر فصح قوله ايقول ذاك ولا يذكر واما السؤال ببطلان صدارة الهمزه فلا وجه له لما ثبت من التوسع فيها خاصة انتهى * اقول في هذا كله تكلف ما لا حاجة اليه مع خروجه كله عن القانون النحوي اما الاوّل فلأن كلامهم غير محتاج لما ذكروه كما ستسمعه عن كتب واما الثاني فلمخالفته لما ذهب اليه النحاة من المذهبين لانه لم يقل احدانها مؤخرة من تقديم وايضا صدارتها انما هو بالنسبة الى جملتها بالاتفاق وتقدّمها على الواو أتم فيه كما صرّح به في المغني فلا حاجة الى التوسع المذكور كما انه لا حاجة الى ماقيل ان وجوب التصدير انما هو اذا بقيت على معناها الاصلي الاستفهامي اما اذا تولد منها معنى آخر كالانكار والتوبيخ فلا يبقى وجوب التصدير ولذا قال المصنف رحمه الله مع ان الاصل الخ اذا عرفت هذا فمعنى كلام الشيخين هنا وهو بيان لمعنى النظم مبني على القول بعدم التقدير انه لما دخل حرف الانكار على العاطف فتوسط في الكلام مع ان القول المذكور منكر كعدم التذكر فاجابوا بانه وان كان اصل المعنى المراد منه هذا ومقتضاه ان يقال ايقول

وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون مابعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان مابعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجرّدة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروى عن ابن ذكوان اذا مامت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر ﴿ أو لا يذكر الانسان ﴾ عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدّمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ منه

اذا الخ الا انه عدل عنه للدلالة على ان المنكر بالذات عدم التذكر والقول انما نشأ عنه فلا وجه لما قاله المحشى فانه لو تأمل لم يقله ﴿قوله﴾ بل كان عدم ناصرا فالخ ﴿﴾ بناء على ان الشئ يختص بالموجود وقد تقدّم تفصيله وقوله فانه اى الخلق المفهوم من خلقنا وانما كان اعجب لانه لم يسبق له مثال يحذى حذوه ولم تجمع له مادّة قبل حتى يعاد على احد المذهبين المعروفين فى المعاد كما اشار اليه المصنف رحمه الله وقوله على الاصل اى بدون ادغام فانه خلافه والتفخيم لشأنه صلى الله عليه وسلم من الاضافة فانها للتعظيم كبيت الله وقوله لما روى الخ تأييد للمعية بالتصريح بها فى الحديث وقوله مخصوصا بهم اى بالكفرة وقوله ساغ بالغين المعجمة اى جاز ونسبته الى الجنس باسره نسبة مجازية كما مرّ وقوله فانهم بيان لوجه التجوّز فيه وقوله فقد حشروا جميعا معهم فجاز نسبته مجازا لهم وقوله ليرى بيان لحكمة حشرهم معهم والغبطة هنا حسن الحال والمسرة وقوله وشماتتهم عليهم كان الظاهر ان يقول بهم فكأنه علقه بمقدّر اى مغتاظين عليهم وقوله يدهمهم بالدال المهملة اى يفجأهم وهذا بناء على العموم فى الانسان فالمؤمن يحثو اذا قرب منها والكفار مستمرّون على الجثى لعدم استطاعة القيام فلا ينافى جمع ضمير نحشرهم ان يراد بالانسان واحد كما تقدّم والعدّة بضم العين المهملة مايعدّ لما بعده ﴿قوله﴾ اولانه من توابع التواقف ﴿﴾ اى من لوازمه والتواقف تفاعل من الوقوف والتقاول تفاعل من القول والمفاعلة فيه حقيقة بخلاف اخواته فانها فيه للمشاكلة يعنى ان الجثى وهو جلوس المستوفز على ركبه شأن من يجئ لمجلس امير وقوله قبل التواصل الخ اى قبل الوصول الى جزآء ماهو سبب له وهذا عام لجميع اهل الموقف كما فى الآية المذكورة على احد تفسيريها لا خاص كما قيل وانما الفرق ان المؤمنين يقومون بعد تلك الحالة والكفار يبقون على هيئاتهم الاولى فليس فى تقريره سوء ترتيب وقوله على المعتاد اى فى الحساب حال من ضمير جاثون اومتعلق به وقوله وان كان الظاهر الفاء لانه لف ونشر وقوله فلعلهم عبربه لانه من المغيبات وقوله جثاة اى للهول كما مرّ على ان جثيا حال مقدّرة بخلافه على ماقبله لان قوله لنحضرنهم حول جهنم جثيا يقتضى ان يكونوا فى الاحضار وهو امر ممتدّ كذلك فان اريد العموم لايكون كذلك لان منهم السعداء وهم يمشون على اقدامهم فاذا وصلوا الى شاطئ النار تجاثوا فان قلت جثيا حال مقدّرة بالنسبة الى السعداء وغير مقدرة بالنسبة الى الاشقياء فكيف يصح التقدير وعدمه فى حالة واحدة * قلت ان اريد بالجثى الجثى حول جهنم فهى مقدّرة بالنسبة الى الكل ويجوز ان يكون من اسناد مالبعض الى الكل كما مرّ وكل منهما مجاز فتأمل والقرآءة بكسر الجيم للاتباع قرأ حمزة والكسائى وحفص جثيا بكسر الجيم اتباعا والباقون بالضم ووقع فى النسخ هنا تحريف ﴿قوله﴾ من كل امّة شايعت دينا ﴿﴾ اى تبعت دينا من الاديان وفى نسخة رئيسا فيكون تفسيرا للاشدّ عتيا مقدّما عليه كما سيأتى والاولى هى المشهورة وهذا بناء على ابقاء الشيعة على معناها المتبادر منها وهى الفرقة والفئة مطلقا فتشمل المؤمنين كما اشار اليه بقوله ولوخص الخ وقوله تنبيه ولم يفسره بما فى الكشاف بطائفة تبعت غاويا من الغواة لان المقام يقتضى التخصيص وان كان عاما للاتباع بحسب الوضع * لكنه اورد عليه ان قوله اشدّ عتيا يقتضى اشتراكهم فى العتى بل فى اشدّيته وهو لا يناسب المؤمنين * واجيب عنه بانه يكتفى بالتقدير اويجعل من نسبة مالبعض الى الكل وهذا اظهر ولا بعد فيه من جهة العربية لان التفضيل على طائفة لايقتضى مشاركة كل فرد فرد كما اذا قلت هو اشجع العرب لايلزمه وجود الشجاعة فى جميع افرادهم وقوله اعصى اشارة الى ان العتوّ على هذا بمعنى العصيان لانه كما فسره الراغب النبوّ عن الطاعة وبه يهون مامرّ ووجه التنبيه على هذا انه خص العذاب بالاشدّ معصية ففيه ايماء الى التجاوز عن كثير منهم فلا وجه لما قيل انه لادلالة له عليه وقوله ويطرحهم اويدخل فيه اشارة الى ان فى النظم حذفا وايجازا وكثيرا منصوب على نزع الخافض وهو عن لا اللام وقوله طبقاتها وفى نسخة طبقتها اى النار ﴿قوله﴾ وايهم مبنى على الضم عند سيبويه ﴿﴾ أىّ المشدّدة تكون موصولة واستفهامية وشرطية واختلف فيها وفى اعرابها هنا فذهب سيبويه الى انها موصولة وكان حقها ان تبنى كسائر الموصولات لشبهها للحرف بافتقارها لما بعدها من الصلة لكنها لما لزمت الاضافة الى المفرد لفظا نحو ايهم اوتقديرا نحو ايا وهى من خواص الاسماء بعد الشبه فرجعت الى الاصل فى الاسماء وهو الاعراب ولانها اذا اضيفت الى نكرة كانت بمعنى كل نحو اىّ رجل واذا اضيفت الى معرفة كانت بمعنى بعض نحو اىّ الرجلين كما ذكره النحاة فحملت فى الاعراب على ماهى بمعناه كما ذكره المصنف رحمه الله لكنها اذا حذف صدر صلتها عنده ازداد نقصها المعنوى وهو الابهام والافتقار الى الصلة بنقص الصلة التى هى جزأها فقوى مشابهتها

فانه لوتذكر وتأمل ﴿ انا خلقناه من قبل ولم ﴾ ﴿ يك شيأ ﴾ بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ماكان فيها من الاعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذى يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ اقسام باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿والشياطين﴾ عطف اومفعول معه لما روى ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه فى سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم﴾ ليرى السعداء ماانجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ماادّخر والمعادهم عدّة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم ﴿جثيا﴾ على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع اولانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل الموقف جاثون لقوله وترى كل امة جاثية على المعتاد فى مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم اولعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدّة وقرأ حمزة والكسائى وحفص جثيا بالكسر ﴿ثم لننزعن من كل شيعة﴾ من كل امة شايعت دينا ﴿ايهم اشدّ على الرحمن عتيا﴾ من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفى ذكر الاشدّ تنبيه على انه تعالى يعفو عن كثير من اهل العصيان ولوخص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوآئفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم فى النار على الترتيب اويدخل كلا طبقتها التى تليق بهم وايهم مبنىّ على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتدآء على انه استفهامى وخبره اشدّ

للحرف فعادت الى ماهو حق الموصول وهو البناء فهى على هذا منصوبة محلا والجملة بعدها المحذوفة المبتدأ لا محل لها من الاعراب والقراءة بالنصب عن طلحة تقتضى انها مفعول لننزعنّ وقد خطئ فى هذا بانه لم يسمع مثله وبانه يقول باعرابها اذا افردت عن الاضافة فكيف اذا اضيفت كما فى المغنى وهو مفصل فى محله وقوله ومرفوع معطوف على قوله منصوب المحل ﴿قوله والجملة محكية﴾ اى بالقول الذى هو صلة الموصول المحذوف الذى هو مفعول لننزعنّ واىّ استفهامية لا موصولة كما بينه وهذا قول الخليل رحمه الله ولما كان لا معنى لجعل النزع لمن يسأل عنه بهذا الاستفهام اوّله بعضهم بانه مجاز عن تقارب احوالهم وتشابهها فى العتوّ حتى يستحق ان يسأل عنها او المراد الذين يجاب بهم عن هذا السؤال وهو مع تكلفه فيه حذف الموصول مع بعض الصلة وهو تكلف على تكلف ومثله لا ينقاس وقوله او معلق عنها فالجملة فى محل نصب والمعنى لننزعنّ جواب من يسأل عنه بهذا ولما كان التعليق عند الجمهور يختص بافعال القلوب اجاب عنه بانه نزع شئ عن شئ يقتضى افرازه وتمييزه عنه وهو سبب للعلم به فهو لتضمنه معنى يلزمه العلم عومل معاملته والاولى ان يقال انه مستلزم العلم لعلم من يراهم بذلك ومن لا يرى التعليق مختصا بافعال القلوب كيونس لا يحتاج الى التأويل ﴿قوله او مستأنفة﴾ اى استئنافا نحويا او بيانيا ان كانت اىّ موصولة كأن قيل من المنزوعون فقيل هم الذين هم اشدّ واما اذا كانت استئنافية فالظاهر الاوّل ويجوز الثانى على التأويل السابق وجعل من زائدة على مذهب الاخفش الذى يجوّز زيادتها فى الاثبات وكونها مفعولا لتأويلها باسم وهو بعض قيل هو على تقدير تخصيصه بالكفرة وفيه نظر ﴿قوله واما بشيعة﴾ معطوف على قوله بالابتداء وهذا منقول عن المبرد فى الاعراب فمن قال انه لم يقله غير المصنف لم يصب قال ابو البقاء يعنى ان ايهم فاعل لما تضمنه شيعة من معنى الفعل والتقدير لننزعنّ من كل فريق يشيع ايهم اشدّ واىّ موصولة بمعنى الذى فتأمل وقيل اىّ هنا شرطية ﴿قوله وعلى للبيان الخ﴾ يعنى ان الجار والمجرور متعلق بفعل محذوف او بمصدر مبين لان المعنى على من والصلى بماذا كما فى سقياله ورعياله كأنه قيل على من عتوا فقال عتوا على الرحمن وبماذا يصلون فقيل يصلون بالنار لا بالمصدر المذكور لان معمول المصدر لا يتقدّم عليه فمن جوّزه مطلقا او فى الجار والمجرور للتوسع فيه جوّزه هنا وكذا من قال ان عتيا وصليا جمع عات وصال وهو منصوب على الحالية ﴿قوله لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلى الخ﴾ قيل هذا على كون صليا تمييزا عن النسبة التى بين اولى والمجرور وما بعده على انه تمييز عن النسبة التى بين المبتدأ والخبر وقيل ان الاوّل على تقدير كونه للبيان وما بعده على تعلقه بافعل فتأمل وقوله وقرأ حمزة الخ وقع فى بعض النسخ وقد قرأوا به فى جثيا كما مرّ وهو اتباع وكذا فى عتيا فالاولى ذكره ايضا وقوله ويجوز وكان المراد اوّلا الفرق باجمعها ﴿قوله التفات﴾ اى من الغيبة للحضور وهو جار على التفسيرين فى الانسان بالعموم والخصوص وعلى الثانى الورود بين ويجوز ان يكون خطابا للناس دون التفات لما مرّ كما فى الكشاف وقوله الا واصلها الخ يعنى ان المراد بالورود ما دخولها حقيقة لكنها لا تحرقهم بل تصير عليهم بردا وسلاما كنار ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما ورد فى الحديث وعليه كثير من سلف المفسرين واهل السنة او المراد به الجواز على الصراط او القرب منها او الجثوّ حولها ورجحه الشيخان كغيرهما لانه يلائم قوله ثم ننجى الذين الخ لان الظاهر منه انه تفصيل وتفريق بعد ما اشتركوا فيه ويقدّر فيه مضاف ايضا اى نذر الظالمين فيما حولها بقرينة قوله لنحضرنهم حول جهنم والمراد المرور على الصراط بعده واما على التفسير الاوّل فلا يحتاج الى تأويله فتأمله وقوله خامدة بالخاء المعجمة والجيم والاوّل اولى اى ساكنة وتنهار اى تسقط وتقع والمراد انها تحرقهم وتشعل كما يقال وقع فى البلد حريق ﴿قوله واجبا﴾ اى كالواجب فى تحتم وقوعه والمقصود المبالغة اذ لا يجب على الله شئ عندا هل السنة واليه اشار بقوله وقضى الخ هو تفسير مقضيا كما ان ما قبله تفسير حتما ﴿قوله وقيل اقسم عليه﴾ اى معنى كان حتما مقضيا كان قسما لازما والمقصود منه انشاء القسم وقد يقال ان على ربك المقصود منه اليمين كما تقول لله علىّ كذا اذ لا معنى له الا تأكد اللزوم والقسم لا يذكر الا لمثله وعلىّ ورد فى كلامهم كثيرا للقسم كقوله

علىّ اذا ما جئت ليلى ازورها ❊ زيارة بيت الله رجلان حافيا ❊

فان صيغة النذر قد يراد بها اليمين كما صرّحوا به او المراد بهذه الجملة القسم كقولهم عزمت عليك الا ما فعلت كذا وورد فى الحديث لا يموت لاحدكم ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم فقال ابو عبيد وتبعه جماعة من المفسرين ان المراد بالقسم فى الحديث قوله وان منكم الا واردها الآية واعترض الازهرى فى التهذيب بانه

والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعنّ من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشدّ او معلق عنها لننزعنّ لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستأنفه والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعنّ بعض شيعة كل واما بشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء فى قوله ﴿ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا﴾ اى لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلىّ او صليهم اولى بالنار وهم المنزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدّهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص صليا بكسر الصاد ﴿وان منكم﴾ وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم ﴿الا واردها﴾ الا واصلها وحاضر دونها يمرّ بها المؤمنون وهى خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط عليها ﴿كان على ربك حتما مقضيا﴾ كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعده به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه

(لا قسم)

لاقسم فيها فكيف يكون له تحلة وقيل ان هذا اصل معناه ولكن لما كان مايتحلل به يكون امرا قليلا ان اريد به ايقاع شئ من المحلوف عليه كبر قسمه اوذكر مايمنعه من الحنث وهو قوله ان شاءالله فعبر به عن القلة كقول كعب وقعهنّ الارض تحليل * قال ابن هشام فى شرح بانت سعاد اللهم الا ان يقال ان قوله تعالى وان منكم الاواردها معطوف على ماأجيب به القسم فى قوله فوربك لنحشرنهم الخ وهذا مراد من قال ان الواو للقسم وفيه بعد وقال السبكى هذا عجيب فان القسم مقدّر فى قوله وان منكم ويدل عليه شيئان احدهما قوله كان على ربك حتما مقضيا قال الحسن وقتادة قسما واجبا وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه والثانى ان النبى صلى الله عليه وسلم فهم منه القسم كمرّ الحديث ولك ان تقول انه لاتقدير فيه والمعنى ماقرّرناه كمرّ اويقال الجملة معطوفة على جواب القسم اوحال وحديث البعد غير مسموع لعدم تخلل الفاصل ﴿قوله﴾ وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو الخ ﴿ وجه الدلالة انه لماذكر ان الجميع واردوها ثم قسمهم الى ناج والى متروك على حاله فى الجثى علم ان مقابله جاث لكنه غير متروك على جثيه فجاء ماذكر وهو ظاهر والدليل هو قوله ونذر الظالمين الخ وقد بين ايضا بان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة فى مكانهم جاثين والتركيب يدل على انجاء المتقين من الورطة التى تبقى الظالمون فيها للتقابل بينهما فدل على ان تلك الورطة هى الجثو حولها وانهما يشتركان فيها وقد كانا اشتركا فى الورود فدل هذا على ان المراد بالورود هو الجثو وهذا انما يتأتى بتقدير مضاف فى قول فيها اى فى حوالها بقرينة الجثو كما اشار اليه المصنف رحمه الله فمن قال انه لايجرى فى كلام المصنف رحمه الله لم يصب لكنه قيل على ان الجثو انما يصلح قرينة ان ثبت انه لاجثو فى النار وهو غير معلوم وايد بان الظالمين لايتركون حولها بل يدخلون النار وردّ بان الجثو حول جهنم علم من الآية السابقة فردّ هذا اليها والتفصيل بالمعلوم اولى وليس المراد بالدلالة الدلالة القطعية حتى يحل بها الاحتمال وقوله لايتركون الخ لادليل فيه ولايخفى ان ماادّعاه من الاولوية الظاهر خلافه لان جثيا نكرة اعيدت فالظاهر ايها غير الاولى لاسيما وقد وقعت فاصلة وهى كالقافية لايحسن تكرارها مع مافيها من التقدير المخالف للظاهر فتأمل ﴿قوله﴾ او ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم الخ ﴿ او هنا لمنع الجمع لان ماهو بين اللفظ والمعنى بنفسه لايكون مبينا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم كالمجمل ونحوه لاسيما ومبينة على الاوّل بمعنى متبينة بصيغة اسم الفاعل وهذا بمعنى مبينة بصيغة اسم المفعول فلاحاجة الى القول بانها لمنع الخلوّ حتى يقال ان فيه تغليبا اذا اريد بالآيات جميعها ليخرج المتشابهات وقوله واضحات الاعجاز فهو من بان بمعنى ظهر كالاوّل فلو قدّمه كان اظهر وعلى هذا فالاسناد اليها مجاز او بتقدير مضاف وقوله لاجلهم فاللام للتعليل وقوله او معهم فاللام صلة القول كقلت له كذا اذا خاطبته به وماوقع فى بعض النسخ اومنهم تحريف ﴿قوله﴾ موضع قيام اومكانا ﴿ كان الظاهر اى مكانا لان اصل معناه الاوّل ثم استعمل لمطلق المكان كما فى الكشاف وماقيل ان او للتخيير فى التعبير والتفسير لايجدى لانهما ليسا مترادفين فالظاهر انه اراد ان المقام محل القيام فان المقام بمعنى المعاش كما ذكره الراغب فى قوله قياما للناس فهو على ظاهره وان كان مقابل القعود فهو خاص اريد به عام ففيه زيادة على مافى الكشاف وهو على الاوّل بمعنى المنزل فتتوافق القرآءتان ولايتكرّر مع قوله نديا ولذا قدّمه والندىّ كالنادى مجتمع لندوة القوم ومحادثتهم ومنزل ان كان بضم الميم بمعنى النزول فهو عطف على اقامة وان كان بفتحها فهو عطف على موضع وكان الظاهر ضمه حينئذ ﴿قوله﴾ والمعنى الخ ﴿ ناظر الى مامرّ فى تفسير بينات وعلمهم معطوف على الحال وبظاهر متعلق به لابقصور حتى يكون الظاهر ابدال الباء بعلى كما قيل وقوله ايضا اى كما ردّ عليهم انكار الحشر بقوله اولا يذكر الخ والتهديد بمافيه من الاشارة لاهلاكهم والنقض هنا لما استدلوا به من حسن حالهم فى الدنيا على حسن حالهم فى الآخرة لتخلفه فيمن قبلهم من القرون وهو نقض اجمالى كما بين فى آداب البحث او هو بمعناه اللغوى وهو الابطال وكم خبرية او استفهامية وهى على كل حال لها الصدر فلذا قدمت والقرن اهل كل عصر وقد اختلف فى مدّته وهو من قرن الحيوان سمى به لتقدّمه كما اشار اليه ومنه قرن الشمس لاوّل مايطلع منها ﴿قوله﴾ وهم احسن صفة لكم ﴿ بناء على انه يجوز وصفها كما ذكره الزمخشرى وتبعه ابو البقاء وردّه ابو حيان بان النحاة صرّحوا بان كم سواء كانت خبرية او استفهامية لاتوصف ولايوصف بها كالضمير وجعله صفة قرن ولايرد عليه كم من رجل قام وكم من قرية هلكت بناء على ان الجار والمجرور يتعين تعلقه بمحذوف هو صفة لكم كما ادّعى بعضهم ان الرضىّ اشار اليه لانه يجوز فى الجار والمجرور ان يكون خبر المبتدأ محذوفا والجملة مفسرة لامحل لها فما ادّعاه غير

﴿ثم ننجى الذين اتقوا﴾ فيساقون الى الجنة وقرأ الكسائى ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء اى هناك ﴿ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ منهارة بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارة بهم على هيأتهم ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ مرتلات الالفاظ مبينات المعانى بنفسها او ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم او واضحات الاعجاز ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ لاجلهم اومعهم ﴿اىّ الفريقين﴾ المؤمنين والكافرين ﴿خير مقاما﴾ موضع قيام اومكانا وقرأ ابن كثير بالضم اى موضع اقامة ومنزل ﴿واحسن نديا﴾ مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا فى الافتخار بمالهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحياة الدنيا فردّ عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله ﴿وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا﴾ وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمى اهل كل عصر قرنا لانه يتقدّم من بعده وهم احسن صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ماجدّ منه والحرثى مارث منه

مسلم عنده والحرثى بضم الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة وثاء مثلثة ومشاة تحتية مارث اى قدم و بلى وقيل مالبس وقيل ارذأ المتاع ﴿قوله والرءى المنظر فعل من الرؤية الخ﴾ يعنى انه على هذا فعل بمعنى مفعول واما على القرآءة الاخرى فيحتمل انه منه ايضا لكن ابدلت همزته ياء وادغمت ويحتمل انه لاابدال فيه وانه من روى من الماء يروى رياضدّ عطش ولما كان الرىّ به النضارة والحسن استعمل فيه كما يقال هو ريان من النعيم كما قال ريان من ماء النعيم يلفه ورق الشباب * وقوله على انه من الرى ان كان بفتح الرآء فهو ظاهر لان الرى اسم مأخوذ من ذلك المصدر وان كان بالكسر كما ضبط بالقلم فى اكثرها فهو مصدر والنعمة بفتح النون ويجوز كسرها التنم والترفه فأتى بمن الابتدآئية المقتضية لتغايرهما كما فى الكشاف مع اتحادهما لفظا ومعنى لان مدخول من معناه الحقيقى هو الترفه والمراد به على طريق المجاز او الكناية المنظر الجميل والهيئة الحسنة فاقيل انه نظر الى المغايرة باعتبار كونه مذكورا فى النظم ومنقولا عن اهل اللغة او الى ان الثانى مصدر وما فى النظم اسم فانه كذلك فى القاموس وهذا اولى تكلف بارد وقوله على القلب اى القلب المكانى بتقديم اللام على العين فوزنه فلع كما يقال فى رأى رآء ﴿قوله كالطحن﴾ بكسر الطاء وسكون الحاء المهملتين ونون الحب المطحون والخبر بكسر الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة ورآء مهملة من خبر الارض اذا زرعها وهو مصدر بمعنى المزارعة وبمعنى مايزارع عليه اسم كالطحن كما ذكره ابن السيد فى مثلثاته ﴿قوله وقرئ رياً بحذف الهمزة﴾ اى والقصر وهى قرآءة ابن عباس رضى الله عنهما وقد قرئ ايضا بالمدّ ومعناها مر آآة بعضهم بعضا كما فى الدّر المصون واما هذه القرآءة فقد خرّجت على وجهين احدهما ان يكون اصلها رياء بتشديد الياء فخففت بحذف احدى الياءين وهى الثانية لانها التى حصلت بها الثقل ولان الآخر محل التغيير والثانى ان يكون اصلها رئيا بياء ساكنة بعدها همزة فنقلت حركة الهمزة الى الياء ثم خففت على القاعدة المعروفة ﴿قوله وزيا من الزىّ الخ﴾ الزىّ الثانى بالفتح مصدر زواه بمعنى جمعه لان الزىّ بمعنى الهيئة ويكون بمعنى الاثاث ايضا كما ذكره المبرد فى قول الثقفى

* أشاقتك الظعائن يوم باتوا * بذى الزىّ الجميل من الاثاث *

وهو واوىّ لايائىّ كما فى القاموس وقوله فانه اى الزى بالكسر ﴿قوله ثم بين الخ﴾ اى بين بعد النقض الجواب عما تمسكوا به وقوله وانما العيار وهو من قولهم عايرت بين المكيال والميزان اذا امتحنته وعدّاه بعلى لتضمنه معنى الدلالة والفضل هنا بمعنى الزيادة ولذا قابله بالنقص ﴿قوله فيمدّه ويمهله بطول العمر﴾ اشارة الى ان معنى المدّ وهو تطويل الحبل ونحوه اريد به تطويل العمر وقوله وانما اخرجه الخ اشارة الى ان صيغة الامر مستعارة للخبر كما يستعار الخبر للامر وقد اشار اليه بقوله اوّلا فيمدّه لانه لكونه كائنا لامحالة كالمأمور به الممتثل لينقطع اعذارهم وتقوم عليهم الحجة كما فى الآيتين المذكورتين او هو دعاء بامهالهم وتنفيس مدّة حياتهم كما فى الكشاف ﴿قوله غاية المدّ﴾ فيه تسمح لان الغاية اما مجموع الشرط وجوابه ان قلنا ان المجموع هو الكلام او مفهوم الجواب ان قلنا انه هو الكلام والشرط قيده وعلى القول الثانى فبينهما اعتراض ومرّ ضه لبعده وصاحب الكشاف اختار هذا وقدّمه ﴿قوله تفصيل للموعود﴾ التفصيل مستفاد من اما كما ذكره النحاة ولا كلام فيه وانما الكلام فى قوله يوم القيامة * فان قيل ان المدّ والقول ينقطعان حين الموت وعند معاينة العذاب ولذلك يؤمن عنده كل كافر * فالمراد بالساعة مايشمله ومن مات فقد قامت قيامته ولايخفى ان ماذكره من التأويل لتتصل الغاية بالمغيا لايناسب مافى النظم لان الساعة لاتطلق عليه كيوم القيامة وامر الفاصل سهل لان امور هذه الدار لزوالها لاتعد فاصلة لتقضيها الا ترى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا والمناسب وعيدهم بمايشاهدونه فى الدارين لانه الدال على الخزى ﴿قوله والجملة محكية بعد حتى﴾ فهى مستأنفة وحتى ليست جارة ولا عاطفة وهكذا هى حيث دخلت على اذا الشرطية عند الجمهور وهى منصوبة بالشرط او الجزآء على الخلاف المشهور وذهب ابن مالك الى انها جارة كما فى المعنى وقوله محكية اشارة الى انها غاية للقول باحد القولين فهو جار عليهما فليس هذا على انه غاية للمدّ نعم مابعده صريح فيه ﴿قوله اى فئة وانصار الخ﴾ وجه التقابل فيه ظاهر فالمراد بالندىّ من فيه كما يقال المجلس العالى للتعظيم فلذا عبر به وبالمقام ثمة وعبر هنا بالمكان والجند اشارة الى ان الاوّل فيه مسرّة وحبور بخلاف هذا فانه مكان شرّ ومحاربة فتأمل ﴿قوله عطف على الشرطية المحكية بعد القول الخ﴾ فى هذه الجملة وجوه فقيل انها مستأنفة لامحل لها وقيل انها معطوفة على جواب

والرءى المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبر وقرأ قالون وابن ذكوان رياعلى قلب الهمزة وادغامها او على انه من الرى الذى هو النعمة وابو بكر ريئا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزىّ وهو الجمع فانها محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل والنقص مايكون فى الآخرة بقوله ﴿قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدّا﴾ فيمدّه ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بأن امهاله مما ينبغى ان يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر ﴿حتى اذا رأوا مايوعدون﴾ غاية المدّ وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا اىّ الفريقين خير حتى اذا رأوا مايوعدون ﴿اما العذاب واما الساعة﴾ تفصيل للموعود فانه اما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزى والنكال ﴿فسيعلمون من هو شرّ مكانا﴾ من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ماقدّروه وعادما متعوا به خذلانا وويلا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى ﴿واضعف جندا﴾ اى فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادى باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله

من وهو قوله فليمدد الخ واختاره فى الكشاف * واعترض بانه غير مناسب معنى اذلا يتجه ان يقال من كان فى الضلالة يزيد الله الذى اهتدوا هدى ولا اعرابا سوآء كان دعاء اوخبرا فى صورة الامر لانه فى موضع الخبر ان كانت موصولة وفى موضع الجزآء ان كانت شرطية فهو فى حكم الجزآء وعلى كلا التقديرين فهى خالية من ضمير يربط الخبر بالمبتدأ والجواب بالشرط * واجيب بان المعنى من كان فى الضلالة زيد فى ضلالته وزيد فى هداية اعدآئه لانه مما يغيظه ومن شرطية لاموصولة واشتراط ضمير يعود من الجزآء على اسم الشرط غير الظرفى ممنوع فانه غير متفق عليه عند النحاة كما فى الدّر المصون مع انه مقدّر كما سمعته وفى كلام المصنف اشارة اليه لكنه لما كان لايخلو من تكلف لم يختره والثالث مااختاره المصنف وهو انه عطف على مجموع الجملة الشرطية ليتم التقابل فانه صلى الله عليه وسلم امر ان يجيبهم فليؤت بذكر القسمين اصالة كما فى الاوّل وهذا اولى كما فى الكشف ﴿قوله اراد ان يبين الخ﴾ ارادة الخير والتعويض من قوله والباقيات الصالحات الخ فهذا بدل من قصور حظوظه الدنيوية التى كانت لغيره للاستدراج وقطع المعاذير وقوله وقيل قد علمت وجه تمريضه وقوله كأنه قيل الخ فلا يلزم عطف الخبر على الانشاء ولاعدم الربط المعنوى واللفظى كما مرّ وانه وضع فيه الظاهر موضع الضمير ﴿قوله الطاعات التى تبقى عائدتها﴾ اى فائدتها فبقاؤها بقاء ثوابها وقوله ويدخل اشارة الى ان المراد بهاماذكر وانّ ماوقع فى بعض التفاسير المأثورة من تفسيرها بماذكر على سبيل التمثيل لاللتخصيص والحصر ﴿قوله الخدجة﴾ اى الناقصة وقوله سيما بحذف لانما اجازه الرضى وقال ابوحيان انه لم يسمع فى كلام العرب وقوله كما اشار اليه الخ لان المردّ مايردّ اليه والمراد به العاقبة وهى بمعنى المآل وقيل انها بمعنى المنفعة من قولهم ليس لهذا الامر مردّ وهو قريب منه ﴿قوله والخير ههنا اما المجرّد الزيادة الخ﴾ جواب عما قيل كيف فضلوا عليهم فى خيرية الثواب والعاقبة والتفضيل يقتضى المشاركة فيه وهم لاثواب لهم وعاقبتهم لاخير فيها وهو ظاهر وقوله ههنا اى فى هذه الآية اى فى المحلين كما صرّح به بعض ارباب الحواشى لا فى قوله خير مردّا فقط لانه لما فسر الثواب بالعائدة الشاملة للفائدة الدنيوية لاباالثواب المتعارف لم يحتج الى تأويل الخيرية فيه كما قيل وسترى تفصيله فاجاب اوّلا بان المقصود مجرّد الزيادة بقطع النظر عن مفضل عليه مخصوص يشاركه فى ذلك وتحقيقه كما ذكره بعض علماء العربية ان لافعل اربع حالات احداها وهى الاصل ان يدل على ثلاثة امور اتصاف من هو له بالحدث الذى اشتق منه وبهذا كان وصفا ومشاركة محبوبه فى تلك الصفة ومزيد موصوفه على محبوبه فيها وبالاخيرين فارق غيره من الصفات والثانية ان يخلع عنه مامتاز به عن الصفات ويتجرّد للمعنى الوصفى والثالثة ان تبقى عليه معانيه الثلاثة ولكن يخلع عنه المعنى الثانى ويخلفه قيد آخر فان الاشتراك مقيد بتلك الصفة التى هى المعنى الاوّل فيصير مقيدا بالثالث وهو الزيادة لكن لافى المعنى المشتق منه كقولهم العسل احلى من الخل فان للعسل زيادة فى حلاوته وهى اكثر من زيادة الخل فى حموضته قال ابن هشام فى شرح التسهيل وهو بديع جدّا والرابعة ان يخلع عنه المعنى الثانى وهو المشاركة وقيد المعنى الثالث وهو كون الزيادة على مصاحبه فيكون للدلالة على الاتصاف بالحدث وعلى الزيادة مطلقا لامقيدة وذلك نحو يوسف احسن اخوته انتهى وهذا الاخير هو الذى اراده المصنف رحمه الله بجوابه الاوّل فالمعنى ان ثوابهم ومردّهم متصف بالزيادة فى الخيرية على من اتصف بها بقطع النظر عن هؤلاء المفتخرين بدنياهم فلا يلزم مشاركتهم فى الخيرية حتى يرد السؤال وثانيا بانه على طريقة قولهم الصيف احرّ من الشتاء يعنى ليس المراد تفضيل نفس الباقيات على مالاتنفع به الكفرة من حيث المنفعة بل فى الكلام حذف واضمار والمعنى ان كل واحد من ثواب المؤمنين وعقاب الكفرة وان كان بالغا الى ماهو غاية الكمال فى بابه لكن بلوغ الثواب غايته ازيد واكثر من بلوغ العقاب غايته كيف لا وفى الجنة من الضعف والافضال مالا يقادر قدره والنار من عدله تعالى لايزيد عقاب العاصى على مقدار معصيته والمقصود من بيان حال ثواب المؤمنين ليس تهديد اضدادهم بل هو فى نفسه مقصود بالبيان فلا يرد ان يقال هذا الجواب غير مناسب لمقام التهديد مع انه فى حيز المنع ايضا ﴿قوله كان لخباب عليه مال فتقاضاه﴾ اى حباب بن الارت قال كنت فى الجاهلية اى فى حال الجاهلية فعملت للعاص بن وائل فاجتمع لى عنده مال فاتيته اتقاضاه فقال لى الخ ﴿قوله ولما كانت الرؤية﴾ يعنى ان الرؤية مجاز عن الاخبار فى الاعلام لجامع التنبيه اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله عز وجل اراد به ماهو خير وعوّضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه فى معنى الخبر كأنه قيل من كان فى الضلالة يزيد الله فى ضلاله ويزيد المقابل له هداية ﴿والباقيات الصالحات﴾ الطاعات التى تبقى عائدتها ابد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ﴿خير عند ربك ثوابا﴾ عائدة مما متع به الكفرة من النعم الخدجة الفانية التى يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدآئم كما اشار اليه بقوله ﴿وخير مردّا﴾ والخير ههنا اما المجرّد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احرّ من الشتاء اى ابلغ فى حرّه منه فى برده ﴿افرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾ نزلت فى العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لاحتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئنى فيكون لى ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل أرأيت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرأ حمزة والكسائى ولدا وهو جمع ولد كأسد فى أسد او لغة فيه كالعرب والعرب

﴿أطلع الغيب﴾ أقد بلغ من عظمة شانه الى ان ارتقى الى عالم الغيب الذى توحد به الواحد القهار حتى ادّعى ان يؤتى فى الآخرة مالا وولدا وتألى عليه ﴿ام اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ اواتخذ من علام الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه ﴿كلا﴾ ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوّره لنفسه ﴿سنكتب مايقول﴾ سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله * اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * اى تبين انى لم تلدنى لئيمة اوسننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدوّ وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تتأخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ﴿ونمدّله من العذاب مدّا﴾ ونطوّل له من العذاب ما يستأهله اونزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترآئه واستهزآئه على الله ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه ﴿ونرثه﴾ بموته ﴿مايقول﴾ يعنى المال والولد ﴿ويأتينا﴾ يوم القيامة ﴿فردا﴾ لا يصحبه مال ولا ولد كان له فى الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زآئدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا﴾ ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده ﴿كلا﴾ ردع وانكار لتعززهم بها ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ سيجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ماعبدتمونا لقوله اذ تبرّأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا اوسينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴿ويكونون عليهم ضدّا﴾ يؤيد الاوّل اذا فسر الضدّ بضدّ العزاى ويكونون عليهم ذلا اويضدّهم على معنى انها تكون معونة فى عذابهم بان توقد بها نيرانهم اوجعل الواو للكفرة اى يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها

والاستفهام مجاز عن الامر لجامع الطلب فكان ارأيت بمعنى اخبر بعد ذلك اى عقيب ذلك من قال ائذا مامت لسوف اخرج حيا فانه تعالى حكى اوّلا قول منكرى الحشر على وجه الانكار عليهم ثم اقام الدليل على صحته ثم قال افرأيت وعطف قصة هذا الكافر على الحكاية السابقة بقوله اولا يذكر الانسان ثم هدد المنكرين وساق الكلام الى ههنا فحكى ههنا كلام من قال على سبيل الاستهزآء والطعن فى القول بالبعث لأوتينّ مالا وولدا ﴿قوله﴾ تعالى اطلع بهمزة واحدة مفتوحة لانها هى همزة الاستفهام وهمزة الافتعال محذوفة للوصل ومثله أفترى على الله كذبا ﴿قوله﴾ وتألى عليه ﴿اى حلف عليه * الجوهرى آلى يؤلى ايلاء حلف وتألى وائتلى مثله فان قوله لأوتينّ جواب قسم محذوف والجملة القسمية فى محل النصب على انها مقول القول ﴿قوله﴾ الا باحد هذين الطريقين ﴿وهو ان يبلغ المرء من شأنه الى ان يرتقى الى عالم الغيب الذى توحد به الواحد القهار اويتقرّب اليه ويأخذ منه عهده بان يؤتيه فى الآخرة مالا وولدا ﴿قوله﴾ فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد ﴿فمن اتخذ العهد عند الرحمن خالصا لوجهه قبل عهده الرحمن ووعده المثوبة والاكرام واعده عنده وسمى العمل الذى عهد الله عامله بالثواب عهدا لكونه سببا لنيل عهد الله ﴿قوله﴾ سنظهر له ﴿يعنى ان سين التسويف وان دخلت فعل الكتبة التى لا تتأخر عما يصدر من المكلف من القول والعمل كما قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الا ان المراد بتسويف الكتبة تعريف تبيينها وظهورها على طريقة قوله * اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * ولم تجدى من ان تقرّى بها بدّا * فان قوله لم تلدنى جواب واذا ظرف لما يستقبل من الزمان وليس المراد عدم الولادة فى المستقبل لان الولادة قد وقعت قبل الانتساب بل المراد ان يتبين ويظهر فى المستقبل انه لم تلده فى الماضى لئيمة وقوله لم تجدى بدّا اى فراقا وخلاصا يقال لابدّ من كذا اى لا فراق منه يقول اذا انتسبنا وعين كل واحد منا من اتصلت نسبته اليه علمت يا فلانة انى لست بابن لئيمة وظهر لك ما تضطرى الى الاقرار بذلك اقتصر الشاعر على ذكر الامّ لان الامّ اذا كانت من الكرام فالاب اولى ويجوز ان يريد به التعريض بكون امّ المخاطبة لئيمة ﴿قوله﴾ اوسننتقم منه ﴿على ان يراد بالكتبة المسوّفة التى هى عبارة عن اثبات العمل فى الصحيفة ما يؤدّى ذلك اليه من المجازاة والانتقام على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب ﴿قوله﴾ ونطوّل له من العذاب ﴿على ان يكون المدّ بمعنى تطويل مدّة العذاب والخلود فيه كما يقال مدّ الله فى عمره ومدّه فى عيشه اى امهله وطوّل له فيكون من المدّ لا من المدد واشار بقوله ما يستأهله الى ان قوله من العذاب صفة موصوف محذوف اى نطوّل له شيأ من العذاب اى نوعا من العذاب يستحقه هذا الكافر الذى قال لأوتينّ مالا وولدا ﴿قوله﴾ اونزيد عذابه ﴿على ان يكون قوله نمدّ من المدد وتضعيف العذاب كما قال تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب فان مدّه وامدّه يستعملان بمعنى واحد اى زاده وألحق به ما يقوّيه ويقال مدّ الجيش اذا ألحق به المدد ﴿قوله﴾ تعالى ونرثه ما يقول ﴿يجوز ان يكون الضمير فيه فى محل النصب بنزع الخافض فيكون ما يقول مفعولا به والتقدير ونرث منه ما يقول اى مسمى ما يقوله ومدلوله لانفس قوله ويجوز ان يكون ضمير نرثه مفعولا صريحا وما يقول بدلا منه بدل اشتمال فالمعنى نرث ما عنده من المال والولد باهلاكنا اياه ويأتينا فردا قد سلب منه ما كان له فى الدنيا من علاقة الابوّة والمالية وهذا القول انما يقوله مادام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقول ويأتينا فردا غير قائل به ثم انه تعالى لما بالغ فى تحقيق الحشر والنشر والردّ على من انكرهما شرع بعده فى الردّ على عباد الاصنام فقال واتخذوا من دون الله آلهة والمراد بالفردية الانقطاع عنهما فى العاقبة بالكلية ولا شك ان مثل هذه الفردية لا يحصل الا للكافر والا فالمؤمن والكافر سوآء عند البعث فى كونهما منفردين عن المال والولد لقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اوّل مرّة ثم يتفاوتون بعد ذلك فالمؤمن يلاقى احبابه واولاده وما اشتهاه والكافر يحال بينه وبين ما يشتهيه وينفرد عنه ابدا ﴿قوله﴾ سيجحد الآلهة الى قوله اوسينكر الكفرة ﴿يعنى ان ضمير يكون يجوز ان يرجع الى الآلهة لانه اقرب مذكور قيل انه تعالى يحى الاصنام يوم القيامة حتى يوبخوا عبادهم ويتبرأوا منهم فيكون ذلك اعظم لحسرتهم ويجوز ان يرجع الى المشركين وقوله بعبادتهم مصدر مضاف الى فاعله ان عاد الضمير المجرور فيه الى المشركين العابدين والى المفعول ان عاد الى الآلهة وضمير يكونون يتعين ان يكون للآلهة على تقدير ان يفسر الضدّ بضدّ العز وكذا على تقدير ان يفسر بالعون لان ما يكون ذلا على المتخذين المشركين وما يكون عونا فى عذابهم هم الآلهة والمعاون قد يسمى ضدّا لانه يضادّ العدوّ وينافيه بامانته لك عليه واما ان فسر الضدّ بالكفر وترك العبادة فضمير يكونون حينئذ يكون للمشركين

ويكون عليهم بمعنى اعدآئهم وضدّا خبر بعد خبر والمعنى ويكون المشركون اعدآء الآلهة ويكفرون بهم بعد ان كانوا يعبدونها فقول المصنف او جعل الواو للكفرة قسيم لجملة قوله يؤيد الاوّل اذا فسر الضدّ الخ ﴿قوله وتوحيده﴾ جواب عما يقال كيف افرد قوله ضدّا مع انه خبر عن جمع * وتقرير الجواب انهم وان كانوا اضدادا فى نفس الامر الا انهم كشئ واحد من حيث اشتراك الجميع فى المعنى الذى به مضادّتهم فلذلك جعلوا ضدّا واحدا ونظيره انه عليه الصلاة والسلام جعل المؤمنين مع كثرتهم يدا واحدة لاتفاق كلمتهم وفرط تضامهم وموافقتهم فجعلهم كشئ واحد لذلك واوّل الحديث * المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم * قوله عليه الصلاة والسلام تتكافأ دماؤهم اى يتساوون فى القصاص والديات والكفؤ النظير والمساوى وقوله وهم يد على من سواهم اى هم مجتمعون على اعدآئهم لايسعهم التخاذل بل يعاون بعضهم بعضا على جميع الاديان كأنه جعل ايديهم يدا واحدة وفعلهم فعلا واحدا ونظيره اجعل الفساق يدا يدا اى فرّق بينهم فان افردت اليد فى مقام الجمع دل على الاتفاق والاجتماع وان جمعت اريد الشتات والافتراق ﴿قوله وقرئ كلا﴾ بفتح الكاف والتنوين على انها كلا التى للردع والتنوين الذى فيها للترنم وهذا التنوين يلحق آخر الابيات والانصاف المصرّعة ويلحق الفعل والاسم المعرّف باللام قال

* اقلى اللوم عاذل والعتابن * وقولى ان اصبت لقد اصابن *

الاصل لقد اصابا والعتابا باشباع فتحة الباء للوزن ثم قلب الاشباع نونا وهذا التنوين فى الحقيقة لترك الترنم لانه انما يؤتى به اشعارا بترك الترنم وذلك لان الالف والواو والياء فى القوافى تصلح للترنم لما فيها من المدّ فيبدل منها التنوين اذا قصد الاشعار بترك الترنم لخلوّ التنوين من المدّ فيجوز ان يكون تنوين كلا من التنوين الذى لترك الترنم وان يكون تنوين التنكير ومثل هذا التنوين يسمى التنوين النائب مناب حرف الاطلاق على ان يكون كلا مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف كأنه تعالى لما قال واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا قال تعالى ردّا عليهم كل هذا الرأى كلا وتكون هذه الجملة مستأنفة ويكون قوله سيكفرون استئنافا آخر ﴿قوله وكلا﴾ اى وقرئ كلا بضم الكاف والتنوين على انه من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير منصوب بفعل يدل عليه سيكفرون مناسب لهذا المفعول لان المراد من سيكفرون انكار الآلهة وكل مانسب المشركون اليها من الشفاعة والنصرة والابعاد من النار الدال عليه ليكونوا لهم عزا فلذلك قدّر الناصب سيجحدون لكونه مناسبا له ثم انه تعالى لما ذكر حال المشركين مع الاصنام فى الآخرة ذكر بعده حالهم مع الشياطين فى الدنيا وانهم يتولونهم ويتقادون فقال الم ترانا ارسلنا الشياطين الآية قيل فى تفسير ارسلناهم سلطناهم اى قيضناهم لهم كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وهما فى المعنى واحد لانه تعالى اذا ارسلهم عليهم وسلطهم فقد اتصلوا بهم واذا اتصلوا بهم قيضوا وقرن بعضهم ببعض * قال الامام احتج الاصحاب بهذه الآية على انه تعالى مريد لجميع الكائنات فقالوا قول القائل ارسلت فلانا على فلان موضوع لافادة انه سلطه عليه لارادة ان يستولى عليه قال عليه افضل الصلاة والسلام قل باسم الله وارسل كلبك عليه فقوله تعالى انا ارسلنا الشياطين على الكافرين يفيد ان الله تعالى سلطهم عليهم لارادة ان يستولوا عليهم وذلك يفيد المقصود ويتأكد هذا بقوله تعالى تؤزهم أزا فان معناه لتؤزهم ازّا ويتأكد هذا بقوله تعالى واستفزز من استطعت منهم ثم قال لايجوز ان يكون المراد بالارسال التخلية لانه تعالى كما خلى بين الشياطين والكفرة فقد خلى بين الصالحين من عباده وبينهم ثم انه تعالى خص الكافر بانه ارسل الشياطين عليه فلابدّ لتخصيص الكافر بالذكر من فائدة زآئدة ههنا ولابدّ ان يكون من الله تعالى معنى فى الكفار ليس ذلك المعنى فى المؤمنين ومعنى فى المؤمنين ليس ذلك المعنى فى الكفار وهو انه تعالى اذا علم من المؤمنين الرغبة فى الاجابة وفقهم لذلك وهداهم واذا علم من الكفار اباءهم لما ذكر سلطهم عليهم والأزّ والهز والاغراء اخوات معناها التهييج وشدّة الازعاج ﴿قوله فانه لم يبق لهم﴾ اى لم يبق بينك وبين ماتطلبه من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة والعدّ كناية عن سرعة تقضى آجالهم وقلة ايامهم عدّا لان الكثير ربما يستمرّ عدّه لكثرته ﴿قوله تعالى يوم نحشر﴾ منصوب باضمار اذكر او بقوله ويكونون عليهم ضدّا او بما بعده من قوله لايملكون الشفاعة قال ابن عباس هم الذين اتقوا بطاعته واجتناب معاصيه وقوله تعالى الى الرحمن اى الى جنته ودار كرامته ويدل عليه ماذكر بعده وهو قوله ونسوق المجرمين الى جهنم لانه مقابله ﴿قوله ولعله لان مساق الكلام فى هذه السورة لتعداد نعمه وتوحيده لوحدة المعنى الذى به مضادّتهم فانهم بذلك كالشئ الواحد ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا فى الوقف قلب الف الاطلاق فى قوله * أقلى اللوم عاذل والعتابن * او على معنى كل هذا رأى كلا وكلا على اضمار فعل يفسره مابعده اى سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم ﴿الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين﴾ بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء ﴿تؤزهم أزا﴾ تهزهم وتعزيهم على المعاصى بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقاويل الكفرة وتماديهم فى الغىّ وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على مانطقت به الآيات المتقدّمة ﴿فلا تعجل عليهم﴾ بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم ﴿انما نعدّ لهم﴾ ايام آجالهم ﴿عدّا﴾ والمعنى لاتعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة ﴿يوم نحشر المتقين﴾ نجمعهم ﴿الى الرحمن﴾ الى ربهم الذى غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم فى هذه السورة شأن ولعله لانّ مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها

﴿ وفدا ﴾ وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ﴿ ونسوق المجرمين ﴾ كما يساق البهائم ﴿ الى جهنم وردا ﴾ عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التى ترد الماء ﴿ لا يملكون الشفاعة ﴾ الضمير فيه للعباد المدلول عليه بذكر القسمين وهو الناصب لليوم ﴿ الا من اتخذ عند الرحمن عهدا ﴾ الا من تحلى بما يستعدّ به ويستأهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اخذ من الله اذنا فيها لقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اى الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعدّ به ان يشفع له بالاسلام ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴾ الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم ﴿ لقد جئتم شيأ ادّا ﴾ على الالتفات للمبالغة فى الذم والتسجيل عليهم بالجرأة على الله والادّ بالفتح والكسر العظيم المنكر والادّة الشدّة وأدّنى الامر وآدنى اثقلنى وعظم علىّ ﴿ تكاد السموات ﴾ قرأ نافع والكسائى بالياء ﴿ يتفطرن منه ﴾ يتشققن مرّة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر وبعقوب ينفطرن والاوّل ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف ﴿ وتنشق الارض وتخرّ الجبال هدّا ﴾ تهدّ هدّا او مهدودة اولانها تهدّ اى تكسر وهو تقرير لكونه ادّا والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصوّر بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتت من شدّتها اولان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدّد قوآئمه غضبا على من تفوّه بها

الجسام ﴿ فدل بذكر اسمه الرحمن على انه انما انعم بها تفضلا ورحمة لعباده وذكره عند شرح احوال الكافرين بها توبيخا لهم بتعكيسهم لما ينبغى فان حق من تفرّد بانعام اصول النعم وفروعها ان يختص بغاية التعظيم والاكرام ولا يشكر غيره وهم به كفروا وضيعوا حقوقه وعبدوا غيره ﴿ قوله كما يفد الوفاد على الملوك ﴾ اى ركبانا على هيئة حسنة ومحاسن مجموعة عن علىّ رضى الله عنه انه قرأ هذه الآية فقال لا والله ما على ارجلهم يحشرون ولكن يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحال من ذهب وازمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربون ابواب الجنة ﴿ قوله عطاشا الخ ﴾ الورد جمع وارد وهو الذى يسير الى الماء ولما كان العطش لازما للورود صح ارادة عطاشا اى طلابا للماء من لفظ وردا على انه مجاز مرسل بطريق لفظ الملزوم وارادة اللازم ﴿ قوله الضمير فيه للعباد ﴾ اى لاهل المحشر كلهم واختلف فى ان المراد بالشفاعة شفاعتهم لغيرهم او شفاعة الغير لهم والمصنف قدّم الاحتمال الاوّل وقرّره على وجهين الاوّل مبنىّ على ان يراد بالعهد الايمان وما يتفرّع عليه من الاعمال التى وعد الله تعالى لصاحبها سعادة الآخرة وكرامتها والمعنى لا يملك احد من اهل المحشر ان ينفع احدا بشفاعته الا ان يكون الشافع ممن قدّم اعمالا صالحة خالصة لوجه الله تعالى مسماة بالعهد لكون عاملها موعودا من قبله تعالى بالكرامات الاخروية التى من جملتها ان يستأهل صاحبها بسببها لان يشفع فى العصاة فقوله على ما وعد الله متعلق بقوله يستعدّ به ويستأهل والوجه الثانى مبنىّ على ان يكون العهد بمعنى الامر والاذن والعهد بهذا المعنى يتعدّى بالباء وهى محذوفة فى الآية كما فى قوله امرتك الخير ﴿ قوله ومحله الرفع ﴾ اى ومحل قوله تعالى من اتخذ الرفع على انه بدل من ضمير لا يملكون او النصب على احد الوجهين اى على انه بدل من الشفاعة بتقدير المضاف او على انه مستثنى من ضمير لا يملكون او من الشفاعة على تقدير المضاف فان قوله تعالى لا يملكون الشفاعة كلام تام غير موجب وقد تقرّر ان المستثنى من مثل هذا الكلام يجوز فيه النصب والبدل كقولك ما جاءنى احد الا زيد والا زيدا ﴿ قوله وقيل الضمير للمجرمين ﴾ عطف على قوله الضمير فيه للعباد فعلى هذا يكون المراد بالشفاعة شفاعة غيرهم لهم لا شفاعتهم لغيرهم لان المجرم لا يستأهل ان يشفع فى مجرم مثله وقوله بالاسلام عطف بيان لقوله به موضح له اشارة الى ان المجرم يستعدّ أن يشفع له بمجرّد ايمانه وان كان من اصحاب الكبائر لما قيل المجرمون لا يستحقون ان يشفع لهم غيرهم الا اذا كانوا قد اتخذوا عند الله عهدا فيدخل فيه صاحب الكبيرة لانه باقراره واعتقاده بالتوحيد والرسالة يصدق عليه انه قد اتخذ عند الرحمن عهدا فيستحق ان يشفع له كما يستحق اصحاب الصغائر لذلك فان كل واحد منهما مجرم موكول امره الى مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه تفضلا او بشفاعة الشافعين فان الشفاعة انما تكون فيمن استحق التعذيب فعلى هذا التأويل تكون الآية دليلا على بطلان قول المعتزلة من ان صاحب الكبيرة لا يغفر له وصاحب الصغيرة مغفور له ومن كان مغفور الذنب لا معنى للشفاعة فيه فلم يبق للشفاعة متعلق على مذهبهم ومما يدل على ان المجرم يستحق الشفاعة بمجرّد الايمان والاقرار بالشهادتين ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * من قال كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى اعهد اليك فى هذه الحياة الدنيا بانى اشهدك انك انت الله لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فلا تكلنى الى نفسى طرفة عين فانك ان تكلنى الى نفسى تقرّبنى من الشرّ وتباعدنى من الخير وانى لا اثق الا برحمتك فاجعل لى عندك عهدا تؤدّيه الىّ يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد طبع الله عليه طبعا ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى منادا اين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة * هذه رواية الامام الواحدى فى البسيط والطبع الختم وهو التأثير فى الطين ونحوه يقال طبع الكتاب وعلى الكتاب طبعا اذا ختمه والطابع بالفتح الخاتم يريد به انه يختم عليه ويوضع كما يفعله الانسان بما يعز عليه وقال الامام الرازى ظهر بهذا الحديث ان المراد من العهد كلتا الشهادة وظهر وجه دلالة الآية على ثبوت الشفاعة لاهل الكبائر ﴿ قوله الضمير يحتمل الوجهين ﴾ يعنى قالوا يحتمل ان يكون للعباد كلهم وان يكون للمجرمين كما يحتملهما ضمير لا يملكون ثم لما ردّ الله تعالى على عبدة الاوثان عاد الى الردّ على من اثبت له ولدا كما قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله والكل داخلون فى هذه الآية ﴿ قوله مرّة ﴾ اشارة الى ان بناء التفعل للتكثير نحو تبضع الرجل اى خرج ببضعه قليلا قليلا والبضع العرق ووجه التكثير فيه انه مطاوع فعل وهو يكون للتكثير نحو غلقت الابواب وموّتت البهائم فيتكثر ما يطاوعه ضرورة فلذلك كان يتفطرن ابلغ من ينفطرن لان الانفطار مطاوع فطر الثلاثى ولا دلالة فيه على الكثرة والمبالغة ولان بناء التفعل

﴿ ان دعوا للرحمن ولدا ﴾ يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدّا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجرّ باضمار اللام او بالابدال من الهاء فى منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا اوفاعل هدّا اى هدّها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدّى الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثانى ليحيط بكل مادعى له ولدا اومن دعا بمعنى نسب الذى هو مطاوعه ادّعى الى فلان اذا انتسب اليه ﴿ وماينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا ﴾ ولا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل

لما كان للتكلف دل قوله يتفطرن على ان السموات شققت وتكلفت فى حصول التشقق فيهنّ من شؤم مقالة هؤلاء الكفرة وليس فى بناء الانفعال دلالة على هذا المعنى ولاشك ان ماحصل بالجدّ والاهتمام يكون ابلغ * فان قيل كيف يؤثر القول باثبات الولد لله تعالى فى انفطار السموات وسقوطها عليهم وانشقاق الارض وخسفها بهم وخرور الجبال وانطباقها عليهم * اجيب بان الله تعالى يقول كدت افعل بالسموات والارض والجبال هذه الافاعيل عند صدور هذه الكلمة منهم غضبا منى على من تفوّه بها لولا حلمى وانى لا اعجل بالعقوبة ويجوز ان يكون المعنى ان السموات والارض والجبال تكاد تفعل كذلك لو كانت تفعل من فظاعة هذا القول وهدمه لاركان الدين وقواعده وقوله تعالى يتفطرن فى محل النصب على انه خبر تكاد وقوله هدّا الظاهر انه مصدر على غير لفظ الفعل لتقاربهما معنى اذ الخرور والسقوط والهدّ الانهدام من قولك هدّ الحائط يهدّ هدّا وقوله اى تكسر تفسير لقوله تعالى تخرّ وبيان لوجه انتصاب هدّا لابيان الاحتياج الى تقدير العامل اذ لا حاجة الى تقدير العامل او مصدر من المتعدّى واقع موقع الحال اى مهدودة مهدومة يقال هدّ زيد الحائط يهدّه هدّا اى هدمه وضعضعه والثانى ان يكون مفعولا من اجله اى لانها تهدّ والهدّ ليس فعل الجبال اذا بنى للفاعل الا انه فعلها اذا بنى للمفعول فصح ان يكون مفعولا له واليه اشار بقوله اولانها تهدّ اى تكسر ﴿ **قوله** يحتمل النصب على العلة لتكاد اولهدّا على حذف اللام ﴾ اى ويحتمل النصب بنزع الخافض الدال على العلية وليس مفعولا له صريحا لانتفاء شرط النصب وهو اتحاد فاعل الفعل المعلل وفاعل المفعول له والفرق بين حذف اللام واضمارها هو ان المضمر مقدّر فيصير كالملفوظ فلذلك يظهر اثره بخلاف المحذوف فانه متروك بالكلية اى صورة وحكما ﴿ **قوله** وهو من دعا بمعنى سمى المتعدّى الى مفعولين ﴾ يقال دعوته زيدا بمعنى سميته زيدا اودعوته بمعنى ناديته وهذا المعنى غير مراد فى هذا المقام وهو ظاهر فلابدّ ان يكون دعوا بمعنى سموا الا انه حذف المفعول الاوّل ليعم كل من سماه المشركون ولدا للرحمن من عزير وعيسى وغيرهما او بمعنى نسبوا قال الشاعر

* دعتنى اخاها بعد ماكان بيننا * من الفعل مالا يفعل الاخوان *

وقد قرئ فيهما بالباء ﴿ **قوله** ولا يتطلب له ﴾ اى لا يحصل له ولو طلبه فرضا على طريق فرض المحال يعنى ان ينبغى الشئ مطاوع لقولك بغيت الشئ اى طلبته يقال بغيت الشئ فابتغى كما يقال طلبت الشئ فانطلب ﴿ **قوله** تعالى ان كل من فى السموات والارض ﴾ كلمة من فيه نكرة موصوفة وصفتها الجار بعدها ويجوز ان تكون موصولة واضافة كل اليها لاينافى كونها موصولة لان تعريف الموصولات كما يجوز ان يشار به الى المعهود للشخص يجوز ايضا ان يراد به العموم والاستغراق فيصح ان يضاف الى الاسم الموصول كما فى قوله * وكل الذى حملتنى احتمل * والفاء فى قوله تعالى فانما يسرناه فصيحة تفصح عن مقدّر عطف بها مابعدها عليه والتقدير بلغ هذا المنزل فانما يسرناه على لسانك بانزاله على لغة العرب اوفانما انزلناه بلغتك على ان اللسان بمعنى اللغة لتبشر بيشاراته المتقين وتنذر اى وتخوّف بانذاراته قوما لدّا وهو جمع ألدّ وهو الخصم المجادل بالباطل الآخذ فى كل لديد اى جانب من الخصومة ولديدا الوادى جانباه ويجوز ان تكون الضمائر فى قوله تعالى يسرناه لتبشر به وتنذر به لهذه السورة الكريمة المشتملة على ذكر التوحيد والنبوّة والحشر والردّ على فرق المبطلين بتأويل المنزل وان تكون للقرآن كله وضمير قبلهم لهؤلاء القوم اللدّ وهم اهل مكة هل تحس اى هل تعاين وتشاهد من هؤلاء المهلكين من احد ومنهم حال من احد اذهو فى الاصل صفة له فلما قدّم عليه انقلب حالا ومن احد مفعول زيدت فيه من وقرئ تسمع بضم التاء وفتح الميم مبنيا للمفعول والركز الصوت الخفىّ من غير ان ينطق بفم ويتركب من حروف مثل صوت مايركز فى الارض تم هنا مايتعلق بسورة مريم عليها السلام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دآئما الى يوم الدين امين

﴿ سورة طه عليه الصلاة والسلام ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **قوله** لاستعلائه ﴾ فيناسبه التفخيم والهاء من المنخفضة فيناسبها الامالة والاستعلاء ارتفاع اللسان الى الحنك اطبقت اولم تطبق والانخفاض بخلافه والمستعلية سبعة احرف اربعة منها مطبقة الصاد والضاد والطاء والظاء وثلاثة منها غير مطبقة وهى الغين والخاء والقاف ونسبة الاستعلاء الى الحرف مجاز فان الاستعلاء بالحقيقة انما يكون للسان لا للحرف والاطباق ان تطبق على مخرج الحرف من اللسان ماحاذاه من الحنك والانفتاح بخلافه

حسنات بعدد من كذب زكريا وصدّق به نبى (٣٩) ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله فى الدنيا ومن لم يدع

﴿ سورة طه مكية وهى مائة واربع وثلاثون آية ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ طه ﴾ فخمهما ابن كثير وابن عامر وحفص وقالون عن نافع ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده ابو عمرو وورش عن نافع لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسماء الحروف

مبدأ النعم كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرّح به فى قوله ﴿ ان كل من فى السموات والارض ﴾ اى مامنهم ﴿ الا آتى الرحمن عبدا ﴾ الا وهو مملوك له يأوى اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل ﴿ لقد احصاهم ﴾ حصرهم واحاط بهم بحيث لايخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته ﴿ وعدّهم عدّا ﴾ اى عدّ اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شئ عنده بمقدار ﴿ وكلهم آتية يوم القيامة فردا ﴾ منفردا من الاتباع والانصار فلا يجانسه شئ من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشركه ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّا ﴾ سيحدث لهم فى القلوب مودّة من غير تعرّض منهم لاسبابها وعن النبى عليه الصلاة والسلام اذا احب الله عبدا يقول لجبرآئيل احببت فلانا فأحبه فيحبه جبرآئيل فينادى فى اهل السماء ان الله قد احب فلانا فأحبوه فيحبه اهل السماء ثم توضع له المحبة فى الارض والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعده ذلك اذا دحا الاسلام اولان الموعود فى القيامة حين يعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع مافى صدورهم من الغل ﴿ فانما يسرناه بلسانك ﴾ بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرنا معنى انزلنا اى انزلناه بلغتك ﴿ لتبشر به المتقين ﴾ الصائرين الى التقوى ﴿ وتنذر به قوما لدّا ﴾ اشدّ آء الخصومة آخذين فى كل لديد اى شق من المرآء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر ﴿ وكم اهلكنا قبلهم من قرن ﴾ تخويف للكفرة وتجسير للرسول صلى الله عليه وسلم على انذارهم ﴿ هل تحس منهم من احد ﴾ هل تشعر باحد منهم وتراه ﴿ او تسمع لهم ركزا ﴾ وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفىّ واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه فى الارض والركاز المال المدفون * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطى عشر

وقيل معناه يارجل على لغة عك فان صح فلعل اصله ياهذا فتصرّفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله

ان السفاهة طاها فى خلائقكم * لاقدّس الله اخلاق الملاعين * ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله هم لاينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته هاء او قلبت من يطأ ألفا كقوله * لاهناك المرتع * ثم بنى عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طأها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يردّ ذلك كتبتها على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل او اكتفى بشطرى الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ﴿ ماانزلنا عليك القرءآن لتشقى ﴾ خبرطه ان جعلته مبتدأ على انه مأوّل بالسورة او القرءآن والقرءآن فيه واقع موقع العائد وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته ندآء واستئناف ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدأ او طائفة من الحروف محكية والمعنى ماانزلنا عليك القرءآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش اذما عليك الاان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه اشقى من رآئض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل ردّ وتكذيب للكفرة فانهم لمارأوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بتركك دينا وان القرءآن انزل عليك لتشقى به ﴿ الاتذكرة ﴾ لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولايجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لايتعدّى الى علتين وقيل هو مصدر فى موقع الحال من الكاف او القرءآن او المفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القرءآن اى ماانزلنا عليك القرءآن المنزل لتتعب بتبلغه الاتذكرة ﴿ لمن يخشى ﴾ لمن فى قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به

﴿ قوله على لغة عك ﴾ وهى قبيلة باليمن * الجوهرى عك بن عدنان اخو معدّ وهو اليوم فى اليمن ولم يرض المصنف بهذا القول حيث حكاه بقوله وقيل ثم قال فان صح الخ اى احتاج فى توجيهه الى التكلف البعيد فان ابدال حرف النداء بلفظ طا والاقتصار على ها التنبيه من هذا بعيد غير معهود فى لسان العرب وان سلم انه معهود فى لغة عك فلا يخلو من البعد فان خطابه تعالى نبيه القرشىّ بلغة غير قريش بعيد ومعنى البيت ان السفاهة ياهؤلاء فى خلائقكم وهو جمع خليقة بمعنى الطبيعة لاقدّس الله اى لاطهر الله طبائعكم فانكم ملاعين فوضع الظاهر موضع الضمير للتعليل ﴿ قوله وقرئ طه ﴾ اى على وزن هب باسقاط الالف بعد الطاء وبالهاء الساكنة على انه امر له عليه الصلاة والسلام بان يطأ الارض بقدميه معا ولا يقوم قياما يتعب فيه كل التعب لما روى انه عليه الصلاة والسلام لما انزل عليه الوحى اجتهد فى العبادة حتى كان يراوح بين قدميه فى تهجده لطول قيامه فى الصلاة وكان يصلى الليل كله فكان يقوم على احدى رجليه تخفيفا على الاخرى اذا طال القيام ثم قيل انه مأخوذ من يطأ وكان اصله طأ كما اخذ من يدع فقلبت همزته هاء كما قالوا هياك فى اياك وهرقت فى ارقت فالهاء فى طه ليست هاء السكت على هذا بل مبدلة من لام الفعل وقيل قلبت الهمزة فى يطأ ألفا كما قلبت فى لاهناك المرتع اصله لاهنأك ولما كان قلب الهمزة المتحركة ألفا نادرا اورد له مثالا فاذا بنى منه الامر يكون ط كما يكون الامر من يرى رئم ألحق به هاء السكت فصار طه كما يقال قه وره ﴿ قوله وعلى هذا ﴾ اى على الوجه الثانى وهو ان يكون طه بسكون الهاء مأخوذا من يطأ بعد قلب همزته ألفا يحتمل ان يكون اصله بألفين طاها فلما جاز قلب الهمزة المحرّكة ألفا فى يطأ كان قلب الساكنة اولى فقلبت فصار طه الآن نقوش الكتابة لما كانت دلائل الالفاظ ووجب ان تكون هيئة الخط مشتملة على مايدل على كل واحد من الحروف الملفوظة وجب ان يكون الرسم حينئذ طاها بألفين مرسومتين سوآء قيل ان اصله طأها او ياهذا وعلى تقدير كون طه من اسماء الحروف كتبت على صورة الحرفين اللذين هما مسميا طاها لا على صورة اسمهما لمعنى يخص باسامى الحروف وهو ماذكره صاحب الكشاف فى اوّل سورة البقرة وهو قوله الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرّت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسماء ويقع فى الكتابة الحروف انفسها حملت على تلك المشاكلة المألوفة فى كتابة هذه الفواتح انتهى كلامه ومن المعلوم ان التلفظ بالاسماء ورسم اسم المسميات امر مخصوص بحروف التهجى لايجرى فى الكلمات المفيدة ﴿ قوله او اكتفى ﴾ عطف على قوله على انه امر اى او على انه ليس بامر بل هما من اسماء حروف التهجى كما فى القرآءة المشهورة واصله طاها فاكتفى من الاسم الاوّل وهو طا بجزئه الاوّل ومن الاسم الثانى وهو ها بجزئه الاوّل ايضا فصار طه ثم سكن الهاء لاجل الوقف فصار طه ﴿ قوله ومنه اشقى من رآئض المهر ﴾ اى اتعب ممن يجعل المهر وهو ولد الفرس صالحا للركوب بان تزول عنه الصعوبة ويتقاد لصاحبه وفى ذلك العمل مشقة وتعب للرآئض ولذلك يضرب به المثل ﴿ قوله ولعله عدل اليه ﴾ جواب عما يقال الشقاء وان شاع فى معنى التعب الا انه فى الاصل مقابل للسعادة فلو ذكر التعب هنا لتوهم خلاف المراد وهو سعادة الدارين فاختياره هذا دون ذاك لدفع هذا التوهم والله اعلم فتأمل اى فلو ذكره هنا لتوهم خلاف المراد بالنكته فى اختياره ﴿ قوله ولايجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ﴾ اى جنسى التذكرة والشقاوة فانهما مختلفان غاية الاختلاف فان احداهما ليست هى عين الاخرى ولا بعضها ولا مشتملة عليها فلا يتصوّر جعل التذكرة بدل كل ولا بعض ولا اشتمال من الشقاوة ضرورة ان مايقوم مقام الشئ يجب ان يكون بينهما مجانسة بوجه مّا فى مناسبة مّا ولو كانت بدلا منها لكانت بدل الغلط وهو لايصدر عن قصد وروية فلا يوجه فى كلام بليغ فضلا عن ان يوجد فى كلامه تعالى ﴿ قوله فان الفعل الواحد لايتعدّى الى علتين ﴾ فان انزلنا يتعدّى الى مفعوله وهو لتشقى فلا يتعدّى الى آخر من جنسه الا بالبدلية او العطف وفيه بحث وهو ان ماذكره انما يدل على عدم جواز كونه مفعولا له لنفس انزلنا مع قطع النظر عن كونه معللا بالعلة الاولى ولا يلزم منه ان لايكون مفعولا له لانزلنا مطلقا لجواز ان يكون الانزال المعلل بالشقاء معللا بالتذكرة بطريق الحصر بالنفى والاستثناء بان لايكون مجئ اداة النفى لنفى علية التعب للانزال بل انما جئ بها لتفيد ان علة الانزال المعلل بتعب المخاطب ليست الا الموعظة وتذكير الاحكام على طريق قولك ماضربت غلامى لتأديب الامعذرة الى ربى فلا حاجة الى ان يجعل لتشقى متعلقا بمحذوف كما قيل وليس فيه ايضا تعدية الفعل الواحد الى علتين ذكر لانتصاب تنزيلا اربعة اوجه الاوّل ان يكون منصوبا باضمار فعله اى نزل تنزيلا والثانى ان يكون مفعولا به لقوله

يخشى اى انزاله للتذكرة لمن يخشى تنزيل الله تعالى و الثالث انتصابه على المدح و الاختصاص و الرابع انتصابه على انه بدل من تذكرة على ان يكون مصدرا واقعا موقع الحال فيكون تنزيلا مصدرا بمعنى المفعول اى ما انزلناه الا مذكرا منزلا فيكون منزلا بدل الكل من مذكرا لكونهما متحدين ذاتا ﴿قوله او معنى﴾ اى على تقدير كونه منصوبا على الاستثناء المنقطع فان جعل تذكرة مفعولا له على احد الوجهين و جعل تنزيلا بدلا منه يكون المعنى ما انزلنا القرآن الا تنزيلا و هو تعليل للشئ بنفسه ان جعل الانزال و التنزيل بمعنى واحد و بنوعه ان جعل التنزيل عبارة عن الانزال على التدريج فانه نوع من مطلق الانزال ﴿قوله بعرض تعظيم المنزل﴾ اى باظهار ما يدل على تعظيمه * الجوهرى عرضت الشئ فاعرض اى اظهرته فظهر و هو من النوادر قال تعالى و عرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا قال الفراء اى ابرزناها حتى تظهر اليها الكفار فخم القرآن المنزل بذكر ما يدل على عظمة منزله ترغيبا فى تدبره و العمل بمدلوله * فان قيل لم عطف الجمع على المفرد فى قوله تعالى ممن خلق الارض و السموات مع ان الاولى رعاية التطابق بين المعطوف و المعطوف عليه * اجيب بان الالف و اللام اذا دخل فى اسم غير علم مفردا كان او جمعا يصرف التعريف الى الجنس اذا لم يمكن حمله على المعهود و ان امكن فلا ولا وجه لحمل تعريف السموات على الآحاد المعدودة فتعين صرفه الى الجنس فليس فى الكلام عطف الجمع على المفرد بل فيه عطف الجنس على الجنس و فيه رعاية التطابق ﴿قوله ثم اشار الى وجه احداث الكائنات﴾ بين وجه ارتباط قوله تعالى الرحمن على العرش استوى بقوله خلق الارض و السموات و جعل قوله الرحمن على العرش استئنافا لبيان طريق خلق ما ذكره و قوله بان قصد العرش متعلق بقوله احداث الكائنات و تدبير امرها على طريق التنازع و هو يشعر بانه حمل العرش على الذى تحمله الملائكة و يحفون حوله و حمل الاستوآء على العرش على القصد اليه الا انه عدّى بعلى لتضمنه معنى الاستيلاء و الظهور كما قيل فى قوله تعالى ثم استوى الى السماء معناه ثم قصد و اشار الى وجه تخصيص العرش بالذكر مع ان الاستيلاء حاصل بالنسبة الى جميع الكائنات بقوله بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام و انزل منه الاسباب و القصد المسند الى الله تعالى ليس المراد به حقيقة القصد لانه اسم للارادة باعتبار الحدوث و ارادته تعالى منزهة عنه بل هو استعارة تبعية شبه خلق السماء بعد خلق ما ذكر قبله بمباشرة الخلق فعلا بعد فعل آخر فانها تكون مسبوقة بالقصد الحادث فعبر عن تعلق الارادة الازلية بخلق السماء بالاستوآء بمعنى القصد فاشتق منه لفظ استوى و فى الصحاح المساواة بين الشيئين المعادلة بينهما تقول سوّيت الشئ فاستوى اى عدلته فاعتدل و استوى على ظهر دابته اى استعلى و استقرّ عليه و استوى الى السماء اى قصد و استوى على كذا ظهر قال الشاعر

* قد استوى بشر على العراق * من غير سيف و دم مهراق *

انتهى و قد تمسك المشبهة بهذه الآية فى ان معبودهم جالس مستقرّ على العرش و هو باطل بالعقل و النقل و اختلف اهل الحق فى تأويل هذه الآية فقال بعضهم انا نقطع بان الله تعالى منزه عن المكان و الجهة و انه تعالى لم يرد من الاستوآء الجلوس و الاستقرار بل مراده به شئ آخر الا انا لا نشتغل بتعيين ذلك المراد خوفا من الخطأ و قال البعض الآخر لما قامت الادلة العقلية على امتناع الاستقرار و دل ظاهر لفظ الاستوآء على معنى الاستقرار لم يمكن العمل بمقتضى الدليلين ضرورة استحالة كون الشئ الواحد منزها عن المكان و حاصلا فيه معا و لا سبيل ايضا الى ترك العمل بهما لانه يستلزم ارتفاع النقيضين معا و هو باطل و لا الى ترجيح النقل على العقل لان العقل اصل للنقل فانه ما لم يثبت بالدلائل العقلية وجود الصانع و علمه و قدرته و بعثه للرسول لم يثبت العقل فالقدح فى العقل لاجل تصحيح النقل يقتضى القدح فى العقل و النقل معا فلم يبق الا ان يقطع بصحة العقل و يشتغل بتأويل النقل ثم انهم اختلفوا فى تأويله فقال بعض العلماء المراد من الاستوآء الاستيلاء و الاقتدار كما فى قول الشاعر قد استوى بشر على العراق * و المراد من العرش هو الذى تحمله الملائكة و قال صاحب الكشاف العرش سرير الملك و الاستيلاء عليه كناية عن الملك لانه من توابع الملك و روادفه فانه يقال استوى فلان على العرش قصدا للاخبار عنه بانه ملك و ان لم يقعد على العرش البتة و التعبير عن الشئ بطريق الكناية ابلغ و اوقع من الايضاح بذكره لانك مع الكناية كدّعى الشئ بالبينة ﴿قوله ليدل بذلك على كمال قدرته﴾ فان ما فى السموات من الملك و النجم و غيرهما و ما فى الارض من المعدن و النبات و الحيوان و الانسان و ما بينهما من العناصر و ما تحت الثرى

﴿تنزيلا﴾ نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا و ان جعل مفعولا له لفظا او معنى فلا لان الشئ لا يعلل بنفسه و لا بنوعه ﴿ممن خلق الارض و السموات العلى﴾ مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله و صفاته على الترتيب الذى هو عند العقل فبدأ بخلق الارض و السموات التى هى اصول العالم و قدّم الارض لانها اقرب الى الحس و اظهر عنده من السموات العلى و هو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات و تدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام و التقادير و انزل منه الاسباب على ترتيب و مقادير حسبما اقتضته حكمته و تعلقت به مشيئته فقال ﴿الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات و ما فى الارض و ما بينهما و ما تحت الثرى﴾ ليدل بذلك على كمال قدرته و ارادته و لما كانت القدرة تابعة للارادة و هى لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور و خفياتها على سوآء فقال

وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتقرير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرّع والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرّد بها والمتوحد بمقتضاها فقال ﴿ الله لااله الا هو له الاسماء الحنى ﴾ ومن فى ممن خلق الارض صلة لتنزيلا اوصفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن فى الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شأنه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبرآئيل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن على الجرّ صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذلك ان رفع الرحمن على المدح دون الابتدآء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهى آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء فى الحسن لدلالتها على معان هى اشرف المعانى وافضلها ﴿ وهل أتاك حديث موسى ﴾ فى تمهيد نبوّته صلى الله عليه وسلم بقصة موسى ليأتم به فى تحمل اعباء النبوّة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدآئد فان هذه السورة من اوآئل مانزل ﴿ اذ رأى نارا ﴾ ظرف للحديث لانه حدث اومفعول لاذكر قيل انه استأذن شعيبا عليه الصلاة والسلام فى الخروج الى امّه وخرج باهله فلما وافى وادى طوى وفيه الطور ولده ان فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا ﴿ فقال لاهله امكثوا ﴾ اقيموا بمكانكم وقرأ حمزة لاهله امكثوا هنا وفى القصص بضم الهاء فى الوصل والباقون بكسرها فيه ﴿ انى آنست نارا ﴾ ابصرتها ابصارا لاشبهة فيه وقيل الاناس ابصار مايؤنس به ﴿ لعلى آتيكم منها بقبس ﴾ بشعلة من النار وقيل جمرة ﴿ او اجد على النار هدى ﴾ هاديا يدلنى على الطريق اويهدينى ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها فى كل مايعنّ لهم (تغير)

مما لايعلمه الا الله اذ كان لله خلقا وملكا تحت قدرته وامره لايمتنع شئ منه عن نفاذ قدرته وارادته فيه دل ذلك على كمال قدرته وارادته * فان قيل الثرى هو السطح الاخير من العالم فلا يكون تحته شئ فكيف يكون الله تعالى مالكا له * اجاب الامام عنه بان الثرى فى اللغة التراب الندىّ فيحتمل ان يكون تحته شئ وهو اما الثور او الحوت او الصخرة او البحر او الهواء على اختلاف الروايات فقوله وما تحت الثرى معناه وما تحت الارض لان ظاهر الارض تراب جاف وما هو اسفل منه فهو تراب مبتل وهو الثرى اى يعلم ما تحت الارض مما بطن فيها كما يعلم ما ظهر منها وما بينها وبين السماء وعن السدّى ما تحت الثرى هو الصخرة التى تحت الارض السابعة والمفسرون يقولون اراد الثرى الذى تحت الصخرة التى على الثور الذى تحت الارض ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله تعالى كما لا يعلم احد ما فوق السدرة الا هو قيل السدرة شجرة فى السماء السابعة مما يلى الجنة عروقها تحت الكرسى واغصانها تحت العرش اليها ينتهى علم الخلائق كل ورقة منها تظل امّة من الامم تغشاها الملائكة كأنهم فراش من ذهب عليها الملائكة لايعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبريل عليه الصلاة والسلام فى وسطها ﴿ قوله ﴾ اى وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غنىّ عن جهرك ﴿ جواب مايقال ان قوله تعالى فانه يعلم السرّ واخفى جزآء الشرط ومن شرط الجزآء ان يكون مسببا عن الشرط وعلمه تعالى بشئ ماليس مسببا عن شئ من الممكنات فكيف يكون مسببا عن جهر المخاطب بالقول * وتقرير الجواب ان جزآء الشرط لايكون الاجلة والمشروط المسبب عن الشرط قد يكون نفس مضمون تلك الجملة التى هى وقوع نسبة تلك الجملة اولا وقوعها كما فى قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرّا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم وهو ثبوت الاجر لهم عنده تعالى وقد يكون المشروط اعلام المخاطب بمضمون تلك الجملة لا نفس مضمونها كما فى قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله فان الشرط فيه وهو استقرار النعمة عندنا ليس سببا لنفس كونها من الله تعالى بل هو سبب للاخبار بانها من الله ومانحن فيه من هذا القبيل فان الجهر بالقول ليس سببا لنفس مضمون جملة الجزآء بل هو سبب للاعلام به فعلى هذا الظاهر ان يقول فاعلم انه يعلم السرّ واخفى الا انه عدل عنه الى ما اختاره للاشارة الى ان ما هو جزآء حقيقة حذف فى الآية واقيم مقامه مايدل عليه فان علم السرّ والاخفى مستلزم للغنى عن الجهر وتحقق الملزوم دليل على تحقق اللازم فلذلك اطلق الملزوم واريد اللازم ﴿ قوله وهو ضمير النفس ﴾ اى المراد بالاخفى ماتضمره النفس ولم تظهره لاحد لا سرّا ولا جهرا وبالسرّ ما اسررته الى غيرك بالجهر ما ترفع به صوتك ﴿ قوله ﴾ فى تمهيد نبوّته بقصة موسى ﴿ اى اتبع الله تعالى ماذكره تمهيدا لنبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الآية قصة موسى عليه الصلاة والسلام يقال قفوت فلانا اى اتبعته وقفيته بفلان اى اتبعته اياه يريد به ان قوله وهل اتاك حديث الى آخر الآية جملة معطوفة على قوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى على طريق عطف القصة على القصة ليكون بعثاله وحملا على الاقتداء بموسى عليه الصلاة والسلام فى تحمل اعباء النبوّة فان هذه السورة من اوآئل مانزل فاحتيج فيها الى ارشاد طريق التبليغ وتقوية قلبه وتسليته عما ناله من عناد المعاندين والمعنى انا انزلنا عليك القرآن لتتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعدآء الاسلام ومقابلتهم وغير ذلك كما انزلنا على موسى عليه الصلاة والسلام التوراة وقوله تعالى وهل اتاك يحتمل ان يكون اوّل ما اخبر الله تعالى به عن امر موسى عليه الصلاة والسلام فيكون الاستفهام فى هل اتاك للانكار اى لم يأتك الى الآن وقد اتاك الآن فتنبه له وهذا قول الكلبى ويحتمل ان يكون قد اتاه ذلك سابقا فيكون الاستفهام تقريرا فكأنه قال أليس قد اتاك ﴿ قوله فى ليلة شاتية ﴾ اى ذات برد وشتاء يقال شتوت بموضع كذا اى اقمت به الشتاء ﴿ قوله مثلجة ﴾ اى ذات ثلج وفى الكشاف انه قدح فصلد زنده اى صوّت ولم يخرج نارا يقال صلد الزند يصلد بالكسر صلودا اذا صوّت ولم يخرج نارا قيل كان موسى عليه الصلاة والسلام رجلا غيورا لايصحب الرفقة لئلا ترى امرأته فلذلك اخطأ الطريق ﴿ قوله بشعلة من النار ﴾ اى بشئ فيه لهب مقتبس من معظم النار وقيل القبس الجمرة الغير المشتعلة يقال قبست منه نارا فى رأس عود اوفتيلة اوغيرها قال اكثر المفسرين ان الذى رأه موسى عليه الصلاة والسلام لم يكن نارا بل كان نور الرب تعالى ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا فلما دنا منه رأى شجرة خضرآء من اسفلها الى اعلاها كأنها نار بيضاء فوقف متعجبا من شدّة ضوء تلك النار وشدّة خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة

تغير ضوء النار فسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما * قال الامام والصحيح انه رأى نارا ليكون صادقا فى خبره اذ الكذب لا يجوز على الانبياء ﴿قوله ولما كان حصولهما﴾ اى حصول الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين ومتوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع فقال لعلى ولم يقطع بان يقول انى آتيكم لئلا يعد مالم يتيقن الوفاء به وانظر كيف احترز موسى عن شائبة الكذب قبل نبوّته حيث لم يقل آتيكم بل قال لعلى آتيكم وانما قال اواجد على النار هدى لان النار قلما تخلو من اهلها وناس عندها ﴿قوله كما قال سيبويه فى مررت بزيد﴾ تأكيد لقوله اومستعلون المكان القريب منها فانه جعل الملصوق بمكان يقرب من النار بمثابة استعلاء نفس النار ﴿قوله قيل انه لما نودى قال من المتكلم﴾ قال وهب لما نودى موسى اجاب سريعا وهو لا يدرى من دعاه فقال انى اسمع كلاما ولا ارى مكانك فاين انت قال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك لا ينبغى الا لربه فايقن بان المنادى هو الله تعالى وايضا لما سمعه من جميع الجهات بحيث لا يتفاوت سماعه من بعض الجهات على سماعه من الجهات الاخر علم بذلك انه ليس بكلام المخلوقين وعلم ذلك بسماعه ذلك الكلام وانه لما رأى النار فى الشجرة الخضراء بحيث لا تضرّ خضرة الشجرة ورأى خضرتها بحيث لا تطفئ تلك النار وكل واحد من هذه الامور لا يقدر عليه احد الا الله علم بذلك علما استدلاليا ان ما سمعه كلام الله تعالى وقال اصحابنا يجوز ان يخلق الله له علما ضروريا بذلك ومنع المعتزلة ذلك وقالوا لو حصل العلم الضرورى بكون هذا النداء كلام الله تعالى لحصل العلم الضرورى بوجود الصانع لاستحالة ان تكون الصفة معلومة بالضرورة وتكون الذات معلومة بالاستدلال ولو حصل العلم الضرورى بوجود الصانع لخرج موسى عن كونه مكلفا لان حصول العلم الضرورى بنا فى التكليف وقد علم قطعا انه عليه الصلاة والسلام لم يخرج عن التكليف فعلمنا ان الله تعالى عرّفه ذلك بان نصب له من الدلائل ما يدل عليه ﴿قوله وهو اشارة الى انه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه﴾ اى كلامه القديم الذى ليس من جنس الحروف والاصوات وذلك الكلام لا يتلقف منه تعالى تلقفا حسيا لان الحاسة الجسمانية لا تتلقف الكلام القديم القائم بذات الله تعالى وانما تتلقف تلقفا روحانيا وهو ان يلهم الله تعالى به من خصه بكلامه بشرا كان او ملكا والمعتزلة لما انكروا وجود ذلك الكلام قالوا انه تعالى خلق ذلك النداء فى جسم من الاجسام كالشجرة او غيرها لان صريح القرآن دل على ان الله تعالى ناداه بكلامه ولا كلام له سوى ما يتلقف بالحاسة الجسمانية وذلك الكلام حادث فيمتنع ان يقوم بذاته تعالى فلا جرم يكون نداؤه تعالى عبارة عن خلقه اياه فى جسم وانه تعالى قادر عليه يفعله متى شاء واهل السنة لما اثبتوا الكلام النفسى الازلى قالوا انه تعالى اسمعه ذلك الكلام اسماعا روحانيا معنويا ثم انه عليه الصلاة والسلام لما قال عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء دل على ان ذلك الكلام تمثل لبدنه ﴿قوله وقيل معناه فرّغ قلبك﴾ يعنى مال اهل الاشارة الى ان النعل فى النوم يعبر بالزوجة فيكون قوله فاخلع نعليك اشارة الى ان لا يلتفت بخاطره الى اهله وماله وان لا يبقى مشغول القلب بامرهما ﴿قوله والمقدّس يحتمل المعنيين﴾ وهما طهارة القلب عن العلائق وطهارة القلب عما ينافى التواضع والادب يعنى ان قوله تعالى انك بالواد المقدّس يصلح ان يكون تعليلا لقوله تعالى فاخلع نعليك على كل واحد من الاحتمالات المذكورة فى وجه الامر ﴿قوله بتأويل المكان﴾ فان طوى يكون منصرفا على تقدير ان يأوّل بالمكان اذ ليس فيه حينئذ سوى العلمية وان اوّل بالبقعة كان غير منصرف للتأنيث والعلمية فلا يدخله التنوين حينئذ فابن عامر والكوفيون قرأوا طوى بضم الطاء والتنوين والباقون بضمها من غير تنوين وقرئ بكسر الطاء منوّنا وبكسرها غير منوّن فان كان اسما فهو نظير عنب وان كان صفة فهو نظير عدى وسوى وعن الحسن البصرى انه بمعنى الثنى بالكسر والقصر والثنى المكرّر مرّتين فيكون المعنى على هذه القراءة انه طهر مرتين فيكون منصوبا بلفظ المقدّس لانه بمعناه كأنه قيل المقدّس مرّتين من التقدّس او منصوبا بلفظ نودى * الجوهرى قال بعضهم طوى بالضم مثل طوى بالكسر وهو الشئ المثنى وقالوا فى قوله تعالى بالواد المقدّس طوى اى قدّس مرّتين ﴿قوله تعالى وانا اخترتك﴾ عطف على قوله انا ربك اى نودى وقيل انى انا ربك وانا اخترتك وقرأ حمزة وانا اخترناك بفتح الهمزة وبضمير المتكلم المعظم نفسه عطفا على قوله انى انا ربك فان قوله انى هنا بهمزة مفتوحة على تقدير الباء اى بانى لان النداء يوصله بها تقول ناديته بكذا

ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء فى على النار ان اهلها مشرفون عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه ﴿فلما أتاها﴾ اتى النار وجد نارا بيضاء تتقد فى شجرة خضراء ﴿نودى يا موسى انى انا ربك﴾ فتحه ابن كثير وابو عمرو اى بأنى وكسره الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودى قال من المتكلم قال انى انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام الشيطان فقال انا عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه فانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة ﴿فاخلع نعليك﴾ امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرّغ قلبك من الاهل والمال ﴿انك بالواد المقدّس﴾ تعليل للامر باحترام البقعة والمقدّس يحتمل المعنيين ﴿طوى﴾ عطف بيان للوادى ونوّنه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثنى من الطىّ مصدر لنودى او المقدّس اى نودى نداءين او قدّس مرّتين ﴿وانا اخترتك﴾ اصطفيتك للنبوّة وقرأ حمزة وانا اخترناك ﴿فاستمع لما يوحى﴾ للذى يوحى اليك او للوحى

ففتحت همزة ماعطف عليه ايضا وجوّز ابو البقاء ان يكون الفتح على تقدير ولانا اخترناك فاستمع فعلقه باستمع قال الواحدى ويجوز وانا اخترناك بالكسر ولم يقرأ به وقال شهاب الدين وقرأ السلمى والاعمش وابن هرمز وانا اخترناك بكسر الهمزة ﴿قوله﴾ واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين ﴿ش﴾ بان يكون الكلام من باب التنازع بين اخترناك وبين استمع كأنه قيل اخترناك لما يوحى واستمع لما يوحى والظاهر تعلقه باستمع واللام مزيدة فى المفعول كما فى ردف لكم ﴿قوله﴾ دال على انه ﴿ش﴾ اى ان ما يوحى مقصور على تقرير التوحيد والامر بالعبادة وجه الدلالة ان البدل هو المقصود بالنسبة وانه كالتفسير والبيان للمبدل منه ﴿قوله﴾ وهى تذكر المعبود ﴿ش﴾ فقوله لذكرى من اضافة المصدر الى مفعوله اى أقمها لتذكرنى وتكون ذاكرا لى فان ذكر الله تعالى عبارة عن الاشتغال بعبادته باللسان والجنان والاركان فكأنه قيل اقم الصلاة لتكون بملابستها ذاكرا لى ويكون من قبيل اضافة المصدر الى فاعله على تقدير ان يكون المعنى لانى ذكرتها فى كل كتاب ولم اخل منها شريعة وامرت بها كل امّة وكذا على تقدير ان يكون المعنى لان اذكرك بالمدح والثناء كما قيل فى تفسير قوله تعالى ولذكر الله اكبر اى ذكر الله العبد اكبر من ذكر العبد اياه والفرق بينهما ان المذكور على الاوّل هو الصلاة وعلى الثانى هو العبد ﴿قوله﴾ لاوقات ذكرى ﴿ش﴾ على ان تكون اللام فى قوله تعالى لذكرى لام التاريخ بمعنى فى كما فى قوله تعالى ياليتنى قدّمت لحياتى اى قدّمت الخيرات او الطاعات فى اوقات حياتى فى الدنيا ولام التاريخ لاتدخل الا على الوقت ظاهرا او مقدّرا فلذلك قال لاوقات ذكرى اى صلاتى ﴿قوله﴾ اولذكر صلاتى ﴿ش﴾ اما على تقدير المضاف او على ان يكون المضاف ذكر الله مجازا عن ذكر الصلاة على طريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب فان ذكر الصلاة سبب لذكر الله تعالى فيكون المعنى اقم الصلاة اذا ذكرتها بعد نسيانها اى ان نسيت صلاة فاقضها اذا ذكرتها وقد نقل هذا التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواحدى اقم الصلاة لذكرى معناه اقم الصلاة متى ذكرت ان عليك صلاة كنت فى وقتها اولم تكن وهذا قول عامة المفسرين وروى ذلك مرفوعا وذكر باسناد عن انس بن مالك رضى الله عنه ان النبى عليه الصلاة والسلام قال *من نسى صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها غيره *وقرأ *أقم الصلاة لذكرى *رواه مسلم قال الخطابى هذا الحديث يحتمل وجهين احدهما انه لايكفرها غير قضائها والآخر انه لايلزمه فى نسيانها غرامة ولا كفارة كما تلزم الكفارة فى ترك صوم رمضان من غير عذر وكما تلزم المحرم اذا ترك شيأ من نسكه فدية من دم او طعام وليس عليه الا ان يصلى ماترك فقط قال ابو حنيفة من فاتته صلوات يجب الترتيب فى قضائها مالم تزد على صلاة يوم وليلة واحتج عليه بقوله تعالى اقم الصلاة لذكرى اى لتذكرها واللام بمعنى عند كما فى قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس اى عند دلوكها فمعنى الآية اقم الصلاة المتذكرة عند تذكرها وذلك يقتضى رعاية الترتيب كذا ذكره الامام وقوله تعالى ان الساعة آتية كالتعليل للامر بالعبادة واقامة الصلوات واعلام بان القيامة التى هى موعد جزآء الاعمال آتية وان كل امرئ مجزى بعمله ان خيرا فخير وان شرّا فشرّ ﴿قوله﴾ اريد اخفاء وقتها ﴿ش﴾ كاد وان كان موضوعا للمقاربة الا انه من الله تعالى للتحقيق والوجوب والمعنى انا اخفى وقتها عن الخلق ليكونوا على حذر منها كل وقت كما ان عسى فى قوله تعالى قل عسى ان يكون قريبا للقطع بقربه اى هو قريب وقيل المراد اخفاء نفس وقوعها والمعنى اكاد اخفيها فلا اقول هى آتية لفرط ارادتى اخفاءها ولولا مافى الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من الله تعالى للعباد لما اخبرت به وقيل المعنى اكاد اخفى الساعة واتيانها واخفى احوال الجنة ونعيمها واحوال النار وعذاب جحيمها لئلا تكون عبادتى مشوبة بطمع الجنة وخوف النار بل تكون خالصة لوجهى كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقوله اكادا خفيها على ان تكون همزة اخفيها للازالة والسلب اى ازيل خفاءها نحو اعجمت الكتاب اى ازلت عجمته واشكيته اى ازلت شكواه والمعنى انها لتحقق وقوعها وقربها اكاد اظهرها واقرّب اظهارها كما قال تعالى اقتربت الساعة وان اقتضت الحكمة تأخرها برهة من الزمان وقرئ اخفيها بفتح الهمزة من خفاء يخفيه اذا اظهره ﴿قوله﴾ عن تصديق الساعة ﴿ش﴾ على ان ضمير عنها للساعة والمراد التصديق باتيانها فيكون ضمير من لايؤمن بها ايضا للساعة وعلى تقدير ان يكون ضمير عنها للصلاة يكون ضمير بها للساعة والمعنى لايصدّنك عن الصلاة من لايؤمن بالساعة والاوّل اولى لان الاصل فى الضمير ان يرجع الى اقرب مذكور وهو الساعة ومن جعل ضمير عنها للصلاة نظر الى انها هى المقصودة بالذكر وقوله تعالى ان الساعة آتية انما ذكر على وجه التعليل للامر بها ﴿قوله﴾ فان صدّ الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه ﴿ش﴾ اى فى دينه علة لكون نظم الآية مبنيا على انه ينبغى

والله يحتمل التعلق بكل من الفعلين ﴿انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني﴾ بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو منتهى العلم والامر بالعبادة التى هى كمال العمل ﴿وأقم الصلاة لذكرى﴾ خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التى اناط بها اقامتها وهى تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكرى لانى ذكرتها فى الكتب وامرت بها اولان اذكرك بالثناء اولذكرى خاصة لاترآئى بها ولا تشوبها بذكر غيرى وقيل لاوقات ذكرى وهو مواقيت الصلاة اولذكر صلاتى لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن صلاة اونسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول وأقم الصلاة لذكرى ﴿ان الساعة آتية﴾ كائنة لا محالة ﴿اكاد اخفيها﴾ اريد اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا مافى الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القرآءة بالفتح من خفاه اذا اظهره ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ متعلق بآتية او باخفيها على المعنى الاخير ﴿فلا يصدّنك عنها﴾ عن تصديق الساعة اوعن الصلاة ﴿من لايؤمن بها﴾ نهى الكافر ان يصدّ موسى عنها والمراد نهيه ان ينصدّ عنها كقوله لا ارينك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغى ان يكون راسخا فى دينه فانّ صدّ الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه

ان يكون ثابتا قويا فى دينه يعنى ان ضعف الرجل فى دينه لما كان سببا لصد الكافر اياه عن دينه كأنه نهى الكافر عن الصدّ المسبب عن الضعف تنبيها و دليلا على نهى الرجل عن الضعف الذى هو سبب لصدّ الكافر فكأنه قيل لا تكونن رخوا ضعيفا فى امر دينك فيصدّك عنه الكافر فالآية من قبيل قولهم لا ارينك ههنا فان المتكلم نهى نفسه عن ان يرى المخاطب و اراد النهى عن ان يحضر عنده و يكون بمرءاه فذكر المسبب الذى هو ان يرى المخاطب و اراد السبب و هو ان يحضر المخاطب عنده و اشار الى ان النكتة فى العدول الى المجاز التنبيه على انه لا ينصدّ عن الحق بنفسه و ان سلامة فطرته تحمله على ترجيح الحق و اختياره و ان موضع الاحتياط ليس الا ما يأتيه من الصدّ الخارجى ﴿قوله استفهام يتضمن استيقاظا﴾ يعنى ان حقيقة الاستفهام ممتنعة فى حقه تعالى فوجب ان يكون الاستفهام الواقع فى كلامه تعالى لحكمة و هى ههنا ايقاظ السامع و تنبيهه على معظم ما يخترعه و يبتدعه فى الخشبة اليابسة فانه عليه الصلاة و السلام لما سئل و ما تلك بيمينك اجاب عنها بانها قطعة خشبة يابسة لا تصلح الا لما يصلح له امثالها فقرّر شأنها و حقارتها فاذا اظهر الله تعالى منها تلك الآيات العظيمة كانقلابها حية عظيمة و نحوها ظهر كمال قدرة الله تعالى بتقدير المباينة البعيدة بين المقلوب عنه و المقلوب اليه و تقرّر فى قلبه بمشاهدة هذه المعجزة الباهرة انه تعالى ينصره و لا يخذله بين يدى الاعداء و ما فى قوله تعالى و ما تلك بيمينك استفهامية مبتدأ و تلك خبرها و بيمينك متعلق بمحذوف منصوب على انه حال عامله معنى الاشارة فى تلك كقوله هذا بعلى شيخا و التقدير ما هى قارّة او مأخوذة بيمينك و جوّز الزمخشرى ان تكون تلك موصولة بمعنى التى و بيمينك صلتها اى ما التى التبست بيمينك و هذا ليس مذهب البصريين فانهم لم يجعلوا شيأ من اسماء الاشارة موصولا الا كلمة ذا و اما الكوفيون فيجوّزون ذلك فى جميعها و لم يقل بيدك لاحتمال ان يكون فى يده اليسار شئ من الخاتم و نحوه فلو اجعل اليد لتحير فى الجواب ﴿قوله على لغة هذيل﴾ فانهم ارادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه لمكان الالف فقلبوها الى الياء لكونها اخت الكسرة و ادغموها فى ياء المتكلم فقالوا عصىّ و يا بشرىّ و التوكؤ على العصا الاتكاء عليها سواء كان حال المشى او حال الوقوف على رأس الماشية و يقال هش الورق اذا خبطه اى ضربه بالعصا ليسقط و الهشاشة الارتياح و الخفة للمعروف و شئ هش و هشيش اى رخو لين و هش الخبز يهش بكسر الهاء اى صار هشا ﴿قوله و قرئ اهش﴾ اى بكسر الهاء فقيل هو بمعنى اهش بالضم و المفعول محذوف اى اهش الورق او الشجر اى اضرب بها اوراق الشجر او اغصانها ليسقط و رقها على غنمى لتأكله و قرئ اهس بضم الهاء و السين المهملة و هو السوق و الزجر ﴿قوله انحى﴾ يقال انحى عليه بالسوط اذا رفعه موهما ضربه و المراد ما يفعله الرعاة لاغنامهم ﴿قوله فعلق بها ادواته﴾ الادوات جمع اداة و هى الآلة كالقوس و الكنانة و الحلاب و نحوها و فى اكثر النسخ اداوته و هى المطهرة و تجمع على اداوى على وزن مطايا ﴿قوله و عرض الزندين﴾ اى وضعهما على شعبتى العصا عرضا من قولهم عرضت العود على الاناء و الزند العود الذى تقدح به النار و هو الاعلى و الزندة السفلى و فيها ثقب فاذا اجتمعا قيل زندان و لم يقل زندتان و فى المثل فى كل شجر نار و استمجد المرخ و العفار كذا فى الصحاح و العرض و الالقاء مأربة و احدة للاستظلال * روى عن وهب انه قال كانت عصا موسى عليه الصلاة و السلام ذات شعبتين و محجن فاذا طالت الشجرة حناها بالمحجن و اذا حاول شيأ لواه بالشعبتين و اذا سار ألقاها على عاتقه فعلق فيها ادواته من القوس و الكنانة و الحلاب و اذا كان فى البرية ركزها و ألقى كساه عليها فكان ظلا و فيها من المعجزات انه كان يستقى بها فتطول بطول البئر و تصير شعبتاها دلوا و تكونان شمعتين بالليل و اذا ظهر عدو حاربت عنه و اذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت و تغصنت و اثمرت و كانت تحمل زاده و سقاءه فتماشيه و يركزها فينبع الماء من تحتها فاذا رفعها نضب و كانت تقيه الهوام و قوله و كانه عليه الصلاة و السلام فهم الخ جواب عما يقال لما قال هى عصاى ثم الجواب لانه سئل بما تلك عن حقيقة ما فى يده و ماهيته الموجودة فلما قال هى عصاى ثم الجواب فلم يذكر منافعها مفصلا و مجملا و تقرير الجواب انه عليه الصلاة و السلام فهم ان هذا السؤال لا للاستفهام لانه تعالى منزه عن ذلك بل المقصود منه ان يتذكر و يستحضر حقيقتها و ما يعلم من منافعها و قوله علم ان ذلك آيات باهرة جواب اذا فى قوله حتى اذا رآها و قوله فذكر حقيقتها عطف على قوله فهم ان المقصود و قوله قيل لما القاها جواب عما يقال كيف ذكر الذى انقلب اليه العصا بالفاظ مختلفة و هى الحية و الثعبان و الجان فان الحية و ان كان اسم جنس يقع على الذكر و الانثى و الصغير و الكبير الا ان الجان و الثعبان متباينان فان الثعبان اكبر ما يكون من الحيات و الجان الحية الصغيرة الخفيفة

﴿ واتبع هواه ﴾ ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها ﴿ فتردى ﴾ فتهلك بالانصداد بصدّه ﴿ و ما تلك ﴾ استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب ﴿ بيمينك ﴾ حال من معنى الاشارة و قيل صلة تلك ﴿ يا موسى ﴾ تكرير لزيادة الاستئناس و التنبيه ﴿ قال هى عصاى ﴾ و قرئ عصىّ على لغة هذيل ﴿ اتوكأ عليها ﴾ اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع ﴿ و اهش بها على غنمى ﴾ و اخبط الورق بها على رؤس غنمى و قرئ اهش و كلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته و قرئ بالسين من الهس و هو زجر الغنم اى انحى عليها زاجرا لها ﴿ و لى فيها مآرب اخرى ﴾ حاجات اخر مثل ان كان اذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها ادواته و عرض الزندين على شعبتيها و ألقى عليها الكساء و استظل به و اذا قصر الرشاء وصله بها و اذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها و كأنه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال ان يتذكر حقيقتها و ما يرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة و وجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل ان يشتعل شعبتاها بالليل كالشمع و تصيران دلوا عند الاستقاء و تطول بطول البئر و تحارب عنه اذا ظهر عدوّ و ينبع الماء بركزها و ينضب بنزعها و تورق و تثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك آيات باهرة و معجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله و ليست من خواصها فذكر حقيقتها و منافعها مفصلا و مجملا على معنى انها من جنس العصىّ تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذى فهمه ﴿ قال ألقها يا موسى فألقاها فاذا هى حية تسعى ﴾ قيل لما ألقاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت و عظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدأ و ثعبانا مرّة باعتبار المنتهى و حية اخرى بالاسم الذى يعم الحالين و قيل كانت فى ضخامة الثعبان و جلادة الجانّ و لذلك قال كأنها جانّ ﴿ قال خذها و لا تخف ﴾ فانه لما رآها حية تسرع و تبتلع الحجر و الشجر خاف و هرب منها

السريعة الحركة والسعي المشي بسرعة وخفة حركة قيل انه لما القاها فاذا هي اعظم ثعبان نظر اليه الناظرون تمشي سرعة ولها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها اربعون ذراعا صارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقالها وعيناها يتقدان كالنار تمرّ بالصخرة العظيمة مثل الحقة من الابل فتبتلعها وتطحن بنابها في اصل الشجرة العظيمة فتقتلعها وتهتز فيسمع لها صريف عظيم فلما عاين موسى ذلك اخذه من الفزع ما يأخذ البشر عند الاهوال والمخاوف فهرب فعارضه ملك فقال أما تستحيي من ربك يكلمك وتهرب فرجع ولعل الحكمة في قلب العصا حية في ذلك الزمان وهو اوّل زمان الوحي وتحمل الرسالة ان يشاهد انقلابها اوّلا ويزول ما يطرأ للطبيعة البشرية من الخوف والفزع الحاصل بمعاينة مثل ذلك حتى لا يطرأ عليه الخوف بمشاهدة ذلك عند فرعون ﴿قوله تجوّز بها للطريقة﴾ يعني ان بناء السيرة في الاصل لنوع من السير ثم اتسع فيها فعبر بها عن المذهب والهيئة مطلقا وذكر اوّلا ان سيرتها منصوب على انه مفعول به غير صريح اي سنعيدها الى سيرتها الاولى وثانيا انه مفعول به صريح على انه مفعول ثان لقوله نعيد لان عاد لما كان متعدّيا الى واحد عدّى بالهمزة الى ثان وثالثا انه ظرف اي سنعيدها في الهيئة التي كانت عليها قبل ورابعا انه مفعول مطلق لفعله المقدّر فعلى هذا الوجه يكون انقلاب الحية عصا مفهوما من مجرّد قوله سنعيدها لان المعنى حينئذ سنعيد العصا بعد ما ذهبت وبطلت صورة العصا فيها بانقلابها الى صورة الحية وقوله تسير سيرتها الاولى له معنى زائد على انقلاب الحية عصا وهو ان تعود المنافع الفائتة بانقلاب العصا حية بخلاف الوجوه الاخر فان انقلاب الحية عصا يفهم من مجموع قوله سنعيدها سيرتها الاولى اي على تلك الوجوه ﴿قوله قيل لما قال له ربه ذلك﴾ اي لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه الى ان ادخل يده في فم الحية واخذ بلحييها فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتيها في الموضع الذي يضعها فيه اذا اتكأ * واعلم ان ادخاله يده في فم الحية واخذه بلحييها من غير ان يتضرّر به معجزة وانقلاب العصا حية معجزة اخرى ففيها توالى معجزات مع المآرب التي تقدّمت ﴿قوله لانه يخنجهما﴾ اي يميلهما كما قال الله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها ﴿قوله كأنها مشعة﴾ اي ذات شعاع واعلم ان معنى ضم اليد الى الجناح ما قال في آية اخرى وأدخل يدك في جيبك ويروى انه عليه الصلاة والسلام كان شديد الادمة فكان اذا ادخل يده اليمنى في جيبه وادخلها تحت ابطه الايسر واخرجها كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر او اشدّ ضوأ ثم اذا ردّها الى جيبه صارت الى لونها الاوّل بلا نور وبريق واتفق المفسرون على ان السوء كان كناية عن البرص فانه ابغض شيء الى العرب ولهم منه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه ماجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا يصرّح باسمه وقوله من غير سوء يجوز ان يتعلق ببيضاء لكونها صفة مشبهة فيها معنى الفعل كأنه قال تبيض من غير سوء ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الضمير في بيضاء ﴿قوله اي دللنا بها او فعلنا ذلك﴾ نشر على ترتيب قوله او بما دل عليه الآية او القصة اي خذ هذه الآية بعد الآية التي هي قلب العصا حية او دللنا بها او فعلنا ما فعلنا بك من نداً ئك واستماع كلامي اياك واختيارك للنبوّة واظهار المعجزة القاهرة لك لنريك بعض آياتنا الكبرى او لنريك الآية الكبرى حال كونها من آياتنا على ان يكون الكبرى مفعولا ثانيا لنريك ومن آياتنا حال منها وعلى الاوّل يكون المفعول الثاني وهو ضعيف لانه ليس في اليد الا تغير اللون اما العصا ففيها تغير اللون وخلق الزيادة في الجسم وخلق الحياة والقدرة والاعضاء المختلفة وابتلاع الشجر والحجر ثم عودها بعد ذلك عصا كما كانت فهي اعظم قطعا فلا بدّ ان يكون المعنى خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا لنريك بها تين الآيتين بعض آياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى من آياتنا او لنريك من آياتنا الكبرى فعلمنا ذلك فلا دلالة على كون اليد كبرى بالنسبة الى العصا ثم انه تعالى لما اظهر له هذه الآيات عقبها بان امره بالذهاب الى فرعون وبين العلة في ذلك بانه طغى اي جاوز حدّ العبودية بدعوى الربوبية ثم جاوز اللعين الحدّ في تلك المجاوزة حيث لم يقنع بدعوى المشاركة فيها حتى قال انا ربكم الاعلى روى عن وهب انه قال قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام استمع لما يوحى من كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي وانك بعيني وسمعي وانك معك يدي وبصري واني ابسك جبة سلطاني تستكمل بها القوّة في امري ابعثك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي ونسي شكري وغرّته الدنيا حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي اقسم بعزتي لولا الحجة والعهد الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان عليّ وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وحذره من نقمتي وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا ناصيته بيدي ولا يطرف ولا يتنفس

﴿سنعيدها سيرتها الاولى﴾ هيئتها وحالتها المتقدّمة وهي فعلة من السير تجوّز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها اي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفعه قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى ادخل يده في فمها واخذ بلحييها ﴿واضمم يدك الى جناحك﴾ الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك لانه ينحنهما عند الطيران ﴿تخرج بيضاء﴾ كانها مشعة ﴿من غير سوء﴾ من غير عاهة وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه ﴿آية اخرى﴾ معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول باضمار خذ أو دونك ﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾ متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه الآية او القصة اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا او مفعول نريك ومن آياتنا حال منها ﴿اذهب الى فرعون﴾ بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة ﴿انه طغى﴾ عصى وتكبر ﴿قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري﴾ لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم سأله ان يشرح صدره

الابعلمى فكلمه كلاما طويلا قال فسكت موسى عليه الصلاة والسلام سبعة ايام ثم جاءه ملك فقال اجب ربك فيما امرك فعند ذلك قال رب اشرح لى صدرى الآية ﴿قوله ويفسح قلبه﴾ اشارة الى ان المراد بالصدر القلب كما فى قوله أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وان كان قد يراد به العضو الذى فيه القلب كما فى قوله تعالى فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وان المراد بشرح القلب توسيعه حتى لايضيق بسفاهة المعاندين ولجاجهم ولايخاف من شوكتهم وكثرتهم ويجترئ على مخاطبة فرعون ومحاجته فانه تعالى اذا وسع قلبه وعلم ان احدا لايقدر على مضرّته الابأذن الله تعالى لم يخف من فرعون وشدّة شوكته وكثرة جنوده وايضا سأل الله تعالى ان يوسع قلبه ليفهم ماينزل عليه من الوحى كأنه قال رب اشرح لى صدرى فأفهم عنك ماانزلت علىّ من الوحى ﴿قوله وفائدة لى﴾ جواب عما يقال مافائدة لى فى قوله اشرح لى صدرى ويسر لى امرى مع ان الكلام يستقيم بدونه* وتقرير الجواب انه ابهم الكلام اوّلا فقال اشرح لى ويسر لى فعلم ان ثمة مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكر المشروح والميسر وهما الصدر والامر فكان الرفع بعد الابهام ءاكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدرى ويسر امرى على التصريح بالمراد ابتداء لان الرفع بعد الابهام تكرار للمعنى الواحد من طريق الاجمال والتفصيل ﴿قوله ولعل تبييض يده كان لذلك﴾ اى لكونها سببا لخلاص موسى من ان يقتله فرعون اولكونها آلة لاخذ لحية فرعون ونتفها ﴿قوله كقلبها فى موازر﴾ اصله مؤازر قلبت همزته واوا لانضمام ماقبلها فصار موازر وقلبت فى الازير ايضا وان لم ينضم ماقبلها حملا للنظير على النظير فانهما اخوان فى المعنى فيكون كل واحد منهما نظيرا للآخر من حيث المعنى وحملا على المضارع وهو يوازر ﴿قوله ومفعولا اجعل﴾ مبتدأ اضيف فيه التثنية الى لفظ اجعل وقوله وزيرا وهرون خبره ووجه العناية بالمفعول الثانى ان المقصود الاهم طلب الوزير ﴿قوله ولى صلة﴾ اى يجوز ان يكون قوله لى صلة لفعل الجعل متعلقا به ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من وزيرا لانه فى الاصل صفة لوزيرا فلما قدّم عليه انتصب حالا ﴿قوله اولى وزيرا﴾ عطف على قوله وزيرا وهرون اى يجوز ان يكون مفعولا اجعل قوله لى وزيرا فيكون الثانى مقدّما على المفعول الاوّل وهو وزيرا ومن اهلى يجوز ان يكون صفة لوزيرا وان يتعلق باجعل ﴿قوله وهرون عطف بيان للوزير﴾ فيه ان عطف البيان يشترط فيه التوافق بينه وبين متبوعه تعريفا وتنكيرا وقوله وزيرا نكرة فكيف يكون هرون عطف بيان له والظاهر ان يجعل هرون بدلا من وزيرا ﴿قوله اووزيرا ومن اهلى﴾ اى يجوز ان يكون مفعولاه وزيرا من اهلى فيكون وزيرا مفعولا اوّلا ومن اهلى مفعولا ثانيا وفيه ان شرط المفعولين فى باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية منهما وانت لو ابتدأت بوزيرا واخبرت عنه بقولك من اهلى لم يجز اذ لامسوّغ للابتداء به ﴿قوله وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر﴾ فانه قرأ اشدد بفتح الهمزة وأشركه بضمها على معنى الخبر عن نفسه اى انا افعل ذلك وجزم كل واحد من الفعلين على انهما جواب الامر وان قرئ اشدد على لفظ الامر يكون المعنى قوّبه ظهرى واجعله شريكا لى فى امر الرسالة ﴿قوله اى أنعمنا عليك﴾ يعنى انه من قولهم منّ عليه منا بمعنى انعم عليه لامن قولهم منّ عليه منة بمعنى امتنّ عليه لان المنة تهدم الصنيعة والمقام مقام التلطف بناء على انه تعالى راعى مصلحته قبل من غير ان يسألها موسى فكيف لايعطيه مراده بعد السؤال والمعنى منا عليك الآن باتيانك سؤلك وقد سلفت لنا منن عليك اخرى ﴿قوله فى وقت آخر﴾ اشارة الى ان مرّة ظرف منا اى منا عليك فى وقت آخر ذى مرّة والمرّة واحدة المرّ الذى هو مصدر قوله مرّ يمرّ مرّا ومرورا اى ذهب *فان قيل لم قال مرّة اخرى مع انه تعالى ذكر منا كثيرة *اجيب بانه ليس المراد مرّة واحدة من المنن لان ذلك قد يقال فى القليل والكثير والمنن المذكورة ههنا ثمان الاولى قوله اذ أوحينا الى امّك مايوحى والثانية قوله وألقيت عليك محبة والثالثة قوله لتصنع على عينى والرابعة قوله اذ تمشى اختك والخامسة قوله تعالى وقتلت نفسا فنجيناك من الغم والسادسة قوله وفتناك فتونا والسابعة قوله فلبثت سنين فى اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى والثامنة قوله واصطنعتك لنفسى ﴿قوله بالهام او فى منام﴾ يعنى ان المراد من هذا الوحى ليس هو الوحى الواصل الى الانبياء لان امّ موسى ما كانت من الانبياء فان المرأة لاتصلح للامارة والقضاء فكيف تصلح للنبوّة ويدل عليه قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فلذلك اختلف فى المراد من هذا الوحى على وجوه احدها ان امّ موسى رأت رؤيا تأويلها وضع موسى عليه الصلاة والسلام فى التابوت وقذفه فى البحر وان الله يردّه اليها وثانيها ان المراد بالوحى الالهام بان اوقع الله تعالى فى قلبها

الى امّك ﴾ بالهام او فى منام او على لسان نبى فى وقتها او ملك لاعلى وجه النبوّة كما اوحى الى مريم

عزيمة جازمة على ان تلقيه فى التابوت ثم تقذف التابوت فى اليم وهو نيل مصر فى قول جميع المفسرين فان اليم يقع على البحر والنهر العظيم وثالثها ان المراد بالوحى اليها انه تعالى اوحى ذلك الى بعض الانبياء المبعوث فى ذلك الزمان كشعيب عليه الصلاة والسلام اوغيره ثم ان ذلك النبى عرّفها ما اوحى اليه اما مشافهة اومراسلة ورابعها لعله تعالى بعث اليها ملكا لاعلى وجه النبوّة بل على طريق بعثه جبريل الى مريم فى قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ولما بلغ ذلك الملك اليها ما اوحى اليه ﴿قوله ولايخل به﴾ بضم الياء وفتح الخاء من اخل الفارس بمركبه اذا ترك موضعه الذى عينه له الامير وقوله لعظم شأنه تعليل لقوله لايعلم الا بالوحى ﴿قوله وفرط الاهتمام به﴾ تعليل لقوله ينبغى ان يوحى على طريق اللف والنشر المرتب وان فى قوله ان اقذفيه يحتمل ان تكون مصدرية ومفسرة والمراد بقذفه فى التابوت جعله فيه كما فى قوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب ﴿قوله غلام رماه الله بالحسن يافعا﴾ تمامه له سيماء لاتشق على البصر فقوله غلام اى هو غلام ورماه الله صفة غلام اى هو غلام حصل الله فيه الحسن ووضعه فيه ويافعا اى شابا واليافع من اليفاع وهو ما ارتفع من الارض وايفع الغلام اى ارتفع فهو يافع ولايقال موفع وهو من النوادر والسيماء العلامة والمراد بها ههنا الحسن وقوله لايشق على البصر اى يفرح به من ينظر اليه ولايمل من تكرار النظر اليه لكونه فى غاية الحسن ﴿قوله لما كان القاء البحر اياه الى الساحل﴾ جواب عما يقال جعل الله البحر مأمورا بامتثال امره مع ان الامر لايكون الا للمميز العاقل والبحر ليس كذلك * وتقرير الجواب ان قوله فليلقه اليم وان كان امرا صورة الا ان معناه الخبر اى ان تفعلى ما امرت به يلقه اليم بالساحل لتعلق ارادتى بذلك واخرج الكلام على سبيل الاستعارة المكنية والتخييلية حيث شبه اليم فى النفس بمأمور ذى تمييز امره آمر مطاع بالالقاء من حيث كون القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول كحصول المأمور به من المأمور المطيع وجعل امر اليم بقوله فليلقه اليم قرينه التشبيه المضمر وفائدة اخراج الكلام على هذه الصورة التأكيد والمبالغة فى حصول الالقاء ﴿قوله والاولى ان يجعل الضمائر كلها لموسى عليه الصلاة والسلام﴾ لانه لو جعل ضمير ان اقذفيه ويأخذه وعدوّله لموسى وضمير فاقذفيه وفليلقه اليم للتابوت لزم تفكيك الضمائر وتنافر النظم * فان قيل المقذوف فى البحر وكذا الملقى الى الساحل هو التابوت * قلنا نعم ان المقذوف بالذات والملقى بالذات هو التابوت الا ان موسى عليه الصلاة والسلام مقذوف وملقى بالتبع لكونه فى جوف التابوت فينبغى ان يجعل ضمير فاقذفيه وفليلقه اليم ايضا لموسى حتى لاتفترق الضمائر ولما كان فليلقه اليم امرا من حيث اللفظ انجزم جوابه فى قوله يأخذه ﴿قوله اولان الاوّل﴾ وهو كون فرعون عدوّا لله تعالى حال اخذه موسى لكفره بالله تعالى وعتوّه امر واقع حينئذ وكونه عدوّا لموسى عليه الصلاة والسلام حينئذ غير واقع لان موسى فى ذلك الوقت لم يكن بحيث يعاديه احد بل هو بحيث يؤول امره الى المعاداة معه ولو قيل يأخذه عدوّلى وله لفهم ان عداوته لموسى من قبل عداوته لله تعالى ﴿قوله ثم قيرته﴾ اى طلته بالقير وهو الزفت ﴿قوله وكان يشرع﴾ اى يدخل من اليم يقال شرعت الدواب فى الماء شرعا وشروعا اى دخلت ﴿قوله اصبح الناس﴾ اى اكلهم صباحة اى جمالة يقال صبح بالضم صباحة فهو صبيح اى جميل حسن ﴿قوله اى محبة كائنة منى﴾ على ان منى ظرف مستقرّ متعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اى محبة حاصلة منى وعلى الثانى يكون ظرفا لغوا متعلقا بألقيت وعلى التقديرين كلمة من ابتدآئية والفرق بين الاحتمالين ان الملقى على الاحتمال الاوّل محبة الناس اياه لكن لما كانت المحبة حاصلة واقعة بتخليق الله تعالى من حيث انه تعالى ركزها فى القلوب وصفها بقوله كائنة منى فلذلك احبه عدوا لله فرعون وكل من ابصره وعلى الاحتمال الثانى يكون الملقى بالذات هو محبة الله تعالى واما محبة الخلق اياه فانما نشأت وتفرّعت عن محبة الله تعالى اياه واليه اشار بقوله اى احببتك ومن احببته الله تعالى احبته القلوب وقد روى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله العبد نادى جبريل ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض ﴿قوله وظاهر اللفظ﴾ جواب عما يقال ان ماقيل مخالف لما يفهم من ظاهر لفظ القرآن فان ظاهره يدل على ان اليم ألقاه بساحله وان موسى عليه الصلاة والسلام التقط من الساحل لامن البركة وان ماقيل يدل على ان أمّ موسى ألقته فى اليم فقذفه اليم الى النهر المتشعب منه الشارع الى بستان فرعون فاداه النهر الى بركة فى البستان فاخذ من البركة لامن الساحل واشار الى وجه التوفيق بينهما بان حمل لفظ القرآن على ان معناه ألقاه اليم بساحل

(فيه)

(مايوحى) مالايعلم الابالوحى اومماينبغى ان يوحى ولايخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به (أن اقذفيه فى التابوت) بان اقذفيه اواى اقذفيه لان الوحى بمعنى القول (فاقذفيه فى اليمّ) القذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب وكذلك الرمى كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا (فليلقه اليمّ بالساحل) لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان يجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف فى البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض (يأخذه عدوّلى وعدوّله) جواب فليلقه وتكرير عدوّ للمبالغة اولان الاوّل باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع قيل انها جعلت فى التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته وألقته فى اليمّ وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فأدّاه الى بركة فى البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته اسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبىّ اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال (وألقيت عليك محبة منى) اى محبة كائنة منى قد زرعتها فى القلوب بحيث لايكاد يصبر عنك من رآك فلذلك أحبك فرعون ويجوز ان يتعلق منى بألقيت اى احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليمّ ألقاه بساحله وهو شاطئه

فيه فوهة نهر فرعون فجرى منه الى البركة ﴿قوله﴾ لان الماء يسحله ﴿تعليل لما دل عليه المعنى كأنه قال سمى الشاطئ ساحلا لان الماء يسحله اى يقشره وينزع عنه ماهو بمنزلة القشر على ظاهره فان السحل فى اللغة القشر يقال قشرت العود وغيره اقشره قشرا اى نزعت عنه قشره والمطرة القاشرة هى التى على وجه الارض ﴿قوله﴾ ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك ﴿فسر قوله لتصنع بقوله لتربى ويحسن اليك من قولهم صنع اليه معروفا اذا احسن اليه وفسر قوله على عينى بقوله وانا راعيك اشارة الى انه حال من الضمير المستتر فى لتصنع لاصلة له وقوله لتصنع منصوب باضماران بعد لام كى وهذه العلة معطوفة على علة مقدرة قبلها والفعل المعلل هو قوله تعالى وألقيت اى ألقيت عليك المحبة اى ليتعطف عليك ولتصنع ويجوز ان تكون هذه اللام متعلقة بمعلل محذوف وجملة المعلل مع علته معطوفة على الجملة السابقة اى ألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى فعلت ذلك والعين مجاز عن الرعاية والحراسة بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان الناظر الى الشئ يحرسه عما لا يريد فى حقه ويراعيه حسبما يريد فيه ﴿قوله﴾ وقرئ ولتصنع بكسر اللام وبسكونها ﴿على انها ليست لام كى بل هى لام امر الغائب والاصل فيها ان تكون مكسورة ويجوز سكونها بعد الواو والفاء للخفة وذلك فى القرآن كثير نحو وليوفوا نذورهم وليطوفوا وقرأ العامة بكسر اللام وضم التاء وفتح النون على البناء للمفعول ونصب الفعل باضمار ان بعد لام كى وقرئ ولتصنع بالنصب وفتح التاء ﴿قوله﴾ ظرف لألقيت او لتصنع ﴿والمعنى على الاول وألقيت عليك محبة منى وقت مشى اختك وعلى الثانى لتربى ويحسن اليك فى هذا الوقت وكونه ظرفا لتصنع اولى لان تقييد التربية بزمان مشى اخته صحيح لان التربية انما وقعت زمان مشى اخته ورده الى امه بخلاف القاء المحبة عليه فانه وقع قبل ذلك من اول ما التقطه فرعون فلا وجه لكونه ظرفا لألقيت الا باعتبار الاتساع فى زمان المشى ﴿قوله﴾ او بدل من اذ أوحينا ﴿والمعنى ولقد منا عليك مرة اخرى اذ أوحينا الى امك اذ تمشى اختك ﴿قوله﴾ على ان المراد بها وقت متسع ﴿جواب لما يقال كيف يكون اذ تمشى اختك بدلا من اذ أوحينا مع ان احد الزمانين غير متحد مع الآخر صدقا بل هما مختلفان متباعدان وليس احدهما بعضا من الآخر ولا مشتملا عليه ايضا واذا اريد بكلمة اذ وقت يسع كل واحد من الفعلين يتحد الزمانان ولا يختلفان الا باعتبار اختلاف الفعل الواقع فيهما فيصح ابدال احدهما من الآخر ومعنى يكفله يضمه اليه ويحضنه ويربيه وتذكير الضمير فى يكفله للفظ من وان كان عبارة عن المؤنث ولما التقطه آل فرعون وأحبوه وعزموا على تربيته عندهم طلبوا امرأة ترضعه وتربيه فلم يقبل ثدى امرأة منهن لان الله تعالى قد حرم عليه المراضع غير امه وجعل ذلك طريقا لرده الى امه فاضطروا الى الاستقصاء فى تتبع النساء وبذلك فشا الخبر بمصر ان آل فرعون اخذوا غلاما من النيل وانه لا يقبل ثدى كل امرأة يؤدى اليه بها فلما علمت ذلك اخت موسى جاءت اليهم منكرة فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم ﴿قوله﴾ ثم قتله ﴿فانه عليه الصلاة والسلام لما قتل القبطى خطأ بان وكزه اى ضربه بجمع يده على ذقنه حين استغاثه الاسرآئيلى عليه حصل له الغم من وجهين احدهما من عذاب الدنيا وهو اقتصاص فرعون منه على ما حكاه الله تعالى عنه بقوله فأصبح فى المدينة خائفا يترقب والآخر من عقاب الله تعالى حيث قتله لا بامر الله فنجاه الله تعالى من الغمين امامن فرعون فبأن وفقه الله تعالى للهاجرة الى مدين واما من عقاب الآخرة فبأن غفر الله تعالى له باستغفاره حين قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له ﴿قوله﴾ وابتليناك ابتلاء ﴿على ان فتونا مصدر كالعكوف والجلوس جئ به تأكيدا لفعله كأنه قيل وفتناك حقا والفتنة الامتحان والاختبار تقول فتنت الذهب اذا ادخلته النار لتنظر ماجودته كذا فى الصحاح قال صاحب الكواشى وفتناك فتونا اى اختبرناك اختبارا بايقاعك فى المحن وتخليصك منها وقال صاحب الكشاف الفتنة المحنة وكل مايشق على الانسان وكل مايبتلى الله به عباده فتنة قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة سأل سعيد بن جبير ابن عباس عن قوله وفتناك فتونا فقال خلصناك من محنة بعد محنة اوّلها ان امه حملته فى السنة التى كان فرعون يقتل فيها الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير ثم ألقته امه فى البحر وهو فى التابوت ثم منعه الرضاع الا من ثدى امه ثم اخذ بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناول الجمرة بيده بدل الدرة ثم قتل قبطيا وخرج الى مدين هاربا خائفا بلا زاد ولا دليل واجر نفسه عشر سنين مهر الصفورآء ابنة شعيب وضل الطريق وتفرق غنمه فى ليلة مظلمة وكان ابن عباس يقول عند ذكر كل واحدة من هذه المحن فهذه فتنة يا ابن جبير فعلى هذا معنى فتناك خلصناك من تلك المحن كما يفتن الذهب بالنار فيخلص من كل خبث ولا بد فى قوله تعالى وفتناك فتونا من ملاحظة

لان الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد ان يتأول الساحل بجنب فوهة نهره ﴿ولتصنع على عينى﴾ ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وبسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء اى وليكون عملك على عين منى لئلا تخالف به عن امرى ﴿اذ تمشى اختك﴾ ظرف لألقيت او لتصنع او بدل من اذ أوحينا على ان المراد بها وقت متسع ﴿فتقول هل ادلكم على من يكفله﴾ وذلك انه كان لا يقبل ثدى المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم ﴿فجاءت بامه فقبل ثديها ﴿فرجعناك الى امك﴾ وفاء بقولنا انا رادّوه اليك ﴿كى تقر عينها﴾ بلقائك ﴿ولا تحزن﴾ هى بفراقك او انت بفراقها وفقد اشفاقها ﴿وقتلت نفسا﴾ نفس القبطى الذى استغاثه عليه الاسرآئيلى ﴿فنجيناك من الغم﴾ غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين ﴿وفتناك فتونا﴾ وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجور وبدور فى حجرة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله فى سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألاف والمشى راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك اوله ولما سبق ذكره

التخليص من المحنة اما بان يجعل فتناك بمعنى خلصناك من قولهم فتنت الذهب اذا اردت تخليصه اوبان يكون فتناك بمعنى اختبرناك ولم يذكر صلته والتقدير اختبرناك اختبارا بايقاعك فى المحن وتخليصك منها وذلك لانه تعالى قال له عليه الصلاة والسلام ولقد منا عليك مرّة اخرى ثم عدّ المنن وذكر منها قوله وفتناك فتونا والفتنة بمعنى المحنة ليست من قبيل الانعام الا ان يقال انها لكونها موجبة للثواب من قبيل النعم والمصنف جعل قوله تعالى وفتناك فتونا اجمالا لما ناله فى سفر هجرته من مصر الى مدين ثم جوّز ان يكون اجمالا له ولما سبق ذكره من وضع امّه اياه فى التابوت وقذفه فى اليم الى غير ذلك وقدّم الاحتمال الاوّل لان عدّ ما نال الطفل فتنة فى حقه لا يخلو من بعد ﴿قوله قضاء لأوفى الاجلين﴾ اى اللذين خيره شعيب عليهما الصلاة والسلام فى قضاء ايهما شاء مهرا فى تزويج بنته اياه قال تعالى حكاية عنه انى اريد ان انكحك احدى ابنتىّ هاتين على ان تأجرنى ثمانى حجج فان اتممت عشرا فمن عندك فقضى موسى عليه الصلاة والسلام اوفاهما وهذا صريح فى ان موسى لما قضى الاجل المشروط سار باهله الى مصر ولم يمكث فى اهل مدين بعد قضائه ويدل عليه قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل وسار باهله وهو الاجل المشروط عليه فى تزوّجه صفورآء بنت شعيب وروى عن وهب انه قال لبث موسى عند شعيب ثمانى وعشرين سنة منها عشر سنين مهر امرأته والباقى ليستكمل الوقت الذى يوحى فيه الى الانبياء بناء على انه جاء مدين وهو ابن ثلثى عشرة سنة فمكث فيه ثمانى وعشرين سنه ليبلغ سنة اربعين سنة وتقدير الآية وفتناك فتونا فخرجت هاربا الى اهل مدين فلبثت سنين فيهم ثم جئت من عندهم مستقرّا اوكائنا على قدر معين فقوله على قدر متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من فاعل جئت ﴿قوله على قدر﴾ او على مقدار من السنّ ﴿اشارة الى ان قوله على قدر لابدّ فيه من تقدير مضاف اليه لان القدر لا يكون الا لامر من الامور اى على قدرى الذى قدّرته لان اكلمك او على مقدار سنّ فالقدر على الاوّل عبارة عن تعلق الارادة الازلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص بالاشياء فى اوقات حدوثها وتلك الارادة الازلية هى المسماة بالقضاء وعلى الثانى القدر بمعنى المقدار قال عليه الصلاة والسلام ما بعث الله نبيا الا على رأس اربعين سنة ﴿قوله واصطفيتك لمحبتى﴾ اى اخترتك لمحبتى لتتصرف على ارادتى وتشتغل بما امرتك به من اقامة حجتى وتبليغ رسالتى وان تكون فى حركاتك وسكناتك لوجهى لا لنفسك ولا لغيرك والاصطناع افتعال من الصنع بالضم وهو مصدر قولك صنع اليه معروفا واصطناع فلان لفلان اتخاذه صنيعا محسنا اليه بتقريب منزلته وتخصيصه بالتكريم والاجلال عن القفال قال اصطنعتك اصله من قولهم اصطنع فلان فلانا اذا احسن اليه حتى يضاف اليه فيقال هذا صنيع فلان كما يقال هذا جريح فلان ﴿قوله مثله فيما خوّله﴾ اى اعطاه جواب عما يقال كيف قال لنفسى مع انه تعالى غنى عنه فلا يجوز حمل الكلام على ظاهره فلذلك حمله على الاستعارة التمثيلية حيث شبه حال موسى فيما خوّله الله تعالى من التقريب والتكليم والتكريم بحال من قرّبه الملك واستخلصه لنفسه ووجه الشبه منتزع من عدّة امور فكانت الاستعارة تمثيلية ﴿قوله ولا تفترا﴾ يعنى ان ونى يني ونيا مثل وعد يعد وعدا بمعنى فتر يفتر فتورا والحكمة فى هذا التكليف ان من ذكر جلال الله تعالى وعظمته استحقر غيره فلا يخاف احدا غيره ويتقوّى روحه بذلك الذكر فلا يضعف فى مقصود ﴿قوله وقيل فى تبليغ ذكرى﴾ على ان يكون المراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع فى كل العبادات وتبليغ الرسالة من اعظمها قدرا فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر روى انه تعالى لما نادى موسى عليه الصلاة والسلام بالوادى المقدّس واعطاه سؤله وارسله الى فرعون انطلق من ذلك الموضع الى فرعون وشيعته الملائكة يصافحونه وخلف اهله فى الموضع الذى تركهم فيه فلم يزالوا مقيمين به حتى مرّ بهم راع من اهل مدين فعرفهم فحملهم الى شعيب فمكثوا عنده حتى بلغهم خبر موسى بعدما جاوز ببنى اسرآئيل البحر وغرق فرعون وقومه فبعث بهم شعيب الى موسى بمصر ولما انطلق موسى من الطور الى جانب مصر كان لا علم له بالطريق وليس له زاد ولا حولة ولا صحبه شئ الا العصا يظل صائما ويبيت طاويا يصيب من ثمار الارض ومن الصيد شيأ قليلا حتى ورد ارض مصر الى تمام الامر ﴿قوله قيل اوحى الى هرون﴾ جواب عما يقال كيف اجتمع مع هرون حتى يخاطبا بقوله اذهبا الى فرعون روى انه تعالى اوحى الى هرون انه قد استنبأ موسى وارسله الى فرعون وقومه وانه جعلك وزيرا وشريكا له فى رسالته فاذا كان يوم السبت لغرة ذى الحجة فاخرج قبل طلوع الشمس الى شط النيل فانها الساعة التى تلتقى انت واخوك فيها فأقبل موسى فى ذلك الوقت وخرج هرون من عسكر بنى اسرآئيل حتى التقيا على شط

(فلبثت سنين فى اهل مدين) لبث فيهم عشر سنين قضاء لأوفى الاجلين ومدين على ثمانى مراحل من مصر (ثم جئت على قدر) قدّرته لان اكلمك وأستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر او على مقدار من السنّ يوحى فيه الى الانبياء (يا موسى) كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك (واصطنعتك لنفسى) واصطفيتك لمحبتى مثله فيما خوّله من الكرامة بمن قرّبه الملك واستخلصه لنفسه (اذهب انت واخوك بآياتى) بمعجزاتى (ولا تنيا) ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء (فى ذكرى) لا تنسيانى حيثما تقلبتما وقيل فى تبليغ ذكرى والدعاء الىّ (اذهبا الى فرعون انه طغى) امر به اوّلا موسى وحده وههنا اياه واخاه فلا تكرير قيل اوحى الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله

النيل ﴿ قوله وقيل عداه ﴾ هو تثنية امرأ الحاضر من وعد يعد يعنى قيل المراد بالقول اللين ان موسى اتاه ووعده على قبول الايمان شبابا لايهرم وملكا لاينزع منه الا بالموت وان تبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فأعجبه ذلك وكان لايقطع امرا دون هامان وكان غائبا حينئذ فلما قدم اخبره بالذى دعاه اليه موسى وقال اردت ان اقبل منه فقال له هامان كنت ارى لك عقلا ورأيا انت رب وتريد ان تكون مربو باوانت تعبد وتريد ان تعبد فقلبه عن رأيه وحكى عن عمرو بن دينار انه قال بلغنى ان فرعون عمر اربعمائة سنة وتسع سنين فقال له موسى ان اطعتنى عمرت مثل ماعمرت فاذا مت دخلت الجنة ﴿ قوله على رجائكما وطمعكما ﴾ يعنى لعل للترجى الا انه بالنسبة الى المرسل وهو موسى وهرون اى اذهبا وقولا مترجيين وطامعين فلاحه دون اليأس منه ويستحيل ان يكون ذلك الترجى بالنسبة الى الله تعالى اذهو عالم بعواقب الامور ﴿ قوله فان الراجى مجتهد ﴾ علة لكون الذهاب والقول اللين مقيدين بكونهما فى حال الرجاء دون اليأس يعنى انهما تكلفا بالتبليغ على هذا الوجه لانه ابلغ لهما فى دعائه الى الحق فان الرسل انما يبعثون لان يدعوا وهم يرجون ويطمعون ان يقبل منهم ﴿ قوله والتذكير للتحقق ﴾ اى لتيقن بالحق * الجوهرى حققت الامر واحققته ايضا اذا تحققته وصرت منه على يقين وحققت قوله وظنه تحقيقا اى صدقت والمعنى قولا له ذلك راجيين ان يترك الاصرار على انكار الحق وتكذيبه اما بان يتذكر اى يتعظ ويقبل الحق قلبا وقالبا او بان يتوهم انه حق فيخشى بذلك من ان يصر على الانكار ويبقى متردّدا ومتوقفا بين الامرين وذلك خير بالنسبة الى الانكار والاصرار عليه ﴿ قوله ان يعجل علينا بالعقوبة ولايصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة ﴾ فيتعطل المطلوب من الارسال اليه * فان قيل كيف يخاف موسى وقد آتاه الله تعالى سؤله وشرح صدره وشرح الصدر بنا فى حصول الخوف * قلنا لانسلم ذلك لانه قد مرّ ان السؤال ان يوسع الله قلبه ليتحمل أعباء دعوة فرعون الى عبادة الله تعالى وللصبر على مشاقه ولتلقى مايوحى اليه على وجه لايتطرّق اليه السهو والتحريف وحصول شرح بهذا المعنى لاينافى حصول الخوف من استعجال فرعون فى عقوبتهما قبل اتمام الدعوة واظهار المعجزة وان تفوت الفائدة المطلوبة من ارسالهما اليه من الزام الحجة وقطع المعذرة ونحو ذلك ﴿ قوله واطلاقه ﴾ اى عدم تقييد قوله او ان يطغى بذكر متعلقه بان يقال او ان يطغى عليك كما ذكر متعلق يفرط وهو علينا فى قوله ان يفرط علينا لان تجريده عن القيد من حسن الادب والتحاشى عن النطق بالقبيح فان المعنى او ان يطغى بالتخطى الى ان يقول فيك مالا ينبغى لجرأته عليك ﴿ قوله تعالى لاتخافا ﴾ ليس المراد منه النهى عن الخوف لانه من حيث كونه امرا طبيعيا لامدخل للاختيار فيه لايدخل تحت التكليف ثبوتا وانتفاء بل المراد التسلى بوعد الحفظ والنصرة فانه ليس المراد من المعية المعية المكانية بل المراد منها مايلزمها من الحفظ والنصرة كانه قيل انى حافظكما وناصركما ﴿ قوله أسمع وارى مايجرى بينكما وبينه ﴾ يعنى ان قوله تعالى اسمع وأرى فعلان متعدّيان لم يذكر مفعولهما وليسا منزلين منزلة اللازم بل قصد تعلقهما بالمفعول الغير المذكور فوجب تقديره على حسب تعيين القرينة ان عاما فعامّ وان خاصا فخاص والقرينة تقتضى تقدير العام اى أسمع وارى جميع مايجرى بينكما وبينه من قول وفعل الخ وذلك لان قوله تعالى اسمع وارى ذكر تأكيدا لقوله انى معكما اخبرا وّلا بانه حافظهما وناصرهما ثم اخبر بانه يسمع ويرى للدلالة على انه يفعل بهما مايوجب حفظهما ونصرتهما على اتم الوجوه واكملها والحفظ والنصرة انما يتمان ويكملان اذا كان الحافظ والناصر عالما بجميع ماينال من اراد حفظه وهذا يقتضى ان يقدّر المفعول عامّا بان يقال اسمع وارى جميع مايجرى بينكما وبينه ليتم الحفظ ويكمل ويزول خوفهما بالكلية فحذف المفعول قصدا للتعميم مع الاختصار ﴿ قوله ويجوز ان لايقدّر شئ ﴾ بان ينزل الفعلان منزلة اللازم ولايقصد تعلقهما بالمفعول فضلا عن عمومه وخصوصه وان يكون القصد الى شأن الحفظ والنصرة والى مايتأتيان بسببه من السمع والبصر مع قطع النظر عن تعلقهما بالمسموع والمبصر لانهما انما ذكرا تتميما لقوله انى معكما لكونهما مما يتم به الحفظ والنصرة ولامدخل فى ذلك الاعتبار لتعلقهما بالمفعول والتتميم ان يؤتى فى كلام لايوهم خلاف المقصود بفضلة مثل مفعول او حال او نحوهما مما ليس بجملة مستقلة ولاركن كلام لنكتة وهى التفصيل فى الكلام وان اوتى بها فى كلام يوهم خلاف المقصود ليدفع ذلك الايهام سمى اتيانها تكميلا كقوله

* فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى *

﴿ فقولا له قولا لينا ﴾ مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة فى صورة عرض ومشورة حذرا ان يحمله الحماقة على ان يسطو عليكما او احترا ما لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرّة وقيل عداه شبابا لايهرم بعده وملكا لايزول الا بالموت ﴿ لعله يتذكر او يخشى ﴾ متعلق باذهبا او قولا اى باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه ثمر ولايخيب سعيكما فان الراجى مجتهد والآيس متكلف والفائدة فى ارسالهما والمبالغة عليهما فى الاجتهاد مع علمه بانه لايؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ماحدث فى تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للتحقق والخشية للتوهم ولذلك قدّم الاوّل اى ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى ﴿ قالا ربنا انا نخاف ان يفرط علينا ﴾ ان يعجل علينا بالعقوبة ولايصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدّم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطه اذا حملته على العجلة اى نخاف ان يحمله حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسى او جنى على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط فى الاذية ﴿ او ان يطغى ﴾ ان يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك مالا ينبغى لجرأته وقساوته واطلاقه من حسن الادب ﴿ قال لاتخافا انني معكما ﴾ بالحفظ والنصرة ﴿ اسمع وارى ﴾ مايجرى بينكما وبينه من قول وفعل فأحدث فى كل حال مايصرف شرّه عنكما ويوجب نصرتى لكما ويجوز ان لايقدّر شئ على معنى انى حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ

اى تسيل والديمة المطر الذى يدوم يوما وليلة فان قوله غير مفسدها منصوب على انه حال من فاعل سق وهو صوب الربع اى مطره جئ بها ليدفع مايوهمه قوله فسق ديارك امطار الربيع والديم من كونها مخربة للديار فان المطر قد يؤول الى خرابها وعلى هذا الوجه يكون قوله اسمع وارى حالين من المستكن فى قوله تعالى معكما فلذلك قال على معنى انى حافظكما سامعا مبصرا ﴿ قوله من دعوى الرسالة ﴾ بيان للكلام السابق والمراد بما تضمنه الكلام السابق هو المجئ بالآية فان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التى هى اظهار المعجزة وكانت دعوى الرسالة متضمنة لدعوى بينتها ﴿ قوله لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها ﴾ يعنى ان المراد بقوله بآية جنس مايكون برهانا لدعوى الرسالة مع قطع النظر عن وحدته وتعدده فلذلك وحدها وقوله سلام الملائكة جعل السلام بمعنى التحية من الملائكة وخزنة الجنة للمهتدين فيكون المقصود من الكلام ترغيب المخاطبين فى الاهتداء بتصديق الرسول واتباع ماجاء به من التكاليف والاحكام وبشارة المهتدين بكونهم من اهل الجنة ثم جوز ان يكون السلام بمعنى السلامة كالرضاع والرضاعة قال بعض المفسرين قوله والسلام على من اتبع الهدى قول الله تعالى لهما كأنه قال فقولا له انا رسولا ربك وقولا له السلام على من اتبع الهدى وقال آخرون بل كلام الله تعالى تم عند قوله قد جئناك بآية من ربك وقوله بعد ذلك والسلام على من اتبع الهدى وعد من قبلهما لمن آمن وصدق بالسلامة له من عقوبات الدنيا والآخرة فتكون الجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ويكون على بمعنى اللام اى والسلام لمن اتبع الهدى كما ان اللام تكون بمعنى على كما فى قوله تعالى ولهم اللعنة ولهم سوء الدار اى عليهم اللعنة وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها ويكون قوله انا قد اوحى الينا استئنافا للتعليل كأنه قيل السلامة من العذاب للمهتدين لانه اوحى الينا ان العذاب على المكذبين للرسل ﴿ قوله ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل ﴾ يعنى ان تعريف العذاب فى قوله تعالى ان العذاب للعهد والمعهود هو العذاب المختص بالمشركين وهو عذاب الخلد فى النار ومايوجد فى اكثر النسخ وهو ان عذاب المنزلين اى القبر والنار لايليق ان ينسب الى المصنف ﴿ قوله ولعل تغيير النظم ﴾ يعنى هذه الجملة ذكرت فى مقابلة قوله والسلام على من اتبع الهدى وكان الظاهر ان تذكر على اسلوب تلك الجملة بان يقال والعذاب على من كذب وتولى بل بأن يقال وعدم السلام عليه لانه هو المقابل للسلامة لكنه صرح بالوعيد وصدرت الجملة بان وجعل مضمون الجملة مما اوحى اليهما لكون التخلية عن الرذائل فى اوّل الامر أهم بالنسبة الى التحلية بالفضائل كما ان همة من يعالج البدن مصروفة فى اوّل الامر الى تنقية البدن من فضول الاخلاط ثم الى تقويته بالاغذية الصالحة وهكذا الحال فيمن يعالج النفوس فان اللائق لشأنه الاهتمام بالتخلية اوّلا ﴿ قوله اعطى كل شئ من الانواع ﴾ على ان كل شئ مفعول اوّل لأعطى وخلقه بمعنى مخلوقه ثانيهما وضمير خلقه لكل شئ والمعنى اعطى كل شئ من انواع المخلوقات مخلوقة الذى هو صورته وشكله المطابق للكمال المودع فيه فالمراد بمخلوق كل شئ المخلوق الذى يختص بذلك الشئ ويناسبه ويليق به ويتم به الغرض الذى خلق لاجله يدل عليه اضافة الخلق الى الشئ ﴿ قوله او اعطى خليقته ﴾ على ان خلقه اوّل المفعولين وكل شئ ثانيهما قدّم على الاوّل لان الغرض منوط بذكر اعطاء كل شئ فلذلك صار المفعول الثانى اهمّ فقدّم على الاوّل والخليقة الخلائق يقال هم خليقة الله وهم خلق الله ايضا فالخلق ايضا بمعنى المخلوق الا ان ضمير خلقه يرجع الى الذى وهو الرب تعالى وحينئذ يجب ان يختص كل شئ بما يحتاج اليه المخلوقات وينتفعون به فان الارتفاق هو الانتفاع ﴿ قوله وقيل اعطى كل حيوان نظيره ﴾ على ان كل شئ مفعول اوّل الا انه خص بالحيوان وخلقه بمعنى مخلوقه هو الثانى وضميره لكل شئ ويراد بمخلوق كل حيوان زوجه ومعنى الاختصاص المستفاد من الاضافة كونه نظيرا له فى الخلقة ﴿ قوله وقرئ خلقه ﴾ اى بفتح اللام فعلا ماضيا وهذه الجملة يحتمل ان تكون فى محل النصب على انها صفة كل او فى محل الجرّ على انها صفة شئ وعلى هذه القراءة يكون المفعول الثانى محذوفا اما على وجه الاختصار اعتمادا على دلالة المقام عليه والمعنى اعطى كل شئ خلقه مايحتاج اليه واما على وجه الاقتصار والمعنى ان كل شئ خلقه الله لم يخله من اعطائه وانعامه واقتصر الامام الواحدى فى البسيط على هذا الوجه ولم يتعرّض للاوّل كما اقتصر المصنف على الاوّل ولم يتعرّض للثانى ﴿ قوله ولذلك بهت الذى كفر ﴾ لاتفاق العقلاء على ان العاقل لايجوز ان يعتقد فى نفسه انه خالق هذه السموات والارضين والشمس والقمر وانه خالق نفسه لانه يعلم بالضرورة عجزه عنها ويعلم بالضرورة انها كانت موجودة قبله فلذلك الخصم فرعون ولم يتأت له ان يتعرّض للدليل الذى اقامه

القبط يستخدمونهم ويتعبونهم فى العمل ويقتلون ذكور أولادهم فى عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهمّ من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج فى الدعوة ﴿ قد جئناك بآية من ربك ﴾ جملة مقرّرة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الآية وكان معه آيتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها الا الاشارة الى وحدة الحجة وتعدّدها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فائت بآية او لو جئتك بشئ مبين ﴿ والسلام على من اتبع الهدى ﴾ سلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة فى الدارين لهم ﴿ انا قد اوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى ﴾ ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد فى اوّل الامر أهمّ وانجع وبالواقع أليق ﴿ قال فمن ربكما ياموسى ﴾ اى بعدما أتياه وقالا له ما امرا به ولعله حذف لدلالة الحال عليه فان المطيع اذا امر بشئ فعله لامحالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد أن يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين ﴿ قال ربنا الذى اعطى كل شئ ﴾ من الانواع ﴿ خلقه ﴾ صورته وشكله الذى يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به وقدّم المفعول الثانى لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثانى محذوفا اى اعطى كل مخلوق مايصلحه ﴿ ثم هدى ﴾ ثم عرّفه كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب فى غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات بأسرها على مراتبها ودلالته على ان الغنى القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ماعداه مفتقر اليه منعم عليه فى حدّ ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذى كفر وأفحم عن الدخل عليه فلم يرا لاصرف الكلام عنه

موسى عليه الصلاة والسلام على وجود الصانع القادر على كل شئ ويدل على كون هذه القضية مسلمة معلومة بالضرورة قول موسى ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى فان كلمة الذى تقتضى وصف المعرفة بجملة معلومة الانتساب اليها فلابدّ وان يكون مضمون الصلة معلوما مسلما عند فرعون الا انه كان يظهر الانكار تكبرا وزورا وبهتانا ويحتمل ان يكون جاهلا به بناء على كونه دهريا قائلا لا صانع سوى الدهر اصلا ويكون ادّعاؤه الربوبية لنفسه بمعنى انه يجب عليهم طاعته والانقياد له والاعراض عن طاعة غيره ثم ان موسى لما ذكر دليلا ظاهرا وبرهانا باهرا على وجود الآله العليم القادر على كل شئ والخم فرعون عن الدخل عليه قال معترضا على موسى فمابال القرون الاولى كقوم نوح وعاد وثمود فان اكثرهم لم يقرّوا بالله وبما دعوا اليه وانما عبدوا الاوثان فلو كان ماذكرته من الدليل حقا لوجب على اهل القرون الماضية ان لا يغفلوا عنه فعارض الحجة بالتقليد وقال معترضا على موسى هكذا وهو اعتراض فاسد مبنى على التقليد المحض غير مستند الى حجة ودليل فلذلك لم يلتفت موسى الى قوله وقال علمها عند ربى ولم يتعلق غرضى باحوالهم ثم عاد الى تقوية كلامه الاوّل وابراز سائر الدلائل فقال الذى جعل لكم الارض الآية ﴿قوله علمها عند ربى﴾ جملة اسمية وقوله فى كتاب متعلق بمحذوف على انه خبر ثان اى علمها مستقرّ عند ربى مثبت فى اللوح المحفوظ اثبته فيه ليكون ما كتب فيه ظاهرا للملائكة فيكون ذلك زيادة لهم فى الاستدلال على انه تعالى عالم بكل المعلومات منزّه عن السهو والغفلة * فان قيل علم الله تعالى صفة قائمة بذاته فكيف يكون مثبتا فى كتاب والصفة القائمة بالشئ لا تكون مثبتة فى غيره * فالجواب ان المراد باثباته اثبات متعلقاته التى هى الاحكام المعلومة به واشار المصنف الى جوابه بقوله ويجوز ان يكون تمثيلا اى يجوز ان لا يكون المعنى ان علمها مثبت فى الكتاب حقيقة بل يكون قوله انه مثبت فى الكتاب استعارة تمثيلية شبه تمكن بال القرون الماضية فى علمه ببقاء المكتوب فى الكتاب فكأنه قيل ان بالها فى استقرار علمه عند الله بحيث لا يزول شئ منها عن علمه تعالى كالشئ الذى استحفظه العالم وقيده بالكتبة فيكون المقصود بقوله فى كتاب تأكيد قوله علمها عند ربى ﴿قوله ويؤيده لا يضل ربى ولا ينسى﴾ فان الظاهر انه استئناف لا محل له من الاعراب جيئ به تعليلا لما سبق من استقرار حال القرون الاولى عنده تعالى استقرار الشئ المكتوب فى الكتاب ووجه التعليل انه عليه الصلاة والسلام لم يذكر مفعول لا يضل ولا ينسى ليعم الاشياء كلها فلما كان تعالى بحيث لا يضل ولا يخطئ شيأ من الاشياء بحيث لا يهتدى اليه بل كانت بأسرها حاضرة عنده بذواتها لا يغيب عنه شئ منها وماعلم من ذلك لا ينساه ابدا ثبت بذلك ان علم احوال القرون الاولى مستقرّ عنده كأنه فى كتاب فيكون انتظام الكلام هكذا ان فرعون طلب بقوله فمابال القرون الاولى تفصيل ماسبق من قوله والسلام على من اتبع الهدى وان العذاب على من كذب وتولى فأجابه موسى بقوله علمها عند ربى وانها مع ذلك مثبتة فى اللوح المحفوظ ايضا لحكمة لا يعلمها الا هو او بقوله علمها عند ربى كأنها فى كتاب ثم علل احاطة علمه تعالى بها بقوله لا يضل ربى اى لا يخطئ ربى شيأ من الاشياء بمعنى انه عالم بكل المعلومات وماعلم منها لم ينسه ابدا بل يبقى ذلك العلم ابد الآباد وهذا على تقدير كون قوله لا يضل ربى ولا ينسى مستأنفا لا محل له من الاعراب ويحتمل ان يكون فى محل الجرّ على انه صفة لكتاب والعائد محذوف والتقدير فى كتاب لا يضله ربى بحيث لا يهتدى اليه اى لا يخطئ ذلك الكتاب ربى ولا ينساه اى لا ينسى ما فيه يقال ضللت الشئ اضله من باب ضرب وضللت الشئ اضله من باب علم وكلاهما لغتان مشهورتان واللغة الاولى اشهر ﴿قوله ويجوز ان يكون سؤاله دخلا﴾ عطف على قوله فلم يرالاصرف الكلام عنه اى عن السؤال عن ربهما من هو الى ان يسأل عن تفصيل حال الامم الماضية فانه لما سأل عن الآله بقوله فمن ربكما وكان سبيل الجواب عنه الاستدلال على وجوده بما يدل عليه من الآثار التى لا يقدر عليها الا من كان واجب الوجود لذاته مستجمعا لجميع صفات الاجلال والاكرام منزها عن سمات الحدوث والامكان واجاب عليه الصلاة والسلام بالاستدلال عليه بهت الكافر والخم عن الدخل على ما اقامه من الدليل وصرف الكلام الى وجه آخر على كونه مفحما غير قادر على الدخل وقيل مابال القرون الاولى ليس مبنيا على كونه مفحما عن الدخل بل اورده على طريق الدخل على قوله عليه الصلاة والسلام ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وتقرير الدخل ظاهر من تقرير المصنف ﴿قوله اى كالمهد تمهدونها﴾ التعريف فيه للعهد الذهنى فلذلك وصف بالجملة كما فى قوله * ولقد أمرّ على اللئيم يسبنى * وصفه بها تنبيها على ان المهد وان كان بمعنى الممهود وهو المفروش المبسوط الا

﴿قال فمابال القرون الاولى﴾ فحالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة ﴿قال علمها عند ربى﴾ اى انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرنى به ﴿فى كتاب﴾ مثبت فى اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه فى علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده ﴿لا يضل ربى ولا ينسى﴾ والضلال ان تخطئ الشئ فى مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعى علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادى مدّتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم وباحوالهم فيكون معنى الجواب انّ علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى ﴿الذى جعل لكم الارض مهدا﴾ مرفوع صفة لربى او خبر لمحذوف او منصوب على المدح قرأ الكوفيون مهدا اى كالمهد تمهدونها وهو مصدر سمى به والباقون مهادا وهو اسم مايمهد كالفراش او جمع مهد

﴿ وسلك لكم فيها سبلا ﴾ وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والأودية والبرارى تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها ﴿ وانزل من السماء ماء ﴾ مطرا ﴿ فاخرجنا به ﴾ عدل به من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور مافيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أمّن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ﴿ ازواجا ﴾ اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض ﴿ من نبات ﴾ بيان وصفة لازواجا وكذلك ﴿ شتى ﴾ ويحتمل ان يكون صفة لنبات فانه من حيث انه مصدر فى الاصل يستوى فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اى متفرّقات فى الصور والاغراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال ﴿ كلوا وارعوا انعامكم ﴾ وهو حال من ضمير فأخرجنا على ارادة القول اى فاخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معدّيها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه ﴿ انّ فى ذلك لآيات لاولى النهى ﴾ لذوى العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية ﴿ منها خلقناكم ﴾ فان التراب اصل خلقة اوّل آبائكم واوّل موادّ ابدانكم ﴿ وفيها نعيدكم ﴾ بالموت وتفكيك الاجزآء ﴿ ومنها نخرجكم تارة اخرى ﴾ بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة وردّ الارواح اليها ﴿ ولقد أريناه آياتنا ﴾ بصرناه اياها او عرّفناه صحتها ﴿ كلها ﴾ تأكيد لشمول الانواع او لشمول الافراط على ان المراد بآياتنا آيات معهودة هى الآيات التسع المختصة بموسى اوانه عليه السلام اراه آياته وعدّد عليه ماأوتى غيره من المعجزات

انه مخصوص بما بسطه العباد ليقعدوا او يناموا عليه فلذلك كان قوله جعل لكم الارض مهدا من باب التشبيه البليغ والمهد والمهاد واحد من حيث ان المراد بكل واحد منهما مايمهد ويفرش ولافرق بينهما الا بان المهد فى الاصل مصدر بمعنى الفرش والبسط سمى به الممهود والمهاد اسم فى الاصل ويجوز ان يكون جمع مهد مثل كعب وكعاب وفرخ وفراخ ﴿ قوله وجعل لكم فيها ﴾ فان السلك ادخال الشئ فى الشئ فالمعنى ادخل فى الارض لاجلكم طرقا تسلكونها لتبلغوا الى مقاصدكم ﴿ قوله عدل به من لفظ الغيبة ﴾ يعنى ان قوله فأخرجنا به من كلام موسى لكونه معطوفا على ماقبله بالفاء وماقبله من كلام موسى عليه الصلاة والسلام فيجب ان يكون ماعطف عليه من كلامه فلما كان من كلامه كان ينبغى ان يكون جاريا على اسلوب ماقبله بأن يقال فأخرج به الا انه عدل به من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم بناء على ان موسى سمع هذه الكلمات من الله تعالى بعينها فأدرجها فى كلامه فحكاها كما هى على طريق الاقتباس ونكتة العدول عن مقتضى الظاهر الى طريق حكاية كلام الله بعينه كون هذا العدول ادل على كمال القدرة والحكمة بالنسبة الى ان يقال فأخرج به وايضا لما كان هذا العدول مشتملا على وضع ضمير الجمع موضع المفرد كما هو عادة الملوك فى التعبير عن انفسهم وعلى وصف النبات الخارج به بالاختلاف والتشتت دل الكلام على انه ملك مطاع تنقاد المخلوقات على اختلافها وتفرّقها لارادته ولما عدل موسى الى طريق الحكاية لكلام الله تعالى حكى الله تعالى كلامه لنبيه صلى الله عليه وسلم على الوجه الذى ورد من موسى ﴿ قوله وعلى هذا نظائره ﴾ اى وعلى كون العدول من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم للتنبيه والايذان المذكورين قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها وقوله فأنبتنا به حدائق بلفظ التكلم بعد التعبير بلفظ الغيبة وان لم يكن العدول الى التكلم فيها على وجه الحكاية لكلام الله والوجه فى كون العدول الى التكلم فى مثل هذا المقام دالا على كمال القدرة والحكمة ان من اشتهر بالقدرة الفائقة والحذاقة الظاهرة اذا قال من يفعل كذا يفهم منه ان اثر القدرة الباهرة لايقدر عليه غير المتكلم والامر كذلك ههنا فان الماء واحد والارض واحدة والمخرج مختلف ألوانها فلا يكون ذلك الا بايجاد قادر مختار لايمتنع شئ من ارادته ومشيئته ﴿ قوله فانه من حيث انه مصدر ﴾ جواب مايقال شتى جمع شتيت فكيف يصح ان يكون صفة للنبات * وتقرير الجواب ان النبت والنبات وان سمى بكل واحد منهما النابت الا ان كل واحد منهما مصدر فى الاصل الخ ﴿ قوله لذوى العقول ﴾ اشارة الى ان النهى جمع نهية كغرفة وغرف وفى الصحاح النهية بالضم واحدة النهى وهى العقول لانها تنهى عن القبيح ﴿ قوله واوّل موادّ ابدانكم ﴾ فان بنى آدم انما يتولدون من النطفة ودم الطمث وهما يتولدان من الاغذية والغذاء اما حيوانى اونباتى والحيوان ينتهى الى النبات والنبات انما يحدث من امتزاج الماء والتراب فصح انه تعالى خلقنا منها وذلك لاينافى كوننا مخلوقين من النطفة ﴿ قوله بصرناه اياها او عرّفناه صحتها ﴾ يعنى يجوز ان يكون اريناه من الرؤية بمعنى الابصار وان يكون من الرؤية بمعنى المعرفة وعلى التقديرين اذا نقل الى باب الافعال يتعدّى الى مفعولين لكن التزم على الوجه الثانى حذف المضاف حيث قال عرّفناه صحتها اى اوضحنا له وجه الدلالة فيها ولا ضرورة الى ارتكاب الحذف اذ لو قيل عرفناه آياتنا لاستقام المعنى ولا يجوز ان يكون اريناه من الرؤية بمعنى العلم والا لزم حذف المفعول الثالث من باب اعلمت وهو غير جائز والآيات تتناول مايدل على الوحدانية ومايدل على النبوّة فالذى يدل على التوحيد ماذكر فى هذه السورة من قوله ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقوله الذى جعل لكم الارض مهدا الى قوله فى سورة الشعرآء قال فرعون ومارب العالمين قال رب السموات والارض ومابينهما والذى يدل على صدق مدّعى النبوّة هى الآيات التسع المختصة بموسى عليه الصلاة والسلام وهى العصا واليد وفلق البحر والحجر والقمل والجرّاد والضفادع والدم ونتق الجبل واضاف تعالى اراءة الآيات الى نفسه مع ان المظهر لها هو موسى بناء على انه تعالى هو الذى اجراها على يده كما اضاف نفخ الروح الى نفسه حيث قال فنفخنا فيه من روحنا مع ان النفخ كان من جبريل عليه السلام ﴿ قوله كلها تأكيد لشمول الانواع ﴾ فان الجمع المضاف يفيد الشمول والاستغراق وكلها تأكيد لذلك الشمول والآيات انواع منها ايجاد المعدوم كايجاد الضوء من اليد ومنها اعدام الموجود كاعدام حبال السحرة ومنها تغيير الموجود كقلب العصا حية واعادتها عصا * ولما ورد ان يقال ان قوله كلها يفيد العموم والله تعالى ماأراه جميع الآيات لان من الآيات ماأظهرها على يد الانبياء الذين كانوا قبل موسى والذين كانوا بعده * اجاب عنه اوّلا بان التعريف الحاصل باضافة الآيات للعهد والمعهود الآيات التسع المختصة بموسى

عليه الصلاة والسلام فتكون كلها لشمول تلك الآيات وثانيا بانه عليه الصلاة والسلام اراه الآيات المختصة به واخبره بآيات غيره من الانبياء اجمالا وتفصيلا وما اخبر به فكأنه اراه لانه نبيّ صادق لافرق بين ما يخبر عنه وبين ما يراه عيانا وفيه بعد لان الاخبار بالشيء لايسمى ارآءة الا بمجاز بعيد الا ان تجعل الارآءة بمعنى التقريب ﴿قوله﴾ فكذب موسى وابى الايمان والطاعة ﴿ حذف مفعول كل واحد من كذب وابى اختصارا لكونه معلوما بدلالة المقام عليه ﴿قوله﴾ فان الاخلاف لايلائم الزمان ﴿ علة لتفسير الموعد بالمصدر يعنى ان الموعد اما زمان او مكان او مصدر والاوّلان باطلان فتعين الثالث اما بطلانهما فلان قوله لانخلفه صفة لموعدا فلو كان اسم زمان او مكان للزم ان يتعلق الاخلاف بالزمان او المكان والاخلاف انما يتعلق بالوعد لابالزمان والمكان يقال اخلف وعده ولايقال اخلف زمانه او مكانه واجعل ههنا بمعنى التصيير وموعدا مفعول اوّل والظرف هو الثانى والجملة التى هى لانخلفه نحن ولا انت صفة لموعد او نحن تأكيد صحيح للعطف على الضمير المرفوع المستتر فى نخلفه ومكانا منصوب بفعل دل عليه المصدر كانه قيل اجعل بيننا وبينك وعدا ثم قيل عدنا مكانه ﴿قوله لابه﴾ اى لايجوز انتصاب مكانا بنفس المصدر لانه وصف قبل العمل بقوله لانخلفه والمصدر اذا وصف قبل العمل لايعمل عند الجمهور لان معمول المصدر من تمّته ولا يوصف الشيء الا بعد تمامه ﴿قوله﴾ وعلى هذا ﴿اى على تقدير ان ينتصب مكانا سوى بكونه بدلا من موعدا بان يقدّر مكان مضاف الى موعدا يكون سؤال فرعون بقوله اجعل بيننا وبينك موعدا طباق جواب موسى بقوله موعدكم يوم الزينة * ولما وردان يقال انه ليس بمطابق لمسئول فرعون لان الموعد المذكور فى الجواب بمعنى زمان الوعد والا لما صح ان يخبر عنه بقوله يوم الزينة فقوله زمان وعدكم يوم الزينة كيف يطابق قول فرعون اجعل بيننا وبينك مكان وعد * ذكر المصنف فى وجه صحة المطابقة احتمالين الاوّل ان الجواب وان لم يطابق السؤال لفظا الا انه يطابقه من حيث المعنى لانه عليه الصلاة والسلام لما اجابه بتعيين زمان الوعد بانه يوم الزينة فقد اجابه بتعيين مكانه ايضا لانهم لابدّ لهم ان يجتمعوا يوم الزينة فى مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه فى ذلك اليوم فالجواب بتعيين زمان الوعد بيان لمكانه ايضا كما اذا قلت لصاحبك ابن اراك فقال يوم عرفة فقد اجابك بتعيين مكان الرؤية من حيث المعنى فكانه قال ترانى فى عرفات والاحتمال الثانى ان يقدّر مضاف فى الجواب كما يقدّر فى السؤال فكانّ فرعون لما قال اجعل بيننا مكان موعد اجاب بقوله مكان موعدكم مكان يوم الزينة وقدّر المكان فى الخبر ايضا ليصح الاخبار عن مكان الوعد بانه يوم الزينة ﴿قوله﴾ كما هو على الاوّل ﴿ اى كما ان انطباق الجواب على تقدير الاوّل باضمار والمراد بالوجه الاوّل ان يراد بقوله اجعل موعدا المصدر ولايقدّر مكان مضاف بل ينتصب مكانا سوى بفعل دل عليه موعدا اى عدنا مكانا سوى فيكون مسئول فرعون على هذا الوجه ايضا مكان الوعد وايضا فجواب موسى بقوله موعدكم يوم الزينة لاينطبق على مسئوله الا باعتبار الاضمار ثم ان نظر الى قول فرعون عدنا مكانا فالطباق بان يقدّر مكان موعدكم مكان يوم الزينة وان نظر الى قوله فاجعل بيننا وبينك موعدا فالطباق بان يقدّر وعدكم وعد يوم الزينة وهذا اولى فليتأمل ﴿قوله﴾ وهو ظاهر فى ان المراد بهما المصدر ﴿ اذ لو كان الموعد زمانا او مكانا لكان المعنى زمان وعدكم او مكانه واقع يوم الزينة فيلزم حصول الزمان او المكان فى الزمان وهو محال فتعين انه مصدر وحينئذ لابدّ من ان يقدّر المضاف قبل موعدكم اذ ليس المراد ان نفس وعدكم واقع يوم الزينة لانه واقع قبل ذلك بل المراد ان انجاز موعدكم واقع يوم الزينة فيكون الجواب بالزمان والمطابقة من حيث المعنى لان المسئول عنه تعيين المكان من حيث انّ قوله مكانا سوى منصوب بالفعل المدلول عليه بالمصدر ﴿قوله﴾ وهو فى النعت ﴿ وفى الصحاح العدى بكسر العين الاعداء وهو جمع لانظير له قال ابن السكيت ولم يأت فعل فى المنعوت الا حرف واحد يقال هؤلاء قوم عدى وقوم عدى اى اعداء مثل سوى وسوى بكسر العين وضمها ﴿قوله﴾ عطف على اليوم او على الزينة ﴿ فعلى الاوّل يكون فى محل الرفع ويكون التقدير موعدكم يوم كذا او موعدكم ان يحشر الناس اى حشرهم وعلى الثانى يكون فى محل الجرّ اى موعدكم يوم الزينة ويوم ان يحشر الناس اى حشرهم وضحى منصوب على انه ظرف يحشر ﴿قوله﴾ تعالى فتولى فرعون ﴿ اى اعرض عن قبول الحق وقيل ترك ما كان فيه من الشئون الاهذا الامر ويجوز ان يكون المعنى رجع عن المكان الذى وقع فيه المواعدة ﴿قوله﴾ بأن تدعوا ﴿ اى تسموا آياته ومعجزاته سحرا فان من سماها سحرا فقد جعل الله تعالى ساحرا فيكون هذا افتراء على الله تعالى

﴿ فكذب ﴾ موسى من فرط عناده ﴿ وابى ﴾ الايمان والطاعة لعتوّه ﴿ قال أجئتنا لتخرجنا من ارضنا ﴾ ارض مصر ﴿ بسحرك يا موسى ﴾ هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لايقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ﴿ فلنأتينك بسحر مثله ﴾ مثل سحرك ﴿ فاجعل بيننا وبينك موعدا ﴾ وعدا لقوله ﴿ لانخلفه نحن ولا انت ﴾ فان الاخلاف لايلائم الزمان والمكان وانتصاب ﴿ مكانا سوى ﴾ بفعل دل عليه المصدر لابه لانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب فى قوله ﴿ قال موعدكم يوم الزينة ﴾ من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه فى ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاوّل او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر فى ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوى مسافته الينا واليك وهو فى النعت كقولهم قوم عدى فى الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل فى يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم فى كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فى الاقطار ﴿ وان يحشر الناس ضحى ﴾ عطف على اليوم او على الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على انّ الخطاب لقومه ﴿ فتولى فرعون فجمع كيده ﴾ مايكاد به يعنى السحرة وآلاتهم ﴿ ثم اتى ﴾ بالموعد ﴿ قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذبا ﴾ بان تدعوا آياته سحرا ﴿ فيسحتكم بعذاب ﴾

بان يفعل السحر وانه ساحر تعالى الله عما يقول الظالمون علوّا كبيرا ﴿ **قوله** فيهلككم ويستأصلكم ﴾ يقال سحته الله سحتا من باب فتح وأسحته الله اسحاتا اذا اهلكه واستأصله واصل هذه المادّة الدلالة على الاستقصاء والنفاد ومنه سحت الحالق الشعر اى استقصاه ولم يترك منه شيأ ويستعمل فى الاهلاك والاذهاب ﴿ **قوله** حين سمعوا كلامه ﴾ وهو قوله لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى * واسرار السحرة نجواهم اخفاؤهم ماتناجوا بينهم عن فرعون قيل نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل هو قولهم ان كان موسى ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء كما قال فله الامر وقيل هو قولهم ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم وانجوى المناجاة والمكالمة سرّا ﴿ **قوله** وقيل الضمير لفرعون وقومه ﴾ اى من السحرة وغيرهم وهو عطف على قوله اى تنازعت السحرة * وتلفيق الحديث ضم كلماته الى بعضها اختراعا من عند انفسهم من غير قصد الى حكاية مافى الواقع واظهاره وبناء التفعيل فيه للتكلف يقال لفقت الثوب ألفقه اذا ضممت شقة منه الى اخرى فخطتهما واحاديث ملفقة اى اكاذيب مزخرفة ﴿ **قوله** على لغة بلحارث ﴾ بفتح الباء وسكون اللام اصله بنى الحارث حذف النون للتخفيف واوصل الباء بالحارث * واعلم انّ القرآء اختلفوا فى قرآءة قوله تعالى انّ هذان لساحران فقرأ ابن كثير وحده ان هذان بتخفيف انّ وتشديد النون من هذانّ وحفص كذلك الا انه خفف نون هذان وقرأ ابو عمرو انّ بالتشديد وهذين بالياء وتخفيف نون هذين والباقون كذلك الا انهم قرأوا هذان بالالف فاما القرآءة الاولى وهى قرآءة ابن كثير وحفص فأصح معنى ولفظا وخطا وذلك انهما جعلا ان المخففة من الثقيلة فاهملت على ماهو الاصح لانها لاتعمل الا لمشابهة الفعل من وجوه ولما خففت زال الشبه اللفظى فلا تعمل فلا اشكال فى رفع هذان ولما اهملت كما هو الافصح من وجهيها خيف التباسها بالنافية فجيئ باللام فارقة فى الخبر فهذان مبتدأ ولساحران خبره ووافقت خط المصحف فان رسم هذن بدون الالف قال ابو عبيدة رأيتها فى مصحف الامام عثمان هذن ليس فيها الف وهكذا رأيت رفع الاثنين فى ذلك المصحف باسقاط الالف واذا كتبوا النصب والجرّ كتبوه بالياء ولا يسقطونها وتشديدنون هذانّ من ابن كثير للفرق بين الاسماء المتمكنة وغير المتمكنة واما الكوفيون فعلى انّ ان هنا نافية بمعنى ماهذان الاساحران واللام بمعنى الا وهو خلاف مشهور وقد وافق تخريجهم هنا قرآءة بعضهم ماهذان الاساحران واما قرآءة ابى عمرو فواضحة من حيث الاعراب والمعنى اما الاعراب فهذين اسم انّ المشدّدة وعلامة نصبه الياء ولساحران خبرها ودخلت اللام تأكيدا واما من حيث المعنى فانهم اثبتوا لهما السحر بالحاق اداة التأكيد لكل واحد من طرفى الجملة لكن فيها اشكال من حيث الخط وذلك انه رسم هذن بدون الف ولاياء فاثباته بالياء زيادة على خط المصحف واما قرآءة الباقين ان هذان فقد ذكر المصنف لها وجوها الاوّل ان هذان اسم ان ولساحران خبرها وعلى هذا كان الظاهر ان يقرأ هذين كقرآءة ابى عمرو الا انه قرئ بالالف على لغة بنى الحارث فانهم يجعلون الاسم المثنى كالمقصور فيثبتون ألفه فى جميع الاحوال ويقدرون اعرابه بالحركات ويقولون رأيت رجلان واشتريت ثوبان ويقلبون كل ياء ينفتح ماقبلها ألفا قال شاعرهم

* ان اباها وابا اباها * قد بلغا فى المجد غايتاها *

اى غايتيها وقيل انهم يفعلون ذلك فرارا الى الالف التى هى اخف حروف المد ويقولون كسرت يداه وركبت علاه يعنى يديه وعليه والوجه الثانى ان قوله هذان ليس اسم ان بل اسمها ضمير الشأن المحذوف وقوله هذان لساحران جملة اسمية فى محل الرفع على انها خبر انّ اى انّ الشأن هذان لساحران وفيه ضعف من حيث انه يؤدّى الى دخول لام الابتدآء على خبر المبتدأ من غير ان يؤكد مضمون الجملة بان المكسورة ومثله لايقع الا فى الضرورة كقوله

* ام الحليس لعجوز شهربه * ترضى من اللحم بعظم الرقبه *

والوجه الثالث أنّ انّ هنا ليست هى التى تنصب الاسم بل هى بمعنى نعم وهذان مبتدأ ولساحران خبره ومن ورود ان بمعنى نعم قوله

* بكر العواذل فى المشيب يلمنى * وألومهنه *
* ويقلن شيب قد علا * ك وقد كبرت فقلت انه *

اى فقلت نعم والهاء للسكت وروى ان اعرابيا اتى ابن الزبير يستجديه فلم يعطه شيأ فقال الاعرابى لعن الله ناقة حملتنى اليك فقال ابن الزبير انّ وراكبها اى نعم وراكبها وهذا مروىّ عن المبرّد ﴿ **قوله**

فيهلككم ويستأصلكم وقرأ حمزة والكسائى وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة تميم والسحت لغة الحجاز ﴿ وقد خاب من افترى ﴾ كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه ﴿ فتنازعوا امرهم بينهم ﴾ اى تنازعت السحرة فى امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم هذا ليس من كلام السحرة ﴿ وأسرّوا النجوى ﴾ بان موسى ان غلبنا اتبعناه اوتنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا فى السرّ وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله ﴿ قالوا ان هذان لساحران ﴾ تفسير لأسرّوا النجوى كأنهم تشاوروا فى تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم انّ على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم ومابعدها مبتدأ وخبر

وفيهما اى وفى الوجه الثانى والثالث ان لام الابتداء لاتدخل خبر المبتدأ وانما تدخل على المبتدأ لكونها موضوعة لتأكيد موصوفية المبتدأ بالخبر وتلك الموصوفية لما كانت من احوال المبتدأ وجب ان يختص مايدل عليها بالمبتدأ لان العلة الموجبة لحكم فى محل لابدّ ان تكون مختصة بذلك المحل فوجب ان تختص لام الابتداء بالمبتدأ ولاتدخل على الخبر ولا يرد ان يقال هذا الدليل يستلزم ان لاتدخل اللام على الخبر فيما اذا دخلت ان على المبتدأ لان ذلك لاجل الضرورة وهى امتناع اجتماع حرفى التأكيد على المبتدأ ولا ضرورة فيما اذا لم تدخل انّ على المبتدأ **قوله وقيل اصله** اى قيل فى جواب ما اورد على الوجهين الآخيرين ان اللام ليست داخلة على خبر المبتدأ بل هى داخلة على المبتدأ المقدّر وتقدير الكلام على الوجه الثانى ان الشأن هذان لهما ساحران وعلى الوجه الثالث نعم هذان لهما ساحران وتقدير قوله ام الحليس لجموز ام الحليس لهى عجوز وردّ المصنف هذا الجواب بان المؤكد بلام الابتداء لايليق به الحذف لان الحذف ينافى الغرض المطلوب من التأكيد **قوله بمذهبكم** الذى هو افضل المذاهب يعنى ان المثلى تأنيث الامثل وهو افضل الاشبه بالحق وان المراد بالطريقة المذهب الذى يسلكونه ويتدينون به وسموه بالطريقة المثلى والسنة الفضلى بناء على زعمهم فان كل حزب بما لديهم فرحون والزجاج جعل الآية من باب حذف المضاف اى ويذهبا بأهل طريقتكم المثلى ويجعلاهم اتباعا لانفسهما وقال الفراء الطريقة الرجال الاشراف الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه ومنه قوله تعالى كنا طرائق قددا اى كنا فرقا مختلفة الاهواء * الجوهرى القدد ايضا الطريقة والفرقة من الناس اذا كان هوى كل واحد على حدة والمقصود على التقديرين ان ينفروا قومهم عن موسى وهرون بانهما يريدان ان يذهبا باشراف قومكم واكابركم وهم بنوا اسرآئيل واخذوا هذا من قول موسى عليه الصلاة والسلام ارسل معنا بنى اسرآئيل وسموا بنى اسرآئيل بذلك لانهم كانوا اكثر القوم يومئذ علما وعددا واموالا وعلى التقادير الباء فى قوله بطريقتكم للتعدية * واعلم انه تعالى لما ذكر ما أسرّوه من النحوى حكى عنهم ما اظهروه ومجموعه يدل على التنفير عن موسى ومتابعة دينه من وجوه احدها قولهم هذان لساحران وهذا طعن منهم فى معجزة موسى مبالغة فى التنفير عنه لانّ كل طبع سليم ينفر عن السحر ويستكبره رؤية الساحر من حيث انّ الانسان يعلم انّ السحر تمويه وتلبيس لابقاء له ومن كان السحر مبنى امره يأبى كل احد عن اتباعه وثانيها قولهم يريدان أن يخرجاكم من ارضكم وهو يفيد نفرة عظيمة لان مفارقة المولد والمنشأ شديدة على القلوب وهذا هو الذى حكاه الله تعالى عن فرعون بقوله أجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فكأن السحرة تلقفوا هذه الشبهة من فرعون ثم اعادوها على قومهم وثالثها قولهم ويذهبا بطريقتكم المثلى وهذا ايضا له تأثير شديد فى تنفير القلوب فأنّ العدوّ اذا جاء واستولى على جميع ما يتعزز به القوم من المذهب واشرافهم وما يرغبون فيه يكون ذلك فى نهاية المشقة على القلب **قوله فأزمعوه** اى فاعزموا عليه فان كل واحد من العزم والاجماع يتعدّى بعلى يقال عزمت على كذا عزما وعزيما بالضم والفتح وعزيمة وعزيما اذا اردت فعله وقطعت عليه الا انه حذف صلة أجمعوا فى نظم التنزيل كما حذف صلة العزم فى قوله تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح اى على عقدة النكاح فلذلك حذفها المصنف فى قوله فأزمعوه اى اعزموه واما ان قرئ فاجمعوا بوصل الهمزة وفتح الميم من الجمع بمعنى لاتدعوا شيأ من كيدكم الا جئتم به فحينئذ لاحاجة الى اعتبار حذف الصلة فانّ جمع يتعدّى بنفسه **قوله مصطفين** فيكون من قبيل تسمية المحل باسم الحال **قوله وهو اعتراض** يعنى انّ قوله قد افلح اليوم من كلام الله تعالى جيئ به بين كلامهم ومقولهم فهو اعتراض باعتبار كونه اجنبيا وقع بين كلامهم وفيه بحث لانّ الظاهر انه من كلامهم قالوا ذلك تحريضا لقومهم على الاجماع والاتفاق على كيدهم بالجدّ والاهتمام فلا اعتراض حينئذ **قوله تعالى قالوا يا موسى** استئناف جيئ به لبيان ما ادّى اليه تواصيهم بالاجماع على كيدهم واتيان مكان الوعد ذوى صف اى فأتوا المكان وقالوا اما ان تلقى ما معك قبلنا واما ان نلقى ما معنا قبلك وهذا التخيير مع تقديمه عليه الصلاة والسلام فى الذكر حسن ادب منهم فلا جرم رزقهم الله تعالى الايمان ببركته ثم انه عليه الصلاة والسلام قابل ادبهم بأدب فقال بل ألقوا والظاهر انه عليه الصلاة والسلام امرهم بذلك ليظهر الفرق بين السحر وبين المعجزة الآلهية كأنه قال ألقوا فسترون عاقبة سحركم وأنّ الله سيبطله وينصر رسوله ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه **قوله وتغيير النظم** مجرور بالعطف على قوله بذكر الاوّل فانّ ما فى شقهم من الكلام ابلغ مما فى شقه عليه الصلاة والسلام من حيث انّ زيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى

وفيهما ان اللام لايدخل خبر المبتدأ وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه انّ المؤكد باللام لايليق به الحذف وقرأ ابو عمرو انّ هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هى المخففة واللام هى الفارقة او النافية واللام بمعنى الا ﴿يريدان ان يخرجاكم من ارضكم﴾ بالاستيلاء عليها ﴿بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ بمذهبكم الذى هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله انى اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنوا اسرآئيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بنى اسرآئيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم ﴿فأجمعوا كيدكم﴾ فأزمعوه واجعلوه مجمعا عليه لايتخلف عنه واحد منكم وقرأ ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير فى قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ﴿ثم ائتوا صفا﴾ مصطفين لانه أهيب فى صدور الرائين قيل كانوا سبعين ألفا مع كل منهم حبل وعصا وأقبلوا عليه اقبالة واحدة ﴿وقد افلح اليوم من استعلى﴾ فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض ﴿قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون اوّل من ألقى﴾ اى بعد ما اتوا مراعاة للادب وأن بما بعده منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبر محذوف اى اختر القاءك اوّلا او القاءنا او الامر القاؤك او القاؤنا ﴿قال بل ألقوا﴾ مقابلة أدب بأدب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاوّل فى شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ

ولان يبرزوا امامهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه ﴿ فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ﴾ اى فألقوا فاذا حبالهم وهى للفاجأة والتحقيق انها ظرفية تستدعى متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصصت بان يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدآئية والمعنى فألقوا ففاجأ موسى وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرأ ابن عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصى وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ تخيل على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل ﴿ فأوجس في نفسه خيفة موسى ﴾ فأضمر فيها خوفا من مفاجاته على ماهو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه ﴿ قلنا لاتخف ﴾ ماتوهمت ﴿ انك انت الاعلى ﴾ تعليل للنهى وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل ﴿ وألق مافي يمينك ﴾ ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اى لاتبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويدة التى في يدك او تعظيما لها اى لاتحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ماهو اعظم منها اثرا فألقه ﴿ تلقف ماصنعوا ﴾ تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذف احدى التاءين وتاء المضارعة يحتمل التأنيث والخطاب على اسناد الفعل الى السبب وقرأ ابن عامر بالرفع على الحال او الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته ﴿ ان ماصنعوا ﴾ ان الذى زوروا وافتعلوا ﴿ كيد ساحر ﴾ وقرئ بالنصب على ان ماكافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائى سحر بمعنى ذى سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما واحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ﴿ ولايفلح الساحر ﴾ اى هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج

يوم ترى النفوس ماأعدت * في سعي دنياطالما قدمدت * كأنه قيل ان ماصنعوا كيد سحري

علل المصنف قوله عليه الصلاة والسلام بل ألقوا باربع علل والاسعاف بالحاجة قضاؤها ﴿ قوله ويستنفدوا ﴾ اى ويستفرغوا من نفد الشئ بالكسر نفادا اى فنى ﴿ قوله فيدمغه ﴾ تخييل لتشبيه الباطل بالخصم المنتصب في مقام المجادلة يقال دمغه دمغا اذا شجه حتى بلغت الشجة الدماغ واسمها الدامغة ﴿ قوله اى فألقوا فاذا حبالهم ﴾ يعنى ان الفاء في قوله تعالى فاذا حبالهم عطف بها عامل الظرف على جملة محذوفة دل عليها سوق الكلام فهى فاء فصيحة وقوله فألقوا معطوف على قوله قال بل ألقوا ﴿ قوله والتحقيق انها ظرفية ﴾ اى ان اذا المفاجأة كاذا الظرفية ظرف بمعنى الوقت لكنها خصت باسم آخر لاختصاصها بكون عاملها فعل المفاجأة فاضافة اذا الى المفاجأة للملابسة بينها وبين المفاجأة يقال فاجأه الموت اى اخذه بغتة وفاجأه السبع اى اتاه بغتة والجملة التى يضاف اليها اذا المفاجأة ابتدآئية اى اسمية فانه لايقع بعدها الا المبتدأ والخبر فقوله حبالهم وعصيهم مبتدأ ويخيل خبره وانها تسعى مفعول يخيل اقيم مقام الفاعل اى يخيل اليه سعيها فان قرآءة الجمهور يخيل بضم الياء الاولى وفتح الثانية مبنيا للمفعول وقوله حبالهم وعصيهم يخيل لما اضيف اليه كلمة اذا صار في حكم المفرد وهو تخيل حبالهم وعصيهم وكذا قوله انها تسعى لما كان مفعول يخيل صار في معنى سعيها فاذا قدر فاجأ قبل كلمة اذا عاملا فيها صار التقدير فألقوا ففاجأ موسى وقت تخيل حبالهم وعصيهم سعيها الا ان المصنف قال في تقدير المعنى فألقوا ففاجأ موسى وقت تخيل سعى حبالهم وعصيهم من سحرهم فأضاف تخيل الى مفعوله ولم يذكر فاعله واضاف السعى الى لفظ حبالهم وعصيهم بدل اضافته الى ضمير سعيها وهذا تصوير لاعراب نظم الآية والمعنى على تخييل مفاجأة موسى بالحبال والعصى مخيلة سعيها وعلق فعل المفاجأة في تصوير المصنف بظرفه تعلقه بالمفعول به اتساعا في التعلق مثل الاتساع في اضافة اسم الفاعل الى الظرف في قوله تعالى مالك يوم الدين اى انه تعالى مالك الامور كلها في يوم الدين ﴿ قوله وقرأ ابن عامر ﴾ اى برواية ابن ذكوان تخيل بضم التاء الفوقانية على معنى تخيل الحبال والعصى وانها تسعى بدل اشتمال من المستكن في تخيل وقرئ نخيل بنون العظمة على ان الله تعالى هو المخيل لاجل الامتحان والابتداء وتخيل بفتح التاء والياء اصله تتخيل فحذف احدى التاءين كما في قوله تعالى تنزل الملائكة اسند الفعل الى ضمير الحبال وانث لتأنيث جماعة الحبال والعصى وقوله انها تسعى بدل اشتمال من ذلك الضمير كما في قرآءة تخيل بضم التاء وفتح الياء ﴿ قوله مؤكدا بالاستئناف ﴾ كأنه لما قيل له لاتخف سأل كيف لاأخاف والحال يقتضى استشعار الخوف فاجيب انك انت الاعلى ووجه دلالة الاستئناف على التأكيد انه يدل على الاهتمام بشأن المستأنف منه ووجه دلالة تعريف الخبر عليه ان اللام لتعريف الجنس وقد دخلت على الخبر فأفادت ان حقيقة العلو والغلبة مختصة بك لاتتعدى الى غيرك ﴿ قوله تحقيرا لها ﴾ كأنها لحقارتها لم يوضع لها اسم بل اكتفى في التعبير عنها بلفظ اسم الجنس او النوع ووجه دلالة الابهام على التعظيم انه يدل على ان العصا بلغت في الكمال وعظم الشأن الى الغاية التى تعجز العبارة عن بيان ماهيتها المخصوصة وانما يتأتى ان يعبر عنها بشئ من عوارضها العامة ﴿ قوله تلقف ﴾ قرآءة العامة بفتح اللام وتشديد القاف وجزم الفاء على انه جواب الامر وقرآءة حفص بسكون اللام وتخفيف القاف وقرئ تلقف بالرفع اما على الحال او الاستئناف وانث الفعل في تلقف حملا على معنى مالان معناها العصا ويحتمل ان يكون تلقف صيغة المفرد المذكر المخاطب ويكون المستتر فيه موسى ويسند اليه التلقف باعتبار كونه سببا له بالقاء العصا ﴿ قوله على ان ماكافة ﴾ تكف وتمنع الحروف المشبهة عن العمل وتصحح دخولها على الفعل فانها مادامت عاملة لاتدخل على الفعل ويحتمل ان تكون مامصدرية والتقدير ان صنعهم كيد ساحر وذكر لقرآءة كيد ساحر ثلاثة اوجه الاول تقدير المضاف اى كيد ذى سحر والثانى تسمية الساحر سحرا على المبالغة فانه لكثرة ملابسة السحر وتوغله فيه صار كأنه نفس السحر والثالث انه من قبيل اضافة المبهم الى مميزه نحو مائة درهم وألف دينار او اضافة الجنس الى نوعه للبيان نحو علم فقه وعلم نحو فان الكيد وهو الحيلة تكون سحرا وغيره فأضيف الى السحر للبيان فكأنه قيل كيد هو سحر ﴿ قوله وتنكير الاول ﴾ مع ان القصد فيه ايضا الى الجنس وهو يقتضى تعريفه الا انه لو عرف لصار المضاف ايضا معرفة والمقصود تنكيره لان المراد به نوع من الكيد وهو السحر فنكر ليتوسل بتنكيره الى تنكير المضاف وتنكيره لاينافى ان يراد به الجنس كما نكر دنيا في قوله في سعى دنيا مع ان المراد بها المعلوم المعين بتنكير السعى اذلو عرف الدنيا لصار السعى معرفة والمراد تنكيره اذالمعنى في سعى مادنيوى واوله

الحمدلله الذى استقلت * باذنه السماء واطمأنت * باذنه الارض وماتعنت * اوحى لها القرار فاستقرت

(وشدها)

* وشدّها بالراسيات الثبت * والجاعل الغيث غيث المسنت * والجامع الناس ليوم الموقت *
* بعد الممات وهو محيي الموتى * يوم ترى النفوس ما اعدّت * من نزل اذا الامور غيت *
* في سعي دنيا طالما قد مدّت *

فقوله ماتعنت اى ماتعبت الارض بالمخالفة لله تعالى بل اطاعته حيث اوحى لها القرار يقال عنى بالكسر يعنى عناء اى تعب ونصب وعنيته اناتعنية فتعنى ويبعد ان يكون من تعنت وتصلب بمعنى قابل غيره طالبا زلته وقوله وما اعدّت اى ماجعلته عدّة وقوله من نزل بيان ماا عدّت وغيت الامور اى بلغت غايتها وآخرها والمعنى اذا الامور بلغت اواخرها وقوله في سعي دنيا ظرف غيت اوظرف طال ان كانت ما في طالما مصدرية اى مدّت في سعي دنيا يقول يوم القيامة ترى النفوس ماجعلته عدّة من نزل يوم القيامة * حين تبلغ الامور اوآخرها وقد مدّت * اى امهلت في جمعها وتهيئة اسبابها ﴿قوله﴾ حيث كان واين اقبل ﴿﴾ فان الذهاب والاتيان يعبر بهما عن الكون والاقبال يقال ايما ذهبت واتيت فانت كذا اى ايما كنت واقبلت ﴿قوله﴾ فألقاهم ذلك ﴿﴾ اى تحقق ان ماأظهره موسى عليه الصلاة والسلام ليس بسحر بل هو معجزة الهية والاعتاب الرجوع عما كان عليه من الاساءة الى الاسترضاء والاطاعة * والروىّ آخر الحروف من فواصل الآية قيل لما ألقى موسى عصاه فاذا هي اعظم من حبالهم ثم اخذت تزداد عظما حتى ملأت الوادي ثم صعدت حتى علقت ذنبها بطرف القبة وكانت ضربت لفرعون قبة يجلس فيها وينظر اليهم وكان طول القبة سبعين ذراعا ثم هبطت فأكلت كل ماعملوا من الكيد والناس ينظرون اليها لايحسبون الا انها سحر ثم اقبلت نحو فرعون لتبتلعه فاتحة فاها ثمانين ذراعا فصاح فرعون بموسى فاخذها فاذا هي عصا كما كانت ونظار السحرة فاذا هي لم تدع من حبالهم وعصيهم شيأ الا اكلته فعرفوا بذلك انه ليس بسحر وقالوا لوكانت سحرا لبقيت الاشياء واستدلوا بتغير احوال الاجسام على وجود الصانع العالم القادر فان كل عاقل يعلم بالضرورة انه لايقدر على ايجاد الحيوان من الجماد وتعظيم جثتها جملة واحدة ثم تصغيرها وتصييرها كما كانت جملة واحدة الاالاله القادر على كل شئ واستدلوا بظهورها على يدموسى على كونه رسولا صادقا من عنده تعالى فلاجرم تابوا وآمنوا وأتوا بما هو النهاية في الخضوع وهو السجود قال الزمخشري ماأعجب امرهم ألقوا حبالهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود ولما خاف فرعون ان يصير ذلك سببا لاقتداء سائر الناس بهم في الايمان بالله ورسوله ألقى لهم في الحال شبهتين الشبهة الاولى قوله لهم آمنتم له قبل ان آذن لكم يعنى انكم اعتمدتم في الايمان به والاتباع له على اوّل خاطر خطر ببالكم من غير بحث ومناظرة وامعان مرّة بعد اخرى في امره فلم يكن ايمانكم عن بصيرة والشبهة الثانية انه لكبيركم في علم السحر فاصطلحتم على ان تظهروا العجز عن معارضته ترويجا لامره وتعظيما لشأنه ثم هدّدهم صرفا لهم عن الايمان وتنفيرا لغيرهم عن الاقتداء بهم فقال لاقطعنّ ايديكم الآية وبناء التقطيع والتصليب لتكثير المفعول ﴿قوله﴾ كأن القطع ابتدئ من مخالفة العضو العضو ﴿﴾ فان القطع لما ابتدئ من العضو الذي هو موضع الخلاف صار كأنه قد ابتدئ من نفس الخلاف لما بين الخلاف وموضعه من الملابسة ﴿قوله﴾ بالتخفيف ﴿﴾ اى تخفيف عين الفعل على انه ثلاثيّ لا بتثقيله للتكثير ﴿قوله﴾ شبه تمكن المصلوب بالجذوع ﴿﴾ اى في الجذوع جواب عما يقال انّ فعل الصلب يتعدّى الى المفعول الثاني بعلى فلم عدى ههنا بكلمة في * وتقرير الجواب ان الكلام هنا من قبيل الاستعارة التبعية شبه متعلق كلمة على وهو التمكن بطريق الاستعلاء بمتعلق كلمة في وهو التمكن بطريق الظرفية ثم استعير التمكن المشبه به للتمكن المشبهة استعارة اصلية فاستعمل في التمكن المشبه كلمة في الموضوعة للدلالة على تمكن الظرفية الذي هو المشبه به فجرت الاستعارة اوّلا واصالة في تمكن الظرفية وتبعية في كلمة في الدالة عليه ﴿قوله﴾ لقوله آمنتم له ﴿﴾ يعنى انه يدل على ان المراد من قوله اينا اشدّ نفسه الخبيثة وموسى عليه الصلاة والسلام لان معنى آمنتم له اى لاجله وبسببه لانكم خفتم على انفسكم ان يعذبكم ان لم تؤمنوا له ﴿قوله﴾ وقيل رب موسى ﴿﴾ اى قيل يريد نفسه ورب موسى فالمعنى ولتعلمنّ ايها السحرة اينا انا على ايمانكم برب موسى اورب موسى على تركك الايمان به اشدّ عذابا لكم وأدوم * فان قيل كيف يعقل من فرعون ان يهدّد السحرة ويبالغ في وعيدهم الى هذا الحدّ ويستهزئ بموسى ويقول اينا اشدّ عذابا مع قرب عهده بمشاهدة انقلاب العصا حية ومالها من الآثار الهائلة حتى انها قصدت ابتلاع قبة فرعون واضطرّ هو الى ان استغاث بموسى من شرّ ذلك الثعبان فمع قرب عهده بذلك يبعد منه ان يجاسر على ماذكر من التهوّر * اجيب بانه يجوز ان يكون اشدّ الخوف في قلبه ومع ذلك كان يظهر

(حيث اتى) حيث كان واين اقبل (فالقى السحرة سجدا) اى فألقى فتلقفت فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزة من معجزاته فألقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة مما صنعوا واعتابا وتعظيما لما رأوا (قالوا آمنا برب هرون وموسى) قدّم هرون لكبر سنه اولروىّ الآية اولأن فرعون ربى موسى في صغره فلوا قتصر على موسى اوقدّم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روى انهم رأوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها (قال آمنتم له) اى لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع (قبل ان اذن لكم) في الايمان له (انه لكبيركم) لعظيمكم في فنكم واعلمكم به اولأستاذكم (الذي علمكم السحر) وانتم تواطأتم على مافعلتم (فلأقطعنّ ايديكم وارجلكم من خلاف) اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدآئية كأنّ القطع ابتدئ من مخالفة العضو العضو وهي مع المجرور بها في موضع النصب على الحال اى لأقطعنها مختلفات وقرئ لأقطعنّ ولأصلبنّ بالتخفيف (ولأصلبنكم في جذوع النخل) شبه تمكن المصلوب بالجذوع بتمكن المظروف بالظرف وهو اوّل من صلب (ولتعلمنّ اينا) يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى والهزؤ به فانه لم يكن من التعذيب في شئ وقيل رب موسى الذي آمنوا به (اشد عذابا وابقى) وأدوم عذابا

﴿ قالوا لن نؤثرك ﴾ لن نختارك ﴿ على ماجاءنا ﴾ موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما ﴿ من البينات ﴾ المعجزات الواضحات ﴿ والذى فطرنا ﴾ عطف على ماجاءنا او قسم ﴿ فاقض ماانت قاض ﴾ ماانت قاضيه اى صانعه او حاكمه ﴿ انما تقضى هذه الحياة الدنيا ﴾ انما تصنع ماتهواه او تحكم بماتراه فى هذه الدنيا والآخرة خير وابقى فهو كالتعليل لماقبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحياة كقولك صيم يوم الجمعة ﴿ انا آمنا بربنا ليغفرلنا خطايانا ﴾ من الكفر والمعاصى ﴿ وما اكرهتنا عليه من السحر ﴾ فى معارضة المعجزة روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ماهذا بساحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فأبى الا ان يعارضوه ﴿ والله خير وابقى ﴾ جزآء اوخيرثوابا وابقى عقابا ﴿ انه ﴾ ان الامر ﴿ من يأت ربه مجرما ﴾ بان يموت على كفره وعصيانه ﴿ فان له جهنم لايموت فيها ﴾ فيستريح ﴿ ولايحيى ﴾ حياة مهنأة ﴿ ومن يأته مؤمنا قدعمل الصالحات ﴾ فى الدنيا ﴿ فاولئك لهم الدرجات العلى ﴾ المنازل الرفيعة ﴿ جنات عدن ﴾ بدل من الدرجات ﴿ تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ﴾ حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار ﴿ وذلك جزآء من تزكى ﴾ تطهر من ادناس الكفر والمعاصى والآيات الثلاث يحتمل ان تكون من كلام السحرة وان تكون ابتدآء كلام الله ﴿ ولقد اوحينا الى موسى ان أسر بعبادى ﴾ اى من مصر ﴿ فاضرب لهم طريقا ﴾ فاجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله ﴿ فى البحر يبسا ﴾ يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتى جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف على فعل كصعب اوجمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله

كأنّ قتود رحلى حين ضمت * حوالب غرّزا ومعى جياعا*

اولتعدّده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا ﴿ لاتخاف دركا ﴾ حال من المأمور اى آمنا من ان يدرككم العدوّ او صفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لاتخف على انه جواب الامر ﴿ ولاتخشى ﴾ استئناف اى وانت لاتخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى لاتخشى الغرق

الجلادة والوقاحة تمشية لنا موسه وتروبحالا مره ﴿ قوله لن نختارك ﴾ اى لن نختار طاعتك والايمان بك وهذا يدل على ان فرعون طلب منهم الرجوع عن الايمان والافعل بهم ماوعدهم به فأجابوه بمايدل على حصول اليقين التام والبصيرة الكاملة فى اصول الدين وانهم لايؤثرون رضى المخلوق المستوجب معصية الخالق وعقابه الدآئم اذ مضارّ الدنيا لاتصدّ العاقل عن الثبات على مايؤدّى الى سعادة الآخرة ﴿ قوله وقرئ تقضى ﴾ على البناء للمفعول ورفع الحياة ووجهها ان الحياة فى القرآءة المشهورة لما انتصب على الظرفية اتسع فى الظرف باجرآئه مجرى المفعول به كقولك فى صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة لما علم السحرة انهم متى أصرّوا على الايمان اوقع بهم فرعون ماأوعدهم به قالوا اقض ماانت قاض لاعلى وجه الامر لكن اظهروا به ان ذلك الوعيد لايصدّهم عن الايمان البتة ثم بينوا ما لاجله يسهل عليهم احتمال ذلك فقالوا انما تقضى هذه الحياة الدنيا اى قضاؤك وحكمك انما يكون فى هذه الحياة الدنيا وهى فانية تزول عن قريب ومطلوبنا سعادة الآخرة وهى باقية والعقل يقتضى تحمل الضرر الفانى للتوصل الى السعادة الباقية ﴿ قوله وما اكرهتنا عليه من السحر ﴾ فى معارضة المعجزة ﴿ يعنى انهم وان كانوا سحرة يعلمون السحر باختيارهم الا انهم كانوا مكرهين فى الحضور واظهار السحر على طريق معارضة المعجزة به لقوله وابعث فى المدآئن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فانه يدل على انهم حضروا وفعلوا مافعلوا بالحشر والاكراه وايضا انهم لما رأوا ان العصا تحفظه وهو نائم أبوا أن يعارضوه وقالوا ماهذا سحر فحملهم فرعون كرها على ان يعارضوه ﴿ قوله حياة مهنأة ﴾ اى حياة تعدّ نعمة فيهنأ بها ﴿ قوله قد عمل الصالحات ﴾ يدل على ان الجزآء الموعود انما يكون ان كان اتيا بكل الصالحات وذلك غير معتبر بالاتفاق ولا ممكن فينبغى ان يحمل ذلك على ادآء الواجبات ﴿ قوله والآيات الثلاث ﴾ وهى قوله تعالى انه من يأت ربه مجرما الى قوله تزكى يحتمل ان تكون من تمام قول السحرة ختموا كلامهم بشرح احوال المجرمين واحوال المؤمنين فى عرصة القيامة والهاء فى انه ضمير الشأن والجملة الشرطية خبرها ومجرما حال من فاعل يأت وقوله لايموت يجوز ان يكون حالا من الهاء فى له وان يكون حالا من جهنم لاشتماله على ضمير كل واحد منهما ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما بالغ فى دعوة فرعون وأراه الآيات المتتابعة التى اظهرها الله تعالى على يده فلم يزد الا عتوّا وعنادا اوحى الله اليه ان أخرج بنى اسرآئيل ليلا فان السرى سير الليل والاسرآء مثله ﴿ قوله فاجعل لهم ﴾ يعنى ان طريقا منصوب على انه مفعول به لقوله فاضرب بناء على انه بمعنى اجعل او اتخذ والمعنى اجعل لاجل عبورهم طريقا فى البحر يبسا ليس فيه ماء ولا طين ولا ندوة ﴿ قوله وصف به الواحد مبالغة ﴾ جعل الطريق لفرط يبسها كأنه شيء يابسة كما جعل المعى لفرط جوعه كجماعة جياع اولان المراد بقوله طريقا الجنس وهو فى حكم الجمع لتعدّده معنى لاصيغة على ماروى ان البحر انفلق فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق ﴿ قوله كأنّ قتود رحلى حين ضمت * حوالب غرّزا ومعى جياعا ﴾ وبعده قوله

* على وحشية خذلت خلوج * وكان لهـا طلا طفل فضاعا *
* فكرّت تبتغيه فصادفته * على دمه ومصرعه السباعا *

القتود جمع قتد على خلاف القياس والقتد خشب الرحل والحوالب عروق الضرع وهما حالبان اى عرقان مكتنفان بالسرّة وضمت بفتح الضاد اى ضربت يقال ضمه بالعصا اذا ضربه بها وحوالب مفعول ضمت وغرّزا صفة حوالب بتقدير المضاف اى ضربت ذات حوالب والغرّز بتقديم المهملة على المعجمة جمع غارزة وهى من النوق القليلة اللبن والغزيرة بتقديم المعجمة هى التى كثر لبنها وعلى وحشية خبر كأنّ وخذلت اى تأخرت قال الاصمعى اذا تخلف الظبى عن القطيع قيل خذل والخلوج من النوق التى اختلج عنها ولدها فقل لذلك لبنها والطلا الولد من ذوات الظلف والسباع منصوب بمضمر يفسره قوله صادفته شبه حالة قتود رحله حين وضعت على ناقته الموصوفة بالضمور بحالة وضعها على وحشية فقدت ولدها على طريق تشبيه الهيئة بالهيئة ﴿ قوله حال من المأمور ﴾ اى من فاعل اضرب اى اضرب غير خائف او صفة ثانية لطريقا والعائد محذوف اى لاتخاف فيه والدرك والدرك اسمان من ادرك اى لايدركك فرعون وجنوده ومن قرأ لاتخاف مرفوعا جعل قوله ولاتخشى باثبات الالف معطوفا عليه اى لاتخاف ادراك فرعون ولاتخشى الغرق واما من قرأ لاتخف مجزوما فانه لم يقرأ قوله ولاتخشى الا باثبات الالف فذكر المصنف فى توجيه اثباتها ثلاثة اوجه الاوّل انه كلام مستأنف منقطع عما قبله اخبر الله تعالى

به انه لايحصل له خوف والواو ابتدآئية والثانى انه مجزوم بالعطف على المجزوم قبله وعلامة جزمه سقوط لام الفعل المعتلة وهذه الالف ليست لام الكلمة وانما هى الف اشباع اتى بها موافقة للفواصل ورؤوس الآى فهى كالالف فى قوله الرسولا والسبيلا والظنونا والثالث انه حال من فاعل لاتخف على حذف المبتدأ اى وانت لاتخشى الغرق وانما احتيج الى تأويل الجملة الحالية بالاسمية لان المضارع المنفى بلا كالمثبت فى عدم مباشرة الواو له ﴿قوله والمعنى فأتبعهم فرعون نفسه﴾ على ان أتبع متعدّ الى اثنين حذف ماهو الثانى فى الذكر والباء فى قوله بجنوده للملابسة والمصاحبة وهى مع المجرور فى محل النصب على انه حال من المفعول المحذوف وقرئ فاتبعهم بتشديد التاء فيتعدّى بنفسه الى واحد ويتعدّى بالباء الى آخر وقيل الباء زآئدة فى المفعول الثانى والتقدير فأتبعهم فرعون جنوده كما فى قوله لاتأخذ بلحيتى وقوله أسرى بعبده ﴿قوله وذادهم خلفهم﴾ اى ساق جنوده خلف موسى وقومه فان الذود السوق يقال ذدت الابل اى سقتها ﴿قوله وفيه﴾ اى فى ابهام فاعل غشيهم مبالغة وتعظيم لما اصابهم وسترهم من اليمّ مع وجازة اللفظ واختصاره ومن فى قوله من اليم للتبعيض ولا ينافيه تعظيم ماغشيهم وقيل بل المعنى علاهم وسترهم من ماء البحر قدر ماغرّقهم فيكون الابهام للتحقير ﴿قوله والفاعل هو الله اوفرعون﴾ وعلى هذين التقديرين يكون ماغشاهم مفعولا ثانيا ﴿قوله وهو تهكم به﴾ التهكم ان يؤتى بعبارة والمقصود عكس معناها فقوله تعالى وماهدى اى ماهدى قومه يدل على كونه مهتديا عالما بطريق الهداية الا ان هدايته لم تتعلق بقومه وفرعون مع كونه رئيس الضالين كيف يتوهم كونه مهتديا عالما بطريق الهداية فيكون مايدل على ذلك تهكما فى حقه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما امر الله تعالى موسى ان يقطع بقومه البحر وكان بنو اسرآئيل استعاروا من قوم فرعون الحلىّ والدواب لعيد يخرجون اليه فخرج بهم ليلا وهم ستمائة الف وثلاثة آلاف ونيف ليس فيهم ابن ستين ولا عشرين وقد كان يوسف عليه الصلاة والسلام عهد اليهم عند موته ان يخرجوا بعظامه معهم من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم عجوز على موضع العظام فأخذوها وقال موسى عليه الصلاة والسلام للعجوز احتكمى فقالت اكون معك فى الجنة فلما خرجوا تبعهم فرعون وعلى مقدّمته ألف الف وخمسمائة ألف سوى الجناحين والقلب فلما انتهى موسى الى البحر قال هنا امرت فأوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فقال لهم موسى ادخلوا فيه فقالوا كيف وهى طرق رطبة فدعا ربه فهبت الصبا فجفت فقالوا نخاف الغرق فى بعضنا فجعل بينهم كوى حتى يرى بعضهم بعضا ثم دخلوا حتى جاوزوا واقبل فرعون الى تلك الطرق فقال قومه له ان موسى قد سحر البحر فصار البحر كما ترى وكان على فرس حسان واقبل جبريل عليه الصلاة والسلام بين يدى فرعون على فرس جرو وهى الانثى من الخيل فابصر الحصان الجر فاقتحم بفرعون على اثرها وصاحت الملائكة فى الناس الحقوا فرعون حتى اذا دخل آخرهم وكاد اوّلهم يخرج التقى البحر عليهم فغرقوا فسمع بنو اسرآئيل خفقة البحر عليهم فقالوا ماهذا ياموسى قال اغرق الله فرعون وقومه فرجعوا حتى ينظروا اليهم وقالوا ياموسى ادع الله حتى يخرجهم لنا فننظر اليهم فدعا فلفظهم البحر الى الساحل واصابوا من سلاحهم وروى ان موسى عليه الصلاة والسلام لما ضرب بعصاه البحر حصل اثنا عشر طريقا يابسا وبقى الماء قائما بين كل طريقين كالطود العظيم وهو الجبل فأخذ كل سبط من بنى اسرآئيل فى طريق من هذه الطرق كما قال تعالى فصار كل فرق كالطود العظيم ومنهم من قال انما حصل طريق واحدة لقوله تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا ويمكن حمله على الجنس وقوله الايمن منصوب على انه نعت للجانب وجانب مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف اى اتيان جانبه الذى هو على يمين السالك من مصر الى الشام قال المفسرون ليس للجبل يمين ولا يسار بل المراد ان طور سينا عن يمين من انطلق من مصر الى الشام وقرئ الايمن بالجرّ على الجوار نحو جحر ضب خرب اوعلى انه نعت للطور وصف بذلك لما فيه من اليمن ﴿قوله للملابسة﴾ اى للملابسة المواعدة بهم من حيث انه تعالى وعد موسى وحده اووعده مع النقباء السبعين ان يأتوا جانب الطور الايمن فيكلم موسى ويعطيه التوراة لاجل بنى اسرآئيل وبيان دينهم وشرح شريعتهم لما انعم الله تعالى على قوم موسى بأنواع النعم ذكر لهم تلك النعم وحثهم على شكرها وقدّم منها ازالة المضرّة لكون المنافع لاينتفع بها مع المضرّة فقال قد انجيناكم من عدوّكم ثم ثنى بذكر المنفعة الدينية وهو قوله وواعدناكم جانب الطور الايمن ثم ثلث بذكر المنفعة الدنيوية وهى قوله وانزلنا عليكم المنّ والسلوى ثم زجرهم عن العصيان بقوله ولا تطغوا فيه ثم بين ان من عصى ثم تاب كان مقبولا عند الله ﴿قوله لذآئذه﴾ يعنى المراد بالطيبات اما يستطيبه الطبع من لذآئذ الاطعمة كالمنّ والسلوى

﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾ وذلك ان موسى خرج بهم اوّل الليل فأخبر فرعون بذلك فقص أثرهم والمعنى فأتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثانى وقيل فأتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القرآءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فأتبعهم جنوده وذادهم خلفهم ﴿فغشيهم من اليم ماغشيهم﴾ الضمير لجنوده اوله ولهم وفيه مبالغة ووجازة اى غشيهم ماسمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ماغشاهم اى غطاهم ماغطاهم والفاعل هو الله تعالى اوماغشاهم اوفرعون لانه الذى ورطهم للهلاك ﴿واضل فرعون قومه وماهدى﴾ اى اضلهم فى الدين وماهداهم وهو تهكم به فى قوله وماأهديكم الا سبيل الرشاد او أضلهم فى البحر وما نجا ﴿يابنى اسرآئيل﴾ خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم بما فعل بآبائهم ﴿قد انجيناكم من عدوّكم﴾ فرعون وقومه ﴿وواعدناكم جانب الطور الايمن﴾ لمناجاة موسى وانزال التوراة عليه وانما عدّى المواعدة اليهم وهى لموسى اوله وللسبعين المختارين للملابسة ﴿وانزلنا عليكم والسلوى﴾ يعنى فى التيه ﴿كلوا من طيبات مارزقناكم﴾ لذآئذه اوحلالاته وقرأ حزة والكسائى انجيتكم وواعدتكم مارزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجرّ على الجوار مثل جحر

﴿ولا تطغوا فيه﴾ فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدّى لما حدّالله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق ﴿فيحل عليكم غضبى﴾ فيلزمكم عذابى ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ﴿ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى﴾ فقد تردّى وهلك وقيل وقع فى الهاوية وقرأ الكسائى يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل ﴿وانى لغفار لمن تاب﴾ عن الشرك ﴿وآمن﴾ بما يجب الايمان به ﴿وعمل صالحا ثم اهتدى﴾ ثم استقام على الهدى المذكور ﴿وما اعجلك عن قومك يا موسى﴾ سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة فى نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظيم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدّم جواب الانكار لانه اهمّ ﴿قال هم اولاء على اثرى﴾ ماتقدّمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتدّ بها عادة وليس بينى وبينهم الا مسافة قريبة يتقدّم الرفقة بها بعضهم بعضا ﴿وعجلت اليك رب لترضى﴾ فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك يوجب مرضاتك ﴿قال فانا قد فتنا قومك من بعدك﴾ ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر ألفا ﴿واضلهم السامرى﴾ باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اى اشدّهم ضلالة لانه كان ضالا مضلا فان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بأيامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدّة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدّمه اذ ليس فى الآية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع الشئ ان يكون فى علمه ومقتضى مشيئته والسامرى منسوب الى قبيلة من بنى اسرآئيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل ياجرماء واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا ﴿فرجع موسى الى قومه﴾ بعدما استوفى الاربعين واخذ التوراة ﴿غضبان﴾ عليهم ﴿اسفا﴾ حزينا بما فعلوا ﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا﴾ بان يعطيكم التوراة فيها هدى ونور ﴿أفطال عليكم العهد﴾ اى الزمان يعنى زمان مفارقته لهم ﴿ام اردتم ان يحل عليكم﴾ يجب عليكم ﴿غضب من ربكم﴾ بعبادة ما هو مثل فى الغباوة ﴿فأخلفتم موعدى﴾ وعدكم اياى بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اى فوجدتم الخلف فى وعدى لكم بالعود بعد الاربعين وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذى يليه ولا جوابهم له (الاحتمال)

او يستطيبه الشرع كالحلالات التى من جملتها المنّ والسلوى فانهما قد انزلهما الله تعالى عليهم ولم تمسهما يد الآدميين ﴿قوله فيلزمكم عذابى﴾ هذا المعنى على ان يقرأ يحل بكسر الحاء فان قرآءة العامّة بكسر الحاء فى الاولى وكسر اللام الاولى فى الثانية على انهما من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن قرأهما بالضم جعلهما من حل بمعنى نزل وقوله تعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى يتصل بقوله ووعدناكم جانب الطور الايمن واضمر ههنا فتعجل موسى وقلنا له وما اعجلك دلت الآية على انه تعالى امره بحضور الميقات مع قوم مخصوصين فقال المفسرون هم السبعون الذين اختارهم الله تعالى من جملة بنى اسرآئيل يذهبون معه الى الطور ليأخذوا التوراة فسارهم موسى عليه الصلاة والسلام ثم تعجل من بينهم شوقا الى مناجاة ربه وخلف السبعين وامرهم ان يتبعوه الى الجبل فالمراد بقوله النقباء السبعون وهو عليه الصلاة والسلام لم يكن ممنوعا عن التقدّم عليهم وما وجد نص يدل على المنع عن ذلك ولا على الاجتماع معهم فى المجيئ ثم تقدّمهم شوقا الى كلام ربه بناء على اجتهاده ان ذلك اقرب الى رضى الله تعالى فاخطأ فى ذلك الاجتهاد من حيث ان العجلة نقيصة فى نفسها وقد انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظيم عليهم فاستوجب العتاب لذلك يقال اغفلت الشئ اذا تركته على ذكر منك ولما وردان يقال قوله وما اعجلك عن قومك سؤال عن سبب العجلة فكان المطابق فى الجواب ان يقال عجلت اليك طلبا لزيادة رضاك اوشوقا الى كلامك او مسارعة الى تنجيز موعودك الذى هو اتيان الجانب الايمن من الطور ونحو ذلك والجواب بقوله هم اولاء على اثرى لا يطابقه ظاهرا اشار الى الجواب عنه بقوله سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها يعنى انه لما تضمن الانكار قدم الذر عما انكر عليه فابتدأ به لكون الاعتذار عنه اهمّ بالنسبة الى بيان السبب ﴿قوله ابتليناهم بعبادة العجل﴾ يعنى انّ المراد بالفتنة المحنة التى فيها شدآئد وبلايا والمعنى ألقينا قومك الذين خلفتهم مع هرون فى محنة وفتنة بعبادة العجل وخلقنا فيهم الكفر والضلال لسوء اختيارهم وميلهم الى جانب التقليد والهوى وعدم اتباعهم الدلائل القاطعة التى اقامها صاحب المعجزات القاهرة واسند الاضلال الى السامرىّ لانه كان سبب ضلالهم حيث اتخذ لهم العجل ودعاهم الى عبادته وقال هذا الهكم وآله موسى والا لم يملك احد اضلال احد واسند الفتن الى نفسه لانه خالق الاعيان والاعراض بأسرها والسامرىّ انما باشر ما يؤدّى الى تكوّن العجل من الذهب والحلىّ والله تعالى هو الذى جعله جسدا ملتبسا بلحم ودم ونفخ فيه الروح وجعل له خوارا فذلك وجه اضافة الفتن اليه تعالى * قرأ العامة واضلهم السامرىّ على انه فعل ماض مسند الى السامرىّ وقرئ اضلهم مرفوعا بالابتداء وهو افعل تفضيل بمعنى اشدّهم ضلالا والسامرىّ خبره ﴿قوله اذ ليس فى الآية ما يدل عليه﴾ تعليل لعدم القطع بصحة ما ذكر من الامرين اللذين اوّلهما انهم اقاموا على الدين الذى تركهم موسى عليه الصلاة والسلام عليه حين انطلاقه الى الجبل عشرين ليله ثم ارتدّوا بعبادة العجل وثانيهما كون خطاب قدفتنا قومك متوجها اليه عند قدومه الى الطور قبل وقوع المخبر به ثم قال ان صح هذان الامران وكان خطاب قدفتنا قومك بلفظ الماضى واقعا قبل وقوع الفتن بعشرين ليلة كان وجه التوفيق بينهما انه تعالى اخبر عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته كقوله ونادى اصحاب الجنة ﴿قوله وكان منافقا﴾ اى آمن بموسى ظاهرا وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر راسخا فى نفسه والظاهر ان كلمة ام فى قوله تعالى ام اردتم متصلة معادلة لهمزة الاستفهام والمعنى أفطال عليكم زمان مفارقتى فنسيتم ما امرتكم به ووعدتم اياى من الثبات على دينى الى ان ارجع اليكم من الطور بسبب طول الزمان ام تعمدتم فعل ما يكون سببا لمعصية ربكم اى لعقابه فأخلفتم لذلك موعدكم اياى فكأنه قيل انسيتم ذلك الوعد ام تعمدتم المعصية المؤدّية الى غضب ربكم وقوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم لا يمكن اجراؤه على الظاهر لان احدا لا يريد ذلك ولكن المعصية لما كانت توجب ذلك ومريد السبب مريد للمسبب بالعرض صح هذا الكلام والمصنف جعل الوعد فى قوله فأخلفتم موعدى مصدرا مضافا الى مفعوله ولم يرض باحتمال كونه مضافا الى فاعله على معنى فوجدتم الخلف فى وعدى لكم بالعود بعد الاربعين ذى القعدة بتمامه وعشر ذى الحجة ملتبسا بكتاب منزل من ربكم فيه شرح دينكم وبيان الفرآئض والاحكام بناء على ان هذا الاحتمال لا يناسب ترتيب قوله فأخلفتم موعدى على ما ذكره من الترديد لطالب سبب وقوعهم فى الفتنة فلو جعل المصدر مضافا الى فاعله لما كان فى الترديد لطلب سبب وقوعهم فى الفتنة وجه وايضا ذلك الاحتمال لا يناسب قوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فان تعمدهم المعصية لا يصلح سببا لكونه عليه الصلاة والسلام مخلف وعده اياهم بالعود بعد الاربعين وايضا ذلك

﴿ قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ﴾ بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسوّل لنا السامرىّ لما اخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائى بالضم وثلاثها فى الاصل لغات فى مصدر ملكت الشئ ﴿ ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم ﴾ حملنا احمالا من حلىّ القبطى التى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردّوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هى ما ألقاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فأخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها

آثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربىّ ﴿ فقذفناها ﴾ اى فى النار ﴿ فكذلك ألقى السامرىّ ﴾ اى ما كان معه منها روى انهم لما حسبوا ان العدّة قد كملت قال لهم السامرىّ انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلىّ القوم وهو حرام عليكم فالرأى ان تحفر حفيرة وتسجر فيها نارا وتقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف ﴿ فأخرج لهم عجلا جسدا ﴾ من تلك الحلىّ المذابة ﴿ له خوار ﴾ صوت العجل ﴿ فقالوا ﴾ يعنى السامرىّ ومن افتتن به اوّل ما رأوه ﴿ هذا الهكم وإله موسى فنسى ﴾ اى فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور اوفنسى السامرىّ اى ترك ما كان عليه من اظهار الايمان ﴿ أفلا يرون ﴾ أفلا يعلمون ﴿ ان لا يرجع اليهم قولا ﴾ انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يردّ عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان أن الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين ﴿ ولا يملك لهم ضرّا ولا نفعا ﴾ ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم ﴿ ولقد قال لهم هرون من قبل ﴾ من قبل رجوع موسى او قول السامرىّ كانه اوّل ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم ﴿ ياقوم انما فتنتم به ﴾ بالعجل ﴿ وان ربكم الرحمن ﴾ لا غير ﴿ فاتبعونى واطيعوا امرى ﴾ فى الثبات على الدين ﴿ قالوا لن نبرح عليه ﴾ على العجل وعبادته ﴿ عاكفين ﴾ مقيمين ﴿ حتى يرجع الينا موسى ﴾ وهذا الجواب يؤيد الوجه الاوّل ﴿ قال ياهرون ﴾ اى قال له موسى لما رجع ﴿ ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ﴾ بعبادة العجل ﴿ أن لا تتبعن ﴾ ان تبتعنى فى الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تأتى عقبى وتلحقنى ولا مزيدة كما فى قوله ما منعك ان لا تسجد ﴿ أفعصيت امرى ﴾ بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه ﴿ قال يابن امّ ﴾ خص الأم استعطافا وترفيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام ﴿ لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ﴾ نى (٤٢) اى بشعر رأسى قبض عليهما يجرّه اليه من شدّة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه الصلاة والسلام احديد خشنا متصلبا فى كل شئ فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل ﴿ انى خشيت ان تقول فرّقت بين بنى اسرآئيل ﴾ لو قاتلت اوفارقت بعضهم ببعض ﴿ ولم ترقب قولى ﴾ حين قلت اخلفنى فى قومى وأصلح فان الاصلاح كان فى حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برأيك

الاحتمال لا يناسب جوابهم بقولهم ما اخلفنا موعدك بملكنا فانه اعتذار عن خلفهم فيما وعدوا اياه عليه الصلاة والسلام لا عن وجدانهم الخلف فى وعده لهم بالعود بعد اربعين ﴿ قوله ﴾ حملنا احمالا ﴿ الظاهر ان المصنف اختار قراءة من قرأ حملنا بفتح الحاء والميم الخفيفة حيث تعرّض لكون انفسهم حاملين ومستقرّين ولم يتعرّض لمن بعثهم على الاستعارة والحمل فان نافعا وابن كثير وابن عامر وحفصا قرأوا حملنا بضم الحاء وكسر الميم شديدة والباقون بفتحهما مع تخفيف الميم ونسبة الفعل الى انفسهم وعلى القراءة الاولى نسبوا الفعل الى غيرهم فقيل ذلك الغير هو موسى عليه الصلاة والسلام حيث امرهم باستعارة الحلىّ والخروج بها فكأنه ألزمهم بذلك والاوزار الاحمال والاثقال وسموا الحلىّ التى استعاروها من القبط اوزارا لانها آثام من حيث انها تلبس للفخر والخيلاء والترفع على الفقراء ولانها مادام اصحابها احياء وتصرّفوا فيها باذن اصحابها حل لهم الانتفاع بها فلما هلك اصحابها صار حكمها حكم الغنيمة ولم يحل لهم الانتفاع بالغنائم بعد فأثموا بسببها الان بنى اسرآئيل كانوا مستأمنين بالنسبة الى القبط وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربى اى ليس له ان يأخذه الا باذنه حتى لو اخذ ماله بطريق الرباحل عند ابى حنيفة وان جرى ذلك بينه وبين مسلم اسلم هناك كما يجوز للمسلم المستأمن اخذه من الحربى برضاه وقوله من زينة يجوز ان يتعلق بحملنا وان يتعلق بمحذوف على انه صفة لاوزارا وقوله فكذلك نعت لمصدر محذوف اى فالقى السامرىّ ما كان معه من الحلىّ او من التراب الذى اخذه من حافر فرس جبريل حين عبر البحر وذلك انه رأى ما تحت حافره يخضرّ فعلم ان له شأنا فاخذ منه شيأ فجعله فى عمامته فألقاه فى الحلىّ المقذوف فى النار القاء مثل القاء بنى اسرآئيل ما معهم من الحلىّ المقذوف فى النار * قال الامام قولهم فى حق ذلك العجل الجسد هذا آلهكم فيه اشكال لان القوم ان كانوا فى الجهالة بحيث اعتقدوا ان ذلك العجل المعمول فى تلك الساعة هو الخالق للسموات والارض فهم مجانين وليسوا مكلفين ولان مثل هذه السفاهة على مثل ذلك الجمع العظيم محال وان لم يعتقدوا ذلك فكيف قالوا هذا الهكم واله موسى واجاب بان القوم لعلهم كانوا من الحلولية الذين يجوّزون حلول الاله او حلول صفة من صفاته فى ذلك الجسم وان كان ذلك ايضا فى غاية البعد لان ظهور الخوار لا يناسب الالهية لكن لعل القوم كانوا فى نهاية البلادة كيف لا وانهم قالوا لنبيهم بعد ما رأوا الآيات العظام اجعل لنا الها كما لهم آلهة قالوا ذلك والحال ان اقدامهم ما جفت من ماء البحر ﴿ قوله ﴾ فنسيه موسى ﴿ فيكون هذا من كلام السامرىّ وان كان ضمير فنسى للسامرى يكون هذا من كلام الله تعالى ويكون النسيان مجازا عن لازمه الذى هو الترك كانه تعالى اخبر عن السامرى انه ترك ما كان عليه من اظهار الايمان او انه استدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل فى شئ ولا يحل فيه شئ ثم بين ما يستدل به على ذلك بقوله أفلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا اى استدل على انه لا يصلح ان يكون الها بأن من لا يتكلم ولا ينفع ولا يضرّ كيف يكون الها والحال ان الاله ينبغى ان يكون سامعا بدعاء عابده نافعا له دافعا عنه المضارّ مثيبا ومعاقبا كما قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ وقرأ العامة ان لا يرجع برفع يرجع على ان كلة ان هى المخففة من الثقيلة ويدل على ذلك وقوع اصلها وهى الثقيلة فى قوله ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا روى عن الزجاج انه قال الاختيار الرفع بمعنى انه لا يرجع كقوله وحسبوا ان لا تكون فتنة بمعنى انه لا تكون ولا وجه لكون الرؤية ههنا بصرية لان عدم ردّه عليهم جوابا ليس مما يبصر وأن الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين لانها تجعل الجملة فى تأويل المفرد فيلزم الاقتصار على احد المفعولين وهو غير جائز فى هذه الافعال ﴿ قوله ﴾ يؤيد الوجه الاوّل ﴿ وهو ان يكون هرون عليه الصلاة والسلام قال لهم ذلك بعد ما شاهد منهم افتتانهم بعبادة العجل قبل مجيئ موسى عليه الصلاة والسلام بعد ما قال السامرىّ ما قال ووجه التأييد ان جوابهم بان قالوا لن نبرح مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع الينا موسى انما يلائم الوجه الاوّل دون الثانى ﴿ قوله ﴾ ان تتبعنى فى الغضب ﴿ يعنى ان المراد باتباع هرون اياه اما الاتباع فى اخلاق اخيه وسيرته او اللحوق به وترك المقام بين اظهر المرتدّين * والمحاماة المخاصمة والمخالفة يقال حميت عليه بالكسر اذا غضبت * واعلم ان المصنف حمل الامر فى قول موسى عليه الصلاة والسلام لاخيه أفعصيت امرى على امره اياه بالصلابة فى الدين واظهار البغض والخصومة مع المخالفين وحمل القول فى قول هرون له ولم ترقب قولى على قول موسى له اخلفنى فى قومى واصلح لئلا يرد ما يقال قول موسى له افعصيت أمرى يدل على انه امره بشئ وان اخاه لم يمتثل امره فكيف يحسن ان يقول اخوه

﴿قال فما خطبك ياسامرىّ﴾ اى ثم اقبل عليه وقال له منكرا ماخطبك اى ماطلبك له اوما الذى جاك عليه وهو مصدر خطب الشئ اذا طلبه ﴿قال بصرت بما لم يبصروا به﴾ وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على الخطاب اى علمت بما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وهو أن الرسول الذى جاءك روحانى محض لا يمس اثره شيأ الا احياه اورأيت ما لم تروه وهو أن جبرآئيل جاءك على فرس الحياة وقيل انما عرفه لان امّه ألقته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبرآئيل يغذوه حتى استقل ﴿فقبضت قبضة من اثر الرسول﴾ من تربة موطئة والقبضة المرّة من القبض فاطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاوّل الاخذ بجميع الكف والثانى الاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبرآئيل عليه الصلاة السلام ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبرآئيل اوارادان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور ﴿فنبذتها﴾ فى الحلىّ المذاب اوفى جوف العجل حتى حيى ﴿وكذلك سوّلت لى نفسى﴾ زينته وحسنته لى ﴿قال فاذهب فانّ لك فى الحياة﴾ عقوبة على مافعلت ﴿ان تقول لامساس﴾ خوفا من ان يمسك اخذ فتأخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس ويحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشىّ النافر وقرئ لامساس كفجار وهو علم للمسة ﴿وان لك موعدا﴾ فى الآخر ﴿لن تخلفه﴾ لن يخلفكه الله وينجزه لك فى الآخرة بعد ماعاقبك فى الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام اى لن تخلف الواعد اياه وستأتيه لامحالة فحذف المفعول الاوّل لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله

فى جوابه انما لم امتثل قولك خوفا من ان تقول لم ترقب قولى فهل يصدر مثله من العاقل وعلى تفسير المصنف يكون حاصل الجواب خالفت امرك اياى بالصلابة فى الدين والمقاتلة عليه خوفا من ان تقول لم ترقب قولى ولم تحفظ وصيتى حين قلت لك اخلفنى فى قومى واصلح ولا تحذور فى هذا الجواب غاية مافى الباب ان هرون قيد امر موسى اياه بالصلابة فى الدين بان لا تكون تلك الصلابة مؤدّية الى تفرقة الدهماء بين بنى اسرآئيل واختلال انتظامهم ﴿قوله اى ماطلبك له﴾ اى اىّ شئ طلبك له فهو استفهام انكار والمعنى على انكار الطلب واستقباحه وقوله بما لم يبصروا به ان قرئ بالتاء المعجمة من فوق يكون الخطاب لموسى وقومه اوله وحده على طريق التعظيم كما فى قوله تعالى يا ايها النبىّ اذا طلقتم النساء وان قرئ بياء الغيبة يكون مسندا الى بنى اسرآئيل يقال بصر بالشئ اى علمه وابصره اى نظر اليه وقيل بصر بالشئ وابصره بمعنى علمه والعامة على ضم الصاد فى الماضى ومضارعه وقرئ بكسر الصاد فى الماضى وفتحها فى المضارع وهى لغة وقرئ كل واحد من الماضى والمضارع على بناء المفعول اى اعلمت بما لم يعلموا به وذهب عامة المفسرين الى ان المراد بالرسول جبريل عليه الصلاة والسلام وبأثره التراب الذى اخذه من حافر فرسه والتقدير من اثر حافر فرس الرسول ثم اختلفوا فى انه متى رآه فقال الاكثرون انه رآه يوم فلق البحر وقيل ان جبريل لما نزل ليذهب بموسى الى الطور ابصره السامرىّ من بين الناس ولعله لم يسمه جبريل اوروح القدس اونحوها من الالفاظ الدالة عليه بخصوصه بناء على انه لم يعرف انه جبريل انما عرفه بانه رسول روحانى فلا جرم يكون للتراب الذى اصابه حافر فرسه خاصة احياء ما لصق به فلذلك قال فى جواب موسى قبضت قبضة من اثر فرس المرسل اليك حين حل ميقات الذهاب الى الطور والعامة على فتح القاف من قبضة وهى المرّة من القبض فهى مصدر سمى به المقبوض على طريق تسمية المفعول بالمصدر وقرئ قبضة بضم القاف وهى اسم لما يقبض وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة وهو الاخذ باطراف الاصابع والاوّل بجميع الكف ونحوهما الخضم والقضم فان القضم الاكل باطراف الاسنان والخضم الاكل بجميع الفم ﴿قوله وقيل انما عرفه﴾ عطف على ماقبله من حيث المعنى فانه دل على انه انما عرفه بالامر العرضى الذى يعمه وغيره وهو انه رسول روحانى جاءه ليذهب به الى حيث امره الله تعالى روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان السامرىّ اختص برؤية جبريل ومعرفته من بين الناس بناء على انه رآه فى صغره بسبب ان فرعون كان قد امر بذبح اولاد بنى اسرآئيل فكانت المرأة تلد وتطرح ولدها بحيث لا يشعر به آل فرعون فتأخذ الملائكة الولدان ويربونهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامرىّ ممن اخذه جبريل وجعل كف نفسه فى فيه فارتضع مثل العسل واللبن ولم يزل يختلف اليه وهو يعرفه فلذلك عرفه حين رآه راكب حيزوم وقد ارسله الله تعالى اليه ليربيه لما قضى على يديه من الفتنة ﴿قوله يغذوه حتى استقل﴾ اى يربيه حتى استغنى عن تربية الغير والغذآء مايغتذى به من الطعام والشراب والموطئ موضع القدم من وطئت الشئ برجلى ﴿قوله ان تقول لامساس﴾ اى لا يمس بعضنا بعضا فكان بعد ذلك يعيش فى البرية مع السباع والوحوش لا يمس ولا يمس وان اتفق ان يماس احدا رجلا كان اوامرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه فصار فى الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشى النافر فى البرية فان من لزمه القتل فى الحل فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له عند ابى حنيفة الا انه لا يطعم ولا يسقى ولا يباع حتى يضطرّ الى الخروج فيقتل هناك فاذا اراد احد ان يمسه يصيح قائلا لامساس اى لا امس ولا امس خوفا من الحمى ثم قيل المراد من المماسة المنفية المس الحقيقى وقيل مايعم جميع انواع المعاملة من المكالمة والمواكلة ونحوهما قرأ العامة لامساس بكسر الميم وفتح السين الاخيرة وهو مصدر فاعل كالقتال مصدر قاتل وقرئ بفتح الميم وكسر السين وهو علم للمسة وهى المرّة الواحدة من المس كالفجار علم للفجرة فان فعال على اربعة اقسام اسم كنزال وصفة للمؤنث كفساق بمعنى فاسقة وعلم للاعيان المؤنثة كقطام وعلم للمصدر كفجار وعباب واباب فانها اعلام للفجرة والعبة والابة ثم قال موسى عليه الصلاة والسلام للسامرىّ ان لك مع هذا النوع من عذاب الدنيا عذابا وعده الله لك فى الآخرة لن تخلفه بضم التاء وفتح اللام وهى قرآءة الجمهور اسند الفعل الى المفعول الاوّل وترك الثانى على حاله اى لن يخلفك الله الوعد وينجزه لك على شركك وفسادك وقرئ لن تخلفه بكسر اللام وذكر المصنف لها وجهين الاوّل ان لا يكون الاخلاف على اصل معناه ويكون المفعول الاوّل محذوفا فكما ان الواعد يجوز ان يخلف الموعود له وعده فكذا يجوز ان يخلف الموعود له الواعد وعده بان لا يجئ اليه ويتخلص منه بالهرب والفرار والثانى ان تكون همزة

اخلف للوجدان بمعنى لن تجد فيه خلفا وقرئ لن نخلفه بضم نون العظمة وكسر اللام على اسناد الفعل الى الله تعالى وحذف المفعول الاوّل اى لن نخلفك فوسى انما يقول ذلك على حكاية قول الله تعالى عنه كما فى قول جبريل لأهب لك ﴿قوله﴾ ظللت على عبادته ﴿اى امضيت نهارك انت واصحابك مقيمين على عبادته يقال ظللت اعمل كذا اذا عملته بالنهار دون الليل قرأ العامة بحذف احدى اللامين للتخفيف وابقاء الظاء مفتوحة على حالها وقوله لنحرّقنه جواب قسم محذوف اى والله لنحرّقنه والعامة على ضم النون وكسر الراء مشدّدة من حرّقه يحرّقه بالتشديد بمعنى احرقه بالنار وشدّد للكثرة والمبالغة او برده بالبرد على ان يكون من حرق الشئ يحرقه ويحرقه بضم الرآء وكسرها اذا برده بالبرد ويؤيد الاحتمال الاوّل قرآءة لنحرقنه بضم النون وسكون الحاء وكسر الرآء من الاحراق ويعضد الثانى قرآءة لنحرقنه بفتح النون وكسر الرآء وضمها خفيفة اى لنبردنه ثم ان موسى عليه السلام لما فرغ من ابطال ماذهب اليه السامرىّ عاد الى بيان الدين الحق فقال انما الهكم الله ﴿قوله﴾ فلما عدّى الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا ﴿اى صار ماهو فاعل فى المعنى مفعولا لان من شأن التعدية ان يصير الفاعل مفعولا كما اذا قلت فى خاف زيد عمرا خوّفت زيدا عمرا بتصيير الفاعل مفعولا وعلما فى القرآءة المشهورة كان تمييزا من نسبة وسع الى الضمير المستتر وهو فى المعنى فاعل فصار مفعولا بنقل الفعل الى باب التفعيل ﴿قوله﴾ مثل ذلك الاقتصاص ﴿اشارة الى ان محل الكاف نصب على انه نعت للمصدر المحذوف ﴿قوله﴾ من انباء ﴿صفة للمحذوف الذى هو مفعول نقص فالتقدير نقص عليك شيأ من انباء ماقد سبق قصا مثل اقتصاص قصة موسى فرعون اوّلا ثم مع السامرىّ ثانيا ﴿قوله﴾ تبصرة لك الخ ﴿بيان لفائدة ذكر الاقاصيص فى القرآن الكريم فان اشتماله على مافيه من الاقاصيص كما هى عليه من جملة وجوه كونه معجزا الى غير ذلك من الفوآئد ﴿قوله﴾ كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص ﴿اشارة الى ان القرآن يسمى ذكرا على طريق تسمية الذات بالمصدر للمبالغة فى اتصافها به فان القرآن العظيم كما انه معجز بنظمه الفائق معجز باشتماله على ذكر اقاصيص الاوّلين على الوجه المطابق لما ذكر فى الكتب الالهية المتقدّمة مع انه عليه السلام ماسمعها من احد ولا قرأها فى كتاب وعلى ذكر جميع مايحتاج اليه الناس من امور دينهم ودنياهم وايضا سمى ذكرا لكونه حقيقا بالذكر والتذكر والايقاظ والتفكر والاعتبار قال تعالى وهذا ذكر مبارك وقال ياايها الذى نزل عليه الذكر ثم نقل ان يكون المراد بالذكر الذكر الجميل والصيت العظيم وفى الصحاح الصيت الذكر الجميل الذى ينشر فى الناس دون القبيح يقال ذهب صيته فى الناس قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك ﴿قوله﴾ سماها وزرا ﴿يعنى استعير لها الحمل الثقيل وينقض ظهره اى يثقله ﴿قوله﴾ والجمع فيه ﴿اى جمع ضمير خالدين وتوحيد ضمير اعرض مع انهما عبارتان عما عبر عنه بكلمة من لحمل الاوّل على معنى من والثانى على لفظه ﴿قوله﴾ اى بئس لهم ﴿يعنى ان ساء هذه هى التى بمعنى بئس لا التى بمعنى احزن ومن شرط افعال المدح والذم ان يكون فاعلها معرّفا باللام او مضافا الى المعرّف به او مضمرا مفسرا بنكرة منصوبة وان يذكر بعد ذلك المخصوص وههنا لم يذكر فاعل ساء فلابدّ ان يكون مستترا فيه مميزا بقوله حملا فيكون المستتر فيه مميزا عبارة عن مميزه ولم يذكر المخصوص ايضا فوجب ان يكون محذوفا وتقديره ساء الحمل حملا وزرهم ﴿قوله﴾ اشكل امر اللام ﴿اذ لا يقال احزن لهم بل يقال احزنهم ويقال ساءه يسوؤه سوأ بالفتح نقيض سرّه واشكل ايضا نصب حملا كما فى قولك احزن لهم الوزر حملا اذ لا وجه لكون حملا تمييزا للوزر وغير التمييز لا وجه له ايضا قيل يمكن ان يقال اللام للبيان كما اذا كان ساء بمعنى بئس وحملا تمييزا من النسبة والمعنى احزنهم حمل الوزر وثقله ﴿قوله﴾ تعالى يوم ينفخ فى الصور ﴿بدل من يوم القيامة او بيان له او منصوب بيتخافتون او باضمار اذكر قرأ الجمهور ينفخ بضم الياء وفتح الفاء على بناء المفعول والقائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور بعده وقرئ ننفخ بفتح نون العظمة على بناء الفاعل على طريق اسناد الفعل الى الآمر وهو البارى تعالى والعدول عن المباشر للنفخ وهو اسرافيل مجاز والنكتة فى المجاز اما تعظيم الآمر بأن لا يجرى فى ملكه الا مايشاء ولا يحدث حادث الا بامره وتكوينه او تعظيم النافخ بانه ملك مقرب مكرم عند الله بلغ فى قربه منه تعالى ومكانته لديه الى حيث يصح ان يسند مايصدر عنه من العمل الى ذاته تعالى قرأ الجمهور فى الصور بسكون الواو فقيل انه قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للحشر وقيل انه جمع صورة والنفخ نفخ الروح فيه ويؤيده قرآءة من قرأ الصور بفتح الواو والاوّل اولى لقوله تعالى فاذا نقر فى الناقور والله تعالى يعرّف الناس احوال الآخرة بامثال ماشوهد فى الدنيا فان عادة الناس النفخ فى البوق عند ارادة الاجتماع فى الاسفار او فى العساكر والمراد من هذا النفخ هو النفخة الثانية

﴿وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا﴾ ﴿ظللت على عبادته مقيما فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها﴾ ﴿لنحرّقنه﴾ اى بالنار ويؤيده قرآءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قرآءة لنحرقنه ﴿ثم لننسفنه﴾ ثم لنذرينه رمادا اومبرودا وقرئ بضم السين ﴿فى اليم نسفا﴾ فلا يصادف منه بشئ والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر ﴿انما الهكم﴾ المستحق لعبادتكم ﴿الله الذى لا اله الا هو﴾ اذ لا احد يماثله او يدانيه فى كمال العلم والقدرة ﴿وسع كل شئ علما﴾ وسع علمه كل مايصح ان يعلم لا العجل الذى يصاغ ويحرق وان كان حيا فى نفسه كان مثلا فى الغباوة وقرئ وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب على التمييز فى المشهورة لكنه فاعل فى المعنى فلما عدّى الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الاقتصاص يعنى اقتصاص قصة موسى ﴿نقص عليك من انباء ماقد سبق﴾ من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة فى علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امّتك ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكرا﴾ كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتذكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس ﴿من أعرض عنه﴾ عن الذكر الذى هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله تعالى ﴿فانه يحمل يوم القيامة وزرا﴾ عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره اوانما عظيما ﴿خالدين فيه﴾ فى الوزر اوفى حمله والجمع فيه والتوحيد فى اعرض للحمل على المعنى واللفظ ﴿وساء لهم يوم القيامة حملا﴾ اى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اى ساء حملا وزرهم واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الذى فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى ﴿يوم ينفخ فى الصور﴾ وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ فى الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك

﴿ونحشر المجرمين يومئذ﴾ وقرئ يحشر المجرمون ﴿زرقا﴾ زرق العين وصفوا بذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدآئهم وهم زرق العين ولذلك قالوا فى صفة العدوّ اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين اوعميا فان حدقة الاعمى تزراق ﴿يتخافتون بينهم﴾ يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ﴿ان لبثتم الا عشرا﴾ اى فى الدنيا يستقصرون مدّة لبثهم فيها لزوالها اولاستطا لتهم مدّة الآخرة اولتأسفهم عليها لما عاينوا الشدآئد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها فى قضاء الاوطار واتباع الشهوات اوفى القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات ﴿نحن اعلم بما يقولون﴾ وهو مدّة لبثهم ﴿اذ يقول امثلهم طريقة﴾ اعدلهم رأيا اوعملا ﴿ان لبثتم الا يوما﴾ استرجاح لقول من يكون اشدّ تقالا منهم ﴿ويسألونك عن الجبال﴾ عن حال امرها وقد سأل عنها رجل من ثقيف ﴿فقل ينسفها ربى نسفا﴾ يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرّقها ﴿فيذرها﴾ فيذر مقارّها اوالارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ماترك على ظهرها من دابة ﴿قاعا﴾ خاليا ﴿صفصفا﴾ مستويا كأنّ اجزآءها على صف واحد ﴿لاترى فيها عوجا ولا أمتا﴾ اعوجاجا ولا نتوأ ان تأملت فيها بالقياس الهندسى وثلاثتها احوال مترتبة فالاوّلان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يختص بالمعانى والامت وهو النتوء اليسير وقيل لاترى استئناف مبين للحالين ﴿يومئذ﴾ اى يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة

لقوله بعد ذلك ونحشر المجرمين يومئذ زرقا فانه يدل على ان النفخ فى الصور كالسبب لحشرهم فهو كقوله تعالى يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا ﴿قوله﴾ اسود الكبد ﴿كأنه﴾ لشدّة عداوته احرق كبده والسبال جمع سبلة وهى الشارب والصهبة حمرة يعلوها سواد وهى من الالوان المختصة بالشعر يقال للرجل اصهب وللمرأة صهباء ويقال زرقت عينه بالكسر وازرقت ازرقاقا وازراقت ازريقاقا ولكون الزرقة من العيوب بنى منها باب الافعيلال فان كان الزرق بمعنى زرق العيون يكون مجازا عن قباحة الصورة لان زرقة عيونهم مستلزمة لكون صورتهم منكرة فاطلق الملزوم واريد اللازم فكأنه قيل نحشرهم على اقبح الصورة وان كان بمعنى العمى يكون كناية لان الزرقة من لوازم العمى ﴿قوله﴾ اى فى الدنيا اوفى القبر ﴿يؤيد الاوّل قوله تعالى قل كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما اوبعض يوم ويؤيد الثانى قوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فان اللبث المضاف الى يوم البعث هو لبثهم فى القبور لا لبثهم فى الدنيا ﴿قوله﴾ يستقصرون مدّة لبثهم فيها ﴿اى فى الدنيا فانهم عالمون بمقدار عمرهم فيها لكنهم قالوا ذلك استقلالا لمدّة لبثهم فيها اما لزوالها والزآئل وان طالت مدّته قصير بالانتهاء والزوال واما لانهم لما قابلوا اعمارهم فى الدنيا بأعمار الآخرة وجدوها فى نهاية القلة فقال بعضهم مالبثنا فى الدنيا الا عشرة ايام فقال اعقلهم مالبثنا الا يوما واحدا اى قدر لبثنا فى الدنيا بالقياس الى لبثنا فى الآخرة كعشرة ايام بل كاليوم الواحد بل كالعدم وانما خص العشرة والواحد بالذكر لان القليل فى امثال هذه المواضع لايعبر عنه الا بالعشرة والواحد واما لانهم لما عاينوا الشدآئد وتذكروا ايام النعمة والسرور وتأسفوا عليها وصفوها بالقصر لان ايام السرور قصار قال الشاعر

* تمتع بأيام السرور فانها * قصار وايام الهموم طوال *

﴿قوله﴾ اشدّ تقالا ﴿اى استقلالا وهو تفاعل من تقالّ بمعنى استقل اى عدّ قليلا رجح الله تعالى قول من بالغ فى التقليل لابتنائه على الحكم المذكور ثم انه تعالى لما وصف امر يوم القيامة وبين عظم مانال المجرمين من الحيرة التى تخافتوا بها مثل هذا الجنس من المقال حكى سؤال من لايؤمن بالحشر فقال ويسألونك عن الجبال روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فنزلت والنسف القلع ومنه نسف البعير النبت اذا اقتلعه بفيه من اصله والنسف ايضا التذرية ومنه قوله تعالى ثم لننسفنه فى اليم نسفا قال الخليل يقلعها وقال ابو عبيد يستأصلها ويطيرها كما قال وبست الجبال بسا ﴿قوله﴾ فالاوّلان ﴿وهما كون مقرّها قاعا وصفصفا فان الاستوآء المدلول عليه بهما استوآء بحكم الاحساس بخلاف الاستوآء المدلول عليه بقوله لاترى فيها عوجا ولا امتا فانه استوآء حقيق تام لايحصل بالمراجعة الى الحس وانما يحصل برأى المهندس وعرضه على المقاييس الهندسية ولما كان العوج المنفى بقوله لاترى فيها عوجا العوج الخفى الذى لايدرك بالاحساس التحق بالمعانى فلذلك عبر عنه بالعوج بالكسر والا لكان الظاهر ان يقال عوجا بالفتح لان الارض من قبيل الاعيان ومافيها من الاعوجاج من الكيفيات المحسوسة فقوله لاترى فيها عوجا بالكسر ابلغ فى وصف الارض بالاستوآء بالنسبة الى ان يقال عوجا بالفتح وهذا التوجيه يخدشه قوله تعالى لاترى فان الظاهر منه رؤية العين وهى لاتتعلق بالعوج بالكسر وجعلها من رؤية القلب لايناسب عموم الخطاب لان كل واحد لايعلم الهندسة حتى يتأتى منه علم ذلك ﴿قوله﴾ وهو النتوء ﴿اى الارتفاع يقال فى تفسير الكعب هو العظم الناتئ ﴿قوله﴾ على اضافة اليوم ﴿ذكر لانتصاب قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعى وجهين الاوّل ان يكون ظرفا ليتبعون والتقدير يوم اذ نسفت الجبال يتبعون والثانى ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة فى قوله تعالى وساءلهم يوم القيامة جعلا البدل الاوّل يوم ينفخ والثانى يومئذ وحينئذ يكون العامل فيه ساء لانه هو العامل فى المبدل منه والتقدير ساءلهم جعلا يوم اذ نسفت الجبال ولم يجعل بدلا من يوم ينفخ لان البدل لايكون له بدل لانه يفضى الى ان يكون البدل مقصودا وغير مقصود معا الا ان هذا الوجه لايخلو عن بعد للفصل الكثير ولاستلزامه ان يكون يتبعون غير مرتبط بما قبله وقيل انه اوجه لمجيئ قوله يومئذ لاتنفع الشفاعة بدلا ثالثا على الترقى اى ساءلهم جعلا يوم اذ يتبعون الداعى *فان قلت اضافة يوم الى اذ اضافة زمان الى زمان فيلزم ان يكون للزمان زمان وانه محال *اجيب بان المراد بازمان المضاف المسمى وبازمان المضاف اليه الاسم كما فى شهر

رمضان ويوم الخميس وذات يوم وذات ليلة وذات اليمين وذات الشمال والظاهر انه من اضافة العام الى الخاص كما فى شجر الاراك ﴿ قوله يدعو الناس قائما ﴾ فيقول ياايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرّقة ان الله يأمركنّ ان تجتمعنّ لفصل القضاء فيقبلون من كل اوب الى صوبه وصوته لايعدلون ﴿ قوله لايعوج له ﴾ اى لدعائه اى يستوون اليه من غير انحراف ﴿ قوله اومن اعم المفاعيل ﴾ اى لاتنفع الشفاعة احدا الامن اذن فى ان يشفع له فمن على هذا عبارة عن المشفوع وعلى الاوّل عن الشافع ﴿ قوله يخفق اقدامهم ﴾ اى يضربها على الارض ضربا خفيفا وكل ضرب شئ عريض خفيف ﴿ قوله اى ورضى لمكانه ﴾ على تقدير ان يكون الاستثناء من الشفاعة فلام اذن له صلة اذن ولام رضى له للتعليل وقوله اورضى لاجله على تقدير ان يكون الاستثناء من اعم المفاعيل وان تكون اللام فى رضى له متعلقة برضى وعلى الثانى تكون متعلقة بقوله قولا والمعنى الامن اذن له الرحمن فى ان يشفع له ورضى قول الشافع لاجله وفى شأنه ﴿ قوله ماتقدّمهم من الاحوال ﴾ اى ماتقدّم من احوال الذين يتبعون الداعى ولو فسر قوله مابين ايديهم بمايستقبلونه من الاحوال وقوله وماخلفهم بمامضى منها لكان قريبا الى الشائع ﴿ قوله ولايحيط علمهم بمعلوماته ﴾ اشارة الى ان التمييز محوّل من الفاعلية وان قوله به فيه مضاف مقدّر ليكون قوله ولايحيطون به علما مقابلا لقوله يعلم مابين ايديهم وماخلفهم لانه اذا لم يقدّر المضاف وقيل المعنى ولايحيطون بذاته لم يصح التقابل وقيل فى اظهار التقابل من غير تقدير المضاف فى به ان الضمير فى به يرجع الى مافى ايديهم وماخلفهم بتقدير احدهما لاعلى التعيين او مجموعهما فيؤول المعنى الى ان الخلق لايحيطون بمعلوم الله علما الا بما شاء الله * والعناة جمع عانى وهو الاسير ويسمى الاسير عانيا لخضوعه وذلته لمن هو فى يده ﴿ قوله وظاهرها يقتضى العموم ﴾ وذلك لانه تعالى لما أجاب عن سؤال من قال كيف تكون الجبال يوم القيامة شرح احوال ذلك اليوم فى حق عامة الخلائق فقال اوّلا يومئذ يتبعون وقال ثانيا وخشعت الاصوات للرحمن وقال ثالثا يومئذ لاتنفع الشفاعة الامن اذن له الرحمن وقال رابعا يعلم مابين ايديهم وماخلفهم وقال خامسا وعنت الوجوه فالظاهر ان المراد ذوات المكلفين وانفسهم ذكر الوجوه واريد اصحاب الوجوه لان قوله عنت من صفات المكلفين لامن صفات الوجوه كما فى قوله وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية وخص الوجوه بالذكر لان اثر الخضوع والذلة يظهر فيها ويتبين بها فالظاهر ان جملة قوله وقد خاب من حمل ظلما حال من الوجوه بحذف العائد اى من حمل ظلما منهم وان خص الوجوه بوجوه المجرمين وجعلت تلك الجملة حالا منهم يكون قوله من حمل ظلما قائما مقام العائد لكونه عبارة عنهم وقوله فلايخاف فى موضع الجزم على انه موضع جواب الشرط والتقدير فهو لايخاف والخيبة اليأس من كل خير ﴿ قوله اى مثل ذلك الانزال ﴾ المشتمل على بيان الغيوب مما كان ومايكون انزلناه يعنى الكتاب قرآنا عربيا بلسان العرب ولغتهم وصرّفنا فيه من الوعيد من كل ماالحق بالقرون الماضية وماسيقع بالامم المكذبة للانبياء والكتب النازلة لعلهم يتقون اى لكى يحذروا مايوجب سخط الله تعالى ﴿ قوله مكررين فيه آيات الوعيد ﴾ يدل على انه جعل قوله وصرّفنا فيه من الوعيد حالا وقيدا للانزال وهذا لان كون انزال القرآن كله على ماذكر فيه من الايآت متضمنا للوعيد انما هو باعتبار تكثر آيات الوعيد فيه لامطلقا ولان قوله لعلهم يتقون متعلق بالانزال المقيد بالتصريف لامطلقا ولا بالتصريف كذلك فلابدّ من التقييد ﴿ قوله ولهذه النكتة ﴾ وهى كون المراد بالاتقاء الاستمرار على التقوى الحاصل قبل تكرير آيات الوعيد وهو جواب عما يقال لم اضيف الذكر الى القرآن ولم تضف التقوى اليه * ومحصل الجواب انه لما كان المقصود ان يقال انزلناه كذلك ليستمرّ المتقون على تقواهم وان لم يوجد المتقى فلا اقل من ان يحدث لهم القرآن عظة واعتبارا حين يستمعونه وجب ان يضاف التقوى اليهم والاحداث الى القرآن المنزل حال تكرير آيات الوعيد فيه ﴿ قوله الحق فى ملكوته ﴾ اى الثابت فى ملكيته يستحق تلك الملكية لذاته وتذكير ضمير الملكوت لكونه مصدرا مقدّرا بان مع الفعل ﴿ قوله نهى عن الاستعجال فى تلقى الوحى ﴾ روى انه عليه الصلاة السلام كان يتعلم ويتبادر جبريل عليه الصلاة والسلام بالقرآءة عند تبليغ القرآن خيفة الانفلات والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك وقال لاتعجل بالقرآن ﴿ قوله ومساوقته ﴾ اى متابعته يقال فلان فى ساقة العسكر اى فى آخره وهو جمع سائق وهو يساوقه اى يتابعه وتساوقت الابل اى تتابعت والمساوقة المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا ﴿ قوله على سبيل الاستطراد ﴾ جعل النهى المذكور استطرادا لكونه اجنبيا بالنسبة الى ماسيق له الكلام فان الكلام مسوق لبيان ان اصلاح بنى آدم يتوقف على ذكره مرّة بعد اخرى

وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر ﴿ يومئذ لاتنفع الشفاعة الامن اذن له الرحمن ﴾ الاستثناء من الشفاعة اى الاشفاعة من اذن او من اعم المفاعيل اى الا من اذن فى ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاوّل مرفوع بالبدلية وعلى الثانى منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن او من الاذن ﴿ ورضى له قولا ﴾ اى ورضى لمكانه عند الله قوله فى الشفاعة اورضى لاجله قول الشافع فى شأنه او قوله لاجله وفى شأنه ﴿ يعلم مابين ايديهم ﴾ ماتقدّمهم من الاحوال ﴿ وماخلفهم ﴾ ومابعدهم مما يستقبلونه ﴿ ولايحيطون به علما ﴾ ولايحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ماعلموا منه ﴿ وعنت الوجوه للحىّ القيوم ﴾ ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى فى يد الملك القهار وظاهرها يقتضى العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة ويؤيده ﴿ وقد خاب من حمل ظلما ﴾ وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان مالاجله عنت وجوههم ﴿ ومن يعمل من الصالحات ﴾ بعض الطاعات ﴿ وهو مؤمن ﴾ لان الايمان شرط فى صحة الطاعات وقبول الحيرات ﴿ فلايخاف ظلما ﴾ منع ثواب مستحق بالوعد ﴿ ولاهضما ﴾ ولا كسرا منه بنقصان او جزآء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلايخف على النهى ﴿ وكذلك ﴾ عطف على كذلك نقص اى مثل ذلك الانزال اومثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد ﴿ انزلناه قرءانا عربيا ﴾ كله على هذه الوتيرة ﴿ وصرّفنا فيه من الوعيد ﴾ مكررين فيه آيات الوعيد ﴿ لعلهم يتقون ﴾ المعاصى فتصير التقوى لهم ملكة ﴿ اويحدث لهم ذكرا ﴾ عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن ﴿ فتعالى الله ﴾ فى ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما يماثل ذاته ذاتهم ﴿ الملك ﴾ النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده ﴿ الحق ﴾ فى ملكوته يستحقه لذاته اوالثابت فى ذاته وصفاته ﴿ ولاتعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ﴾ نهى عن الاستعجال فى تلقى الوحى من جبريل ومساوقته فى القرآءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد

بتكرير آيات الوعيد وتجديد مايدعوه الى اجابة الرب المجيد كما قال وانما عطف قصة آدم على قوله وصرّفنا فيه من الوعيد الخ ولا شك ان النهى اجنبىّ بالنسبة الى هذا المقصود وذكر فى اثنائه لتأدية ذكر شأن القرءآن الى تذكره ولم يجعله اعتراضا لانه ليس له فائدة ترجع الى تأكيد مضمون الكلام السابق واللاحق ﴿ قوله ﴾ وقيل نهى عن تبليغ ما كان مجملا ﴿ لم يرض به لما فيه من تقييد المطلق وهو القرءآن فى قوله تعالى ولا تعجل بالقرءآن ولانه يأبى عنه قوله من قبل ان يقضى اليك وحيه ﴿ قوله ﴾ تقدّم الملك اليه ﴿ الراغب قدّمت اليه بكذا امرته قبل وقت الحاجة الى الفعل اى قبل ان يدهمه الامر او الناس واوعزت عليه فى كذا اى قدّمت وكذلك وعزت عليه توعيزا وقد يخفف فيقال وعزت عليه وعزا ﴿ قوله ﴾ وانما عطف قصة آدم قوله وصرّفنا فيه ﴿ يعنى انها معطوفة على الجملة التى قبلها على طريق عطف القصة على القصة والجملة الثانية وان كانت انشائية والاولى خبرية لكن الانشائية مشتملة على ذيل وقصة فى حكم الخبرية فعطفت على الخبرية كما تعطف الخبرية على مثلها ووجه المناسبة بين القصتين انه تعالى بين بالجملة الاولى ان الانسان انما يثبط عن المعاصى والمنكرات بتكرير آيات الوعيد وتجديد التهديدات حيث قال وصرّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا ثم اردفه بقصة آدم كأنه قال ان طاعة بنى آدم للشيطان وتركهم التحفظ من وساوس الشيطان امر قديم فانا قد عهدنا الى آدم من قبل هؤلاء الذين صرّفنا لهم الوعيد وبالغنا فى تنبيهه حيث قلنا له ان هذا عدوّ لك ولزوجك ثم انه مع ذلك نسى وترك ذلك العهد فظهر ان امر البشر فى ترك التحفظ امر قديم ﴿ قوله ﴾ ولم يعن به ﴿ اى لم يهتم به ولم يعتدّ به الاعتداد الصادق يقال عنيت بحاجتك بضم اوّله اعنى بها عناية قال عليه الصلاة والسلام *من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه* اى يهمه ﴿ قوله ﴾ تصميم رأى ﴿ معنى العزم فى اللغة توطين النفس على الفعل فالمعنى لم نجد له رأيا معزوما عليه حيث جرى على ماوسوس اليه ابليس اللعين الذى حسده وابى ان يسجد له وقيل لم نجد له حفظا لما امر به وقيل صبرا عما نهى عنه ﴿ قوله ﴾ ويذوق شريها واريها ﴿ الشرى بفتح الشين وسكون الراء المهملة الحنظل والارى بفتح الهمزة وسكون الراء العسل اى لعله كان ماوقع منه من نسيان العهد وعدم الثبات على الامر قبل ان يذوق مرّ الامور وحلوها لا من نقصان عقله وقصور حلمه فانه ارجح الناس عقلا واوفرهم حلما لما روى من الحديث وقال الحسن كان عقل آدم مثل عقل جميع ولده ثم قال تعالى ولم نجد له عزما ومعنى هذا انه عليه الصلاة والسلام مع ذلك اثر فيه وسوسته فكيف فى غيره ﴿ قوله ﴾ وعلى هذا لا يقدّر له مفعول ﴿ لان قوله ابى السجود لا يصلح جوابا لقول من قال لم لم يسجد بخلاف ابى بمعنى انه فعل الاباء واظهره وانه من اهل الاباء عن طاعة المولى ولا فائدة فى افادة هذا الغرض لبيان تعلقه بمفعوله فلذلك نزل منزلة اللازم ثم انه تعالى اشار بقوله فقلنا يا آدم ان هذا عدوّ لك ولزوجك الى علة اخرى لعصيانه وهو حسده الذى هو سبب عداوته لهما فان اللعين كان حسودا فلما رأى آثار نعم الله فى حق آدم حسده فصار عدوّا له فكيف يقدم على ان يسجد له مع عداوته اياه وفيه اشارة الى ان كل من حسد احدا يكون عدوّا له ويريد هلاكه ويسعى فى افساد حاله ثم لما كان المخرج من الجنة حقيقة هو الله تعالى كان قوله فلا يخرجنكما من الجنة من قبيل اسناد الفعل الى السبب فان اللعين بوسوسته يكون سببا لخروجهما من الجنة ثم ان ظاهر الآية وان كان نهى الشيطان عن ان يكون سببا لاخراجهما الا ان المراد نهيهما عن ان يكون فيهما مايكون سببا لطمع الشيطان فى ان يغويهما ويسعى فيما يؤدّى الى خروجهما من الجنة كأنه قيل كونا شديدى الشكيمة قويى العزيمة فى رعاية ما كلفتما به والاحتراز عما نهيتما عنه بحيث يكون الشيطان خائبا من ان يطمع فى زلتكما ويقدم على اغرائكما وقوله تعالى فتشقى منصوب باضمار ان فى جواب النهى اى لا تباشرا اسباب الخروج فيحصل الشقاء وهو الكدّ والتعب الدنيوى خاصة مثل الحرث والزرع والطحن والعجن والخبز ونحو ذلك مما لا يخلو الناس عنه فى امر معيشتهم ﴿ قوله ﴾ تعالى ان لك ان لا تجوع فيها ﴿ لك خبر انّ وان لا تجوع فى محل النصب على انه اسم انّ والتقدير ان لك عدم الجوع والعرى وهو تجرّد الجلد عما يستره يقال عرى يعرى عريا ﴿ قوله ﴾ ولا تضحى ﴿ اى وان لا يصيبك حرّ الشمس اذ ليس فيها شمس يقال ضحى الرجل للشمس اذا برز وتعرّض لها* الجوهرى ضحيت للشمس بالكسر ضحاء بالمدّ اذا برزت لها وضحيت بالفتح مثله والمستقبل اضحى فى اللغتين جميعا والكنّ السترة الحائلة من الشمس والجمع اكنان قال تعالى وجعل لكم من الجبال اكنانا فهو تعالى لما ذكر ماله فى الجنة من الاقطاب التى يدور عليها كفاف الانسان بذكر نقائضها كان ذكرها على هذا الوجه كأنه تفسير للشقاء المذكور فى قوله فتشقى

وقيل نهى عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتى بيانه ﴿ وقل رب زدنى علما ﴾ اى سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحى اليك تناله لا محالة ﴿ ولقد عهدنا الى آدم ﴾ ولقد امرناه يقال تقدّم الملك اليه واوعز عليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرّفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بنى آدم على العصيان وعرقهم راسخ فى النسيان ﴿ من قبل ﴾ من قبل هذا الزمان ﴿ فنسى ﴾ العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك ماوصى به من الاحتراز عن الشجرة ﴿ ولم نجد له عزما ﴾ تصميم رأى وثبات على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان فى بدء امره قبل ان يجرّب الامور ويذوق شريها واريها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بنى آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمده ولم نجد ان كان من الوجود الذى بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ مقدّر باذكر اى اذكر حاله فى ذلك الوقت ليتبين لك انه نسى ولم يكن من اولى العزيمة والثبات ﴿ فسجدوا الا ابليس ﴾ قد سبق فيه القول ﴿ أبى ﴾ جملة مستأنفة لبيان مامنعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدّر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى اظهر الآباء عن المطاوعة ﴿ فقلنا يا آدم ان هذا عدوّ لك ولزوجك فلا يخرجنكما ﴾ فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما ﴿ من الجنة فتشقى ﴾ افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما فى الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل اولان المراد بالشقاء التعب فى طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ﴿ ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾ فانه بيان وتذكير لما له فى الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التى هى الشبع والرىّ والكسوة والكنّ مستغنيا عن اكتسابها والسعى فى تحصيل اعواض ماعسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها (قوله)

والعاطف وان ناب عن انّ لكنه من حيث انه عامل لامن حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه وقرأ نافع وابو بكر وانك لا تظمأ بكسر الهمزة والباقون بفتحها ﴿فوسوس اليه الشيطان﴾ فأنهى اليه وسوسته ﴿قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد﴾ الشجرة التي من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانه سببه بزعمه ﴿وملك لا يبلى﴾ لا يزول ولا يضعف ﴿فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للستر وهو ورق التين ﴿وعصى آدم ربه﴾ باكل الشجرة ﴿فغوى﴾ فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغترّ بقول العدوّ وقرئ فغوى من غوى الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها ﴿ثم اجتباه ربه﴾ اصطفاه وقرّبه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من جبى الىّ كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع ﴿فتاب عليه﴾ فقبل توبته لما تاب ﴿وهدى﴾ الى الثبات على التوبة والتثبيت باسباب العصمة ﴿قال اهبطا منها جميعا﴾ الخطاب لآدم وحوّآء اوله ولابليس ولما كانا اصلى الذرّية خاطبهما مخاطبتهم فقال ﴿بعضكم لبعض عدوّ﴾ لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب اولاختلال حال كل من النوعين بواسطة الاخر ويؤيد الاوّل قوله ﴿فاما يأتينكم منى هدى﴾ كتاب ورسول ﴿فمن اتبع هداى فلا يضل﴾ في الدنيا ﴿ولا يشقى﴾ في الآخرة ﴿ومن اعرض عن ذكرى﴾ عن الهدى الذاكرلى والداعى الى عبادتى ﴿فان له معيشة ضنكا﴾ ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همه ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل ولو ان اهل القرى آمنوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ﴿ونحشره﴾ قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له

﴿قوله والعاطف وان ناب عن انّ﴾ اى المكسورة جواب عما يقال انّ المكسورة لا تدخل على انّ المفتوحة كراهة اجتماع الحرفين بمعنى واحد وهو التحقيق وكراهة اجتماع عاملين يعملان عملا واحدا فلا يقال انّ أن زيدا منطلق والواو نائبة عن انّ المكسورة وقائمة مقامها كما في قولك ان زيدا في الدار وعمرا فلم ادخلت عليها في قوله تعالى وانك لا تظمأ فيها * وتقرير الجواب ان الواو ليست موضوعة للتحقيق حتى يجتمع حرفان بمعنى واحد والمفتوحة مع ما في حيزها لما كانت في تأويل المفرد جاز اجتماعها مع الواو النائبة عن العامل ﴿قوله او عن المأمور به﴾ وهو التباعد عن الشجرة فانه مأمور به في ضمن قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة والظاهر ان يقال فغوى وضل عن الانتهاء عما نهى عنه بقوله ولا تقربا الا ان النهى عن الشئ لما تضمن الامر بضدّه عند الشافعية وكان معنى قوله لا تقربا هذه الشجرة ابعدا عنها قال او عن المأمور به قرأ الجمهور فغوى بفتح الواو بعدها الف بمعنى ضل وقرئ بكسر الواو وفتح الياء بمعنى بشم ﴿قوله وفي النعي عليه بالعصيان﴾ اى وفي تشهيره به يقال نعى فلان على فلان ذنوبه اى اظهر ذنوبه وشهره بها والعصيان ترك الامر وارتكاب المنهى عنه فان كان عمدا يسمى ذنبا وان كان خطأ يسمى زلة والآية دالة على انه عليه الصلاة والسلام صدر عنه عمد المعصية والمصنف سماها زلة بناء على انه عليه الصلاة والسلام انما ترك الانتهاء عن اكل الشجرة اجتهادا لا بان تعمد المعصية ووجه الاجتهاد انه عليه الصلاة والسلام حمل النهى على التنزيه دون التحريم او حمل قوله تعالى هذه الشجرة على شجرة بعينها دون جنسها ومع ذلك الظاهر انّ هذه الواقعة انما كانت قبل نبوّته عليه الصلاة والسلام ثم اجتباه ربه اى اختاره واصطفاه وتاب عليه بالعفو عنه وهداه الى التوبة حين قال ربنا ظلمنا انفسنا روى عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال لو جمع بكاء اهل الدنيا الى بكاء داود عليه الصلاة والسلام لكان بكاؤه اكثر ولو جمع ذلك الى بكاء نوح عليه الصلاة والسلام لكان بكاء نوح اكثر وانما سمى نوحا لنوحه على نفسه ولو جمع ذلك كله الى بكاء آدم عليه الصلاة والسلام على خطيئته لكان بكاء آدم اكثر قال وهب انه لما كثر بكاؤه امره الله تعالى بان يقول لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسى فاغفرلى انك خير الغافرين فقالها آدم ثم قال قل لا اله الا انت عملت سوأ وظلمت نفسى فارحمنى وانت ارحم الراحمين فقالها آدم ثم قال له قل سبحانك لا اله الا انت عملت سوأ وظلمت نفسى فتب علىّ انك انت التواب الرحيم قال ابن عباس هن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ﴿قوله ولما كانا اصلى الذرّية خاطبهما مخاطبتهم﴾ جواب عما يقال خطاب اهبطا للتثنى وهما آدم وحوّآء او آدم وابليس وما بعده من الخطاب للجمع فكيف جاز ان يخاطب شخصان بما يخاطب به الجماعة * وتقرير الجواب انهما وان كانا شخصين معينين في انفسهما الا انهما لما كانا اصلى ما تفرّع منهما من الذرّية جعلا بمنزلة الجماعة فخوطبا بما يخاطب به الجماعة فقال بعضكم لبعض عدوّ فانّ ذرية آدم وحوّآء يتعادون لامر المعاش وكذا ذرية آدم وابليس يتعادون لاختلال حال كل واحد من نوعى البشر والشياطين بواسطة الآخر فان نوع البشر اخرجوا من النعيم المقيم بسبب وسوسة ابليس وان ابليس طرد من بين المقدّسين ومقام العليين بسبب ابائه عن السجود لآدم وهذا معنى اختلال كل من النوعين بواسطة الآخر ﴿قوله ويؤيد الاوّل﴾ وهو ان يكون الخطاب لآدم وحوّآء لا له وابليس ووجه التأييد ان خطاب يأتينكم لا يدخل فيه ابليس وذريته لانهم آيسون من رحمة الله وملعونون الى يوم القيامة ﴿قوله مصدر وصف به﴾ مبالغة او بتقدير ذات ضنك يقال ضنك عيشه يضنك ضنا كة وضنكا من باب نصر ينصر وخلاصة المعنى ان من اتبع كتاب الله تعالى ومواعظ رسوله هداه الله تعالى فلا يضل في امر دينه ما دام حيا ووقاه يوم القيامة سوء الحساب ومن اعرض عنه ضاق عيشه في الدنيا لانه لا يجد الخلف في الانفاق في الدنيا ولا المثوبة في العقبى فلا جرم يضيق الانفاق ويلازم الشح فيكون محروما من الخلف في الدنيا والمثوبة في الآخرة بخلاف من اتبع الهدى فانه يتسع قلبه في ذلك لرجاء الخلف والاجر وتطيب نفسه بالقناعة التي هي كنز لا يفنى فيكون في سعة الدنيا والآخرة فيكون المراد بضيق معيشة المعرض ضيق قلبه في شأن اعراض الدنيا وان كثر ما في يده منها مع انه يضيق على الكافر ويوسع على المؤمن قال الله تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء وقيل المراد بالمعيشة الضنك عذاب الآخرة في جهنم فان طعام اهلها الضريع والزقوم وشرابهم الحميم والغسلين فلا يموتون فيها ولا يحيون وقيل المراد بها عذاب القبر روى عن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ان المؤمن

معيشة ضنكا لانه جواب الشرط ﴿يوم القيامة اعمى﴾ اعمى البصر او القلب ويؤيد الاوّل ﴿قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا﴾ وقد امالهما حمزة والكسائى لان الالف منقلبة من الياء وفرق ابو عمرو بان الاوّل رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير

﴿قال كذلك﴾ اى مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال ﴿أتتك آياتنا﴾ واضحة نيرة ﴿فنسيتها﴾ فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها ﴿وكذلك﴾ ومثل تركك اياها ﴿اليوم تنسى﴾ تترك فى العمى والعذاب ﴿وكذلك نجزى من اسرف﴾ بالانهماك فى الشهوات والاعراض عن الآيات ﴿ولم يؤمن بآيات ربه﴾ بل كذبها وخالفها ﴿ولعذاب الآخرة﴾ وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اى والنار بعد ذلك ﴿اشدّ وابقى﴾ من ضنك العيش اومنه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله اوما فعله من ترك الآيات والكفر بها ﴿أفلم يهد لهم﴾ مسند الى الله او الرسول اومادل عليه ﴿كم اهلكنا قبلهم من القرون﴾ اى اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاوّلين معلق يجرى مجرى اعلم ويدل عليه القرآءة بالنون ﴿يمشون فى مساكنهم﴾ ويشاهدون آثار اهلاكهم ﴿انّ فى ذلك لآيات لأولى النهى﴾ لذوى العقول الناهية عن التغافل والتعامى ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ وهى العدّة بتأخير عذاب هذه الامّة الى الآخرة ﴿لكان لزاما﴾ لكان مثل مانزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم آلة سمى به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم ﴿واجل مسمى﴾ عطف على كلمة اى ولولا العدّة بتأخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيامة او بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفى لزوم العذاب

فى قبره فى روضة خضراء ويرحب له قبره سبعين ذراعا وينوّر له قبره كالقمر ليلة البدر * ثم قال * أتدرون فيم انزلت هذه الآية فان له معيشة ضنكا وأتدرون ما المعيشة الضنك * قالوا الله ورسوله اعلم قال * عذاب الكافر فى قبره والذى نفسى بيده ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ينفخون فى جسده ويلذعونه ويلسعونه ويخدشونه الى يوم القيامة * قرآءة العامّة ونحشره بالنون ورفع الفعل على الاستئناف تخفيفا وقوله اعمى منصوب على الحال والظاهر ان المراد بالعمى عمى البصر كما فى قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى وقيل المعنى نحشره اعمى عن الحجة بمعنى انه لاحجة له يهتدى بها الى ماكان عليه من الضلالة قال الفرآء انه يبعث بصيرا ثم يعمى اذا حشر الى جهنم وقيل يكون ذلك بعد ماحوسب وقرأ الكتاب ﴿قوله﴾ اى مثل ذلك فعلت ﴿قوله﴾ على ان الكاف فى محل النصب على انه مفعول به اى مثل ذلك الفعل الذى فعلنا بك فعلت انت بنفسك ﴿قوله من ضنك العيش﴾ ان كان المراد بالمفضل الحشر على العمى الذى لايزول ابدا يكون المفضل عليه ضنك العيش فانه يزول وينقضى وان كان المراد بالمفضل عذاب النار يكون المفضل عليه ضنك العيش والحشر على العمى جميعا فان عذاب النار اشدّ من كل واحد منهما اما من ضنك العيش فظاهر واما من العمى فلقوله ولعله اذا دخل النار زال عماه ويحتمل ان يكون المعنى وتركنا اياه فى العمى اوفى عذاب النار اشدّ وابقى من تركه لآياتنا ثم انه تعالى لما بين ان من اعرض عن ذكره كيف يحشر يوم القيامة اتبعه بما يعتبر به المكلف من الاحوال الواقعة فى الدنيا ممن كذب الرسل فقال افلم يهد لهم اى افلم يتبين لهم وان كان قوله يهد مسندا الى ضمير الله تعالى او ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام يكون كم اهلكنا سادّا مسدّ مفعوليه لان كم الاستفهامية معلقة له فلا يعمل فيها والتعليق وان كان من خصائص افعال القلوب وفعل الهداية ليس منها الا انه جار مجرى باب علمت لان الهداية وهى الدالة على مايوصل الى المطلوب فيها معنى الاعلام والتبيين ومعنى الاستفهام فيه التقرير اى بين الله تعالى لكفار مكة كثرة اهلاكه القرون للاعتبار او بين الرسول كثرة اهلاكنا ولو اعملت فعل الهداية واظهرت مفاعيله الثلاثة لقلت افلم يعلمهم كثيرا من القرون مهلكا ﴿قوله﴾ اومادل عليه كم اهلكنا ﴿قوله﴾ قال ابو البقاء ويحتمل ان يكون الفاعل مادل عليه اهلكنا اى اهلاكنا والجملة مفسرة له انتهى فيكون مفعوله محذوفا والمعنى افلم يبين لهم اهلاكنا القرون المكذبين طريق الاعتبار والايقاظ ولايكون كم فى كم اهلكنا فاعلا ولامفعولا لان الاستفهام لايعمل فيه ماقبله بل هو منصوب باهلكنا وهو مفعول مقدّم اى وكثيرا من القرون اهلكنا ﴿قوله﴾ او الجملة بمضمونها ﴿قوله﴾ اى ويحتمل ان يكون فاعله هذا الكلام الذى بعده وهو كم اهلكنا الخ بناء على ان المراد لفظه الدال على معناه كما اريد بآمنوا فى قوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا اللفظ الدال على معناه لامجرّد لفظه بل باعتبار دلالته على معناه وهو كثرة مااهلك من القرون جعله هاديا لهم كما جعل واعظا وزاجرا ويمشون فى موضع الحال من الضمير فى لهم والضمير فيه لكفار مكة والمعنى انهم يمشون فى مساكن الهالكين من القرون المكذبين فى متاجرهم الى الشام ذاهبين وراجعين ويشاهدون كون منازلهم خرابا بلقعا فينبغى ان يعتبروا بهم ويجتنبوا عما ادّاهم الى عذاب الاستئصال لئلا يحل بهم ماحل بهؤلاء وقرئ يمشون بالتشديد لكثرة مامشوا فى مساكنهم ﴿قوله﴾ تعالى ان فى ذلك ﴿قوله﴾ اى فى اهلاكهم بسبب كفرهم بالانبياء ﴿قوله﴾ لكان مثل مانزل بعاد ﴿قوله﴾ يريد ان اسم كان فى قوله لكان لزاما ضمير راجع الى الاهلاك المدلول عليه بقوله اهلكنا على حذف المضاف اى لكان مثل اهلاكنا اياهم لازما لهؤلاء الكفرة اما على ان لزاما مصدر لازم وصف به او اسم آلة على انه فعال بمعنى مفعل سمى به اللازم تشبيها له بآلة اللزوم فى فرط اللزوم فان اللازم لاينفك عن الملزوم كما ان الآلة لاتنفك عما جعلت آلة له وكون فعال بمعنى مفعل واطلاقه على الفاعل مثل قولهم فلان لزاز خصم اى ملح شديد الخصومة يقال لزه يلزه لزا ولزازا اى شدّه ولصقه ورجل ملزاز شديد الخصومة لزوم لما طلب ولازز ته اى لاصقته ﴿قوله﴾ عطف على كلمة ﴿قوله﴾ فيكون الكلام على التقديم والتأخير واشار اليه بقوله لولا العدة بتأخير العذاب واجل مسمى الخ لكان العذاب لزاما ثم بين نكتة الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بتوسط جواب لولا بقوله والفصل للدلالة الخ ثم انه لاشك فى ان الكلمة اخبار الله تعالى ملائكته وكتبه فى اللوح المحفوظ ان امّة محمد وان كذبوا فسيؤخرون ولايفعل بهم مايفعل بغيرهم من الاستئصال واختلفوا فيما لاجله لم يفعل ذلك بامّة محمد عليه الصلاة والسلام فقال بعضهم لانه علم ان فيهم من يؤمن وقال آخرون علم ان فى نسلهم من يؤمن ولو نزل بهم العذاب لعمهم الهلاك وقال آخرون المصلحة فيه خفية لايعلمها

الا الله تعالى وقال اهل السنة له تعالى بحكم المالكية ان يخص من يشاء بفضله ومن يشاء بقهره وعذابه من غير علة تقتضى ذلك ﴿قوله ويجوز عطفه﴾ اى عطف قوله واجل مسمى على ضمير المستتر فى كان العائد على الاخذ العاجل المدلول عليه بالسياق فيكون الفصل بالخبر للاهتمام ببيان لزوم الاخذ العاجل لانتفاء العدة بتأخير عذاب هذه الامة والمعنى ولولا عدة سبقت من ربك بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لعذابهم الآجل لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود واضرابهما ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل الا ان هذا الاحتمال انما يكون على تقدير كون قوله لزاما مصدرا وصف به لان المصدر لا يثنى ولا يجمع بل يفرد على كل حال بخلاف ما اذا كان اسم آلة بمعنى ملزم فانه حينئذ كان ينبغى ان يطابق فى التثنية فيقال لزامين وجوز ابو البقاء ان يكون لزاما جمع لازم كقيام جمع قائم ثم انه تعالى لما اخبر نبيه عليه الصلاة والسلام بانه لا يهلك احدا قبل استيفاء اجله امره بالصبر على مايقولون مما يغمه ويؤذيه مثل تكذيبهم اياه فيما يدّعيه من النبوّة فقال فاصبر على مايقولون اى على ماتسمع منهم مما يؤذيك الى ان يحكم الله فيهم وهذه الآية منسوخة بآية القتال ثم امره بالتسبيح عقيب امره بالصبر لان التسبيح سواء كان بمعنى التنزيه والاجلال او بمعنى الصلاة بطريق اطلاق الجزء على الكل من قبيل ذكر الله تعالى وذكره يفيد السلوة والراحة وينسى جميع ما اصاب من الغموم والاحزان ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب ﴿قوله معترفا بانه مولى النعم كلها﴾ الاعتراف به مستفاد من لفظ الحمد لان الحمد الاصطلاحى انما يكون فى مقابلة النعم وتأكيدا لنعم بقوله كلها مستفاد من اطلاق الحمد حيث لم يقيد بكونه فى مقابلة شئ من النعم ﴿قوله ومن ساعاته﴾ اى فسبح بعض ساعاته والآناء جمع انى كنحى وقيل جمع أنى كرحى يقال أنى يأنى أنيا اى حان ﴿قوله وانما قدّم زمان الليل﴾ اى الزمان الذى هو الليل يعنى قدّم قوله ومن آناء الليل على عامله واخر عنه قوله قبل طلوع الشمس وقبل غروبها اهتماما بشأن الليل حيث ان ما كان بالليل من العبادة افضل مما كان بالنهار لان الشواغل الداعية الى تفريق الخواطر تقل بالليل فيكون ما وقع فيه من العبادة مقرونا بحضور القلب وموافقة القلب اللسان فيكون أدخل فى استحقاق الاجر والفضل وايضا النفس فيه اميل الى الاستراحة فان العبادة الناشئة اى الحادثة فى الليل اشدّ وطئا اى كلفة او ثبات قدم واقوم قيلا اى أشدّ قرآءة لانتفاء الشواغل ﴿قوله ومجيئه بلفظ الجمع﴾ جواب عما يقال النهار له طرفان فكيف قيل واطراف النهار والظاهر ايراد لفظ التثنية كما قال واقم الصلاة طرفى النهار* وتقرير الجواب انه ذكر لفظ الجمع فى موضع ذكر لفظ التثنية لعدم التباس المراد فانه لا يلتبس على احد ان النهار له طرفان لا غير وذكر لفظ التثنية فى آية اخرى للتنصيص على المراد وزيادة البيان كما عبر الشاعر عن الامرين تارة بلفظ التثنية واخرى بلفظ الجمع فى قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين* لذلك وقبله ومهمهين فدفدين مرتين* وبعده جبتهما بالنعت لا بالنعتين* المهمه المفازة البعيدة والفدفد الارض المستوية والمرت بسكون الراء المفازة التى لا نبات بها ولا ماء وجبتهما اى قطعتهما ولم ينعت الا المرّة واحدة بنعت واحد لا بنعتين ليتميز كل واحد من المهمهين عن الآخر يصف الشاعر نفسه بالفطانة والخبرة فى سلوك المفاوز وبالجرآءة والاقدام على المهالك وانما قال ظهور الترسين كراهة الجمع بين التثنيتين احداهما فى المضاف وثانيتهما فى المضاف اليه كقوله تعالى فقد صغت قلوبكما ﴿قوله اوامر بصلاة الظهر﴾ عطف على قوله تعالى تكرير لصلاتى الصبح والمغرب فان قوله واطراف النهار منصوب بالعطف على محل قوله ومن آناء الليل كانه قيل وسبح اطراف النهار التى هى ما بعد الزوال وما قبله وعبر بلفظ اطراف باعتبار انه ذو حظ من طرفى النهار ولا بدّ مع هذا الاعتبار من الذهاب الى قول من قال اقل الجمع اثنان ﴿قوله فانها نهاية النصف الاوّل﴾ اى فانها تصلى عند الزوال الذى هو نهاية النصف الاوّل الخ ﴿قوله اولان النهار جنس﴾ يتناول كل فرد من افراد النهار فلما كانت صلاة الظهر تتكرّر فى كل نهار جعل وقته لتعدّد النهار التى اضيف هو اليها لا لتعدّده فى نفسه ﴿قوله او بالتطوّع فى اجزآء النهار﴾ عطف على قوله بصلاة الظهر فى قوله اوامر بصلاة الظهر فقوله تعالى واطراف النهار فيه ثلاثة اوجه ﴿قوله اى نظر عينيك﴾ ومدّ النظر تطويله وان لا يكاد يردّه استحسانا للمنظور وتمنيا ان يكون له مثله وفيه دليل على ان النظر الغير الممدود معفوّ عنه لانه لا يمكن الاحتراز عنه ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز فى الطباع وان من ابصر منها شيأ احب ان يمدّ اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل له عليه السلام ولا تمدّنّ عينيك اى لا تفعل ما عليه جبلت البشر ولقد شدّد المتقون فى وجوب غض

ويجوز عطفه على المستكنّ فى كان اى لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم ﴿فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك﴾ وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر مايضيفون اليه من النقائص حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها ﴿قبل طلوع الشمس﴾ يعنى الفجر ﴿وقبل غروبها﴾ يعنى الظهر والعصر لانهما من آخر النهار او العصر وحده ﴿ومن آناء الليل﴾ ومن ساعاته جمع انى بالكسر والقصر وأناء بالفتح والمدّ ﴿فسبح﴾ يعنى المغرب والعشاء وانما قدّم زمان الليل فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة فكانت العبادة فيه احزل ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هى اشدّ وطئا واقوم قيلا ﴿واطراف النهار﴾ تكرير لصلاتى الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لأمن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين اوامر بصلاة الظهر فانها نهاية النصف الاوّل من النهار وبداية النصف الآخر وجمعه باعتبار النصفين اولان النهار جنس او بالتطوّع فى اجزآء النهار ﴿لعلك ترضى﴾ متعلق بسبح اى سبح فى هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائى وابو بكر بالبناء للمفعول اى يرضيك ربك ﴿ولا تمدّنّ عينيك﴾ اى نظر عينيك ﴿الى ما متعنا به﴾ استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ﴿ازواجا منهم﴾ اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى به والمفعول منهم اى الى الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم او ناسا منهم

﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهى الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهى لغة كالجهرة فى الجهرة اوجمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ماعليه المؤمنون الزهاد ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنبلوهم ونختبرهم فيه اولنعذبهم فى الآخرة بسببه ﴿ورزق ربك﴾ وما ادّخر لك فى الآخرة اوما رزقك من الهدى والنبوّة ﴿خير﴾ مما منحهم فى الدنيا ﴿وابقى﴾ فانه لا ينقطع ﴿وأمر اهلك بالصلاة﴾ امره بان يأمر اهل بيته او التابعين له من امّته بالصلاة بعدما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة ﴿واصطبر عليها﴾ وداوم عليها ﴿لا نسألك رزقا﴾ ان ترزق نفسك ولا اهلك ﴿نحن نرزقك﴾ واياهم ففرّغ بالك لامر الآخرة ﴿والعاقبة﴾ المحمودة ﴿للتقوى﴾ لذوى التقوى روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا اصاب اهله ضرّ أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية ﴿وقالوا لولا يأتينا بآية من ربّه﴾ بآية تدل على صدقه فى ادّعاء النبوّة او بآية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد به تعنتا وعنادا فألزمهم بأتيانه بالقرءآن الذى هو امّ المعجزات واعظمها واتقنها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدّعى النبوّة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولاشك ان العلم اصل العمل وأعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال ﴿اولم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى﴾ من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة مافيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتى بها امّى لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوّته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هى مفتقرة الى مايشهد على صحتها قرأ نافع وابو عمرو وحفص اولم تأتهم بالتاء والباقون بالياء وقرئ الصحف بالتخفيف ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ من قبل محمد او البينة والتذكير لانها فى معنى البرهان او المراد بها القرءآن ﴿لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل﴾ بالقتل والسبى فى الدنيا ﴿ونخزى﴾ بدخول النار يوم القيامة وقد قرئ بالبناء للفعول فيهما ﴿قل كل﴾ اى كل واحد منا ومنكم ﴿متربص﴾ منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم ﴿فتربصوا﴾ وقرئ فتمتعوا ﴿فستعلمون من اصحاب الصراط السوىّ﴾ المستقيم وقرئ السواء اى الوسط الجيد والسوءى والسوء اى الشرّ والسوىّ وهو تصغيره ﴿ومن اهتدى﴾ من الضلالة ومن فى الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتدآء ويجوز ان تكون (سورة)

البصر عن ابنية الظلمة واختيال الفسقة فى اللباس والمركب وغير ذلك لانهم اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظار فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغرى لهم على اتخاذها روى عن ابى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثنى الى يهودىّ فقال *قل له ان رسول الله يقول لك يعنى كذا وكذا من الدقيق او اسلفنى الى هلال رجب *فأتيته فقلت له ذلك فقال لا والله لا ابيعه ولا اسلفه الا برهن فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال * والله لو باعنى او اسلفنى لقضيته وانى لأمين فى السماء وامين فى الارض اذهب بدرعى الحديد اليه *فنزلت هذه الآية تسلية له عن الدنيا قال ابو الدرداء آه الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعن الحسن لولا حمق الناس لخربت الدنيا وعن عيسى بن مريم لا تتخذوا الدنيا دارا فتتخذكم عبيدا وأزواجا منصوب على انه مفعول متعنا او على انه حال من الهاء به روعى لفظ ما مرّة فافرد الراجع اليها ومعناها اخرى فجمع ما كانت عبارة عنه ومنهم مفعول متعنا على ان من فيه للتبعيض اى بعضهم اوناسا منهم وذكر لانتصاب زهرة ستة اوجه الاوّل ان يكون منصوبا بفعل مضمر دل عليه متعنا تقديره جعلنا لهم زهرة والثانى ان يكون مفعولا ثانيا لمتعنا على تضمينه معنى اعطينا وازواجا مفعوله الاوّل وزهرة هو الثانى والثالث ان ينتصب على انه بدل من محل به والرابع والخامس ان يكون بدلا من ازواجا على حذف المضاف اى ذوى زهرة اومن غير حذفه بان يجعل اصناف الكفرة نفس الزهرة على المبالغة والسادس ان يكون منصوبا على الذم وهو النصب على الاختصاص بتقدير اعنى والمذموم الموصول اوضميره ذمّه لكونه زينة الدنيا لا الآخرة وعلى تقدير ان تكون زهرة بفتح الهاء جمع زاهر كفاجر وفجرة وبارّ وبررة تكون صفة ازواجا اى اصنافا زاهرى الدنيا اى مشرقى الوجوه متلألئى الالوان والهيئات يقال زهرت النار زهورا اى اضاءت وازهرتها انا والازهر النير ورجل ازهر اى نير ابيض مشرق الوجه والمرأة زهراء وصف المتمتعون بانهم زاهروا هذه الحياة الدنيا لصفاء ألوانهم وتهلل وجوههم بخلاف ماعليه الصلحاء من تغير الالوان والتبلغ بالقوت والاكتفاء بالمرقعات من الثياب ﴿قوله او لنعذبهم﴾ يؤيده قوله تعالى ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا ﴿قوله على خصاصتهم﴾ قال فى النهاية الخصاصة الجوع والضعف واصلها الفقر والحاجة الى الشئ ﴿قوله انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد به تعنتا﴾ يعنى ان قول الكفار هلا يأتينا محمد عليه الصلاة والسلام بآية يجوز ان يكون طلبا لآية تدل على صدقه أية آية كانت انكارا لما جاء به مما يدل عليه وان يكون طلبا لآية مقترحة مثل العصا والناقة مع اعتدادهم بما جاء به تعنتا وعنادا ويحتمل ان يكون قوله تعالى فاصبر على مايقولون توطئة لحكاية هذه المقالة من الكفرة ويكون المراد بما يقولون مقالتهم هذه قرأ نافع وابو عمرو وحفص اولم تأتهم بتأنيث الفعل لتأنيث فاعله والباقون بالياء من تحت لكون التأنيث غير حقيقى وقرأ العامة بينة ما باضافة بينة الى ما مرفوعة وهى واضحة وقرئ بتنوين بينة مرفوعة فعلى هذه القرآءة تكون ما بدلا من بينة بدل كل من كل او خبر مبتدأ محذوف اى هى ما فى الصحف الاولى كالتوراة والانجيل من البشارة بنبينا محمد بارساله نيابعربيا موصوفا بما فيه من النعوت الكريمة ﴿قوله تعالى ولو أنا اهلكناهم بعذاب الآية﴾ بيان انه لا عذر لهم فى ترك الشرآئع وسلوك طريق الضلال بوجه مّا ثم انه تعالى ختم السورة بضرب من الوعيد ونوع من الزجر والتهديد فقال قل كل متربص الآية قرأ العامة السوىّ على وزن فعيل بمعنى الدين المستوى المستقيم وقرئ السواء بفتح السين والمدّ بمعنى الوسط الجيد وقرئ السوءى نقيض الحسنى لان الصراط لكونه بمعنى السبيل يجوز تأنيثه وقرئ الصراط السوء بفتح السين وسكون الواو بمعنى الشرّ وقرئ السوىّ بضم السين وفتح الواو وتشديد الياء تصغير سوء والمعنى على القراءآت الثلاث الاخيرة فستعلمون من اصحاب الطريق المعوج والدين الباطل ﴿قوله ومحلها الرفع على الابتدآء﴾ ومابعدها الخبر والجملة فى محل النصب سادّة مسدّ المفعولين ومن لما كانت استفهامية بمعنى اينا لم يعمل فيها فستعلمون ﴿قوله على ان العلم بمعنى المعرفة﴾ اذ لو كان على بابه لاحتيج الى تقدير مفعول ثان لعدم جواز الاقتصار على احد مفعوليه وعلى تقدير ان تكون من الثانية موصولة تكون فى حيز مفعول فستعلمون على معنى فستعلمون الذى اهتدى او فى حيز خبر من الاستفهامية على معنى اينا اصحاب الصراط السوىّ والذى اهتدى او فى حيز المجرور باضافة اصحاب اليه على معنى اينا اصحاب الصراط السوىّ واصحاب الذى اهتدى على ان المراد بالذى اهتدى النبى عليه الصلاة والسلام

الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبى عليه الصلاة والسلام * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأطه اعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار

سورة الانبياء مكية وهى مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله بالاضافة الى مامضى جواب عما يقال كيف وصف وقت الحساب بالاقتراب مع انه قد عدّ من بعد نزول هذا القول اكثر من تسعمائة سنة يقال قرب الشئ واقترب اذا دنا والحساب بمعنى المحاسبة وهو اظهار مالعبد وماعليه ليجازى على ذلك قيل المراد به وقت حسابهم وهو يوم القيامة كما قال اقتربت الساعة فسمى يوم القيامة بيوم الحساب تسمية للزمان باعظم ماوقع فيه واشدّه وقعا فى القلوب فان الحساب هو الكاشف عن حال المرء ففى تسميته به تخويف عظيم للمكلفين **قوله** واللام صلة لاقترب الفرق بين كونها صلة وكونها تأكيدا للاضافة ان اللام الجارة اذا كانت صلة لاقترب كان المقترب له اى المدنوّ منه مذكورا وكان المعنى دنا من الناس حسابهم واذا كانت تأكيدا للاضافة لم يكن المقترب له اى المدنوّ منه مذكورا العلم به فيصير المعنى كما قيل اقترب حساب الناس اى الحساب الذى للناس فلما كانت اللام لتأكيد الاختصاص المستفاد من الاضافة كان اصل المعنى اقترب حساب الناس لان المقصود بيان دنوّ وقت حسابهم وهو يحصل من هذا التركيب ثم قدّم المضاف اليه وادخل عليه اللام الجارة المفيدة لاختصاص الحساب بهم المدلول عليه بالاضافة وعرف الحساب تعريف الجنس فصار اقترب للناس الحساب على ان للناس ظرف مستقرّ قدّم على الحساب لكون العناية مصروفة الى ذكر المقترب له وبيان ان الحساب لهم لا لغيرهم وفى التقديم والتصريح باللام وتعريف الحساب مبالغات ليست فى قولك اقترب حساب الناس ثم حذف لام التعريف من الحساب واضيف الى ضمير الناس تأكيداً لاختصاص الحساب بهم المدلول عليه بلام الاختصاص * فان قيل اذا كان اقترب للناس مقدّما فى الاعتبار على ان يقال اقترب للناس حسابهم لم يكن اللام تأكيداً للاضافة بل يكون الامر بالعكس * فالجواب انه اذا كان احدهما تأكيدا للآخر كان كل واحد منهما مؤكدا بالآخر فصح جعل اللام تأكيداً للاضافة ومعنى التأكيد ان كل واحدة من اللام الجارة والاضافة مغنية عن الاخرى فاذا جمع بينهما كانت احداهما تأكيدا للاخرى **قوله** معرضون عن التفكر فيه فان العقول السليمة حاكمة بانه لابدّ من الحساب والجزآء والازم التسوية بين المطيع والعاصى والمتقين والفجار وهى بعيدة عن مقتضى الحكمة والعدالة **قوله** محدث تنزيله يعنى ان المراد بالذكر كلام الله تعالى الذى يذكرهم مالهم وماعليهم وهو صفة ازلية قديمة الا انه تعالى انزله بالتفاريق واحدث تنزيله فى كل وقت على حسب المصالح وقدر الحاجة فذات المنزل ازلى قديم والمحدث انما هو تنزيله فظهر الجواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على ان القرآن محدث قائلين ان القرآن ذكر لقوله تعالى فى صفة القرآن ان هو الا ذكر للعالمين والذكر محدث بهذه الآية فالقرآن محدث * واجيب عنه ايضا بان الموصوف بالاتيان وبانه ذكر هو المركب من الحروف والاصوات وحدوثه مما لانزاع فيه وانما النزاع فى قدم كلام الله تعالى عزوجل بمعنى آخر فقوله تعالى مايأتيهم من ذكر الآية بيان لكونهم معرضين وذلك لان الله تعالى يحدّد لهم الذكر كل وقت ويظهر لهم الآية والسورة بعد السورة ليكرّر على اسماعهم الموعظة ليتعظوا فيزيدهم ذلك الاستبخاراً قرأ العامة محدث بالجرّ على انه صفة لذكر محمول على لفظه وقرئ مرفوعا حملا على محله لان من مزيدة فيه كما فى ماجاءنى من احد **قوله** لاهية قلوبهم اى متشاغلة عن التأمل فيه من لهيت عن الشئ الهى لهيا ولهيانا بالضم من باب علم اذا غفلت عنه قدم ذكر اللعب على اللهو كما فى قوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو تنبيها على ان اشتغالهم باللعب الذى معناه السخرية والاستهزآء معلل باللهو الذى معناه الذهول والغفلة فانهم انما اقدموا على اللعب لذهولهم عن الحق **قوله** اى استمعوه جامعين على تقدير ان يكونا حالين مترادفين من واو استمعوه وان كان لاهية حالا من واو يلعبون يكون من قبيل الاحوال المتداخلة لكون الحال الاولى عاملة فى الثانية **قوله** بالغوا فى اخفائها جواب عما يقال من ان النجوى اسم من التناجى فلاتكون الاخفية فامعنى قوله تعالى واسرّوا النجوى * اجاب عنه اوّلا بان معناه بالغوا فى اخفائها وثانيا بان المعنى جعلوها بحيث لايفطن احد لتناجيهم ولايعلم انهم متناجون **قوله** بدل من واو أسرّوا فيكون واو أسرّوا ضميرا عائدا الى ماعاد اليه سائر الضمائر المذكورة ويكون المقصود من ابدال قوله الذين ظلموا من الواو الاعلام بانهم المبالغون فى الظلم وذلك لانه جعل الذين ظلموا مفسرا لهم بهذا الابدال وان كان الذين ظلموا فاعلا يكون واو أسرّوا حرفا جيئ به للدلالة على ان الفاعل جمع كما يؤتى بالتاء للدلالة

سورة الانبياء مكية وهى مائة
واثنتا عشرة آية
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقترب للناس حسابهم) بالاضافة الى مامضى اوعند الله لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدّون اولان كل ماهو آت قريب وانما البعيد ماانقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تأكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله (وهم فى غفلة معرضون) اى فى غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكنّ فى معرضون (مايأتيهم من ذكر) ينبههم من سنة الغفلة والجهالة (من ربهم) صفة لذكر او صلة ليأتيهم (محدث) تنزيله ليكرّر على اسماعهم التنبيه كى يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل (الا استمعوه وهم يلعبون) يستهزئون به ويستسخرون منه لتناهى غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر فى الامور والتفكر فى العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك (لاهية قلوبهم) اى استمعوه جامعين بين الاستهزآء به والتلهى والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير (وأسرّوا النجوى) بالغوا فى اخفائها اوجعلوها بحيث خفى تناجيهم بها (الذين ظلموا) بدل من واو أسرّوا للايماء بانهم ظالمون فيما اسرّوا به اوفاعل له والواو لعلامة الجمع اومبتدأ والجملة المتقدّمة خبره واصله وهؤلاء اسرّوا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم اومنصوب على الذم

استدلوا بكونه بشرا على كذبه فى ادّعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لايكون الاملكا واستلزموا منه ان ماجاء به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسرّوا به تشاورا فى استنباط مايهدم امره ويظهر فساده للناس عامّة ﴿قل ربى يعلم القول فى السماء والارض﴾ جهرا كان اوسرّا فضلا عما أسرّوا به وهو آكد من قوله قل انزله الذى يعلم السرّ فى السموات والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله وأسرّوا النجوى فى المبالغه وقرأ حمزة والكسائى وحفص قال بالاخبار عن الرسول ﴿وهو السميع العليم﴾ فلايخفى عليه ماتسرّون ولاما تضمرون ﴿بل قالوا أضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر﴾ اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى اولللاضراب عن تحاورهم فى شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وماظهر عليه من الآيات الى تقاولهم فى امر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعرى يخيل الى السامع معانى لاحقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لأقوالهم فى درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيه مايناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لايكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جرّبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا واربعين سنة وماسمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق ﴿فليأتنا بآية كما ارسل الاوّلون﴾ اى كما ارسل به الاوّلون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية ﴿ما آمنت قبلهم من قرية﴾ من اهل قرية ﴿اهلكناها﴾ باقتراح الآيات لما جاءتهم ﴿أفهم يؤمنون﴾ لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذلو أتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم (الآية)

على ان الفاعل مؤنث ﴿قوله وانما اسرّوا به تشاورا﴾ لما كان هذا الحديث منهم على طريق التشاور فيما بينهم والتحاور فى طلب الطريق الى هدم امره لاجرم اسرّوا به لان عادة المتشاورين ان يجتهدوا فى كتمان سرّهم عن اعدآئهم ﴿قوله جهرا كان اوسرّا﴾ اشارة الى جواب مايقال هلا قيل يعلم السرّ حتى يطابق قوله واسرّوا النجوى * وتقريره ان القول عام يشمل السرّ والجهر فكان العلم بالقول العلم بالسرّ وزيادة فكان آكد فى بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السرّ الواقع كما ان قوله يعلم السرّ آكد من قوله يعلم سرّهم مع انه مطابق لقوله واسرّوا النجوى لان النجوى هو القول الواقع بطريق المسارّة والمطلق مطابق لكل واحد مما تحته ﴿قوله ولاما تضمرون﴾ اشارة الى ان متعلق قوله العليم هو ما اضمروه فى نفوسهم من غير ان يتكلموا به لاسرّا ولاجهرا لقوله تعالى يعلم السرّ واخفى * قال الامام قدّم السمع على العلم لانه لابدّ من سماع الكلام اوّلا ثم حصول العلم بمعناه ولايخفى ان هذا التوجيه لايصح فيما اسند اليه تعالى من السماع ﴿قوله اضراب لهم﴾ يعنى ان الاضرابات المذكورة فى هذه الآية واقعة فى كلام الذين ظلموا حكاها الله تعالى عنهم كما وقعت فى كلامهم للدلالة على كونهم متحيرين خابطين خبط عشوآء لايميزون بين مضرب عنه ومضرب منه لايدرون مايقولون ولايجدون متمسكا ينفعهم فى هدم امره واظهار فسادما ادّعاه من الرسالة ولما كان هذا التوجيه مشكلا من حيث ان الاضرابات المذكورة لوكانت واقعة فى كلام الكفرة وانه تعالى حكاها عنهم كما وقعت لوجب ان يكون قالوا مقدّما على بل بأن يقال قالوا بل اضغاث احلام ليفيد الكلام حكاية اضرابهم وتقديم بل على قالوا لايفيد ذلك قال المصنف والاظهر ان تكون بل الاولى اضرابا منه تعالى عن حكاية قولهم هل هذا الابشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون الى حكاية قولهم فى حق القرآن انه اضغاث احلام اويكون اضرابا عن محكى اى عن التحاور فى شأنه عليه الصلاة والسلام وفى شأن ماجاء به من الخوارق الى التقاول فى امر القرآن وان تكون بل الثانية والثالثة من كلام الكفرة اضربوا بهما عن قولهم فى امر القرآن انه اضغاث احلام الى انه مفترى الى انه كلام شعرى ثم جوّز ان تكون كلمة بل من كلام الله تعالى لامحكية عن الكفرة لان الكلام المحكى مايقع بعد القول فيفيد الكلام ان قولهم الثانى افسد من الاوّل والثالث من الثانى والرابع من الثالث ووجه افادة بل هذا المعنى ان الاضراب قديكون لابطال الكلام الاوّل وقديكون للانتقال منه الى خبر آخر أهمّ من الاوّل والاضراب الواقع فى كلام الله تعالى لايحمل على الاوّل لانه يستلزم ان يكون الاوّل باطلا فى نفسه اوغلطا والله تعالى منزه عن ذلك فلابدّ ان يكون الاضراب الواقع فيه للانتقال الى الاهم والاهم فى مقام بطلان مقالة القوم بيان ماهو افسد بالنسبة الى الاوّل فيكون مابعد بل فى مثل هذا المقام افسد بالنسبة الى ماقبلها ﴿قوله وليس فيه مايناسب قول الشعراء﴾ لان الشعر تخيلات ملفقة وتمويهات مزخرفة يدعو الى الهوى والشيطان والقرآن يدعو الى الهدى وطاعة الرحمن وماعلمناه الشعر وماينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وقولهم انه كلام مفترى من عند نفسه مع كونه باطلا فى نفسه لان القوّة البشرية وان استفرغت طوقها لاتطيق اتيان مثله فهو ابعد من قولهم انه اضغاث احلام مع كونه فاسدا فى نفسه من حيث ان الكتاب الذى احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير كيف يتصوّر كونه من تخاليط الاحلام فهو اشدّ فسادا بالنسبة الى قولهم انه سحر لان تشبيه النظم المعجز الفائق بالسحر اقرب من جعله من تخليط الاحلام لقوله عليه الصلاة والسلام * ان من البيان لسحرا * والاضغاث الحزم من النبات وغيره فاستعير للتخاليط والاباطيل شبهت تخاليط الاحلام واباطيلها بحزم من اخلاط النبات فى كونها مخلوطة من اشياء غير متناسبة ثم استعملت فى الاباطيل بقرينة اضافتها الى الاخلاط والحلم بضم الحاء وسكون اللام هو الرؤيا وضم اللام ايضا لغة فيه فالاحلام بمعنى المنامات سوآء كانت باطلة اوحقة واضيف الاضغاث بمعنى الاباطيل اليها على طريق اضافة الخاص الى العام اضافة بمعنى من وقد تخص الرؤيا بالمنام الحق والحلم بالمنام الباطل كما فى قوله عليه الصلاة والسلام * الرؤيا من الله تعالى والحلم من الشيطان ﴿قوله وصحة التشبيه﴾ جواب عما يقال محل الكاف فى قوله كما ارسل الاوّلون اما جرّ على انه صفة آية اونصب على انه صفة مصدر محذوف فالتقدير على الاوّل بآية مثل ارسال الاوّلين وعلى الثانى اتيانا مثل ارسال الاوّلين وما مصدرية على الوجهين ولاوجه لتشبيه الآية ولاتشبيه اتيانها بارسال الاوّلين * وتقرير الجواب ان الارسال يتضمن اتيان الآية ويستلزمه فذكر الارسال الذى هو ملزوم لاتيان

﴿ وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾ جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم يأمرهم ان يسألوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدّمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم امّا للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم فى امر النبى عليه السلام ويثقون بقولهم اولان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحى بالنون ﴿ وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ﴾ نفى لما اعتقدوا انهامن خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدّى الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس اولانه مصدر فى الاصل او على حذف المضاف او تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهوآء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشئ واشتداده ﴿ ثم صدقناهم الوعد ﴾ اى فى الوعد ﴿ فأنجيناهم ومن نشاء ﴾ يعنى المؤمنين بهم ومن فى ابقائه حكمة تكمن سيؤ من هو أو أحد من ذرّيته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال ﴿ واهلكنا المسرفين ﴾ فى الكفر والمعاصى ﴿ لقد انزلنا اليكم ﴾ يا قريش ﴿ كتابا ﴾ يعنى القرآن ﴿ فيه ذكركم ﴾ صيتكم لقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم اوما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق ﴿ أفلا تعقلون ﴾ فتؤمنون به

الآية واريد لازمه مجازا فكأنه قيل بآية مثل آية الاوّلين او اتيانا مثل اتيان الاوّلين واشار المصنف بقوله كما ارسل الاوّلون الى جواب آخر وهو ان كلمة ما فى قوله تعالى كما ارسل الاوّلون موصولة وعائدها محذوف والمعنى بآية مثل الآية التى ارسل بها الاوّلون وتشبيه الآية بالآية تشبيه واضح لاخفاء فيه ثم ان مشركى مكة لما اقترحوا آية شبيهة بآية الاوّلين فى انها لا يتطرّق اليها احتمال انها اضغاث احلام او كلام مفترى او قول شاعر اجابهم الله تعالى بان الامم التى اهلكناهم باصرارهم على التكذيب بعد ما اتتهم الآيات التى اقترحوها لم يؤمنوا باتيانها فلو أتاهم ما اقترحوه لما آمنوا ايضا لكونهم اعتى منهم فاستوجبوا عذاب الاستئصال مثلهم لان الحكمة الآلهية قد اقتضت انّ من كذبوا بعد الاجابة الى ما اقترحوه لابدّ ان ينزل بهم عذاب الاستئصال وقد سبق وعده فى حق هذه الامّة ان يؤخر عذابهم الى يوم القيامة فلذلك لم يجابوا الى ما اقترحوه للابقاء عليهم اى للترحم بهم يقال ابقى على فلان اذا رحمه ﴿ قوله والاحالة اليهم ﴾ اى احالة المشركين الى اليهود والنصارى فى استعلام ان البشرية لا تنافى الرسالة اما للالزام والاسكات لالاثبات الحكم المتعلق بالاعتقادات بما تقول الكفرة فان اليهود والنصارى وان انكروا نبوّة رسول الله عليه الصلاة والسلام الا انهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا ثم انهم لما كانوا يوافقون المشركين فى معاداته عليه الصلاة والسلام كان المشركون لا يكذبونهم فيما قالوا فى حق الرسل واما لانه لا فرق بين المؤمنين والكفار فى حصول العلم بخبرهم اذا بلغ حدّ التواتر ﴿ قوله وقرأ حفص نوحى بالنون ﴾ اى بنون العظمة مبنيا للفاعل اى نوحى نحن والباقون بالياء وفتح الحاء مبنيا للمفعول وهذه الجملة فى محل النصب على انها صفة لرجالا ﴿ قوله نفى لما اعتقدوا انها ﴾ انث العائد الى ما لكونها عبارة عن الخاصة فان عدم الاحتياج الى الطعام والخلود بمعنى عدم طريان الموت من خواص الملائكة نفاها عن الرسل تحقيقا لكونهم ابشارا جمع بشر مثلهم وابطالا لزعم ان البشرية تنافى الرسالة فان نفى الخاصة اللازمة للملكية يستلزم نفى الملزوم فتحقق كونهم ابشارا مثلهم ﴿ قوله وقيل جواب ﴾ عطف على قوله نفى لما اعتقدوا وتوضيح هذا القول ان الكفرة كانوا يطعنون فى الرسالة باشياء منها قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فألزمهم الله تعالى بان الرسل الذين صدّقهم آباؤهم وآمنوا بهم كانوا من البشر وان رسالتهم صحت بما اظهر الله تعالى على ايديهم من الخوارق والمعجزات فلما صحت رسالتهم بذلك فقد صحت رسالة سيد المرسلين بما يظهره الله تعالى على يديه من الآيات الباهرة فلا يعاب عليه بكونه بشرا ومنها قولهم ان الذى يدّعى الرسالة يأكل الطعام ويشرب وينكح ويمشى فى الاسواق كغيره من الناس كما اخبر الله تعالى عنهم ذلك بقوله مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ونحوه فألزمهم واخبرهم ان الرسل الذين كانوا من قبل كانوا يأكلون الطعام ويشربون ويمشون فى الاسواق ويقضون حوآئجهم فقال وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين اى فى الدنيا وقال فى آية اخرى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرّية فعلى ذلك هذا الرسول المبعوث اليكم كسائر الرسل الذين كانوا من قبل ممن كان يأكل ويشرب وينكح وانه بشر وهو رسول كسائر الرسل ولم يرض المصنف بهذا التأويل لان جعل الكلام اجنبيا عما سيق له الكلام مع امكان ربطه بالمقام لا يخلو عن بعد ﴿ قوله وتوحيد الجسد ﴾ جواب عما يرد من انّ جعل فى الآية الظاهر بمعنى صير فيتعدّى الى مفعولين ثانيهما جسدا ومفعوله الاوّل وهو هم جمع فكيف يصح ان يخبر عن الجمع بالمفرد وايضا الظاهر ان قوله لا يأكلون فى محل النصب على انه صفة لجسد فكيف يصح ان يرجع اليه ضمير الجمع وان جعل تقدير الكلام وما جعلناهم ذوى جسد غير طاعمين او وما جعلنا كل واحد عنهم جسدا كقوله ثم نخرجكم طفلا اى نخرج كل واحد منكم طفلا سقط الايراد وفى الصحاح الجسد البدن والجسم والجسد ايضا الزعفران او نحوه من الصبغ وهو الدم ايضا والجسد ايضا مصدر قولك جسد به يجسد اذا لصق فهو جاسد وجسيد ويقال الجسد لما اشبع صبغه من الثياب ويقال للزعفران الجساد ﴿ قوله اى فى الوعد ﴾ يعنى ان صدق يتعدّى الى مفعولين الى ثانيهما بحرف الجرّ وقد يحذف ويقال صدقتك الحديث اى فى الحديث كما فى قوله تعالى واختار موسى قومه اى من قومه وضمير صدقناهم للرسل وقد وعدهم الله تعالى بانجائهم وانجاء من صدّقهم وآمن بهم واهلاك من كذبهم ويدل عليه قوله تعالى فأنجيناهم ومن نشأ واهلكنا المسرفين اى بعذاب الاستئصال وليس المراد عذاب الآخرة لانه اخبار بما مضى * والصيت الذكر الجميل الذى ينشر فى الناس دون القبيح يقال له ذكر فى الناس اى صيت

(وكم قصمنا من قرية) واردة من غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم (كانت ظالمة) صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه (وانشأنا بعدها) بعد اهلاك اهلها (قوما آخرين) مكانهم (فلما أحسوا بأسنا) فلما ادركوا شدّة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف (اذاهم منها يركضون) يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم (لاتركضوا) على ارادة القول اى قيل لهم استهزآء لاتركضوا امابلسان الحال او المقال والقائل ملك او من ثمة من المؤمنين (وارجعوا الى ماأترفتم فيه) من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة (ومساكنكم) التى كانت لكم (لعلكم تسألون) غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدّمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور فى المهامّ والنوازل (قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين) لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبيّ فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يالثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك (فما زالت تلك دعواهم) فازالوا يردّدون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو الويل ويقول ياويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع (خامدين) ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثانى كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له او حال من ضميره (وماخلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) وانما خلقناها مشحونة بضروب البدآئع تبصرة للنظار وتذكرة لذوى الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد فى المعاش والمعاد فينبغى ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغترّوا بزخارفها فانها سريعة الزوال

وشرف وفى القرآن صيت لقريش لانه بلسانهم ولغتهم منزل على نبيّ منهم يشتهرون بشهرته ويشرفون بشرفه لانهم حملته والمرجوع اليهم فى حل معاقده وقد يكون الذكر بمعنى التذكرة والموعظة بالوعد والوعيد فيكون من قبيل قوله تعالى كلا انها تذكرة وقوله وذكرى فان الذكرى تنفع المؤمنين ويجوز ان يراد بالذكر مايكون سببا للذكر الجميل من مكارم الاخلاق التى من تخلق بها ينتشر صيته فى الناس وقوله تعالى فيه ذكركم معناه فى علمه والعمل بما فيه جميع ماتحتاجون اليه فى امر دينكم ودنياكم من حسن الجوار وصلة الرحم وتعظيم امر الله والشفقة على عباده وصدق الحديث وأداء الامانة والوفاء بالعهد وغير ذلك فذكر الذكر واريد به مكارم الاخلاق الموجبة للثناء الحسن فيكون من باب ذكر المسبب وارادة السبب *واعلم ان قوله تعالى ثم صدقناهم الوعد عطف على قوله وما ارسلنا قبلك اى قد ارسلنا قبلك رسلا يوحى اليهم ابشارا مثلك ثم صدقناهم الوعد فمحمد عليه الصلاة والسلام نبيّ كسائر الانبياء بشر مثلهم ولابدّ ان يصدقه الله تعالى فى وعده فاحذروا ياقريش سوء العاقبة ونزول البلاء على تكذيبه ثم قال تعالى لقد انزلنا واجاب عن قولهم فليأتنا بآية بقوله ماآمنت ثم اجاب عن قولهم هل هذا الا بشر مثلكم بقوله وما ارسلنا وادرج فيه التهديد ايضا بقوله ثم صدقناهم الوعد ثم بين انه قد اتاكم مايكفيكم ويغنيكم عن اقتراح الآيات ويوجب ايمانكم به وهو الكتاب الذى فيه ذكركم أفلا تعقلون فتؤمنون به وترتدعون عن اقتراح الآيات وعن القدح فيه بمالا يليق به وتقضى بداهة العقول ببطلانه ﴿قوله﴾ فلما ادركوا الخ ﴿﴾ لما لم يجب ان يكون ما اصاب المهلكين من الناس محسوسا باحدى الحواس الظاهرة جعل قوله تعالى أحسوا استعارة تبعية بان شبه ادراكهم البأس بادراك المحسوس فاطلق عليه اسم الاحساس واشتق منه قوله أحسوا ﴿قوله﴾ راكضين دوابهم او مشبهين بهم ﴿﴾ يعنى ان الركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك ويجوز ان يكونوا ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدّمة العذاب ويجوز ان يشبهوا فى سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم ﴿قوله﴾ تعالى الى ماأترفتم فيه ﴿﴾ اى الى نعمكم التى خوّلتموها وتوسعتم فيها حتى بطرتم بها فكفرتم واعرضتم عن من جعلها لكم اى عن جده وشكره قال الخليل المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه والمعنى ارجعوا الى نعمكم والى مساكنكم التى تسكنونها لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم او ارجعوا اليها واجلسوا كما كنتم فى مجالسكم وترتبوا فى مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وبماذا ترسمون كعادة المخدومين اولعل الناس تسألكم مما فى ايديكم ويستشيرونكم فى المهمات والنوازل اوارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عمّا جرى عليكم وعلى اموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة ﴿قوله﴾ يالثارات الانبياء ﴿﴾ اللام فيه للاستغاثة والثأر الانتقام من القاتل بقتله مكان المقتول يقال ثأر القتيل بالقتل اى قتل قاتله وبابه قطع والمقصود من ندآء الثارات الاخبار عن موجب دعائهم على انفسهم بالويل حيث قالوا ياويلنا وبينوا وجه استحقاقهم به بان قالوا انا كنا ظالمين على انفسنا بتكذيب الرسل قال تعالى فما زالت تلك الكلمة وهى ياويلنا دعواهم اى دعاءهم فتلك مرفوع وعلى انه اسم مازالت ان جعلت الدعوى منصوبة المحل على الخبرية اومنصوب على انه خبر وان الدعوى اسم وكل واحد من الوجهين جيد لانهما معرفتان * وحصيدا من باب التشبيه البليغ اى مثل ذلك الزرع المحصود والفعيل بمعنى المفعول يستوى فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿قوله﴾ وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثانى ﴿﴾ وليس كل واحد منهما مفعولا على حدة لان جعل لايتعدّى الى ثلاثة مفاعل فانه قد تعدّى الى مفعوله الاوّل وهو ضمير الجمع فلا يتعدّى به الى مفعولين آخرين فلذلك جعل حصيدا خامدين بمنزلة مفعول واحد كما اذا قلت جعلته حلوا حامضا فانه فى معنى جعلته جامعا للطعمين وكذلك مانحن فيه فان معناه جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود ﴿قوله﴾ او صفة له ﴿﴾ عطف على قوله بمنزلة المفعول الثانى اى يجوز ان يكون خامدين صفة لحصيدا فانه مفرد فى معنى الجمع وان يكون حالا من الضمير المستكنّ فى حصيدا وقوله خامدين استعارة تبعية شبه الموت بخمود النار وانطفائها فاطلق عليه اسم الخمود ثم اشتق منه خامدين ﴿قوله﴾ فينبغى ان يتسلقوا بها ﴿﴾ اى ان يلقوا ويقعوا بسببها فان تسلق مطاوع لقولك سلقته سلقا اذا ألقيته على ظهره وربما يقال سلقيته سلقاء بزيادة الياء واشار المصنف به الى وجه تعلق هذه الآية بما قبلها وهو انه تعالى لما بين اهلاك القرى لاجل تكذيبهم اتبعه بمايدل على انه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة على مافعلوه وهو انهم ضيعوا ماخلقه الله تعالى لفوائد دينية ودنيوية اما الدينية فهى ان يتفكر المكلفون

فيها ويستدلوا بها على عظمة الله وكبريائه وكمال قدرته وحكمته واما الدنيوية فهى ما يتعلق بها من المنافع التى لا تعدّ ولا تحصى فمن اغترّ بزخارفها ولم يتسلق بها الى الاستكمال بالكمالات العلمية والعملية فجدير بان يهلك ويجعل نكالا وعبرة لغيره ثم انه تعالى لما ذكر انه لم يخلق هذا السقف المرفوع والمهاد المبسوط وما بينهما من بدائع الموجودات وغرائب المصنوعات لان يتلهى به ويلعب بين انه لم يتخذ ما يتلهى به ويلعب من حيث ان الحكمة صارفة عنه لامن جهة عدم القدرة على اتخاذه فقال لواردنا ان نتخذ لهوا اى ما يتلهى به على انه مصدر بمعنى المفعول يقال لهوت بالشئ بالفتح ألهو لهوا اذا لعبت به لاتخذناه من جهة قدرتنا عليه لكنا لم نتخذه لعدم ارادتنا اتخاذه ومن فسر اللهو بالولد والمرأة فقد اخرج الكلام عن الالتئام بما قبله قال الامام الواحدى اللهو طلب التروّح للنفس ثم المرأة تسمى لهوا وكذا الولد لانه يتروّح بكل واحد منهما ولهذا يقال لامرأة الرجل وولده ريحانتاه والمعنى لواردنا ان نتخذ امرأة ذات لهو وولدا ذا لهو لاتخذناه من لدنا اى مما نصطفيه ونختاره مما نشاء من خلقنا كقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء وقال المفسرون اى من الحور العين وهذا ردّ لقول اليهود فى عزير وقول النصارى فى المسيح وامه من كونهما ولدا وصاحبة ومعنى من لدنا من عندنا اى بحيث لا يجرى لاحد فيه تصرّف لان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره انتهى ﴿قوله ويدل على جوابه﴾ يعنى ان كلمة ان فى الآية شرطية وجواب الشرطية محذوف لدلالة جواب لو عليه والتقدير ان كنا فاعلين اتخذناه ولكنا لم نفعله لانه لا يليق بالربوبية وفائدة تكرير كلمة الشرط ان الاولى لتعلق الاتخاذ بالارادة والثانية لتعلق الاتخاذ المرتب على الارادة بكونه ممن يفعل ذلك وتقتضيه حكمته ﴿قوله والجملة كالنتيجة للشرطية﴾ كأنه قيل لواردنا لفعلناه ولكن لم نرده فما كنا فاعلين ثم انه تعالى اضرب عن حديث تعليق اتخاذ ما يتلهى به على تعلق ارادته بذلك وعلى كونه ممن يجوز له ان يفعل ذلك وجعله كالمسكوت عنه الى بيان ما هو اهم بالنسبة الى ما قبله وهو ان شأنه تعالى ان يسلط الحق ويورده على الباطل حتى يذهبه فيهلكه ﴿قوله وانما استعار لذلك﴾ اى استعار القذف للتغليب والتسليط واستعار الدمغ للمحق والمحو بان شبه الحق بالجرم الصلب الثقيل وشبه الباطل بالجرم الرخو الاجوف فقذف بذلك الجرم الثقيل عليه فدمغه على طريق تشبيه المعقول بالمحسوس فان كل واحد من الحق والباطل من قبيل المعقول والجرم الصلب والرخو من قبيل المحسوس وعبر عن هذه الصورة المعقولة بما يدل على الهيئة المحسوسة لتتمكن تلك الهيئة المعقولة فى ذهن السامع فضل تمكن قال صاحب المفتاح اصل استعمال القذف والدمغ فى الاجسام ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل ومحوه فالمستعار منه حسى والمستعار له عقلى وقرأة فيدمغه بالنصب ضعيفة لما تقرّر فى النحو من ان ما بعد الفاء انما ينصب باضمار ان فى جواب الاشياء الستة الامر والنهى والنفى والاستفهام والتمنى والعرض وقوله فيدمغه لم يقع بعد احد هذه الاشياء ولعل من نصبه نظر الى ان المضارع فيه شبه النفى ولهذا قيل انه فى الآية اضعف مما فى البيت لان المضارع فيها للاستمرار وقيل فى توجيه النصب ان المضارع كالتمنى والترجى فى كونهما مترقبين وانما شرطوا فى نصب ما بعد الفاء السببية كون ما قبلها احد الاشياء المذكورة لان الفاء السببية تقتضى ان يكون ما قبلها سببا لما بعدها والسببية لا تتحقق الا عند تحقق احد هذه الامور ولذا لم يجز النصب فى الموجب الا فى ضرورة الشعر كما فى البيت المذكور وذلك لان الاشياء الستة مأوّلة بالمصادر فيكون ما قبل الفاء كالشرط المحقق الوقوع ويكون ما بعد الفاء كجزائه المسبب عنه ولما كان المضارع المتصوب بان مفردا وما قبل الفاء المذكورة جملة ولا يجوز عطف المفرد على الجملة جعلوا ما بعد الفاء بتقدير مصدر معطوف على مصدر الفعل المقدّم فتقدير زرنى فاكرمك ليكن منك زيارة فاكرام منى وكذا المنصوب بعد الواو فانه ايضا معطوف على المصدر المقدّر من الفعل قبله فتقدير قولك زرنى وازورك ليكن منك زيارة وزيارة منى فاذا تقرّر هذا ظهر ان مراد المصنف بقوله ووجهه مع بعده ان وجه انتصاب فيدمغه مع كون النصب بعيدا لعدم وقوع الفاء بعد احد الاشياء المذكورة ان تجعل الجملة التى قبل الفاء فى تأويل المفرد كالتى بعدها فانها فى تأويل المفرد بأن المضمرة فاذا اوّل ما قبل الفاء ايضا بالمفرد تطابق المعطوفان فى الافراد فتأويل الكلام بل نريد قذف الحق على الباطل فدمغه بعطف قوله فدمغه على القذف المتحصل من الجملة قبله وجعله ابو البقاء معطوفا على الحق اى بل نقذف بالحق فالدمغ وكذا تأويل البيت واريد اللحوق بالجاز فالاستراحة ﴿قوله وذكره

﴿لواردنا ان نتخذ لهوا﴾ ما يتلهى به ويلعب ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق لحضرتنا من المجرّدات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعاد تكم فى رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد به الردّ على النصارى ﴿ان كنا فاعلين﴾ ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدّم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية ﴿بل نقذف بالحق على الباطل﴾ اضراب من اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب اى بل من شأننا ان نغلب الحق الذى من جملته الجدّ على الباطل الذى من عداده اللهو ﴿فيدمغه﴾ فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمى البعيد المستلزم لصلابة المرمى والدمغ الذى هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدّى الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله* سأترك منزلى لبنى تميم * وألحق بالحجاز فأستريحا* ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق ﴿فاذا هو زاهق﴾ هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز

لترشيح المجاز فان قوله فيدمغه استعير من الشجة التى بلغت الدماغ للمحو والبطلان وقرنت الاستعارة بما يلائم المستعار منه فان ذهاب الروح انما يلائم المعنى الاصلى للدمغ فان الدماغ مجمع الحواس فاذا بلغت الشجة اليه يموت الحيوان **قوله** وهو فى موضع الحال اى قوله مما تصفون حال من الويل والعامل الاستقرار الذى تعلق به الخبر اى استقرّ لكم الويل واقعا مما تصفون اى مما تصفون الله تعالى به مما لا يليق به من الصاحبة والولد وتصفون كلامه بانه سحر وأضغاث احلام ونحو ذلك من الاباطيل ثم انه تعالى لما حكى كلام الطاعنين فى النبوّات وتعنتهم باقتراح الآيات واجاب عن شبههم بانواع التهديدات بين انه منزه عن طاعتهم لانه هو المالك لجميع المحدثات والمخلوقات والملائكة المقرّبون مع كرامتهم وعلوّ قدرهم عند الله اذا كانوا خاضعين له تعالى خائفين منه تعالى فالبشر مع ضعفه اولى ان يطيعوه فقال وله من فى السموات والارض **قوله** يعنى الملائكة المنزلين منه لكرامتهم الخ يعنى ان المراد من العندية عندية الشرف لا عندية المكان والجهة وعند وان كان من الظروف المكانية الا انه شبه قرب الشرف والمنزلة بقرب المكان والمسافة فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به **قوله** وافراده للتعظيم يعنى ان قوله ومن عنده معطوف على من فى السموات والمراد به الملائكة باجماع المفسرين فيكون عطفه على من فى السموات من قبيل عطف الخاص على العام تنبيها على شرفه لان من فى السموات يتناول من عنده لا محالة وقوله لا يستكبرون حال من قوله من فى السموات وما عطف عليه ان جعل مرفوعا على انه فاعل الظرف على رأى الاخفش وان جعل مرفوعا على الابتداء وله خبره فحينئذ لا ينتصب الحال الا على رأى من يجوّز مجيء الحال من المبتدأ لا عند غيره فيكون اما من الضمير المستكنّ فى عنده الواقع صلة او من الضمير المستكنّ فى له الواقع خبرا ويحتمل ان يكون من عنده مبتدأ ولا يستكبرون خبره وتكون هذه الجملة معطوفة على الجملة التى قبلها **قوله** اولا انه أعم منه من وجه فان قوله من عنده بمعنى المكرّم عنده وفى منزلة منه كما يتناول ملائكة السموات والارض يتناول الملائكة الذين لا يتبوّأون فى المكان فان ملائكة السموات عنصريون مخلوقون مما خلق منه السموات ومن الملائكة نوع متعال عن التبوّء فى السماء والارض لتجرّدهم من المواد العنصرية فلا يكون من عنده اخص مطلقا بالنسبة الى من فى السموات والارض بل يكون اخص منه من وجه ويجوز ان يكون مباينا له بان يراد به النوع المتعالى عن التبوّء **قوله** وانما جيء بالاستحسار جواب عما يقال المناسب لمقام توصيف الملائكة بالاجتهاد فى العبادة ومواظبتهم عليها ان يقال لا يحسرون بمعنى انهم لا يطرأ عليهم شئ من الاعياء والفتور ولا يستحسرون لا يفيد هذا المعنى لانه يدل على انه لا يطرأ عليهم غاية الحسور واقصاه وهذا المعنى لا يلائم المقام يقال حسر البعير يحسر حسورا اذا اعيى واحسر مثله واستحسر ابلغ منهما وقد يكون استفعل بمعنى فعل نحو قرّ واستقرّ فلا سؤال ولا جواب والتسبيح بالنسبة الى الملائكة كالتنفس بالنسبة الينا فكما ان قيامنا وقعودنا وتكلمنا وغير ذلك من افعالنا لا يشغلنا عن التنفس فكذلك الملائكة لا يشغلهم عن التسبيح شئ من افعالهم ولا تلحقهم فترة الفراغ منه **قوله** بل أتخذوا اشارة الى ان أم هذه منقطعة مقدرة ببل والهمزة حكى الله تعالى عنهم اوّلا قولهم هل هذا الا بشر مثلكم وثانيا قولهم بل قالوا اضغاث احلام الى قوله كما ارسل الاوّلون ثم اجاب عن كل واحد منهما بضرب من التهديد والوعيد وساق الكلام الى هنا ثم اضرب عن الحكاية المذكورة وجوابها الى انكار فعلهم الذى هو اشنع من قولهم فقال ام اتخذوا آلهة وقوله من الارض يجوز ان يتعلق بمحذوف هو صفة الالهة اى عملوا وصنعوا آلهة كائنة من الارض ومنسوبة اليها كما يقال فلان من مكة بمعنى انه منسوب اليها ومعنى نسبتها الى الارض كونها مستقرّة عليها ومعبودة وهى عليها ويجوز ان يتعلق باتخذوا بمعنى ابتدأوا اتخاذها من الارض بان صنعوها ونحتوها من بعض الحجارة او من بعض جواهرها كالفضة والصفر والمقصود منه على التقديرين تحقير المتخذ دون تخصيصه لان المنكر حينئذ يكون عدم اتخاذهم الالهة السماوية اى المستقرّة عليها والمعمولة من اجزائها ولا وجه له وقوله هم ينشرون جملة منصوبة المحل على انها صفة آلهة اى آلهة لا يقدر على احياء الموتى الاهم وحدهم قرأ العامة ينشرون بضم الياء وكسر الشين وقرئ بفتح الياء وضم الشين ونشر يكون لازما ومتعديا يقال انشر الله الميت اى احياه فنشر نشورا ونشره نشرا بمعنى انشره انشارا والانكار عليهم باتخاذهم الالهة التى تنفرد باحياء الموتى يدل على انهم يعتقدون ان آلهتهم تحيى الموتى بل تستقل فى ذلك وهم لا يعتقدون ذلك كيف وانهم ينكرون البعث رأسا فضلا عن ان تكون الاصنام قادرة عليه

(ولكم الويل مما تصفون) مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو فى موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة (وله من فى السموات والارض) خلقا وملكا (ومن عنده) يعنى الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقرّبين عند الملوك وهو معطوف على من فى السموات وافراده للتعظيم اولانه اعم منه من وجه او المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوّء فى السماء والارض او مبتدأ خبره (لا يستكبرون عن عبادته) لا يتعظمون عنها (ولا يستحسرون) ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذى هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم يثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون (يسبحون الليل والنهار) ينزهونه ويعظمونه دائما (لا يفترون) حال من الواو فى يسبحون او هو استئناف او حال من ضمير قبله (ام اتخذوا آلهة) بل أتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم وقوله (من الارض) صفة لآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص (هم ينشرون) الموتى وهم وان لم يصرّحوا به لكن لزم من ادّعائهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة فى ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم

(مستقلة)

مستقلة عليه الا ان ادّعاءهم الالهية فى حقها لما استلزم اعتقادهم بذلك صح ان ينكر عليهم بذلك اللازم على طريق التجهيل والتهكم ثم انه تعالى لما انكر عليهم اتخاذهم الآلهة استدل على بطلانه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا اى لو فرض ذلك وقدّر كما قدّر المستحيلات لفسد ما خلقناه بالحق كما قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين قال اهل النحو فى قوله تعالى الا الله لفسدتا الا ههنا بمعنى غير صفة للنكرة قبلها الا انه لما تعذر الاعراب فيها جعل ما استحقته من الرفع على ما بعدها والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما آلهة شتى غير الواحد الذى فطرهما لفسدتا ولا يجوز ان تكون الا للاستثناء لأنا لو جعلناها على الاستثناء لكان المعنى لو كان فيهما آلهة مستثنى منهم الله لفسدتا وهذا يوجب بطريق المفهوم انه لو كان فيهما آلهة معهم الله لا يحصل الفساد وذلك باطل لانه لو كان فيهما آلهة سوآء كان الله معهم او لم يكن معهم فالفساد لازم ولما بطل حملها على الاستثناء ثبت ما ذكرنا وهو ان المعنى لو كان فى السماء والارض آلهة غير الله خربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع من الآلهة فان كل امر صدر عن اثنين فصاعدا لا يبقى على نظام واحد وانتفاء الفساد اللازم للتعدّد دليل على انتفاء الملزوم وهو التعدّد لكن فى هذه الملازمة وفى انتفاء الثانى نوع خفاء لانه ان اريد بالفساد الفساد بالفعل اى خروجهما بالفعل عن هذا النمط المشاهد فهذا لا يلزم من مجرّد التعدّد بل يلزم من تحقق التخالف والتمانع ومجرّد التعدّد لا يقتضى التمانع لجواز التوافق وان اريد امكان الفساد فالملازمة مسلمة ضرورة ان اجتماع القادرين على معلول واحد يستلزم امكان تمانعهما المستلزم لامكان فساد المعلول لكن لا نسلم بطلان التالى اذ لا دليل على امتناع الفساد بل النصوص شاهدة على وقوعه كقوله تعالى اذا السماء انشقت واذا النجوم انكدرت ويوم تبدّل الارض غير الارض فظهر ان حجية الآية اقناعية والملازمة عادية على ما هو اللائق بالخطابيات فان العادة جارية بتحقق التغالب والتمانع عند تعدّد الحكام والملوك على ما اشير اليه بقوله ولعلا بعضهم على بعض واشار المصنف الى ان المراد بالفساد الفساد بالفعل وجعل الملازمة مبنية على امتناع التوافق بناء على انه يستلزم اجتماع قدرتين مستقلتين على مقدور واحد وقد بين استحالته فى الكلام ﴿قوله﴾ لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ﴿﴾ فان ما قبلها جمع منكر والجمع اذا كان نكرة لا يستثنى منه عند جماعة من المحققين اذ لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء ثم استدل على تعذر الاستثناء بانه يدل على خلاف المراد وبيانه الاستثناء قيد للحكم المتعلق بالمستثنى منه فيكون الشرط كون آلة فيهما بقيد ان لا تكون معه تعالى فيكون الفساد لازما لكون الآلهة فيهما دونه تعالى ﴿قوله﴾ حلالها ﴿﴾ علة لقوله وصف بالا يعنى ان الاصل فى الاستثناء وفى غير الصفة وقد يحمل كل واحد منهما على الآخر ﴿قوله﴾ لانه متفرّع على الاستثناء ﴿﴾ اى لان البدل فيما بعد الا مشروط بصحة الاستثناء وقد ثبت تعذر الاستثناء ولانه قد تقرّر ان الواقع بعد الا غير الصفة اذا وقع فى كلام موجب يجب نصبه وان البدل انما يجوز فى كلام غير موجب وكلمة لو اذا دخلت فى الكلام الموجب لا تجعله منفيا كما لا تجعله كلمة ان منفيا من حيث ان كل واحدة منهما لمجرّد الملازمة فلما لم يكن الكلام غير منفى بدخول لو عليه لم يجز البدل فيما بعد الا الواقع فيه والسرّ فيه ان ما بعد الا لو جعل بدلا فى الكلام لكان الاستثناء من اعم العام فى طرف الاثبات وهو ممتنع فيه ولا يمتنع فى طرف النفى فانه يصح ان يقال ما فى الدار الا زيد ولا يصح ان يقال كان فى الدار الا زيد لانه يستلزم ان يكون فى الدار جميع الاشياء الا زيد وهو ممتنع فلو حمل ما بعد الا فى هذه الآية على البدل لرجع المعنى الى قولنا لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا لان المبدل منه فى حكم المطروح فيقع الاستثناء من اعم العام فى طرف الاثبات ثم انه تعالى لما اقام الدليل الدال على وحدانيته فرّع عليه كونه منزّها عما يصفه المشركون فقال فسبحان الله وادرج تقريعهم فى زعم كون الجماد الذى لا يعقل ولا يحس شريكا فى الآلهية لرب العرش العظيم ولمن هو القاهر فوق عباده ﴿قوله﴾ لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوّة سلطانه ﴿﴾ وكون افعاله مبنية على القدرة الكاملة والحكمة البالغة فلا مساغ لسائل ان يقول له لم فعلت هذا على طريق طلب حكمة فعله وذلك لانه تعالى حكيم بذاته لا يخرج فعله عن الحكمة وانما يسأل عن حكمة فعله من يحتمل فعله السفه واما من لا يحتمل فعله الا الحكمة فانه لا يمكن ان يسأل لم فعلت وقيل معناه لا يسأل عما يفعل على وجه الاحتجاج عليه وان جاز ان يسأل على وجه استكشاف الحكمة كقوله تعالى رب لم حشرتنى اعمى واستدل اهل السنة على انه تعالى لا يسأل عما يفعل بانه تعالى فاعل كل شئ ولا علة لفعله لانه لو فعل لغرض لا يخلو اما ان يكون وجود ذلك الغرض وعدمه بالنسبة اليه على السوآء او لا يكون

﴿ لو كان فيهما آلهة الا الله ﴾ غير الله وصفت بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حلالها على غير كما استثنى بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرّع على الاستثناء ومشروط بان يكون فى كلام غير موجب ﴿ لفسدتا ﴾ لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت فى المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه تعاوقت عنه ﴿ فسبحان الله رب العرش ﴾ المحيط بجميع الاجسام الذى هو محل التدابير ومنشأ التقادير ﴿ عما يصفون ﴾ من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد ﴿ لا يسأل عما يفعل ﴾ لعظمته وقوّة سلطانه وتفرّده بالالوهية والسلطنة الذاتية ﴿ وهم يسألون ﴾ لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة او للعباد ﴿ ام اتخذوا من دونه آلهة ﴾ كرّره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية اووجدوا فى الكتب الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاوّل ما يدل على فساده عقلا وعلى الثانى ما يدل على فساده نقلا

﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ على ذلك امّا من العقل او من النقل فانه لايصح القول بما لادليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا ﴿ هذا ذكر من معى وذكر من قبلى ﴾ من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهى عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معى امّته ومن قبلى الامم المتقدّمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبهم وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وشبههما وبعدمها ﴿ بل اكثرهم لايعلمون الحق ﴾ ولايميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب ﴿ فهم معرضون ﴾ عن التوحيد واتباع الرسول من اجل ذلك ﴿ وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون ﴾ تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلى من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجودين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة قرأ حفص وحمزة والكسائى نوحى بالنون وكسر الحاء والباقون باليـاء وفتح الحاء ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴾ نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾ تنزيه عن ذلك ﴿ بل عباد ﴾ بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا بأولاد ﴿ مكرمون ﴾ مقرّبون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد ﴿ لايسبقونه بالقول ﴾ لايقولون شيأ حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدّبين واصله لايسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرّض به للقائلين على الله مالم يقله واثبت اللام عن الاضافة اختصارا وتجانبا عن تكرير الضمير وقرئ لايسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه ﴿ وهم بامره يعملون ﴾ لايعملون قط مالم يأمرهم به ﴿ يعلم مابين ايديهم وماخلفهم ﴾ لايخفى عليه خافية مما قدّموا واخروا وهو كالعلة لماقبله والتمهيد لمابعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم ﴿ ولايشفعون الا لمن ارتضى ﴾ ان يشفع له مهابة منه

فان كان على السوآء استحال ان يكون غرضا وان لم يكن على السوآء لزم كونه تعالى ناقصا فى ذاته وكاملا بغيره وذلك محال * فان قلت وجود ذلك الغرض وعدمه وان كان بالنسبة اليه على السوآء الا ان وجوده اولى من عدمه بالنسبة الى العباد * فالجواب ان تحصيل ماهو الاولى فى حق العباد ان كان مساويا لعدم تحصيله بالنسبة اليه لايكون غرضاله وان كان تحصيله اولى يكون مستكملا بالغير وهو محال ﴿ قوله من الكتب السماوية ﴾ حال من قوله تعالى ذكر من معى وذكر من قبلى والعامل فيه معنى التنبيه او الاشارة المدلول عليهما بقوله هذا واراد به الاشارة الى الموجود بين اظهرهم من الكتب الثلاثة القرآن والتوراة والانجيل والقرآن ذكر وعظة لمن اتبعه عليه الصلاة والسلام الى يوم القيامة والتوراة والانجيل ذكر للامم المتقدّمة استدل بهذه الكتب على صحة التوحيد وهى انما توقف على وجود الآله فلا دور ﴿ قوله وقرئ بالتنوين والاعمال ﴾ العامّة على اضافة ذكر الى من الموصولة اضافة المصدر الى مفعوله كقوله بسؤال نعجتك وقرئ ذكر بالتنوين فيهما ومن بفتح الميم وسكون النون منصوب بانه مفعول له بالمصدر كقوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما وقرئ ذكر بالتنوين فيهما ومن بكسر الميم وهو قول المصنف وبه وبمن الجارة على ان معى اسم بمعنى عندى ومن قبلى اى جئت به كما جاء به الانبياء من قبلى ﴿ قوله وبعدمها ﴾ اى وقرئ هذا ذكر معى وذكر قبلى بالتنوين فيهما بدون من ﴿ قوله تعالى بل اكثرهم لايعلمون الحق ﴾ اى رأسا اضراب عن قوله قل هاتوا برهانكم لكونه ادخل فى تضليلهم فان من انتفى عنه العلم رأسا وكان بحيث لايميز بين الحق والباطل مطلقا لايقبل الالزام بان يقال له لايصح القول بما لادليل عليه فان من يبرهن يدل على صحة مذهبه والا فلا يحم حول ذلك ﴿ قوله وسط للتأكيد ﴾ يعنى ان قوله هو الحق جملة معترضة وسطت بين السبب الذى هو الجهل والمسبب الذى هو الاعراض تأكيدا لسببية الاوّل للثانى والحكم بالسببية مستفاد من الفاء فى قوله فهم معرضون كأنه حكم اوّلا بان اعراضهم بسبب الجهل ثم قال الحكم بان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل والعامّة على نصب الحق على انه مفعول به للفعل الذى قبله ويجوز ان يكون انتصابه على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التى قبله كما تقول هذا عبد الله الحق وعلى قراءة الرفع يكون قوله لايعلمون مطلقا غير مقيد بالمتعلق على طريق قولك فلان يعطى ويمنع فاذا وقف على قوله لايعلمون كان جائزا من حيث اللفظ واذا وقف على معرضون كان الوقف تاما من حيث المعنى لان السبب والمسبب كالشئ الواحد وقرأ حمزة والكسائى وحفص نوحى بالنون وكسر الحاء على التعظيم على وفق قوله ارسلنا وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على البناء للمفعول وهذه الآية مقرّرة لما سبق من آيات التوحيد لكونها من قبيل التعميم بعد التخصيص ﴿ قوله الملائكة بنات الله ﴾ واضافوا الى ذلك انه تعالى صاهر سروات الجنّ فولدت له الملائكة ﴿ قوله على مدحض القوم ﴾ اى على موضع زلة من زعم انهم بنات الله فانهم لما رأوهم مكرّمين مقرّبين لهم صفات فاضلة ليست لغيرهم زلقت ارجلهم من هذا الموضع وزعموا انهم اولاد الله وغفلوا عن كونهم عبادا مقرّبين منقادين لله تعالى وانه تعالى منزه عن اتخاذ الصاحبة والولد كما انه منزه عن ان يكون له شريك فى ملكه وألوهيته ﴿ قوله تنبيها على استهجان السبق المعرّض به للقائلين ﴾ وجه التعريض انه تعالى لما قال لايسبقونه بالقول فهم منه بقرينة السياق والمقام ان هناك من صدر عنه السبق بالقول وهم الذين قالوا على الله مالم يقله احد له ادنى علم وعقل من ان له تعالى شريكا وولدا ونحو ذلك ونسب السبق المنفى اليه تعالى واليهم تنبيها على ان السبق المثبت المعرّض به وان كان سبق قولهم قوله الا انه بمنزلة سبق انفسهم عليه تعالى فى الهجنة والقباحة والذى يدل على هذا التهجين ان يقال لايسبقونه بقولهم الا انه اثبت اللام عن الاضافة اختصارا فى المعنى بترك التعرّض للمضاف اليه وقرئ لايسبقونه بضم الباء على انه مضارع سبقه اى غلبه فى السبق ومضارع فعل المبالغة مضموم العين مطلقا يقال سابقة فسبقه يسبقه فالسبق المنفى على هذه القرآءة هو السبق على طريق المبالغة على معنى ان تكلفوا بان يغلبوه فى السبق بالقول لاتساعدهم فيه نفوسهم وتأبى عنه عقولهم لما ركز فى قلوبهم من الخشية المسببة عن معرفة جلال الله وعظمته ثم انه تعالى بعد ما بين ان قولهم تابع لقوله وانه لايسبق قولهم قوله بين ان عملهم ايضا تابع لامره لايعملون عملا مالم يؤمروا به ومن كانوا فى نهاية الخضوع وكمال العبودية بهذا الحد كيف يكونون آلهة واولادا وكذا الخشية والاشفاق المذكور ان يعدّان من صفات العبيد فلا يكون الموصوف بهما آلها واحدا ﴿ قوله وهو كالعلة لماقبله ﴾ يعنى انه استئناف لبيان مادعاهم الى ماذكر من كمال الخضوع بحيث يكون قولهم تابعا لقوله

وعملهم تابعا لامره والمعنى انهم لما علموا كونه تعالى عالما بجميع المعلومات يجازى كل نفس حسب عملها علموا كونه تعالى عالما بظواهرهم وبواطنهم فكان ذلك داعيا لهم الى ماذكر من كمال الخضوع ومراقبة الاقوال والاعمال وهو ايضا كالتمهيد لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى لان علمهم بذلك يقتضى كمال التأدب وقوله يعلم مابين ايديهم اى ماقدّموه من اعمالهم وماخلفهم اى وماهم عاملون اياه بعد وقيل على العكس ﴿قوله﴾ تعالى وهم من خشيته ﴿ اى من خشيتهم منه فاضيف المصدر الى مفعوله مشفقون وجلون خائفون فلا يقصرون فى عبادة الله تعالى والمؤمنون يخافون الله تعالى من كثرة ذنوبهم روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله تعالى والخشية والاشفاق متقاربان فى المعنى والفرق بينهما ان المنظور اليه فى الخشية جانب المخشى منه وهو عظمته ومهابته وفى الاشفاق جانب الخائف وهو الاعتناء بشأنه وعدم الامن من ان يصيبه مكروه ثم ان الاشفاق يتعدّى بكل واحد من كلتى من وعلى يقال اشفق عليه وهو مشفق منه اى حذر فان عدّى بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر من معنى الاعتناء وان عدّى بعلى يكون معنى الاعتناء اظهر من معنى الخوف ﴿قوله﴾ اولم يعلموا ﴿ يعنى ان الرؤية قلبية وان مع ما فى حيزها سادّة مسدّ المفعولين وليست بصرية لانهم مارأوها كذلك البتة قال تعالى ماأشهدتهم خلق السموات والارض اورد الله تعالى ههنا ستة انواع من الدلائل الدالة على كمال قدرته وباهر حكمته تأكيدا لدأيل وحدانيته وتقريرا لبرهان تنزهه عن الشركاء والانداد فان من قدر على تحصيل هذا الترتيب العجيب فى هذا العالم كيف يصح ان يكون له شريك فى الوهيته وملكه * والرتق مصدر بمعنى الضم والالتحام فقوله السموات والارض رتق من قبيل رجل عدل ولذلك قال ذات رتق اومرتوقتين ولم يقل كانتا رتقتين لان المصدر لايثنى ولا يجمع كقوله وما جعلناهم جسدا لايأكلون الطعام واختلف المفسرون فى وجه فتقهما بعد الالتحام * روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المعنى كانتا شيأ واحدا ملتزقة احداهما بالاخرى ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء الى حيث هى وأقرّ الارض واشار المصنف اليه بقوله كانتا بحيث لافرجة بينهما ففرج وهو ماقيل انه تعالى خلق الارض فى موضع بيت المقدس على هيئة النهر عليها دخان لازق بها فاصعد الدخان وخلق منه السموات واسكن النهر فى موضعه وخلق منه الارض وبسطها قال كعب خلق الله السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا توسطهما ففتقهما به وقيل المعنى كانت السموات طبقة واحدة ففتقها بالتحريكات المختلفة فجعلها سبع سموات وكذلك كانت الارض طبقة واحدة ففتقها باختلاف كيفياتها واحوالها فجعلها سبع ارضين وقيل المعنى كانت شيأ واحدا وحقيقة متحدة ففتقها بالهبوبة كما جاء فى الحديث المشهور * اوّل مانظر اليها نظر الرحمة ارتعدت فجمد نصفها فخلق منه العرش فاضطرب فكتب عليه لااله الاالله محمد رسول الله فسكن العرش وترك الماء رتعد على حالته الى يوم القيامة وذلك قوله وكان عرشه على الماء ثم حصل من تلاطم الماء ادخنة متراكمة بعضها على بعض وزبد فخلق منه السموات والارض طباقا وكانتا رتقا فخلق الريح ففتق بين طباق السموات وطباق الارض ثم جمد ذلك الزبد على وجه الماء ودحى فصار ارضا بقدرته * وقيل المعنى ان السموات كانت رتقا مستوية صلبة لاتمطر وكذا الارض كانت رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات ففتق السماء وهى اشدّ الاشياء واصلبها بألين الاشياء وهو الماء وكذلك فتق الارض بألين الاشياء وهو النبات مع شدّتها وصلابتها فالآية على هذا القول نظير قوله تعالى والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع ورجح هذا القول بقوله تعالى بعد ذلك وجعلنا من الماء كل شئ حىّ وذلك لايليق الا اذا كان للماء تعلق بما تقدّم ولا يكون كذلك الا اذا كان المراد بالرتق والفتق ماذكرنا * فان قيل هذا الوجه مرجوح لان المطر لاينزل من السموات بل من سماء واحدة وهى سماء الدنيا * اجيب بانه اطلق لفظ الجمع على سماء الدنيا لان كل قطعة منها سماء كما يقال ثوب اخلاق وبرمة اعشار ويجوز ان يراد بلفظ الجمع السموات بأسرها وجعلها مفتوحة مفتوقة بالمطر مبنى على ان لها مدخلا فى الامطار ففتق السموات والارض بعد ما كانتا رتقا على اىّ معنى كان هو الدليل الاوّل من الدلائل الستة المذكورة فى هذه الآية ﴿قوله﴾ فان الفتق عارض ﴿ لانه من جملة الممكنات والممكنات بأسرها حادثة مفتقرة الى مخصص يخصص احد طرفيها بالوقوع ﴿قوله﴾ وانما قال كانتا ﴿ يعنى ثنى الضمير الراجع الى الجمع باعتبار ان المرجوع اليه جماعتان ﴿قوله﴾ وقرئ رتقا بالفتح ﴿ اى بفتح التاء فان كان مصدرا على وزن طلب فوجه الاخبار به عن المثنى ظاهر واختار المصنف انه فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض والنقض بمعنى المنقوض فكان ينبغى

﴿ وهم من خشيته ﴾ عظمته ومهابته ﴿مشفقون﴾ مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدّى بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدّى بعلى فبالعكس ﴿ ومن يقل منهم ﴾ من الملائكة او من الخلائق ﴿ انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ﴾ يريد به نفى النبوّة وادّعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدّعى الربوبية ﴿ كذلك نجزى الظالمين ﴾ من ظلم بالاشراك وادّعاء الربوبية ﴿ اولم ير الذين كفروا ﴾ اولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو ﴿ ان السموات والارض كانتا رتقا ﴾ ذات رتق اومرتوقتين وهو الضم والالتحام اى كانتا شيأ واحدا وحقيقة متحدة ﴿ ففتقناهما ﴾ بالتنويع والتمييز اوكانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات اواقاليم وقيل كانتا بحيث لافرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لاتمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الافاق اوالسموات بأسرها على ان لها مدخلا مافى الامطار والكنفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط او استفسارا من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كنّ لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيأ رتقا اى مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض

ان يطابق المخبر عنه فى التثنية الا انه افرد بناء على انه صفة موصوف محذوف مفرد فى اللفظ والتقدير كانت اشياء رتقا وقوله تعالى وجعلنا يحتمل ان يكون بمعنى خلقنا فيتعدّى الى واحد وهو كل شئ وحى صفة شئ ومن ابتدآئية متعلقة بالفعل المذكور قبلها فان اريد بالماء النطفة يكون جعلها مبدأ خلق الحيوان ظاهرا كما فى قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وان اريد بالماء حقيقة الماء الذى هو احد العناصر يكون جعلها مبدأ مجازا كما فى قوله تعالى خلق الانسان من عجل بان شبه جعل الله تعالى كل حيوان مفرط الاحتياج الى الماء محباله قليل الصبر عنه بخلقه اياه من الماء ثم قيل جعلناه وانشأناه منه بمعنى جعلناه شديد الاحتياج اليه بحيث لايعيش بدونه فيكون جعلنا استعارة تصريحية تبعية ويحتمل ان يكون بمعنى صيرنا فيتعدّى الى اثنين ثانيهما من الماء فعلى هذا كلمة من اتصالية والمعنى صيرنا كل حىّ متصلا بالماء ملابسا له كما فى قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اى مشتبك ببعض متصل به لاينفك عنه وانما جعلت اتصالية لان من الماء اذا جعل مفعولا ثانيا لجعل وجب ان يكون مفعوله الاوّل متصلا بالثانى ولا يتأتى ذلك الا بكونها اتصالية يقال هذا بسبب منه اى ملابسه ومخالطه لاينفك عنه ولكون الشئ بسبب الغير يستلزم الملابسة والاتصال القوى بينهما فسر المصنف قوله تعالى من الماء بقوله بسبب من الماء الان من فى كلامه بيانية لاتصالية وكذا يحتمل الامرين على تقدير ان يكون حيا منصوبا على انه صفة كل وان نصب على انه مفعول ثان يتعين كونه بمعنى صيرنا وكون الشئ مخصوصا بالحيوان سوآء اريد به الجسم الحساس المتحرّك بالارادة او مايعم النبات لانه يصير ناميا ذا رطوبة وخضرة ونور وثمر بسبب الماء ويدل عليه قوله تعالى كيف يحيى الارض بعد موتها وهذا هو الدليل الثانى من الدلائل المذكورة فى هذه الآية أخبر الله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا ففتق منهما ارزاقهم ثم ذكر انه جعل بالماء حياتهم ثم ذكر انه جعل لهم الارض بحيث تقرّ باهلها وتسكن بهم بان اثبت عليها الجبال الراسيات ثم ذكر انه جعل لهم فيها سبلا فجاجا ليهتدوا بها الى مصالحهم التى جعلت لهم فى البلاد النائية وذكر ايضا نعمته فى رفع السماء بلا عمد وحفظها من ان تسقط عليهم وذكر ايضا نعمته فيما جعل لهم من الليل والنهار والشمس والقمر ومافيها من المنافع الراجعة اليهم ليتذكروا ان من قدر على هذه الامور العظيمة وأنعم عليهم بأتم النعم البديعة منزه عن الشريك والولد وانه اله واحد وسلطان عزيز صمد ﴿قوله﴾ كراهة ان تميل ﴿﴾ يعنى ان قوله ان تميد مفعول له اما بتقدير المضاف او بحذف لام العلة ولا النافية فحذف ماحذف لعدم الالتباس قال ابن عباس ان الارض بسطت على وجه الماء فكانت تميد باهلها كما تميد السفينة على الماء فأرساها الله تعالى بالجبال الثوابت كما ترسى السفينة بالمرساة ﴿قوله﴾ مسالك واسعة ﴿﴾ يعنى ان اصل التركيب وجعلنا فيها سبلا فجاجا على ان سبلا هو المفعول وفجاجا صفة فلما قدّم عليه انتصب حالا ليدل على انه تعالى حين خلق السبل فيها خلقها واسعة وذلك لان الحال يدل على هيئة ذى الحال حتى تعلق العامل به ﴿قوله﴾ او ليدل منها ﴿﴾ اى ويجوز ان يكون فجاجا هو المفعول وسبلا بدلا منه تفسيرا للفجاج وبيانا لكونها نافذة مسلوكة فان الفج قد يكون غير نافذ مع مافى البدل من التأكيد والسابلة ابناء السبيل المختلفة فى الطرقات ﴿قوله﴾ بيان لبعض تلك الآيات ﴿﴾ فان خلق الليل والنهار متعاقبين وخلق الشمس والقمر والنجوم ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب آيات باهرة دالة على وجود الصانع المدبر الحكيم ﴿قوله﴾ والمراد بالفلك الجنس ﴿﴾ جواب عما يقال كيف يصح ان يقال كل واحد الشمس والقمر يسبح فى فلك مع ان لكل واحد منهما فلكا على حدة فان قولنا كلهم فى دار مثلا وان احتمل ان يكون المراد منه كل واحد منهم فى دار على حدة الا انه خلاف المتبادر والمتبادر ان يكونوا مجتمعين فى دار واحدة وتبادر هذا المعنى الى الفهم امارة لكون اللفظ حقيقة فيه * وتقرير الجواب كون كل واحد منهما فى فلك على حدة لما كان ثابتا بالرصد كان ذلك قرينة صارفة عن حمل لفظ فى فلك على الواحد بالشخص فتعين حمله على الواحد بالجنس كما يحمل عليه لفظ حلة بقرينة امتناع ان يكسى الجماعة حلة واحدة بالشخص وقوله يسبحون استعارة تبعية تشبيها لاسراع كل واحد منهما على سطح الفلك باسراع السابح على سطح الماء وضمير الجمع فيه لكل واحد منهما وان كان واحدا بالشخص الا انه اعيد اليه ضمير الجمع لتعدّده باعتبار المطالع واحتج ابو على بن سينا على كون الكواكب احياء ناطقة بقوله تعالى يسبحون وبقوله انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قال الجمع بالواو والنون لا يكون الا للاحياء العقلاء العالمين والجواب عنه ماأشار اليه المصنف من انه لما اسند اليهم ماهو من افعال العقلاء فعبر عنهم بضمير العقلاء

﴿وجعلنا من الماء كل شئ حى﴾ وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم موادّه فى التركيب اولفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شئ حىّ بسبب من الماء لايحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو والشئ مخصوص بالحيوان ﴿أفلا يؤمنون﴾ مع ظهور الآيات ﴿وجعلنا فى الارض رواسى﴾ ثابتات من رسا الشئ اذا ثبت ﴿ان تميد بهم﴾ كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان لاتميد فحذف لا لأمن الالتباس ﴿وجعلنا فيها﴾ فى الارض او الرواسى ﴿فجاجا سبلا﴾ مسالك واسعة وانما قدّم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع مايكون فيه من التوكيد ﴿لعلهم يهتدون﴾ الى مصالحهم ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا﴾ من الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب ﴿وهم عن آياتها﴾ احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهى حكمته التى يحس ببعضها ويبحث عن بعضها فى علمى الطبيعة والهيئة ﴿معرضون﴾ غير متفكرين ﴿وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر﴾ بيان لبعض تلك الآيات ﴿كل فى فلك﴾ اى كل واحد منهما والتنوين بدل من المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة ﴿يسبحون﴾ يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم

وهو السباحة والسجود نزلن منزلة العقلاء فعبر عنهن بضمير العقلاء * ولما جعل يسبحون خبر كل وجعل جملة كل فى فلك يسبحون حالا من الشمس والقمر ورد ان يقال كيف جاز ان يختص المعطوف بكونه ذا حال مع ان الحال قيد فى متعلق العامل فى ذى الحال والعامل كما تعلق بالشمس والقمر تعلق بالليل والنهار ايضا فينبغى ان يكون مضمون الجملة الحالية قيدا فى المتعلق بالجميع * فأجاب عنه بقوله وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس لظهور ان السباحة فى الفلك انما تكون للشمس والقمر دون الليل والنهار كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة اى مظهرة زينتها واختلف الناس فى حركات الكواكب والوجوه الممكنة فيها ثلاثة فانه اما ان يكون الفلك ساكنا والكواكب تتحرك فيه كحركة السمك فى الماء الراكد واما ان يكون الفلك متحركا والكواكب تتحرك فيه ايضا اما مخالفة لجهة حركته او موافقة لها واما بحركة مساوية لحركة الفلك فى السرعة والبطئ او مخالفة واما ان يكون الفلك متحركا والكواكب ساكنة قالت الفلاسفة الرأى الاول باطل لانه يوجب خرق الفلك وهو محال وكذا الرأى الثانى فانه ايضا باطل لعين ماذكر فلم يبق الا الاحتمال الثالث وهو ان يكون الكوكب مغروزا فى الفلك واقفا فيه والفلك يتحرك فيتحرك الكوكب تبعا لحركة الفلك * قال الامام واعلم ان مدار هذا الكلام على امتناع الخرق وهو باطل بل الحق ان الاحتمالات كلها ممكنة والله تعالى قادر على كل الممكنات والذى يدل عليه لفظ القرآن ان تكون الافلاك واقفة والكواكب جارية فيها كما يسبح السمك فى الماء ﴿قوله﴾ قالوا نتربص به ريب المنون ﴿﴾ الريب ما يريبك من المكاره والمنون الموت والمعنى ننتظر به ان تصيبه مكاره وحوادث تؤدى به الى الموت فريب المنون الحوادث المهلكة من حوادث الدهر والشماتة الفرح ببلية العدو ولما كانوا يشمتون بموته عليه الصلاة والسلام ابطل الله تعالى شماتتهم بهذه الآية اى قضى الله ان لا يخلد بشرا فى الدنيا فكل من فيها عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت انت أيبقى هؤلاء فالهمزة فى المعنى دخلت على الخلود لانه هو المنكر بعد تقرر ذلك أى ان مت أفهم الخالدون فجئ بالهمزة لانكار هذا المعنى واكذا الله تعالى هذا الانكار بقوله كل نفس ذآئقة الموت واشار المصنف الى ان المراد بالنفس النفس الناطقة التى هى الروح الانسانى وان موتها عبارة عن مفارقتها جسدها وقدر المرارة المستعارة لما يصيب النفس من ألم المفارقة تشبيها له بالكيفية المطعومة وجعل الذوق ترشيحا للاستعارة فلا يرد ماذكره الامام من ان عموم كل نفس لابد ان يراد منه الخصوص فان له تعالى نفسا كما قال تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك مع ان الموت لا يجوز عليه وكذا الجمادات لها نفوس وهى لا تموت فانه انما يتجه ان لو كان النفس بمعنى الذات وليس كذلك روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت استأذن ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمات وسجى عليه الثوب فكشف عن وجهه ووضع فمه بين عينيه ووضع يده على صدغيه وقال وانبياه واخليلاه واصفياه صدق الله ورسوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفأن مت فهم الخالدون كل نفس ذآئقة الموت ثم خرج الى الناس فخطب وقال فى خطبته من كان يعبد محمدا فان محمدا قدمات ومن كان يعبد رب محمد فان رب محمد حى لا يموت ثم قرأ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الآية ثم انه تعالى قرر القضاء بتسوية الامر بين الخلق وبين وجه الحكمة فيه بان المقصود من هذه الدنيا الابتلاء بالمكاره التى تسمى شرا وهى المضار الدنيوية من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات والشهوات العاجلة التى تسمى خيرا كالنساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ليظهر ما فى علمه من شكر الشاكرين على المنح وصبر الصابرين على المحن ويتميزوا من اضدادهما ويجازى كل احد على حسب ما وجد منه من الصبر والشكر ويعاقب على ما قصر فيه بترك ما وجب عليه منهما وهذه المجازاة لما لم تسعها دار التكليف فلابد من دار اخرى لا يصار اليها الا بالموت والنشور فلابد لكل نفس ان تموت ثم تبعث فتقال ونبلوكم بالشر والخير فتنة واليناترجعون ثم انه تعالى رجع الى تهجينهم وتقبيح حالهم التى هى استهزآؤهم بمن بعث صارفا عن الغواية والعذاب الاليم داعيا الى الهدى والنعيم المقيم مع انهم مستحقون لان يهزأ بهم فقال واذا رآك الذين كفروا الخ وان فى قوله ان يتخذونك نافية وهى مع ما فى حيزها جواب ان الشرطية وهزؤا مصدر وقع موقع اسم المفعول اى مهزوأ به والهزؤ السخرية والجملة الاستفهامية بعده محكية بقول مضمر معطوف على جواب الشرط اى ويقولون أهذا الذى يذكر ﴿قوله﴾ لدلالة الحال ﴿﴾ فانه يقال فلان يذكر الناس ويراد انه يغتابهم ويذكرهم بالعيوب ويقال فلان يذكر الله ويراد انه يصف الله تعالى بالعظمة والجلال ويثنى عليه بما هو اهله ويطلقون فعل الذكر اعتمادا على دلالة الحال والمقام وجملة قوله وهم بذكر الرحمن هم كافرون

﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون﴾ نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفى معناه قوله * فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا * والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعد ما تقرر ذلك ﴿كل نفس ذآئقة الموت﴾ ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكره ﴿ونبلوكم﴾ ونعاملكم معاملة المختبر ﴿بالشر والخير﴾ بالبلايا والنعم ﴿فتنة﴾ ابتلاء مصدر من غير لفظه ﴿واليناترجعون﴾ فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق ﴿واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزؤا﴾ ما يتخذونك الا هزؤا مهزوأ به ويقولون ﴿أهذا الذى يذكر آلهتكم﴾ اى بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء ﴿وهم بذكر الرحمن﴾ بالتوحيد او بارشاده الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقرآن ﴿هم كافرون﴾ منكرون فهم احق بان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص وتحيلولة الصلة بينه وبين الخبر

فى موضع النصب على انها حال من فاعل القول المقدّر او من فاعل يتخذونك اى يقولون ذلك وهم على هذه الحالة او يتخذونك هزؤا وهم على حال هى اصل الهزؤ والسخرية وهى الكفر بالله الموجب للهزؤ والسخرية والمصنف اختار الثانى حيث قال فهم احق بان يهزأ بهم وهم الاولى مبتدأ وكافرون خبره وبذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون منكرون لذكر الرحمن وهم الثانية تأكيد لفظى للاولى ليفيد الاختصاص ووقوع الفصل بين المبتدأ والخبر بمعمول الخبر واضافة الذكر الى الرحمن اما من قبيل اضافة المصدر الى مفعوله اى وهم بان يذكروا الرحمن بما يجب من الوحدانية والتنزيه عن اتخاذ الشريك والصاحبة والولد ونحو ذلك واما من قبيل اضافته الى الفاعل اى بان يذكر الرحمن عباده بارشادهم الى الصراط المستقيم ببعث الرسل وانزال الكتب ويحتمل ان يكون المراد بالذكر القرآن المنزل الذى هو ذكر للعالمين وموعظة لهم ﴿قوله ولذلك﴾ اى وللاحتياج الى التأويل فى جعل العجل مبدأ لخلق الانسان قيل انه على القلب والمعنى خلق العجل من الانسان كقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار اى تعرض النار عليهم وهو بعيد لانه لما امكن حمل الكلام على معنى صحيح وهو على ترتيبه لا وجه لان يقال انه مقلوب روى عن ابن عباس انه قال نزلت الآية فى النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية ﴿قوله والنهى عما جبلت عليه نفوسهم﴾ جواب عما يقال كيف نهى عن الاستعجال الذى جبل عليه الانسان والامور الجبلية لا تتفك عن الانسان فالنهى عنها من قبيل تكليف مالا يطاق وهو لا يقع بالنص* وتقرير الجواب ان الامور الجبلية انما تكون من لوازم الانسان اذا خلى الانسان ونفسه وهو لا ينافى ان يكون تركها مقدورا له بان يتهم نفسه الامارة بالسوء ويخالف هواها ويتبع الادلة العقلية والسمعية الا ترى انه تعالى ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها بما اعطاه من القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة ونحوهما من الامور الجبلية وانه تعالى جعل فى وسعه رياضة نفسه حتى يصير صبورا حليما بالرياضة وهو كقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا الآية اخبر انه تعالى خلقه جزوعا منوعا شحيحا ثم قال الا المصلين فان استثناء المصلين منهم يدل على ان الانسان يتحوّل بالرياضة عن الحالة التى خلقه الله تعالى عليها الى حالة اخرى ﴿قوله وقت وعد العذاب﴾ اى وقت العذاب الموعود على ان الوقت المقدّر مبتدأ ومتى خبره قدّم عليه فانهم كانوا يستعجلون العذاب الموعود لمن اصرّ على الكفر والتكذيب ويقولون متى هذا الوعد فاراد الله تعالى نهيهم عن الاستعجال وبيان انه نازل بهم فى الوقت المقدّر له فجعل ذم الانسان على افراط العجلة وبيان انه مطبوع عليها ذريعة الى نهيه وزجره عن الاستعجال فقولهم متى هذا الوعد هو الاستعجال المذموم الذى اريد نهيهم عنه ﴿قوله تحيط بهم النار من كل جانب﴾ اشارة الى ان قوله عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم عبارة عن جميع الجوانب كأنه قيل من قدّامهم وخلفهم وقوله لما استعجلوا جواب، لو المقدّر وحسن حذفه لان ماتقدّم يدل عليه والمعنى لكنهم استعجلوا لجهلهم بهول ذلك الحين ومافيه من العذاب المهين ﴿قوله ويجوز ان يترك مفعول يعلم﴾ اى مفعول لفظ يعلم الذى هو اسم علم ليعلم الذى هو اللفظ الدال على معنى فى نفسه مقترن باحد الازمنة الثلاثة لانه لو اريد به مسمى لفظ يعلم لما وقع مضافا اليه لان الاضافة من خواص الاسم وقد نص المحققون على ان كل لفظ وضع بازاء معنى اسما كان او فعلا او حرفا فله اسم علم هو نفس ذلك اللفظ من حيث دلالته على اللفظ الذى يصدق عليه حدّ الاسم او الفعل او الحرف الا ترى انك تقول خرج فعل ومن حرف فتجعل كل واحد من خرج ومن محكوما عليه مع استحالة كون الفعل والحرف مخبرا عنه فليتأمل ويجوز ان ينزل يعلم منزلة اللازم مبالغة فى تجهيل المستعجلين على معنى لو كانوا من اولى العلم لما استعجلوا لكنهم استعجلوا لفرط جهلهم وعظم الجهل مستفاد من تنزيل يعلم منزلة اللازم فانه يدل على انهم لا يعلمون شيأ فعلى هذا الوجه يكون حين منصوبا بفعل مضمر اى حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا مبطلين فى استعجالهم وينتفى عنهم هذا الجهل العظيم فتكون هذه الجملة كلاما مستأنفا فانه لما نفى عنهم العلم رأسا بان قال لو يعلم الذين كفروا توجه ان يقال متى يعلمون ويزول عنهم هذا الجهل العظيم فاجيب بقوله حين لا يكفون فكان العامل فى حين مايدل عليه قول القائل متى يعلمون ﴿قوله بل تأتيهم العدة﴾ على ان يكون الضمير المؤنث فى تأتيهم للوعد لكونه فى معنى العدة او للنار او للحين لانه فى معنى الساعة وانتصاب بغتة اما على المصدرية لان البغت نوع من الاتيان او الحالية من فاعل تأتيهم اى باغتة يقال بغته اى فجأه ولقيته بغتة اى فجأة والمباغتة المفاجاة وقوله تعالى بل تأتيهم اضراب

﴿ خلق الانسان من عجل ﴾ كأنه منه خلق لفرط استعجاله وقلة تأنيه كقولك خلق زيد من الكرم جعل ماطبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة فى لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روى انها نزلت فى النضر بن الحارث حين استعجل العذاب ﴿ سأريكم آياتى ﴾ نقماتى فى الدنيا كوقعة بدر وفى الآخرة عذاب النار ﴿ فلا تستعجلون ﴾ بالاتيان بها والنهى عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ وقت وعد العذاب او القيامة ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ يعنون النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم ﴿ لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون ﴾ محذوف الجواب وحين مفعول به ليعلم اى لو لا يعلمون الوقت الذى يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وحين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا ويعلمون بطلان ماعليهم حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ماوجب لهم ذلك ﴿ بل تأتيهم ﴾ العدة او النار او الساعة ﴿ بغتة ﴾ فجأة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين ﴿ فتبهتهم ﴾ فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او للحين وكذا فى قوله ﴿ فلا يستطيعون ردّها ﴾ لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او للبغتة ﴿ ولا هم ينظرون ﴾ يمهلون وفيه تذكير بأمها لهم فى الدنيا

انتقال حكى الله تعالى انهم يستعجلون العذاب الموعود ويقولون متى هذا الوعد وبين ان سبب ذلك الاستعجال هو عدم علمهم بهول وقت وقوعه ومافيه من العذاب الشديد ثم اضرب وانتقل من بيان السبب الى بيان كيفية وقوع الموعود فقال بل تأتيهم بغتة ولما كان استعجالهم ذلك بطريق الاستهزآء وكان عليه الصلاة والسلام يتأذى ويتحرج من استهزائهم نزل قوله تعالى ولقد استهزئ الآية تسلية له عليه الصلاة والسلام وقوله اوّلا لو يعلم الذين كفروا الآية لا يخلو ايضا عن التسلية ودفع الحزن عن قلبه المنير فان بيان مالصاحب هذا الاستهزآء من العذاب الشديد يفيد تسلية المهزوء به وازالة حزنه لا محالة ﴿قوله تعالى ما كانوا به يستهزئون﴾ اى جزآء ما كانوا فكأنه قيل سيصيبهم جزآء استهزآئهم كما اصاب جزآء استهزآء من قبلهم بانبيائهم فلا تبال باستهزآئهم وكن متسليا فارغ البال ثم انه تعالى لما بين استحقاقهم لما اصاب الاوّلين وانه سيصيبهم لا محالة مثل ما اصاب الاوّلين وان عدم اصابة ذلك اياهم عاجلا انما هو لحفظه وكلاءته حيث امهلهم مدّة بمقتضى رحمته العامة ومشيئته وحكمته الباهرة امره عليه الصلاة والسلام ان يسألهم عن الكالئ ليقرّوا وينتبهوا على أنهم فى قبضة قدرة الله تعالى مسخرون لحكمته ومشيئته لينتهوا عن الاستهزآء والتكذيب ويتمسكوا بحبل الطاعة والتصديق ثم اضرب عن ذلك الامر بقوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون اى دعهم عن هذا السؤال لانهم لا يصلحون له لاعراضهم عن ذكر الله تعالى فلا يخطرونه ببالهم حتى يخافوا بأسه ثم اذا رزقوا الكلاءة من عذابه عرفوا ان الحافظ هو الله تعالى وحده وصلحوا للسؤال عنه ثم أضرب عن امر التسجيل عليهم بانهم لا يصلحون للسؤال الى ماهو أهمّ وهو الانكار عليهم فيما زعموا ان لهم آلهة تنصرهم وتمنعهم مما استحقوا من العذاب منعا يتجاوز منعنا وحفظنا على ان قوله تعالى من دوننا صفة مصدر محذوف والذى اضيف اليه دون ايضا محذوف وتقدير الكلام تمنعهم منعا كائنا من دون منعنا اى من غير منعنا ويحتمل ان يكون من دوننا بمعنى من عندنا فيكون صفة لمحذوف يتعلق بقوله تمنعهم والتقدير تمنعهم من عذاب يكون من عندنا كأنه قيل دعهم عن هذا السؤال لا لغفلتهم واعراضهم عن ذكر ربهم بل لاعتقادهم ان لهم آلهة تستقل فى حفظهم وانظر الى من اعرضوا عن ذكر ربهم اليها فان هذا غريب واغرب لان من لا يقدر على نصر نفسه ولا يحبه نصر من الله عزوجل كيف ينصر غيره ثم أضرب عما توهموه من ان ماهم فيه من الكلاءة من جهة ان لهم آلهة تمنعهم من تطرّق البأس اليهم فقال بل متعنا هؤلاء وآباءهم الآية كأنه قيل دع مازعموا من كونهم محفوظين بكلاءة آلهتهم بل ماهم فيه من الحفظ انما هو منا لا من غيرنا حفظناهم من البأساء ومتعناهم بانواع السرّآء لكونهم من اهل الاستدراج والانهماك فيما يؤدّيهم الى العذاب العظيم والعقاب الاليم ويحتمل ان يكون اضرابا عن الاستئناف السابق كأنه قيل دع مايبين بطلان ما اعتقدوه من ان يكون لهم آلهة تمنعهم * واعلم انهم انما وقعوا فى ورطة ذلك التوهم الباطل بسبب انه تعالى متعهم بما يشتهون فحسبوا ان ذلك يدوم عليهم فاغترّوا واعرضوا عن التأمل فى قول الرسول المبلغ عن الله واتبعوا ما سوّلت لهم انفسهم من الاوهام الباطلة لقساوة قلوبهم وخباثة طباعهم والا فقد اتضح الحق من الباطل وتبين الرشد من الغىّ فما بقى الا ان ينتقم منهم على سبيل التدريج بان يعاجلهم بمكاره الدنيا ثم يضطرّهم الى عذاب النار فى العقبى واشار الى هذا المعنى بقوله عزمن قائل أفلا يرون اى أغفلوا وعموا فلا يرون كيف شرعنا فى ذلك بان ننقص دار الكفر من جوانبها وننقح البلاد والقرى من حوالى مكة وندخلها فى ملك نبينا محمد عليه الصلاة السلام وننقص مافيها من المشركين واحدا بعد واحد بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها بحيث لا يقدرون على دفعهم عن انفسهم وديارهم أفهم الغالبون ام المغلوبون فالفاء فى أفلا يرون لعطف الجملة على المقدّر والتى فى قوله افهم الغالبون لعطفها على الملفوظ والعبارة الظاهرة فى تأدية هذا المعنى ان يقال أفلا يرون ان عساكر الموحدين المطيعين يأتون ارض المشركين وينقصونها من اطرافها الا انه تعالى اسند فعل المسلمين الى ذاته تنبيها على ان المجازى والمنتقم والمخرّب هو الله تعالى حقيقة وان ظهر ذلك بتسلط المسلمين وتمكينهم من التخريب والاهلاك والذى ورد عليه نظم التنزيل تصوير للامر على ماهو عليه فى نفس الامر ثم انه تعالى لما بالغ فى تهديد الكفرة المستهزئين المستعجلين وانذارهم بانواع العذاب قرّر ذلك واكد بقوله قل انما انذركم بالوحى الىّ من القرآن الكريم ﴿قوله وقرأ ابن عامر ولا تسمع﴾ اى بضم تاء الخطاب وكسر الميم ونصب الصم الدعاء على انهما المفعولان وقرأ الحسن على قراءة ابن عامر الا انه يضم ياء الغيبة على ان فيه ضميره عليه الصلاة والسلام وقرأ باقى السبعة بفتح ياء الغيبة والميم ورفع الصم

﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾ وعده له بأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعنى جزآءه ﴿قل﴾ يا محمد للمستهزئين ﴿من يكلؤكم﴾ يحفظكم ﴿بالليل والنهار من الرحمن﴾ من بأسه ان اراد بكم وفى لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامّة وان اندفاعه بها بمهلته ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ لا يخطرونه ببالهم فضلا عن ان يخافوا بأسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ﴿ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾ بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضرابان عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعروض الغافل عن الشئ بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد ﴿لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون﴾ استئناف بابطال ما اعتقدوه فان مالا يقدر على نصر نفسه ولا يحميه نصر من الله كيف ينصر غيره ﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم﴾ حتى طال عليهم العمر﴾ اضراب عما توهموا ببيان ماهو الداعى الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدّر لهم من الاعمار اوعن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال ﴿أفلا يرون انا نأتى الارض﴾ ارض الكفرة ﴿ننقصها من اطرافها﴾ بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على ايدى المسلمين ﴿أفهم الغالبون﴾ رسول الله والمؤمنين ﴿قل انما انذركم بالوحى﴾ بما اوحى الىّ ﴿ولا يسمع الصم الدعاء﴾ وقرأ ابن عامر ولا تسمع الصم على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء على ان فيه ضميره

ونصب الدعاء ﴿ قوله للدلالة على تصامّهم ﴾ وجه الدلالة ان تعريف الصم للعهد والمعهود هؤلاء المنذرون وهم ليسوا بصم حقيقة فلما سموا صما دل على انهم شبهوا بالصم لتصامّهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون ثم انه تعالى بين ان حالهم ستصير الى ان يصيروا بحيث اذا شاهدوا اليسير مما انذروا به كمس ريح الشئ بدون مس جسمه فعند ذلك يسمعون ويعتذرون ويعترفون على انفسهم بالظلم حيث لا ينتفعون فقال ولئن مستهم نفحة اى ادنى شئ مما انذروا به بسبب شركهم وتكذيبهم الرسول واصل النفح هبوب الريح يقال نفحت الريح اى هبت هبوبا ليّنا ونفحه بنائل اى بشئ يسير من العطاء ﴿ قوله توزن بها صحائف الاعمال ﴾ يعنى ان الله تعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال وقد روى انه ميزان له كفتان ولسان وهو يد جبريل عليه الصلاة والسلام * فان قيل كيف توزن الاعمال وانما هى اعراض لا توصف بالخفة والثقل المختصين بالجواهر * اجيب بان فى كيفية وزنها وجهين الاوّل ان توزن صحائف الاعمال والثانى انه تعالى يعطيها صور الجواهر فيضع فى كفة الحسنات جواهر بيضاء مشرقة وفى كفة السيئات جواهر سودآء مظلمة والمعتزلة عن آخرهم انكروا وضع الموازين الحقيقية وقالوا يجب ان يحمل ماورد فى القرآن من الوزن والميزان على رعاية العدل والانصاف بحيث لا يقع فيه تفاوت اصلا فوضع الموازين عندهم عبارة عن اعداد المحاسبات الشرّية والخيرية على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرّة فمثل ذلك بوضع الموازين الحقيقية لتوزن بها الموزونات للعدل وتسوية الحقوق وعامة اهل السنة على انه تعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها صحف الاعمال وجمع الموازين مع ان الميزان الموضوع واحد نظرا الى تعدّد ما يوزن فيه او لتعظيم شأنه فمن احاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه بمعنى ان حسناته تذهب سيئاته ومن احاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه اى اذهبت حسناته سيئاته كذا روى عن ابن عباس وهو اوفق لما ذهب اليه المعتزلة ﴿ قوله لجزآء يوم القيامة ﴾ يعنى ان اللام فيه اما للتعليل على حذف المضاف اوهى لام التوقيت بمعنى فى كما فى قولك جئت لخمس خلون اى مضين وذهب صاحب الكشاف الى انها لام الاختصاص ومعنى المثال اختصاص المجيئ بذلك الزمان ومعنى الآية اختصاص وضع الميزان بيوم القيامة ﴿ قوله شيأ من حقه او من الظلم ﴾ الاوّل على ان يكون شيأ مفعولا ثانيا لتظلم لانه بمعنى لا تنقص ونقص يتعدّى الى مفعولين يقال نقصه حقه وقال تعالى لا ينقصوكم شيأ والثانى على ان يكون مفعولا مطلقا وقرأ العامة أتينا بها بقصر الهمزة من الاتيان بمعنى احضرنا وقرئ بمدّ الهمزة فيحتمل ان يكون وزنه افعلنا من آتى يؤتى ايتاء او فاعلنا ويؤيده قوله بها لان ماهو بوزن افعلنا يتعدّى الى مفعوليه بنفسه قال تعالى وآتينا ثمود الناقة ثم انه تعالى شرع فى قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام تقوية لقلبه عليه الصلاة والسلام على ادآء الرسالة وتسلية له بانه ليس اوّل من بعث الدعوة المستكبرين ووجه ربط قصة موسى بما قبلها انه تعالى لما امر رسوله عليه الصلاة والسلام ان يقول انما انذركم بالوحى اتبعه بانه عادة الله تعالى فى الانبياء قبله فقال ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وهو مصدر وصف به الكتاب الآلهى لكونه فارقا بين الحق والباطل ومابعده معطوف عليه على طريق عطف الصفات والمراد بالجميع شئ واحد هو التوراة فالمعنى ولقد آتيناهما الكتاب الجامع لهذه الاوصاف وقيل المراد بالفرقان النصر على الاعداء كما فى قوله تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان بمعنى يوم بدر حين يفرق بين الحق والباطل ﴿ قوله حال من الفاعل ﴾ بمعنى يخشون ربهم او عذاب ربهم وهم غائبون عنه لم يروه فيأتمرون باوامره وينتهون عن نواهيه اووهم غائبون عن الآخرة لم يروا مافيها من الاهوال اووهم غائبون عن الناس لا كالذين يجتنبون المعاصى بمحضر الناس ويرتكبونها فى الخلوات او من المفعول بمعنى يخشون عذاب ربهم وهو غائب لم يشاهد بعد او يخشون ربهم وهو غائب عن الحس لا تدركه الابصار وانما يؤمنون به ايمانا غيبيا استدلاليا ﴿ قوله مبالغة وتعريض ﴾ من حيث انه يفيد حصر الخوف من الساعة فى المتقين والمنحصر ليس اصل الخوف بل هو الخوف الكامل والحكم بانحصاره فيهم يتضمن الحكم بانتفائه عن غيرهم وهو وجه التعريض بغيرهم ﴿ قوله استفهام توبيخ ﴾ عير الله اهل مكة بان القرآن مع اشتماله على جميع ما اشتمل عليه التوراة من الاصاف مشتمل على امر زآئد على مافيها وهو كونه معجزا لاشتماله على الامور العجيبة والبلاغة البديعة وعلى الادلة العقلية وبيان الشرآئع الحكمية فمثل هذا الكتاب لا يتجاسر على انكاره من له ادنى تمييز ﴿ قوله وقرئ رشده ﴾ بفتح الرآء والشين والعامة على ضم الرآء وسكون الشين وهما لغتان كالعدم

وانما سماهم الصمّ ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامّهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون ﴿ اذا ما ينذرون ﴾ منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام فى الانذار او للمبالغة فى تصامّهم وتجاسرهم ﴿ ولئن مستهم نفحة ﴾ ادنى شئ وفيه مبالغات ذكر المس وما فى النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رآئحة الشئ والبناء الدال على المرّة ﴿ من عذاب ربك ﴾ من الذى ينذرون به ﴿ ليقولنّ ياويلنا انا كنا ظالمين ﴾ لدعواهم على انفسهم بالويل واعترافهم عليها بالظلم ﴿ ونضع الموازين القسط ﴾ العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوىّ والجزآء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ﴿ ليوم القيامة ﴾ لجزآء يوم القيامة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر ﴿ فلا تظلم نفس شيأ ﴾ من حقه او من الظلم ﴿ وان كان مثقال حبة من خردل ﴾ اى وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامّة ﴿ أتينا بها ﴾ احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من أعطينا او من المؤاتاة فانهم أتوه بالاعمال واتاهم بالجزآء واثبت من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة ﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾ اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ﴿ ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين ﴾ اى الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به فى ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرآئع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان ﴿ الذين يخشون ربهم ﴾ صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع ﴿ بالغيب ﴾ حال من الفاعل او المفعول ﴿ وهم من الساعة مشفقون ﴾ خائفون وفى تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض ﴿ وهذا ذكر ﴾ يعنى القرآن ﴿ مبارك ﴾ كثير خيره ﴿ انزلناه ﴾ على محمد ﴿ أفأنتم له منكرون ﴾ استفهام توبيخ ﴿ ولقد آتينا ابراهيم رشده ﴾ الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شأنا وقرئ رشده وهو لغة

والعدم يقال رشد بالفتح يرشد رشدا ورشد بالكسر يرشد رشدا كلاهما بمعنى والاضافة فيه بمعنى اللام والاختصاص والمعنى ولقد آتينا بجلالنا وعظم شأننا ابراهيم رشدا يليق بمثله وبحال من انتصب للرسالة وخلة الرحمن ولو قيل الرشد او ترك اللام وضمير الجماعة لما افاد الكلام هذا التفخيم فان الرشد وان كان خلاف الغى الا ان بين رشد المؤمنين والرشد الذى اوتى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بونا بعيدا ﴿قوله علمنا انه اهل لما آتيناه﴾ اى من الرشد المفسر بالاهتداء المذكور والعلم بكونه جامعا لمحاسن الاوصاف والخصال بمعنى واحد ومثل هذا التركيب يستعمل فى المعنى الثانى فانك اذا قلت فى حق احد من الفضلاء انا عالم بفلان فقولك هذا فى الدلالة على كونه جامعا لوجوه الفضل اشدّ واقوى مما اذا فصلت صفات كماله ﴿قوله فان التمثال﴾ يعنى انه اسم للشئ المصنوع مشبها بخلق من خلق الله تعالى واصله من مثلت الشئ بالشئ اذا شبهته به واسم ذلك الممثل التمثال فتح عليه الصلاة والسلام لهم باب هذا الكلام الدال على تحقير اصنامهم لينظر فيما يوردونه من شبهة فيبطلها عليهم ﴿قوله ويجوز ان يؤوّل﴾ اى ويجوز ان لا ينزل ما كفون منزلة اللازم وتجعل اللام للتعدية باحد الوجهين ﴿قوله جواب عما لزم الاستفهام﴾ اى جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام سألهم عن حقيقة التماثيل المعكوف عليها وهم اجابوه ببيان ما حملهم على عبادتها فلا انطباق بين السؤال والجواب * وتقرير الجواب انه ليس جوابا لنفس الاستفهام بل عما لزمه من السؤال عن المقتضى لعبادتها وذلك السؤال اللازم هو أىّ شئ حملكم على عبادتها مع ان شأنها من الحقارة ما رأيتموه والقوم لما لم يجدوا فى جوابه الا الطريقة التقليد فاجابوه بأن آباءهم سلكوا قبلهم هذا الطريق فاقتدوا به لاجرم اجابهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله لقد كنتم انتم وآباءكم فى ضلال مبين فبين ان الباطل لا يصير حقا بكثرة المتمسكين به ﴿قوله وهنّ للسموات﴾ فانه ليس من الضمائر المختصة بالمؤنثات العاقلات بل هو لفظ مشترك بين العاقلات وغيرها قال تعالى منها اربعة حرم ثم قال فلا تظلموا فيهنّ انفسكم لما سمع ابراهيم عليه الصلاة والسلام مقالة القوم وعلم ان استفهامهم ذلك مبنى على انهم حسبوا انه عليه الصلاة والسلام انما انكر عليهم دينهم القديم مع كثرتهم وشوكتهم على وجه المزاح واللعب قال بل ربكم رب السموات الآية كأنه قال ما قلته لكم انما قلته على سبيل الجدّ واظهار الحق ولى برهان على ذلك كأنه ليس المراد من الشهادة فى قوله وانا على ذلكم من الشاهدين حقيقة الشهادة لانه لا شهادة من المدّعى بل استعيرت الشهادة لتحقق الدعوى بالحجة والبرهان اى لست من اللاعبين فى الدعاوى بل من المحتجين عليها بالبراهين القاطعة بمنزلة الشاهد الذى تقطع به الدعاوى ﴿قوله من المتحققين﴾ اى من المتيقنين له يقال تحققت الشئ اذا صرت منه على يقين والشاهد من تحقق الشئ وحققه فقوله من الشاهدين من باب التشبيه البليغ اظهر عليه الصلاة والسلام كونه صادقا جادّا فيما خاطبهم به فى حق اصنامهم اوّلا بقوله بل ربكم رب السموات والارض فدل بذلك على ان من خلقهما على هذا الوجه البديع لمنافع العباد هو الذى يحسن ان يعبد لانّ من يقدر على ذلك يقدر على ان يضرّ وينفع فى الدار الآخرة بالعقاب والثواب واظهره ثانيا بالطريقة الفعلية المدلول عليها بقوله وتالله لأكيدنّ اصنامكم * فان قيل لما ذا قال لأكيدنّ اصنامكم والكيد هو الاحتيال على الغير فى ضرر لا يشعر به والاصنام جمادات لا تتضرّر بالكسر ونحوه وايضا ليست هى مما يحتال فى ايقاع الكسر عليها لان الاحتيال انما يكون فى حق من له شعور * اجيب بان ذلك من قبيل التوسع فى الكلام فان القوم كانوا يزعمون ان الاصنام لهنّ شعور ويجوز عليهنّ التضرّر فقال ذلك بناء على زعمهم وقيل المراد لأكيدنكم فى اصنامكم لانه بذلك الفعل قد انزل بهم الغوغرأ العامة تالله بالتاء المثناة من فوق وقرئ بالباء الموحدة والاصل فى حروف القسم الباء لان تلك الحروف انما تدخل على المقسم به لان تصلق فعل القسم بالمقسم به والاصل فى تأدية معنى الالصاق هو الباء وابدلت الواو من الباء للمناسبة بينهما من حيث كونهما شفويتين ومن حيث ان الواو تفيد معنى الجمعية القريبة من معنى الالصاق والتاء بدل من الواو كما فى وراث وفى التاء معنى زائد ليس فى اختيها وهو التعجب وذلك لان المقسم عليه بالتاء يجب ان يكون امرا نادر الوقوع وان الشئ المعجب لا يكثر وقوعه والا لم يكن معجبا ومن ثمة قيل استعمال التاء لا يكون الا مع اسم الله تعالى فكأنه عليه الصلاة والسلام تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتيه منه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته لاسيما فى زمن نمرود مع عتوّه وقوّة سلطانه وبعد منصوب بلأكيدنّ ومدبرين حال مؤكدة

﴿من قبل﴾ من قبل موسى وهرون او محمد وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حيث قال انى وجهت ﴿وكنا به عالمين﴾ علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات ﴿اذ قال لابيه وقومه﴾ متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اى اذكر من اوقات رشده وقت قوله ﴿ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون﴾ تحقير لشأنها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لا روح فيها لا تضرّ ولا تنفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى انتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يؤوّل بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة ﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها ﴿قال لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين﴾ منخرطون فى سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد وان جاز فانما يجوز لمن علم فى الجملة انه على حق ﴿قالوا أجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين﴾ كانهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا ان ما قاله على وجه الملاعبة فقالوا أبجدّ تقوله ام تلعب به ﴿قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهنّ﴾ اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادّعاه وهنّ للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل فى تضليلهم والزام الحجة عليهم ﴿وانا على ذلكم﴾ المذكور من التوحيد ﴿من الشاهدين﴾ من المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشئ وحققه ﴿وتالله﴾ وقرئ بالباء وهى الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب ﴿لأكيدنّ اصنامكم﴾ لأجتهدنّ فى كسرها ولفظ الكيد وما فى التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل ﴿بعد ان تولوا﴾ عنها ﴿مدبرين﴾ الى عيدكم او لعله قال ذلك سرّا

لان التولى والادبار بمعنى واحد قرأ العامة تولوا بضم التاء واللام مضارع ولى مشدّدا وقرئ تولوا بفتحهما مضارع تولى واصله تتولوا فحذف احدى التاءين ويؤيد قرآءة الجميع فتولوا عنه مدبرين والمعنى بعد غيبتكم عنى وذهابكم الى عيدكم قال السدّى كان لهم فى كل سنة عيد يجتمعون فيه وكانوا اذا اجتمعوا فيه ورجعوا منه دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان هذا الوقت قال آزر لابنه ابراهيم عليه الصلاة والسلام لو خرجت معنا الى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم اشتكى رجلى فلما مضوا وبقى ضعفاء الناس نادى فى آخرهم وقال تالله لأكيدنّ اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين اى الى عيدكم فسمعوها منه واحتج هذا القائل عليه بقوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقال الكلبى كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام من اهل بيت ينظرون فى النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا فلما همّ ابراهيم عليه الصلاة والسلام بكسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السماء وقال لاصحابه انى اشتكى غدا وهو قوله فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم واصبح فى الغد معصوبا رأسه فخرج القوم الى عيدهم ولم يتخلف احد غيره وانتشر ذلك فى جماعة فلذلك قال تعالى سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ثم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام دخل بيت الاصنام وكانت فى بيت بهىّ عظيم وهو بيت المقدس امام البيوت فوجد فيه سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفى عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفأس فى يده حتى لم يبق الا الكبير ثم علق الفأس فى عنقه ولم يكسره فقوله الا كبيرا لهم استثناء من مفعول قوله فجعلهم ولهم صفة للكبير وضمير اليه يرجع الى ابراهيم والمعنى انه فعل ذلك ثم قال فى نفسه لعلهم يرجعون الىّ فى هذه الحادثة فأبكتهم بان اقول لهم بل فعله كبيرهم هذا ويجوز ان يرجع الى الكبير والمعنى لعلهم يرجعون الى الكبير قائلين مالهؤلاء مكسورة ومالك صحيحا والفأس فى عنقك وانما قال ذلك بناء على كثرة جهالاتهم او لعلهم كانوا يعتقدون فيها انها تجيب وتتكلم ويحتمل انه عليه الصلاة والسلام قال ذلك مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزآء بهم ومن فى قوله تعالى من فعل هذا بآلهتنا يحتمل ان تكون استفهامية وهو الظاهر فعلى هذا يكون قوله انه لمن الظالمين استئنافا لا محل له من الاعراب ويحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذى وعلى هذا يكون قوله انه لمن الظالمين فى محل الرفع على انه خبر للموصول ﴿قوله ويذكرهم﴾ لان سمع انما يتعدّى الى واحد اذا تعلق بالكيفية المسموعة كقولك سمعت قرآءته واما اذا تعلق بالاعيان التى لا يتعلق بها السماء فحينئذ يتعدّى الى اثنين فيكون فتى مفعولا اوّلا ويذكرهم فى محل النصب على انه مفعول ثان فانه لا يجوز لك ان تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما يسمع وجعله صفة لفتى ابلغ فى نسبة الذكر اليه لاستوآء الوجهين والاشتمال على نسبة الفعل الى الفاعل واختصاص الوجه الثانى بنسبة الوصفية فيكون قوله يقال له ابراهيم صفة ثانية لفتى الا ان المفعول الثانى لابدّ منه لسمع لما مرّ من انك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما سمعت ﴿قوله هو ابراهيم﴾ على ان يكون ارتفاع ابراهيم على انه خبر محذوف ثم جوّز ان يكون نائب فاعل مالم يسم فاعله بمعنى يقال له ويطلق عليه الاسم ولو اريد به المسمى لما جاز قيامه مقام الفاعل لان مفعول القول لا يكون الا جملة بخلاف ما اذا اريد لفظ ابراهيم فانه حينئذ يجوز ان يقوم مقام الفاعل لان اللفظ فى حكم الجملة فى جواز كونه مقول القول فيؤدّى لكون القول حينئذ بمعنى التسمية كانه قيل يسمى ابراهيم واختلف النحاة فى جواز تسلط القول على المفرد الذى لا يؤدّى معنى جملة ولا هو مقتطع من جملة ولا هو مصدر لقال ولا صفة لمصدره نحو قلت زيدا اى قلت هذا اللفظ فأجازه جماعة منهم الزمخشرى ومنعه آخرون واما اذا كان المفرد مؤدّيا معنى جملة كقولك قلت خطبة او قصيدة او شعرا او اقتطع من جملة كقوله

* اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة * معتقة مما يجئ به التجر *

او كان مصدرا نحو قلت قولا او صفة له نحو قلت حقا او باطلا فانه يتسلط عليه القول اجماعا ﴿قوله بمرأى منهم﴾ يعنى ان قوله على اعين الناس فى محل النصب على انه حال من الهاء فى به اى ائتوا به وجيئوا به ظاهرا مكشوفا بمرأى منهم ومنظر واورد حرف الاستعلاء بناء على طريق التشبيه اى تشبيه تمثيل صورته فى اعينهم باستعلاء الراكب على مركبه وتوضيح المقام ان المعنى فأتوا به مستقرّا على اعين الناس مستعليا عليها وذلك بان شبه انطباع صورة المرئى فى القوّة الباصرة باستعلاء الراكب على المركب ثم ذكر كلمة على واريد الاستعلاء فهو استعارة تبعية وقرينتها

﴿فجعلهم جذاذا﴾ قطعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائى بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة ﴿الا كبيرا لهم﴾ للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه ﴿لعلهم اليه يرجعون﴾ لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرّده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او لانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شأن المعبود ان يرجع اليه فى حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اى يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم ﴿قالوا﴾ حين رجعوا ﴿من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين﴾ بجرآءته على الآلهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه فى حطمها او بتوريط نفسه للهلاك ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾ يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثانى مفعولى سمع او صفة لفتى صحيحة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ فى نسبة الذكر اليه ﴿يقال له ابراهيم﴾ هو ابراهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به الاسم ﴿قالوا فأتوا به على اعين الناس﴾ برأى منهم بحيث يتمكن صورته فى اعينهم تمكن الراكب على المركوب ﴿لعلهم يشهدون﴾ بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له

(اعين)

اعين الناس فالمراد بالاتيان اتيان مثاله لما سمع بعض القوم قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام وتالله لأكيدنّ اصنامكم وسمعوا سبه لآلهتهم غلب على ظنهم انه الفاعل لذلك فلذلك قالوا سمعنا فتى يذكرهم اى يعيبهم ويسبهم يقال له ابراهيم فهو الذى يظنّ انه الذى فعل هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه فقالوا فيما بينهم فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون عليه انه الذى فعل قيل كرهوا ان يأخذوه بغير بينة وقيل انه ليس من الشهادة بل هو من الشهود وهو الحضور والمعنى لعلهم يحضرون عقوبتنا اياه ﴿قوله حين احضروه﴾ اشارة الى ان فى الكلام حذفا والتقدير فأتوا به فلما شاهدوه قالوا منكرين عليه فعله موبخين له ءانت فعلت هذا وفى قوله ءانت وجهان الاوّل انه فاعل فعل مقدّر يفسره الظاهر بعده والتقدير أفعلت هذا بآلهتنا فلما حذف الفعل انفصل الضمير فعلى هذا لامحل لفعلت الملفوظ به لانها مفسرة والثانى انه مبتدأ والجملة التى بعده فى محل الرفع على الخبرية وبين الوجهين فرق من حيث المعنى وهو أن اداة الاستفهام اذا دخلت على الفعل يكون الشك فى انه هل وقع اولا ولاشك فى فاعله واذا دخلت على الاسم لايكون الشك فى وقوع الفعل بل يكون وقوعه مقطوعا به ويكون المشكوك فيه هو الاسم الذى دخلت عليه اداة الاستفهام ويشك فى انه هل هو الفاعل اوغيره فاذا قلت أقام زيد كان الشك فى قيامه واذا قلت أزيد قام وجعلته مبتدأ كان الشك فى ان الفعل هل صدر منه او من غيره والوجه الاوّل هو المختار عند النحاة لان الفعل تقدّم مايطلبه وهو اداة الاستفهام ﴿قوله اسند الفعل اليه﴾ جواب عما يقال كيف اسند الفعل الى كبيرهم وانه كذب لايليق بالنبى المعصوم * فاجاب عنه اوّلا بان اسناد الفعل اليه من قبيل اسناده الى السبب الحامل فانه عليه الصلاة والسلام لما رأى الاصنام مصطفة مزينة يعظمها المشركون ورأى على الكبير مايدل على زيادة تعظيمهم له وتخصيصهم اياه بمزيد التواضع والخضوع اشتدّ بغضه وغيظه له فحمله ذلك البغض على مافعل بتلك الاصنام فلذلك اسند الفعل الى الكبير لالانه هو المباشر للفعل الا انه ابقى الكبير مع انه هو السبب الحامل له على استهانة الاصنام وكسرها ليورد عليهم هذا القول الموهم لكون الاسناد اليه حقيقيا ليظهر جهلهم فى عبادة الاصنام وثانيا بانه عليه الصلاة والسلام لم يقصد باسناد الفعل الى الكبير ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم الكبير بل قصد به تقرير الفعل لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضى مع الاستهزآء بالكبير لان اثبات الفعل الدائر بين شخصين لمن هو العاجز منهما استهزآء بالعاجز واثبات للقادر منهما كما اذا اجبت من قال لك انت كتبت هذا وانت شهير بحسن الخط وهو امّى لايحسن الخط ولايقدر الا على الخرمشة الفاسدة بل كتبته انت فان قصدك بهذا الجواب تقرير الكتبة لك مع الاستهزآء بالامّى لانفيه عنك واثباته للامّى وثالثا بانه لم يسند الفعل اليه اعتقادا بل اسنده حكاية لمايلزم من مذهبهم جوازه كأنه قال كيف تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا الفعل وعلى ماهو اعظم منه ويؤيد هذا الجواب ماحكى انه قال لهم بل فعله كبيرهم بناء على انه غضب من ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبرمنها هيئة واشرف جوهرا فانه لاوجه لهذا القول الا بان يكون على سبيل الحكاية لمايلزم من مذهبهم ورابعا بان اسناد الفعل الى الكبير مشروط بقوله ان كانوا ينطقون جعل النطق شرطا للفعل واراد به انهم ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فلما ظهر عجزهم عن النطق تبين عجزهم عن الفعل ايضا وقوله فاسألوهم اعتراض بين الشرط والجزآء وهذا الجواب يتضمن تجهيل القوم واسناد الفعل الى نفسه ولم يرض المصنف بحمل جوابه عليه الصلاة والسلام على هذا المعنى لكونه تعسفا ومخالفا لظاهر النظم وخامسا بان الكذب انما يلزم على تقدير ان يكون الفعل مسندا الى كبيرهم ولانسلم ذلك لم لايجوز ان يكون مسندا الى ضمير فتى او ابراهيم * ولما ظهر بهذه الاجوبة ان قوله بل فعله كبيرهم ليس بكذب ورد ان يقال فكيف اثبت عليه صلوات الله وسلامه لابراهيم ثلاث كذبات وهى قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارّة هى اختى * فاجاب المصنف عنه بانه عليه الصلاة والسلام سماها كذبات تشبيها لها بالكذبات لكونها على صورة الكذبات ولما قال لهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام الزاما للحجة عليهم فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم اى تفكروا بقلوبهم وراجعوا عقولهم قال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال تسألون هذا الرجل وآلهتكم حضور فاتركوا مسألته واسألوا آلهتكم التى بحضرتكم وقرأ الجمهور نكسوا مبنيا للمفعول مخفف الكاف وقوله على رؤسهم حال اى كائنين على رؤسهم ويجوز ان يتعلق بالفعل المذكور قبله والنكس والتنكس لغتان بمعنى وهو قلب الشئ وردّ آخره على اوّله وقرئ نكسوا بالتشديد وليس

﴿قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم﴾ حين احضروه ﴿قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون﴾ اسند الفعل اليه تجوّزا لان غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه اوتقريرا لنفسه مع الاستهزآء والتبكيت على اسلوب تعريضى كما لوقال لك من لايحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق ءأنت كتبته فقلت بل كتبته اوحكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه فى المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون ومابينهما اعتراض اوالى ضمير فتى او ابراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله وماروى انه عليه الصلاة والسلام قال لم يكذب ابراهيم الاثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته ﴿فرجعوا الى انفسهم﴾ وراجعوا عقولهم ﴿فقالوا﴾ فقال بعضهم لبعض ﴿انكم انتم الظالمون﴾ بهذا السؤال اوبعبادة مالاينطق ولايضرّ ولاينفع لامن ظلموه بقولكم نه لمن الظالمين

التشديد فيه للتعدية ولا للتكثير بل هو لغة بمعنى المخفف وقرئ نكسوا مخففا مبنيا للفاعل وعلى هذا يكون المفعول محذوفا تقديره نكسوا انفسهم على رؤسهم قال المفسرون اجرى الله الحق على ألسنتهم فى القول الاوّل ثم ادركتهم الشقاوة فردّوا الى الكفر بعد ان اقرّوا على انفسهم بالظلم شبه انقلابهم الى الكفر والمجادلة بالباطل بعد اذعان الحق بصيرورة اسفل الشئ منقلبا الى اعلاه فعبر عنه بالنكس ثم اشتق منه نكسوا فهو استعارة تبعية وقيل المعنى انهم قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط افراطهم نجلا وانكسارا مما بهتهم به ابراهيم عليه الصلاة والسلام فما اجابوه الا بما هو حجة عليهم حيث قالوا فى جواب قوله فاسألوهم ان كانوا ينطقون ولقد علمت ماهؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالهم فاقرّوا بهذا للحيرة التى لحقتهم وجملة قوله لقد علمت جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمولان لقول مضمر وذلك القول المضمر حال من مرفوع نكسوا اى نكسوا قائلين والله لقد علمت ماهؤلاء ينطقون قيل كيفية القصة انه لما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم عليه الصلاة والسلام حبسوه فى بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم ثم جمعوا الحطب الكثير حتى ان المرأة لو مرضت قالت ان عافانى الله تعالى لاجمعنّ حطبا لابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها فتلقيه فى ذلك البنيان احتسابا فى دينها قيل جمعوا له الحطب من اصناف الخشب على ظهر الدواب اربعين يوما ثم اوقدوها فلما اشتعلت النار صار الهواء بحيث لو مرّ الطير فى اقصى الجوّ لاحترق من شدّة وهجها روى انهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها لعدم تأتى القرب فجاء ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد وكان اوّل من صنع المنجنيق فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ثم عمدوا الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فوضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة الا الثقلين صيحة واحدة اى ربنا مافى ارضك احد يعبدك غير ابراهيم وانه يحرق فيك فائذن لنا فى نصرته فقال تعالى ان استغاث باحد منكم فلينصره فقد اذنت له فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بينى وبينه فانه خليلى ليس له خليل غيرى وانا آلهه ليس له آله غيرى فلما ارادوا القاءه فى النار أتاه خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار فى الهواء وأتاه خازن المياه فقال ان شئت اخمدت النار فقال ابراهيم لا حاجة لى اليكم ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم انت الواحد فى السماء وانا الواحد فى الارض ليس فى الارض من يعبدك غيرى حسبى الله ونعم الوكيل وحين ألقى فى النار قال لا آله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم وضعوه فى المنجنيق ورموه به الى النار فأتاه جبريل فقال له يا ابراهيم ألك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فقال الله تعالى يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قيل فبردت نار الدنيا كلها يومئذ ولم ينتفع بها احد من اهلها ولو لم يقل على ابراهيم لبقيت ذات برد ابدا ولو لم يقل وسلاما بعد قوله بردا لمات ابراهيم من بردها وقيل جعل كل شئ يطفئ عنه النار الا الوزغة فانها كانت تنفخ النار وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه امر بقتل الوزغة وقال كانت تنفخ النار على ابراهيم قيل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما القى فى النار كان فيها اربعين يوما او خمسين يوما وقال ما كنت اطيب عيشا زمانا من الايام التى كنت فيها فى النار قيل لما رموه فى النار اخذت الملائكة باصبعى ابراهيم واقعدوه فى الارض فاذا عين ماء عذب ووردا احمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه قال ابن اسحق فبعث الله ملك الظل فى صورة ابراهيم فجاء فقعد جنب ابراهيم يؤنسه واتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه القميص واجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدّثه وقال يا ابراهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضرّ أحبائى ثم نظر نمرود من صرح له واشرف على ابراهيم فرآه جالسا فى روضة ورأى الملك قاعدا الى جنبه وحوله نار تحرق الحطب فناداه نمرود يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال قم فاخرج فقام يمشى حتى خرج منها قال نمرود من الرجل الذى رأيته معك فى صورتك قال ذلك ملك الظل ارسله ربى ليؤنسنى فيها فقال له نمرود انى مقرّب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك وانى ذابح له اربعة آلاف بقرة فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لا يقبل الله منك ما كنت على دينك هذا قال نمرود لا استطيع ترك ملكى ولكن سوف اذبحها له ثم ذبحها وكف عن ابراهيم وروى انهم لما رأوه سالما لم يحترق منه غير وثاقه قال هارون ابو لوط عليه الصلاة والسلام ان النار لا تحرقه لانه سحر النار لكن اجعلوه على شئ واوقدوا تحته فان الدخان يقتله فجعلوه فوق تبن واوقدوا تحته فطارت شرارة فى لحية ابى لوط فأحرقته وروى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام ألقى

﴿ثم نكسوا على رؤسهم﴾ انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشئ مستعليا على اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا اى نكسوا انفسهم ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ فكيف تأمر بسؤالها وهو على ارادة القول ﴿قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ ولا يضرّكم﴾ انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضرّ فانه ينافى الالوهية ﴿أف لكم ولما تعبدون من دون الله﴾ تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين وأف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له ﴿أفلا تعقلون﴾ قبح صنيعكم ﴿قالوا﴾ اخذوا فى المضارّة لما عجزوا عن المحاجة ﴿حرّقوه﴾ فان النار اهول مايعاقب به ﴿وانصروا آلهتكم﴾ بالانتقام لها ﴿ان كنتم فاعلين﴾ ان كنتم ناصريها نصرا مؤزرا والقائل منهم رجل من اكراد فارس اسمه هينون خسف به الارض وقيل نمرود

فى النار وهو ابن ست عشرة سنة وقيل فى تفسير قوله تعالى قلنا يانار كونى بردا المعنى انه سبحانه وتعالى جعل النار باردة لاتضرّ ببردها من غير ان يكون هناك قول وخطاب كقوله تعالى ان يقول له كن فيكون اى تكوّنه وذهب اكثر المفسرين الى ان ذلك القول قد وجد والقائل اما جبريل عليه الصلاة والسلام قاله بامر الله تعالى اوالقائل هو الله تعالى والمصنف مال الى القول الاوّل حيث قال وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة اى فى ورود التنزيل على هذا النظم مبالغات فى اظهار عظمة الله تعالى وكمال قدرته ونفاذ مشيئته وارادته حيث عبر عن تأثير قدرته فى تدبير النار بما يدل على جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة مع انه ليس هناك امر وامتثال بل ليس هناك الاتسخرها للقدرة والارادة لان اثر القدرة هو كون النار باردة لاكونها نفس كيفية البرد والعبارة الدالة على هذا المعنى ان يقال ابردى الاانه اقيم كونى ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للمبالغة فى الدلالة على زوال كيفية الحرارة والاحراق من النار بحيث تكون ذاتها كانها برد وسلام كما فى قوله

* ترتع مارتعت حتى اذا ادكرت * فانما هى اقبال وادبار *

اى ذات اقبال وادبار ﴿قوله﴾ وقيل كانت النار بحالها ﴿﴾ الاانه تعالى خلق فى جسم ابراهيم عليه الصلاة والسلام كيفية مانعة من وصول اذى النار اليه كما يفعل بخزنة جهنم فى الآخرة وكما انه ركب بنية النعامة بحيث لايضرّها ابتلاع الحديدة المحماة وبدن السمندل بحيث لايضرّه المكث فى النار ولم يرض به لان ظاهر قوله تعالى يانار كونى بردا يقتضى ان نفس النار صارت باردة حتى سلم ابراهيم من تأثيرها لاان النار بقيت بحالها ﴿قوله من العراق الى الشام﴾ قيل كانت واقعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع نمرود بكوثى فى حدود بابل من ارض العراق فنجاه الله تعالى من تلك البقعة الى الارض المباركة ثم قيل انها مكة وقيل هى ارض الشام لقوله تعالى الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملا فيها الجراب بدرهم وقد كان لوط النبى عليه الصلاة والسلام آمن بابراهيم بن تارخ عليهما الصلاة والسلام كما قال تعالى فآمن له لوط وكان ابن اخيه هاران بن تارخ ويقال بالحاء وهو لوط بن هاران بن تارخ بن ناحور وآزر لقب تارخ ابى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهاران فكان هاران وابرهيم اخوين وآمنت به ايضا سارّة بنت عمّ ابراهيم وهى سارّة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم فخرج من كوثى مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارّة يلتمس الفرار بدينه والتخلص الى عبادة ربه حتى نزل حرّان فمكث بها ماشاء الله تعالى ثم ارتحل منها ونزل بفلسطين وهى بريّة الشام ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج من مصر وعاد الى ارض الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وبعثه الله نبيا الى اهلها روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ستكون هجرة بعد هجرة فخيار اهل الارض اكرمهم مهاجرا اراد ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام والمقصود ترغيب الناس فى المقام بها ﴿قوله عطية﴾ قال الجوهرى النفل والنافلة عطية التطوّع من حيث لايجب ومنه نافلة الصلاة والنافلة ايضا ولد الولد والنوافل العطايا والنوفل الرجل الكثير العطاء فالنافلة المذكورة فى الآية يجوز ان تحمل على العطية الواقعة تفضلا من غير ان تكون جزاء مستحقا متفرّعا على مايدعو اليه فتكون حالا من المفعول وما عطف عليه جميعا اى وهبنا هما حال كون كل واحد منهما عطية متبرّعا بها وقيل انه منصوب على انه مصدر وهبناله من غير لفظه بمعنى وهبناله هبة مبتدأة ويجوز ان يحمل على ولد الولد لان يعقوب ولد اسحق عليهما الصلاة والسلام وعلى الزيادة على ماسأل كما فى قوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اى زيادة على الفرآئض فانه عليه الصلاة والسلام سأل الله ولدا حيث قال رب هب لى من الصالحين وهو سؤال الولد فاجاب الله تعالى دعاءه ووهب له اسحق ولدا ليستأنس به من وحشة الغربة واعطاه يعقوب من اسحق من غير دعائه فكان ذلك نافلة كالشئ المتطوّع به وزيادة على الولد لكونه ولد الولد فعلى هذين الوجهين يكون حالا من المعطوف عليه فقط كما مرّ فى قوله تعالى كل فى فلك يسبحون من انه حال من الشمس والقمر فقط لعدم اللبس ﴿قوله ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم﴾ تعليل لما ذكر ثالثا فى وجوه مدحهم فانه تعالى مدحهم اوّلا بصلاحهم فى انفسهم وكونهم عاملين بطاعة الله تعالى ثم باصلاحهم غيرهم بامر ربهم وارساله اياهم لتكميل عباده ثم بان علمهم واوحى اليهم ان تفعل الخيرات وتقام الصلاة وتؤتى الزكاة ليتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم فالظاهر ان

واقامة كونى ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل تصب سلاما بفعله اى وسلمنا سلاما عليه روى انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه فى المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فسل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فجعل الله ببركته قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال انى مقرّب الى آلهتك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان اذذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هو آية طبية ليس ببدع غيرانه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذا من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما ترى فى السمندل ويشعر به قوله ﴿على ابراهيم وارادوا به كيدا﴾ مكرا فى اضراره ﴿فجعلناهم الاخسرين﴾ اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشدّ العذاب ﴿ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين﴾ اى من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت فى العالمين شرآئعهم التى هى مبادى الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روى انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة﴾ عطية فهى حال منهما او ولد ولد اوزيادة على ماسأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا بأس به للقرينة ﴿وكلا﴾ يعنى الاربعة ﴿جعلنا صالحين﴾ بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين ﴿وجعلناهم أئمة﴾ يقتدى بهم ﴿يهدون﴾ الناس الى الحق ﴿بأمرنا﴾ لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين ﴿واوحينا اليهم فعل الخيرات﴾ ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات

وكذلك قوله ﴿واقام الصلاة وايتاء الزكاة﴾ وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوّضة عن احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ موحدين مخلصين فى العبادة ولذلك قدم الصلة ﴿ولوطا آتيناه حكما﴾ حكمه اونبوّة او فصلا بين الخصوم ﴿وعلما﴾ بما ينبغى علمه للانبياء ﴿ونجيناه من القرية﴾ قرية سدوم ﴿التى كانت تعمل الخبائث﴾ يعنى اللواط وصفها بصفة اهلها او اسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه ﴿انهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ فانه كالتعليل له ﴿وادخلناه فى رحمتنا﴾ فى اهل رحمتنا او فى جنتنا ﴿انه من الصالحين﴾ الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴿ونوحا اذ نادى﴾ اذ دعا الله على قومه بالهلاك ﴿من قبل﴾ من قبل المذكورين ﴿فاستجبنا له﴾ دعاءه ﴿فنجيناه واهله من الكرب العظيم﴾ من الطوفان او أذى قومه والكرب اللم الشديد ﴿ونصرناه﴾ مطاوعه انتصر اى جعلناه منتصرا ﴿من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم اجمعين﴾ لاجتماع الامرين الحق تكذيب والانهماك فى الشرّ ولم يجتمعا فى قوم الا واهلكهم الله ﴿وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث﴾ فى الزرع وقيل فى كرم تدلت عنا قيده ﴿اذ نفشت فيه غنم القوم﴾ رعته ليلا ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما عالمين ﴿ففهمناها سليمان﴾ الضمير للحكومة او للفتوى وقرئ فافهمناها روى ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فأمر بدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بألبانها واولادها واشعارها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادّان

يقول بدل قوله ليحثوا عليه ليكون صلاحهم واصلاحهم مبنيا على العلم الان ترتب العلم على الايحاء لما كان ظاهرا مكشوفا لم يتعرّض له بل جعل فائدة الايحاء اليهم حث الامّة على فعلها فان معظم مايوحى الى الانبياء هو التكاليف المتعلقة بالامّة فلذلك جعل فعل الخيرات مصدرا من المبنى للمفعول فانه لوجعل من المبنى للفاعل وكان مضافا من حيث المعنى الى ضمير الموحى اليهم وكان التقدير فعلهم الخيرات واقامتهم الصلاة وايتاءهم الزكاة لفهم ان يكون هذه المذكورات من الاحكام المختصة بالموحى اليهم وليس كذلك بل هى من التكاليف العامّة التى يشترك فيها الانبياء والامم فالاصل ان يقال واوحينا اليهم ان تفعل الخيرات وتقام الصلاة وتؤتى الزكاة ثم فعلا الخيرات لانه فى معنى الاوّل لان ان مع الفعل فى معنى المصدر ثم فعل الخيرات اى صيغ ذلك الحرف المصدرى مع مابعده مصدرا منوّنا ناصبا لمابعده ثم اضيف ذلك المصدر الى مفعوله ثم خص من بين الخيرات اقامة الصلاة وايتاء الزكاة تنبيها على مزيد فضلهما وشرفهما بالنسبة الى سائر الخيرات ﴿قوله﴾ وحذف تاء الاقامة المعوّضة عن احدى الالفين﴾ احداهما الف الافعال والاخرى الالف المبدلة من واو اقوام يعنى ان مصدر افعل يجيء على افعال فان كان صحيح العين جاء تاما كالاكرام وان كان معتل العين حذف منه احدى الالفين وعوّض عنها تاء التأنيث فلما قيل فى نظم التنزيل واقام الصلاة بدون التاء اعتذر عن حذفها بقيام المضاف اليه مقامها وقد ورد اثباتها ايضا مع الاضافة قال تعالى يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ثم انه تعالى لما بين اصناف ماانعم عليهم وفاء بعهد الربوبية بين اشتغالهم بالطاعة والعبادة وفاء بعهد العبودية فقال وكانوا لنا عابدين ﴿قوله﴾ ولوطا آتيناه﴾ منصوب على شريطة التفسير اى وآتينا لوطا آتيناه حكما والجملة معطوفة على قوله ووهبنا له جمع ابراهيم ولوطا عليهما الصلاة والسلام فى قوله ونجيناه ولوطا ثم بين ماانعم به على كل واحد منهما فقال ووهبنا له اسحق ثم قال ولوطا آتيناه فذكر الله تعالى مما آتاه من النعم اربعة امور احدها الحكم وثانيها العلم وثالثها انجاؤه ممايعمل الخبائث ورابعها ادخاله فى رحمته اوجنته وان فسر الحكم بالحكمة يراد بها هنا اتيان مايجب فعله وتقتضيه الادلة القاطعة والعقل المميز لاما اشتهر بين القوم من انها العلم الذى يتصل به العمل بما يناسبه فان عطف قوله وعلما عليها يأبى حملها على ذلك المعنى ووجه تفسير الحكم بالنبوّة كونها سببا لتقييد الحكم على الامّة * وسدوم اعظم القرى بالمؤتفكة وهى قرى قوم لوط التى قلبها الله تعالى وجعل عاليها سافلها ﴿قوله تعالى ونوحا﴾ منصوب على العطف على لوطا فيكون مشتركا معه فى عامله الذى هو آتينا المفسر بآتيناه الظاهر وكذلك داود وسليمان والتقدير ونوحا آتيناه حكما وعلما وداود وسليمان آتيناهما وعلى هذا يكون اذ بدلا من نوحا ومن داود وسليمان بدل اشتمال ويجوز ان يكون نوحا منصوبا باضمار اذكر اى اذكر نوحا وداود وسليمان اى اذكر خبرهم وقصتهم وعلى هذا تكون اذ منصوبة بنفس المضاف المقدّر اى خبرهم الواقع فى وقت كذا وكذا ﴿قوله ونصرناه مطاوعه انتصر﴾ بمعنى ان نصرنا هنا بمعنى منعنا الذى يطاوعه انتصر بمعنى امتنع قال الله تعالى هل ينصرونكم او ينتصرون اى هل يمنعونكم او يمتنعون والحاصل ان نصر ههنا بمعنى منع لا بمعنى اعان ويدل عليه تعديته بمن فان نصر بمعنى اعان يتعدّى بعلى يقال نصره الله على عدوّه فلما قيل ههنا ونصرناه من القوم علم ان المعنى ومنعناه وحيناه منهم ومنه قوله تعالى فمن ينصرنا من بأس الله اى يعصمنا من عذابه والانتصار كما يكون بمعنى الامتناع يكون بمعنى الانتقام ايضا ﴿قوله رعته ليلا﴾ النفش ان تنتشر الغنم ليلا وترعى بلا راع من باب دخل وضرب جميعا وانفشها صاحبها اذا تركها ترعى كذلك قال الشاعر * فالها الليلة من انفاش * قال المفسرون دخل رجلان على داود عليه الصلاة والسلام وعنده ابنه سليمان احدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا انفلتت غنمه فوقعت فى حرثى فلم تبق منه شيأ فقال لك رقاب الغنم فقال سليمان غير هذا ارفق بهما ينطلق اصحاب الحرث بالغنم فيصيبون من ألبانها ومنافعها وتقوم اصحاب الغنم على الحرث حتى اذا كان كليلة نفشت فيه دفع هؤلاء الى هؤلاء غنمهم ودفع هؤلاء الى هؤلاء حرثهم فقال داود القضاء ماقضيت وحكم بذلك واكثر المفسرين على ان الحرث كان كرما قد تدلت عناقيده وقال قتادة كان زرعا كذا فى البسط وجمع الضمير فى حكمهم لكونه عبارة عن الحاكمين والمتحاكمين وهو يستلزم اضافة المصدر الى فاعله ومفعوله دفعة واحدة وهو انما يضاف الى احدهما فقط لان اضافته الى الفاعل على سبيل القيام به واضافته الى المفعول على سبيل الوقوع عليه فهما معمولان مختلفان فلا يكون اللفظ الواحد مستعملا فيهما معا وايضا انه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لان اضافته الى الفاعل حقيقة

والى المفعول مجاز فالجواب ان هذه الاضافة لمجرّد الاختصاص مع قطع النظر عن كون المضاف اليه فاعلا او مفعولا على طريق عموم المجاز كأنه قيل كنا شاهدين للقضية الواقعة بينهم من اصابة احد الحاكمين وخطأ الآخر واستيفاء كل واحد من المتحاكمين حقه على النهج المستقيم ﴿قوله ولعلهما قالا اجتهادا﴾ فان بعض العلماء قال بجواز الاجتهاد للانبياء ليدركوا ثواب المجتهدين لعموم قوله تعالى فاعتبروا يا اولى الابصار والانبياء ائمة اولى الابصار وافضلهم فكيف لا يجوز لهم الاعتبار مع ان الاستنباط ارفع درجات العلماء فوجب انه يكون للانبياء نصيب منه والا لكان كل واحد من المجتهدين افضل منهم فى هذا الباب ويدل عليه ايضا قوله عليه الصلاة والسلام *العلماء ورثة الانبياء* فيستلزم ان تكون درجة الاجتهاد ثابتة للانبياء ليرث العلماء عنهم ذلك ومنهم من لا يجوّز لهم الحكم بالاجتهاد ويقول انهم مستغنون عنه بالوحى فان الاجتهاد انما يصار اليه عند فقد النص والنص ليس بمفقود فى حق الانبياء فلا يجوز لهم الاجتهاد عند اكثر العلماء بخلاف اهل السنة فانهم يجوّزون لهم الحكم بالاجتهاد فجاز ان يجتهدوا ويكون اجتهاد سليمان اشبه بالصواب فيرجع ابوه داود الى اجتهاده قبل الحكم باجتهاد نفسه لان الحكم الواقع بالاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر ويجوز ان يكون الثانى وحيا وحينئذ ينقض الحكم بالاجتهاد وقيل حكما جميعا بالوحى الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان واختار المصنف انهما حكما بالاجتهاد لا بالوحى لانهما لو حكما بالوحى لما اختص سليمان بقوله تعالى ففهمناها سليمان بخلاف ما اذا قالا بالاجتهاد وكان اجتهاد سليمان صوابا او اصوب فانه يجوز ان يقال فى حقه ففهمناها سليمان ولما كان الاجتهاد فى نفسه مفتقرا الى العلم ولا يصح بدونه قيل وكلا آتينا حكما وعلما وقيل لو كانا بالاجتهاد لما نقض حكم سليمان حكم داود لان الاجتهاد لا ينقض الاجتهاد فتعين انهما كانا بالوحى والجواب ما مرّ من انهما اجتهدا وكان اجتهاد سليمان اشبه بالصواب فرجع داود الى اجتهاده قبل الحكم باجتهاد نفسه فقد روى فى الاخبار الكثيرة ان داود لم يكن بين الحكم فى ذلك حتى سمع من سليمان ان غير ذلك اولى وروى ان داود ناشده وقال له بحق النبوّة والابوّة الا اخبرتنى بالذى هو اوفق بالفريقين فقال ادفع الغنم الى صاحب الحرث الخ ﴿قوله والاوّل﴾ اى حكم داود بالغنم لصاحب الحرث نظير قول ابى حنيفة فى العبد الجانى انه اذا جنى على النفس يدفعه المولى الى ولى الجناية او يعطى ارش الجناية فان موجب جناية العبد عنده صيرورة العبد جزآء جنايته قلت الجناية او كثرت وللمولى ان يختار الفداء بالارش فكذا الحال فى حادثة الحرث فان الغنم فيه بمنزلة العبد الجانى فكانت نفس الغنم جزآء لجنايتها وقال سليمان لا يزال ملك المالك عن الغنم بل يحال بينه وبين ملكه بان يدفع الغنم الى اهل الحرث لينتفعوا بها بازآء ما فات عنهم من الانتفاع بالحرث الى ان يزول ما طرأ على الحرث من النقص والضرر ويصير كما كان ونظيره قول الامام الشافعى فيمن غصب عبدا فأبق من يده فانه يوجب على الغاصب غرم الحيلولة ويقول انه يضمن قيمة العبد ويحال بينه وبين القيمة لينتفع بها المغصوب منه بازآء ما فوّته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر العبد تردّ لبقاء ملك كل واحد منهما فيما فات عنه وحيل بينه وبينه ﴿قوله الا ان يكون معها حافظ﴾ اى الا ان يكون مع البهيمة سائقها او قائدها فانه يضمن ما اتلفته وهو سائقها او قائدها والذى اتلفته بعد انتهاء سوقها او قودها فلا يضمنه لقوله عليه الصلاة والسلام *جرح العجماء جبار* اى هدر والامام الشافعى يوجب ضمان ما اتلفته ليلا لما روى فى الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ان ناقة لرجل هاربة دخلت حائط رجل فأفسدت ما فيه فكلم النبىّ عليه الصلاة والسلام فيها فقضى ان حفظ الحوائط بالنهار على اهلها وان حفظ المواشى بالليل على اهلها وان على اهل الماشية ما اصابت ماشيتهم بالليل وقد روى ايضا انه عليه الصلاة والسلام قال ما اصابت الماشية بالليل فعلى اهلها وما اصابت بالنهار فليس على اهلها منه شئ ولعل ابا حنيفة يجعله منسوخا بقوله *جرح العجماء جبار﴾ ﴿قوله دليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه﴾ اى لا يجعله آثما من حيث انه تعالى وان اثنى على سليمان باصابته حيث قال ففهمناها سليمان لكنه تعالى اثنى على المخطئ ايضا بعمله المؤدّى الى الاجتهاد ولم يأثم بخطأه حيث اثنى عليه بقوله وكلا آتينا حكما وعلما فان العلم المؤدّى الى الاثم والعقاب لا يكون سببا للامتنان عليه والمدح بسببه اختار المصنف قول من ذهب الى ان المجتهد يخطئ ويصيب وان داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام قالا بالاجتهاد الا ان داود أخطأ واصاب سليمان وانه يجوز الخطأ على الانبياء الا انهم لا يقرّون واما العلماء فلهم الاجتهاد فى الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص كتاب او سنة فاذا اخطأوا فلا اثم عليهم روى انه عليه الصلاة والسلام قال *اذا حكم الحاكم واجتهد فأصاب فله اجران واذا حكم واجتهد فأخطأ فله اجر* يعنى انه يؤجر على اجتهاده

ولعلهما قالا اجتهادا والاوّل نظير قول ابى حنيفة فى العبد الجانى والثانى مثل قول الشافعى بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه فى شرعنا عند الشافعى وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا وكذلك قضى النبى صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البرآء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابى حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار (وكلا آتينا حكما وعلما) دليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه

في الحق لان الاجتهاد عبادة لانه يؤجر على الخطأ الا ان الاثم في الخطأ مرفوع عنه اذا بذل جهده في اصابة الحق والحاصل ان في كل حادثة حكما معينا عند الله تعالى وعليه دليل قطعي او ظني فمن وجده اصاب ومن فقده اخطأ ولم يأثم * فان قيل لو تعين الحكم فالمخالف له لم يحكم بما انزل الله فيفسق او يكفر لقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله الآية فالجواب انه لما امره بالحكم بما ظنه وان اخطأ فقد حكم بما انزل الله وقوله تعالى وكلا آتينا حكما وعلما لا ينافي ان يكون البعض منهم مخطئا لان خطأ المجتهد لا يوجب ان لا يكون له علم وحكم فان كل مجتهد لا بدّ ان يكون عالما قادرا على استنباط الاحكام من النصوص اذ لو لم يكن عالما بالغا الى مرتبة الاجتهاد لم يجز له ان يجتهد ويحكم بالاجتهاد

قوله وقيل على ان كل مجتهد مصيب ﴿ فيما عليه من الاجتهاد في الحادثة كما ذهب اليه ابو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى * قال صاحب الكشاف وفي قوله ففهمناها سليمان دليل على ان الاصوب كان مع سليمان وفي قوله وكلا آتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا على الصواب ووجه الاستدلال انه لو كان المصيب واحدا منهما وكان مخالفه مخطئا لما صح ان يقال وكلا آتينا حكما وعلما وفيه انه انما يكون دليلا على كونهما من اهل الاجتهاد ولا يدل على كون كل واحد منهما مصيبا وانما يدل عليه ان لو قيل وكلا آتينا حكما وعلما بما حكم الله تعالى به في تلك الحادثة وليس نظم التنزيل هكذا فيجوز ان يكون المراد به آتيناه علما بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام وهو لا يستلزم كونه مصيبا للدليل الذي اقامه الله تعالى ليدل على ما حكم به في تلك الحادثة وايضا القول بان كل مجتهد مصيب مخالف لما يفهم من قوله تعالى ففهمناها سليمان فانه يدل بطريق المفهوم على ان داود لم يفهم الحكم الذي هو الحكم عند الله وانه تعالى لم يفهمه ذلك فكيف يكون مصيبا في حكمه واجتهاده المؤدّى اليه ثم اشار بقوله ولولا النقل الى جواب ما يقال لانسلم ان القول المذكور مخالف لمفهوم قوله ففهمناها سليمان وانما يخالفه ان لو كان داود وسليمان قد اختلفا في الحكم وليس كذلك لما روى عن ابي بكر الاصم انه قال انهما لم يختلفا في الحكم البتة بناء على انه تعالى بين لهما الحكم على لسان سليمان واتفقا على ذلك الحكم * ولما ورد ان يقال لو اتفقا في الحكم بتفهيم الله تعالى اياهما ذلك لكان الظاهر ان يقال ففهمناها اياهما ولا يخص سليمان بالذكر * اشار الى دفعه بقوله على ان قوله ففهمناها اياهما الا ان سليمان عليه الصلاة والسلام لما اختص بصغر السنّ والفهم منه اغرب خص بالذكر اظهارا لما تفضل به عليه في صغره وتقرير ما اشار اليه بقوله ولولا النقل لاحتمل توافقهما ان احتمال التوافق بناء على ان تخصيص سليمان لاظهار ما تفضل عليه في صغره وهذا التخصيص لاجل اظهار ما تفضل عليه في صغره ينفيه ما نقل انهما قد اختلفا في القول والحكومة فان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين قد اتفقوا على ان داود قال لصاحب الحرث اذهب فان الغنم لك فلما خرج المتحاكمان من عنده ومرّا على سليمان قال كيف قضى بينكما فاخبراه بما قضى به فقال عليه الصلاة والسلام لو كنت انا القاضي لقضيت بغير هذا وروى انه عليه الصلاة والسلام قال غير هذا ارفق بالفريقين فأخبرا داود بذلك فدعاه فقال كيف كنت تقضي بينهما وعلى الرواية الثانية انه دعا سليمان فقال بحق النبوّة والابوّة الا ما اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين فقال ان تسلم الغنم الى صاحب الحرث حتى يرتفق بمنافعها وان يعمل صاحب الغنم في اصلاح الحرث حتى يصير كما كان ثم ترد الغنم الى صاحبها والحرث الى صاحبه ولا يخفى ان اجماع الصحابة في بيان كيفية القصة على الوجه المذكور ينفي احتمال توافقهما في الحكم لما بين الله تعالى ما آتاه داود وسليمان عليهما السلام ذكر ما خص به داود فقال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن وهو العامل في مع وهو نظير قوله تعالى يا جبال اوّبي معه ويسبحن حال من الجبال والطير معطوف على الجبال وقيل الواو فيه بمعنى مع كذا اعرب ابو البقاء وان جعل يسبحن استئنافا جوابا لمن قال كيف سخرهنّ يكون قوله مع داود حالا من الجبال اي سخرنا الجبال كائنة مع داود والمراد بكونها معه اما تسبيحها مع تسبيحه واما سيرها مع سيره على ان يكون يسبحن المشدّد بمعنى يسبحن الثلاثي من السبح الذي هو السباحة نقل الى باب التفعيل للتكثير ولو لم يقصد الكثرة لقيل يسبحن وان كان من التسبيح بمعنى التقديس فالمراد بتسبيح الجبال معه تسبيح دلالة فانهنّ يسبحنّ الله تعالى ويذكرنه بدلالة الحال قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم الا ان التسبيح بهذا المعنى لا يختص بكونها مع داود ولعل وجه التخصيص انه عليه الصلاة والسلام كان يفهم تسبيح الجبال وما فيها من الاحجار والاشجار فيزداد يقينا وتعظيما ونشاطا في التسبيح والتقديس واشتياقا اليه ويدل عليه ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر مع ان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما عداه ويحتمل ان يكون

وقيل على انّ كل مجتهد مصيب وهو يخالف مفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه في صغره

(المراد)

المراد بتسبيح الجبال معه ان يتمثل له صوت التسبيح من جهتها على طريق انعكاس الصدى من الاجرام الصقيلة العالية كما روى عن ابن وهب انه قال كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح ويجوز ان يكون تسبيح الجبال بان يخلق الله تعالى فيها الكلام فان المتكلم والمسبح عند اهل السنة من يقوم به الكلام والتسبيح ويكون محلا لهما لامن يوجدهما بخلاف المعتزلة فان المتكلم عندهم من يوجد الكلام والجبال جمادات لايصح منها الفعل ولايصح اسناد التكلم اليها بان يخلق الله تعالى فيها الكلام لان المتكلم هو الله تعالى لا الجبال على زعمهم ﴿قوله﴾ وقيل يسرن معه ﴿عطف على قوله يقدسن ﴿قوله﴾ وقرئ بالرفع ﴿اى برفع الطير على انه مبتدأ حذف خبره اى والطير مسخرات ايضا اوعلى انه معطوف على الضمير المرفوع المتصل فى يسبحن وهو ضعيف لانه لم يؤكد ولم يفصل بينهما واجاز الكوفيون مثله من غير استقباح ويجوّزه البصريون ايضا لكن على قبح ﴿قوله﴾ فى الاصل اللباس ﴿اى يطلق على مايلبس درعا كان اوغيره حتى استعمل فى البيت فيما هو شبيه باللباس الحقيقى وقوله البس بكسر الهمزة وفتح الباء من لبست الثوب لبسا بضم اللام من باب علم لامن قولك لبست عليه الامر لبسا بفتح اللام من باب ضرب بمعنى خلطت وتمام البيت * اما نعيمها واما بوسها * اى البس فى كل حالة مايلائمها ويصلح لها وليس المراد لبس ماهو ثوب حقيقة بل المراد عدّ لكل زمان مايليق به وكانت الدرع قبل داود صفائح اى قطع حديد عراضا فاوّل من سردها وحلقها داود عليه الصلاة والسلام فجمعت بين الخفة والتحصين ووجه المعجزة فيه انه عليه الصلاة والسلام فعل ذلك من غير استعانة باداة وآلة من نحو الكير والنار والمطرقة كما قال تعالى وألنا له الحديد ﴿قوله﴾ بدل منه ﴿اى ان لام كى فى قوله لتحصنكم متعلقة بعلمنا كما تعلقت به اللام التى فى لكم * فلما وردان يقال كيف يجوز ان يتعلق حرفا جرّ متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد * اجاب عنه بانه بدل منه كما فى قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وهو بدل اشتمال لان لتحصنكم فى تأويل لاحصانكم وبين الاحصان وضمير لكم ملابسة الاشتمال وقرأ نافع وابن كثير وحمزة والكسائى وابو عمر وليحصنكم بالياء من تحت وباسناد الفعل الى داود اواللبوس وقرأ حفص وابن عامر بالتاء من فوق على اسناده الى الصنعة اواللبوس على تأويله بالدرع وقرأ ابو بكر ورويس بنون العظمة جريا على طريقة علمناه والبأس ههنا الحرب وان وقع على السوء كله والمعنى ليمنعكم ويحرسكم من مكاره بأسكم كالقتل والجرح بنحو السيف والسهم والرمح * الجوهرى البأس العذاب والبأس الشدّة فى الحرب تقول منه بؤس الرجل يبؤس بأسا اذا كان شديد البأس والخطاب المدلول عليه بقوله تعالى لكم ليحصنكم من بأسكم فهل انتم لهذه الامّة من اهل مكة ومن بعدهم الى يوم القيامة اخبر الله تعالى ان اوّل من عمل الدرع داود ثم تعلم الناس منه فتوارثها الناس فعمت النعمة بها كل المحاربين من الخلق الى آخر الدهر فلزمهم شكر الله تعالى على هذه النعمة فلذلك اوجب عليهم الشكر فقال فهل انتم شاكرون اى اشكروا الله تعالى على مايسر الله عليكم هذه الصنعة وحرسكم بها من مضارّ البأس والحرب قال محيى السنة يقول لداود واهل بيته وقيل يقول لاهل مكة فهل انتم شاكرون نعمتى بطاعة الرسول انتهى كلامه يريد ان الخطاب المذكور يجوز ان يكون لداود واهل بيته بتقدير القول اى فقلنا لهم بعد ما انعمنا عليهم بهذه النعم هل انتم شاكرون ما اعطى من النعم التى ذكرت من تسخير الجبال والطير والانة الحديد وعلم صنعة اللبوس ﴿قوله﴾ امر أخرجه فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ﴿فان تقريع الاستفهام عن مباشرة الفعل بعد بيان مايوجب مباشرته ابلغ فى ايجابه من الايجاب بصورة الامر لتضمنه التقريع على تركه بعد تحقق مايوجبه ومثله كثير ومنه قوله تعالى فهل انتم منتهون قيل ان داود عليه الصلاة والسلام خرج يوما متنكرا طالبا من يسأله عن سيرته فى مملكته فاستقبله جبريل عليه الصلاة والسلام على صورة آدمى ولم يعرفه داود عليه الصلاة والسلام فقال له كيف ترى سيرة داود فى مملكته فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام نعم الرجل هو لولا ان فيه خصلة واحدة قال وماهى قال بلغنى انه يأكل من بيت المال وليس شئ افضل من ان يأكل الرجل من كدّ يده فرجع داود عليه الصلاة والسلام وسأل الله تعالى ان يجعل رزقه من كدّ يده فألان له الحديد وكان يتخذ الدرع من الحديد ويبيعها ويأكل من ذلك فذلك قوله تعالى وعلمناه اى الهمناه ويقال علمناه بالوحى صنعة لبوس ثم انه تعالى لما ذكر النعم التى خص بها داود ذكر بعدها النعم التى خص سليمان بها فانه تعالى ورّث سليمان من داود ملكه ونبوّته وزاد عليه امرين سخر له الريح والشياطين فقال ولسليمان الريح والعاصفة على نصب الريح بعامل مقدّر اى وسخرنا الريح لسليمان وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر الجار قبله وعاصفة حال من مفعول سخرنا المقدّر

﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن﴾ يقدّسن الله معه اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له اوبخلق الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال اواستئناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة به او بسخرنا ﴿والطير﴾ عطف على الجبال اومفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء اوالعطف على الضمير على ضعف ﴿وكنا فاعلين﴾ لأ مثاله فليس ببدع منا وان كان عجبا عندكم ﴿وعلمناه صنعة لبوس﴾ عمل الدرع وهو فى الاصل اللباس قال

البس لكل حالة لبوسها * قيل كانت صفائح فحلقها وسردها * ﴿لكم﴾ متعلق بعلم اوصفة للبوس ﴿لتحصنكم من بأسكم﴾ بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود اوللبوس وفى قرأة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة اوللبوس على تأويل الدرع وفى قرأة ابى بكر ورويس بالنون لله عز وجل ﴿فهل انتم شاكرون﴾ ذلك امر أخرجه فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ﴿ولسليمان الريح﴾ وسخرنا له الريح

على قرآءة من نصب او من فاعل الاستقرار الذى تعلق به الخبر على قرآءة من رفع والعاصفة الشديدة الهبوب والرخاء اللينة ﴿قوله﴾ ولعل اللام فيه دون الاوّل ﴿جواب عما يقال ما الفائدة فى تخصيص داود بلفظ مع وسليمان بلفظ اللام حيث قال فى حق داود وسخرنا مع داود الجبال وقال فى حق سليمان وسخرنا لسليمان الريح وراعى هذا الاسلوب ايضا فى قوله ياجبال اوّبى معه وقال وسخرناله الريح تجرى بامره رخاء * وتقرير الجواب ان ما كان خارقا فى حق كل واحد منهما وان كان معجزا تشرف به صاحبه الا ان سليمان لما كان مستخدما لما هو معجز له استخدام المالك لمملوكه نسب اليه باللام دون داود فانه تشرف به من حيث موافقته له عند تسبيحه وليس نسبة معجزه اليه كنسبة المملوك الى مالكه فنسب معجز سليمان اليه بلام التمليك ولم ينسب معجز داود اليه بتلك اللام ﴿قوله﴾ تبعد بكرسيه ﴿الباء فيه للتعدية يعنى انها تعمل عمل الريح العاصفة مع كونها لينة فى نفسها فان منزله عليه الصلاة والسلام كان بالشام وكانت الريح تحمله من نواحى الارض اليها فى مدّة يسيرة بعد ما سارت به منها بكرة وكانت تذهب به غدوة من الشام الى اىّ ناحية من نواحى الارض شاء وبين الشام مسيرة شهر الى وقت الزوال ثم ترجع منها بعد الزوال الى الشام عند الغروب كما قال تعالى غدوّها شهر ورواحها شهر والرواح نقيض الصباح وهو اسم للوقت من زوال الشمس الى الليل وقد يكون مصدر قولك راح يروح رواحا وهو نقيض قولك غدا يغدو غدوّا قال الحسن لما شغلت الخيل نبىّ الله سليمان حتى فاتته صلاة العصر غضب فعقر الخيل فطفق مسحا بالسوق والاعناق فأبدله الله مكانها خيرا منها واسرع وهو الريح تجرى بأمره حيث شاء وكان يغدو من ايليا فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيبيت بارض الشام قال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا فى فرسخ من ذهب فى ابريسم وكان يوضع له منبر من ذهب فى وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسى من ذهب وفضة تقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجنّ والشياطين وتظلله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح الى الغروب وكان عليه الصلاة والسلام امرأ قلما يقعد عن الغزو ولا يسمع فى ناحية من الارض ملكا الا اتاه ودماه الى الحق ﴿قوله﴾ ومن عطف ﴿يعنى ان من فى قوله من يغوصون سواء كانت موصولة او نكرة موصوفة يجوز ان تكون فى محل النصب بالعطف على الريح اى وسخرنا له من يغوصون ويدخلون تحت البحر وان تكون فى محل الرفع على الابتدآء والخبر الجار والمجرور قبله وجمع الضمير العائد اليه حملا على معناه وحسن ذلك تقدّم الجمع فى قوله الشياطين وقوله دون ذلك صفة لعملا والمراد بحفظ الشياطين حفظهم من ان يعصوا ويتمرّدوا عليه كما قال ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير وقيل المراد حفظهم من ان يفسدوا ما عملوا روى ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل اجعله مشغولا بعمل آخر لئلا يفسد ما عمله وكان من عادة الشياطين انهم اذا فرغوا من العمل ولم يشتغلوا بعمل آخر خرّبوا ما عملوه وافسدوه * قال الامام الرازى فى تفسيره ان الجبائى سأل نفسه وقال كيف تتهيأ لهم هذه الاعمال واجسامهم رقيقة لطيفة لا يقدرون على عمل الثقيل وانما يمكنهم الوسوسة واجاب عنه بانه سبحانه كثف اجسامهم وقوّاهم وزاد فى عظمهم ليكون ذلك معجزة لسليمان عليه الصلاة والسلام فلما مات سليمان ردّهم الله تعالى الى الخلقة الاولى لانتهاء الحكمة الداعية الى تغيير خلقتهم ثم قال الامام الرازى واعلم ان هذا الكلام ساقط من وجوه احدها لم قلتم ان الجنّ من الاجسام ولم لا يجوز وجود محدث ليس بمتحيز ولا قائم بالمتحيز وتكون الجن منهم فان قلت لو كان الامر كذلك لكان مثلا للبارى تعالى ولوجب ان يتميز البارى عنهم بما يميزه عنهم فيلزم ترك الواجب قلت هذا ضعيف لان الاشتراك فى اللوازم الثبوتية لا يدل على اشتراك الملزومات فكيف فى اللوازم السلبية سلمنا انه جسم لكن لم لا يجوز حصول القوّة على هذه الاعمال الشاقة فى الجسم اللطيف وكلامه مبنى على ان البنية تشترط فيه وليس فى يده الا الاستقرآء الضعيف سلمنا انه لابدّ من تكثيف اجسامهم لكن لم قلت بانه لابدّ من ردّها الى الخلقة الاولى بعد موت سليمان فان زعمت ان ابقائهم على الخلقة الثانية يفضى الى التلبيس اى تلبيس النبى على الخلق بان يدّعى النبوّة ويجعل ذلك معجزة لنفسه قلت كيف يفضى الى التلبيس وللخلق ان يقولوا لم لا يجوز ان يكونوا مخلوقين كذلك او تكون قوّة اجسامهم معجزة لنبىّ آخر ومع قيام هذا الاحتمال لا يتمكن النبى من الاستدلال به على نبوّته ﴿قوله﴾ تعالى وايوب اذ نادى ربه ﴿كقوله ونوحا وما بعده فى الوجهين المذكورين اى وكذلك آتينا ايوب حكما وعلما او اذكر ايوب اى اذكر خبره اذ نادى وقد كان تعالى قد اصطفى ايوب

ولعل اللام فيه دون الاوّل لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافعله وفى الاوّل امر يظهر فى الجبال والطير مع داود بالاضافة اليه ﴿عاصفة﴾ شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه فى مدّة يسيرة كما قال غدوّها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء فى نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته ﴿تجرى بامره﴾ بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها ﴿الى الارض التى باركنا فيها﴾ الى الشام رواحا بعد ما سارت به منه بكرة ﴿وكنا بكل شئ عالمين﴾ فنجريه على ما تقتضيه الحكمة ﴿ومن الشياطين من يغوصون له﴾ فى البحار ويخرجون نفائسها ومن عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهى نكرة موصوفة ﴿ويعملون عملا دون ذلك﴾ ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة كقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ﴿وكنا لهم حافظين﴾ ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم ﴿وايوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضرّ﴾

(واستنبأه)

واستنبأه وبسط له اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير والبساتين ولم يكن فى اهل عصره افضل منه فى كثرة الاموال والاهل والاولاد من الرجال والنساء وكان رحيما بالمساكين يكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وعرفوا فضله وكان احدهم من اليمن اسمه التقن ورجلان من اهل بلده يقال لاحدهما يلدد وللآخر صنافر وكانوا كهولا فابتلاه الله تعالى باهلاك ماله من الابل مع رعاتها بان اصابها من تحت الارض اعصار من نار لا يدنو منه احد الا احترق فأحرق الابل ورعاتها حتى اتى على آخرها فجاء ابليس عليه اللعنة فى زى بعض الرعاة الى ايوب فوجده قائما يصلى فلما فرغ من الصلاة قال يا ايوب هل تدرى ما صنع ربك الذى اخترته احرق ابلك ورعاتها فقال ايوب انها مال امانيه فهو اولى به اذا شاء نزعه قال ابليس صار الناس مبهوتين متعجبين منها فمنهم من يقول ما كان ايوب يمنع شيأ وما كان فى غرور ومنهم من يقول لو كان اله ايوب يقدر على شئ لمنع من وليه ومنهم من يقول هو الذى فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع به صديقه فقال ايوب الحمد لله حين اعطانى وحين نزع منى عريانا خرجت من بطن امى وعريانا اكون فى التراب وعريانا احشر الى الله عز وجل ولو علم الله فيك ايها العبد خير القبض روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا واجارنى منك ولكنه علم منك شرا فاخرك ثم ابتلاه الله تعالى باهلاك ماله من الغنم ورعاتها بان سلط عليها من صاح صيحة فماتت جميعا ومات رعاتها ثم جاء ابليس متمثلا بصورة قهرمان الرعاة الى ايوب فقال له مثل قوله الاول ورد عليه ايوب مثل الاول فرجع ابليس صاغرا ذليلا ثم ابتلاه الله تعالى باهلاك سائر امواله من الخيل والحمير والبقر والبساتين وحراثها ومن يقوم عليها حتى اهلك اهله واولاده جميعا قيل كان له سبعة بنين وثلاث بنات وقيل سبعة بنين وسبع بنات وكلما هلك صنف منها جاء ابليس الى ايوب عليه الصلاة والسلام واخبره بذلك واجتهد فى ترقيق قلبه وحمله على الجزع والشكوى وترك الصبر فصبر ولم يجزع واسترجع وفوض الامر الى مالك الملك وقيل لما سمع بهلاك اهله واولاده رق قلبه وبكى وقبض قبضة من التراب ووضعها على رأسه وقال ليت امى لم تلدنى فتدارك الامر من ساعته فندم على ما فعل واستغفر وتاب ثم ابتلاه الله تعالى بالمرض فى بدنه حتى خرج من قرية الى قرية بثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها فكان يحك باظفاره حتى سقطت اظفاره كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى اذا لم يجد منها شيأ حكها بالفخار والحجارة الخشنة ثم تقطع لحمه وتغير وأنتن فأخرجه اهل القرية منها وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا هناك ورفضه الناس كلهم خوفا من العدوى الا امرأته فهى التى كانت تصلح اموره وتختلف اليه بما يهمه ويحتاج اليه قيل ان ابليس لما رأى ان ايوب عليه الصلاة والسلام كلما اشتد عليه انواع المكاره والبلايا لم يزدد بذلك الا صبرا وحمدا لله انطلق حتى اتى امرأته فتمثل لها فى صورة رجل فقال اين بعلك يا امة الله قالت هو ذاك المقروح الذى تتردد الديدان فى جسده فلما سمع منها هذه الكلمة طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كان لها من النعيم والمال وذكرها جمال زوجها ايوب وشبابه فصرخت فلما صرخت علم ان قد جزعت واتاها بسخلة فقال ليذبح هذه ايوب لى فيبرأ فجاءت الى ايوب تصرخ فقالت يا ايوب الى متى يعذبك ربك ألا يرحمك اين المال اين الماشية اين الولد اين الصديق اين اللون الحسن اين جسمك الذى قد بلى وصار مثل الرماد وتردد فيه الديدان اذبح هذه السخلة لابليس واسترح قال ايوب عليه الصلاة والسلام اياك وعدو الله ونفخ فيه فاخنسه ترين ما ابتلينا به من البلايا ولا تذكرين ما كنا فيه من الرخاء فكم متعنا الله تعالى بنعمائه قالت ثمانين سنة قال فكم مدة ابتلائنا بهذا البلاء قالت سبع سنين واشهرا قال ويلك ما انصفت ربك ألا صبرت فى البلايا ثمانين سنة كما كنا فى الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفانى الله لأجلدنك مائة جلدة امرتنى ان اذبح لغير الله وحرام على ان اذوق بعد هذا شيأ من طعامك وشرابك الذى تأتينى به فطردها فذهبت فلما نظر ايوب فى شأنه وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهبت امرأته خر ساجدا وقال رب انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين فقال الله عز وجل يا ايوب نفذ فيك علمى وسبقت رحمتى غضبى ارفع رأسك فقد استجبت لك ورددت لك مالك وولدك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء وقدوة للصابرين اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء لك وقرب عن اصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصونى فيك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق فى ظاهر بدنه دابة ولا جراحة الا سقطت منه وبرئ ثم ضرب برجله مرة اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الا خرج وقام صحيحا وعاد اليه شبابه وجماله حتى صار

بأنى مسنى الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع فى كل ضرر وبالضم خاص بما فى النفس كمرض وهزال ﴿وانت ارحم الراحمين﴾ وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا فى السؤال وكان رومیا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله وكثر أهله وماله فابتلاه ربه بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنة او ثلاث عشرة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روى ان امرأته ماخر بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أستحيى من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى

احسن ما كان عليه ثم كسى حلة فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيأ مما كان له من الاهل والمال الا وقد ضعفه الله تعالى حتى ذكر ان الماء الذى اغتسل منه تطاير على صورة جراد من ذهب فجعل يضمه بيده الى نفسه فأوحى الله تعالى اليه يا ايوب الم اغنك عما تفعله قال بلى ولكنه لا يشبع من نعمك فخرج من ذلك الموضع حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت هب انه قد طردنى أفأتركه حتى يموت جوعا وتأكله السباع لأرجعن اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحالة التى كانت ورأت الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى وكان ذلك بعين ايوب وهابت صاحب الحلة ان تأتيه فتسأل منه فأرسل اليها ايوب ودعاها فقال لها ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اريد ذلك المبتلى الذى كان ملقى على الكناسة قال لها ايوب ما كان منك ذلك المبتلى فبكت وقالت بعلى فقال أتعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على احد بعله الذى كان فى خدمته ثمانين سنة فتبسم ايوب وقال انا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته ثم قال لها انك امرتنى ان اذبح سخلة لابليس وانى اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فردّ علىّ ما ترين وفى هذه القصة روايات كثيرة والله اعلم بما هو الاصح منها قالت العلماء قول ايوب انى مسنى الضرّ لم يكن جزعا من ايوب لانه تعالى وصفه بالصبر حيث قال انا وجدناه صابرا بل هو دعاء منه الا ترى الى قوله تعالى فاستجبنا له اى اجبناه واليه اشار المصنف بقوله واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا فى السؤال قيل لبعض العلماء الراضى بالله هل يسأل ربه قال يعرّض اى يسأل حاجته بالكناية قيل له مثل ايش قال مثل قول ايوب رب انى مسنى الضرّ وانت ارحم الراحمين على ان الجزع انما هو الشكوى الى الخلق وامامن شكا الى الله فليس بجازع الا ترى الى قول يعقوب عليه الصلاة والسلام انما اشكو بثى وحزنى الى الله قال ابن مسعود وقتادة والحسن فى قوله تعالى وآتيناه اهله ومثلهم انه تعالى احيى اولاده الذين هلكوا فى بلائه واوتى مثلهم فى الدنيا وعن ابن عباس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وآتيناه اهله ومثلهم معهم فقال يا ابن عباس ردّ الله امرأته وزاد فى شبابها حتى ولدت ستة وعشرين ذكرا واهبط الله تعالى اليه ملكا فقال يا ايوب ان الله يقرئك السلام يصبرك على البلاء فاخرج الى اندرك فبعث الله سحابة جرآء فهبطت اليه بجراد الذهب والملك قائم معه وكانت الجرادة تذهب من الاندر فيتبعها حتى يردّها الى اندره فقال الملك يا ايوب اما تشبع من الداخل حتى تتبع الخارج فقال ان هذه بركة من بركات ربى ولست اشبع منها ﴿قوله﴾ رحمة على ايوب وتذكرة لغيره ﴿ فلا يكون رحمة وذكرى متنازعين فى العابدين بل يكون متعلق الرحمة محذوفا وهو ايوب لعلم به لان الكلام فيه وعلى الثانى يتوجه كل واحد منهما الى العابدين على سبيل التنازع ولا يخفى ان عدم تخصيص الرحمة بايوب وجعلها متوجهة الى عامة العابدين لدخول ايوب فيهم دخولا اوليا اوفق للواقع وأنسب للمقام من تخصيص الرحمة بايوب والذكرى بغيره والذكرى على الاوّل بمعنى التذكرة وعلى الثانى بمعنى الذكر ولعل الوجه فى اظهار اللام فى الوجه الثانى مع تحقق شرائط نصب المفعول له فى كل واحد من الوجهين الاشارة الى ترجيحه فان تصريح لام التخصيص مع صحة تعدية الفعل الى العلة بدونها يشعر بان تلك العلة لها مزيد اختصاص باستدعاء الفعل ﴿قوله﴾ او تكفل منه ﴿ اى اولانه كان ذا كفالة متصلة به تعالى من حيث كون المكفول به مما يبتغى به وجه الله تعالى كما قيل انه رجل كفل مائة من الانبياء اى ضمهم الى نفسه حتى نجاهم من القتل وقيل انه رجل تكفل ان يصلى بالليل ولا يفتر وان يصوم بالنهار ولا يفطر ويقضى بين الناس ولا يغضب ووفى به فشكر الله تعالى له وجعله نبيا وقيل انه زكريا سمى به لكفالته مريم وبالجملة ان كان الكفل بمعنى الكفالة فالمراد بذى الكفل رجل كان ذا تكفل منه تعالى وان كان بمعنى النصيب او الضعف فالمراد به من كان ذا نصيب من فضل الله وثوابه او من كان له ضعف عمل الانبياء فى زمانه وضعف ثوابهم لما ذكر الله تعالى صبر ايوب وانقطاعه اليه اتبعه بذكر هؤلاء لانهم ايضا كانوا من الصابرين على طاعة الله وعن معاصيه فان اسمعيل صبر على الانقياد للذبح وصبر على المقام ببلد لا زرع فيه ولا ضرع ولا بناء وصبر فى بناء البيت على ما فيه من المشاق فلا جرم اكرمه الله تعالى واخرج من صلبه خاتم النبيين صلى الله عليه وعليهم اجمعين وكذا الآخران ﴿قوله﴾ وصاحب الحوت ﴿ يعنى ان ذا بمعنى صاحب والنون الحوت والمراد بذى النون يونس عليه الصلاة والسلام سمى بذلك لانه ابتلعه الحوت قيل خمسة من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ذوو اسمين اسرآئيل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد واحد عليهم الصلاة والسلام ﴿قوله﴾ لما برم ﴿ اى مل لطول دعوتهم على قول من يقول انه

﴿ فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرّ ﴾ بالشفاء من مرضه ﴿ وآتيناه أهله ومثلهم معهم ﴾ بان ولد له ضعف ما كان او أحيى ولده وولد له منهم نوافل ﴿ رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ﴾ رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم ﴿ واسمعيل وادريس وذا الكفل ﴾ يعنى الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمى به لانه كان ذا حظ من الله او تكفل منه اوله ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل بحيئ بمعنى النصيب والكفالة والضعف ﴿ كل ﴾ كل هؤلاء ﴿ من الصابرين ﴾ على مشاق التكاليف وشدآئد النوآئب ﴿ وادخلناهم فى رحمتنا ﴾ يعنى النبوّة اونعمة الآخرة ﴿ انهم من الصالحين ﴾ الكاملين فى الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد ﴿ وذا النون ﴾ وصاحب الحوت يونس بن متى ﴿ اذ ذهب مغاضبا ﴾ لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدّة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر

عليه الصلاة والسلام وقع فى بطن الحوت بعد اشتغاله بادآء الرسالة وقيل انه وقع فى بطن الحوت قبل اشتغاله بادآء الرسالة بناء على ماروى عن ابن عباس انه قال كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة اسباط ونصفا وبقى سبطان ونصف فاوحى الله تعالى الى شعيب النبى عليه الصلاة والسلام ان اذهب الى حزقيل الملك وقل له وجه نبيا قويا امينا حتى يلقى فى قلوب اولئك ان يرسلوا بنى اسرآئيل فقال له الملك فمن ترى وكان فى مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس بن متى فانه قوى امين فدعاه الملك وامره ان يخرج فقال يونس هل امرك الله تعالى باخراجى قال لا قال فهل سمانى لك قال لا فقال يونس وههنا انبياء غيرى فألحوا عليه فخرج مغاضبا للملك ولقومه فأتى بحر الروم فوجد قوما هيئوا سفينة فركب معهم فلما لجت السفينة تكفأت بهم فكادوا يغرقون فقال الملاحون هنا رجل عاص او عبد آبق لان السفينة لا تفعل هذا الا وفيها رجل عاص ومن رسمنا اذا ابتلينا بهذا البلاء ان نقترع فمن وقعت عليه القرعة القيناه فى البحر ولأن يغرق واحد خير من ان تغرق السفينة فاقترعوا ثلاث مرات فوقفت القرعة فيها كلها على يونس عليه الصلاة والسلام فقال انا الرجل العاصى والعبد الآبق فألقى نفسه فى البحر فجاء حوت وابتلعه فاوحى الله تعالى الى الحوت أن لا تؤذ منه شعرة فانى جعلت بطنك سجنا له ولم اجعله طعاما ثم لما انجاه الله تعالى من بطن الحوت ونبذه بالعرآء كالفرخ المنتوف ليس به شعر ولا جلد انبت الله عليه شجرة من يقطين يستظل بها ويأكل من ثمرها حتى اشتد فيبست فحزن عليها يونس عليه الصلاة والسلام فقيل له اتحزن على شجرة ولم تحزن على مائة الف او يزيدون حيث لم تذهب اليهم ولم تطلب راحتهم ثم اوحى تعالى اليه وامره ان يذهب اليهم فتوجه اليهم حتى دخل ارضهم وهم منه غير بعيد فأتاهم يونس وقال لملكهم ان الله تعالى ارسلنى اليك فارسل معى بنى اسرآئيل قالوا ما نعرف ما تقول ولو علمنا انك صادق لفعلنا وقد أتينا كم فى دياركم وسبينا كم فلو كان الامر كما تقول لمنعنا الله عنكم فطاف بهم ثلاثة ايام يدعوهم الى ذلك فأبوا عليه فاوحى الله تعالى اليه قل لهم ان لم يؤمنوا جاءهم العذاب فأبلغهم فأبوا فخرج من عندهم فلما فقدوه ندموا على فعلهم فاظلقوا يطلبونه فلم يقدروا عليه ثم ذكروا امرهم وامر يونس للعلماء الذين عندهم فقالوا انظروا واطلبوه فى المدينة فان كان فيها فليس مما ذكر من نزول العذاب شئ وان كان قد خرج فهو كما قال فطلبوه فقيل لهم انه خرج العشية فلما يئسوا اغلقوا باب مدينتهم فلم يدخلها دوابهم ولا غنمهم وعزلوا كل والدة عن ولدها وكذا الصبيان والامهات ثم قاموا ينتظرون الصبح فلما انشق الصبح رأوا العذاب نزل من السماء فشقوا جيوبهم ووضعت الحوامل ما فى بطونها وصاح الصبيان ونعقت الاغنام والبقر فرفع الله العذاب عنهم فبعثوا الى يونس فآمنوا به وبعثوا معه بنى اسرآئيل فعلى هذه الرواية كانت رسالة يونس بعد نبذ الحوت ودليل هذا القول قوله تعالى فى سورة الصافات فنبذناه بالعرآء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون واكثر العلماء على ان قصة الحوت وذهاب يونس مغاضبا انما وقعت بعد ان ارسله الله اليهم وبعد ان رفع العذاب عنهم بسبب توبتهم واخلاصهم فى الدعاء وذكر المصنف فى سبب خروجه وغضبه امرين الاول انه غضب عليهم لطول ما ذكرهم واقاموا على كفرهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وأنفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصبر وينتظر الاذن من الله تعالى فى المهاجرة عنهم فابتلى ببطن الحوت والثانى انه لما اخبر قومه ان الله تعالى ينزل العذاب بهم لأجل معلوم وفارقهم ثم بلغه بعد مضى الاجل انه تعالى لم يعذبهم ولم يعلم لاى سبب لم يعذبهم فخشى ان ينسب الى الكذب ويعيره فقال لا ارجع الى قومى كذابا فذهب مغاضبا للرجوع اليهم كارها له والغضب والكراهة وان كان من قبله خاصة الا انه اخرج على بناء المفاعلة للدلالة على كمال غضبه والمبالغة فيه لان اكثر استعمال بناء المفاعلة فى المبالغة ولا شك ان ماصدر بطريق المبالغة يكون اتم ويحتمل ان يكون البناء على بابه من باب المشاركة من حيث انه اغضب قومه حين لم يؤمنوا بدعوته وأصروا على الكفر مدة وأغضبوا اياه حين خرج من بينهم لخوفهم لحقوق العذاب بهم عند خروجه من بينهم **قوله لن نضيق عليه** فان قدر قد يكون بمعنى ضيق يقال قدر على عياله قدرا قال تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يضيق ومن قدر عليه رزقه اى ومن ضيق وقد يكون بمعنى قضى يقال قدر الله الشئ وقدره اى قضاه فالمعنى فظن ان لن نقدر عليه بشدة وعقوبة روى ان ابن عباس مر على معوية يوما فقال له معوية لقد ضر بتنى امواج القرآن البارحة فغرقت فيها ولم اجد لنفسى خلاصا الا بك فقال وما هى يا معوية فقرأ هذه الآية وقال او يظن نبى الله ان لا يقدر عليه

وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة اولانه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا **فظن** ان لن نقدر عليه لن نضيق عليه او لن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه فى مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمى ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا **فنادى فى الظلمات** فى الظلة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل **ان لا اله الا انت** بانه لا آله الا انت **سبحانك** من ان يعجزك شئ **انى كنت من الظالمين** لنفسى بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له

﴿ فاستجبناله ونجيناه من الغم ﴾ بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فى بطنه وقيل ثلاثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة ﴿ وكذلك ننجى المؤمنين ﴾ من عموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفى الامام نجى فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجى فلذلك فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء فى تظاهرون وهى وان كانت فاء فحذفها اوقع من حروف المضارعة التى لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتى النونين فان الداعى الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف فى تحامى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا وردّبانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضى لا يسكن آخره ﴿ وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا ﴾ وحيدا بلا ولد يرثنى ﴿ وانت خير الوارثين ﴾ فان لم ترزقنى من يرثنى فلا أبالى ﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه ﴾ اى اصلحناها للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة ﴿ انهم ﴾ يعنى المتوالدين او المذكورين من الانبياء عليهم السلام ﴿ كانوا يسارعون فى الخيرات ﴾ يبادرون الى ابواب الخيرات

تعالى فقال ابن عباس هذا من القدر لا من القدرة وقوله اولن نعمل فيه قدرتنا على ان يكون نقدر من القدرة التى هى مجاز عن اعمال القدرة ومباشرة الفعل بها على طريق اطلاق السبب وارادة المسبب فان بين القدرة والفعل علاقة السببية فلا يبعد جعل احدهما مجازا عن الآخر ويحتمل ان يكون قوله فظنّ ان لن نقدر استعارة تبعية واردة على طريق الاستعارة التمثيلة بان يشبه حاله فى خروجه عن قومه من غير انتظار لامر الله تعالى بحال من ظنّ انه تعالى لا يقدر عليه والمراغمة المغاضبة يقال راغم فلان قومه اذا نابذهم وخرج عنهم وأن فى قوله ان لن نقدر عليه مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المحذوف ولن نقدر هو الخبر والعامة على نقدر بنون العظمة مفتوحة وتخفيف الدال وقرئ نقدّر بضم النون وتشديد الدال يقال قدّر الشئ تقديرا وقدره يقدر قدرا بمعنى واحد وقرئ بفتح الياء التحتانية وكسر الدال الخفيفة وبضم الياء وفتح الدال الخفيفة على بناء المفعول واسمها ضمير شان محذوف والجملة المنفية بعدها خبرها ويجوز ان تكون مفسرة لورودها بعد ما هو بمعنى القول نزه عليه الصلاة والسلام ربه عن كل النقائص التى من جملتها العجز مثل ان يفعل ما فعله ظلما او عن شهوة الانتقام وان يعجز عن تخليص المكروب او عن مؤاخذة الجانى ولعل قوله ان يعجزك شئ مبنى على انه اختار من محتملات معنى نقدر الاحتمال الاخير وهو ان يكون المراد بالظنّ الخطرة الوهمية وان يكون هذا التسبيح استغفارا منه عن توهم العجز به تعالى ﴿ قوله تعالى وكذلك ﴾ اى وكما انجينا يونس من كرب الحبس فى بطن الحوت اذ دعانا ننجى المؤمنين من كربهم اذا استغاثوا بنا فالكاف فيه صفة مصدر محذوف ﴿ قوله وفى الامام نجى ﴾ لا يدل الا على ان هذه الكلمة رسمت بنون واحدة ولا دلالة فيه على ان القرآءة بتشديد النون وجعله وجها لاخفاء جماعة القرآء النون الثانية من نجى بضم النون الاولى وسكون الثانية من انجى واخفاء الحروف حالة بين اظهارها وادغامها وهو لا يكون الا بسكونها وقد يطلق الاخفاء على اختلاس حركة الحرف وهو عدم اتمام الحركة كما اخفى فى قوله تعالى مالك لا تأمنا على يوسف حركة النون الاولى والمراد بالاخفاء ههنا تلفظ النون الثانية على حالة شبيهة بادغامها فى الجيم ثم ذكر ان ابن عامر وابا بكر قرآ ننجى بنون واحدة وتشديد الجيم وسكون الياء وقال الزجاج هذه القرآءة لحن لا وجه لها وقال بعضهم راوى هذه الرواية غلط فى الرواية فانها ننجى بنونين كما هى قرآءة العامة لكن النون الثانية من ننجى تخفى مع الجيم ولا يجوز تبيينها فالتبس على السامع الاخفاء بالادغام فظنّ انه ادغام فذكر المصنف ان اصلها ننجى بضم النون الاولى وفتح الثانية وتشديد الجيم فاستثقل توالى المثلين فحذفت الثانية كما فى قوله تعالى ما تنزل الملائكة وكما حذفت فى قوله تذكرون وتظاهرون ونحوهما ولكن ابو البقاء استضعف هذا التوجيه بوجهين الاوّل ان النون الثانية اصل لانها فاء الكلمة فحذفها بعيد جدّا والثانى ان حركتها غير حركة النون الاولى فلا يستثقل الجمع بينهما بخلاف تظاهرون الا ترى انك لو قلت تتحامى المظالم لم يسغ حذف التاء الثانية والمصنف اجاب عن كل واحد مما ذكره فى وجه الاستضعاف وهو حذف احد المثلين عند اختلاف الحركة فى نحو تتحامى الظالم وتقرير الجواب ظاهر ﴿ قوله وقيل ﴾ اى وقيل فى توجيه قرآءة ننجى انه فعل ماض مبنى للمفعول وانما سكنت لامه تخفيفا كما سكنت فيما بقى من الربا فى القرآءة الشاذة واسند هذا الفعل الى ضمير المصدر مع وجود المفعول به الصريح كما فى قرآءة من قرأ ليجزى قوما بما كانوا يكسبون وقد ذهب الى جوازه الكوفيون والاخفش قال ابو البقاء وهو ضعيف من وجهين احدهما تسكين آخر الفعل الماضى والآخر اقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول به الصريح فان الفعل المبنى للمفعول ينبغى ان يسند الى المفعول به كما يسند الفعل المبنى للفاعل الى الفاعل وانما يسند الى غيره اذا لم يذكر المفعول به ﴿ قوله لا تذرنى ﴾ وان كان على صورة النهى الا ان مثل هذه العبارة اذا كان من العبد للسيد يكون تضرّعا وتعوّذا ودعاء ولما بلغ عمر زكريا عليه الصلاة والسلام مائة سنة وبلغ عمر زوجته تسعا وتسعين ولم يرزق لهما ولد أحب ان يرزقه الله تعالى من يؤنسه ويقوّيه على امر دينه ودنياه ويكون قائما مقامه بعد موته فدعا ربه بان لا يتركه وحيدا بلا ولد وهو كقوله فهب لى من لدنك وليا يرثنى ثم ردّ الامر الى مولاه مستسلما منقادا لمشيئته فقال وانت خير الوارثين اى ان لم ترزقنى من يرثنى فلا ابالى به والمراد باصلاح زوجه اما جعلها صالحة للولادة بازالة عقرها قال الكلبى كانت عقيما فولدت وهى بنت تسع وتسعين سنة واما تحسين خلقها وكانت حردة اى غضبانة سيئة الخلق فمعنى قوله واصلحنا له على الوجه الاوّل اصلحناها للولادة لاجل دعاء زكريا وعلى الثانى

(اصلحناها)

اصلحناها لصحبة زكريا وحسن المعاشرة ويجوز ان يراد باصلاحها جعلها ذات هيئة حسنة ومنظر بهيّ بحيث يرغب فيها زوجها لان النساء اذا بلغن سنّ زوجة زكريا يكنّ من القواعد اللاتى لا يرغب فيهنّ احد ﴿قوله﴾ يعنى المتوالدين ﴿﴾ بلفظ الجمع ليتناول زكريا وامرأته ويحيى عليه الصلاة والسلام علل استجابة دعاء زكريا واصلاح زوجته ومايترتب عليهما من هيئة المولود الصالح بقوله انهم كانوا يسارعون الآية وذكر فى التعليل ثلاثة شروط احدها المسارعة فى الخيرات لان الوسيلة متقدّمة على المطلب وثانيها ان يكون الداعى بين الخوف والرجاء يخاف تقصيره ولا يعتمد على عمله لان العمل بالخواتم ويرجو مع ذلك رحمة الله الواسعة وثالثها ان يكون مخلصا لا مرآئيا كما قال ابراهيم النخعى الخشوع ان يرى الله تعالى من العبد الاخلاص اذا ارخى العبد ستره واغلق بابه فالخشوع انما يكون بالقلب لا بالجوارح بان يأكل العبد خشنا ويلبس خشنا ويطأطئ رأسه ولا يرائى ويتصنع وان كان المراد بقوله انهم المذكورين سابقا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام يكون المقصود تعليل استجابة جميعهم مثل اتيان موسى وهرون الفرقان وتبريد النار واطفائها لابراهيم وانجائه وهجرة لوط من العراق الى الشام ثم انجائه مما نزل بقومه وانجاء نوح ومن كان معه فى السفينة من كرب الطوفان وغير ذلك مما تفضل به على الانبياء المذكورين والمراد بمسارعتهم فى الخيرات مبادرتهم الى طاعة الله مراعين لحدود الشرع وهى محمودة والعجلة المذمومة المباشرة من غير محافظة الحدود والآداب وقرأ العامّة رغبا ورهبا بفتح الغين والهاء وهما اما مصدران على وزن طلب وقعا موقع الحال من فاعل يدعون بتقدير المضاف اى يدعون ذوى رغب ورهب واما جمعان لراغب وراهب مثل خادم وخدم اى راجين وخائفين ﴿قوله﴾ مخبتين ﴿﴾ اى متواضعين قال مجاهد الخشوع هو الخوف اللازم للقلب ﴿قوله﴾ تعالى والتى احصنت فرجها ﴿﴾ يجوز ان ينتصب بالعطف على ماقبله وان ينتصب باضمار اذكر وان يرتفع بالابتداء والخبر محذوف اى وفيما يتلى عليكم التى احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام كما قالت ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا ولما كان نفخ الروح فى الجسد عبارة عن احيائه كما فى قوله تعالى فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحى اى احييته كان المنفهم من قوله تعالى فنفخنا فيها من روحنا فاحييناها وليس المراد احياء مريم فلذلك جعل تقدير الكلام فنفخنا الروح فى عيسى فيها والمعنى واحيينا عيسى فى جوفها فيكون قوله فيها حالا من المفعول المحذوف وهو عيسى فانه مفعول من جهة ان المعنى احيينا عيسى كائنا فى جوف مريم فالمراد بالروح روح الانسان الذى هو من امر الله وحده والمراد بنفخه فى عيسى ادخاله فى بدنه تشبيها الايراد الروح فى البدن بنفخ النافخ فى الشئ يكون نفخنا استعارة تبعية ﴿قوله﴾ وقيل ﴿﴾ اى ويجوز ان يراد فعلنا النفخ فى مريم من جهة روحنا الذى هو جبريل عليه الصلاة والسلام فلا يكون المراد بالنفخ ايراد الروح فى البدن بل يكون المراد به معناه الحقيق وينزل نفخنا منزلة اللازم ويكون اسناد النفخ الى البارى تعالى من قبيل اسناد الفعل الى السبب الآمر فان جبريل هو الذى نفخ فى درع مريم بامر الله تعالى فوصل اثر النفخ الى جوف مريم فحملت بعيسى عليهما الصلاة والسلام ثم انه تعالى لما فرغ من قصص الانبياء تقوية لقلبه عليه الصلاة والسلام على تبليغ الرسالة وتسلية له بانه ليس اوّل من بعث لدعوة المعاندين خاطب الناس كافة فقال ان هذه امّتكم امّة واحدة والامّة الملة واصلها القوم الذين يجتمعون على دين واحد ثم اتسع فيها فاطلقت على ما اجتمعوا عليه من الدين والملة واشتقاقها من أم بمعنى قصد فالقوم هم الجماعة القاصدة وما اجتمعوا عليه هو الملة المقصودة قال تعالى انا وجدنا آباءنا على امّة اى على دين وملة قرأ الجمهور امّتكم مرفوعا على انه خبر انّ وامّة واحدة منصوب على انه حال من الامّة الاولى اى اشير اليها امّة واحدة غير مختلف فيها والمعنى لا دين سوى دينى ولا رب غيرى فانا المستحق للعبادة فلا تعبدوا غيرى ﴿قوله﴾ صرفه الى الغيبة ﴿﴾ يعنى ان اصل الكلام وتقطعتم وتفرّقتم الا انه صرف الكلام الى طريق الغيبة على الالتفات كأنه ينعى عليهم ما افسدوه الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء حيث جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا فاصاب كل جماعة قطعة من الدين فصاروا بتقطع دينهم كأنهم قطع شتى يلعن بعضهم بعضا ويتبرّأ بعضهم من بعض ثم انه تعالى توعد هؤلاء الفرق المختلفة بانهم اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال تفرّقت بنو اسرآئيل على احدى وسبعين فرقة فهلك سبعون وخلصت فرقة وان امّتى ستفرّق على اثنتين وسبعين فرقة تهلك احدى وسبعون فرقة وتخلص فرقة قالوا يا رسول الله من تلك الفرقة

﴿ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ ذوى رغب اوراغبين فى الثواب راجين للاجابة اوفى الطاعة وخائفين من العقاب اوالمعصية ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ مخبتين اودائمى الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال ﴿والتى احصنت فرجها﴾ من الحلال والحرام يعنى مريم ﴿فنفخنا فيها﴾ فى عيسى فيها اى احييناه فى جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها ﴿من روحنا﴾ من الروح الذى هو بامرنا وحده اومن جهة روحنا جبرآئيل ﴿وجعلناها وابنها﴾ اى قصتهما اوحالهما ولذلك وحد قوله ﴿آية للعالمين﴾ فان من تأمّل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ﴿ان هذه أمّتكم﴾ ان ملة التوحيد اوالاسلام ملتكم التى يجب عليكم ان تكونوا عليها فكونوا على ﴿امّة واحدة﴾ غير مختلفة فيما بين الانبياء ولا مشاركة لغيرها فى صحة الاتباع وقرئ امّتكم بالنصب على البدل من هذه وامّة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران ﴿وانا ربكم﴾ لا اله لكم غيرى ﴿فاعبدون﴾ لا غير ﴿وتقطعوا امرهم بينهم﴾ صرفه الى الغيبة التفاتا للنعى على الذين تفرّقوا فى الدين وجعلوا امره قطعا موزعة بقبيح فعلهم الى غيرهم ﴿كل﴾ من الفرق المتجزئة ﴿الينا راجعون﴾ فنجازيهم

قال الجماعة اى الجماعة المعهودة المتمسكة بما بينه الله تعالى ورسوله من غير ان يشوبوا ذلك شيأ من الهوى وطعن بعضهم فى صحة هذا الخبر بان قال ان اراد بالثنتين والسبعين فرقة اصول الاديان فهى لم تبلغ هذا القدر قال الامام فى الجواب عنه المراد ستفترق امتى فى حال ما وليس فيه دلالة على ان افتراقها فى سائر الاحوال لا يجوز ان يزيد وينقص ﴿قوله﴾ استعير لمنع الثواب ﴿﴾ يعنى ان الكفران مصدر بمعنى الكفر الذى هو الجحود والانكار كما ان الشكر عبارة عن تعظيم المنعم والاقرار بفضله وافضاله شبه قبول العمل واعطاء الثواب بمقابلته بشكر المنعم عليه للمنع فاطلق عليه الشكر مجازا فقيل لله تعالى انه شكور بهذا المعنى قال تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا اى مقبولا مثابا عليه وكذا شبه ردّ العمل ومنع الثواب بالكفر والجحود فاطلق عليه الكفران كما فى قوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اى لن تحرموا ثوابه ولن تمنعوه ﴿قوله﴾ ونفى نفى الجنس ﴿﴾ يعنى ان مجازاة المكلفين واثابتهم على اعمالهم وحرمانهم من الثواب لا يتولى على شئ من ذلك سوى الله فانه مالك يوم الدين فكان الظاهر ان يقال فلا تكفر سعيه الا انه نفى جنس الكفر ان للمبالغة لان نفى الماهية يستلزم نفى جميع افرادها فالتعبير عن النفى المراد بنفى الجنس بمنزلة اثبات المطلوب بالبينة ﴿قوله﴾ وممتنع على اهلها ﴿﴾ جعل الحرام مستعارا لممتنع الوجود بجامع ان كل واحد منهما غير مرجوّ الحصول لتعذر حمله على معناه الحقيقى وهو فعل مقدور للمكلف منع الشارع تناوله بالنص القاطع ورجوع من قضى الله باهلاكه الى التوبة وكذا رجوع من جعله الله تعالى هالكا الى الحياة الدنيوية ليس حراما بهذا المعنى هذا على تقدير ان تكون كلمة لا فى قوله تعالى لا يرجعون زائدة كما فى قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد وكذا ان لم تكن صلة وكان المعنى حرام على الكفرة المهلكين عدم رجوعهم الى دار الجزآء فالمقصود ابطال قول من ينكر البعث فان عدم الرجوع اليها ليس حراما حقيقة وانما هو حرام بمعنى انه ممتنع الوجود ﴿قوله﴾ وقرئ حرم ﴿﴾ اى بكسر الحاء وسكون الرآء وهما لغتان كالحل والحلال ﴿قوله﴾ وهو مبتدأ ﴿﴾ يعنى ان قوله انهم لا يرجعون مبتدأ خبره حرام على معنى رجوعهم او عدم رجوعهم ممتنع الوجود ويجوز ان يكون حرام مبتدأ لا خبر له لفظا ولا تقديرا لكونه صفة مشبهة كجبان رافعة للظاهر بعدها على الفاعلية وذلك الظاهر قائم مقام خبره وهو قول المصنف او فاعل له سادّ مسدّ خبره وفيه بحث فان الصفة انما ترفع الظاهر الذى بعدها على الفاعلية بشرط اعتماد لا بدونه الا على رأى الاخفش فانه لا يشترط ذلك ﴿قوله﴾ او دليل عليه ﴿﴾ اى ويجوز ان يكون حرام مبتدأ وما بعده خبره دليل على الفاعل كأنه قيل حرام عليهم ثوابهم او حياتهم على ان تكون لا صلة او عدم بعثهم على ان لا تكون صلة ﴿قوله﴾ او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون ﴿﴾ عطف على قوله رجوعهم الى التوبة الخ ويجوز ان يكون قوله وحرام خبر مبتدأ محذوف اى ذلك الذى ذكر من العمل الصالح المقرون بالايمان حرام عليهم وما بعده علة له بحذف لام التعليل مع انهم ويؤيده قرآءة انهم بكسر الهمزة فان كسرها يقتضى ان يتم الكلام قبله ولا بدّ لتمامه من تقدير المحذوف ﴿قوله﴾ وقيل حرام عزم ﴿﴾ اى معزوم يعنى قيل الحرام هنا بمعنى الموجب فانه قد يستعمل بمعنى الواجب كما فى قوله تعالى أتل ما حرّم ربكم عليكم ان تشركوا فان ترك الشرك واجب ويدل عليه ايضا قول الخنساء

* وانّ حراما لا ارى الدهر باكيا * على شجوه الا بكيت على صخر *

اى وان واجبا وايضا كثيرا ما يطلق احد الضدّين على الآخر مجازا ﴿قوله﴾ اى يستمرّ الامتناع الى قيام الساعة ﴿﴾ على ان تكون حتى غاية لقوله حرام والمعنى وممتنع على قوم قدّرنا اهلاكهم رجوعهم الى التوبة الى ان تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا الآية او ممتنع على الذين اهلكناهم حقيقة رجوعهم الى ان تقوم القيامة فحينئذ يبعثون ويحاسبون ﴿قوله﴾ او الهلاك ﴿﴾ على ان تكون حتى غاية لمحذوف كانه قيل حرام على الهالكين رجوعهم الى الحياة بل يستمرّ بهم الهلاك الى قيام الساعة ﴿قوله﴾ او عدم الرجوع ﴿﴾ على ان تكون حتى غاية لقوله لا يرجعون وذلك بان يكون حرام خبر مبتدأ محذوف ويكون المعنى وذلك المذكور من العمل الصالح ممتنع على من قدّرنا اهلاكهم لانهم لا يرجعون عن الكفر الى قيام الساعة فكيف لا يمتنع عليهم ذلك العمل والمراد بفتح يأجوج ومأجوج فتح سدّهما فحذف المضاف كما حذف المضاف الى القرية

(فى قوله)

﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن﴾ بالله ورسوله ﴿فلا كفران لسعيه﴾ فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفى نفى الجنس للمبالغة ﴿واناله﴾ لسعيه ﴿كاتبون﴾ مثبتون فى صحيفة عمله لا نضيع بوجه ما ﴿وحرام على قرية﴾ وممتنع على اهلها غير متصوّر منهم وقرئ حرم ﴿اهلكناها﴾ حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة ﴿انهم لا يرجعون﴾ رجوعهم الى التوبة او الحياة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزآء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعل له سادّ مسدّ خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم او حياتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف اى وحرام عليها ذاك وهو المذكور فى الآية ويؤيده القرآءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون ﴿حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج﴾ متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اى يستمرّ الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور امارتها وهو فتح سدّ يأجوج ومأجوج

في قوله وحرام على قرية اى على اهلها ﴿قوله وحتى هى التى﴾ مبتدأ وخبر قال اكثر المفسرين الضمير في قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون ليأجوج ومأموج فانه قد روى ان يأجوج ومأجوج لابدّ وان يسيروا في الارض ويغلبوا على الناس من كل موضع مرتفع والحدب النشز وهو المكان المرتفع ﴿قوله تسدّ مسدّ الفاء الجزآئية﴾ فان الجملة الاسمية اذا وقعت جواب شرط يجب دخول الفاء عليها لتدل على انها جواب وجزآء الا اذا صدّرت باذا المفاجاة فانها تسدّ مسدّ الفاء فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزآء بالشرط فيتأكد مابينهما من الاتصال ﴿قوله والضمير للقصة﴾ يعنى ان لفظ هى ضمير القصة وشاخصة خبر مقدّم وابصار مبتدأ مؤخر والجملة خبر ضمير القصة لانه لايفسر الا بجملة تخبر بها ويحتمل ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار كما فسر ضمير أسرّوا بقوله الذين ظلموا في قوله تعالى وأسرّوا النجوى الذين ظلموا اذهو بدل من واو اسرّوا تفسيرا وعطف اقتراب الوعد الحق على فتح سدّ يأجوج يدل على ان قيام الساعة لايتأخر عن خروج يأجوج ومأجوج كما روى عن حذيفة انه قال لو ان رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة والفلو المهر اى ولد الفرس * فان قيل الشرط هو مجموع فتح سدّ يأجوج ومأجوج واقتراب الموعود الحق وهذا المجموع انما يحصل في آخر ايام الدنيا والجزآء وهو شخوص ابصار الذين كفروا وارتفاعها من شدّة الاهوال بحيث لاتكاد تطرف انما يحصل يوم القيامة والشرط والجزآء لابدّ ان يكونا متقارنين * فالجواب ان التفاوت القليل يجرى مجرى العدم ﴿قوله يحتمل الاوثان﴾ اى يعمها ادّعى انّ مايعم العقلاء وغيرهم واستدل عليه بانه عليه الصلاة والسلام لم يردّ على ابن الزبعرى في تعميمه ماتعبدون للعقلاء بل سلم له ذلك واجابه بوجه آخر الا ان جوابه محل تأمل لانه لاينفى كون اليهود واخواتهم عبدوا هؤلاء المكرمين وانما يدل على انهم عبدوا الشياطين باطاعتهم ألشيطان فيما امرهم به من عبادة هؤلاء المكرمين فكيف صلح جوابا عن قول ابن الزبعرى ويمكن ان يقال من عبد من غير ان يستحق العبادة لذاته ومن غير ان يأمر بها ويحب ويرضى ان يعبد لايكون معبودا في الحقيقة وانما يكون معبودا صورة ومجازا ويكون المعبود في الحقيقة من امر بذلك لان العبادة عبارة عن الطاعة والانقياد وليس ذلك الا لمن امر بها فلذلك نفى عليه الصلاة والسلام دخول هؤلاء المكرمين تحت قوله وماتعبدون فقال بل هم عبدوا الشياطين ﴿قوله وعلى هذا﴾ اى على تقدير ان يحمل ماتعبدون من دون الله على مايعم الاوثان وغيرها يكون الخطاب في قوله تعالى انكم وماتعبدون متناول لا للمشركين وغيرهم كاليهود والنصارى وبنى مليح وهم بطن من خزاعة قالوا صاهر الله تعالى سروات الجنّ فولدت له الملائكة بخلاف ما اذا حمل ماتعبدون على الاصنام خاصة فان الخطاب يخص المشركين ﴿قوله أليس اليهود عبدوا عزيرا﴾ لاوجه لسؤال ابن الزبعرى لان كلمة ما لاتتناول من يعقل فقوله تعالى وماتعبدون لايتناول الملائكة فان الملائكة من العقلاء بل يقتصر على الاصنام لكنه عليه الصلاة والسلام جاراه وألزمه بوجه آخر تنبيها على ان لدفع شبهته طرقا متعدّدة ﴿قوله بيان للتجوّز او التخصيص تأخر عن الخطاب﴾ الاوّل على تقدير ان يكون المقصود من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى بيان تناول الحكم لغير اهل الحسنى من العقلاء والثانى على تقدير ان يكون المقصود تخصيص ماتعبدون بغير اهل الحسنى مع كونه في نفسه يعم اهل الحسنى وغيرهم وعلى التقديرين يكون قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى من قبيل بيان التفسير ومثل هذا البيان لايجوز تأخيره عن وقت الحاجة الى العمل بالاتفاق لانه تكليف مالايطاق واما جواز تأخيره عن وقت الخطاب فهو مختلف فيه بين الحنفية والشافعية جوّزه الشافعية استدلالا بهذه الآية ووجه الاستدلال ماأشار به المصنف من انه تعالى انزل قوله انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون اى تحصبون فيها وترمون وتأخر عنه نزول قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وهو بيان لما نزل قبله بيان تجوّز او بيان تخصيص حتى جرى بين ابن الزبعرى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ماجرى واجاب الحنفية عن هذا الاستدلال بان قوله وماتعبدون لم يتناول عيسى عليه الصلاة والسلام وعزيرا والملائكة حقيقة لان مالغير العقلاء الاترى ماروى عن رسول الله عليه الصلاة والسلام انه قال له ماأجهلك بلغة قومك ياغلام اما علمت ان ما لما لايعقل فيكون قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى على هذا بيان تقرير وبيان التقرير يصح متراخيا وسؤال ابن الزبعرى وارد على طريق التعنت بناء على انه جعل ماستعملة بمعنى من مجازا اوحمله على التغليب فسأل بناء على ظنه الفاسد ثم انه عليه الصلاة والسلام اجابه بقوله ماأجهلك فقد ردّ عليه بان مالما

وحتى هى التى يحكى الكلام بعدها والمحكى هى الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد ﴿وهم﴾ يعنى يأجوج ومأجوج او الناس كلهم ﴿من كل حدب﴾ نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر ﴿ينسلون﴾ يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين ﴿واقترب الوعد الحق﴾ وهو القيامة ﴿فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا﴾ جواب الشرط واذا للمفاجأة تسدّ مسدّ الفاء الجزآئية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت معها تظاهرتا على وصل الجزآء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار ﴿ياويلنا﴾ مقدّر بالقول واقع موقع الحال من الموصول ﴿قد كنا في غفلة من هذا﴾ لم نعلم انه حق ﴿بل كنا ظالمين﴾ لأنفسنا بالاخلال بالنظر والاعتداد بالنذر ﴿انكم وماتعبدون من دون الله﴾ يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه الصلاة والسلام بل هم عبدوا الشياطين التى امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مأوّلا بمن او بما يعمه ويدل عليه ماروى ان ابن الزبعرى قال هذا شئ لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه الصلاة والسلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوّز او التخصيص تأخر عن الخطاب

﴿ حصب جهنم ﴾ مايرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر ﴿ انتم لها واردون ﴾ استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوّضة عن على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لأجلها ﴿ لوكان هؤلاء آلهة ماوردوها ﴾ لان المؤاخذ المعذب لايكون الها ﴿ وكل فيها خالدون ﴾ لاخلاص لهم عنها ﴿ لهم فيها زفير ﴾ انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام ﴿ وهم فيها لايسمعون ﴾ من الهول وشدّة العذاب وقيل لايسمعون مايسرّهم ﴿ ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴾ الخصلة الحسنى وهى السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة ﴿ اولئك عنها مبعدون ﴾ لانهم يرفعون الى اعلى عليين روى ان عليا كرم الله وجهه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجرّاح ثم اقيمت الصلاة فقام يجرّ رداءه ويقول ﴿ لايسمعون حسيسها ﴾ وهو بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة فى ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به ﴿ وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون ﴾ دآئمون فى غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به ﴿ لايحزنهم الفزع الاكبر ﴾ النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض او الانصراف الى النار اوحين يطبق على النار او يذبح الموت على صورة كبش املح ﴿ وتتلقاهم الملائكة ﴾ تستقبلهم مهنئين ﴿ هذا يومكم ﴾ يوم ثوابكم وهو مقدّر بالقول ﴿ الذى كنتم توعدون ﴾ فى الدنيا ﴿ يوم نطوى السماء ﴾ مقدّر باذكر او ظرف لايحزنهم او تتلقاهم او حال مقدّرة من العائد المحذوف من توعدون والمراد بالطىّ ضدّ النشر او المحو من قولك اطو عنى هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبنى آدم فاذا انتقلوا فوّضت عنهم وقرئ بالياء وبالتاء والبناء للفعول ﴿ كطىّ السجل للكتاب ﴾ طيا كطىّ الطومار لاجل الكتابة اولما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قرآءة حمزة والكسائى وحفص على الجمع اى للمعانى الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوى كتب الاعمال اذا رفعت اليه اوكاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه ﴿ كما بدأنا اوّل خلق نعيده ﴾ اى نعيد ماخلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه فى كونهما ايجاد عن (بعد) العدم اوجعا من الاجزآء المتبدّدة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابدآء لشمول الامكان الذاتى المصحح للقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء

لايعقل فلا يرد ماوردته على الآية من النقض بالملائكة ونحوهم وان صح انه عليه الصلاة والسلام اجاب بان قال انهم ماعبدوا ماذكرته من اهل الحسنى وانما عبدوا الشياطين التى امرتهم بذلك فهو جواب بطريق التسليم اى لوسلم ان قوله تعالى ماتعبدون يتناول العقلاء الفضلاء لكن لانسلم انهم عبدوا اولئك الكرمين فى الحقيقة بل عبدوا الشياطين الذين امروا بذلك والتعبير عنهم بلفظ مالايس مبنيا على حمله على المعنى المجازى بل مبنى على عدّهم اى على عدّ الشياطين فى عداد الاصنام الجامدة التى تبعد بمراحل عن العقل والتمييز وكذا قوله عليه الصلاة والسلام بل لكل من عبد من دون الله ان صح ذلك عنه مبنى على التسليم ايضا والحاصل ان المراد بقوله ماتعبدون الشياطين وعلى التقديرين لم يكن قوله وما تعبدون مستعملا فى العقلاء مجازا ولامتناولا لاهل الحسنى حتى يقال قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى بيان للتجوّز او التخصيص تأخر عن الخطاب كما قاله الشافعية بل ليس ذلك الا بيان تقرير يصح متراخيا عن الخطاب فليس فى الآية مايدل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب على جميع الروايات فليتأمل فان المقام محل الالتفات ﴿ قوله مايرمى به ﴾ يعنى ان الحصب بفتح الحاء والصاد اسم لما يحصب اى يرمى فى النار ولا يقال له حصب الا وهو فى النار فاما قبل ذلك فيقال له حطب وشجر وحشب ونحو ذلك ﴿ قوله او بدل من حصب جهنم ﴾ ويجوز ابدال الجملة من المفرد اذا كانا بمعنى واحد والتقدير انكم انتم لها واردون والحصب بسكون الصاد مصدر بمعنى الرمى ﴿ قوله لان المؤاخذ المعذب لايكون الها ﴾ هذا الكلام بالشياطين أليق لان المؤاخذة لاتليق بالاصنام الا ان يقال عباد الاصنام فى الحقيقة عباد الشياطين الذين امروا بعبادتها فكأنهم اتخذوا الشياطين آلهة والضمير فى قوله تعالى وهم فيها لايسمعون قيل يرجع الى المعبودين اى لايسمعون صراخهم وشكواهم ومعناه انهم لايغيثونهم ولاينفعونهم كما يقال سمع الله لمن حمده اى اجاب الله دعاءه وقيل يرجع الى الكفار والمعنى انهم لايسمعون شيأ اصلا من حيث انهم يحشرون صما عميا زيادة فى عذابهم او انهم لايسمعون مايفعهم لانهم انما يسمعون اصوات المعذبين او كلام من يتولى تعذيبهم من الملائكة ثم انه تعالى لما شرح عقاب الكفار اردفه بشرح ثواب الابرار فقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فهى عامة فى حق كل المؤمنين وشرح من احوال ثوابهم خمسة امور احدها قوله اولئك عنها مبعدون وثانيها قوله لايسمعون حسيسها والمراد به تأكيد بعدهم عنها الان من لم يدخلها وقرب منها قد يسمع حسيسها وثالثها قوله وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون ورابعها قوله لايحزنهم الفزع الاكبر وفسره المصنف باربعة اوجه الاوّل انها النفخة الاخيرة والثانى ان يؤمر بالعبد الى النار والثالث اطباق جهنم على اهلها اى وضع الطبق عليها بعدما خرج منها من اخرج ففزع اهلها حينئذ فزعا شديدا لم يفزعوا فزعا اشدّ منه والرابع ذبح الموت بين الفريقين والنداء يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت وخامسها قوله وتتلقاهم الملائكة اى تستقبلهم ملائكة الرحمة عند خروجهم من القبور او عند باب الجنة ﴿ قوله او تتلقاهم ﴾ فان قيل تلقى الملائكة عند باب الجنة وطىّ السماء متقدّم عليه بزمان كثير فكيف يكونان فى يوم واحد * والجواب ان اسم يوم الطىّ يطلق على الزمان الممتدّ الذى مبدأه زمان الطىّ ومنتهاه زمان دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار ﴿ قوله او حال مقدّرة من العائد المحذوف من توعدون ﴾ اى توعدون ذلك اليوم مقدّرا كونه يوم نطوى السماء طيا مثل طىّ الرجل مافى يده من الطومار لاجل الكتابة لان الكتاب مصدر كالكتابة ومافيه من اللام للتعليل * فان قلت نشر الطومار شرط لاجل الكتابة فكيف يصح طيه علة لها * قلت انه يطوى اوّلا ويحفظ مطويا لاجل ان ينشر ويكتب فيه ووقت الحاجة فالمراد من طيه هذا الطى السابق ﴿ قوله اولما يكتب او كتب فيه ﴾ على ان الكتاب بمعنى المكتوب ﴿ قوله السجل ملك يطوى كتب الاعمال ﴾ اى كتب بنى آدم اذا رفعت اليه قال السدى السجل ملك موكل بالصحف فاذا مات الانسان رفع اليه كتابه فيطويه فعلى هذا الكتاب والكتب على اختلاف القرآءتين هى الصحائف واللام فيه زآئدة كما فى قوله ردف لكم ﴿ قوله او كاتب كان لرسول الله عليه الصلاة والسلام ﴾ وهو بعيد لان كتاب رسول الله عليه الصلاة والسلام كانوا رجالا معروفين وليس فيهم من سمى بهذا الاسم ﴿ قوله فى كونهما ايجادا عن العدم او جعا من الاجزاء ﴾ ذكر الامام انهم اختلفوا فى كيفية الاعادة فمنهم من قال ان الله تعالى يفرّق اجزآء الاجسام ولا يعدمها ثم انه يعيد تركيبها فذلك هو الاعادة ومنهم من قال انه تعالى يعدمها بالكلية ثم انه يوجدها بعينها مرّة اخرى وهذه الآية تدل على هذا الوجه لانه تعالى شبه الاعادة بالابتدآء ولما كان الابتدآء ليس عبارة عن تركيب الاجزآء المتفرّقة بل عن الايجاد

بعد العدم وجب ان تكون الاعادة كذلك واحتج القائلون بالمذهب الاوّل بقوله تعالى والسموات مطويات بيمينه فانه يدل على ان السموات حال كونها مطوية تكون موجودة وبقوله تعالى يوم تبدّل الارض غير الارض فهذا يدل على ان اجرآء الارض باقية لكنها جعلت غير هذه الارض ووجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما وصف يوم القيامة بانه يوم تطوى فيه السماء كطيّ السجل وصفه ايضا بانه يعاد فيه الاشياء الهالكة من السماء والارض واهلها ﴿قوله وما كافة﴾ تكف الكاف عن العمل وتصحح دخولها على الفعل فانها على تقدير كونها زآئدة قد تكون كافة عن العمل نحو انما زيد منطلق وغير كافة كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم فان الباء فيه لو كانت مكفوفة لما كان لفظ الرحمة مجرورا بها فلما لم تكن الباء مكفوفة كان مجرورها مفعولا به والمفعول به لابدّ له من عامل فعلا كان او معناه فلابدّ ان يكون للباء ما تتعلق هي به بخلاف الكاف المكفوفة هنا فانها لاتستدعي ما تتعلق هي به لان مجرورها لم يكن مفعولا به حتى تستدعي ما ينصبه من فعل او ما في معناه والفرق بين كون ما كافة وبين كونها مصدرية انها على تقدير كونها كافة يكون قوله اوّل خلق نعيده كلاما تاما ويكون قوله كما بدأنا جملة منقطعة عن ذلك على معنى تحقق الاعادة مثل تحقق البدء وليس المعنى على اعادة مثل البدء ومحل الكاف في مثله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ﴿قوله واوّل مفعول لبدأنا﴾ ظاهر نظم التنزيل وان كان يساعد هذا الاحتمال الا انه محل تأمل لان الظاهر ان ليس المراد باوّل الخلق من سبق وجوده وجود الآخرين في نشأة الدنيا لان الكلام ليس في اعادتهم وابدآئهم خاصة بل الكلام في ابدآء مجموع المكوّنات واعادتها فان هذا المجموع اذا هلك ثم تعلقت الاعادة به يوصف بالاوّلية بالنسبة الى ما تعلق به من الايجاد ثانيا فهذا المجموع الموصوف بالاوّلية كيف يكون مفعول بدأنا مع ان ايقاع البدء عليه متفرّع على اعادته لانه قبل تعلق الاعادة به لايوصف بالاوّلية اصلا فالظاهر ان يكون الكاف في محل النصب على انه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة التفسير والتقدير نعيد اوّل الخلق اى الخلائق الاوّلين نعيد ويتم الكلام هنا ان جعلت ما كافة وان جعلت مصدرية يكون التقدير نعيد اوّل الخلق اعادة مثل بدئنا اياه نعيده وكلمة ما ان كانت موصولة تكون الكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده بخلاف ما اذا جعلت مصدرية فان مفعول نعيد حينئذ اوّل خلق لا الكاف ﴿قوله تأكيدا لنعيده﴾ يعني انه مصدر وقع مؤكدا مضمون جملة لايحتمل لها غير الوعد فهو من المصدر الذي يسمى تأكيدا لنفسه وناصبه مضمر اى وعدنا ذلك وعدا او هو منصوب بقوله نعيده لكونه في معنى الوعد ﴿قوله وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة﴾ فقوله ولقد كتبنا في الزبور معناه ولقد بينا في التوراة والانجيل وسائر كتب الانبياء عليهم الصلاة والسلام من بعد الذكر اى من بعد ما كتبنا وبينا في اللوح المحفوظ وهو ام الكتاب وكتب فيه كل ما سيكون ليعتبر الملائكة ويعلموا ان الله تعالى احاط بكل شئ علما واحصى كل شئ عددا ﴿قوله او الذين كانوا يستضعفون﴾ نشر مرتب على قوله او الارض المقدّسة واراد بمشارق الارض ومغاربها ارض الشام وجهاتها الشرقية والغربية *قال الامام المراد من الارض ارض الجنة وقيل هي الارض المقدّسة يرثها الصالحون ودليله قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها ثم بالآخرة يرثها امّة محمد عند نزول عيسى عليهما الصلاة والسلام ﴿قوله لان ما بعثت به سبب لاسعادهم﴾ لو تدبروا فيه واتبعوا احكامه لفازوا بسعادة الدارين ومن اعرض عنه واستكبر فانما وقع في المحنة من قبل نفسه وهو اشارة الى جواب ما يقال كيف كان رحمة للعالمين وقد جاء بالسيف واستباحة الاموال ورد في الخبر انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل عليه الصلاة والسلام *ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فهل اصابك من هذه الرحمة شئ *قال نعم اصابني من هذه الرحمة اني كنت اخشى عاقبة الامر فأمنت بك لما اثنى الله تعالى عليّ بقوله ذي قوّة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ثم انه تعالى لما ذكر انه عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين بين معظم اسباب كونه رحمة لهم وهو كونه داعيا الى التوحيد والطاعة فانه بعث والناس في جاهلية وضلال واهل الكتاب بين كانوا في حيرة في امر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم بحيث لم يكن الطالب الحق سبيل البتة ﴿قوله فالاولى لقصر الحكم على الشئ﴾ يعني ان كلمة انما سواء كانت مفتوحة الهمزة او مكسورتها قد تكون لقصر الحكم على الشئ نحو انما يقوم زيد وقد تكون لقصر الشئ على الحكم نحو انما زيد قائم فقوله تعالى انما يوحى الىّ الآية من قبيل قصر الحكم على الشئ حيث يدل على ان حكم ما يوحى اليه عليه الصلاة والسلام منحصر في مضمون قوله تعالى

وما كافة او مصدرية واوّل مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اى نعيد مثل الذي بدأناه واوّل خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف ﴿وعدا﴾ مقدّر بفعله تأكيدا لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة ﴿علينا﴾ اى علينا انجازه ﴿انا كنا فاعلين﴾ ذلك لامحالة ﴿ولقد كتبنا في الزبور﴾ كتاب داود ﴿من بعد الذكر﴾ اى التوراة وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ ﴿ان الارض﴾ ارض الجنة او الارض المقدّسة ﴿يرثها عبادي الصالحون﴾ يعني عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها او امّة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ان في هذا﴾ فيما ذكرنا من الاخبار والمواعظ والمواعد ﴿لبلاغا﴾ لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية ﴿لقوم عابدين﴾ همهم العبادة دون العادة ﴿وما ارسلناك الا رحمة للعالمين﴾ لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال ﴿قل انما يوحى الىّ انما الهكم اله واحد﴾ اى ما يوحى الىّ الا انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشئ والثانية على العكس

﴿فهل انتم مسلمون﴾ مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحى المصدّق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع ﴿فان تولوا﴾ عن التوحيد ﴿فقل آذنتكم﴾ اعلمتكم ما امرت به اوحربى لكم ﴿على سواء﴾ مستوين فى الاعلام به اومستوين انا وانتم فى العلم بما اعلمتكم به اوفى المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم انى على سواء اى عدل واستقامة رأى بالبرهان النير ﴿وان ادرى﴾ وما ادرى ﴿أقريب ام بعيد ما توعدون﴾ من غلبة المسلمين اومن الحشر لكنه كائن لامحالة ﴿انه يعلم الجهر من القول﴾ ما تجاهرون به من الطعن فى الاسلام ﴿ويعلم ما تكتمون﴾ من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه ﴿وان ادرى لعله فتنة لكم﴾ وما ادرى لعل تأخير عذابكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم اوامتحان لينظر كيف تعملون ﴿ومتاع الى حين﴾ وتمتيع الى اجل مقدّر تقتضيه مشيئته ﴿قل رب احكم بالحق﴾ اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضى لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم وربى أحكم على بناء التفضيل وأحكم من الاحكام ﴿وربنا الرحمن﴾ كثير الرحمة على خلقه ﴿المستعان﴾ المطلوب منه المعونة ﴿على ما تصفون﴾ من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان الموعد به لوكان حقا لنزل بهم فأجاب الله دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب امانيهم ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم وقرئ بالياء وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن

سورة الحج مكية الا ست آيات من هذا خصمان الى صراط الحميد وهى ثمان وسبعون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يأيها الناس اتقوا ربكم﴾ انما الهكم اله واحد فانه فى محل الرفع على انه قائم مقام فاعل الفعل السابق اذ التقدير انما يوحى الىّ وحدانية الله تعالى وان قوله انما يوحى الىّ مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد اى يقوم زيد لاغيره فكانه قيل لم يوح الىّ شئ الا التوحيد * ولما ورد ان يقال كيف يصح هذا الحصر مع انه قد اوحى اليه اشياء غير التوحيد * اشار المصنف الى دفعه بقوله وذلك لان المقصود الاصلى يعنى ان ماذكر انما يرد على تقدير ان يكون الحكم المقصود ما اوحى اليه مطلقا وليس كذلك بل المراد ما اوحى اليه مقصودا بالقصد الاصلى الاولى وقوله تعالى انما الهكم اله واحد من قبيل قصر الشئ على الحكم بمنزلة انما زيد قائم اى لايفعل زيد سوى القيام * فان قلت هذا الحصر يستلزم ان لايكون الله تعالى موصوفا بغير الوحدانية مع ان له تعالى من صفات الجلال والجمال مالا يحصى * فالجواب ان الحصر ليس حقيقيا اذ المقصود نفى مايصفه المشركون ﴿قوله وقد عرفت ان التوحيد الخ﴾ اشارة الى ماذكره فى تفسير قوله تعالى فى هذه السورة هذا ذكر من معى وذكر من قبلى اذ التوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ووجه الفاء فى قوله تعالى فهل انتم مسلمون ان مثل هذا الكلام انما يذكر اذا تقدّم مايوجب المسارعة والاقدام على شئ من الامور فيؤتى به للتحريض عليه والتوبيخ على تركه وههنا لما بولغ فى امر التوحيد بماسبق من الحصرين عقبه به للمبالغة فى ايجاب المسارعة الى التوحيد فلذلك اخرج الامر على صورة الاستفهام وكون التوحيد مما يصح اثباته بالسمع وان اشتهر بين المتكلمين الا انه لايخلو عن اشكال وهو ان حجية السمع موقوفة على ثبوت الرسالة وثبوت الرسالة موقوف على كون المرسل واجب الوجود وهو موقوف على ثبوت كونه واحدا اذ التعدّد يستلزم الامكان كما بين فى موضعه فظهر ان حجية السمع موقوفة على الوحدانية ولو توقفت الوحدانية ايضا على السمع لزم الدور فالاحكام التى يستدل عليها بالنص هى التى لايتوقف النص على ثبوتها فالتوحيد ليس من تلك الاحكام التى يستدل عليها بالنص فلا يستدل بالنص على ثبوته ﴿قوله مستوين فى الاعلام به﴾ على ان يكون قوله على سواء فى محل النصب على انه حال من مفعول آذنتكم ﴿قوله اومستوين انا وانتم﴾ على انه حال من الفاعل والمفعول معا وعلى التقديرين يكون آذنتكم منقولا من اذن بمعنى علم وعلى قوله اوحربى لكم وان كان منقولا منه ايضا والمراد بالايذان ايذان الحق الا ان ايذان الحرب مستفاد من استعماله فى مقام الانذار والتهديد كانه قيل قد بذلت وسعى الى الآن فى اعلام الحق وارشادكم اليه فاذا لم تقبلوه ولم تلتفتوا اليه فتهيئوا لجزاء عنادكم ﴿قوله او ايذانا على سواء﴾ على انه صفة مصدر محذوف ﴿قوله وقيل اعلمتكم انى على سواء﴾ على انه خبر ان المحذوفة مع اسمها والجملة استئنافية ﴿قوله أقريب ام بعيد ما توعدون﴾ فى محل النصب بادرى لانه علق ادرى بادأة الاستفهام واصل الكلام اقريب ما توعدون ام بعيد الا انه أخر المستفهم عنه لروى الآتى وقوله ما توعدون يجوز ان يكون مبتدأ وما قبله مع ما عطف عليه خبره ويجوز ان يكون فاعل قريب لاعتماده على الف الاستفهام والمقصود من قوله تعالى انه يعلم الجهر من القول الآية تعليل الامر المدلول عليه بقوله فهل انتم مسلمون والنهى عن الطعن فى الاسلام جهرا وعن اضمار الاحن والاحقاد للمسلمين وبيان ان تأخير العذاب عنهم ليس لحق ما اسرّوا به وما اعلنوا بل لحكمة اقتضت ذلك ثم قال لعل وجه الحكمة فى التأخير الاستدراج وزيادة الاستحقاق للعقوبة والعذاب ولما كان الاستدراج سببا للفتنة والعذاب اطلق عليه لفظ الفتنة مجازا مرسلا وقوله او امتحان اى معاملة شبيهة بالامتحان على سبيل الاستعارة التمثيلية وقرأ العامّة رب احكم بكسر الباء وحذف ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة وقرئ بضم الباء على انه منادى مفرد معرفة امر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بان يدعو باستعجال العذاب على قومه ويقول رب اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل فان العدل فى حقهم ان يعجل العذاب عليهم ولا يمهلهم فلاجرم حكم الله تعالى عليهم يوم بدر وقرئ ربى بسكون الياء وأحكم على بناء افعل التفضيل وهما مبتدأ وخبر وقرئ احكم بفتح الهمزة والميم على انه فعل ماض من الاحكام مرفوع المحل على انه خبر ربى ايضا تمت سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة الحج مستعينا بالله تعالى

سورة الحج سبعون واربع آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم﴾ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال المعنى يا أهل مكة احذروا

عقاب ربكم بطاعته فان التقوى المأمور بها انما تتحقق بالاتقاء عن جميع المحرّمات وبالاتقاء عن ترك شئ من الواجبات وبالجملة المراد بالتقوى على هذا القول الاتقاء عن كل مايؤثم من فعل او ترك وهذا المعنى هو المراد باسم التقوى فى عرف الشرع الا ان الملائم لتخصيص الخطاب باهل مكة ان يراد بالتقوى المرتبة الاولى منه وهو التوقى عن العذاب المخلد بالتبرئ من الشرك كما هو المراد بقوله تعالى فألزمهم كلمة التقوى فانه تعالى امر الناس بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة والمعنى ان بالتقوى يندفع هذا الضرر العظيم عن النفس ودفع الضرر عن النفس معلوم الوجوب فثبت به وجوب التقوى والزلزلة تضعيف الزلة يقال زلت قدمه اذا زالت عن مكانها بسرعة ويقال زللت يافلان تزل زللا اذا زل فى طين او منطق ويصير متعدّيا بالتضعيف يقال زلزل الله تعالى الارض زلزالا فتزلزلت هى وقد يستعمل لازما بمعنى تزلزل فقوله تعالى ان زلزلة الساعة معناه ان تزلزل الساعة ولهذا فسرها الكواشى رحمه الله تعالى بقوله اى حركتها الشديدة بانزعاج فيكون المصدر مضافا الى فاعله وفسرها المصنف رحمه الله تعالى بالتحريك وجعلها اوّلا من اضافة المصدر الى فاعله المجازى على طريق اسناد الفعل الى زمانه وثانيا من اضافة المصدر الى ظرفه بتقدير فى وثالثا من غير تقدير والفرق بين الوجهين الاخيرين ان المضاف اليه فى كل واحد من الاحتمالين وان كان ظرفا للمضاف حقيقة الا انه قد توسع فيه واجرى مجرى المفعول به واضيف المصدر اليه على طريق اضافته الى المفعول به من غير تقدير كلمة فى كما فى قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وقول من قال ياسارق الليلة اهل الدار فى احد الاحتمالين بخلاف الاحتمال الآخر فان الظرف لم يتوسع فيه وكانت الاضافة اليه بتقدير فى كما فى ضرب اليوم واضافة المصدر معنوية سواء اضيف الى ظرفه او الى فاعله لانه ليس بصفة والاضافة انما تكون لفظية بان يكون المضاف صفة مضافة الى معمولها اى الى مرفوعها او منصوبها ﴿قوله﴾ وقيل هى زلزلة الخ ﴿﴾ عطف من حيث المعنى فان ماذكر ثانيا يدل على ان الساعة اما فاعل مجازى لهذه الزلزلة او زمان لها وعلى التقديرين هذه الزلزلة يوم القيامة وهو ظاهر ﴿قوله﴾ فيقوا على انفسهم ﴿﴾ اى يترجموا عليها يقال ابقيت على فلان اى ارعيت عليه ورحمته وفى الصحاح تقول ارعيت عليه اذا ابقيت عليه ورحمته ﴿قوله﴾ اذا دهشت ﴿﴾ اى اذا ادهشت الزلزلة التى ألقمت الرضيع ثديها حمل لفظ المرضعة على التى تلابس الارضاع بالفعل استدلالا بلحوق التاء اياه فان الاصل فى الصفات المختصة بالمؤنث ان لاتلحقها تاء التأنيث اذا قصد بها التى من شأنها ان تلابس الفعل فاما اذا قصد بها الدلالة على الملابسة بالفعل فحينئذ يجب ان تلحقها التاء فيقال حائضة وطالقة ومرضعة وطامثة فلما قيل فى الآية مرضعة بالتاء علم ان المراد بها التى باشرت الارضاع بالفعل وألقمت ثديها الصبى ﴿قوله﴾ وما موصولة ﴿﴾ فلابدّ من تقدير العائد اى عن الذى ارضعته وهو الطفل وان كانت مصدرية فلا حاجة الى التقدير اى عن ارضاعها ﴿قوله﴾ جنينها ﴿﴾ مبنى على ان الحمل بالفتح ماكان فى البطن او على رأس الشجرة وبالكسر ماكان على الظهر واستدل به من قال ان هذه الزلزلة تكون فى الدنيا لانه لامرضعة ولا حامل يوم القيامة ومن قال انها تكون يوم القيامة يقول هذا على جهة التمثيل اى لو كان مثلها فى الدنيا لذهلت المرضعة عما ارضعت وتضع الحامل حملها من غير تمام من شدّة دهشها ﴿قوله﴾ فارهقهم هوله ﴿﴾ والمعنى ولكنّ مارهقهم من خوف عذاب الله تعالى هو الذى اذهب عقولهم يقال رهقه بكسر الهاء اى غشيه وارهقه طغيانا اى اغشاه اياه والهول مصدر هاله الشئ اى افزعه ولاشك انه تعالى اذا بسط بساطه اى بساط عزته وسلطان جبروته وسرادق كبريائه بحيث الجأ النبيين الى ان قالوا نفسى نفسى يجعل هوله وافزاعه بحيث يغشى اهل الموقف بأسرهم مماشاهدوه من امارات مايكون من ذلك الموقف قرأ العامة رحمة الله عليهم وترى الناس بفتح التاء من ترى ونصب الناس على صيغة خطاب الواحد بمعنى تعلم والناس اوّل مفعوليه وسكارى ثانيهما وقرئ بضم التاء وكسر الرآء على بناء الفاعل وهو ضمير الزلزلة او الساعة فلابدّ حينئذ من تقدير المفعول الاوّل ليتم به المعنى اى وترى الزلزلة او الساعة اهل الموقف الناس سكارى فهو مفعول ثالث ويؤيد هذه القراءة قرأة من قرأ وترى الناس بضم التاء وفتح الرآء على مالم يسم فاعله ونصب الناس مضارع مبنى من المتعدّى الى ثلاثة مفاعيل الاوّل قائم مقام الفاعل وهو ضمير الخطاب والناس سكارى هما المفعولان الباقيان وهذا معنى قول المصنف رحمة الله عليه وقرئ ترى من اريتك قائما والاصل وترى الزلزلة او الساعة اياك الناس سكارى ويجوز ان يكون مضارع رأيت المتعدّى الى اثنين والمعنى

ان زلزلة الساعة ﴾ تحريكها للاشياء على الاسناد المجازى او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير فى او اضافة المصدر الى الظرف على اجرآئه مجرى المفعول به وقيل هى زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها ﴿شئ عظيم﴾ هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوّروها بعقولهم ويعلموا انه لايؤمنهم منها سوى التدرّع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويقوها بملازمة التقوى ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت﴾ تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعلوما اى تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التى ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه وذهلت عنه وما موصولة او مصدرية ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ جنينها ﴿وترى الناس سكارى﴾ كأنهم سكارى ﴿وماهم بسكارى﴾ على الحقيقة ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم

وقرئ ترى من اريتك قائما او رأيتك قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب مناب الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرأ حمزة والكسائى سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ﴿ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم﴾ نزلت فى النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهى تعمه وأضرابه ﴿ويتبع﴾ فى المجادلة او فى عامة احواله ﴿كل شيطان مريد﴾ متجرد للفساد واصله العرى ﴿كتب عليه﴾ على الشيطان ﴿انه من تولاه﴾ تبعه والضمير للشان ﴿فانه يضله﴾ خبر لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من يتولاه لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشأنه انه يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر فى الموضعين على حكاية المكتوب

وترى أيها الرسول قوما سكارى فبنى للمفعول واسند الى مفعوله الاوّل وترك الثانى منصوبا على حاله وهو معنى قوله رحمة الله عليه او رأيتك قائما وقوله بنصب الناس ورفعه على ترتيب اللف* ولما ورد ان يقال لما اسند الفعل الى الناس كان ينبغى ان يقال ويرى بالياء التحتانية* اجاب عنه بقوله وتأنيثه على تأويل الجماعة ﴿قوله وافراده بعد جمعه﴾ افراد الفعل وجمعه عبارة عن اسناده الى ضمير الواحد والجمع يعنى افراد فاعل الرؤية فى ترى الناس وجمعه فى يوم ترونها مبنى على ان المرئية فى يوم ترونها الزلزلة او الساعة وفى قوله وترى الناس جميع الناس رأى العين الزلزلة لكونها امرا مغايرا للناس بخلاف الحالة القائمة فان كل احد لا يرى الا ما قام بغيره ولا يرى الجميع ما قام بالجميع والازم ان يرى كل احد ما قام بنفسه وفيه بحث ظاهر وهو ان اسناد الفعل الى الجميع انما يقتضى قيامه بالجميع ولا يقتضى وقوع ما قام به من الجميع وما ذكره مبنى على ان يكون الخطاب فى قوله تعالى وترى الناس لكل من يصلح ان يكون مخاطبا على سبيل البدل ولو كان الخطاب لواحد بعينه وهو النبى صلى الله عليه وسلم لما قيل يراها الجميع اى يرى كل احد ما قام بغيره ﴿قوله سكرى كعطشى﴾ ووجه الشبه كون كل واحد منهما جمعا على فعلى مع كون واحده على وزن فعلان ولو قال بجرحى وقتلى ومرضى لصح التشبيه من حيث ان كل واحد منهما جمع على وزن فعلى الا ان المشابهة بين سكرى وعطشى أتم لما ذكرناه يقال رجل عطشان وقوم عطشى كما يقال جوعان وجوعى وكسلان وكسلى واللفظ انما يجمع على فعلى اذا كان مأخذه من قبل العلل والادواء نقل عن الفرآء رحمه الله تعالى انه قال والعرب تجعل فعلى جمعا لكل ذى زمانة وضرر وهلاك ولا يبالون أكان واحده فاعلا او فعيلا او فعلان ﴿قوله وهى تعمه واضرابه﴾ حال من فاعل نزلت لما امر الله تعالى مشركى اهل مكة بالاتقاء عن عقابه بملازمة طاعته خص من بينهم من هو متوغل فى المخالفة والعصيان ووصفه بالمخاصمة فى دين الله تعالى ووحدانيته وفيما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى بمجرد زعمه الفاسد وظنه الباطل من غير سند يسوقه اليه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما المريد المتمرد على الله تعالى يقال مرد الشئ اذا جاوز حدّ مثله واصله العرى يقال غلام امرد وغصن امرد اذا عرى عن الشعر والورق ﴿قوله كتب عليه على الشيطان﴾ صفة للشيطان والمعنى والله تبارك وتعالى اعلم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انّ من يقبل منه فهو ضال والكتبة والكتاب الحكم والقدر ويكون بمعنى الرقم والاثبات فالمعنى قضى عليه او رقم فأثبت فى امّ الكتاب وهو اللوح اى قد قضى الله تعالى على كل شيطان من الجنّ والانس انه من يتبعه ويتولاه فانه يضله عن الصراط المستقيم والدين القويم فاما الشيطان الجنى فبالوسواس والتسويلات والقاء الشبهات واما الشيطان الانسى فبايقاعه فى مذاهب اهل الهوى والبدع كالفلاسفة والزنادقة المنكرين للبعث والحساب ويقيمون عليهما البراهين المموّهة المشوبة بشوآئب الوهم والخيال وظلمة الطبيعة فاتباعه تقبل منه تلك الشبهات الزآئغة والدلائل الباطلة فيعتقدون بعقائده ويصيرون من جملته ويدخلون فى زمرته كما قال تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم قال صاحب الكشاف والكتبة عليه مثل اى كما نما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك فى حاله جعل الكتبة بمعنى الرقم والاملاء ولما تعذر حمله على الحقيقة حمله على التشبيه وجعل وجه الشبه ظهور ذلك الاضلال عليه ظهور المكتوب على ما كتب عليه واليه اشار المصنف بقوله والمعنى كتب عليه اى اثبت عليه ورقم فصار كان الاضلال شئ اثبت عليه ورقم ﴿قوله على تقدير فشأنه انه يضله﴾ يعنى فتح الهمزة فى قوله تعالى فانه يضله مبنى انه خبر مبتدأ محذوف اى فشأنه وحاله انه يضله قال صاحب الكشاف عفا الله تبارك وتعالى عنه وقرئ انه بفتح الهمزة وكسرها فمن فتح جعل الاولى نائب فاعل كتب والثانية عطفا عليها ولم يرض المصنف به حيث قال لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام يعنى ان كلمة ان الاولى لو كانت مرفوعة المحل على انها قائمة مقام فاعل كتب وكانت الثانية ايضا فى محل الرفع على كونها معطوفة على الاولى مؤكدة لها للزم عطف جملة تامّة على كلام غير تام لان قوله من تولاه مبتدأ لم يستوف خبره بعد لان كلمة من فيه ان قدّرتها موصولة فلا خبر لها وان جعلتها شرطية فلا جواب لها ولا يجوز العطف قبل التمام فى عطف الجمل فاعراب الآية أنّ كتب مبنى للمفعول على قرآءة العامّة وانه فى الموضعين مفتوح الهمزة اما الاولى فلكونها مع ما فى حيزها فى محل الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف وكلمة من فى قوله تعالى من تولاه يجوز ان تكون شرطية والفاء فى جوابها وان تكون موصولة والفاء زائدة فى الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط ﴿قوله على حكاية المكتوب﴾ فان كلمة ان الواقعة فى الكلام المحكى

مكسورة لكونها واقعة فى ابتدآء الكلام ولابدّ فى الحكاية ان تحفظ صورة الكلام المحكى ولاتغير عما هى عليه من هيئتها ﴿قوله﴾ او اضمار القول ﴿فيكون عليه فى موضع الرفع على انه قائم مقام الفاعل لقيل المضمر ثم انه تعالى لما حكى عنهم انهم يجادلون فى الله بغير علم وكان من جملة ماجادلوا فيه نفى صحة حقية البعث والحشر اورد مايدل على صحته بقوله تعالى ياأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث الآية قيل تحريك الوسط فى كل ماكان فيه العين من حروف الحلق قياس مطرد كالشعر والنهر وقيل ليس بقياس بل هما لغتان بمعنى كالجلب والجلب والطرد والطرد فيتوقف على السماع ثم انه تعالى ذكر فى مراتب النشأة الاولى ومبادیها سبعة امور الاوّل التراب فانه مبدأ لجميع الافراد الانسانية امابواسطة كونه مبدأ لاصلهم آدم عليه الصلاة والسلام اوبواسطة الغذآء وكونه مبدأ للمنى ودم الطمث فانه اماحيوانى اونباتى وغذآء الحيوانات ينتهى الى النبات قطعا للتسلسل والنبات انما يتولد من الارض والماء فصح قوله فانا خلقناكم من تراب على كل واحد من الاعتبارين فقوله فانظروا فى بدء خلقكم الخ اشارة الى ان قوله تعالى فانا خلقناكم ليس جزآء فى الحقيقة لكنه اقيم مقام الجزآء من حيث كون الاخبار به سببا مؤدّيا الى النظر فى مضمونه الذى هو مزيل لريبهم والمرتبة الثانية النطفة وهى ماء الفحل فان قلب التراب اليابس ماء رطبا لطيفا مبنى على قدرة باهرة لايبعد عنها اعادة الموتى والمرتبة الثالثة العلقة وهى قطعة الدم الجامدة ولاشك ان بين الماء وبين الدم الجامد مباينة شديدة والمرتبة الرابعة المضغة وهى اللحمة الصغيرة قدر مايمضغ والمرتبة الخامسة ماذكره بقوله ثم نخرجكم طفلا والسادسة ماذكره بقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدّكم والسابعة ماذكره بقوله ومنكم من يتوفى وقسم المضغة الى المخلقة وغير المخلقة اى الى المسوّاة الملساء المنزهة عن العيب يقال صخرة خلقاء اى ملساء لاعيب فيها وخلقت السواك اى سوّيته وملسته وقيل المخلقة هى التى تم وكمل خلقها بنفخ الروح فيها وهو الذى يولد لتمام مدّة الحمل حيا وغير المخلقة ماتسقطه المرأة غير حى ولم يكمل خلقه بنفخ الروح فيه وقيل المخلقة ماقد بدا خلقته وصورته وغير المخلقة مالم يصوّر بل تسقطه المرأة نطفة بيضاء اوعلقة اومضغة لم تبن خلقته وقدّم الوجه الاوّل لانه اوفق لبناء التفعيل الدال على تكثير الخلق فان الانسان ذو اعضاء متباينة وقوى متفاوتة فاذا كمل فيه جميع مايتم به خلقة النوع فقد كثر فيه الخلق واللام فى قوله تعالى لنبين متعلقة بمحذوف اى نقلناكم من حال ومن خلق الى خلق لنبين لكم بهذا التدريج من فعلنا وقدرتنا مالايسعه الذكر ولايحيط به الوصف واشير الى هذا التعميم بحذف المفعول وقوله تعالى ونقرّ فى الارحام مرفوع على الاستئناف وليس علة ماقبله حتى ينصب عطفا على العلة المتقدّمة روى عن الزجاج رحمة الله تعالى عليه انه قال قوله تعالى ونقرّ فى الارحام لايجوز فيه الاالرفع ولايجوز ان يكون المعنى فعلنا ذلك لنقرّ فى الارحام لان الله تعالى لم يخلق الانام ليقرّوا فى الارحام وانما خلقهم ليدلهم على رشدهم وصلاحهم ونقل المصنف رحمة الله تعالى عليه قرآءة النصب فيه وفى قوله تعالى ثم نخرجكم طفلا واشار الى دفع ماذكره الزجاج رحمة الله تعالى عليه بقوله وتقريرهم فى الارحام حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حدّ التكليف يعنى ليس الاقرار فى الارحام وحده علة الخلق المذكور حتى يرد ماذكر بل العلة هى مجموع الاقرار فى الرحم الى تمام مدّة الولادة والتولد طفلا والانشاء والبلوغ الى حدّ التكليف والعلة فى الحقيقة هى الاخير يعنى بلوغ حدّ التكليف اى حتى يكلفوا بمعرفة الله تعالى وتوحيده وطاعته فينالوا سعادة الآخرة لكن لما كان الاقرار فى الرحم وماتلاه من مقدّمات البلوغ ادخل فى التعليل قدّر لام العلة ايذانا بذلك وخص قوله لتبلغوا باعادة اللام للتنبيه على ان المقصود اوّلا وبالذات هو الثانى لاالاوّل من بين اجزآء الغرض وهو الجزء الثانى الاخير الذى هو البلوغ المذكور لانه اوان التكليف فقوله تعالى ثم لتبلغوا على هذه القرآءة معطوف على قوله تعالى ثم نخرجكم وقد اشار اليه المصنف بقوله حتى يولدوا وينشأوا وعلى قرآءة الرفع معطوف على قوله تعالى لنبين لكم * فان قلت مامعنى ثم فى الموضعين * فالجواب انه يحتمل ان يكون التراخى فى الرتبة وهو الاظهر الانسب بالمقام ويحتمل ان يكون للتراخى فى الزمان فان بلوغ الاشدّ متراخ عن الاخراج طفلا وهو غير الاقرار فى الارحام ولو باعتبار ابتدآء الاقرار فى الارحام ﴿قوله﴾ وقرئ بالياء ﴿اى وقرئ قوله تعالى ليبين ويقرّ بالياء التحتانية فيهما باسناد كل واحد من الفعلين اليه تعالى كما فى قرآءة النون وقرئ ويقرّ بفتح الياء من تحت وكسر القاف ونصب الرآء اى ويقرّ الله تعالى وهو من قرّ الماء اذا صبه وقرأ يعقوب فى رواية ونقرّ بفتح النون وضم القاف ورفع الرآء من قر الماء يقرّه

اواضمار القول اوتضمين الكتب معناه ﴿ويهديه الى عذاب السعير﴾ بالحمل على مايؤدّى اليه ﴿ياأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث﴾ من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب ﴿فانا خلقناكم﴾ اى فانظروا فى بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم ﴿من تراب﴾ اذ خلق آدم منه والاغذية التى يتكوّن منها المنىّ ﴿ثم من نطفة﴾ منىّ من النطف وهو الصب ﴿ثم من علقة﴾ قطعة من الدم جامدة ﴿ثم من مضغة﴾ قطعة من اللحم وهى فى الاصل قدر مايمضغ ﴿مخلقة وغير مخلقة﴾ مسوّاة لانقص فيها ولاعيب وغير مسوّاة اوتامة وساقطة اومصوّرة وغير مصوّرة ﴿لنبين لكم﴾ بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ماقبل التغيير والفساد ولتكوّن مرّة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اوّلا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى انّ افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته مالايحيط به الذكر ﴿ونقرّ فى الارحام مانشاء﴾ ان نقرّه ﴿الى اجل مسمى﴾ هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر اربع سنين وقرئ ونقرّ بالنصب وكذا قوله ﴿ثم نخرجكم طفلا﴾ عطفا على نبين كان خلقهم مدرّجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم فى الارحام حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حدّ التكلف وقرئ بالياء رفعا ونصبا ويقرّ بالياء ونقرّ من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت على تأويل كل واحد اوالدلالة على الجنس اولانه فى الاصل مصدر ﴿ثم لتبلغوا اشدّكم﴾ كما لكم فى القوّة والعقل جمع شدّة كالانعم جمع نعمة كانها شدّة فى الامور ﴿ومنكم من يتوفى﴾ عند بلوغ الاشدّ اوقبله وقرئ يتوفى اى يتوفاه الله ﴿ومنكم من يردّ الى ارذل العمر﴾ الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم

﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيأ﴾ ليعود كهيئته الاولى فى اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ماعلمه وينكر من عرفه والآية استدلال ثان على امكان البعث بمايعترى الانسان فى اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادّة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره ﴿وترى الارض هامدة﴾ ميتة يابسة من هَمدت النار اذا صارت رمادا ﴿فاذا انزلنا عليها الماء اهتزّت﴾ تحرّكت بالنبات ﴿وربت﴾ وانتفخت وقرئ ربأت اى ارتفعت ﴿وانبتت من كل زوج﴾ من كل صنف ﴿بهيج﴾ حسن رآئق وهذه دلالة ثالثة كرّرها الله تعالى فى كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ﴿ذلك﴾ ﴿٣٧٦﴾ اشارة الى ماذكر من خلق الانسان فى اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادّة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره ﴿بان الله هو الحق﴾ اى بسبب انه الثابت فى نفسه الذى به يتحقق الاشياء ﴿وانه يحيي الموتى﴾ وانه يقدر على احيائها والا لما احيي النطفة والارض الميتة ﴿وانه على كل شئ قدير﴾ لان قدرته لذاته الذى نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها ﴿وان الساعة آتية لاريب فيها﴾ فان التغير من مقدّمات الانصرام وطلائعه ﴿وان الله يبعث من فى القبور﴾ بمقتضى وعده الذى لايقبل الخلف ﴿ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم﴾ تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله ﴿ولاهدى ولا كتاب منير﴾ على انه لاسند له من استدلال اووحى اوالاوّل فى المقلدين وهذا فى المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطرىّ ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ﴿ثانى عطفه﴾ متكبرا وثنى العطف كناية عن التكبر كلىّ الجيد اومعرضا عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين اى مانع تعطفه ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ علة للجدال وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث هو مؤدّاه كالغرض له ﴿له فى الدنيا خزى﴾ وهو ماأصابه يوم بدر ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ المحرق وهو النار ﴿ذلك بما قدّمت يداك﴾ على الالتفات اوارادة القول اى يقال له يوم القيامة ذلك الخزى والتعذيب بسبب ماأقترفته من الكفر والمعاصى ﴿وان الله ليس بظلام للعبيد﴾ وانما هو مجازيهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ على طرف من الدين لاثبات له فيه كالذى يكون على طرف الجيش فان أحس بظفر قرّ والافرّ ﴿فان اصابه خير اطمأنّ به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه﴾ روى انها نزلت فى اعاريب قدموا الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ماأصبت منذ دخلت فى دينى هذا الاخيرا (من) فاطمأنّ وان كان الامر بخلافه قال ماأصبت الاشرّا وانقلب وعن ابى سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أقلنى فقال ان الاسلام لايقال فنزلت ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه اوعلى انه خبر محذوف ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ اذلاخسر مثله ﴿يدعو من دون الله مالايضرّه وما لاينفعه﴾ يعبد جمادا لايضرّ بنفسه ولاينفع ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد فى التيه ضلالا

اذا صبه وقوله كالكم فى القوّة والعقل يعنى ان الاشدّ كمال القوّة فى الحواس والقوى والجوارح كلها وهو فيما بين الثلاثين والاربعين وقيل من ثمانى عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل الى ست وثلاثين سنة ﴿قوله تعالى لكيلا يعلم﴾ متعلق بقوله يردّ * فان قيل كيف قال لكيلا يعلم من بعد علم شيأ مع انه يعلم بعض الاشياء كالطفل * اجيب بان المراد انه يزول عقله فيصير كأنه لايعلم شيأ فان مثل ذلك قد يذكر فى مقام نفى العقل للمبالغة ﴿قوله تحرّكت بالنبات﴾ الاهتزاز الحركة الواقعة على البهجة والسرور فلا يقال اهتزّ فلان لكيت وكيت الا اذا كان ذلك الامر من المحاسن والمنافع قيل الاصل اهتزّ وربا نباتها فحذف المضاف واسند كل واحد من الفعلين الى نفس الارض فمن قرأ ربت فمعناه الزيادة من اىّ جهة كانت ومن قرأ بالهمزة فسره بقوله ارتفعت وزادت من جهة العلوّ وقوله تعالى وان الساعة يحتمل ان يكون معطوفا على المجرور بالباء وان يكون خبر مبتدأ محذوف حذف لدلالة المقام عليه والتقدير والامر أن الساعة آتية ولاريب فيها يحتمل ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا ﴿قوله تكرير للتأكيد﴾ يعنى ان هذه الآية نزلت ايضا فى النضر بن الحارث وفائدة التكرير المبالغة فى الذم وليزيد عليه انه لاسند له فى مجادلته من دليل عقلى ولا وحى سماوىّ كالاسند فى مجادلته من العلم الضرورى والنظرى كأنه قيل انه يجادل من غير مقدّمة ضرورية ولانظرية ولاسمعية وهو قوله تعالى ويعبدن من دون الله مالم ينزل به سلطانا ومالىس لهم به علم ومالظالمين من نصير وقيل الآية الاولى واردة فى التابعين المقلدين وهذه الآية فى المتبوعين المقلدين فان كل واحد من الفريقين يصدق عليه انه يجادل من غير علم وان كان احدهما تبعا والآخر متبوعا ويؤيد هذا القول قوله تعالى ليضل عن سبيل الله بغير علم فان المضل هو المقلد المتبوع لا التابع * والثنى اللىّ والعطف بكسر العين الجانب الذى يعطفه الانسان ويلويه ويميله عند الاعراض عن الشئ وهو عبارة عن الكبر والخيلاء والعطف بفتح العين التعطف والبرّ ﴿قوله﴾ على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه ﴿متعلق بقرآءة من قرأ ليضل بفتح الياء فانه لما ورد على هذه القرآءة ان يقال المجادل ماكان مهتديا حتى يخرج بالجدال من الهدى الى الضلال اجاب عنه بانه لما كان متمكنا من الاهتداء بان يتذكر فيما نصب من الدلائل والآيات فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال وورد ايضا ان يقال ماكان عرضه من الجدال ان يضل عن الهدى اويضل غيره عنه فكيف قيل ليضل فاجاب عنه بان الضلال لما كان عاقبته مترتبة على جداله شبه بالغرض المطلوب منه فأدخل عليه لام العلة لذلك ﴿قوله﴾ وهو ماأصابه يوم بدر ﴿روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هذه الآية نزلت فى النضر بن الحارث فانه قتل يوم بدر ومن قال انها لم تنزل فى واحد بعينه حمل خزى الدنيا على ذم المؤمنين ولعنهم وقهرهم اياهم فان الخزى وهو الهوان والفضيحة لايلزم ان يكون بالقتل وقوله عذاب الحريق يجوز ان يكون من باب اضافة الموصوف الى الصفة والاصل العذاب الحريق اى المحرق كالسميع بمعنى المسمع وجعله المصنف رحمة الله تعالى عليه من اضافة المسبب الى سببه وجعل الحريق عبارة عن النار ﴿قوله والمبالغة لكثرة العبيد﴾ جواب عما يقال الظاهر ان يقال انه تعالى ليس بظالم للعبيد ليفيد نفى اصل الظلم ونفى كونه مبالغا مفرطا فى الظلم لايفيد نفى اصله * وتقرير الجواب ان المراد نفى اصل الظلم وذكر لفظ المبالغة مبنى على كثرة العبيد ثم انه تعالى ولما وصف حال المظهرين للشرك المجادلين فيه عقبه بذكر حال المتزلزلين المذبذبين فقال تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فقوله على حرف حال من فاعل يعبد والحرف والناحية والوسط والطرف من صفات الاجسام وصف به الدين على سبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه حال من يعبد الله تعالى حال كونه على قلق فى دينه من غير ثبات وطمأنينة قلب بحال من يكون على طرف من العسكر ونحوه فان احس بظفر وغنيمة قرّ واطمأنّ والافرّ ﴿قوله تعالى وان اصابته فتنة انقلب على وجهه﴾ المراد بها ههنا مايستكرهه الطبع ويثقل على النفس كالجدب والمرض وسائر المحن والا لما صح ان يجعل مقابلا للخير لانه ايضا فتنة وامتحان قال تعالى ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة ولم يقل وان اصابه شرّ مع انه هو المقابل للخير لان مايتنفر عنه الطبع ليس شرّا فى نفسه بل هو سبب القربة ورفع الدرجة بشرط التسليم والرضى بالقضاء ﴿قوله﴾ مهرا سريا ﴿اى خطيرا كريما﴾ ﴿قوله ووضع الظاهر﴾ بالجرّ عطفا على قوله والفاعلية فان الظاهر ان يكون قوله انقلب مسندا الى ضمير مستتر راجع الى من فى قوله تعالى ومن الناس من مثل ضمير قوله تعالى اطمأنّ به فلما جعل خاسر الدنيا مرفوعا على انه فاعل انقلب فقد وضع الظاهر موضع الضمير المستتر فى انقلب تنصيصا على خسران المنقلب ﴿قوله﴾ مستعار من ضلال من ابعد فى التيه ﴿اى شبه ضلال

من عبد من دون الله تعالى مالا يضرّه ان لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده عن سوآء السبيل وهو التوحيد والطاعة وما هو الحق اعتقادا اوعملا بضلال من ابعد فى التيه ضالا فوصف الضلال المشبه بما هو من خواص الضلال المشبه به وهو البعد فان القرب والبعد من عوارض المسافة الحسية فكان اثبات البعد له استعارة تخييلية قرينة للاستعارة بالكناية فالظاهر انه شبه العدول عن الحق المشبه بالمسافة الحسية والصراط المسلوك فيها حسا بالضلالة عن الصراط المستقيم وشبه التوغل فى ذلك العدول بالبعد عن المسلك الحسى فعبر عن التوغل فى العدول عن الحق باسم الضلال البعيد على سبيل الاستعارة التصريحية ثم لابدّ مع اعتبار هذه الاستعارة من تقدير مضاف فى البعيد اى البعيد مسافته واضافة المسافة الى الضلال لادنى الملابسة فان الضلال واقع فى تلك المسافة ﴿ **قوله** لمن ضرّه بكونه معبودا ﴾ اشارة الى دفع مايقال كيف نفى النفع والضرّ عن الاصنام فى قوله تعالى يدعو من دون الله مالا يضرّه ومالا ينفعه واثبتهما لها فى قوله تعالى لمن ضرّه اقرب من نفعه * وتقدير الدفع ان معنى الآية الاولى ان الكافر لنهاية جهله وحماقته يعبد جمادا لا يضرّ ولا ينفع بنفسه والضرر المثبت للاوثان فى الآية الثانية ليس ضررها بانفسها ليلزم التناقض بل المراد من ضررها كون عبادتها سببا للضرر وذلك يكفى فى اضافة الضرر اليها كقوله تعالى انهنّ اضللن كثيرا من الناس واضافة الاضلال اليهنّ من حيث كونهنّ اسبابا للضلال فكذا ههنا نفى الضرر عنهنّ اوّلا بمعنى كونهنّ فاعلة له واضاف الضرر اليهنّ فى هذه الآية بمعنى كون عبادتهنّ سببا للضرر وكذا النفع المضاف اليهنّ ليس نفعها فى نفسها بل هو النفع فى زعم العابدين وتوقعهم ﴿ **قوله** والزعم قول مع اعتقاد ﴾ جواب عما يقال كيف يكون يدعو معلقا بلام الابتدآء وليس هو من افعال القلوب وكذا الزعم والتعليق من خصائص افعال القلوب وفيه اشارة الى جواب آخر عن سؤال التناقض * تقريره ان نفى الضرّ والنفع عن الاصنام حكم من الله تعالى حكم به على الكافر المنقلب على وجهه انه يدعو ويعبد من دون الله تعالى مالا يضرّه ولا ينفعه بنفسه ثم حكى عنه انه يزعم اى يقول ويعتقد يوم القيامة حين استضراره بسبب عبادة الاصنام لمن ضرّه اقرب من نفعه لبئس المولى وباختلاف الحاكم يندفع التناقض فجملة لمن ضرّه فى حيز مفعول يدعو الا انه علق الفعل بلام الابتدآء ﴿ **قوله** اجرآءه مجرى يقول ﴾ يعنى ان المقام مقام حكاية قول الكافر الا انه وضع يدعو موضع يقول ليدل على قول فيه صراخ ودعاء فلما كان يدعو الثانى بمعنى يقول مضمنا معنى الدعاء والصراخ كان النافى للضرر والنفع عن الاصنام هو الله تعالى والمثبت لهما هو الكافر فاندفع التناقض بهذا الوجه ايضا ﴿ **قوله** اومستأنفة ﴾ عطف على قوله واللام معلقة كانه قيل جملة قوله لمن ضرّه فى محل النصب على انها فى حيز مفعول يدعو مستأنفة لامحل لها من الاعراب فيكون يدعو الثانى تكريرا للاوّل وتأكيدا له فلا معمول له لفظا ولا تقديرا كانه قيل يدعو من دون الله الذى لا يضرّه ولا ينفعه فعلى هذا يكون قوله ذلك هو الضلال البعيد جملة معترضة بين المؤكد والمؤكد لان فيها تشديدا وتأكيدا للكلام ويكون قوله تعالى لمن ضرّه كلاما مستأنفا واللام فيه للابتدآء ومن موصولة وضرّه مبتدأ واقرب خبره والجملة صلة من ولبئس جواب قسم مقدّر والقسم المقدّر مع جوابه خبر للمبتدأ الذى هو الموصول ثم انه تعالى لما ذكر المشركين المجادلين بالباطل الذين يعبدون الله على حرف وبين ما آل امرهم ذكر المؤمنين المتمكنين على الايمان والاعمال الصالحة وبين ثوابهم فى الآخرة ثم قال ان الله يفعل مايريد باهل طاعته من اهل الكرامة واهل معصيته من اهل الهوان والفضيحة ﴿ **قوله** كلام فيه اختصار ﴾ فان قوله تعالى من كان يظنّ ان لن ينصره الله فى الدنيا باعلاء كلمته واظهار دينه وفى الآخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه يستدعى كلاما يذكر فيه ان الله ينصر رسوله فى الدنيا والآخرة ومنكرا ينكر ذلك حسدا وعداوة ويطمع انه تعالى لا يفعل ذلك ويغيظه حتى يكون هذا الكلام ردّا له واقناطا وترهيبا وقهرا ﴿ **قوله** وقيل المراد بالنصر الرزق ﴾ على ان يكون ضمير ينصره راجعا الى من فى قوله تعالى من كان يظنّ بناء على ان من حق الضمير ان يرجع الى المذكور اذا امكن ذلك ومن ذهب الى انه يرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجر ذكره فى هذه الآية قال قد ذكر فيها مايدل عليه عليه الصلاة والسلام وهو أن الايمان لا يتم الا بالله ورسوله فعلى تقدير ان يكون النصر بمعنى الرزق يكون المعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيئته ولابدّ للعبد من الرضى بقسمته فان من لم يرض برزق الله تعالى وليس به صبر واستسلام لما قسم الله تعالى له فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يغلب القسمة * والسبب الحبل والسماء قيل المراد بها سقف البيت بناء على ان كل ماعلاك فهو سماء

﴿ يدعو لمن ضرّه ﴾ بكونه معبودا لانه يوجب القتل فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ﴿ اقرب من نفعه ﴾ الذى يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله تعالى واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد اوداخلة على الجملة الواقعة مفعولا اجرآءه مجرى يقول اى يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به اومستأنفة على أنّ يدعو تكرير للاوّل ومن مبتدأ وخبره ﴿ لبئس المولى ﴾ الناصر ﴿ ولبئس العشير ﴾ الصاحب ﴿ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل مايريد ﴾ من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لادافع له ولامانع ﴿ من كان يظنّ ان لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة ﴾ كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة فمن كان يظنّ خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن ﴿ فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع ﴾ فليستقص فى ازالة غيظه اوجزعه بان يفعل كل مايفعله الممتلئ غضبا اوالمبالغ جزعا حتى يمدّ حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه اوفليمدد حبلا الى السماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد فى دفع نصره اوتحصيل رزقه وقرأ ورش وابو عمرو وابن عامر ليقطع بكسر اللام

﴿ فلينظر ﴾ فليتصوّر فى نفسه ﴿ هل يذهبنّ كيده ﴾ فعله ذلك وسماه على الاوّل كيدالانه منتهى مايقدر عليه ﴿ مايغيظ ﴾ غيظه اوالذى يغيظه من نصرالله وقيل نزلت فى قوم من المسلمين استبطأ وانصرالله لاستعجالهم وشدّة غيظهم على المشركين ﴿ وكذلك ﴾ ومثل ذلك الانزال ﴿ انزلناه ﴾ أنزلنا القرآن كله ﴿ آيات بينات ﴾ واضحات ﴿ وان الله يهدى ﴾ ولأنّ الله يهدى به اويثبت على الهدى ﴿ من يريد ﴾ هدايته اوثباته انزله كذلك مبينا ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ﴾ بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من البطل اوالجزآء فيجازى كلا مايليق به ويدخله المحل المعدّله وانما دخلت ان على كل واحد من طرفى الجملة لمزيد التأكيد ﴿ ان الله على كل شئ شهيد ﴾ عالم به مراقب لاحواله ﴿ ألم تر ان الله يسجد له من السموات ومن فى الارض ﴾ يتسخر لقدرته ولايتأبى عن تدبيره اويدل بذله على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولى العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله ﴿ والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ﴾ افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف اوالجمع بين الساكنين ﴿ وكثير من الناس ﴾ عطف عليها ان جوّز اعمال اللفظ الواحد فى كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم اومبتدأ خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب اوفاعل فعل مضمراى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة ﴿ وكثير حق عليه العذاب ﴾ بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاوّل مبالغة فى تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله ﴿ ومن يهن الله ﴾ بالشقاوة ﴿ فماله من مكرم ﴾ يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ﴿ ان الله يفعل مايشاء ﴾ من الاكرام والاهانة

وقيل المراد بها سماء الدنيا والمعنى فليمدد الذى يغيظه نصرالله تعالى ورسوله اويجزعه قلة رزقه بحبل الى السماء المظلة ثم ليقطع بالمسافة الخ وعنان السماء جانبها الذى يعترض لك من اقطارها ومن فى قوله تعالى من كان يظنّ يجوز ان تكون شرطية وهو الظاهر وان تكون موصولة وفليمدد اماجزآء الشرط اوخبرللموصول والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط وهل يذهبنّ فى محل النصب على اسقاط الخافض اى فى انه هل يذهبنّ ﴿ قوله فليتصوّر فى نفسه ﴾ لما دل ظاهر نظم الآية على ان الامر بالنظر بعد الاختناق لايصح ان يحمل على النظر والتأمل صرف الكلام عن ظاهره وجعل النظر المأمور به عبارة عن ان يتصوّر انه ان فعل ذلك هل يذهب الذى يغيظه من نصرالله تعالى وهو سابق على الاختناق كانه قيل فليتأمل انه ان فعل ذلك هل يذهب كيده ومايغيظه والفاء فى فلينظر محمول على التراخى الرتبى ثم انه تعالى لماقال وان الله يهدى من يريد اتبعه ببيان من يهديه ومن لايهديه فقال تعالى ان الذين آمنوا الآية وانّ الثانية مع اسمها وخبرها فى محل الرفع على انه خبرانّ الاولى كما فى قولك ان زيدا ان الخير عنده لكثير والصابئون من صبأ الرجل عن دينه اذا خرج منه الى دين آخر وهم قوم كانوا يعبدون النجوم ويعظمونها وقال قتادة هم قوم كانوا يعبدون الملائكة وقال مجاهد هم قبيلة بين اليهود والمجوس قيل كانوا يعبدون النار وقيل يعبدون الشمس والقمر وقيل اعتزلوا النصارى ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيأ ومن دين اليهود شيأ وهم القائلون بان للعالم الهين نورو ظلمة ﴿ قوله بالحكومة بينهم اوالجزآء ﴾ يعنى ان المراد بالفصل اما الفصل بالحكم بان هذا محق وذلك مبطل اوالفصل بالجزآء بان لايجمع الجميع فى موطن واحد بل يجازى كل واحد بمايليق به ويدخله الدار المعدّة له ﴿ قوله يتسخر لقدرته ولايتأبى عن تدبيره ﴾ لما دخل كفرة الانس ومردة الجنّ والشياطين وسائر الحيوانات والجمادات فى عمومه اى فى عموم قوله من فى السموات وليس فيهم من يسجد سجود طاعة وعبادة وهو وضع الجبهة على الارض خضوعا لله تعالى حمل السجود على معنى مجازى يتصوّر فى كل موجود ممكن وهو كونه منقادا مسخرا لقدرته ومشيئته تعالى غير متأبى عن شئ مما يحدث فيه من افعاله وتدبيره تشبيها لهذا الانقياد والمطاوعة بالسجود الحقيقى الصادر عن المكلف واطلاقا لاسم المسجود المشبه به على المشبه على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية ثم اشتق من هذا السجود بهذا المعنى لفظ يسجد فسرت الاستعارة اليه تبعا والمعنى تنقاد له المكوّنات باسرها ﴿ قوله اويدل بذله على عظمة مدبره ﴾ عطف على قوله يتسخر يعنى ان السجود فى الآية مجاز اما عن المسخرية والانقياد اوعن الدلالة على عظمة الملك المدبر فان السجود الحقيقى انما يكون على طريق الخضوع والتعظيم فيدل لامحالة على العظمة والكبرياء فكذا جميع هذه المذكورات تدل عليهما فشبه دلالتها عليهما بالسجود الحقيقى فاطلق عليها اسم السجود ﴿ قوله وقرئ والدواب بالتخفيف ﴾ اى بتخفيف الباء بحذف الباء الاولى كراهية التضعيف اوالجمع بين الساكنين ﴿ قوله عطف عليها ان جوّز الخ ﴾ جواب عما يقال السجود بمعنى المسخرية للقدرة والارادة اوبمعنى الدلالة على عظمة المدبر عام فى حق الناس جميعا فاسناده الى كثير منهم يكون تخصيصا من غير فائدة وتخصيص الكثير بالذكر يدل على ان المسند الى الكثير السجود الحقيقى وذلك يستلزم ان يكون لفظ يسجد مستعملا فى المعنيين باطلاق واحد * وتقرير الجواب ان من جوّز اعمال اللفظ الواحد فى كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احد مفهوميه الى امر وباعتبار مفهومه الآخر الى امر آخر فلاشك ان المسند الى كثير من الناس هو السجود الحقيقى والى الآحاد الباقية وسائر المذكورات السجود بالمعنى المجازى والسجود بهذا المعنى وان صح اسناده الى كثير من الناس ايضا الا ان تخصيص الكثير بالذكر يدل على ان المسند اليهم سجود مخصوص مغاير للسجود المسند الى الافراد الباقية ومن لم يجوّز ذلك لايجعل قوله وكثير من الناس معطوفا على ماقبله بل يجعله مبتدأ محذوف الخبر اوفاعل فعل مضمر وتقدير الآية ولله يسجد من فى السموات ومن فى الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاوّل بمعنى الانقياد والثانى بمعنى العبادة والطاعة ﴿ قوله وان يعطف به ﴾ اى ويجوز ان يكون قوله وكثير حق عليه العذاب موصوفا وصفة عطف به على ماقبله ويكون العامل فى جميع المعطوفات السجود بالمعنى العام وماذكر من ان تخصيص الكثير بالذكر يكون لغوا حينئذ فالجواب عنه ان ذكر الكثير ليس لتخصيص الحكم بهم ونفيه عما عداهم حتى يكون لغوا باطلا بل المراد بذكره تفصيل الناس الى من هو ساجد بذاته وبظاهره والى من هو ساجد بذاته متمرّد بظاهره وبيان ان الكل ساجد له تعالى بالمعنى العام ﴿ قوله وقرئ حق بالضم ﴾ فان حق يستعمل لازما

﴿ هذان خصمان ﴾ اى فوجان مختصمان ولذلك قال ﴿ اختصموا ﴾ حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون ﴿ فى ربهم ﴾ فى دينه او فى ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود نحن أحق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت ﴿ فالذين كفروا ﴾ فصل لخصومتهم وهو المعنىّ بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ﴿ قطعت لهم ﴾ قدّرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ﴿ ثياب من نار ﴾ نيران تحيط بهم احاطة الثياب ﴿ يصب من فوق رؤسهم الحميم ﴾ حال من الضمير فى لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار ﴿ يصهر به ما فى بطونهم والجلود ﴾ اى يؤثر من فرط حرارته فى باطنهم تأثيره فى ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير ﴿ ولهم مقامع من حديد ﴾ سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اى يكف بعنف ﴿ كلما ارادوا ان يخرجوا منها ﴾ من النار ﴿ من غم ﴾ من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار ﴿ اعيدوا فيها ﴾ اى فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها ﴿ وذوقوا ﴾ اى وقيل لهم ذوقوا ﴿ عذاب الحريق ﴾ النار البالغة فى الاحراق ﴿ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ﴾ غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده بانّ اجادا لحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم ﴿ يحلون فيها ﴾ من حليت المرأة اذا لبستها الحلىّ وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد ﴿ من أساور ﴾ صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهى جمع سوار ﴿ من ذهب ﴾ بيان له ﴿ ولؤلؤ ﴾ عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وترك ابو بكر والسوسى عن ابى عمرو الهمزة الاولى وقرئ لؤلو بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلبت الثانية ياء ولياليا بقلبهما ياءين ولول كأدل ﴿ ولباسهم فيها حرير ﴾ غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة ومتعدّيا يقال حققت الشئ بمعنى اثبته وحق الشئ اى ثبت ثم انه تعالى بين ان الناس قسمان منهم من يسجد ومنهم من حق عليه العذاب ولا شك ان طريق الفريقين يستلزم بيان الاختصام بينهما فذكر الله تعالى كيفية اختصامهما فقال هذان خصمان ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون الخصم صفة لموصوف مفرد اللفظ مجموع المعنى كالفوج والفريق وكان قوله خصمان فى معنى فوجان مختصمان وكان كل فوج جماعة متكثرة صح اسناد اختصموا الى ضمير الجمع كما فى قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فثنى قوله هذان اعتبارا لمعناه ولو عكس جاز كما جاز اعتبار المعنى فقط بان قيل هؤلاء خصمان اختصموا واعتبار اللفظ بان قيل هذان خصمان اختصما ﴿ قوله نيران تحيط بهم احاطة الثياب ﴾ يعنى ان قوله تعالى ثياب مستعار للنيران التى يقطعها الله تعالى ويلبسها لهم على مقادير جثثهم تشبيها لها بالثياب الملبوسة فى احاطة البدن ﴿ قوله تعالى يصهر به ﴾ اى يذاب يقال صهرت الشئ فانصهر اى اذبته فذاب فهو صهير اذا ذاب روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لو سقطت قطرة من الحميم الذى يصب على رؤس اهل النار على جبال الدنيا لأذابتها وعن الحسن رضى الله تعالى عنه قال ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا فى اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وفى الحديث الشريف * لو وضعت مقمعة منها فى الارض فاجتمع الثقلان ما اقلوها * ﴿ قوله النار البالغة فى الاحراق ﴾ اشارة الى ان الحريق بمعنى المحرق كالسميع بمعنى المسمع والعدول الى صيغة الفعيل للدلالة على المبالغة ﴿ قوله غير الاسلوب ﴾ فانه من تمام فصل الخصومة مقابل لقوله تعالى فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار فالاسلوب المناسب له ان يقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات اعدّت لهم جنات ﴿ قوله صفة مفعول محذوف ﴾ اى يحلون فيها حليا كائنا من اساور او ملبوسا كائنا من اساور وفيه بحث لان حليت وحليت مشدّدا ومخففا بمعنى واحد لا يتعدّى شئ منهما الا الى مفعول واحد يقال حليت المرأة احليها حليا وحليتها تحلية اذا جعلت لها حليا فكيف يقدر ليحلون مفعول منصوب الا ان يجعل يحلون بمعنى يلبسون والظاهر ان تجعل من ابتدآئية متعلقة بيحلون ﴿ قوله الا ان يراد المرصعة ﴾ على ان يكون المعنى ان الاساور قد تكون متخذة من الذهب وحده ومن اللؤلؤ وحده الا ان اتخاذ السوار من اللؤلؤ وحده غير معهود وانما يجوز عطفه على ذهب على ان يكون المعنى من اساور منهما بان يرصع اللؤلؤ فى الذهب وظاهره ان السوار قد يتخذ من اللؤلؤ وحده وينضم بعضه الى بعض غاية ما فى الباب انه لا يكون ذلك معهودا فى زمان المفسرين وقرأ نافع وعاصم بنصب لؤلؤ والباقون بجرّه وقد ذكر المصنف رحمة الله عليه وجه كل واحد منهما واختلف فى رسم هذه اللفظة فى الامام فنقل الاصمعى رحمة الله تعالى عليه انها فى الامام لولو بغير الف بعد الواو ونقل انها ثابتة ايضا فى الامام بعد الواو وقرأ حفص عن عاصم لؤلؤ بهمزتين وروى ابو بكر عنه ايضا لؤلو بقلب الهمزة الثانية واوا وقرئ لوليا بالواو اوّلا وبالياء آخرا والاصل لؤلؤا بهمزتين ابدلت كل واحدة منهما واوا فصار آخر الاسم المتمكن واوا قبلها ضمة وهو غير معهود فى كلام العرب الا فى كلمة هو ففعل فيها ما فعل بادل جمع دلو بان قلبت الواو ياء والضمة كسرة وفعل هذا من قرأ ايضا ليليا بياءين ثم اتبع الواو الاولى للثانية فى القلب وقرئ ولول بالجرّ عطفا على المجرور قبله والاصل لؤلؤ ابدلت الهمزتان واوين ثم اعل اعلال ادل بان قلبت ضمة اللام كسرة والواو ياء ثم اعل اعلال قاض ﴿ قوله غير اسلوب الكلام ﴾ يعنى الظاهر ان يقال ولؤلؤا وحريرا بجرّ اللفظين او نصبهما على طريق عطف المفرد على المفرد الا انه عدل عنه الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والثبات ﴿ قوله او للمحافظة على هيئة الفواصل ﴾ فانه لو قيل وحريرا بالنصب لم تكن هيئة الكلمة على هيئة الحديد والحريق والحميد حال الوقف بخلاف ما لو قيل وحرير بالجرّ فانه لا تفوت محافظة هيئة الفواصل حينئذ فهذا التعليل انما ينفع ان لو قرئ وحريرا بالنصب دون الجرّ ﴿ قوله وهو الجنة ﴾ اى المحمود نفسه الجنة والمحمود عاقبته الحق كانه قيل وهدوا الى صراط الجنة التى هى المحمودة نفسها او الى صراط الحق المحمود عاقبته او الى صراط الله تعالى المستحق لذات الحمد ثم انه تعالى لما فصل الخصومة بين المؤمنين والكفار ذكر عظم حرمة البيت وعظم كفر هؤلاء فقال تعالى ان الذين كفروا قيل نزلت فى ابى سفيان واصحابه حين صدّوه عليه الصلاة والسلام عام الحديبية عن البيت فكره صلى الله عليه وسلم قتالهم وهو محرم ثم صالحوه على ان يعود فى العام القابل ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون قوله يصدّون لا يقصد به الدلالة على زمان معين من حال او استقبال وانما يراد به مجرّد الاستمرار فكانه قيل ان الذين كفروا من شأنهم الصدّ عن سبيل الله ومثله قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب او للمحافظة على هيئة الفواصل ﴿ وهدوا الى الطيب من القول ﴾ وهم قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده او كلمة التوحيد ﴿ وهدوا الى صراط الحميد ﴾ المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام ﴿ ان الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله ﴾ لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصدّ منهم كقولهم فلان يعطى ويمنع لذلك حسن عطفه على الماضى

حسن عطفه على الماضى ﴿ **قوله** وقيل هو حال من فاعل كفروا ﴾ لم يرض به لان الجملة الحالية اذا كانت فعلية وكان الفعل مضارعا مثبتا امتنع دخول الواو عليه قال تعالى ولا تمنن تستكثر اى لا تعط حال كونك تعدّ ما تعطيه كثيرا ورد منه على قلة كقول بعض العرب قمت واصك وجهه * وقول من قال فلما نشبت اظافيرهم * اى اسلحتهم * نجوت وارهنهم مالكا * مؤوّل بحمل الكلام على حذف المبتدأ اى وانا اصك وانا ارهنهم فلا يحمل عليه القرآن العظيم وعلى القولين خبرانّ محذوف لدلالة آخر الآية عليه فظاهر كلام المصنف رحمة الله عليه يدل على ان موضع تقديره بعد قوله عن سبيل الله وتقدير الخبر قبل تمام الاسم بمتعلقاته لا يخلو عن بعد وقد قدّره صاحب الكشاف بعد قوله تعالى والمسجد الحرام وقيل انه يستلزم الفصل بين الصفة والموصوف باجنبيّ وهو خبر انّ لان قوله الذى جعلناه صفة للمسجد الحرام فيصير نظم التركيب هكذا ان الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم الذى جعلناه للناس فالظاهر ان موضع التقدير بعد قوله تعالى والباد وللزمخشرى عفا الله تبارك وتعالى عنه ان يجيب عما يتوجه اليه من الاعتراض بان يقول لا نسلم ان قوله الذى جعلناه صفة للمسجد حتى يلزم ما ذكر بل هو مقطوع عنه منصوب بتقدير اعنى او مرفوع بتقدير هو ﴿ **قوله** وأوّله الحنفية بمكة ﴾ وقالوا المراد من المسجد الحرام الحرم كله كما فى قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وقد اسرى به من بيت امّ هانى واستدلوا على ان اراضى مكة لا تملك بهذه الآية وقالوا انها لو ملكت لما استوى العاكف فيها والبادى فلما استويا ثبت ان سبيلها سبيل المسجد واستدلوا عليه ايضا بقوله عليه الصلاة والسلام مكة مناخ لما سبق اليها وقال الامام الشافعى رحمة الله عليه يجوز بيع دور مكة واجارتها وقال قوله سواء العاكف فيه والباد المراد به استواؤهما فى تعظيم حرمته وقضاء النسك فيه واليه اشار المصنف بقوله وهو مع ضعفه ووجه الضعف انه لا يلزم ان يكون المراد بقوله سواء المساواة فى الانتفاع بمنازل مكة ودورها لجواز ان يراد به الاستواء فى تعظيمه والعبادة فيه بمعنى انه ليس للمقيم ان يمنع من العبادة فيه البادى وبالعكس ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام * يا بنى عبد المطلب من ولى منكم من امور الناس شيأ فلا يمنعنّ احدا طاف بهذا البيت او صلى فيه ساعة من ليل او نهار * واحتج الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه على من لا يرخص فى كراء دور مكة وبيعها بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم فقال اضاف الديار الى مالكها او الى غير مالكها وبقوله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة * من اغلق بابه فهو آمن * وقال اشترى عمر بن الخطاب دار السجن اترى انه اشتراها من مالكها او من غير مالكها قرأ الجمهور سواء بالرفع وقرأ حفص عن عاصم بالنصب ووجه الرفع كونه خبرا مقدّما والعاكف والبادى مبتدأ مؤخرا وانما وحد الخبر وان كان المبتدأ شيئين لان سواء فى الاصل مصدر وصف به والجملة الاسمية فى محل النصب على انها مفعول ثان لجعلنا بمعنى صيرنا وقوله تعالى للناس متعلق بمحذوف على انه حال من مفعول جعلنا اى جعلناه حال كونه معدا للناس سواء العاكف فيه ﴿ **قوله** والا ﴾ اى وان يكن للناس حالا من العائد جعل مفعولا ثانيا لجعلناه ويكون جملة سواء العاكف حالا منه اى من عائد الموصول والوجه فى انتصاب سواء كونه مفعولا ثانيا او حالا من هاء جعلناه والناس هو المفعول الثانى وعلى التقديرين فالعاكف مرفوع به على الفاعلية لانه مصدر وصف به وهو فى حكم اسم الفاعل المشتق تقديره جعلناه مستويا فيه العاكف ﴿ **قوله** مما ترك مفعوله ﴾ والتقدير ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما لما نذقه من عذاب اليم وقوله وقرئ بالفتح اى بفتح الياء اى من اتى فيه بالحاد ظلما على ان الباء للتعدية ﴿ **قوله** واذ كرا ذ عيناه وجعلناه له مباءة ﴾ المباءة اسم مكان من باء بمعنى رجع واصل التبوّء جعل المكان مباءة ومقرّا ومعناه ههنا جعله لابراهيم عليه الصلاة والسلام مكان البيت مباءة اى مرجعا يرجع اليه للعبادة والعمارة وعن الزجاج رحمة الله عليه بوّأناله ههنا اى بيناله ههنا مكان البيت ليبنيه ويكون مباءة له ولعقبه يرجعون اليه ويحجونه لانه رفع زمان الطوفان فبينه الله تعالى بان ارسل ريحا هجوجا فكشفت الاساس القديم الا انه لما كان المقصود من التبيين والتعيين ان يتخذه مقرّا ومباءة اتبعه المصنف رحمة الله تعالى عليه قوله وجعلناه له مباءة ولما كان منقولا من باء بمعنى رجع لقصد التعدية كان الظاهر ان يقال واذ بوّأنا ابرهيم بدون اللام واشار المصنف رحمة الله عليه بقوله وجعلناه له مباءة الى ان مكان البيت مفعول به لبوّأنا وان ايراد اللام مبنى على تضمين بوّأنا معنى جعلنا ولم يرض المصنف رحمة الله عليه بقول من قال اللام زآئدة فى المفعول به ومكان البيت ظرف لما تقرّر من ان اللام انما تزاد اذا تقدّم

وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبرانّ محذوف دل عليه آخر الآية اى معذبون ﴿ والمسجد الحرام ﴾ عطف على اسم الله واوّله الحنيفة بمكة واستشهدوا بقوله ﴿ الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ﴾ اى المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجو من ديارهم وشراء عمر دار السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدّم والجملة مفعول ثان لجعلناه ان جعل للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكنّ فيه ونصبه حفص على انه المفعول او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجرّ على انه بدل من الناس ﴿ ومن يرد فيه ﴾ مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود ﴿ بالحاد ﴾ عدول عن القصد ﴿ بظلم ﴾ بغير حق وهما حالان مترادفان او الثانى بدل من الاوّل باعادة الجار وصلة له اى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام ﴿ نذقه من عذاب اليم ﴾ جواب لمن ﴿ واذ بوّأنا لابراهيم مكان البيت ﴾ اى واذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة وقيل اللام زآئدة ومكان ظرف اى واذ انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء او انطمس ايام الطوفان فأعلمه الله مكانه بريح ارسلها فكنست ماحوله فبناه على اسه القديم

المعمول وكان العامل فرعا وشئ منهما غير متحقق ههنا ولان مكان البيت ظرف فحقه ان يتعدى الفعل اليه بكلمة فى* روى انّ الكعبة الكريمة بنيت خمس مرّات احداها بناء الملائكة اياها قبل آدم وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت الى السماء ايام الطوفان والثانية بناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام روى انه تعالى لما امر ابراهيم ببناء البيت لم يدر اين يبنى فارسل الله تعالى اليه السكينة وهى ريح حجوج فتطوّت موضع البيت كالحجفة فكشفت البيت اى ماحول البيت واظهرت الاساس القديم فبناها عليه الصلاة والسلام على اسها القديم والمرة الثالثة بناء قريش فى الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء وكان عليه الصلاة والسلام يومئذ رجلا شابا فلما ارادوا ان يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فارادت كل قبيلة ان تتولى رفعه ثم توافقوا على ان يحكم بينهم اوّل رجل يخرج من هذه السكة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوّل من خرج فقضى بينهم ان يجعلوه فى مرط ثم يرفعه جميع القبائل كلهم فرفعوه ثم ارتقى عليه الصلاة والسلام فرفعوه اليه فوضعه فى مكانه وكانوا يدعونه الامين قيل بناء الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة والمرّة الرابعة بناء عبدالله بن الزبير والخامسة بناء الحجاج وهو البناء الموجود اليوم ﴿قوله من حيث انه تضمن معنى تعبدنا﴾ جواب عما يقال كيف يكون النهى عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا لتبوّئه وليس فيه معنى القول* وتقرير الجواب ان فيه معنى القول من حيث انه لايقصد الامن اجل العبادة فكأنه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له لاتشرك بى شيأ والتعبد فيه معنى القول لان تعبد الشخص عبارة عن تصييره كالعبد له فى التكليف بالامر والنهى فكانه قيل كلفنا ابراهيم ان لاتشرك بى شيا الخ ﴿قوله او مصدرية﴾ ولايجوز ان تكون مخففة من الثقيلة لان صلة المخففة لاتكون امرا ولانهيا ولاغيرهما مما فيه معنى الطلب اجماعا وكذا صلة المصدرية على الاشهر واجاز سيبويه رحمة الله عليه ان يكون صلة المصدرية ذلك نحو امرته ان اقرأ وامرته ان قم اى بان قم على معنى بالقيام فالمصدرية التى تنصب المضارع توصل بالفعل الماضى والمضارع والامر والنهى عنده فكلمة ان فى الآية الكريمة يجوز ان تكون مصدرية موصولة بالنهى مجرورة المحل بلام علة مقدّرة متعلقة بمحذوف والمعنى فعلنا ذلك لئلا تشرك كما كان قولك امرته أن قم بمعنى امرته بان يقوم الا انّ الظاهر على هذا الوجه ان يقال ان لايشرك بياء الغيبة وقد قرئ به ووجه قراءة العامّة بالتاء ان يكون الكلام من قبيل الالتفات من الغيبة الى الخطاب فظهر بما ذكرنا انه يجوز ان تكون كلمة ان فى الآية مصدرية ناصبة مع كون لاتشرك مجزوما بلا الناهية وكان المعنى بوّأنا له مكان البيت وفعلنا ذلك لئلا يجعل لى شريكا فى العبادة ﴿قوله ولعله عبر عن الصلاة باركانها﴾ وهى القيام والقراءة والركوع والسجود واختار ان القائمين هم المصلون لان المصلى لابدّ ان يكون فى صلاته جامعا بين القيام والركوع والسجود وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال المراد بالقائمين المقيمون بالبيت فيكون المراد بالطائفين من يطوف به وهو آفاقى غير مقيم هناك ﴿قوله وقرئ آذن﴾ اى بالمدّ وتخفيف الذال بمعنى اعلم ويبعده قوله فى الناس اذ كان ينبغى حينئذ ان يقال آذن الناس بدون فى لانه يتعدّى بنفسه وذهب اكثر المفسرين الى ان المأمور بالنداء هو ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقالوا انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء البيت قال له الله تعالى اذن فى الناس بالحج قال يارب ومايبلغ صوتى قال الله تعالى عليك الاذان وعلىّ البلاغ فصعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام على الصفا وفى رواية على جبل ابى قبيس وفى اخرى على المقام فارتفع حتى صار كطول الجبال فادخل اصبعه فى اذنيه واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال ياأيها الناس الا ان ربكم قد بنى لكم بيتا وكتب عليكم الحج اليه فأجيبوا ربكم وحجوا بيته الحرام ليثيبكم به الجنة ويجيركم من النار فسمعه اهل مابين السماء والارض فمايبقى شئ سمع صوته الا اقبل يلبى ويقول لبيك اللهم لبيك فقيل اوّل من اجابه اهل اليمن فهم اكثر الناس حجا وقال مجاهد رضى الله تعالى عنه من اجاب مرّة حج مرّة ومن اجاب مرّتين حج مرّتين او اكثر على وفق ذلك المقدار ﴿قوله تعالى رجالا﴾ نصب على الحال وعلى كل ضامر عطف عليها كأنه قيل رجالا وركبانا والضمر الهزال يقال ضمر يضمر ضمورا وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول *ان للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة وللحاج الماشى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم *قيل وما حسنات الحرم قال صلى الله عليه وسلم الحسنة بمائة الف حسنة *قال مجاهد رضى الله عنه حج ابراهيم واسمعيل ماشيين وكانا اذا قربا من الحرم خلعا نعالهما

﴿أن لاتشرك بى شيأ وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود﴾ ان مفسرة لبوّأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهى اى فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتى وتطهر بيتى من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلى فيه ولعله عبر عن الصلاة بأركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء ﴿وأذن فى الناس﴾ نادفيهم وقرئ آذن ﴿بالحج﴾ بدعوة الحج والامر به روى انه عليه السلام صعد اباقبيس فقال ياأيها الناس حجوا بيت ربكم فأسمعه الله من فى اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق فى علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك فى حجة الوداع ﴿يأتوك رجالا﴾ مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كمجالى ﴿وعلى كل ضامر﴾ اى وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله

والكاف فى يأتوك ضمير ابراهيم عليه الصلاة والسلام فان من اتى الى الكعبة حاجا فانه قد اتى ابراهيم عليه الصلاة والسلام لانه يجيب ندآءه ونون يأتين ضمير كل ضامر لانه فى معنى الجمع اذ المعنى على ضوامر من جماعة الابل ﴿قوله او استئناف﴾ عطف على قوله صفة لضامر لما قال او لاوذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا استانف فقال يأتين من كل فج عميق وقوله تعالى ليشهدوا يجوز ان يتعلق بقوله واذن وان يتعلق بقوله يأتوك رجالا واختلفوا فى المنافع فحملها بعضهم على منافع الدنيا وهو ان يتجروا فى ايام الحج وحملها بعضهم على منافع الآخرة وهو العفو والمغفرة وبعضهم حملها على الامرين جميعا وهو الاولى ﴿قوله وقيل كنى بالذكر عن النحر﴾ لكون الذكر من لوازم نحر المسلمين وهو معطوف على ماقبله من حيث المعنى فانه اختار ان قوله ويذكروا اسم الله لم يذكر لينتقل منه الى الملزوم وانما ذكر ليدل على ايجاب الذكر عند اعداد الهدايا والضحايا وحمل الذكر على التسمية على الذبائح مع ان غير ذى الحجة يكثر فيها ذكر الله تعالى بالتلبية والتكبير لانه ذكر بعده على مارزقهم من بهيمة الانعام والذكر على الانعام هو التسمية على نحرها قال الحسن رضى الله تعالى عنه وقتادة ومجاهد الايام المعلومات هى ايام العشر من ذى الحجة قيل لها معلومات للحض على علمها بحسابها لكون الحج فى آخرها والايام المعدودات هى ايام التشريق وهو اختيار الامام الشافعى رضى الله عنه وابى حنيفة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى رواية عنه ان الايام المعلومات هى ايام الحج وهى يوم عرفة ويوم النحر وايام التشريق وقيل هى ايام النحر وهو قول ابى يوسف ومحمد رضى الله عنهما تصريحا بما ذكر بعده وهو قوله تعالى على مارزقهم من بهيمة الانعام والذكر على الانعام يدل على التسمية على الذبائح والجواب عن هذا لمن قال بالاوّل ان اليوم العاشر منها من ايام النحر وهو افضلها وكلمة فى لمطلق الظرفية فلا تقتضى الاستغراق والبهيمة اسم لكل ذات اربع فى البرّ والبحر فبهيمة الانعام هى الابل والبقر والضأن والمعز لان الهدى والذبيحة لايكونان من غيرها ﴿قوله واز احة لما عليه اهل الجاهلية﴾ فانهم ما كانوا يأكلون من ذبائحهم ترفعا على الفقرآء فأعلم الله تعالى ان ذلك جائز ان شاء اكل وان شاء لم يأكل وقيل امر ندب لما فيه من مخالفة الكفار ومواساة الفقرآء واستعمال التواضع والبائس هو الذى اصابه بؤس اى شدّة والفقير الذى اضعفه الاعسار وهو مأخوذ من فقار الظهر وقيل البائس الشديد الفقر والفقير المحتاج الذى ليس له غنى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما البائس الذى ظهر بأسه فى ثيابه وفى وجهه والفقير الذى لايكون كذلك بل تكون ثيابه نقية ووجهه وجه غنى واتفق العلماء على ان الهدى ان كان تطوّعا كان للهدى ان يأكل منه وكذلك اضحية التطوّع لما روى انه عليه الصلاة والسلام ساق فى حجة الوداع مائة بدنة فنحر منها ثلاثا وستين بدنة بنفسه ونحر علىّ رضى الله عنه مابقى ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤخذ بضعة من كل بدنة فتجعل فى قدر ففعل ذلك وطبخت فأكل من لحمها وحسا من مرقها وكان هدى تطوّع واختلفوا فى الهدى الواجب مثل دم التمتع والقران والنذور والكفارات والدماء الواقعة جبرا للنقصان والذى وجب بافساد الحج وفواته وجزآء الصيد هل يجوز للهدى ان يأكل شيأ منها فذهب قوم الى انه لايجوز للهدى ان يأكل شيأ منها ومنهم الامام الشافعى رحمة الله عليه وذهب الائمة الحنفية الى ان يأكل من دم التمتع والقران لكونهما دم الشكر لادم الجناية ولايأكل من واجب سواهما ﴿قوله ثم ليزيلوا وسخهم﴾ يريد ان التفث هو الوسخ يقال للرجل ماالتفثك وماادرنك اى ماوسخك وان قضاءه ازالته واذهابه فان الحاج اشعث اغبر وكل مايستقذر من الشعث من طول الشعر والظفر ونحوهما تفث فيزيل جميع ذلك عند مبدأ الاحلال والخروج من الاحرام فيحلق رأسه ويقص شاربه ويقلم اظفاره وينتف ابطه ويحلق عانته ويدهن رأسه والمراد بنذورهم ماندروه من اعمال البرّ فى الحج فانه اذا حجّ او اعتمر فقد اوجب على نفسه من الهدى وغيره مالولا ايجابه لم يكن الحج يقتضيه وقيل المراد بها ماوجبه الدخول فى الاحرام من انواع المناسك التى تجب بالدخول فى الحج وسميت نذورا تشبيها للايجاب بطريق الفعل بالايجاب قولا وان كان على الرجل نذور مطلقة فالافضل ان يتصدّق بها على اهل مكة ﴿قوله طواف الركن﴾ اعلم ان طواف الحج ثلاثة الاوّل طواف القدوم وهو انّ من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى ان ينتهى اليه ويمشى اربعا وهذا الطواف سنة لاشئ على تاركه والثانى طواف الافاضة يوم النحر بعد الرمى والحلق ويسمى ايضا طواف الزيارة وهو ركن لايحصل التحلل من الاحرام مالم يأت به وعن عائشة رضى الله عنها

﴿يأتين﴾ صفة لضامر محمولة على معناه او استئناف فيكون الضمير للناس وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان ﴿من كل فجّ﴾ طريق ﴿عميق﴾ بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيد العمق والمعق بمعنى ﴿ليشهدوا﴾ ليحضروا ﴿منافع لهم﴾ دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ﴿ويذكروا اسم الله﴾ عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لاينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرّب به الى الله ﴿فى ايام معلومات﴾ هى عشر ذى الحجة وقيل ايام النحر ﴿على مارزقهم من بهيمة الانعام﴾ علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرّب وتنبيها على مقتضى الذكر ﴿فكلوا منها﴾ من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرّج فيه اوندبا الى مواساة الفقرآء ومساواتهم وهذا فى المتطوّع به دون الواجب ﴿وأطعموا البائس﴾ الذى اصابه بؤس اى شدّة ﴿الفقير﴾ المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به فى الاوّل ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال ﴿وليوفوا نذورهم﴾ ماينذرون من البرّ فى حجهم وقيل مواجب الحج وقرأ ابو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء ﴿وليطوّفوا﴾ طواف الركن الذى به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع ﴿بالبيت العتيق﴾ القديم لانه اوّل بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه

قالت حاضت حفصة يوم النفر فقالت ما ارانى الا حابستكم فاخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فقال * أطافت يوم النحر * قيل نعم فقال * فانفروا * فثبت بهذا انها ان لم تطف يوم النحر طواف الافاضة فلا يجوز لها ان تنفر والطواف الثالث لا رخصة لمن اراد مفارقة مكة الى مسافة القصر فى ان يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعا فمن تركه فعليه دم الا المرأة الحائضة فانه يجوز لها ترك طواف الوداع ثم ان الرمل يختص بطواف القدوم ولا رمل فى طواف الافاضة والوداع ﴿قوله﴾ اى الامر ذلك ﴿ اى الذى ذكر من قوله تعالى واذ بوّأنا لابراهيم مكان البيت الى قوله تعالى وليطوّفوا بالبيت العتيق فان هذه الآيات مشتملة على الاحكام المأمور بها والمنهى عنها ﴿قوله احكامه﴾ اى احكام الله تعالى المتعلقة بافعال المكلفين بالايجاب والتحريم ونحوهما وسائر ما لا يحل هتكه من نحو البيت الحرام والمسجد الحرام ونفس الحرم والاحرام والهتك خرق الستر عما ورآه والحرمة بهذا المعنى تعم جميع ما لا يحل هتكه وقد تخص بالحرم وجميع التكاليف المتعلقة بالحج وقد تخص بالمحرّمات الخمس التى من جملتها المحرم حتى يحل والحرمة بهذا المعنى وان كانت اخص من الحرمة بالمعنى الاوّل الا انها اعم من الحرمة بالمعنى الثالث وهو ما ليس من قبيل التكاليف المذكورة ﴿قوله عند ربه﴾ يدل على الثواب المؤخر لانه لا يقال عند ربه فيما حصل من الخيرات ﴿قوله الا المتلوّ عليكم تحريمه﴾ اشارة الى ان ما موصولة وان ما يسند اليه يتلى محذوف وان الاستثناء متصل لكون المستثنى منه عبارة عما حرّم من الانعام ولا شك فى دخوله فى المستثنى منه قبل الاستثناء قال الله تعالى فى سورة المائدة حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وقال تعالى فى اوّلها احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم ولما جاز ان يذهب الوهم الى ان الاحرام اذا حرّم الصيد المباح قتله فانه يحرّم الانعام ايضا بين الله تعالى ان الاحرام لا يحرّم الانعام فهى محللة للمحرم كما تحل لغيره ثم استثنى منه ما حرم لعارض وفرّع الامر باجتناب الاوثان وقول الزور على قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله مع كون الاجتناب عنهما داخلا فى تعظيم حرماته للتنبيه على ان التوحيد وصدق القول من اعظم الحرمات وجمع الشرك وقول الزور فى سلك واحد لان الشرك من باب الزور بل هو رأس الزور فان المشرك يزعم ان الوثن يحق له العبادة وكان اهل الجاهلية يقولون فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا لك تملكه ومالكه فكأنه قيل فاجتنبوا عبادة الاوثان التى هى رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله ولا تقربوا شيأ منه فما ظنك بشئ من قبيل عبادة الاوثان واشار المصنف رحمة الله تعالى عليه الى وجه ارتباط قوله تعالى واحلت لكم الانعام وقوله فاجتنبوا الى قول الزور بقوله كأنه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه قوله واحلت لكم الانعام ردّا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب واتبعه بقوله ايضا فاجتنبوا الرجس من الاوثان واتبعه بقوله تعالى واجتنبوا قول الزور ردّا لافترآئهم على الله تعالى بانه حكم بذلك ﴿قوله وقيل شهادة الزور﴾ عطف على قوله تعميم بعد تخصيص فانه يدل على ان المراد بالقول الزور ما يعم كل قول منحرف مصروف عن الواقع سوآء كان من قبيل الشهادة او لا روى انه صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل بوجهه الكريم وقال الزور الاشراك بالله ثلاث مرات وتلا صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿قوله طوّح به﴾ اى جعله تائها يرمى به ههنا وههنا * الجوهرى طوّحه اى توهه وذهب به ههنا وههنا وتطوّح فى البلاد اى رمى بنفسه ههنا وههنا ﴿قوله ويجوز ان يكون من التشبيهات﴾ عطف على ما قبله من حيث المعنى فان معنى ما ذكره اوّلا يدل على انه من قبيل التشبيه المفرق حيث اشار الى ان كل واحد من طرفى المشبه والمشبه به امور متعدّدة شبه كل واحد مما فى طرف المشبه بكل واحد مما فى طرف المشبه به فالذى فى طرف المشبه هو الايمان والشرك والاهوآء والشيطان والذى فى طرف المشبه به السماء والساقط من السماء والطير المختطفة والريح شبه الايمان فى علوّه بالسماء وشبه المشرك الممكن من الايمان والقادر عليه بفطرته الاصلية بالذى صعد الى السماء وسقط منها وشبه الاهوآء التى فوق افكاره بالطير المختطفة وشبه الشيطان الذى توّهه فى اودية الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة ثم جوّز ان يكون من التشبيهات المركبة ومعنى كون التشبيه مركبا ان يقصد الى عدّة اشياء مختلفة فينتزع منها هيئة منتزعة ويجعلها مشبها او مشبها به ولهذا صرّح صاحب المفتاح فى تشبيه المركب بان كلا من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة فما فى الآية

﴿ذلك﴾ خبر محذوف اى الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ احكامه وسائر ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم ﴿فهو خير له﴾ فالتعظيم خير له ﴿عند ربه﴾ ثوابا ﴿واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم﴾ الا المتلوّ عليكم تحريمه وهو ما حرّم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرّموا منها غير ما حرّمه الله كالبحيرة والسائبة ﴿فاجتنبوا الرجس من الاوثان﴾ فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة فى النهى عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور كأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبعه ذلك ردّا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع ﴿حنفاء لله﴾ مخلصين له ﴿غير مشركين به﴾ وهما حالان من الواو ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء﴾ لانه سقط من أوج الايمان الى حضيض الكفر ﴿فتخطفه الطير﴾ فان الاهوآء المردية توزع افكاره وقرأ نافع بفتح الخاء وتشديد الطاء ﴿او تهوى به الريح فى مكان سحيق﴾ بعيد فان الشيطان قد طوّح به فى الضلالة وأو للتخيير كما فى قوله او كصيب او للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين

ان كان من قبيل التشبيه المركب بان جعل المشبه المشرك بالله تعالى والمشبه به من خرّ من السماء فعند ذلك اختطفته الطير وعصفت به الريح فى مكان سحيق فكلا طرفى التشبيه مركب اما المشبه به فظاهر واما المشبه فلأن المشرك من ترك الايمان بالله تعالى واشرك به * فان قلت ينبغى ان تكون السماء والطير والريح استعارة للاكتفاء فيها بذكر المشبه به * قلت قد دخلت اداة التشبيه فى مجموع قوله خرّ من السماء والاستعارة انما تكون اذا كان الكلام خاليا عن اداة التشبيه ﴿قوله﴾ تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله ﴿ اى الامر والشان ماذكر من ان تعظيم حرمات الله تعالى خير وان الاجتناب عما ذكر من الاشراك وقول الزور امر حتم لامحيص عنه واعراب ذلك هنا كاعراب ذلك المتقدم والشعائر جمع شعيرة وهى العلامة من الاشعار وهو الاعلام والشعور العلم واختلف فى شعائر الله قال بعضهم يدخل فيه كل عبادة يتقرّب بها الى الله تعالى كصيام ودعاء وذبيحة وطواف ورمى لان كل ذلك من اعلام دينه تعالى ويؤيد هذا القول قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله بمن التبعيضية وقيل المراد به العبادة المتعلقة بالحج ومواضع نسكه فان كل ذلك اعلام الحج وقيل المراد به الهدى خاصة وتسمى البدن شعيرة من حيث انها تشعر بان تطعن فى سنامها من الجانب الايمن والايسر حتى يسيل الدم فيعلم انها هدى فلا يتعرّض لها احد فهى من جملة معالم الحج بل من اظهرها واشهرها علامة وهذا القول اوفق لظاهر قوله تعالى لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق فان ظاهره يدل على ان للهدى ان ينتفع بهديه الى وقت النحر بان يركبها اذا احتاج اليها ويشرب لبنها ويأخذ وبرها وان امكن ان يكون المعنى لكم فيها منافع الى اجل ينقطع التكليف عنده والبرة الحلقة التى تكون فى انف البعير والنجيبة الناقة الكريمة * روى ان عمر رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيع تلك النجيبة ويشترى بثمنها بدنة فنهاه عن ذلك فقال بل اهدها وكان ابن عمر يسوق البدنة مجللة بالقباطى اى بالثياب القبطية وهى ثياب بيض رقاق من كتان تجلب من مصر فيتصدّق بجلالها والقبط اهل مصر ﴿قوله﴾ فحذفت هذه المضافات والعائد الى من ﴿ هذه العبارة تقتضى ان يكون التقدير فان تعظيمها منه من افعال ذوى تقوى القلوب بزيادة كلمة منه ولم اجد تلك فيما عندى من النسخ ولعلها سقطت من الناسخين اذ لابدّ منها بناء على ان الجملة الجزائية لابدّ من اشتمالها على ما يربطها باسم الشرط وقيل عموم ذوى تقوى القلوب يغنى غناء الضمير فهو المراد بقوله والعائد الى من غاية ما فى الباب انه تعرّض لحذفه بهذه العبارة مع دخوله فى جملة المضافات المحذوفة للتنبيه على انه احتاج الى تقديره لفائدتين احداهما فائدة الربط والاخرى فائدة تعيين اصحاب الافعال فان المقام يقتضى تقدير كل واحد من المضافات المقدّرة مع قطع النظر عن فائدة الربط اما الحاجة الى تقدير التعظيم المضاف الى ضمير الشعائر فلأن المقصود من ايجاد الجملة الشرطية الحث على تعظيم الشعائر والتحريض عليه واما الحاجة الى تقدير المضافين الاخيرين فلأن المعنى ان تعظيمها بعض افعال ذوى التقوى فان التقوى فى عرف الشرع عبارة عن التوقى عن كل مايؤثم من ارتكاب المحرّمات وترك الواجبات ولم يتوق عن شئ منها لايكون متقيا عرفا ضرورة ان الكل ينتفى بانتفاء الجزء اى جزء كان وليس المعنى ان تعظيمها صادر وناشئ من تقوى القلوب حتى يرد مايقال وماذكر من تقدير المضافات انما يحتاج اليه على تقدير ان تحمل كلمة من على التبعيض فانها ان جعلت للابتداء لم يحتج الى تقدير الالفاظ المذكورة اذ المعنى فان تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب اى من تقوى قلوبهم على ان اللام بدل من المضاف اليه على ماذهب اليه الكوفيون فلما كان الالف واللام بدلا من الضمير حصل الربط وتم المعنى ﴿قوله﴾ لكم فيها ﴿ اى فى الشعائر التى هى الهدايا المشعرة لتعرف انها اهدى منافع دنيوية الى ان تنحر عند الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه فانه جوّز للمهدى ان ينتفع بلبن الهدى وصوفه ووبره وركوب ظهره الى ان ينحره وذهب اكثر المفسرين الى ان المهدى انما يجوز له ذلك قبل ان يسميها هديا ويقلدها فاذا سماها هديا انقطعت المنافع بعد ذلك وهو قوله تعالى الى اجل مسمى فان المهدى لو ملك منافع الهدى لجوّز له ان يؤجرها للركوب وليس له ذلك اتفاقا وفيه ان مولى ام الولد يملك الانتفاع بها وليس له ان يبيعها فلم لايجوز ان يكون الهدى كذلك لايملك المهدى بيعه واجارته ويملك ان ينتفع به ﴿قوله﴾ ثم وقت نحرها منتهية الى البيت ﴿ اشارة الى ان المحل اسم زمان بتقدير المضاف بمعنى وقت نحرها اى وقت حلول نحرها ووجوبه لان المحل مشتق من حل الدين اذا وجب ومحلها معطوف على قوله منافع والى ان قوله تعالى الى البيت حال من ضمير فيها والعامل فى الحال الاستقرار الذى تعلق به كلمة فى

﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله ﴾ دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر مابعده وتعظيمها ان يختار حسانا سمانا غالية الاثمان روى انه عليه الصلاة والسلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى انفه برة من ذهب وان عمر رضى الله عنه اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينا ﴿ فانها من تقوى القلوب ﴾ فان تعظيمها من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما ﴿ لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق ﴾ اى لكم فيها منافع درّها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اى مايليه من الحرم

(اوالمعنى)

ثم يحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاوّلين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها او المراد على الاوّل لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت العتيق الذي ترفع اليه الاعمال او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة ﴿ ولكل امّة ﴾ ولكل اهل دين ﴿ جعلنا منسكا ﴾ متعبدا او قربانا يتقرّبون به الى الله وقرأ حمزة والكسائي بالكسر اي موضع نسك ﴿ ليذكروا اسم الله ﴾ دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود ﴿ على ما رزقهم من بهيمة الانعام ﴾ عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما ﴿ فالهكم اله واحد فله اسلموا ﴾ اخلصوا التقرّب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك ﴿ وبشر المخبتين ﴾ المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم ﴿ الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها ﴿ والصابرين على ما اصابهم ﴾ من الكلف والمصائب ﴿ والمقيمي الصلاة ﴾ في اوقاتها وقرئ المقيمين الصلاة على الاصل ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ في وجوه الخير ﴿ والبدن ﴾ جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقرة لها في اجزآئها عن سبعة بقوله عليه الصلاة والسلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره ﴿ جعلناها لكم ﴾ ومن رفع جعله مبتدأ ﴿ من شعائر الله ﴾ من اعلام دينه التي شرعها الله ﴿ لكم فيها خير ﴾ منافع دينية ودنيوية ﴿ فاذكروا اسم الله عليها ﴾ بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك ﴿ صواف ﴾ قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وطرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها وتقوم على ثلاث وصوافيا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي اي خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم أعط القوس باريها ﴿ فاذا وجبت جنوبها ﴾ سقطت على الارض وهو كناية عن الموت

﴿ منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت العتيق الذي ترفع اليه الاعمال او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة ﴿ ولكل امّة ﴾ ولكل اهل دين ﴿ جعلنا منسكا ﴾ متعبدا او قربانا يتقرّبون به الى الله وقرأ حمزة والكسائي بالكسر اي موضع نسك ﴿ ليذكروا اسم الله ﴾ دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود ﴿ على ما رزقهم من بهيمة الانعام ﴾ عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما ﴿ فالهكم اله واحد فله اسلموا ﴾ اخلصوا التقرّب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك ﴿ وبشر المخبتين ﴾ المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم ﴿ الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها ﴿ والصابرين على ما اصابهم ﴾ من الكلف والمصائب ﴿ والمقيمي الصلاة ﴾ في اوقاتها وقرئ المقيمين الصلاة على الاصل ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ في وجوه الخير ﴿ والبدن ﴾ جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقرة لها في اجزآئها عن سبعة بقوله عليه الصلاة والسلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره ﴿ جعلناها لكم ﴾ ومن رفع جعله مبتدأ ﴿ من شعائر الله ﴾ من اعلام دينه التي شرعها الله ﴿ لكم فيها خير ﴾ منافع دينية ودنيوية ﴿ فاذكروا اسم الله عليها ﴾ بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك ﴿ صواف ﴾ قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وطرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها وتقوم على ثلاث وصوافيا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي اي خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم أعط القوس باريها ﴿ فاذا وجبت جنوبها ﴾ سقطت على الارض وهو كناية عن الموت

والمعنى ثم بعد تلك المنافع هذه المنفعة العظمى وهي وقت نحرها حال كونها منتهية الى البيت العتيق اي الى الحرم الذي في حكم البيت فان المراد به الحرم كله كما في قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا اذ الحرم في حكم البيت كله فان البيت وما حوله من مكة تنزه عن اراقة دم الهدايا وجعل منى منحرا ولا شك ان الفائدة التي هي اعظم المنافع الدينية في الشعائر هي نحرها خالصا لله تعالى وجعل وقت وجوب نحرها فائدة عظيمة مبالغة في ذلك فان وقت الفعل اذا كان فائدته جليلة فاظنك بنفس الفعل ﴿ قوله وهو على الاوّلين ﴾ اي قوله تعالى لكم فيها منافع الآية على ان يكون المراد بشعائر الله جميع ما يتقرّب به الى الله تعالى من معالم الدين وعلى ان يراد به فرآئض الحج ومواضع النسك المعلمة بعلامات يستدل بها على الاعمال الواقعة فيها ﴿ قوله متعبدا او قربانا ﴾ مصدر ان بمعنى التعبد والتقرّب اي جعلنا لكل أمّة نوعا اي ضربا من التعبد والتقرّب والمراد به اراقة الدماء لوجه الله تعالى والمعنى شرعنا لكل امّة مؤمنة ان ينسكوا لله تعالى يقال نسك ينسك نسكا ونسوكا ومنسكة ومنسكا بفتح السين اذا ذبح القربان وقرئ بكسر السين وهما لغتان في المصدر والفتح اكثر فيه ويجوز ان يكون بالكسر موضع النسك اووقته ﴿ قوله وفيه تنبيه ﴾ اي وفي تبيين البهيمة باضافتها الى الانعام تنبيه على ان البهائم التي ليست من الانعام كالخيل والبغال والحمير لا يجوز ذبحها في القربين ﴿ قوله فان الاخبات صفتهم ﴾ علة لتفسير المخبتين باحد التفسيرين يعني ان الخبت هو الموضع المطمئنّ من الارض وحقيقة المخبت من صار في خبت من الارض تقول اخبت الرجل اذا صار في الخبت ولما كان الاخبات من لوازم التواضع والاخلاص صح ان يجعل كناية عنهما ﴿ قوله وقرئ المقيمين الصلاة ﴾ باثبات النون ونصب الصلاة على الاصل فان الاصل في جمع اسماء الفاعلين ثبوت النون ونصب مفعولها وسقوط النون حال اضافتها الى مفعولها لايثار الخفة الا ان قرآءة العامّة اسقاط نون المقيمين باضافتها اليها وقرئ بحذف النون ونصب الصلاة بجعل النون مقدّرة وكون حذفها لمجرّد التخفيف ودفع الثقل الحاصل بسبب طول الصلة وجرّ لفظ الصلاة مع الموصول لا لموجب من اضافة ونحوها كما حذفها الشاعر في قوله

* الحافظوا عذرة العشير فلا * يأتينهم من ورآئهم نطف *

اي تلطيخ عيب والعامّة على نصب البدن على الاشتغال ورجح النصب لتقدّم جملة فعلية على جملة الاشتغال وتسكين الدال وقرئ بضمها ايضا واختار المصنف رحمة الله تعالى عليه ان الضم هو الاصل وان التسكين تخفيف من المضموم ويحتمل ان يكون السكون ايضا اصلا على ان يكون البدن جمع بادن كباذل والبدنة اسم يقع على الابل والبقر عند ابي حنيفة واصحابه رضي الله عنهم لاشتمالها على البدانة وقيل البدنة في اللغة اسم للابل خاصة وانما صارت في الشريعة متناولة للابل والبقر لانه عليه الصلاة والسلام ألحق البقر بالابل في الاجزآء عن سبعة فلما اخذت البقر حكم الابل اطلق اسم البدنة عليها في الشريعة لا لكون اللفظ حقيقة لغوية في كل واحد من الجنسين والمصنف رحمه الله تعالى جعل قوله عليه الصلاة والسلام البدنة عن سبعة دليلا على ان اسم البدنة مختص بالابل ويدل عليه الآية ايضا وقوله تعالى فاذا وجبت جنوبها فان هذا الوصف مختص بالابل لان البقر يضجع ويذبح كالغنم والتي تنحر قائمة هي الابل ﴿ قوله ومن رفع ﴾ اي وقرئ البدن مرفوعا على الابتدآء فتكون الجملة التي بعدها في محل الرفع على الخبرية وقوله تعالى من شعائر الله في محل النصب على انه مفعول ثان للجعل بمعنى التصيير واضيف الشعائر الى اسم الله تعالى تعظيما لها كبيت الله وقوله تعالى لكم فيها خير حال من مفعول جعلناها ﴿ قوله اللهم منك واليك ﴾ اي عطاء منك وتقرّب بها اليك وقوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها قيل فيه حذف اي اذكروا اسم الله على نحرها وذبحها ﴿ قوله قائمات ﴾ يعني ان قوله صواف كناية عن كونها قائمات لان قيام الابل يستلزم ان تصف ايديها وارجلها ﴿ قوله وقرئ صوافن ﴾ الصوافن انما يستعمل في الخيل لقوله تعالى الصافنات الجياد فيكون استعمالها في الابل استعارة ﴿ قوله وصوافيا ﴾ بالتنوين اصله صوافيا بالالف فلما وقفت عليه قلت صوافيا وقد تحذف تلك الالف ويعوّض عنها التنوين كما في قوله * اقل اللوم عاذل والعتابن * اصله والعتابا وهذا التنوين يسمى تنوين الترنم وصواف بالكسر والتنوين اصله صوافي فاسكنت الياء على لغة من يسكن الياء مطلقا ثم حذفت اكتفاء بالكسرة مع ثقل الجمع ثم عوّض التنوين عنها كما في جوار رفعا وجرّا ﴿ قوله سقطت على الارض ﴾ يقال وجب الحائط يجب وجبة اذا سقط والمعنى اذا ماتت حل لكم الاكل منها والاطعام وقدمرّ

وقوّتها حتى تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها تطعنون فى لباتها ﴿لعلكم تشكرون﴾ انعامنا عليكم بالتقرّب والاخلاص ﴿لن ينال الله﴾ لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول ﴿لحومها﴾ اى المتصدّق بها ﴿ولا دماؤها﴾ المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ ولكن يصيبه ما يحببه من تقوى قلوبكم التى تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرّب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهم به المسلمون فنزلت ﴿كذلك سخرها لكم﴾ كرّره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله ﴿لتكبروا الله﴾ اى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح ﴿على ما هداكم﴾ ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرّب بها ومايحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا والتضمنه معنى الشكر ﴿وبشر المحسنين﴾ المخلصين فيما يأتونه ويذرونه ﴿ان الله يدفع عن الذين آمنوا﴾ غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اى يبالغ فى الدفع مبالغة من يغالب فيه ﴿ان الله لا يحب كل خوّان﴾ فى امانة الله ﴿كفور﴾ لنعمته كمن يتقرّب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضى فعلهم ولا ينصرهم ﴿اذن﴾ رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى على البناء للفاعل وهو الله ﴿للذين يقاتلون﴾ المشركين والمأذون فيه وهو القتال محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اى للذين يقاتلهم المشركون ﴿بانهم ظلموا﴾ بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهى اوّل آية نزلت فى القتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية ﴿وان الله على نصرهم لقدير﴾ وعدلهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم ﴿الذين اخرجوا من ديارهم﴾ يعنى مكة ﴿بغير حق﴾ بغير موجب استحقوا به ﴿الا ان يقولوا ربنا الله﴾ على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهنّ فلول من قراع الكتائب * وقيل منقطع (ثم)

ان هذه التوسعة تختص بهدى التطوّع والشكر دون الجناية والكفارة والقانع الذى يقنع بما تيسر ويجلس فى بيته ولا يسأل من القناعة والمعتّر الذى يعتريك ويسألك وقيل كلاهما الذى لا يسأل والقانع الذى يرضى بما عنده من الشئ اليسير ولا يسأل والمعتّر الذى يتعرّض لك او يأتيك بالسلام ويريك وجهه ولا يسألك ﴿قوله او السائل﴾ عطف على قوله الراضى بما عنده وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال القانع السائل الذى يسأل ومصدره قنوع من باب فتح قال الشاعر

* العبد حرّ ان قنع * والحرّ عبد ان قنع *
* فاقنع ولا تقنع فما * شئ يشين سوى الطمع *

﴿قوله قرئ القنع﴾ اى بغير الالف قال صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه القنع هو الراضى لا غير يعنى ان القنع هو الراضى بما عنده من القناعة لا من القنوع بخلاف القانع فانه مشترك بين المعنيين والكاف فى قوله تعالى كذلك صفة مصدر محذوف اى سخرناها لكم مع عظمها وقدرتها وقوّتها تسخيرا مثل ما وصفنا من حالها وقت النحر من كونها صواف او صوافنا بمعنى من الله تعالى على عباده بذلك التسخير وطلب الشكر منهم عليه حيث قال لعلكم تشكرون ثم لما بين الله تعالى ان البدن المشعرة والمقلدة من جملة شعائر الدين وامر بذكر اسم الله تعالى على نحرها صواف وبالاكل منها واطعامها بين ان المعتبر فى نحرها ليس مجرّد اراقة دمائها واطعام لحومها بل المعتبر ما يحبب ذلك من التقوى التى تدعو الى تعظيم الله تعالى والتقرّب اليه والاخلاص له فقد قال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها الآية وهذا وجه انتظام الآية بما قبلها وقيل فى وجه انتظامها كان اهل الجاهلية الخ ﴿قوله وقيل هو التكبير الخ﴾ وقيل المراد بالتكبير ههنا الشكر على ما انعم الله تعالى عليهم من الهداية لدينه ومعالم حجه ونسكه والمعنى لتشكروا الله بان تكبروا وتهللوا عند الاحلال او الذبح فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدّى تعديته بعلى وختم الله تعالى افعال الحج بقوله وبشر المحسنين وهم الذين يعبدون الله تعالى كانهم يرونه ويبتغون بذلك فضله ورضوانه لا يحملهم على ما يأتونه ويذرونه الا هذا الابتغاء وامارة ذلك ان لا يستثقل ولا يتبرّم بشئ مما فعله او تركه والمقصود منه الحث والتحريض على استصحاب معنى الاحسان فى جميع افعال الحج ونحوه ﴿قوله تعالى ان الله يدفع عن الذين آمنوا﴾ متصل بقوله ان الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام لما او عد الكفرة الذين يصدّون عن الجهاد والهجرة والمسجد الحرام وفرّع عليه بيان اعمال الحج ومناسكه وما فيه من منافع الدنيا والآخرة انتقل ايضا الى ذكر حال المؤمنين مع الكفرة الذين يصدّونهم عن طاعة الله تعالى فقال وبشر المؤمنين باعلامهم على الكفرة واخبرانه يدفع عنهم غائلة المشركين وعلل ذلك بان الكفار خوّانون فى امانة الله تعالى حيث اهلكوا انفسهم بانهم كفروا بالله ورسوله فاىّ خيانة الله اعظم منه فان ذكر غير اسم الله تعالى والتقرّب الى الاصنام بذبيحة لا يكون الا كفرا للنعمة فكيف ينصرهم او يتركهم على ما كانوا عليه من اذى المؤمنين ومن قرأ ان الله يدافع ولولا دفاع الله الناس اختار صيغة المفاعلة للدلالة على المبالغة فى الدفع كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يكون اقوى وابلغ وقوله تعالى اذن للذين اشارة الى ان قتال الكفار بغير اذن الله تعالى لا يجوز ولهذا لما وكز موسى عليه الصلاة والسلام القبطى الكافر وقتله قال هذا من عمل الشيطان لانه عليه الصلاة والسلام ما كان مأذونا من الله تعالى فى ذلك والباء فى قوله تعالى بانهم ظلموا متعلقة بقوله اذن لما بين انهم انما اذنوا فى القتال لانهم ظلموا فسر ذلك الظلم بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق اى اخراجا بغير موجب استحقوا الخروج به فالحق مصدر قولك حق الشئ يحق بالكسر اى وجب واستحققته اى استوجبته وانتفاء الوجوب لما كان بانتفاء الموجب قال المصنف رحمة الله تعالى عليه بغير موجب ﴿قوله فى نيف وسبعين﴾ النيف الزيادة يخفف ويشدّد يقال عشرة ونيف ومائة ونيف وكل ما زاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثانى قيل نسخت هذه الآية سبعين آية امر عليه الصلاة والسلام فيها بالصبر والصفح لانها اوّل آية نزلت فى الاذن بالقتال وقوله تعالى الذين اخرجوا فى موضع الجرّ على انه بدل او صفة لقوله تعالى الذين يقاتلون ويجوز ان يكون فى موضع النصب على المدح وفى موضع الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ﴿قوله وقيل منقطع﴾ والمعنى لكن قولهم ربنا الله وحده وهذا يوجب تعظيمهم وتقريرهم فى ديارهم دون الاخراج والتنفير فان الاستثناء المنقطع يكون بمعنى لكن

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين ﴿ لهدّمت ﴾ لخرّبت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرأ نافع دفاع ولهدمت بالتخفيف ﴿ صوامع ﴾ صوامع الرهبانية ﴿ وبيع ﴾ وبيع النصارى ﴿ وصلوات ﴾ وكنائس اليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوثا بالعبرانية فعرّبت ﴿ ومساجد ﴾ ومساجد المسلمين ﴿ يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾ صفة للاربع اولمساجد خصت بها تفضيلا ﴿ ولينصرنّ الله من ينصره ﴾ من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم ﴿ ان الله لقوىّ ﴾ على نصرهم ﴿ عزيز ﴾ لايمانعه شئ ﴿ الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذلم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره ﴿ ولله عاقبة الامور ﴾ فان مرجعها الى حكمه وفيه تأكيد لما وعده ﴿ وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين ﴾ تسلية له عليه الصلاة والسلام بان قومه ان كذبوه فهو ليس بأوحدىّ فى التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه ﴿ وكذب موسى ﴾ غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لان قومه بنوا اسرآئيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع وآياته كانت اعظم واشيع ﴿ فأمليت للكافرين ﴾ فأمهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدّرة ﴿ ثم اخذتهم فكيف كان نكير ﴾ اى انكارى عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكا والعمارة خرابا ﴿ فكأين من قرية اهلكناها ﴾ باهلاك اهلها وقرأ البصريان اهلكتها بغير لفظ التعظيم ﴿ وهى ظالمة ﴾ اى اهلها ﴿ فهى خاوية على عروشها ﴾ ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطل بنيانها فخرّت سقوفها ثم تهدّمت حيطانها فسقطت فوق السقوف اوخالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اى هى خالية وهى على عروشها اى مظلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لاعلى وهى ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوآئها فلا محل لها ان نصبت كأين بمقدّر يفسره اهلكنا وان رفعته بالابتدآء فمحلها الرفع

ثم انه تعالى بعد مابين سبب الاذن بقوله بانهم ظلموا اشار الى علة اخرى للاذن فقال تعالى ولولا دفع الله الناس اى ولولا ان الله اذن للمجاهدين فى قتال اعدآء الدين لانقطعت العبادات وخربت المتعبدات فامتنّ سبحانه وتعالى على المؤمنين بدفع غائلة المشركين عنهم وبين ان عادته ان يحفظ دينه بان يأذن لاهل دينه فى مجاهدة الكفار وانه لولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفه فى ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات اى كنائس ولا للمسلمين مساجد ولغلب المشركون فى زمان امّة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين فى زمنهم فهدموا متعبدات الفريقين والصوامع جمع صومعة وهى موضع يتعبد فيه الرهبان وينفردون فيه لاجل العبادة والبيع جمع بيعة وهى كنائس النصارى التى يبنونها فى البلدان ليجتمعوا فيها لاجل العبادة والصوامع لهم ايضا الا انهم يبنونها فى المواضع الخالية كالجبال والصحارى للتجرّد للعبادة والصلوات لليهود ولابدّ من تقدير مضاف ليصح تسلط الهدم عليها اى موضع صلوات اومن تضمين هدمت معنى عطلت وقيل هى كلمة معرّبة اصلها بالعبرانية صلواث بالثاء المثلثة وهى فى لغتهم بمعنى المصلى ولا حاجة الى تقدير المضاف وقدّم ماسوى المساجد عليها فى الذكر لكونه اقدم فى الوجود بالنسبة اليها

قوله وهو ثناء قبل بلاء اى قبل وقوع الصنيع الحسن الذى هو البلاء الحسن قال الجوهرى رحمة الله تعالى عليه البلاء الاختبار يكون فى الخير والشرّ يقال بلاه الله بلاء حسنا وابليته قال زهير

* جزى الله بالاحسان مافعلا بكم * وابلاهما خير البلاء الذى يبلو *

اى خير الصنيع الذى يختبر به عباده **قوله** وفيه دليل اى وفى ثناء المهاجرين قبل ان يحدثوا من الخير ماحدثوا ووجه الاستدلال بهذه الآية على امامة الائمة الاربعة رضى الله تعالى عنهم انه تعالى وصف المهاجرين بانهم ان مكنهم فى الارض واعطاهم السلطنة ونفاذ القول على الخلق اتوا بالامور الاربعة وهى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والامر بكل معروف والنهى عن كل منكر وقد ثبت ان الله تعالى مكن الائمة الاربعة فى الارض واعطاهم السلطنة عليها فوجب كونهم آتين بهذه الاربعة والا لزم الخلف فى مقاله تبارك وتعالى واذا كانوا آتين بكل معروف وناهين عن كل منكر وجب ان يكونوا على الحق فمن هذا الوجه دلت هذه الآية على امامتهم **قوله** تسلية له فانه قد سبق مايدل على ايذآء المشركين اياه بان كذبوه وحملوه مع من آمن على ان يخرجوا من ديارهم بغير حق ثم بين انه اذن للمظلومين فى مقاتلتهم وضمن له عليه الصلاة والسلام النصرة عليهم واكد ذلك بقوله ولله عاقبة الامور فلذلك كان المقام مقام التسلية فسلاه بقوله تعالى فقد كذب قوم نوح نبيهم نوحا وعاد هودا وثمود صالحا وقوم ابراهيم وقوم لوط نبييهما ابراهيم ولوطا واصحاب مدين شعيبا عليهم الصلاة والسلام ثم قال فقد اعطيت هؤلاء الانبياء جميع ماوعدتهم من النصرة على اعدآئهم والتمكين لهم فى الارض فاخذت كل واحدة من المكذبين بعقوبة مختصة بهم فكيف كان نكيرى انكارى وهذا استفهام معناه التقرير يقول كيف نكرت عليهم بما فعلوا من التكذيب ثم انه تعالى اجمل بعد التفصيل فى الاخبار عن اهلاك كثير من الامم المكذبة فقال تعالى وكأين من قرية فقوله وكأين يجوز ان يكون فى محل النصب على الاشتغال بفعل مقدّر يفسره اهلكناها اى وكثيرا من اهل القرى الذين كذبوا انبياءهم سوى المكذبين المذكورين فى الآية المتقدّمة اهلكنا اهلكناها وان يكون فى محل الرفع على الابتدآء والخبر اهلكناها اى وكثير اهلكناها **قوله** وقرأ البصريان يعنى بهما ابا عمرو ويعقوب فانهما قرأا اهلكتها على وفق قوله فامليت للكافرين ثم اخذتهم وقرأ الباقون اهلكناها بالنون على وفق قوله ان مكناهم فى الارض **قوله** ساقطة حيطانها على سقوفها يعنى ان الخاوى الساقط من خوى النجم اذا سقط والعروش السقوف لان كل مرتفع اظلك من سقف بيت اوخيمة اوظلة اوكرم فهو عريش والمراد بضمير القرية حيطانها **قوله** اوخالية على ان يكون الخاوى بمعنى الخالى من خوى المنزل اذا خلا من اهله فحينئذ يكون على عروشها ظرفا مستقرّا فى موضع النصب على انه حال من ضمير خاوية ومتعلقا بخاوية تعلق الحال بعامله لا تعلق الجار والمجرور بعامله فانه انما يكون ذلك اذا كان خاوية بمعنى ساقطة **قوله** ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر عطف على قوله متعلق بخاوية فانه اذا كان خبرا بعد خبر لا يكون له تعلق بخاوية بل يكون متعلقا بمحلة وهى بالطاء المهملة بمعنى مشرفة مائلة يقال اطل عليه اذا كان داخلا فى ظل ظله اى شخصه **قوله** فلا محل لها اى على تقدير ان تكون جملة فهى خاوية معطوفة على اهلكناها لا يكون لها محل من الاعراب ان جعل اهلكناها مفسراً لناصب كأين لان الفعل المفسر لامحل له من

بئر معطلة ﴾ عطف على قرية اى وكم بئر عامرة فى البوادى تركت لايستق منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله ﴿ وقصر مشيد ﴾ مرفوع او مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوّى ان معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر على سفح جبل بحضر موت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما ﴿ أفلم يسيروا فى الارض ﴾ حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك ﴿ فتكون لهم قلوب يعقلون بها ﴾ مايجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال ﴿ او آذان يسمعون بها ﴾ مايجب ان يسمع من الوحى والتذكير بحال من يشاهد آثارهم ﴿ فانها ﴾ الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفى تعمى راجع اليها والظاهر اقيم مقامه ﴿ لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ عن الاعتبار اى ليس الخلل فى مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك فى التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفى التجوّز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيق ليس المتعارف الذى يخص البصر قيل لما نزلت ومن كان فى هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يارسول الله انا فى الدنيا اعمى أفأكون فى الآخرة اعمى فنزلت ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾ المتوعد به ﴿ ولن يخلف الله وعده ﴾ لامتناع الخلف فى خبره فيصيبهم ماوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لايعجل بالعقوبة ﴿ وانّ يوما عند ربك كألف سنة مما تعدّون ﴾ بيان لتناهى صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال اولتمادى عذابه وطول ايامه حقيقة اومن حيث ان ايام الشدآئد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى يعدون بالياء ﴿ وكأين من قرية ﴾ وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فى الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة فى التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه فى حكم ماتقدّمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لامحالة وان تأخر لعادته تعالى ﴿ أمليت لها ﴾ كما امهلتكم ﴿ وهى ظالمة ﴾ مثلكم ﴿ ثم اخذتها ﴾ بالعذاب ﴿ والىّ المصير ﴾ والى حكمى مرجع الجميع ﴿ قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين ﴾ اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة فى غيظهم

الاعراب فكذا ماعطف عليه فان جعل اهلكناها خبر كأين تكون جملة خاوية فى محل الرفع ايضا ﴿ قوله اى وكم بئر عامرة ﴾ يعنى ان معنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت اى تركت لايستق منها لهلاك اهلها وفى المشيد قولان احدهما انه المجصص لان اهل المدينة يسمون الجص شيدا والثانى المرفوع المطوّل وتوصيف البئر بالمعطلة والقصر بالمشيد يؤيد ان يكون على بمعنى مع فى قوله على عروشها فان كون كل واحد منهما موصوفا بالوصف المذكور ادخل فى الاعتبار روى ان هذه البئر نزل عليها صالح النبى عليه السلام مع اربعة آلاف ممن آمن به ونجاهم الله تعالى وهى بحضرموت وانما سميت به لان صالحا حين حضرها مات وثمة بلدة عند البئر اسمها حضرموت بناها قوم صالح وامروا عليهم جلس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما فأرسل الله تعالى اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فى السوق فاهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وخرّب قصورهم الا ان قوله وخرّب قصورهم ينافى قول المصنف رحمة الله تعالى عليه اخليناه عن ساكنيه الا ان يراد بتخريبها اخلاؤها من ساكنيها ﴿ قوله حث لهم على ان يسافروا ليروا ﴾ يحتمل انهم ماسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله تعالى بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا ويحتمل ان يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فنزلوا منزلة من لم يسافر ولم يرتحلوّ سفرهم الحاصل عن المقصود فلذلك قيل فى حقهم على سبيل الانكار افلم يسيروا فى الارض وقوله فتكون منصوب على جواب الاستفهام اى أفلم يسيروا فيعقلوا بقلوبهم حال الامم المكذبة مافعلوا ومافعل بهم او يسمعوا بآذانهم اخبارهم ﴿ قوله او مبهم يفسره الابصار ﴾ اى ويجوز ان يكون ضميرا نها ضميرا مبهما يفسره الابصار لاعلى كون الابصار ضميرا كما فى نحو ربه رجلا والا لوجب ان يكون نكرة منصوبة كما هو الحق فى المميز بل المراد انه يعلم به المراد من الضمير بناء على ان الابصار ليس فاعل تعمى والا لما كان مفسرا لمبهم بل هو خبر مبتدأ محذوف وفاعل تعمى ضمير مستتر فيه راجع الى مايرجع اليه ضمير انها فكانه لما قيل فانها لاتعمى سئل ماهى فاجيب الابصار اى هى الابصار ثم انه تعالى لما ذكر من قبائح المشركين صدّهم عن سبيل الله تعالى والمسجد الحرام وعظيم ماهم عليه من التكذيب اتبعه بذكر قبيحة اخرى من قبائحهم وهى استعجالهم بالعذاب قيل نزلت فى النضر بن الحارث حيث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء وهذا يدل على انه عليه الصلاة والسلام كان يخوّفهم بالعذاب ان استمرّوا على كفرهم ولهذا قال الله تعالى ولن يخلف الله وعده فأنجز ذلك يوم بدر وانكر الله تعالى عليهم ذلك الاستعجال وبين وجه الانكار بان الاستعجال انما يكون لخوف الفوت وما اوعده الله تعالى لايفوت بل يصيبهم لامحالة ولو بعد حين وقوله ولو بعد حين مستفاد من كلمة لن فى قوله تعالى لن يخلف الله وعده لانها لتأكيد نفى الاستفهام وهذا النفى لما تضمن كونه تعالى صبورا بين تناهى صبره بقوله تعالى وان يوما عند ربك واشار بتشبيه المدّة القصيرة عنده بالمدّة الطويلة عند المخاطبين الى ان من لايجرى عليه الزمان بل هو المجرى للزمان يتساوى عنده الزمان ويكون وجود الايام والزمان وعدمهما وقلتهما وكثرتهما سواء اذ ليس عنده صباح ولامساء ولا يوم ولا ليلة فقوله تعالى وان يوما على هذا متعلق بقوله ولن يخلف الله متمم لما يقصد منه وعلى قوله اولتمادى عذابه الخ يكون متعلقا بقوله ويستعجلونك بالعذاب وبيانا مستقلا لوجه الانكار عليهم فى استعجال عذاب يكون يوم واحد من ايام عذابه كالف سنة عندهم كانه قيل يستعجلون بعذاب يوم واحد من ايام عذابه فى طول الف سنة من سنيكم امامن حيث طول ايام عذابه حقيقة اومن حيث ان ايام الشدآئد مستطالة ﴿ قوله فى الاعراب ورجع الضمائر والاحكام ﴾ يعنى ان مقتضى الظاهر ان يكون لفظ القرية مجرورا بالاضافة لا بمن وان يرجع الضمائر الى الاهل لا اليها وان يجعل متعلق الاملاء والظلم والاخذ بالاهل لا بها الا ان القرية لما اقيمت مقام الاهل لفظا اقامت مقامه فى جميع ماذكر من الامور ﴿ قوله لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير ﴾ فان قوله تعالى فأمليت للكافرين لما كان مرتبا على جواب الشرط فى الوقوع كان حقه ان يعطف عليه بالفاء وكان قوله فكيف كان نكير استفهاما واردا للتعجيب والتهويل من اخذهم المتراخى عن وقت التكذيب فكان حقه ايضا ان يعطف عليه بالفاء لكنه قيل ثم اخذتهم فانكرت عليهم ابلغ انكار فان حق التعجيب من الشئ ان يذكر عقيب ذلك الشئ ولما كان قوله فكأين من قرية فى حكم قوله فكيف كان نكير فى كونه مرتبا على قوله فأمليت للكافرين ثم اخذتهم كان بدلا منه لكونه اوفى منه فى تأدية المراد لما فيه من التفصيل بالنسبة الى الاوّل فاعيد فيه الفاء العاطفة الدالة على التعقيب

﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة﴾ ٣٨٩ لما ندر منهم ﴿ورزق كريم﴾ هى الجنة والكريم من كل نوع مايجمع فضائله ﴿والذين سعوا فى آياتنا﴾ بالردّ والابطال ﴿معاجزين﴾ مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين على انها حال مقدّرة ﴿اولئك اصحاب الجحيم﴾ النار الموقدة وقيل اسم دركة ﴿وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبىّ﴾ الرسول من بعثه الله بشريعة مجدّدة يدعو الناس اليها والنبى يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بنى اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه النبى عليه السلام علماء امّته بهم فان النبى اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء فقال مائة ألف واربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسول منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبىّ غير الرسول وهو من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحى والنبىّ يقال له ولمن يوحى اليه فى المنام ﴿الا اذا تمنى﴾ اذا زوّر فى نفسه مايهواه ﴿ألقى الشيطان فى امنيته﴾ فى تشهيه مايوجب اشتغاله بالدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم وانه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة ﴿فينسخ الله مايلقى الشيطان﴾ فيبطله ويذهب به بعصمته من الركون اليه والاشادالى مانزيحه ﴿ثم يحكم الله آياته﴾ ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق فى امر الآخرة ﴿والله عليم﴾ باحوال الناس ﴿حكيم﴾ فيما يفعله بهم قيل حدّث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقرّبهم اليه واستمرّ به ذلك حتى كان فى ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فأخذ يقرأها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد فى آخرها بحيث لم يبق فى المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبرائيل فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يميز به الثابت على الايمان من المتزلزل فيه

كما يبدل باعادة الجار كثيرا بخلاف قوله وكائن من قرية فانه فى حكم الجملتين المتعاطفتين بالواو فى كونه تعليلا لانكار الاستعجال فلذلك عطف عليهما بالواو الجامعة ﴿قوله﴾ بالردّ والابطال ﴿السعى﴾ وان كان عبارة عن مطلق الجدّ والاهتمام سواء كان لتحقيق الاتمام اوالرد والابطال الا ان الثانى متعين هنا بقرينة المقام لان من ذكر فى مقابلة الذين آمنوا لايكون سعيهم فى شأن القرآن الا بالردّ ﴿قوله﴾ على انها حال مقدّرة ﴿لان﴾ الاعجاز والتعجيز ليسا مقارنين لسعيهم فى ابطال الآيات بل متأخران عنه كما اشار اليه بقوله من عاجزه فأعجزه وعجزه بخلاف معاجزين فانه حال مقارنة لان المعاجزة تكون حال السعى ﴿قوله﴾ انه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿قيل هذا الحديث رواه ابوذرّ رضى الله عنه وهو من الآحاد والاولى ان لايتعرّض لعدد الانبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ولايؤمن فى ذكر العدد ان يخرج منهم من هو فيهم اويدخل فيهم من ليس منهم وقوله عليه الصلاة والسلام *جاء غفيرا* ابتدآء كلام اى كانوا جماعة كثيرة ﴿قوله﴾ وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا ﴿قائله صاحب الكشاف عفا الله عنه ولعل المصنف رحمة الله تعالى عليه لم يرض به بناء على ان عدد الرسل عليهم الصلاة والسلام اكثر من عدد الكتب لان عدد الكتب مائة واربعة ويلزم على هذا القول وعلى القول الذى اختاره المصنف رحمة الله تعالى عليه ان لايكون اسحق ويعقوب وايوب ويونس وهرون وسليمان عليهم الصلاة والسلام رسلا لانهم ماجاؤا بشريعة مجدّدة وكتاب ناسخ ﴿قوله﴾ ليغان على قلبى ﴿اى ليغطى عليه يقال غان على ذلك اى غطى عليه ﴿قوله﴾ فيبطله ﴿اى يزيل تأثيره وهو اشارة الى ان المراد بالنسخ النسخ اللغوى لا النسخ الشرعى المستعمل فى الكتاب ولما بين الله تعالى تطرّق الوسوسة الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام بين كيفية ازالتها فقال فينسخ الله الى آخره ﴿قوله﴾ تلك الغرانيق ﴿جمع غرنوق اوغرنيق بكسر الغين وفتح النون فيهما اوغرنوق بالضم وهو الشاب الناعم ويجمع على غرانق بالفتح وغرانيق وغرانقة ويطلق الجميع على السادات ﴿قوله﴾ وهو مردود عند المحققين ﴿يعنى ان جماعة من المفسرين وان قالوا ان هذه الآية نزلت تسلية له عليه الصلاة والسلام فى اغتمامه بماسبق به لسانه سهوا من حديث الغرانيق الا ان رؤساء اهل السنة والجماعة ردوا هذا القول وقالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا عليه بالقرآن العظيم والسنة والمعقول اما القرآن فمنه قوله تعالى ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ومنه ايضا قوله تعالى قل مايكون لى ان ابدّله من تلقاء نفسى ان اتبع الا مايوحى الىّ ومنه قوله تعالى وماينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى فلو انه عليه الصلاة والسلام قرأ عقيب هذه الآية قوله تلك الغرانيق العلى لكان قد ظهر كذب الله تعالى فى جميع ذلك وذلك لايقول به مسلم واما السنة فهو انه روى عن محمد بن خزيمة انه سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه كتابا وقال الامام ابوبكر احمد بن الحسين البيهقى هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل وان رواة هذه القصة مطعونون وايضا فقد روى البخارى فى صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد وسجد المسلمون والمشركون والانس والجنّ ولم يذكر حديث الغرانيق واما المعقول فما ذكره الامام النسفى فى تيسيره بقوله والصحيح المعتمد عليه ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بها فانا لو توهمنا انه صلى الله عليه وسلم تكلم بها فلا يخلو الامر من احد ثلاثة اوجه اما ان يجرى ذلك على لسانه عمدا باختياره وهذا لايجوز لانه كفر وهو صلى الله عليه وسلم جاء داعيا الى الايمان ناهيا عن الكفر طاعنا فى الاصنام فكيف يمدحها ويعظمها باختياره واما ان يجرى الشيطان ذلك على لسانه صلى الله عليه وسلم جبرا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه وهذا ايضا لايجوز لان الشيطان لايقدر على ذلك فى حق غيره صلى الله عليه وسلم لقوله تبارك وتعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقوله تعالى حكاية عنه وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فكيف يقدر على ذلك فى حقه صلى الله عليه وسلم واما ان يقع ذلك على لسانه صلى الله عليه وسلم سهوا وغفلة من غير قصد وهو ايضا مردود لانه صلى الله عليه وسلم كان اعقل الخلق واعلمهم فكيف تجوز عليه هذه الغفلة خصوصا فى حالة تبليغ الوحى ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله والثقة به لقيام احتمال الغلط والخطأ فى كل واحد من الاحكام والشرائع فلما بطلت هذه الوجوه كلها لم يبق الا احتمال واحد وهو انه عليه الصلاة والسلام وقف وسكت عند قوله ومناة الثالثة الاخرى والشيطان حاضر عنده فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلة بقرآءته صلى الله عليه وسلم

وقيل تمنى بمعنى قرأ لقوله * تمنى كتاب الله اوّل ليله * تمنى داود الزبور على رسل * فامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظنّ السامعون انه من قرآءة النبيّ صلى الله عليه وسلم وقد ردّبانه ايضا يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرّق الوسوسة ﴿ ٣٩٠ ﴾ اليهم ﴿ ليجعل ما يلقى الشيطان ﴾ علة

فوقع عند بعضهم انه صلى الله عليه وسلم هو الذى تكلم بها لتكون القاء فى قرآءة النبى صلى الله عليه وسلم وكان الشيطان يتكلم فى زمن الوحى كما ذكرانه ظهر فى صورة شيخ نجدى على المشركين الذين اجتمعوا فى دار الندوة على قصد المكر بالنبى صلى الله عليه وسلم وتكلم فى شوراهم واستصوب رأى بعضهم وخطأ آخرين وذكر ايضا انه نادى يوم احد ألا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم وهذا الاحتمال غير مستحيل عقلا وشرعا فتنة من الله تعالى وابتلاء لعباده لكنه انما يجوز فى غير مقام تبليغ الوحى وادآء الرسالة لانا لو جوّزنا ذلك لارتفع الاطمئنان الى شرعه وجوّزنا انّ كل مابلغه الينا عن الله تعالى ينضم اليه غيره بخلط الشيطان فظهر بما ذكرنا ان هذه القصة موضوعة غاية مافى الباب ان جمعا من المفسرين رحمة الله تعالى عليهم ذكروها لكنهم مابلغوا فى الكثرة حدّ التواتر وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية والمتواترة فلذلك قال المصنف فى تفسير الآية ألقى الشيطان فى تشهيه مايوجب اشتغاله بالدنيا ولم يقل مايوافق تشهيه من الكلام ثم قال وان صح فابتلاء والظاهر ان مبنى الصحة ان يتكلم به الشيطان عند سكوته عليه الصلاة والسلام بعد قوله ومناة الثالثة الاخرى فانه اقرب الاحتمالات المذكورة الى الصحة فيكون المعنى مامن رسول ولا نبيّ قبلك الا امكنا الشيطان ان يلقى فى قرآءتهم مثل ما القى فى قرآءتك عند ماتمنيت فلا تهتم لذلك فانا نجعل ذلك لاضلال قوم وهداية آخرين ليميز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه ﴿ قوله وقيل تمنى بمعنى قرأ ﴾ عطف على قوله تمنى زوّر فان التمنى جاء فى اللغة بمعنيين تمنى القلب والقرآءة قال الله تعالى ومنهم امّيون لا يعلمون الكتاب الا امانيّ اى الا قرآءة لانّ الامىّ لا يعلم القرآن من المصحف وانما يعلمه قرآءة وقال رواة اللغة الامنية القرآءة واحتجوا عليه ببيت حسان رضى الله تعالى عنه وهو تمنى كتاب الله اوّل ليله وقيل الاولى فى تأويل الآية ان يقال التمنى بمعنى القرآءة فقوله تعالى ألقى الشيطان فى امنيته اى عند تلاوته القرآن ألقى فى قلوب الكفرة مايجادلون به الرسول ويحاجونه ويوقعون به شبهة فى قلوب اتباعه ليمنعوهم عن اتباعه كقولهم عند سماع قول الرسول حرّمت عليكم الميتة انه يحل ذبيحة نفسه ويحرّم ذبيحة الله تعالى فينسخ الله تعالى مايلقى الشيطان فى قلوب الكفرة بانزال قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وكلوا مما ذكر اسم الله عليه فبين به انه انما حل هذا بذكر اسم الله عليه وحرّم الآخر بعدم ذكر اسم الله عليه وكقولهم عند سماع انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ان عيسى عليه الصلاة والسلام عبد من دون الله تعالى والملائكة ايضا عبدوا من دون الله مع انه تعالى لا يحزنهم يوم القيامة فنسخ قولهم هذا بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون فبين الله تعالى استثناء عيسى والملائكة من قوله ماتعبدون من دون الله بان المراد بما الاصنام فقط ﴿ قوله علة لتمكين الشيطان ﴾ اى المدلول عليه بقوله القى الشيطان فتكون لام كى فى قوله تعالى ليجعل متعلقة بألقى الشيطان باعتبار مادل عليه من التمكين والظاهر ان هذه اللام لام العاقبة وتسميتها لام العلة باعتبار انها فى الاصل للعلة والمعنى مكنه الله تعالى من الالقاء ليجعل مايلقيه الشيطان سببا لتغرير المنافقين والمشركين ولتثبيت المؤمنين على ماهم عليه من العلم بالتوحيد وبان القرآن هو الحق النازل من عند الله تعالى وقوله تعالى فيؤمنوا عطف على قوله ليعلم ولما كان الايمان بالقرآن متفرّعا على العلم بانه هو الحق النازل من عند الله تعالى عطفه عليه بالفاء وكذا الايمان بالله تعالى متفرّع على العلم بان التمكين حق صادر من الله تعالى ثم انه تعالى بين ان هذا الايمان والاخبات انما هو بلطف الله تعالى وهدايته اياهم فقال تعالى وان الله لهادى الذين آمنوا ﴿ قوله فيصرن كالعقم ﴾ اى كأنهنّ لم يلدنهم فالعقم صفة النساء الا انه اسند الى يوم القيامة اى الى اليوم الذى يعقمن فيه على طريق صام نهاره والعقم على الوجه الثانى صفة الحرب من حيث ان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا بقى الحرب بلا ولد والظاهر ان يجعل الحرب مجازا لانه جعل عقيما تشبيها لقتل اولاده بعقمه ثم اسند العقم بهذا المعنى الى يوم الحرب مجازا ففى التركيب على هذا الوجه مجازان احدهما فى المسند والثانى فى الاسناد وحاصل الوجه الرابع ان كل يوم له مثل الا يوم بدر فانه عقيم لا مثل له فلما لم يعقبه مثل جعل عقيما كما جعل يوم القيامة اذ لا يوم بعده ﴿ قوله او يوم القيامة ﴾ عطف على قوله يوم حرب * ولما ورد ان يقال كيف يصح ان يفسر اليوم العقيم بيوم القيامة وهو معطوف على الساعة * اجاب عنه بوجهين الاوّل ان المراد بالساعة اشراطها ومقدّماتها والثانى ان التقدير او يأتيهم عذابها الا انه وضع الظاهر موضع الضمير للتهويل ﴿ قوله تعالى والذين هاجروا ﴾ لما ذكر ان

واصل العمل روى ان بعض الصحابة قالوا يا نبيّ الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فالنا ان متنا فنزلت ﴿ وان الله لهو خير الرازقين ﴾ فانه يرزق بغير حساب ﴿ ليدخلنهم مدخلا يرضونه ﴾ هو الجنة فيها مايحبونه ﴿ وان الله لعليم ﴾ باحوالهم واحوال معاديهم ﴿ حليم ﴾ لا يعاجل فى العقوبة

(الملك)

الملك له يوم القيامة وانه يحكم بينهم ويدخل المؤمنين الجنات اتبعه بذكر الوعد الكريم للمهاجرين منهم واختلف في المهاجر فقيل المراد من هاجر الى المدينة طلبا لنصرة الرسول وتقربا الى الله تعالى وقال آخرون بل المراد من جاهد فخرج مع الرسول او سراياه لنصرة الدين ولذلك ذكر القتل بعده ومنهم من حمله على الامرين ثم انه تعالى وصف رزق المهاجرين ومسكنهم اما الرزق فبقوله ليرزقنهم الله رزقا حسنا واما المسكن فبقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه على ان يكون ليدخلنهم جملة مستأنفة ويجوز ان يكون بدلا من ليرزقنهم الله رزقا حسنا وتقرير المصنف رحمة الله تعالى عليه اوفق لهذا الاحتمال الذى ذكرناه وقد بين انجاز الوعد للمهاجرين الذين قتلوا وماتوا بعد ما بين انه تعالى يحكم بين الذين آمنوا والذين كفروا وقوله تعالى ثم قتلوا او ماتوا يدل على ان حال المقتول فى الجهاد والميت فى فراشه سواء اذا استويا فى القصد والتقرب الى الله تعالى ونصرة رسوله وفى اصل العمل وهو الهجرة من حيث انه تعالى جمع بينهما فى الوعد ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام المقتول فى سبيل الله والمتوفى فى سبيل الله بغير قتل هما فى الاجر شريكان ولفظ الشركة يشعر بالتسوية والافلا يبقى لتخصيصهما بالذكر فائدة ﴿قوله الامر ذلك﴾ يعنى ان ذلك خبر مبتدأ محذوف وما بعده مستأنف ومن عاقب مبتدأ خبره لينصرنه الله والعقوبة اسم لما يعاقب به ويعقب الجرم من الجزاء وسمى المكروه الذى اوقع ابتداء عقوبة حيث قيل بمثل ما عوقب به مع انه ليس جزاء لعقوبة الجريمة اما للمشاكلة واما على سبيل المجاز المرسل فان ما وقع ابتداء سبب لما وقع جزاء وعقوبة فسمى السبب باسم المسبب قيل معنى الآية ان من قاتل من كان يقاتله ابتداء ثم كان المقاتل مبغيا عليه بان اضطر الى الهجرة ومفارقة الوطن او ابتدئ بالقتال لينصرنه الله ووجه تعلق هذه الآية بما قبلها انه تعالى وصف رزق المهاجرين ومسكنهم اوّلا ثم قال فى هذه الآية انى مع اكرامى لهم فى الآخرة بهذا الوعد لا ادع نصرتهم فى الدنيا على من بغى عليهم ﴿قوله لعفوّ غفور للمنتصر حيث اتبع هواه﴾ اشارة الى وجه تعليله تعالى نصرته للعاقب بكونه عفوّا غفورا مع ان العفو والغفران يقتضيان سابقة الجناية من المعفوّ عنه ولا جناية من المعاقب فى الانتصار لانه استوفى به حقه ولم يظلم احدا وحاصله ان العفو وان اقتضى سابقة الجناية لكن الجناية لا يلزم ان تكون بارتكاب المحرّم بل قد تكون لترك ما يندب اليه وتسمى جناية على سبيل الزجر والتغليظ ﴿قوله وفيه﴾ اى وفى تعليل نصرته تعالى المعاقب بكونه عفوّا تعريض بالحث على العفو وتنبيه على انه تعالى قادر على عقوبة البادى ﴿قوله بسبب ان الله تعالى قادر﴾ بيان لوجه كون ايلاج كل واحد من الملوين فى الآخر سببا للنصر الموعود فى حق المعاقب وحاصله ان السبب الحقيق هو قدرته تعالى على جميع الممكنات الا انه تعالى وضع دليل القدرة مقام نفسها ﴿قوله بان يزيد فيه﴾ اى فى الآخر متعلق بقوله ايلاج احد الملوين فانه لما ورد ان يقال كيف يعقل ايلاج الليل المظلم فى النهار المضيئ حقيقة وكذا عكسه مع ان ذلك يقتضى اجتماع الظلمة والنور فى زمان واحد دفعه بان معنى الايلاج المذكور ليس ادخال الزمان المظلم فى الزمان المضيئ ليلزم ما ذكر بل معناه ادخال ما نقص من ساعات احد الزمانين فى الزمان الآخر فاللازم تفاوت الزمانين بحسب الزيادة والنقصان لا اجتماع الضدّين فى زمان واحد وانما يلزم ذلك ان لو كانت الظلمة والضياء مما تقتضيهما ذوات تلك الساعات الزائدة والناقصة وليس كذلك بل هما مستندان الى طلوع النير وغروبه ثم جوّز ان يكون معنى ايلاج الليل والنهار تحصل ظلمة الليل فى مكان ضوء النهار الخ روى الامام رحمة الله تعالى عليه عن مقاتل رضى الله تعالى عنه انه قال نزل قوله تعالى ومن عاقب بمثل ما عوقب به الآية فى قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرّم فقالوا ان اصحاب محمد يكرهون القتال فى الشهر المحرّم فاحلوا عليهم فناشدهم المسلمون بان يكفوا عن قتالهم لحرمة الشهر فأبوا او قاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون لهم فنصر وعليهم فوقع فى نفس المسلمين من القتال فى الشهر الحرام شئ فانزل الله تعالى هذه الآية وعفا عنهم وغفر لهم فعلى هذه الرواية يكون وجه تعليل قوله تعالى لينصرنه الله بقوله تعالى ان الله لعفوّ غفور ظاهرا لا يحتاج فيه الى ان يقال حيث اتبع هواه فى الانتقام واعرض عما ندب الله تعالى اليه ﴿قوله ولا شئ اعلى منه الخ﴾ بيان لمعنى الحصر المستفاد من توسط ضمير الفصل بين اسم ان وخبرها المحلى بالالف واللام قال الامام الشافعى رحمة الله عليه من احرق احرقناه ومن اغرق اغرقناه اى يعاقب وفق الجناية وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى بل يقتل بالسيف واحتج الامام الشافعى رحمه الله تعالى على ما ذهب اليه بهذه الآية فقال ان الله تعالى جوّز للمظلوم ان يعاقب بمثل

﴿ذلك﴾ الامر ذلك ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ ولم يزد فى الاقتصاص وانما سمى الابتداء بالعقاب الذى هو الجزاء للازدواج اولانه سببه ﴿ثم بغى عليه﴾ بالمعاودة الى العقوبة ﴿لينصرنه الله﴾ لا محالة ﴿ان الله لعفوّ غفور﴾ للمنتصر حيث اتبع هواه فى الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالى شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضدّه ﴿ذلك﴾ اى ذلك النصر ﴿بان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل﴾ بسبب ان الله قادر على تغليب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين فى الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل فى مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها ﴿وان الله سميع﴾ يسمع قول المعاقب والمعاقب ﴿بصير﴾ يرى افعالهما فلا يهملهما ﴿ذلك﴾ الوصف بكمال القدرة والعلم ﴿بان الله هو الحق﴾ الثابت فى نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما ﴿وان ما يدعون من دونه﴾ الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فيكون الواو لما فانه فى معنى الآلهة ﴿هو الباطل﴾ المعدوم فى حدّ ذاته او باطل الالوهية ﴿وان الله هو العلىّ﴾ على الاشياء ﴿الكبير﴾ عن ان يكون له شريك ولا شئ اعلى منه شانا واكبر منه سلطانا

ماعوقب به ووعده النصرة عليه ثم انه تعالى لما دل على قدرته بماذكره من ولوج الليل فى النهار وبالعكس اتبعه بانواع اخر من دلائل قدرته تعالى وهى ستة اوّلها قوله تعالى الم تر اى الم تعلم فان الماء النازل وان كان مرئيا بالبصر الا ان كونه تعالى منزلا له من السماء غير مرئى به فوجب ان تحمل الرؤية على العلم الذى هو المقصود من الرؤية فان الرؤية اذا لم يقترن العلم بها صارت كأنها لم تحصل ﴿قوله ولذلك رفع فتصبح﴾ يعنى ان قوله تعالى فتصبح وان وقع بعد لفظ الاستفهام فكان الظاهر ان ينصب على جواب الاستفهام الا ان الاستفهام هنا لما كان استفهام تقرير بمعنى الخبر اى بمعنى قد رأيت لم يكن له جواب فلذلك رفع المضارع بعده عطفا على انزل وقوله اذا لو نصب جوابا عالة لقوله استفهام تقرير ولذلك رفع المضارع بعده عطف على انزل اى اذا لو كان الاستفهام بمعناه ونصب مابعده جوابا له لافاد الكلام عكس المقصود الذى هو اثبات الاخضرار اذا لو نصب الفعل بعده لانقلب المعنى الى نفى الاخضرار كما اذا قلت الم تر انى انعمت عليك فتشكرانى رفعت فتشكر فقد اثبت شكر المخاطب وان نصبت فقد نفيت شكره وشكوت من تفريطه فيه فان اداة الاستفهام فى مثله تثبت ماتدخل عليه وان كان منفيا تنفى الجواب فيلزم من هذا اثبات الرؤية وانتفاء الاخضرار وهو خلاف المقصود وايضا جواب الاستفهام ينعقد منه مع معنى الاستفهام السابق شرط وجزآء كقوله* الم تسأل فتخبرك الرسوم * والمعنى ان تسأل تخبرك الرسوم لان مابعد الفاء انما ينتصب اذا كان المستفهم عنه سببا له وفيما نحن فيه لايصح ان يجعل تقدير الكلام ان تر انزال المطر تصبح الارض مخضرّة لان رؤية المخاطب ليست سببا لاخضرار الارض وان اخضرارها ليس مرتبا على رؤية المخاطب ذلك بل هو مرتب على نفس الانزال ولما كان انتصاب المضارع بعد الفاء فى جواب الاشياء الستة مبنيا على صحة تقدير ان فعلت فعلت ولما لم يصح هذا التقدير فى الآية لم يجز نصب قوله فتصبح الارض مخضرّة ﴿قوله يصل علمه اولطفه﴾ الاوّل مبنى على ماقيل اللطيف العالم ببواطن الاشياء والثانى على ماقيل انه الرفيق فى افعاله وقيل اللطيف من تدق حكمته فيما يفعل ويحكم والخبير العالم بمصالح الخلق ومنافعهم فيفعل على قدر ذلك من غير زيادة ولانقصان ﴿قوله لهو الغنى فى ذاته عن كل شئ﴾ والمعنى انه تعالى خلق ذلك منقادا له غير ممتنع من التصرّف فيه واختص جميع ذلك به خلقا وملكا لالاحتياجه الى شئ منه فانه كامل لذاته غنىّ عن كل ماعداه فى كل الامور لكنه لما خلق الناس ليعرفوه ويخصوه بالتعظيم والاجلال ويستعدّوا بذلك للسعادة الابدية واقتضت الحكمة احتياجهم فى تعيشهم الى بركات السموات والارض خلق هذه الاشياء رحمة لهم وانعاما عليهم لالمنفعة تعود اليه فلاجرم كان حميدا مستحقا للحمد فظهر بذلك كمال قدرته وعلوّ شانه وكبريائه وعظم رحمته واحسانه تبارك الله رب العالمين ﴿قوله حال منها﴾ اى من الفلك على تقدير كونها عطفا على ماوقوله او خبر على تقدير كون الفلك عطفا على اسم ان او مرفوعا على الابتدآء وجريان الفلك وان كان مسندا الى كون الماء والريح على الحالة الملائمة لجريانها الا ان تلك الحالة لما ثبتت لها بامره تعالى وتكوينه نسب جريها الى امره تعالى فان ذلك انسب لعظمته وكمال قدرته ﴿قوله من ان تقع او كراهة ان تقع﴾ فيكون ان تقع على الاوّل فى محل النصب بنزع الخافض او فى محل الجرّ على ارادته وعلى الثانى يكون فى محل النصب على انه المفعول من اجله فالبصريون يقدّرون كراهة ان تقع والكوفيون يقدّرون لئلا تقع وهذا الخلاف مبنى على مسألة كلامية وهى ان الارادات والكراهات هل تتعلق بالعدم اولا فمن منع ذلك ذهب الى ان التأويل الثانى هو الصحيح ومن جوّزه ذهب الى الاوّل والظاهر انّ قوله الا باذنه استثناء مفرّغ من اعم الاحوال وهو لايقع فى الكلام الموجب الا ان قوله ويمسك السماء ان تقع على الارض فى قوّة النفى فلذلك جاز فيه التفريغ اذ التقدير ولايتركها تقع فى حال من الاحوال الا فى حال كونها ملتبسة بامره ﴿قوله متعبدا﴾ اى مألفا يألفونه اماكانا معينا اوزمانا معينا لادآء الطاعات اوشريعة اومنهجا كلفوا بها روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان المنسك شريعة لهم اوشريعة عاملون بها ويؤيده قوله تعالى ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وروى عنه ايضا انه قال عيدا يذبحون فيه وقيل قربانا يذبحونه وقيل موضع عبادة قيل القول بان المنسك هو الشريعة اولى لانه مأخوذ من النسك وهو العبادة واذا وقع الاسم على كل عبادة فلا وجه للتخصيص ببعضها ولا وجه لحمله على موضع العبادة ووقتها لان قوله ناسكوه أليق بالعبادة فيه بالوقت والمكان لان المنسك لو لم يكن مصدرا بل كان اسم مكان اوزمان لقيل هم ناسكون فيه لان الفعل لا يتعدّى الى ضمير الظرف الا بكلمة فى غالبا الا ان يتسع فى الظرف

﴿الم تر ان الله انزل من السماء ماء﴾ استفهام تقرير ولذلك رفع ﴿فتصبح الارض مخضرّة﴾ عطف على انزل اذا لو نصب جوابا لدل على نفى الاخضرار كما فى قولك الم تر انى جئتك فتكرمنى والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضى للدلالة على بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان ﴿ان الله لطيف﴾ يصل علمه او لطفه الى كل ماجل ودق ﴿خبير﴾ بالتدابير الظاهرة والباطنة ﴿له مافى السموات ومافى الارض﴾ خلقا وملكا ﴿وان الله لهو الغنىّ﴾ فى ذاته عن كل شئ ﴿الحميد﴾ المستوجب للحمد بصفاته وافعاله ﴿الم تر ان الله سخر لكم مافى الارض﴾ جعلها مذللة لكم معدّة لمنافعكم ﴿والفلك﴾ عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتدآء ﴿تجرى فى البحر بامره﴾ حال منها او خبر ﴿ويمسك السماء ان تقع على الارض﴾ من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك ﴿الا باذنه﴾ الا بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام فى الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها ﴿ان الله بالناس لرؤف رحيم﴾ حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضارّ ﴿وهو الذى احياكم﴾ بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ﴿ثم يميتكم﴾ اذا جاء اجلكم ﴿ثم يحييكم﴾ فى الآخرة ﴿ان الانسان لكفور﴾ الجحود للنعم مع ظهورها ﴿لكل امّة﴾ اهل دين ﴿جعلنا منسكا﴾ متعبدا اوشريعة تعبدوا بها وقيل عيدا ﴿هم ناسكوه﴾ يذبحونه

(فيجرى)

فيجرى مجرى المفعول به فيتعدّى الفعل الى ضميره بنفسه كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا * اى شهدنا فيه وقوله ومشرب اشربه اى اشرب فيه * فان قيل لم جاء نظير هذه الآية معطوفا بالواو فيما تقدّم وهذه بغير واو * وقلنا لان تلك وقعت بعد ما يناسبها ويدانيها من الآى الواردة فى امرا لنسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع الاباعد اى بعد الآى المتباعدة عن معناها فلم تجد ما تعطف هى عليه فانه تعالى ذكر ثواب المهاجرين فى الآخرة ثم بين انه مع ذلك ينصرهم فى الدنيا ايضا على من بغى عليهم ثم بين قدرته على ذلك بالدلائل المذكورة وختم بذلك ما يتعلق بقوله الملك يومئذ لله الذى يحكم بينهم ثم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالجدّ فى الدعاء الى الدين وعرّفه وجه المعاملة معهم والاحتجاج عليهم فقال تعالى لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه اى شرعنا لكل امة خلت حزبا من العبادة هم عاملوه وناصبون عليه فلا ينازعنك اى فليس لأحد من بقايا تلك الامم منازعتك فى الامر اى فيما تأمر به امّتك من الشرآئع اذ كانت لهم شرآئع تخالف بعضها بعضا فكذا هذه الشريعة وان خالفت تلك الشرآئع فليس لهم منازعتك فيها ﴿قوله او النسائك﴾ هو جمع نسيكة وهى الذبيحة وهو مبنى على ان تكون الآية نازلة فى كفار خزاعة الذين نازعوه صلى الله عليه وسلم فى حرمة اكل الميتة التى قتلها الله تعالى ﴿قوله وقيل المراد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام﴾ عطف على قوله فلا ينازعنك سائر ارباب الملل من حيث المعنى وقيل كناية عن نهيه عليه الصلاة والسلام عن الالتفات الى قولهم لانه يؤدّى الى منازعتهم ويستلزمها فيكون من قبيل ذكر اللازم وارادة الملزوم على اسلوب لارينك ههنا وقيل هو كناية عن نهيه عليه الصلاة والسلام عن المنازعة معهم لان المنازعة تكون بين اثنين فنهى احد الشريكين عنها يستلزم نهى الآخر فيصلح احد النهيين كناية عن الآخر ﴿قوله وهذا انما يجوز﴾ اى كون نهى احد الفاعلين كناية عن نهى الآخر انما يجوز فى افعال المغالبة لان التلازم انما يتحقق فيها ولا يجوز ان يكون قولك لايضربنك زيد مثلا كناية عن قولك لاتضربن انت اياه لعدم التلازم بين النهيين وقوله انما يجوز بالحصر محل تأمل لان مثل قوله تعالى لايغرّنكم بالله الغرور ويجوز ان يكون كناية عن لاتغرّوا مع ان الغرور ليس من افعال المغالبة وقد مرّ فى سورة طه ان قوله تعالى فلا يصدّنك عنها من لايؤمن بها وان كان نهيا للكافر عن ان يصدّ موسى عنها فالمراد نهيه عليه الصلاة والسلام عن ان يصدّ عنها مع ان هذا الفعل ايضا ليس من افعال المغالبة ﴿قوله وقرئ فلا ينزعنك﴾ من النزع بمعنى الجذب يقال نزعت الشئ من مكانه واذا قلعته عنه اى اثبت فى دينك ثباتا لايطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه ولما ورد ان يقال كيف يكون نهى الكفار عن نزعه عليه الصلاة والسلام عن دينه كناية عن امره بالثبات على دينه مع ان النزع ليس من افعال المغالبة دفعه بانه ليس من النزع الصادر من الواحد بل من النزع المسند الى الغالب من المتنازعين يقال نازعته فنزعته انزعه اى غلبته فى النزع فمعنى الآية لايغلبنك فى المنازعة الا ان كسر عين المضارعة فى باب المغالبة غريب لم يذهب اليه غير صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه فانه قال بضم عين المضارعة فى باب المغالبة مطلقا اذا لم يكن عينه او لامه حرف حلق واما اذا كان احدهما حرف حلق فان الفعل حينئذ يترك على قاعدة الاستعمال ﴿قوله تعالى وادع الى ربك﴾ لم يذكر مفعول ادع للتعميم والمعنى انك مبعوث الى الناس كافة وكلهم مأمورون باتباعك والتدين بشرعك ودينك فادعهم الى دين ربك ولاتخص امّة دون امّة بالدعوة اليه فكل الناس امّتك ثم انه تعالى لما امر الرسول صلى الله عليه بان يحذر المجادلين بعد لزوم الحجة ووضوحها من حكم يوم القيامة اتبعه بما يعلم انه تعالى عالم بما يستحقه كل واحد وانه يحكم بينهم بالعدل لا بالجور فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام ألم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض وان ما يفعله الكفار المجادلون محفوظ عند الله تعالى لايضل عنه ولاينسى فان كل ما يحدثه الله تعالى فى السموات والارض فقد كتبه فى اللوح المحفوظ * فان قيل ان ذلك يوهم ان علمه تعالى مستفاد من الكتاب وايضا فافادة ذلك الكتاب * اجيب عن الاوّل بان كتبه تلك الاشياء فى ذلك الكتاب قبل حدوثها على الوجه المطابق للموجودات من ادلّ الدلائل على انه تعالى غنى فى علمه عن ذلك الكتاب وعن الثانى بان الملائكة ينظرون فيه ثم اذا اراد جعل الحوادث داخلة فى الوجود على وفقه صار ذلك دليلا لهم زآئدا على كونه تعالى عالما بكل المعلومات ثم انه تعالى بين ما عليه الكفرة من الشرك والعصيان مع ظهور دلائل وحدانيته وعلوّ شأنه وكبريائه وسبوغ آلائه ونعمائه فقال تعالى ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا اى لم ينزل لجواز عبادته حجة سماوية ولا عملا حاصلا لهم بضرورة عقولهم او بالاستدلال فلا حجة لهم

﴿فلا ينازعنك﴾ سائر ارباب الملل ﴿فى الامر﴾ فى امر الدين او النسائك لانهم بين جهال واهل عناد اولان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدّية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مرآء او عن منازعتهم كقولك لايضارنك زيد وهذا انما يجوز فى افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت فى كفار خزاعة قالوا للمسلمين مالكم تأكلون ماقتلتم ولاتأكلون ماقتله الله وقرئ فلاينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة فى تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته ﴿وادع الى ربك﴾ الى توحيده وعبادته ﴿انك لعلى هدى مستقيم﴾ طريق الى الحق سوىّ ﴿وان جادلوك﴾ وقد ظهر الحق ولزمت الحجة ﴿فقل الله اعلم بما تعملون﴾ من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق ﴿الله يحكم بينكم﴾ يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب ﴿يوم القيامة﴾ كما فصل فى الدنيا بالحجج والآيات ﴿فيما كنتم فيه تختلفون﴾ من امر الدين ﴿الم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض﴾ فلا يخفى عليه شئ ﴿ان ذلك فى كتاب﴾ هو اللوح المحفوظ كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ﴿ان ذلك﴾ ان الاحاطة به واثباته فى اللوح المحفوظ او الحكم بينكم ﴿على الله يسير﴾ لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سوآء ﴿ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا﴾ حجة تدل على جواز عبادته ﴿وما ليس لهم به علم﴾ حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله ﴿وما للظالمين﴾ وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم ﴿من نصير﴾ يقرّر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم

اذا فى عبادتها اصلا وانما يعبدونها عن محض الجهل ثم وبخهم بانهم مع جهلهم المفرط اذا تليت عليهم الآيات البينات الدالة على المنهج القويم والصراط المستقيم تعرف فى وجوههم المنكر اى اثر الانكار لما يتلى عليهم او الامر المنكر اى مايدل عليه وهو قصد الشر بمن تلا عليهم تلك الآيات وقوله تعالى يكادون يسطون حال اما من المضاف اليه وهو الموصول وجاز انتصاب الحال منه لكون المضاف جزأه واما من المضاف وهو الوجوه بناء على ان المراد اصحابها كما فى قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله وضمن يسطون معنى يبطشون فعدّى تعديته والافهو متعدّ بعلى يقال سطا عليه واشار الى هذا بقوله ويبطشون بهم واما قوله يثبون فهو تفسير لاصل معناه فان السطو معناه الوثوب والحمل والمعنى واذا تتلى عليهم آياتنا تعرف فى وجوههم ذلك فى حال كونهم يقربون من ان يثبوا ويبطشوا بالذين تلوا عليهم القرآن وهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم من شدّة الغيظ على التالين الذى يلحقهم بسبب سماعه فأمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بان يقابلهم بالوعيد فقال قل لهم أفأنبئكم الآية ﴿ قوله ويجوز ان يكون مبتدأ خبره وعدها الله ﴾ فهذه الجملة الاسمية لامحل لها لكونها مفسرة للجملة المتقدّمة كانه قيل مابشرّ من ذلكم فقيل النار وعدها الله وان قرئ النار مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف او منصوبا بتقدير اعنى او مجروراً على انه بدل من بشرّ تكون جملة وعدها الله مستأنفة لامحل لها ويجوز ان تكون حالا من النار على تقدير كونه منصوبا او مجروراً لا على تقدير كونه مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف لانه ليس فى جملة هو النار مايصح ان يعمل فى الحال بخلاف ما اذا كان منصوبا او مجرورا قال ابو البقاء قوله تعالى النار يقرأ بالرفع وفيه وجهان احدهما انه مبتدأ ووعدها الخبر والثانى انه خبر مبتدأ محذوف اى هو النار ووعدها على هذا مستأنف اذ ليس فى الجملة مايصح ان يعمل فى الحال واشار المصنف رحمة الله تعالى عليه الى هذا بقوله اوحالا منها فانه معطوف على قوله استئنافا وقد فرّع احتمال كونها مستأنفة على قراءة النصب والجرّ فيكون احتمال الحالية ايضا متفرّعا عليهما ﴿ قوله تعالى ياايها الناس ضرب مثل ﴾ متصل بقوله تعالى ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا بين اوّلا انهم يعبدون من دون الله مالم يتمسكوا فى صحة عبادته ببرهان سماوى من جهة الوحى ولا ألجأهم اليه علم ضرورى ولا حملهم عليه دليل عقلى ثم ذكر بهذه الآية مايدل على بطلان حالهم وفساد عقلهم وفعلهم وقولهم وعبر عن دعواهم بان الله تعالى شريكا بالمثل تشبيها بالمثل السائر فى الغرابة فان لفظ المثل حقيقة عرفية فى القول السائر واستعارة فى الحال المستغربة والقصة العجيبة نادى الله المشركين ليلقى اليهم حالة غريبة اوقصة رائعة متلقاة بالاستحسان والقبول وهى انهم اتخذوا اعجز خلق الله تعالى واذلهم شريكا له فى الالوهية واستحقاق العبادة جل عن ذلك وتعالى وعبر عن هذه الحالة الغريبة بلفظ الماضى وهو ضرب المستدعى لتحقق الضرب والبيان فيما مضى مع انه تعالى هو المتكلم بهذا الكلام ابتداء بناء على ان مايورد من تلك الحالة الغريبة لغاية وضوحها بمنزلة امر تقدّم بيانه ثم انه تعالى بين ما اجمله وابهمه بقوله ضرب مثل بان قال تعالى ان الذين تدعون من دون الله الآية ولاشك ان اتخاذ من لايقدر على خلق احقر خلق الله قدراً وجثة الها معبودا حالة غريبة شبيهة بالمثل السائر واغرب منها انه لايقوى على مقاومة هذا المخلوق الاحقر الادنى ويعجز عن ذبه عن نفسه ﴿ قوله اوجعل لله مثل ﴾ روى ان الاخفش قال ان قيل فأين المثل الذى ذكره الله تعالى فى قوله ضرب مثل قيل ليس ههنا مثل يضرب من الامثال وانما معناه شبه بى الاوثان وجعلت لى امثالا وشركاء ولايخفى ان القول بان ضرب بمعنى جعل لايخلو عن بعد ﴿ قوله لايقدرون على خلقه ﴾ تصوير لمعنى تأكيد النفى المستفاد من كلمة لن لان نفى القدرة على الفعل آكد من نفى نفس الفعل لكون نفيها نفيا للفعل بدليل بخلاف نفى اصل الفعل فانه نفى مجرّد ﴿ قوله لان لن بمافيها من تأكيد النفى ﴾ علة لتصوير معنى تأكيد النفى لنفى القدرة على الخلق فان تحقق المنافاة بين المنفى والمنفى عنه انما يكون بعدم القدرة على الفعل المنفى ﴿ قوله وجمعه اذبة وذبان ﴾ يعنى ان الذباب اسم جنس وجمعه القليل اذبة ويجمع فى الكثرة على ذبان بكسر الذال وضمها والمذبة مايطرد بها الذباب ﴿ قوله بجوابه المقدّر فى موضع حال ﴾ قد تقرّر ان الواو فى مثل هذا التركيب عاطفة لهذه الجملة الحالية على حال محذوفة اى اتنفى خلقهم الذباب على كل حال ولو كانت فيهم هذه الحالة المقتضية لخلقه لخلقوه وكانه تعالى قال ان هذه الاصنام ان اجتمعت لاتقدر على خلق ذبابة على حقارتها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا وشريكا لخالق السموات والارض ﴿ قوله عابد الصنم ومعبوده ﴾ فان عابده يطلب منه

﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا ﴾ من القرآن ﴿ بينات ﴾ واضحات الدلالة على العقائد ٣٩٤ * الحقة والاحكام الالهية ﴿ تعرف فى وجوه

الذين كفروا المنكر ﴾ الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لأباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير اوما يقصدونه من الشرّ ﴿ يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ﴾ يثبون ويبطشون بهم ﴿ قل أفأنبئكم بشرّ من ذلكم ﴾ من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم اوما اصابكم من الضجر بسبب ماتلوا عليكم ﴿ النار ﴾ اى هو النار كأنه جواب سائل قال ماهو ويجوز ان يكون مبتدأ خبره ﴿ وعدها الله الذين كفروا ﴾ وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجرّ بدلا من شرّ فتكون الجملة استئنافا كما اذا رفعت خبرا اوحالا منها ﴿ وبئس المصير ﴾ النار ﴿ ياايها الناس ضرب مثل ﴾ بين لكم حال مستغربة اوقصة رائعة ولذلك سماها مثلا اوجعل لله مثل اى مثل فى استحقاق العبادة ﴿ فاستمعوا له ﴾ للمثل اولبيانه استماع تدبر وتفكر ﴿ ان الذين تدعون من دون الله ﴾ يعنى الاصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاوّلين ﴿ لن يخلقوا ذبابا ﴾ لايقدرون على خلقه مع صغره لان لن بمافيها من تأكيد النفى دالة على منافاة مابين المنفىّ والمنفىّ عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ﴿ ولو اجتمعوا له ﴾ بجوابه المقدّر فى موضع حال جيئ به للمبالغة اى لايقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين ﴿ وان يسلبهم الذباب شيأ لايستنقذوه منه ﴾ جهلهم غاية التجهيل بان أشركوا آلها قدر على المقدورات كلها وتفرّد بايجاد الموجودات بأسرها تماثيل هى اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لاتقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لاتقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ مايختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ عابد الصنم ومعبوده

بعبادته اياه ان ينفعه ويشفع له فالطالب هو العابد والمطلوب هو الثواب والنفع والمطلوب منه هو الصنم الا انه اطلق المطلوب على الصنم على طريق الحذف والايصال ﴿قوله﴾ او الذباب يطلب مايسلب من الصنم من الطيب ﴿فعلى هذا الطالب هو الذباب والمطلوب هو الطيب المسلوب والمطلوب منه هو الصنم واطلق عليه المطلوب على طريق الحذف والايصال ايضا ﴿قوله﴾ او الصنم والذباب ﴿فعلى هذا الطالب هو الصنم والمطلوب هو الاستنقاذ والمطلوب منه هو الذباب الا انه يسمى مطلوبا على طريق الحذف ايضا والايصال ﴿قوله﴾ تقريرا للنبوّة وتزييفا لقولهم ﴿هو علة لقوله بين ان له عبادا مصطفين مختارين قرّر النبوّة باصطفائه بعض الناس للرسالة وزيف طريق من عبد غير الله تعالى من الملائكة بقوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا بعد ما ابطل قول من عبد الاوثان فى الآية المتقدّمة فالمقصود من هذه الآية ابطال قول عبدة الملائكة وبيان ان علوّ درجتهم ليس من حيث كونهم الهة يستحقون العبادة بل من حيث انهم عباد مكرمون اصطفى منهم رسلا يتوسطون بينه وبين الانبياء عليهم السلام قيل ويحتمل ان يكون المراد باصطفاء الملائكة انه تعالى يختار من الملائكة رسلا الى الملائكة فى بعض ما كلفهم به من انواع العبادات والطاعات فيبعث منهم اليهم رسلا بتبليغ ذلك كما اختار من الانس رسلا اليهم يبعثهم فيما كلفهم به وفى الآية الشريفة دلالة على انه تعالى انما اصطفاهم للرسالة لالشئ يستوجبون به ذلك ولكن كان ذلك افضالا منه وانعاما لهم حيث قال تعالى يصطفي لا كما قالت المعتزلة من انه تعالى لايختار للرسالة الامن كان فيه مايستحق به ذلك وقوله تعالى يعلم مابين ايديهم اى من امر الدنيا وماخلفهم اى من امر الآخرة اشارة الى العلم التام وقوله تعالى والى الله ترجع الامور اشارة الى القدرة التامة والتفرّد بالالهية والحكم ومجموعهما يتضمن نهاية الزجر عن الاقدام على المعصية ثم انه تعالى لما قدّم ذكر مايتعلق بالالهيات ثم ذكر مايتعلق بالثواب اتبعه بذكر مايتعلق بالشرآئع والاحكام وكلفهم اوّلا بما هو اجل العبادات وهو الصلاة او الجمع بين الركوع والسجود فيها كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال ان الناس كانوا فى اوّل الاسلام يركعون ولايسجدون حتى نزلت هذه الآية فقال تعالى ياايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ثم كلفهم بما يتناول الصلاة وغيرها من انواع العبادات التى يقصد بها التعظيم لامر الله فقال تعالى واعبدوا ربكم ثم كلفهم بما يتناول خدمة المعبود وتعظيم امره ويتناول الاحسان الى خلقه الذى هو عبارة عن الشفقة على خلق الله تعالى من افعال الخير كصلة الرحم ومكارم الاخلاق فكأنه تعالى قال كلفتم بالصلاة ثم كلفتم بما هو اعم منها وهو العبادة ثم كلفتم بما هو اعم منها وهو الخيرات والفلاح الظفر بنعيم الآخرة وذكره الله تعالى بكلمة الترجى لان الانسان قلما يخلو فى ادآء ما كلف به من التقصير فليس هو على تيقن فى خروجه من عهدة ما كلف به حتى يتيقن بترتيب الثواب الموعود لمن اتى بما كلفهم رابعا بان يجاهدوا فى الله حق الجهاد اى جهادا فيه ولاجله وانتصابه على المصدر فحذفت كلمة فى واضيفت كلمة الجهاد الى الضمير على طريق الاتساع كما فى قوله * ويوم شهدناه سليما * من حيث ان الاضافة يكفى فيها ادنى ملابسة واختصاص وقد يتحقق كونه حقا باستغراق الطاقة فيه * واصل المعنى جاهدوا فى الله تعالى من اجله جهادا حقا وتوصيف الجهاد بالحق يفيد ان هناك جهادا واجبا والمطلوب منهم الاتيان بذلك فاذا عكس واضيف الصفة الى الموصوف بعد اضافته الى الله تعالى افاد اثبات جهاد مختص بالله تعالى وان المطلوب القيام بواجبه وشرآئطه على وجه التمام والكمال بعد الوسع والطاقة وهو معنى قوله واضيف الحق الى الجهاد مبالغة فانه تضاف الصفة الى الموصوف لتدل على ان المراد به ماهو الكامل فى شأنه ﴿قوله﴾ وفيه تنبيه ﴿يعنى ان قوله تعالى هو اجتباكم استئناف لبيان علة الامر بالجهاد فان نصرة الدين انما تكون بجهاد اعدآئه ﴿قوله﴾ فى اغفال بعض ما امرهم به ﴿اى فى تركه مع ذكره كما يترك المسافر الصوم فى السفر ويترك اتمام الاربع بالقصر ويترك المتوضئ غسل رجليه ويمسح على الخفين ومن لم يستطع ان يصلى قائما يترك القيام فيها ويصلى قاعدا ومن لم يستطع ذلك يصلى موميا وعن عمر رضى الله عنه انه قال من جاءته رخصة فرغب عنها كلفه الله يوم القيامة ان يحمل مثل ثبير حتى يقضى بين الناس وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال * اذا اجتمع امران فاحبهما الى الله تعالى ايسرهما * وقيل معنى قوله تعالى ماكان عليكم فى الدين من حرج ماجعل الله عليكم من حرج اذ المؤمن لايبتلى من الذنوب بشئ الا جعل الله تعالى له مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها بردّ المظالم وبالقصاص وارش الجناية والديات وبعضها بالكفارات وليس فى دين الاسلام ذنب الا ويجد العبد فيه سبيلا الى الخلاص من العذاب به

يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحى ﴿ومن الناس﴾ يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم مانزل عليهم كانه لما قرّر وحدانيته فى الالوهية ونفى ان يشاركه غيره فى صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوّة وتزييفا لقولهم مانعبدهم الا ليقرّبونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك ﴿ان الله سميع بصير﴾ مدرك للاشياء كلها ﴿يعلم مابين ايديهم وماخلفهم﴾ عالم بواقعها ومتوقعها ﴿والى الله ترجع الامور﴾ واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لايسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون ﴿ياايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ فى صلاتكم امرهم بهما لانهم ماكانوا يفعلونهما اوّل الاسلام اوصلوا وعبر عن الصلاة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخرّوا له سجدا ﴿واعبدوا ربكم﴾ بسائر ماتعبدكم به ﴿وافعلوا الخير﴾ وتحرّوا ماهو خير واصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق ﴿لعلكم تفلحون﴾ اى افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على اعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر مافيها من الامر بالسجود ولقوله عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأهما ﴿وجاهدوا فى الله﴾ اى لله ومن اجله اعدآء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلاة والسلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ﴿حق جهاده﴾ اى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا اولانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله ﴿هو اجتباكم﴾ اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعى اليه وفى قوله ﴿وماجعل عليكم فى الدين من حرج﴾ اى ضيق بتكليف مايشتدّ القيام به عليكم اشارة الى انه لامانع لهم عنه ولاعذر لهم فى تركه اوالى الرخصة فى اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام اذا امرتكم بشئ فأتوا منه ماستطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوق العباد

او الذباب يطلب مايسلب من الصنم من الطيب والصنم يطلب منه الذباب السلب او الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ماسلبه ولو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات ﴿ماقدروا الله حق قدره﴾ ماعرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ماهو ابعد الاشياء عنه مناسبة ﴿ان الله لقوىّ﴾ على خلق الممكنات بأسرها ﴿عزيز﴾ لايغلبه شئ وآلهتهم التى يدعونها عجزة عن اقلها مقهورة من اذلها ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلا﴾

﴿ملة ابيكم ابراهيم﴾ منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اى وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الآخرة اولان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ من قبل القرآن فى الكتب المقدمة ﴿وفى هذا﴾ وفى القرآن والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم اولابراهيم وتسميتهم مسلمين فى القرآن وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل فى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفى هذا تقديره وفى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ﴿ليكون الرسول﴾ يوم القيامة متعلق بسماكم ﴿شهيدا عليكم﴾ بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ بتبليغ الرسل اليهم ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بانواع الفضل والشرف ﴿واعتصموا بالله﴾ وثقوا به فى مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الامنه ﴿هو مولاكم﴾ ناصركم ومتولى اموركم ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ هو اذ لا مثل له سبحانه فى الولاية والنصرة بل لا مولى ولا ناصر سواه فى الحقيقة * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحج اعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

﴿سورة المؤمنين مكية وهى مائة﴾
﴿وتسع عشرة آية عند البصريين﴾
﴿وثمانى عشرة عند الكوفيين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قد أفلح المؤمنون﴾ قد فازوا بأمانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخلت الماضى ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ أفلحوا على لغة اكلونى البراغيث او على الابهام والتفسير وأفلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول ﴿الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾ خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم

﴿قوله﴾ بفعل دل عليه مضمون ما قبلها ﴿قوله﴾ فان نفى الحرج وهو حال الضيق يدل على التوسعة فهو مصدر فعل دل عليه مضمون قوله وما جعل عليكم فى الدين من حرج لكن لابد من تقدير المضاف ويجوز ان يكون منصوبا على الاغراء اى الزموا ملة ابيكم واتبعوها ﴿قوله﴾ كان بسبب تسميته من قبل ﴿قوله﴾ اى لما كان تسمية الله تعالى هذه الامة مسلمين بسبب انه تعالى استجاب دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وجعلها هذه الامة صار ابراهيم عليه الصلاة والسلام لكونه سببا لتسميتهم بذلك فى القرآن كأنه سماهم مسلمين فى القرآن ﴿قوله﴾ شهيدا عليكم بانه بلغكم ﴿قوله﴾ الظاهر انه ليس المراد بشهادته انه عليه الصلاة والسلام يشهد على المكذبين من امته بانه بلغهم لان الكلام مع المؤمنين لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اركعوا ولقوله تعالى سماكم المسلمين بل المراد بكونه شهيدا عليكم انه بلغكم تبليغا يترتب عليه تصديقكم اياه وقبولكم ما جاء به ليظهر به اسلامكم وعدالتكم بحيث يقبل الله شهادتكم على منكرى تبليغ المرسلين رسالتهم الا ان هذه الشهادة فى الحقيقة تعديل منه وتزكية لهم وليست شهادة لنفسه حتى يرد ان يقال شهادته عليه الصلاة والسلام على امته بانه بلغهم شهادة لنفسه فكيف تقبل فاجاب بانها تقبل لكونه معصوما ويمكن ان يقال تعديله عليه الصلاة والسلام لامته لما توقف على تبليغه اياهم ولم يثبت ذلك الا بشهادته كان ذلك التعديل فى الحقيقة شهادة لنفسه ومع ذلك قبلت لعصمته ولما كانت شهادته عليه الصلاة والسلام فى حق امته المؤمنين بمعنى التعديل كان الظاهر ان يقال شهيدا لكم بدل عليكم الا انه لما كان الرسول عليه الصلاة والسلام كالرقيب المهيمن على امته عديت بكلمة على فانها قد تستعمل بمعنى اللام كما قوله تعالى وما ذبح على النصب وقال المصنف رحمة الله تعالى عليه فى سورة البقرة روى ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله تعالى ببينة التبليغ وهو أعلم بهم وانما هو اقامة حجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقولون الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيشهد بعد التهم ﴿قوله﴾ لما خصكم ﴿قوله﴾ اى الله بهذا الفضل والشرف اشارة الى ان تفريع قوله تعالى فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة بالفاء على قوله تعالى هو اجتباكم وقوله تعالى هو سماكم المسلمين يشعر بعلية ما ذكر سابقا لوجوب التقرب اليه تعالى عليهم بانواع الطاعات وان تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر لكون الاولى اشرف الاعمال البدنية والثانية اشرف الاعمال المالية * تم ما يتعلق بسورة الحج والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة المؤمنين وهى مكية

﴿سورة المؤمنين مائة وثمانى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله﴾ وقد تثبت المتوقع ﴿قوله﴾ كلمة قد سواء دخلت على الماضى او المضارع تفيد التحقيق ويضاف اليه كونه متوقعا لمن يخاطبه واذا دخلت على الماضى يضاف الى هذين المعنيين التقريب من الحال نحو قد ركب الامير لمن يتوقع ركوبه اى حقا قد حصل عن قريب ما كنت تتوقعه من ركوب الامير واذا دخلت على المضارع يضاف اليهما فى الاغلب معنى التقليل نحو ان الكذوب قد يصدق اى حقا قد يقع منه الصدق وان كان قليلا وقال البغوى رحمة الله تعالى عليه قد حرف تأكيد وقال المحققون قد تقرب الماضى من الحال فتدل على ان الفلاح قد حصل لهم وانهم عليه فى الحال وهو معنى قول المصنف رحمة الله تعالى عليه وتدل على اثباته اى على تقرره وعدم انتفائه بعد الثبوت وهو الدليل على انها لتقريب الماضى من الحال ﴿قوله﴾ على لغة اكلونى البراغيث ﴿قوله﴾ اى على ان يكون الواو حرفا دالا على ان الفاعل جمع كما ان تاء فعلت دالة على انه مؤنث وليست ضمير الفاعل او على ان يكون ضميرا مبهما يفسره المؤمنون ﴿قوله﴾ وافلح ﴿قوله﴾ اى بفتح الهمزة واللام وضم الحاء بغير واو اكتفاء بالضمة عن الواو ﴿قوله﴾ وافلح على البناء للمفعول ﴿قوله﴾ يعنى بمعنى ادخلوا فى الفلاح فيكون من افلح متعديا يقال افلحه اى اصاره الى الفلاح فيستعمل افلح لازما ومتعديا * واعلم انه تعالى اشار الى ان الفلاح الحقيقى لا يحصل بمطلق الايمان بل انما يحصل بالايمان الحقيقى المقيد بجميع الشرائط التى هى مذكورة فى هذه الآية منها كون العبد مؤديا للصلاة حال كونه ملابسا للخشوع والخضوع واختلف فى الخشوع فمنهم من جعله من افعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من

جعله من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات ومنهم من جمع بين الامرين وهو الاولى والخاشع فى صلاته لابدّ ان يحصل له مما يتعلق بالقلب والقالب وجميع مايدل على ظاهره وباطنه نهاية الخضوع والتذلل للمعبود اما خشوع الظاهر والقالب فايكون بالرأس تنكيسه ومايكون بالعين تعاميه عن الالتفات ومايكون بالاذن تذلله للاستماع ومايكون باللسان القرآءة بالحضور ومايكون باليدين وضع اليمين على الشمال بالتعظيم كالعبيد ومايكون بالظهر انحناؤه فى الركوع مستويا ومايكون بالفرج لايظهر فيه اثر من آثار الخواطر الشهوانية ومايكون بالقدمين ثباتهما على الموضع وسكونهما عن الحركة التى لاتكون من افعال الصلاة واما خشوع الباطن فخشوع النفس بسكونها عن الخواطر والهواجس وخشوع القلب بملازمة الذكر ودوام الخضوع وخشوع السرّ بمراقبة المذكور وترك الخطاب الى المكوّنات وخشوع الروح باستغراقه فى بحر المحبة وفنائه عند تجلى الجمال والجلال قال الامام رحمة الله تعالى عليه فان قيل هل ذلك واجب فى الصلاة قلنا انه واجب عندنا ويدل عليه امور احدها قوله تعالى افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها والتدبر لايتصوّر بدون الوقوف على المعنى وقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا معناه والله تبارك وتعالى اعلم انكم قفوا على عجائبه ومعانيه وثانيها قوله واقم الصلاة لذكرى فظاهر الامر للوجوب والغفلة تضادّ الذكر فمن غفل فى جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة بذكره تعالى وثالثها قوله تعالى ولاتكن من الغافلين فظاهره التحريم وقوله تعالى حتى تعلموا ماتقولون تعليل لنهى السكران عن قربان الصلاة وهو مطرد فى الغافل المستغرق المهتم بالدنيا ورابعها قوله صلى الله عليه وسلم * انما الصلاة تسكن وتواضع * فكلمة انما للحصر وقوله صلى الله عليه وسلم * من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله تعالى الا بعدا * فصلاة الغافل لاتمنع عن الفحشاء وقال صلى الله عليه وسلم * كم من قائم حظه من قيامه التعب والنصب وما اراد به الا الغافل * وقيل اجمعت العلماء رضى الله تعالى عنهم على انه ليس للعبد من صلاته الا ماعقل منها روى انه صلى عليه وسلم قال * ان العبد ليصلى الصلاة لايكتب منها له سدسها ولاعشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ماعقل منها * يعنى لايقبل من صلاته الا ماعقل منها والصلاة وان لم تقبل التجزى جوازا وفسادا الا انها تقبل التجزى قبولا وبين الامرين فرق وعن بشر الحافى انه قال من لم يخشع فسدت صلاته وعن الحسن رضى الله عنه كل صلاة لايحضر فيها القلب فهى الى العقوبة اسرع وعن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو فى الصلاة فلا صلاة له قال الغزالى المصلى يناجى ربه كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة له لانها لاتتحقق الا اذا كان اللسان معبرا عما فى القلب من التضرّعات ولاشك ان المقصود من القرآن والاذكار والحمد والثناء والتضرّع والدعاء خطاب والمخاطب هو الله تعالى فاذا كان القلب محجوبا بحجاب الغفلة وكان غافلا عن جلال الله تعالى وكبريائه ثم ان لسانه يتحرّك بحكم العادة فانه بعيد عن القبول وكذا المقصود من الركوع والسجود ليس الا تعظيمه تعالى والامتثال لامره تعالى وايقاع هذه الافعال لقصد التعظيم والامتثال لايمكن مع غفلة القلب عن المعبود والمقصود تعظيمه ولو جاز ان تكون هذه الافعال تعظيما لله تعالى مع ان القلب غافل عنه لجاز ان تكون تعظيما لصنم بجنبه وهو غافل عنه ومما يدل على ان الصلاة لابدّ فيها من الخشوع والحضور ان الفقهاء اختلفوا فيما ينويه المصلى بالسلام عند الجماعة والانفراد هل ينوى الحضور والغيب والحضور معا فاذا احتيج الى التدبر فى معنى السلام الذى هو آخر الصلاة احتيج الى التدبر فى معنى التكبير والتسبيح والقرآءة الواقعة فى اثنا الصلاة ثم قال الحضور عندنا ليس شرط الاجزآء بل هو شرط القبول والمراد من الاجزاء ان لايجب القضاء والمراد من القبول حكم الثواب والفقهاء انما يبحثون عن حكم الاجزآء لاعن حكم الثواب وغرضنا فى هذا المقام هذا ثم قال هب ان الفقهاء حكموا باسرهم بجوازه أليس الاصوليون واهل الورع ضيقوا فيه الامر فهلا اخذت بالاحتياط فان بعض العلماء اختار الامامة فقيل له فى ذلك اخاف ان تركت الفاتحة ان يعاتبنى الشافعى رحمة الله تعالى عليه وان قرأتها مع الامام يعاتبنى ابو حنيفة رضى الله عنه فاخترت الامامة طالبا للخلاص من هذا الاختلاف ﴿ قوله والزكاة تقع على المعنى والعين ﴾ اى تقع على معنى التزكية والعين اى القدر الذى يخرجه صاحب النصاب منه ويدفعه الى الفقير فان اريد بها العين فى الآية الشريفة فلابدّ من تقدير المضاف اى والذين هم لادآء الزكاة فاعلون واللام فى قوله للزكاة مزيدة فى المفعول لتقدّمه على عامله ولكون العامل فرعا ﴿ قوله لايبذلونها ﴾ يعنى ان قوله حافظون

روى انه عليه السلام كان يصلى رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لوخشع قلب هذا لخشعت جوارحه ﴿ والذين هم عن اللغو ﴾ عما لايعنيهم من قول وفعل ﴿ معرضون ﴾ لما بهم من الجدّ مايشغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لايلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون فى عرض غير عرضه وكذلك قوله ﴿ والذين هم للزكاة فاعلون ﴾ وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلاة ليدل على انهم بلغوا الغاية فى القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرّمات وسائر ماتوجب المروءة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد الاوّل لان الفاعل فاعل الحدث لان المحل الذى هو موقعه او الثانى على تقدير مضاف ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ﴾ لايبذلونها

﴿ الاعلى ازواجهم اوما ملكت ايمانهم ﴾ زوجاتهم اوسرّياتهم وعلى صلة لحافظين ﴿ من قولك احفظ علىّ عنان فرسى اوحال

وان كان اثباتا صورة الا انه فى معنى النفى لان الحفظ عبارة عن الصون وترك الابتذال يقال فلان يحفظ نفسه ولسانه اى لا يبذلهما فيما لا يعنيه والمعنى والذين هم لفروجهم لا يبذلون الا على ازواجهم وانما احتيج الى اعتبار تضمين معنى النفى على تقدير ان تكون على صلة لحافظين لان قوله تعالى الاعلى ازواجهم استثناء مفرّغ وذا لا يكون الا بعد النفى او مافى معناه وفعل الحفظ يتعدّى بعلى باعتبار تضمينه معنى الامساك والقصر فان كلا منهما يتعدّى بعلى قال الله تعالى أمسك عليك زوجك ويقال احفظ علىّ عنان فرسى بتضمينه معنى أمسك ولولا اعتبار التضمين لما عدّى بعلى فكون كلمة على صلة حافظون يتوقف على اعتبار التضمين وجواز الاستثناء المفرّغ فى الاثبات يتوقف على كونه فى معنى النفى ﴿ قوله اوسرّياتهم ﴾ جمع سرّية بضم السين وتشديد الرآء والياء جميعا فعلية من السرّ وهو الجماع وهى جارية يتّخذها المولى للتناسل والتسرّى وطئ الجارية سرّا اى وطئا سرّا والاصل التسرّر قلبت الرآء الاخيرة ياء كما فى تقضى البازى ﴿ قوله وانما قال ما ﴾ اى ولم يقل او من ملكت مع ان الاماء عواقل اجرآء لهنّ مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهنّ وعلمهنّ وامتهانهنّ فى الاعمال الخسيسة كسائر الحيوانات والبهائم فمن ابتغى اى طلب سوى الزوجات والسرارى فأولئك هم الكاملون فى العدوان حيث لم ينتفعوا بما وسع الله تعالى عليهم من تزويج الاربع من الحرآئر والتسرّى بمائة من الجوارى والعدوان الظلم او مجاوزة ماحدّه الله تعالى وفيه دليل على ان الاستمناء باليد حرام وهو قول العلماء رضى الله تعالى عنهم قال عطاء سمعت ان قوما يحشرون وايديهم حبالى فأظنّ انهم هؤلاء وروى انه تعالى عذب امّة كانوا يعبثون بمذاكيرهم ﴿ قوله لما يؤتمنون عليه ﴾ فان الامانة والعهد مصدران فى الاصل ثم سمى الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا تسمية بالمصدر قال تعالى ان الله يأمركم انّ تؤدّوا الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدّى الاعيان لا المعانى والمؤتمن عليه لا الامانة نفسها ﴿ قوله جمعه غير حمزة والكسائى ﴾ فانهما قرأا على صلاتهم بالتوحيد والباقون صلواتهم بالجمع قالوا وحدت اوّلا ليفاد الخشوع فى جنس الصلاة اى اىّ صلاة كانت وجمعت آخرا ليفاد المحافظة على اعدادها وهى الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة والنوافل المروية ﴿ قوله الجامعون لهذه الصفات ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون وما بعده من المعطوفات من قبيل عطف الصفة على الصفة مع وحدة الذات ومعنى الجمع مستفاد من توسط الواو العاطفة بينها والحصر المستفاد من قوله تعالى فأولئك هم الوارثون من قبيل حصر الكمال واشار اليه بقوله الاحقاء بان يسموا ورّاثا والوارث هو الباقى بعد فناء المورّث والقائم مقامه فى الاستعداد بما يستحقه مورّثه فالجامعون لهذه العبارات والاوصاف المذكورة من حيث بقاؤهم بعد فناء اعمالهم التى هى من قبيل الاعراض بمنزلة الورّاث الباقين بعد فناء مورّثهم من حيث ان تلك الاعمال اورثتهم ما وعدهم الله تعالى بازآئها من الثواب الجزيل ﴿ قوله وقيل انهم يرثون من الكفار ﴾ روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه والسلام * مامنكم من احد الا له منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فان مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله * وذلك قوله تعالى اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال * خلق الله تعالى ثلاثة اشياء خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتى وجلالى لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث * قالوا يا رسول الله قد عرفنا مدمن الخمر فما الديوث قال صلى الله عليه وسلم * هو الذى يقرّ السوء لاهله ﴿ قوله من خلاصة ﴾ يعنى ان السلالة ماسل من الشئ اى نزع واستخرج على وجه التصفية والتخليص من كدره قال صاحب الديوان فعالة اسم لما يبقى بعد المصدر فالسلالة ما يبقى بعد السل كالنخالة والبرادة لما يبقيا بعد النخل والبرى وفيها دلالة على القلة فاذا قبضت على الطين بكفك فخرج من بين اصابعك صرفه وخالصه فهى سلالة وقال ابو عبيدة السلالة الخالص من كل شئ وقيل سمى التراب الذى خلق منه آدم سلالة لانه سل من كل تربة وسمى الولد سلالة لان اصله وهو الماء سل من تحت كل شعرة فقول صاحب الديوان رضى الله تعالى عنه مخالف لقول غيره واختار المصنف قول غيره رحمة الله تعالى عليهم ومن الاولى ابتدآئية متعلقة بخلقنا والثانية تبعيضية متعلقة بمحذوف وهو صفة لسلالة اى خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان تكون الثانية لبيان الجنس كما فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان على تقدير ان تكون السلالة هو الطين ﴿ قوله او بمعنى سلالة ﴾ عطف على قوله بمحذوف اى ومن الثانية متعلقة بمعنى السلالة اى من صفوة مسلولة من طين فتكون ابتدآئية كالاولى واختلف اهل التفسير فى الانسان فقال ابن عباس وعكرمة

﴿ من قولك احفظ علىّ عنان فرسى اوحال ﴾ اى حفظوها فى كافة الاحوال الا فى حال التزوّج او التسرّى او لفعل دل عليه غير ملومين وانما قال ما اجرآء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شائع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهى الى النفس واعظمها خطرا ﴿ فانهم غير ملومين ﴾ الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اى فان بذلوها لأزواجهم اوامائهم فانهم غير ملومين على ذلك ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك ﴾ المستثنى ﴿ فأولئك هم العادون ﴾ الكاملون فى العدوان ﴿ والذين هم لاماناتهم وعهدهم ﴾ لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق ﴿ راعون ﴾ قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفى المعارج لاماناتهم على الافراد لأمن الالباس اولانها فى الاصل مصدر ﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ يواظبون عليها ويؤدّونها فى اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما فى الصلاة من التجدّد والتكرّر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائى وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اوّلا فان الخشوع فى الصلاة غير المحافظة عليها وفى تصدير الاوصاف وختمها بأمر الصلاة تعظيم لشأنها ﴿ اولئك ﴾ الجامعون لهذه الصفات ﴿ هم الوارثون ﴾ الاحقاء بان يسموا ورّاثا دون غيرهم ﴿ الذين يرثون الفردوس ﴾ بيان لما يرثونه وتقييد للوارثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهى مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوّتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار ﴿ هم فيها خالدون ﴾ انث الضمير لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا ﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة ﴾ من خلاصة سلت من بين الكدر ﴿ من طين ﴾ متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او من بيانية او بمعنى سلالة لانها فى معنى مسلولة فتكون من ابتدآئية كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين

﴿ وقتادة ﴾

وقتادة رضى الله تعالى عنهم المراد آدم عليه الصلاة والسلام فانه خلق من طين انسل من كل تربة وخلقت ذرّيته من ماء مهين فقوله تعالى ثم جعلناه مبنى على حذف المضاف اى ثم جعلنا نسله ويحتمل ان يكون ضمير جعلناه للانسان الذى هو آدم على طريق الاستخدام فان لفظ الانسان اسم شامل لآدم عليه الصلاة والسلام ولولده فيراد بالانسان نفس آدم وبضميره ولد آدم ومثله يسمى استخداما فى عرف اهل البديع ﴿قوله﴾ او الجنس فانهم خلقوا من سلالات ﴿اى من صفوات مسلولة من الماء والطين وهى الاغذية النباتية التى سل منها الفم والاسنان ثم المعدة ثم الكبد ثم الدماغ وهو اشارة الى ماذكره الامام بقوله الانسان انما يتولد من النطفة وهى انما تتولد من فضل الهضم الرابع وذلك انما يتولد من الاغذية وهى اما حيوانية او نباتية والحيوانية تنتهى الى النباتية والنباتية انما تتولد من صفوة الارض والماء فان الانسان بالحقيقة يكون متولدا من سلالة من طين ثم ان تلك السلالة بعد ان تواردت عليها اطوار الخلقة وادوار الفطرة صارت منيا قال وهذا التأويل مطابق للفظ ولا يحتاج فيه الى التكليفات ووجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى امر بالعبادات فى الآية المتقدّمة ومن المعلوم ان الاشتغال بعبادة الله تعالى لايصح الا بعد معرفته تعالى فلذلك عقبه بذكر مايدل على وجوده واتصافه بصفات الجلال والوحدانية وذكر من الدلائل انواعا النوع الاوّل تقلب الانسان فى اطوار الخلقة وهى تسعة اطوار اوّلها كونه سلالة من طين وآخرها ماذكره الله تعالى بقوله ثم انكم يوم القيامة تبعثون وهذه الجملة اعنى قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان جواب قسم محذوف اى والله لقد خلقنا الانسان ﴿قوله﴾ بان خلقناه منها ﴿لما كان جعل الانسان نطفة غير معقول اذ المعقول ان تجعل النطفة انسانا لم يحمل قوله تعالى جعلناه على معنى صيرناه بل حمله على معنى خلقناه وجعل انتصاب نطفة بنزع الخافض ﴿قوله﴾ اوثم جعلنا السلالة نطفة ﴿اى ثم صيرنا الاغذية المسلولة من الطين نطفة وقوله تعالى فى قرار متعلق بمحذوف على انه صفة لنطفة ويجوز ان تتعلق بجعلنا على ان يكون المراد بالقرار صلب الرجل ويكون ضمير جعلناه للسلالة ويكون الجعل بمعنى التصيير فان جنس الانسان يخلق من المسلول من طين وذلك المسلول لايصير نطفة فى الصلب الا بعد زمان والمراد بالقرار موضع القرار وهو المستقرّ الذى اريد به الرحم سمى بالمصدر ثم وصف الرحم بالمكانة التى هى صفة للمستقرّ فيه لأحد معنيين اما على المجاز كطريق سائر وانما السائر من فيه واما لمكانتها فى نفسها لانها تمكنت فى نفسها وجعلت مكينة حصينة محكمة محفوظة وضمن خلق فى قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة ومابعده معنى جعل بمعنى التصيير فعدّى الى اثنين كما ضمن جعل معنى خلق فعدّى الى واحد نحو قوله تعالى جعل الظلمات والنور ﴿قوله﴾ لتفاوت الاستحالات ﴿فان خلق نسل آدم من النطفة متراخ رتبة وزمانا عن خلق نفسه من سلالة من طين وكذا تصيير السلالة متراخ رتبة عن خلق الانسان من تلك السلالة وكذا الحال فى تحويل النطفة علقة بالنسبة الى خلق نسل آدم من النطفة بخلاف التحويلات الباقية فانها امور متعاقبة ﴿قوله﴾ والجمع ﴿اى وجع العظام فى الموضعين وهو قراءة العامّة مع ان لفظ العظم لكونه اسم جنس مغن عن الجمع للدلالة على مابين افرادها من الاختلاف فى الهيئة والصلابة ﴿قوله﴾ تعالى احسن الخالقين ﴿نعت الجلالة ويجوز ان يكون بدلا من لفظ الجلالة والاوّل اولى لان البدل بالمشتق قليل ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هو أحسن والاصل عدم الحذف ومنع ابو البقاء كونه صفة قال لانه نكرة ان اضيف الى المعرفة لان المضاف اليه عوض عن كلمة من وهكذا جميع باب افعل من وهذا المنع مبنى على احد القولين فى افعل التفضيل اذا اضيف هل اضافته محضة اولا والصحيح الاوّل قالت المعتزلة لولا ان يكون غير الله تعالى قد يكون خالقا لما جاز القول بانه احسن الخالقين كما انه لولم يكن فى عباده من يحكم ويرحم لم يجز ان يقال فى حقه انه احكم الحاكمين وارحم الراحمين والمصنف رحمة الله تعالى عليه اشار الى جوابهم بتفسير الخالقين بالمقدّرين فان الخلق هو التقدير قال زهير

* ولأنت تفرى ماخلقت وبعض القوم يخلق ثم لايفرى *

اى ولأنت تقدّر امرا فتمضيه وبعض القوم يقدّر ولا يمضى والآية انما تكون حجة للمعتزلة اذا كان التقدير مستلزما للايجاد وليس كذلك والمعنى احسنهم خلقا وتقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه فى قوله تعالى اذن للذين يقاتلون وهو القتال لدلالة يقاتلون عليه ﴿قوله﴾ ولذلك ﴿اى ولكون المصير الى الموت امرا ثابتا لامحالة ذكر النعت الذى هو للثبوت وهو الصفة المشبهة ولم يذكر ماهو للحدوث وهو اسم الفاعل وهذه الاطوار التى يتقلب الانسان فيها لايقدر عليها غيره تعالى فهى دليل على وجوده وكمال قدرته

او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد أدوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته ﴿ثم جعلناه﴾ ثم جعلنا نسله فحذف المضاف ﴿نطفة﴾ بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تأويل الجوهر او المسلول او الماء ﴿فى قرار مكين﴾ مستقرّ حصين يعنى الرحم وهو فى الاصل صفة للمستقرّ وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ بان أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء ﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ فصيرناها قطعة لحم ﴿فخلقنا المضغة عظاما﴾ بان صلبناها ﴿فكسونا العظام لحما﴾ مما بقى من المضغة او مما أنبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها فى الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع الآخر ﴿ثم انشأناه خلقا آخر﴾ هو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر ﴿فتبارك الله﴾ فتعالى شأنه فى قدرته وحكمته ﴿احسن الخالقين﴾ المقدّرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه ﴿ثم انكم بعد ذلك لميتون﴾ لصائرون الى الموت لامحالة ولذلك ذكر النعت الذى للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ﴿ثم انكم يوم القيامة تبعثون﴾ للمحاسبة والمجازاة ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ سبع سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل مافوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها ﴿وما كنا عن الخلق﴾ عن ذلك المخلوق الذى هو السموات او عن جميع المخلوقات ﴿غافلين﴾

مهملين امرها بل نحفظها من الزوال والاختلال وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ماقدّر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة ﴿ وانزلنا من السماء ماء بقدر ﴾ بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرّه او بمقدار ما علمنا من صلاحهم ﴿ فأسكناه ﴾ فجعلناه ثابتا مستقرّا ﴿ في الارض وانا على ذهاب به ﴾ على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه ﴿ لقادرون ﴾ كما كنا قادرين على ازاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الابعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين ﴿ فأنشأنا لكم به ﴾ بالماء ﴿ جنات من نخيل واعناب لكم فيها ﴾ في الجنات ﴿ فواكه كثيرة ﴾ تتفكهون بها ﴿ ومنها ﴾ ومن الجنات ثمارها وزروعها ﴿ تأكلون ﴾ تغذيا او ترتزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يكون الضمير ان للنخيل والاعناب اى لكم في ثمرتهما انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه ﴿ وشجرة ﴾ عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اى ومما انشئ لكم به شجرة ﴿ تخرج من طور سيناء ﴾ جبل موسى بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وقد قيل له طور سينين ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمدّ وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بألف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لافعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر ﴿ تنبت بالدهن ﴾ اى تنبت ملتبسة بالدهن ومستصحبة له ويجوز ان يكون الباء صلة معدّية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهي اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير

رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم * قطينا لهم حتى اذا انبت البقل *

او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان ﴿ وصبغ للآكلين ﴾ معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشئ على الآخر اى تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اى يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ

وعلمه وحكمته ثم انه تعالى استدل على ذلك بخلقه السموات بقوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق اى سبع طبقات متطارق بعضها فوق بعض ﴿ قوله مهملين امرها ﴾ اشارة الى ان المراد بالخلق السموات السبع واللام فيه للعهد وانه بمعنى المخلوق بين الله تعالى بذلك كمال علمه وحكمته بعد ما بين قدرته بخلق نفسها كأنه قيل خلقناها فوقكم وما كنا عما نحدث وما نجري فيها او عن حفظها واسماكها ان تقع عليكم غافلين ويحتمل ان يكون المراد بالخلق الناس وسائر الحيوانات والمقصود بيان الحكمة في خلقها كأنه قيل انما خلقناها فوقهم لنفتح لهم ابواب الرزق والبركات عليهم منها وينتفعوا بمنافعها فنحن لسنا غافلين عنهم وعما يصلحهم ثم انه تعالى استدل على ذلك بنزول المطر وكيفية تأثيراته في النبات فقال تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر اى انزالا ملتبسا بتقدير يكثر نفع ذلك التقدير ويقل ضرره فقوله بقدر صفة مصدر محذوف واما ان كان القدر بمعنى المقدار فحينئذ يكون صفة لقوله ماء والتقدير لا يقتضي مقيسا عليه بخلاف المقدار فلذلك اضاف المقدار الى المقيس عليه ولم يضف التقدير اليه واختلف المفسرون رحمة الله تعالى عليهم في ان المراد بالسماء ما هو فذهب اكثر المفسرين الى انّ المراد بها المظلة الخضراء وان مياه الارض كلها نازلة منها وجعل الله تعالى منافع الارض متصلة بمنافع السماء مع بعد ما بينهما وبين ذلك بان منشئهما ومدبرهما واحد عالم بذاته وذهب الآخرون الى ان المراد بها السحاب وسماء كل سموّه وارتفاعه والمعنى انه تعالى اصعد الاجزاء المائية من البحار الى السماء حتى صارت عذبة صافية ثم انزل تلك المياه لتفرقتها في قهر الارض والله تبارك وتعالى اعلم بحقيقة الحال ثم انه تعالى امتنّ علينا بابقاء الماء الذي هو قوام مصالح الدنيا والدين قال تعالى وانا على ذهاب به اى بالماء لقادرون وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى انزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام واستودعها الجبال فأجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معاشهم وذلك قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج ارسل الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام ورفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقد فقد اهلها خيري الدنيا والدين * واعلم ان الماء نعمة في نفسه وهو مع ذلك سبب لحصول نعم اخرى فلا جرم امتن الله تعالى اوّلا بانزاله وابقائه ثم ذكر ما يحصل به من النعم فقال تعالى فانشأنا لكم به جنات الآية ﴿ قوله او ترتزقون ﴾ تفسير لان قوله تعالى تأكلون فان الاكل حقيقة في ابتلاع المطعوم والتغذي به ويطلق ايضا على تحصيل ما ينتفع به الانسان في تعيشه من المأكل والملبس ونحوهما مجازا مرسلا بطريق التعبير عن الشئ باسم معظم ما يقصد منه ﴿ قوله ومنع صرفه ﴾ اى منع صرف سيناء بكسر السين والمدّ وهي قراءة نافع وابن كثير وابي عمرو بخلاف عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر ويعقوب فانهم قرأوا سيناء بفتح السين والمدّ والاعمش بالكسر والقصر وليس في كلامهم فعلاء بكسر الاوّل وهمزته للتأنيث بل هي للالحاق بشمراخ وقرطاس كما في علباء فتكون الهمزة فيها منقلبة عن ياء او واو لان الالحاق لا يكون الا بهما فلما وقع حرف العلة متطرفا بعد الف زائدة قلب همزة كما في رداء وكساء ﴿ قوله اى تنبت ملتبسة بالدهن ﴾ اى وفيها الدهن على ان يكون بالدهن حالا من فاعل تنبت وجوّز كونه مفعولا به غير صريح لتنبت ومن قرأ تنبت بضم التاء وكسر الباء جعل انبت بمعنى نبت كما في بيت زهير

رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم * قطينا لهم حتى اذا انبت البقل *

قوله رأيت على لفظ الخطاب والقطين الخدم والاتباع جمع قاطن اى رأيت الفقراء والمساكين مقيمين حول بيوتهم لقضاء حوائجهم حتى اذا نبت البقل وظهر الخصب فحينئذ يفترقون وينقطعون من حولها ويجوز ان يكون انبت متعدّيا حذف مفعوله اى تنبت زيتونها وفيه الزيت فقوله تعالى بالدهن على الوجهين في موضع الحال وفيه وجه ثالث لم يتعرّض له المصنف رحمة الله تعالى عليه وهو ان تكون الباء فيه زائدة في المفعول كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقرئ تنبت بالدهن بضم التاء وفتح الباء على بناء المفعول من انبتها الله تعالى وبالدهن حال من المفعول القائم مقام الفاعل اى ملتبسة بالدهن وفي حرف تثمر بالدهن وقرئ تخرج بالدهن مضارع

خرج وتخرج الدهن مضارع اخرج وتنبت بالدهان وهو جمع دهن كرخ ورماح والصبغ والصباغ مايصبغ به اى يؤتدم سمى الادام صبغا لان الخبز يلوّن به ان غمس فيه ونحوهما الدبغ والدباغ لما يدبغ به ثم انه تعالى لما استدل على وجوده وكمال علمه وقدرته وحكمته بانزال الماء واخراج انواع النبات به استدل عليه بأنواع الحيوانات ايضا فقال تعالى وان لكم فى الانعام لعبرة ثم فصل مافيها من وجوه الاعتبار وذكر منها اربعة اوجه الاوّل قوله نسقيكم مما فى بطونها والمراد جميع وجوه الانتفاع بألبانها ووجه الاعتبار فيها أنها تجمع فى الضروع وتتخلص من بين الفرث والدم باذن الله تعالى فتستحيل الى طهارة والى لون وطعم موافق للشهوة وتصير غذآء فمن استدل بذلك على قدرته تعالى وحكمته تكون هذه النعمة فى حقه من النعم الدينية ومن انتفع به فى امر معاشه تكون فى حقه من النعم الدنيوية والثانى قوله تعالى ولكم فيها منافع كثيرة والثالث قوله تعالى تأكلون افرد منفعة الاكل بالذكر لكونها انتفاعا مغايرا لما سبق من حيث كونها انتفاعا بأعيانها بعد ذبحها بخلاف المنافع السابقة فانها انتفاع بمنافعها الخارجة عن ذواتها وهى حية باقية باعيانها ورابعها قوله تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون ﴿ قوله ﴾ فيكون الضمير فيها كالضمير الخ ﴿ اى على تقدير ان يراد بالضمير الابل خاصة يكون الضمير فيها كالضمير فى قوله تعالى وبعولتهنّ بعد قوله والمطلقات يتربّصن بانفسهنّ ثلاثة قروء فى كونه راجعا الى بعض مدلول المذكور فان ضمير بعولتهنّ يرجع الى بعض المطلقات وهو المطلقات طلاقا رجعيا فكذا ضمير عليها ان اريد به الابل خاصة ثم انه تعالى لما بين دلائل التوحيد اردفها بالقصص كما هو العادة فى سائر السور الكريمة وابتدأ بقصة نوح عليه الصلاة والسلام قيل الحكمة فى تكرير القصص ان فى كل قصة كرّرها ألفاظا وفوآئد ونكتا ماليس فى الاخرى وفى تكريرها تأكيد الحجة وتجديد العظة ارسله الله تعالى ليدعو الناس الى عبادة الله تعالى وحده فلما دعاهم الى ذلك ولم ينفع فيهم الدعاء واستمرّوا على عبادة غير الله حذرهم بقوله افلا تتقون لينصرفوا عما هم عليه ثم انه تعالى حكى عنهم خمس شبه الشبهة الاولى قوله تعالى حكاية عنهم ماهذا الا بشر مثلكم يشارككم فيما بكم من الاوصاف ولو كان رسولا من الله تعالى لكان معظما عنده ومتميزا عن سائر الخلق بمزيد الدرجة والعزة فلما لم يكن كذلك علمنا انه ليس برسول الا انه ادّعى الرسالة ليتفضل عليكم اى يطلب الفضل عليكم بدعوى الرسالة وليس كذلك وبناء التفعل لتكلف ماليس فى الانسان من الصفة وهو يريد ان يتصف به كالتفقه والتكرّم وبناء التفاعل لتكلف ماليس فى الانسان من الصفة التى لا يريد كونها فيه كالتعامى والتعارج والتجاهل والشبهة الثانية قوله تعالى حكاية عنهم ايضا ولو شاء الله لأنزل ملائكة لان انزالهم اشدّ افضاء الى المقصود بالنسبة الى ارسال البشر لان الملائكة لعلوّ شأنهم وشدّة سطوتهم وكثرة علومهم ينقاد الخلق اليهم ولا يشكون فى رسالتهم فلما لم يفعل ذلك علمنا انه تعالى لم يرسل رسولا بشرا والشبهة الثالثة قوله تعالى حكاية عنهم ماسمعنا بهذا اى بنوح وبما تكلم به من الحث على عبادة الله تعالى اومن دعوى الرسالة وهو بشر فى آبائنا الاوّلين فانهم كانوا لا يعوّلون فى شئ من مذاهبهم الا على التقليد والرجوع الى الآباء فلذلك لم يسلكوا الطريقة بالنظر ولم يبنوا الا على التقليد والشبهة الرابعة قوله تعالى حكاية عنهم ايضا قولهم للعوام ان هو الا رجل به جنة فانه عليه الصلاة والسلام كان يفعل افعالا على خلاف عادتهم فكان الرؤساء يقولون للعوام انه مجنون فكيف يجوز ان يكون رسولا والشبهة الخامسة قوله تعالى حكاية عنهم ايضا فتربصوا به حتى حين لعله يفيق فيرجع عن قوله او يموت على جنونه فتستريح منهم ﴿ قوله ﴾ بحفظنا ﴿ يعنى ان لفظ الاعين استعير للحفظ تشبيها لحفظ الله تعالى اياه بجماعة الحفاظ يكلأونه بعيونهم ويسمون اعينا لكون العين اعظم مايتوسلون به الى الحفظ فصاروا بذلك كأنهم عيون بانفسهم وكذا الجاسوس يسمى عينا لذلك ﴿ قوله ﴾ وقيل عين وردة ﴿ اى قيل ان محل التنور الذى ينبع منه الماء موضع بالشام يقال له عين وردة قال المصنف رحمة الله عليه فى سورة هود وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض واشرف موضع فيها انتهى كلامه والمشهور ان ارض الجزيرة فى ناحية ديار بكر والله تبارك وتعالى اعلم ﴿ قوله ﴾ يقال سلك فيه ﴿ اى دخله بنفسه وسلكه غيره ومنه الآية ويفرق بينهما بالمصدر يقال سلكه فيه سلكا وسلك فيه سلوكا قرأ العامة من كل زوجين اثنين بالاضافة وقرأ عاصم فى رواية حفص رحمهما الله تعالى بالتنوين فان قرئ بالاضافة يكون قوله اثنين مفعول اسلك اى اسلك فيها اثنين واسلك فيها ايضا اهلك فوجب ان يقدّر مضاف آخر بين المضاف والمضاف اليه ويكون التقدير من كل امتى زوجين اذ لو لم يقدّر هذا المضاف لم يستقم المعنى لانه لو حمل الكلام على ظاهره لزم ان يحمل الزوجان جميعا لان الكلام حينئذ بمنزلة

وردة بالشام وفيه وجوه اخر ذكرتها فى (٥١) فى هود ﴿ فاسلك فيها ﴾ فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ماسلككم فى سقر ﴿ من كل زوجين اثنين ﴾ من كل امتى الذكر والانثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين اى من كل نوع زوجين واثنين تأكيد

للتبعيض اول للابتداء ﴿ ولكم فيها منافع كثيرة ﴾ فى ظهورها واصوافها وشعورها ﴿ ومنها تأكلون ﴾ فتنتفعون بأعيانها ﴿ وعليها ﴾ وعلى الانعام فان منها مايحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هى المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البرّ قال ذو الرمّة * سفينة برّ تحت خدى زمامها * فيكون الضمير فيها كالضمير فى وبعولتهنّ احق بردّهنّ ﴿ وعلى الفلك تحملون ﴾ فى البرّ والبحر ﴿ ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ﴾ الى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ماعدّد عليهم من النعم المتلاحقة وماحاقهم من زوالها ﴿ مالكم من آله غيره ﴾ استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائى غيره بالجرّ على اللفظ ﴿ أفلا تتقون ﴾ أفلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التى لا تحصونها ﴿ فقال الملأ ﴾ الاشراف ﴿ الذين كفروا من قومه ﴾ لعوامهم ﴿ ماهذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ﴾ اى يطلب الفضل عليكم ويسودكم ﴿ ولو شاء الله ﴾ ان يرسل رسولا ﴿ لأنزل ملائكة ﴾ رسلا ﴿ ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاوّلين ﴾ يعنون نوحا اى ماسمعنا به انه نبى أو ماكلهم به من الحث على عبادة الله ونفى اله غيره اومن دعوى النبوّة وذلك اما من فرط عنادهم اولانهم كانوا فى فترة متطاولة ﴿ ان هو الا رجل به جنة ﴾ اى جنون ولاجله يقول ذلك ﴿ فتربصوا به ﴾ فاحتملوه وانتظروا ﴿ حتى حين ﴾ لعله يفيق من جنونه ﴿ قال ﴾ بعد ما آيس من ايمانهم ﴿ رب انصرنى ﴾ باهلاكهم او بانجاز ماوعدتهم من العذاب ﴿ بما كذبون ﴾ بدل تكذيبهم اياى او بسببه ﴿ فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ﴾ بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او بفسده عليك مفسد ﴿ ووحينا ﴾ وامرنا وتعليمنا كيف تصنع ﴿ فاذا جاء امرنا ﴾ بالركوب او نزول العذاب ﴿ وفار التنور ﴾ روى انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب ومحله فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وقيل عين

ان يقال احمل من كل زوجين زوجين واحمل من كل اثنين اثنين والاثنان المحمولان لا يكونان من اثنين بل هما كل نفس الاثنين فلا يستقيم المعنى الا بتقدير المضاف اذ يكون المعنى حينئذ احمل من كل صنفي الذكر والانثى فردين من زوجين لئلا ينقطع نسل ذلك الصنف من الحيوان روى انه عليه الصلاة والسلام لم يحمل في السفينة الا ما يلد ويبيض واما نحو البق والذباب والدود فلم يحمل منها لانها تخرج من الطين ولا ينقطع نسلها بان لا تحمل ﴿قوله تعالى واهلك﴾ عطف على قوله اثنين على قراءة الاضافة وعلى قوله زوجين اثنين على قراءة التنوين والمراد باهله اهل بيته وهو امرأته وبنوه ونساؤهم واستثنى منه ابنه كنعان وامّه واهله فانهم كانوا كافرين فقال الا من سبق عليه القول منهم قال تعالى في سورة هود قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل ولم يذكر في هذه الآية من آمن اكتفاء بدلالة الاستثناء لمن سبق عليه القول من اهل بيته فانه يدل على انه تعالى امر بادخال جميع من آمن به وان لم يكن من اهل بيته وجوّز المصنف رحمة الله تعالى عليه ان يكون المراد بقوله واهلك جميع من آمن به سواء اتصل به نسبا او لم يتصل فيكون قوله الا من سبق عليه القول استثناء منقطعا ولا يخلو عن بعد وقوله تعالى انهم مغرقون استئناف لبيان علة نهيه عليه الصلاة والسلام عن الدعاء للذين ظلموا بالانجاء فانه تعالى لما حكم عليهم بالاغراق واخبر بذلك وجب ان ينهاه عنه اى عن دعاء الانجاء في حق بعضهم لانه تعالى ان اجابه اليه فقد صير خبره الصدق كذبا وان لم يجبه اليه كان ذلك تحقيرا لشأنه عليه الصلاة والسلام ﴿قوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك﴾ اى اذا تمكنت فيها معتدلا متمكنا تمكن المستوى على الشئ فاحمد الله تعالى على نعمة الانجاء عرّفه الله تعالى بانّ استواءهم على السفينة سبب لنجاتهم من الغرق ولهلاك الظالمين الذين حرموا من الدخول فيها فامره بان يحمده على هذه النعمة ثم انه تعالى بعد ان امره بالحمد على النعمة المذكورة امره بان يدعو لنفسه بان يقول عند النزول في السفينة او من السفينة الى الارض رب انزلني منزلا مباركا والاحتمال الاوّل اظهر لانه امر بهذا الدعاء حال استقراره في السفينة فتكون هي المنزل دون غيرها ﴿قوله وقرئ منزلا﴾ اى بضم الميم وفتح الزاى وهي قراءة من عدا ابا بكر واما هو فقد قرأ بفتح الميم وكسر الزاى وهو يحتمل ان يكون اسما لمكان النزول وان يكون مصدرا ميميا بمعنى النزول على اقامة مصدر الثلاثي مقام مصدر الرباعي كما في قوله تعالى أنبتكم من الارض نباتا والمنزل بضم الميم ايضا يحتمل ان يكون اسم مكان الانزال وقوله تعالى وانت خير المنزلين ثناء على الله تعالى بعد دعائه وامره الله تعالى بان يشفع الدعاء المذكور به مبالغة فيه لان ثناء المحتاج على الغنيّ الكريم يغني غناء السؤال ويقوم مقامه واذا شفع السؤال به يؤكده ويقوّيه ﴿قوله وانما افرده بالامر﴾ اى حيث قال تعالى فقل الحمد لله ولم يقل فقولوا مع انه المناسب لقوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك لان معناه فاذا استويتم ﴿قوله اظهارا لفضله﴾ لان الامر خطاب من الآمر مع المأمور ولا شك ان كون العبد مخاطبا لله تعالى خطاب الارشاد والتعليم غاية الشرف والفضل له ولا يليق به الا ملك مقرّب او نبي مكرّم فلذلك افرد نوح عليه الصلاة والسلام بالامر اظهارا لفضله وايضا لما كان نبيا لهم واماما وكانوا اتباعا له داخلين في حكمه كان قوله في حكم قولهم ودعاؤه في حكم دعائهم فكان افراده بالامر اشعارا بذلك من حيث كونه متولي امورهم وان ولايته محيطة بهم ﴿قوله وان هي المخففة﴾ اى من الثقيلة والمعنى وان الشان والقصة كنا مبتلين اى مصيبين قوم نوح بلاء عظيم او مختبرين نمتحنين عبادنا بهذه الآيات ليظهر من يعتبر ويدّكر ونظيره قوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدّكر ﴿قوله هم عاد﴾ اى قوم هود ويشهد لهم مجيء قصة هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف وهود والشعراء وما اخبر الله تعالى به من قوله ولقومه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقيل هم قوم صالح استدلالا بما يعقبه من ذكر الصيحة التي ذكرت في قصة ثمود فان قوم هود اهلكوا بالريح العقيم لقوله تعالى واما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ﴿قوله وانما جعل القرن موضع الارسال﴾ اشارة الى ان كلمة في في قوله تعالى فارسلنا فيهم رسولا ليست صلة للارسال لانه يتعدّى بالى بل هي للظرفية وبيان ان القرن في موضع الارسال قطع ارسلنا عن صلته وجعله مطلقا عن التعلق بالمرسل اليه على طريق تعلق الفعل بالمفعول به ثم عدّى الفعل اليه بفي مبالغة وجعل ظرفا للفعل كقوله تعالى واصلح لي في ذرّيتي فان قوله ذرّيتي اقتطع عن كونه مفعولا به وذهب به الى كونه ظرفا لأصلح اى اجعل ذرّيتي موضعا للاصلاح وكذا قوله يجرح في عراقيبها نصلي ﴿قوله لعله ذكر بالواو﴾ اى ذكر قول الملأ في جواب هذا الرسول بالواو وذكر في جواب نوح عليه الصلاة والسلام بالفاء لعل الوجه فيه

﴿واهلك﴾ واهل بيتك او ومن آمن معك ﴿الا من سبق عليه القول منهم﴾ اى القول من الله بهلاكه لكفره وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ بالدعاء لهم بالانجاء ﴿انهم مغرقون﴾ لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله ﴿فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين﴾ كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴿وقل رب انزلني﴾ في السفينة او في الارض ﴿منزلا مباركا﴾ يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرئ منزلا بمعنى انزالا او من موضع انزال ﴿وانت خير المنزلين﴾ ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوي هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان في دعائه مندوحة عن دعائهم فانه محيط بهم ﴿ان في ذلك﴾ فيما فعل بنوح وقومه ﴿لآيات﴾ يستدل بها ويعتبر اولوا الاستبصار والاعتبار ﴿وان كنا لمبتلين﴾ لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هي المخففة واللام هي الفارقة ﴿ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾ هم عاد او ثمود ﴿فأرسلنا فيهم رسولا منهم﴾ هو هود او صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحى اليه وهو بين اظهرهم ﴿ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره﴾ تفسير لارسلنا اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله ﴿أفلا تتقون﴾ عذاب الله ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا﴾ لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح

وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال ﴿ وكذبوا بلقاء الآخرة ﴾ بلقاء مافيها من الثواب والعقاب او بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث ﴿ واترفناهم ﴾ ونعمناهم ﴿ فى الحياة الدنيا ﴾ بكثرة الاموال والاولاد ﴿ ما هذا الا بشر مثلكم ﴾ فى الصفة والحال ﴿ يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ﴾ تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثانى منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ماقبله عليه ﴿ ولئن أطعتم بشرا مثلكم ﴾ فيما يأمركم ﴿ انكم اذا لخاسرون ﴾ حيث اذللتم انفسكم واذا جزآء للشرط وجواب للذين قالوا لهم من قومه ﴿ أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما ﴾ مجرّدة عن اللحوم والاعصاب ﴿ انكم مخرجون ﴾ من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاوّل اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدّم او فاعل للفعل المقدّر جوابا للشرط والجملة خبر الاوّل اى انكم اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاوّل محذوفا لدلالة خبر الثانى عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة ﴿ هيهات هيهات ﴾ بعد التصديق او الصحة ﴿ لما توعدون ﴾ او بعد ما توعدون واللام للبيان كما فى هيت لك كأنهم لما صوّتوا بكلمة الاستبعاد قيل فاله هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منوّنا للتنكير وبالضم منوّنا على انه جمع هيهة وغير منوّن تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ﴿ ان هى الا حياتنا الدنيا ﴾ اصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرير واشعارا بان تعيينها مغن عن التصريح بها كقوله

هى النفس ما حملتها تتحمل * ومعناه لا حياة الا هذه الحياة الدنيا لان ان نافية دخلت على هى التى فى معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التى تنفى ما بعدها نفى الجنس ﴿ نموت ونحيى ﴾ يموت بعضنا ويولد بعض ﴿ وما نحن بمبعوثين ﴾ بعد الموت ﴿ ان هو ﴾ ما هو ﴿ الا رجل افترى على الله كذبا ﴾ فيما يدّعيه من ارساله له او فيما بعدنا من البعث ﴿ وما نحن له بمؤمنين ﴾ بمصدقين ﴿ قال رب انصرنى ﴾ عليهم وانتقم لى منهم ﴿ بما كذبون ﴾ بسبب تكذيبهم اياى ﴿ قال عما قليل ﴾ عن زمان قليل وماصلة لتأكيد معنى القلة او نكرة موصوفة ﴿ ليصبحنّ نادمين ﴾ على التكذيب اذا عاينوا العذاب

ان كلام الملأ الثانى لم يتصل بكلام الرسول اى لم يقع عقيب كلامه حتى يعطف عليه بفاء التعقيب بل اجتمع فى الحصول قولهم الباطل وكلامه الحق فعطف عليه بالواو للدلالة على اجتماعهما فى الوجود ﴿ قوله وحيث استؤنف به ﴾ جواب عما يقال ذكر الله تعالى جواب قوم هود له فى سورة الاعراف وفى سورة هود بغير واو وهو قوله قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وقوله قالوا ما نراك الا بشرا مثلنا وذكره ههنا بالواو فأى فرق بينهما وتقرير الجواب ظاهر ﴿ قوله وما خبرية ﴾ اى موصولة والعائد فى قوله ما تشربون اما منصوب والتقدير تشربونه او مجرور اى تشربون منه ﴿ قوله او انكم مخرجون مبتدأ ﴾ مؤوّل بمصدر مرفوع على الابتدآء والظرف المقدّم خبره والجملة خبر انكم الاولى والتقدير أيعدكم انكم اخراجكم كائن او مستقرّ وقت موتكم ﴿ قوله او فاعل ﴾ عطف على قوله مبتدأ اى ويحتمل ان يكون قوله تعالى انكم مخرجون مؤوّلا بمصدر مرفوع على انه فاعل فعل مقدّر وذلك الفعل المقدّر جواب اذا الشرطية واذا الشرطية وجوابها المقدّر خبر لانكم الاولى والتقدير أيعدكم انكم اذا متم وقع اخراجكم فكلمة اذا على الوجهين الاوّلين ظرفية وعلى هذا الوجه شرطية ﴿ قوله ويجوز ان يكون خبر الاوّل محذوفا ﴾ والتقدير أيعدكم انكم اذا متم مخرجون وهذا المقدّر هو العامل فى الظرف وان الثانية وما فى حيزها بدل من الاولى ﴿ قوله لان يكون الظرف ﴾ اى لا يجوز ان يكون خبر الاولى لظرف لان اسم الاولى جثة والظرف لا يكون خبرا عن الجثة وانما يكون خبرا عن الحدث والاظهر هو الوجه الاوّل وهو ان يكون خبر ان الاولى هو مخرجون وهو العامل فى اذا وكرّرت الثانية تأكيدا لما طال الفصل * فان قيل ما فى حيز ان لا يعمل فيما قبلها فكيف تقول ان عامل الظرف فى الوجه الاوّل هو مخرجون * قلنا مخرجون ليس فى حيز ان الثانية بل فى حيز الاوّل والثانية انما جيء بها لمحض التأكيد ولا يجوز ان يكون العامل فى اذا متم لانه مضاف اليه فلا يعمل فى المضاف ﴿ قوله بعد التصديق ﴾ يعنى ان هيهات اسم لفعل لازم وهو بعد فلا بدّ له من فاعل مرفوع واشار المصنف رحمة الله عليه الى ان فاعله مضمر يتعلق به قوله لما توعدون اى هيهات الصحة والتصديق لما توعدون وكرّر هيهات للتأكيد ﴿ قوله او بعد ما توعدون واللام ﴾ اى بيان المستبعد وهو بيان لحاصل المعنى لان ما توعدون المذكور لا يكون فاعل هيهات على تقدير كون اللام للبيان بل يكون فاعله ضميرا مبهما مفسرا بقوله ما توعدون كما فى ربه رجلا ﴿ قوله وقيل هيهات بمعنى البعد ﴾ فان قيل اذا لم يكن هيهات اسم فعل واقعا موقع بعد كيف يكون مبنيا على الفتح * قلنا انه فى الاصل اسم فعل وان استعمل ههنا بمعنى المصدر وهذا القدر كاف فى بنائه وقيل الذى اوجب بناءه شبهه بالاصوات ﴿ قوله وقرئ بالفتح منوّنا للتنكير ﴾ والفرق بين المنوّن وغير المنوّن على تقدير كونه اسم فعل كالفرق بين قولك صه وصه ومه ومه فى ان تقديرهما فى الاوّل افعل السكوت والكف وفى الثانى افعل سكوتا وكفا روى عن الزجاج رضى الله تعالى عنه انه قال فى تفسير هيهات البعد لما توعدون فيمن لم ينوّن وبعد لما توعدون فيمن ينوّن فنزل منزلة المصدر معرّفا ومنكرا قيل هيهات بالفتح لفظ مفرد وتأوها للتأنيث مثلها فى ظلمة وعرفة ولذلك يقلبها الواقف هاء فيقول هيهاه والفها مقلوبة عن ياء لان اصلها هيهية كزلزلة واما المكسورة فجمع المفتوحة واصلها هيهيات فحذفت اللام التى هى الياء الثانية والوقف عليها بالتاء كسلمات وقيل من نوّن اعتقد تنكيرها وتصوّر معنى المصدر النكرة كأنه قيل بعدا بعدا ومن لم ينوّن اعتقد تعريفها وتصوّر معنى المصدر المعرفة كأنه قيل البعد البعد فجعل التنوين دليل التنكير وعدمه دليل التعريف ولا يوجد تنوين التنكير الا فى نوعين اسماء الافعال واسماء الاصوات وليس بقياسى يعنى انه ليس لك ان تنوّن منها ما شئت بل ما سمع تنوينه اعتقد تنكيره وقيل من فتح فى القرآءة المتقدّمة فللخفة ومن كسر فعلى اصل التقاء الساكنين ومن ضم فشبه بقبل وبعد ومن سكن فلان اصل البناء السكون ومن وقف بالهاء فاتباعا للرسم ومن وقف بالتاء فعلى الاصل سوآء كسرت التاء او فتحت لان الظاهر انهما سوآء وانما ذلك من تغير اللغات ﴿ قوله يموت بعضنا ويولد بعض ﴾ اى ليس المراد موت شخص واحد وحياته لانه يستلزم القول بالاعادة والبعث وهم بصدد انكاره ثم انهم لما فرغوا من الطعن فى صحة الحشر نبوا عليه الطعن فى نبوّته عليه الصلاة والسلام فجعلوه مفتريا على الله تعالى فيما يدّعيه من الرسالة وفيما يعدهم من الحشر والحساب فقالوا ان هو الا رجل افترى على الله كذبا ثم انه عليه الصلاة والسلام لما ايس من ايمانهم دعا الله تعالى فقال رب انصرنى الآية ﴿ قوله وما صلة ﴾ ذكر فى كلمة ما وجهين احدهما انها مزيدة بين الجار والمجرور كما زيدت بعد الباء فى قوله فبما رحمة من الله لنت لهم وبعد من فى قوله

﴿ فاخذتهم الصيحة ﴾ صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدّعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح ﴿ بالحق ﴾ بالوجه الثابت الذى لادافع له او بالعدل من الله كقولك فلان يقضى بالحق او بالوعد الصدق ﴿ فجعلناهم غثاء ﴾ شبههم فى دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادى لمن هلك ﴿ فبعدا للقوم الظالمين ﴾ يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التى تنصب بافعال لايستعمل اظهارها واللام لبيان من دعى عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ﴿ ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين ﴾ يعنى قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ﴿ ماتسبق من امّة اجلها ﴾ الوقت الذى حدّ لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق ﴿ ومايستأخرون ﴾ الأجل ﴿ ثم ارسلنا رسلنا تترى ﴾ متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ ابن كثير وابو ﴿ ٤٠٤ ﴾ عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا ﴿ كلما جاء امّة رسولها كذبوه ﴾ اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيئ الى المرسل اليهم لان الارسال الذى هو مبدأ الامر منه والمجيئ الذى هو منتهاه اليهم ﴿ فأتبعنا بعضهم بعضا ﴾ فى الاهلاك ﴿ وجعلناهم أحاديث ﴾ لم يبق منهم الاحكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهى مايتحدّث به تلهيا ﴿ فبعدا لقوم لايؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا ﴾ بالآيات التسع ﴿ وسلطان مبين ﴾ وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اوّل المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها مافكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد بها المعجزات وبالآيات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها آيات للنبوّة وحجة بينة على مايدّعيه النبى ﴿ الى فرعون وملئه فاستكبروا ﴾ عن الايمان والمتابعة ﴿ وكانوا قوما عالين ﴾ متكبرين ﴿ فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا ﴾ ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاماترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه فى حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوّة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة فى الحقيقة وفساده يظهر للمتبصر بأدنى تأمل فان النفوس البشرية وان تشاركت فى اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى فى جانب النقصان اغبياء لايعود عليهم الفكر برادّة يمكن ان يكون فى طرف الزيادة اغبياء عن التعلم والتفكر فى اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون مالايدرك غيرهم ويعلمون مالاينتهى اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الىّ انما الهكم اله واحد ﴿ وقومهما ﴾ يعنى بنى اسرآئيل ﴿ لنا عابدون ﴾ خادمون منقادون كالعباد ﴿ فكذبوهما فكانوا من المهلكين ﴾ بالغرق فى بحر قلزم ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ التوراة ﴿ لعلهم ﴾ لعل بنى اسرآئيل ولايجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التوراة نزلت بعد اغراقهم ﴿ يهتدون ﴾ الى المعارف والاحكام ﴿ وجعلنا ابن مريم وامّه آية ﴾ بولادتها اياه من غير مسيس فالآية امر واحد مضاف اليهما او جعلنا ابن مريم آية بان تكلم فى المهد وظهر منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها ﴿ وآويناهما الى ربوة ﴾ ارض بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فانّ قراها على الربى وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الرآء وقرئ رباوة بالضم والكسر ﴿ ذات قرار ﴾ مستقرّ من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرّون فيها لاجلها

تعالى مما خطاياهم وأنّ قليل صفة لمحذوف اى زمان قليل وثانيهما انها غير زآئدة بل هى نكرة بمعنى شئ او زمان وقليل صفتها والجار متعلق بقوله ليصبحنّ اى ليصبحن عن زمان قليل نادمين على قول من يجوّز تقديم معمول مابعد لام القسم عليها ومن لم يجوّز ذلك يقول انه متعلق بمحذوف تقديره ننصرك عما قليل حذف لدلالة ماقبله عليه وهو قوله رب انصرنى فالفرآء يجوّز تقديم معمول مابعد لام القسم عليها مطلقا وجمهور البصريين يمنع ذلك مطلقا وذهب بعض النحاة الى التفصيل بين الظرف وعديله وبين غيرهما فجوّزه فيهما للاتساع ومنع فى غيرهما فلا يجوز فى والله لأضربنّ زيدا ان يقال زيدا لأضربنّ لانه غير الظرف وعديله ﴿ قوله ﴾ واستدل به على ان القرن قوم صالح ﴿ فان المشهور فى قصتهم ان جبريل عليه الصلاة والسلام صاح بهم صيحة عظيمة فماتوا جميعا واما عاد قوم هود فقد قال الله تعالى فى حقهم فاهلكوا بريح صرصر عاتية وان كان المراد بالقرن قوم هود كما قيل فقد روى فى قصة عاد انهم لما خرجوا مع شدّاد عازمين على دخول ارم ذات العماد التى بناها وبلغوا منها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى من كان معه من قومه صيحة من السماء فأهلكتهم اجمعين رواه سفين عن منصور عن ابى وآئل عن كعب رضى الله تعالى عنهم وقيل المراد بالصيحة العذاب المستأصل وهو الريح العقيم ههنا قال الشاعر

* صاح الزمان فنال قومك صيحة * خرّوا لشدّتها على الاذقان *

﴿ قوله ﴾ شبههم فى دمارهم بغثاء السيل ﴿ فان اخص اوصاف الغثاء أن يذهب به السيل فلا يظفروا به ابدا فشبهوا به تشبيها بليغا فى ذلك واجعل ههنا بمعنى التصيير وغثاء مفعوله الثانى ﴿ قوله ﴾ متواترين ﴿ اشارة الى ان تترى منصوب على انه حال من ارسلنا اى واحدا بعد واحد اومتتابعين على حسب الاختلاف فى معناه فمن الاصمعى ان معناه واحدا بعد واحد بينهما مهلة وقال غيره هى من المواترة وهى التتابع من غير مهلة وقال الراغب التواتر تتابع الشئ وترادفه قيل انه مصدر واقع موقع الحال وألفه للتأنيث كألف دعوى لان الرسل جماعة ﴿ قوله ﴾ كتولج وتيقور ﴿ اصلهما وولج وويقور على فيعول التولج كناس الوحش الذى يلج فيه والتاء مبدلة من الواو وهو فوعل لانك لاتجد فى الكلام تفعل اسما وفوعل كثير والتيقور بمعنى الوقار والتاء مبدلة من الواو ﴿ قوله ﴾ لان الارسال منه والمجيئ اليهم ﴿ يعنى ان الاضافة وان كانت للملابسة وان الرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا الا انه روعيت ملابسة المرسل مع فعل الارسال وملابسة المرسل اليه مع فعل المجيئ لكون الارسال منه والمجيئ اليهم ﴿ قوله ﴾ تعالى وجعلناهم احاديث ﴿ اى اخبارا يسمر بها ويتعجب منها اى بلغ اهلاكهم مبلغا صاروا معه اخبارا ولم يرمنهم عين ولا اثر ولم يبق منهم الا الحديث الذى يذكر ويعتبر به ﴿ قوله ﴾ لانه فى حكم المصدر ﴿ حيث يوصف به الواحد والجمع والاثنان والمذكر والمؤنث كغير قال تعالى انكم اذا مثلهم وقال من الارض مثلهن فاتوا بسورة من مثله ﴿ قوله ﴾ لايعود عليهم الفكر برادّة ﴿ اى بفائدة وعائدة يقال هذا الامر لارادّة له اى لاعائدة له ولافائدة وفى بعض النسخ بزيادة وهو قريب من الاوّل ﴿ قوله ﴾ بولادتها اياه من غير مسيس ﴿ يعنى انه تعالى جعل عيسى عليه الصلاة والسلام آية بان خلقه من غير ذكر وانطقه فى المهد فى الصغر واجرى على يده ابرآء الاكمه والابرص واحياء الموتى وجعل مريم ايضا آية بان حملته من غير ذكر وقال الحسن رضى الله تعالى عنه تكلمت مريم فى صغرها حيث قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ولم تلتقم ثديا قط وذلك اما معجزة لزكريا عليه الصلاة والسلام او كرامة لمريم او ارهاص لعيسى عليه الصلاة والسلام الا انه تعالى افرد آية ولم يقل آيتين لانه لم يردان كل واحد منهما آية على حدة بل المراد بيان انهما آية واحدة من جهة الولادة لانه عليه الصلاة والسلام ولد من غير ذكر وولدته امّه من غير ان يمسها ذكر فاشتركا جميعا فى هذا الامر العجيب الناقض للعادة فهو امر واحد مضاف اليهما فلذلك افرد آية ﴿ قوله ﴾ تعالى وآويناهما ﴿ اى جعلناهما يأويان الى ربوة ويتخذانها مأوى لهما والربوة المكان المرتفع بالحركات الثلاث فى الرآء ومثلها الرباوة بالكسر والضم قيل هى ارض بيت المقدس وهى اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا ﴿ قوله ﴾ مستقرّ من ارض منبسطة ﴿ فسر القرار بالمستقرّ وهو موضع الاستقرار ثم بين المستقرّ بقوله من ارض منبسطة اى مستوية تصلح لاستقرار المستقرّين فيها ثم قيل ان المراد بكون الربوة ذات قرار انها ذات ثمار وماء فعلى هذا تكون كناية لان كون الموضع ذا ثمار وماء يستلزم كونه مستقرّا للمستقرّين فاطلق اللازم وهو كونها ذات قرار اى ذات مستقرّ واريد الملزوم وهو كونها ذات ثمار وماء فعلى هذين الوجهين القرار بمعنى المستقرّ ولكن

(الوجه)

﴿ومعين﴾ وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد فى المشى اومن الماعون وهو المنفعة لانه نفاع اومفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان ﴿يا ايها الرسل كلوا من الطيبات﴾ نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا فى ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به فى زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوّليا فيكون ابتداء كلام ذكرتنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية فى رفض الطيبات اوحكاية لما ذكر لعيسى وامّه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل فى تناول مارزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات مايستلذ من المباحات وقيل الحلال الصافى القوام فالحلال مالا يعصى الله فيه والصافى مالا ينسى الله فيه والقوام مايمسك النفس ويحفظ العقل ﴿واعملوا صالحا﴾ فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم ﴿انى بما تعملون عليم﴾ فأجازيكم عليه ﴿وان هذه﴾ اى ولان هذه والمعلل به فاتقون او اعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ماتعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف ﴿امتكم امّة واحدة﴾ ملتكم ملة واحدة اى متحدة فى العقائد واصول الشرائع اوجماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة ونصب امّة على الحال ﴿وانا ربكم فاتقون﴾ فى شق العصا ومخالفة الكلمة ﴿فتقطعوا امرهم بينهم﴾ فتقطعوا امر دينهم وجعلوه أديانا مختلفة او فتفرّقوا وتحزبوا امرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير لما دل عليه الامّة من اربابها اولها ﴿زبرا﴾ قطعا جمع زبور الذى بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حال من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل فى رسل ﴿كل حزب﴾ من المتحزبين ﴿بما لديهم﴾ من الدين ﴿فرحون﴾ معجبون معتقدون انهم على الحق ﴿فذرهم فى غمرتهم﴾ فى جهالتهم شبهها بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها اولا عبون بها وقرئ فى غمراتهم ﴿حتى حين﴾ الى ان يقتلوا او يموتوا

الوجه الثانى بطريق الكناية والوجه الاوّل بطريق التصريح اى من غير كناية ﴿قوله﴾ فعيل من معن الماء او مفعول من عانه ﴿قوله﴾ يعنى اختلف فى ان ميم معين هل هى زائدة واصله معيون اى مبصر بالعين فاعل اعلال مبيع يقال عانه اذا ادركه بعينه كما يقال رأسه اذا اصاب رأسه وكبده اذا ضرب كبده ومعين فى الآية الكريمة صفة موصوف محذوف اى وماء معين مدح الربوة بان ماءها جار ظاهر على وجه الارض بحيث يدرك بالعيون وقيل ميمه اصلية ووزنه فعيل مشتق من المعن وهو الجرى مع الاسراع والابعاد يقال معن الفرس اذا تباعد فى عدوه وامعن بحق فلان اذا ذهب به ورجل معين فى حاجته اى مسرع فى طلبها فكله راجع الى معنى الجرى والسرعة وقيل انه مشتق من الماعون الذى يتعاونه الناس فى العادة كالفأس والقدر * الجوهرى الماعون اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس ونحوهما ويسمى الماء ماعونا قال الشاعر * يمج صبيره الماعون صبا * اى الماء والصبير السحابة البيضاء والماعون فى الجاهلية كل منفعة وعطية وفى الاسلام الطاعة والزكاة والمنفعة موضع النفع وهو ماينتفع به كالمأسدة والمسبعة فانهما اسمان لموضع الاسد والسبع وقيل المعن السهل الذى ينقاد ولا يتعاصى والماعون ماسهل على معطيه قيل سبب ايوائهما الى ربوة انها فرّت بابنها عيسى عليه الصلاة والسلام الى الربوة وبقيت بها اثنتى عشرة سنة وانما ذهب بها ابن عمها يوسف ثم رجعت الى اهلها بعد مامات ملكهم وههنا آخر القصص ولما ختمها ببيان ان الله تعالى هيأ لعيسى عليه السلام اسباب النعم بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان اباحة الطيبات لم تكن فى حقه عليه الصلاة والسلام خاصة بل هى شرع قديم نودى وخوطب بها كل نبى فى زمانه ليعلم السامع ان امرا نودى له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه وليس يا ايها الرسل خطابا مع كل الرسل دفعة لان ذلك غير ممكن بناء على انهم ارسلوا فى ازمنة مختلفة فلا يمكن توجيه الخطاب اليهم جميعا دفعة ﴿قوله﴾ او حكاية لما ذكر لعيسى عليه الصلاة والسلام وامّه ﴿قوله﴾ عطف على قوله بل على معنى ان كلا منهم خوطب به فى زمانه من حيث المعنى فان المراد منه ان هذا الكلام ألقى على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا على وجه الحكاية وانما ألقى عليه ابتداء تنبيها له عليه الصلاة والسلام على ان تهيئة اسباب النعم لم تكن له خاصة ثم جوّز ان يكون ذلك على وجه الحكاية كانه قيل وآوينا هما الى ربوة واعلمناهما انا دينا كل رسول فى زمانه وخاطبناه ﴿قوله﴾ اى ولأنّ هذه ﴿قوله﴾ قرأ ابن عامر وحده وان هذه بفتح الهمزة وتخفيف النون والكوفيون بكسرها وتثقيلها والباقون بفتحها والتثقيل وذكر المصنف رحمه الله تعالى فى توجيه قرآءة الباقين ثلاثة اوجه الاوّل انها مبنية على حذف لام التعليل اى ولان هذه والثانى ان فى الكلام حذفا تقديره واعلموا ان هذه امتكم والثالث انها معطوفة على قوله ماتعملون اى انى عليم بما تعملون وبأن هذه امّتكم وعلى قرآءة ابن عامر ان هى المخففة من الثقيلة ولابدّ من التوجيه باحد الوجوه الثلاثة المذكورة فى توجيه انّ المثقلة ﴿قوله﴾ اى متحدة فى العقائد واصول الشرائع ﴿قوله﴾ جواب عما يقال اذا كانت شرائعهم مختلفة فكيف تكون ملتهم واحدة ﴿قوله﴾ فى شق العصا ﴿قوله﴾ اى مفارقة الجماعة يقال شق فلان العصا اى فارق الجماعة ﴿قوله﴾ وجعلوه أديانا ﴿قوله﴾ كاليهودية والنصرانية ونحوهما وبناء تفعل قد يكون متعدّيا نحو تقدّمه ومنه تقطع ولذلك فسره الجوهرى رحمه الله تعالى عليه بقوله اى اقتسموه ثم جوّز ان يكون لازما بمعنى تفرّقوا وتحزبوا فيكون امرهم منصوبا بنزع الخافض او التمييز وضمير تقطعوا لارباب الامر والزبر بضم الباء جمع زبور بمعنى الفرقة والطائفة وقيل بمعنى المكتوب من زبره بمعنى كتبه والمعنى جعلوا دينهم الحق الذى هو دين واحد وهو الاسلام أديانا دان كل فريق بكتاب غير الكتاب الذى دان به الآخر واراد بالكتب ماكتبوه بايديهم لا ماهو المنزل من السماء لانه غير مجعول بجعلهم والزبر بفتح الباء جمع زبرة وهى القطعة من الشئ المتخذ من المعدنيات المتجسدة كالفضة والحديد قال تعالى آتونى زبر الحديد استعيرت لامر الدين تشبيها له بها فى التعدّد والاختلاف ثم ان المفرقين دينهم لما كانوا فى نعم عظيمة فى الدنيا جاز ان يظنوا ان تلك النعم كالثواب المعجل لهم على اديانهم فبين الله تعالى ان الامر على خلاف ذلك فقال تعالى أيحسبون انما نمدّهم به من مال وبنين الى آخره وحق ماهذه ان تكتب مفصولة من أنّ لانها اسمية الا انها كتبت موصولة بها متابعة لمصحف الامام لان المتابعة له سنة فى باب الكتابة فان ما موصولة بمعنى الذى وهى اسم انّ ونمدّهم به صلتها وعائدها ومن مال حال من الموصول او بيان له فيتعلق بمحذوف ونسارع خبر ان والعائد من هذه الجملة الى الاسم محذوف تقديره ونسارع لهم به اوفيه ولا يجوز ان يكون الخبر من مال لان ما اعطاهم الله تعالى

﴿ أيحسبون انما نمدّهم به ﴾ ان مانعطيهم ونجعله مددا لهم ﴿ من مال وبنين ﴾ بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاب عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره ﴿ نسارع لهم فى الخيرات ﴾ والراجع ضمير محذوف والمعنى أيحسبون ان الذى نمدّهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم ﴿ بل لايشعرون ﴾ بل هم كالبهائم لافطنة بهم ولا شعور ليتأمّلوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لامسارعة فى الخير وقرئ يمدّهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممدّ به ويسارع مبنيا للمفعول ﴿ ان الذين هم من خشية ربهم ﴾ من خوف عذابه ﴿ مشفقون ﴾ حذرون ﴿ والذين هم بآيات ربهم ﴾ المنصوبة والمنزلة ﴿ يؤمنون ﴾ بتصديق مدلولها ﴿ والذين هم بربهم لايشركون ﴾ شركا جليا ولا خفيا ﴿ والذين يؤتون ماآتوا ﴾ يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ماأتوا اى يفعلون مافعلوه من الطاعات ﴿ وقلوبهم وجلة ﴾ اى خائفة ان لايقبل منهم وان لايقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به ﴿ انهم الى ربهم راجعون ﴾ لان مرجعهم اليه اومن ان مرجعهم اليه وهو يعلم مايخفى عليهم ﴿ اولئك يسارعون فى الخيرات ﴾ يرغبون فى الطاعات اشدّ الرغبة فيبادرونها اويسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم مانفى عن اضدادهم ﴿ وهم لها سابقون ﴾ لاجلها فاعلون السبق اوسابقون الناس الى الطاعة اوالثواب اوالجنة اوسابقونها اى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا كقوله هم لها عاملون ﴿ ولا نكلف نفسا الاوسعها ﴾ قدر طاقتها يريد به التحريض على ماوصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ﴿ ولدينا كتاب ﴾ يعنى اللوح اوصحيفة الاعمال ﴿ ينطق بالحق ﴾ بالصدق لايوجد فيه مايخالف الواقع ﴿ وهم لايظلمون ﴾ بزيادة عقاب اونقصان ثواب ﴿ بل قلوبهم ﴾ قلوب الكفرة ﴿ فى غمرة ﴾ فى غفلة غامرة لها ﴿ من هذا ﴾ من الذى وصف به هؤلاء اومن كتاب الحفظة ﴿ ولهم اعمال ﴾ خبيثة ﴿ من دون ذلك ﴾ متجاوزة لما وصفوا به اومنحطة عماهم عليه من الشرك ﴿ هم لها عاملون ﴾ معتادون فعلها ﴿ ذلك ﴾

وجعله مددا لهم كان من مال فلا يعاب عليهم حسبان ذلك وقوله تعالى بل لايشعرون اضراب عن الحسبان المستفهم عنه استفهام تقريع وهو اضراب انتقال والمعنى ماذكر المصنف رحمة الله تعالى عليه من انهم أشباه البهائم لاشعور لهم حتى يتكفروا فى ذلك الامداد أهو استدراج ام مسارعة فى الخير روى عن يزيد بن ميسرة رضى الله تعالى عنهما قال اوحى الله تعالى الى نبى من الانبياء أيفرح عبدى ان ابسط له الدنيا وهو ابعد له منى ويجزع ان اقبض عنه الدنيا وهو اقرب له منى ثم تلا قوله تعالى أيحسبون انما نمدّهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات ﴿ قوله ﴾ وقرئ يمدّهم على الغيبة ﴿ وباسناد الفعل الى ضمير البارى تعالى وقياسه ان يقرأ يسارع بياء الغيبة ايضا ومن قرأ نمدّهم بالنون ويسارع بالياء احتمل ان يجعله مسندا الى ضمير البارى تعالى والى ضمير ما الموصولة وقرئ نسرع بالنون من اسرع وبالياء ايضا ثم انه تعالى بين صفات من يسارع فى الخيرات وذكر لهم اربع صفات فقال ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون اى من خوف عذابه حذرون والخوف اسم جنس والخشية اخص منه وهى الخوف لعظمة المخوف منه ولهذا كان استعمال الخشية من الله تعالى اكثر كما ان استعمال الخوف فى حق العباد اكثر واغلب والشفقة ايضا اخص من الخوف فانها عبارة عن الخوف مع الرقة والرحمة فى حق المخوف عليه كشفقة الامّ على ولدها فانه قلما يقال خافت الامّ اوخشيت على ولدها بل يقال اشفقت وينبئ عن هذه التفاسير قول من قال

* اخشى من الفقر يوما ان يلم بها * فيكشف الستر عن لحم على وضم *
* تهوى حياتى واهوى موتها شفقا * والموت اكرم نزال على الحرم *

والمصنف رحمه الله تعالى فسر هذا التركيب فى سورة الانبياء اى قوله تعالى وهم من خشيته مشفقون بقوله وهم من عظمته ومهابته مرتعدون ثم قال واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فاذا عدّى بمن تحقق معنى الخوف فيه وظهر وان عدّى بعلى فبالعكس وحمل الخشية ثمة على مجرّد عظمة المخوف منه وحمل الاشفاق منه على كمال الخشية المستلزم لارتعاد الفرآئض وماذكره فى هذه الآية اوفق للمعنى الاصلى حيث اشار الى عظمة المخوف منه باضافته الى الله تعالى والى الرحمة والاعتناء بشأن المخوف بقوله حذرون فان من كان خائفا من عذاب الله تعالى العظيم وعقابه الاليم كان ملازما لطاعته مجدّا فى طلب رضاه والاحتراز عن معصيته المؤدية الى سخطه وعقابه رحمة على نفسه واعتناء بشأنها ﴿ قوله ﴾ بتصديق مدلولها ﴿ لان التصديق بوجود الآيات المنصوبة وهى الموجودات الدالة على وجود الصانع لايوجب ان يمدح صاحبه وكذا التصديق بوجود الآيات المنزلة باعتبار التصديق بمدلولها ﴿ قوله ﴾ وجلة اى خائفة ﴿ الوجل ايضا اخص من الخوف لانه خوف يمازجه طمع اى والحال ان قلوبهم بين خوف الردّ ورجاء القبول ثم انه تعالى بين علة ذلك الوجل بقوله انهم الى ربهم راجعون وقوله اولئك يسارعون فى الخيرات اى خيرات الذى هم من خشيته والمراد بالخيرات اما طاعتهم واعمالهم الصالحة واما المثوبات الموعودة بادآئها والمعنى على الاوّل انهم يبادرون الى الطاعات لشدّة رغبتهم فيها وعلى الثانى انهم يسارعون فى نيل ماوعدلهم من المثوبات بمقابلة اعمالهم الصالحة وانما جعلوا مسارعين اليها لانهم اذا سورع بمالهم فقد سارعوا فى نيلها واشار بقوله فيكون اثباتا لهم مانفى عن اضدادهم الى ان الوجه الثانى اوفق لما سبق من قوله تعالى أيحسبون انما نمدّهم به من مال وبنين فانه تعالى نفى فى تلك الآية ان يسارع الكفار الى ان يعجل لهم من ثواب اعمالهم ماهو خيرلهم واثبت ذلك لاضدادهم وهم المؤمنون الذين ذكرت صفاتهم ﴿ قوله ﴾ لاجلها فاعلون السبق ﴿ على ان يكون ضمير لها للخيرات واللام للتعليل وان لايقدّر للسبق مفعول وانما الغرض الاعلام بوقوع السبق منهم مع قطع النظر الى من سبقوه بخلاف الوجه الثانى فانه يقدّر للسبق مفعول فى ذلك الوجه واللام ايضا للتعليل اى وهم سابقون الناس لاجلها ﴿ قوله ﴾ اوسابقونها ﴿ على ان لها مفعول سابقون واللام زآئدة فى المفعول لتقوية العمل وحسن زيادتها شيأن لو انفرد كل واحد منهما لاقتضى الجواز كون العامل فرعا وتقدّم معموله عليه كما فى قوله هم لها عاملون اى عاملون اياها وكقولك هو لزيد ضارب اى ضارب زيد ثم اشار الى ان جميع ماوصف به السابقون من الخصال الاربع داخل فى وسع الانسان وطوقه غير خارج عنه وكذا كل ما كلف به عباده وان اعمال العباد كلها مثبتة فى الكتاب فلا يضيع لعامل جزآء عمله ثم انه تعالى عاد الى ذكر الكفار بقوله قلوبهم فى غمرة من هذا الذى وصف به المؤمنون السابقون الى الخيرات ولهم اعمال من دون

ذلك الذى ذكر من اعمال المؤمنين وقيل غفلتهم وجهلهم وقيل المراد اعمالهم التى هم عليها فى الحال وقيل بل هو اخبار من الله تعالى عما سيعملونه من اعمالهم الخبيثة التى كتب عليهم لابدّ ان يعملوها وحتى فى قوله تعالى حتى اذا اخذنا مترفيهم غاية لمحذوف تقديره واعمالهم التى يعملونها وبعدها جملة شرطية جزاؤها اذاهم يجأرون واذا الثانية تنوب عن الفاء اى فهم يجأرون والمعنى الاخبار بانهم لايتناهون عن حالهم المذكورة الى ان يأخذالله متنعميهم ورؤساءهم بالعذاب والجؤار رفع الصوت بالاستغاثة والصراخ لشدّة مانالهم والسنين جمع السنة وهى الجدب ﴿قوله اذلاتمنعون منا﴾ اى لايمنعكم الجؤار والاستغاثة ولايخلصكم منا اى من عذابنا على ان تكون كلمة من صلة النصر المتضمن معنى المنع والحفظ وعلى الثانى تكون ابتدآئية ثم انه تعالى بين السبب فى ان لاينفعهم ذلك بقوله تعالى قدكانت آياتى تتلى عليكم ﴿قوله فانها بمعنى كتابى﴾ ومعنى استكبارهم بالقرءآن تكذيبهم به استكبارا فضمن الاستكبار معنى التكذيب فعدّى تعديته وهو معنى قوله والباء متعلقة بمستكبرين الخ ثم جوّز ان لاتكون الباء للتعدية بل تكون للسببية ويكون المعنى مستكبرين على المسلمين بسبب القرءآن واستماعه واصل السمر ظل القمر لسمرته لانهم يجلسون فيه بالليل فيتحدّثون ويجوز ان تكون الباء فى به متعلقة بقوله سامرا اى يسمرون بذكر القرءآن والطعن فيه وكان سمرهم بالليل عند البيت ذكر القرءآن وتسميته سحرا وشعرا ونحو ذلك وسب النبى صلى الله عليه وسلم ﴿قوله وهو فى الاصل مصدر﴾ كانه بيان لوجه افراده سامرا مع انه حال من ضمير مستكبرين قال صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه السامر نحو الحاضر فى الاطلاق على الجمع وقال الزجاج السامر الجماعة الذين يتحدّثون ليلا على تقدير ان يتعلق به بقوله سامرا قدّم عليه لانه لما كانت عامّة سمرهم بذكره صاروا كانهم لايسمرون الابه * وقرأ العامّة تهجرون بفتح التاء وضم الجيم من الهجر بفتح الهاء وقد يكون بمعنى الهجران والترك والقطع اى تهجرون آيات الله ورسوله وتزهدون فيهما ولاتصلونهما وقد يكون بمعنى الهذيان يقال هجر المريض هجرا اذاهذى والهجر بضم الهاء اسم بمعنى القول القبيح يقال هجر يهجر هجرا بالفتح وهجر واهجر فى منطقه اذاقال قولا قبيحا والاسم منه الهجر بالضم وقرئ بهنّ جميعا اى قرئ تهجرون وتهجرون ثم انه تعالى لما وصف حال الكفرة الذين فرّقوا دينهم ردّ عليهم بان بين ان اقدامهم على هذه الجهالة والضلالة لابدّ ان يكون لاحد امور اربعة احدها ان لايتأملوا فى دليل نبوّته وهو القرءآن المعجز الذى يستلزم التدبر فيه معرفة الصانع ووحدانيته وجميع مايجب على المكلف فى باب الاعتقاد والعمل فلم لايتدبرون فيه ليتركوا الباطل ويرجعوا الى الحق وثانيها ان يعتقدوا ان بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم امر غريب لم يسمع ولم يرو عن الامم السالفة وليس كذلك لانهم قد عرفوا بالتواتر ان الرسل كانت ترسل الى الامم على سبيل التتابع ويثبت كل واحد منهم ماادّعاه من الرسالة باظهار المعجزات وكانت الامم بين مصدّق ناج ومكذب هالك بعذاب الاستئصال وانما دعاهم الى ذلك عدم تصديق الرسل عليهم الصلاة والسلام وثالثها ان لايكونوا عالمين بامانة مدّعى الرسالة وصدقه قبل ادّعائه للنبوّة وليس كذلك فانهم عرفوا منه عليه الصلاة والسلام قبل ادعائه الرسالة كونه فى نهاية الامانة والصدق والتنزه عن الكذب والاخلاق الذميمة فكيف كذبوه بعد ان اتفقت كلمتهم على تسميته بالامين الصادق ورابعها ان يعتقدوا فيه الجنون فيقولون انه حمله على ادّعائه الرسالة جنونه وهذا ايضا ظاهر الفساد لانهم كانوا يعلمون بالضرورة انه اعقل الناس والمجنون كيف يمكنه ان يأتى بمثل ماتى به من الدلائل القاطعة والشرآئع الكاملة ثم انه تعالى لما ذكر مبنى ضلالتهم وبين فساده قال بل جاءهم الحق اى ليست ضلالتهم مبنية على شئ من هذه الامور بل انه عليه الصلاة والسلام جاء بالحق وهو القرءآن فلم يوافق اهواءهم ومانشأوا عليه من التقليد واتباع الشهوات فلذلك كرهوه ولم يقبلوه وقول المصنف رحمة الله تعالى عليه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع ناظر الى قوله تعالى ام جاءهم مالم يأت آباءهم الاوّلين وقوله او الشخص ناظر الى قوله تعالى ام لم يعرفوا رسولهم وقوله او بحث عما يدل عليه ناظر الى قوله تعالى افلم يدبروا القول اى افلم يدبروا ماجاءهم من القول وهو القرءآن العظيم ﴿قوله لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا عن توبيخ قومه﴾ ان يقولوا ترك دين آبائه لاكراهة للحق كما حكى عن ابى طالب فانه لم يقبل الحق ولم يتدين به مع انه يعرف بقلبه حقيته ويقرّ بلسانه لكنه لم يقبل ذلك لمانع على زعمه ويدل عليه قوله حين اجتمعوا اليه واراد وا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ

* والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى اوسد فى التراب دفينا *

انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه ولقلة فطنته وعدم فكرته لالكراهته للحق ﴿ولو اتبع الحق اهواءهم﴾ بان كان فى الواقع آلهة شتى

﴿لفسدت السموات والارض ومن فيهن﴾ كما سبق تقريره فى قوله لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لواتبع الحق اهوآءهم وانقلب باطلا لذهب ماقام به العالم فلا يبقى اولواتبع الحق الذى جاءبه محمد صلى الله عليه وسلم اهوآءهم وانقلب الحق شركا لجاء الله بالقيامة واهلك العالم من فرط غضبه اولواتبع الله اهوآءهم بان انزل مايشتهونه من الشرك والمعاصى لخرج عن الالوهية ولم يقدر أن يمسك السموات والارض وهوعلى اصل المعتزلة ﴿بل اتيناهم بذكرهم﴾ بالكتاب الذى هو ذكرهم اى وعظهم اوصيتهم اوالذكر الذى يتمنوه بقولهم لوان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم ﴿فهم عن ذكرهم معرضون﴾ لايلتفتون اليه ﴿ام تسألهم﴾ قيل انه قسيم قوله ام به جنة ﴿خرجا﴾ اجرا على اداء الرسالة ﴿فخراج ربك﴾ رزقه فى الدنيا اوثوابه فى العقبى ﴿خير﴾ لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازآء الدخل يقال لكل ماتخرجه الى غيرك والخراج غالب فى الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحزة والكسائى خراجا فخراج للمزاوجة ﴿وهو خير الرازقين﴾ تقرير لخيرية خراجه ﴿وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم﴾ تشهد العقول السليمة على استقامته لاعوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه ألزمهم الحجة وأزاح العلة فى هذه الآيات بان حصر اقسام مايؤدى الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ماعدا كراهة الحق وقلة الفطنة ﴿وان الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط﴾ عن الصراط السوى ﴿لناكبون﴾ لعادلون عنه فان خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه ﴿ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر﴾ يعنى القحط ﴿للجوا﴾ لثبتوا واللجاج التمادى فى الشئ ﴿فى طغيانهم﴾ افراطهم فى الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين ﴿يعمهون﴾ عن الهدى روى انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابوسفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ يعنى القتل يوم بدر ﴿فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون اوافتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من عادتهم (ساعة) التضرع وهو استشهاد على ماقبله ﴿حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد﴾ يعنى الجوع فانه اشد من الاسر والقتل ﴿اذاهم فيه مبلسون﴾ متحيرون ايسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك

* فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة * وابشر بذاك وقر منه عيونا *
* ودعوتنى وزعمت انك ناصحى * ولقد صدقت وكنت ثم امينا *
* وعرضت دينا لامحالة انه * من خير اديان البرية دينا *
* لولا الملامة اوحذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك يقينا *

وقد اقر ابوطالب بانه عليه الصلاة والسلام خير فتيان قريش فى الفضائل الانسانية فى الخطبة التى خطبها فى تزويج خديجة رضى الله تعالى عنها وقد حضر معه بنوا هاشم ورؤساء مضر وهى قوله الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل واصطفانا من عنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخى هذا محمد بن عبد الله لايوزن به فتى من قريش الا رجح عليه فان كان فى المال قل فالمال ظل زائل ولهو حائل ومحمد من عرفتم له قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وذكر لها من الصداق ماعاجله وآجله من مالى وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل كذا ذكره صاحب الكشاف فى اواخر سورة آل عمران ﴿قوله﴾ كما سبق تقريره ﴿وهو﴾ قوله انها لواتفقت فى المراد لتواردت علل مستقلة على معلول واحد وان تخالفت فيه لتفاوتت منه ﴿قوله وهو على اصل المعتزلة﴾ اى القول بانه تعالى لواتبع اهواءهم لخرج عن الالوهية مبنى على اصل من يقول الحاكم بحسن الاشياء وقبحها هو العقل وان مايستحسنه العقل يجب عليه تعالى فعله وان مايستقبحه يجب عليه تركه والمتابعة لما يشتهيه الكفرة تنافى الالوهية على زعمهم ﴿قوله﴾ تعالى بل اتيناهم بذكرهم ﴿متصل بقوله واكثرهم للحق كارهون اذليس فيما جاءهم به مايكرهونه بل هو ذكرهم اى وعظهم اوصيتهم اى شرفهم وفخرهم كما قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك اى شرف لك ولقومك لكونه بلسانكم ولغتكم ثم انه تعالى وبخ الكفرة بوجه آخر على عدم اجابتهم الى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وانكر عليهم اولا بقوله تعالى افلم يدبروا القول وهو استفهام بطريق الانكار اى لم يتذكروا ليعلموا انه حق فيؤمنوا به فتحصل لهم سعادة الدارين ثم اضرب عن هذا الاستفهام الانكارى الى استفهام انكارى آخر فقال تعالى ام جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين اى بل أتركوا الايمان به لماجاءهم مالم يسمعوا شيأ من نوعه فأنكروا ذلك واستبعدوه ثم اضرب عن ذلك الى ان قال بل أتركوا الايمان به لانهم لم يعرفوه بالامانة والصدق قبل دعوى الرسالة ثم اضرب عن ذلك الى ان قال بل أتركوا ذلك لزعمهم فى حقه كونه مجنونا ثم اضرب عن ذلك الى ان قال بل أتركوا ذلك لكونه يسألهم على تبليغ الوحى جعلا يعطونه اياه فيثقل عليهم قبوله وليس الامر كذلك لان مايعطيك الله تعالى من الاجر والمثوبة فى الدنيا والآخرة خير من اجرهم وفيه مندوحة لك عن عطائهم فلا عذر لهم فى الاباء عن قبول قولك البتة ﴿قوله فى الضريبة على الارض﴾ وهى مايضربه الامام على الارض ويضعه بمنزلة الاجرة المضروبة عليها والوجه فى كون الخراج مشعرا بالكثرة كثرة الضرب بكثرة الاراضى واما وجه كونه مشعرا باللزوم فايجاب الشارع اياه على اصحاب الاراضى الخراجية ثم انه تعالى لما زيف طريقة القوم اتبعه صحة مادعاهم اليه الرسول واشار الى علة نكوب من عدل عنه فقال تعالى وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم ونكره للتعظيم ثم عرفه تعريف العهد فى قوله تعالى عن الصراط لناكبون اى لفاعلون النكوب عنه لعدم ايمانهم بالآخرة والنكوب من باب دخل ﴿قوله انشدك الله تعالى والرحم﴾ اى اسألك بالله تعالى وبالرحم وهو قسم استعطاف واسترحام والعلهز طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير فى سنى المجاعة وقيل هو القراد مع الصوف كانوا يدقونهما ممتزجين ﴿قوله قتلت الآباء بالسيف﴾ المراد به ماجرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم حيث قتل منهم سبعون واسر من صناديدهم سبعون وهو جمع صنديد وهو السيد الشجاع وهذه الرواية تدل على ان هذه الآيات مدنية وان ماأصاب قريشا من القحط سبع سنين من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم كان بعد الهجرة وقد ذهب المفسرون الى ان هذه السورة مكية الا ان يقال هذه الآيات مدنية وجعلت السورة مكية اعتبارا للاغلب والمعنى لوكشف الله تعالى عنهم هذا الضر برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ماكانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولذهب عنهم هذا الانكسار والتملق بين يديه يسترحمونه واستشهد على مفهوم هذه الشرطية بانا اخذناهم بعذاب يوم بدر فاوجدت منهم بعد ذلك استكانة ولاتضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذى هو اشد من الاسر والقتل فانكسوا

ساعة ولا خضعت رقابهم فارسلوا اليك اشدّهم شكيمة فى العناد يستعطفك واستكان استفعل من الكون ومعناه تحوّل من كون الى كون كاستحال بمعنى تحوّل من حال الى حال اى ماتحوّلوا عن الحال السيئة التى هم عليها الى الحال الحسنة فان باب الاستفعال قد يكون للتحوّل نحو استحال الخمر ويجوز ان يكون افتعل من السكون اصله استكنوا فأشبعت الكاف فتولدت منها الالف اى ماسكنوا وما ذلوا وماخضعوا لربهم وماتضرّعوا بل مضوا على تمرّدهم وحتى غاية لنفى الاستكانة والتضرّع ثم انه تعالى ذكرهم نعمه التى انعم بها عليهم ليؤدّوا بذلك الشكر له عليها لكنه ذكر امهات النعم التى هى السمع والبصر والفؤاد التى بها يتوصل الى معرفة كل نافع وضارّ وكل طيب وخبيث فاخبر الله تعالى انه اعطاهم مايعرفون به النافع من الضار والطيب من الخبيث مشاهدة وسماعا ومابه يميزون بعض الاشياء ويختارون ماهو المختار عندهم ليتأدّى بذلك شكره وشكر كل نعمة استعمالها فى طاعة المنعم وعبوديته كاستعمال الحواس فى استعمال مانصب من الآيات واشتغال القلب فى تفكر تلك الآيات والاستدلال بها على مايجب عليهم من الاستكمال والتحلى بالكمالات العلمية والعملية وادرج فيه توبيخ العباد بان الشكر منهم قليل كما قال تعالى وقليل من عبادى الشكور فقال تعالى وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون وقليلا منصوب على انه صفة مصدر محذوف ومامزيدة للتأكيد اى حقا انكم تشكرون شكرا قليلا وقيل ليس المراد ان لهم شكرا قليلا بل هو من قبيل قولك للكفور الجاحد للنعمة ما اقل شكر فلان للنعمة ثم بين كمال قدرته وقوىّ سلطنته بقوله تعالى وهو الذى ذرأكم فى الارض وعطف عليه انه لم يخلقهم عبثا وانما خلقهم للبعث بعد الموت والحشر اليه فانّ خلق الخلائق وتكليفهم بالاوامر والنواهى لمجرّد ان ينتهى حالهم الى الموت والفناء من غير ان يميز بين المطيع والعاصى عبث ولعب تبارك الله وتعالى شأنه عن امثاله علوّا كبيرا ثم فصل دلائل قدرته على البعث بقوله تعالى وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار فان من ملك وقدر على احياء الموتى واماتة الاحياء لقادر على البعث والاعادة فان من قدر على انشاء الليل بعد ما ذهب اثر النهار وانشاء النهار بعد ما ذهب اثر الليل لقادر على البعث والاحياء بعد الموت ثم قال أفلا تعقلون أنّ من قدر على ذلك لقادر على البعث والجزآء بعد ما صرتم ترابا وعظاما فكيف تشركون غيره فى عبادتكم اياه وتصرفون الشكر الى غيره فيما انعم عليكم ثم قال تعالى بل قالوا مثل ماقال الاوّلون اى لم يعقلوا ذلك ولم يتدبروا فيه ليعلموا ان من قدر على هذه الاشياء قدر على بعث الموتى فلا يستبعد ذلك بل قالوا مثل ماقال اسلافهم أئذا متنا وصرنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون هذا محال ﴿قوله﴾ لانه يستعمل فيما يتلهى به ﴿﴾ علة لكونه جمع اسطورة بالضم ووجه الاستدلال ان بناء افعولة يجيئ لمافيه التلهى والسخرية نحو اضحوكة واعجوبة واحدوثة والكفار كانوا يقولون ذلك بطريق التلهى والطعن فى القرآن فيكون الانسب لهذا المقام جعله جمع اسطورة ثم امر الله تعالى رسوله ان يسألهم مايلزمهم الاقرار والاعتراف بما كانوا ينكرون فقال تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون فأجيبونى عما اقول لكم ثم اخبر عن جوابهم بقوله تعالى سيقولون لله قل أفلا تذكرون اى أفلا تتعظون بعد هذا الاعتراف فتعلمون ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق حقيقا بان لايشرك به بعض خلقه فى الربوبية واستحقاق العبادة لان المستحق لها هو الرب الخالق دون الرب المربوب المخلوق الذى لايضرّ ولاينفع فقوله تعالى أفلا تذكرون معناه الترغيب فى التدبر ليعلموا بطلان ماهم عليه قال تعالى اوّلا أفلا تذكرون ثم قال تعالى بعده أفلا تتقون لانهم بتذكرهم يصلون الى المعرفة وبعد ان يعرفوه يعلمون انه يجب عليهم اتقاء مخالفته ووجوب طاعته وفى قوله تعالى سيقولون لله اشارة الى انهم لايجدون بدّا من ان يقولوا لله ويعترفوا به لانهم لو انكروا ذلك جهلهم النبىّ صلى الله عليه وسلم فيظهر جهلهم عند كل الخلائق فلما اضطرّوا الى الاعتراف بذلك توجه عليهم الالزام بان يقال لهم فاذا عرفتم بان ذلك كله لله تعالى وهو خالقكم فكيف تركتم طاعته وخالفتم امره وانا لا ادعوكم الا الى ان توحدوه وتخلصوا العبادة له تعالى وعلى هذا الاسلوب قوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله اى لابدّ لهم من ان يقرّوا بذلك فقل لهم اذا عرفتم ذلك واقررتم به افلا تتقون مخالفته وامر نقمته وكذلك قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شئ الآية ذكر اوّلا الارض ومن فيها ثم ترقى الى ذكر ماهو اعظم من ذلك وهو السموات السبع والعرش العظيم ثم ذكر مايم الموجودات بأسرها واختصاصه بملكوته والملكوت الملك

﴿ وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار ﴾ لتحسوا بها مانصب من الآيات ﴿والافئدة﴾ لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية ﴿قليلا ماتشكرون﴾ تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة فى شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها من غير اشراك ومصالة للتأكيد ﴿وهو الذى ذرأكم فى الارض﴾ خلقكم وبثكم فيها بالتناسل ﴿واليه تحشرون﴾ تجمعون يوم القيامة بعد تفرّقكم ﴿وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾ ويختص به تعاقبهما لايقدر عليه غيره فيكون ردّا لنسبته الى الشمس حقيقة او مجازا او لامره وقضائه تعاقبهما وانتقاص احدهما وازدياد الآخر ﴿أفلا تعقلون﴾ بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين ﴿بل قالوا﴾ اى كفار مكة ﴿مثل ماقال الاوّلون﴾ آباؤهم ومن دان بدينهم ﴿قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون﴾ استبعادا ولم يتأمّلوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاوّلين﴾ الا اكاذيبهم التى كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر ﴿قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون﴾ ان كنتم من اهل العلم اومن العالمين بذلك فيكون استهانة لهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلىّ الواضح والزاما بما لايمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال ﴿سيقولون لله﴾ لان العقل الصريح قد اضطرّهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها ﴿قل﴾ اى بعد ماقالوه ﴿أفلا تذكرون﴾ فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان بدأ الخلق ليس اهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ فانها اعظم من ذلك

﴿سيقولون لله﴾ وقرأ ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال ﴿قل أفلا تتقون﴾ عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته ﴿قل من بيده ملكوت كل شئ﴾ ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه ﴿وهو يجير﴾ يغيث من يشاء ويحرسه ﴿ولا يجار عليه﴾ ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ﴿ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾ فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة ﴿بل أتيناهم بالحق﴾ من التوحيد والوعد بالنشور ﴿وانهم لكاذبون﴾ حيث انكروا ذلك ﴿ما اتخذ الله من ولد﴾ لتقدسه عن مماثلة احد ﴿وما كان معه من اله﴾ يساهمه في الالوهية ﴿اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾ جواب محاجتهم وجزآ شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اى لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب وظهر التغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده ﴿٤١٠﴾ وحده ملكوت كل شئ واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد ﴿سبحان الله عما يصفون﴾ من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه ﴿فتعالى عما يشركون﴾ بالفاء ﴿قل رب اما تريني﴾ ان كان لابد من ان تريني لانّ ما والنون للتأكيد ﴿ما يوعدون﴾ من العذاب في الدنيا والآخرة ﴿رب فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم النفس اولانّ شؤم الظلمة قد يحيق بما وراءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبر نبيه انه في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزآء به فضل تضرّع وجؤار ﴿وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون﴾ لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون اولانا لانعذبهم وانت فيهم ولعله ردّ لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزآء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ﴿ادفع بالتي هي احسن السيئة﴾ وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤدّ الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل ﴿نحن اعلم بما يصفون﴾ اى بما يصفونك به او بوصفهم اياك بخلاف حالك وأقدر على جزآئهم فكل الينا امرهم ﴿وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين﴾ وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرآئض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة الدواب على المشي والجمع للمرّات اولتنوّع الوساوس اولتعدّد المضاف اليه ﴿واعوذ بك رب ان يحضرون﴾ ويحوموا حولي في شئ من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقرآءة القرآن وحلول الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه ﴿حتى اذا جاء احدهم الموت﴾ متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتأكيد الاعضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان ان نزله عن الحلم ويغريه على الانتقام (فأأدى) او بقوله انهم لكاذبون ﴿قال﴾ تحسرا على ما فرط منه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر ﴿رب ارجعون﴾ ردّوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا وأطرقا ﴿لعلي اعمل صالحا فيما تركت﴾ في الايمان الذي تركته اى لعلي آتي بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه عليه السلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا أرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون ﴿كلا﴾ ردع عن طلب الرجعة واستبعادلها

زيدت التاء فيه للمبالغة فيتناول الملك والملك وقيل المعنى خزآئن كل شئ وقيل ملكوت كل شئ روحه الذي هو من عالم الملكوت وذلك الشئ قائم به يسبح الله تعالى كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وروح ذلك الشئ بيد الله تعالى ﴿قوله﴾ تعالى سيقولون لله ذكر في هذا الموضع ثلاث مرات اما الاولى فبا للام باتفاق القرآء جميعهم واما الثانية والثالثة فقد قرئتا بوجهين سيقولون لله والله فمن قرأ الله فعلى لفظ السؤال لانك لو قلت من رب الدار يقال جوابه زيد ومن قرأ لله فقد حمل الجواب على معنى السؤال لان قولك من رب الدار معناه لمن الدار قال الشاعر

* اذا قيل من رب السنان بموقف * ورب الجياد الجرد قيل لخالد *

وفي الكواشي الثاني والثالث في جميع المصاحف بغير الف كالاوّل الا في مصحف البصريين فانهما وجدا بالف فيه ﴿قوله﴾ تعالى وهو يجير ﴿اى يؤمن من يشاء من الخائفين ويمنعه من السوء ولا يجار عليه اى لا يؤمن من اخاف الله تعالى ولا يمنع منه من اراده بسوء وقوله تعالى سيقولون لله لا يناقض قوله اولا ان كنتم تعلمون لانه تعالى انما قال ذلك اوّلا استهانة لهم ويجوز في حقهم ان يجهلوا مثل هذا الظاهر لفرط جهالتهم بالديانات وذلك يستلزم انتفاء علمهم بذلك ﴿قوله﴾ فمن اين تخدعون ﴿يعني ان قوله فأنى بمعنى فمن اين وقوله تعالى تسحرون استعارة تبعية بمعنى تخدعون شبه الانخداع بالمسحورية في الدلالة على اختلال العقل فاستعير له اسم المسحورية والخادع هو الشيطان والهوى ثم قال تعالى بل أتيناهم بالحق اى ليس انخداعهم لقصور البيان من قبلنا بل أتيناهم بالحق وما تبين به الرشد من الغي وانهم لكاذبون فيما يدّعونه من الشرك والولد وانكار البعث ونحو ذلك مما يخالف ما أتيناهم به من الحق ثم صرّح في جملة ما كذبوا بمادة قول بعض الكفار الملائكة بنات الله تعالى وزعم آخرين ان الاصنام آلهة وكذبهم فيهما بقوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله * ولما ورد ان يقال كلمة اذن لا تدخل الا على كلام هو خبر أو جواب فكيف دخلت على قوله لذهب كل اله بما خلق ولم يتقدمها شرط ولا سؤال سائل حتى تقع جزآء للشرط او جوابا للسؤال * اشار الى دفعه بقوله جواب محاجتهم وجزآء شرط حذف وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد وان كان دليلا على بطلان اللزوم الذي هو ان يكون معه آلهة الا ان المصنف رحمه الله تعالى جعله دليلا على بطلان اللازم وهو ان يستبد كل اله بما خلق وان يقع بينهم التحارب والتغالب بناء على ان ما يدل على بطلان اللزوم يدل على بطلان اللازم وذكر الله تعالى امرين احدهما قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وثانيهما وما كان معه من اله واستدل عليهما بدليل واحد لان انتفاء تعدّد الالهة يستلزم انتفاء الولد لانه تعالى لو اتخذ ولدا لكان ذلك الولد الها اذ الولد من جنس الوالد ومن جوهره واذا كان الها لذهب اذا كل اله بما خلق اى لانفرد واستبدّ بخلقه وبطلان اللازم يستلزم بطلان الملزوم ﴿قوله﴾ واصل الهمز النخس ﴿اى الطعن يقال نخسه بعود اى طعنه اذ النخس هو الطعن والمهمز والمهماز حديدة تكون في مؤخر خف الرائض ورائض الفرس الصعب من ألانها وازال صعوبتها ﴿قوله﴾ والجمع للمرّات ﴿يعني ان الهمزات جمع همزة لاجمع همز حتى يقال انه مصدر فكيف يجمع ويجوز ان يكون الجمع لقصد الانواع من الوساوس اولتعدّد المضاف اليه فان الهمز الواقع من جماعة الشياطين يمتنع ان يكون همزا واحدا ﴿قوله﴾ متعلق بيصفون ﴿يعني ان حتى غاية لقوله بما يصفون اولقوله وانهم لكاذبون اى لا يزالون على سوء الذكر والكذب الى هذا الوقت وهو وقت حضور الموت للكافر ولم يقل او بكاذبون لانه لا يصح ان يكون متعلقا لحتى لعدم دلالته على الاستمرار بخلاف الجملة الاسمية فانها تدل عليه كما يدل عليه يكذبون ويصفون ﴿قوله﴾ والواو ﴿اى في قوله ارجعون مع ان الخطاب للواحد وهو الرب تعالى لتعظيم المخاطب كما في قوله

* فان شئت حرّمت النساء سواكما * وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا *

وقال المازني في قوله ألقيا في جهنم كل كفار عنيد معناه ألق ألق ثنى الضمير للدلالة على تكثير الفعل اى تكريره مرّتين فيكون جمعه ههنا للدلالة على تكريره ثلاث مرّات فاخبر الله تعالى ان هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا الآية ﴿قوله﴾ وقيل في المال او في الدنيا ﴿فالمعنى على الاوّل لعلي اعمل صالحا فيما تركت

﴿انها كلمة﴾ يعنى قوله رب ارجعون الى آخره و الكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض ﴿هو قائلها﴾ لامحالة لتسلط الحسرة عليه ﴿ومن ورآئهم﴾ امامهم و الضمير للجماعة ﴿برزخ﴾ حائل بينهم و بين الرجعة ﴿الى يوم يبعثون﴾ يوم القيامة و هو اقناط كلى عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا و انما الرجوع فيه الى حياة تكون فى الآخرة ﴿فاذا نفخ فى الصور﴾ لقيام الساعة و القرآءة بفتح الواو و به و بكسر الصاد تؤيد أن الصور ايضا جمع الصورة ﴿فلا أنساب بينهم﴾ تنفعهم لزوال التعاطف و التراحم من فرط الحيرة و استيلاء الدهشة بحيث يفرّ المرء من اخيه و امّه و ابيه و صاحبته و بنيه او يفتخرون بها ﴿يومئذ﴾ كما يفعلون اليوم ﴿ولا يتساءلون﴾ و لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه و هو لا يناقض قوله و أقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة و ذلك بعد المحاسبة و دخول اهل الجنة الجنة و اهل النار النار ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ موزونات عقائده و اعماله ﴿٤١١﴾ اى و من كانت له عقائد و اعمال صالحة يكون لها وزن عند الله و قدر ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بالنجاة و الدرجات ﴿ومن خفت موازينه﴾ اى و من لم يكن له ما يكون له وزن و هم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴿فأولئك الذين خسروا انفسهم﴾ غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها و ابطلوا استعدادها لنيل كمالها ﴿فى جهنم خالدون﴾ بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك ﴿تلفح وجوههم النار﴾ تحرقها و اللفح كالنفح الا انه اشدّ تأثيرا ﴿وهم فيها كالحون﴾ من شدّة الاحتراق و الكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان و قرئ كلحون ﴿ألم تكن آياتى تتلى عليكم﴾ على اضمار القول اى يقال لهم ألم تكن ﴿فكنتم بها تكذبون﴾ تأنيب و تذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ ملكتنا بحيث صارت احوالنا مؤدّية الى سوء العاقبة و قرأ حمزة و الكسائى شقاوتنا بالفتح كالسادة و قرئ بالكسر كالكتابة ﴿وكنا قوما ضالين﴾ عن الحق ﴿ربنا أخرجنا منها﴾ من النار ﴿فان عدنا﴾ الى التكذيب ﴿فانا ظالمون﴾ لانفسنا ﴿قال اخسأوا فيها﴾ اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ ﴿ولا تكلمون﴾ فى رفع العذاب او لا تكلمون رأسا قيل ان اهل النار يقولون ألف سنة ﴿ربنا ابصرنا و سمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون﴾ حق القول منى فيقولون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعى الله وحده فيقولون ألفايا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون ألفا ربنا أخرنا الى اجل قريب فيجابون اولم تكونوا اقسمتم فيقولون ألفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون ألفا رب ارجعون فيجابون اخسأوا فيها ثم لا يكون لهم فيها الا زفير و شهيق و عوآء ﴿انه﴾ ان الشان و قرئ بالفتح اى لانه ﴿كان فريق من عبادى﴾ يعنى المؤمنين و قيل الصحابة و قيل اهل الصفة ﴿يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا و ارحمنا و انت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا﴾ هزؤا و قرأ نافع و حمزة و الكسائى هنا و فى ص بالضم و هما مصدرا سخر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة و عند الكوفيين المكسور بمعنى الهزؤ و المضموم من السخرة بمعنى الانقياد و العبودية ﴿حتى انسوكم ذكرى﴾ من فرط تشاغلكم بالاستهزآء بهم فلم تخافونى فى اوليائى ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ استهزآء بهم ﴿انى جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ على اذاكم ﴿انهم هم الفائزون﴾ فوزهم بمجامع مرادا تهم مخصوصين به و هو ثانى مفعولى جزيتهم و قرأ حمزة و الكسائى بالكسر استئنافا ﴿قال﴾ اى الله او الملك المأمور بسؤالهم و قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائى على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل النار ﴿كم لبثتم فى الارض﴾ احياء او امواتا فى القبور ﴿عدد سنين﴾ تمييز لكم ﴿قالوا لبثنا يوما او بعض يوم﴾ استقصارا لمدّة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم فى النار او لانها كانت ايام سرورهم و ايام السرور قصار او لانها منقضية او لمنقض فى حكم المعدوم ﴿فاسأل العادين﴾ الذين يتمكنون من عدّ ايامها ان اردت تحقيقها فانا لم نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها و احصائها او الملائكة الذين يعدّون اعمار الناس و يحصون اعمالهم و قرئ العادين بالتخفيف اى الظلمة فانهم يقولون ما نقول و العادين اى القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون ﴿قال﴾ و فى قرآءة الكوفيين قل

فأؤدّى حقوق الله تعالى فيه و اتقرّب به الى الله كما قال لولا اخرتنى الى اجل قريب فأصدّق و على الثانى فى الموضع الذى تركته و هو الدنيا يقول انى تركت فيها التوحيد و الطاعة فردّونى اليها اعمل الطاعة و التوحيد فيها ﴿قوله﴾ و اما الكافر فيقول رب ارجعون ﴿يدل على ان خطاب ارجعون للملائكة لوقوعه فى جواب قولهم أرجعك الى الدنيا فيكون ذكر الرب للقسم فكأنهم قالوا عند معاينة الموت بحق الرب ارجعون و قال الامام النسفى رحمة الله عليه يستغيث اوّلا بالله تعالى فيقول رب ثم يقول للملائكة الذين حضروه ليقبضوا الروح ارجعون اى ردّونى الى الدنيا ﴿قوله﴾ و الكلمة الطائفة من الكلام المنتظم ﴿كقوله صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها لبيد

* الا كل شئ ماخلا الله باطل * وكل نعيم لامحالة زآئل *

و قوله تعالى هو قائلها صفة لكلمة اى انها كلمة لا يسكت هو عنها البتة لاستيلاء الحسرة و الندم عليه و هو قائلها بلسانه لا تنفعه و لا يجاب اليها و ذلك لان التركيب من باب اناعارف فان اعتبر أنّ هو مبتدأ و قائلها هو الخبر فهو من باب تقوّى الحكم فيكون المعنى هو قائلها وحده لا يجاب اليها و لا تسمع منه ﴿قوله أمامهم﴾ يعنى ان لفظ ورآء مشتق من توارت عنك اذا سترت و اختفيت عنه فكل ما توارى عنك سواء كان امامك او خلفك فهو ورآءك و البرزخ فى الاصل الحاجز بين الشيئين و منه قوله تعالى و جعل بينهما برزخا و المراد به ما يحول بينهم و بين الرجعة و القبر فانه مانع من الرجوع الى الدنيا ﴿قوله و الضمير للجماعة﴾ يعنى جمع الضمير فى ورآئهم بعد التوحيد لشيوع هذا النهى فى جنس الكفار و جماعتهم ﴿قوله و هو اقناط كلى﴾ دفع لما يتوهم من ان ظاهر قوله تعالى الى يوم يبعثون يدل على انهم يرجعون الى الدنيا بعد يوم البعث بناء على ان حكم ما بعد كلمة الغاية مغاير لحكم ماقبلها فلما قيل امامهم برزخ يصدّهم عن الرجوع الى يوم يبعثون وفهم منه انهم يرجعون الى الدنيا بعده دفعه بان الكلام يدل على انهم لا يرجعون الى الدنيا اما قبل يوم البعث فلصريح النص و اما بعده فلما علم انه لا رجوع بعد يوم البعث الا الى احد المنزلين الجنة او النار ثم انه تعالى لما قال و من ورآئهم برزخ الى يوم يبعثون ذكر احوال ذلك اليوم فقال فاذا نفخ فى الصور و المعنى فاذا بعث الناس قيل الصور آلة اذا نفخ فيها يظهر صوت عظيم جعله الله تعالى علامة لخراب الدنيا و لاعادة الاموات و قد روى عنه عليه الصلاة و السلام انه قرن ينفخ فيه و قيل الصور جمع صورة و المعنى فاذا نفخ فى الصور كلها ارواحها و هو قول الحسن رضى الله تعالى عنه و كان يقرأ بفتح الواو و ضم الصاد و كسرها و قوله بينهم ليس منصوبا بقوله فلا أنساب لان اسم لا اذا بنى لا يعمل بل منصوب بعامل محذوف و ذلك المحذوف هو العامل ايضا فى يومئذ و قوله تنفعهم او يفتخرون بها اشارة الى ان نسب الانسان لا يقطع يومئذ انما المنقطع فيه الانتفاع به و التفاخر ﴿قوله لانه عند النفخة﴾ يعنى ان عدم التساؤل عند النفخة فان اهل البعث فى يوم القيامة مشغولون بانفسهم عن التساؤل و قيل يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة ففيه ازمنة و احوال مختلفة فيتعارفون و يتساءلون فى بعضها و يتحيرون فى بعضها لشدّة الفزع و قيل التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا و تعارفوا و تساءلوا و قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن ﴿قوله و اللفح كالنفح﴾ اى فى الدلالة على معنى الهبوب و الضرب يقال نفحت الريح اى هبت قال الاصمعى رحمة الله تعالى عليه و رضى عنه ما كان من الرياح نفحا فهو بارد و ما كان لفحا فهو حرّ ﴿قوله و الكلوح تقلص الشفتين﴾ قيل تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه و تسترخى شفته السفلى حتى تبلغ صدره ﴿قوله و هما مصدرا سخر﴾ تقول سخرت منه و به اسخر من باب علم سخرا و سخريا و سخريا اذا هزئت به و الذى يدل على ان المراد منه الهزؤ قوله تعالى و كنتم منهم تضحكون و الضحك انما يلائم السخرية و الهزؤ فظهر انهما لغتان بمعنى واحد ﴿قوله تعالى حتى أنسوكم ذكرى و كنتم منهم تضحكون﴾ اى نسيتموه باشتغالكم بالاستهزآء بهم نسب الانساء الى عباده المؤمنين و ان لم يفعلوا ذلك لكونهم سببا فى ذلك كقوله تعالى رب انهنّ اضللن كثيرا من الناس لكون الاصنام سببا للاضلال ﴿قوله على الامر﴾ يعنى انهم قرأوا قل كم لبثتم على معنى انه امر للملك او لبعض رؤساء اهل النار ان يسأل اهل النار و يقول كم لبثتم فى الارض احياء و امواتا فى القبور الى ان بعثتم و كم فى موضع النصب على ظرف الزمان اى كم لهم سنة و عدد بدل من كم قاله ابو البقاء و الصحيح ان عدد سنين هو التمييز و المقصود من هذا السؤال هو التبكيت و الالزام لانهم كانوا ينكرون اللبث فى الآخرة رأسا و يقولون لا لبث الا فى دار الدنيا و يظنون ان بعد الموت

يدوم الفناء ولا بعث بعده ولما حصلوا فى النار وايقنوا دوامها وخلودهم فيها سئلوا كم لبثتم فى الارض تذكيرا لهم ان ماظنوه دآئما طويلا فهو قليل يسير بالاضافة الى ماانكروه فحينئذ يحصل لهم الحسرة على ماكانوا يعتقدونه فى الدنيا ويتيقنون خلافه فان قيل كيف يصح ان يقولوا فى الجواب لبثنا يوما او بعض يوم ولا يقع الكذب فى الآخرة فالمصنف رحمة الله تعالى عليه اشار الى جوابه بقوله استقصارا لمدّة لبثهم فيها الى آخره وقيل انهم نسوا قدر لبثهم فى الارض لكثرة ماهم فيه من الاهوال وعظم ماهم بصدده من العذاب ويدل عليه قولهم فاسأل العادّين اولان المنقضى ليس له قدر فى مقابلة الباقى فهو اقل من كل قليل ولهذا صدّقهم الله تعالى فى استقلالهم تلك المدّة حيث قال ان لبثتم الاقليلا اى زمانا قليلا او لبثا قليلا وجواب لو مقدّر اى لو انكم كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لما اجبتم بهذه المدّة كذا قاله ابو البقاء رحمة الله تعالى عليه يعنى انه تعالى صدّقهم فى اصل الاستقلال وجهلهم فى تعيين المدّة ثم انه تعالى لما بكتهم فى انكارهم البعث ولبث الآخرة وبخهم على تماديهم فى الغفلة وتركهم النظر الصحيح فيما يدل على حقية البعث والقيامة فانه لولا القيامة لما تميز المطيع من العاصى والصدّيق من الزنديق فيكون خلق العالم عبثا فقال تعالى أفحسبتم انما خلقناكم عبثا ثم نزه نفسه عن العبث بقول فتعالى الله الملك الحق والمراد من الرجوع الى الله تعالى الرجوع الى حيث لا مالك ولا حاكم فيه سواه لا الرجوع من مكان الى مكان فيه الله تعالى وذلك ظاهر والله تعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة النور مدنية وهى ستون وآيتان او اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

روى الامام الواحدى عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضى الله تعالى عنهم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * لاتنزلوهنّ الغرف ولاتعلموهنّ الكتابة وعلموهنّ الغزل وسورة النور * يعنى النساء

قوله اى هذه سورة على ان سورة خبر مبتدأ محذوف وعلى الثانى هى مبتدأ والخبر محذوف وانزلناها على التقديرين صفة سورة للمدح والتأكيد بناء على ان الانزال يفهم منها اى السورة لانها اسم لطائفة من القرآن المنزل علم ابتداآؤها وانقطاعها بالتوقيف * فان قلت مافائدة هذا الحمل مع ان كل واحدة من فائدتى الخبر ولازمها منتف فيها * فالجواب ان احدى الفائدتين انما تطلب من الكلام الذى يقصد به افادة المخاطب ويكون المتكلم فى صدد الاخبار والاعلام واما الكلام الذى يقصد به الامتنان والمدح والترغيب فلا يجب فيه شئ منهما **قوله** وفرضناها فيها على طريق ذكر المحل وارادة الحال وقال ابو على اى فرضنا فريضتها المذكورة فيها فحذف المضاف **قوله** فتتقون المحارم اشارة الى ان قوله تعالى تذكرون من تذكر ماعلم قبل لا من التذكر بمعنى الاتعاظ كأنه قيل انزلنا فيها آيات بينات لتعلموها وتذكروها وقت الحاجة اليها * قال الامام رحمة الله تعالى عليه فى اوّل هذه السورة انواع من الاحكام والحدود وفى آخرها دلائل التوحيد فقوله تعالى وفرضناها اشارة الى الاحكام التى بينها اوّلا ثم قال تعالى وانزلنا فيها آيات بينات اشارة الى ما بين فيها من دلائل التوحيد والذى يؤكد هذا التأويل قوله تعالى لعلكم تذكرون فان الاحكام والشرآئع ماكانت معلومة لهم ليؤمروا بتذكرها انتهى كلامه وجعل دلائل التوحيد فى قوّة المعلوم لمسارعة العقول السليمة الى قبولها وابتنائها على مقدّمات مسلمة مركوزة فى القلوب **قوله** اى فيما فرضنا على ان قوله الزانية والزانى مبتدأ حذف خبره ثم بين حكمهما بقوله فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة الآية والفاء فيه لعطف تفصيل المجمل على المجمل كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى فان الفاء العاطفة للمجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ماقبلها فى الذكر لا ان مضمون مابعدها واقع عقيب مضمون ماقبلها فى الزمان **قوله** وقرئ بالنصب اى على الاضمار على شريطة التفسير والتقدير اجلدوا الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما ودخلت الفاء فى اوّل الفعل المفسر ايذانا بانه واقع فى موقع جزآء لشرط محذوف والاصل ان اردتم معرفة حكم الزانية والزانى فاجلدوهما اجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فحذف الشرط اعتمادا على دلالة سياق الكلام عليه وحذف الفعل الاوّل ثم فسر لكون التفسير بعد الابهام اوقع فى النفس فصار فالزانية والزانى اجلدوا كل واحد منهما ثم قدّم المفعول على الفاء ليصير عوضا عن الشرط المحذوف كما ترى **قوله** لاجل الامر فان الفعل الواقع بعد ما ضمن عامله على شريطة التفسير اذا كان امرا او نهيا يختار نصبه حتى تكون الجملة الطلبية فعلية وهى اولى ان امكن اختصاص الطلب بالفعل الا ترى

﴿ان لبثتم الاقليلا لو انكم كنتم تعلمون﴾ تصديق لهم فى تقالهم ﴿أفحسبتم انما خلقناكم عبثا﴾ توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اى انالم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنعيدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث ﴿وانكم ﴿ ٤١٢ ﴾ الينا لاترجعون﴾ معطوف على انما خلقناكم

اوعبثا وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ الذى يحق له الملك مطلقا فانّ من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفى حال دون حال ﴿لااله الا هو﴾ فان ماعداه عبيد ﴿رب العرش الكريم﴾ الذى يحيط بالاجرام وتنزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم اولنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ﴿ومن يدع مع الله الها آخر﴾ يعبده افرادا اواشراكا ﴿لابرهان له به﴾ صفة اخرى لآله لازمة له فان الباطل لابرهان به جئ بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بمالا دليل عليه ممنوع فضلا بمادل الدليل على خلافه اواعتراض بين الشرط والجزآء لذلك ﴿فانما حسابه عند ربه﴾ فهو مجاز له مقدار مايستحقه ﴿انه لايفلح الكافرون﴾ ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل اوالخبر اى حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفى الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال ﴿وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين﴾ * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وماتقرّ به عينه عند نزول ملك الموت وعنه انه قال لقد انزلت علىّ عشر آيات من أقامهنّ دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى ان اوّلها وآخرها من كنوز الجنة ومن عمل بثلاث آيات من اوّلها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وافلح والله اعلم

سورة النور مدنية وهى ثلثتان او اربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سورة﴾ اى هذه سورة اوفيما اوحينا اليك سورة ﴿انزلناها﴾ صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدّر اتل اودونك اونحوه ﴿وفرضناها﴾ وفرضنا مافيها من الاحكام وشدّده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها والمفروض عليهم اوللمبالغة فى ايجابها ﴿وانزلنا فيها آيات بينات﴾ واضحات الدلالة ﴿لعلكم تذكرون﴾ فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال ﴿الزانية والزانى﴾ اى فيما فرضنا اوانزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتدآء والخبر ﴿فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ والفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذى وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة لاجل الامر وانزان بلا ياء

الى اختصاص حروف الطلب بالفعل كحرف الاستفهام والعرض والتحضيض فلو رفع الزانية على الابتدآء لكان فعل الامر خبرا والامر لايقع خبرا الا بتأويل وقوله والزان بلاياء اى وقرئ والزان بلاياء اكتفاء بالكسرة عنها كما فى قوله يوم يدع الداع ﴿قوله والجلد ضرب الجلد﴾ كما يقال رأسه وبطنه اذا ضرب رأسه وبطنه فكذا يقال جلده اذا ضرب جلده والزنى عبارة عن ايلاج فرج فى فرج مشتهى طبعا محرّم قطعا ﴿قوله وهو حكم يخص من ليس بمحصن﴾ يعنى ان الآية تتناول جميع الزناة والزوانى من المحصن وغيره الا ان ما نقل الينا بطريق التواتر من انه صلى الله عليه وسلم رجم من زنى محصنا خص الآية بغير المحصن فان تخصيص القرآن بالخبر المتواتر يجوز اتفاقا قال الامام رحمة الله تعالى عليه واحتج الجمهور من المجتهدين على وجوب رجم المحصن بما ثبت بالتواتر من انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك وقال عمر رضى الله عنه اذا طال الزمان على الناس ربما يقول قائل لانجد الرجم فى كتاب الله تعالى فيضل بترك فريضة انزلها الله تعالى وقد قرأنا الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخبران الذى فرضه الله تعالى هو الرجم ﴿قوله وزاد الامام الشافعى عليه الخ﴾ وقال ابو حنيفة رحمة الله تعالى عليه يجلد اما التغريب ففوّض الى رأى القاضى وهو الامام واحتج ابو حنيفة على نفى وجوب التغريب بوجوه منها ان ايجاب التغريب يقتضى نسخ الآية ونسخ القرآن بخبر الواحد لايجوز وقرّر النسخ من ثلاثة اوجه الاوّل انه سبحانه وتعالى رتب الجلد على فعل الزنى بالفاء وحرف الفاء للجزآء وقد صرّح ائمة اللغة رحمة الله تعالى عليهم بذكر الشرط والجزآء وفسروا الشرط بالذى دخلت عليه كلمة ان والجزآء بالذى دخل عليه حرف الفاء والثانى ان الجزآء اسم لما تقع به الكفاية مأخوذ من قولهم جزاه اى كفاه وقال صلى الله عليه وسلم يجزيك ولايجزى بعدك احدا * اى يكفيك ومنه قول القائل اجزيت الابل بالعشب عن الماء وانما تقع الكفاية بالجلد اذا لم يجب معه شئ يقتضى نسخ كونه كافيا والثالث ان المذكور فى الآية لما كان هو الجلد كان ذلك هو كمال الحدّ فلو جعلنا التغريب معتبرا مع الجلد كان الجلد بعض الحدّ لا كل الحدّ فيفضى الى نسخ كونه كل الحدّ واجاب عنه المصنف رحمة الله تعالى عليه بانه ليس فى الآية مايفيد دفع وجوب التغريب اذ ليس فيها الا ادخال حرف الفاء على الامر بالجلد واما كون مدخولها جزآء كافيا فى العقوبة فليس من كلام الله تعالى ولا من كلام رسوله عليه الصلاة والسلام بل هو قول بعض الادباء فلايكون حجة وليس فى الآية الشريفة الا وجوب الجلد وليس فيها مايدفع شيأ آخر بوجوبه والنسخ المقبول نسخ الكتاب بالسنة المتواترة والمردود منه نسخه بالآحاد فانه مردود عند الحنفية رضى الله تعالى عنهم ﴿قوله وله فى العبد ثلاثة اقوال﴾ احدها تغريب سنة كما فى الحرّ لان التغريب الايحاش وذلك معنى يرجع الى الطبع فيستوى فيه الحرّ والعبد كحدّة الايلاء والعنة وثانيها تغريب نصف سنة لقوله تعالى فعليهنّ نصف ما على المحصنات من العذاب والتغريب يقبل التنصيف فينصف كما ينصف الجلد فانه يجلد نصف جلد الاحرار وثالثها انه لايغرّب كما قال ابو حنيفة رضى الله عنه لقوله صلى الله عليه وسلم * اذا زنت امة احدكم فليحدّها الحدّ كما وجب عليها * ولم يؤمر بالتغريب لان منافعه للسيد ففى تغريبه اضرار بالسيد * واعلم ان كون الزنى موجبا للرجم تارة والجلد اخرى مشروط بالعقل والبلوغ بل هما معتبران فى العقوبات كلها اما كونه موجبا للرجم فلابدّ فيه مع العقل والبلوغ من شروط اخر الشرط الاوّل الحرّية واجمعوا على ان الرقيق لايجب عليه الرجم البتة كما اجمعوا على ان الامة تجلد خمسين جلدة وكذا العبد عند الجمهور وقال اهل الظاهر يجلد العبد مائة جلدة كالحرّ عملا بعموم قوله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما الآية الشرط الثانى التزوّج بنكاح صحيح فلايحصل الاحصان بالاصابة بملك اليمين وبوطئ الشبهة وبالنكاح الفاسد الشرط الثالث الدخول ولابدّ منه لقوله صلى الله عليه وسلم * الثيب بالثيب * وانما تصير ثيبا بالوطئ وشرط ابو حنيفة رحمة الله تعالى عليه ان تكون الاصابة بالنكاح الصحيح بعد البلوغ والحرّية والعقل لانه شرط اكمل الاصابات وهو ان تكون بنكاح صحيح وشرط ان تكون الاصابة فى حال الكمال والاسلام ليس شرطا فى كون الزنى موجبا للرجم عند الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وابى يوسف ايضا وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه هو شرط ايضا واحتج بان الذمى الذى يزنى بعد الاحصان لايجب عليه القتل فبيان الاوّل قوله صلى الله عليه وسلم * من اشرك بالله فليس بمحصن * وبيان الثانى ان المسلم الذى لايكون محصنا لايجب عليه القتل لقوله عليه الصلاة والسلام لايحل دم امرئ مسلم الا لاحد معان ثلاث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل النفس بغير حق * ولما لم يكن الذمى

وانما قدّم الزانية لان الزنى فى الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على ان حدّ المحصن هو الرجم وزاد الشافعى عليه تغريب الحرّ سنة لقوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس فى الآية مايدفعه لينسخ احدهما بالآخر نسخا مقبولا اومردودا وله فى العبد ثلاثة اقوال والاحصان بالحرّية والبلوغ والعقل والاصابة فى نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه عليه السلام يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذى يقتص له من المسلم

﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ رحمة ﴿فى دين الله﴾ فى طاعته واقامة حدّه فتعطلوه او تسامحوا فيه فلذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمدّ على فعالة ﴿ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ فان الايمان يقتضى الجدّ فى طاعة الله والاجتهاد فى اقامة احكامه وحدوده وهو من باب التهييج ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنون﴾ زيادة فى التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر ما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول شئ من الطوف واقلها ثلاثة وقيل واحد اواثنان والمراد جمع يحصل به التشهير ﴿الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك﴾ اذ الغالب ان المائل الى الزنى لا يرغب فى نكاح الصوالح والمساخة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضامّ والمخالفة سبب النفرة والافتراق فكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال فى الرغبة فيهنّ لان الآية نزلت فى ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوّجوا بغايا يكرين انفسهنّ لينفقن عليهم من اكسابهنّ على عادة الجاهلية ولذلك قدّم الزانى ﴿وحرّم ذلك على المؤمنين﴾ لانه تشبه بالفساق وتعرّض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن فى النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفى بمعنى النهى وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذى ورد فيه او منسوخ بقوله وأنكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوّله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرّم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطئ فيؤول الى نهى الزانى عن الزنى الا بزانية اولزانية ان يزنى بها الا زان وهو فاسد

محصنا لم يجب قتله باقدامه على الزنى واجاب المصنف رحمة الله تعالى عليه عن هذا الاحتجاج بان معنى الحديث الشريف ان من اشرك بالله تعالى فليس بمحصن اى بمحصن الدم فلا يقتل قاتله المسلم قصاصا فان القصاص انما يجب بقتل من احصن دمه ابدا والمشرك ليس ممن احصن دمه ابدا فلا يقتص من المسلم لاجله واليه ذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه واحتج عليه بقوله صلى الله عليه وسلم * لا يقتل مسلم بكافر * ويقتل المسلم بالذمى عندنا لما روى انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ويجب القصاص فى الاطراف بين المسلم والكافر اجماعا * واعلم ان عقوبة الزانى كانت فى اوّل الاسلام ان يحبس الى ان يموت فى حق الثيب وان يؤذى بالكلام فى حق البكر قال الله تعالى واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهنّ اربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهنّ فى البيوت حتى يتوفاهنّ الموت او يجعل الله لهنّ سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توّابا رحيما ثم نسخ ذلك فجعل حدّ الثيب على الزنى الرجم وحدّ البكر الجلد والتغريب روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال حدّث عنى انه قد جعل الله لهنّ سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة واحتج الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه بهذا الحديث على ما ذهب اليه من الجمع بين الجلد والتغريب فى البكر وبين الجلد والرجم فى حق الثيب ﴿قوله﴾ تعالى لا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ﴿﴾ اى لا تدركم الرأفة والشفقة عليهما بحيث تؤدّى الى تعطيل حدّ الله تعالى وترك الاقامة او المسامحة فيه فان الايمان يوجب الاتيان بامر الله تعالى والتشديد فيه دون اللين والمسامحة وفى الحديث يؤتى بوال نقص من الحدّ سوطا فيقال لم نقصته فيقول رحمة بعبادك فيقال له انت ارحم واعلم به منى فيؤمر به الى النار ويجوز ان يكون هذا الحديث تفسيرا لقوله صلى الله عليه وسلم * القضاة ثلاثة قاض فى الجنة وقاضيان فى النار * وعن ابى هريرة رضى الله عنه اقامة حدّ بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة ﴿قوله﴾ وقيل واحد ﴿﴾ احتجابقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقوله او اثنان احتجابقوله تعالى فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة وكل ثلاثة فرقة والخارج من الثلاثة واحد واثنان والاحتياط بوجوب الاخذ بالاكثر ثم انه تعالى لما بين عقوبة الزنى وحكمه وعقوبة من ارتكبه بين حكما ثانيا فقال تعالى الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة الآية ولما كان ظاهر النظم اخبارا بان الزانى لا ينكح المؤمنة العفيفة وان الزانية لا ينكحها المؤمن التقى وكان هذا الحصر عرفا غير ظاهر الصحة فى حكم هذه الشريعة لان الزانى قد ينكح المؤمنة العفيفة والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف وكذا قوله تعالى وحرّم ذلك على المؤمنين فانه ايضا غير ظاهر الصحة فان المؤمن يحل له ان يتزوّج بالمرأة الزانية اشار المصنف رحمه الله تعالى الى جوابه بان حمل الاخبار المذكور على الاعم الاغلب على طريق قولك لا يفعل الخير الا رجل تقى مع ان بعض من لا يكون تقيا قد يفعل خيرا فراد القائل بيان ان ماوقع من الخير انما يقع غالبا من التقى وهو لا ينافى وقوعه من غير التقى على قلة فكذا ههنا او من حمل التحريم على التنزيه قال الامام النسفى واصح الاقاويل فى هذه الآية الشريفة انها تزهيد فى حق نكاح البغايا وتأويل ذلك ان اهل الاسلام والايمان سبيلهم ان لا يرغبوا الا فى المسلمات العفيفات واما الزانى فهو انما يميل الى من كان على مذهبه فى الزنى او الى من لا يعتقد الايمان فضلا عن ان يتفكر فى التعفف والزانية ايضا انما تميل الى احد الرجلين اما الى زانى مثلها او الى مشرك شرّ منها ﴿قوله﴾ فكان حق المقابلة ﴿﴾ اى قوله تعالى الزانى لا ينكح اى لا يتزوّج انما يقابله قولنا الزانية لا تنكح ولا تتزوّج الا من هو زان الا انه لما كان المقصود بيان احوال الرجال وان طائفة تميل الى العفائف وطائفة تميل الى الفواجر لم يراع حق المقابلة ﴿قوله﴾ والحكم مخصوص بالسبب الذى ورد فيه ﴿﴾ فالمعنى وحرّم نكاح البغايا قصدا للتوسع بما يأخذن فى الزنى كما خطر ببال فقراء المهاجرين حين قدموا المدينة وفيها نساء بغايا يكرين انفسهنّ وهنّ يومئذ اخصب اهل المدينة ان يتزوّجوا بهنّ الى ان يغنيهم الله تعالى عنهنّ فاللام والالف فى قوله تعالى الزانى وفى قوله تعالى على المؤمنين وان كان للعموم ظاهرا لكن المراد به الاقوام الذين نزلت الآية الشريفة فيهم وبسببهم فتقدير الآية والله تبارك وتعالى اعلم اولئك الزناة لا ينكحون الا الزانيات وتلك الزانيات لا ينكحهنّ الا اولئك الزناة وحرّم نكاحهنّ باعيانهنّ على المؤمنين * والايامى جمع ايم وهو من لا زوج له رجلا كان او امرأة وسئل عليه الصلاة والسلام ان من زنى بامرأة هل له ان يتزوّجها فاجاب بقوله صلى الله عليه وسلم * اوّله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرّم الحلال * وشبهه ابن عباس بمن سرق ثم شجرة ثم اشتراه وعن عائشة رضى الله عنها ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له ان يتزوّجها لهذه الآية الشريفة واذا باشرها كان زانيا ﴿قوله﴾ وهو فاسد ﴿﴾

لان الاشكال باق لانا نرى ان الزانية قد ينكحها الرجل العفيف والزانى قد ينكح العفيفة ويتزوّجها ولو قلنا بان المراد ان الزانى لا يطأ بطريق الزنى الا الزانية فهذا كلام لا فائدة فيه ﴿قوله﴾ لوصف المقذوفات بالاحصان ﴿بيان للقرينة المعينة لكون المراد بالشئ المقذوف به الزنى فان ظاهر الآية الشريفة لا يدل الا على الشئ الذى رمى به المحصنات وذكر الرمى لا يدل على الزنى لان المحصنات قد يرمين بالسرقة والكذب ونحوهما فلا بدّ من قرينة تدل على تعيين المراد واتفق العلماء رضى الله تعالى عنهم على ان المراد بالرمى الزنى بقرينة تقدّم ذكر الزنى لانه تعالى وصف المقذوفات بالاحصان وهو العفة عن الزنى فدل ذلك على ان المراد وصفهنّ بعدم العفاف لقوله تعالى ثم لم يأتوا باربعة شهداء اى على صدقهم فيما رموهنّ به وكون الشهود اربعة انما يشترط فى المقذوف بالزنى فان القذف بغير الزنى يكفى فيه شاهدان وان الواجب فيه التعزير دون الحدّ ثم ان اقرّ المقذوف على نفسه بالزنى او اقام القاذف اربعة من الشهود على زناه سقط الحدّ عن القاذف لان الحدّ وجب لافترآئه على البرئ وقد ثبت صدقه ﴿قوله﴾ ولا فرق فيه ﴿يعنى لا فرق بين المحصنين والمحصنات فى ان قذفهم بالزنى يوجب جلد القاذف ثمانين جلدة الا ان النص ورد فى قذف المحصنات لما ذكره ﴿قوله﴾ لخصوص الواقعة ﴿على ما قيل من ان هذه الآية نزلت فى حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه حين تاب مما قال فى حق عائشة رضى الله عنها ﴿قوله﴾ ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ﴿لان الاتيان باربعة شهداء يصدق على الاتيان بهم مجتمعين ومتفرّقين قياسا على سائر الاحكام فانها تثبت بشهادة الشهود بها سواء شهدوا بها مجتمعين او متفرّقين فكذا حكم الزنى وقال ابو حنيفة رضى الله عنه اذا شهدوا متفرّقين لا يثبت الزنى وعليهم حدّ القذف لان الشاهد الواحد لما شهد فقد قذف المشهود عليه ولم يأت باربعة شهداء فيجب عليه الحدّ وتعبير القذف بلفظ الشهادة لا يخرجه عن كونه قاذفا ولو أتى القاذف باربعة شهداء فسأق فشهدوا على المقذوف بالزنى قال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه يسقط الحدّ عن القاذف ولا يجب الحدّ على الشهود وقال الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه فى احد قوليه يحدّون واحتج ابو حنيفة بانه أتى باربعة شهداء فلا يلزمه الحدّ والفاسق من اهل الشهادة فقد وجدت شرآئط الشهادة الا انه لم تقبل شهادتهم للتهمة ﴿قوله﴾ لضعف سببه ﴿اى بالنسبة الى سبب ضرب الزنى فان سبب ضرب القذف هو القذف وهو قول يحتمل الصدق والكذب وسبب ضرب الزنى فعل يثبت بالشهود العدول ولا شك انه اقوى فى كونه فحشا بالنسبة الى القول فخفف عقوبة القول الضعيف واحتمال صدق مقال القاذف يقتضى سقوط الحدّ رأسا الا انه عوقب صيانة للعرض وردعا عن هتكه ﴿قوله﴾ خلافا لابى حنيفة رضى الله تعالى عنه ﴿فان عدم قبول شهادته متوقف على اقامة الحدّ عليه عنده حتى اذا تاب قبل اقامة الحدّ عليه او قبل تمام حدّه تقبل شهادته عنده فعنى الآية والله تبارك وتعالى اعلم عنده ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا بعد اقامة الحدّ عليهم فلا تقبل شهادة المحدود فى قذف وان تاب وصار من الاتقياء وقال الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه تقبل شهادته اذا تاب لقوله صلى الله عليه وسلم *التائب من الذنب كمن لا ذنب له * ومن لا ذنب له تقبل شهادته فيجب ان تقبل شهادة من تاب عن القذف وهذه المسئلة مبنية على ان قوله الا الذين تابوا هل يرجع الى جميع الاحكام المذكورة او يختص بالجملة الاخيرة فعند ابى حنيفة رحمة الله تعالى عليه الاستثناء المذكور عقب الجمل الكثيرة مختص بالجملة الاخيرة وعند الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه يرجع الى الكل لان الواو للجمع المطلق فقوله تعالى فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون جمل متعاطفة بالواو فصار الجميع كأنه ذكر معا لا تقدّم للبعض على البعض فلما دخل عليه الاستثناء لم يكن رجوع الاستثناء الى بعضها اولى من رجوعه الى الباقى اذ لم يكن لبعضها تقدّم على البعض فى المعنى البتة فوجب رجوعه الى الكل ويؤيده انا اجمعنا على انه لو قال عبده حرّ وامرأته طالق ان شاء الله تعالى فانه يرجع الاستثناء الى الجميع فكذا فيما نحن فيه واحتج اصحاب ابى حنيفة رحمة الله عليهم على ان الاستثناء يختص بالجملة الاخيرة بانه لو رجع الى جميع الجمل المتقدّمة لوجب ان لا يجلد القاذف اذا تاب وهو باطل بالاجماع فوجب ان يختص بالجملة الاخيرة فقال المصنف رحمة الله تعالى عليه بناء على مذهبه ان الاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو كون قذف المحصنات مقتضيا للجلد وردّ الشهادة ابدا والتفسيق والمعنى من قذف محصنة فاجمعوا له الجلد والردّ والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله تعالى يغفر لهم جناية قذفهم فلا يعاقبهم عليها * ولما ورد ان يقال فعلى هذا يلزم ان القاذف اذا تاب عن القذف قبل ان يجلد يسقط عنه الحدّ وهو لا يسقط بالاجماع *اشار الى جوابه بقوله ولا يلزمه

﴿والذين يرمون المحصنات﴾ يقذفونهنّ بالزنى لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهنّ عقيب الزوانى واعتبار اربعة شهداء بقوله ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان ههنا بالحرّية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنى ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة اولأن قذف النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابى حنيفة وليكن ضربه اخف من ضربات الزانى لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة﴾ اىّ شهادة كانت لانه مفترٍ وقيل شهادتهم فى القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابى حنيفة فان الامر بالجلد والنهى عن القبول سيان فى وقوعهما جوابا بالشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الحدّ اسوأ مما بعده ﴿ابدا﴾ مالم يتب وعند ابى حنيفة الى آخر عمره ﴿واولئك هم الفاسقون﴾ المحكوم بفسقهم ﴿الا الذين تابوا من بعد ذلك﴾ عن القذف ﴿واصلحوا﴾ اعما لهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحدّ او الاستحلال من المقذوف

سقوط الحدّ به كما قيل لان من تمام توبته الاستسلام للحدّ او الاستحلال من المقذوف فان للمقذوف ان يعفو عن موجب القذف قبل ان تشهد الشهود ويثبت القذف واما بعد ان يرفع للقاضى ويثبت القذف باقامة الشهود عليه فليس له ان يعفو بعده لان المقذوف وان استحق على القاذف ان يستوفى منه الحدّ الا انه لما اجتمع فيه حقان وحق الشرع فيه غالب فليس للمقذوف ان يعفو عن موجب القذف بعد ثبوته ﴿قوله ومحل المستثنى النصب﴾ لما تقرّر فى النحو من انه يجوز النصب ويختار البدل فيما بعد الا فى كلام غير موجب والمستثنى منه مذكور كقولك ما مررت باحد الا زيد بالجرّ على البدل من احد والا زيدا بالنصب على الاستثناء ويجب نصبه فى كلام موجب وما فى الآية لما كان راجعا الى اصل الحكم وكان المعنى ومن قذف المحصنات فاجمعوا لهم هذه الامور كان الاستثناء فى كلام موجب فيجب النصب ﴿قوله وقيل الى النهى﴾ اى وقيل الاستثناء الواقع فى هذه الآية يرجع الى قوله تعالى ولاتقبلوا لهم شهادة ابدا وهو كلام غير موجب وحق المستثنى ان يكون مجرورا بدلا من هم فى لهم *قال صاحب الكشاف والامام الشافعى جعل جزآء الشرط جملتى فاجلدوا ولاتقبلوا وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية منهما لا بمجموع جملتى الامر والنهى لان التوبة لاتسقط حق العبد ولم يرض المصنف رحمة الله تعالى عليه بهذا النقل لكونه مخالفا لما اشتهر عن الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه من كون الاستثناء المذكور عقيب الجمل يرجع الى الكل ﴿قوله وقيل منقطع﴾ اى عما قبله والمعنى لكن الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم فقوله الا الذين مبتدأ خبره قوله فان الله غفور رحيم اى غفور لهم فحذف الجار والمجرور للعلم به روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال لما نزل قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء قال عاصم بن عدى الانصارى رضى الله تعالى عنه ان دخل رجل منا بيته فرأى رجلا على بطن امرأته فان جاء باربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وان قتله قتل به وان قال وجدت فلانا مع تلك المرأة ضرب وان سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويم وكان له امرأة يقال لها خولة بنت كبش فاتى عويم عاصما فقال له لقد رأيت شريك بن سمحان على بطن امرأتى خولة فاسترجع عاصم واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يارسول الله ما اسرع ما ابتليت بهذا فى اهل بيتى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذاك فقال اخبرنى عويم ابن عمى انه رأى شريك بن سمحان على بطن امرأته خولة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم جميعا فقال لعويم اتق الله فى زوجتك وابنة عمك ولاتقذفها فقال يارسول الله لقد رأيت شريكا على بطنها وانى ماقربتها منذ اربعة اشهر وانها حبلى من غيرى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقى الله تعالى ولاتخبرى الا بما صنعت فقالت يارسول الله ان عويما رجل غيور وانه رأى شريكا يطيل النظر ويتحدّث معى فحملته الغيرة على ماقال فأنزل الله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات ونزل ايضا قوله تعالى والذين يرمون ازواجهم الآيات وبين به ان حكم قذف الزوجة اللعان بعد ما بين حكم قذف الاجنبيات فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يؤذن الصلاة جامعة وصلى العصر ثم قال لعويم قم وقل اشهد بالله ان خولة لزانية وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثانية اشهد انى رأيت شريكا على بطنها وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثالثة اشهد بالله انها لحبلى من غيرى وانى لمن الصادقين ثم قال فى الرابعة اشهد بالله انها زانية وانى قربتها منذ اربعة اشهر وانى لمن الصادقين ثم قال فى الخامسة لعنة الله على عويم يعنى نفسه ان كان من الكاذبين ثم قال اقعد وقال لخولة قومى فقامت وقالت اشهد بالله ما انا بزانية وان زوجى لمن الكاذبين وقالت فى الثانية اشهد بالله ما رأى شريكا على بطنى وانه لمن الكاذبين وقالت فى الثالثة اشهد بالله ما انا حبلى الا منه وانه لمن الكاذبين وقالت فى الرابعة اشهد بالله ما رأى علىّ فاحشة وانه لمن الكاذبين وقالت فى الخامسة غضب الله على خولة بنت كبش ان كان عويم من الصادقين فى قوله ففرّق النبى صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ثم قال عليه الصلاة والسلام ان جاءت بولدها مشابها لك فلك وان جاءت به مشابها لمن قيل فيه فهو له ثم جاءت به غلاما يشبه من نسب اليه فقال لولا الايمان لكان لى وفى هذه الواقعة آيات اخر منها ما اشار اليه المصنف رحمة الله تعالى عليه بقوله نزلت فى هلال بن امية وهو احد الثلاثة الذين تاب الله تعالى عليهم ﴿قوله واربع نصب على المصدر﴾ لانه فى حكم المصدر باضافته اليه وناصب هذا المصدر مصدر مثله كما فى قوله تعالى فان جهنم جزآؤكم جزآء موفورا ﴿قوله وثبوت حدّ الزنى على المرأة﴾ عطف على قوله سقوط حدّ القذف عنه * واعلم انه اذا قذف الرجل امرأته بالزنى يجب عليه الحدّ ان كانت محصنة والتعزير ان لم تكن محصنة كما فى قذف

والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يلزمه سقوط الحدّ به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهى ومحله الجرّ على البدل من هم فى لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع متصل بما بعده ﴿فان الله غفور رحيم﴾ علة للاستثناء ﴿والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم﴾ نزلت فى هلال بن امية رأى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير ﴿فشهادة احدهم اربع شهادات﴾ فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائى وحفص على انه خبر شهادة ﴿بالله﴾ متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدّمها ﴿انه لمن الصادقين﴾ اى فيما رماها به من الزنى واصله على انه لحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تأكيدا ﴿والخامسة﴾ والشهادة الخامسة ﴿ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين﴾ فى الرمى وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف فى الموضعين ورفع لعنة هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حدّ القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه السلام المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابى حنيفة ونفى الولد ان تعرّض له فيه وثبوت حدّ الزنى على المرأة لقوله ﴿ويدرأ عنها العذاب﴾ اى الحدّ ﴿ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين﴾ فيما رماني به ﴿والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين﴾ فى ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ان غضب الله بكسر الضاد وفتح الباء ورفع الله ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم﴾ متروك الجواب للتعظيم اى لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة

(الاجنبى)

الاجنبى اذ لا يختلف موجبهما غير انهما يختلفان فى المخلص ففى قذف الاجنبى لا يسقط الحدّ عن القاذف الا باقرار المقذوف او ببينة تقوم على انها زنت وفى قذف الزوجة يسقط الحدّ عن القاذف باحد هذين الامرين وباللعان ايضا وهو قول المصنف رحمة الله تعالى عليه وحكمه سقوط حدّ القذف عنه ولعان الزوج لما كان بمنزلة الشهادات التى يثبت بها الزنى اوجب عليها حدّ الزنى نقل الامام عن الشافعى رحمة الله تعالى عليهما وكلما تثبت بمجرّد لعانه ولا يفتقر فيها الى لعانها ولا الى حكم الحاكم فان حكم الحاكم به كان تنفيذا منه لا ايقاما للفرقة واستدل المصنف رحمة الله تعالى عليه على ثبوت حدّ الزنى على المرأة بقوله ويدرأ عنها العذاب بناء على انه حمل العذاب على الحدّ كما فى قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وحمله الحنفيون رحمة الله تعالى عليهم على الحبر والحبس على اللعان والمعنى ويدفع عن المرأة ان تجبر وتحبس على ان تلاعن او تصدّق زوجها فيما رماها به فانها اذا امتنعت عن اللعان حبست واجبرت عليه حقا للزوج ﴿قوله﴾ انه عليه افضل الصلاة والسلام استصحبها ﴿وكان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يسافر اقرع بين نسائه فأيهنّ خرج اسمها خرج بها معه فاقرع بين نسوانه فى غزوة غزاها قيل غزوة بنى المصطلق فخرج فيها اسم عائشة رضى الله تعالى عنها فخرجت معه عليه الصلاة والسلام والجزع الخرز وظفار على وزن قطام مدينة باليمن فقوله من جزع ظفار اى من خرز منسوب اليها والمنشد من عرّف الضالة والناشد من يطلبها فالانسب ان يقال كى يرجع اليها ناشد والتعريس نزول القوم فى السفر آخر الليل والمراد هنا مطلق النزول ويقال أدلج القوم اذا ساروا من اوّل الليل والاسم الدلج ويقال ادّلج من الافتعال اذا سار من آخر الليل قالت عائشة رضى الله عنها لما اصبح صفوان عند منزلى رأى سواد انسان نائم فعرفنى حين رآنى وقد رآنى قبل ان يضرب علىّ الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى فوالله ما كلمنى بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين اناخ راحلته وقمت على يدها اى يد راحلته فركبتها فانطلق يقودنى حتى اتينا الجيش فى نحو الظهيرة فهلك فىّ من هلك وكان الذى تولى كبره منهم عبد الله بن ابىّ بن سلول وخاضوا فى حديثى وافشوه فى العسكر وخاض اهل المعسكر فيه فجعل يرويه بعضهم عن بعض ويحدّث به بعضهم بعضا قالت وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاشتكيت حين قدمتها شهرا والناس يفيضون فى قول اهل الافك ولا اشعر بشئ من ذلك غير انه يريبنى فى مرضى انى لا اعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت ارى منه حين اشتكى وانما يدخل علىّ فيقول كيف تيكم فيريبنى ذلك ولا اشعر بالسرّ فلما رأيت ذلك قلت يا رسول الله لو اذنت لى فأنتقل الى ابوىّ يمرّضانى *فقال لا بأس *فانتقلت الى بيت ابوىّ وكنت فيه الى ان برئت من مرضى بعد بضع وعشرين ليلة فخرجت فى بعض الليالى ومعى ام مسطح قبل المناصع وهو متبرّزنا ولا نخرج الا ليلا وكان عادة اهل المدينة حينئذ انهم لا يتخذون الكنف فى بيوتهم انما كانوا يذهبون فى فسيح المدينة على عادة العرب الاوّل فى التبرّز تأذيا من اتخاذ الكنف فى بيوتهم فانطلقت انا وام مسطح وهى بنت ابى رنيم وامها بنت صخر ابن عامر خالة ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فلما فرغنا من شأننا واقبلنا الى جانب البيت عثرت ام مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت اولم تسمعى ما قال قلت وما قال فاخبرتنى بقول اهل الافك فازددت مرضا الى مرضى فلما رجعت الى بيتى قلت يا امّه ما يتحدث الناس قالت اى بنية هوّنى عليك فوالله لقلما كانت امرأة صفية عند رجل يحبها ولها ضرائر الا كثّرن عليها قالت قلت سبحان الله تعالى أوقد تحدّث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لى دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكى ودعا النبى صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد وعلىّ بن ابى طالب حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق اهله فأمّا علىّ بن ابى طالب فانه قال لم يضيق الله تعالى عليك فى النساء والنساء سواها كثير فاستبدل واما اسامة بن زيد فأشار اليه بالذى يعلم من برآءة اهله وبالذى يعلم فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم من الودّ فقال يا رسول الله ما علمت منها الا خيرا فلا تعجل وانظر واسأل اهلك قالت فسأل حفصة فقالت حفصة بنت عمر رضى الله تعالى عنهما يا رسول الله ما رأيت عليها سوأ قط وسأل زينب بنت جحش فقالت مثل ذلك وسأل بريرة فقال اى بريرة هل رأيت شيأ يريبك من عائشة قالت والذى بعثك بالحق نبيا ما رأيت عليها امرا قط اغمصه عليك غير انها اوا كثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتأتى الداجن فتأكله قالت فقام النبى صلى الله عليه وسلم فأقبل حتى دخل علىّ وعندى ابواى ثم جلس قالت ولم يجلس عندى منذ قيل فى حقى ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى

﴿ ان الذين جاؤا بالافك ﴾ ببلغ ما يكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضى الله عنها وذلك انه عليه الصلاة والسلام استصحبها فى بعض الغزوات فأذن ليلة فى القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقدها من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذى كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمة احدا فجلست كى يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمى قد عرّس وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلها فعرفها فأناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به ﴿عصبة منكم﴾ جماعة منكم وهى من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن ابىّ وزيد ابن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهى خبران وقوله ﴿لا تحسبوه شرّا لكم﴾ مستأنف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعائشة وصفوان والهاء للافك ﴿بل هو خير لكم﴾ لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثمانى عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا

اليه فى شأنى بشئ قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد ياعائشة قد بلغنى عنك كذا وكذا ان كنت بريئة فسيبرّئك الله عزوجل وان كنت اسأت بذنب فاستغفرى الله تعالى وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه خلص دمعى حتى مااحتبس منه قطرة فقلت لابى اجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ماادرى ماأقول فقلت وانا جارية حديثة السنّ لا اقرأ كثيرا من القرءآن والله لقد عرفت انكم قد سمعتم هذا حتى استقرّ فى انفسكم وصدّقتم به ولئن قلت لكم انى بريئة لاتصدّقونى ولئن اعترفت لكم بامر والله تعالى يعلم انى بريئة منه لتصدّقنى به والله ماأجد لى ولكم مثلا الاماقال ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون قالت ثم تحوّلت فاضطجعت على فراشى وانا والله حينئذ اعلم انى بريئة وان الله تعالى يعلم ببرآءتى وانى والله ماكنت اظن ان ينزل فى شأنى وحى يتلى ولشأنى كان احقر فى نفسى من ان يتكلم الله تعالى فىّ بأمر يتلى ولكننى كنت ارجو ان يرى النبى صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرّئنى الله تعالى بها قالت فوالله ماقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه ولاخرج من اهل البيت احد حتى انزل الله تعالى جبريل على نبيه واخذه ماكان يأخذه من البرحاء عند الوحى حتى انه لينحدر منه مثل الجمان من العرق فى اليوم الشاتى من ثقل القول الذى انزل عليه فلما سرّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سرّى عنه وهو يضحك فكان اوّل كلمة تكلم بها ان قال أبشرى ياعائشة اما والله لقد برّأك الله تعالى فقلت نحمد الله تعالى ولا نحمدك ولا نحمد اصحابك فقالت لى امّى قومى اليه فقلت والله لااقوم اليه ولا احمد الا الله عزوجل قالت فانزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لاتحسبوه الى آخر الآيات العشر فى برآءتى ولما انزل الله تعالى هذه الآيات قال ابو بكر الصدّيق وكان ينفق لمسطح او على مسطح لقرابته وفقره والله لاانفق شيأ ابدا بعد الذى قال لعائشة ماقال فانزل الله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم الى قوله ألا تحبون ان يغفر الله لكم قال ابو بكر بلى أحب ان يغفر الله لى فرجع الى مسطح النفقة التى كان ينفقها عليه وقال لا انزعها منه ابدا * وعصبة خبر انّ ومنكم صفته والمعنى والله تبارك وتعالى اعلم ان الذين اتوا بالكذب فى امر عائشة جماعة كائنة منكم فى كونهم موصوفين بالايمان وعبد الله ايضا كان من جملة من حكم له بالايمان ظاهرا ﴿قوله﴾ فانه بدأ به واذاعه ﴿قالت عائشة﴾ رضى الله عنها ركبت الراحلة وأخذ صفوان بازمام يقودها فررنا بملأ من المنافقين فيهم عبد الله بن ابىّ فقال من هذه قالوا عائشة قال والله مانجت منه ولانجا منها وقال لعن الله امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها قالت وهو الذى تولى كبره منهم فانه لما كان مبتدأ لذلك القول فلاجرم حصل له من العقاب مثل ماحصل لكل من قال ذلك قال صلى الله عليه وسلم * من سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة * وروى انه لما نزلت آية برآءة عائشة رضى الله عنها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرءآن فلما نزل ضرب عبد الله بن ابىّ ومسطحا وحسانا وحدّهم حدّ القذف ﴿قوله لولا هلا﴾ يعنى ان لولا هذه تحضيضية بمعنى هلا فان لولا اذا وليت الفعل تكون للتحضيض كقوله تعالى لولا اخرتنى وحرف التحضيض يلزم الفعل لفظا او تقديرا ومعناها اذا دخلت على الماضى التوبيخ واللوم على ترك الفعل واذا دخلت على المضارع فمعناها الحض على الفعل والطلب له فهى فى المضارع بمعنى الامر ولايكون التحضيض فى الماضى لان الطلب لايتصوّر فيه فمعنى الآية ياايها الذين سمعوا قول قاذف عائشة بصفوان هلا ظننتم بالذين منكم من المؤمنين والمؤمنات خيرا اذ سمعتم ماقيل فى حقهم وجعل المؤمنين كنفس واحدة كما فى قوله تعالى ولا تلزموا انفسكم وحق الكلام ان يقال ظننتم وقلتم وعدل عنه الى الغيبة مع التصريح بصفة الايمان تنبيها على ان اللائق بالمؤمن ان لايظن بمؤمن مثله الا الخير وان يبرّئه من السوء ومبالغة فى التوبيخ فان اصل التوبيخ وان حصل بان قيل لولا ظننتم بانفسكم خيرا لكنه يزداد بالالتفات الى الغيبة اذ فيه اشارة الى ان شأن الايمان يقتضى ان يظنّ المؤمن بأخيه خيرا ويذب عنه الطاعنين فيه بقوله هذا افك مبين فمن ترك هذا الظنّ والذب فقد ترك العمل بمقتضى الايمان وهذه المبالغة لاتحصل الا بالاسلوب الاوّل ﴿قوله﴾ وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف ﴿يتضمن السؤال عن شيئين الاوّل ان حرف التحضيض يجب ان يدخل على الفعل فكيف جاز دخوله على الظرف والثانى ان الظرف ههنا معمول لقوله ظنّ المؤمنون وقالوا فلم قدّم على عامله * اجاب عن الاوّل بانّ للظروف شأنا ليس لغيرها وهو تنزيلها من الاشياء منزلة نفسها لوقوعها فيها من غير انفصال عنها * وعن الثانى بان الفائدة فى تقديم الظرف بيان انه كان الواجب عليهم ان يحترزوا عن

(الاثم)

﴿لكل امرئ منهم ماا كتسب من الاثم﴾ لكل جزاء ما اكتسب بقدر ماخاض فيه مختصابه ﴿والذى تولى كبره﴾ معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه ﴿منهم﴾ من الخائضين وهو ابن ابىّ فانه بدأ به وأذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوهو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذى بمعنى الذين ﴿له عذاب عظيم﴾ فى الآخرة اوفى الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابىّ مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر ﴿لولا﴾ هلا ﴿اذ سمعتموه ظنّ المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا﴾ بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولاتلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة فى التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضى ظنّ الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لاينفك عنه ولذلك يتسع فيه مالايتسع فى غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض على ان لايخلوا باوّله ﴿وقالوا هذا افك مبين﴾ كما يقول المستيقن المطلع على الحال ﴿لولا جاؤا عليه باربعة شهدآء فاذ لم يأتوا بالشهدآء فاولئك عند الله هم الكاذبون﴾ من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان مالاحجة عليه مكذب عند الله اى فى حكمه ولذلك رتب الحدّ عليه ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة﴾ لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم فى الدنيا بأنواع النعم التى من جملتها الامهال للتوبة ورحمته فى الآخرة بالعفو والمغفرة المقرّر ان لكم ﴿لمسكم﴾ عاجلا ﴿فيما افضتم فيه﴾ خضتم فيه ﴿عذاب عظيم﴾ يستحقردونه اللوم والجلد

﴿اذ﴾ ظرف لمسكم او افضتم ﴿تلقونه بالسنتكم﴾ والمعنى يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلق القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبتا فوجدته وتقفونه اى تتبعونه ﴿وتقولون بافواهكم﴾ اى وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب ﴿ماليس لكم به علم﴾ لانه ليس تعبيرا عن علم به فى قلوبكم كقوله يقولون بافواههم مالیس فی قلوبهم ﴿وتحسبونه هينا﴾ سهلا لا تبعة فيه ﴿وهو عندالله عظيم﴾ فى الوزر واستجرآء العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلق الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ﴿ولولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا﴾ ماينبغى لنا وما يصح ﴿ان نتكلم بهذا﴾ يجوز ان تكون الاشارة الى القول المخصوص وان تكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿سبحانك﴾ تعجب ممن يقول ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب او تنزيه لله تعالى من ان تكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله ﴿هذا بهتان عظيم﴾ لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها ﴿يعظكم الله ان تعودوا لمثله﴾ كراهة ان تعودوا لمثله او فى ان تعودوا ﴿ابدا﴾ مادمتم احياء مكلفين ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ﴿ويبين الله لكم الآيات﴾ الدالة على الشرآئع ومحاسن الآداب كى تتعظوا وتتأدبوا ﴿والله عليم﴾ بالاحوال كلها ﴿حكيم﴾ فى تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها ﴿ان الذين يحبون﴾ يريدون ﴿ان تشيع﴾ ان تنتشر ﴿الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة﴾ بالحد والسعير الى غير ذلك ﴿والله يعلم﴾ ما فى الضمائر ﴿وانتم لا تعلمون﴾ فعاقبوا فى الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما فى القلوب من حب الاشاعة ﴿ولو فضل الله عليكم ورحمته﴾ تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله ﴿وان الله رؤف رحيم﴾ على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وقرأ نافع والبزى وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ بيان لعلة النهى عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ﴿ما زكا﴾ ما طهر من دنسها ﴿منكم من احد أبدا﴾ آخر الدهر ﴿ولكن الله يزكى من يشاء﴾ بحمله على التوبة وقبولها ﴿والله سميع﴾ لمقالتهم ﴿عليم﴾ بنياتهم ﴿ولا يأتل﴾ ولا يحلف افتعال من الألية او ولا يقصر من الألو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتأل وانه نزل فى ابى بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقرآء المهاجرين ﴿اولوا الفضل منكم﴾ فى الدين ﴿والسعة﴾ فى المال وفيه دليل على فضل ابى بكر رضى الله عنه وشرفه ﴿ان يؤتوا﴾ على ان لا يؤتوا او فى ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات

الاثم والحنى اوّل ما سمعوا بالافك بان يظنوا بالمؤمنين خيرا ويقولوا هذا افك مبين ولا يتكلموا به ولا يذيعوه فلما كان ذكر الوقت اهم وجب تقديمه ﴿قوله يأخذه بعضكم من بعض﴾ يعنى ان تلق القول اخذه من الغير ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفسر التلق باخذ بعضهم من بعض لان كل واحد من المتلق والمتلق منه داخل فى هذا الخطاب وصفهم الله تعالى بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلق الافك بألسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل بقوله ما ورآءك فيحدّثه بحديث الافك حتى شاع واشتهر ولم يبق بيت ولا نادا الا ذكر فيه فكأنهم سعوا فى اشاعة الفاحشة وذلك من العظائم وثانيها انهم كانوا يتكلمون بما لا علم لهم به والاخبار بالشئ يجب ان يكون مستقرّا بان تستقرّ صورته فى القلب اوّلا ثم يترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجرى على ألسنتهم ويدور فى افواههم من غير ان يستقرّ العلم به فى قلوبهم وهو حرام لقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وثالثها انهم كانوا يستصغرون ذلك وهو جريمة عظيمة عندالله تعالى اى فى حكمه ﴿قوله ماينبغى لنا وما يصح﴾ اشارة الى فائدة زآئدة مع ان الكلام سديد بدونه بان يقال مالنا ان نتكلم بهذا ونظيره قوله تعالى مايكون لى ان اقول ماليس لى بحق فانه بمعنى ماينبغى ومايصح ﴿قوله تعجب ممن يقول ذلك﴾ اى الافك وعظمه او ممن يقول ذلك حيث عصى الله تعالى فى حق هؤلاء الكرام ثم بين وجه استعارة معنى التعجب من كلمة التسبيح فقال واصله اى والاصل فى ذكر هذه الكلمة ان يسبح الله تعالى عند رؤية العجيب من صنائعه تنزيها له من ان يخرج مثله عن قدرته ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه ﴿قوله او تنزيه﴾ عطف على قوله تعجب وقوله ينفر عنه اى عن النبى فيفوت ما هو المقصود من ارساله فان الانبياء انما بعثوا الى الكفار ليدعوهم الى الدين والى قبول ما قالوه عن الله تعالى من الاحكام والثواب والعقاب وهذا المقصود لا يحصل اذا كان فى الانبياء ما ينفر الكفرة عنهم فجاز ان تكون امرأة النبى صلى الله عليه وسلم كافرة لان الكفر ليس مما ينفر عندهم ولا يجوز ان تكون فاجرة لان الكشخنة من اعظم المنفرات والكشخان الذى امرأته فاجرة تدعو الرجال الى نفسها وهو يعرف حالها اى زوج الفاجرة والبهتان مصدر بهته اى قال عليه مالم يفعله سمى به المبهوت به ان كانت الاشارة بقوله هذا الى الافك بمعنى القول الكاذب وان كانت الاشارة الى الافك بمعنى الكذب والافتراء يكون البهتان ايضا مصدرا فقوله تعالى هذا بهتان عظيم معناه هذا الافك افتراء عظيم يتحير من عظمه روى ان ام ايوب قالت لابى ايوب الانصارى اما بلغك ما يقول الناس فى عائشة فقال ابو ايوب سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق قوله ثم انه تعالى قال يعظكم الله بهذه المواعظ التى بها تعرفون عظم هذا الذنب فان فيه الحدّ والنكال فى الدنيا والعذاب فى الآخرة كراهة ان تعودوا او يعظكم فى ان تعودوا حتى لا تعودوا الى مثله ابدا ﴿قوله بالحدّ والسعير الى غير ذلك﴾ فيه اشارة الى ان قوله تعالى ان الذين جاؤا بالافك وان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة ليس معناه مجرّد وصفهم بانهم يحبون شيوعها فى حق الذين آمنوا من غير قصد ان يشيعوها ويظهروها فان ذلك القدر لا يوجب الحدّ فى الدنيا بل المعنى ان الذين يشيعون الفاحشة والزنى فى الذين آمنوا كصفوان وعائشة رضى الله تعالى عنهما عن قصد ومحبة لاشاعتها والخطوات جمع خطوة بضم الخاء وهى ما بين القدمين وبالفتح مصدر خطوت خطوة للمرّة والمراد بها ههنا سيرة الشيطان وطريقته والمعنى لا تسلكوا مسالكه ولا تتبعوا آثاره ووساوسه باشاعة الفاحشة والاصغاء الى الافك والقول به ﴿قوله ويؤيد الاوّل﴾ وهو كون يأتل يفتعل من الالية لا من الألو أنه قرئ ولا يتأل فانه من الالية يقال آلى يؤلى ايلاء والية وائتلى يأتلى ائتلاء وتألى يتألى تأليا كلها بمعنى حلف ﴿قوله وفيه دليل على فضل ابى بكر﴾ وذلك لان الفضل المذكور فى الآية اما فى الدنيا واما فى الدين والاوّل باطل لانه تعالى ذكره فى معرض المدح والمدح بكثرة الدنيا غير جائز من الله تعالى ولانه لو جاز ذلك لكان قوله والسعة تكريرا لا تأسيسا فتعين ان يكون المراد منه الفضل فى الدين والمنزلة من الله تعالى فلو كان غيره مساويا له فى الدرجة فى الدين لم يكن هو صاحب الفضل لان المساوى لا يكون فاضلا فلما اثبت الله تعالى له الفضل غير مقيد بكونه بالنسبة الى شخص دون شخص ثبت كونه افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اتفق المفسرون على ان المراد بقوله اولوا الفضل هو ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ﴿قوله على ان لا يؤتوا﴾ باسقاط الخافض وهو كثير شائع وكذا حذف كلمة لا فى اليمين كثير ايضا قال تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبرّوا يعنى مخافة ان لا تبرّوا وقال امرؤ القيس

﴿ اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ﴾ صفات لموصوف واحد اى ناسا جامعين لهاالان الكلام فيمن كان كذلك اولموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ فى تعليل المقصود ﴿ وليعفوا ﴾ بالاغماض عنه ﴿ ألا تحبون ﴾ ان يغفر الله لكم ﴿ على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم ﴿ والله غفور رحيم ﴾ مع كمال قدرته فتخلقوا بأخلاقه روى انه عليه الصلاة والسلام قرأها على ابى بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته ﴿ ان الذين يرمون المحصنات ﴾ العفائف ﴿ الغافلات ﴾ مما قذفن به ﴿ المؤمنات ﴾ بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا فى الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين كان ابىّ ﴿ لعنوا فى الدنيا والآخرة ﴾ كما طعنوا فيهن ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف مالم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل فى افك عائشة ﴿ يوم تشهد عليهم ﴾ ظرف لما فى لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائى بالياء للتقدم والفصل ﴿ ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ﴾ يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفى ذلك مزيد تهويل للعذاب ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾ جزآءهم المستحق ﴿ ويعلمون ﴾ لمعاينتهم الامر ﴿ ان الله هو الحق المبين ﴾ الثابت بذاته الظاهر ألوهيته لا يشاركه فى ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق البين اى العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة ﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾ اى الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله ﴿ اولئك ﴾ يعنى اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم او الرسول وعائشة وصفوان ﴿ مبرّأون مما يقولون ﴾ اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرّر عليها وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير فى يقولون للآفكين اى مبرّأون مما يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات اى مبرّأون من ان يقولوا مثل قولهم ﴿ لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ يعنى الجنة ولقد برّأ الله اربعة باربعة برّأ يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة رضى الله عنها بهذه الآيات مع هذه المبالغات وماذلك الا لاظهار منصب الرسول صلى الله عليه وسلم واعلاء منزلته

فقلت يمين الله ابرح قاعدا * اى لا ابرح وهذا التأويل على تقدير ان يكون قوله ولا يأتل اولوا الفضل افتعالا من الالية واما على تقدير كونه افتعالا من الالو فالتأويل ماأشار اليه بقوله اوفى ان يؤتوا اى لا يقصر اولوا الفضل فى ان يحسنوا ﴿ قوله ﴾ فيكون ابلغ فى تعليل المقصود ﴿ بناء على ماأشتهر من ان تعليق الحكم بالمشتق يفيد علية المأخذ وان جعل من قبيل عطف الذوات يكون الكلام ابلغ فى تعليل المقصود وهو نهى الصدّيق عن حفظ يمينه على ان لا ينفق على مسطح فان جعل الكلام من قبيل عطف الصفات فقد افاد الكلام تعليل المقصود لان كل واحد من الصفات المذكورة اذا كان منهيا عن محافظة اليمين فيكون الشخص الموصوف بتلك الصفات منهيا عنها بطريق الاولى ﴿ قوله ﴾ تعالى وليعفوا ﴿ اى عن ذنبهم وليصفحوا اى وليعرضوا عن لومهم فان العفو ان يتجاوز عن الجانى والصفح ان يتناسى جرمه وقيل العفو بالفعل والصفح بالقلب ﴿ قوله ﴾ استباحة لعرضهن ﴿ منصوب على انه مفعول له لقوله تعالى يرمون المحصنات واشار به الى جواب مايقال هذه الآية تدل على ان قاذف المحصنات كافر لا تقبل توبته اما انه كافر فلقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وارجلهم وذلك صفة الكفار والمنافقين لقوله ويوم يحشرا عداء الله الى آخر الآيات الثلاث ولقوله ولهم عذاب عظيم هو عذاب الكفر واما انه لا تقبل توبته فلقوله لعنوا فى الدنيا والآخرة ولم يذكر استثناء بان قال الا الذين تابوا فهذا يدل على ان قاذف المحصنات الغافلات ملعون فى الدارين تاب اولم يتب وقد قال فى اوّل السورة ان الذين يرمون المحصنات ثم قال الا الذين تابوا فجعل لهم توبة فالمصنف رحمة الله تعالى عليه حمل هذه الآية على القذف على وجه يستلزم الكفر والظاهر ان يدفع هذا بان يجعل الوعيد المذكور فيها مشروطا بعدم التوبة لان الذنب سواء كان كفرا او فسقا وحصلت عنه التوبة صار مغفورا بمقتضى الوعد الالهى ﴿ قوله ﴾ وقيل هو حكم كل قاذف ﴿ عطف على ماقبله من حيث المعنى كانه قيل هو حكم القاذف استباحة وطعنا وقيل حكم كل قاذف مالم يتب ولم يرض المصنف رحمة الله تعالى عليه به لان الوعيد المذكور انما يليق بالكفرة ومجرّد قذف المحصنة المؤمنة لا يوجب الكفر وقيل لابن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله تعالى فى الدنيا والآخرة قال ذلك لمن قذف عائشة رضى الله تعالى عنها خاصة وجمع المحصنات الغافلات وان اريدت عائشة وحدها لان من قذف واحدة من نساء النبى صلى الله عليه وسلم فقد قذفهن جميع فكانه قذف النبى صلى الله عليه وسلم وقذفه كفر بالاتفاق وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال هذا اللعن فيمن قذف زوجات النبى صلى الله عليه وسلم اذ ليس له توبة ومن قذف مؤمنة جعل الله له توبة ﴿ قوله ﴾ لانه موصوف ﴿ والمصدر الموصوف لا يعمل لان اعماله يستلزم الفصل بين المصدر ومعموله باجنبى فاذا لا يجوز وصف المصدر باجنبى عنه بمعنى انه ليس معمولا له والوجه فيه ان المصدر عند العمل مؤوّل بان مع الفعل وان موصول حرفى ومعمول المصدر فى الحقيقة معمول الفعل الذى هو صلة ان ولا يجوز الفصل بين بعض الصلة وبعضها باجنبى ﴿ قوله ﴾ بانطاق الله تعالى ﴿ فان البينة ليست مشروطة بالحياة فيجوز ان يخلق الله تعالى فى الجوهر الفرد علما وقدرة وكلاما ففى الجسم المركب منه اولى ويحتمل ان لا تكون شهادة الجوارح عليهم بانطاق الله تعالى اياها بل تكون بظهور آثار ما كانوا يعملون عليها كما تشهد فى الدنيا على المحبة آثارها من صفرة الوجه وتغير اللون ونحافة الجسم وجريان الدمع ﴿ قوله ﴾ جزآءهم المستحق ﴿ فان الدين يستعمل فى الجزآء كقولهم كما تدين تدان اى كما تفعل تجازى به وانتصاب الحق على انه صفة للدين فان القدر المستحق فى الجزآء موصوف بانه الحق ﴿ قوله ﴾ الخبائث ﴿ اى الزوانى يتزوّجن الخباث اى الزناة وكذا الخبيثون من الرجال يتزوّجون الخبائث كما قال تعالى الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك فان قيل فعلى هذا الوجه يلزم ان لا يتزوّج الرجل العفيف بزانية * والجواب ماتقدّم فى قوله الزانى لا ينكح الا زانية الخ ولما كان عقد التزوّج واقعا بين الاكفاء خبائة وطيبا ثبت برآءة الرسول صلى الله عليه وسلم وعائشة مما قيل فى حقهما وبرآءتهما تستلزم برآءة صفوان فيكون اوّل الآية كالدليل على برآءة الجميع اذ لو صدق ماقيل فى حقها لكانت خبيثة غير صالحة لكونها زوجة لاطيب الطيبين ويحتمل ان لا يكون الخبائث والطيبات بمعنى الزوانى من النساء والعفايف منهنّ بل يكون بمعنى الاقوال الخبيثة والطيبة فيكون المعنى الخبيثات من الكلمات تقال او تعدّ للخبيثين من الرجال وتليق بهم والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلمات وعلى عكسه الطيبات من الكلمات للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من الكلمات والمعنى كل كلام انما يحسن فى حق اهله فيضاف سيئ

﴿ يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم ﴾ التى تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لايدخلان الا باذن ﴿ حتى تستأنسوا ﴾ تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشئ اذا ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله او يؤذن لكم من الاستئناس الذى هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خائف ان لايؤذن له فاذا اذن استأنس او تعرّفوا هل ثمة انسان من الانس ﴿ وتسلموا على اهلها ﴾ بان تقولوا له السلام عليكم ءادخل وعنه صلى الله عليه وسلم التسليم ان يقول السلام عليكم ءادخل ثلاث مرّات فان اذن له دخل والارجع ﴿ ذلكم خير لكم ﴾ اى الاستئذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او من تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امرأته فى لحاف وروى ان رجلا قال للنبىّ عليه السلام ءأستأذن على امّى قال نعم قال لاخادم لها غيرى ءأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ متعلق بمحذوف اى انزل عليكم اوقيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بماهو اصلح لكم ﴿ فان لم تجدوا فيها احدا ﴾ يأذن لكم ﴿ فلاتدخلوها حتى يؤذن لكم ﴾ حتى يأتى من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ماتخفية النـاس عادة مع ان التصرّف فى ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ماذا عرض فيه حرق اوغرق اوكان فيه منكر ونحوها ﴿ وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ﴾ ولاتلحوا ﴿ هو ازكى لكم ﴾ الرجوع اطهر لكم مما لايخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة أو أنفع لدينكم ودنياكم ﴿ والله بما تعملون عليم ﴾ فيعلم ماتأتون وماتذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ﴿ ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة ﴾ كالربط والخانات والحوانيت ﴿ فيها متاع ﴾ استمتاع ﴿ لكم ﴾ كالاستكنان من الحرّ والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها ﴿ والله يعلم ماتبدون وماتكتمون ﴾ وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ﴾ اى مايكون نحو محرّم

القول الى من يليق به وكذلك الطيب من القول وعائشة رضى لاتليق بها الخبائث من الاقوال فلا يصدق فيها لانها طيبة فيضاف اليها الثناء الحسن ومايليق بها وقال الزجاج رحمة الله تعالى عليه معناه ولا يتكلم بالخبائث من القول الا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات منه الا الطيب من الرجال والمقصود ذم من قذف عائشة رضى الله تعالى عنها ووقع فى حقها بالخبيث ومدح من وصفها بالطهارة ﴿ قوله من آنس الشئ ﴾ يعنى انه استفعال من آنس الشئ اذا ابصره مكشوفا وعلم به قال تعالى فان آنستم منهم رشدا اى اذا علمتم لان الرشد لايبصر ولهذا قيل فى معنى الآية الشريفة حتى تستعلموا وتتعرّفوا أيؤذن لكم ام لا وطلب العلم بانه يؤذن لكم ام لا معناه الاستئذان فلذلك فسر الآية بالاستئناس الذى هو ضدّ الاستيحاش فان من يأتى باب غيره لايدرى أيؤذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا أذن له استأنس ولهذا يقال فى جواب القادم المستأذن مرحبا واهلا وسهلا اى وجدت مكانا واسعا واتيت اهلا لا اجانب واصبت مكانا سهلا لاخشنا ليزول به استيحاشه وتطيب نفسه فيؤول المعنى الى ان يؤذن لكم وهو من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستئناس يردف الاذن ويتبعه فوضع موضع الاذن حيث ذكر الاستئناس اللازم واريد الاذن الذى هو الملزوم ﴿ قوله او تتعرّفوا هل ثمة انسان ﴾ عطف على قوله تستأذنوا كقوله او يؤذن لكم اى ويجوز ان يكون الاستئناس من الانس وهو ان يتعرّف هل ثمة انسان وماقيل من انه لايلائم المقام اذ يصير المعنى حينئذ لاتدخلوا مالم تعرفوا ان هناك انسانا فاذا تعرّفتم ان هناك انسانا فادخلوها سواء اذن لكم ام لا وليس المقصود من الآية هذا فليس بشئ لانه انما يكون المعنى ماذكره ان لو اقتصر فى غاية النهى على قوله حتى تستأنسوا وليس كذلك بل عطف عليه قوله تعالى وتسلموا على اهلها ولما جعل غاية النهى مجموع الاستئناس والتسليم بان يقال السلام عليكم ءادخل كيف يكون المعنى ماذكره وهل يقول به عاقل بل يكون المعنى لاتدخلوا حتى تتعرّفوا انه هل ثمة انسان ثم تسلموا عليه ثم تستأذنوه فى الدخول وهو كما قيل السلام قبل الكلام ثم انه اذا اذن له فدخل فعند ذلك يسلم على اهله ثانيا لقوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم فانا امرنا بالسلام بعد الدخول عن ابى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه انه قال سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاث كما رواه المصنف رحمة الله تعالى عليه بالمرّة الاولى يستصوبون وبالثانية يستصلحون وبالثالثة يأذنون او يردون فكان الرجل من اهل الجاهلية اذا دخل بيتا غير بيته صباحا قال حييتم صباحا واذا دخل مساء قال حييتم مساء قال الجوهرى رحمة الله تعالى عليه الحياة ضدّ الموت والحى ضدّ الميت وحياه الله تعالى فحيى وحىّ ايضا والادغام اكثر الى ان قال التحية الملك قال زهير * ولكل ما نال الفتى * قد نلته الا التحية

ويقال حياك الله اى ملكك والتحيات لله قال يعقوب اى الملك لله ﴿ قوله فان المانع من الدخول ﴾ وهو الدخول بغير اذن * اعلم ان السلام من سنة المسلمين وهو تحية اهل الجنة ومجلبة للمودّة ونافى للحقد والضغينة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال * لما خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فقال الله يرحمك ربك ياآدم اذهب الى هؤلاء الملائكة وهم جلوس فقل السلام عليكم فلما فعل ذلك ورجع الى ربه قال هذه تحيتك وتحية ذرّيتك * وروى عنه صلى الله عليه وسلم قال * حق المسلم على المسلم ست يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه وينصح له بالغيب ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات * ثم انه اذا عرض له امر فى داره من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر فحينئذ لايجب الاستئذان والتسليم فان كل ذلك مستثنى بالدليل وهو ماقاله الفقهاء رحمة الله تعالى عليهم من ان مواضع الضرورات مستثنيات من قواعد الشرع لان الضرورات تبيح المحظورات * قال صاحب الكشاف رضى الله تعالى عنه وكم باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك ثم انه تعالى لما ذكر حكم الدور المسكونة ذكر بعده حكم الدور التى هى غير مسكونة فقال تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة اى بغير استئذان قال المفسرون لما نزلت آية الاستئذان قالوا يارسول الله كيف بالبيوت التى بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن من اربابها فنزلت الآية الشريفة ﴿ قوله تعالى فيها متاع لكم ﴾ اى منفعة من اتقاء الحرّ والبرد وحفظ السلع ونحو ذلك من منافع المسافر ﴿ قوله اى مايكون نحو محرّم ﴾ يعنى ان كلمة من للتبعيض والمراد غض البصر وحفظه عن النظر الى مالايحل لهم النظر اليه وان لاينظر الا الى مايحل النظر اليه والغض اطباق

﴿ويحفظوا فروجهم﴾ الاعلى ازوجهم اوماملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها ﴿ذلك ازكى لهم﴾ انفع لهم واطهر لمافيه من البعد عن الريبة ﴿ان الله خبير بما يصنعون﴾ لايخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم ومايقصدون بها فليكونوا على حذر منه فى كل حركة وسكون ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن﴾ فلاينظرن الى مالايحل لهن النظر اليه من الرجال ﴿ويحفظن فروجهن﴾ بالتستر والتحفظ عن الزنى وتقديم الغض لان النظر بريد الزنى ﴿ولايبدين زينتهن﴾ كالحلى والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لايحل ان تبدى له ﴿الاماظهر منها﴾ عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان فى سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف اومايم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا فى الصلاة لافى النظر فان كل بدن الحرة عورة لايحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شئ منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ سترا لاعناقهن وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وحمزة والكسائى بكسر الجيم ﴿ولايبدين زينتهن﴾ كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لايحل له ﴿الا لبعولتهن﴾ فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره ﴿او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن﴾ لكثرة مداخلهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما فى الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن مايبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم فى معنى الاخوان اولان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم ﴿او نسائهن﴾ يعنى المؤمنات فان الكافرات لاتتحرجن عن وصفهن للرجال او النساء كلهن وللعلماء فى ذلك خلاف

الجفن بحيث يمنع الرؤية ولما كان ماحرم النظر اليه من جملة المبصرات تبعض البصر باعتبار تبعض متعلقه فجعل ماتعلق بالمحرم بعضا من البصر وامر بغضه قال الاخفش رحمة الله تعالى عليه كلمة من زائدة ههنا فانه يجوز زيادتها فى الاثبات خلافا لسيبويه فانه لايجوزها ﴿قوله﴾ ولما كان المستثنى منه ﴿ اى من الفرج وهو جواب عما يقال لم دخلت كلمة من على الابصار دون الفرج مع ان المأمور به حفظ كل واحد منهما عن بعض ماتعلقا به فاجاب عنه بان المستثنى من البصر كثير فان الرجل يحل له النظر الى جميع اعضاء ازواجه وجميع اعضاء ماملكت يمينه وكذا لابأس عليه فى النظر الى شعور محارمه وصدورهن وثديهن واعضادهن وسوقهن وارجلهن وكذا من امة الغير حال عرضها للبيع ومن الحرة الاجنبية الى وجهها وكفيها وفى رواية والقدم عند ارادة العقد بخلاف المستثنى من الفرج فانه شئ قليل نادر وهو فرج زوجته وامته فلذلك اطلق حفظ الفرج ولم يعتد بما استثنى منه لقلته وقيد غض البصر بحرف التبعيض وقيل كل مافى القرآن من حفظ الفرج فالمراد به حفظه من الزنى الا فى هاتين الآيتين فان المراد فيهما الستر فلذلك اطلق حفظه ولم يقيد بحرف التبعيض لانه وان جاز للرجل ان ينظر الى جميع بدن زوجته وبدن امته التى يحل له الاستمتاع بها حتى الى فرجها الا انه يكره له النظر الى الفرج بالاتفاق حتى الى فرج نفسه لانه يروى انه يورث الطمس وقيل لايجوز النظر الى فرجها ﴿قوله﴾ تعالى ذلك ﴿ اوغض البصر وحفظ الفرج انفع لهم على ان الزكاء بمعنى النماء والنفع ﴿قوله﴾ بريد الزنى ﴿ اى يحمل الناظر على الزنى ويؤدى اليه والبريد البغلة التى تحفظ فى الرباط وتهيأ للرسول ليركب عليها وهو تعريب بريده دم ثم سمى به الرسول المحمول عليها ثم سميت به المسافة وزاد الله تعالى فى نهى المؤمنات ورآء غض الابصار وحفظ الفروج حكما آخر حيث قال تعالى ولايبدين زينتهن الا لبعولتهن والزينة ماتزينت به المرأة من حلى اوكحل اوصبغ فما كان ظاهرا منها كالخاتم والقحفة وهى مالافص فيه من الخاتم والكحل والصبغ فلابأس فيه بابدائه للاجانب بشرط الامن من الشهوة وما خفى منها كالسوار والدملج وهى حلقة تحملها المرأة على عضدها والوشاح والقرط فلا يحل لها ابداؤها الا لهؤلاء المذكورات فيما بعد بقوله تعالى ولايبدين زينتهن الا لبعولتهن الى آخر الآية ولاشك ان اظهار عين الزينة منفصلة عن بدن المرأة ليس منهيا عنه والمنهى عنه اظهارها وهى فى مواضعها لان مواضع الزينة الخفية كالذراع والساق والعضد والعنق والرأس والاذن والصدر فلا يحل للاجانب النظر اليها مجردة عن هذه رأسا فمعها اولى وانما سوح لها فى ابداء الزينة الظاهرة للاجانب حالة الامن من الاشتهاء لما فى التصون عن ابداء مواضعها فى الاخذ والاعطاء والمشى حالة الخروج وحمل الشهادة عليها من الحرج الذى لايخفى خصوصا فى حق الفقيرات منهن وعلى تقدير ان يراد بالزينة مواضعها أومايم المحاسن الخلقية التى خلق الانسان عليها يكون المراد بقوله تعالى الاماظهر منها الوجه والكفين لانهما ليست بعورة ثم قال المصنف رحمة الله تعالى عليه والاظهر الخ اى انها عورة فى حق النظر اليها وان لم تكن عورة فى الصلاة ﴿قوله﴾ كرره ﴿ فالاول تقسيم الزينة الى الظاهرة والخفية ولبيان ان الظاهرة يجوز ابداؤها مطلقا والثانى لبيان من يحل له ابداء الزينة الخفية ومن لايحل له ذلك ﴿قوله﴾ تعالى بخمرهن ﴿ الخمر جمع خمار وهو ماتغطى به المرأة رأسها وتستره ومالبس بهذه الصفة فليس بخمار والجيب ماجيب من القميص اى قطع لادخال الرأس ويضربن ضمن معنى يلقين فعدى بعلى والمعنى وليلقين مقانعهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وقرطهن واعناقهن عن الاجانب قيل ان نساء الجاهلية كن يسدلن خمرهن من خلفهن وان جيوبهن كانت من قدام وكانت تنكشف نحورهن وقلائدهن فأمرن ان يضربن مقانعهن على الجيوب ليغطى بذلك ماكان ينكشف باسبال خمرهن من خلفهن ﴿قوله﴾ لانهم فى معنى الاخوان ﴿ من حيث كون الجد سواء كان اب الاب اواب الام فى معنى الاب فيكون ابنهما فى معنى الاخ وايضا كل من له قرابة محرمة كالاخ فانه محرم فكذا ابنه الا الاعم والخال فانهما محرمان لابنائهما فالاولى للمرأة ان تستتر من اعمامها واخوالها حذرا من ان يصفوها لابنائهم لان تصور الابناء لها بالوصف بمنزلة نظرهم اليها ﴿قوله﴾ لاتتحرجن ﴿ اى تتأثمن من الحرج بمعنى الاثم فلما لم يكن وصف مواقع زينة المؤمنات للرجال الاجانب معدودا من جملة الآثام عند الكافرات احتمل ان يصفنها للاجانب فيكون تصور الاجانب اياها بمنزلة نظرهم اليها بخلاف المؤمنات فانهن يحترزن عن وصف مواقع زينة المؤمنات للرجال فجاز لهن ان يبدين زينتهن للمؤمنات دون الكافرات هذا قول اكثر السلف رحمة الله تعالى عليهم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما

﴿او ماملكت ايمانهن﴾ يعم الاماء والعبيد لما روى انه عليه السلام اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي منها ﴿او التابعين غير اولى الاربة من الرجال﴾ اى اولى الحاجه الى النساء وهم الشيوخ الأهمام والممسوخون وفى المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيأ من امور النساء وقرأ ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على الحال ﴿او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ﴿ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ ليقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا فى الرجال وهو ابلغ من النهى عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت ﴿وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون﴾ اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما فى الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما تذكر ﴿لعلكم تفلحون﴾ بسعادة الدارين ﴿وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم﴾ لما نهى عما عسى ان يفضى الى السفاح المخل بالنسب المقتضى للاقلة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بالامر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المرأة والعبد لا يستبد ان به اذ لو استبدا لما وجب على الولى والمولى وايامى مقلوب ايائم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا كان او ثيبا قال

فان تنكحى انكح وان تأيمى * وان كنت افتى منكم واتأيم

وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشأنهم اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه ﴿ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ رد لما عسى ان يمنع من النكاح والمعنى لا يمنع فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان فى فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح او وعد من الله بالاغناء لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى فى هذه الآية لكن مشروطة بالمشيئة لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ﴿والله واسع﴾ ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تتناهى قدرته ﴿عليم﴾ يبسط الرزق ويقدر على ما يقتضيه حكمته ﴿وليستعفف﴾ وليجتهد فى العفة وقمع الشهوة ﴿الذين لا يجدون نكاحا﴾ اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به وبالوجدان التمكن منه ﴿حتى يغنيهم الله من فضله﴾ فيجدوا ما يتزوجون به

ليس للمسلمة ان تتجرد بين نساء اهل ذمة ولا تبدى للكافرة الا ما تبدى للاجانب الا ان تكون امة لها لقوله او ما ملكت ايمانهن وكتب عمر الى ابى عبيدة رضى الله تعالى عنه ان يمنع نساء اهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات * قال الامام رحمة الله تعالى عليه قول السلف محمول على الاستحباب والمذهب ان المراد بقوله تعالى او نسائهن جميع النساء ﴿قوله﴾ وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي منها ﴿قوله﴾ خصيا كان او فحلا وهو قول ابى حنيفة وعليه عامة العلماء واحتجوا عليه بقوله عليه الصلاة والسلام * لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تسافر سفرا فوق ثلاثة ايام الا مع ذى محرم * والعبد ليس بذى محرم فلا يجوز له ان يسافر بها واذا لم يجز ان يسافر بها لم يجز له النظر الى مواقع زينتها الخفية وعن سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنه انه قال لا يغرنكم هذه الآيات فانها نزلت فى الاماء وكذا روى هذا القول عن سعيد بن المسيب رضى الله تعالى عنهما * فان قيل ما الفائدة فى تخصيص الاماء بالذكر بعد قوله تعالى او نسائهن * فالجواب والله تبارك وتعالى اعلم انه لما قال او نسائهن دل ذلك على ان المرأة لا يحل لها ان تبدى زينتها للكافرات سواء كن حرائر او اماء لغيرها او لنفسها فلما قال او ما ملكت ايمانهن مطلقا اى مؤمنات او مشركات علم انه يحل للامة ان تنظر الى زينة سيدتها مسلمة كانت او كافرة لما فى كشف مواضع الزينة الباطنة لامتها الكافرة فى احوال استخدامها من الضرورة التى لا تخفى ففارقت الحرة الكافرة بذلك ﴿قوله﴾ تعالى او التابعين غير اولى الاربة من الرجال ﴿اى او للرجال الذين هم اتباع اهل البيت ولا حاجة لهم فى النساء والاربة والارب الحاجة وكذلك المأربة وقرئ غير بالخفض نعتا للتابعين وبالنصب على الاستثناء من التابعين او الحال منهم والمعنى يبدين زينتهن للتابعين الاذوى الاربة منهم او حال كونهم غير ذوى اربة بخلاف ما لو كانوا ذوى اربة فانهن لا يبدين زينتهن لهم والشيخ الهم بكسر الهاء الشيخ الفانى والممسوخ بالخاء المعجمة هو الذى حولت قواه واعضاؤه عن سلامتها الاصلية الى الحالة المنافية لها المانعة من ان يكون له حاجة والمجبوب من قطع ذكره وخصيتاه معا من الجب وهو القطع والخصي من قطع خصيتاه والمختاران الخصي والمجبوب والعنين ليسوا من التابعين وانهم فى حرمة النظر كغيرهم من الفحولة لانهم يشهون ويشتهون وقوله وقيل البله عطف على الشيوخ والظهور على الشئ قد يكون بمعنى الاطلاع عليه كما فى قوله تعالى ان يظهروا عليكم اى ان يشعروا بكم وقد يكون بمعنى الغلبة والقدرة عليه كما فى قوله تعالى فاصبحوا ظاهرين قال قتادة كانت المرأة فى الجاهلية تضرب رجلها لتسمع قعقعة الخلخال فنهيت عن ذلك وقيل كانت احداهن تضرب باحدى رجليها على الاخرى ليعلم ان لها خلخالين ﴿قوله﴾ وهو ابلغ الخ ﴿وذلك انه لما نهى عن اسماع الصوت الدال على الزينة فلأن ينهى عن اظهار نفس الزينة اولى وفى الآية الكريمة فائدة اخرى وهو انه اذا كان اسماع صوت خلخالها للاجانب حراما فكان رفع صوتها بحيث يسمع الاجانب كلامها حراما بطريق الاولى لان صوت نفسها اقرب الى الفتنة من صوت خلخالها ولذلك كرهوا اذان النساء لانه يحتاج فيه الى رفع الصوت وقد وصى الله تعالى جميع المؤمنين بالتوبة والاستغفار اما لان العبد الضعيف لا ينفك عن تقصير يقع منه وان اجتهد فى رعاية تكليف الله تعالى قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عمر رضى الله تعالى عنه يا أيها الناس توبوا الى ربكم فانى اتوب الى الله تعالى فى كل يوم مائة مرة واما لان المراد توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية * فان قيل قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه الآية * اجيب عنه بما قال بعض العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكر ذلك الذنب ان يجدد التوبة عنه لانه يلزمه ان يستمر على ندمه الى ان يلقى ربه ﴿قوله﴾ لما نهى ﴿اى نهى مبالغة فى الزجر عن السفاح بعد الزجر عنه نهى عما عسى ان يفضى الى السفاح المخل بالنسب والنسب لابد من اعتباره فى بقاء النوع وصلاح العالم لكونه مفضيا للاقلة الخ ﴿قوله﴾ تزويج المولية ﴿وهى التى ينفذ فيها تصرف الولى فكل من ولى امر واحد فهو وليه وذلك الواحد مولى او مولية ﴿قوله﴾ كيتامى ﴿جمع يتيم يقال يتم الصبي يتما من باب علم والايامى جمع ايم يقال آم الرجل وآمت المرأة يئم ايمة وايما وايوما واصل ايامى ايائم كما ان اصل يتامى يتائم فقلبا قلب مكان فصارا ايامى ويتامى ﴿قوله﴾ وان كنت افتى ﴿هو افعل من الفتى اى وان كنت احدث منكم سنا اى فانا مثلكم فى حالتى التزوج والتأيم وهذه الشرطية معترضة بين الشرط وجزآئه ﴿قوله﴾ اسبابه ﴿لما كان الظاهر ان يكون النكاح بمعنى العقد والتزوج وكان حمله عليه مقتضيا لتقدير المضاف بناء على انه لا معنى لوجدان نفس العقد وعدم وجدانه حمله على معنى العقد اولا وقدر المضاف ثم قال ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به على طريق اطلاق اسم

﴿ والذين يبتغون الكتاب ﴾ المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال اولانه مما يكتب لتأجيله اومن الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض ﴿ مما ملكت ايمانكم ﴾ عبدا كان اوامة والموصول بصلته مبتدأ خبره ﴿ فكاتبوهم ﴾ اومفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل ﴿ ان علتم فيهم خيرا ﴾ امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روى مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز ﴿ وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ﴾ امر للموالى كما قبله بان يبذلوا لهم شيأ من اموالهم وفي معناه حط شئ من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفي اقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه يحط الربع وعن ابن عباس رضي الله عنهما الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا يأخذه صدقة كالدآئن والمشترى ويدل عليه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية

المسبب على السبب كالقوام لما يقام به واللجام لما يلجم به والحزام لما يحزم به فلا حاجة الى تقدير المضاف وقوله وبالوجد ان التمكن منه فانه يقال لمن لم يتمكن من استعمال الماء هو غير واجد للماء وان كان موجودا معاينا فيكون النكاح بمعنى العقد من غير حاجة الى تقدير المضاف لان الربط المعنوى وان لم يصح ان يوصف بالوجدان الا انه يصح ان يوصف بالتمكن منه فيكون المعنى الذين لا يتمكنون من النكاح ﴿ قوله المكاتبة ﴾ يعنى ان الكتاب مصدر كالمكاتبة والمعنى والذين يطلبون المكاتبة يقال كاتب فلان عبده كتابا ومكاتبة اذا عاقده على مال منجم يؤديه على نجوم معلومة فيعتق اذا ادى الجميع ومعنى صيغة المفاعلة في هذا العقد ان المولى يكتب على نفسه ان يعتق المكاتب اذا ادى البدل ويكتب العبد على نفسه ان يؤدى البدل من غير اخلال او ان المولى يكتب على عبده اداء المال والعبد يكتب على مولاه العتق عند الاداء فلهذا سمى هذا العقد كتابة اخذا من الكتاب فان كل واحد من العاقدين يكتب ويفرض على نفسه امرا وايضا يدل هذا العقد مؤجل منجم على المكاتب والمال المؤجل يكتب فيه كتاب على من عليه المال غالبا اومن الكتب بمعنى الضم والجمع ومنه الكتيبة للعسكر وسمى العقد بذلك لانه يضم النجوم بعضها الى بعض ويضم مال المكاتب الى نفسه فان عقد الكتابة لا يجوز على اقل من نجمين عند الامام الشافعي رحمة الله تعالى عليه وقال ابو حنيفة رحمة الله تعالى عليه تجوز الكتابة على واحد لان ظاهر قوله تعالى فكاتبوهم ليس فيه تقييد ﴿ قوله والامر فيه للندب ﴾ يعنى ان قوله تعالى فكاتبوهم امر استحباب عند الفقهاء رحمهم الله تعالى واليه ذهب الامام مالك وابو حنيفة والامام الشافعي رحمة الله تعالى عليهم واحتجوا عليه بقوله صلى الله عليه وسلم * لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيب من نفسه * وروى * الا عن طيب نفس منه * وقال بعضهم امر ايجاب فيجب على الرجل ان يكاتب مملوكه اذا سأله ذلك بقيمته او اكثر اذا علم فيه خيرا وان سأله بدون قيمته لم يجب عليه ذلك واحتجوا عليه بظاهر الآية وسبب نزولها فانها نزلت في كلام عبد سأل مولاه ان يكاتبه فأبى عليه فنزلت الآية فكاتبه على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا ﴿ قوله واحتجاج الحنفية رحمة الله تعالى عليهم ﴾ اى لا تجوز الكتابة الحالة عند الامام الشافعي رحمة الله تعالى عليه وتجوز عند ابى حنيفة رحمة الله تعالى عليه ووجه قول الامام الشافعي رحمة الله تعالى عليه ان العبد ليس له ملك يؤديه في الحال واذا عقدت حالة توجهت المطالبة عليه في الحال فان عجز عن الاداء يرد الى الرق فلا يحصل مقصود العقد كما لو اسلم في شئ لا يوجد في المحل لا يصح بخلاف مالو اسلم الى معسر فانه يجوز له ان يتصور ان يكون له ملك في الباطن فلا يتحقق العجز عن الاداء ووجه قول ابى حنيفة رحمة الله تعالى عليه ان قوله تعالى فكاتبوهم مطلق يتناول الكتابة الحالة والمؤجلة وايضا فانهم أجمعوا على جواز العتق معلقا على مال حال فالكتابة مثله لانه بدل عن العتق في الحالين الا ان في احدهما العتق معلق على شرط الاداء وفي الآخر معجل فوجب ان لا يختلف حكمهما ﴿ قوله امانة وقدرة على اداء المال ﴾ قال الامام الشافعي رحمة الله عليه اراد بالخير الامانة والقوة على الكسب لان المقصود من الكتابة فلما يحصل الا بهما فانه ينبغي ان يكون المكاتب كسوبا يحصل المال ويكون امينا يصرفه في نجومه ولا يضيعه فاذا فقد الشرطان اواحدهما لا يستحب ان يكاتبه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال * ان علتم لهم حرفة والا فلا تدعوهم كلا على الناس * وحمل الخير على المال ضعيف اما من جهة اللفظ فانه لو اريد ذلك لقيل ان علتم لهم خيرا لانه انما يقال لفلان مال ولا يقال فيه مال واما من جهة المعنى فلان العبد لا مال له فان كل ما في يده حين يكاتب فهو لسيده اكتسبه العبد في حال ما كانت يد السيد غير مقبوضة عن كسبه فلا يجوز للسيد ان يعوض بعض ماله ببعض واما ما اكتسب العبد بعد عقد الكتابة فانه مال مختص به بدأ ﴿ قوله وهو شرط الامر ﴾ اى علم الموالى فيهم خيرا شرط لاستحباب العقد المستفاد من قوله تعالى فكاتبوهم فاللازم من انتفائه انتفاء الاستحباب لا انتفاء الجواز ﴿ قوله وفي معناه حط شئ من مال الكتابة ﴾ يعنى انه تعالى امر الموالى ان يبذلوا للمالك شيأ من اموالهم المملوكة لهم الا ان الامام الشافعي رحمة الله تعالى عليه ذهب الى ان معنى الآية حطوا شيأ عنهم من بدل الكتابة ما احببتم ربعا فما دونه جعل حط ذلك فما دونه في معنى بذل شئ من ماله ولا يخلو عن بعد لان الايتاء هو الاعطاء والتمليك المطلق فلا يقع على الحط لان بدل الكتابة ليس في حكم المال المطلق الذى آتاه الله تعالى الموالى وبدل الكتابة ليس بدين صحيح لانه دين له على عبده والمولى لا يثبت له دين صحيح على عبده حتى يكون حطه عنه اعطاء وتمليكا له فالظاهر ان يقال انه امر للموالى بان

Çal 4 4 Şahit

541

Seyit Baladan haci

ahmet efendi

29-12-929 pazar günü

Çal 4 mahkemesine

gelinis

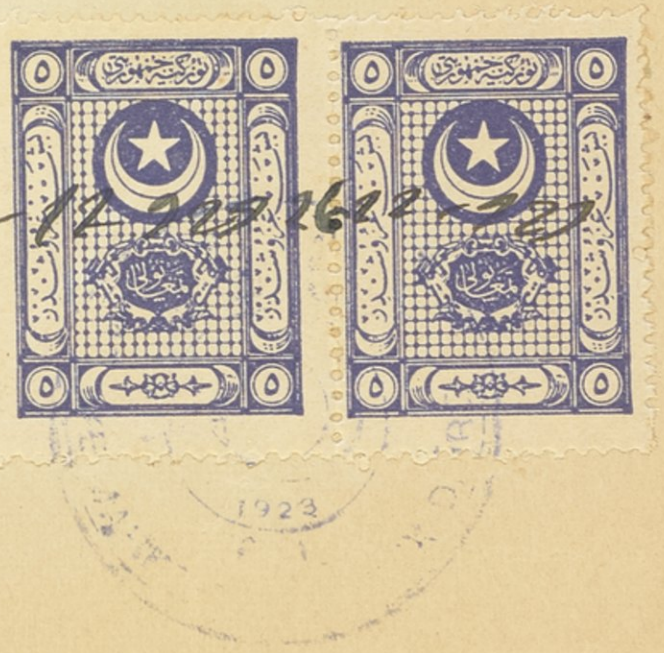

وبيان الفرق بين القضاء والقدر

قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض اى كجدب وعاهة ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب الاحكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله من قبل ان نبرأها تخلقها مؤيد لهذا ونقل عن الزجاج انه تعالى لما قال سابقوا الى مغفرة بين ان المؤدي الى الجنة او النار محاصد من بني آدم لا يكون الا بقضاء الله وقدره فان جميع الموجودات مثبتة في اللوح المحفوظ اجمالا ثم انه تفصل قضائه السابق بايجادها الى المؤدى الخارجية واحدا بعد واحد فالاول هو المسمى بالقضاء والثاني هو المسمى بالقدر

صحفه جلد خاص موسى زاده
٤٥٤

يدفعوا اليهم شيأ مما اخذوه منهم او هو امر لعامة المسلمين بان يعطوهم سهمهم الذى جعله الله تعالى لهم من الصدقات فى قوله تعالى وفى الرقاب نقل الامام عن الامام الشافعى رحمهما الله تعالى انه قال يجب على المولى ايتاء المكاتب وهو ان يحط عنه جزأ من مال الكتابة او يدفع اليه جزأ مما اخذ منه وقال الامام مالك وابو حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى انه مندوب اليه وليس بواجب ﴿قوله شرط للاكراه﴾ يعنى ان ارادة التحصن شرط للاكراه لان الاكراه لا يتصوّر الا عند ارادة التحصن فانهنّ لو لم يردن التحصن لكان زناهنّ بالطبع لا بالاكراه وان جعلت الارادة المذكورة شرط النهى يتوهم انه اذا انتفت الارادة ارتفع النهى وارتفاعه يستلزم جواز الاكراه وليس كذلك لان ارتفاع النهى انما يستلزم جواز الاكراه ان لو كان الاكراه متصوّرا حال انتفاء الارادة ولا شك انه لا يتصوّر اكراه الطائعة على الزنى فثبت ان عدم الارادة لا يستلزم جواز الاكراه والحاصل ان اكراههنّ على الزنى حرام حال ارادتهنّ التحصن وممتنع حال ارادتهنّ الفجور وقوله تعالى ان اردن تحصنا ليس المقصود منه تقييد النهى بل المقصود منه تعيير المخاطبين وتوبيخهم بان الاماء اذا رغبن فى التحصن فانتم احق بذلك مع ما فيه من الاشارة الى تقبيح حالهنّ ايضا بكونهنّ راغبات فى الزنى مائلات الى البغاء حيث اتى بكلمة ان دون اذا ﴿قوله ولذلك حرم على المكره القتل﴾ وفى الهداية وان اكره بقتل على قتل غيره لم يسعه ان يقدم عليه ويصبر حتى يقتل فان قتله كان آثما لان قتل المسلم لا يستباح لضرورة مّا فكذا لهذه الضرورة والقصاص على المكره عند ابى حنيفة ومحمد وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى يجب عليهما اى المكره والمكره وقال زفر يجب على المكره ثم ان الاكراه انما يحصل متى حصل التخويف بما يقتضى تلف النفس فاما ما ليس من التخويف فلا تصير به مكرهة ﴿قوله واوضحت فيها الاحكام﴾ لما كان المبين حكايات هذه السورة ووصفت نفس آياتها بكونها مبينات اشار الى ان اصل الاحكام مبين فيها فاتسع فى الظرف بان حذف حرف الجرّ واجرى المجرور مجرى المفعول به وقوله تعالى ومثلا عطف على آيات اى وانزلنا مثلا من امثال الذين مضوا من قبلكم اى قصة عجيبة من جنس قصصهم فان قصة عائشة رضى الله تعالى عنها كقصة يوسف ومريم عليهما السلام فى الغرابة فان قصتها ذكر فيها تهمة من برئ مما اتهم به فيوسف عليه الصلاة والسلام اتهمته زليخا ومريم اتهمها اليهود مع برآتهما وقيل المراد بالآيات القرآن * قال الامام رحمة الله تعالى عليه انه تعالى لما ذكر فى هذه السورة هذه الاحكام وختم الكلام فى الاحكام بهذه الآية وصف القرآن بصفات ثلاث احداها قوله تعالى ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات اى مفصلات وثانيتها قوله تعالى ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وروى عن الضحاك انه قال يريد بالمثل ما ذكر فى التوراة والانجيل من اقامة الحدود فانزل فى القرآن مثله وروى عن مقاتل رضى الله تعالى عنه انه قال قوله تعالى ومثلا اى شبها من حالهم بحالكم فى تكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام يعنى بينا لكم ما احللنا بهم من العقاب لتمرّدهم على الله تعالى فجعلنا ذلك مثلا لكم لتعلموا انكم اذا شاركتموهم فى المعصية كنتم مثلهم فى استحقاق العقاب وثالثتها قوله تعالى وموعظة للمتقين والمراد به الوعيد والتحذير من فعل المعاصى ثم انه تعالى لما وصف نفسه بانه انزل آيات مبينات واقام دلائل واضحات وقصة عجيبة من جنس قصص من قبلنا متضمنة لموعظة ينتفع بها المتقون عقبه بقوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة اى مظهرهما من العدم الى الوجود فان معنى النور فى اللغة هو الذى يبين الاشياء ويظهرها للابصار * واعلم ان النور على اربعة اوجه اوّلها نور يظهر الاشياء للابصار وهو لا يراها كنور الشمس وامثالها فانه يظهر الاشياء المخفية ولا يراها وثانيها نور البصر وهو لا يظهر الاشياء للابصار ولكنه يراها وهذا النور اشرف من الاوّل وثالثها نور العقل وهو يظهر الاشياء المعقولة المخفية فى ظلمة الجهل للبصائر وهو يدركها ويراها ورابعها نور الحق تعالى وهو يظهر الاشياء المعدومة المخفية فى العدم للابصار من الملك والملكوت وهو يراها فى الوجود كما كان يراها فى العدم بانها موجودة فى علم الله تعالى وان كانت معدومة فى ذواتها فما يتغير علم الله تعالى ورؤيته باظهارها فى الوجود بل كان التغيير راجعا الى ذوات الاشياء وصفاتها عند الايجاد والتكوين فقوله تعالى الله نور السموات والارض معناه والله تبارك وتعالى اعلم انه مظهرهما وموجدهما من العدم بكمال القدرة الازلية كما حققه المصنف رحمة الله تعالى عليه بقوله فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره الخ وذكروجوها اخر فى تأويل الآية الشريفة وعلى كل تأويل تكون هذه الآية الشريفة كالتعليل لما قبلها ﴿قوله وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى﴾ ضرورة ان حدوث الاجسام باسرها يستلزم حدوث الكيفيات

﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ اماءكم ﴿على البغاء﴾ على الزنى كانت لعبد الله بن ابىّ ست جوار يكرههنّ على الزنى وضرب عليهنّ الضرائب فشكا بعضهنّ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ﴿ان اردن تحصنا﴾ تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهى لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهى بامتناع المنهى عنه واشاران على اذا الان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر ﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههنّ فان الله من بعد اكراههنّ غفور رحيم﴾ اى لهنّ اوله ان تاب والاوّل اوفق للظاهر ولما فى مصحف ابن مسعود بعد اكراههنّ لهنّ غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافى المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص ﴿ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات﴾ يعنى الآيات التى بينت فى هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص فى هذا وفى الطلاق بالكسر لانها واضحات يصدّقها الكتب المتقدّمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين اولانها بينت الاحكام والحدود ﴿ومثلا من الذين خلوا من قبلكم﴾ اى ومثلا من امثال من قبلكم اى وقصة عجيبة مثل قصصهم وهى قصة عائشة فانها كقصة يوسف ومريم ﴿وموعظة للمتقين﴾ يعنى ما وعظ به فى تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القرآن وبالصفات المذكورة صفاته ﴿الله نور السموات والارض﴾ النور فى الاصل كيفية تدركها الباصرة اوّلا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوّز اما بمعنى منوّر السموات والارض

والاعراض القائمة بها فكيف يصح اطلاق الكيفية عليه تعالى والقول بكونه تعالى حالا فى الاجسام مما يحكم ببداهة العقل باستحالته فان القائم بالغير محتاج اليه والمحتاج الى الغير كيف يكون الها والمائبت فى الشرع اطلاق اسم النور عليه تعالى وانه من جملة اسمائه الشريفة الحسنى خاض النحارير من فضلاء العلماء فى توجيه اطلاقه عليه تعالى وجاء كل واحد منهم بما فى وسعه وطاقته واشار المصنف رحمة الله عليه الى ماذكروه من الوجوه فحصول الجميع انه تعالى ليس فى ذاته نورا بل انما يطلق عليه اسم النور اما بتقدير المضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوّز وذكر فيه وجوه اخر فاندفع به مايقال من ان قوله تعالى الله نور السموات والارض يقتضى ظاهرا انه تعالى فى ذاته نور وقوله مثل نوره يقتضى ان لايكون هو فى ذاته نورا بل يكون هو امرا مغايرا له مضافا اليه وبينهما تناقض فقوله تعالى الله نور السموات والارض بمعنى صاحب النور او من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة على معنى انه منوّر لكل مستنر بحيث كأنه عين نوره ومعنى تنويره انه تعالى نوّر العالم بالانوار الفائضة من الكواكب او انه تعالى نوّر العالم العلوى بالملائكة والعالم السفلى بالانبياء عليهم الصلاة والسلام بناء على تشبيه الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام بالنور بمعنى الكيفية المدركة اوّلا فى كونهما بسبب الادراك فان الكيفية المذكورة انما اختصت بالفضيلة والشرف بسبب كون المرئيات ظاهرة منجلية بسببها ويشاركها فى هذه الفضيلة اشياء اخر منها البصر وهو العين الظاهرة المدركة للاضواء والالوان ومنها البصيرة وهى القوّة العاقلة التى تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات ولما كان كل واحدة من القوّة الحساسة والعاقلة مشابهة للكيفية المذكورة فى كونها سبب الادراك صح اطلاق اسم النور عليه مجازا ومنها القرءآن العظيم والملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام فان القوّة العاقلة قد يعتريها الزيغ والخلل فى العلوم النظرية فلا بدّ لها من هاد ومرشد ولا مرشد فوق كلام الله تعالى وفوق ارشاد الانبياء فالآيات القرءآنية بالنسبة الى عين القلب بمنزلة نور الشمس الى الباصرة فلذلك سمى القرءآن نورا فى قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا وقوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا ونفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام ايضا بمنزلة نور الشمس فكما ان الشمس فى عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها فكذا نفس النبىّ يفيد الانوار العقلية لسائر النفوس البشرية ولايستفيد النور العقلى من كل شىء من الانفس البشرية فلذلك وصف الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بانه سراج منير وقد ثبت ان الانوار الحاصلة فى ارواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام مقتبسة من الانوار الحاصلة فى ارواح الملائكة عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقال تعالى ان هو الا وحى يوحى وهو لايكون الا بواسطة الملائكة فلما كان ارواح الملائكة كالمعادن لانوار عقول الانبياء كانت ارواحهم بمنزلة الانوار ايضا واقوى من عقول الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهذا هو وجه قول المصنف رحمة الله تعالى عليه انه تعالى منوّر السموات والارض بالملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿**قوله** او مدبرهما﴾ بان شبه التدبير الحسن بالنور فى كون كل واحد منهما سببا لاهتدآء الى المصالح فاطلق اسم النور على التدبير الحسن على سبيل الاستعارة التصريحية واطلق النور بهذا المعنى عليه تعالى على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة ﴿**قوله** او موجدهما﴾ على ان يكون قوله الله نورهما من باب التشبيه البليغ اى كالنور بالنسبة اليهما من حيث كونه مظهرا لهما اى موجدا فان اصل التنوير هو الظهور من ظلمة العدم وانما يظهر بتأثير قدرته تعالى ﴿**قوله** او الذى به تدرك﴾ على ان يكون المراد منه انه تعالى نور بالنسبة الى نفس السموات والارض وقوله او يدرك اهلها على ان يكون تقدير الكلام الله نور اهل السموات واهل الارض وعلى التقديرين يكون الكلام من باب التشبيه البليغ ايضا حيث شبه تعالى بالنور بمعنى الكيفية من حيث انه تعالى سبب لادراك السموات والارض بالباصرة ولادراك مافيها من وجود الدلالات على وجود الصانع ذى الجلال والاكرام بالبصيرة وذلك لان هذه الادراكات ليست مقتضى ذات البصيرة والا لما فارقتها بل هى مسندة الى سبب خارج عن ذاتها يفيض تلك الادراكات عليها وهو الله سبحانه وتعالى فهو الذى به تدرك او به يدرك اهلها فشابه النور بمعنى الكيفية فلذلك قيل على سبيل التشبيه البليغ الله نور ﴿**قوله** من حيث انه يطلق على الباصرة الخ﴾ استشهاد على اطلاق النور على مايكون سبب الادراك كالبصيرة والباصرة وان جاز ان يكون اطلاق النور على الباصرة لكونها متعلقة بالنور ومدركة اوّلا وبالذات ثم انه لما

وقد قرئ به فانه تعالى نوّرهما بالكواكب ومايفيض عنها من الانوار او بالملائكة والانبياء اومدبرهما من قولهم للرئيس الفائق فى التدبير نور القوم لانهم يهتدون به فى الامور اوموجدهما فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لماعداه او الذى به تدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به اولمشاركتها له فى توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص فى بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهى اذا من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا

بين ان الباصرة تشارك النور فى توقف الادراك على كل واحد منهما بين ان ادراك المرتب على البصيرة اقوى الادراك المرتب على الباصرة فلما كان وجه الشبه بينهما و بين النور اقوى كان اطلاق لفظ النور عليهما اقرب و اولى فان القوّة الباصرة لاتدرك نفسها و لاتدرك ادراكها و لاتدرك آلتها ايضا اما انها لاتدرك نفسها و لا ادراكها فلانهما ليسا من الامور المبصرة بالعين و اما انها لاتدرك آلتها التى هى العين فظاهر و البصيرة تدرك نفسها و تدرك ادراكها و تدرك آلتها وهى القلب و الدماغ و ايضا القوّة العاقلة تدرك الكليات و الجزئيات الموجودة و المعدومة و القوّة الباصرة لاتدرك الا الجزئيات الموجودة و ايضا القوّة العاقلة تدرك ظواهر الاشياء و بواطنها بخلاف القوّة الحسية فانها لاتدرك من الانسان مثلا الا السطح الظاهر من جسمه و الالوان القائمة بذلك السطح بالاتفاق و ليس الانسان عبارة عن مجرّد السطح و اللون فالقوّة الباصرة و ان كانت بالنسبة الى الظاهر نورا الا انها بالنسبة الى البواطن ظلمة فكانت القوّة العاقلة اشرف من الباصرة من هذا الوجه و ايضا القوّة العاقلة تتصرّف فى بواطن مدركاتها بالتركيب و التحليل فانها تضم الجنس الى الفصل فتستحدث منهما طبيعة نوعية مركبة منهما و تحلل تلك الطبيعة الواحدة المقوّمة الى مقوّماتها و الى عوارضها اللازمة و المفارقة ثم تحلل مقوّماتها الى الجنس و جنس الجنس و الفصل و فصل الفصل و جنس الفصل و فصل الجنس الى غير ذلك و القوّة الباصرة عاجزة عن النفوذ فى بواطن الماهية و اعماقها ﴿قوله و يقرب منه﴾ اى من قوله الله نور السموات و الارض قول ابن عباس معناه الخ فانه الذى به تدرك السموات لانه لما كان معنى قوله تعالى الله نور السموات و الارض انه تعالى به تدرك او يدرك اهلها على معنى انه تعالى يجعل للمكلفين من المعارف و العلوم مايهتدون به و يتخلصون به من ظلمات الكفر و الضلالات و ورطات الزيغ و الجهالات بوحى ينزله و بنبىّ يبلغه و هو قريب من قول حبر الامة رضى الله تعالى عنه معنى كونه تعالى نور السموات و الارض انه هادى من فيهما فهم بنوره مهتدون قال المصنف و يقرب منه الخ فعلى هذا شبهت الهداية بالنور فى كونها سببا للوصول الى المطلوب فاطلق اسم النور عليها على سبيل الاستعارة ثم اطلق النور بمعنى الهداية عليه تعالى على طريق رجل عدل ﴿قوله و اضافته اليهما﴾ مع ان كونه تعالى نورا باىّ معنى كان ليس بالاضافة اليهما فقط فانه تعالى صاحب لنور جميع المستنيرات و منوّرها و مدبر أمرها و موجدها ﴿قوله لم يكن على ظاهره﴾ و هو انه تعالى فى ذاته نور بل هو مؤوّل باحد التأويلات المذكورة ﴿قوله كصفة مشكاة﴾ اشارة الى ان ثمة مضافا محذوفا اى كمثل مشكاة و هو خبر لقوله مثل نوره و هذه الجملة تفسير لما قبلها فلا محل لها و قوله فيها مصباح صفة لمشكاة ﴿قوله درّى﴾ قرأ ابو عمرو و الكسائى درّىء بكسر الدال و ياء بعدها همزة و قرأ حمزة و ابو بكر عن عاصم رحمهما الله تعالى بضم الدال و ياء بعدها همزة و الباقون بضم الدال و تشديد الياء من غير همزة و المعنى انه يشبه الدرّ لصفائه و لمعانه و يحتمل ان لايكون منسوبا بل تكون الياء الاخيرة مقلوبة من الهمزة الاصلية و يكون اصله درّيئ على وزن فعيل كمرّيق و هو حب العصفر و هو القرطم ﴿قوله و قد قرئ به مقلوبا﴾ اى و قد قرئ بكسر الدال و قلب الهمزة ياء ﴿قوله تعالى توقد﴾ على وزن تفعل فعلا ماضيا مسندا الى ضمير عائد على المصباح و لايعود على الكوكب لفساد المعنى و هى قرأة ابن كثير و ابى عمرو و الثقوب التوقد و الاشتعال و من فى قوله من شجرة لابتداء الغاية و ثمة مضاف محذوف اى من زيت شجرة و الذبالة بضم الذال الفتيلة و قوله زيتونة بدل من شجرة ﴿قوله و قرأ نافع و ابن عامر و حفص بالياء﴾ اى يوقد بضم الياء من تحت و فتح القاف على بناء المفعول من اوقد و الضمير المستتر فيه يعود على المصباح و قرأ باقى السبعة كذلك الا انه بالتاء من فوق و الضمير المستتر فيه القائم مقام الفاعل يعود على الزجاجة بحذف المضاف اى يوقد مصباح الزجاجة و قرئ توقد بفتح التاء من فوق و ضم الدال مضارع توقد اصله تتوقد بتاءين فحذفت احداهما و الضمير ايضا للزجاجة ﴿قوله و قرئ يوقد﴾ اى بالياء من تحت و ضم الدال مضارع توقد اصله يتوقد بياء من تحت و تاء من فوق فحذفت التاء من فوق و هذا الحذف شاذ غريب اذ لم يتوال مثلان و لم يبق فى اللفظ مايدل على المحذوف بخلاف نحو تنزل و تلظى فان فيه تاءين و الباقى منهما يدل على ماحذف ﴿قوله تعالى لاشرقية﴾ صفة لشجرة دخلت عليها لا لتفيد النفى و قرئ لاشرقية بالرفع على اضمار مبتدأ اى لاشرقية هى و الجملة ايضا فى محل الجرّ على انها صفة لشجرة و كذا قوله يكاد زيتها يضيئ و جواب قوله و لو لم تمسسه نار محذوف اى لأضاء حذف لدلالة ماقبله عليه و الجملة حالية جيئ بها لاستقصاء الاحوال حتى فى هذه الحالة ﴿قوله فى مفيأة﴾ المفيأة و المفيؤة المكان الذى لاتطلع

ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادى من فيهما فهم بنوره يهتدون و اضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية و العقلية و قصور الادراكات البشرية عليهما و على المتعلق بهما و المدلول لهما ﴿مثل نوره﴾ صفة نوره العجيبة الشأن و اضافته الى ضميره سبحانه و تعالى دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره ﴿كمشكاة﴾ كصفة مشكاة و هى الكوّة غير النافذة ﴿فيها مصباح﴾ سراج ضخم ثاقب و قيل المشكاة الانبوبة فى وسط القنديل و المصباح الفتيلة المشتعلة ﴿المصباح فى زجاجة﴾ فى قنديل من الزجاج ﴿الزجاجة كأنها كوكب درّى﴾ مضيئ مثلأ لئ كالزهرة فى صفائه و زهرته منسوب الى الدرّ او فعيل كمرّيق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء و يدل عليه قرأة حمزة و ابى بكر على الأصل و قرأة ابى عمرو و الكسائى درّىء كشريب و قد قرئ به مقلوبا ﴿توقد من شجرة مباركة زيتونة﴾ اى ابتدأ ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بأن روّيت ذبالته بزيتها و فى ابهام الشجرة و وصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة منها تفخيم لشأنها و قرأ نافع و ابن عامر و حفص باليا و البناء للمفعول من اوقد و حمزة و الكسائى و ابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف و قرأ ابن كثير و ابو عمرو توقد بمعنى تتوقد و قرئ يوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين و هو غريب ﴿لاشرقية و لاغربية﴾ تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة او صحرآء واسعة فان ثمرتها تكون انضج و زيتها اصفى او لانابتة فى شرق المعمورة و غربها بل فى وسطها و هو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لافى مضحى تشرق الشمس عليها دآئما فتحرقها او فى مفيأة تغيب عنها دآئبا فتتركها نيئا و فى الحديث لاخير فى شجرة و لافى نبات فى مفيأة و لاخير فيهما فى مضحى

الشمس عليه هذا قول ابى عمرو وقال غيره مفياة ومفيوة بغير همزة نقيض المضحاة يقال ضحيت للشمس بكسر الحاء ضحاء بالمدّ اذا برزت لها وضحيت بالفتح والمستقبل اضحى فى اللغتين جميعا قال تعالى انك لاتظمأ فيها ولا تضحى ﴿قوله نور على نور﴾ اى فكان زيتها نورا على نور بمعنى نور المصباح على نور الزجاجة او نور النار ونور المصباح او نور الزجاجة وقوله نور على نور خبر مبتدأ محذوف اى النور الذى شبه به نور الله تعالى هو نور على نور واعلم ان الامور التى اعتبرها الله تعالى فى هذه الامثال مما يوجب كمال الضوء فاوّلها ان المصباح اذا لم يكن فى المشكاة تفرّقت اشعته واذا وضع فى المشكاة اجتمعت اشعته فكان اشدّ انارة والذى يحقق ذلك ان المصباح اذا كان فى المشكاة او كان فى بيت صغير فانه يظهر من ضوئه اكثر مما اذا كان فى البيت الكبير وثانيها ان المصباح اذا كان فى زجاجة صافية والاشعة المنفصلة عن المصباح تنعكس من بعض جوانب الزجاجة الى بعض كان الكل فى الضوء والنور من غيره لما فى الزجاجة من الصفاء والشفافة والذى يحقق ذلك ان شعاع الشمس اذا وقع على الزجاجة الصافية قوى حتى انه يظهر فيما يقابله مثل ذلك الضوء فاذا انعكست تلك الاشعة من كل واحد من جوانب الزجاجة الى الجانب الآخر كثرت الانوار والاضواء وبلغت النهاية الممكنة وثالثها ان ضوء المصباح يختلف بحسب اختلاف ما يتقد به فاذا كان ذلك الدهن صافيا خالصا كان حاله بخلاف حاله اذا كان كدرا ورابعها ان هذا الزيت يختلف بحسب اختلاف شجرته فاذا كانت لاشرقية ولا غربية بمعنى انها بارزة للشمس فى كل حالة كان ثمرها اشدّ نضجا فيكون زيته اكثر صفاء فاذا اجتمعت هذه الاربعة وتعاونت صار ذلك الضوء خالصا كاملا فيصلح ان يجعل مثلا لنور الله تعالى ﴿قوله الاوّل انه تمثيل للهدى﴾ اعلم انه لابدّ فى التشبيه من امرين المشبه والمشبه به واختلف اهل التفسير فى ان المشبه ههنا اى شئ هو وذكروا وجوها احدها وهو قول جمهور المتكلمين ان المراد به الهدى الذى هو الآيات المبينات والمعنى ان هداية الله تعالى قد بلغت فى الظهور والجلاء الى اقصى الغايات وصارت بذلك بمنزلة مشكاة يكون فيها زجاجة صافية وفى الزجاجة مصباح يوقد بزيت بلغ النهاية فى الصفاء او ان هداية الله تعالى من حيث انها فى غاية الظهور والجلاء وانها محفوفة بظلمات اوهام الناس بمنزلة المصباح الموصوف بانه مع كونه فى غاية الجلاء محفوف بظلمة المشكاة *فان قيل لم شبه بذلك وقد قالوا ان ضوء الشمس ابلغ من ذلك بكثير* اجيب بانه سبحانه وتعالى اراد ان يصف الضوء الكامل الذى يلوح وسط الظلمة لان الغالب على اوهام الخلق وخيالاتهم انما هو الشبهات التى هى كالظلمات وهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل الذى يظهر فيما بين الظلمات وهذا المقصود لا يحصل من تشبيهه بضوء الشمس لان ضوأها اذا ظهر امتلأ العالم من النور الخالص واذا غاب امتلأ العالم من الظلمة الخالصة فلا جرم كان ذلك المثل ههنا أليق واوفق ﴿قوله وانما ولى الكاف المشكاة﴾ بمنزلة دخولها على المصباح ولهذا قال بعض المفسرين ان هذه الآية من المقلوب والتقدير مثل نوره كمصباح فى مشكاة لان المشبه به نوره تعالى هو الذى يكون معدنا للنور ومنبعاله وذلك هو المصباح لا المشكاة ﴿قوله او تمثيل لمنوّر الله تعالى به قلب المؤمن﴾ وهو نور الايمان والعلوم المتعلقة بمعانى آيات كتاب الله تعالى ومعرفة المبدأ والمعاد والشرائع وهذا النور وان كان محله قلب المؤمن الا انه نور الله تعالى من حيث انه تعالى هو الذى نوّر قلبه والمقصود من التمثيل بيان ان ايمان المؤمن وما فى قلبه من العلوم والمعارف قد بلغ فى الصفاء عن الشبهات والامتياز عن ظلمات الضلالات مبلغ نور المشكاة المنعوتة ﴿قوله او تمثيل لما منح الله تعالى به عباده من القوى الدرّاكة الخمس المرتبة﴾ ذكر الامام الغزالى نفعنا الله به آمين ان القوى الدرّاكة انوار من حيث انه يظهر بها اصناف الموجودات وان مراتب القوى المدركة الانسانية خمس احداها القوّة الحساسة وهى التى تتلقى ما تدركه الحواس الخمس وتسمى الحس المشترك وثانيتها القوّة الخيالية التى تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرّضها على القوّة العقلية التى هى فوقها عند الحاجة اليه وثالثتها القوّة العقلية المدركة للحقائق الكلية ورابعتها القوّة المفكرة وهى التى تأخذ المعارف فتؤلفها تأليفا فتستنتج من تأليفها اياها علما بالمجهول وخامستها القوّة القدسية التى يختص بها الانبياء وبعض الاولياء ويتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملك والملكوت واليه الاشارة بقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وهذه المراتب الخمس يمكن تشبيهها بالامور التى ذكرها الله تعالى وهى المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فشبه الله تعالى القوّة الحساسة بالمشكاة من حيث ان محلها اى مأخذ ما ارتسم فيها كالكوى فان الحس

﴿يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار﴾ اى يكاد يضيئ بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه ﴿نور على نور﴾ نور متضاعف فان نور المصباح زاد فى انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعته وقد ذكر فى معنى التمثيل وجوه الاوّل انه تمثيل للهدى الذى دل عليه الآيات المبينات فى جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولى الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لمنوّر الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابىّ مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدرّاكة الخمس المرتبة التى ينوط بها المعاش والمعاد وهى الحساسة التى تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التى تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوّة العقلية متى شاءت والعاقلة التى تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهى التى تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم يعلم

المشترك انما يأخذ مدركاته من عدة ثقب كالعينين والاذنين والمنخرين والفم وكل واحدة من تلك الثقب تشبه كوّة غير نافذة وهى المشكاة ﴿ **قوله** ووجهها الى الظاهر ﴾ اى القوّة الحساسة وجهها الى الظاهر لا تدرك ماوراء نفسها وانما تدرك ماقدّامها كالكوّة لا تنظر الى ماوراءها لكونها غير نافذة وايضا اضاءتها ليست بنفس ذاتها بل بما ارتسم فيها من الصور المدركة كالمشكاة التى لا تضيئ بالذات بل بواسطة ماوضع فيها من المصباح وشبه القوّة الخيالية بالزجاجة من حيث انها تقبل صور المدركات من جوانب البدن كما تقبل الزجاجة الانوار الحسية من الجوانب ومن حيث انها تضبط الانوار العقلية وتحفظها كما تحفظ الزجاجة الانوار الحسية عن الانمحاء والزوال ومن حيث انها تستنير بما تشتمل عليه من المعقولات كما تستنير الزجاجة بما فيها من المصباح وشبه القوّة العقلية بالمصباح لاضاءتها بالادراك والمعارف كما يضيئ المصباح بالانوار الحسية وشبه القوّة الفكرية بالشجرة المباركة من حيث انها تؤدّى الى نتائج كثيرة وهى بمنزلة الثمرة فان المفكرة تفتتح نتائج هى ثمراتها ثم تعود فتجعل تلك الثمرات مدوّنة ثم تعود لامثالها حتى تؤدّى الى ثمرات لانهاية لها فبالحرىّ ان يكون مثلها فى هذا العالم هى الشجرة المباركة الكثيرة النفع والزيتونة المثمرة عطف على قوله كالشجرة المباركة الاوّل توضيح لكون المفكرة كالشجرة المباركة والثانى توضيح لكونها كزيتونة فان شجرة الزيتون لها فضيلة على سائر الاشجار من حيث ان لب ثمرتها هو الزيت الذى له منافع كثيرة ومن جملتها انه مادّة المصابيح والانوار الحسية وله من بين سائر الادهان زيادة الاشراق مع قلة الدخان فلذلك افاد بدال قوله زيتونة من قوله شجرة مباركة تفخيم شأن الشجرة ﴿ **قوله** التى لا تكون شرقية ولا غربية ﴾ صفة لقوله والمفكرة ولما اعتبر فى جانب المشبه بها كونها لا شرقية ولا غربية تعرّض لكونها معتبرة فى جانب المشبه ايضا لكون المشابهة من هذا الوجه فان القوّة المفكرة لما كانت مجرّدة عن اللواحق الجسمية لم تكن شرقية ولا غربية فلذلك شبهت بشجرة لا شرقية ولا غربية ﴿ **قوله** اولو قوعها بين الصور والمعانى ﴾ علة لكون المفكرة لا شرقية ولا غربية ولما لم يكن انتفاعها مختصا بجانب الصور ولا بجانب المعانى شبهت بشجرة لا شرقية ولا غربية فالموجودات الخارجية لما كانت محققة بالاصالة وكانت المعانى بحسب الاغلب منتزعة منها بافاضة الفاعل المختار اياها على النفس الناطقة على حسب مناسبات مختلفة واستعدادات شتى كان جانب الصور اشبه بكونه شرقيا وجانب المعنى بكونه غربيا وشبهت القوّة القدسية بالزيت الذى يكاد يضيئ من غير أن تمسسه نار فان القوّة القدسية لكمال صفائها وشدّة استعدادها لا تحتاج الى تعليم وتنبيه فى الاستنارة بالعلوم والمعارف ولما كانت هذه القوى مترتبة حيث كان الحس كالمقدّمة للخيال والخيال كالمقدّمة للعقل ناسب ان تجعل المشكاة كالظرف للزجاجة التى هى كالظرف للمصباح ﴿ **قوله** اوتمثيل للقوّة العقلية فى مراتبها ﴾ كما ذهب اليه ابو على ابن سينا فان النفس الناطقة بحسب استكمالها بالمطالب النظرية لها مراتب مختلفة الاولى مرتبة الاستعداد بحصول الكمال والثانية مرتبة حصول نفس الكمال ثم ان الاستعداد على ثلاث مراتب اضعفها الاستعداد المحض والنفس فى هذه المرتبة تسمى عقلا هيولانيا والاستعداد المتوسط يحصل عند حصول المعقولات الاولى وتمكن النفس من ترتيبها والانتقال منها الى المطالب النظرية والنفس فى هذه المرتبة تسمى عقلا بالملكة والاستعداد القوىّ هو استعداد استحضار المطالب بعد حصولها والذهول عنها من غير تجشم كسب جديد وتسمى النفس فى هذه المرتبة بالعقل بالفعل وتسمى فى مرتبة الكمال وهى مرتبة حصول المطالب ومشاهدتها بالعقل المستفاد وقد تطلق هذه الاسامى على انفس هذه المراتب ايضا ثم حصول المطالب من المبادى الاول ان كان ترتيبها والانتقال من بعضها الى بعض بطريق الحركة فى الكيف يسمى تحصيلها بهذه الطريق فكرا وان لم يكن بطريق الترتب والانتقال من بعضها الى بعض يسمى حدسا وهذه المراتب يصح اطلاق اسم النور عليها لكونها وسائل الى ظهور المدركات والقوّة العقلية فى مرتبة العقل الهيولانى تشبه بالمشكاة الخالية فى بدء الامر عن الانوار الحسية المستعدّة للاستنارة بها وفى مرتبة العقل بالملكة تشبه بالزجاجة المتلألئة فى نفسها الشبيهة بالكوكب الدرّى القابلة للانوار الفائضة عليها من النير الخارجىّ وقد مرّ ان القوّة العقلية فى مرتبة تمكنها من تحصيل النظريات قد يكون تمكنها منه بطريق الحركة الفكرية وقد يكون بطريق الحدس وشبه تمكنها من تحصيل النظر منه بالطريق الاولى بتمكن الزجاجة من التوقد من شجرة الزيتونة فان توقد الزجاجة من تلك الشجرة يحتاج الى تكلف واعمال مثل ان يعصر زيتونها ويستخرج زيتها وتروّى

جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة فى الآية وهى المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لا تدرك ماوراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة فى قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما تشتمل عليه من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الآلهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها الى ثمرات لانهاية لها والزيتونة المثمرة للزيت الذى هو مادّة المصابيح التى لا تكون شرقية ولا غربية لتجرّدها عن اللواحق الجسمية اولوقوعها بين الصور والمعانى متصرّفة فى القبيلين منتفعة من الجانبين والقوّة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدّة ذكائها تكاد تضيئ بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم اوتمثيل للقوّة العقلية فى مراتبها بذلك فانها فى بدء امرها خالية عن العلوم مستعدّة لقبولها كالمشكاة ثم تتنقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث يتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة فى نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوّة قدسية فكالذى يكاد زيتها يضيئ لانها تكاد تعلم ولو لم يتصل بملك الوحى والالهام الذى مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث يتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور ﴿ يهدى الله لنوره ﴾ لهذا النور الثاقب ﴿ من يشاء ﴾ فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها ﴿ ويضرب الله الامثال للناس ﴾ ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا ﴿ والله بكل شئ عليم ﴾ معقولا كان اومحسوسا ظاهرا كان اوخفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها

الفتيلة بزيتها فكذلك الاستحصال من المطالب بطريق الفكر فان النفس تحتاج فيه الى مزاولة الفكر والاعتمال فكان قوله تعالى توقد من شجرة مباركة زيتونة اشارة الى تشبيه مرتبة التمكن من الاستحصال بطريق الفكر بتوقد الزجاجة من شجرة الزيتونة وقوله تعالى يكاد زيتها اشارة الى تشبيه تمكنها بطريق الحدس بتوقد الزجاجة من الزيت ثم ان القوة النفسانية المتمكنة من الاستحصال اذا بلغت وقويت فى صفائها عن الكدورات الطبيعية الى غاية اللطافة يكون استفاضتها من عالم الغيب فى غاية الكمال والقوة حتى تكاد تعلم وان لم تتصل بملك الوحى والالهام فكان قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اشارة الى تشبيه تمكنها من تحصيل النظريات بقوة قدسية بالزجاجة التى لاتحتاج فى توقدها الى ان تمس النار زيتها بل تشتعل بمجرد صفاء الزيت الحاصل فيها فظهر بما قررناه ان للقوة العقلية فى مرتبة تمكنها من تحصيل النظريات ثلاثة اعتبارات تمكنها منه بطريق الفكر وبطريق الحدس وبالقوة القدسية وشبهت بالاعتبار الاول بالزجاجة المتوقدة من الشجر وبالاعتبار الثانى بالزجاجة المتوقدة بالزيت الذى مسته النار وبالاعتبار الثالث بالزجاجة التى لاتحتاج فى توقدها الى ان يتصل زيتها بالنار ثم انها شبهت فى مرتبة العقل بالفعل بالمصباح الذى اشتعلت فتيلته المشبعة بالزيت بمماسة النار اياها فان المدركات النظرية فى هذه المرتبة وان لم تكن بحيث تشاهدها النفس بالفعل الا انها حاصلة عندها مخزونة فيها بحيث لاتحتاج فى استحضارها الى تجشم كسب جديد فصح تشبيهها فى هذه المرتبة بالمصباح المذكور وشبهت فى مرتبة العقل المستفاد بالنور المتضاعف فان العاقلة اذا استحضرت العلوم الضرورية والنظرية بالفعل وصارت مشاهدة اياهما حصل لها نور على نور اعنى نور مشاهدة النظريات على نور مشاهدة الضروريات ونور ملكة الانتقال عنها الى النظريات ونور حصولها بالفعل وحاصل الكلام انه تعالى مثل نوره الذى اعطاه الانسان المكرم اعنى النور المعنوى الذى هو مراتب النفس الانسانية من بداية الاستكمال الى نهايته وقواها الفائضة عليه وهى القوة الفكرية والحدسية والقدسية بما ذكره من المشكاة والزجاجة والشجرة والزيتونة والزيت الذى مسته النار والزيت الذى يكاد يضيء من غير ان تمسه النار والمصباح ونور على نور فظهر بما ذكرنا وجه الترتيب المذكور فى الآية

قوله متعلق بما قبله ﴿ اى صفة لمشكاة او متعلق بمحذوف او متعلق بقوله توقد * ولما ورد ان يقال ان المقصود من التمثيل تفخيم شأنه اى شأن نور الله تعالى من حيث الوضوح والجلاء وتشبيهه بما هو فى غاية الانارة والجلاء فلابد ان يكون لكل واحد من القيود المعتبرة فى المشبه به مدخل فى ذلك ولامدخل لكون المشكاة المنعوتة فى المساجد ولا لكون المصباح الكائن فيها يوقد فى المساجد فى زيادة المصباح المذكور انارة واضاءة فأى فائدة فى اعتباره فى جانب المشبه به * اشار الى دفعه بقوله فيكون تقييدا للمثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان اصل التحبير قد حصل بباقى القيود المذكورة وباعتبار كونها فى المساجد تحصيل المبالغة فى التحبير وفى الصحاح تحبير الخط والشعر وغيرهما تحسينه وقوله او تمثيلا عطف على قوله تحبيرا وهو مبنى على ان يكون المشبه نور المؤمن فانه لما اعتبر فى جانب المشبه به كون المشكاة التى فيها المصباح واقعة فى المساجد لزم ان يعتبر فى جانب المشبه ايضا كون القلب المنور واقعا فيما يشبه المساجد وهو اما صلاته او بدنه فان كل واحد من الصلاة والبدن لما كان محلا لانواع العبادات شابه المسجد كأنه قيل مثل مانور الله تعالى به قلب المؤمن وهو فى الصلاة او قلبه الموضوع فى بدنه كمثل المشكاة المنعوتة فيكون التشبيه مفردا شبه قلبه بالمشكاة ومافيه من النور بنور المصباح الموصوف وصلاته وبدنه بالمسجد ﴿ **قوله** ولا ينافى جمع البيوت وحدة المشكاة ﴾ جواب عما يقال كيف يجوز ان يكون قوله فى بيوت صفة مشكاة وهى واحدة والمشكاة الواحدة لاتكون فى بيوت * وحاصل الجواب ان التنكير فى قوله تعالى كمشكاة وفى قوله تعالى فيها مصباح وفى قوله تعالى فى زجاجة وفى قوله تعالى كأنها كوكب درى للنوعية لا للفردية ﴿ **قوله** وفيها تكرير ﴾ جواب عما يقال لاوجه لكون قوله تعالى فى بيوت متعلقا بالفعل المذكور بعده وهو يسبح لانه يصير المعنى حينئذ فى بيوت اذن الله تعالى يسبح له فيها فيكون قوله فيها تكريرا بلافائدة * فأجاب عنه بان التكرير لاجل التأكيد كثير ﴿ **قوله** او بمحذوف مثل سبحوا فى بيوت ﴾ وهذه الجملة مرتبة على قوله تعالى الله نور السموات والارض اى الله نور السموات فسبحوه فى بيوت الا انه ترك الفاء للعلم به كما يقال قم فيدعوك والمراد قم فانه يدعوك ﴿ **قوله** والمراد بها المساجد ﴾ اى لامطلق البيوت لان المراد بالاذن الامر وفى البيوت مالم يأمر الله تعالى بان يرفع سواء كان الرفع بمعنى البناء كما فى قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت او بمعنى التعظيم

(ورفع)

(فى بيوت) متعلق بما قبله اى كمشكاة فى بعض بيوت او توقد فى بعض بيوت فيكون تقييدا للمثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلاة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولاينافى جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لابذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا فى بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم (اذن الله ان ترفع) بالبناء او التعظيم (ويذكر فيها اسمه) عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة فى افعاله والمباحثة فى احكامه (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) ينزهونه اى يصلون له فيها بالغدوات والعشايا والغدو مصدر اطلق الوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرىء والايصال وهو الدخول فى الاصيل

وقرأ ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدوّ ﴿ لاتلهيهم تجارة ﴾ لاتشغلهم معاملة رابحة ﴿ ولا بيع عن ذكر الله ﴾ مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو الاهم من قسمى التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه اصلها ومبدأها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر فى كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار ﴿ واقام الصلاة ﴾ عوّض فيه الاضافة عن التاء المعوّضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله

* واخلفوك عد الامر الذى وعدوا *

﴿ وايتاء الزكاة ﴾ مايجب اخراجه من المال للمستحقين ﴿ يخافون يوما ﴾ مع ماهم عليه من الذكر والطاعة ﴿ تتقلب فيه القلوب والابصار ﴾ تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب مالم تكن تفقه وتبصر الابصار مالم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اىّ ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ﴿ ليجزيهم الله ﴾ متعلق بيسبح اولاتلهيهم او يخافون ﴿ احسن ماعملوا ﴾ احسن جزآء ماعملوا او الموعود لهم من الجنة ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم يخطر ببالهم ﴿ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان ﴿ والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة ﴾ والذين كفروا حالهم على ضدّ ذلك فان اعمالهم التى يحسبونها صالحة نافعة عندالله يجدونها لاغية مخيبة فى العاقبة كالسراب وهو مايرى فى الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظنّ انه ماء يسرب اى يجرى والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات فى ديمة ﴿ يحسبه الظمئان ماء ﴾ اى العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به فى شدّة الخيبة عند مسيس الحاجة ﴿ حتى اذا جاءه ﴾ جاء ماتوهمه ماء او موضعه ﴿ لم يجده شيأ ﴾ مما ظنه ﴿ ووجد الله عنده ﴾ عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه ﴿ فوفاه حسابه ﴾ استعراضا او مجازاة ﴿ والله سريع الحساب ﴾ لايشغله حساب عن حساب روى انها نزلت فى عتبة بن ربيعة بن امية تعبد فى الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر ﴿ او كظلمات ﴾ عطف على كسراب وأو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لامنفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات فى الدنيا والسراب فى الآخرة ﴿ فى بحر لجىّ ﴾ ذى لج اى عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء ﴿ يغشاه ﴾ يغشى البحر ﴿ موج من فوقه موج ﴾ اى امواج مترادفة متراكمة ﴿ من فوقه ﴾ من فوق الموج الثانى ﴿ سحاب ﴾ غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ﴿ ظلمات ﴾ اى هذه ظلمات ﴿ بعضها فوق بعض ﴾ وقرأ ابن كثير ظلمات بالجرّ على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب اليها فى رواية البزّى ﴿ اذا اخرج يده ﴾ وهى اقرب مايرى اليه ﴿ لم يكد يراها ﴾ لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها كقوله * اذا غير النأى المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح *

ورفع القدر وايضا فيها مالم يأمر الله تعالى بان يذكر فيه اسمه فهذه الاوصاف انما تليق بالمساجد اىّ مسجد كان وتخصيصها بالمساجد الثلاثة المسجد الحرام الذى بناه ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام ومسجد بيت المقدس الذى بناه داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ومسجد المدينة الذى بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتناول المسجد الذى فيه الروضة المنوّرة ومسجد قبا الذى اسس على التقوى تخصيص بلا دليل والغدوّ مصدر يقال غدا يغدو غدوّا اذا دخل فى وقت الغدوّ وهو مابين صلاة الغداة وطلوع الشمس والمصدر لايقع فيه الفعل فلابدّ من تقدير الزمان معه ليقع الفعل فيه فقوله تعالى يسبح له فيها بالغدوّ من قبيل آتيك طلوع الشمس اى وقت طلوعها من حيث انه عبر عن الوقت بالمصدر واما الآصال فانه اسم للوقت لانه جمع اصيل وهو الوقت بعد العصر الى المغرب كشريف واشراف ويجمع الاصيل ايضا على اصل واصائل ﴿ قوله ﴾ وقرأ ابن عامر وعاصم ﴾ اى برواية ابى بكر فانه يقرأ على رواية حفص عنه يسبح بفتح الباء كباقى السبعة فيكون الفعل مسندا الى احد الظروف الثلاثة اعنى له فيها بالغدوّ ويكون رجال مرفوعا بفعل مضمر يدل عليه يسبح الظاهر لانه لما قيل يسبح له فيها فكأنه قيل من يسبحه فقيل رجال اى يسبحه رجال كما فى قوله * لبيك يزيد ضارع لخصومة * كأنه قيل من يبكيه فقيل يبكيه ضارع وقرئ تسبح بالتاء وكسر الباء لان رجال يعامل معاملة المؤنث فى بعض الاحكام وهذا منها وقرئ بالتاء وفتح الباء على اسناد الفعل الى الاوقات المذكورة بعده وكون الباء زآئدة والاصل تسبح الغدوّ والآصال بمعنى تسبح الاوقات التى يعبر عنها بالغدوّ والآصال جعل الاوقات مسبحة على طريق صام نهاره والمراد يسبح رب هذه الاوقات فيها ﴿ قوله ﴾ وفيه ايماء بانهم تجار ﴾ الا انهم مع ذلك لايشغلهم عن ذكر الله تعالى شئ من ضروب المعاملات وقيل ان الآية نزلت فى الذين لايشتغلون بالتجارة والبيع بل كانوا فرّغوا انفسهم لذكر الله تعالى وطاعته كاصحاب الصفة واشار المصنف رحمة الله تعالى عليه الى ضعف هذا القول بقوله وفيه ايماء اذ ماذكره هذا القائل لاتتبادر اليه الاذهان قال الحسن رضى الله تعالى عنه اما والله انهم كانوا ليتجرون ولكن اذا جاءت فرآئض الله لم يلههم عنها شئ فقاموا بالصلاة والزكاة ﴿ قوله ﴾ واقام الصلاة ﴾ اى باتمامها برعاية جميع ماعتبره الشرع فيها من الاركان والشرآئط والسنن والآداب فمن تساهل فى شئ منها لايكون مقيما لها واصله اقوام قلبت الواو ألفا فاجتمع ألفان فحذفت احداهما لالتقاء الساكنين فبقى اقام ثم ادخلت الهاء عوضا عن الالف المحذوفة فقيل اقامة ثم حذفت تلك الهاء حال الاضافة وجعلت الاضافة قائمة مقام الهاء المحذوفة فى كونها عوضا قيل المراد بذكر الله تعالى الثناء على الله تعالى والدعوات والظاهر ان المراد به جميع مايتضمن ذكره تعالى وتخصيص اقامة الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر بعد التعميم تعظيم لشأنهما لكونهما أهم اقسام ذكره تعالى وقوله تعالى يخافون يوما يجوز ان يكون نعتا ثانيا لرجال وان يكون حالا من مفعول لاتلهيهم ويوما مفعول به لاظرف على الاظهر وتتقلب صفة ليوما ﴿ قوله ﴾ وتخصيصه ﴾ يعنى تخصيص الظمئان بالذكر مع ان جميع من ينظر اليه سوآء كان ظمئان ام لا يظنه ماء جاريا لان من ليس بظمئان اذا جاءه ولم يجده ماء لم يحصل له خيبة مما احتاج اليه بخلاف العطشان فانه يصير خائبا مما اشتدّ احتياجه اليه فكذلك الكافر فانه ان كان ما اتى به من اعمال البرّ فى الدنيا كصلة الرحم واقراء الضيف واعتاق الرقاب واراقة الدماء ونحو ذلك مما يعتقد ان له ثوابا عليه فهو لايستحق عليه ثوابا وان كان من افعال الاثم فهو يستحق عليه عقابا مع انه يعتقد انه يستحق عليه ثوابا فحيثما كان تعتقد ان له ثوابا عند الله تعالى فاذا اتى عرصة القيامة ولم يجد الثواب الذى يحتاج اليه بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمه فتشبيه حاله حال الظمئان الذى تشتدّ حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب من بعيد يتعلق قلبه به ويرجو النجاة مما هو فيه ويقوى طمعه فاذا جاءه ولم يجد شيأ مما حسبه وهو الماء فحينئذ يعظم عليه ذلك فيزداد خيبة وحسرة وهذا المثال فى غاية الحسن ﴿ قوله ﴾ لم يجده شيأ مما ظنه ﴾ اشارة الى جواب مايقال من ان قوله حتى اذا جاءه يدل على كونه شيأ وقوله لم يجده شيأ ينفى ماثبته وهو تناقض ﴿ قوله ﴾ استعراضا ﴾ اى يوفيه الله تعالى حسابه بان يقول له اعرض علىّ ماعملته وما ادّخرته ليومك هذا من قولهم استعرضت فلانا اذا قلت له اعرض علىّ ماعندك وقوله اوما مجازاة على عمله بان يوفيه الله تعالى جزآءه المستحق بعمله فاحسبه خيرا يعود عليه شرّا وماطمع فيه ثوابا اعقبه الله عقابا لانه تعالى ابطله بكفره ﴿ قوله ﴾ رسيس الهوى ﴾ فعيل بمعنى فاعل من رس الحب فى الفؤاد اذا ثبت فالرسيس الشئ الثابت

والضمائر للواقع فى البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ﴿ومن لم يجعل الله له نورا﴾ ومن لم يقدّر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها

الذى لاينفك عما لقيه وبالجملة مايصدر من الكافر من العقائد والاقوال والاعمال لكونها خالية عن نور هداية الله تعالى وتوفيقه وعن نور دلائل الحق وبراهينه العقلية والنقلية وعن تقليد اهل الحق كانت تلك العقائد والاعمال والاقوال كلها كالظلمات المتراكمة فان الكافر لا يهتدى بقلبه ولا بسمعه ولا ببصره الى ماهو الحق المقبول عندالله تعالى فلايدرى الحق ولايدرى انه لايدرى ويعتقد انه يدرى فيشتدّ اصراره على ماهو عليه من الكفر وانواع الضلالات والجهالات فيكون كالواقع فى قعر البحر ذى اللجة اى التى هى معظم الماء الغمر البعيد القعر الذى يغشاه اى يعلو ذلك البحر اللجىّ موج من فوق ذلك الموج موج آخر من فوق الموج الاعلى سحاب فمن كان فى هذه الظلمات يكون حاله خلاف من احاط به نور توفيق الله تعالى وهدايته ونور الدلائل العقلية والنقلية من الكتاب والسنة والاتباع لسيرة العلماء والصالحين فكانوا فى نور على نور ﴿قوله الم تعلم﴾ يعنى ان المراد بالرؤية رؤية القلب لان تسبيح المسبحين لا يتعلق به رؤية البصر والكلام وان كان على صورة الاستفهام الا ان المراد التقرير اى قد علمت وتيقنت بالوحى والاستدلال وعبر عن الرؤية بالعلم للدلالة على ان المقصود تقرير العلم النازل منزلة المشاهدة والعيان فى الوثاقة والايقان وحمل من فى السموات والارض على اهلهما مطلقا من العقلاء وغيرهم باعتبار التغليب ومن المعلوم ان اهلهما مطلقا لاينطقون بالتسبيح ولايتكلمون به بل المراد بتسبيحهم الدلالة على كونه تعالى منزّها عن النقائص بلسان المقال او الحال وقوله او الملائكة عطف على اهل السموات وقوله بمايدل متعلق بينزّه ذاته وتخصيص الطير بالذكر على ان تكون كلمة من تعم العقلاء وغيرهم لكونه اظهر دلالة على تنزيه الصانع وعلى كمال قدرته ﴿قوله اى قد علم الله﴾ على ان يكون علم مسندا الى ضمير اسم الله تعالى ويكون ضميرا صلاته وتسبيحه راجعين الى كل ويكون المعنى كل جنس من المذكورين قد علم الله صلاته اى دعاءه وتسبيحه له فيما يحتاج اليه اى يعلم صلاته كيف يصلى وتسبيحه كيف يسبح ويؤيد هذا المعنى اسناد العلم اليه تعالى فى قوله والله عليم بمايفعلون اى بمايفعل الحيوان اختيارا والجماد طبعا من الصلاة والتسبيح وغيرهما ﴿قوله او علم كل﴾ على ان يكون الضمائر كلها راجعة الى كل والمعنى كل قد علم صلاة نفسه وتسبيحها على معنى انهم يعلمون مايجب عليهم من الصلاة والتسبيح على ان يكون قوله علم استعارة تبعية بان شبه دلالة كل واحد من المذكورين على الحق بلسان الحال او المقال وميل كل واحد منهم الى النفع اختيارا او طبعا بحال من يعلم التسبيح والصلاة فيطلق على كل واحد من تلك الدلالة والميل اسم العلم على سبيل الاستعارة واشتق منه لفظ علم وههنا احتمال ثالث لم يذكره المصنف رحمة الله تعالى عليه وهو عكس الاحتمال الاوّل بان يكون ضمير علم راجعا الى كل وضمير صلاته وتسبيحه راجعين اليه تعالى والمعنى كل من هذه الاجناس قد علم صلاة الله وتسبيحه روى عن ابى ثابت رضى الله تعالى عنه انه قال كنت جالسا عند ابى جعفر الباقر فقال رضى الله عنه أتدرى ماذا تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قلت لا قال فانهنّ يقدسن ربهنّ ويسألنه قوت يومهنّ واستبعد المتكلمون ذلك فقالوا الطير لو كانت عارفة بالله لكانت كالعقلاء الذين يفقهون ويعلمون ويفهمون وشاركتنا لكنها ليست كذلك فانا نعلم بالضرورة انها اشدّ نقصانا من الصبىّ الذى لايعرف هذه الامور فبأن يمتنع ذلك منها اولى واذا ثبت انها لاتعرف الله تعالى استحال كونها مسبحة له بالنطق فثبت انها لاتسبح الله تعالى الا بلسان الحال وقال بعض اهل العلم رحمة الله تعالى عليهم انا نشاهد ان الله سبحانه وتعالى ألهم الطيور وسائر الحشرات اعمالا لطيفة يعجز عنها اكثر العقلاء واذا كان الامر كذلك فلم لايجوز ان يلهمها معرفته ودعاءه وتسبيحه وان كانت غير عارفة لسائر الامور التى يعرفها الناس فالمصنف رحمة الله تعالى عليه اختار ماذهب اليه المتكلمون ثم اشار الى قول هذا البعض بقوله مع انه لا يبعد ان يلهم الله تعالى الطير الخ ﴿قوله فانه الخالق لهما الخ مع قوله واليه مرجع الجميع﴾ اشارة الى ان هذه الآية الكريمة مع وجازة نظمها تدل على انه تعالى مبدئ جميع الكائنات ومعيدها وكفى بهذه معرفة وموعظة ﴿قوله بان يكون قزعا﴾ وهو بفتحتين جمع قزعة وهى قطعة من السحاب رقيقة والمقصود الاشارة الى دفع مايقال من ان لفظ بين لايقع الا مضافا الى متعدّد وههنا قد اضيف الى ضمير سحاب وهو شئ واحد * وحاصل الجواب ان لفظ السحاب اسم جنس يصح اطلاقه على سحابة واحدة وعلى مافوقها والمراد هنا قطع السحاب بقرينة اضافة بين الى ضميره والركم جمعك شيأ فوق شئ حتى تجعله مركوما مجتمعا ﴿قوله اى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد﴾ على ان تكون من الاولى لابتداء الغاية وهى كذلك بالاتفاق وكذلك الثانية بناء على انها مع مجرورها بدل من الاولى

محذوف اى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان تكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول

(بدل)

بدل اشتمال باعادة العامل ولا تستقيم البدلية الا بتوافقهما فى المعنى فلو قلت خرجت من مصر من محلة كذا لا تكون الاولى والثانية الا لابتداء الغاية وبين الجبال بقوله من برد اى ينزل جبال فى السماء هى برد وقدّرت ينزل لان البدل فى حكم تكرار العامل فعلى هذا الوجه وجب ان يكون مفعول ينزل محذوفا وهو بردا لان المنزل من الجبال وهى البرد برد وان جعلت الثانية للتبعيض والثالثة للبيان يكون من جبال مفعول ينزل والمعنى وينزل من السماء بعض الجبال التى هى البرد فالمنزل برد لان بعض البرد برد وان جعلت الاوليان للابتداء والثالثة للتبعيض يكون المفعول من برد والتقدير وينزل بعض برد من السماء من جبال فيها اى قطع عظام كائنة فى السحاب تشبه الجبال فى عظمها وفى جمودها وصلابتها فان الجسم الشديد المتحجر يقال له جبل لتحجره وجموده ﴿قوله﴾ وقد يبرد الهواء ﴿﴾ يعنى ان ماذكر من السحاب والمطر والثلج والبرد يتكوّن فى الاغلب من تكاثف البخار وقد يتكوّن من تكاثف الهواء اما الاوّل فان البخار الصاعد ان كان قليلا وكان فى الهواء من الحرارة ما يحلل ذلك البخار فحينئذ ينحل ويتقلب هواء وان كان البخار كثيرا ولم يكن فى الهواء من الحرارة ما يحلله فتلك الابخرة المتصاعدة اما ان تبلغ فى صعودها الى الطبقة الباردة من الهواء اولا تبلغ فان بلغت فاما ان يكون البرد قويا اولا فان لم يكن البرد هناك قويا تكاثف ذلك البخار بذلك القدر من البرد واجتمع فالبخار المجتمع هو السحاب والمتقاطر هو المطر واما ان كان البرد هناك شديدا فلا يخلو اما ان يصل البرد الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها وانعقادها سحابا او بعد صيرورتها كذلك فان كان على الوجه الاوّل نزل ثلجا وان كان على الوجه الثانى نزل بردا وقد ينعقد السحاب بانقباض الهواء وذلك عند ما يبرد الهواء بردا مفرطا ﴿قوله﴾ والضمير ﴿﴾ اى ضمير به للبرد اى يصيب الله بذلك البرد من يشاء من الناس فيضرّه فى زرعه وثمرته وماشيته ويصرفه عمن يشاء من الناس فلا يضرّه فى شئ منها ﴿قوله﴾ ضوء برقة ﴿﴾ يعنى ان السنا مقصورا بمعنى الضوء يقال سنا يسنو سنا اى اضاء يضئ والمعنى يكاد ضوء برق السحاب يذهب بالابصار من شدّة ضوئه والبرق الذى يكون صفته ذلك لابدّ ان يكون نارا عظيمة خالصة والنار ضدّ الهواء والبرد فظهوره فى خلال السحاب يقتضى ظهور الضدّ من الضدّ وذلك لا يمكن الا بقدرة قادر حكيم ﴿قوله﴾ فيما تقدّم ذكره ﴿﴾ اى من عجائب صنعه من قوله يزجى سحابا الى قوله تعالى يقلب الله الليل والنهار * واعلم انه تعالى استدل على وحدانيته اوّلا بقوله تعالى ألم تر ان الله يسبح له من وثانيا بقوله الم تر ان الله يزجى سحابا فالاوّل استدلال باحوال اهل السماء والارض والثانى استدلال بالآثار العلوية ثم استدل ثالثا باحوال الحيوانات فقال والله خلق كل دابة من ماء واختار المصنف ان تكون كلمة من متعلقة بخلق وانها لابتداء الغاية والمعنى خلق من ماء كل دابة فورد عليه ان كثيرا من الحيوانات لم يخلق من الماء سواء فسر الماء بالجنس الذى هو احد العناصر الاربعة او بماء الذكر والانثى وهو النطفة كالملائكة فانهم خلقوا من نور والجن فانهم خلقوا من نار وكآدم فانه خلق من تراب وكعيسى فانه خلق من روح قال تعالى خلقته من تراب وقال فنفخنا فيها من روحنا واشار المصنف بقوله حيوان يدب على الارض الى ان الدابة ليست عبارة عن مطلق ما يمشى ويتحرّك بل هى اسم للحيوان الذى يدب على الارض ومسكنه هنالك فيخرج منها الملائكة والجنّ واشار الى دفع الانتقاض بآدم وعيسى بان المراد بالماء ماهو احد العناصر وبكونه مبدأ الخلقة كونه جزأ من مادّة كل دابة فان اعضاء الحيوان لا تخلو عن رطوبة ما فالظاهر على هذا ان تنوين دابة للافراد وان يكون كل بمعنى الجميع وان يكون تنوين ماء للوحدة الجنسية او النوعية والمعنى خلق جميع افراد الدابة مع اختلاف اشكالها وطبائعها من شئ واحد وهو عنصر الماء او النطفة فلابدّ ان يكون اختصاص كل واحد منها بما يخصها مستندا الى صانع قادر على كل شئ ثم اشار بقوله وقيل من ماء متعلق بدابة اى متعلق بمحذوف على انه صفة لدابة الى جواب آخر لانه اذا كان المعنى ان كل دابة كائنة من ماء مخلوقة لله تعالى لا يرد النقض بشئ مما ذكر ﴿قوله﴾ وانما سمى الزحف مشيا ﴿﴾ يعنى ان المشى هو قطع المسافة والمرور عليها مع قيد كون ذلك المرور على الارجل واطلق فى الآية على المرور مطلقا على سبيل الاستعارة حيث كان الاطلاق المذكور مبنيا على التشبيه ومثل هذا المجاز وهو ان تكون الكلمة موضوعة للحقيقة مع قيد فتستعمل تلك الحقيقة من غير اعتبار ذلك القيد يسميه صاحب المفتاح مجازا مرسلا ويشترط فى الاستعارة ان تكون مفيدة متضمنة للمبالغة فى التشبيه بان ينسى التشبيه ويدّعى ان المشبه من عداد المشبه به كاستعمال لفظ الاسد فى الرجل الشجاع مثلا ولا فائدة فى مثل هذا المجاز لكون كل واحد من اللفظين بمنزلة المرادف للآخر عند المصير

وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما فى الارض جبال من حجر وليس فى العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتدّ البرد تقاطر مطرا وان اشتدّ فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك لابدّ وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله ﴿ فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء ﴾ والضمير للبرد ﴿ يكاد سنا برقه ﴾ ضوء برقه وقرئ بالمدّ بمعنى العلوّ وبادغام الدال فى السين وبرقه بفتح الراء وهو جمع برقة وهى المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع ﴿ يذهب بالابصار ﴾ بأبصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضدّ من الضدّ وقرئ يذهب على زيادة الباء ﴿ يقلب الله الليل والنهار ﴾ بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحرّ والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك ﴿ ان فى ذلك ﴾ فيما تقدّم ذكره ﴿ لعبرة لاولى الابصار ﴾ لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضى اليها لمن يرجع الى بصيرة ﴿ والله خلق كل دابة ﴾ حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائى خالق كل دابة بالاضافة ﴿ من ماء ﴾ هو جزؤ مادّته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق ﴿ فمنهم من يمشى على بطنه ﴾ كالحية وانما سمى الزحف مشيا

على الاستعارة او المشاكلة ﴿ ومنهم من يمشى على رجلين ﴾ كالانس والطير ﴿ ومنهم من يمشى على اربع ﴾ كالنعم والوحش ويندرج فيه ماله اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ماهو اعرف فى القدرة ﴿ يخلق الله مايشاء ﴾ مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور فى الاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته ﴿ ان الله على كل شئ قدير ﴾ فيفعل مايشاء ﴿ لقد انزلنا آيات مبينات ﴾ للحقائق بانواع الدلائل ﴿ والله يهدى من يشاء ﴾ بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول ﴾ نزلت فى بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبى عليه الصلاة والسلام وقيل فى مغيرة بن وائل خاصم عليا رضى الله عنه فى ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ واطعنا ﴾ اى واطعنا لهما ﴿ ثم يتولى ﴾ بالامتناع عن قبول حكمه ﴿ فريق منهم ﴾ من بعد ذلك ﴿ بعد قولهم هذا ﴿ وما اولئك بالمؤمنين ﴾ اشارة الى القائلين بأسرهم فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق المتولى منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون فى الايمان او الثابتون عليه ﴿ واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ﴾ اى ليحكم النبى صلى الله عليه وسلم فانه الحاكم ظاهرا او المدعوّ اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه فى الحقيقة حكم الله ﴿ اذا فريق منهم معرضون ﴾ فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لاتحكم لهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه ﴿ وان يكن لهم الحق ﴾ اى الحكم لاعليهم ﴿ يأتوا اليه مذعنين ﴾ منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص ﴿ أفى قلوبهم مرض ﴾ كفر او ميل الى الظلم ﴿ ام ارتابوا ﴾ بان رأوا منك تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم بك ﴿ ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ﴾ فى الحكومة

الى المراد من اللفظ فان المشى والزحف على البطن كالمترادفين وكذا نحو المرسن والانف فان المرسن موضوع لمعنى الانف مع قيد ان يكون عليه الرسن الا ان المصنف وصاحب الكشاف جعلاه من قبيل الاستعارة لابتنائه على التشبيه ﴿ قوله الاستعارة او المشاكلة ﴾ والنسخة المشهورة على الاستعارة للمشاكلة بجعل قصد المشاكلة علة لاثبار قصد طريق الاستعارة وجعلها علة مستقلة لها صحيح ايضا كما وقع فى الكشاف ﴿ قوله وتذكير الضمير ﴾ مع ان ظاهر النظم يقتضى تأنيثه لكونه راجعا الى قوله دابة من حيث ان اسم الدابة يقع على العقلاء وغيرهم فغلب العقلاء على غيرهم ولما عبر عن جملة الدواب بلفظ العقلاء وهو ضمير منهم ناسب ان يعبر عن الاصناف المندرجة تحتها ايضا بذلك ليوافق التفصيل الجملة فلذلك عبر عن تلك الاصناف بكلمة من التى حقها ان تطلق على العقلاء ﴿ قوله والترتيب ﴾ اى حيث قدّم الزاحف على الماشى على رجلين وهو على الماشى على اربع والاستدلال بها وباختلاف صورها وطبائعها وقواها على وجود الصانع وصفات كماله من حيث ان الآية الكريمة مسوقة لبيان قدرة الله تعالى ومشى من يمشى بغير آلة المشى اثبت لها ثم مشى من يمشى على رجلين اثبت لها بالنسبة الى مشى من يمشى على اربع اذا اختصاص كل واحد من هذه الحيوانات بأشكالها واعضائها وطبائعها ومقادير ابدانها واعمارها لابدّ وان يكون بتدبير مدبر قاهر قادر على كل مايشاء ﴿ قوله نزلت فى بشر المنافق ﴾ عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف وهو منافق يقول ان محمدا يحيف علينا ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودى ولم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودى لعمر قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصمنى اليك فقال للمنافق أكذلك فقال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل واخذ سيفه فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل عليه الصلاة والسلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وقد مضت قصتهما فى سورة النساء وقال الضحاك نزلت فى المغيرة بن وائل كان بينه وبين علىّ بن ابى طالب ارض فتقاسماها فوقع الى علىّ مالا يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة يعنى ارضك فباعها فتقابضا فقيل للمغيرة اخذت ارضا لاينالها الماء فقال لعلىّ اقبض ارضك فانما اشتريتها ان رضيتها فلا ينالها الماء فقال علىّ بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وقد عرفت حالها لااقبلها منك ودعاه الى ان يخاصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يقضى وانا اخاف ان يحيف علىّ فنزلت والحيف الجور والظلم ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى ذكر دلائل الوحدانية والالوهية اوّلا وجعل ذكرها توطئة لذم قوم اعترفوا بالدين بألسنتهم ولكنهم لم يقبلوه بقلوبهم كما روى عن الحسن البصرى انه قال نزلت فى المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرّون الكفر ﴿ قوله ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه ﴾ اى يتولى بذلك عن قوله واطعنا ﴿ قوله وسلب الايمان عنهم لتوليهم ﴾ الذى هو من امارات التكذيب فعلى هذا يكون المراد بالقائلين جميع من ادّعى الايمان مخلصا كان او منافقا والايمان انما سلب عمن تولى منهم ﴿ قوله او الثابتون عليه ﴾ مبنى على ان تكون الاشارة الى الفريق المتولى منهم على طريق اللف والنشر المرتب والحاصل ان الضمير فى قوله تعالى ويقولون يجوز ان يكون لقوم منافقين ويكون المراد بالتولى التولى عن الطاعة بعد التزامها بقولهم واطعنا وكلمة ثم يجوز ان تكون للتراخى الزمانى وان تكون استبعادا للتولى عن قولهم آمنا واطعنا فعلى هذا يكون قوله وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين جميعا ويجوز ان يكون الضمير المذكور لقوم مؤمنين ومعنى يتولى ان بعضهم لايثبتون على الايمان وبعضهم يثبتون عليه فتكون الاشارة الى الفريق المتولى ﴿ قوله اى ليحكم النبى عليه الصلاة والسلام فانه الحاكم ظاهرا ﴾ جواب عما يقال كيف افرد ضمير ليحكم بعد قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله اى الى كتاب الله تعالى وحكم رسوله لانه من المعلوم البين انهم لايدعون الى نفس ذاته تعالى وكان الظاهر ان يقال ليحكما بينهم * وتقرير الجواب ان الداعى يعلم ان الحاكم حقيقة هو الله تعالى وكتابه لكن ذلك الحكم انما يظهر ويتبين بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فكان الحاكم المدعوّ اليه بحسب الظاهر هو الرسول وكان ذكر الله لتعظيمه عليه الصلاة والسلام بالاشعار بمكانته عند الله فان حكمه فى الحقيقة حكم الله تعالى ﴿ قوله تعالى أفى قلوبهم مرض ﴾ استفهام تقرير للذم والتوبيخ كما فى قوله

* ألست من القوم الذين تعاهدوا * على اللؤم والفحشاء فى سالف الدهر *

ويقع فى مقام المدح والثناء ايضا كما فى قوله

* ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح *

وكلمة ام فى قوله تعالى ام ارتابوا ام يخافون منقطعة مقدّرة ببل والهمزة اى بل ارتابوا بل يخافون بين الله تعالى سبب اعراضهم وامتناعهم عن المحاكمة الى الرسول على سبيل الاستفهام التقريرى فقال ان ذلك لكفرهم اولميلهم الى ظلم من له الحق عليهم ثم اضرب عن ذلك قائلا ان السبب فيه أهو اطلاعهم على مايريبهم فى عدله وامانته ثم اضرب عنه الى انه هل هو مجرّد خوفهم من ظلمه عليهم من غير ان يطلعوا على مايريبهم ثم اضرب عن الاحتمالين الاخيرين بابطالهما ليتعين الاحتمال الاوّل للسببية ويحتمل ان تكون كلمة ام متصلة مؤدية لمساواة الاحتمالات المذكورة فى كونها سببا للاعراض عن المحاكمة اليه عليه الصلاة والسلام ويكون الاضراب الاخير ابطالا للاحتمالين الاخيرين ﴿قوله﴾ وظلمهم يعم خلل عقيدتهم ﴿﴾ لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والمشرك ظالم لنفسه مبين ثم انه تعالى لما بين احوال المنافقين وعدم موافقة افعالهم لاقوالهم بين ان الواجب على الذين يقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا حين دعوا الى كتاب الله تعالى وحكم رسوله ان يقولوا سمعنا واطعنا اى سمعنا الدعاء واطعنا بالاجابة والقبول والجمهور على نصب قول المؤمنين على انه خبر كان والاسم ان المصدرية مع مافى حيزها وقرئ قول بالرفع على انه اسم كان وخبره ان يقولوا والنصب اقوى لانه متى اجتمع معرفتان فالاولى ان يجعل الاعرف منهما الاسم والآخر خبره وقوله ان يقولوا سمعنا اعرف من قول المؤمنين وذلك لان الفعل المصدّر بأن المصدرية فى تأويل المصدر المضاف الى الفاعل فاذا كان فاعله معرفة كما فى هذا المقام كان فى معنى المصدر المضاف الى المعرفة فيكون معرفة ولا يمكن تنكيره لان عزل الفعل عن فاعله غير متصوّر بخلاف قول المؤمنين لانه اذا لم يضف وقيل قول للمؤمنين عاد نكرة ولان ان بصلتها تشبه المضمر من حيث انه لا يجوز وصفها كما لا يجوز وصف المضمر والمضمر من قول المؤمنين الا ان سيبويه لم يفرّق هذه التفرقة بل جوّز ان يكون كل واحد من المعرفتين اسما والاخر خبرا وان كان الثانى اوغل فى التعريف من الاوّل ﴿قوله﴾ واسناده الى ضمير مصدره ﴿﴾ اى ليحكم الحكم بينهم لان ليحكم دال على مصدره فيكون مذكورا معنى فيصح عود الضمير اليه ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا اى لقد وقع التقطع بينكم ﴿قوله﴾ وقالون عن نافع بلا ياء ﴿﴾ يعنى انه قرئ يتقه بكسر القاف والهاء من غير ياء الوصل بعد الهاء وقرأ العامة بياء ملفوظة بعد الهاء وهو الاصل فيما اذا تحرّك الحرف قبل الهاء وماروى عن نافع مبنى على ان الياء المحذوفة قبل الهاء مقدّرة منوية فلم تعتبر الحركة التى قبل الهاء فحرّكت الهاء من غير صلة قال مكى يجب على من اسكن القاف ان يضم الهاء لان هاء الكناية اذا سكن ماقبلها ولم يكن الساكن ياء تضم نحو منه وعنه ولكن لما كان سكون القاف عارضا لم يعتدّ به وأبقى الهاء على كسرتها التى كانت عليها قبل سكون القاف ﴿قوله﴾ وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء ﴿﴾ اى مع كسر القاف وقرأ حفص يتقه ساكنة القاف فان العين تسكن اذا كانت من كلمة واحدة نحو كبد وكتف فى كبد وكتف ثم اجرى ماشبه ذلك من المنفصل مجرى المتصل بناء على ان تقه من قولنا يتقه بمنزلة كبد وكتف فسكن وسطه كما سكن وسطهما ومنه قوله * قالت سليمى اشترلنا سويقا * بسكون الراء ﴿قوله﴾ واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار للامتناع عن حكمه ﴿﴾ عن مقاتل وغيره قالوا لما بين الله اعراض المنافقين وامتناعهم عن قبول حكمه عليه الصلاة والسلام اتواه فقالوا والله لو امرتنا ان نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا وان امرتنا بالجهاد لجاهدنا فأنزل الله تعالى قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم فجهد ايمانهم منصوب على انه مصدر فعله المحذوف والاصل واقسموا بالله يجهدون ايمانهم جهدا اى يبالغون فى اليمين ويبلغون غاية شدّتها ووكادتها من قولهم جهد فلان نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها وفى المغرب جهده اى حمله فوق طاقته من باب منع ولما لم يكن لليمين وسع وطاقة حتى يبلغ المنافقون اقصى وسع اليمين ويبلغون غاية شدّتها ووكادتها وطاقتها كان قوله يجهدون اليمين استعارة شبه مبالغتهم فى اليمين بجهد النفس وتكليفها المشقة وذكر جهد اليمين واريد المبالغة فيها ثم قيل يجهدون ايمانهم جهدا ثم حذف الفعل وقدّم المصدر على المفعول واضيف اليه فوضع المصدر المضاف موضع فعله فصار جهد ايمانهم ولما كان الفعل المحذوف مع مافى حيزه فى موضع النصب على انه حال من فاعل اقسموا كان المصدر الواقع موقعه فى حكم الحال كانه قيل واقسموا بالله مبالغين فى تأكيد حلفهم جاهدين ايمانهم ﴿قوله﴾ جواب لأقسموا

﴿بل اولئك هم الظالمون﴾ اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاوّل ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او فى الحاكم والثانى اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوّته وفرط امانته يمنعه فتعين الاوّل وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفى ذلك عن غيرهم سيما المدعوّ الى حكمه ﴿انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون﴾ على عادته تعالى فى اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ماينبغى بعد انكاره لما لا ينبغى وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ فيما يأمر انه او فى الفرائض والسنن ﴿ويخش الله﴾ على ماصدر عنه من الذنوب ﴿ويتقه﴾ فيما بقى من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف وخفف الهاء فى الوقف ساكنة بالاتفاق ﴿فاولئك هم الفائزون﴾ بالنعيم المقيم ﴿واقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ انكار للامتناع عن حكمه ﴿لئن امرتهم﴾ بالخروج عن ديارهم واموالهم ﴿ليخرجن﴾ جواب لأقسموا على الحكاية ﴿قل لا تقسموا﴾ على الكذب ﴿طاعة معروفة﴾ اى المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة او طاعة معروفة أمثل منها اوليكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة ﴿ان الله خبير بما تعملون﴾ فلا يخفى عليه سرائركم

عليه وسلم ﴿ماحمل﴾ من التبليغ ﴿وعليكم ماحملتم﴾ من الامتثال ﴿وان تطيعوه﴾ فى حكمه ﴿تهتدوا﴾ الى الحق ﴿وماعلى الرسول الا البلاغ المبين﴾ التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادّى وانما بقى ماحملتم فان ادّيتم فلكم وان توليتم فعليكم ﴿وعد الله الذى آمنوا منكم وعملوا الصالحات﴾ خطاب للرسول والامة اوله ولمن معه ومن للبيان ﴿ليستخلفنهم فى الارض﴾ ليجعلنهم خلفاء متصرّفين فى الارض تصرّف الملوك فى مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد فى تحققه منزل منزلة القسم ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ يعنى بنى اسرآئيل استخلفهم فى مصر والشام بعد الجبابرة وقرأ ابو بكر بضم التاء وكسر اللام واذا ابتدأ ضم الالف والباقون بفتحهما واذا ابتدأوا كسروا الالف ﴿وليمكنّن لهم دينهم الذى ارتضى لهم﴾ وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت ﴿وليبدّلنهم من بعد خوفهم﴾ من الاعداء وقرأ ابن كثير وابو بكر بالتخفيف ﴿أمنا﴾ منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى أنجز الله وعده فأظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوّة بالاخبار عن الغيب على ماهو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه فى الآخرة ﴿يعبدوننى﴾ حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضى للاستخلاف والامن ﴿لا يشركون بى شيأ﴾ حال من الواو اى يعبدوننى غير مشركين ﴿ومن كفر﴾ ومن ارتدّ او كفر هذه النعمة ﴿بعد ذلك﴾ بعد الوعد او حصول الخلافة ﴿فاولئك هم الفاسقون﴾ الكاملون فى فسقهم حيث ارتدّوا بعد وضوح مثل هذه الآيات او كفروا تلك النعمة العظيمة ﴿واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول﴾ فى سائر ماامركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المأمور به

لان الموطئة فى قولهم لئن امرتهم جعلت مايأتى بعد الشرط المذكور جوابا للقسم لاجزآء للشرط وكان جزآء الشرط مضمرا مدلولا عليه بجواب القسم فان جواب القسم وجواب الشرط لما كانا متماثلين اقتصر على جواب القسم واضمر جواب الشرط الا انه جواب على حكاية قول المنافقين حين اقسموا للرسول فانه تعالى لما حكى عنهم قسمهم بقوله واقسموا ذكر المقسم عليه ايضا على سبيل الحكاية فقال ليخرجنّ بطريق الغيبة فان نفس كلامهم معه عليه الصلاة والسلام هكذا والله انا لنقبل جميع احكامك ونطيعك فى جميع ماتأمرنا لئن امرتنا بالخروج لنخرجنّ معك فغير الكلام الى الغيبة عند الحكاية ﴿قوله امر بتبليغ ماخاطبهم الله به على الحكاية﴾ عنه تعالى لانه لو كان قوله اطيعوا الله الى آخر الآية من كلام الرسول خاطب به قومه لكان الظاهر ان يقول واطيعوا الله واطيعونى فان توليتم فانما علىّ ماحملت من تبليغ الرسالة وان تطيعونى تهتدوا وماعلىّ الا البلاغ المبين فلما ذكر النبى عليه الصلاة والسلام فى جميع ذلك بلفظ الغيبة ظهر انه كلام الله تعالى وحكاية رسوله اياه وانه تعالى امر رسوله بان يبلغ هذا الخطاب اليهم غاية مافى الباب انه تعالى لم يقل اطيعونى بل عبر عن ذاته المقدّسة بلفظ الغيبة ايماء الى علة وجوب طاعته عليهم ﴿قوله مبالغة فى تبكيتهم﴾ علة لقوله خاطبهم الله به ووجه المبالغة فى التبكيت على تقدير ان يكون الله تعالى هو الذى خاطبهم بذلك ان توجه خطاب الله اليهم وروده عليهم ألزم للحكم والخم للخصم بالنسبة الى ان يخاطبهم الرسول بذلك ويوجب عليهم طاعة الله تعالى وطاعة نفسه فان فى مخاطبته تعالى اياهم من دهشة المخاطب وعجزه عن التزام الجواب ماليس فى خطابه عليه السلام بذلك ﴿قوله خطاب للرسول والامة﴾ سواء كانت الامة امة دعوة او اجابة فتكون كلمة من فى قوله منكم للتبعيض فان الذين تحقق منهم الايمان وقت نزول الآية بعض من الامة مطلقا واما اذا كان خطاب منكم له عليه الصلاة والسلام ولمن معه من المؤمنين فحينئذ يكون من للبيان لا للتبعيض لان الموعود لهم هم المخاطبون لا بعض منهم ﴿قوله بالتقوية والتثبيت﴾ متعلق بقوله وليمكنن يعنى ان المراد بتمكين الدين تقويته واظهاره على الاديان كلها لانه تعالى اذا أعز الاسلام ونصر المسلمين على اعدآء الدين واورثهم ارض الكفرة وديارهم وجعلهم خلفاء اهلها بالتسلط والاستيلاء لاجرم تصير المسلمون متمكنين فى الارض مستولين عليها فيعلو الاسلام على سائر الاديان ويتقوى وقرأ العامة كما استخلف على بناء الفاعل وقرأ ابو بكر وليبدّلنهم بفتح الباء وتشديد الدال وقرأ ابن كثير وابو بكر بسكون الباء وتخفيف الدال من ابدله صلاحا بعد غى بمعنى رزقه صلاحا بدل الغى ويقال ابدله الله من الخوف امنا قال ابو العالية فى هذه الآية مكث النبى صلى الله عليه وسلم بعد الوحى بمكة عشر سنين مع اصحابه وامروا بالصبر على اذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم امروا بالهجرة الى المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق احدمنهم سلاحه فقال رجل منهم امايأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فانزل الله تعالى هذه الآية ﴿قوله بالاخبار عن الغيب على ماهو به﴾ فان الاستخلاف الموعود لاشك انه غيب وقد وجد هذا الموعود على الوجه الموافق للخبر مثل هذا الخبر معجز والمعجز دليل صدق مدّعى النبوّة ثم انه تعالى وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين وقت نزول الآية بدليل صيغة الماضى فى قوله آمنوا وعملوا وخطاب المشافهة فى قوله منكم ان يستخلفهم استخلافا كاستخلاف بنى اسرآئيل فى مصر والشام بعد الجبابرة وهذا الموعود والموعود عليه الذى هو الايمان والعمل الصالح لم يجتمع لغير الخلفاء الراشدين بالاجماع فهم المستخلفون فى الارض باستخلاف الله اياهم واختيارهم على غيرهم * فان قلت كيف صح ان يقال المستخلفون هم الخلفاء فقط وسائر المؤمنين كانوا شركاءهم فى ذلك * قلت كانوا هم الاصول والملوك وكان سائر الناس اتباعا لهم فى ذلك فكانوا هم المستخلفين لا غير وقد حصل فى ايامهم الفتوحات العظيمة وحصل التمكين وظهر الدين والامن فدلت هذه الآية على صحة خلافتهم قال عليه السلام * الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا * اذ كانت خلافة ابى بكر سنتين وخلافة عمر عشرا وخلافة عثمان اثنتى عشرة وخلافة على ست سنين ﴿قوله وقيل الخوف من العذاب﴾ عطف على قوله من بعد خوفهم من الاعدآء أمنا منهم ﴿قوله او كفر هذه النعمة﴾ قال المفسرون اوّل من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان فما قتلوه غير الله تعالى مابهم من الامن وأدخل عليهم الخوف الذى رفعه عنهم حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا متحابين ﴿قوله ولا يبعد عطف ذلك﴾ يعنى ان بعد مابين المتعاطفين بتخلل الفاصل المستطيل بينهما لا يمنع العطف لانه ينبنى على تحقيق المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفاصل يؤكد المغايرة لان

المجاورة مظنة الاتصال والاتحاد بخلاف المضاف والمضاف اليه فان شدّة اتصالهما مانعة من توسط الفاصل بينهما مع ان للفصل ههنا فائدة جليلة وهى الاشعار بان الجملة المتخللة وهى قوله تعالى وعدالله الذين آمنوا منكم الآية مما هو مهمّ بشأنه وانها متصلة بما يتعلق بالمعطوف عليه وهو قوله تعالى فان تولوا كأنه قيل فان توليتم عن الطاعة فاضررتموهم وانما ضررتم انفسكم لانه عليه الصلاة والسلام قد خرج من عهدة ما كلف به واما انتم فعليكم ما كلفتم به من الطاعة والانقياد على تقدير توليكم فيؤاخذكم الله تعالى بذلك فى الدنيا والآخرة اما فى الدنيا فبأن يستخلف اهل الايمان والطاعة ويسلطهم على اهل الكفر والعصيان ويعذبهم بايدى المؤمنين بل يستأصلهم بالمرّة فكان الفاصل من تمة المعطوف عليه وقوله ولايبعد يشعر بانه يجوز ان لايكون معطوفا على قوله اطيعوا الله ولعل وجهه ان قوله واقيموا الصلاة من باب الالتفات من الغيبة الى الخطاب كأنه قيل يعبدوننى ولا يشركون بى شيأ ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الرسول والذى يحسن هذا الالتفات الخطاب الذى فى قوله قبل ذلك منكم وعطف اقام الصلاة وايتاء الزكاة على قوله يعبدوننى ايذانا بشرفهما ومزيد قدرهما عندالله تعالى لانه من باب عطف جبرائيل على الملائكة ﴿قوله﴾ وتعليق الرحمة بها ﴿على تقدير ان يكون المعنى اطيعوا الله واطيعوا الرسول على رجاء الرحمة ﴿قوله﴾ او بالمندرجة هى فيه ﴿لتعليق الرحمة بمجموع الامور التى اندرجت فيها طاعة الرسول على ان يكون المعنى افعلوا هذه الامور على رجاء الرحمة كما علق الهدى بالطاعة فى قوله وان تطيعوه تهتدوا ﴿قوله﴾ لاتحسبنّ يامحمد ﴿قرأ العامّة تحسبنّ بتاء الخطاب ومثل هذا الحسبان وان كان لايتصوّر منه عليه الصلاة والسلام الا انه نهى عنه مبالغة فى تسليته ولان خطابه فى حكم خطاب امّته لكونه رئيسهم وامامهم ومفعولا فعل الحسبان هما الاسم الموصول مع قوله معجزين وفاعله ضمير النبى عليه الصلاة والسلام ويحتمل ان يكون لاتحسبنّ خطابا عاما لكل من يصح ان يكون مخاطبا وهذه الآية نزلت تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه وايذائهم والمعنى لاتحسبنهم يسبقوننا اى يفوتوننا عذابنا فانه لاحق بهم لامحالة امّا عاجلا واما آجلا وذكر على القرآءة بياء الغيبة ثلاثة اوجه الاوّل ان يكون فاعل الحسبان ضمير النبى صلى الله عليه وسلم والذين كفروا معجزين مفعوليه والمعنى لايحسبنهم النبى معجزين والثانى ان يكون الفاعل الذين كفروا وفى المفعول حينئذ احتمالان الاوّل ان يكون معجزين فى الارض مفعوليه والمعنى لايحسبنّ الذين كفروا احدا يعجزالله ثابتا فى الارض حتى يطمعوا بذلك فى ان يعجزوا الله ويفوتوا عذابه وحسابه على ان معجزين اوّل المفعولين وفى الارض ثانيهما وحق المفعول الاوّل فى باب حسبت ان يكون معرفة وجاز ههنا وقوعه نكرة لكون معجزين صفة موصوف اى احدا يعجزالله ولما كان احدا واقعا فى سياق النفى افاد العموم فجاز وصفه بالجمع بذلك الاعتبار والاحتمال الثانى على تقدير ان يكون الذين كفروا هو الفاعل وان يكون معجزين مفعولا ثانيا ويكون مفعوله الاوّل محذوفا والاصل لايحسبنّ الذين كفروا معجزين اى لايحسبن الكفرة انفسهم معجزين والاقتصار على احد مفعولى باب حسبت وان كان ضعيفا عندالبصريين الا انه سوّغه فى الآية كون الفاعل والمفعولين عبارة عن شئ واحد فاكتفى بذكر اثنين منها عن ذكر الثالث ﴿قوله﴾ عطف عليه ﴿اى على قوله لايحسبنّ الذين كفروا وهى جملة انشائية فعلية وهذه الجملة خبرية اسمية فلاوجه لعطف احداهما على الاخرى الا ان الجملة الفعلية الانشائية لما كانت فى حكم الاسمية الخبرية جاز ان تعطف عليها الاسمية وذلك لان دخول فعل الحسبان وعدم دخوله على الجملة الاسمية لايغير المعنى الاصلى فكان قوله لايحسبن الذين كفروا معجزين فى قوّة ان يقال الذين كفروا ليسوا معجزين لان المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز ﴿قوله﴾ والمراد به ﴿اى بقوله يا ايها الذين آمنوا خطاب الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات جميعا وان كان الظاهر كونه خطابا للرجال فقط ووجه الاستدلال بما روى على دخول الفريقين فى الخطاب بطريق التغليب ان الآية لما نزلت بسبب كراهة الانثى دخول الغلام عليها بغير استئذان دل ذلك على عموم الخطاب للفريقين جميعا* واعلم ان ظاهر الآية امر المماليك والاطفال بالاستئذان والمقصود امر المؤمنين بان يمنعوا هؤلاء من الدخول عليهم فى هذه الاوقات اذلو كان المقصود المماليك والاطفال بالذات لما كان لتخصيص النداء والخطاب بالمؤمنين وجه واما الوجه فى عدم ندآء المماليك والاحرار الصغار وخطابهم بالامر بان يستأذنوا من الموالى والاولياء الاشارة الى انهم لقلة معرفتهم وغلبة الجهل عليهم نازلون عن حيز صلاحية الخطاب وان

فيكون تكريرا للامر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للتأكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هى فيه بقوله ﴿لعلكم ترحمون﴾ كما علق به الهدى ﴿لاتحسبنّ الذين كفروا معجزين فى الارض﴾ لاتحسبنّ يامحمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفى الارض صلة معجزين او لايحسبنّ الكفار فى الارض احدا يعجزالله فيكون معجزين فى الارض مفعوليه اولا يحسبوهم معجزين فحذف المفعول الاوّل لان الفاعل والمفعولين لشئ واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاوّل فى الاحتمالات ﴿ومأواهم النار﴾ عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين ومأواهم النار لانّ المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز ﴿ولبئس المصير﴾ المأوى الذى يصيرون اليه ﴿ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم﴾ رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ من الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال

وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان يدخلوا هذه السامات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبىّ صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله ﴿ثلاث مرّات﴾ فى اليوم والليلة مرّة ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرّات او الرفع خبر المحذوف اى هى من قبل صلاة الفجر ﴿وحين تضعون ثيابكم﴾ اى ثيابكم لليقظة للقيلولة ﴿من الظهيرة﴾ بيان للحين ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ لانه وقت التجرّد عن اللباس والالتحاف باللحاف ﴿ثلاث عورات لكم﴾ اى هى ثلاثة اوقات يختل فيها تسترّكم ويجوز ان يكون مبتدأ وما بعده خبره واصل العورة الخلل ومنها اعورّ المكان ورجل اعور وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالنصب بدلا من ثلاث مرّات ﴿ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهنّ﴾ بعد هذه الاوقات فى ترك الاستئذان ولبس فيه ما ينافى آية الاستئذان فينسخها لانه فى الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك فى الاحرار البالغين ﴿طوّافون عليكم﴾ اى هم طوّافون استئناف ببيان العذر المرخص فى ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا فى الفرق بين الاوقات الثلاثة وغيرها بانها عورات ﴿بعضكم على بعض﴾ بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض ﴿كذلك﴾ مثل ذلك التبيين ﴿يبين الله لكم الآيات﴾ اى الاحكام ﴿والله عليم﴾ باحوالكم ﴿حكيم﴾ فيما شرع لكم ﴿واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾ الذين بلغوا من قبلهم فى الاوقات كلها واستدل به من اوجب استئذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم ﴿كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾ كرره تأكيدا ومبالغة فى الامر بالاستئذان ﴿والقواعد من النساء﴾ العجائز التى قعدن عن الحيض والحمل ﴿اللاتى لا يرجون نكاحا﴾ لا يطمعن فيه لكبرهنّ (عن)

السادات والاولياء هم المخاطبون بتعليم من هو فى عيالهم وتحت ايديهم والقيام بما يحتاجون اليه فى امر دينهم ودنياهم والتأديب على ذلك ان نبت نفوسهم عن الامتثال ﴿قوله بنت ابى مرثد﴾ روى بالشين المعجمة فى نسخ وروى بالثاء المثلثة قيل هذه الآية احدى الآيات المنزلة بسبب عمر رضى الله عنه اذ روى عنه انه قال وافقنى ربى فى ثلاث فى الاستئذان وفى الحجاب حيث قال الله تعالى فاسألوهنّ من وراء حجاب وفى الاتخاذ من مقام ابراهيم مصلى وهذه الآية دلت على ان من لم يبلغ الحلم يؤمر بفعل الشرائع وينهى عن ارتكاب القبائح فانه تعالى امرهم بالاستئذان فى هذه الاوقات وقال عليه الصلاة والسلام* مروهم بالصلاة وهم ابناء سبع واضربوهم على تركها وهم ابناء عشر* وقال ابن مسعود اذا بلغ الصبىّ عشر سنين كتبت له حسناته ولا تكتب عليه سيئاته حتى يحتلم* واعلم انه انما يؤمر بذلك تمرينا له ليعتاد ويسهل عليه بعد البلوغ ﴿قوله تعالى ثلاث مرات﴾ على انه ظرف زمان اى ليستأذنكم ثلاثة اوقات ثم فسر تلك الاوقات بقوله من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء وقيل انه منصوب على المصدرية اى ثلاث استئذانات لانك اذا قلت ضربت ثلاث مرات لا يفهم منه الا ثلاث ضربات ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام* الاستئذان ثلاث* وهذا وجه ظاهر لولا القرينة الصارفة عن هذا المعنى وهى التفسير بالاوقات الثلاثة المذكورة والقيلولة النوم فى الظهيرة والالتحاف التغطى يقال التحفت بالثوب اى تغطيت به ﴿قوله اى هى ثلاثة اوقات يختل فيها تسترّكم﴾ يعنى ان ثلاث عورات مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف قال اوّلا ليستأذنكم المماليك والاطفال ثلاث مرّات ثم فصل الثلاث بقوله من قبل صلاة الفجر الآية ثم اجمل بعد التفصيل فقال هذه ثلاث عورات لكم تنبيها على علة وجوب الاستئذان عليهم فى هذه الاوقات والعورة الخلل الذى يرى فيه ما يراد ستره وسميت الاوقات المذكورة عورات مع انها ليست نفس العورات بل هى اوقات العورات على طريق تسمية الشئ باسم ما يقع فيه مبالغة فى كونه محلا لها والمصنف اشار الى هذا المعنى بقوله هى ثلاثة اوقات يختل فيها تسترّكم حيث لم يجعل الاوقات المذكورة نفس الاختلال بل اوقاتا له ﴿قوله وليس فيه ما ينافى آية الاستئذان﴾ يعنى انه قد قيل ان قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها يدل على ان الاستئذان واجب فى كل حال فصار ذلك منسوخا بهذه الآية فى غير هذه الاحوال الثلاث فقال المصنف لا منافاة بين ان يستأذن الاحرار البالغون فى جميع الاحوال وبين ان لا يستأذن الاطفال ومماليك المدخول عليهم الا فى هذه الاحوال الثلاث حتى يصار الى النسخ ﴿قوله وفيه دليل﴾ اى فى قوله طوّافون عليكم وكذا فى الفرق بين هذه الاوقات الثلاثة وبين ما عداها بانها اوقات عورات دون ما عداها دليل على ان الواجب اعتبار العلل فى الاحكام الشرعية اذا امكن وان كل حكم شرعى له علة تلك العلة هى الحكمة فى مشروعية ذلك الحكم وارتفاع بعضكم اما على الابتداء او على انه فاعل فعل محذوف لدلالة طوّافون عليه اى المماليك والاطفال يطوفون عليكم للخدمة وانتم تطوفون عليهم للاستخدام فلو كلفتم الاستئذان فى كل طوفة اى فى هذه الاوقات الثلاثة وغيرها لضاق الامر عليكم فلذلك رخص لكم فى ترك الاستئذان فيما ورآء هذه الاوقات الثلاثة ﴿قوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم﴾ اى من الاحرار فليستأذنوا فى الدخول استئذانا مثل استئذان الذين بلغوا من قبلهم يعنى ان من يتجدّد فيه البلوغ يجب ان يستأذن للدخول فى كل الاوقات كما يستأذن الكبار الذين تقدّم بلوغهم كذلك ووجه الاستدلال بهذه الآية على استئذان العبد على سيدته ان لفظ الاطفال يتناول المماليك والاحرار من الصبيان فيجب الاستئذان على كل واحد من الفريقين اذا بلغ الحلم بحكم هذه الآية كما ذهب اليه الحنفية قال الامام النسفى فى تفسير قوله تعالى ولا يبدين زينتهنّ الا لبعولتهنّ او آبائهنّ الى قوله او نسائهنّ ان المراد بنسائهنّ الحرائر المسلمات وبما ملكت ايمانهنّ اماؤهنّ فلا يتناول الغلام والجارية جميعا قلنا قال سمرة بن جندب لا تغرنكم هذه الآية فانها نزلت فى الاماء انتهى وقال المصنف فى تفسير او ما ملكت ايمانهنّ يعم الاماء والعبيد واستدل عليه بالحديث ثم قال وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبى واجاب ههنا عن الاستدلال المذكور بان تعريف الاطفال للعهد والمعهود الاطفال الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرج المماليك فيهم ﴿قوله تعالى والقواعد﴾ جمع قاعد وهى المرأة التى قعدت عن الحيض والولد لكبر سنها ولم تدخلها تاء التأنيث لاختصاصها بالمرأة قيل واذا اردت القعود بمعنى الجلوس قلت قاعدة* قال الامام الاولى ان لا يعتبر قعودهنّ

عن الحيض لان ذلك ينقطع فيهن بآفة دون بلوغهن الى سن لا يرغب فيهن الرجال فالمراد قعودهن عن حال التزوج وذلك لا يكون الا اذا بلغن فى السن بحيث لا يرغب فيهن الرجال والقواعد مبتدأ ومن النساء حال من المستكن فى القواعد واللاتى صفة القواعد لا النساء وجملة فليس عليهن جناح خبر المبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط لان الف واللام فيه بمعنى اللاتى اولان المبتدأ موصوف بالاسم الموصول ولو كان الموصول مبتدأ لجاز دخول الفاء فى خبره فجاز ذلك ايضا اذا كان صفة للمبتدأ وغير متبرجات حال من عليهن ﴿قوله اى الثياب الظاهرة﴾ خص الثياب بالظاهرة لانه لا شك فى انه تعالى لم يأذن لهن فى ان يضعن جميع ثيابهن لما فيه من كشف العورة كلها ﴿قوله من استقذارهم﴾ اى من استكراه الاصحاء المؤاكلة معهم لان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت عين اكيله اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح فى مجلسه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة كريهة او انف يذن او جرح يد يبض اذا اخذ بها يسيل ونحو ذلك ﴿قوله او اكلهم﴾ عطف على مؤاكلة الاصحاء وقوله مخافة علة لقوله يتحرجون فى اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون اليهم مفاتيح بيوتهم وخزائنهم ويقولون قد حللنا لكم ان تأكلوا مما فى بيوتنا فكانوا يتحرجون من بيوتهم ويقولون لا ندخلها وهم غيب فنزلت رخصة لهم ﴿قوله او من اجابة﴾ عطف ايضا على مؤاكلة الاصحاء يعنى ان ضعفاء المؤمنين كانوا يدخلون على بعض اصدقائهم لطلب الطعام فاذا لم يكن عندهم طعام يطعمونه يدعونهم ويذهبون بهم الى بيوت آبائهم او اولادهم او اقاربهم فيطعمونهم منها فلما نزل قوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم اى بيعا فعند ذلك امتنع الناس ان يأكل بعضهم من طعام بعض فنزلت هذه الآية وعلل المصنف تحرجهم بقوله كراهة ان يكونوا كلا عليهم والكل بفتح الكاف وتشديد اللام الملال والتعب والثقل والجمع الكلول ولم يجمع ههنا لكونه مصدرا فى الاصل ﴿قوله وهذا﴾ اى انتفاء الحرج فى اجابة من يدعوهم الى البيوت المذكورة ويأخذ الاكل منها يتوقف على رضى صاحب البيت باذنه صريحا او بما هو قرين الاذن وهو دلالة الحال كالقرابة والصداقة ونحو ذلك وقيل جواز الاكل من هذه البيوت بغير اذن مالكيها كان فى صدر الاسلام ثم نسخ ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام *لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس * ومما يدل على هذا النسخ قوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وكان فى ازواج النبى صلى الله عليه وسلم من لهن الآباء والاخوال وقد عم النهى عن دخول بيوتهم الا بعد الاذن فى الدخول وفى الاكل ﴿قوله وقيل نفى للحرج عنهم فى القعود عن الجهاد﴾ اى لا فيما يتعلق بالاكل والمعنى ليس على هؤلاء حرج فى القعود عن الغزو ولا عليكم فى ان تأكلوا من البيوت المذكورة وهذا كلام صحيح فى تحرجه لاستواء الطائفتين فى نفى الحرج عنهم وهذا مثل ان يستفتيك مسافر عن الافطار فى رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ولا عليك يا حاج فى ان تقدم الحلق على النحر ولم يرض المصنف بهذا التأويل حيث قال وهذا لا يلائم ماقبله ولا ما بعده فانه قيل اوّلا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن وقيل آخرا ولا على انفسكم ان تأكلوا فبين فيهما ما نفى كونه جناحا ولم يبين ذلك فى قوله ليس على الاعمى حرج فينبغى ان يبين بما يلائم ماقبله ومابعده والقعود عن الغزو لا يلائم شيأ منهما ﴿قوله من البيوت التى فيها ازواجكم وعيالكم﴾ اى ليس المعنى ان تأكلوا من البيوت التى تسكنون فيها بانفسكم وفيها طعامكم وسائر اموالكم لان الناس لا يتحرجون عن اكل طعامهم فى بيوت انفسهم فينبغى ان يكون المعنى من بيوت الذين كانوا فى حكم انفسكم لشدة الاتصال بينهم وبينكم كالازواج والاولاد ونحوهما فان بيت المرأة كبيت الزوج وكذا بيت الاولاد فلذلك يضيف الزوج بيت زوجته الى نفسه وكذا الاب يضيف بيت ولده الى نفسه ﴿قوله وقيل بيوت المماليك﴾ لم يرض بان يفسر ما ملكتم مفاتحه ببيوت المماليك لان بيوتهم داخلة فى عموم قوله تعالى ان تأكلوا من بيوتكم فلا وجه لافراده بالذكر وملك المفاتح كناية عن كون المال فى يد الرجل وحفظه فالمعنى ليس عليكم جناح ان تأكلوا من اموال لكم يد عليها لكن لا من اعيانها بل من اتباعها وغلاتها كثمرة البستان ولبن الماشية ﴿قوله والمفاتح جمع مفتح﴾ والمفاتيح جمع مفتاح وكلاهما آلة الفتح وقيل المفاتح الخزائن كقوله وعنده مفاتح الغيب اى خزائنه واريد بالخزائن ما يخزن فيه الطعام المأكول ونحوه من بين البيوت قيل اذا دل ظاهر الحال على رضى المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمح

﴿فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن﴾ اى الثياب الظاهرة كالجلباب والخمار فيه لان اللام فى القواعد بمعنى اللاتى او لو صفها بها ﴿غير متبرجات بزينة﴾ غير مظهرات زينة مما امرن باخفائه فى قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف فى اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لاغطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شئ الا انه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال ﴿وان يستعففن خير لهن﴾ من الوضع لانه ابعد من التهمة ﴿والله سميع﴾ لمقالهن للرجال ﴿عليم﴾ بمقصودهن ﴿ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ نفى لما كانوا يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك عن طيب قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت آبائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت باذن او قرينة او كان فى اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الى طعام وقيل نفى للحرج عنهم فى القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ماقبله ومابعده ﴿ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم﴾ من البيوت التى فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ﴿او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه﴾ وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه

(اوصديقكم) اوبيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط فى اموالهم وأسرّ به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت باذن اوقرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم اوكان فى اوّل الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على ان لاقطع بسرقة مال المحرم ﴿ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا﴾ مجتمعين او متفرّقين نزلت فى بنى ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرّجون ان يأكل الرجل وحده او فى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الامعه او فى قوم تحرّجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطباع فى القرازة والنهمة ﴿فاذا دخلتم بيوتا﴾ من هذه البيوت ﴿فسلموا على انفسكم﴾ على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة ﴿تحية من عند الله﴾ ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان تكون من صلة للتحية فانه طلب الحياة وهى من عنده واتصا بها على المصدر لانها بمعنى التسليم ﴿مباركة﴾ لانها تربحى بها زيادة الخير والثواب ﴿طيبة﴾ يطيب بها نفس المستمع وعن انس انه عليه السلام قال متى لقيت احدا من امّتى فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوّابين ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ كرّره ثالثا لمزيد التأكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاوّلين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال ﴿لعلكم تعقلون﴾ اى الحق والخير فى الامور ﴿انما المؤمنون﴾ اى الكاملون فى الايمان ﴿الذين آمنوا بالله ورسوله﴾ من صميم قلوبهم ﴿واذا كانوا معه على امر جامع﴾ كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة فى الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع ﴿لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾ يستأذنوا رسول الله فيأذن لهم واعتباره فى كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه من المنافق فان دينه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم فى الذهاب عن مجلس الرسول عليه السلام بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ﴿ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾ فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لامحالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك ﴿فاذا استأذنوك لبعض شأنهم﴾ مايعرض لهم من المهامّ وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر

الاستئذان وثقل كمن قدّم اليه الطعام فاستأذن صاحبه فى الاكل منه قيل انطلق رجل يدعى بالحارث بن عمرو مغازيا واستخلف مالك بن زيد فى اهله وخزانته فلم يأكل من ماله شيأ حتى صار مجهودا اى ضعيفا فانزل الله تعالى اوصديقكم ﴿قوله فلا احتجاج للحنفية﴾ اذلا احتجاج بالمنسوخ احتجّ ابو حنيفة بهذه الآية على ان من سرق من ذى رحم محرم انه لايقطع لان الله تعالى اباح لهم الاكل من بيوتهم بغير اذنهم فلا يكون محرزا ولا يلزم منه ان لايقطع اذا سرق من صديقه لان من اراد سرقة ماله لايكون صديقا له ﴿قوله لاختلاف الطباع﴾ اى طباع الطاعمين وفى بعض النسخ لاختلاف الناس والنهم بفتحتين افراط الشهوة فى الطعام والقرازة ضدّه وحاصل المعنى لاختلاف الطباع فى قلة الاكل وكثرته يعنى انهم لما تحرّجوا فى الاجتماع على الطعام لاختلاف احوال الآكلة فى الاستقلال والاستكثار من الطعام انزل الله هذه الآية وبين انه لاحرج عليهم فى ان يأكلوا مجتمعين او متفرّقين اواشتاتا جمع شت والشت مصدر معناه التفرّق فوصف به وشتى جمع شتيت كمرضى ومريض قال الامام النسفى دل قوله تعالى ان تأكلوا جميعا على جواز التساعد فى الاسفار والتساعد اخراج كل واحد من الرفقة نفقة على قدر نفقة صاحبه ﴿قوله فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت﴾ خص بيوتا المنكر بالبيوت المذكورة سابقا بقرينة المقام وقال قوم هذا فى دخول الرجل بيت نفسه والتسليم على اهله ومن فى بيته وروى مرفوعا اذا دخلت بيتك فسلم على اهل بيتك يكثر خير بيتك وقيل المراد بها كل بيت وقيل هى المساجد جعل الله تعالى اهل البيت من المسلمين انفس الداخلين ايذانا بان المسلمين كالنفس الواحدة كما فى قوله تعالى ولاتقتلوا انفسكم فان لم يكن فى البيت احد ولا فى المسجد فليسلم على نفسه بان يقول السلام علينا من قبل ربنا اوبان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقد روى ان الملائكة تردّ عليه وقيل ان كان فى البيت اهل الذمّة فليقل السلام على من اتبع الهدى ثم قيل يصل بهذا التسليم قوله تحية من عند الله مباركة طيبة حتى روى عنه عليه الصلاة والسلام انه يصلى صلاة الضحى وهى ان يصلى ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر رمح ثم يصلى اربعا اوستا اوثمانى وهو الذى اراده الله تعالى بقوله يسبحن بالعشى والاشراق وهو ظهور تام نوره بارتفاعها عن مواراة البخارات والغبارات ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذى اقسم الله به فقال والضحى والليل اذا سجا وخرج عليه الصلاة والسلام على اصحابه وهم يصلون عند الاشراق فقال الا ان صلاة الاوّابين اذا رمضت الفصال روى عن بعض السلف انه قال اذا دخل المسجد ولا انسان فيه يقول السلام علينا من ربنا تحية من عند الله مباركة طيبة وقيل لايصل به هذا القول لانه صفة السلام وتحية منصوب على انه مفعول مطلق لمعنى فسلموا على طريق قولك قعدت جلوسا كأنه قيل فحيوا تحية وقوله من عند الله يجوز ان يتعلق بمحذوف صفة تحية اى تحية ثابتة بامره مشروعة من لدنه وان يتعلق بنفس تحية لان التحية والتسليم طلب الحياة والسلامة من الله للمسلم عليه ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن ترجى بها من الله تعالى الاجابة بزيادة الخير وطلب الكمال والجمال ﴿قوله وفصل الاوّلين بما هو المقتضى لذلك﴾ اى التبيين وهو قوله والله عليم حكيم وفصل هذا بما هو المقصود من التبيين وهو التعقل والدراية لاحكام الله من الاوامر والنواهى ﴿قوله ووصف الامر بالجمع للمبالغة﴾ فى كونه سببا لاجتماع القوم فان الامر لكونه مهما عظيم الشان صار كأنه قد جمع الناس فهو من قبيل اسناد الفعل الى السبب وقرئ امر جميع بمعنى جامع او مجموع له قيل نزلت الآية فى حفر الخندق وكان ذلك من اهم الامور حتى تولى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وشغل عن اربع صلوات ثمة فيه حتى دخلت فى حدّ القضاء وكان قوم يتسللون من بينهم بغير اذن قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل ان يخرج لحاجته لم يخرج حتى يقوم بحيال النبى عليه الصلاة والسلام حتى يراه فيعرف به استئذانه فيأذن لمن شاء منهم قال مجاهد اذن الامام يوم الجمعة ان يبصر به ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون عدم الاستئذان نقصا فى كمال الايمان حيث جعل بين الايمانين شرطا ثالثا له اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فان جعل المستأذنين هم المؤمنين عكس الاسلوب الاوّل وفيه تأكيد للاوّل بالله ورسوله فيكون مصداقا ودليلا على صحة الايمان وصدقهما قيل المراد بقوله ان الذين يستأذنونك انه استئذان عمر بن الخطاب فى غزوة تبوك فى الرجوع الى اهله فاذن له وقال انطلق فوالله ماانت بمنافق يريدان يسمع المنافقين ذلك الكلام ﴿قوله وفيه﴾ اى فى قوله لبعض شأنهم مبالغة فى الاهتمام بشأن الاستئذان كاعادته على الاسلوب الابلغ حيث لم يطلق الاذن فى شأنهم بل قيد بالبعض تغليظا

(فأذن لمن شئت منهم) تفويض للامر الى رأى الرسول عليه الصلاة والسلام واستدل به على ان بعض الاحكام مفوّضة الى رأيه عليه الصلاة والسلام ومن منع ذلك قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى فأذن لمن علمت ان له عذرا (واستغفر لهم الله) بعد الاذن فان الاستئذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين (ان الله غفور) لفرطات العباد (رحيم) بالتيسير عليهم (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) لاتقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى جواز الاعراض والمساهلة فى الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرّمة وقيل لاتجعلوا ندآءه وتسميته كندآء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والندآء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يانبيّ الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت اولا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب اولا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرّة ويردّه اخرى فان دعاءه مستجاب (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم) ينسلون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرّج وتدخل (لواذا) ملاوذة بان يستتر بعضكم ببعض حتى يخرج اويلوذ بمن يؤذن فينطلق معه كأنه تابعه واتصابه على الحال وقرئ بالفتح (فليحذر الذين يخالفون عن امره) يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتاً خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض اويصدّون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صدّ عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فان الامر له فى الحقيقة اوللرسول فانه المقصود بالذكر (أن تصيبهم فتنة) محنة فى الدنيا (اويصيبهم عذاب اليم) فى الآخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لأحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على حسنه المشروط بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب (ألا ان لله مافى السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه) ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتأكيد الوعيد (ويوم يرجعون اليه) يوم يرجع المنافقون اليه للجزآء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات (فينبئهم بما عملوا) من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه (والله بكل شئ عليم) لايخفى عليه خافية * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى

عليهم امر الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القدر المبسوط وماس الحاجة اليه وتعليق الاذن بالمشى مع ذلك العذر ومرّ ان ذكر الاستغفار للمستأذنين بالاذن دليل على ان الاحسن والافضل ان لايحدّثوا انفسهم بالذهاب ولايستأذنوا فيه حيث احتاجوا فى خروجهم عن الجماعة الى ان يستغفرلهم الرسول وان كان ذلك الخروج بمشيئته ﴿قوله ومن منع ذلك﴾ اى منع تفويض بعض الاحكام الى رأيه واجتهاده وقال انه عليه افضل الصلاة والسلام يتبع الوحى فى جميع احكامه قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدق المستأذن فى انّ له عذرا شرعيا مرخصا للذين استأذنوا فيه فحينئذ تكون المشيئة مستندة الى الشرع الثابت بالوحى فلا تكون مشيئته واذنه فى ذلك بمجرّد رأيه قال المصنف فى اصوله يجوز له عليه الصلاة والسلام ان يجتهد لعموم فاعتبروا وجوب العمل بالارجح ولانه اسبق وادل على الفطانة فلا يتركه ومنعه ابو على وابنه لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى قلنا هو مأمور به فليس بهوى ﴿قوله ولاتقيسوا دعاءه اياكم﴾ الى شئ من الامور فيكون المصدر فيه مضافا الى فاعله كما فى الوجه الثالث والرابع فان الداعى فى الجميع هو الرسول بخلاف الوجه الثانى فان المصدر فيه مضاف الى المفعول والمعنى لاتقولوا عند دعائكم اياه يامحمد ويا ابن عبدالله كما يدعو بعضكم بعضا بل عظموه وشرّفوه فى ندآئه والمعنى على الوجه الاوّل لاتجعلوا امره اياكم ودعاءه لكم الى شئ كما يكون من بعضكم الى بعض فان امره كان فرضا لازما ومثله قوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ﴿قوله ينسلون﴾ اى يخرجون مستخفين يقال انسل الرجل اى انصرف من الناس وفارقهم بحيث لايعلمون واللواذ والملاوذة ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا ويستر بعضهم بعضا وهو حال من ضمير يتسللون ويقال تدرّج اذا استعلى درجة درجة وتدخل اذا دخل قليلا قليلا فان تفعل قد يكون للعمل المتكرّر فى مهلة ﴿قوله وقرئ بالفتح﴾ اى بفتح اللام على انه مصدر لاذ الثلاثى مثل طاف طوافا ويحتمل ان يكون مصدر لاوذ الا انه يجب فتح الفاء اتباعا لفتحة العين قيل كان المنافقون يثقل عليهم يوم الجمعة قول النبى عليه الصلاة والسلام وخطبته فيلوذون ببعض اصحابه عليه الصلاة والسلام حتى يخرجوا من المسجد مستخفين مستترين بغيرهم من غير استئذان وقيل كانوا ينسلون من صف القتال وقيل كان هذا فى حفر الخندق ﴿قوله يخالفون امره﴾ لايريد ان كلمة عن صلة والا لكان هذا وجها مستقلا من غير ان ينضم اليه قوله وعن لتضمنه معنى الاعراض بل المقصود منه مجرّد بيان أنّ يخالفون يتعدّى بنفسه حيث يقال يخالفون امره وانما جيئ بكلمة عن لتضمنه معنى الصدود والاعراض وقيل عن ههنا بمعنى بعد كما فى قولك اطعمتهم عن جوع اى بعد جوع ﴿قوله وحذف المفعول﴾ والاصل يخالفون المؤمنين عن امر الله وعن امر رسوله على معنى يخالفونهم صادّين عن امره فيكون عن امره حالا من فاعل يخالفون كما ان حقيقة قولك خالفه عن الامر خالفه صادّا اى معرضا عن الامر فيكون عن الامر حالا من فاعل خالف ومحصول كونه مخالفا له صادّ عن الامر دونه وكذا اذا قلت خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه فيكون حقيقة الكلام خالفه اى ذاهبا الى الامر فيكون الى الامر حالا من فاعل خالف ايضا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اى ذاهبا الى ما انهاكم عنه ﴿قوله فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر﴾ يعنى ان مخالفة الامر عبارة عن ترك مقتضاه والاخلال به كما ان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه ورعايته ولما امر الله تعالى من خالف الامر وترك مقتضاه بالحذر عن عذابه دل ذلك على حسن الحذر عنه ولايحسن الحذر عن العذاب الابعد قيام مايقتضى نزوله فثبت ان ترك مقتضى الامر يقتضى نزول العذاب فلولا ان المأمور به واجب لما كان تاركه مستحقا للعذاب ثم انه تعالى لما هدّد من خالف امره بأحد العذابين اورد عقيبه ماهو كالدليل على قدرته تعالى عليهما فقال الا ان لله مافى السموات والارض وجعله ذريعة الى تحقيق علمه باحوال عباده من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وأكد علمه بما هم عليه بان ادخل كلمة قد على يعلم وذلك ان قد فى المضارع تفيد التقليل كربما اذا دخلت عليه فكما ان ربما تستعار للتكثير كما فى قول الشاعر

* ان تمس مهجور الفناء فربما * يأتيك من بعد الوفود وفود *

كذلك كلمة قد تستعار له ايضا فتفيد التحقيق والتأكيد وجملت كلمة قد فى الآية على هذا المعنى لاقتضاء الوعيد اياه وفى البيت لاقتضاء مقام المدح اياه ﴿قوله تعالى ويوم يرجعون اليه﴾ منصوب على انه مفعول به لا ظرف لعطفه

﴿ سورة الفرقان مكية وآيها سبع ﴾
﴿ وسبعون آية ﴾
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده﴾ تكاثر خيره من البركة وهى كثرة الخير او تزايد على كل شئ وتعالى عنه فى صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرّف فيه ولا يستعمل الا الله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمى به القرءآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره او بين المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض فى الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله وامّته كقوله لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ﴿ليكون﴾ العبد او الفرقان ﴿للعالمين﴾ للجنّ والانس ﴿نذيرا﴾ منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوّة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة ﴿ الذى له ملك السموات والارض﴾ بدل من الاوّل او مدح مرفوع او منصوب ﴿ولم يتخذ ولدا﴾ كزعم النصارى ﴿ ولم يكن له شريك فى الملك ﴾ كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى مايقوم مقامه ومايقاومه فيه ثم نبه على مايدل عليه فقال ﴿وخلق كل شئ﴾ احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة ﴿ فقدّره تقديرا ﴾ فقدّره وهيأه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوّعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك اوفقدّره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرّد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شئ فقدّره فى ايجاده حتى لا يكون متفاوتا

﴿ سورة الفرقان مكية غير آية نزلت بالطائف وهى قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكنا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قوله تكاثر خيره ﴾ قال الله تعالى وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها اى لا تحصوا اى اجناسها فضلا عن افرادها فعلى هذا المعنى لابدّ من تقدير المضاف اى تبارك خير الذى ولا حاجة اليه على المعنى الثانى ﴿ قوله او تزايد على كل شئ وتعالى عنه فى صفاته وافعاله ﴾ قال الله تعالى ليس كمثله شئ فالعبد وان كان له حظ فى صفاته وافعاله الا ان ماله من الصفات والافعال لا يماثل شيأ مما له تعالى وذلك معلوم ببداهة العقل ﴿ قوله وترتيبه على انزال الفرقان ﴾ اى تعليقه به فان تعليق التبارك بوصف الانزال يشعر بعلية ذلك الوصف له وكونه مرتبا عليه وقوله لما فيه من كثرة الخير مبنى على تفسير تبارك بقوله تكاثر خيره وقوله او لدلالته على تعاليه مبنى على تفسيره بقوله او تزايد على كل شئ ﴿ قوله وقيل دام ﴾ عطف على قوله تكاثر يعنى قيل الكلمة مأخوذة من بروك البعير وبروك الطير على الماء فتدل على البقاء والدوام والمعنى انه تعالى باق فى ذاته ازلا وابدا ممتنع التغير وباق فى صفاته ممتنع التبدّل ولم يرض به لان ترتيبه على انزال الفرقان لا يلائم هذا المعنى * فان قيل الموصولات موضوعة لان يطلقها المتكلم على مايعتقد ان المخاطب يعرفه بكونه محكوما عليه بحكم حاصل له فلذلك كانت معارف والقوم ما كانوا يعرفون انه تعالى هو الذى نزل الفرقان فكيف حسن ههنا لفظ الذى * اجيب بانه لما ثبت كونه من عند الله بكونه معجزا بالغا الى اقصى درجات البلاغة والفصاحة نزله الله تعالى منزلة المعلوم للقوم بناء على قوّة دليله وظهوره وهذا توضيح قوله وهذه الجملة وان لم تكن معلومة الخ ﴿ قوله للجنّ والانس ﴾ اى لجميع افراد كل واحد من الجنسين اشاربه الى فائدة جمع العالمين مع تعريفه فان العالم اسم للقدر المشترك بين اجناس مايعلم به الخالق مما سوى الله تعالى فيطلق على كل واحد منها وعلى مجموعها فجمع للدلالة على تعدّد الاجناس واستغراق كل واحد منها اذ لو افرد منكرا لفهم واحد من تلك الاجناس ولو افرد معرّفا لتوهم ان القصد الى استغراق جنس واحد او الى الحقيقة التى هى القدر المشترك بين تلك الاجناس ولو جمع منكرا لم يكن نصا فى الاستغراق للاختلاف فى استغراق الجمع المنكر وجمع بالياء والنون لان المقصود استغراق افراد العقلاء من جنسى الجن والانس فان جنس الملائكة وان كانوا من اجناس العالم الا ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن رسولا الى الملائكة فلم يبق من العالمين المكلفين الا الجنّ والانس فهو عليه الصلاة والسلام رسول لهما جميعا فالآية حجة لابى حنيفة فى قوله ليس للجنّ ثواب اذا اطاعوه سوى النجاة من العقاب اذا عصوا حيث اكتفى بقوله ليكون للعالمين نذيرا ولم يذكر البشارة ودليله قوله تعالى ياقومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم جعل ثوابهم نجاتهم من العذاب الاليم على تقدير المضاف ولم يذكر لهم ثوابا غيره وذكر لهم عقاب العصيان ﴿ قوله منذرا او انذارا ﴾ الاوّل على تقدير ان يكون ضمير قوله ليكون للعبد والثانى على ان الضمير للفرقان اى لتنزيله المدلول عليه بقوله نزل فكأنه قيل ليكون تنزيله انذارا للعالمين لان الفرقان نفسه لا يكون انذارا ﴿ قوله بدل من الاوّل ﴾ فان قيل كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله ليكون للعالمين نذيرا فالجواب انه ما فصل بينهما بشئ اجنبى عن الكلام لان المبدل منه صلة نزل وقوله ليكون تعليل له فكان المبدل منه لا يتم الا به ﴿ قوله احدثه احداثا مراعى فيه التقدير ﴾ يعنى ان الخلق هو الاحداث المتفرّع على التقدير والتسوية فى علم الصانع فان الصانع اذا لم يقدّر مصنوعه فى علمه قبل الايجاد يقع فيه بعد الايجاد تفاوت بالزيادة على ما به كماله او بالنقصان عن حدّ ما فيه تمامه * ولما كانت الآية مظنة ان يقال قوله فقدّره تكرار ا بناء على ان الخلق

فيه بمعنى التقدير فكأنه قيل وقدّر كل شئ فقدّره * اشار الى دفعه اوّلا بقوله فقدّره وهيأه لما اراد منه ومحصوله ان التقدير المدلول عليه بقوله خلق غير التقدير المتفرّع عليه بالفاء فان الاوّل عبارة عن تسوية المحدث فى علمه الازلى كما اوجبته الحكمة بتعيين مادّته وصورته وما يتعلق به من العوارض المكتنفة به حال وجوده كما يسوّى الصانع صورة المصنوع قبل ان يباشر صنعه والتقدير المتفرّع على الخلق عبارة عن تهيئته لما يصلح له من المصالح المرتبة على وجوده فلا تكرار فكأنه قيل اوجد كل شئ على تقدير اوجبته الحكمة وقدّر له ما يصلحه ويقيمه وما يراد منه من الخصائص والافعال وثانيا بقوله فقدّره للبقاء الى اجل مسمى والتقدير بهذا المعنى ايضا متفرّع على الخلق بمعنى الاحداث المراعى فيه التقدير والتسوية لما تقتضيه الحكمة لان ابقاء الشئ يكون بعد احداثه كأنه قيل احدثه فجعل لوجوده غاية محدودة وثالثا بقوله وقد يطلق الخلق لمجرّد الايجاد فلا يكون قوله فقدّره تكرارا وتكون الفاء فيه للترتيب فى الاخبار فكأنه قيل اوجد كل شئ فقدّره فى ايجاده ولم يوجده بحيث يحصل التفاوت والتباعد بينه وبين المثال الذى اقتضته الحكمة ﴿قوله﴾ لان عبدتهم ينحتونهم ﴿﴾ اشارة الى ان فاعل اتخذوا هم عبدة الاصنام ولا يدخل فيه النصارى لانهم لم يتخذوا من دون الله آلهة كثيرة ولان السورة مكية نزلت ردّا على المشركين فيما ذهبوا اليه ويجوز ان يدخل فيه النصارى وعبدة الملائكة والاصنام جميعا بناء على ان قوله واتخذوا صيغة جمع وقوله آلهة جمع ايضا واذا قوبل الجمع بالجمع يقابل الفرد بالفرد فلم يكن كون معبود النصارى واحدا مانعا من دخولهم فى فاعل اتخذوا ثم انه تعالى لما ردّ على المخالفين فى التوحيد شرع فى الردّ على المخالفين فى النبوّة بقوله وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه اى ما هذا القرآن الا كذب افتراه محمد واختلقه من عند نفسه واعانه عليه اى على افترآئه قوم آخرون اى اليهود وقيل جبر مولى عامر ويسار غلام ابن حضرمى وعداس وقيل عائش مولى حويطب بن عبد العزى وهؤلاء الثلاثة عبيد كانوا بمكة من اهل الكتاب وكانوا يقرأون التوراة ويحدّثون منها احاديث فلما اسلموا وكان النبى عليه افضل الصلاة والسلام يتعهدهم قال النضر بن الحارث هذا القول فنزلت الآية واجاب عن شبهتهم بقوله فقد جاؤا اى فقد اتوا ظلما وفعلوه حيث وضعوا صفة الافك فى غير موضعها ولو أمكن ذلك لعارضوه واتوا بمثله حين اتاهم به لانهم مثله عليه الصلاة والسلام فى معرفة اللغة وفى التمكن من الاستعانة ووصف كلامهم هذا بانه زور ايضا لانهم كذبوا فيه بنسبة ما هو برئ منه اليه وقالوا فى حق القرآن ايضا اساطير الاوّلين كاحاديث رستم واسفنديار واساطير جمع اسطار جمع سطر اوجمع اسطورة كاحدوثة واساطير خبر مبتدأ محذوف اى هذا اساطير وقوله اكتتبها خبر ثان لهذا اوحال من اساطير والعامل فيها معنى التنبيه والاشارة كقوله وهذا بعلى شيخا ﴿قوله﴾ كتبها لنفسه ﴿﴾ اى باعتبار كونه سببا آمرا بكتابتها فان بناء افتعل قد يكون لاتخاذ الفاعل الفعل لنفسه ﴿قوله﴾ او استكتبها ﴿﴾ على ان يكون اكتتب بمعنى أمر ان يكتب له كما يقال احتجم واقتصد اذا امر بذلك وقوله فهى تملى عليه متفرّع على قوله اكتتبها على كل واحد من التفسيرين فان الاملاء عبارة عن القاء الكلام على الغير ليكتبه فان فسر الاكتتاب بالاستكتاب فالامر ظاهر لان املاءها اى القاءها على الكاتب متفرّع على طلب ان يكتب له الكاتب الاان املاءها على من يكتبها له عليه الصلاة والسلام بمنزلة كتابته عليه الصلاة والسلام بنفسه فلذلك جعل الاملاء على الكاتب بمنزلة الاملاء على نفسه وهذا على تقدير ان يحمل الاملاء على حقيقته ويجوز ان يكون قوله تملى استعارة تبعية بان يشبه القاء الكلام على الامى ليحفظه بالقائه الى الكاتب ليكتبه لكون صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب فاطلق الاملاء على الالقاء على الحافظ واشتق منه تملى وكذا ان فسرا كتتبها بكتبها لنفسه واخذها من غيره على الاسناد المجازى وروى الامام عن الحسن البصرى انه قال قوله وهى تملى عليه كلام الله تعالى ذكره جوابا عن قولهم فكأنه تعالى قال ان هذه الآيات تملى عليه بالوحى حالا بعد حال فكيف يقال فى حقها انها اساطير الاوّلين ثم قال واما جمهور المفسرين فقد اتفقوا على ان ذلك من كلام القوم وارادوا به ان اهل الكتاب املوا عليه فى هذه الاوقات هذه الاشياء ثم قال ولا شك ان هذا القول اقرب لانه تعالى اجاب بعد ذلك عن كلامهم بقوله قل انزله الذى يعلم السرّ ووجه كونه جوابا ان القرآن لكونه معجزا من حيث كونه فى اقصى مراتب الفصاحة والبلاغة ومن حيث اشتماله على الاخبار عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا علام الغيوب يستحيل ان يلقيه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه ولو اخذه

﴿واتخذوا من دونه آلهة﴾ لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوّة اخذ فى الردّ على المخالفين فيهما ﴿لا يخلقون شيأ وهم يخلقون﴾ لان عبدتهم ينحتونهم ويصوّرونهم ﴿ولا يملكون﴾ ولا يستطيعون ﴿لانفسهم ضرّا﴾ دفع ضرّ ﴿ولا نفعا﴾ ولا جلب نفع ﴿ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا﴾ ولا يملكون اماتة احد ولا احياءه اوّلا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرآئه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزآء ﴿وقال الذين كفروا ان هذا الا افك﴾ كذب مصروف عن وجهه ﴿افتراه﴾ اختلقه ﴿واعانه عليه قوم آخرون﴾ اى اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق فى قوله انما يعلمه بشر ﴿فقد جاؤا ظلما﴾ بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود ﴿وزورا﴾ بنسبة ما هو برئ منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل ويعدّيان تعديته ﴿وقالوا اساطير الاوّلين﴾ ماسطره المتقدّمون ﴿اكتتبها﴾ كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امّى واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبنى الفعل للضمير فاستتر فيه ﴿فهى تملى عليه بكرة واصيلا﴾ ليحفظها فانه امّى لا يقدر ان يكرّر من الكتاب اوليكتب ﴿قل انزله الذى يعلم السرّ فى السموات والارض﴾ لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه اخبار عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاوّلين ﴿انه كان غفورا رحيما﴾ فلذلك لا يعجل فى عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا

من اساطير الاوّلين لما زاد على ما فى كتبهم فظهر انه من عند من يعلم الغيوب وهو الله تعالى وانه بمعزل عن كونه من اساطير الاوّلين ثم انه تعالى ذكر شبهة اخرى للمشركين فقال وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ﴿قوله وفيه﴾ اى وفى التعبير عنه عليه الصلاة والسلام بلفظ هذا استهانة وتحقير له عليه الصلاة والسلام وفى تسميتهم اياه رسولا مع انهم بصدد انكار رسالته تهكم به عليه الصلاة والسلام ذكروا له عليه الصلاة والسلام خمس صفات وزعموا انها تخل بالرسالة زعما منهم ان فضيلة الرسول على غيره تكون بامور جسمانية وهى غاية الجهالة ونهاية السفاهة فاجاب الله عن هذه الشبهة بوجوه الوجه الاوّل قوله انظر كيف ضربوا لك الامثال اى اثبتوا لك الاشباه حين زعموا انك مسحور محتاج متروك ناقص عاجز عن القيام بالامور ويقولون مرّة انه ساحر ومرّة شاعر ومرّة مجنون ومرّة مسحور ونحو ذلك من الاقوال الشاذة والاحوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبى صلى الله عليه وسلم وهى الاختصاص بالكمالات النفسانية والفضائل الروحانية والى الميز بينه وبين المتنبى فان الميز بينهما يكون باظهار المعجزة وماذكروه من الشبهة لايقدح بشئ فى اظهارها فلايكون شئ منها قادحا فى النبوّة كأنه تعالى قال انظر كيف اشتغل القوم بضرب هذه الامثال التى لافائدة فيها لماهم بصدده من القدح فى نبوّتك واثبات كونك متنبئا والوجه الثانى من وجوه الجواب عن شبهة المنكرين ماذكره بقوله تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك اى من الذى ذكروه من نعم الدنيا كالكنز والجنة وفسر ذلك الخير بقوله جنات الخ ونبه بذلك على انه تعالى قادر على ان يعطيه عليه الصلاة والسلام ذلك الذى عيروه بفقده وما هو خير من ذلك بكثير ولكنه تعالى يعطى عباده على حسب المصالح وعلى وفق المشيئة ولااعتراض لاحد عليه فى شئ من افعاله فيفتح على واحد ابواب المعارف والعلوم ويسدّ عليه ابواب الدنيا وفى حق الآخرة بالعكس من ذلك عن الضحاك قال لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاقة حزن عليه الصلاة والسلام لذلك فنزلت جبريل معزيا له وقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق فبينما جبريل والنبى صلى الله عليه وسلم يتحدّثان اذ فتح باب من السماء لم يكن فتح قبل ذلك فقال جبريل أبشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة قد أتاك بالرضى من ربك فسلم عليه وقال ربك يخيرك بين ان تكون نبيا ملكا وبين ان تكون نبيا عبدا ومعه سفط من نور يتلألأ ثم قال هذه مفاتيح خزائن الدنيا فاقبضها من غير ان ينقصك الله مما ادّخر لك فى الآخرة جناح بعوضة فنظر النبى عليه الصلاة والسلام الى جبريل كالمستشير فاومأ بيده ان تواضع فقال رسول الله بل نبيا عبدا قال فكان عليه الصلاة والسلام لايأكل بعد ذلك متكئا حتى فارق الدنيا وكان يقول آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد ﴿قوله وقرئ﴾ بالنصب ﴿اى بنصب يجعل باضمار ان على انه جواب بالواو فانه معطوف على جعل وهو جواب ان شاء قال ابن جنى هو كقولك ان تأتنى آتك واحسن اليك وهو غريب لان نصب المضارع المعطوف على جواب الشرط بالواو غير مذكور فى كتب النحو انما المذكور فيها نصبه بعد الواو اذا كان قبلها احد الاشياء الستة الامر والنهى وغيرهما وقرأ باقى القرآء بجزم يجعل وادغام لامه فى لام لك عطفا على محل جعل لانه جواب الشرط والقصور جمع قصر والقصر هو المسكن الرفيع والوجه الثالث من وجوه الجواب قوله تعالى بل كذبوا بالساعة والمعنى انهم كذبوك وعيروك بالفقر لانهم كذبوا بالساعة وظنوا ان الكرامة انما هى بالمال فتكون كلمة بل لترك الاوّل والاخذ فيما هو أهم وكونه اهم بالنسبة الى الجوابين الاوّلين لانهما يفيدان ماذكروه فى القدح لنبوّته وهو لايصلح قادحا لها وهذا الجواب بين العلة الداعية لهم الى انكار النبوّة فان من كذب بالساعة لايرجو ثوابا ولايخاف عقابا فلا يتحمل كلفة النظر والفكر فى الدلائل الدالة على ماهو الحق فى باب الاعتقاد والعمل فلذلك لاينتفعون بما يورد عليهم من الدلائل فقوله بل كذبوا بالساعة معطوف على قوله تبارك الذى والمصنف اشار الى هذا الوجه بقوله فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية والحطام والهشيم هو الشئ اليابس المتكسر استعير لاسباب الدنيا لسرعة زوالها وقلة مكثها ﴿قوله او فلذلك كذبوك﴾ لالما تحملوا من المطاعن ﴿فيكون معطوفا على قوله وقالوا مالهذا الرسول ﴿قوله او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب﴾ وهو قوله تعالى تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا الى قوله ويجعل لك قصورا برفع يجعل على الاستئناف بوعد ما يكون له فى الآخرة فيكون معطوفا عليه والفرق بين هذا وبين الاحتمال

المعاش كما تمشى فالمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الىّ انما الهكم اله واحد ﴿لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا﴾ لنعلم صدقه بتصديق الملك ﴿او يلقى اليه كنز﴾ فيستظهر به ويستغنى عن تحصيل المعاش ﴿او تكون له جنة يأكل منها﴾ هذا على سبيل التنزل اى ان لم يلق اليه كنز فلااقل من ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائى بالنون ﴿وقال الظالمون﴾ وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ﴿ان تتبعون﴾ ما تتبعون ﴿الا رجلا مسحورا﴾ سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اى بشرا لاملكا ﴿انظر كيف ضربوا لك الامثال﴾ اى قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة ﴿فضلوا﴾ عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبى والميز بينه وبين المتنبى فخبطوا خبط عشواء ﴿فلا يستطيعون سبيلا﴾ الى القدح فى نبوّتك او الى الرشد والهدى ﴿تبارك الذى ان شاء جعل لك﴾ فى الدنيا ﴿خيرا من ذلك﴾ مما قالوه ولكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى ﴿جنات تجرى من تحتها الانهار﴾ بدل من خيرا ﴿ويجعل لك قصورا﴾ عطف على محل الجزآء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز فى جزآئه الجزم والرفع كقوله * وان اتاه خليل يوم مسألة * يقول لاغائب مالى ولا حرم * ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له فى الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هى بالمال فطعنوا فيك بفقرك او فلذلك كذبوك لالما تحملوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدّقونك بما وعد الله لك فى الآخرة

الاوّل انه على الاوّل اضراب عنه الى جواب آخر أهمّ من الاوّل على هذا الاحتمال يكون المقصود بيان انهم لا يلتفتون الى هذا الجواب لعدم تصديقهم بالآخرة ﴿قوله﴾ اولا فلا تعجب الخ ﴿فيكون معطوفا على جملة ماحكى عنهم مما يدل على تكذيبه والقدح فى نبوّته فان المقصود من حكاية ذلك عنهم التعجب من جهلهم وسفاهتهم وانما كان تكذيبهم الساعة اعجب من تكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام من حيث ان تكذيبهم الساعة تكذيب لله تعالى وهو اعجب واغرب من تكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام ﴿قوله﴾ فيكون صرفه باعتبار المكان ﴿يعنى اذا كان اسما لجهنم لوجب منع صرفه للعلمية والتأنيث الا انه صرف تأويلا لجهنم بالمكان ﴿قوله﴾ اذا رأتهم ﴿جملة شرطية فى موضع النصب على انها صفة لقوله سعيرا وكذا قوله واذا ألقوا منها مكانا ضيقا الخ ﴿قوله﴾ اذا كانت بمرأى منهم ﴿يعنى ان السعير سواء كانت بمعنى النار الملتهبة او جهنم ليست لها عين ولا رؤية ومع ذلك اسندت الرؤية اليها باعتبار كونها مجازا عن المقابلة وكونها بمرأى الناظر فان كون الشئ بمقابلة الناظر ومرءاه لازم للرؤية اذ لا تمكن الرؤية بدون ذلك فاطلق الملزوم وهو الرؤية واريد اللازم وهو كون الشئ بحيث يرى والانتقال من الملزوم الى اللازم يكون مجازا لا كناية قال عليه الصلاة والسلام *المؤمن والكافر لا تترا أى نارا هما * اى لا تتقاربا ولا تتكون احداهما بمرأى من الاخرى والمقصود النهى عن تقاربهما ويقال دور فلان متناظرة اى متقابلة وهذا التوجيه غير لازم على مذهب اصحابنا لان البنية ليست شرطا فى الحياة عندهم فالنار على ماهى يجوز ان يخلق الله فيها الحياة والعقل والرؤية والنطق ويؤيده ماروى انه عليه الصلاة والسلام قال *من كذب علىّ متعمدا فليتبوّأ بين عينى جهنم مقعده *قالوا هل لها عينان قال *نعم الا تسمعون قول الله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد * قيل من مسيرة مائة سنة بخلاف المعتزلة فانهم شرطوا البنية فى الحياة فلا يجوز كون السعير ذات عينين عندهم فقوله تعالى فى صفة السعير اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا لا يمكن اجراؤه على الظاهر عندهم بل يمكن ذلك عندنا اذ لا امتناع من ان تكون النار حية مغتاظة على الكفار واما المعتزلة فانهم لما شرطوا البنية فى الحياة فلا يجوز كون السعير ذات حياة عندهم احتاجوا الى التأويل قال الجبائى ان الله تبارك وتعالى ذكر النار واراد الخزنة الموكلة بتعذيب اهل النار لان الرؤية تصح منهم ولا تصح من النار فهو كقوله تعالى واسأل القرية اى اهلها ﴿قوله﴾ صوت تغيظ ﴿لما كان التغيظ عبارة عن شدّة الغضب وذلك لا يكون مسموعا ذكر فى توجيه الكلام ان نفس التغيظ وان لم يسمع الا انه يسمع مايدل عليه من الصوت كما يقال امارأيت غضب الملك على فلان اذا رأى مايدل عليه فكذا ههنا والمعنى سمعوا لها صوتا يشبه صوت التغيظ ﴿قوله﴾ فى مكان ﴿يعنى ان مكانا منصوب على الظرفية ومنها فى محل النصب على الحال من مكانا لانه فى الاصل صفة ومقرّنين حال من مفعول ألقوا وثبورا مفعول به لقوله دعوا روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال ان جهنم لتضيق على الكافر كما يضيق الزج على الرمح والزج الحديدة التى فى رأس الرمح وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال* والذى نفسى بيده انهم يكرهون فى النار كما يكره الوتد فى الحائط ولقد جمع الله على اهل النار انواع البلاء حتى ضم الى العذاب الشديد الضيق الشديد ليكون ذلك لهم عذابا فوق عذابهم ﴿قوله﴾ والاستفهام الخ ﴿جواب عما يقال كيف يتصوّر الشك فى ايهما خير حتى يحسن الاستفهام والترديد وهل يجوز لقائل ان يقول الشكر خير ام الصبر * واجاب بان ذلك يحسن فى معرض التقريع والتهكم فانه تعالى لما ذكر حال العقاب المعدّ لمن كذب بالساعة اتبعه بما يؤكد حسرته وندامته تقريعا له وتهكما وجنة الخلد هى الدار التى لا ينقطع نعيمها ولا ينتقل اهلها منها ولما ورد ان الجنة اسم للدار المخلدة فاىّ فائدة فى اضافتها الى الخلد* اشار الى جوابه بقوله واضافتها للمدح كما ان الصفة للمدح فكذا الاضافة او لان اسم الجنة لا يدل الا على البستان الجامع لوجوه البهجة ولا يدخل الخلود فى مفهومه فاضيف اليها للدلالة على خلودها ﴿قوله﴾ بالوعد ﴿اى بالاستحقاق كما ذهب اليه المعتزلة فان الثواب لا يجب على الله عندنا خلافا لهم ويدل عليه قوله تعالى وعد المتقون فان الموعود لا يكون واجبا على من وعده بل انما يجب عليه انجازه بمقتضى الكرم والمعتزلة احتجوا على انها كانت لهم جزآء بالاستحقاق بوجهين الاوّل ان اسم الجزآء لا يتناول الا المستحق واما الموعود بمحض التفضل فانه لا يسمى جزآء والثانى انه لو كان المراد من الجزآء الامر الذى يصيرون اليه بمجرّد الوعد لما بقى فرق بين قوله جزآء وبين قوله مصيرا فيصير ذلك تكرارا من غير فائدة وقال اصحابنا لا نزاع فى كونه جزآء انما النزاع فى كونه جزآء ثبت بالوعد او بالاستحقاق وليس فى الآية مايدل على التعيين وانما قلنا انه ثبت بالوعد للادلة المنفصلة وقوله

او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه ﴿واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا﴾ نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان ﴿اذا رأتهم﴾ اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه الصلاة والسلام لا تتراأى نارا هما اى لا تتقاربا بحيث تكون احداهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار او جهنم ﴿من مكان بعيد﴾ وهو اقصى مايمكن ان يرى منه ﴿سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾ صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حياة فترى وتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف ﴿واذا ألقوا منها مكانا﴾ اى فى مكان ومنها بيان تقدّم فصار حالا ﴿ضيقا﴾ لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وقرأ ابن كثير بسكون الياء ﴿مقرّنين﴾ قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل ﴿دعوا هنالك﴾ فى ذلك المكان ﴿ثبورا﴾ هلاكا اى يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون يا ثبوراه تعال فهذا حينك ﴿لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا﴾ اى يقال لهم ذلك ﴿وادعوا ثبورا كثيرا﴾ لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدّته او لانه يتجدّد كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو فى كل وقت ثبور ﴿قل أذلك خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون﴾ الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح او الدلالة على خلودها او التمييز عن جنات الدنيا ﴿كانت لهم﴾ فى علم الله او اللوح او لان ماوعده الله فى تحققه كالواقع ﴿جزآء﴾ على اعمالهم بالوعد

كانت بلفظ الماضى مع ان الجنة ستصير لهم جزآء ومصيرا فى المستقبل مبنى على انه تعالى كتب فى اللوح المحفوظ قبل ان يخلقهم ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم وكان ذلك فى علمه الازلى ﴿قوله﴾ ولا يمنع كونه جزآء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم ﴿جواب عن استدلال المعتزلة على انه تعالى لا يعفو عن اصحاب الكبائر ولا يدخلهم الجنة بهذه الآية بان قالوا الجنة حق المتقين جزآء على اعمالهم لقوله تعالى كانت لهم جزآء واهل الكبائر وان كانوا مؤمنين لكنهم ليسوا بمتقين فلو عفا الله عنهم وادخلهم الجنة التى اختصت بالمتقين وكانت حقا لهم لزم ان يعطيهم حق المتقين مع انهم ليسوا بمتقين واعطاء حق الانسان لغيره لا يجوز وتوجيه الجواب بين ظاهر ﴿قوله﴾ ولعله يقصرهم كل طائفة ﴿جواب عما يقال ان اهل الدرجات النازلة اذا شاهدوا الدرجات العالية لابدّ ان يريدوها ويسألوها فان اعطاهم الله تعالى اياها لم يبق بين الناقص والكامل تفاوت فى الدرجة وان لم يعطهم قدح ذلك فى قوله لهم فيها مايشاؤون وفى قوله ماتشتهى الانفس وايضا فالاب اذا كان ولده فى دركات النار واشدّ العذاب اشتهى ان يخلصه الله من ذلك فان فعل الله ذلك قدح فى ان عذاب الكافر مخلد وان لم يفعل قدح ذلك فى قوله لهم فيها مايشاؤون وفيها ماتشتهيه الانفس *وتقرير الجواب ان المراد لهم فيها مايشاؤون مما يليق برتبتهم وانه تعالى لا يلقى فى خواطرهم ان ينالوا رتبة من هو اشرف منهم رتبة بل يشتغل كل واحد بالالتذاذ بما يليق برتبته ولا يلتفت الى حال غيره ﴿قوله﴾ حال من احد ضمائرهم ﴿والمعنى الذى يشاؤونه حال كونهم خالدين حاصل لهم او الذى يشاؤونه حاصل لهم حال كونهم خالدين ﴿قوله﴾ ومافى على من معنى الوجوب لامتناع الخلف فى وعده ﴿والمعنى كان الذى يشاؤونه موعودا واجبا على ربك انجازه لكونه وعد الكريم الذى يمتنع الخلف فى وعده وليس المعنى كما ذكره صاحب الكشاف ان ذلك كان موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسأل ويطلب لكونه جزآء واجرا مستحقا عليه لان العبد لا يستوجب عليه تعالى شيأ بل كل مايصل اليه من الخير فهو تفضل محض *ولما ورد ان يقال لما وجب عليه انجاز الموعود وان كان ذلك بناء على كرمه وامتناع الخلف فى وعده لزم منه انه تعالى ملجأ الى الانجاز وغير قادر على تركه ومن كان ملجأ الى الفعل وغير قادر على تركه لا يكون مستحقا للمدح والثناء بذلك فالله ذو الفضل العظيم يختص برحمته من يشاء *اجاب عنه بقوله ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز لان وجوب الانجاز انما لزم من الوعد الذى هو الاخبار بالفعل المتوقف على العلم بالفعل وكل واحد من الاخبار بالفعل والعلم به يوجب الفعل فوجب الفعل لانه لو لم يفعله لانقلب خبره الصادق كذبا وعلمه جهلا والوجوب اللازم من الاخبار والعلم لا يستلزم كونه تعالى ملجأ الى الفعل غير قادر على الترك لان تعلق الارادة الازلية بالفعل متقدّم على الاخبار به والعلم بوقوعه والفعل الواقع بالارادة لا يكون صادرا على سبيل الالجاء ويكون تركه مقدورا ويستحق فاعله المدح والثناء ﴿قوله﴾ تعالى ويوم نحشرهم ﴿اى واذكر يوم نحشر الذين اتخذوا من دون الله آلهة قرأ ابن عامر نحشرهم فنقول بالنون فيهما وابن كثير وحفص بالياء من تحت فيهما والباقون بالنون فى الاوّل وبالياء فى الثانى واختار المصنف هذه القراءة ﴿قوله﴾ وهو على تلوين الخطاب ﴿اى على الالتفات من التكلم الى الغيبة ﴿قوله﴾ يعم كل معبود سواه ﴿اى من الملائكة والمسيح وعزير والاوثان بشهادة قوله تعالى من دون الله الا ان جواب المعبودين بقولهم سبحانك ماكان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من اولياء يأبى دخول الاصنام فيهم لان هذا الجواب انما يلائم الانبياء والملائكة المعصومين* ولما ورد ان يقال كيف يعم كل معبود ولفظ ما لا يستعمل فى العقلاء *دفعه بما محصوله انا لا نسلم ان كلمة ما لا تستعمل الا فيما لا يعقل فانها كما تستعمل فيما علم انه غير عاقل تستعمل ايضا فيما يتناوله وغيره كما اذا استعملت فى الذوات التى يدخل فيها الفريقان مع قطع النظر عن كونها عقلاء او غير عقلاء كما فى مانحن فيه نعم انها لا تستعمل فيما علم كونه عاقلا وانما تستعمل فيه كلمة من بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ماهو فاذا قيل لك انه انسان قلت حينئذ من هو ودفعه ثانيا بانه اريد به الوصف فانه قد يطلق على صفات من يعقل ومنه قوله تعالى والسماء وما بناها اى وبانيها وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد اى معبودى وقول فرعون وما رب العالمين اى مربيهم وقولك اذا اردت السؤال عن صفة زيد مثلا ما زيد تريد طويلا ام قصيرا فقيها ام طبيبا وثالثا بانه عبر عن مطلق المعبود بكلمة ما تغليبا للاصنام على العقلاء المعبودين تحقيرا لشأنهم لغاية قصورهم عن معنى الربوبية والالوهية وقوله او اعتبارا لغلبة عبادها عطف على تحقيرا ﴿قوله﴾ او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح عطف على قوله يعم كل معبود وقوله او الاصنام عطف على الملائكة* ولما ورد ان يقال الصنم جماد فكيف يخاطبه

﴿ ومصيرا ﴾ يتقلبون اليه ولا يمنع كونها جزآء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقى الكفر والتكذيب لانهم فى مقابلتهم ﴿ لهم فيها مايشاؤون ﴾ مايشاؤونه من النعيم ولعله يقصرهم كل طائفة على مايليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شيأ والكامل بالتشهى وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا فى الجنة ﴿ خالدين ﴾ حال من احد ضمائرهم ﴿كان على ربك وعدا مسئولا﴾ الضمير فى كان لما يشاؤون والوعد الموعود اى كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب او مسئولا سأله الناس فى دعائهم ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن ومافى على من معنى الوجوب لامتناع الخلف فى وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدّم على الوعد الموجب للانجاز ﴿ويوم نحشرهم﴾ للجزآء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء ﴿ومايعبدون من دون الله﴾ يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف اولانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبود يهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا او المسيح لقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله او تتكلم بلسان الحال كما قيل فى كلام الايدى والارجل ﴿فيقول﴾ اى للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون

الله * اجاب عنه اوّلا بانه تعالى يخلق فيه الحياة ويجعله صالحا لان يسأل ويجيب وثانيا بان ذلك الكلام ليس بلسان المقال بل هو بلسان الحال كما قيل فى تسبيح الدواب وكلام الايدى والارجل ﴿ قوله وهو استفهام تقريع ﴾ جواب عما يقال انه تعالى كان عالما فى الازل بحال المسئول عنه فما فائدة هذا السؤال * وتقرير الجواب ان فائدته تقريع العبدة والزامهم كما قيل لعيسى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله لانهم اذا سئلوا بذلك واجابوا بما هو الحق الواقع تزداد حسرة العبدة وحيرتهم ويبكتون بتكذيب المعبودين اياهم وتبرّئهم من امرهم بالشرك وعبادة غير الله فلذلك سألهم بذلك والا فهو اعلم بجميع المعلومات ومستغن عن السؤال ﴿ قوله واصله ءاضللتم ام ضلوا ﴾ لان المعنى ان ضلالهم عن الصراط السوىّ معلوم الا ان ذلك الضلال هل هو حاصل من قبل انفسهم او باضلالكم اياهم وهذا المعنى يحصل بان يقال ءاضللتم عبادى ام ضلوا بانفسهم من غير ان يزاد انتم وهم الا انه غير النظم بزيادة انتم بين فعل الاضلال والهمزة وبزيادة هم بين فعل الضلال وام ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو تعين من تولى الفعل وباشره لا اصل الضلال اذ لا شبهة فى تحققه حتى يسأل عنه فان اصل الضلال لو لم يكن مقطوع التحقق لما توجه العتاب وهو اظهار الغضب وقد توجه ذلك لان هذا الاستفهام للتوبيخ والعتاب كانه قيل هؤلاء الضالون لابدّ لهم من مضل وان ذلك المضل هل هو انتم او هم ضلوا بانفسهم فان الضال من غير ان ينقاد لمضل خارجى هو الذى يضل نفسه لاستحالة فزيد لفظ انتم وهم ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال ثم انه ذكر فى قوله سبحانك ثلاثة معان الاوّل انه تعجب مما قيل لهم واسند اليهم من الاضلال مع كونهم معصومين اوعاجزين عن الفعل مطلقا فانه كثيرا ما يستعمل فى التعجب والثانى ان قولهم سبحانك كناية عن كونهم مسبحين موسومين بذلك فكيف يليق بهم ان يضلوا عباده والثالث انه يستعمل فى التنزيه كما هو اصله والمراد تنزيهه تعالى عن الانداد ﴿ قوله فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك ﴾ جعل قولهم ما كان ينبغى لنا كناية عن استبعاد ان يدعوا احدا الى اتخاذ ولى دونه تعالى لان نفس قولهم بصريحه لا يفيد المقصود وهو نفى ما نسب اليهم من اضلال العباد وحملهم على اتخاذ الاولياء من دون الله ﴿ قوله من اتخذ الذى له مفعولان ﴾ اوّلهما ضمير المتكلمين وثانيهما قوله من اولياء ومن للتبعيض اى ما كان ينبغى لنا ان نتخذ بعض اولياء وقرأ العامة نتخذ مبنيا للفاعل ومن اولياء مفعوله وزيدت من فيه لتأكيد النفى ﴿ قوله فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة ﴾ فانهم قالوا فى هذه الآية دليل بين لقول من يقول ان الله تعالى يضل عباده فى الحقيقة لانه لو كان الامر كذلك لكان الجواب الصحيح ان يقولوا ههنا قسم ثالث غير هما وهو الحق وهو انك اضللتم فلما لم يقولوا ذلك بل نسبوا اضلالهم الى انفسهم علمنا ان الله لا يضل احدا من عباده * فان قيل لانسلم ان المعبودين ما تعرّضوا لهذا القسم بل ذكروه وقالوا ولكن متعتهم وآباءهم بنعم الدنيا * قلنا لو كان الامر كذلك لكان يلزم ان يكون الله محجوجا فى يد اولئك المعبودين ومعلوم ان ليس الغرض ذلك بل الغرض ان يصير الكافر محجوجا مفحما ملوما هذا تمام تقرير كلام المعتزلة فى الآية وتقرير المصنف ظاهر فى عدم انتهاض الآية حجة للمعتزلة علينا فانه لما تضمن كلام المعبودين انا لم نضلهم ولم نحملهم على الضلال حسن الاستدراك بقولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر فهو نسبة الضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واستغراقهم فى الشهوات واسناده الى ما فعل الله بهم فكأنه قيل لكن اضللتم بان فعلت بهم ما يؤثرون به الضلال فخلقت فيهم ذلك اذ لو لم يكن المعنى ذلك لما انطبق الجواب لان السؤال انما هو عن اضلهم ﴿ قوله التفات الى العبدة ﴾ يعنى انه كلام الله تعالى خاطب به المشركين بعد ما عبر عنهم بلفظ الغيبة فى قوله ويوم نحشرهم واصل الآية فقلنا قد كذبكم المعبودون ايها المشركون فى قولكم انهم آلهة او فى قولكم هؤلاء اضلونا على ان الباء بمعنى فى ويحتمل ان تكون الباء مع المجرور بدلا من ضمير المفعول فى كذبوكم كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون والباء صلة كذبوا كما فى قولك كذب بالحق فان كذب انما يتعدّى الى واحد تارة بنفسه وتارة بالباء وقد عدّى ههنا الى كم بنفسه فلا جرم ان تكون بدلا منه وان قرئ بما يقولون بياء الغيبة تكون الباء للآلة كما فى قولك كتبت بالقلم اى كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا ﴿ قوله والشرط وان عم ﴾ جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على القطع بوعيد العصاة واهل الكبائر بان قالوا قوله تعالى ومن يظلم يعم الكافر والفاسق لان كل واحد منهما ظالم لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ولقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون فتثبت بهذه الآية ان الفاسق لا يعفى عنه بل يعذب * وتقرير الجواب ظاهر والمراد بالاحباط بالطاعة

تقريع وتبكيت للعبدة واصله ءأضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولى للفعل دونه لانه لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة ﴿ قالوا سبحانك ﴾ تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة او انبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شئ او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله عن الانداد ﴿ ما كان ينبغى لنا ﴾ يصح لنا ﴿ ان نتخذ من دونك من اولياء ﴾ للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ ان نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذى له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثانى من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاوّل مزيدة لتأكيد النفى ﴿ ولكن متعتهم وآباءهم ﴾ بانواع النعم فاستغرقوا فى الشهوات ﴿ حتى نسوا الذكر ﴾ حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر لآلائك والتدبر فى آياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناده الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة ﴿ وكانوا ﴾ فى قضائك ﴿ قوما بورا ﴾ هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ ﴿ فقد كذبوكم ﴾ التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون ﴿ بما تقولون ﴾ فى قولكم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى فى او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اى كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا ﴿ فما يستطيعون ﴾ اى المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين ﴿ صرفا ﴾ دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليصرف اى يحتال ﴿ ولا نصرا ﴾ يعينكم عليه ﴿ ومن يظلم منكم ﴾ ايها المكلفون ﴿ نذقه عذابا كبيرا ﴾ هى النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه فى اقتضاء الجزآء مقيد بعدم المزاحم وفاقا

وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا

﴿ وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق ﴾ اى الارسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله ومامنا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وقرئ يمشون اى يمشيهم حوائجهم او الناس ﴿ وجعلنا بعضكم ﴾ ايها الناس ﴿ لبعض فتنة ﴾ ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقرآء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة وايذآئهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ماقالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر ﴿ أتصبرون ﴾ علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا اوحث على الصبر على ماافتتنوا به ﴿ وكان ربك بصيرا ﴾ بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلى به وغيره ﴿ وقال الذين لا يرجون ﴾ لا يأملون ﴿ لقاءنا ﴾ بالخير لكفرهم بالبعث اولا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشئ ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئى والمراد به الوصول الى جزآئه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول ﴿ لولا ﴾ هلا ﴿ انزل علينا الملائكة ﴾ فيخبرونا بصدق محمد وقيل فيكونون رسلا الينا ﴿ او نرى ربنا ﴾ فيأمرنا بتصديقه واتباعه ﴿ لقد استكبروا فى انفسهم ﴾ اى فى شأنها حتى ارادوا لها مايتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله فى اكمل اوقاتها وما هو اعظم من ذلك ﴿ وعتوا ﴾ وتجاوزوا الحد فى الظلم ﴿ عتوا كبيرا ﴾ بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فأعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ماسدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفى الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله * وجارة جساس ابأنا بنا * كليبا غلت ناب كليب بوآؤها *

ان يزيل ذلك الظلم بطاعة هى اعظم من ذلك الظلم فلما كان اقتضاء هذا الشرط للجزآء المذكور مقيدا بان لا يوجد مايزيل ذلك الظلم فلم تقولوا انه لم يوجد مايزيله حتى قطعتم بتعذيبه ﴿ قوله الا رسلا انهم ﴾ يعنى كسرت همزة انهم لوقوعها فى صدر جملة وقعت صفة لموصوف محذوف * واعلم ان فى الآية حذفين والتقدير وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا رسلا انهم يأكلون الطعام فحذف احدا واقيمت صفته وهى من المرسلين مقامه وكذا حذف رسلا واقيمت الجملة التى بعده مقامه وجاز استثناء رسلا من احد لانه فى معنى الجمع كما فى قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين ويجوز ان تكون الجملة التى بعد الا حالا من اعم الاحوال والتقدير وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين فى حال من الاحوال الا وهم يأكلون الا انه اكتفى فيها بالضمير عن الواو ﴿ قوله وهو جواب لقولهم ﴾ يعنى انه احتجاج عليهم فى قولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ونقض له بحال الرسل جميعا كانه قيل لو كان موافقة الرسل المرسل اليهم فى الاحوال منافيا لوجب ان لا يكون احد من المرسلين قبلك رسولا يأكل وهو باطل فاذا لم يكن ذلك منافيا لرسالتهم لم يكن منافيا لرسالتك ايضا فلك ان تكون بدعا منهم وقرئ يمشون بضم الياء وفتح الشين المشددة ولو قرئ يمشون بضم الشين على بناء الفاعل لتكثر المشى لكان له وجه لو لا ان الرواية بالفتح يقال نصبت لفلان نصبا اذا عاديته وناصبته الحرب مناصبة اى شاركته فى المحاربة والمعاداة قيل قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة تسلية له عليه السلام على ماقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام مع احتجاجه عليهم بسائر الرسل كانه قيل لا تتأذ بقولهم فانا جعلنا بعض الناس بلاء لبعض كما ابتلى اشراف الناس بأسافلهم وذووا انسابهم بموالیهم وسلاطينهم برعاياهم وبالعكس ورؤساء المشركين بفقرآء الصحابة فانه اذا اراد الشريف ان يسلم ورأى الوضيع قد اسلم قبله انف ان يسلم وقال لا اسلم بعده فيكون له على السباقة والفضل فيقيم على كفره وهو افتتان بعضهم ببعض ودليله قوله لو كان خيرا ماسبقونا اليه فلا عجب من ان يبتلى المرسلون بالمرسل اليهم بأنواع اذاهم وان يبتلى المرسل اليهم بالمرسلين حسدا لهم ويأسا من كونهم مكلفين بالخدمة وبذل النفس والمال بعد ان كانوا رؤساء مخدومين ﴿ قوله وفيه دليل على القضاء ﴾ اى فى قوله تعالى وجعلنا دليل على ان الكائنات كلها واقعة بقضاء الله وقدره فانه لا شك ان المراد منه وحكمنا فى الازل ان يكون بعضكم فتنة لبعض فالذى حكم الله تعالى عليه بذلك وعلم ذلك منه واثبته فى اللوح المحفوظ واطلع عليه الملائكة يجب ان يقع فى اوقات حدوثه على وفق ماتعلق به العلم الازلى والا لصار العلم جهلا ولصارت الكتابة المثبتة فى اللوح المحفوظ باطلة ولصار اعتقاد الملائكة جهلا وكل ذلك محال ومايستلزم المحال فثبت مسألة القضاء والقدر والقضاء هو الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء فى اوقاتها ﴿ قوله علة للجعل ﴾ يعنى ان الفتنة بمعنى الابتلاء والامتحان والاختبار فجعل البعض فتنة للبعض معناه جعله سببا لامتحان البعض بالبعض الآخر فكان تعلق اتصبرون بقوله فتنة بمنزلة تعلق قوله ايكم احسن عملا فكما ان المعنى ممة ابتلينا كم بالتكليف لنعلم ايكم احسن عملا فكذا المعنى ههنا جعلنا بعضكم فتنة لبعض لنعلم ايكم احسن صبرا فكان خلاصة المعنى فاصبروا ايها المكلفون على ايذآء بعضكم بعضا فصبروا فانزل الله تعالى فيهم انى جزيتهم اليوم بما صبروا ﴿ قوله تعالى وكان ربك بصيرا ﴾ اى عالما بمن يصبر وبمن يجزع فهو تبشير وانذار للفريقين وقيل عالما بالصواب فيما يبتلى به الخلق وغيره فلا يضيقن صدرك يا محمد ﴿ قوله ومنه الرؤية ﴾ اى ومن وجوه الوصول الى الشئ وطرقه رؤيته فان مسمى اللقاء جنس تحته انواع احدانواعه الرؤية ونوعه الآخر الاتصال والمماسة واللقاء بهذا المعنى يمتنع ان يتعلق بذاته تعالى فتعين ان يكون المراد الوصول الى جزآئه ورؤية ذاته على تقدير ان يفسر قوله لا يرجون لقاءنا لا يأملون لقاءنا بالخير وهذه الآية اشارة الى شبهة رابعة لمنكرى نبوته وهى قولهم لو كان نبيا لأنزل الله ملائكة يشهدون انه صادق فى دعوى النبوة او نرى ربنا حتى يخبرنا بانه ارسله الينا لان هذا الطريق احسن واقوى فى الافضاء الى الايمان وتصديقه ولما لم يفعل ذلك علمنا انه تعالى ما اراد تصديقه ﴿ قوله أبأنا بنا كليبا ﴾ اى قتلنا بمقابلة نابها كليبا وهو رئيس تغلب بن وآئل يقال ابأت فلانا بفلان اذا قتلته به وجعلته كفؤا له والناب المسنة من النوق وجساس رئيس بكر بن وآئل وجارته امرأة اسمها بسوس يقال انها خالة جساس رأى كليب بن وآئل يوما ناقة تلك المرأة فى حماه وقد كسرت بيض طير كان قد اجاره فرمى ضرعها بسهم فقتلها فشكت بسوس الى جساس فقال جساس لجارته لنقتلن غدا فحلا هو اعظم من ناقتك فبلغ ذلك كليبا فظن انه فحله الذى يسمى عليان فقال كليب دون عليان

خرط القتاد وكان جساس اراد بالفحل نفس كليب فقتل جساس كليبا بدل تلك الناقة فهاجت بذلك حرب بكر وتغلب بن وآئل اربعين سنة حتى ضرب بها المثل فى الشؤم * وقيل اشأم من بسوس * وسميت تلك الحرب حرب البسوس وضرب المثل فى عزة الشئ وقيل * اعز من حمى كليب * والبوآء الكفؤ واستأنف بقوله غلت ناب كليب بواؤها لقصد التعجب والمعنى ما اغلى نابا بواؤها كليب وكذا معنى الآية ما اشدّ استكبارهم وما اكثر عتوّهم ثم انه تعالى اجاب عن قولهم لولا انزل علينا الملائكة بقوله يوم يرون الملائكة فبين ان الذى طلبوه سيوجد ولكنهم يلقون منه مايكرهون ﴿قوله ويوم نصب باذكر﴾ فيكون لا بشرى استئنافا او معمولا لقول مضمر اى اذكر يوم يرون الملائكة يقولون لا بشرى وجملة القول حال من الملائكة ﴿قوله او بمادل عليه لا بشرى﴾ ولا يجوز ان يعمل فيه نفس البشرى لوجهين احدهما انه مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله والثانى انها منفية بلا وما بعدلا لا يعمل فيما قبلها ويومئذ تكرير ليوم يرون اما على انه تأكيد لفظى له واما على انه بدل منه ويحتمل ان يكون يومئذ خبرا لا بشرى والعامل فيه محذوف ويكون للمجرمين بيانا لقوله لا بشرى لما فيه من الابهام او خبرا ثانيا له ﴿قوله او ظرف﴾ عطف على قوله تكرير اى ويحتمل ان يكون يومئذ ظرفا لما تعلق به اللام او لبشرى اذا جعلتها غير مبنية فان المبنية لا تعمل ﴿قوله وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم﴾ اى حكم الذين لا يرجون لقاءنا من طريق البرهان بان يقال ان الذين لا يرجون لقاءنا مجرمون والمجرمون لا بشرى لهم فالذين لا يرجون لقاءنا لا بشرى لهم ﴿قوله ولا يلزم من نفى البشرى لعامة المجرمين حينئذ﴾ اى حين يرون الملائكة عند الموت او يوم القيامة نفى البشرى بالعفو والشفاعة جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على القطع بوعيد الفساق وعدم العفو والشفاعة وذلك ان قوله لا بشرى يومئذ للمجرمين نكرة فى سياق النفى فتعم جميع انواع البشرى فى جميع الاوقات وشفاعة الرسول لهم من اعظم البشرى فوجب ان لا يثبت ذلك لأحد من المجرمين ﴿قوله عطف على المدلول﴾ اى على الفعل الذى يدل عليه لا بشرى وهو يمنعون البشرى بالجنة او يعدمونها وقولهم حجرا محجورا كلمة تقال عند لقاء عدوّ أو هجوم مكروه ونحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة وحجرا من المصادر التى التزم اضمار ناصبها ولا يتصرّف فيه نحو معاذ الله وقعدك الله وعمرك اى اعوذ بالله معاذا يقال عذت بفلان واستعذت به اى لجأت اليه وهو عياذى اى ملجئ وقعدك الله وعمرك الله اى عمرك الله تعميرا وقعدك الله تقعيدا حذف زوائد المصدر واقيم مقام الفعل مضافا الى المفعول وحجرا مصدر حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه ولا يلحقه به والمعنى نسأل الله ان يمنعه منعا ويحجره حجرا والعامّة على كسر الحاء وقرئ بضمها وهى لغة فيه وحكى ابو البقاء فيه لغة ثالثة وهى فتح الحاء وقد قرئ به ﴿قوله واصله الفتح غيرانه لما اختص بموضع مخصوص﴾ وهو موضع الانتصاب على المصدرية لفعل مضمر أمن فيه من الالتباس وقوله غير جواب لما اختص ومحجورا صفة مؤكدة للمعنى كقولهم ليل لائل وموت مائت ﴿قوله وعمدنا الى ماعملوا﴾ لما لم يجز اسناد حقيقة القدوم اليه تعالى لكون القدوم عبارة عن مجئ المسافر بعد مدّة وذلك يكون بالحركة التى هى من خواص الاجسام ومقتضية لحدوث الموصوف بها ولذلك استدل الخليل بافول الكواكب على حدوثها وقد ثبت انه تعالى منزه عن الجسمية والحدوث ولذلك اوّل قوله تعالى وقدمنا بقوله وعمدنا فان القصد هو المؤثر فى القدوم فاطلق اسم المسبب على السبب فيكون المجاز فى المفرد ولیت شعرى كيف احتيج الى اعتباره مع جعله من تشبيه الهيئة بالهيئة كما صرّح به حيث قال وهو تشبيه حالهم بحال قوم وفى مثله تكون المفردات مستعملة فى معانيها الاصلية وانما التصرّف فى المعنى التركيبى والظاهر انه ليس مراد المصنف بقوله اى وعمدنا جعل القدوم مجازا عن العمد بل يريد به ان يعبر عن الهيئة المشبهة التى جعل نظم الآية مجازا عنها ﴿قوله او مفعول ثالث﴾ عطف على قوله صفته واراد أن منثورا لما كان بمنزلة خبر ثان كان الخبر مع المفعول الاوّل الذى هو فى الاصل مبتدأ بمنزلة ثلاثة مفاعيل والا فجعل سوآء كان بمعنى خلق او صير لا يتعدّى الى ثلاثة مفاعيل ثم انه تعالى لما بين حال الكفار فى الخسار الكلى والخيبة التامّة شرح وصف اهل الجنة تنبيها على ان الحظ كل الحظ فى طاعة الله فقال مستقرّ اهل الجنة خير من مستقرّ اهل النار وكذا مقيلهم خير من مقيلهم * فان قيل كيف يكون مستقرّ اهل الجنة خيرا من مستقرّ اهل النار مع انه لا خير فى النار اذ لا يقال العسل احلى من الخل * فالجواب انه من قبيل التقريع والتهكم كما فى قوله أذلك خير ام جنة الخلد ولما دلت الآية على ان مستقرّ اهل الجنة غير مقيلهم فسر المستقرّ بالمكان الذى يستقرّ فيه فى اكثر الاوقات ﴿يوم يرون الملائكة﴾ ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه ﴿لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾ فانه بمعنى يمنعون البشرى او بعد موتها ويومئذ تكرير او خبر للمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما تعلق به اللام او لبشرى ان قدّرت منوّنة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفى البشرى عامة المجرمين حينئذ نفى البشرى بالعفو والشفاعة فى وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها ﴿ويقولون حجرا محجورا﴾ عطف على المدلول اى ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم وهى مما كانوا يقولون عند لقاء عدوّ او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرّما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غيرانه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرّف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موت مائت ﴿وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ اى وعمدنا الى ماعملوا فى كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فأحبطناه لفقد ماهو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثر والهباء غبار يرى فى شعاع الشمس يطلع من الكوّة من الهبوة وهى الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط فى حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه فى انتشاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرّقه نحو اغراضهم التى كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين ﴿اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرّا﴾ مكانا يستقرّ فيه فى اكثر الاوقات للتجالس والتحادث ﴿واحسن مقيلا﴾ مكانا يؤوى اليه للاستراحة بالازواج والتمتع بهنّ تجوّزا له من مكان القيلولة على التشبيه

اولانه لايخلو من ذلك غالبا اذ لانوم في الجنة وفي احسن رمز الى مايتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب مايتخيل من الامكنة والازمان والتفضيل اما الارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ماللمترفين في الدنيا روى انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ﴿ويوم تشقق السماء﴾ اصله تتشقق فحذف التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب ﴿بالغمام﴾ بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ﴿ ونزل الملائكة تنزيلا ﴾ في ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرأ ابن كثير ونزل الملائكة وقرئ ونزلت وانزل ونزل ونزل ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ﴾ الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الاملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متأخرا وصفة والخبر يومئذ اوللرحمن ﴿وكان يوما على الكافرين عسيرا﴾ شديدا ﴿ويوم يعض الظالم على يديه ﴾ من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط كان يكثر مجالسة النبي عليه الصلاة والسلام فدعاه الى ضيافته فابى ان يأكل طعامه حتى ينطلق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فاسر يوم بدر فأمر عليا فقتله وطعن ابيا بأحد في المبارزة فرجع الى مكة ومات

والمقيل بالمكان الذي يؤوى اليه للتمتع بالازواج ﴿قوله﴾ اذ لانوم في الجنة ﴿لان اهلها ابدا في نعيم يعرفونه كما ان اهل النار ابدا في عذاب يعرفونه فلا نوم لواحد منهما ﴿قوله﴾ وفي احسن رمز الى مايتزين به مقيلهم من حسن الصور ﴿ اى حسن صور ازواجهم من الحور العين والتحاسين جمع تحسين مصدر حسن سمي به مايحسن به الشئ من الزخارف كالتصانيف والتضاعيف سمي به تصاريف الزمان واثناء الشئ ﴿قوله﴾ تعالى ويوم تشقق ﴿ العامل في يوم اما اذكر او الفعل المقدر المدلول عليه بقوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن تقديره تفرد الله بالملك يوم تشقق قرأ الكوفيون وابو عمرو تشقق بتخفيف الشين والباقون بتشديدها واصل القراءتين تتشقق حذف الاولون احدى التاءين للتخفيف والباقون ادغموا تاء التفعل في الشين لما بينهما من المقاربة وهذه الآية مرتبطة ايضا بما اقترحوه من انزال الملائكة فبين الله تعالى ان ذلك يحصل في يوم له صفات منها ان السماء تتشقق في ذلك اليوم ومنها ماذكره بقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه ﴿قوله﴾ بسبب طلوع الغمام منها ﴿ يعني ان الباء في قوله بالغمام سببية فان طلوع الغمام منها سبب لانشقاقها كما تقول تشققت الارض بالنبات لكون طلوع النبات منها سببا لتشققها وليس طلوع الغمام وانبات آلة للانشقاق لان آلة الفعل يتقدم وجودها على وجود الفعل وليس الطلوع متقدما على الانشقاق في الوجود حتى يكون آلة له الا انه شبه بالآلة في كونه سببا للفعل والمعنى ان السماء تفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة عليهم الصلاة والسلام ينزلون وفي ايديهم صحائف اعمال العباد وقيل الباء فيه للحال اى ملتبسة بالغمام او عليها غمام كما يقال ركب الامير بسلاحه وخرج بثيابه اى وعليه سلاحه وثيابه وقيل الباء هنا بمعنى عن اى عن الغمام ومعنى انشقت الارض عن النبات ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه وكذا في قوله تعالى يوم تشقق الارض عنهم سراعا فتشقق السماء عن الغمام بان تزول السماء فيبقى الغمام فوق رؤس الخلائق يظلهم قال الامام النسفي الغمام فوق السموات السبع وهو سحاب ابيض غلظه كغلظ السموات السبع ويمسكه الله تعالى اليوم بقدرته وهو اثقل من السموات فاذا اراد الله ان يشق السموات ألقى ثقله عليها فانشقت فذلك قوله تعالى تشقق السماء بالغمام اى بثقل الغمام فيظهر الى هنا كلامه فعلى هذا يحتمل ان يكون قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة معناه ان يأتيهم بظلل من الغمام فان الباء وفي يتعاقبان كثيرا وروى في الخبر انه تشقق سماء الدنيا فتنزل ملائكة سماء الدنيا بمثلي من في الارض من الجن والانس فيقولون لهم الخلق أفيكم ربنا يعنون هل جاء امر ربنا بالحساب فيقولون لا وسوف يأتي ثم ملائكة السماء الثانية بمثلي من في الارض من الملائكة والانس والجن ثم تنزل ملائكة كل سماء على هذا التضعيف حتى تنزل ملائكة سبع سموات ثم ينزل الامر بالحساب فذلك قوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الا انه قد ثبت ان الارض بالقياس الى سماء الدنيا كحلقة في فلاة فكيف بالقياس الى الكرسي والعرش وكيف تسع الارض كل هؤلاء الملائكة والعلم عند الله تعالى ﴿قوله﴾ وقرأ ابن كثير ونزل الملائكة ﴿ اى بنونين ثانيتهما ساكنة مضارع انزل من الانزال ونصب الملائكة على انه مفعول به فكان من حق المصدر في هذه القراءة ان يجيئ على الانزال الا انه لما كان انزل ونزل بمعنى واحد اقيم مصدر احدهما مقام مصدر الآخر مثل قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا وقرأ الباقون من السبعة ونزل بضم النون وكسر الزاى المشددة وفتح اللام ماضيا مبنيا للمفعول ورفع الملائكة لقيامه مقام الفاعل وقرئ ونزلت بالتشديد مبنيا للمفعول وقرئ وانزل ونزل كل واحد منهما على الفاعل وهو الله تعالى فعدى الفعل تارة بالهمزة وتارة بالتضعيف وقرئ انزل على بناء المفعول ايضا وقرئ ونزل بالفتحات الثلاث مخففا مبنيا للفاعل وهو الملائكة وقرئ ونزل الملائكة بضم النون وتشديد الزاى ونصب الملائكة والاصل بنونين حذفت احداهما ﴿قوله﴾ فهو الخبر ﴿ يعني ان الملك مبتدأ ويومئذ ظرف معمول له والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق والمعنى الملك يوم تشقق السماء هو الملك الثابت للرحمن او متعلق بمحذوف على التبيين فيتم الكلام عند قوله الحق ﴿قوله﴾ او صفة ﴿ عطف على الخبر في قوله فهو الخبر ويحتمل ان يكون الحق صفة للمبتدأ وللرحمن خبره ويومئذ من صلة المبتدأ او من صلة الخبر ولا يجوز ان يكون من صلة الحق لان ما كان في حيز المصدر لا يتقدم عليه ويحتمل ان يكون الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين كما مر وعض اليد كناية عن الغيظ وقيل المراد به حقيقة العض والاكل فمعنى قوله يعض الظالم انه يأكل يديه الى المرفقين ثم تنبتان فلا يزال هكذا كلما نبتت يداه اكلهما ندامة على

مافعل وقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه منصوب به ثم ان كان تعريف الظالم للعهد وكان المعهود عقبة بن ابى معيط يكون قوله فلانا كناية عن شخص معين وهو ابىّ بن خلف وكان يمنى عقبة يوم القيامة ان لايتخذ ابا خليلا فى الدنيا وان كان التعريف فيه للجنس او الاستغراق يكون كناية عن كل من اطاع فى معصية الله تعالى روى الضحاك انه قال لما بزق عقبة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد بزاقة فى وجهه فاحترق خدّه فكان اثره فيه حتى الموت ﴿ قوله يقول ياليتنى ﴾ هذه الجملة حال من فاعل يعض ﴿ قوله طريقا الى النجاة اوطريقا واحدا ﴾ يعنى ان التنكير فى قوله سبيلا اما للنوعية او للافراد وهو سبيل الحق ﴿ قوله ولم يتشعب بى ﴾ اى لم يفرّقنى يقال شعبت الشىء اذا فرّقته ويقال التأم شعب بنى فلان اذا اجتمعوا بعد التفرّق والباء فى قوله بى للتعدية ومعنى تفريق طرق الضلال اياه انه لما كان تارة فى هذا الطريق من طرق الضلالة وتارة فى تلك كان طرق الضلال كانها فرّقته ﴿ قوله وقرئ ياليائى على الاصل ﴾ فان اصل هذه اللفظة كسر التاء التى بعدها ياء صريحة فابدلت الكسرة فتحة والياء ألفا فرارا من اجتماع الكسرة مع الياء ﴿ قوله كما ان هنا كناية عن الاجناس ﴾ يعنى ان كل واحد من لفظى فلان وهن اسم وضع لان يعبر به عن شىء الا ان لفظ فلان يكنى به عن اسم علم شخص من العقلاء ولفظ هن يكنى به عن المسمى الذى يستهجن ذكره بالاسم الموضوع له لقبحه يقال كانت بينهم هنات ومن المعلوم انه ليس المراد بالهنات الالفاظ وانما يكنى بها عن اشياء قبيحة ولذلك يكنى به عن نفس الفرج لا عن لفظ الفرج ﴿ قوله يعنى الخليل المضل ﴾ يعنى ان خليله يسمى شيطانا لان فعله فعل الشيطان وهو الاضلال وكلام الظالم ثم عند قوله بعد اذ جاءنى ثم قال الله وكان الشيطان للانسان خذولا حيث تبرّأ فى الآخرة من نصرة من اضله فى الدنيا ويجوز ان يكون هذا الكلام من قول الظالم كالكلام الذى قبله يقوله حين يخذله الشيطان او خليله ولم ينفعه فى الآخرة ثم اخبر الله عن شكوى رسوله قومه اليه بقوله وقال الرسول يارب وهذه الشكوى وقعت منه عليه الصلاة والسلام فى الدنيا حين اكثروا من الاعتراضات الفاسدة ووجوه التعنت وقيل انه عليه الصلاة والسلام يقوله فى الآخرة شهادة على من كذبه وعصاه وليس المقصود من حكاية هذا القول للمخاطب وهو الرسول الاخبار والاعلام لان كل واحد من فائدة الخبر ولازمها معلوم له عليه الصلاة والسلام بل المقصود منها تعظيم لشكايته وتخويف لقومه لان الانبياء اذا التجأوا الى الله تعالى وشكوا قومهم حل بهم العذاب ولم يمهلوا ﴿ قوله او هجروا فيه ﴾ اى ويحتمل ان لايكون قوله مهجورا من الهجر الذى هو ضدّ الوصل بل يكون من الهجر بالضم بمعنى الهذيان فانه كما يقال هجره هجرا وهجرانا اذا تركه وصد عنه يقال ايضا هجر المريض هجرا اذا هذى فى منطقة ثم انه على تقدير كونه من الهجر بهذا المعنى يحتمل معنيين الاوّل انهم هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه بان يخلطوا هجرهم به ليبقى غير مفهوم على السامعين والثانى انهم زعموا انه هذيان وهجر واساطير الاوّلين وهذا كما لو نقل اليك كلام فقلت هجر فيه اى هذى قائله فى هذه المقالة وعلى كل واحد من المعنيين يكون اصله مهجورا فيه لان هجر بمعنى هذى لازم لايجيئ منه اسم المفعول مالم يعدّ بحرف الجرّ لان الهجر بمعنى الاهجار هو التكلم بالهجر وهو كلام فاسد لاطائل فيه ولامعنى له فظاهر انه لايستدعى المفعول ويجوز ان لايكون المهجور اسم مفعول بل يكون مصدرا بمعنى الهجر اطلق على القرآن على طريق التسمية بالمصدر كالمجلود والمعقول والمردود بمعنى الجلد والعقل والردّ والمعنى على هذا جعلوا قرآءة القرآن والتكلم به هجرا ثم انه عليه الصلاة والسلام لما شكا اليه تعالى قومه قال الله تعالى تسلية له وكذلك جعلنا اى وكما جعلنا قومك يعادونك ويكذبونك جعلنا لكل نبىّ عدوّا وهذا صريح فى ان تلك العداوة كانت بجعل الله وتلك العداوة كفر فثبت به انه تعالى خالق الخير والشرّ جميعا وليس للعبد حصة من الخلق اصلا ثم انه تعالى حكى عن منكرى النبوّة شبهة اخرى وهو قول اهل مكة تزعم انك رسول من عند الله هلا تأتينا بالقرآن جملة واحدة كما اتى كل واحد من موسى وعيسى وداود عليهم الصلاة والسلام وقوله جملة حال من القرآن اذ هى فى معنى مجتمعا ﴿ قوله اى كذلك انزلناه مفرّقا ﴾ يريد ان الكاف منصوبة المحل على الحال من مفعول فعل مقدّر او على الوصفية لمصدر فعل محذوف ويحتمل ان تكون مرفوعة المحل على الابتداء اى الامر كذلك ويكون قوله لنثبت علة لمحذوف اى لنثبت فعلنا ذلك وهو جواب عن شبهتهم ﴿ قوله ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ﴾ فانه لو نزل جملة واحدة ولم يتقدّم بعض الآى على بعض فى النزول لم يعلم ايها ناسخة وايها منسوخة واما اذا نزلت منجمة فحينئذ يعلم ان ماتاخر نزوله ناسخ للمتقدّم ولانه اذا نزل مفرّقا بحسب اسئلتهم والوقائع

﴿ وقرئ بالياء على الاصل ﴾ ﴿ ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا ﴾ يعنى من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس ﴿ لقد اضلنى عن الذكر ﴾ عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة ﴿ بعد اذ جاءنى ﴾ وتمكنت منه ﴿ وكان الشيطان ﴾ يعنى الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من جنّ او انس ﴿ للانسان خذولا ﴾ يوالية حتى يؤدّيه الى الهلاك ثم يتركه ولاينفعه فعولا من الخذلان ﴿ وقال الرسول ﴾ محمد يومئذ او فى الدنيا بثا الى الله ﴿ يارب ان قومى ﴾ قريشا ﴿ اتخذوا هذا القرآن مهجورا ﴾ بان تركوه وصدّوا عنه وعنه صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به ويقول يارب عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه او هجروا فيه ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاوّلين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله قومهم عجل لهم العذاب ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبىّ عدوّا من المجرمين ﴾ كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشرّ والعدوّ يحتمل الواحد والجمع ﴿ وكفى بربك هاديا ﴾ الى طريق قهرهم ﴿ ونصيرا ﴾ لك عليهم ﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن ﴾ اى انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله ﴿ جملة واحدة ﴾ دفعة واحدة كالكتب الثالثة وهو اعتراض لاطائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة اومتفرّقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله ﴿ كذلك لنثبت به فؤادك ﴾ اى كذلك انزلناه مفرّقا لنقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله بخلاف حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان امّيا وكانوا يكتبون فلو ألقى اليه جملة تعنى بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيأ فشيأ ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص فى المعنى ولانه اذا انزل منجما وهو يتحدّى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد

الواقعة بهم حصل فائدة جليلة لاتحصل على تقدير نزوله دفعة واحدة فانه لو نزل دفعة واحدة لما حصل الا الدلالات اللفظية وفصاحة الالفاظ الدالة على المدلولات بخلاف ماذا نزل نجوما فانه ينضم اليها حينئذ القرائن الحالية ورعاية مقتضى كل واقعة وحال ولاشك ان انضمامها اليها يعين على البلاغة وبالجملة انزال القرآن مفرّقا منجما فضيلة خص بها نبينا من بين سائر النبيين فان المقصود من انزاله ان يتخلق قلبه المنير بخلق القرآن ويتقوّى بنوره ويتحلى بحقائقه وعلومه وهذه الفوآئد انما تكمل بانزاله منجما حالا بعد اخرى الاترى ان الماء لو نزل من السماء جملة واحدة لما كانت تربة الزروع به مثلها اذا نزل مفرّقا الى ان يستوى الزرع ﴿قوله ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة﴾ كأنهم قالوا لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة كنزول الكتب الثلاثة فيكون قوله لنثبت متعلقا بمحذوف تقديره انزلناه مفرّقا لنثبت كما يتعلق به على تقدير ان يكون من كلام الله تعالى وقوله ورتلناه ترتيلا معطوف على ذلك المحذوف الذى تعلقت اللام به والترتيل التفريق ومجيء الكلمة بعد الاخرى بسكوت يسير دون قطع النفس قال ابن عباس ورتلناه ترتيلا اى بيناه بيانا وقال السدّى فصلناه تفصيلا وقال ابن الاعرابى ماأعلم الترتيل الا التحقيق والتبيين وقيل امرناه بالترتيل فى قرآءته وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا اى اقرأه بترتيل وتثبت قيل معنى الترتيل حفظ الوقوف وأدآء الحروف ومنه حديث عائشة فى صفة قرآءة النبى صلى الله عليه وسلم لو اراد السامع ان يعدّ حروفه لعدّها ومحصول ماذكره المصنف انزلناه بعضه بعد بعض وعلى اثر بعض بزمان يسير بينهما ولم ننزله مرّة واحدة وهو معنى قوله ونزلناه تنزيلا ثم انه تعالى لما فتح هذه السورة الكريمة بما يتضمن اثبات التوحيد والنبوّة ثم اورد اباطيل المخالفين فيهما وردّهم فى كل واحدة من تلك الشبهات الباطلة والسؤالات الفاسدة ختم الكلام بقوله ولايأتونك بمثل اى لايأتونك بشبهة وسؤال من جنس الشبهات المذكورة الواضحة البطلان كما نها مثل يمثل بها الاجتنالك بالحق الذى يدمغ ماجاؤا به من المثل ويبطله كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق سمى مايوردونه من الشبه مثلا ومايدفع به الشبهة حقا وقوله الاجتنالك بالحق استثناء مفرّغ والجملة فى محل النصب على الحال اى لايأتونك بمثل فى حال من الاحوال الا فى حال اتياننا اليك بالحق وبما هو احسن بيانا لما هو الحق والصواب ومقتضى الحكمة ﴿قوله اومعنى﴾ على ان يكون التفسير وهو اظهار المعنى وبيانه مجازا مرسلا عن نفس المعنى المبين اطلق اسم التفسير والبيان على المعنى لما بينهما من العلاقة فان كل واحدة من الشبهات التى اوردوها قدحا فى نبوّته لامعنى لها ولانفع فيماهم بصدده وماجاء الله به فى دفعه وجوابه احسن بيانا لما هو الحق والصواب ومقتضى الحكمة اى احسن معنى واصلح جوابا وردّا من سؤالهم الذى لانفع لهم فيه وحاصل الجواب على هذا الوجه انهم كلما سألوا سؤالا عجيبا اجبنا عنه بجواب هو احسن من سؤالهم مثلا انهم سألوا عن انزاله جملة واحدة لم لم يكن فاجبنا بانا انزلناه مفرّقا لنثبت به فؤادك وهو احسن معنى ومؤدّى لما فيه من بيان الحكمة ولانفع لهم من سؤالهم اصلا والمعنى على الوجه الثانى كلما يأتونك بصفة عجيبة قائلين لم لم تكن على هذه الصفة مع انها هى المناسبة للنبوّة واظهر فى الدلالة على انك نبىّ جعلناك على صفة هى اشدّ مناسبة للنبوّة ودلالة على انك نبىّ حق * فان قيل قد ذكر اوّلا ان السؤال مثل فى البطلان فكيف يصح مع هذا ان يقال الجواب احسن منه فان الحسن ليس مشتركا بينهما فالجواب من وجهين الاوّل لما كان السؤال حسنا بزعمهم قيل الجواب احسن من السؤال والثانى ان مثل قولهم الصيف احرّ من الشتاء يريدون به ان حرّ الصيف اشدّ من برد الشتاء فعلى هذا معنى الآية ان الجواب فى باب الحق والحسن اقوى وادخل من سؤالهم فى باب القبح والبطلان ﴿قوله اى مقلوبين اومسحوبين اليها﴾ الفرق بين الوجهين ان معنى الآية على الاوّل ان الذين يمشون الى جهنم حال كونهم مقلوبين ووجوههم الى القفا وارجلهم الى فوق وقد روى ذلك عنه عليه افضل الصلاة والسلام فانه قد ورد فى الاخبار ان رجلا قال يانبى الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال ان الذى امشاه على رجليه قادر ان يمشيه على وجهه وعلى الثانى ان الذين يحشرون اليها حال كونهم مسحوبين اى مجرورين على وجوههم وماذكره من الحديث يؤيد هذا الوجه وذكر فى اعراب الذين ثلاثة اوجه على ان يكون منصوبا على الذم بتقدير اعنى ومرفوعا على الذم اى على انه خبر مبتدأ محذوف اى هم الذين وان يكون مبتدأ وخبره اولئك شرّ مكانا اى منزلا ومصيرا وأضل سبيلا اى اخطأ دينا وطريقا ﴿قوله والمفضل عليه هو الرسول﴾ اشارة الى ان الآية متصلة بقوله ولايأتونك بمثل فان مقصودهم

وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرّقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه القرآن جملة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ﴿ورتلناه ترتيلا﴾ وقرأناه عليك شيأ بعد شئ على تؤدة وتمهل فى عشرين سنة او ثلاث وعشرين سنة واصله الترتيل فى الاسنان وهو تفليجها ﴿ولايأتونك بمثل﴾ سؤال عجيب كأنه مثل فى البطلان يريدون به القدح فى نبوّتك ﴿الاجئناك بالحق﴾ الدامغ له فى جوابه ﴿واحسن تفسيرا﴾ وبما هو احسن بيانا اومعنى من سؤالهم او ولايأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال مايحق لك فى حكمتنا وماهو احسن كشفا لما بعثت له ﴿الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم﴾ اى مقلوبين اومسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب اومرفوع اومبتدأ خبره ﴿اولئك شرّ مكانا واضل سبيلا﴾ والمفضل عليه هو الرسول عليه السلام على طريقة قوله قل هل أنبئكم بشرّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل ان حاملهم على هذه الاسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولايعلمون حالهم ليعلموا انهم شرّ مكانا واضل سبيلا

وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازى للمبالغة ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا﴾ يوازره فى الدعوة واعلاء الكلمة ولاينافى ذلك مشاركته فى النبوّة لان المتشاركين فى الامر متوازران عليه ﴿فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا﴾ يعنى فرعون وقومه ﴿بآياتنا فدمّرناهم تدميرا﴾ اى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمّرناهم فاقتصر على حاشيتى القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ ودمرتهم فدمّراهم فدمّرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل﴾ كذبوا نوحا ومن قبله اونوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة ﴿اغرقناهم﴾ بالطوفان ﴿وجعلناهم﴾ وجعلنا اغراقهم اوقصتهم ﴿للناس آية﴾ عبرة ﴿وأعتدنا للظالمين عذابا اليما﴾ يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم ﴿وعادا وثمودا﴾ عطف على هم فى جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تأويل القبيلة ﴿واصحاب الرسّ﴾ قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم حول الرس وهى البئر الغير المطوية فانهارت فخسفت بهم وبديارهم وقيل الرس قرية عظيمة بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبىّ فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة ابن صفوان النبىّ ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذى يقال له فتخ اودخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدسما عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اى دسوه فى بئر ﴿وقرونا﴾ واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون ﴿بين ذلك﴾ اشارة الى ماذكر ﴿كثيرا﴾ لايعلمها الا الله ﴿وكلا ضربنا له الامثال﴾ بيناله القصص العجيبة من قصص الاوّلين انذارا واعذارا فلما اصرّوا اهلكوا كما قال ﴿وكلا تبرنا تتبيرا﴾ فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاوّل منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثانى بتبرنا لانه فارغ عن الضمير ﴿ولقد أتوا﴾ يعنى قريشا مرّوا مرارا فى متاجرهم الى الشام ﴿على القرية التى امطرت مطر السوء﴾ يعنى سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة

من اتيان ماهو كالمثل فى البطلان تحقير منزلته ومكانه وقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شرّ مكانا واضل عن سواء السبيل فاسلوب الآيتين واحد ﴿قوله﴾ وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير ﴿﴾ من حيث ان ذلك فى بيان اهل الجنة وحسن حالهم وهذا فى صفة اهل النار وسوء مصيرهم ولم يرض به لان قسيم اهل الجنة قد ذكر قبل ذلك ثم انه لما ذكر قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبىّ عدوّا من المجرمين اتبعه بذكر جماعة من الانبياء وعرّفه مانزل بمن كذبهم من امهم تسلية له عليه الصلاة والسلام وايعادا لقومه كأنه قيل لست اوّل نبى كذب بل كذب قبلك انبياء مؤيدين بالآيات ثم دمرنا مكذبيهم فقال ولقد آتينا موسى الكتاب قال الزجاج الوزير فى اللغة هو الذى يرجع اليه ويعمل برأيه ويتحصن به والوزر مايعتصم به ومنه كلا لاوزر اى لامنجى ولا ملجأ قيل ولذلك لايوصف تعالى بانه وزيرا ولا بأنه وزير لان الالتجاء اليه فى المشاورة والرأى على هذا الحدّ لا يتصوّر * ولما ورد ان يقال كون هرون وزيرا كالمنافى لكونه شريكا له فى النبوّة لانه اذا صار شريكا له خرج عن كونه وزيرا * اجاب عنه بقوله ولاينافى ذلك مشاركته ﴿قوله﴾ والتعقيب ﴿﴾ جواب عما يقال الفاء فى قوله تعالى فدمّرناهم للتعقيب والاهلاك لم يحصل عقيب ذهاب موسى وهرون بل بعد مدّة مديدة * والجواب ان فاء التعقيب محمولة ههنا على الحكم بالاهلاك على الوقوع ﴿قوله﴾ وقرئ ودمرتهم ﴿﴾ يعنى ان العامّة قرأوا فدمّرناهم فعلا ماضيا على بناء المتكلم المعظم نفسه معطوفا على محذوف اى فذهبا فكذبوهما فدمرناهم تدميرا اى اهلكناهم اهلاكا وقرئ فدمّراهم امرا لموسى وهرون وقرئ ايضا فدمرانهم كذلك ولكنه مؤكد بالنون الثقيلة وقرئ ايضا فدمرا بهم بزيادة الباء الجارة بعد فعل الامر وهى تشبه القراءة التى قبلها فى الخط ﴿قوله﴾ تعالى وقوم نوح ﴿﴾ يجوز ان يكون منصوبا عطفا على مفعول دمّرناهم وان يكون منصوبا بفعل مضمر يفسره قوله تعالى اغرقناهم ويترجح هذا بتقدّم جملة فعلية قبله ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مقدّر لا على سبيل الاشتغال اى اذكر قوم نوح ﴿قوله﴾ ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل ﴿﴾ لان تكذيب الواحد منهم لايمكن الا بالقدح فى المعجز وذلك يقتضى تكذيب الكل ولانهم متفقون فى اصول الدين فمن كذب واحدا منهم فى شئ من ذلك فقد كذب الكل فيه ﴿قوله﴾ كالبراهمة ﴿﴾ فانهم قوم من الهند منسوبون الى واحد منهم اسمه برهام منكرون لكل الرسل وبعثتهم ﴿قوله﴾ عطف على هم ﴿﴾ لم يتعرّض لكونه معطوفا على قوم نوح لظهوره ومن صرف ثمود أوّله بالحىّ دون القبيلة ومن جعله غير منصرف اوّله بالقبيلة ﴿قوله﴾ مرّوا مرارا ﴿﴾ تكرار المرور لايفهم من هذه الآية ولعله اخذ من قوله تعالى فى سورة الصافات وانكم لتمرّون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون وفسر الاتيان بالمرور للاشارة الى وجه تعدية اتوا بكلمة على فانه يتعدّى بنفسه وبكلمة الى الا انه عدّى بعلى لتضمنه معنى مرّوا وقوله مطر السوء يحتمل ان يكون مصدرا على حذف الزوائد اى امطار السوء وان يكون نعت مصدر محذوف اى امطارا مثل مطر السوء واضيف المطر الى صفته لتدل على اختصاصه بها وان ليس له صفته غيرها ﴿قوله﴾ يعنى سدوم ﴿﴾ عن الليث انه بالدال المهملة وقيل انه بالذال المعجمة قيل اراد بها عين القرية وكانت قرى قوم لوط خمسا اهلك الله منها اربعا بأهلها وبقيت واحدة اهلك الله اهلها وهى سدوم قال الله تعالى فى حقها التى امطرت مطر السوء قيل كان كل حجر منها قدر انسان وقيل ذلك كان فى ريح حاصب وهذا العذاب انما نزل بهم عقوبة على عصيان نبيهم لوط وتكذيبهم اياه فكان ينبغى لكفار قريش ان يتعظوا لما رأوا مما حل بهؤلاء فيمتنعوا عن مخالفة رسول الله ويلتزموا طاعته فلذلك وبخ الله تعالى عليهم بقوله افلم يكونوا يرونها ثم انتقل منه الى التوبيخ بوجه آخر وهو انهم كفرة لايرجون البعث بعد الموت وهو عاقبة الموت ولما كان حقيقة الرجاء انتظار الخير وظنّ حصول مافيه مسرة وليس النشور خيرا مودّيا الى المسرّة فى حق الكافر فلا يتصوّر نسبة رجاء النشور الى الكافر حتى يصح ايقاعها او انتزاعها احتيج الى توجيه قوله لايرجون نشورا فذكر فيه ثلاثة اوجه الاوّل ان الرجاء مجاز عن التوقع والتوقع يستعمل فى الخير والشرّ جميعا فامكن ان تتصوّر النسبة بين الكافر وتوقع النشور فيحكم بوقوعها فوضع الرجاء موضع التوقع ونفى عن الكافر لانه انما يتوقع الحياة بعد الموت من يؤمن بالله ورسوله فكأنه قيل بل كانوا لايتوقعون نشورا فلذلك لم يتعظوا بمن نزل بهم ومرّوا بقريتهم كامرت ركابهم وجمالهم والثانى ان يكون الرجاء على حقيقته بان يكون المراد بالنشور نشورا فيه خير وسرور كنشور المسلمين فانه يتصوّر النسبة بين الكافر وبين مثل هذا النشور فيتصوّر نفيها فنفيت بان قيل انهم لايأملون نشورا كما يأمله المسلمون طمعا فى الثواب

﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ فى مرارمرورهم فيتعظون بمايرون فيهامن آثار عذاب الله ﴿بل كانوا لايرجون نشورا﴾ بل كانوا كفرة لايتوقعون نشورا ولاعاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمرّوا بها كامرّت ركابهم اولا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا فى الثواب اولايخافونه على اللغة التهامية ﴿واذا رأوك ان يتخذونك الاهزؤا﴾ مايتخذونك الاموضع هزؤا ومهزوأ به ﴿أهذا الذى بعث الله رسولا﴾ محكى بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا فى معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزآء ولولاه لقالوا أهذا الذى زعم انه بعثه الله رسولا ﴿ان كاد﴾ انه كاد ﴿ليضلنا عن آلهتنا﴾ ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده فى الدعاء الى التوحيد وكثرة مايورد مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات ﴿لولا ان صبرنا عليها﴾ ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا فى مثله تفيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا﴾ كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفى مايلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه لايهملهم وان امهلهم ﴿أرأيت من اتخذ الهه هواه﴾ بان طاعه وبنى عليه دينه لايسمع حجة ولايبصر دليلا وانما قدّم المفعول الثانى للعناية به ﴿افأنت تكون عليه وكيلا﴾ حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصى وحاله هذا فالاستفهام الاوّل للتقرير والتعجيب والثانى للانكار ﴿ام تحسب﴾ بل أتحسب ﴿ان اكثرهم يسمعون او يعقلون﴾ فيجدى لهم الآيات اوالحجج فتهتم بشأنهم وتطمع فى ايمانهم وهو اشدّ مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا اوخوفا على الرياسة ﴿ان هم الا كالانعام﴾ فى عدم انتفاعهم بقرع الآيات اذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات ﴿بل هم اضل سبيلا﴾ من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيئ اليها وتطلب ماينفعها وتجتنب مايضرّها وهؤلاء لاينقادون لربهم ولايعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولايطلبون الثواب الذى هو اعظم المنافع ولايتقون العقاب الذى هو أشدّ المضارّ ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرّا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لاتضرّ بأحد وجهالة هؤلاء تؤدّى الى هيج الفتن وصدّ الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولاذم وهؤلاء مقصرون مستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم (فيكون)

فان من لم يؤمن ولم يعمل عمل المؤمنين كيف يأمل مثل املهم والثالث ان الرجاء بمعنى الخوف على لغة تهامة ويتصوّر نسبته الى الكافر ونفيها ﴿قوله﴾ الاموضع هزؤ ﴿على ان يكون هزؤا مصدرا على تقدير المضاف وان كان فعلا بمعنى مفعول فالتقدير مهزوأ به وكلمة ان فى قوله ان يتخذونك نافية وفى قوله ان كاد ليضلنا مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينهما وهزؤا مفعول ثان والجملة المنفية جواب اذا الشرطية وقوله هذا الذى فى محل النصب بالقول المضمر وذلك القول المضمر فى محل النصب على انه حال من فاعل ان يتخذونك اى مايتخذونك الاهزؤا قائلين ذلك والمعنى لم يقتصروا على ترك الايمان وايراد الشبهات الباطلة بل زادوا عليها الاستهزآء والاستحقار اذا رأوك فان اشارتهم اليه عليه الصلاة والسلام بلفظ هذا استحقار تنزيلا لدنوّ مكانته عليه الصلاة والسلام بزعمهم منزلة دنوّ مكانه بمقتضى جهالتهم وضلالتهم * ولما وردان يقال مضمون الصلة يجب ان يكون معلوم الانتساب الى ذات الموصول عند المتكلم فكيف جعلوا قولهم بعث الله رسولا صلة مع انهم منكرون بعثه عليه الصلاة والسلام * اجاب عنه بانه مبنى على التهكم والاستهزآء ﴿قوله﴾ ولولا فى مثله ﴿اى فيما لم يذكر جواب لولا اكتفاء بما تقدّم عليها مما يدل على جوابها تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ فان لولا مع مادخلت هى عليه قيد لجوابها لفظا ان ذكر جوابها لفظا وان لم يذكر لاتكون قيدا له من حيث اللفظ الا انه لما تقدّم حكم يدل على جوابها المطلق وهو قوله ان كاد ليضلنا كانت لولا قيدا له من حيث المعنى لكونه فى معنى الجزآء وحكمه ﴿قوله﴾ فانه يفيد نفى مايلزمه ويكون الموجب له ﴿بيان لكونه كالجواب لقولهم فان قولهم يستلزم ويقتضى كونه عليه الصلاة والسلام ضالا من حيث ان احدا لايضل غيره الا اذا كان ضالا فى نفسه والمعنى سيظهر لهم من الضال غاية الضلال فيفيد نفى ماهو لازم قولهم ونفى اللازم نفى للملزوم فيكون كالجواب لقولهم وقوله من اضل سبيلا جملة استفهامية متعلقة بيعلمون فهى سادّة مسدّ مفعوليه ان كان على بابه وان كان بمعنى يعرفون تكون سادّة مسدّ مفعول واحد وفيه وعيد من حيث انه يدل على انه لامحيص لهم عن العذاب وان تأخر وقوله ودلالة الخ عطف تفسير وكلما ارأيت تستعمل تارة للاعلام وتارة للسؤال وههنا استعملت للتعجب من جهل من هذا وصفه ونعته ﴿قوله﴾ الهه هواه ﴿مفعولا الاتخاذ من غير تقديم ولاتأخير لاستوآئهما فى التعريف فان مفعولى اتخذ قبل دخوله عليهما مبتدأ وخبر المبتدأ الهه والخبر هواه لان كل واحد منهما معرفة والمعرفتان اذا وقعتا مبتدأ وخبرا فالمقدّم هو المبتدأ والمؤخر هو خبره فيكون الهه مفعولا اوّلا وهواه ثانيا من غير تقديم ولا تأخير الا ان المصنف جعل تقدير الكلام ارأيت من اتخذ هواه الهه وقال انما قدّم المفعول الثانى للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق نظرا الى اصل المعنى فانه لاينكر ان المعرفتين ايتهما قدّم فهو المبتدأ الا ان النظر الى جانب المعنى وملاحظة اصل المقصود يقتضى ان يكون الهه خبرا فى الاصل ويكون المقصود من الكلام التعجب من اتخاذ الهوى الها على التشبيه البليغ كأنه قيل لاتعجب ممن جعل هواه بمنزلة الاله فى التزام طاعته وعدم مخالفته اياه ولا معنى لتشبيه الاله بالهوى ولما كان المشبه به ههنا هو الاله والمشبه هو الهوى ومن المعلوم ان حق المشبه به ان يكون متأخرا عن المشبه كان مرتبة قوله الهه التأخر عن الهوى كما فى قولك زيد الاسد فلما قدّم عليه صار مزالا عن موضعه الاصلى غير قارّ فيه فلهذا جعل من باب تقدّم المفعول الثانى على الاوّل ﴿قوله﴾ والثانى للانكار ﴿اى لست موكلا على حفظه تحفظه من اتباع هواه وعبادة من يهواه من دون الله تعالى ولا تقدر عليه ولا تحسب ايضا ان اكثرهم يسمعون ماتقوله سماع تدبر ويعقلون ماتورده من الحجج والدلائل الدالة على الوحدانية ثم انه تعالى لما عجب من جهل من اطاع هواه وجعله بمنزلة الاله ذكر انواعا من الدلائل الدلالة على وجود الصانع الحكيم المنفرد بالالوهية فأوّلها الاستدلال بحال الظل فى زيادته ونقصانه وتغير احواله وهو قوله تعالى ألم تر الى ربك كيف مدّ الظل كلمة الى مبنية على تضمين الرؤية معنى النظر وكيف منصوبة بمدّ وهى معلقة لقوله ألم تر وهو ان كان من رؤية العين يجب ان يكون المنظور فيه مما يصح ان يتعلق به رؤية العين فكان اصل الكلام الم تر الى صنع ربك او الى الظل كيف مدّه ربك وبسطه على وجه الارض حين احدثها الا انه غير النظم الى ماعليه التنزيل للاشعار بان مدلول هذا الكلام وهو كونه تعالى مادّا للظل كالمشاهد المرئىّ لوضوح برهانه الذى هو دلالة حدوث الظل وتصرّفه على الوجه النافع الدال على كونه فعل الصانع الحكيم المنفرد بالالوهية ثم اشار الى احتمال ان يكون قوله الم تر من رؤية القلب بمعنى الم تعلم الا انه عدّى بالى لتضمنه معنى الانتهاء فقال اوألم ينته علمك

فيكون الكلام على ظاهره لان الظل وان كان من المبصرات الا ان تأثير قدرة الله تعالى فى تمديده ليس من المبصرات بالاتفاق لكنه معلوم بماذكره من البرهان الواضح والظل هو الامر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهو يحدث منبسطا على وجه الارض فيما بين ظهور الفجر الى طلوع الشمس ثم ان الشمس تنسخه وتزيله شيأ فشيأ الى الزوال ثم هو ينسخ ضوء الشمس ويزيله من وقت الزوال الى الغروب ويسمى الظل الآخذ فى التزايد الناسخ لضوء الشمس فيثبا ووجه الاستدلال به على وجود الصانع ماشار اليه من ان حدوثه بعد العدم وعدمه بعد الوجود وتغير احواله بالزيادة والنقصان والانبساط والتقلص على الوجه النافع لابدّ له من صانع قادر مدبر حكيم يقدر على تحريك الاجرام العلوية وتدبير الاجسام الفلكية وترتيبها على الوصف الاحسن والترتيب الاكمل وماهو الا الله عزوجل ﴿قوله﴾ ثابتا من السكنى ﴿وهو الاستقرار والثبات فى مكان يقال سكن الدار سكنى اذا استقرّ فيها فالمعنى ولوشاء لجعله ثابتا مستقرّا لايذهب عن وجه الارض بان لاتطلع الشمس ابدا والمعنى على تقدير كونه من السكون الذى هو عدم الحركة ولوشاء لجعله ساكنا لايتحرّك حركة انقباض ولاانبساط بان تجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ودليل واحد والشئ مايكون ظهوره للعقل سببا لظهور الشئ فيه فشبهت الشمس بالنسبة الى الظل بالدليل بالنسبة الى المدلول عليه من حيث كون طلوعها سببا لظهور الظل للحس اومن حيث كون حركتها سببا لحدوثه وتغير احواله وانما قلنا ان طلوع الشمس سبب لظهور الظل لان الناظر الى الجسم الملوّن حال قيام الظل عليه لايظهر له شئ سوى الجسم ولونه اذ الظل ليس امرا ثابتا للحس ولايعرف به ثم اذا طلعت الشمس ووقع ضوؤها على الجسم ظهر ذلك الظل للحس فلولا الشمس ووقع ضوئها على الاجرام لماعرف الظل كما انه لولا الظلمة لماعرف النور فكانه تعالى لما اطلع الشمس ووقع ضوؤها على الارض وزال الظل به فحينئذ ظهر للعقول ان الظل كيفية زائدة على الجسم واللون فلهذا قال الله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اى خلقنا الظل اوّلا بما فيه من المنافع واللذات ثم اناهدينا العقول الى معرفة وجوده بان اطلعنا الشمس فكانت دليلا على وجوده والقبض جمع المنبسط من الشئ والمراد به ههنا الازالة فقوله تعالى ثم قبضناه الينا معناه ان الظل يم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس ازال الله تعالى ذلك الظل لادفعة بل جزأ فجزأ يسيرا يسيرا فكلما زاد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل فى جانب المغرب فلو قبضه الله تعالى دفعة واحدة لتعطلت منافع الظل والشمس فقبضه يسيرا يسيرا لتبقى منافعهما والمصالح المتعلقة بهما ﴿قوله﴾ ثم فى الموضعين لتفاضل الامور ﴿لالتراخى الزمانى اذلايصح جعلهاله فى هذا المقام اذليس المعنى انه تعالى بعد ذلك المدّ بزمان متراخ جعل الشمس عليه دليلا فوجب حمله على المجاز بان تجعل كلمة ثم استعارة تبعية بان شبه تفاضل الامور وتباعد مراتبها بالبعد الزمانى فاستعير لجانب المشبه لفظ ثم الموضوعة للتراخى الزمانى ووجه كون الامور متباعدة فى الرتبة والفضل ان حدوث الظل ممدود مبسوطا على وجه الارض وان كان فى نفسه دالا على وجود الصانع الحكيم الا ان جعل الشمس دليلا عليه لدلالته على امر زائد مرتب على ذلك افضل منه رتبة وقبض الظل قبضا يسيرا اعظم من الثانى لان الازالة مع التدرّج والمهلة بانبساط ضوء الشمس على الاجرام تحصل بها المنافع المرتبة على الشمس مع عدم ارتفاع منافع الظل بالكلية وهى منفعة زائدة على قبض انبساط الظل وقيام دليل وجوده مع معرفة الساعات والاوقات التى يناط بها اكثر احكام الشرع ولان فى التدرّج حكما ومصالح اخرى ﴿قوله﴾ وقيل مدّ الظل ﴿عطف على قوله لتفاضل الامور اى وقال بعضهم ثم فى احد الموضعين مستعملة فى اصل معناها وهو التراخى الزمانى فان خلق الشمس مسلطة على الظل متراخ زمانا عن انبساط ظل السماء على الارض ثم فى قوله ثم جعلنا الشمس عليه للتراخى بخلافها فى قوله ثم قبضناه ﴿قوله﴾ ولوشاء لجعله ثابتا على تلك الحالة ﴿اى لوارادبقاء الظل على تلك الحالة ممدودا على وجه الارض لما خلق الشمس ليكون باقيا على امتداده لكن اراد تغييره فخلق الشمس وسلطها على الظل فان الظل تابع للشمس كما يتبع المدلول الدليل والمراد بكون الظل تابعا للشمس ان زيادة الظل ونقصانه تابعة لحركة الشمس فعلى هذا الوجه يكون قوله تعالى عليه مفعولا ثانيا لجعلنا وقوله دليلا حالا من الشمس وتكريرا للمفعول الثانى كما مرّ فى قوله تعالى فجعلناه هباء منثورا وكون الشمس دليلا على الظل عبارة عن كونها مستتبعة اياه استتباع دليل العلم لمدلوله واستتباع دليل الطريق لمن يهديه فان الشمس باختلاف احوالها فى مسيرها تستلزم اختلاف احوال الظل من كونه ثابتا فى مكانه وزائلا عنه ومنبسطا

﴿ألم تر الى ربك﴾ ألم تنظر الى صنعه ﴿كيف مد الظل﴾ كيف بسطه أو الم تنظر الى الظل كيف مدّه ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرّفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئى فكيف بالمحسوس منه او ألم ينته علمك الى ان ربك كيف مدّ الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسدّ النظر وشعاع الشمس يسخن الجوّ ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود ﴿ولوشاء لجعله ساكنا﴾ ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلا﴾ فانه لايظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام اولايوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها ﴿ثم قبضناه الينا﴾ اى ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما عبر عن احداثه بالمدّ بمعنى البسط عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذى هو فى معنى الكف ﴿قبضا يسيرا﴾ قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به مالايحصى من منافع الخلق وثم فى الموضعين لتفاضل الامور أولتفاضل مبادى اوقات ظهورها وقيل مدّ الظل لما بنى السماء بلانيرودحا الارض تحتها فألقت عليها ظلها ولوشاء لجعله ثابتا على تلك الحال

ثم خلق الشمس عليه دليلا اى مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه يتفاوت بحركتها ويتحوّل بتحوّلها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيأ فشيأ الى ان تنتهى غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها ﴿وهو الذى جعل لكم الليل لباسا﴾ شبه ظلامه باللباس فى ستره ﴿والنوم سباتا﴾ راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت ﴿وجعل النهار نشورا﴾ ذا نشور اى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعثا من النوم بعث الاموات ويكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان يابنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر ﴿وهو الذى ارسل الرياح﴾ وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس ﴿نشرا﴾ ناشرات للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائى به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشير بمعنى مبشر ﴿بين يدى رحمته﴾ يعنى قدّام المطر ﴿وانزلنا من السماء ماء طهورا﴾ مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به قال عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احداهنّ بالتراب وقيل بليغا فى الطهارة وفعول وان غلب فى المعنيين لكنه قد جاء للفعول كالضبوث بمعنى المضبوث وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة فيه وتتميم للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه مايزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغى ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى ﴿لنحيى به بلدة ميتا﴾ بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة فى معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجرى مجرى الجامد ﴿ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسىّ كثيرا﴾ يعنى اهل البوادى الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسىّ وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فيهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة

ومنقبضا ونحو ذلك فيصح ان يستدل بكل حال من احوالها على كل حال من احوال الظل ﴿قوله او دليل الطريق﴾ عطف على فاعل يستتبع وقوله من يهديه عطف على مفعوله اى اوكما يستتبع دليل الطريق من يهديه فالشمس على الاوّل بمنزلة دليل العلم بالنسبة الى مدلوله وعلى الثانى بمنزلة دليل الطريق بالنسبة الى من يهديه ﴿قوله يتفاوت بحركتها ويتحوّل بتحوّلها﴾ استئناف لبيان كون الشمس مسلطة عليه مستتبعة اياه والنوع الثانى من دلائل الوحدانية ماذكره بقوله وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنشور يحتمل ان يكون بمعنى الانتشار والتفرّق فى وجوه المصالح ويحتمل ان يكون بمعنى الحياة لانه لما كان فى النوم معنى الوفاة لانقطاع الانسان به عن التصرّف والعمل كان فى اليقظة معنى الحياة * فى بعض الكتب * ابن آدم كما تنام تموت وكما تستيقظ تبعث والنوع الثالث منها ماذكره بقوله وهو الذى ارسل الرياح قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو نشرا بضم النون والشين وهو جمع نشور كرسل ورسول والمعنى ارسلها ناشرات للسحاب فى الجوّ كما ينشر الشئ المطوىّ المضبوط وقرأ ابن عامر وابو عمرو فى رواية بضم النون وسكون الشين والمعنى كالاوّل وقرأ حمزة والكسائى بفتح النون وسكون الشين وقرأ عاصم بالباء المضمومة وسكون الشين من البشارة واختار كون طهورا فى الآية اسما لما يتطهر به كالسحور والوقود استدلالا بقوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وضعف كونه مبالغة الطاهر لخلوّه عن بيان منفعته وهى كونه مطهرا للانسان من الحدث والنجاسة ﴿قوله وللاسم كالذنوب﴾ وهو اسم بمعنى الصب ويقال ايضا للدلو الملأى ذنوب ولا يقال لها وهى فارغة ذنوب * فان قيل الطهور مشتق من طهر يطهر طهارة وهو لازم فكيف يجوز تعديته بتطهيره غيره * قلنا انه حينئذ لا يكون من الصفات المشتقة كالغفور والشكور بل يكون من قبيل الاسماء الجامدة * فان قيل كيف يكون لفظ طهور اسما لما يتطهر به وقد قال الله تعالى فى صفة اهل الجنة وسقاهم ربهم شرابا طهورا وقال الشاعر * عذاب الثنايا ريقهنّ طهور * قلنا كونه اسما له لا ينافيه استعماله فى مبالغة طاهر ﴿قوله وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة﴾ جواب عما يقال ما الفائدة فى توصيف الماء المنزل لاحياء الارض وسقى الحيوان بقوله طهورا مع ان الوصف فى مثله يؤذن بكون الوصف شرطا لترتب الحكم على الفعل المعلل كما اذا قلت اعطانى اللباس الفاخر لأتزين به ووصفه بالطهارة لا دخل له فى ترتيب الاحياء والسقى على انزال الماء * وتقرير الجواب ان الاحياء والاسقاء المذكورين وان امكنا بدون وصف الطهارة الا انه وصف الماء بها اشعارا بالنعمة فيها فان وصف الطهارة نعمة زائدة على انزال ذات الماء وتتميما للمنة الزائدة المستفادة من قوله لنحيى به ونسقيه فان هذين الاحياءين انما يتمان بذلك لما ذكره من ان الماء الطهور اهنأ وانفع وتنبيها على ان بواطنهم اولى بالتطهير ووجه التنبيه انه تعالى لما امتنّ علينا بان انزل ماء يطهر ابداننا من الحدث والنجاسات تبين بذلك ان ظواهرنا مما ينبغى ان تطهر ومن المعلوم ان باطن الشئ اولى بالحفظ من التلوّث من ظاهره فكان الامتنان بانزال مايطهر الظاهر تنبيها على ان الباطن اولى به ﴿قوله ولانه غير جار على الفعل﴾ اى لم يقل بلدة ميتة لان الميت ليس على وزن الفعل نحو فعول ومفعال ومفعيل وفعيل بمعنى مفعول وفى مثله يجوز التذكير وان جرى على المؤنث لانه لما لم يكن على وزن الفعل لم يكن مشابها له فجاز ان لا يطابق موصوفه فى التأنيث فان الفعل يطابق فاعله فى التذكير والتأنيث فكذا ما يشابهه بخلاف ما لم يوازن الفعل من المشتقات فانه اجرى مجرى الجوامد قرأ الجمهور ونسقيه بضم النون وقرأ ابو عمرو وعاصم فى رواية عنهما بفتح النون وسقى واسقى لغتان بمعنى يقال سقاه الله الغيث واسقاه والاسم السقيا بالضم ويقال سقيته اسقيه واسقيت ماشيته وارضه والاسم السقى بالكسر وقوله تعالى مما خلقنا يجوز ان يتعلق بقوله نسقيه اى نسقى ذلك الماء بعض خلقنا من الانعام والاناسىّ وانتصابهما على البدل من محل الجار والمجرور فى قوله مما خلقنا ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من انعاما ولعل قوله يعنى اهل البوادى مبنى على الاوّل وقوله وتخصيصهم جواب عما يقال كيف خص اهل البوادى بالاسقاء مع ان اهل المدن والقرى يحتاجون الى الشرب ﴿قوله وسائر الحيوانات﴾ اى ماعدا الانعام من الوحوش والطيور وان كانت تعيش بالماء لكنه تعالى خص الانعام بالذكر لان سائرها لا يعوزه الشرب ولا يكون عاجزا عن نيله غالبا يقال اعوزه الشئ اذا احتاج اليه فلم يقدر عليه ﴿قوله مع ان مساق هذه الآيات﴾ وجه ثان لتخصيص الانعام بالذكر مع استوآئها بسائر الحيوانات فى الاحتياج الى الشرب وحاصله ان ليس المقصود مجرّد بيان الحكمة فى انزال الماء بل المقصود تعداد مايكون نعمة فى حق نوع الانسان فلذلك خصت الانعام

بالذكر لانها قنية الانسان اى يقتنيها ويتخذها لنفسه لا للتجارة * الجوهرى قنوت الغنم وغيرها قنوة وقنوة وقنيت ايضا قنية وقنية اذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة وعلية جمع علىّ بمعنى شريف ورفيع مثل صبية جمع صبىّ ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون علية ما يتعيشون به هى الانعام قدّم سقيها على سقيهم كما قدّم على الانعام احياء الارض فان الارض وحياتها سبب لحياة الانعام وتعيشها فانظر الى انه تعالى كيف رتب ذكر ما هو رزق الانسان ورزق رزقه ورزق رزق رزقه فان الانعام رزق الانسان والنبات رزق الانعام والمطر رزق النبات فقدذكر المطر ورتب عليه ذكر حياة الارض بالنبات ورتب عليه ذكر الانعام ﴿ قوله واناسى ﴾ عطف على قوله نسقيه اى كما قرئ نسقيه بفتح النون كذلك قرئ اناسى بحذف ياء افاعيل وذهب سيبويه الى ان اناسىّ جمع انسان اصله اناسين كسرحان وسراحين فأبدلت النون ياء وادغم فيها الياء التى قبلها كما قيل فى جمع ظربان ظرابىّ اصله ظرابين والظربان على وزن قطران دويبة كالهرّة منتنة الريح تزعم الاعراب انها تفسو فى ثوب احدهم اذا صادفها فلا تذهب رآئحته حتى يبلى الثوب وفى المثل فسا بيننا الظربان وذلك اذا تقاطع القوم وقال القرآء والمبرد والزجاج انه جمع انسىّ وفيه نظر لان فعاليل انما يكون جمعا لما فيه ياء مشدّدة لاتدل على نسب نحو كراسىّ فى جمع كرسىّ فلو اريد بياء كرسى النسب لم يجئ جمعه على كراسى ﴿ قوله صرّفنا هذا القول ﴾ يعنى ضمير صرّفناه اما ان يرجع الى ماذكره بقوله وهو الذى ارسل الرياح نشرا بين يدى رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا كأنه قيل ولقد صرّفنا ذكر انشاء السحاب وانزال المطر بين الناس فى القرآن وفى سائر الكتب ليتفكروا ويعتبروا او يرجع الى نفس الماء الطهور الذى هو المطر ومعنى تصريفه بين الناس ان لاينزله على نسق واحد بل ينزله فى مكان دون مكان وفى وقت دون وقت وعلى صفة دون اخرى فيقسمه بين العباد على هذه الوجوه وروى عن ابن عباس انه قال ماعام اكثر مطرا من عام ولكنّ الله يفرّقه فى الارض ثم قرأ هذه الآية وروى عن ابن مسعود عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال مامن عام بأمطر من عام ولكن اذا عمل قوم بالمعاصى حوّل الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافى والمراد باختلاف صفة المطر كونه تارة وابلا واخرى طلا ومرّة ديمة مثلا والوابل المطر الشديد والطل اضعف المطر والديمة المطر الذى يدوم اياما ﴿ قوله او فى الانهار والمنابع ﴾ عطف على قوله فى البلدان المختلفة اى ويجوز ان يكون المراد بتصريف المطر بين الناس اجراءه فى الانهار والمنابع لينتفعوا به بوجوه الانتفاع من الشرب وسقى الزرع ونحوهما ﴿ قوله بخلاف من يرى انها ﴾ اى من يرى ان الله هو الذى خلق الامطار وجعل الانوآء دلائل وامارات عليها لايكفر والحاصل ان المراد بالكفور اما كفران النعمة وقلة المبالاة بشأنها فان حقها ان يتفكر فيها ويستدل بها على وجود الصانع وقدرته واحسانه ويشتغل بشكر احسانه ومن اشتغل بها وقصر فى شكر منعمها فقد كفر بحق النعمة واما الكفر بالله بان يقول مطرنا بنوء كذا ويسند مثل هذه النعمة الى الافلاك والكواكب ويجحد كونها صادرة من الله فانه لاشك انه كافر بالله تعالى والانوآء النجوم التى يسقط واحد منها فى جانب المغرب وقت طلوع الفجر ويطلع رقيبه فى جانب المشرق من ساعته والعرب كانت تضيف الامطار والرياح والحرّ والبرد الى الساقط منها وقيل الى الطالع منها ثم انه تعالى لما بين دلائل وحدانيته وكمال قدرته شرع فى تعظيم رسوله فقال ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا كأنه قيل ولو شئنا لخففنا عنك اعباء الرسالة الى كل العالمين بان بعثنا فى كل قرية نذيرا ولكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك ﴿ قوله لان مجاهدة السفهاء بالحجج ﴾ لم يحمل المجاهدة المأمور بها على المجاهدة بالسيف لان السورة مكية والامر بالقتال انما ورد بعد الهجرة بزمان ﴿ قوله فيما بين اظهرهم ﴾ خبر قوله اولان مخالفتهم ولاشك ان مخالفة العتاة الغالبين فيما بينهم اكبر المجاهدة ﴿ قوله اولانه جهاد مع كل الكفرة ﴾ فيكون ضميره فى قوله وجاهدهم به راجعا الى مادل عليه قوله ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا وهو كونه نذيرا لكافة القرى فانه لو بعث فى كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته بأقصى الوسع فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها ليكبر جهاده من اجل ذلك فلذلك قال له جاهد بسبب كونك نذيرا لكافة القرى جهادا كبيرا جامعا للمجاهدات ثم انه تعالى انتقل الى النوع الآخر من دلائل التوحيد فقال وهو الذى مرج البحرين كأنه تعالى يقوّى به قلبه عليه الصلاة والسلام على امتثال مامر به من المجاهدة الكبيرة واصل المرج الارسال والتخلية يقال مرجت الدابة اذا ارسلتها ترعى وقوله تعالى هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج مقول قول مضمر تقديره مرج البحرين مقولا فيهما هذا عذب

لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسى بحذف ياء وهو جمع انسىّ او انسان كظرابىّ فى ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء ﴿ ولقد صرّفناه بينهم ﴾ صرّفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وسائر الكتب او المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضى الله عنهما ماعام امطر من عام ولكنّ الله قسم ذلك بين عباده على ماشاء وتلا هذه الآية او فى الانهار والمنابع ﴿ ليذكروا ﴾ ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فى ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم والبهم ﴿ فأبى اكثر الناس الا كفورا ﴾ الاكفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لايرى الامطار الا من الانوآء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانوآء وسائط اوامارات بجعله تعالى ﴿ ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا ﴾ نبيا ينذر اهلها فتخف عليك اعباء النبوّة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشأنك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة واظهار الحق ﴿ فلا تطع الكافرين ﴾ فيما يريدونك عليه وهو تهييجه له وللمؤمنين ﴿ وجاهدهم به ﴾ بالقرآن او بترك طاعتهم الذى يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون فى ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد فى مخالفتهم وازاحة باطلهم ﴿ جهادا كبيرا ﴾ لانّ مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف اولان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوّهم وظهورهم اولانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى ﴿ وهو الذى مرج البحرين ﴾ خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لايمتزجان من مرج دابته اذا خلاها ﴿ هذا عذب فرات ﴾ قامع للعطش من فرط عذوبته ﴿ وهذا ملح اجاج ﴾ بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد فى بارد

فرات وهذا ملح اجاج كما يقال وجدت الناس اخبر تقله اى مقولا فيهم ذلك ويحتمل ان يكون جملة مستأنفة لامحل لها كأنه قال كيف مرجهما فقيل هذا عذب فرات والفرات فعال من فرت الماء يفرت فروتة فهو فرات اذا كان فى غاية العذوبة ويقال ملح الماء يملح ملوحة فهو ملح وملح على وزن فعل وفعل وقرئ بهما وقلما يقال مالح والاجاج الشديد الملوحة الذى يحرق الباطن من ملوحته من اجت النار اجيجا اذا اشتدّ حرّها ﴿قوله وتنافرا بليغا﴾ لما كان عطف قوله وحجرا محجورا على قوله برزخا دالا على انه تعالى جعل كل واحد من البحرين بحيث يتعوّذ من الآخر ويقول له حجرا محجورا اى حراما محرّما عليك ان تغلب علىّ وتزيل صفتى وكيفيتى ومن المعلوم ان البحر ليس من شأنه ان يتعوّذ ويقول قولا جعل الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية بان شبه تلاصق كل واحد منهما بالآخر مع كمال التنافر بينهما بعدوّين يتقرّبان فى المعركة يريد كل واحد منهما ان يتقى صاحبه ويتعوّذ منه فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به فقيل جعل بينهما هذا الكلام بمعنى جعلهما قائلين هذا الكلام ﴿قوله وقيل حدا محدودا﴾ اى وجعل بينهما حدّا لايتجاوز كل واحد منهما ذلك الحدّ وفى الصحاح الحجر ايضا حجر الكعبة وهو ماحواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال وكل ماحجرت من حائط فهو حجر ﴿قوله وذلك كدجلة﴾ يعنى ان المراد بالبحر الماء الكثير الواسع سواء كان عذبا كدجلة والنيل او ملحا فلا يرد ان يقال لا وجود للبحر العذب فكيف ذكره الله ههنا ثم بين انه تعالى كيف جز بين بحرين متنافرين غاية التنافر حال كونهما متجاورين بحيث لايمتزجان حتى يجعل موضع التعجب فقال كدجلة تدخل البحر ومن قال المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالملح الاجاج البحر الكبير وبالبرزخ مايحول بينهما من الارض بين وجه الاستدلال على قدرة الصانع بان العذوبة والملوحة ان كانت بسبب طبيعة الارض والماء فلابدّ من الاستواء وان لم تكن كذلك فلابدّ من قادر حكيم يخص كل واحد من الاجسام بصفة معينة ويفصل بين اجزاء الطبيعة الواحدة بالبرزخ الحائل بينها على حسب مشيئته وارادته مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامّت وتلاصقت ﴿قوله وتسلس﴾ اى تلين وتنقاد ذكر فى الماء الذى خلق منه البشر ثلاثة احتمالات الاوّل انه الماء الذى خمر به طينة آدم عليه الصلاة والسلام والثانى انه الماء الذى جعل جزأ من مادّة كل بشر بل مادّة كل حيوان كما قال تعالى والله خلق كل دابة من ماء والثالث انه النطفة لقوله تعالى خلق من ماء دافق من ماء مهين ﴿قوله اى قسمه قسمين﴾ اى ليس المراد انه تعالى جعل البشر الواحد ذا نسب تنسب اليه الفروع وذات صهر يصاهر بها فانه محال فان الصهر ابو زوج البنت فاكان من قبل زوج البنت فهم اصهار يتوصل اليهم بسبب البنات فذوات الصهر اى اللاتى يصاهر بهن ليست الا البنات بخلاف ذوى النسب اى الذين ينسب اليهم الاولاد فانهم ذكور لان النسب الى الآباء كما قال الشاعر

* لاتزرينّ امرأ من ان يكون له * ام من الروم اوسودآء عجفاء *
* فانما امهات الناس اوعية * مستودعات وللآباء ابناء *

بين الله قدرته اوّلا ببيان انه خلق من الماء بشرا واظهر فضله وامتنانه بجعله نسبا وصهرا اما النسب فيه يتعارفون ويتواصلون فيقال فلان ابن فلان وفلانة بنت فلان ولولا النسب لما تعارفوا ولاتواصلوا واما الصهر فلأنه من اسباب التواصل والتوالد والتوادّ ثم انه تعالى لما شرح دلائل التوحيد عاد الى تهجين سيرة المشركين فى عبادة الاوثان فقال ويعبدون من دون الله الى قوله ظهيرا وهو خبر كان وعلى ربه متعلق به اى وكان الكافر بشركه وعداوته الحق عونا للشياطين على عصيان ربه يستحثه على الاصرار عليه ﴿قوله والمراد بالكافر الجنس﴾ فحينئذ يحتمل ان تكون المظاهرة مظاهرة بعض الكفار لبعض لامظاهرة الكافر للشيطان ثم انه تعالى لما بين انه ارسل رسوله الى كافة القرى وقصر الامر عليه اجلالا له بين انه على اىّ حال ارسله فقال وما ارسلناك الا مبشرا ﴿قوله الا فعل من شاء﴾ يعنى ان الاستثناء متصل على حذف المضاف واتخاذ السبيل اليه تعالى عبارة عن التقرّب اليه بالايمان والطاعة صوّر فعل من شاء ان يتقرّب اليه بذلك بصورة الاجر وسماه باسمه تشبيها له بالاجر من حيث كونه المقصود من التبليغ واستثناه من الاجر لفوائد احداها ان يقلع شبهة طمعه فى الاجر من اصله كأنه قيل ان اعطيتم اياى اجرا فأعطونى ذلك الفعل فانى لااسأل غيره وثانيتها اظهار الشفقة البالغة عليهم بانه عد سعيهم لانفسهم ونفعهم لها بالاشتغال بطاعة ربهم والاجتناب عن مخالفته وعصيانه اجرا وافرا مرضيا به

﴿وجعل بينهما برزخا﴾ حاجزا من قدرته محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجرى فى خلاله فراسخ لايتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ مايحول بينهما من الارض فتكون القدرة فى الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزآء كل عنصر ان تضامّت وتلاصقت وتشابهت فى الكيفية ﴿وهو الذى خلق من الماء بشرا﴾ يعنى الذى خمر به طينة آدم او جعله جزأ من مادّة البشر لتجتمع وتسلس وتقبل الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة ﴿فجعله نسبا وصهرا﴾ اى قسمه قسمين ذوى نسب اى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ﴿وكان ربك قديرا﴾ حيث خلق من مادّة واحدة بشرا ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ﴿ويعبدون من دون الله مالاينفعهم ولايضرّهم﴾ يعنى الاصنام اوكل ماعبد من دون الله اذ مامن مخلوق يستقل بالنفع والضرّ ﴿وكان الكافر على ربه ظهيرا﴾ يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لاوقعه عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولايكلمهم الله ولاينظر اليهم ﴿وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا﴾ للمؤمنين والكافرين ﴿قل ما اسألكم عليه﴾ على تبليغ الرسالة الذى يدل عليه الامبشرا ونذيرا ﴿من اجر الا من شاء﴾ الافعل من شاء ﴿ان يتخذ الى ربه سبيلا﴾ ان يتقرّب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصوّر ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه فلعل الشبهة الطمع واظهاراً لغاية الشفقة حيث اعتدّ بانفاعك نفسك بالتعرّض للثواب والتخلص من العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعاتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل

﴿ وتوكل على الحيّ الذى لايموت ﴾ فى استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم ﴿ وسبح بحمده ﴾ ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه ﴿ وكفى به بذنوب عباده ﴾ ماظهر منها ومابطن ﴿ خبيرا ﴾ مطلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا ﴿ الذى خلق السموات والارض ومابينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش ﴾ قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرّف فيه وتحريض على الثبات والتأنى فى الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره فى كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرّج ﴿ الرحمن ﴾ خبر للذى ان جعلته مبتدأ اولمحذوف ان جعلته صفة للحيّ اويدل من المستكن فى استوى وقرئ بالجرّ صفة للحيّ ﴿ فاسأل به خبيرا ﴾ فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى اوجبرائيل اومن وجده فى الكتب المتقدّمة ليصدقوك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيئ مايرادفه فى كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر مابعده والسؤال كما يعدّى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدّى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا ﴿ واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا ومالرحمن ﴾ لانهم ماكانوا يطلقونه على الله اولانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا ﴿ أنسجد لما تأمرنا ﴾ اى للذى تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده اولأمرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معرّبا لم يسمعوه وقرأ حمزة والكسائى يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض ﴿ وزادهم ﴾ اى الامر بالسجود للرحمن ﴿ نفورا ﴾ عن الايمان ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ﴾ يعنى البروج الاثنى عشر سميت به وهى القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرّج لظهوره ﴿ وجعل فيها سراجا ﴾ يعنى الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائى سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار ﴿ وقمرا منيرا ﴾ مضيئا بالليل وقرئ وقرا اى ذاقر وهو جمع قرآء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب

وثالثتها الاشعار بانهم كما يثابون على ذلك الفعل بمباشرتهم له يثاب هو ايضا عليه بسبب دلالته اياهم بحكم ان الدال على الخير كفاعله وعلى تقدير كون الاستثناء منقطعا يكون المعنى لااطلب من اموالكم جعلا لنفسى لكن من شاء انفاقها لوجه الله تعالى فليفعل فانى لا امنعه عنه ﴿ قوله فى استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم ﴾ يعنى ان الآية متصلة بقوله وكان الكافر على ربه ظهيرا وقوله قل ما اسألكم عليه من اجر فانه تعالى لما بين ان الكفار متظاهرون على ايذآئه وامره بان لايطلب منهم اجرا البتة امره بان يتوكل عليه فى دفع جميع المضارّ وفى جلب جميع المنافع ﴿ قوله تعالى وكفى بربك ﴾ اى حسبك الحيّ الذى لايموت خبيرا بذنوب عباده ولايحتاج معه الى الغير لانه خبير باحوالهم قادر على مكافأتهم وذلك وعيد شديد ﴿ قوله فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء ﴾ اشارة الى ان الباء بمعنى عن كما فى قوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وفى قول علقمة

* فان تسألونى بالنساء فانى * خبير بادواء النساء طبيب *

وان ضمير به يرجع الى ماذكر من خلق السماء والارض والاستواء على العرش ﴿ قوله لانهم ماكانوا يطلقونه على الله تعالى ﴾ على ان يكون قولهم وما الرحمن سؤالا عن المسمى بهذا الاسم ويكون قول المصنف هذا علة لسؤالهم عنه فانهم لما لم يعرفوا كونه سبحانه مسمى بهذا الاسم اتجه لهم ان يسألوا عن مسماه اوكانوا يعرفون كونه تعالى مسمى به الا انهم كانوا يزعمون انه قد يراد به غيره تعالى وهو مسيلمة الكذاب باليمامة فانه يقال له رحمن اليمامة وكان المشركون يكذبونه ايضا ولذلك قالوا أنسجد لما تأمرنا اى الذى تأمرناه بتقدير تأمرنا بسجوده فحذف ماحذف منه على التدريج حذف الجار واوصل الفعل كما فى امرتك الخير فقيل تأمرنا بسجوده ثم حذف المفعول الذى هو المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار تأمرناه ثم حذف الضمير ايضا فصار لما تأمرنا على ان ما موصولة بمعنى الذى اومصدرية اى لامرك على معنى لاجل امرك لنا من غير عرفان ﴿ قوله وقيل لانه كان معرّبا لم يسمعوه ﴾ عطف على قوله لانهم ماكانوا يطلقونه على الله اى وقيل قولهم وما الرحمن ليس سؤالا عن المسمى بل هو سؤال عن معنى هذا الاسم وشرح مفهومه لانه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم ثم انه تعالى لما حكى عن الكفار انّ امرهم بالسجود للرحمن زادهم نفورا عن الايمان ذكر من عظم شأنه وباهر سلطانه مالو تفكروا فيه لاضطرّوا الى الايمان به وطاعته فقال تبارك وتعالى تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وهى الاثنا عشر كل برج منزلان وثلث منزل للقمر وهى منازل الكواكب السبعة السيارة وهى ثمانية وعشرون منزلا واسماء البروج الحمل والثور والجوزآء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت فالحمل والعقرب بيتان للمريخ والثور والميزان للزهرة والجوزآء والسنبلة لعطارد والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشترى والدلو والجدى بيتا زحل وهذه البروج مقسومة الى الطبائع الاربع فيكون لكل واحدة منها ثلاثة بروج الحمل والاسد والقوس نارية والثور والسنبلة والجدى ارضية والجوزآء والميزان والدلو هوآئية والسرطان والعقرب والحوت مائية وقوله تعالى وجعل فيها اى فى البروج لافى السماء لان البروج اقرب فعود الضمير اليها اولى وان جاز عوده الى السماء ايضا شبهت الشمس والكواكب الكبار بالسرج والمصابيح كما فى قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح فى الانارة والاشراق ﴿ قوله ذا قمر ﴾ جواب عما يقال القمر مؤنث فينبغى ان يؤنث صفته بان يقال منيرة وانما قلنا القمر مؤنث لانه عبارة عن جماعة الليالى ذوات القمر لانه جمع ليلة قرآء اى ذوات القمر * وتقرير الجواب ان اصل الكلام وذوات قمر منير على ان يكون ذا قمر عبارة عن نفس القمر عبر عن القمر بانه ذو قمر اى ذو ليال قمر لان الليلة انما تكون قمرآء بالقمر فصار القمر كأنه صاحب تلك الليلة فقيل له انه ذو قمر بمعنى صاحب تلك الليالى القمر ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهو مؤنث لكونه عبارة عن جماعة الليالى الا انه لما قام مقام المضاف وهو مذكر بقى حكم المضاف فيه فقيل فى صفته منيرا لامنيرة كما بقى فى قول حسان

* يسقون من ورد البريص عليهموه * بردى يصفق بالرحيق السلسل *

يريد ماء بردى وهو نهر بدمشق فحذف المضاف واقيم بردى مقامه وبقى حكم المضاف فيه وهو مؤنث حيث ذكر ضمير يصفق والتصفيق الخلط والمزج ويحتمل ان يكون القمر بمعنى القمر ويؤيده توحيد الصفة بلا تكلف

﴿وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة﴾ اى ذوى خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغى ان يعمل فيه اوبان يعتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار وهى للحالة من خلف كالركبة والجلسة ﴿لمن اراد ان يذكر﴾ ان يتذكر آلاء الله يتفكر فى صنعه فيعلم انه لابدّ له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد ﴿او اراد شكورا﴾ ان يشكر الله على مافيه من النعم اوليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده فى احدهما تداركه فى الآخر وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائى فيه ﴿وعباد الرحمن﴾ مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة او ﴿الذين يمشون على الارض﴾ واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل اولأنهم الراسخون فى عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار ﴿هونا﴾ هينين اومشياهينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع ﴿واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ تسلما منكم ومتاركة لكم لاخير بيننا ولا شرّا وسدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه لان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم فى الكلام ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾ فى الصلاة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل احز وأبعد من الرياء وتأخير القيام للروىّ وهو جمع قائم او مصدر أجرى مجراه ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما﴾ لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم فى عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله فى صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم وعدم وثوقهم على استمرار احوالهم

الحذف ﴿قوله﴾ اى ذوى خلفة يخلف كل منهما الآخر ﴿/قوله﴾ يعنى ان الخلفة مصدر للنوع فلا يصلح ان يكون مفعولا ثانيا لجعل الليل اوحالا من مفعوله فان خلفة لايخلو من ان يكون مفعولا ثانيا اوحالا الاوّل على ان يكون جعل بمعنى صير والثانى على ان يكون بمعنى خلق فلا بدّ من تقدير المضاف على التقديرين اى ذوى خلفة ثم ان خلفة يستعمل بمعنيين بمعنى كان خليفته اوبمعنى جاء بعده يقال خلفه فى قومه خلافة ومنه قوله تعالى وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى ويقال ايضا خلفته اذا جئت بعده والخلفة فى الآية يحتمل ان تكون من خلفه بكل واحد من المعنيين وهو قول المصنف يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه اوبان يعتقبا ويؤيد الاوّل قول ابن عباس انه جعل كل واحد منهما يخلف صاحبه فيما يحتاج ان يعمل فيه فمن فرّط فى عمل احدهما بأن فات عليه العمل الذى اتخذه وردا قضاه فى الآخر وما روى عن انس بن مالك انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب وقد فاتته قرآءة القرآن بالليل *يا ابن الخطاب لقد انزله الله فيك آية وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر اى ماقاتك من النوافل بالليل فاقضه فى نهارك وماقاتك فى النهار فاقضه فى ليلك* وان كان المعنى جعلهما ذوى اعتقاب يكون المقصود بيان انه تعالى جعلهما مختلفين يجئ هذا ويذهب ذاك ويجئ ذاك ويذهب هذا ولم يجعل واحدا منهما سرمدا نهارا لاليل له ولا ليلا لانهار له ليعلم الناس عدد السنين والحساب وليكون للانتشار فى المعاش وقت معلوم وللاستقرار والاستراحة وقت معلوم فيكون فى الآية تذكير لنعمته وتنبيه على كمال حكمته وقدرته ﴿قوله﴾ ان يشكر الله تعالى ﴿/قوله﴾ يعنى ان الشكور بضم الشين مصدر بمعنى الشكر وبالفتح مبالغة الشاكر فقولك شكر شكورا بمعنى شكرشكرا اى جعلناهما خلفة ليتفكر المتفكرون فى اختلافهما ويشكروا نعمة الله فى ذلك وقوله اوليكونا وقتين عطف على هذا المعنى اى جعلناهما خلفة ليكونا وقتى تدارك للمتذكرين والشاكرين قرأ العامّة ان يذكر بالتشديد اصله ان يتذكر فادغمت التاء فى الذال وقرأ حمزة بالتخفيف قال الفرآء فى وجهه ان يذكر ويتذكر يأتيان بمعنى واحد قال الله تعالى واذكر واما فيه ويجوز ان يكون المعنى ليذكر الله فيهما من اراد ان يذكره ويطيعه بالتسبيح والطاعة ولعل وجه عطف قوله اوارادشكورا بكلمة اودون الواو للتنبيه على استقلال كل واحد منهما بكونه مطلوبا من الجعل المذكور ولو عطف بالواو لتوهم ان المطلوب مجموع الامرين ويحتمل ان يكون المراد بالمعطوف عليه الكافر الذى يريد ان يتفكر فى اختلافهما ويجعلهما موضع الاعتبار على وحدانيته وقدرته فيستدل به على التوحيد واخلاص العبادة وبالمعطوف المؤمن الذى يريد ان يتعظ ويشكر نعم الله فكأنه قيل جعلناهما خلفة ليتفكر الكافر فى اختلافهما ويجعله معتبرا على قدرته وتوحيده اويتعظ المؤمن به ويجعله متسعا لذكره وطاعته ﴿قوله﴾ وكذلك ليذكروا ﴿/قوله﴾ فى قوله تعالى ولقد صرّفناه بينهم ليذكروا فان العامّة قرأت بالتشديد وحمزة بالتخفيف والكسائى ايضا ﴿قوله﴾ واضافتهم الى الرحمن للتخصيص ﴿/قوله﴾ اى لان تفيد لهم خصوصية وشرفا وتفضلهم على العباد الذين لم يتصفوا بتلك الصفات والا فالخلق كلهم عباد الله ﴿قوله﴾ هينين اومشياهينا ﴿/قوله﴾ الاوّل على ان يكون انتصاب هونا على الحالية من فاعل يمشون والثانى على ان يكون صفة مصدر محذوف ﴿قوله﴾ تسلما منكم ﴿/قوله﴾ يعنى ان سلاما منصوب على انه مصدر فعل محذوف والاصل نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسليم فالمعنى اذا خاطبهم السفهاء الخفاف العقول بأذى وكلام قبيح قالوا نتسلم منكم تسلما اى لانجاهلكم ولا نتلبس بشئ من اموركم وهو الجهل ومايبتنى على خفة العقل والمتاركة المواعدة ﴿قوله﴾ اوسدادا ﴿/قوله﴾ اى صوابا من القول فعلى هذا الوجه يكون سلاما اشارة الى ماقالوه من حيث المعنى ولا يكون سلاما عين عبارتهم ﴿قوله﴾ لأن المراد هو الاغضاء عن السفهاء ﴿/قوله﴾ وهو امر مستحسن فى الادب والمروءة والشريعة واسلم للعرض واوفق للورع فليس بمنسوخ ابدا قال عليه السلام اذا جمع الخلائق يوم القيامة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فيتلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ماكان من فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيئ الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة نعم اجر العاملين ﴿قوله﴾ فى الصلاة ﴿/قوله﴾ فان كل من ادركه الليل فقد بات نام اولم ينم يقال بات فلان قلقا عن ابن عباس قال من صلى ركعتين اواكثر بعد العشاء فقد بات لله ساجدا وقائما والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل اواكثره كما قال الله تعالى فى حق المتقين كانوا قليلا من الليل مايهجعون وروى عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال

من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر فى جماعة كان كقيام ليلة ﴿ **قوله** اى بئست مستقرّا واحزنت ﴾ يعنى ان ساءت يجوز ان تكون من افعال الذم بمعنى بئست وقد تقرّر ان فاعلها يجب ان يكون معرّفا باللام او مضافا الى المعرّف بها او مضمرا مميزا بنكرة منصوبة وهى فى الآية مستقرّا ومقاما اى موضع قرار واقامة فالضمير الذى فى بئست لا يعود الى اسم ان ولا الى شئ آخر بعينه بل ضمير مبهم يفسره الظاهر وهو مستقرّا ومقاما والمخصوص محذوف والتقدير ساءت مستقرّا ومقاما هى وان كان ساءت بمعنى أحزنت تكون من الافعال المتصرّفة الناصبة للمفعول وهو ههنا محذوف والتقدير انها يعنى جهنم أحزنت اصحابها ومستقرّا يجوز ان يكون تمييزا وان يكون حالا ﴿ **قوله** وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولم يقتروا بفتح الياء وكسر التاء ﴾ وقرأ نافع وابن عامر بضم الياء وكسر التاء من اقتر وقرأ باقى السبعة وهم الكوفيون بفتح الياء وضم التاء وقرئ بالتشديد والكل واحد يعنى ان القتر والاقتار والتقتير لغات بمعنى واحد وهو التضييق الذى هو ضدّ الاسراف والاسراف هو مجاوزة الحدّ فى النفقة فليعتمد على هذا التصحيح فان النسخ مختلفة فى هذ المقام ﴿ **قوله** وسطا وعدلا ﴾ يعنى ان القوام عبارة عما هو الوسط والعدل بين الشيئين سمى بذلك لاستقامة الطرفين واعتدالهما بحيث لا يترجح احدهما على الآخر بالنسبة اليه لكونه وسطا بينهما كمركز الدآئرة فانه يكون نسبة جميع اجزآء الدآئرة اليه على السواء ونظير كون القوام من الاستقامة السواء من الاستواء ﴿ **قوله** وهو خبر ثان لكان ﴾ واسمه الضمير المستتر فيه العائد الى الانفاق المدلول عليه بقوله انفقوا او بين ذلك خبره وقواما خبر بعد خبر او بين ذلك خبره وقواما حال مؤكدة او قواما هو الخبر وبين ذلك ظرف لغو لكان على رأى من يرى اعمالها فى الظرف قال الفرآء وان شئت جعلت بين ذلك اسم كان كما تقول كان دون هذا كافيا بمعنى كان اقل من هذا كافيا فيكون معنى الآية وكان الوسط من طرفى الاسراف والتقتير قواما عدلا وضعف هذا التأويل ظاهر لانه فى قوّة ان يقال وكان الوسط وسطا لان القوام هو الوسط ثم انه تعالى ذكر من جملة صفات عباد الرحمن الاحتراز عن الشرك والقتل بغير حق والزنى ثم بين ان من ارتكب هذه الاشياء يلحقه جزآء اثمه ويعاقب عليه ثم استثنى منه التائب ﴿ **قوله** بمعنى حرّم قتلها ﴾ لان الحرمة والحل من صفات الافعال ولا يوصف بهما الاعيان ﴿ **قوله** متعلق بالقتل المحذوف ﴾ اى حرّم الله قتلها بجميع الاسباب الا بسبب الحق او بلا يقتلون اى لا يقتلون بسبب من الاسباب الا بالحق اى بالسبب الذى يحل به قتل الامرئ المسلم وهو الردّة بعد الايمان او الزنى بعد الاحصان وقتل النفس المعصومة من غير ان يطرأ عليها ما يوجب قتلها فان الاصل فى النفوس البشرية العصمة وحرمة القتل وحقن الدماء وجواز القتل انما ثبت بعارض فمن يحل قتله بسبب العارض يدخل فى النفس التى حرّم الله قتلها نظرا الى حدّ نفسها ﴿ **قوله** نفى عنهم امهات المعاصى بعدما اثبت لهم اصول الطاعات الخ ﴾ كأنه جواب عما يقال ما الفائدة فى نفى هذه القبائح فان الموصوف بالخصال المرضية السابقة يبعد منهم ارتكاب هذه القبائح فلا وجه لنفيها عنهم لانه انما يحسن نفى صفة عن احد اذا كانت الصفة المنفية مما يتوهم ثبوتها له * وتقرير الجواب ان الاتصاف بالخصال السابقة لا يستلزم الاجتناب عن هذه القبائح فان الموصوف بتلك الصفات قد يتدين بالشرك ويقتل النفس بغير حق ويتلبس بالزنى فبين الله تعالى ان المرء لا يصير بتلك الخصال وحدها من عباد الرحمن حتى يجتنب الكبائر ايضا الا انه خص من الكبائر امهاتها واشعر بذلك ان الاجر المذكور بقوله اولئك يجزون الغرفة بما صبروا الآية موعود للجامعين بين التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذآئل وفى هذا النفى ايضا تعريض بما كان عليه الكفار كأنه قيل وعباد الرحمن هم الذين لا يدعون مع الله الها آخر وانتم تدعون ولا يقتلون نفسا بغير حق وانتم تقتلون ولا يزنون وانتم تزنون ويحسن النفى تعريضا وان لم يكن المنفى عنه مظنة لثبوت المنفى له روى عن ابن عباس انه قال ان اناسا من اهل الشرك قتلوا وزنوا فاكثروا ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذى تدعونا اليه لحسن لو تخبرنا بان لما عملنا كفارة فنزلت ﴿ **قوله** جزآء اثم او اثما ﴾ يعنى ان الاثام عبارة عن عقوبة الاثم وجزآئه وقد يطلق على نفس الاثم فان كان المراد به فى الآية نفس الاثم فلا بدّ من تقدير المضاف لان الاثم لا يلقى نفس اثمه بل يلقى جزآءه قال ابن مسلم الأثام والاثم واحد والمراد ههنا جزآء الاثم فاطلق اسم الشئ على جزآئه وقيل الأثام اسم من اسماء جهنم وقيل اسم واد فى جهنم وقيل بئر فيها ﴿ **قوله** تعالى يضاعف ﴾ مجزوم فى قرآءة العامّة على انه بدل من الجزآء كما ان قوله تلم بنا بدل من الشرط فى البيت ابدل تلم من قوله تأتنا لان الالمام وان كان بمعنى النزول الا انه فى معنى الاتيان

الجملة باسم ان او أحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرّا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتدآء من الله ﴿ والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ﴾ لم يجاوزوا حدّ الكرم ﴿ ولم يقتروا ﴾ ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق فى المحارم والتقتير منع الواجب قرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولم يقتروا بفتح الياء وكسر التاء وقرأ نافع وابن عامر ولم يقتروا بضم الياء وكسر التاء من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد ﴿ وكان بين ذلك قواما ﴾ وسطا وعدلا سمى به لاستقامة الطرفين كما سمى سواء لاستوآئهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان لكان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبنىّ لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشئ عن نفسه ﴿ والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرّم الله ﴾ اى حرّمها بمعنى حرّم قتلها ﴿ الا بالحق ﴾ متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ﴿ ولا يزنون ﴾ نفى عنهم امّهات المعاصى بعدما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال ﴿ ومن يفعل ذلك يلق اثاما ﴾ جزآء اثم او اثما باضمار الجزآء وقرئ اياما اى شدآئد يقال يوم ذو ايام اى صعب ﴿ يضاعف له العذاب يوم القيامة ﴾ بدل من يلق لانه فى معناه كقوله متى تأتنا تلم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا * وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستئناف او الحال وكذلك ﴿ ويخلد فيه مهانا ﴾ وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع وابو عمرو ويخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا ويضعف له العذاب

والجزل ماعظم من الحطب اليابس والأجيج تلهب النار يقال اجت النار تؤج اجيجا اذا تلهبت قيل الالف
فى قوله تأججا بدل من نون التأكيد الخفيفة اصله تتأججن ودخلت نون التأكيد فى تأججن مع خلوه عن معنى الطلب
للضرورة قال سيبويه يجوز فى الضرورة انت تفعلن وقيل تأججافعل ماض والالف فيه للاشباع وذكر ضمير النار
فيه لتأولها بالشهاب وقيل هو ماض والالف فيه للتثنية وذكر الفعل لتغليب الحطب على النار ﴿ **قوله** ويدل
عليه ﴾ اى على انضمامها الى الكفر وجه الدلالة ان استثناء التائب من الكفر والمعصية جميعا يدل على اجتماعهما
فى المستثنى منه فان الكافر مخاطب بالفروع على معنى انه اذا ارتكب المعاصى مع الشرك عذب على الشرك وعلى
المعاصى جميعا فتضاعف عقوبته لمضاعفة المعاقب عليه وهو الكبائر مع الشرك ﴿ **قوله** الامن تاب ﴾ المشهور
بين المفسرين انه استثناء متصل لانه من الجنس وقيل لا يظهر مع الاتصال لان المستثنى منه محكوم عليه بانه
يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفاء التضعيف انتفاء العذاب غير المضعف فيصير التقدير الامن تاب وآمن وعمل
عملا صالحا فانه لا يضاعف له العذاب فالاولى ان يكون استثناء منقطعا والمعنى لكن من تاب وآمن وعمل عملا صالحا
فاولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات واذا كان كذلك فلا يلقى عذابا البتة انتهى ماقيل واجيب عنه بان الظاهر
ماقاله جمهور المفسرين وماقاله القائل المذكور غير لازم اذ المقصود الاخبار بان من فعل كذا فانه يحل به ماذكر
الا ان يتوب واما اصابة اصل العذاب وعدمها فلا تعرّض له فى الآية وقوله فاولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات
يحتمل وجهين احدهما انه تعالى يبدّل سيئاتهم حسنات فى الآخرة لما كان منهم من الحسرة والندامة على كل سيئة
كانت منهم فى الدنيا كما روى عن ابى هريرة انه قال ليأتينّ اقوام يوم القيامة ودّوا لو انهم استكثروا من السيئات
فقيل له ياابا هريرة من هم قال هم الذين يبدّل الله سيئاتهم حسنات واليه اشار المصنف بقوله بان يمحو سوابق
معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم كأنهم لم يعملوا فى الدنيا سوى الطاعة والوجه الثانى ان يكون
التبديل فى الدنيا بان يبدل الله قبائح اعمالهم الواقعة فى الشرك بمحاسن الاعمال فى الاسلام فيبدّل الله لهم بالشرك
ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنى عفة واحصانا فكانه تعالى يبشرهم بان يوفقهم لهذه الاعمال الصالحة
فيستوجبون بها الثواب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان مشركوا مكة قالوا قبل نزول قوله الامن تاب
وآمن وعمل عملا صالحا ومايغنى عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التى حرّم الله وأتينا الفواحش فنزلت
هذه الآية بمكة وعنه قال قرأنا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم آتين والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله
ويخلد فيه مهانا ثم نزلت الآية الامن تاب فمارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح بشئ فرحه بها وبانا فتحنا لك
فتحامبينا ولما توهم اتحاد الشرط والجزآء فى قوله ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا لانه فى قوّة ان
يقال من تاب وصلى فانه يصلى صلاة وليس فى مثله فائدة ظاهرة اشار المصنف الى توجيه الكلام بوجوه حاصلها
ان الجزآء فيه معنى زآئد على مافى الشرط وذلك المعنى مستفاد اما من قوله متابا وتنكيره بعد تقييد ناصبه بكونه
رجوعا الى الله عزوجل فان الشرط هو التوبة بمعنى الرجوع عن المعاصى بتركها والندم عليها الى الطاعة
بان تتدارك بها مافرط او بمعنى مجرّد ترك المعاصى والدخول فى الطاعة والجزآء هو الرجوع الى الله تقدّس وتعالى
علوّا كبيرا رجوعا مرضيا عند الله مترتبا عليه محو الخطيئات وعقوباتها ورفع الدرجات وانواع الكرامات
او مستفاد من لفظ الجلالة فى قوله فانه يتوب الى الله متابا فالله تعالى لما كان موصوفا ومعروفا بانه يعرف التائبين
ويحبهم ويفعل بهم مايستوجبون كان قوله تعالى يتوب الى الله فى قوّة ان يقال يتوب الى من يعرف حق التائبين
ويحسن اليهم ويتفضل عليهم فكأنه قيل من تاب من المعاصى وعاد الى الطاعة فى الدنيا فان تلك التوبة منه
فى الحقيقة توبة الى الله تعالى او مستفاد من لفظ المضارع بان يراد بقوله يتوب الرجوع الى ثوابه فى الآخرة بخلاف
الوجهين الاوّلين اذ ليس المراد به فيهما الرجوع فى الآخرة بل المعنى فيهما ان ماتى به من التوبة فى الدنيا فهو
التوبة الى الله تعالى ﴿ **قوله** وهذا تعميم بعد تخصيص ﴾ يعنى ان متعلق التوبة فى قوله الامن تاب هو امهات
المعاصى وههنا مطلق المعاصى ﴿ **قوله** لا يقيمون الشهادة الباطلة ﴾ على أن يشهدون من الشهادة وان انتصاب
الزور على المصدر والاصل لا يشهدون شهادة الزور باضافة العام الى الخاص فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
﴿ **قوله** او لا يحضرون ﴾ على ان يكون يشهدون من الشهود وهو الحضور ويكون انتصاب الزور على انه
مفعول به والاصل لا يشهدون مجالس الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والشهادة الاخبار بصحة الشئ عن

ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله ﴿ الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات ﴾ بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدّل ملكة المعصية فى النفس بملكة الطاعة وقيل بأن يوفقه لاضداد ماسلف منه او بأن يثبت له بدل كل عقاب ثوابا ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات ﴿ ومن تاب ﴾ عن المعاصى بتركها والندم عليها ﴿ وعمل صالحا ﴾ يتلافى به مافرط او خرج عن المعاصى ودخل فى الطاعة ﴿ فانه يتوب الى الله ﴾ يرجع الى الله بذلك ﴿ متابا ﴾ مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذى يحب التائبين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص ﴿ والذين لا يشهدون الزور ﴾ لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب

مشاهدة عيان والزور والكذب واصله تمويه الباطل بما يوهم انه حق ﴿قوله﴾ فان مشاهدة الباطل شركة فيه ﴿
اى من حيث ان الحضور والنظر دليل الرضى به بل هو سبب لوجوده والزيادة فيه لان الذى جعل اهله عليه
استحسان النظارة ورغبتهم فى النظر اليه ﴿قوله﴾ معرضين ﴿ يعنى ان كراما جمع كريم منصوب على الحالية
والمعنى مرّوا مرّ الكرماء الذين لا يرضون باللغو ويتنزهون عن الدخول فيه والاختلاط باهله يقال تكرّم فلان عما
يشينه اذا تنزه واكرم نفسه عنه قال تعالى فى حقهم واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه ومن وجوه الاعراض عنه ان يذكر
ما يستهجن التصريح به بما يكنى به عنه ﴿قوله﴾ بالوعظ والقرآءة ﴿ متعلق بقوله تعالى ذكروا اى اذا وعظوا
بالقرآن او اذا تلى عليهم القرآن لم يقيموا عليها صما لم يسمعوها وعميا لم يبصروها ولكنهم سمعوا وابصروا وانتفعوا
واداة النفى وان دخلت على فعل الخرور الا ان المقصود ليس نفى الخرور بل اثبات الخرور ونفى ما جعل قيداله
وهو الصمم والعمى على ما تقرّر من ان نفى المقيد يرجع الى نفى قيده والمعنى انهم اذا ذكروا بها أكبوا عليها واقبلوا
على المذكر بها حرصا على استماعها وسمعوها بآذان واعية وابصروها بعيون راعية ﴿قوله﴾ بتوفيقهم للطاعة ﴿
يعنى ان المراد بالقرّة المسئولة بها تفضيلهم بالفضائل الدينية لا بالمال والجمال ونحوهما فان المتقين هم الذين
تقرّ أعينهم بصلاح ازواجهم واولادهم كما قيل ليس شئ اقرّ لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده
مطيعين لله واما غير المتقين فانهم يحبون الدنيا وزينتها ولا تقرّ أعينهم الا بما يحبونه وقرّة اعين منصوب على انه
مفعول هب وهو مصدر قولك قرّت عينه قرّا وقرورا وصف بها الاعيان الموهوبة على ان تكون كلمة من فى قوله
من ازواجنا وذرّياتنا تجريدية والمعنى اجعلهم لنا قرّة عين وهو من قبيل رأيت منك اسدا اى انت اسد ويجوز
ان تكون ابتدآئية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقرّ به عيوننا من طاعة وصلاح يقال قرّت به عينى وقرّرت به عينا
اقرّ قرّا وقرورا فهما اما من القرور اى رضيت به حتى تقرّ عينى فلم تطمح الى ما فوقه او من قولهم قرّ يومنا
من القرّ بالضم وهو البرد وقرور العين على هذا يكون كناية عن الفرح والسرور فان للسرور دمعة باردة وللحزن
دمعة حارة بين الله اوّلا معاملتهم مع الخلق بانهم يمشون على الارض هونا ولا يؤذون احدا واذا آذاهم اهل الجهل
والسفه لا يعارضونهم بالاذى ولكن يتحملون ذلك ويتجاوزون عنه ويقولون قولا سدادا ثم بين معاملاتهم
مع الحق ودعاءهم بالليل بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم
ان عذابها كان غراما ثم اخبر عن صنعهم فى اموالهم بانهم ينفقون قواما ثم بين انه مع تحليهم بهذه الفضائل التى هى
اصول الطاعات يجتنبون عن امهات المعاصى ثم بين معاملتهم مع اهليهم ودعاءهم فى حقهم وفى حق انفسهم
فان قولهم واجعلنا يعنون به انفسهم وذرّياتهم ومن قرأ ذرّيتنا على التوحيد نظر الى ان اسم الذرية يطلق على الواحد
والجمع ومن قرأه على لفظ الجمع قصد زيادة الكثرة كما يجمع لفظ القوم والرهط لذلك فيقال اقوام وارهاط
﴿قوله﴾ وتنكير الاعين ﴿ اى مع ان المراد بها اعين القائلين وهى معينة فلأىّ شئ نكرت * والجواب عنه انه لما
قصد تنكير القرّة للتعظيم نكر المضاف اليه فانه لا سبيل لك الى تنكير المضاف الا بتنكير المضاف اليه فنكر المضاف
لذلك فكأنه قيل هب لنا سرورا لا يكتنه كنهه ﴿قوله﴾ وتقليلها ﴿ يعنى ان القائلين جم غفير فلم قللوا اعينهم حيث
عبروا عن عيونهم بجمع القلة * اجاب عنه بان عيون المتقين قليلة بالاضافة الى الغير وفيه ان التعبير بجمع القلة
لا يكفى فيه ان يكون المعبر عنه قليلا بالاضافة الى الغير بل يجب ان يكون عشرة فادونها والقلة الاضافية لا تستلزم
ذلك ﴿قوله﴾ وتوحيده ﴿ اى مع انه مفعول ثان لقوله واجعلنا فينبغى ان يطابق المفعول الاوّل فى الافراد
والجمع بان يقال واجعلنا ائمة ﴿قوله﴾ بصبرهم ﴿ على ان ما مصدرية ولم يقيد الصبر بالمتعلق بل اطلق
ليتسع فى كل مصبور عليه والمضض وجع المصيبة ﴿قوله﴾ دعاء بالتعمير والسلامة ﴿ يعنى ان التحية هى الدعاء
بالتعمير والسلام هو الدعاء بالسلامة ولم يذكر الملقى اياهما وهم فى الغرفات ويمكن ان ذلك هو الله لقوله سلام قولا
من رب رحيم وان يكون الملائكة لقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وان يكون بعضهم يحيى
بعضا ويسلم عليه ﴿قوله﴾ او تبقية دآئمة ﴿ عطف على قوله دعاء بالتعمير اى ويجوز ان يكون المعنى ويلقون
فى تلك الغرفة نفس التبقية الدآئمة ونفس السلامة من كل آفة اى يعطيهم الله تعالى البقاء والخلود بأن يبقيهم
فى الجنة خالدين سالمين وعلى هذا المعنى يكون التركيب مستعملا فى اصل معناه لان معنى التحية الاحياء والتبقية
يقال حياه تحية اى احياه احياء كما يقال بقاه تبقية بمعنى ابقاه ابقاء وعلى المعنى الاوّل يكون مجازا لانه ينزل الدعاء

فان مشاهدة الباطل شركة فيه ﴿ واذا مرّوا ﴿ ٤٦٣ ﴾ باللغو ﴾ ما يجب ان يلغى ويطرح ﴿ مرّوا كراما ﴾ معرضين عنه مكرمين
انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه
ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح
عن الذنوب والكناية عما يستهجن
التصريح به ﴿ والذين اذا ذكروا بآيات ربهم ﴾
بالوعظ والقرآءة ﴿ لم يخرّوا عليها صما وعميانا ﴾
لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين
بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها
سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية
فالمراد من النفى نفى الحال دون الفعل كقولك
لا يلقانى زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصى
المدلول عليها باللغو ﴿ والذين يقولون ربنا
هب لنا من ازواجنا وذرّياتنا قرّة اعين ﴾
بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان
المؤمن اذا شارك اهله فى طاعة الله سرّ بهم
قلبه وقرّ بهم عينه لما رأى من مساعدتهم له
فى الدين وتوقع لحوقهم به فى الجنة ومن
ابتدآئية او بيانية كقوله رأيت منك اسدا
وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر
وذرّيتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير
القرّة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين
المتقين وهى قليلة بالاضافة الى عيون
غيرهم ﴿ واجعلنا للمتقين اماما ﴾ يقتدون
بنا فى امر الدين بافاضة العلم والتوفيق
للعمل وتوحيده لدلالته على الجنس
وعدم اللبس كقوله ثم نخرجكم طفلا او لانه
مصدر فى اصله اولان المراد واجعل كل
واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد
طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آمّ كصائم
وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم
﴿ اولئك يجزون الغرفة ﴾ اعلى مواضع الجنة
وهى اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم
فى الغرفات آمنون وللقرآءة بها وقيل هى
من اسماء الجنة ﴿ بما صبروا ﴾ بصبرهم على
المشاق من مضض الطاعات ورفض
الشهوات وتحمل المجاهدات ﴿ ويلقون
فيها تحية وسلاما ﴾ دعاء بالتعمير والسلامة اى
يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيى
بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دآئمة
وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائى
وابو بكر يلقون من لقى ﴿ خالدين فيها ﴾
لا يموتون ولا يخرجون ﴿ حسنت مستقرّا
ومقاما ﴾ مقابل ساءت مستقرّ معنى ومثله اعرابا

بالتحية منزلة التحية فان من دعا بان يبقيه ويخلده كان كمن ابقاه وخلده بناء على ان تعالى وعد باجابة الدعاء حيث قال ادعونى استجب لكم وقوله تعالى خالدين حال من يجزون او يلقون اى مقيمين فيها من غير موت ولا انتقال ثم انه تعالى لما وصف عباده العابدين وعدّد خصالهم الحميدة وشرح ثوابهم ووعدهم ماوعدهم لاجل عبادتهم امر رسوله بان يقول للناس صريحا ان مبالاة الله واعتناءه بشأنكم حيث خلق السموات والارض وما بينهما ارادة لانتظام احوالكم وقضاء لحوائجكم ومهماتكم انما هو لتعرفوا حق المنعم وتطيعوه فيما كلفكم به من التكليفات وتظفروا بالسعادة الابدية والافهو تعالى غنىّ عنكم وباىّ وجه يحتاج اليكم وهو غنىّ عن العالمين يقال عبأ المتاع يعبأ عبأ فهو عابئ اذا احتاج اليه فهيأه لذلك ﴿قوله لولا دعاؤكم﴾ ذكر فيه وجهين احدهما لولا دعاؤه اياكم الى الدين والطاعة فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول وثانيهما كون المصدر مضافا الى فاعله وكونه بمعنى العبادة والتذلل بالوجوه المبينة فى الشرع واختار المصنف ان يكون الخطاب فى قوله تعالى قل مايعبأ بكم وفى قوله لولا دعاؤكم فقد كذبتم متوجها الى جنس الناس من غير تقييد بنوع من انواع هذا الجنس ثم وجه صحة اسناد العبادة والتكذيب الى الجنس المذكور بانه لما وجد فى صنف من اصناف العبادة وفى صنف آخر من اصناف التكذيب صح اسنادهما اليه وكان تقدير قرآءة فقد كذب الكافرون اى منكم الا انّ دخول الصالحين الابرار فى خطاب فقد كذبتم فسوف يكون لزاما بناء على ان يقال فى تأويله فقد كذب صنف منكم لايخلو عن بعد والظاهر ان يكون الخطاب متوجها الى كفار قريش لان هذه السورة الكريمة نازلة لتقريع كفار قريش على عنادهم وتكذيبهم آيات الله تعالى وتسميتهم القرآن باساطير الاوّلين وطعنهم فى رسول الله بقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام واما ذكر المؤمنين فتعريض بهم وجواب قوله تعالى لو دعاؤكم محذوف لدلالة المقام عليه اى لولا دعاؤكم لما خلقكم ولما اعتنى بشأنكم وقوله تعالى فقد كذبتم موضوع موضع ان يقال فقد تركتم عبادتى وخالفتم حكمى على طريق التعبير بالملزوم عن اللازم لان التكذيب مستلزم لترك العبادة والظاهر من تقرير صاحب الكشاف انه جعل قوله فقد كذبتم معطوفا على شرط محذوف ﴿قوله فسوف﴾ جزآء لذلك الشرط المحذوف كأنه قيل اذا اعلمتكم انى لااعبأ بعبادى الاعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمى فسوف يلزمكم اثم تكذيبكم حتى يكبكم فى النار فانى لااعتدّ بمن لايشتغل بالعبادة وبعد هذا الاعلام تركتم العبادة فسوف يلحقكم العذاب ﴿قوله تعالى لزاما﴾ خبر يكون واسمه مضمر والمعنى يكون جزاء التكذيب لازما على ان يكون اللزام مصدرا كالقيام اقيم مقام الفاعل كما يقوم العدل مقام العادل ويحتمل ان يكون الاسم المضمر اثر التكذيب ﴿قوله حتى يكبكم﴾ بفتح الياء من كبه لابضمها من اكب لانه لازم يقال كبه لوجهه اى صرعه فأكب على وجهه وهو من النوادر وقرئ لزاما بفتح اللام بمعنى اللزوم كالثبات بمعنى الثبوت والاوّل بمعنى الملازمة وكلاهما من قبيل الوصف بالمصدر بمعنى ملازما اولازما * تمت سورة الفرقان والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿سورة الشعرآء مائتان وست اوسبع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين﴾

﴿قوله بالامالة﴾ اى بامالة فتحة طا والفها لان فواتح السور ليست بحروف بل هى اسماء لما يتهجى به فجازت الامالة فيها وقرأ الباقون بتفخيم ألفها على الاصل واظهر حمزة نون سين اى لم يدغمها فى الميم لان حروف الهجاء فى تقدير الانفصال والانقطاع عما بعدها فوجب اظهارها لانها انما تخفى متصلة بحرف من حروف الفم واذا لم تتصل بها لم يوجد شئ يوجب اخفاءها ظاهرا والباقون يدغمون النون فى الميم نظرا الى اتصالها بحرف الشفة ﴿قوله والاشارة الى السورة او القرآن﴾ يعنى ان طسم اسم لهذه السورة او القرآن وتلك اشارة الى المسمى بهذا الاسم واختص فى الاشارة لفظ البعيد مع انه لم يتحلل شئ بين اسم الاشارة والمشار اليه وهو طسم لبعد المشار اليه باعتبار ان الاسم الدال عليه قد تكلم به وانقضى او باعتبار انه قد وصل من المرسل الى المرسل اليه فقوله طسم مبتدأ وتلك مبتدأ ثان وآيات الكتاب المبين خبر المبتدأ الثانى وهذه الجملة خبر المبتدأ الاوّل وهو طسم بتقدير المضاف ليصح الاخبار عنه بان تلك آيات الكتاب المبين والتقدير آيات طسم بمعنى آيات هذه السورة او آيات جملة القرآن العظيم تلك آيات الكتاب المبين وهو من ابان بمعنى بان وظهر ولهذا فسره بقوله الظاهر اعجازه ومحصول قوله آيات

﴿قل مايعبأ بكم ربى﴾ مايصنع بكم من عبات الجيش اذا هيأته اولا يعتدّ بكم ﴿لولا دعاؤكم﴾ لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والافهو وسائر الحيوانات سوآء وقيل معناه مايصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدرية كأنه قيل اى عبئ يعبأ بكم ﴿فقد كذبتم﴾ بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم فى العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اى الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد فى جنسهم من العبادة والتكذيب ﴿فسوف يكون لزاما﴾ يكون جزآء التكذيب لازما يحيق بكم لامحالة اواثره لازما بكم حتى يكبكم فى النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لايكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الفرقان لقى الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لاريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

﴿سورة الشعرآء مكية الاقوله﴾
﴿والشعرآء يتبعهم الغاوون الى﴾
﴿آخرها وآيها مائتان وست اوسبع﴾
﴿وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿طسم﴾ قرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه فى الاصل منفصل عما بعده ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرآن على مامرّ فى اوّل البقرة

﴿ لعلك باخع نفسك ﴾ قاتل نفسك واصل البخع ﴿ ٤٦٥ ﴾ ان يبلغ بالذبح البخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اى أشفق على نفسك ان تقتلها ﴿ أن لا يكونوا مؤمنين ﴾ لئلا يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا ﴿ ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية ﴾ دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه (فظلت اعناقهم لها خاضعين) منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة وظلت عطف على ننزل عطف واكن على فأصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح ﴿ وما يأتيهم من ذكر ﴾ موعظة او طائفة من القرآن ﴿ من الرحمن ﴾ بوحيه الى نبيه ﴿ محدث ﴾ مجدد انزاله بتكرير التذكير وتنويع التقرير ﴿ الا كانوا عنه معرضين ﴾ الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه ﴿ فقد كذبوا ﴾ اى بالذكر بعد اعراضهم وأمعنوا فى تكذيبه بحيث ادّى بهم الى الاستهزآء به المخبر به عنهم ضمنا فى قوله ﴿ فسيأتيهم ﴾ اى اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة ﴿ انباء ما كانوا به يستهزئون ﴾ من انه كان حقا ام باطلا وكان حقيقا بان يصدّق ويعظم قدره اريكذب فيستخف امره ﴿ أولم يروا الى الارض ﴾ أولم ينظروا الى عجائبها ﴿ كم أنبتنا فيها من كل زوج ﴾ صنف ﴿ كريم ﴾ محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وان تكون مبينة منبهة على انه مما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها ﴿ ان فى ذلك ﴾ ان فى انبات تلك الاصناف او فى كل واحد ﴿ لآية ﴾ على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة ﴿ وما كان اكثرهم مؤمنين ﴾ فى علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات العظام ﴿ وان ربك لهو العزيز ﴾ الغالب القادر على الانتقام من الكفرة ﴿ الرحيم ﴾ حيث أمهلهم او العزيز فى انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن ﴿ واذ نادى ربك موسى ﴾ مقدّرا باذكر او ظرف لما بعده ﴿ ان ائت ﴾ اى ائت او بأن ائت ﴿ القوم الظالمين ﴾ بالكفر واستعباد بنى اسرائيل وذبح اولادهم

طمس تلك آيات الكتاب المبين ان هذه السورة الكريمة او القرآن العظيم كتاب مبين اى ظاهر اعجازه وصحيح انه كلام الله تعالى اذ لو لم يكن كذلك لقدروا على الاتيان بمثله ولما عجزوا عن معارضته ﴿ قوله ولعل للاشفاق ﴾ اى الخوف وهو تعالى منزه عن الخوف والمعنى انه تعالى يأمره ان يخاف على نفسه فلا يتحسر لئلا تؤدّيه الحسرة الى الهلاك وهو قول المصنف اى أشفق على نفسك ﴿ قوله لئلا يؤمنوا ﴾ يعنى أن قوله ان لا يؤمنوا فى موضع النصب على انه مفعول بحذف لام التعليل من ان كما هو المشهور او بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والتقدير خيفة ان لا يؤمنوا ولما كانت الخيفة فعلا لفاعل الفعل المعلل وهو البخع من حيث ان كل واحد منهما فعل النبى لم يحتج الى اللام فى تعلق العامل به او انه حذف اللام لما ثبت من ان حذف اللام من ان وان قياس مستمرّ لا لكونه مفعولا له ﴿ قوله تعالى فظلت ﴾ معطوف على ننزل وانما جيئ به ماضيا لتحقق كون اعناقهم خاضعين حينئذ ﴿ قوله واصله فظلوا لها خاضعين ﴾ جواب عما يقال قوله خاضعين مسند الى ضمير الاعناق وهى ليست من قبيل العقلاء فلا يجوز ان يخبر عنها بلفظ الجمع السالم لانه مختص بالعقلاء * وتقرير الجواب ان الخضوع صفة اصحاب الاعناق واخبر عن الاعناق بقوله خاضعين بناء على اصل الكلام ولما اقحمت الاعناق لبيان محل الخضوع كان ينبغى ان يغير الكلام الى خاضعة او خاضعات الا انه ترك الخبر على اصله للدلالة عليه ﴿ قوله وظلت عطف على ننزل ﴾ جواب عما يقال كيف عطف الماضى على المستقبل بحرف التعقيب او بالفاء السببية والماضى يمتنع ان يكون عقيب المستقبل وان يكون مسببا عنه * وتقرير الجواب ان ننزل وان كان مستقبلا لفظا الا انه فى قوّة الماضى لانه لو اورد بدله لفظ الماضى لكان صحيحا كما عطف اكن المجزوم على أصدّق المنصوب لكونه فى موضع الجزآء من حيث ان المعنى ان اخرتنى اتصدّق واكن بين الله ان آيات هذه السورة الكريمة من حيث كونها آيات الكتاب الظاهر اعجازه كافية فى الدلالة على وجوده الله قادر على ما يشاء وعلى صدق مدّعى الرسالة فى دعواه فهى كافية فى دخولهم فى الايمان وفى قبولهم جميع ما فيها من الاصول الاعتقادية والفروع العملية فان لم يؤمنوا بسببها فلا تبالغ فى الحزن والاسف على بقائهم على الكفر والضلال وأشفق على نفسك ان تقتلها بلا فائدة فصبره الله تعالى وعزاه وعرّفه ان غمه وحزنه لا ينفع فى ايمان من سبق حكم الله بعدم ايمانه كما ان الكتاب المبين الاعجاز لم ينفع فى ايمانه ثم بين ان الله تعالى قادر على ان ينزل آية ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه الا انه لم يفعل ذلك بناء على انه لا عبرة بالايمان المبنى على القسر والالجاء ثم بين أنه من جهة وفور رحمته وفضله واحسانه جدّد لهم الانذار والتذكير وقتا بعد وقت وكلما نزل عليهم شيأ من الموعظة والتذكير وطائفة من القرآن النذير أصرّوا على ما كانوا عليه من الاعراض والتكذيب والاستهزآء المدلول عليه بقوله فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن والفاء فى قوله فقد كذبوا للتعقيب كما اشار اليه بقوله اى فقد كذبوا بالذكر بعد اعراضهم المؤدّى الى التكذيب المؤدّى الى الاستهزآء بناء على ان ما كذبوه واستهزأوا به هل هو حقيق بالتصديق والتعظيم او بالتكذيب والاستهزآء ثم انه تعالى بعد ما بين انه كلما انزل عليهم ذكرا جديدا وقتا بعد وقت فلم يزدهم ذلك سوى النفور والاعراض بين ايضا انه اظهر لهم ادلة تحدث فى الارض وقتا بعد وقت تدل على وحدانيته وكمال قدرته ومع ذلك استمرّ اكثرهم على ما هم عليه من الكفر والعصيان فقال اولم يروا الى الارض وبخهم على تركهم نظر الاعتبار ليستدلوا بما فى الارض من العجائب اورأوا الا انهم لم يؤمنوا بسببها وكم فى قوله تعالى كم انبتنا خبرية للتكثير ومنصوبة المحل بالفعل الذى بعدها على المفعولية اى كثيرا من الازواج انبتنا وكل زوج تمييز جيئ به للدلالة على ان الكثير الذى انبته الله تعالى ليس من بعض اصناف النبات بل من جميع اصنافه على التفصيل ﴿ قوله وهو صفة ﴾ يعنى ان الكريم اسم يوصف به كل ما يحمد ويرضى فى بابه ومآله من المنافع والكمالات التى لا يقدر على اتيانها الا رب العالمين ومنه وجه كريم اى محمود مرضىّ فى حسنه وجماله وكتاب كريم اى مرضىّ فى لفظه ومعانيه وفوآئده وفارس كريم اى مرضىّ فى شجاعته وبأسه ووصف الزوج بالكريم يحتمل معنيين الاوّل انه صفة مقيدة له مخصصة بما هو النافع من نوعى النبات فانه على نوعين نافع وضارّ فبين الله كثرة ما انبت فى الارض من جميع اصناف النباتات النافع وترك ذكر الضارّ والثانى ان يكون صفة مادحة لا مخصصة فيعم جميع اصناف النبات نافعه وضارّه وفى وصف جميعها بالكرم تنبيه على انه تعالى ما انبت شيأ الا وفيه فائدة ومنفعة جليلة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لمغنى صحيح وحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون ﴿ قوله او ظرف لما بعده ﴾ اى قال رب انى اخاف

﴿قوم فرعون﴾ بدل من الاوّل او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك ﴿ألا يتقون﴾ استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم فى الظلم واجترآئهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين فى كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واستماعه مبدأ استماعهم مع مافيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى ألا ياناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا ﴿قال رب انى اخاف ان يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل الى هرون﴾ رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له فى الامر على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة فى اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوّى قلبه وينوب منابه متى يعتريه حبسته حتى لا تختل دعوته ولا تبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا فى تلقى الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذر فيه وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبوا فيكونان من جملة ما خاف منه ﴿ولهم علىّ ذنب﴾ اى تبعة ذنب فحذف المضاف او سمى باسمه والمراد قتل القبطىّ وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة فى مواضع ﴿فأخاف ان يقتلون﴾ به قبل ادآء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذاك استمداد واستظهار فى امر الدعوة

ان يكذبون اذ نادى ربك وقيل انه لمقدّر قبله اى واتل على قومك اذ نادى الله موسى فيما تتلو ويدل عليه قوله تعالى فيما بعد واتل عليهم نبأ ابراهيم وذلك حين رأى موسى الشجرة والنار ﴿قوله ولعل الاقتصار على القوم﴾ يعنى انه لا شك ان موسى كان مبعوثا الى فرعون وقومه من الرؤساء والاتباع الا انه لم يذكر فى بعض الآيات قومه حيث قال اذهبا الى فرعون انه طغى ولم يذكر فى بعضها الاتباع حيث قال الى فرعون وملئه والملأ هم الرؤساء دون الاتباع لان المتبوع ورؤساء القوم لما كانوا اصلا اتبعهم الاتباع فى الايمان كان ذكرهم يغنى عن ذكر الاتباع فلذلك اقتصر تارة على ذكر فرعون وتارة على ذكره وذكر رؤساء قومه واقتصر فى هذه الآية على ذكر قومه من الرؤساء والاتباع للعلم بان نفس فرعون كان اولى بذلك ﴿قوله ألا يتقون استئناف﴾ لا محل له من الاعراب وهو متعين على قرآءة يتقون بياء الغيبة واما على القرآءة بتاء الخطاب فانه يحتمل ان يكون التقدير ائت القوم الظالمين وقل لهم ألا تتقون باضمار القول فلا التفات حينئذ وانما يكون التفاتا على تقدير كونه استئنافا وطريق الالتفات انه تعالى بصدد الشكاية من قوم فرعون وظلمهم لنبيه موسى فلما اشتدّ غضبه عليهم قطع بث الشكوى الى موسى واقبل عليهم يوبخهم بالعنف والغلظة وقال لهم ألا تتقون * ولما ورد كيف يصح الالتفات اليهم وهم غيب والالتفات الى الجانى انما يصح اذا كان الجانى حاضرا فى مجلس الشكاية وهم ليسوا حاضرين فى مجلس خطابه تعالى مع موسى فى وقت المناجاة * اجاب عنه بقوله وهم وان كانوا غيبا حينئذ اى حين مخاطبة الله موسى عليه الصلاة والسلام * وتقرير الجواب انهم وان كانوا غيبا الا انهم حينئذ اجروا مجرى الحاضر وكلام الشخص الذى ارسل اليهم من حيث ان ذلك الشخص لما كان مبلغ ذلك الكلام اليهم وكان استماعه مبدأ استماعهم كان حضور ذلك الشخص مع المتكلم بمنزلة حضورهم معه ولذلك صح الالتفات اليهم فى كلام ذلك الشخص وان كانوا غيبا فى نفس الامر وقت المكالمة معه مع ان فى الالتفات اليهم بهذا الطريق مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده لانه لما وبخ الغائب على ترك التقوى وحث عليه مع عدم استماعه كلام الموبخ بالذات فالحاضر المتدبر يكون له اوفر حظ من الحث عليه ﴿قوله اكتفاء بها عن ياء الاضافة﴾ فان اصله على قرآءة الكسر ألا يتقوننى فحذفت احدى النونين تخفيفا واكتفى بكسر النون عن ياء المتكلم فصار ألا يتقون ويحتمل ان تكون قرآءة الكسر مبنية على ان يكون اصل الكلام الا ياناس اتقونى بأن تكون الياء فى يتقون حرف النداء وان يكون المنادى محذوفا كما فى قوله الا يا اسجدوا فان اصله الا ياهؤلاء اسجدوا ويكون اتقون امرا حاضرا حذف منه ياء المتكلم اكتفاء بالكسر وتكون النون فيه نون الوقاية ويكون ارتباط الكلام بما قبله على هذا الوجه بتقدير القول اى ان رأيت القوم الظالمين قل لهم الا ياناس اتقون * فان قلت هذا التوجيه لا يساعده خط المصحف * فالجواب ان خط المصحف سنة متبعة غير منوطة بالقياس ﴿قوله رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له فى الامر على الامور الثلاثة﴾ مبنى على ان يكون قوله يضيق ولا ينطلق مرفوعين بعطفهما على خبر ان وهو اخاف لانهما اذا كانا منصوبين بعطف عن يكذبون يكون استدعاء الضم مرتبا على علة واحدة وهى الخوف من الامور الثلاثة فان المعنى حينئذ اخاف ان يكذبون واخاف ان يضيق صدرى واخاف ان لا ينطلق لسانى وعلى قرآءة الرفع يكون كل واحد من الامور الثلاثة علة مستقلة لاستدعاء الضم غاية ما فى الباب ان يكون بعضها مرتبا على البعض فى الوجود لأن حاصل الكلام حينئذ انه لو لم يشركه هرون فى الامر لاختلفت المصلحة المطلوبة من بعثة موسى عليه الصلاة والسلام وذلك من وجهين الاوّل ان فرعون ربما كذبه والتكذيب سبب لضيق القلب لتعسر الكلام على من يكون فى لسانه حبسة لانه عند ضيق القلب تنقبض الروح والحرارة الغريزية الى باطن القلب واذا انقبضا الى الداخل وخلا منهما الخارج ازدادت الحبسة فى اللسان فالتأذى من التكذيب سبب لضيق القلب وضيق القلب سبب للحبسة فلهذا بدأ عليه الصلاة والسلام بخوف التكذيب ثم ثنى بضيق الصدر ثم ثلث بعدم انطلاق اللسان ثم قال وهرون افصح لسانا منى وليس فى حقه هذا المعنى فكان ضمه الىّ وارساله معى لائقا والثانى ان لى عندهم ذنبا فأخاف ان يبادروا الى قتلى وحينئذ لا يحصل المقصود من البعثة واما هرون فليس كذلك فيحصل المقصود من البعثة بضمه الىّ ﴿قوله وليس ذلك تعللا منه﴾ جواب عما يقال كيف ساغ لموسى عليه الصلاة والسلام ان يأمره الله بامره فلا يقبله بسمع وطاعة ومن حقه ان يسارع فى امتثال المأمور به بلا توقف * وتقرير الجواب انه عليه الصلاة والسلام لم يرد بذكر الامور الثلاثة الا استعفاء من تكليف الرسالة والتعلل

وقوله ﴿ قال كلا فاذهبا بآياتنا ﴾ اجابة له الى الطلبتين بوعده لدفع بلائهم اللازم بردعه عن الخوف وضم اخيه اليه فى الارسال والخطاب فى فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذى يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذى طلبته ﴿ انا معكم ﴾ يعنى موسى وهرون وفرعون ﴿ مستمعون ﴾ سامعون لما يجرى بينكما وبينه فاظهر كما عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعاله لما يجرى بينهم وترقبا لامداد اوليائه منهم مبالغة فى الوعد بالاعانة ولذلك تجوّز بالاستماع الذى هو بمعنى الاصغاء للسمع الذى هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو ﴿ فائتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ﴾ افرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون ما فهت عندهم

* بسرّ ولا ارسلتهم برسول

ولذلك ثنى تارة وافرد اخرى اولاتحادهما للاخوة اولوحدة المرسل والمرسل به اولانه اراد ان كل واحد منا ﴿ ان أرسل معنا بنى اسرآئيل ﴾ اى قولا ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشام ﴿ قال ﴾ اى فرعون لموسى بعدما أتياه فقالا له ذلك ﴿ ألم نربك فينا ﴾ فى منزلنا ﴿ وليدا ﴾ طفلا سمى به لقربه من الولادة ﴿ ولبثت فينا من عمرك سنين ﴾ قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين ثم بقى بعد الغرق خمسين ﴿ وفعلت فعلتك التى فعلت ﴾ يعنى قتل القبطى وبخه به معظما اياه بعد ماعدّد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز ﴿ وانت من الكافرين ﴾ بنعمتى حتى عمدت الى قتل خواصى اوممن تكفرهم الآن فانه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التاءين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالاهيته او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة اوممن الذين كانوا يكفرون فى دينهم ﴿ قال فعلتها اذا وانا من الضالين ﴾ من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه اوممن المخطئين لانه لم يتعمد قتله اوالذاهلين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التأديب اوالناسين من قوله ان تضل احدهما ﴿ ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما ﴾ حكمة ﴿ وجعلنى من المرسلين ﴾ ردّ اولا بذلك ما وبخه به قدحا فى نبوّته ثم كرّ على ما عدّ عليه من النعمة بهابل اراد به تمهيدا لعذر فى التماسه المعين فهو قد امتثل وقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده بأخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته وتمهيد العذر فى التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف فى امتثال الامر ولا بتعلل فيه واراد بالذنب قتله القبطى بالوكزة دفعا عن القبطى الآخر واراد بكون ذلك القتل عليه أن تبعة ذلك القتل اى موجبه وجزآءه بذمته على زعمهم والتبعة كل حق يجب للمظلوم على الظالم بمقابلة ظلمه عليه ﴿ قوله اجابة له الى الطلبتين ﴾ تثنية طلبة بكسر اللام وهى ما طلبته من شئ طلب موسى امرين الاوّل ان يدفع عنه شرّهم والثانى ان يرسل معه هرون فاجابه الله الى الاوّل بقوله كلا ومعناه ارتدع يا موسى عما تظنه فانهم لن يقتلوك به فانى لا اسلطهم عليك بل اسلطك عليهم واجابه الى الثانى بقوله فاذهبا اى اذهب انت والذى طلبته وهو هرون ﴿ قوله يعنى موسى وهرون وفرعون ﴾ فهو تعالى معهما بالعون والنصر ومع فرعون بالكسر والقهر ﴿ قوله سامعون ﴾ حقيقة الاستماع طلب السمع بالاصغاء والله تعالى سامع غنى عن الاستماع والاصغاء فلذلك جعل المعنى نسمع ما تقولانه وما يجيبونكما به وفى الكلام استعارة تمثيلية لكون وجه الشبه هيئة منتزعة من عدّة امور ﴿ قوله لانه مصدر وصف به ﴾ مبالغة او بتقدير ذوا رسالة رب العالمين ﴿ قوله بعدما اتياه فقالا له ذلك ﴾ اشارة الى ان فى الكلام حذفا اى فذهبا اليه فدخلا عليه وقالا له ما امرهما الله تعالى به فعند ذلك قال فرعون ما قال روى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأذن لهما فدخلا عليه وأديا الرسالة فعرف موسى عليه الصلاة والسلام فعدّد نعمه عليه اوّلا ثم اساءة موسى عليه الصلاة والسلام اليه * والوليد الصبى الصغير وكان عليه الصلاة والسلام ولد فيهم ثم كان فيما بينهم حتى صار رجلا والفعلة بالفتح بناء المرة وكانت وكزة واحدة وبالكسر بناء النوع وتعظيم تلك الفعلة يستفاد من عدم التصريح باسمها الخاص فان تنكير الشئ وابهامه قد يقصد به التعظيم ﴿ قوله او ممن تكفرهم الآن ﴾ اى فعلتها والحال انك فى ذلك الوقت من القوم الذين تزعم الآن انهم كافرون اى كنت قبل الآن منا وعلى ديننا والآن جئت تكفرنا وهذا من غاية جهل اللعين لان الانبياء لم يزالوا على التوحيد والبرآءة من الشرك والله تعالى عاصم من يستنبئه من كل كبيرة فاظنك بالكفر واذا فى قوله فعلتها اذا حرف جواب فقط لان ملاحظة المجازاة ههنا بعيدة فان سيبويه وان نص على انها للجزآء لكن شرّاح كتابه قد ذهبوا الى انها قد تتمحض للجواب وتتخلف عنها الدلالة على المجازاة ﴿ قوله من الجاهلين ﴾ والحاصل انه عليه الصلاة والسلام لم يرد بالضلال الكفر ان لانه اراد به ردّ قوله وانت من الكافرين بل اراد به اما الجهل والسفه والمعنى وانا من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه من غير اتباع الوحى والدليل واما الخطأ فى الفعل حيث قصد المنع والتأديب فضل ووقع منه القتل واما الذهول عما يؤول اليه الوكز من القتل واما النسيان كما فى قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى فان الضلال فيه بمعنى النسيان لان التذكر انما يكون بعد النسيان وخلاصة جوابه عليه الصلاة والسلام على جميع التقادير ان ما توبخنى به وتعدّه علىّ ذنبا انما فعلته على وجه لا يعاتب من فعله على ذلك الوجه فضلا عن ان يعدّ كافرا حقيقة او كافرا للنعمة فانه كيف يعاتب من فعل فعلا برأيه على قصد الاصلاح والتأديب بل يستحق لان يثنى عليه ويستحسن فعله وان ادّى الى القتل والاهلاك وقوله لانه كان صدقا لان تربيته له امر ظاهر معلوم لا يصح ردّه وانكاره فكان غير قادح فى دعواه لما تقرّر فى العقول ان الرسول الى الغير اذا كان معه معجزة وحجة لم يتغير حاله بان يكون المرسل اليه انعم عليه او لم ينعم فلذلك لم يكن قول فرعون ألم نربك فينا وليدا نافعا له ولا ضارّا لموسى فلذلك لم يصرّح بردّه ﴿ قوله وتلك التربية نعمة ﴾ اشارة الى ان تلك مبتدأ اشير به الى التربية المدلول عليها بقوله الم نربك ونعمة خبره وتمنها علىّ صفة نعمة وأن عبدت خبر مبتدأ محذوف اى وهى فى الحقيقة تعبيدك قومى اقرّ عليه الصلاة والسلام بكون تلك التربية فى صورة النعمة والاحسان ثم ابطل كونها نعمة بكونها مسببية عن النقمة التى هى قهره بنى اسرآئيل بذبح ابنائهم فانه لو لم يفعل ذلك لتكلفت امّه بتربيته ولما قذفته فى اليم حتى يصل الى فرعون ويربى بتربيته فكيف يمنّ عليه بما كان بلاؤه سببا له يقال عبدت فلانا واعبدته واستعبدته وتعبدته اذا اخذته عبدا وقهرته وذلك ﴿ قوله او بدل نعمة ﴾ كأنه قيل وتلك نعمة تعبيدك بنى اسرآئيل فيؤول المعنى الى ان تلك التربية تعبيدك بنى اسرآئيل ولاشك فى ان التربية ليست نفس التعبيد الا انها لما وقعت بسبب التعبيد ولم يصرّح بردّه لانه كان صدقا غير قادح فى دعواه بل نبه على انه كان فى الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال ﴿ وتلك نعمة تمنها علىّ ان عبدت بنى اسرآئيل ﴾ اى وتلك التربية نعمة تمنّ علىّ بها ظاهرا وهى فى الحقيقة تعبيدك بنى اسرآئيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانهم السبب فى وقوعى اليك وحصولى فى تربيتك وقيل انه مقدّر بهمزة الانكار اى أوتلك نعمته تمنها علىّ وهى ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة

او الجرّ باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بنى اسرآئيل نعمة تمنها علىّ وانما وحد الخطاب فى تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملئه ﴿قال فرعون ومارب العالمين﴾ لما سمع جواب ماطعن به فيه ورأى انه لم يرعو بذلك شرع فى الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل ﴿قال رب السموات والارض ومابينهما﴾ عرّفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله ﴿ان كنتم موقنين﴾ اى ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعدّدها وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لابدّ وان يكون مبدأ لسائر الممكنات مايمكن ان يحس بها ومالا يمكن والا لزم تعدّد الواجب او استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب فى ذاته ﴿قال لمن حوله ألا تستمعون﴾ جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهى واجبة متحرّكة لذواتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى مؤثر ﴿قال ربكم ورب آبائكم الاوّلين﴾ عدولا الى مالا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك فى افتقاره الى مصوّر حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند التأمل ﴿قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون﴾ اسأله عن شئ ويجيبنى عن آخر وسماه رسولا على السخرية

ونتيجة له جعلت نفس التعبيد مبالغة فى السببية والاستلزام ﴿قوله﴾ او الجرّ باضمار الباء او النصب بحذفها كما ان محل الضمير البارز فى تمنها كذلك فان تمنّ يتعدّى بالباء فهى مضمرة والتقدير تمنّ بها او محذوفة كما فى قوله تعالى واختار موسى قومه وعلى التقديرين يكون أن عبدت بدلا من هاء تمنها ﴿قوله﴾ الى خصلة شنعاء مبهمة ﴿وصف الخصلة بالشنعاء دلالة على ان القصد بلفظ تلك الدال على بعد المشار اليه تحقيره او تنزيل بعده عن ساحة الحضور والخطاب وانحطاط درجته منزلة بعد المسافة وجعل المشار اليه مبهما لعدم كونه من الامور الخارجية المتقدّم ذكرها بل هو امر ذهنى تصوّره عليه الصلاة والسلام واشار اليه بقوله تلك ثم فسره بما اخبر عنه فانه عليه الصلاة والسلام تصوّر قوله نعمه تمنها علىّ ان عبدت بنى اسرآئيل بانها من حيث انها نعمة تمنها علىّ تكون خصلة شنعاء فاشار اليها بتلك وجعلها مبهمة ثم بينها بقوله أن عبدت كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ فكان المعنى هى تعبيدك بنى اسرآئيل فكأنّ اللعين وان امتنّ بتربيته اياه الا ان تلك التربية لما كانت مسببة عن تعبيده بنى اسرآئيل كان الامتنان بالتربية امتنانا بتعبيدهم ﴿قوله﴾ لم يرعو ﴿اى لم يكف ولم يمتنع وهو من رعا يرعو اى كف عن الامر يقال ارعوى عن القبيح وتقديره ارعوو ووزنه افعلل ولم يدغم لسكون الياء المبدلة من الواو ولوقوعها رابعة فى الطرف ﴿قوله﴾ شرع فى الاعتراض على دعواه ﴿لم يذكروا فى نظم هذه الآية أن موسى عليه الصلاة والسلام دخل على فرعون وادّى الرسالة وقال له انا رسول رب العالمين الا ان المصنف اشار اليه بقوله قال فرعون لموسى بعد ما اتياه فقالا له ذلك كما ذكرناه هناك وانه تعالى لما قال لهما فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين استلزم ذلك أنهما اتياه وقالا له ذلك حين دخلا عليه فعند ذلك قال فرعون ومارب العالمين يسأل به عن حقيقته الخاصة ويقول أىّ شئ هو مما يطلق عليه اسم الشئ كأنه يريد به التعريض بانكار الاله ويدل عليه قوله تعالى بعد هذا حكاية عنه لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين فأجابه عليه الصلاة والسلام بما فيه انكار الهيته وان يكون ربا للعالمين تعريضا حيث قال رب السموات والارض ومابينهما كأنه قال انت احقر من ذلك واذل فان رب العالمين رب السموات والارض ومدبر امرهما وامر اهلهما على التفصيل ثم قال ان كنت انت وهؤلاء البهائم الذين اتخذوك الها وسموك برب العالمين من الذين يحققون الاشياء بالنظر الصحيح الذى يؤدّيهم الى الايقان علمتم ان العالم عبارة عن كل مايعلم به الخالق من السموات والارض ومابينهما وان ربها هو الذى خلقها ورزق من فيها ودبر امورها فيجب ان يكون واجبا لذاته مبدأ لجميع الممكنات وعلمتم ايضا ان ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية فتعجب اللعين من جوابه فقال لمن حوله الا تستمعون اطلب منه الماهية وهو يجيبنى بالفاعلية ويزعم ان السموات ممكنة مربوبة وهى واجبة متحرّكة لذاتها فثنى عليه الصلاة والسلام بقوله ربكم ورب آبائكم الاوّلين استدل اوّلا بامكان الاجرام العلوية والسفلية واحتياجها الى مؤثر واجب لذاته على وجود رب يسند اليه جميع الموجودات ثم خص من جملة الموجودات بأسرها ماهو اقرب بالنسبة الى المستدل وهو نفسه ومن ولد هو منه فان دليل الانفس اقرب من دليل الآفاق واظهر دلالة على المؤثر القادر الحكيم فعدل اليه اشعارا بغباوتهم وايضا يمكن ان يتوهم كون السموات والارضين واجبة لذاتها غنية عن الخالق ولا يتوهم ذلك فى انفسهم وآبائهم واجدادهم لان المشاهدة دلت على انهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد الوجود وما كان كذلك استحال ان يكون واجبا لذاته ووجب ان يكون وجوده مستندا الى مؤثر واجب لذاته فكان التعريف بهذا الاثر اظهر فلهذا عدل موسى عليه الصلاة والسلام اليه وقوله ويشك منصوب معطوف على ان يتوهم وقوله ويكون مرفوع معطوف على قوله لا يمكن فعند ذلك احتدّ اللعين وغضب ونسبه الى الجنون استكبارا وعنادا قائلا المقصود من سؤالنا طلب الماهية والحقيقة والتعريف بهذه الآثار الخارجية لا يفيد تلك الخصوصية فهذا الذى يدّعى الرسالة مجنون لا يفهم المقصود من السؤال فضلا عن ان يجيب عنه فعاد نبى الله الى تعريف ثالث اوضح من الثانى فقال رب المشرق والمغرب ومابينهما ان كنتم تعقلون وذلك لانه اراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار واراد بالمغرب غروب الشمس وزوال النهار فظاهر ان التقدير على هذا الوجه العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر حكيم وهذا بعينه طريقة ابراهيم مع نمرود فانه عليه الصلاة والسلام استدل بالاحياء والاماتة حيث قال ربى الذى يحيى ويميت فلما عارضه نمرود اللعين بقوله انا احيى واميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فائت بها من المغرب

﴿قال رب المشرق والمغرب وما بينهما﴾ تشاهدون كل يوم انه يأتى بالشمس من المشرق ويحرّكها على مدار غير مدار اليوم الذى قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات ﴿ان كنتم تعقلون﴾ ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لانهم اوّل ما رأى شدّة شكيمتهم وخشاتهم عارضهم بمثل مقاتلهم ﴿قال لئن اتخذت آلها غيرى لأجعلنك من المسجونين﴾ عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادّعائه للالوهية وانكاره للصانع وتعجبه بقوله ألا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ﴿٤٦٩﴾ ولعله كان دهريا او اعتقد ان من ملك قطرا وتولى امره بقوّة طالعه استحق العبادة من اهله واللام فى المسجونين للعهد اى ممن عرفت حالهم فى سجونى فانه كان يطرحهم فى هوّة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لأسجننك ﴿قال أولو جئتك بشئ مبين﴾ اى أتفعل ذلك ولو جئتك بشئ يبين صدق دعواى يعنى المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدّعى نبوّته فالواو للحال ولها الهمزة بعد حذف الفعل ﴿قال فائت به ان كنت من الصادقين﴾ فى ان لك بينة او فى دعواك فان مدّعى النبوّة لابدّ له من حجة ﴿فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين﴾ ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر ﴿ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين﴾ روى ان فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل غيرها فأخرج يده قال فانها فادخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يعشى الابصار ويسدّ الافق ﴿قال للملأ حوله﴾ مستقرّين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ﴿ان هذا لساحر عليم﴾ فائق فى علم السحر ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فاذا تأمرون﴾ بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم ائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه ﴿قالوا ارجه واخاه﴾ أخر امرهما وقيل احبسهما ﴿وابعث فى المدآئن حاشرين﴾ شرطا يحشرون السحرة ﴿يأتوك بكل سحار عليم﴾ يفضلون عليه فى هذا الفنّ وقرئ بكل ساحر ﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة ﴿وقيل للناس هل انتم مجتمعون﴾ فيه استبطاء لهم فى الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرّا

هل انت باعث دينار لحاجتنا * او عبد رب اخا عون بن مخراق * اى ابعث احدهما الينا سريعا ﴿لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين﴾ لعلنا نتبعهم فى دينهم ان غلبوا والترجى باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الأصلى ان لا يتبعوا موسى لان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى

فبهت الذى كفر فكذا موسى عليه الصلاة والسلام عرّف رب العالمين بقوله ربكم ورب آبائكم الاوّلين فانه بمنزلة الاستدلال بالاحياء والاماتة ثم عرّفه بقوله رب المشرق والمغرب فانه بمنزلة قول الخليل فائت بها من المغرب واما قوله ان كنتم تعقلون فكأنه عليه الصلاة والسلام قال ان كنت من العقلاء عرفت انه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت لانك طلبت منى تعريف حقيقته وقد ثبت انه لا يمكن تعريف حقيقته بنفس حقيقته ولا باجزآء حقيقته فلم يبق الا ان اعرّفه بالآثار الخارجية والافعال المختصة به وانى عرفت حقيقته بتلك الآثار فثبت ان كل عاقل يقطع بانه لا جواب عن هذا السؤال الا ما ذكرته ﴿قوله﴾ لاينهم اوّلا ﴿جواب عما يقال كيف قال اوّلا ان كنتم موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون فانه معارض لقول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ﴿قوله﴾ ارجه ﴿قرأ ابن كثير وهشام هنا وفى سورة الاعراف ارجئه بالهمزة وضم الهاء يصلها بواو وابو عمرو بالهمزة وضم الهاء من غير صلة وابن ذكوان بالهمزة وكسر الهاء ولا يصلها بياء وقالون بغير همزة ويختلس الكسرة وورش بغير همزة ويصل الهاء بياء وعاصم وحمزة بغير همز ويسكنان الهاء والهاء فى الوقف ساكنة بلا خلاف الا فى مذهب من ضمها سوآء وصلها او لم يصلها فان الروم والاشمام جائزان فيها كذا فى تفسير القرآءة يقال ارجأت الامر بالهمزة وارجيته بالياء كلاهما بمعنى اخرته وقرئ وآخرون مرجون لامر الله ومرجون الامر لله اى مؤخرون حتى ينزل فيهم ما يريد ﴿قوله﴾ شرطا يحشرون ﴿اشارة الى ان قوله حاشرين صفة موصوف وهو مفعول ابعث والشرط جمع شرطة بسكون الرآء وفتحها وهى اسم لخيار الجند وهم اوّل كتيبة يحضرون الحرب * الجوهرى الشرط بالتحريك العلامة وأشرط فلان نفسه لامر كذا اى اعلمها واعدّها قال الاصمعى ومنه سمى الشرط لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها الواحد شرطة وشرطة وقال ابو عبيدة سموا شرطا لانهم اعدّوا ﴿قوله﴾ لما وقت من ساعات يوم معين ﴿يعنى ان الميقات ههنا الوقت المضروب للفعل ويطلق ايضا على المكان المعين له ومنه ميقات الاحرام يقال هذا ميقات اهل الشام للموضع الذى يحرمون منه واضيف المقيات الى اليوم على طريقة اضافة الشئ الى زمانه لكون الميقات جزأ من ذلك اليوم وساعة من ساعاته فبين بالاضافة اليه كأنه قيل الميقات الذى هو فى ذلك اليوم وجزؤ منه واليوم المعلوم هو يوم الزينة وهو يوم عيد كان لهم فى كل عام وروى عن ابن عباس انه قال وافق يوم السبت فى اوّل يوم من السنة وهو يوم النيروز وقيل كان ذلك يوم عاشورآء وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذى وقته لهم موسى عليه الصلاة والسلام من يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فى الاقطار واختاره قوم فرعون ايضا ليظهر فساد قول موسى عليه الصلاة والسلام بمحضر الجمع العظيم ورضى فرعون بما قالوه ومعنى عما شاهدوه لان حب الشئ يعمى ويصم وكان هذا ايضا من لطف الله تعالى فى ظهور امر موسى ﴿قوله﴾ او عبد رب ﴿منصوب بالعطف على محل دينار فانه وان كان مجرورا لفظا بالاضافة الا انه فى محل النصب على انه مفعول باعث ودينارا سم رجل وكذا عبد رب واخاعون منادى مضاف اى ياخاعون ولو اريد بقوله هل انتم مجتمعون حقيقة الاستفهام لجئ بجواب الناس فعلم منه انه استبطاء اريد به الحث على مبادرتهم الى الاجتماع وكذا فى البيت * قال الامام روى ان العصا لما انقلب حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرنى بما شئت ويقول فرعون اسألك بالذى ارسلك الا اخذتها فأخذها فصارت عصا ثم قال فان قيل كيف قال هنا ثعبان مبين وفى آية اخرى فاذا هى حية تسعى وفى آية ثالثة كانها جانّ والجانّ ما يميل الى الصغر والثعبان الى الكبر فأجاب عنه بقوله اما الحية فهى اسم جنس ثم اذا كبرت صارت ثعبانا وشبهها بالجنان لخفتها وسرعة حركتها فصح الكلام اذا ويحتمل انه شبهها بالشيطان لقوله والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم ويحتمل انها كانت صغيرة كالجان ثم عظمت فصارت ثعبانا والمراد بقوله ثعبان انه بين للناظرين انه ثعبان حقيقة بحركاته وبسائر ما فيه من العلامات وليس يشبه الثعبان فى مروره فقط كما اظهره السحرة ﴿قوله﴾ والترجى باعتبار الغلبة ﴿اى وترجى الاتباع باعتبار ترجى الغلبة فالمراد انا نرجو ان تكون الغلبة لهم فنتبعهم الا انهم علقوا الترجى باعتبار غلبة السحرة عدولا الى طريق الكناية التى هى ابلغ ﴿قوله﴾ ولم يرد به امرهم بالسحر ﴿جواب عما يقال كيف جاز لموسى ان يأمر السحرة بالقاء الحبال والعصى وذلك سحر وتلبيس وكفر والامر بمثله لا يجوز ﴿قوله﴾ وقرأ حفص تلقف بالتخفيف ﴿اى باسكان اللام مخففا والباقون بفتح اللام مشدّدا والتلقف تناول الشئ بسرعة واصله تتلقف بتاءين حذفت احداهما

﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقرّبين﴾ التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذا على ما يقتضيه من الجواب والجزآء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ﴿قال لهم موسى ألقوا ما انتم ملقون﴾ اى بعدما قالوا له اما ان تلقى واما ان تكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن فى تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون﴾ اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم فى انفسهم او اتيانهم بأقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر ﴿فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف﴾ تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف ﴿ما يأفكون﴾ ما يقلبونه من وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة

﴿فألقى السحرة ساجدين﴾ لعلهم بان مثله لا يتأتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيأ لا حقيقة له وان التبحر فى كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ماقبله ويدل على انهم لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا انفسهم فكأنهم اخذوا وطرحوا على وجوههم وانه تعالى ألقاهم بما خوّلهم من التوفيق ﴿قالوا آمنا برب العالمين﴾ بدل من ألقى بدل الاشتمال او حال باضمار قد ﴿رب موسى وهرون﴾ ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما ﴿قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر﴾ فعلمكم شيأ دون شئ ولذلك غلبكم اوفوادعكم ذلك وتواطأتم عليه اراد به التلبيس على قومه لئلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر وروح ءآمنتم بهمزتين ﴿فلسوف تعلمون﴾ وبال مافعلتم وقوله ﴿لأقطعنّ ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين﴾ بيان له ﴿قالوا لاضير﴾ لاضرر علينا فى ذلك ﴿انا الى ربنا منقلبون﴾ بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى او بسبب من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها ﴿انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا﴾ لأن كنا ﴿اوّل المؤمنين﴾ من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة فى المعنى تعليل ثان لنفى الضير او تعليل للعلة المتقدّمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة قول المدل بامره ان احسنت اليك فلا تنس حقى

والافك بالكسر الكذب وبالفتح مصدر قولك افكه يأفكه افكا اى قلبه وصرفه عن الشئ ومنه قوله قالوا أجئتنا لتأفكنا وجدنا عليه آباءنا جعل المصنف كلة ما موصوله بحذف العائد ثم جوّز كونها مصدرية والافك بالمعنى المصدرى لايصح ان يتعلق به التلقف سوآء جعل بمعنى الاخذ او بمعنى الابتلاع وجعل الافك بمعنى المأفوك وسمى الحبال بالافك مبالغة كانها عين الافك كما فى قولهم هذا ضرب الامير اى مضروبه ﴿قوله وتزويق﴾ اى تحسين يقال زوّقت الكلام والكتاب اذا حسنته ووجه الدلالة على ان منتهى السحر تمويه وتزويق ان حقيقة الشئ لو انقلبت الى حقيقة شئ آخر بالسحر لما عدّوا انقلاب العصا حية من قبيل المعجزة الخارجة عن حدّ السحر ولما خرّوا ساجدين عند مشاهدتهم سحره ووجه دلالته ان التبحر فى كل فنّ نافع اذ السحرة لو لم يكونوا فى الطبقة العالية من علم السحر ولم يكونوا عالمين ان منتهى السحر انما هو التمويه والتزويق لما تيقنوا ان ماجاء به موسى ليس بسحر وما كان ذلك التيقن الا ببركة تبحرهم فى علم السحر ﴿قوله وانما بدّل الخرور بالالقاء﴾ يعنى ان المعنى خرّوا وسقطوا ساجدين لكن عدل الى هذا القول للمشاكلة لقوله ألقوا ما انتم ملقون فألقوا حبالهم فألقى موسى عصاه وليدل على انهم لم يتمالكوا انفسهم حين ماشاهدوا امرا خارجا عن السحر فخرّوا بدون الاختيار كأنّ ملقيا اخذهم وألقاهم على وجوههم فقوله فألقى السحرة استعارة تبعية ﴿قوله بدل من ألقى﴾ فلذلك لم يتخلل بينهما عاطف ﴿قوله ابدال للتوضيح ودفع التوهم﴾ فان من قال لئن اتخذت الهاغيرى وتعجب من نسبة الربوبية الى غيره فقال الاتستمعون لايبعد ان يتوهم ان السحرة ارادوا بقولهم آمنا برب العالمين الايمان بربوبية اللعين فأبدلوا منه رب موسى وهرون ليندفع ذلك الوهم وتشعر اضافته اليهما ان الموجب لايمانهم به ماشاهدوا من اثر قدرته الباهرة وهو ما اجراه على ايديهما فلما سمع اللعين انهم باجمعهم آمنوا بالله تعالى وصرفوا وجوههم عنه خاف ان يقول قومه ان هؤلاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم يؤمنوا الا عن معرفة بصحة امر موسى فيؤمنوا به كالسحرة فبادر الى ان يلبس على قومه ويتفرهم عن موسى واتباعه فقال اوّلا للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لكم ارادبه وصفهم بسرعة الاغترار وسوء التدبير والسفاهة ثم قال انه لكبيركم الذى علمكم السحر تصريحا بما ذكره اوّلا بطريق الرمز كأنه قال ان استاذكم هذا لم يعلمكم بعض اسرار صنعته ليغلب به عليكم وقت الحاجة فاغتررتم وظننتم انه غلب عليكم بالمعجز الالهى وليس كذلك فانه انما غلب عليكم بقوّة علم السحر لكونكم لم تحيطوا بما احاط به علما ويحتمل ان يكون مراده وصفهم بالخيانة على سلطانهم بعصيانه وتنفير رعيته عنه كأنه قال لم تهتموا فى اظهار صنعتكم والغلبة على خصمكم لمواطأة بينكم وبينه ليظهر امره ويتم مقصوده والا فكيف عجزتم عن ان تفعلوا مثل مافعله ساحر مثلكم ثم اوعدهم على الاجمال والابهام فقال فلسوف تعلمون ثم فصل ذلك المجمل وبين ذلك المبهم فقال لأقطعنّ ايديكم وارجلكم من خلاف اى من اجل خلاف ظهر منكم على ان كلة من للتعليل كما فى قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا وتفسير قطع اليد والرجل من خلاف بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى كما فى الحدود لايناسب حال فرعون ولما هو بصدده لانه تخفيف للعقوبة واعراض عن تفويت منفعة البطش والمشى على الجانى ومن لم يخطر بباله هذا التأويل قال قوله هذا دليل على حمقه حيث اوعدهم فى موضع التغليظ بما وضع للتخفيف وليس فى الآية مايدل على انه فعل بهم ذلك او لم يفعل والله اعلم بذلك ﴿قوله لاضرر علينا فى ذلك﴾ تقدير للخبر المحذوف وليس مرادهم ان ما اوعدهم به ان وقع لايضرّهم اصلا بل المراد ان ذلك ليس ضررا بل نفعا عظيما لنا من حيث كون الصبر عليه مؤدّيا الى تكفير الخطيئات ورفع الدرجات او من حيث انه من جملة اسباب الانقلاب الى ربنا وانه انفعها وارجاها فمعنى الاستئناف على هذا ان عدم وقوع ماتوعدنا به لاينجينا من الموت حتى يكون وقوعه ضررا مؤدّيا اليه فان الانقلاب الى الموت الذى لاحاكم على الانسان بعده سوى الله امر كائن لامحالة باىّ سبب كان فلا وجه للاحتراز عن خصوص شئ من اسبابه لكونه اضرّ من غيره كأنه قيل لاضرر علينا فى ذلك بالنسبة الى سائر اسباب الموت لانا مائتون لامحالة باىّ سبب كان فلئمت بهذا السبب والمعنى الاوّل لاضرر علينا بل فيه نفع عظيم لنا من حيث كون الصبر عليه مؤدّيا الى الكرامة عند الله تعالى ﴿قوله تعليل ثان لنفى الضير﴾ هذا ظاهر على تقدير ان يكون خلاصة تعليل الاوّل انا منقلبون الى الموت بسبب من الاسباب فلا ضير فى بعضه بالنسبة الى الباقى واما على تقدير كون خلاصته انا الى كرامة ربنا منقلبون بذلك فالظاهر كونه تعليلا للعلة المتقدّمة ﴿قوله او على طريقة قول المدل بأمره﴾ اى الواثق به يقال ادل بالامر اذا وثق به واعتمد عليه ﴿قوله

﴿واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى﴾ وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوّا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير ﴿انكم متبعون﴾ يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اى أسر بهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدّم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فأطبقه عليهم فأغرقهم ﴿فأرسل فرعون﴾ حين اخبر بسراهم ﴿فى المدآئن حاشرين﴾ العساكر ليتبعوهم ﴿ان هؤلاء لشرذمة قليلون﴾ على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين ألفا بالاضافة الى جنوده ﴿٤٧١﴾ اذ روى انه خرج وكانت مقدّمته سبعمائة ألف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلى وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل ﴿وانهم لنا لغائظون﴾ لفاعلون مايغيظنا ﴿وانا لجميع حذرون﴾ وانا لجميع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم فى الامور اشار اوّلا الى عدم مايمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق مايدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ فى شأنهم حثا عليه واعتذر بذلك الى اهل المدآئن كيلا يظنّ به مايكسر سلطانه وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان والكوفيون حاذرون والاوّل للثبات والثانى للتجدّد وقيل الحاذر المؤدّى فى السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اى اقوياء قال

احب الصبىّ السوء من اجل امّه *
وابغضه من بغضها وهو حادر *

او تامّوا السلاح فان ذلك يوجب حدارة فى اجسامهم ﴿فأخرجناهم﴾ بأن خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه ﴿من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم﴾ يعنى المنازل الحسنة والمجالس البهية ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الاخراج اخرجناهم فهو مصدر أو مثل ذلك المقام الذى كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبرا لمحذوف ﴿واورثناها بنى اسرآئيل فأتبعوهم﴾ وقرئ فاتبعوهم ﴿مشرقين﴾ داخلين فى وقت شروق الشمس ﴿فلما تراأى الجمعان﴾ تقاربا بحيث رأى كل منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان ﴿قال اصحاب موسى انا لمدركون﴾ للمحقون وقرئ لمدّركون من ادرك الشئ اذا تتابع ففنى اى لمتتابعون فى الهلاك على ايديهم ﴿قال كلا﴾ لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم ﴿ان معى ربى﴾ بالحفظ والنصرة ﴿سيهدين﴾ طريق النجاة منهم روى ان مؤمن آل فرعون كان بين يدى موسى فقال اين أمرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلى اومر بما اصنع ﴿فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر﴾ القلزم او النيل ﴿فانفلق﴾ اى فضرب فانفلق وصار اثنى عشر فرقا بينها مسالك ﴿فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ كالجبل المنيف الثابت فى مقرّه فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب ﴿وأزلفنا﴾ وقرّبنا ﴿ثم الآخرين﴾ فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم ﴿وانجينا موسى ومن معه اجمعين﴾ بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا ﴿ثم اغرقنا الآخرين﴾ باطباقه عليهم ﴿انّ فى ذلك لآية﴾ وأية آية ﴿وما كان اكثرهم مؤمنين﴾ وماتنبه عليها اكثرهم اذلم يؤمن بها احد ممن بقى فى مصر من القبط وبنو اسرآئيل بعدما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴿وان ربك لهو العزيز﴾ المنتقم من اعدآئه ﴿الرحيم﴾ باوليائه

من سرى ﴿يعنى ان سرى واسرى لغتان بمعنى يقال سرى يسرى بالكسر سرى بالضم وسرى بالفتح واسرى ايضا اى سار ليلا روى انه مات فى تلك الليلة فى كل بيت من بيوت القبط ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى ان الله تعالى اوحى الى موسى ان اجمع بنى اسرآئيل كل اربعة ابيات فى بيت ثم اذبحوا الحدأ واضربوا بدمائها على ابوابكم فانى آمر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل اولاد القبط واخبز واخبزا فطيرا فانه اسرع لكم والفطير خلاف العجين اى الذى لا يختمر وكل شئ اعجلته عن ادراكه فهو فطير ثم اسر بعبادى حتى تنتهى الى البحر فيأتيك امرى وموسى لا يشعر به ﴿قوله﴾ لفاعلون مايغيظنا ﴿اى مايغضبنا يقال غاظه واغاظه وغيظه اذا اغضبه والاوّل اشهر واكثر واختلف فى الفعل الذى غاظهم وضاقت به صدورهم فقيل ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا فى هذه الليلة عيدا فاستعاروا حليهم وحللهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الاموال فى الليل الى جانب البحر فرادهم بالفعل الذى غاظهم ماأخذوه من العوارى وقيل المراد به خروجهم عن عبودية فرعون واستقلالهم بانفسهم وقيل المراد به مخالفتهم فى الدين وخروجهم عنه ﴿قوله﴾ المؤدى فى السلاح ﴿بالهمزة اسم فاعل من آدى الرجل اى قوى من جهة الاداة والسلاح ﴿قوله﴾ بان خلقنا داعية الخروج ﴿يعنى انهم وان خرجوا باختيارهم الا انه اسند الاخراج اليه تعالى اسنادا مجازيا من حيث انه تعالى خلق فى قلوبهم داعية الخروج فاستلزمت الداعية الفعل وهو الخروج من جنات اى بساتين كانت لهم وعيون اى انهار جارية وكنوز اى الاموال الظاهرة من الذهب والفضة ونحوهما سماها كنوزا لان مالم يؤدّ منه حق الله تعالى كنز وان كان ظاهرا على وجه الارض وما يؤدّى منه حق الله تعالى ليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين ويعنى بالمقام الكريم المنازل الحسنة من منازل الامرآء والرؤساء التى تحدق بها الاتباع ﴿قوله﴾ مثل ذلك الاخراج ﴿يعنى ان محل الكاف اما النصب على انه صفة مصدر محذوف واما الجرّ على انه صفة مقام واما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقرأ العامة فأتبعوهم بقطع الهمزة من اتبعه بمعنى لحقه فالمعنى لحق فرعون وقومه قوم موسى داخلين فى وقت شروق الشمس اى طلوعها على ان مشرقين حال اما من الفاعل او من المفعول او منهما جميعا لان الدخول فى وقت شروق الشمس قائم بهم جميعا يقال تبعه اذا قفا أثره وأتبعه اذا لحقه ﴿قوله﴾ وقرئ لمدّركون ﴿اى بتشديد الدال وكسر الراء من الادّراك وهو التتابع فى الهلاك يقال ادّرك الشئ اذا تتابع بعضه بعضا ففنى ومنه قوله تعالى بل ادّارك علمهم فى الآخرة اى جهلوا علم الآخرة قيل الادّراك والتتابع من الاسماء الغالبة فى الهلاك كالداهية والبين والسنة والنكبة والقحط وقوله فانفلق عطف على محذوف والانفلاق والانشقاق اى فانشق البحر وتفرّق اثنى عشر فرقا اى طريقا لكل سبط منهم طريق وقام الماء عن يمين الطريق وعن يساره كالجبل العظيم كما قال تعالى كل فرق كالطود العظيم والطود الجبل وعظمه لارتفاعه طولا نحو السماء ﴿قوله﴾ وقرّبنا ﴿وقيل جمعنا ومنه ليلة المزدلفة اى ليلة الجمع وثم وثمة ظرف مكان بعيد والمراد بذلك المكان حيث انفلق البحر والآخرين مفعول ازلفنا والمعنى قرّبناهم من بنى اسرآئيل او قربنا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد أو قدّمناهم للبحر روى ان جبريل كان بين بنى اسرآئيل وبين آل فرعون فكان يقول لبنى اسرآئيل ليلحق آخركم باوّلكم ويستقبل القبط ويقول رويدكم ليلحق آخركم اوّلكم وروى ان موسى قال عند ذلك يامن كان قبل كل شئ والمكوّن لكل شئ والكائن بعد كل شئ اجعل لنا مخرجا وهذا معجز عظيم من وجوه احدها انفراق ذلك الماء وثانيها اجتماع ذلك الماء فرقا كل فرق كالجبل العظيم وثالثها انه ثبت فى الحجر انه تعالى أرسل على فرعون وقومه من الرياح والظلمة ماحيرهم فاحتبسوا القدر الذى تكامل فيه عبور بنى اسرآئيل ورابعها ان الله تعالى جعل فى تلك الجدران المائية كوى ينظر منها بعضهم الى بعض وخامسها ان ابقى الله تلك المسالك حتى قرب آل فرعون ان يتخلصوا من البحر كما تخلص موسى عليه الصلاة والسلام فجعل الله ذلك البحر طريقا يبسا لبنى اسرآئيل حتى خرجوا منه سالمين واغرق فرعون ومن معه فانه لما تكامل دخولهم فى البحر انطبق الماء عليهم فغرقوا اجمعين ﴿قوله﴾ وأية آية ﴿يعنى ان التنكير فى قوله لآية للتعظيم والتفخيم وفيه تسلية النبى عليه الصلاة والسلام لانه قد يغتم قلبه المنير بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات على يديه فذكر له امثال هذه القصص ليقتدى بمن قبله من الانبياء فى الصبر على عناد قومه والانتظار لمجئ الفرج ﴿قوله﴾ وبنو اسرآئيل بعدما نجوا ﴿مبتدأ وسألوا بقرة خبره يعنى بعدما نجوا من الغرق ارتدّ اكثرهم وماداموا على الايمان يريدان ضمير

﴿ واتل عليهم ﴾ على مشركى العرب ﴿نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون﴾ سألهم ليريهم انّ ما يعبدونه لايستحق العبادة ﴿قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين﴾ فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل ﴿ قال هل يسمعونكم ﴾ يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة ﴿ اذ تدعون ﴾ عليه وقرئ يسمعونكم اى يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها ﴿ اوينفعونكم ﴾ على عبادتكم لها ﴿اويضرّون﴾ من اعرض عنها ﴿ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾ اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضرّ او نفع والتجأوا الى التقليد ﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون ﴾ فان التقدّم لايدل على الصحة ولا يقلب به الباطل حقا ﴿ فانهم عدوّلى﴾ يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضرّرون من جهتهم فوق مايتضرّر الرجل من جهة عدوّه اوان المغرى بعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان لكنه صوّر الامر فى نفسه تعريضا لهم فانه انفع فى النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول وافراد العدوّ لأنه فى الاصل مصدر او بمعنى النسب ﴿الارب العالمين﴾ استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله ﴿ الذى خلقنى فهو يهدين﴾ لانه يهدى كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال والذى قدّر فهدى هداية مدرّجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضارّ مبدأها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذآئذها والفاء للسببية ان جعل الموصل مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين

اكثرهم يعود الى من عاين هذه الآية العظيمة وأشاع امرها فيما بينهم سواء كان من القبط او من بنى اسرآئيل ويجوز ان يكون الضمير فيه راجعا الى القبط خاصة فانه روى انه لم يؤمن من اهل مصر غير امرأة فرعون وحزقيل من آل فرعون ابن عمه ومريم بنت ناموسا التى دلت على عظام يوسف فان موسى عليه الصلاة والسلام لما اسرى ببنى اسرآئيل من مصر اراد ان يأخذ معه جسد يوسف فلم يجد من يعرف قبره سوى تلك المرأة ﴿قوله سألهم﴾ مع انه عليه الصلاة والسلام يعلم انهم عبدة الاصنام فقال اى شئ تعبدون لينبههم على ضلالهم وكان يكفيهم فى الجواب ان يقولوا اصناما كقوله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو اى ينفقون العفو الا انهم اطالوا جوابهم بان زادوا قولهم نعبد ولم يقتصروا على زيادته بل زادوا ايضا قولهم فنظل لها عاكفين فانه كان يكفيهم فى الجواب ان يقولوا نعبد اصناما فلم يقتصروا عليه بل عطفوا عليه فنظل لها عاكفين اظهارا لما فى نفوسهم من الابتهاج والافتخار بعبادة الاصنام والتبجح بتقديم الجيم على الحاء الفرح يقال بجحته انا تبجيحا فبجح اى فرّحته ففرح ويقال ظللت افعل كذا بالكسر ظلو لا اذا عملت بالنهار دون الليل والظاهر ان عبادتهم الاصنام لاتختص بالنهار فلذلك قالوا فنظل ههنا بمعنى ندوم ﴿قوله يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون﴾ يعنى ان حق يسمعون ان يتعدّى الى مفعول واحد من قبيل الاصوات المسموعة نحو سمعت كلامك وسمعت حديث زيد او يتعدّى الى مفعولين اوّلهما من قبيل الجواهر العينية وثانيهما من قبيل الاصوات المسموعة نحو سمعت زيدا يقرأ ولايجوز سمعت زيدا ولا سمعت زيدا يقوم لان القيام ليس مما يسمع وقوله يسمعونكم من قبيل سمعت زيدا فلابدّ ان يحمل على تقدير المضاف او على تقدير المفعول الثانى الذى يكون من قبيل المسموعات ﴿قوله ومجيئه مضارعا﴾ جواب عما يقال ان كلة اذ ظرف لما مضى والزمان الماضى لايكون ظرفا لما سيكون فالظاهر ان يقال هل سمعوا دعاءكم وأسمعوكم الجواب اذدعوتموهم * وتقرير الجواب ان اصل الكلام ماقلتم الا انه عدل الى لفظ المضارع على حكاية الحال الماضية ومعناها استحضروا الاحوال الماضية التى كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا واسمعوا اذدعوتموهم وتقرير الحجة التى ذكرها ابراهيم لابيه وقومه ان من عبد غيره لابدّ ان يلتجئ اليه فى قضاء حاجته وان المعبود لابدّ ان يكون عارفا مراده ويسمع دعاءه ثم يستجيب له فى جلب منفعة اودفع مضرّة فقال عليه الصلاة والسلام لهم اذا كان الذى تعبدونه ساقطا عن هذه المنزلة بالكلية كيف تعبدونه فعند قيام هذه الحجة الباهرة لم يجد قومه مايدفعون به حجته فتمسكوا بالتقليد فقالوا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اى وجدناهم يفعلون مثل فعلنا على انّ كذلك منصوب بيفعلون ويفعلون مفعول ثان لوجدنا ولما كان خلاصة جوابهم أنا وافقنا آباءنا فيما ثبت بطلانه بما القته من الحجة قال لهم ابراهيم افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فان الباطل لاينقلب حقا بكثرة فاعليه وكونه دأبا قديما ثم انه عليه الصلاة والسلام ترقى فى تخطئتهم فقال انّ ما كنتم تعبدون اعداء لعابديهم فضلا عن ان ينفعوهم اويضرّوهم فانهم يتبرّأون من عبدتهم ويضادّونهم كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدّا ﴿قوله من حيث انهم يتضرّرون من جهتهم﴾ جواب عما يقال كيف وصف الاصنام بالعداوة وهنّ جمادات لاتتصوّر العداوة منهنّ يعنى انها شبهت بالعدوّ من حيث كونها سببا للحوق المضرّة بهم فسميت عدوّا على سبيل الاستعارة * وتقرير الجواب الثانى انها وصفت بالعداوة لكون السبب الحامل على عداوتها اعدى عدوّ الانسان وهو الشيطان فهو من قبيل الاسناد المجازى حيث اسند وصف السبب الحامل الى مسببه ﴿قوله استثناء منقطع﴾ لكونه تعالى غير داخل فيما يرجع اليه ضمير انهم وهو ماكان قومه يعبدون والمعنى لكن رب العالمين الذى شأنه كذا وكذا هو المستحق للعبادة ولم يذكر المفعول به الغير الصريح لقوله يهدين ليعم كل ماهداه الله تعالى اليه من امور المعاش والمعاد كما اشار اليه بقوله لانه يهدى كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد وقوله الذى خلقنى يحتمل ان يكون فى محل الرفع على الابتدآء فحينئذ يكون مبتدأ ثانيا ويهدين خبره والجملة خبر الاوّل دخلت الفاء فى خبره لتضمن المبتدأ معنى الشرط وقوله والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ لايخلو عن بعد لان المقصود ههنا معين ليس بعام كما فى قولك الذى يأتينى فله درهم لان الصلة ليست مما يحتمل صدوره من المتعدّد فلاتشبه الشرط فالظاهر ان يقال ان جعل الموصول مبتدأ تكون زيادة الفاء فى خبره مبنية على ماذهب اليه الاخفش من جواز زيادة الفاء فى الخبر مطلقا نحو زيد فاضربه ويحتمل ان يكون فى محل النصب على انه صفة

رب العالمين فتكون الفاء لعطف الجملة الاسمية على خلقني لتدل على ان هداية الله الى كل مايحتاج اليه فى امر معاشه ومعاده متعلقة به على سبيل التجدّد والاستمرار من حين ان خلقه الله فنفخ فيه الروح الى ابد الآباد والافن هداه الى ان تغذى بالدم فى بطن امّه امتصاصا ومن هداه الى خروجه منها منكسا رأسه والى معرفة الثدى عند الارتضاع والى معرفة البكاء عند الحاجة الى الغذآء اوعند حدوث الالام والادوآء الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد ﴿قوله﴾ فيكون اختلاف النظم ﴿﴾ يعنى قال خلقنى بلفظ الماضى لان خلقه قد وقع على وجه لايتجدد فى الدنيا بل لما وقع بقى الى الامد المعلوم وقال فهو يهدين بلفظ المستقبل لان الهداية مما يتجدّد كل حين ﴿قوله﴾ تعالى والذى هو يطعمنى ويسقين ﴿﴾ اضاف الاطعام الى ولىّ الانعام لان الركون الى الاسباب عادة الانعام وليس الاطعام والسق عبارتين عن مجرّد خلق الطعام والشراب له وتمليكهما اياه بل يدخل فيهما اعطاء جميع مايتوقف الانتفاع بالطعام والشراب عليه كالشهوة وقوّة المضغ والابتلاع والهضم والدفع ونحو ذلك واقتصر على ذكر الطعام والشراب من جملة مايتوقف عليه انتظام حاله فى الدنيا ونبه بذكرهما على ماعداهما قيل تقديم كلمة هو فى هذه الصلات دليل على انه لايهدى ولايطعم ولايسقى ولايمرض ولايشفى الا الله وحده وذلك انهم كانوا يقولون المرض من الزمان والاغذية والشفاء من الاطباء والادوية فأعلم ابراهيم ان المؤثر فى جميع ذلك ليس الارب العالمين ﴿قوله﴾ ان الصحة والمرض فى الاغلب يتبعان المأكول والمشروب ﴿﴾ فان البطنة تورث الاسقام والاوجاع والحمية اصل الراحة والسلامة وعليه بنى الشاعر قوله

* عدوّك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرنّ من الصحاب *
* فان الدآء اكثر ماتراه * يكون من الطعام او الشراب *

وقالت الحكماء لوقيل لاكثر الموتى ماسبب انقطاع آجالكم لقالوا التخم وفى الحكمة ليس للبطنة خير من خصة تتبعها ﴿قوله﴾ وانما لم ينسب المرض اليه ﴿﴾ ولم يقل واذا امرضنى مع ان المرض والشفاء كلاهما من الله تعالى لان مقصود ابراهيم تعديد النعم ولما لم يكن المرض من النعم لاجرم لم يضفه اليه تعالى * ولما ورد على هذا الجواب ان يقال الاماتة اشدّ من المرض وقد اسندها عليه الصلاة والسلام اليه تعالى حيث قال والذى يميتنى ثم يحيين * اجاب عنه بأنا لانسلم انها اشدّ من المرض بل ليس فيها ضرر اصلا لان الضرر مايتأذى الانسان باحساسه وحال حصول الموت لايقع الاحساس به وانما الضرر فى مقدّماته وهى عين المرض ثم ترقى فى الجواب وقال بقاء النفوس الزكية والارواح الطاهرة الكاملة فى العلوم والاخلاق المرضية فى هذه الاجساد عين الضرر فى حقهم فخلاصهم منها عين السعادة لهم بخلاف المرض فكان نعمة عظيمة فى حقهم فلذلك اضافه اليه تعالى ﴿قوله﴾ ولان المرض ﴿﴾ عطف على قوله لان مقصوده تعديد النعم اى لم ينسب المرض اليه تعالى لكونه فى غالب الامر يحدث بتقصير الانسان ولما كان للانسان سببية ظاهرة فى حدوث المرض نسب اليه وان كان الكل من عندالله وايضا لما كان حدوث المرض باستيلاء بعض الاخلاط على بعض من حيث انها كانت مكيفة بكيفيات متضادّة كان بينها تنافر طبعا وذلك التنافر يستدعى استيلاء بعضها على بعض المستلزم لبطلان الاعتدال النوعى وسوء المزاج هو المرض فكان حدوث المرض مستندا الى الانسان وتنافر أخلاطه فلذلك اسند اليه بخلاف الصحة فانها انما تحصل عند بقاء الاخلاط على الاجتماع على الوجه الخاص المسمى بالاعتدال النوعى وذلك الاجتماع والاعتدال وكذا عود الاخلاط اليهما بعد طريان سوء المزاج انما يكون بسبب قاهر يقهرها عليهما من حيث انها بطباعها مائلة الى التفرق واستيلاء بعضها على بعض والسبب القاهر هو الله فلذلك اسندت الصحة والشفاء اليه واسند المرض الى العبد ﴿قوله﴾ قهرا ﴿﴾ منصوب على المصدرية لقوله باستحفاظ لانه نوع من الحفظ والاستحفاظ ابلغ من الحفظ فان استفعل قد يكون بمعنى فعل نحو طاف واستطاف ﴿قوله﴾ كمالا فى العلم والعمل ﴿﴾ اى زيادة على ماأعطيتنى من الحكمة وهى العلم الذى يفضى الى العمل بمقتضاه فان من يعلم شيأ ولايأتى بما يناسب عليه لايقال له حكيم ﴿قوله﴾ وحسن صيت ﴿﴾ الصيت الذكر الجميل الذى ينشر فى الناس دون القبيح عبر عن الثناء الحسن والقبول العام فى الامم التى تجيئ بعده الى يوم القيامة باللسان لكون اللسان سببا فى ظهوره وانتشاره وبقاء الذكر الجميل على ألسنة العباد الى آخر الدهر دولة عظيمة من حيث كونه دليلا على رضى الله ومحبته للعبد فانه تعالى اذا احب عبدا يلقى محبته الى اهل السموات والارض فتحبه الخلائق كافة حتى الحيتان فى البحر

فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله ﴿والذى هو يطعمنى ويسقين﴾ على الاوّل مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ماقبله عليه وكذا الاذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم ﴿واذا مرضت فهو يشفين﴾ عطفه على يطعمنى ويسقين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض فى الاغلب يتبعان المأكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه لان مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لايحس به لاضرر فيه انما الضرر فى مقدّماته وهى المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحابّ التى يستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض فى غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان من التنافى والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم ﴿والذى يميتنى ثم يحيين﴾ فى الآخرة ﴿والذى اطمع ان يغفرلى خطيئتى يوم الدين﴾ ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامّة ان يجتنبوا المعاصى ويكونوا على حذر وطلب لان يغفرلهم مايفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث التى سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هى اختى ضعيف لانها معاريض وليست خطايا ﴿رب هب لى حكما﴾ كمالا فى العلم والعمل استعدّ به لخلافة الحق ورياسة الخلق ﴿وألحقنى بالصالحين﴾ ووفقنى لكمال فى العمل لانتظم به فى عداد الكاملين فى الصلاح الذين لايشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره ﴿واجعل لى لسان صدق فى الآخرين﴾ جاها وحسن صيت فى الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك مامن امّة الاوهم محبون له مثنون عليه

او صادقا من ذرّيتي يجدّد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلوات الله وسلامه عليه ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ في الآخرة وقد مرّ معنى الوراثة فيها ﴿واغفر لابي﴾ بالهداية والتوفيق للايمان ﴿انه كان من الضالين﴾ طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به اولانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ﴿ولا تخزني﴾ بمعاتبتي على ما فرّطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الورّاث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان. اومن الخزاية بمعنى الحياء ﴿يوم يبعثون﴾ الضمير للعباد لانهم معلومون او للضالين ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم﴾ اى لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب من الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته او لا ينفعان الامال من هذا شأنه وبنوه حيث انفق ماله في سبيل البرّ وأرشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيامة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اى لا ينفع غنى الاغناء وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من اتى الله بقلب سليم تنفعه ﴿وازلفت الجنة للمتقين﴾ بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها ﴿وبرزت الجحيم للغاوين﴾ فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد ﴿وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله﴾ اين آلهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم ﴿هل ينصرونكم﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿او ينتصرون﴾ بدفعه عن انفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال ﴿فكبكبوا فيها هم والغاوون﴾ اى الالهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كأنّ من ألقي في النار ينكب مرّة بعد اخرى حتى يستقرّ في قعرها

والطيور في الهواء ﴿قوله﴾ او صادقا من ذرّيتي ﴿﴾ فيكون ذكر اللسان من قبيل تسمية الكل باسم جزئه فتكون الآية نظير قوله تعالى حكاية عنه عليه الصلاة والسلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سأخبركم باوّل امري انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور اضاءت لها منه قصور الشام ﴿قوله﴾ وقد مرّ معنى الوراثة فيها ﴿﴾ وهو ان تشبه الجنة التي استحقها العامل بعد فناء عمله بالميراث الذي استحقه الوارث بعد فناء مورثه فيطلق عليها اسم الميراث وعلى استحقاقها اسم الوراثة وعلى العامل اسم الوارث ﴿قوله﴾ واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان ﴿﴾ فانه يجوز الاستغفار للاحياء من المشركين لان المغفرة مشروطة بالايمان وطلب المشروط يتضمن طلب شرطه فيكون الاستغفار لاحيائهم كناية عن طلب توفيقهم للايمان والذين لا يجوز هذا الاستغفار لهم هم من تبين انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وان كان هذا الاستغفار منه بعد موت ابيه كان لظنه انه قد آمن باطنا وان كان على دين نمرود ظاهرا خوفا منه ولظنه هذا قد وعد اباه ان يستغفر له فلعله حيث قال لأستغفرنّ لك وان جاز ان يكون معناه لأطلبنّ مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ماقبله ولا وجه لان يقال قوله ولذلك وعده به معناه ان أباه وعد ابراهيم بالايمان لانه روي ان اباه وعده به يوم فارقه الا انه لا يناسب هذا المقام * قال الامام ان أباه قال له انه كان على دينه باطنا وعلى دين نمرود ظاهرا تقية وخوفا فدعا له بالمغفرة لاعتقاده ان الامر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تبرّأ منه ولذلك قال في دعائه انه كان من الضالين فلولا اعتقاده فيه انه في الحال ليس بضال لما قال ذلك انتهى وحاصله انه دعا لابيه حال حياته بالمغفرة على اعتقاد انه مؤمن باطنا وان قوله انه كان من الضالين معناه انه كان فيما مضى من المشركين وعلى تقدير كون معنى الاستغفار لابيه طلب توفيقه للايمان يكون معنى قوله انه كان من الضالين انه من المشركين في الحال كما في قوله كيف نكلم من كان في المهد صبيا فانّ كان فيه زائدة للتأكيد والمعنى من هو صبيّ في الحال ﴿قوله﴾ ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرّطت ﴿﴾ حمل دعاءه عليه الصلاة والسلام بترك الاخزاء على الدعاء بترك المعاتبة على ما وقع منه مما هو من قبيل ترك الاولى كما هو المراد من الخطيئة في قوله أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين بخلاف ما لو حمل على ترك المعاتبة فان مغفرة الخطيئة لا تستلزم ترك المعاتبة فلذلك افرد الدعاء بتركها بعد ذكر مغفرة الخطيئة ثم جوّز ان يكون المراد منه الدعاء بترك تعذيبه بناء على ان قوله اطمع ان يغفر لي مبني على الدلائل الدالة على كون الانبياء معصومين مأمونين من سوء العاقبة وان دعاءه بترك تعذيبه يوم البعث مبني على انه لا يجب على الله تعالى لأحد شيء وانه يحسن منه كل شيء ولا اعتراض لأحد عليه في شيء من افعاله فتكون العاقبة خفية من هذا الوجه مع جواز التعذيب لان حسنات الابرار سيئات المقرّبين فكذا درجات الابرار دركات المقرّبين وخزى كل واحد بما يليق به * الجوهري خزى بالكسر يخزى خزيا اى ذل وهان وخزي ايضا يخزى خزاية اى استحيى ونجل فهو خزيان وهي خزيا وهم خزايا ﴿قوله﴾ اى لا ينفعان احدا الا مخلصا ﴿﴾ على ان يكون مفعول لا ينفع محذوفا وهو قوله احدا وتكون من نكرة موصوفة في محل النصب على انها بدل من المفعول المحذوف او على الاستثناء المتصل منه ﴿قوله﴾ او لا ينفعان الامال من هذا شأنه ﴿﴾ على ان يكون الامن اتى الله بدلا من فاعل ينفع بتقدير مضاف قبل من اتى ﴿قوله﴾ اى لا ينفع غنى الاغناء ﴿﴾ فان المال والبنين لكونهما من اسباب الغنى يمكن ان يراد بهما معنى الغنى مجازا مرسلا ثم يستثنى من جنس الغنى غنى من اتى الله بقلب سليم بناء على ادخال سلامة القلب في جنس الغنى لاشتراكهما في التأدية الى سعة الحال وقطع الاحتياج لانه من سلم قلبه من الشرك والمعاصي والاخلاق الذميمة يكون قلبه منوّرا بنور اليقين والتوكل والاعتماد على ضمان الله وكفالته فلا يحتاج الى احد سواه ويؤيده ما روى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمنا اىّ المال خيرا لاتخذناه فقال عليه الصلاة والسلام * افضله لسان ذاكر وقلب فاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على ايمانه * وقوله يوم لا ينفع بدل من يوم يبعثون وقوله وازلفت الجنة عطف على قوله يبعثون كأنه قيل ويوم ازلفت وقوله وقيل لهم اى وقيل للغاوين على جهة التقريع والتوبيخ اين آلهتكم التي كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون ويمتنعون عنه بانفسهم وباب افتعل هنا مطاوع فعل ثم يرميهم فيلقون في النار فذلك قوله تعالى فكبكبوا فيها هم اى الالهة والغاوون ﴿قوله﴾ تكرير الكب ﴿﴾ اى تكرير عينه بنقله الى باب

اَلسَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلٰى عِبَادِ اللّٰهِ الصَّالِحِيْنَ اَشْهَدُ اَنْ لَّا اِلٰهَ

اِلَّا اللّٰهُ وَاَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهٗ وَرَسُوْلُهٗ

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَعَلٰى اٰلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلٰى اِبْرَاهِيْمَ

وَعَلٰى اٰلِ اِبْرَاهِيْمَ اِنَّكَ حَمِيْدٌ مَّجِيْدٌ

اَللّٰهُمَّ بَارِكْ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَعَلٰى اٰلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ

عَلٰى اِبْرَاهِيْمَ وَعَلٰى اٰلِ اِبْرَاهِيْمَ اِنَّكَ حَمِيْدٌ مَّجِيْدٌ

اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك

ونؤمن بك ونتوب إليك ونتوكل عليك

ونثني عليك الخير كله نشكرك ونخلع

ونترك من يفجرك

اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى

ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك

إن عذابك بالكفار ملحق

﴿ وجنودا بليس ﴾ متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه ﴿ اجمعون ﴾ تأكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره مابعده او للضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل ومايعود اليه فى قوله ﴿ قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين ﴾ على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب فى قوله ﴿ اذ نسويكم برب العالمين ﴾ اى فى استحقاق العبادة ويجوز ان تكون الضمائر للعبدة كما فى قالوا والخطاب للمبالغة فى التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم فى مبدأ ضلالهم معترفون بانهما كهم فى الضلالة متحسرون عليها ﴿ وما اضلنا الا المجرمون فالنا من شافعين ﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء ﴿ ولا صديق حميم ﴾ اذا الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فالنا من شافعين ولا صديق حميم ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا فى مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسمى اكثر مما يسمى الشفعاء اولاطلاق الصديق على ﴿ ٤٧٥ ﴾ الجمع كالعدو لانه فى الاصل مصدر كالحنين والصهيل ﴿ فلو ان لنا كرة ﴾ تمنى للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما فى معنى التقدير او شرط حذف جوابه ﴿ فنكون من المؤمنين ﴾ جواب التمنى او عطف على كرة اى لو أن لنا ان تكر فنكون ﴿ ان فى ذلك ﴾ اى فيما ذكر من قصة ابرهيم ﴿ لآية ﴾ لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على أنظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصور الامر فى نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون أدعى لهم الى الاستماع والقبول ﴿ وما كان اكثرهم ﴾ اكثر قومه ﴿ مؤمنين ﴾ به ﴿ وان ربك لهو العزيز ﴾ القادر على تعجيل الانتقام ﴿ الرحيم ﴾ بالامهال لكى يؤمنوا هم او احد من ذريتهم ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقدم الكلام فى تكذيبهم المرسلين ﴿ اذ قال لهم اخوهم نوح ﴾ لانه كان منهم ﴿ ألا تتقون ﴾ الله فتتركوا عبادة غيره ﴿ انى لكم رسول امين ﴾ مشهور بالامانة فيكم ﴿ فاتقوا الله واطيعون ﴾ فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله ﴿ وما اسألكم عليه ﴾ على ما انا عليه من الدعاء والنصح ﴿ من اجران اجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون ﴾ كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من اماناته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا ﴿ قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون ﴾ الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرأ يعقوب وأتباعك وهو جمع تابع كشاهد وأشهاد أو تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك ﴿ قال وما علمى بما كانوا يعملون ﴾ انهم عملوه اخلاصا او طمعا فى طعمة وما على الا اعتبار الظاهر ﴿ ان حسابهم الا على ربى ﴾ ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها ﴿ لو تشعرون ﴾ لعلتم ذلك ولكنكم تجعلون

التفعيل لتكثير الفعل والكب الطرح والالقاء منكوسا يقال كببت الاناء اكبه كبا اذا قلبته فاصل كببوا كبوا فاستثقل اجتماع الباآت فابدلت الثانية كافا كما فى زحزح من زحه يزحه اى نحاه عن موضعه ثم نقل الى باب التفعيل لتكثير الفعل فقيل زححه فابدلت الحاء الثانية زايا فقيل زحزحه اى باعده جعل التكرير فى لفظ كببكب دليلا على التكرير فى معناه كأنه اذا ألقى فى جهنم ينكب مرة بعد اخرى حتى يبلغ قعرها ﴿ قوله اجمعون تأكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره مابعده ﴾ فتكون الضمائر التى فى قوله قالوا وهم فيها يختصمون للجنود ايضا اى يختصم الرؤساء منهم والاتباع ويجادل بعضهم بعضا بنحو ماذكر فى قوله تعالى فيقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين الى آخر الآية ﴿ قوله او لضمير ﴾ اى وان لم يجعل قوله وجنود ابليس مبتدأ يكون اجمعون تأكيدا لضمير كببوا وما عطف عليه من الغاوين والجنود ﴿ قوله وكذا الضمير المنفصل ﴾ اى وكذا يكون الضمير المنفصل فى قوله قالوا وهم فيها ومايعود اليه فى قوله يختصمون راجعا الى ضمير كببوا وما عطف عليه حينئذ اى على تقدير ان لا يكون الجنود مبتدأ لان الاختصام يكون بين هؤلاء المذكورين من الاصنام والعبدة والجنود اى شياطين ابليس وهم ذرية الذين اضلوا بنى آدم يجادل بعضهم بعضا بان ينطق الله الاصنام فتخاصم العبدة ﴿ قوله ويؤيد ﴾ اى ويؤيد كون التخاصم بين العبدة والمعبودين بان يرجع الضمير ومايعود اليه الى ضمير كببوا وما عطف عليه خطاب المعبودين فى قوله نسويكم وضمير قالوا للعبدة ﴿ قوله ويجوز ان تكون الضمائر ﴾ اى الضمير المنفصل ومايعود اليه للعبدة كضمير قالوا ويكون التخاصم لبعض العبدة مع بعض ويكون خطاب الجمادات فى قوله اذ نسويكم على وجه الندامة والتحسر من غير ان يحييها الله وينطقها لا على سبيل المخاطبة حقيقة وبعد الاعتراف بالانهماك فى الضلال عن الهدى يقولون وما اضلنا الا المجرمون اى الشياطين وقيل اى الاولون الذين اقتدينا بهم وقيل كل من دعانا الى عبادة الاصنام من الجن والانس قال تعالى حكاية عنهم ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرآءنا فأضلونا السبيلا ﴿ قوله تعالى اذ نسويكم برب العالمين ﴾ ظرف للاستقرار الذى تعلق به كلمة فى فى قوله لفى ضلال وقوله اوفا لنا من شافعين ولا صديق حميم ممن نعدهم الفرق بين الاوجه الثلاثة ان المنفى فى الوجه الاول مطلق الشفيع والصديق وفى الثانى شفاعة اشخاص معدودين مخصوصين وصداقتهم ممن عدوهم شفعاء واصدقاء وفى الثالث مانفوا نفس الاصدقاء والشفعاء ولا شفاعتهم وصداقتهم وانما نفوا نفعهما على سبيل الكناية من حيث ان مالا نفع له فى حكم المعدوم ﴿ قوله كالحنين ﴾ مصدر حن اليه يحن حنينا اى اشتاق اليه فالحنين هو الشوق وتوقان النفس والصهيل صوت الفرس يقال صهل الفرس يصهل بالكسر صهيلا ﴿ قوله لتلاقيهما فى معنى التقدير ﴾ اى تقدير المعدوم فرضه فان معنى ليت لى مالا تقدير المعدوم كما ان المعنى فى قولك لو كان كذا لكان كذا تقدير المعدوم الانه فى التمنى مقرون بالطلب وفى لو ليس كذلك ويدل على ان كلمة لو هنا للتمنى انه نصب جوابه مع الفاء ويجوز ان تكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت ولو جدنا شفعاء واصدقاء وعلى هذا يكون نصب قوله فنكون بان مضمرة عطفا على كرة كقوله للبس عباءة وتقر عينى ﴿ قوله تعالى واتبعك الارذلون ﴾ جملة حالية من كاف لك باضمار قد والرذالة الخساسة والذلة وانما استرذلوهم لقلة جاههم ومالهم ﴿ قوله وايمانهم ﴾ معطوف على اتباع المقلين ودليلا معطوف على مانعا اى وجعلوا ايمان المقلين دليلا على بطلان مايدعوهم نوح اليهم ﴿ قوله وما علمى ﴾ الظاهر ان ما فيه استفهامية فى محل الرفع على الابتدآء وعلمى خبره ويجوز ان تكون نافية والباء متعلقة بعلمى على التقديرين وعلى الثانى لابد من اضمار الخبر ليتم الكلام ﴿ قوله اظهارا لما يدعو عليهم لاجله ﴾ يعنى ان قوله رب ان قومى كذبون لم يقله نوح افادة له تعالى بمضمون هذا الخبر ولا اعلاما بكونه عالما بمضمونه لعلمه انه تعالى عالم الغيب والشهادة ولكن اراد به انى لا ادعو عليهم لاجل تخويفهم اياى بالرجم واستخفافهم اياى بقولهم واتبعك الارذلون وانما ادعو عليهم لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبونى فى وحيك ورسالتك فافتح بينى وبينهم فتحا اى فاقض واحكم بينى وبينهم قضاء حكما من الفتاحة وهى الحكومة والفتاح الحاكم سمى به لفتحه المنغلق من الامر كما سمى فيصلا لفصله بين الخصومات واراد به الحكم بانزال العقوبة لقوله عقيبه ونجنى ولولا ان المراد انزال العقوبة لما كان لذكر النجاة بعده معنى وقوله تعبثون جملة حالية من فاعل تبنون والريع بكسر الرآء وفتحها جمع ريعة وهى فى اللغة المكان المرتفع وكانوا يبنون فى المواضع المرتفعة من الطريق اعلاما

فتقولون مالا تعلمون ﴿ وما انا بطارد المؤمنين ﴾ جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ﴿ ان انا الا نذير مبين ﴾ كالعلة له اى ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصى سواء كانوا اعزآء او اذلاء فكيف يليق بى طرد الفقرآء لاستتباع الاغنياء وما على الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح ولا على ان اطردهم لاسترضائكم ﴿ قالوا لئن لم تنته يا نوح ﴾ عما تقول ﴿ لتكونن من المرجومين ﴾ من المشتومين او المضروبين بالحجارة ﴿ قال رب ان قومى كذبون ﴾ اظهارا لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا يخويفهم له واستخفافهم عليه ﴿ فافتح بينى وبينهم فتحا ﴾ فاحكم بينى وبينهم من الفتاحة ﴿ ونجنى ومن معى من المؤمنين ﴾ من قصدهم او شؤم عملهم ﴿ فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ﴾ المملوء ﴿ ثم أغرقنا بعد ﴾ بعد انجائة ﴿ الباقين ﴾ من قوم ﴿ ان فى ذلك لآية ﴾ شاعت وتواترت ﴿ وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين ﴾ انثه باعتبار القبيلة وهو فى الاصل اسم ابيهم ﴿ اذ قال لهم اخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجران اجرى الا على رب العالمين ﴾

تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرّب المدعوّ الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا فى بعض التفاريع مبرّئين من المطامع الدنية والاغراض الدنيوية ﴿ أتبنون بكل ريع ﴾ بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها ﴿ آية ﴾ علما للمارّة ﴿ تعبثون ﴾ ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم فى اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه للعبث بمن يمرّ عليهم او قصورا يفتخرون بها ﴿ وتتخذون مصانع ﴾ ماخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا ﴿ لعلكم ﴾ ﴿ ٤٧٦ ﴾ ﴿ تخلدون ﴾ فتحكمون بنيانها ﴿ واذا بطشتم ﴾ بسوط او سيف ﴿ بطشتم جبارين ﴾ متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر فى العاقبة ﴿ فاتقوا الله ﴾ بترك هذه الاشياء ﴿ واطيعون ﴾ فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم ﴿ واتقوا الذى امدّكم بما تعلمون ﴾ كرّره مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار فى ألاتتقون مبالغة فى الايقاظ والحث على التقوى فقال ﴿ امدّكم بانعام وبنين وجنات وعيون ﴾ ثم اوعدهم فقال ﴿ انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ فى الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام ﴿ قالوا سواء علينا أوعظت ام لم تكن من الواعظين ﴾ فانا لا نرعوى عما نحن عليه وتغيير شق النفى عما يقتضيه المقابلة للمبالغة فى قلة اعدادهم بوعظه ﴿ ان هذا الا خلق الاوّلين ﴾ ماهذا الذى جئتنا به الا كذب الاوّلين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين اى ماهذا الذى جئت به الا عادة الاوّلين كانوا يلقنون مثله او ماهذا الذى نحن عليه من الدين الا خلق الاوّلين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذى نحن عليه من الحياة والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها ﴿ وما نحن بمعذبين ﴾ على ما نحن عليه ﴿ فكذبوه فأهلكناهم ﴾ بسبب التكذيب ﴿ بريح صرصر ﴾ ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح ألاتتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين ﴾ انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة فى تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله ﴿ فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم ﴾ لطيف لين للطف ألثمر أولان النخل انثى طلع اناث النخل ألطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو والشماريخ جمع شمراخ ويقال له شمروخ ايضا كالعثكال والعثكول النهاية العثكال العذق فكل غصن من اغصانه شمراخ وهو الذى عليه البسر والقنو والعذق والكباسة من الثمر بمنزلة العنقود والعرجون اصل العذق وهو العود الاصفر الذى فيه شماريخ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف والواو والنون فيه زآئدتان فان قطع منه الشماريخ يعوج ويبقى على النخل يابساشبه الله تعالى به القمر فى ليلة ثمان وعشرين حيث قال حتى عاد كالعرجون القديم من حيث ان كل واحد منهما متقوّس ﴿ وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ﴾ حاذقين بالنحت من فرهت الشئ بالضم فروهة وفراهة فهو فاره وفره بالكسر بمعنى اشر وبطر فمن قرأ بيوتا فرهين جعله من هذا ومن قرأ فارهين جعله من فره بالضم * قال الامام واعلم ان ظاهر هذه الآيات

طوالا ليهتدى المارّة بها فى أسفارهم فعدّه هود عبثا لاستغنائهم عنها بالنجوم ﴿ قوله ماخذ الماء ﴾ يعنى الحياض واحدها مصنعة ولعل هنا على بابها والمعنى وتتخذونها ترجون الخلود وقيل معناها التشبيه اى كأنكم تخلدون اى تبقون فيها خالدين ويؤيده ما فى مصحف ابىّ كانكم تخلدون بضم التاء مخففة ومشدّدة وبخهم اوّلا باضاعتهم المال عبثا بلا فائدة وثانيا باحكامهم البناء على وجه يدل على طول الامل والغفلة اى تتخذونها اتخاذ من يؤمل الخلود فيها ﴿ قوله غاشمين ﴾ اى ظالمين من الغشم وهو الظلم والبطش السطوة والاخذ بعنف قال ابن عباس اذا ضربتم بالسياط وقتلتم بالسيف وفعلتم فعل الجبارين كان ذلك ظلما وعلوّا بلا رأفة ولا داعية لحكمة والجبار الذى يضرب ويقتل على الغضب ﴿ قوله وتغييرشق النفى ﴾ يعنى أنّ المقابلة تقتضى ان يقال ام لم تعظ وهو اخصر من ان يقال ام لم تكن من الواعظين الا انه ترك مقتضى المقابلة وعدل الى الاطول للمبالغة المذكورة فان التسوية بين وعظه اياهم وعدم كونه من اهل الوعظ والنهى ومباشرته اصلا بمنزلة ان يقال سواء علينا اوعظت ام كنت حجرا صلدا ولا شك انه ابلغ فى قلة اعتدادهم بوعظه من ان يقال اوعظت ام لم تعظ ولقائل ان يقول انما يكون هذا ابلغ ان لو لم يكن قولنا هو من الواعظين ابلغ من قولنا هو واعظ لكنه ابلغ منه ولهذا قالوا ان قول الزمخشرى فى خطبة المفصل احمد الله على ان جعلنى من علماء العربية ابلغ من ان يقال جعلنى عالما بالعربية ويمكن ان يجاب عنه بان المقابلة بين قوله وعظت وقوله ام لم تكن من الواعظين تأبى الحمل على الكمال وتوجب ان يكون المعنى ام لم تكن من الواعظين اى من اهله ومباشريه اصلا ﴿ قوله وقرأ نافع ﴾ اى وقرأ الباقون وهم ابن كثير وابو عمرو والكسائى خلق الاوّلين بفتح الخاء وسكون اللام وهو اما بمعنى الاختلاق والكذب كما يقال خلق الافك واختلقه اى افتراه ومنه قوله تعالى وتخلقون افكا او بمعنى الخلقة والتكوّن فعلى الاوّل يكون هذا اشارة الى ماجاء به هود عليه الصلاة والسلام وعلى الثانى يكون اشارة الى خلقة القائلين والخلق بضمتين وبواحدة العادة فعلى هذه القرآءة يجوز ان يكون هذا اشارة الى ماجاء به هود وان يكون اشارة الى ماهم عليه من الدين او من الحياة الموت ﴿ قوله انكار لان يتركوا كذلك ﴾ والمعنى اتظنون انكم تتركون فى الذى استقرّ فى هذا المكان من النعيم وان لا دار للمجازاة والهمزة للانكار والتوبيخ وعلى الثانى تكون الهمزة لتقرير تخلية الله تعالى اياهم فى اسباب تنعمهم آمنين بطريق الامتنان عليهم وعدّ النعمة ﴿ قوله ثم فسره ﴾ يعنى ان قوله فيما ههنا مجمل فصله بقوله فى جنات وعيون وزروع كما ان قوله امدّكم بما تعلمون مجمل فصله بقوله امدّكم بانعام وبنين وجنات الخ ﴿ قوله لطيف لين ﴾ فيكون من الهضم بفتحتين وهو الرقة والهزال * الجوهرى الهضم بالتحريك انضمام الجنبين وهو فى الفرس عيب يقال لا يسبق اهضم من غاية بعيدة ابدا وكون طلع النخل هضيما قد يكون للطف الثمرة وقد يكون النخل انثى فان طلع البرنى ألطف من طلع اللون والبرنى اجود التمر واللون الدقل وهو اردأ التمر واهل المدينة يسمون ماعدا البرنى والعجوة الوانا وكذا طلع ذكور النخل لا يكون هضيما بل يكون غليظا صلبا ثم فسر الطلع بقوله وهو ما يطلع منها كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو والشماريخ جمع شمراخ ويقال له شمروخ ايضا كالعثكال والعثكول النهاية العثكال العذق فكل غصن من اغصانه شمراخ وهو الذى عليه البسر والقنو والعذق والكباسة من الثمر بمنزلة العنقود والعرجون اصل العذق وهو العود الاصفر الذى فيه شماريخ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف والواو والنون فيه زآئدتان فان قطع منه الشماريخ يعوج ويبقى على النخل يابسا شبه الله تعالى به القمر فى ليلة ثمان وعشرين حيث قال حتى عاد كالعرجون القديم من حيث ان كل واحد منهما متقوّس ﴿ قوله او متدل منكسر ﴾ عطف على قوله لطيف لين فيكون هضيم من الهضم بمعنى الكسر يقال هضم حقه اذا ظلمه وكسر عليه حقه والمتدلى المتسفل والمتنزل عن موضعه اى متدل من الشجرة ﴿ قوله وافراد النخل ﴾ اى بالذكر مع ان اسم الجنة يتناول النخل وغيره مما يقصد اثباته فى البساتين للتنبيه على فضل النخل على سائر النبات حتى كأنه ليس من جنس ما يدل عليه اسم الجنة تنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات اولان المراد بالجنات ماعدا النخل لان اسم الجنه يصح ان يطلق على ما يشتمل على جميع اشجار البساتين وعلى ما يشتمل على بعضها فيجوز ان يراد به ههنا ما يشتمل على بعضها ويكون عطف النخل عليه دليلا على ارادة البعض ﴿ قوله بطرين او حاذقين ﴾ قال ابو عبيدة فرهين وفارهين يقال هما بمعنى فرحين بطرين اشرين وفرّق الجوهرى بينهما وقال الفاره الحاذق بالشئ من فره بالضم فروهة وفراهة فهو فاره وفره بالكسر بمعنى اشر وبطر فمن قرأ بيوتا فرهين جعله من هذا ومن قرأ فارهين جعله من فره بالضم * قال الامام واعلم ان ظاهر هذه الآيات

﴿ يدل ﴾ السيف فى جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات اولان المراد بها غيرها من الاشجار ﴿ وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ﴾ بطرين او حاذقين من الفراهة وهى النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو فرهين وهو ابلغ

﴿ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين ﴾ استعير الطاعة التى هى انقياد الآمر لامتثال الامر او نسب حكم الآمر الى امره مجازا ﴿ الذين يفسدون فى الارض ﴾ وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ﴿ ولا يصلحون ﴾ على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم ﴿ قالوا انما انت من المسحرين ﴾ الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم او من ذوى السحر وهى الرئة اى من الاناسى فيكون ﴿ ما انت الا بشر مثلنا ﴾ تأكيد له ﴿ فائت بآية ان كنت من الصادقين ﴾ فى دعواك ﴿ قال هذه ناقة ﴾ اى بعد ما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها ﴿ لها شرب ﴾ نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ بالضم ﴿ ولكم شرب يوم معلوم ﴾ فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها فى شربها ﴿ ولا تمسوها بسوء ﴾ كضرب وعقر ﴿ فيأخذكم عذاب يوم عظيم ﴾ عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب ﴿ فعقروها ﴾ اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جميعا ﴿ فأصبحوا نادمين ﴾ على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم ﴿ فأخذهم العذاب ﴾ اى العذاب الموعود ﴿ ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ فى نفى الايمان عن اكثرهم فى هذا المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم ﴿ كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين ﴾ اى أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشاركهم فيه غيركم او أتأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كأنهن قداعوزنكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثانى الناس ﴿ وتذرون ما خلق لكم ربكم ﴾ لاجل استمتاعكم ﴿ من ازواجكم ﴾ لبيان ما خلق ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضا ﴿ بل انتم قوم عادون ﴾ متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون فى المعاصى وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة ﴿ قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين ﴾ من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال ﴿ قال انى لعملكم من القالين ﴾ من المبغضين غاية البغض عما تدعيه او عن نهينا او تقبيح امرنا

يدل على ان الغالب على قوم هود هو اللذات الخيالية وهو طلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر والغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية وهو طلب المأكول والمشروب والمساكن الطيبة انتهى كلامه فقال صالح عليه الصلاة والسلام لقومه على سبيل الانكار والتوبيخ وتحتون ثم قال فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون ويحتمل ان يقوله على سبيل تذكير النعمة واستدعاء شكرها ﴿ قوله استعير الطاعة ﴾ ارتكب المجاز لتعذر ارادة الحقيقة لان الطاعة انما تكون للآمر كما ان الامتثال يكون للامر يقال اطيعوا الله وامتثلوا أمره فلما قيل فى هذه الآية ولا تطيعوا امر المسرفين تعين المصير الى المجاز وذلك اما بان يشبه الامتثال بالطاعة من حيث ان كل واحد منهما يفضى الى وجود المأمور به فاطلق اسم المشبه به وهو الطاعة واريد الامتثال ثم اشتق منه قوله ولا تطيعوا على طريق الاستعارة التصريحية التبعية فالمعنى ولا تمتثلوا امرهم واما بان يحمل الكلام على الاسناد المجازى فان حق الطاعة ان تنسب وتعلق بالآمر فنسبت الى امره وجعل الامر مطاعا والمراد الآمر للملابسة بينهما ﴿ قوله وصف موضح لاسرافهم ﴾ حيث يتعين به ان المراد بالاسراف اسرافهم على انفسهم بالتمرد على الله تعالى فيدخل فى المسرفين كل من افسد فى الارض بالكفر والظلم ولا يصلح بالايمان والعدل من التسعة ورهط الذين عقروا الناقة وغيرهم ﴿ قوله الذين سحروا كثيرا ﴾ على ان يكون بناء التفعيل لتكثير الفعل والمعنى من المسحورين مرة بعد اخرى وعلى الثانى يكون بناء التفعيل للنسبة الى السحر بفتح السين ﴿ قوله كما اقترحوها ﴾ متعلق بقوله اخرجها الله فانهم اقترحوا عليه بان قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا مثلها فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم وحصل لها سقب مثلها فى العظم * عن ابى موسى الاشعرى قال رأيت مبركها فاذا هو ستون ذراعا فى ستين ذراعا ثم وصاهم صالح بأمرين الاول قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم قال قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله وشربهم فى اليوم الثانى لا تشرب هى فيه والثانى قوله ولا تمسوها بسوء ثم ان مصلعا الجأها الى مضيق فى شعب فرماها بسهم فسطقت ثم ضربها قدار فى عرقوبها ﴿ قوله لان عاقرها انما عقرها برضاهم ﴾ روى ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا الجمعين وكانوا يدخلون على المرأة فى خدرها فيقولون ترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم ﴿ قوله اتأتون من بين من عداكم ﴾ فعلى هذا الوجه يكون من العالمين حالا من فاعل اتأتون انكر عليهم تفردهم واختصاصهم بهذا الفعل الشنيع من جملة العالمين اى الناكحين وعلى الثانى يكون حالا من الذكران انكر عليهم اختيارهم الذكران من جملة العالمين مع كثرة الاناث فيهم ﴿ قوله فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ﴾ فتكون الآية دليلا على حرمة أدبار الزوجات والمملوكات ﴿ قوله او أحقاء بان توصفوا بالعدوان ﴾ اى الظلم يقال عدا عليه وتعدى عليه واعتدى عليه كله بمعنى وعلى هذا الوجه لا ينظر الى متعلق العدوان اصلا فوجه الاضراب على هذا انه جعل اتيانهم الذكور جريمة ومعصية ووبخهم عليه بقوله ترتكبون هذه الجريمة ثم اضرب عنه الى ما هو ابلغ فى التوبيخ فقال بل انتم بارتكابها قوم عادون اى احقاء بان توصفوا بالعدوان بارتكابها كأنه قيل بل هى معظم الجرائم والمعاصى ولا يستحق المرء لان يوصف بالعدوان الا بارتكابها وعلى الوجهين الاولين يكون تعلق عادون بالمفعول مرادا ثم قال لهم بعد توبيخهم بارتكاب المعصية المذكورة بل انتم قوم متجاوزون عن حد شهوة الناس بل الحيوانات او متجاوزون الحد فى ارتكاب جميع المعاصى وهذا الاتيان من جملة تعديكم وافراطكم وهو كالايضاح لما قبله ﴿ قوله ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف ﴾ يعنى انهم لم يقولوا لنخرجنك بل قالوا لتكونن من المخرجين بلام العهد للمبالغة فى الوعيد والاشارة الى انهم يفعلون به من الاخراج على الحالة السيئة ما فعلوا بغيره ولما جازم هذا الاحتمال ان تكون اللام لجنس المخرجين فتكون اشارة الى انهم اخرجوا كثيرا من الناس وهم قادرون على اخراجه ايضا قال المصنف ولعلهم بطريق الاحتمال لغيره وهو مثل ما حكى الله تعالى عن فرعون قوله لأجعلنك من المسجونين ﴿ قوله من المبغضين ﴾ يعنى ان قالين اسم فاعل من القلى وهو البغض الشديد وقوله من القالين متعلق بمحذوف اى لقال من القالين ومبغض من المبغضين وذلك المحذوف وهو قال خبر قوله وانى ومن القالين صفته وقوله لعملكم متعلق بالخبر المحذوف ولو جعل قوله من القالين خبر انى لعمل القالين فى عملكم فيفضى الى تقديم الصلة على الموصول قال ابو البقاء اى لقال من القالين فمن صفة للخبر متعلقة بمحذوف واللام متعلقة بالخبر المحذوف وبهذا يتخلص من تقديم الصلة اذ لو جعلت من القالين الخبر لأعملته فى لعملكم ﴿ قوله

لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول انى لعملكم قال لدلالته على انه معدود فى زمرتهم مشهور بانه من جملتهم ﴿رب نجنى واهلى مما يعملون﴾ اى من شؤمه وعذابه ﴿فنجيناه واهله اجمعين﴾ اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم ﴿الا عجوزا﴾ هى امرأة لوط ﴿فى الغابرين﴾ مقدّرة فى الباقين فى العذاب اصابها حجر فى الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقى فى القرية فانه لم تخرج مع لوط ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ اهلكناهم ﴿وأمطرنا عليهم مطرا﴾ قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم ﴿فساء مطر المنذرين﴾

اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ﴿ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين﴾ الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال ﴿اذ قال لهم شعيب ألا تتقون﴾ ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهى اسم مسكنهم وانما كتبت ههنا وفى ص بغير الف اتباعا للفظ ﴿انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اوفوا الكيل﴾ أتموه ﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ حقوق الناس بالتطفيف ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ بالميزان السوىّ وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف ﴿ولا تبخسوا الناس اشياءهم﴾ ولا تنقصوا شيأ من حقوقهم ﴿ولا تعثوا فى الارض مفسدين﴾ بالقتل والغارة وقطع الطريق ﴿واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاوّلين﴾ وذوى الجبلة الاوّلين يعنى من تقدّمهم من الخلائق ﴿قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا﴾ اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة فى تكذيبه ﴿وان نظنك لمن الكاذبين﴾ فى دعواك ﴿فأسقط علينا كسفا من السماء﴾ قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين ﴿ان كنت من الصادقين﴾ فى دعواك ﴿قال ربى اعلم بما تعملون﴾ وبعذابه المنزل عليكم ما اوجبه لكم عليه فى وقته المقدّر له محالة ﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحرّ سبعة ايام حتى غلت انهارهم وأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا ﴿انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ هذا آخر القصص السبع المذكورة على الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزآء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم (وغيرهم)

لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد ﴿كأنه قيل كيف انتهى عن نهيكم وتقبيح امركم وانى لعملكم من القالين وقيل فى وجه كونه جوابا عن ايعادهم اياه بالاخراج ان معناه كيف توعدوننى بالاخراج من بينكم وانى لعملكم الذى تعملونه من المبغضين اكره المقام فيكم وابغض رؤية عملكم الذى تعملونه فيكون فى اخراجى ايصال الراحة الىّ ولولا امر الله تعالى اياى بالمقام فيكم لأدعوكم الى الحق لما كنت اقيم بينكم لشدّة بغضى عملكم﴾ **قوله** مقدّرة فى الباقين فى العذاب ﴿يعنى ان فى الغابرين صفة لقوله عجوزا وان المراد بالغابرين الباقين فى العذاب ولما كان ظاهر النظم الا على ان العجوز موصوفة بكونها باقية فى العذاب وقت تنجية لوط واهله وليس كذلك لكونها من الآخرين الذين دمرهم الله بعد تنجية الناجين بحكم كلمة ثم قوله تعالى ثم دمرنا الآخرين ذكر ان ليس معنى الكلام الا عجوزا غابرة اى باقية فى العذاب بل المعنى الا عجوزا مقدّرا غبورها فى العذاب الشديد اذ كانت مع الخارجين من القرية المؤتفكة بالامطار عليهم فانها خرجت من بين القوم مع لوط كسائر اهله فصارت من شذاذ القوم فاهلكت بما اهلك الله به الشذاذ وهو صفة لها بعد وقت التنجية ثم نقل توجيها آخر وهو ان يكون المعنى الا عجوزا غابرة فى القرية مع المهلكين غير خارجة مع الناجين وهو صفة لها وقت التنجية﴾ **قوله** على شذاذ القوم ﴿اى على من كانوا خارجين من بلادهم حين دمرهم الله تعالى بائتفاك بلدتهم عليهم والخسف بهم فيكون المعنى ان الله دمر قوم لوط بعذابين الائتفاك والامطار دمر من كان فى بلدهم بالائتفاك ومن كان خارجا عنها بالامطار قال الله تعالى فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل يقال ائتفكت البلاد باهلها اذا انقلبت ملتبسة بهم والمؤتفكات البلاد التى قلبها الله على قوم لوط سميت مؤتفكات لكونها منقلبات ملتبسة باهلها وقيل لم يرض الله بالائتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة﴾ **قوله** الايكة غيضة ﴿اى موضع يغيض فيه الماء ولا يسيل منه الى المواضع الغائرة فينبت فيه الشجر﴾ **قوله** وقرئت كذلك مفتوحة ﴿اى قرئ اصحاب ليكة بفتح التاء على ان ليكة غير منصرف للعلمية والتأنيث فلذلك فتحت فى موضع الجرّ ومن قرأ اصحاب ليكة بالجرّ قال اصله اصحاب الايكة على ان ايكة اسم جنس عرّف بلام التعريف ثم خففت الهمزة بان القيت حركتها على اللام ثم حذفت للساكنين واستغنى عن الف الوصل لان اللام قد تحرّكت فلا يجوز على هذا الا الجرّ كما تقول مررت بالاحمر على تحقيق الهمزة ثم تخففها فتقول بالحمر فان شئت كتبته فى الخط على ما كتبته اوّلا وان شئت كتبته بالحذف على حكم لفظ اللافظ فلا يجوز حينئذ الا الجرّ بالاضافة كما لا يجوز فى الايكة الا الجرّ﴾ **قوله** وكان اجنبيا منهم ﴿اى وكان اخا مدين فى النسب فلذلك قال الله تعالى فى آية اخرى والى مدين اخاهم شعيبا ثم انه عليه الصلاة والسلام كافهم بامور امرهم اوّلا بايفاء الكيل ونهاهم عن التطفيف فى الكيل والوزن حيث قال اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين اى من الناقصين له يقال خسرت الشئ بالفتح واخسرته اى نقصته ثم نهى عن نقص حق المستحقين باىّ طريق كان كنقص العدد والوزن ودفع الزيف مكان الجيد والغصب والسرقة والتصرّف بغير اذن صاحبه ونحو ذلك حيث قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم يقال بخسته حقه اذا انقصته اياه﴾ **قوله** ففعلاس بتكرير العين ﴿اى وكان الظاهر ان يقال فعلاع لان التكرير يقتضى ان يوزن المكرّر بلفظ ما قابله ثم نهاهم عن افساد شئ مما خلقه الله تعالى وصوّره بقوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين يقال عثا فى الارض يعثو اى افسد وكذلك عثى بالكسر يعثى وانما قيده بقوله مفسدين لان افساد الصورة او الخلقة وان غلب فى الفساد الا انه قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المتعدى بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة﴾ **قوله** وذوى الجبلة ﴿على ان الجبلة بمعنى الخلقة ولا يتعلق بها الخلق فلابدّ من تقدير المضاف والكسف بفتح السين وسكونها جمع كسفة وهى القطعة كسدر وسدر فى جمع سدرة فقال عليه الصلاة والسلام فى جوابهم ربى اعلم بما تعملون يريد انه اعلم بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العذاب المنزل عليكم فى وقته المقدّر لكم﴾ **قوله** على نحو ما اقترحوا ﴿بقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء هذا على تقدير ان يكون مرادهم بالسماء السحاب لان المراد بالظلة سحابة اظلتهم بعد ما حبس عنهم الريح واستولى عليهم الحرّ الشديد سبعة ايام فأخذ بانفاسهم بحيث لا ينفعهم ظل ولا ماء فلما اظلتهم السحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فأحرقتهم واما على تقدير ان يكون مرادهم بالسماء المظلة فحينئذ يكون العذاب النازل بهم على خلاف ما اقترحوه﴾ **قوله** واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم الخ ﴿جواب عما يقال لم لا يجوز ان يقال ان العذاب النازل بعاد وثمود وقوم لوط

وغيرهم لم يكن لكفرهم وعنادهم بل كان بسبب قرانات الكواكب واتصالاتها على ما اتفق عليه اهل النجوم ومع قيام هذا الاحتمال لم يحصل الاعتبار بهذه القصص لان الاعتبار انما يحصل ان لو علمنا ان نزول هذا العذاب كان بسبب كفرهم وعنادهم وعما يقال ان الله تعالى قد ينزل العذاب محنة للمكلفين وابتلاء لهم على ماقال ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقد ابتلى المؤمنون بانواع البليات فلا يكون نزول العذاب على هؤلاء القوم دليلا على كونهم مبطلين مؤاخذين بذلك ثم انه تعالى لما ذكر قصص الانبياء لرسوله صلى الله عليه وسلم اتبعه بذكر مايدل على نبوّته فقال وانه اى وان القرءآن وما نزل من هذه القصص والآيات لتنزيل رب العالمين اى المنزل على ان التنزيل بمعنى المنزل او لذو تنزيل على حذف المضاف وجاز عود ضميرانه الى القرءآن وان لم يجر له ذكر للعلم به والقرءآن المنزل لما كان مشتملا على القصص المذكورة والآيات الدالة عليها كانت هذه الآية تقريرا لحقية تلك القصص والباء فى به على القرءآتين للتعدية اوللملابسة فعلى الاوّل تتعلق بنزل وعلى الثانى تتعلق بمحذوف على انه حال وقوله على قلبك ولتكون متعلقان بنزل ويجوز ان يتعلقا بتنزيل والمعنى وانه لتنزيل رب العالمين على قلبك لتكون لكن فيه ضعف من حيث الفصل بين المصدر ومعموله بجملة نزل به الروح الامين الا ان هذه الجملة اعتراضية جيئ بها للتأكيد فلم تكن اجنبية وان مثل هذا مغتفر فيما اذا كان المعمول ظرفا او عديله وسمى جبريل روحا لكونه سببا لحياة قلوب المكلفين بنور المعرفة والطاعة من حيث ان الوحى الذى فيه الحياة من موت الجهالة يجرى على يده وقيل سمى روحا لانه روح وليس بجسم فيه روح وسمى امينا لانه مؤتمن على مايؤدّيه الى الانبياء ﴿قوله والقلب ان ارادبه الروح فذاك﴾ اذ القرءآن الملتبس بكسوة الحروف والالفاظ انما انزل على روح رسول الله لا على مجرّد الجسد اذليس للجسد حظ من ادراك المعانى الروحانية والقلب وسائر الاعضاء والحواس آلات الادراك والمكلف والمخاطب والمدرك انما هو الروح لا الاعضاء والآلات الا انه يجوز ان يراد بالقلب العضو المخصوص كما هو المتبادر عند اطلاقه فحينئذ يكون جعل القرءآن نازلا على قلبه مع انه نازل عليه لا على عضوه مبنيا على كون القلب موضعا لقوّة العقل والفهم فان الروح انما تدرك بتلك القوّة المودعة فى القلب فلا جرم تنتقل المعانى الروحانية النازلة على الروح الى القلب لمابينهما من التعلق على الوجه المذكور وذهب طائفة من القدماء الى ان موضع قوّة العقل والفهم هو الدماغ لا القلب استدلالا بان طريان الآفة على الدماغ يوجب اختلال العقل وبان الحواس التى هى آلات الادراك نافذة الى الدماغ دون القلب فاشار المصنف الى ان الدماغ محل القوى الباطنة التى يستعين بها الروح فى ادراك المعانى فلذلك كان سلامة الدماغ شرطا لسلامة القلب وظهور آثاره فالقرءآن كلام الله تعالى وصفته القائمة به كساه كسوة الالفاظ المركبة من الحروف العربية ونزله الى جبريل وجعله امينا عليه لئلا يتصرّف فى حقائقه ثم نزل به كما هو على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتعرفه ويتخلق بخلقه ويتنوّر بانواره ويتحلى بحقائقه ففهمه وتمكن من تفهيمه لغيره فهو عليه افضل الصلاة والسلام مختص بهذه الرتبة العلية والكرامة السنية من سائر الانبياء فان كتبهم انزلت عليهم بالالواح والصحائف جملة واحدة فهى منزلة على صورهم وظاهرهم لا على قلوبهم ﴿قوله فهو متعلق بنزل﴾ فيكون صريحا فى ان القرءآن انما انزل عليه عربيا كما فى آية اخرى انا انزلناه قرءآنا عربيا لا كما زعمت الباطنية من انه تعالى انزله على قلبه عليه افضل الصلاة والسلام غير موصوف بلغة ولسان ثم انه عليه افضل الصلاة والسلام ادّاه بلسان العرب المبين من غير ان انزل كذلك ﴿قوله وان ذكره﴾ لما كان ظاهر النظم يدل على ان عين القرءآن العربى المبين مثبت فى سائر الكتب السماوية وظاهر انه ليس كذلك لان هذا فاسد مخالف للنص والاجماع احتيج الى تقدير المضاف اى ان ذكر القرءآن وانزاله على النبى عليه افضل الصلاة والسلام المبعوث فى آخر الزمان او ان اصل معانيه مثبت فى كتبهم على معنى انه تعالى اخبر فى كتبهم عن القرءآن وانزاله فى آخر الزمان او انه تعالى بين اصول معانيه فى كتبهم لان جميع مافيه من الاحكام والامثال مثبت فيها وبه احتج ابو حنيفة فى جواز القرءآن بالفارسية فى الصلاة وهذا كقوله انّ هذا لفى الصحف الاولى وقال مقاتل تقدير الآية وان محمدا عليه افضل الصلاة والسلام ونعته وذكره لفى كتب الاوّلين وهو كقوله يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ﴿قوله وهو تقرير لكونه دليلا﴾ يعنى ان الاستفهام فى أولم يكن استفهام تقرير بمعنى قد كان علم علماء بنى اسرآئيل به آية اى علامة دالة على صحة نبوّته لهؤلاء المنكرين نبوّته فانه قد روى

وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرءآن ونبوّة محمد صلى الله عليه سلم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لايكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعانى الروحانية انما تنزل اوّلا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لمابينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين جبرآئيل فانه امين الله على وحيه وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائى بتشديد الزاى ونصب الروح والامين ﴿لتكون من المنذرين﴾ مما يؤدّى الى عذاب من فعل اوترك ﴿بلسان عربى مبين﴾ واضح المعنى لئلا يقولوا مانصنع بما لانفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اى لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسماعيل وشعيب ومحمد عليه الصلاة والسلام ﴿وانه لفى زبر الاوّلين﴾ وان ذكره او معناه لفى الكتب المتقدّمة ﴿أولم يكن لهم آية﴾ على صحة القرءآن او نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ان يعلمه علماء بنى اسرآئيل﴾ ان يعرفوه بنعته المذكور فى كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا

وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعمله بدل او الفاعل وان يعمله بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة وآية خبر ان يعمله والجملة خبر تكن ﴿ ولو نزلناه على بعض الاعجمين ﴾ كما هو زيادة فى اعجازه او بلغة العجم ﴿فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾ لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والأعجمين جمع اعجمى على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة ﴿ كذلك سلكناه ﴾ ادخلناه ﴿ فى قلوب المجرمين ﴾ والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على انه بخلق الله وقيل للقرآن اى ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا ﴿لايؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم﴾ الملجئ الى الايمان ﴿فيأتيهم بغتة﴾ فى الدنيا والآخرة ﴿وهم لايشعرون﴾ باتيانه فيقولوا ﴿هل نحن منظرون﴾ تحسرا وتأسفا ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ فيقولون امطر علينا حجارة من السماء فائتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة ﴿أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ماأغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول فى دفع العذاب وتخفيفه ﴿ وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ﴾ انذروا اهلها الزاما للحجة ﴿ذكرى﴾ تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها فى معنى الانذار او الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذووا او بجعلهم ذكرى لامعانهم فى التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية ﴿ وما كنا ظالمين ﴾ فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار ﴿ وما تنزلت به الشياطين﴾ كما زعم المشركون انه من قبيل ماتلقى الشياطين على الكهنة ﴿ وما ينبغى لهم ﴾ ومايصح لهم ان يتنزلوا به ﴿ومايستطيعون﴾ ومايقدرون ﴿ انهم عن السمع ﴾ لكلام الملائكة ﴿لمعزولون﴾ لانه مشروط بمشاركة فى صفات الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لاتقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لايمكن تلقيها الامن الملائكة ﴿ فلاتدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين ﴾ تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين ﴿وأنذر عشيرتك الاقربين﴾ الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم روى انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقى قالوا نعم قال ﴿ التصريحية ﴾ فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط

ان اهل مكة بعثوا رسولا الى اليهود الذين كانوا فى المدينة يسألهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نجد ذكره ونعته فى التوراة فهذا او ان خروجه فكان ذلك آية على صدقه وحقية امره ﴿قوله وقرأ ابن عامر تكن﴾ اى بالتاء من فوق ورفع آية والباقون يكن بالياء من تحت ونصب آية فيحتمل ان تكون كان فيها تامة وان تكون ناقصة فان كانت تامة تكون آية فاعلا لها وان يعمله بدلا منها ولهم حالا منها او متعلقا بكان اى اولم يحصل آية كائنة لهم وهى علم علماء بنى اسرائيل اولم يحدث لهم علامة علم علماء بنى اسرائيل وان كانت ناقصة جاز ان يكون لهم خبر تكن مقدما على اسمها ويكون آية اسمها وان يعمله بدلا او خبر محذوف وجاز ان يكون اسمها ضمير القصة المستتر فيها وقوله آية ان يعمله جملة اسمية قدم فيها الخبر على المبتدأ منصوبة المحل على انها خبر كان كما تقول كان زيد منطلق على معنى كان الامر هذا ولايجوز ان يكون آية اسم كان وان يعمله خبرها اذ يتعين ان يجعل اسم كان هو المعرفة منهما وقد يجئ عكس هذا فى الشعر ﴿قوله تعالى فيأتيهم﴾ معطوف على قوله يروا وقوله فيقولوا عطف على يأتيهم وظاهر النظم يدل على ان تكون مفاجأة العذاب واقعة عقيب رؤيته ويكون سؤال النظرة واقعا عقيب مفاجأته وليس كذلك بل الذى يقع اولا هو المفاجأة ثم الرؤية ثم سؤال النظرة فوجب ان لاتكون كلمة الفاء فيهما للتراخى الزمانى بل تكون للتراخى الرتبى بان يكون المعنى لايؤمنون بالقرآن حتى يروا العذاب الملجئ الى الايمان فاهو اشد من رؤيته وهو لحوقه بهم مفاجاة فاهو اشد منه وهو سؤالهم النظرة مع القطع بامتناعها فانهم يرون العذاب عند معاينة ملائكة المهمات او فى الآخرة وهم يعلمون فى ذلك الوقت ان لاخلاص لهم ولا امهال وانما يسألونه تعللا واستراحا ثم انه تعالى لما وصف عذاب المجرمين بان رؤيته تلجئهم الى الايمان وانه يأتيهم بغتة فيضطرون الى سؤال النظرة والامهال طرفة عين فلا يجابون اليها قال على سبيل التبكيت والتوبيخ للذين كانوا يستعجلون العذاب فى الدنيا بمثل قولهم امطر علينا حجارة من السماء وقولهم لن نؤمن لك حتى تسقط علينا كسفا من السماء ونحو ذلك أفبعذابنا يستعجلون اى فكيف يستعجلون مايأتيهم بغتة ويسألون عند رؤيته الامهال فلا يمهلون لحظة والعاقل لايستعجل مافيه هلاكه ثم قال تعالى افرأيت اى افعلمت يامحمد ومعناه اعلم ﴿قوله تعالى ماأغنى﴾ كلمة مافيه يجوز ان تكون استفهامية فى محل النصب مفعولا مقدما لأغنى وما كانوا هو الفاعل وكلمة مافيه مصدرية والمعنى اى شئ اغنى عنهم كونهم ممتعين وان تكون نافية فيكون مفعول اغنى محذوفا اى لم يغن عنهم تمتعهم شيأ وقرئ يمتعون باسكان الميم وتخفيف التاء من قولك امتع الله زيدا بكذا ﴿قوله ومحلها النصب على العلة﴾ اى لقوله منذرون والمعنى الا لها منذرون لاجل الموعظة والتذكرة ويحتمل ان يكون معمولا لاهلكنا فان النفى فيه لما انتقض بالا وكان المراد بالقرية القرية الظالمة آل المعنى الى قولك اهلكنا القرية الظالمة بعد الزام الحجة بارسال المنذرين اليها اهلاكها تذكرة لغيرها ويحتمل ان يكون ذكرى فى محل النصب على انه مفعول مطلق لقوله منذرون من قبيل قعدت جلوسا لان أنذر وذكر متقاربان كأنه قيل يذكرون تذكرة ويجوز ان يكون مفعول فعل محذوف من لفظه اى يذكرون ذكرى وذلك المحذوف صفة لمنذرون ثم انه تعالى بعد ما وصف القرآن بانه تنزيل رب العالمين ونبه به على اعجازه وعلى نبوة نبيه رد قول من زعم من الكفار انه من القاء الجن والشياطين كسائر ماينزل على الكهنة فقال وما تنزلت به الشياطين ﴿قوله فى صفات الذات﴾ اى فى الصفات اللازمة لذوات الملائكة مثل كونهم اجساما نورانية خيرة طائعة لله تعالى طاهرة عن دنس الذنوب والمعاصى مسبحين الليل والنهار لايفترون * واعلم ان اهل السنة والجماعة قالوا صفات الله كلها صفات بالذات على معنى انها قديمة قائمة بذات الله لكن المعتزلة قسموا صفات الله الى صفات الذات وصفات الافعال وقالوا كل مايصح ان يثبت وينفى فهو من صفات الفعل كالخلق والترزيق والاماتة والاحياء ومالیس كذلك كان من صفات الذات كالعلم والقدرة والحياة وقالوا صفات الافعال حادثة غير قائمة بذات الله تعالى بخلاف صفات الذات ﴿قوله ولطف لسائر المكلفين﴾ فان اكرم خلق الله تعالى عليه الصلاة والسلام لما خوطب بانك لو اتخذت من دونى الها لعذبتك مع انك اكرم الخلائق عندى كان زجرا بليغا عن الشرك لكل من سمعه من المكلفين بعد تهييج عزيمته على ازدياد الاخلاص ﴿قوله مستعار من خفض الطائر جناحه﴾ شبه التواضع ولين الاطراف والجوانب عند مصاحبة الاقارب والاجانب بخفض الطائر جناحه عند ارادة الانحطاط فاطلق على المشبه اسم المشبه به على سبيل الاستعارة

التصريحية ثم اشتق منه قوله واخفض جناحك **قوله** ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره فان قيل من التبيينية يجب ان يكون ماقبلها اعم من مدخولها حتى يتحقق فيه الابهام والاحتياج الى البيان ولم يظهر كون من اتبعك اعم من المؤمنين من حيث انه لا يحتمل غير المؤمنين بل هما متحدان فى الوجود ومتلازمان فى المفهوم فلا وجه للبيان ظاهرا الا ان المتبعين اعم فى نفس الامر من المؤمنين لانه يتناول من اتبعه عليه الصلاة والسلام فى امر الدين وغيره بخلاف المؤمنين فانه لا يتناول الا من اتبعه فى امر الدين وبهذا الاعتبار صح ان تكون كلمة من للتبيين لا للتبعيض لان مدخول من التبعيضية اعم مما قبلها على عكس من البيانية ولما جعل من اتبعك اعم من المؤمنين امتنع ان تكون من تبعيضية وانما تكون كذلك ان لو اريد بمن اتبعك المتبعون فى امر الدين ظاهرا وباطنا وبالمؤمنين ماهو اعم من ذلك بان يراد بهم الذين شارفوا الايمان وكانوا بصدده وسماهم الله مؤمنين باعتبار مايؤول اليه امرهم والمتبعون حقيقة بعض منهم فيصح ان تكون من للتبعيض بهذا الاعتبار كأنه قيل واخفض جناحك لبعض المؤمنين وهم الذين اتبعوك حقيقة او يراد بهم الذين صدّقوا باللسان فانه ايضا اعم من الذين اتبعوا حقيقة **قوله** وقرأ نافع وابن عامر فتوكل اى بالفاء بان جعلا مابعد الفاء كالجزآء لقوله فان عصوك مرتبا عليه وجعلاه بدلا من الجزآء المتقدّم وقرأ الباقون بالواو وجعلوه لمجرّد عطف الجملة على جملة اخرى من غير ملاحظة السببية والترتيب ووصف الله تعالى نفسه بالعزيز ليدل على انه يقدر على قهر اعدآء رسوله بعزته وبالرحيم ليدل على انه يقدر على نصره عليهم واعلاء كلمته برحمته وقوله الذى يراك يجوز ان يكون مرفوع المحل على انه خبر مبتدأ محذوف وان يكون منصوب المحل على المدح ومجرور المحل على انه صفة او بدل او بيان **قوله** وتقلبك عطف على مفعول يراك اى ويرى تقلبك لما وصف الله تعالى نفسه بالرحمة ليؤذن رسوله عليه الصلاة والسلام بانه بارّ رحيم عليه اتبعه ماهو كالسبب لتلك الرحمة وهو قيامه الى التهجد فى جوف الليل وتقلبه فى تصفح احوال اهل التهجد ليطلع على اسرار امرهم ويحتمل ان يكون المعنى يراك حين تقوم فى الصلاة ويرى تصرّفك فيما بينهم بالقيام والركوع والسجود والقعود فقوله فى الساجدين معناه مع المصلين فى الجماعة فكان حاصل المعنى يراك حين تقوم وحدك للصلاة ويراك اذا صليت مع المصلين * والدندنة الصوت الخفىّ يقال دندن اذا خفى كلامه وفى الصحاح الدندنة ان تسمع من الرجل نغمة ولا تفهم مايقول وقل الدندنة الصوت والترنم * ثم قال الامام واعلم ان الرافضة ذهبوا الى ان آباء النبى عليه الصلاة والسلام كانوا مؤمنين وتمسكوا فى ذلك بهذه الآية وبالخبر اما هذه الآية فقالوا قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين يحتمل الوجوه التى ذكرتم ويحتمل ان يكون المراد ان الله تعالى نقل روحه من ساجد الى ساجد كما نقول نحن واذا احتمل هذه الوجوه وجب حمل الآية على الكل ضرورة انه لا منافاة ولا رجحان واما الخبر فقوله عليه افضل الصلاة والسلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وكل من كان كافرا فهو نجس لقوله تعالى انما المشركون نجس قالوا فان تمسكتم على فساد هذا المذهب بقوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر قلنا الجواب عنه ان لفظ الاب قد يطلق على العم كما قال ابناء يعقوب نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق فسموا اسماعيل اباله مع انه كان عمه وقال عليه الصلاة والسلام ردّوا علىّ ابى يعنى العباس ويحتمل ان يكون متخذ الاصنام أبالامّه فان هذا قد يقال له الاب قال تعالى ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وعيسى فجعل عيسى من ذرّية ابراهيم مع ان ابراهيم كان جدّه من قبل الامّ * ثم قال الامام واعلم انا تمسك بقوله تعالى لابيه آزر وماذكروه صرف للفظ عن ظاهره واما حمل قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين على جميع الوجوه فغير جائز لما بيناه من ان حمل المشترك على جميع معانيه غير جائز واما الحديث فهو خبر واحد فلا يعارض القرآن **قوله** يلقون السمع فى محل الجرّ على انه صفة كل افاك لكونه فى معنى الجمع وتكون الضمائر كلها للافاكين **قوله** فيقرّها بضم القاف اى يصبها يقال قررت على رأسه الماء اذا صببته عليه وقرّ الحديث فى اذنه يقرّه كأنه صبه فيها والذى قاله عليه الصلاة والسلام كان قبل ان اوحى اليه وبعد ذلك فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا قال مقاتل ان الله تعالى اذا اراد امرا فى الارض اعلم به اهل السموات من الملائكة فتكلموا به فيما بينهم فتسمع الشياطين فترميهم الملائكة بالشهب فيخطفون الخطفة فذلك قوله تعالى يلقون السمع الخ فعلى هذا يكون ضمير يلقون راجعا الى الشياطين وتكون جملة يلقون السمع حالا من الضمير فى تنزل

ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان او المصدّقون باللسان **(فان عصوك)** ولم يتبعوك **(فقل انى برئ مما تعملون)** مما تعملونه او من اعمالكم **(وتوكل على العزيز الرحيم)** الذى يقدر على قهر اعدآئه ونصر اوليائه يكفك شرّ من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط **(الذى يراك حين تقوم)** الى التهجد **(وتقلبك فى الساجدين)** وتردّدك فى تصفح احوال المتهجدين كما روى انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر مايصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرآن او تصرّفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا ائتمّوا وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التى بها يستأهل ولايته بعدان وصفه بان من شأنه قهر اعدآئه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه **(انه هو السميع)** لما تقوله **(العليم)** بما تنويه **(هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك أثيم)** لما بين ان القرآن لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بأن بين ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصلح لان يتنزلوا عليه من وجهين احدهما انه انما يكون على شرّير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتوادّ وحال محمد صلوات الله عليه وسلامه على خلاف ذلك وثانيهما قوله **(يلقون السمع واكثرهم كاذبون)** اى الأفاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لايطابق اكثرها كما جاء فى الحديث الكلمة يخطفها الجنىّ فيقرّها فى اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة

ولا كذلك محمد عليه الصلاة والسلام فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لاتحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك اثيم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وقيل الضمائر للشياطين اى يلقون السمع الى الملأ الاعلى قبل ان رجوا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم ويلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لاعلى نحو ماتكلمت به الملائكة لشرارتهم اولقصور فهمهم اوضبطهم اوافهامهم ﴿ والشعرآء يتبعهم الغاوون ﴾ وأتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استئناف ابطل كونه شاعرا وقرّره بقوله ﴿ ألم ترانهم فى كل واد يهيمون ﴾ لان اكثر مقدّماتهم خيالات لاحقيقة لها واغلب كلماتهم فى النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لايستحقه والاطرآء فيه واليه اشار بقوله ﴿ وانهم يقولون مالايفعلون ﴾ فكأنه لما كان اعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا فى المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفى اللفظ بانه من جنس كلام الشعرآء تكلم فى القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادّة حال الرسول عليه السلام لحال اربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها بعد بعضد ﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا ﴾ استثناء للشعرآء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم فى التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان عليه السلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه عليه السلام قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو اشدّ عليهم من النبل ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون ﴾ تهديد شديد لما فى سيعلم من الوعيد البليغ وفى الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفى أىّ منقلب ينقلبون اى بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاها ابو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد اليه وقرئ بأىّ منقلت ينقلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الشعرآء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدّق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى (استلزمت) وصدّق بمحمد صلوات الله عليهم اجمعين

﴿ سورة النمل مكية وهى ثلاث واربع وتسعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴾ الاشارة الى آى السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه خط فيه ماهو كائن فهو يبينه للناظرين فيه

﴿ قوله وقد فسر الاكثر بالكل ﴾ جواب عما يقال كيف قيل واكثرهم كاذبون بعد ما حكم عليهم بان كل واحد منهم افاك وحاصله ان كونهم كاذبين مفترين فى الخبر فى اكثر ما يحكيه عنهم لاينافى كونهم افاكين كثيرى الكذب وقوله ولا كذلك محمد فانه لايتلقى ما اخبر به من الشياطين فيزيد فيه كذبات كما يفعله الكهنة كيف ولم يظهر فى اخباره عليه الصلاة والسلام خلاف ما اخبر به ولما بين حال الكهنة بانهم كذابون كثيرو الاثم بخلافه عليه الصلاة والسلام فان حاله الدعوة الى الله تعالى وطاعته والترغيب فى الآخرة والتنفير عن الدنيا بين ما يتميز به عن الشعراء فقال والشعرآء يتبعهم الغاوون اى الضالون ثم بين غوايتهم بأمرين الاوّل انهم يهيمون ويذهبون فى كل واد والثانى انهم يقولون مالايفعلون فانهم يرغبون فى الجود وينفرون عن البخل ويقدحون فى الناس بأدنى شئ صدر عنهم ثم انهم لايرتكبون الا الفواحش وذلك تمام الغواية بخلافه عليه الصلاة والسلام فانه قد كان زكى نفسه الكريمة اوّلا ثم لم يدع احدا من الناس الا الى ماهو راسخ او حدى فيه فكيف تشبه حاله حال الشعرآء والنسيب مصدر قولك نسب الشاعر بالمرأة ينسب بالكسر اذا ذكر صفات حسنها وذكر حاله معها فى الشعر والغزل اسم لمحادثة النساء ومراودتهنّ وعرض الاشتياق اليهنّ والابتهار الاشتهار بحب واحدة من النساء يقال ابتهر فلان بفلانة اى اشتهر بها ويقال ايضا على ادّعاء الشئ كذبا وحرم الرجل اهله وسكان حرمه من نحو زوجته وامّه وبنته ثم انه تعالى لما وصف الشعرآء بهذه الاوصاف الذميمة بيانا لما بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم من البون البعيد استثنى منهم شعرآء المسلمين فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا اى لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله تعالى ولم يجعلوا الشعر همتهم ومتجرهم وقيل المراد باكثار ذكر الله تعالى ان يكون شعرهم فى التوحيد والثناء على الله تعالى وفى النبوّة ودعوة الخلق الى الحق ثم قال وانتصروا من بعد ماظلموا اى لايذكرون هجوا الا على سبيل الانتصار ممن يهجوهم ثم الشرط فيه ترك الاعتداء فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم عن ابى رواحة رضى الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى والشعرآء يتبعهم الغاوون الى آخر الآية خشيت ان اموت على هذا فنزل قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فاستثنى شعرآء المسلمين وقال كعب بن مالك يارسول الله ماذا تقول فى الشعرآء فقال ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكأنكم تنضحونهم بالنبل اوترمونهم بالسيف عن عروة عن عائشة انها كانت تقول الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذا لحسن ودع القبيح واعلم ان الشعرآء طبقات الجاهليون كامرئ القيس وزهير والمخضرمون وهم الشعرآء الذين ادركوا الجاهلية والاسلام كحسان ولبيد والمتقدّمون من اهل الاسلام كالفرزدق وجرير ويستشهد باشعارهم ثم المحدثون كابى تمام والبحترى ولايستشهد بشعرهم ﴿ قوله لما فى سيعلم من الوعيد البليغ ﴾ لان السين تدل على ان ذلك كائن لامحالة ﴿ قوله حين عهد اليه ﴾ اى حين اوصاه من العهد وهو الوصية قال الله ألم اعهد اليكم يابنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان اى ألم اوص اليكم روى انه لما أيس ابوبكر من حياته استكتب عثمان كتاب العهد وهو هذا ماعهد ابن ابى قحافة الى المؤمنين فى الحال التى يؤمن فيها الكافر قال بعد ماغشى عليه وأفاق انى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان عدل فذاك ظنى فيه وان لم يعدل فسيعلم الذين ظلموا اىّ منقلب ينقلبون قال الزجاج اىّ منقلب منصوب بينقلبون على المصدر لابقوله سيعلم لان أىّ وسائر الاسماء الاستفهامية لايعمل فيها ماقبلها وقدّم على عامله لتضمنه معنى الاستفهام وهو معلق سيعلم سادّ مسدّ مفعوليه وقال ابو البقاء اىّ منقلب صفة مصدر محذوف اى ينقلبون انقلابا وردّ بان اىّ الواقعة صفة لاتكون استفهامية وكذلك الاستفهامية لاتكون صفة بل كل واحدة منهما قسم برأسه فانا يا ينقسم الى اقسام كثيرة وهى الشرطية والاستفهامية والموصولة وماتكون صفة وغير ذلك * تمت سورة الشعرآء بعون الملك الوهاب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ قوله الاشارة الى آى السورة ﴾ بناء على ان طس اسم لهذه السورة الكريمة وهو مبتدأ وتلك مبتدأ ثان وآيات القرآن خبر الثانى والجملة خبر الاوّل والاشارة قائمة مقام العائد ولابدّ فى المبتدأ الاوّل من تقدير المضاف اى آيات طس لتصح الاشارة اليه بتلك ويخبر عنه بانها آيات القرآن وقرئ مرفوعا بالعطف على آيات وهذه القرآءة لما

استلزمت ان يشار الى شيئين احدهما مذكر والآخر مؤنث باسم اشارة المؤنث ولا وجه له لانه لا يقال تلك هند وزيد احتيج فى توجيه هذه القراءة الى تقدير المضاف اى تلك آيات القرآن وآيات كتاب مبين ﴿ قوله وتأخيره ﴾ يعنى أخر الكتاب الذى اريد به اللوح عن القرآن فى هذه السورة وقدّم عليه فى قوله تعالى فى سورة الحجر الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين نظرا الى الاعتبارين ﴿ قوله او القرآن ﴾ عطف على قوله اما اللوح فيكون عطف الكتاب على القرآن من قبيل العطف فى قوله

* الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم *

﴿ قوله وتنكيره للتعظيم ﴾ والمقصود من تعظيم الكتاب تعظيم الآيات المضافة اليه لان المضاف الى العظيم عظيم بل المقصود تعظيم السورة التى هى عبارة عن مجموع ما فيها من الآيات ﴿ قوله الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة ﴾ اى من هذين الجنسين فى كونها عبادة بدنية او مالية اشارة الى ان تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر لكونهما معظم انواع الطاعات والاعمال الصالحات وان الصلاة معظم الاعمال البدنية والزكاة معظم العبادات المالية وصف آيات السورة بكونها هادية ومبشرة للجامعين بين معرفة المبدأ والايمان به ومعرفة المعاد والايقان بما يتعلق به والاشتغال بطاعة المولى بنفسه وماله ﴿ قوله وتغيير النظم ﴾ يعنى ان الظاهر على تقدير كونه من تتمة الصلة ان يقال الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوقنون بالآخرة على العطف أو وهم يوقنون بالآخرة على الحالية الا انه قدّم قوله بالآخرة على متعلقه وهو يوقنون للعناية والاهتمام به واخراج الكلام على صورة اناعرفت حيث قدّم ضميرهم على يوقنون وجعله مبتدأ وكرّر ذلك المبتدأ على سبيل التأكيد اللفظى ليفيد الاختصاص والتأكيد لما تقرّر من أن اعتبار تقديم الفاعل المعنوى على عامله يفيد الاختصاص فيكون المعنى انهم اوحديون فى الايقان بالآخرة لا يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون للصفات المذكورة وجعل الجملة اسمية مكررا فيها المبتدأ للدلالة على قوّة يقينهم وثباته ولما كان اقام الصلاة وايتاء الزكاة مما يتكرّر ويتجدّد فى اوقاتهما جعل الصلتين المتقدّمين جملة فعلية فقال يقيمون ويؤتون ولما كان الايقان بالآخرة امرا ثابتا مطلوبا دوامه اتى بالصلة الدالة عليه جملة اسمية وجعل خبر المبتدأ فى هذه الجملة فعلا مضارعا للدلالة على ان ايقانهم مستمرّ على سبيل التجدّد غير منقطع ﴿ قوله او جملة اعتراضية ﴾ عطف على قوله من تتمة الصلة اى ويحتمل ان يكون قوله وبالآخرة هم يوقنون جملة مستأنفة غير داخلة فى حيز الموصول وتتم الصلة عند قوله ويؤتون الزكاة وجعلها معترضة نظرا الى اتصال مابعدها بما قبلها من حيث ان ماقبلها لبيان ما للمؤمنين من البشرى بحسن العاقبة ومابعدها لبيان ما للكفار من سوء العذب يوم القيامة ويحتمل ان يكون جعلها معترضة بناء على مذهب من يجوّز وقوع الاعتراض فى آخر الكلام بان لا يلى الجملة المعترضة جملة اصلا او يليها جملة غير متصلة بها معنى ووجه اتصال هذه الجملة بما قبلها انها تؤكد مضمون قوله للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة من حيث ان الايقان بالآخرة حق الايقان المستلزم الخوف يستلزم تحمل المشاق والتناعب حذرا من نيل ما يخاف منه فمضمون قوله وهم بالآخرة هم يوقنون يؤكد مضمون ماقبله من حيث كون مضمونه مستلزما لمضمون ماقبله فصح كونه اعتراضا وقوله كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون اشارة الى ان الضمير الاوّل وضع موضع اسم الاشارة من حيث ان اسم الاشارة يدل على ان المذكورين قبله أحقاء لما يرد بعده من اجل الخصائل التى عدّدت لهم كما فى قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب الى قوله اولئك على هدى من ربهم فكذا ههنا فان المعنى احقاء بان يوقنوا بالآخرة من اجل كونهم جامعين لمشاق التكليف من الايمان والاعمال الصالحة ﴿ قوله زين لهم اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع ﴾ واسناد تزيينها اليه تعالى بهذا الوجه لا ينافى اسناده الى الشيطان فى قوله تعالى فزين لهم الشيطان اعمالهم فانه زينها لهم بان دعاهم الى ما تشتهيه طباعهم وتميل اليه نفوسهم ﴿ قوله ما يتبعها من ضرّ ﴾ على تقدير ان يكون المزين اعمالهم القبيحة وقوله او نفع على تقدير ان يكون المزين اعمالهم الحسنة فهو من قبيل اللف والنشر المرتب والعمه التحير والتردّد كما يكون حال الضلال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصر هاقط فقال رأيت الناس عمهين اراد انهم مترددون فى اعمالهم واشغالهم ﴿ قوله كالقتل والاسر يوم بدر ﴾ حمل سوء العذاب على عذاب الدنيا لعطف قوله وهم فى الآخرة هم الاخسرون على قوله اولئك الذين لهم سوء العذاب ﴿ قوله لتؤتاه ﴾ قال تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا اى وما يؤتاها وقيل لتلقى كذا اى لتأخذه من قولهم تلقيته ولقيته

وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه فى الحجر باعتبار الوجود او القرآن وآياته لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ﴿ هدى وبشرى للمؤمنين ﴾ حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران آخران او خبران لمحذوف ﴿ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ﴾ الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة ﴿ وهم بالآخرة هم يوقنون ﴾ من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوّة يقينهم وثباته وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ﴿ ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم ﴾ زين لهم اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التى وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها ﴿ فهم يعمهون ﴾ عنها لا يدركون ما يتبعها من ضرّ او نفع ﴿ اولئك الذين لهم سوء العذاب ﴾ كالقتل والاسر يوم بدر ﴿ وهم فى الآخرة هم الاخسرون ﴾ اشدّ الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة ﴿ وانك لتلقى القرآن ﴾ لتؤتاه ﴿ من لدن حكيم عليم ﴾

اى اخذته ﴿قوله﴾ اى حكيم واى عليم ﴿اشارة الى ان التنكير فيهما للتعظيم ﴿قوله﴾ مع ان العلم داخل فى الحكمة ﴿فان الحكمة اتقان الفعل بان يفعله على وفق العلم فان من يعلم امرا ولا يأتى بما يناسب علمه لا يقال له حكيم فلما وصف الله تعالى نفسه بانه حكيم علم منه كونه عليما فما وجه الجمع بينهما * وتقرير الجواب ان العلم الذى يدخل فى الحكمة هو العلم العملى وهو الذى يتعلق بكيفية العمل والعلم اعم منه لانه يتناول العلم النظرى ايضا وهو الذى يقصد لذاته لا للعمل به فذكر الحكيم لا يغنى عن ذكر العليم فلذلك وصف نفسه بالحكمة المشتملة على العلوم العملية ثم اتبعه بقوله عليم اى بالغ فى كمال العلم كأنه قيل مصيب فى افعاله لا يفعل شيأ منها الا على وفق علمه عليم بكل شئ واحواله سواء كان ذلك العلم مؤديا الى العمل ام لا ثم اشار الى جواب آخر مبنى على ان تكون الحكمة نفس العلم بالمعنى الاعم المتناول للعلوم النظرية والعملية فيكون تقرير السؤال حينئذ ان الحكمة نفس العلم فلم ذكر العلم بعد ذكر الحكمة ويكون تقرير الجواب حينئذ ان الحكمة التى هى نفس العلم هى الحكمة المنقسمة الى العملية والنظرية كالعلم المتعلق بالشرآئع والاحكام والعلم المتعلق بالاعتقادات والعلم اعم من الحكمة بهذا المعنى بحيث يطلق على ما لا يسمى حكمة كالعلم القصص والعلم بالمغيبات فان شيأ منهما غير مندرج تحت الحكمة بالمعنى المذكور فلو اقتصر على قوله حكيم لما فهم الا كونه تعالى عالما بما يتعلق بافعال المكلفين وعقائدهم وان علوم القرءآن ليست الا ماهى حكمة فلما اتبع ذلك قوله عليم فهم منه ان علوم القرءآن منها ماهى حكمة ومنها ما ليس كذلك ﴿قوله﴾ ثم شرع فى بيان بعض تلك العلوم ﴿يعنى ان قوله تعالى وانك لتلقى القرءآن من لدن حكيم عليم بعد قوله تلك آيات القرءآن وكتاب مبين ذكر تمهيدا لما يذكر بعده من العلوم التى ليست من قبيل الحكمة والا فعلوم انه عليه الصلاة والسلام تلقى القرءآن من قبله تعالى ﴿قوله﴾ والسين للدلالة على بعد المسافة ﴿جواب عما يقال التسويف لا يناسب المقام لان المفارقة عن الاهل فى الليلة الشاتية مع انفرادها لا تقبل التسويف فى الاتيان اليها اجاب عنه اولا بانه انما سوّف الاتيان للتنبيه على بعد المسافة فلو لم ينبه على بعدها لربما خالجتها عند تأخر اتيانه شبهة وثانيا بان السين فيه ليست للتسويف بل للتأكيد والوعد بالاتيان مع قطع النظر عن التسويف والفور ﴿قوله﴾ شعلة نار مقبوسة ﴿اشارة الى انه اختار قرآءة من قرأ باضافة شهاب الى قبس اضافة بيانية وان الشهاب الشعلة وان القبس النار المقبوسة اى المأخوذة من قولك اقتبست منه نارا او علما اى استفدته منه فعل بمعنى مفعول كقبض ونقض كأنه قيل بشعلة نار مقبوسة ﴿قوله﴾ والعدتان على سبيل الظن ﴿اشارة الى جواب ما يقال انه تعالى قال ههنا سآتيكم منها بخبر وفى سورة طه لعلى آتيكم منها بقبس وهما كالمتدافعين لان احدهما ترج والآخر تيقن ومحصول الجواب انه لا تدافع بينهما لان الراجى اذ قوى رجاؤه يقول سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه خلاف ذلك ﴿قوله﴾ والترديد ﴿يعنى ان كل واحد من الامرين مطلوب فالظاهر ان يقال سآتيكم منها بخبر وشهاب قبس بالواو الجامعة والجواب انهما وان كانا مطلوبين الا ان المظنون حصول احدهما بناء على الظاهر او على سنة الله ان لا يجمع حرمانين على عبد ﴿قوله﴾ اى بورك ﴿يعنى ان فى كلمة ان ثلاثة اوجه احدها انها المفسرة لتقدّم ما هو بمعنى القول والثانى انها الناصبة للمضارع باسقاط الخافض اى نودى موسى بأن بورك والثالث انها المخففة واسمها ضمير الشان وبورك خبرها ولما ورد ان يقال كيف جاز ان تكون مخففة وهى اذا دخلت على الفعل وكان ذلك الفعل من الافعال المتصرّفة وجب ان تفصل المخففة من الفعل بحرف من حروف التعويض وهى السين نحو علم ان سيقوم وسوف نحو ان سوف يقوم وقد نحو ليعلم ان قد ابلغوا او من حروف النفى نحو علمت ان لم يقم وان لن يقوم وان لا يقوم وما قام وما يقوم فرقا بينها وبين ان المصدرية فان ان المصدرية لا يفصل بينها وبين الفعل بشئ من الحروف المذكورة لكونها مع الفعل بتأويل المصدر معنى فلا يفصل بينها وبين ما يؤثر فيها لضعفها وتسمى النحاة هذه الحروف التى بعد ان المخففة بحروف التعويض لكونها كالعوض عن احدى نونى ان ولما وردت هذه الشبهة اجاب عنها بقوله والتخفيف وان اقتضى التعويض ومنع صاحب الكشاف كونها مخففة بناء على انتفاء حرف التعويض وهذا منه مبنى على ان بورك خبر لا دعاء فانه اذا قلنا انه دعاء لم يحتج الى الفاصل ومن فى النار قائم مقام الفاعل لبورك فان بارك يتعدّى بنفسه ولذلك بنى للمفعول يقال باركك الله ويقال ايضا بارك الله عليك وبارك فيك وبارك لك فقولنا بورك من فى النار وعلى من فى النار وفيمن فى النار سواء قال الشاعر

اى حكيم واى عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرءآن منها ماهى حكمة كالعقائد والشرآئع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع فى بيان بعض تلك العلوم بقوله ﴿اذ قال موسى لاهله انى آنست نارا﴾ اى اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم ﴿سآتيكم منها بخبر﴾ اى عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ ﴿او آتيكم بشهاب قبس﴾ شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونوّنه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظنّ ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجى فى طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله تعالى انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده ﴿لعلكم تصطلون﴾ رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة ﴿فلما جاءها نودى ان بورك﴾ اى بورك فانّ النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره فى احكام كثيرة ﴿من فى النار ومن حولها﴾ من فى مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة فى قوله تعالى نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة ومن حول مكانها

* فبورکت مولودا وبورکت ناشئا * وبورکت عند الشیب اذ انت اشیب *

ومعنی بورك من فی النار ومن حولها بورك من فی مکان النار ومن حول مکانها والذی بورکت به البقعة وبورك من فیها وحوالیها حدوث امر دینی فیها وهو تکلیم الله تعالی موسی علیه الصلاة والسلام وتخصیصه بالرسالة والاکرام واظهار المعجزات العظام له فیها ورب خیر یحدث فی تلك البقاع فینشر الله تعالی برکته فی اقاصیها فکیف بمثل ذلك الامر الذی جری فی تلك البقعة ﴿قوله﴾ الموسومة بالبرکات ﴿﴾ فی قوله تعالی ونجیناه ولوطا الی الارض التی بارکنا فیها للعالمین فان قوله للعالمین دلیل ظاهر علی ان الذی بورك فیه عام والکفات مایکفت فیه الشیء ای یضم ویجمع وفی الحدیث *اکفتوا صبیانکم باللیل فان للشیطان خطفة * ومنه قوله تعالی الم نجعل الارض کفاتا احیاء واموانا ﴿قوله﴾ من تمام مانودی به ﴿﴾ یعنی انه علیه الصلاة والسلام نودی بمجموع الامرین ناداه وخاطبه اوّلا بقوله بورك من فی النار بشارة له بانه قد قضی له امر عظیم ثم ناداه بتنزیه رب العزة عما یلیق به فی ذاته وحکمته لئلا یتوهم من سماع کلامه ان کلامه مرکب من الحروف والاصوات وانه محل الحوادث کسائر المتکلمین وانه یحیط به الزمان والمکان ونحو ذلك مما لایلیق بذاته تعالی قال اهل السنة انه علیه الصلاة والسلام سمع الکلام المنزه عن مشابهة کلام المخلوقین فعلم بالضرورة انه کلام الله تعالی وصفته القائمة به فکما جاز ان ترى ذاته بلا کم وکیف فکذا جاز ان یسمع کلامه بلا حرف وصوت ﴿قوله﴾ وللتعجیب ﴿﴾ عطف علی قوله لئلا یتوهم یعنی انه تعجیب لموسی علیه الصلاة والسلام مما شاهده فی تلك البقعة المبارکة وایذان له بأن ذلك الامر مریده ومکوّنه رب العالمین کأنه قیل فما اعظم امرا مریده من هو رب العالمین فیکون قوله وسبحان الله رب العالمین کالتذییل والتأکید لما یتضمنه قوله بورك الخ او هو تعجب من موسی بتقدیر القول وهو معطوف علی قوله من تمام مانودی به ﴿قوله﴾ او للتکلم ﴿﴾ عطف علی قوله للشأن ای ویحتمل ان یکون ضمیر انه راجعا الی مادل علیه ماقبله والمعنی ان من یکلمك انا ولفظ الجلالة بیان لانا ﴿قوله﴾ تعالی تهتز ﴿﴾ جملة حالیة من مفعول رآها وقوله کأنها جانّ یجوز ان تکون حالا ثانیة وان تکون حالا من فاعل تهتز فتکون حالا متداخلة وقوله ولم یعقب عطف علی ولی والمعنی ولم یرجع علی عقبه وکل راجع معقب قال

* فاعقبوا اذ قیل هل من معقب * ولا نزلوا یوم الکریهة منزلا *

قیل ان العصا انقلبت حیة عظیمة لکنها فی سرعة حرکتها والتوآمها کأنها جانّ وهی الحیة الصغیرة فان الحیة العظیمة لاتقدر علیها فلذلك خاف موسی علیه الصلاة والسلام فظنّ ان فی انقلاب العصا حیة امرا اریدبه هلاك نفسه ویدل علی ان خوفه کان لذلك قوله تعالی یاموسی ای قلنا له یاموسی لاتخف من غیری لانه علیه الصلاة والسلام نهی عن الخوف مطلقا فان الخوف اللازم للایمان والمعرفة لایفارق المرسلین ولاینهون عنه قال تعالی انما یخشی الله من عباده العلماء فمن کانت معرفته اکمل کان خوفه وخشیته اتم وأوفر فلذلك قال علیه الصلاة والسلام *انا اخشاکم لله * وانما ینهون عن الخوف من غیر الله تعالی وهم فی کنف عصمته آمنون فلذلك قیل له لاتخف بأس الحیة ویحتمل ان یکون المعنی لاتخف مطلقا فان حال خطاب الله تعالی ایاهم ووصیته الیهم ینفی عنهم الخوف مطلقا لفرط الاستغراق لا الخوف من غیره تعالی فقط ﴿قوله﴾ اولایکون لهم عندی ﴿﴾ ای فی حکمی وقضائی وقوله او مطلقا کل واحد منهما معطوف علی قوله ای من غیری فالمعنی علی الثالث لاتخف من سوء العاقبة اذ لیس لاحد من المرسلین سوء عاقبة فی حکمی فیخافون منه ﴿قوله﴾ استثناء منقطع ﴿﴾ وانما جعله کذلك لان المستثنی وهو من ظلم ای من زل من المرسلین غیر مخرج من الحکم المذکور وهو عدم الخوف لانه کما لایخاف الرسل المعصومون من الزلات لایخاف ایضا من فرط منه ماغفرله ثم ترحم علیه لان المغفور له والمرحوم علیه کیف یخاف من الذنب الذی غفرله فاذا تعین انه لایخاف احد من المرسلین من سوء العاقبة البتة فلما لم یکن المستثنی مخرجا من الحکم المذکور لم یکن الاستثناء متصلا وکانت کلمة الا بمعنی لکن التی للاستدراك لانه لما نفی الخوف عن المرسلین کلهم اختلج فی الصدور وهم وهو ان یقال کیف یصح نفی الخوف عمن ظلم ای زل من المرسلین فدفعه بان قال الامن ظلم ای زل ثم بدّل حسنا ای توبة وندما بعد سوء بعد زلة کائنة ماکانت وهو فائدة التنکیر فانی غفور رحیم وقیل انه متصل والمعنی لایخاف لدیّ المرسلون الامن ظلم فانه یخاف فیتم الکلام عند قوله الامن ظلم فیکون قوله ثم بدّل حسنا مستأنفا معطوفا علی محذوف * واعلم ان الناس اختلفوا فی جواز الذنب علی الانبیاء والظاهر انه عام فی کل من فی تلك البقعة وحوالیها من ارض الشأم الموسومة بالبرکات لکونها مبعث الانبیاء وکفاتهم احیاء واموانا وخصوصا تلك البقعة التی کلم الله فیها موسی وقیل المراد موسی والملائکة الحاضرون وتصدیر الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضی له امر عظیم ینتشر برکته فی اقطار الشأم ﴿وسبحان الله رب العالمین﴾ من تمام مانودی به لئلا یتوهم من سماع کلامه تشبیها وللتعجیب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسی لما دهاه من عظمته ﴿یاموسی انه انا الله﴾ الهاء للشأن وانا الله جملة مفسرة له اوللتکلم وانا خبره والله بیان له ﴿العزیز الحکیم﴾ صفتان لله ممدحتان لما اراد ان یظهره یرید انا القوی القادر علی مایبعد عن الاوهام کقلب العصا حیة الفاعل کل ما افعله بحکمة وتدبیر ﴿وألق عصاك﴾ عطف علی بورك ای نودی ان بورك من فی النار وان ألق ویدل علیه قول وان ألق عصاك بعد قوله أن یاموسی انی انا الله بتکریر أن ﴿فلما رآها تهتز﴾ تتحرك باضطراب ﴿کانها جانّ﴾ حیة خفیفة سریعة وقرئ جأنّ علی لغة من جدّ فی الهرب من التقاء الساکنین ﴿ولی مدبرا ولم یعقب﴾ ولم یرجع من عقب المقاتل اذا کرّ بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لأمر اریدبه ویدل علیه قوله ﴿یاموسی لاتخف﴾ ای من غیری ثقة بی اومطلقا لقوله ﴿انی لایخاف لدیّ المرسلون﴾ حین یوحی الیهم من فرط الاستغراق فانهم أخوف الناس من الله اولایکون لهم عندی سوء عاقبة فیخافون منه ﴿الامن ظلم ثم بدّل حسنا بعد سوء فانی غفور رحیم﴾ استثناء منقطع استدرك به مایختلج فی الصدر من نفی الخوف عن کلهم وفیهم من فرطت منه صغیرة فانهم وان فعلوها أتبعوا فعلها مایبطلها ویستحقون به من الله مغفرة ورحمة فانه لایخاف ایضا وقصد تعریض موسی بوکزه القبطیّ وقیل متصل وثم بدّل مستأنف معطوف علی محذوف ای من ظلم ثم بدّل ذنبه بالتوبة

وعدمه قالت الحشوية يجوز صدور الكبائر عنهم عمدا وقالت المعتزلة لايجوز صدور الكبائر عنهم ويجوز صدور الصغائر الاماينفر كالكذب وسرقة لقمة وتطفيف حبة وقال الجبائى لايجوز عليهم الصغيرة ولا الكبيرة على جهة العمد بل على التأويل وقالت الرافضة لايقع منهم ذنب قط لاقبل البعثة ولا بعدها بل هم معصومون من ابتداء ولادتهم *قال الامام والمختار عندنا انهم لم يصدر عنهم ذنب حال النبوّة لا الصغيرة ولا الكبيرة وفى كلامه اشعار بان ترك الاولى منهم كالصغيرة منا لان حسنات الابرار سيئات المقرّبين فتأويل الآية على رأينا الا من ظلم قبل النبوّة ثم بدّل بعدها حسنا ويؤيده لفظة ثم فانها للتراخى قال الحسن كان موسى والله اعلم ممن ظلم بقتل القبطىّ ثم بدّل حسنا فانه عليه الصلاة والسلام قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فلذلك قال المصنف وقصد تعريض موسى بوكزه القبطىّ ﴿قوله﴾ لانه كان مدرعة صوف لاكم لها ﴿﴾ علة لامره عليه الصلاة والسلام بادخال يده فى جيبه وسترها به يعنى انه تعالى لما اراد ان يجعل يده بيضاء برّاقة كشعاع الشمس وان لايجعلها كذلك الاوهى مستورة محتجبة بشئ وكانت يده الكريمة مكشوفة من حيث ان مدرعته لاكم لها امره بادخال يده فى جيبه اى فى مدرعته اوقميصه والمدرعة جبة صغيرة يتدرّع بها اى تلبس بدل الدرع وهو القميص والجيب كما يطلق على ماجيب من القميص اى قطع لخروج الرأس منه يطلق ايضا على نفس القميص وفى الصحاح الجيب القميص تقول جبت القميص اجيبه اذا قددت جيبه واختار المصنف ان يكون المراد بالجيب المدرعة لاالقميص لما روى عن ابن عباس انه قال وكانت زرنبانقة من صوف والزرنبانقة جبة قصيرة كماها الى مرفقيه ولم تكن لها ازرار فأدخل يده فى جيبها فأخرجها فاذا هى تبرق مثل البرق وقال المفسرون كانت عليه مدرعة من صوف لاكم لها ولا ازرار فادخل يده فى جيبها واخرجها فاذا هى تبرق مثل البرق وكان تعالى قادرا على ان يجعل يده بيضاء من غيرادخاله اياها فى جيبه وايضا كان قادرا على ان يصير عصاه ثعبانا وهى فى يده لكنه تعالى امتحنه بالامر بادخال يده فى جيبه وبالقاء عصاه ولله تعالى ان يمتحن عباده بمايشاء من انواع المحن وقوله تخرج مجزوم على انه جواب لقوله ادخل اى ان ادخلتها تخرج على هذه الصفة وقوله بيضاء حال من فاعل تخرج ومن غيرسوء يجوز ان تكون حالا ثانية منه اومن الضمير فى بيضاء وان تكون صفة لبيضاء ﴿قوله﴾ فى جملتها اومعها ﴿﴾ على الاوّل تكون الآيات تسعا وتكون هاتان الايتان داخلتين فى جملتهنّ وعدادهنّ ويكون قوله فى تسع آيات خبر مبتدأ محذوف اى هما داخلتان فى جملة تسع آيات وعلى الثانى تكون لفظة فى بمعنى مع ويكون فى تسع آيات حالا من الضمير فى بيضاء وتكون الآيات احدى عشرة وهما اثنتان والباقية تسع فكانه تعالى لما اراه هاتين الآيتين اشار الى ان هنا تسع معجزات أخرهنّ مثلهما فى الاعجاز وكلمة فى قد تكون بمعنى مع ولذلك قالت الائمة اذا قال لزيد علىّ عشرة فى تسعة واراد المعية يلزمه تسعة عشر ومن جملة الآيات ان موسى عليه الصلاة والسلام دعا ربه بقوله ربنا اطمس على اموالهم فجعل الله تعالى اموالهم حجارة والطمس الدروس والانمحاء ﴿قوله﴾ ان يعدّ الاخيرين واحدا ﴿﴾ لان الجدب والنقصان كالشئ الواحد غاية مافى الباب ان الجدب كان بالنسبة الى اهل البوادى ونقصان الزرع بالنسبة الى مزارعهم فسقط بهذا الاعتبار واحد وسقط الآخر باعتبار ان المراد بالآيات التسع هذه الآيات التى بعث موسى بها الى فرعون وهى تسع لاغير وفلق البحر ليس من الآيات التى كانت لدعوة فرعون الى الايمان بل انما كان لاهلاكهم بشؤم اصرارهم وعنادهم ﴿قوله﴾ اواذهب فى تسع آيات ﴿﴾ عطف على قوله فى جملتها اى ويجوز ان يكون فى تسع آيات متعلقا باذهب المقدّر وجعل ذهابه فيها عبارة عن كونه محفوظا متحصنا من بأس الاعداء بسببها كما يتحصن من هو داخل الحصن المحيط به من شرّ من يعاديه ﴿قوله﴾ اوذات بصر ﴿﴾ على ان يكون صيغة اسم الفاعل للنسب كتامر ولابن فيكون اثبات البصر لها تخييلا للاستعارة المكنية بان شبه الآيات بالشخص الهادى واثبت لها الابصار على وجه التخييل قرينة لها لان الاعمى لايقدر على الاهتداء فضلا عن ان يهدى غيره ﴿قوله﴾ اومبصرة كل من نظر اليها ﴿﴾ يعنى ان الابصار فى الحقيقة صفة من نظر وتأمّل فى الآيات وجعل انفس الآيات مبصرة على الاسناد المجازى للملابسة بينها وبين المتأملين فيها المتأملون انما يبصرون بسبب تأمّلهم فيها فلما كانت سببا لابصارهم نسب الابصار اليها اسنادا مجازيا جعل صيغة اسم الفاعل اوّلا بمعنى المفعول نحو ماء دافق اى مدفوق ثم جعلها للنسب ثم جعل مافيها من الاسناد من قبيل الاسناد المجازى ﴿قوله﴾ وقرئ مبصرة ﴿﴾ بفتح الميم والصاد على وزن مسبعة ومأسدة اذا كثر فيها السبع والاسد وانتصابها على القرآتين على انها حال من آياتنا ﴿قوله﴾

﴿وادخل يدك فى جيبك﴾ لانه كان مدرعة صوف لاكم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اى يقطع ﴿تخرج بيضاء من غيرسوء﴾ آفة كبرص ﴿فى تسع آيات﴾ فى جملتها اومعها على ان التسع هى الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم ولمن عدّ العصا واليد من التسع ان يعدّ الاخيرين واحدا ولا يعدّ الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب فى تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به ﴿الى فرعون وقومه﴾ وعلى الاوّلين يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا ﴿انهم كانوا قوما فاسقين﴾ تعليل للارسال ﴿فلما جاءتهم آياتنا﴾ بان جاءهم موسى بها ﴿مبصرة﴾ بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لوكانت مما يبصر اوذات بصر من حيث انها تهدى والعمى لاتهتدى فضلا عن ان تهدى اومبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اى مكانا يكثر فيه التبصر ﴿قالوا هذا سحر مبين﴾ واضح سحريته

وكذبوا بها ﴾ لما كان المشهور ان الجحود انكار الشئ بعد المعرفة والايقان به تعنتا وكان حمله على هذا المعنى يستلزم كون قوله واستيقنتها انفسهم مستدركا فسره بالتكذيب بها والمعنى كذبوا بألسنتهم كونها آيات الهية وقد استيقنت قلوبهم وضمائرهم بذلك وقوله ظلما وعلوّا يجوز ان يكون فى موضع الحال اى ظالمين وعالين وان يكون مفعولا له اى الحامل لهم على ذلك الجحود الظلم والعلوّ ﴿ قوله تعالى كيف ﴾ خبر كان قدّم عليها وعاقبة اسمها ﴿ قوله طائفة من العلم ﴾ على ان يكون التنكير للنوعية كما فى قوله وعلى ابصارهم غشاوة وقوله اوعلما اى علما على ان يكون التنوين للتعظيم ﴿ قوله عطفه بالواو ﴾ مع ان ظاهر الحال يقتضى عطفه بالفاء السببية لتؤذن بانهما انما حمدا الله تعالى شكرا على نعمة ايتاء العلم الذى هو من جلائل النعم لكن عطفه بالواو التى تستدعى معطوفا عليه مسببا عن تلك النعمة يشعر بان ماقالاه بعض ما اتيا به فى مقابلة هذه النعمة كأنه قيل ففعلا شكرا له مافعلا من الشكر بالجوارح والجنان وقالا بلسانهما الحمد لله فلو عطف بالفاء لاقتصر على الشكر اللسانى وفات الاشعار المذكور ﴿ قوله وكانوا تسعة عشر ﴾ اى كان لداود تسعة عشر ابنا واعطى من بينهم سليمان ماأعطى داود من الملك وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود وكان داود اشدّ تعبدا من سليمان ﴿ قوله تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ﴾ يعنى انه عليه الصلاة والسلام لم يقل ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل الاعتراف بفضل الله تعالى واحسانه اليه وعلى طريق رفع ذلك الفضل واعلاء ذكره يقال نوّهت باسمه اذا رفعت ذكره واعليت شأنه ﴿ قوله بذكر المعجزة ﴾ متعلق بالدعاء لا بالتصديق والا لقيل بالمعجزة ﴿ قوله والنطق والمنطق فى التعارف ﴾ النطق فى الاصل مصدر نطق الرجل ينطق اى تكلم فاشار المصنف الى انه يستعمل فى عرف الناس بمعنى الكلام المنطوق الدال على مافى الضمير ثم قال وقد يستعمل بمعنى الصوت مطلقا سواء صدر عن له فؤاد وكلام نفسى ام لا اما على تشبيه صوت من لا فؤاد له بصوت العقلاء فى كونه صوتا تا بعا للتخييل او لمجرّد التبعية والاطراد بمعنى ان اسم النطق والمنطق لما اطلق على بعض الاصوات اطلق على البواقى ايضا على سبيل الاطراد ثم اشار الى وجه الشبه بقوله فان الاصوات الحيوانية الخ ثم انه لما بين وجه اطلاق المنطق على صوت الطير قال ولعل المراد بتعليم سليمان منطق الطير وصوته علمه بالتخييل الذى حمل الطير على ذلك الصوت وبالغرض الذى توخاه بصوته لا انه يعلم انه يصوّت بذلك الصوت من غير ان يفهم التخييل الذى نشأ منه ذلك الصوت والعفاء بالمدّ وفتح العين الدروس وذهاب الاثر وقيل العفاء التراب قال تعالى فى صفة الهدهد فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين واعجب منه انه عليه الصلاة والسلام علم كلام من لا صوت له كالنمل قال تعالى قالت نملة ياايها النمل ادخلوا مساكنكم الى قوله فتبسم ضاحكا من قولها * وروى انه صاح ورشان فقال عليه الصلاة والسلام انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب والطاووس يقول كما تدين تدان اى كما تفعل تجازى والهدهد يقول كل حى ميت وكل جديد بال والخطاف يقول قدّموا خيرا تجدوه والحمامة تقول سبحان ربى الاعلى ملئ سمواته وارضه والقطا يقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والدرّاج يقول الرحمن على العرش استوى والقبر يقول اللهم العن مبغض محمد وآل محمد والنسر يقول ابن آدم عش ماشئت آخره الموت والعقاب يقول فى البعد عن الناس انس والضفدع يقول سبحان ربى القدّوس والديك يقول اذكروا الله ياغافلون والحمار يقول اللهم العن العشار والفرس يقول اذا التقى الصفان سبوح قدّوس رب الملائكة والروح والزرزور يقول اللهم انى اسألك قوت يوم بيوم يارزاق فكل صنف من الطير يفهم الغرض الذى يتوخاه الآخر والذى علمه سليمان من منطق الطير هو مايفهم بعضها من بعض من مقاصده واغراضه ولذلك قال ياايها الناس تفضل الله علىّ بزيادة ماورثته من ابى من النبوّة والملك والعلم بان علمنى منطق الطير اى فهمنى مايقوله الطير ﴿ قوله والضمير فى علمنا ﴾ يعنى ان علمنا واوتينا من كلام المتكبرين فكيف يليق بسليمان ذلك * اجاب عنه اوّلا بانه ليس ضمير المعظم نفسه وثانيا بانه ضمير المعظم نفسه الا انه لم يقله تكبرا بل قاله على عادة الملوك فانهم يتكلمون بمثل ذلك رعاية لقاعدة السياسة ومقتضى الملك صيانة لرفعتهم وقدرهم فى قلوب الرعايا وقوله واوتينا من كل شئ اراد به كثرة ما اوتى كما يقال فلان يقصده كل احد ويراد كثرة قاصديه اقامة للتكثير مقام الكل ونحوه قوله تعالى واوتيت من كل شئ وقوله ان هذا اى الذى اوتينا لهو الفضل المبين وارد على سبيل الشكر لا الافتخار كما قال عليه الصلاة والسلام * انا سيد ولد آدم ولا فخر * اى اقوله شكرا لا فخرا ﴿ قوله من الجن وما بعده ﴾ كثرة ما اوتى كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شئ ﴿ ان هذا لهو الفضل المبين ﴾ الذى لا يخفى على احد ﴿ وحشر ﴾ وجمع ﴿ لسليمان جنوده من الجنّ والانس والطير فهم يوزعون ﴾ يحبسون اوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا

بيان لجنوده فيتعلق بمحذوف ويجوز ان يكون هذا الجار حالا فيتعلق بمحذوف ايضا وكون طوائف الجن والانس والطير جنود السليمان يقتضى ان يكون كل واحد من هذه الاصناف متصرفا على مراده ممتثلا لامره ولا يكون كذلك الا مع العقل الذى يصح معه التكليف بان لا يكون كل واحد من تلك الاصناف اقل عقلا من المراهق الذى قد قارب حدّ التكليف فيلزم منه انه تعالى جعل الطير فى ايامه من ذوات العقل والفهم وان لم تكن كذلك فى ايامنا وكذا قوله تعالى قالت نملة يدل على انها تكلمت بذلك وليس بمستبعد لان الله تعالى قادر على ان يخلق فيها العقل والنطق قال المفسرون كان سليمان اذا اراد سفرا امر فجمع له طوائف من هؤلاء الجنود على بساط واحد نسجه الجنّ له من ذهب وابريسم فرسخا فى فرسخ ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء والارض والمعنى وجمع له جنوده فى مسيره من الاماكن المختلفة ومعنى الوزع فى اللغة هو الكف يقال وزعه يزعه اذا كفه ومنه قوله مايزع القرآن اكثر مما يزع السلطان وقال عثمان رضى الله عنه مايزع السلطان اكثر مما يزعه القرآن وقالوا لابد للناس من وزعة اى من حكام يكفونهم عن الشرّ والعبث والفساد قال الشاعر

* ولم يزعه لبه وحياؤه * فليس له من شيب فوديه وازع *

قوله تعالى حتى اذا اتوا متعلق بقوله يوزعون لانه يتضمن معنى فهم يسيرون ممنوعا بعضهم عن مفارقة بعضهم فى مسيرهم ليجتمعوا احسن اجتماع فى الهيئة والهيبة فى الرؤية حتى اذا اتوا ويجوز ان يتعلق بمحذوف اى فساروا حتى **قوله** وتعدية الفعل اليه بعلى مع انه قد يتعدّى بنفسه وبكلمة الى يقال اتيته واتيت اليه اما لانهم اتوا اليه مستعلين فوقه لانهم كانوا محمولين على الريح وقيل هو من قولهم اتيت عليه اذا قطعته وبلغت آخره والمعنى حتى اذا قطعوا الوادى كله وبلغوا آخره **قوله** كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادى اى عند منقطعه لانهم مادامت الريح تحملهم فى الهوآء لا تخاف النملة حطمهم **قوله** كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادى لما لم تكن النملة من العقلاء الناصحين الذين يعبرون عما فى ضمائرهم بتراكيب ملفوظة تدل عليه دلالة وضعية لم يكن حمل الآية على الحقيقة ظاهرا فلذلك حمله المصنف على الاستعارة التمثيلية بان شبهت الحالة الواقعة بينها وبين قومها بما يقع بين العقلاء الناصحين فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن الحالة المشبه بها فقيل قالت نملة الى آخر الآية والظاهر ان الكلام محمول على حقيقته بناء على انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها العقل والنطق الا ترى انه تعالى سخر الريح والشياطين والطير لسليمان عليه الصلاة والسلام وجعل جميع ذلك جنودا واعوانا منقادين له لا يخالفونه فى شئ مما امرهم به وذلك لا يكون الا بجعلهم عقلاء مميزين ومع ذلك كيف يبعد ان يخلق الله تعالى العقل والنطق فى النملة وقد روى ان سليمان لما سمع قول النملة قال ائتونى بها فأتوه بها فقال لها لم حذرت النمل من ظلمى اما علمت انى نبىّ عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فقالت النملة اما سمعت قولى وهم لا يشعرون ومع ذلك انى لم ارد حطم النفوس وانما اردت حطم القلوب خشيت ان يروا ما انعم الله به عليك من الجاه والملك العظيم فيقعوا فى كفران النعم فلا اقل من ان يشتغلوا بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها سليمان عظينى فقالت النملة أعلمت لم سمى ابوك داود قال لا قالت لانه داوى جراحة قلبه وهل تدرى لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم القلب والصدر ثم قالت اتدرى لم سخر الله لك الريح قال لا قالت اخبرك الله تعالى بذلك ان الدنيا كلها ريح فمن اعتمد عليها فكأنما اعتمد على الريح وقول النملة وهم لا يشعرون يدل على انها عرفت ان النبى عليه الصلاة والسلام معصوم فلا يقع منه قتل وايذآء بغير ذنب الا على سبيل السهو وهذا تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الانبياء ولفظة نملة فى قوله تعالى قالت نملة مؤنث حقيقى بدليل لحوق علامة التأنيث فعلها لان نملة تطلق على الذكر والانثى فاذا اريد تمييز ذلك احتيج الى مميز خارجى نحو نملة ذكر ونملة انثى وكذا لفظ حمامة ويمامة من المؤنثات اللفظية * ذكر الامام ان قتادة دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حديث السنّ فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة رضى الله عنه كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله تعالى وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقيل قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة فى وقوعهما على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى انتهى يعنى ان التأنيث لفظى ومعنوى واللفظى لا يعتبر فى لحوق علامة التأنيث بالفعل البتة بدليل انه لا يجوز قامت طلحة ولا حمزة على مذكرتين ان يكون اللحوق انما هو للتأنيث المعنوى **قوله** نهى لهم

(حتى اذا أتوا على وادى النمل) وادبالشأم كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من عال اولان المراد قطعه من قولهم اتى على الشئ اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادى (قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم) كأنها لما رأتهم متوجهين الى الوادى فرّت منهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة فنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع ان خلق الله فيها العقل والنطق (لا يحطمنكم سليمان وجنوده) نهى لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك ههنا فهو استئناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا يدخله فى السعة (وهم لا يشعرون) انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كأنها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذآء

عن الحطم ﴿ يعنى ان النهى فى لا يحطمنكم متوجه الى سليمان وجنوده ظاهرا لكنه كناية فى المعنى عن نهى النمل عن الوقوف فى مكانهم فيحطمهم سليمان وجنوده كما ان النهى فى لا ارينك ههنا متوجه بحسب الظاهر الى المتكلم لكنه كناية عن نهى المخاطب عن الوقوف فى مكانه فيراه فان وقوف المخاطب فيه ملزوم لرؤية المتكلم اياه فجعل النهى عن اللازم كناية عن النهى عن الملزوم والفاء فى قوله فهو استئناف او بدل من الامر لتفريع جواز كل واحد من الامرين على كون النهى المذكور كناية عن نهى النمل عن الوقوف لانه لو كان النهى على ظاهره لما جاز كون لا يحطمنكم بدلا من قوله ادخلوا لان نهى الجماعة لا يصلح ان يكون بدلا من الامر لجماعة اخرى بخلاف ما لو جعل كناية فان المأمور والمنهى حينئذ يكون جماعة النمل فتصح البدلية ومعنى كلامه انه لما كان نهى الجنود عن الحطم كناية عن نهى النمل عن الوقوف جاز ان يكون لا يحطمنكم نهيا مستأنفا لا تعلق له بما قبله من حيث الاعراب وان يكون بدلا من جملة الامر قبله وهى ادخلوا ولا مدخل لكون النهى كناية فى جواز كونه نهيا مستأنفا وانما المتفرع عليه جواز كل واحد من الامرين ﴿ قوله وقيل استئناف ﴾ عطف على مافهم من تقرير كلامه من ان قوله وهم لا يشعرون حال من فاعل لا يحطمنكم ﴿ قوله تعالى فتبسم ضاحكا ﴾ ليس معناه انه عليه الصلاة والسلام ضحك متبسما لان التبسم والضحك لا يجتمعان بل اراد انه بالغ فى تبسمه حتى بلغ نهايته التى هى اول مراتب الضحك وكأنه قيل فتبسم شارعا فى الضحك وآخذا فيه ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولاختصاصه بهذه النعمة الجليلة التى هى سماعه ما همس به بعض النمل الذى هو مثل فى الصغر واحاطته بمعناه فان احدا من الناس لم يسمع صوت النملة فضلا عن ان يفهم غرضها منه ﴿ قوله اجعلنى ازع شكر نعمتك ﴾ اشارة الا ان همزة اوزع للتعدية وانه من الوزع بمعنى الكف والمنع عن التفرق والانتشار والوازع من يكف الرعية عن التظالم والفساد وقد مر آنفا أن قوله تعالى فهم يوزعون بمعنى يحبسون ويمنعون عن الانتشار حتى يجتمعوا فى مسيرهم فانه احسن فى الهيئة وأهيب فى الرؤية سأل عليه الصلاة والسلام ان يجعله الله تعالى وازعا لجيش شكره فيكون قوله اوزعنى ان اشكر استعارة مكنية حيث شبه الشكر بالجماعة النافرة وجعل تعليق الوزع والربط به تخييلا وقرينة للتشبيه المضمر فى النفس ورد فى الحديث * النعمة وحشية قيدوها بالشكر فانها اذا شكرت قرّت واذا كفرت فرّت ﴿ قوله أدرج فيه ذكر والديه ﴾ اى ادرج ذكر النعمة الواصلة اليهما فى ذكر النعمة المستدعية لشكر نفسه ﴿ قوله فان النعمة عليهما نعمة عليه ﴾ ضرورة ان انتساب الابن الى الاب شريف نعمة من الله تعالى على الابن فيشكر تلك النعمة الواصلة منه تعالى الى الابن ﴿ قوله والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية ﴾ فان الابن اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنون لهما كما دعوا له وقالوا رضى الله عنك وعن والديك فاشتغل بشكر نعم الله تعالى على والديه ايضا اشعارا بان نعمتهما من آثار ما انعم به عليه ﴿ قوله فى عدادهم الجنة ﴾ لفظ الجنة بدل من العداد المقدّر يعنى ان المراد من ادخاله فى العباد ادخاله فى عدادهم والمقصود منه ادخاله فيما هى لهم وهو الجنة لانه قد سأل ان يوفقه الله تعالى للاعمال الصالحة ودخوله فى زمرة الصالحين بقوله وأن أعمل صالحا ترضاه فلو حمل قوله وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين على طلب التوفيق للاعمال الصالحة لكان تكرارا فالآية دليل على ان دخول الجنة انما يكون برحمة الله وفضله لا باستحقاق العبد وصلاحه والصالح الكامل هو من لا يعصى الله ولا يهم بمعصية وهو درجة عالية بطلبها كل نبىّ وولىّ ﴿ قوله وتعرّف الطير ﴾ اى طلبه وبحث عنه والتفقد طلب ما فقد وغاب عنك ﴿ قوله ام منقطعة ﴾ لان قوله مالى لا ارى الهدهد تعجب من عدم رؤية الهدهد وهو يستدعى كون حضور الهدهد مجزوما به عنده فلا وجه لكون الاستفهام لطلب التعيين بل يجب ان يكون للاضراب عن ظنّ كونه حاضرا عنده ﴿ قوله او جعله مع ضدّه فى قفص ﴾ عدّ ذلك من العذاب الشديد لما قيل أضيق السجون معاشرة الاضداد قرأ ابن كثير ليأتينى بنونين اولاهما نون التأكيد المشدّدة المفتوحة وثانيتهما نون الوقاية المكسورة والباقون بنون واحدة مشدّدة مكسورة والاصل قراءة ابن كثير لكن حذفت النون التى قبل ياء المتكلم كراهة لاجتماع النونات ﴿ قوله والحلف فى الحقيقة على احد الاولين ﴾ جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام حلف على ثلاثة اشياء اثنان منها فعله فيصح الحلف عليهما بأن يقول والله لأعذبنه او لأذبحنه والثالث فعل الهدهد وهو اتيانه بحجة يبين عذره فى غيبته فكيف يصح حلفه على ما هو فعل غيره ومن أين درى انه يأتى بسلطان بين حتى يقول او ليأتينى بسلطان * وتقرير الجواب

وقيل استئناف اى فهم سليمان والقوم لا يشعرون ﴿ فتبسم ضاحكا من قولها ﴾ تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدآئها الى مصالحها او سرورا مما خصه الله به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره ﴿ وقال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك ﴾ اجعلنى ازع شكر نعمتك عندى اى اكفه وارتبطه لا ينفلت عنى بحيث لا انفك عنه وقرأ البزى وورش بفتح ياء اوزعنى ﴿ التى انعمت علىّ وعلى والدىّ ﴾ أدرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية ﴿ وأن أعمل صالحا ترضاه ﴾ تماما للشكر واستدامة للنعمة ﴿ وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين ﴾ فى عدادهم الجنة ﴿ وتفقد الطير ﴾ وتعرّف الطير فلم يجد فيها الهدهد ﴿ فقال مالى لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين ﴾ ام منقطعة كأنه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال مالى لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فأضرب عن ذلك واخذ يقول بل اهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له ﴿ لأعذبنه عذابا شديدا ﴾ كنتف ريشه والقائه فى الشمس او حبث النمل تأكله او جعله مع ضدّه فى قفص ﴿ او لأذبحنه ﴾ ليعتبر به ابناء جنسه ﴿ او ليأتينى بسلطان مبين ﴾ بحجة تبين عذره والحلف فى الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما

ان الاشكال انما يرد ان لو حلف على وقوع الثالث بخصوص وليس كذلك بل حلف ليكونن احد الامور الثلاثة ومحصوله انه ان وقع الثالث لايكون ذبح ولا تعذيب وان لم يقع يكون احد الامرين لامحالة ولا محذور فى الحلف على هذا الوجه ﴿قوله زمانا غير مديد﴾ يعنى ان قوله عليه الصلاة والسلام غير بعيد صفة زمان ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اى مكثا غير مديد فأتاه الهدهد بحجة تبين عذره فى غيبته فقال احطت بما لم تحط به اى اطلعت على مالم تطلع عليه وعلمته من جميع جهاته بحيث لايخفى علىّ منه شئ فان الاحاطة بالشئ علما أن يعلمه من جميع جهاته بحيث لايخفى منه معلوم اصلا ﴿قوله باطباق وبغير اطباق﴾ الاطباق ان تدفع ظهر لسانك الى مايحاذيه من الحنك الاعلى عند تلفظ حرف من الحروف المطبقة واختلفوا فى ان الحروف المطبقة اذا ادغمت فى غير المطبقة هل يبقى مافيها من الاطباق اولا والظاهر ان الاطباق يقتضى بقاء المطبقة بحالها وعند ادغامها فى غير المطبقة يجب ابدالها الى المدغم فيه فلا يبقى الاطباق مع ابدالها ﴿قوله غير مصروف﴾ اى قرأ من سبأ بفتح الهمزة للعلمية والتأنيث وقرأه الباقون بالجرّ والتنوين وجعلوه اسما للحىّ او المكان وسبأ فى الاصل اسم رجل من قحطان واسمه عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وسبأ لقب له لانه اوّل من سبأ ثم اطلق على القبيلة وعلى البلد ايضا والنبأ الخبر الذى له شأن ﴿قوله وكان الهدهد رآنده﴾ اى طالبا يطلب له الماء يقال راد الكلأ يروده رودا وريادة اى طلبه فهو رائد وكان الهدهد قنقن سليمان وهو الدليل الهادى البصير بالماء تحت الارض وكيفية حفر القنى وكذلك القناقن بالضم والجمع القناقن بالفتح وكان الهدهد يرى الماء تحت الارض كما يرى الماء فى الزجاجة ويعرف الفصل بين قريبه وبعيده فيدلهم على موضع الماء بان ينقره بمنقاره ثم الشياطين يسلخون عنه الارض كما يسلخ الاهاب عن المذبوح ذكر ان ابن عباس رضى الله عنه لما قال ان سليمان طلبه لانه كان يعلم مسقاة الماء ويبصره تحت الارض قيل له ان الصبى يضع له الفخ فيغطيه بالتراب فكيف لايعرفه حتى يقع فيه فقال ويحك اما علمت ان القدر يحول دون البصر وانه اذا جاء القضاء عمى البصر ﴿قوله فوافى الحرامى﴾ اى اتاه ﴿قوله اذ خلق﴾ علة لقوله لم يجده وتحليق الطائر ارتفاعه فى طيرانه ﴿قوله فتوا صفا﴾ اى وصف كل واحد من الهدهدين ملك صاحبه وصف هدهد سليمان للآخر ملك سليمان وما يتخوّله من كل شئ ووصف هدهد بلقيس ملك بلقيس وان تحت يدها اثنى عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة ﴿قوله والضمير فى تملكهم لسبأ﴾ يعنى ضمير تملكهم لسبأ ان اريد به القبيلة او لاهلها ان اريد بها البلدة باضمار اهلها او بطريق الاستخدام حيث اريد بالاسم الظاهر احد معنييه وبضميره معناه الآخر ﴿قوله واوتيت من كل شئ يحتاج اليه الملوك﴾ حمل كل شئ فى حق بلقيس على اسباب الدنيا ولوازم الملوك لئلا يلزم التسوية بينها وبين سليمان عليه الصلاة والسلام فان المراد بقوله عليه الصلاة والسلام واوتينا من كل شئ ما اوتى من النبوّة والعلم والحكمة والملك واسباب الدنيا ﴿قوله عظيم بالنسبة اليها او الى عروش امثالها﴾ جواب عما يقال كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان وايضا كيف سوىّ بين عرش بلقيس وعرش الرحمن فى الوصف بالعظم والسمك البعد الآخذ من السفل الى العلو وعكسه العمق وكان ابو بلقيس ملكا عظيم الشان وكان يقول للملوك الاطراف ليس احد منكم كفؤا لى وأبى ان يتزوّج منهم فزوّجوه امرأة من الجنّ يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها فلما مات ابوها طمعت فى الملك فطلبت من قومها ان يبايعوها فأطاعوها وملكوها وفى الحديث *ان احد ابوى بلقيس كان جنيا وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس ﴿قوله فصدّهم لان لايسجدوا﴾ وقرأ الجمهور ألا بالتشديد على ان اصلها ان لا فأن ناصبة للفعل بعدها ولذلك سقطت نون الرفع من الفعل ولا بعدها حرف نفى وان مع مابعدها فى موضع المفعول له لقوله فصدّهم اى فصدّهم عن سبيل الحق لاجل ان لايسجدوا فحذفت لام الاجل وادغمت النون فى اللام فصار الايسجدوا والوجه الثانى ان تكون ان مع مابعدها بدلا من اعمالهم وما بينهما اعتراضا تقديره وزين لهم الشيطان عدم السجود لله عز وجل والوجه الثالث ان تكون ان ومابعدها فى موضع مفعول يهتدون على اسقاط الخافض اى الى ان لايسجدوا وتكون لا مزيدة كزيادتها فى قوله لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لايهتدون الى ان يسجدوا لله وان قرئ الا مخففا يكون ألا حرف تنبيه يستفتح بها الكلام ومابعدها حرف ندآء واسجدوا فعل امر فحق الخط على هذه القرآءة ان يكون على صورة يا اسجدوا الا ان الصحابة اسقطوا ألف يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطا لما سقطا لفظا ووصلوا الياء بسين اسجدوا فصارت على صورة

(يسجدوا)

﴿فمكث غير بعيد﴾ زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف ﴿فقال احطت بما لم تحط به﴾ يعنى حال سبأ وفى مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على انّ فى أدنى خلق الله تعالى من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء فى التاء باطباق وبغير اطباق ﴿وجئتك من سبأ﴾ وقرأ ابن كثير وابو عمرو وغير مصروف على تأويل القبيلة او البلدة ﴿بنبأ يقين﴾ بخبر محقق روى انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام به ماشاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فأعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ خلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقفا فانحط اليه فتواصفا فطار معه لينظر ماوصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ماحكى ولعل فى عجائب قدرة الله وماخص به خاصة عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها ﴿انى وجدت امرأة تملكهم﴾ يعنى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير فى تملكهم لسبأ اولاهلها ﴿واوتيت من كل شئ﴾ يحتاج اليه الملوك ﴿ولها عرش عظيم﴾ عظمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا فى ثلاثين عرضا وسمكا اوثمانين فى ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ كأنهم كانوا يعبدونها ﴿وزين لهم الشيطان اعمالهم﴾ عبادة الشمس وغيرها من مقابيح افعالهم ﴿فصدّهم عن السبيل﴾ سبيل الحق والصواب ﴿فهم لايهتدون﴾ اليه ﴿الايسجدوا لله﴾ فصدّهم لأن لايسجدوا اوزين لهم ان لايسجدوا على انه بدل من اعمالهم أولايهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائى ويعقوب ألا بالتخفيف على انها للتنبيه وياللندآء ومناداه محذوف اى الا ياقوم اسجدوا كقوله

يسجدوا كما قرئ فاتحدت القرآءتان لفظا وخطا واختلفتا تقديرا ومثل لحذف المنادى مع بقاء حرف النداء بقوله

* فقالت الا ياسمع اعظك بخطة * فقلت سميعا فانطق وأصيبى *

اى الا ياصاحبى اسمع والخطة الخصلة المهمة وقوله فقلت سميعا اى ناديت سميعا ﴿قوله وعلى هذا﴾ اى على قرآءة التخفيف كما يجوز ان ينتهى كلام الهدهد عند قوله رب العرش العظيم يجوز ان ينتهى عند قوله لا يهتدون ويوقف عليه ويكون قوله الا يسجدوا استئناف خطاب من الله تعالى للمشركين او من قبل سليمان عليه الصلاة والسلام لقومه بعد تمام كلام الهدهد وعلى قرآءة التشديد لا يوقف الا على العرش العظيم ﴿قوله وعلى الوجهين يقتضى وجوب السجود فى الجملة﴾ بمعنى انها لا تجب على الفور بل وقتها موسع فى اى وقت اديت تكون ادآء لا قضاء وهو ردّ على من فرّق بين القرآءتين فأوجبها على قرآءة التخفيف نظرا الى وجود لفظ الامر فيها ولم يوجبها على قرآءة التشديد لعدم وجود لفظ الامر فيها ولم يرض المصنف بهذا الفرق لان السجدة كما تجب بالامر بها تجب ايضا بذم من تركها وبمدح من اتى بها ففى قرآءة التشديد وان لم يصرّح بالامر بها الا انها تدل على ذم من تركها فتدل على الوجوب ايضا وفى كلام الفارق بينهما بحث آخر وهو ان الامر المتحقق فى قرآءة التخفيف اما ان يكون من كلام الله تعالى او من كلام الهدهد محكيا عنه فان كان من كلام الله تعالى فدلالته على الوجوب ظاهرة وان كان من كلام الهدهد وهو الظاهر ففى دلالته على الوجوب نظر الا ان يقال انه تعالى لما حكى كلامه على طريق الارتضاء والقبول كان كأنه قرّر مضمونه واوجبها ابتدآء من قبل نفسه فكانت قرآءة التخفيف دليلا على الوجوب سوآء كان مافيها من لفظ الامر من كلام الله تعالى او من كلام الهدهد ﴿قوله وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء﴾ مع تشديدها وتخفيفها وقرئ الا تسجدون وهلا تسجدون بالتخفيف فيهما وتاء الخطاب واثبات نون الرفع فمن اثبت نون الرفع جعل الاحرف تحضيض او للعرض كما فى ألا تنزل عندنا ﴿قوله والخبأ ما خفى فى غيره﴾ الخبأ فى الاصل مصدر خبأت الشئ اخبأه خبأ اى سترته واخفيته ثم اطلق على الشئ المخبوء ونحوه هذا خلق الله اى مخلوقه والمخبوء فى السموات كالكواكب والامطار اخرجها الله تعالى باشراق الكواكب وانزال الامطار والمخبوء فى الارض كالنبات اخرجه الله تعالى بانباته والانشاء ايجاد الشئ المسبوق بالمادّة والابداع ايجاد ما ليس بمسبوق بها والمقصود من وصفه تعالى بالتفرّد بكمال القدرة حيث قيل يخرج الخبأ وبالتفرّد بكمال العلم حيث قيل ويعلم ما يخفون وما يعلنون الحث على السجود له تعالى والردّ على من يسجد لغيره كالشمس وتقرير كونه ردّا عليه ان الاله يجب ان يكون قادرا على اخراج الخبأ وعالما بالخفيات والشمس مثلا ليست كذلك فهى لا تكون الها واذا لم تكن الها لم يجز السجود لها اما ان الاله يجب ان يكون قادرا وعالما على الوجه المذكور فلانه يجب ان يكون واجبا لذاته فلا تختص قادريته وعالميته ببعض المقدورات والمعلومات دون البعض واما ان الشمس ليست كذلك فلأنها جسم متناه وكل ما كان متناهيا فى الذات كان متناهيا فى الصفات ﴿قوله فبين العظيمين﴾ احدهما عرش بلقيس والآخر عرش الله العظيم يعنى ان قوله تعالى لا اله الا هو رب العرش العظيم سوآء كان من كلام الله تعالى او من كلام الهدهد يكون المقصود منه الاشارة الى البون البعيد بين العظيمين فان كان من كلام الهدهد يكون المقصود استدراكا منه لما وصف عرش بلقيس بالعظم وان كان من كلام الله يكون المقصود الردّ عليه فى وصفه عرشها بالعظم ﴿قوله والتغيير للمبالغة﴾ فان ام كنت من الكاذبين ابلغ من ام كذبت لان معناه من الذين اشتهروا بالكذب وانخرطوا فى سلك الكاذبين ﴿قوله ماذا يرجع بعضهم﴾ اى ماذا يرد من الجواب من الرجع وهو الردّ ان جعلنا النظر بمعنى التأمّل والتفكر كانت ما فى قوله ماذا يرجعون استفهامية وفيها حينئذ وجهان احدهما ان تجعل مع ذا بمنزلة اسم واحد منصوب بيرجعون على انه مفعوله تقديره اى شئ يرجعون وثانيهما ان تجعل ما مبتدأ وذا بمعنى الذى ويرجعون صلتها وعائدها محذوف وتقديره اى شئ الذى يرجعونه وهذا الموصول هو خبر ما الاستفهامية وعلى التقديرين فالجملة الاستفهامية معلقة لانظر فمحلها النصب على اسقاط الخافض اى انظر فى كذا وفكر فيه وان جعلتها بمعنى انتظر كما فى قوله انظرونا نقتبس من نوركم كانت ماذا بمعنى الذى ويرجعون صلتها وعائدها محذوف وهذا الموصول مع ما فى حيزه مفعول به لانظر اى انتظر الذى يرجعونه ﴿قوله لكرم مضمونه﴾ اى ما فى مضمونه من اللفظ والمعنى ﴿قوله او مرسله﴾ وعرفت كرم مرسله بناء على انها لما رأت الخاتم ارتعدت فرآئصها وخضعت لان ملك سليمان كان فى خاتمه

ألا ياسمع أعظك بخطة * فقلت سميعا فانطق واصيبى * وعلى هذا صح ان يكون استئنافا من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون وكان امرا بالسجود وعلى الاوّل ذمّا على تركه وعلى الوجهين يقتضى وجوب السجود فى الجملة لا عند قرآءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب ﴿الذى يخرج الخبأ فى السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون﴾ وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرّد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردّا على من يسجد لغيره والخبأ ما خفى فى غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما فى الشئ بالقوّة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما فى الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائى ما تخفون وما تعلنون بالتاء ﴿الله لا اله الا هو رب العرش العظيم﴾ الذى هو اوّل الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم ﴿قال سننظر﴾ سنتعرّف من النظر بمعنى التأمل ﴿أصدقت ام كنت من الكاذبين﴾ اى ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل ﴿اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم﴾ ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ﴿فانظر ماذا يرجعون﴾ ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول ﴿قالت﴾ اى بعد ما ألقى اليها ﴿يا أيها الملأ انى ألقى الىّ كتاب كريم﴾ لكرم مضمونه او مرسله

او لانه كان مختوما او لغرابة شانه اذ كانت مستلقية فى بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة و ألقاه على نحرها بحيث لم تشعر به ﴿انه من سليمان﴾ استئناف كأنه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اى الكتاب او العنوان من سليمان ﴿وانه﴾ اى وان المكتوب او المضمون وقرئ بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا علىّ﴾ ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف اى هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل من كتاب ﴿وأتونى مسلمين﴾ مؤمنين او منقادين وهذا الكلام فى غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا والتزاما والنهى عن الترفع الذى هو أمّ الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامّهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الادلة ﴿قالت يأيها الملأ أفتونى فى امرى﴾ أجيبونى فى امرى الفتىّ واذكروا ماتستصوبون فيه ﴿ما كنت قاطعة امرا﴾ ما ابت امرا ﴿حتى تشهدون﴾ الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة ﴿قالوا نحن اولو قوة﴾ بالاجساد والعدد ﴿واولوا بأس شديد﴾ نجدة وشجاعة ﴿والامر اليك﴾ موكول ﴿فانظرى ماذا تأمرين﴾ من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رأيك ﴿قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها﴾ تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادّعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بأنها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد مايصادفه من اموالهم وعمارتهم ثم ان الحرب سجال لايدرى عاقبتها ﴿وجعلوا اعزة اهلها اذلة﴾ ينهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر ﴿وكذلك يفعلون﴾ تأكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بأن ذلك من عادتهم الثابتة المستمرّة او تصديق لها من الله عزوجل ﴿وانى مرسلة اليهم بهدية﴾ بيان لما ترى تقديمه للمصالحة والمعنى انى مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكى ﴿فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روى انها بعثت منذر بن عمرو فى وفد وارسلت معهم غلمانا على زىّ الجوارى وجوارى على زى الغلمان وحقافيه درّة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا عظم شأنه تقاصر اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال طلب الحق واخبر عما فيه فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت فى الدرّة وامر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت فى الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم ردّ الهدية ﴿فلما جاء سليمان﴾ اى الرسول او ما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا ﴿قال أتمدّوننى بمال﴾ خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء ﴿فما آتانى الله﴾ من النبوّة والملك الذى لامزيد عليه وقرأ نافع وابو عمرو وحفص باسكان الياء وباسقاطها الباقون وبامالتها الكسائى وحده ﴿خير مما آتاكم﴾ فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها عندى

وعرفت الذى ارسل الكتاب اعظم ملكا منها لطاعة الطير اياه وهيبة الخاتم ﴿قوله او لانه كان مختوما﴾ فان مجرّد ختم الكتاب يكفى لصحة توصيفه بالكرم لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * كرم الكتاب ختمه * وكان عليه الصلاة والسلام يكتب الى العجم فقيل له انهم لايقبلون الا كتابا عليه خاتم فاتخذ لنفسه خاتما نقشه اى الخاتم محمد رسول الله وقال مقاتل أتاها الهدهد وهى جالسة فى قصرها فرفرف على رأسها ساعة والناس ينظرون فرفعت رأسها ناظرة اليه فألقاه فى حجرها ففزعت وكانت عربية من قوم تبع ﴿قوله استئناف﴾ يعنى انه من كلام بلقيس اجابت به لمن قال ممن هو او ما هو اى ما صفته وليس مما كتبه سليمان فى كتابه حتى يقال كيف قدم سليمان اسمه على قوله بسم الله الرحمن الرحيم فان بلقيس اذا ذكرت ان هذا الكتاب من سليمان ثم حكمت مافى الكتاب بانه كيت وكيت لم يرد ذلك ثم ان العامة قرأوا انه وانه بكسر الهمزة فيهما على الاستئناف جوابا لسؤال قومها كأنهم قالوا ممن الكتاب ومافيه فأجابتهم بالجوابين وقرئ بفتح الهمزة فيهما اما على انه بدل من كتاب بدل اشتمال او بدل الكل من كتاب كأنه قيل القى الىّ أنه من سليمان وأنه كذا وكذا واما على اسقاط لام العلة والتقدير لانه من سليمان ولانه كذا وكذا كأنها علات كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدرا ببسم الله الرحمن الرحيم ﴿قوله أن مفسرة﴾ بناء على ان بسم الله متعلقة بالقول كأنه قيل اقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم فسر المقول بقوله ان لا تعلوا علىّ ولا تتكبروا وان كانت مصدرية تكون مع صلتها فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او على انه بدل من كتاب كأنه قيل القى الىّ أن لا تعلوا ﴿قوله مع كمال الدلالة على المقصود﴾ وهو الدعوة الى الاستكمال بالقوّة النظرية والعملية والتحلى بالفضائل العلمية والعملية والعلم مقدّم على العمل فابتدأ بقوله بسم الله الرحمن الرحيم لاشتماله على اثبات الصانع تعالى وصفاته صريحا والتزاما اما صريحا فظاهر واما التزاما فلان ماذكر صريحا يستلزم كونه تعالى حيا مريدا عالما قادرا * ولما ورد ان يقال النهى عن الاستعلاء والامر بالانقياد قبل اقامة مايدل على رسالته حقا يدل على الاكتفاء بالقدر والدعوة اليه * اجاب عنه بان لا تقليد والحال ان رسول سليمان الى بلقيس كان الهدهد و رسالة الهدهد معجزة والمعجزة تدل على وجود الصانع وعلى صفاته وتدل على صدق مدّعى الرسالة فلما كانت رسالة الهدهد دليلا تاما على التوحيد والنبوّة لم يحتج الى ذكر دليل آخر روى ان نسخة الكتاب كانت هكذا بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين وكانت كتب الانبياء جملا لايطيلون ولا يكثرون ويجوز ان يكون الكتاب اطول من هذا القدر لكن الله تعالى ذكر ماهو المقصود منه وهو دعاؤها الى التوحيد ﴿قوله فى امرى الفتىّ﴾ اى الحادث عن قريب والفتى الشاب والفتاة الشابة والفتوى هى الجواب فى الحادثة والمعنى اشيروا علىّ بما عندكم من الرأى والتدبير فيما حدث من الامر بلفظ مشتق من الفتاء فى السنّ وهو لفظ الفتوى لجامع الحداثة ﴿قوله ليمالئوها﴾ اى ليعاونوها يقال مالأته على الامر مما لأة اى ساعدته عليه مساعدة وتمالأوا على الامر اى اجتمعوا عليه وتعاونوا فأجابها قومها بان ذكروا لها قوّتهم وشجاعتهم تعريضا منهم بالقتال ان امرتهم بذلك ثم قالوا والامر اليك اى فى القتال وتركه ولما أحست منهم الميل الى المحاربة رأت ان من الرأى الميل الى الصلح والابتداء بما هو احسن فزيفت اوّلا ماذكروه وأرتهم الخطأ فيه وقالت ان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا خرّبوها وقوله تعالى وكذلك يفعلون من تمام قولها اراد ت وهذه عادتهم المستمرّة التى لاتتغير لانها كانت ربيت فى بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ويجوز ان ينتهى كلامها عند قولها اذلة ثم صدّقها الله تعالى فيما قالت فقال وكذلك يفعلون اى وكما قالت هى تفعل الملوك ثم قالت الرأى المستقيم ان نبتدئ بارسال رسل ملتبسين بهدية فننظر بم يرجع المرسلون وقوله بم متعلق بيرجع لا بقوله ناظرة لان اسم الاستفهام له صدر الكلام * واعلم ان بلقيس كانت امرأة لبيبة حيث اختارت ان ترسل اليهم اى الى سليمان وقومه هدية وان تختبر بها أملك هو أم نبىّ وقالت ان يكن ملكا قبل الهدية ورضى بها وان يكن نبيا لم يقبل الهدية ولم يرض منا الا بان نتبعه على دينه فذلك قولها فناظرة بم يرجع المرسلون فان هذا الكلام يدل على انها لم تثق بالقبول وجوّزت الردّ وارادت ان ينكشف غرض سليمان ﴿قوله وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام﴾ اى بادغام نون الرفع فى نون الوقاية واما الياء فان حمزة يحذفها وقفا ويثبتها وصلا على قاعدته والباقون بنونين على الاصل جمعوا بين المثلين ولم يدغموا لان الثانية ليست بلازمة فانها تزاد مع ضمير المتكلم واما الياء فان نافعا وابا عمرو كحمزة يثبتانها وصلا ويحذفانها وقفا وابن كثير يثبتها فى الحالتين (والباقون)

﴿بل انتم بهديتكم تفرحون﴾ لانكم لاتعلمون الاظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليهم وتعليله الى

والباقون يحذفونها فى الحالتين وروى عن نافع انه يقرأ بنون واحدة خفيفة وياء على حذف النون الثانية التى تصحب ضمير المتكلم وحذف الاولى لحن لانها علامة ومعنى قوله أتمدّوننى بمال أتزيدوننى مالا بهديتكم وهذا استفهام انكار اى لاتطلب زيادة فى المال فكأنه قيل لا اقبل هديتكم بل اردّها عليكم ثم علل هذا الانكار بقوله فما آتانى الله خير مما آتاكم ثم اضرب عن انكار الاهداء وتعليله الى ذمهم بالاغترار بالامور العاجلة وغفلتهم عن الفضائل الروحانية والامور الاخروية فقال بل انتم بهديتكم تفرحون كانه قال انا لا ارضى بالهدية والمصانعة بل انتم تفرحون بذلك لان نظركم مقصور على زخارف الدنيوية وفرحى بالنبوّة والعلم والامور الاخروية قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون هذا على ان تكون الهدية فى قوله بهديتكم مضافا الى المهدى اليه فان الهدية اسم لما يهدى اى يبعث الى شخص تكرّما كما ان العطية اسم لما يعطى فتضاف تارة الى المهدى وتارة الى المهدى اليه يقال هدية فلان فيراد اهداها فلان او اهديت اليه والمراد هنا الاضافة الى المهدى اليه والمعنى بل انتم بالاهداء اليكم تفرحون ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الى المهدى ويكون المعنى بل انتم بهذه التى اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها فيكون وجه الاضراب حينئذ انه لما قال أتمدّوننى بمال وكان ذلك متضمنا معنى انظنونى افرح بهديتكم والمعنى انى لا افرح بهديتكم اضرب عنه بقوله بل انتم بهديتكم تفرحون ﴿قوله تعالى فلنأتينهم﴾ جواب قسم محذوف وكذلك ولنخرجنهم اى فوالله لنأتينهم *فان قيل كيف حلف سليمان على ذلك ولم يحفظ يمينه *فالجواب انه معلق على شرط حذف لدلالة المقام عليه اى ان لم يأتوا مسلمين وحقيقة قوله لاقبل لهم لامقابلة ولا طاقة عليها قال ابن عباس رضى الله عنهما لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان واخبروها الخبر قالت قد عرفت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمان انى قادمة اليك بملوك قومى حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك ثم ارتحلت الى سليمان فى اثنى عشر الف قائد تحت كل قائد مائة قائد تحت كل قائد الوف فلما قربت منه على مقدار فرسخ بينها وبين سليمان رأى سليمان وهجا قريبا اى توقد نار فقال ماهذا قالوا بلقيس قد نزلت بهذا المكان فاقبل سليمان على جنوده حينئذ فقال ياايها الملأ ايكم يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين وقد روى انها لما خرجت الى طاعة سليمان امرت ان يجعل عرشها فى آخر سبعة ابيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصور سبعة وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ﴿قوله لانه يقال للرجل الخبيث﴾ تعليل لكون من التبيين فان ماقبلها يجب ان يكون اعم من مدخولها وههنا كذلك فان العفر والعفرية والعفريت والعفرنية والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذى يعفر اقرانه اى يلقيهم فى التراب ومن الشياطين الخبيث المارد واشتقاقه من العفر وهو التراب ﴿قوله انا آتيك﴾ يجوز ان يكون فعلا مضارعا على وزن افعل نحو اضرب واصله أأتيك بهمزتين فأبدلت الثانية الفا وان يكون اسم فاعل فالالف زائدة والهمزة اصلية على عكس الاوّل ﴿قوله والطرف تحريك الاجفان للنظر﴾ فالطرف بالنسبة الى النظر كالنظر بالنسبة الى الرؤية فان الناظر اذا اراد النظر الى شئ حرّك اجفانه نحو ذلك الشئ فهو ارسال الطرف واذا اراد الامساك عنه ردّ الاجفان الى مكانها الاوّل فلما كان وضع الطرف موضع النظر عبارة عن امتداد النور من العين الى المرئىّ كان اغماض الجفن يوهم ان ذلك النور ارتدّ الى العين ورائدا فى البيت نصب على الحال من طرفك وجواب اذا التعبتك والرائد الذى يتقدّم القوم لطلب الكلأ لهم اى اذا جعلت عينك رائدا لقلبك لطلب هواها تتعبك مناظرها وتوقعك فى اشق المكاره ثم ان الشاعر فصل ماأجمله فى قوله اتعبتك المناظر بقوله فى البيت الثانى

* رأيت الذى لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه انت صابر *

واختلف المفسرون فى قوله قبل ان يرتدّ اليك طرفك على وجهين الاوّل انه اراد المبالغة فى السرعة كما تقول لصاحبك افعل ذلك فى لحظة وهذا قول مجاهد والثانى ان يكون الكلام على ظاهره* فان قيل كيف يجوز ان ينقل العرش من ناحية اليمن الى ارض الشام فى هذا القدر من الزمان وهو يقتضى اما القول بالحركة او حصول الجسم الواحد دفعة واحدة فى مكانين *اجيب عنه بان المهندسين قالوا كرة الشمس مثل كرة الارض مائة واربعا وستين مرّة ثم ان زمان طلوعها زمان قصير فاذا قسمنا زمان طلوع تمام القرص على زمان المقدار الذى بين الشام واليمن كانت تلك اللمحة كثيرا فلما ثبت عقلا امكان وجود هذه الحركة السريعة وثبت انه تعالى قادر على كل

فيها ﴿ارجع﴾ ايها الرسول ﴿اليهم﴾ الى بلقيس وقومها ﴿فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها﴾ لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقاتلتها وقرئ بهم ﴿ولنخرجنهم منها﴾ من سبأ ﴿اذلة﴾ بذهاب ما كانوا فيه من العزّ ﴿وهم صاغرون﴾ اسرآء مهانون ﴿قال ياايها الملأ ايكم يأتينى بعرشها﴾ اراد بذلك ان يريها بعض ماخصه الله به من العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه فى دعوى النبوّة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر أتعرفه ام تنكره ﴿قبل ان يأتونى مسلمين﴾ فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها ﴿قال عفريت﴾ خبيث مارد ﴿من الجنّ﴾ بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان اوصخرا ﴿انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك﴾ مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار ﴿وانى عليه﴾ على حمله ﴿لقوىّ امين﴾ لا اختزل منه شيأ ولا ابدّله ﴿قال الذى عنده علم من الكتاب﴾ آصف بن برخيا وزيره او الخضر او جبريل او ملك ايده الله به او سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب فى ﴿انا آتيك به قبل ان يرتدّ اليك طرفك﴾ للعفريت كانه استبطأه فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة فى نقله فتحدّاهم اوّلا ثم اراهم انه يتأتى له مالا يتهيأ لعفاريت الجنّ فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح وآتيك فى الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما فى قوله

وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما اتعبتك المناظر *

وصف ردّ الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شئ فقبل ان تردّه احضر عرشها بين يديك وهذا غاية فى الاسراع ومثل فيه ﴿فلما رآه﴾ رأى العرش ﴿مستقرّا عنده﴾ حاصلا بين يديه ﴿قال﴾ تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى ﴿هذا من فضل ربى﴾ تفضل به علىّ من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش فى مدّة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام فى امكان مثله قدمرّ فى آية الاسرآء

﴿ ليبلونى ء أشكر ﴾ بان اراه فضلا من الله بلاحول منى ولاقوة واقوم بحقه ﴿ ام اكفر ﴾ بان اجد نفسى فى البين او اقصر فى ادآء مواجبه ومحلهما النصب على البدل من الياء ﴿ ومن شكر فانما يشكر لنفسه ﴾ لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحطعنها عبئ الواجب ويحفظها من وصمة الكفران ﴿ ومن كفر فان ربى غنى ﴾ عن شكره ﴿ كريم ﴾ بالانعام عليه ثانيا ﴿ قال نكروا لها عرشها ﴾ بتغيير هيئته وشكله ﴿ ننظر ﴾ جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف ﴿ أتهتدى ام تكون من الذين لايهتدون ﴾ الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحرّاس ﴿ فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ﴾ تشبيها عليها زيادة فى امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل ﴿ قالت كأنه هو ﴾ ولم تقل هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها ﴿ واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ﴾ من تتمة كلامها كأنها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوّتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدّم من الآيات وقيل انه كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوّزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التى لايقدر عليها غير الله ولاتظهر الا على يد الانبياء عليهم الصلاة والسلام اى واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ماجاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدّث بما انعم الله عليهم من التقدّم فى ذلك شكرا له ﴿ وصدّها ما كانت تعبد من دون الله ﴾ اى وصدّها عبادتها الشمس عن التقدّم الى الاسلام اووصدّها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان ﴿ انها كانت من قوم كافرين ﴾ وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صدّ على الاوّل اى صدّها نشؤها بين اظهر الكفار اوالتعليل له ﴿ قيل لها ادخلى الصرح ﴾ القصر وقيل عرصة الدار ﴿ فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ﴾ روى انه امر قبل قدومها فبنى قصر صحنه من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وعن ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمز حملا على جمعه سئوق واسؤق ﴿ قال انه ﴾ ان ماتظنينه ماء ﴿ صرح ممرّد ﴾ مملس ﴿ من قوارير ﴾ من الزجاج

المكنات زال السؤال قال المصنف فى سورة الاسرآء والاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة ان مابين طرفى قرص الشمس ضعف مابين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرّة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من ثانية وقد برهن فى الكلام ان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على المكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى عليه السلام اوفيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات روى ان آصف بن برخيا قال لسليمان ارسل طرفك فنظر نحو اليمن فدعا آصف فغار الكرسى تحت الارض ونبع لدى كرسى سليمان قبل ان يرجع اليه طرفه ﴿ قوله نكروا لها عرشها ﴾ اى اجعلوه متنكرا متغيرا عن شكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه فالتنكير التغيير والتنكر التغير فلما امر سليمان عليه الصلاة والسلام الشياطين بذلك نكسوه اى جعلوا اسفله اعلاه وبنوا فوقه قبابا اخرى هى اعجب من تلك القباب وجعلوا موضع الجوهر الاحمر اخضر وبالعكس قيل لما جاءت بلقيس خاف الجنّ ان تفشى امرهم الى سليمان لانها كانت جنية وان يتزوّجها سليمان فتلد له ولدا فلا ينفكون من التسخير فاختالوا لتنفيره عنها فقالوا ان فى عقلها شيأ من الخفة وانها شعراء الساقين وان رجلها كحافر حمار فلما سمع سليمان ذلك امرهم بتنكير عرشها ليختبر بذلك عقلها وامر الشياطين بان يبنوا له صرحا ممردا اى قصرا مملسا من قارورة بيضاء تضطرب كأنها الماء لغاية صفائها ويجعلوا فيها تماثيل حيوانات الماء تسبح فيها ليقول لها عند مجيئها اليه ادخلى الصرح لتكشف عن ساقيها حيث ماأراد دخولها بناء على ظن انه ماء عظيم ليختبر بذلك حال ساقيها ورجليها وقيل امر سليمان بتنكير العرش واتخاذ الصرح ليعارضها بمثل مافعلت هى به فى امر الوصفاء والوصائف وتنكيرها اياهم وامر الدرّة العذراء والجزعة المعوجة الثقب فاهتدى هو عليه الصلاة والسلام لنبوّته ولم تهتد هى اليه فاستبان لها حاله بذلك فاطاعته واسلمت ﴿ قوله تشبيها عليها ﴾ اى تلبيسا من الشبهة بمعنى الالتباس وقالت فى الجواب كأنه هو ولم تقل هو هو ولاليس هو قال مقاتل عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها ووقفت فى محل التوقف لئلا تكذب وذلك من كمال عقلها فقيل لها انه عرشك فما اغنى عنك اغلاق الابواب وتسليط الحرّاس عليه ﴿ قوله تعالى واوتينا العلم من قبلها ﴾ ان كان من كلام بلقيس يكون ضمير قبلها راجعا الى الحالة او المعجزة الدال عليها السياق كانها قالت واوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوّتك قبل هذه الحالة بماشاهدناه من رسالة الهدهد وردّ الهدية وسائر ماعلمناه من قبل الرسل وان كان من كلام سليمان واتباعه يكون ضمير قبلها راجعا الى بلقيس فكأنّ سليمان وقومه قالوا انها قد اصابت فى جوابها وهى عاقلة وقد رزقت الاسلام ثم عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته على مايشاء من قبل هذه المرأة مثل علمها وغرضهم من ذلك شكر الله تعالى على ان خصهم بمزية التقدّم فى الاسلام ﴿ قوله وصدّها عبادتها الشمس ﴾ على ان يكون فاعل صدّ قوله ماكانت تعبد بمعنى عبادتها والظاهر ان هذه الجملة حينئذ تكون معطوفة على جملة واوتينا العلم على ان تكون من كلام سليمان واتباعه وان كانت من كلام بلقيس تكون هذه الجملة استئناف اخبار من الله بذلك ﴿ قوله اووصدّها الله ﴾ على ان يكون فاعل صدّ ضمير البارى وعلى هذا يكون قوله ماكانت تعبد فى محل النصب على اسقاط الخافض اى ومنعها الله عما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس اى منعها عن عبادة الشمس ﴿ قوله انها كانت ﴾ الجمهور على كسر همزة انها استئنافا وتعليلا وقرئ بالفتح على انها بدل مما كانت تعبد على تقدير كونها فاعل صدّ اى وصدّها انها كانت او على اسقاط لام العلة اى لانها فهى قريبة من قرآءة الجمهور ﴿ قوله وقيل عرصة الدار ﴾ اى قيل الصرح الصحن المنكشف من غير سقف وهو سوآء كان بمعنى القصر او العرصة مأخوذ من التصريح بالشئ وهو كشفه واظهاره ﴿ قوله حملا على جمعه ﴾ يعنى انه سمع من العرب فى جمع ساق سئوق واسؤق بالهمزة فاجرى عليه الواحد قال ابن عباس لما كشفت عن ساقيها ظهر قدم لطيف وساق حسن مدمج اى ممتلئ لكنه اشعر قيل انه عليه الصلاة والسلام تزوّجها وكره مارأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت بلقيس انى لم يمسنى حديدة قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقها فسأل الشياطين فقالوا نحتال لك حتى يكون ساقها كالفضة الملساء فاتخذوا النورة والحمام من يومئذ فلما ابصر سليمان ساقها وقدمها وعرف جمالها صرف بصره وقال انه صرح ممرّد من قوارير وذلك لانه لم يجزله النظر الى ساقها بعد ماتبين حال ساقها وانما جاز قبل ان يتبين حاله ولذلك افادها بذلك حتى تستر ساقها وتمريد البناء جعله مملسا يقال شجر امرد وغلام امرد اى لاورق له ولاشعر فلما قيل انه ليس بماء بل صرح ممرّد من

قوارير ارسلت ذيلها وسترت ساقها وتعجبت من ذلك واستحكم ماشاهدته من دلائل الوحدانية والنبوّة فقالت نادمة على ثباتها على الكفر فيما تقدّم من عمرها ومنشئة لعقد الاسلام بكمال الرغبة والايقان رب انى ظلمت نفسى فيما سبق من عمرى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقيل ارادت بظلمها نفسها سوء ظنها بسليمان حيث حسبت ان سليمان اراد ان يقتلها بان يغرقها فى اللجة قال محمد بن كعب القرظى لما ابصرت بلقيس الصرح قالت ماوجد ابن داود عذابا يقتلنى به الا الغرق فلما وقفت على حقيقة الحال قالت ظلمت نفسى حيث اساءت به الظنّ ﴿قوله وقد اختلف فى انه تزوّجها﴾ والمشهور انه تزوّجها واحبها حبا شديدا واقرّها على ملكها فكان يزورها كل شهر مرّة يقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له داود بن سليمان وامر الجنّ فبنوا لها مدينة بسيلحين وقصر غمدان بصنعاء وقيل زوجها ذا تبع ملك همدان فانه قد روى ان بلقيس لما اسلمت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك حتى ازوّجك اياه فقالت اومثلى يانبى الله ينكح الرجال وقد كان لى فى قومى الملك والسلطان قال نعم انه لايكون فى الاسلام الاذلك ولا ينبغى لك ان تحرّمى ما احل الله لك قالت فان كان ولابدّ فزوّجنى ذا تبع ملك همدان فزوّجها اياه وردّها الى اليمن ودعا زوبعة ملك جنّ اليمن وقال له اعمل لذى تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما اراد الى ان مات سليمان فلما مات سليمان وعلمت الجنّ موته نادى زوبعة يامعشر الجنّ قد مات سليمان فارفعوا رؤسكم فرفعوها وتفرّقوا وانقضى ملك ذى تبع وملك بلقيس مع انقضاء ملك سليمان فسبحان من لا انقضاء لدوام لاهوتيته وملكه * روى ان سليمان عليه السلام ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة * وقد تمت هنا قصة داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام وقد ذكر قبل قصتهما قصة موسى عليه الصلاة والسلام فالآن ذكر الله تعالى قصة ثالثة وهى قصة صالح عليه الصلاة والسلام فقال ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ﴿قوله اطيرنا﴾ اصله تطيرنا وقرئ به فادغمت التاء فى الطاء وزيدت همزة الوصل ليتأتى الابتداء والتطير التشؤم بمروج الطير وهو ان يقابلك ميامنه او مياسره بان يمرّ من ميامنك الى مياسرك والعرب تتطير بالبارح لانه لا يمكنك ان ترميه حتى تنحرف وتتيمن بالسانح وهو الذى يقابلك ميامنة بان يمرّ من مياسرك الى ميامنك والمراد بالتطير فى الآية مطلق التشؤم فانه قد يستعمل فى التشؤم بكل ما يتشاءم به وان كان فى الاصل عبارة عن التشاءم بالطير روى انهم قحطوا بعد مبعث صالح عليه السلام لتكذيبهم اياه فنسبوه الى مجيئه وتشاءموا به كما يتشاءمون بالطائر فقال عليه الصلاة والسلام طائركم عند الله اى السبب الذى يجيئ منه خيركم وشركم عند الله وهو قضاؤه وقدر وكل مايصيب العبد من الخير والشرّ انما يصيبه بقضاء الله وقدره ومشيئته وارادته لارادّ لقضائه ولا معقب لحكمه لامانع لما اعطاه ولا معطى لما منعه اطلق الطائر على ماهو سبب حقيق للخير والشرّ وهو قضاء الله وقدره تشبيها له بالطائر الذى هو سبب لهما فى زعمهم ويحتمل ان يكون الطائر مستعارا لاعمالهم التى كانت سببا لما اصابهم من الشدائد فانها مكتوبة عند الله تعالى كما ان القضاء والقدر صفتان قائمتان به تعالى ﴿قوله الى ذكر ماهو الداعى اليه﴾ وهو اختبارانهم هل يتنبهون الى ان ما اصابهم من حسنة فبفضل الله ورحمته وان ما اصابهم من سيئة فبشؤم كسبهم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بل انتم قوم تفتنون اى تختبرون بالخير والشرّ كقوله ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة ﴿قوله وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى﴾ يعنى ان تمييز مافوق الثلاثة الى العشرة يجب ان يكون مجموعا والرهط مفردا اللفظ ومع ذلك وقع تمييزا للتسعة لكونه فى معنى الجماعة كأنه قيل تسعة انفس ﴿قوله اى شأنهم الافساد الخالص﴾ اشارة الى فائدة قوله ولا يصلحون بعد قوله يفسدون فى الارض وهى ان المفسدين قد يجيئ منهم الاصلاح فى بعض الاوقات وهؤلاء التسعة كان حالهم بخلاف ذلك اذلم يكن منهم الاصلاح اصلا وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف وهو عاقر الناقة وقوله يفسدون صفة تسعة او رهط فيكون فى موضع الرفع او الجرّ ﴿قوله امر﴾ اى يجوز فى تقاسموا ان يكون امرا اى قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا ويجوز ان يكون فعلا ماضيا وحينئذ يجوز ان يكون بدلا من قالوا مفسرا له كأنه قيل ماقالوا فقيل تقاسموا ويجوز ان يكون حالا من فاعل قالوا على اضمار قد اى قالوا ذلك متقاسمين ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائى﴾ لتبيتنه بتاء الخطاب المضمومة وضم التاء الثانية والباقون بنون المتكلم وفتح التاء ﴿قوله ثم لنقولنّ﴾ قرأه حمزة والكسائى بتاء الخطاب المفتوحة وضم اللام والباقون بنون المتكلم وفتح اللام وقرئ بياء الغيبة فى الفعلين فامّا قراءة الاخوين فان جعلنا تقاسموا فعل امر فالخطاب واضح رجوعا بآخر الكلام الى اوّله وان جعلناه

﴿قالت رب انى ظلمت نفسى﴾ بعبادتى الشمس وقيل بظنى بسليمان فانها حسبت انه يغرقها فى اللجة ﴿واسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ فيما امر به عباده وقد اختلف فى انه تزوّجها اوزوّجها من ذى تبع ملك همدان ﴿ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله﴾ بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء ﴿فاذا هم فريقان يختصمون﴾ ففاجأوا التفرّق والاختصام فامن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين ﴿قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة﴾ بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا ﴿قبل الحسنة﴾ قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ ﴿لولا تستغفرون الله﴾ قبل نزوله ﴿لعلكم ترحمون﴾ بقبولها فانها لا تقبل حينئذ ﴿قالوا اطيرنا﴾ تشاءمنا ﴿بك وبمن معك﴾ اذ تتابعت علينا الشدآئد ووقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم ﴿قال طائركم﴾ سببكم الذى جاء منه شركم ﴿عند الله﴾ وهو قدره اوعملكم المكتوب عنده ﴿بل انتم قوم تفتنون﴾ تختبرون بتعاقب السرّآء والضرّآء والاضراب عن بيان طائرهم الذى هو مبدأ مايحيق بهم الى ذكر ماهو الداعى اليه ﴿وكان فى المدينة تسعة رهط﴾ تسعة انفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة او السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة ﴿يفسدون فى الارض ولا يصلحون﴾ اى شأنهم الافساد الخالص عن شوائب الصلاح ﴿قالوا﴾ اى قال بعضهم لبعض ﴿تقاسموا بالله﴾ امر مقول او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد ﴿لنبيتنه واهله﴾ لنباغتنّ صالحا واهله ليلا وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر ﴿ثم لنقولنّ﴾ فيه القراآت الثلاث ﴿لوليه﴾ لولى دمه ﴿ماشهدنا مهلك اهله﴾ فضلا ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك فى قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ ابوبكر بالفتح فيكون مصدرا

ماضيا اوامرا فالامر فيها واضح وهو حكاية اخبارهم عن انفسهم واما قرآءة الغيبة فيهما فظاهرة على ان يكون تقاسموا ماضيا رجوعا بآخر الكلام الى اوّله فى الغيبة وان جعلناه امرا كان ليبيتنه جوابا لسؤال مقدّر كأنه قيل كيف تقاسموا فقيل ليبيتنه والبيات مباغتة العدوّ ومفاجأته بالقتل ليلا والمعنى لنقتلنه بياتا اى ليلا واهله اى قومه الذين اسلموا معه ثم لنقولنّ لوليه اى لولى دمه ماشهدنا مهلك اهله اى ماحضرنا هلاكهم اوموضع هلاكهم اوزمانه اواهلاكهم اوموضع اهلاكهم اوزمانه ولاندرى من قتلهم قرأ العامّة مهلك بضم الميم وفتح اللام من الاهلاك وحفص بفتح الميم وكسر اللام وابوبكر بفتح الميم واللام وكلاهما من الهلاك الا انه على قرآءة ابى بكر لايكون الامصدرا لان هلك من باب ضرب واسم الزمان والمكان من يهلك بكسر اللام لايكون الامكسور اللام واما مهلك بكسر اللام فانه يحتمل الثلاثة وكذا مهلك بضم الميم وفتح اللام *تحالف القوم على ان يبيتوا صالحا واهله ثم ينكروا عند اوليائه انهم فعلوا ذلك اورأوه وكان هذا مكرا عزموا عليه هذا على تقدير ان يكون تقاسموا فعلا ماضيا مفسر النفس قالوا ولا يكون مقول القول ﴿قوله ونحلف انا لصادقون﴾ يعنى ان جملة انا لصادقون فى محل النصب بنزع الخافض المتعلق بفعل محذوف معطوف على قوله لنقولنّ اى ثم لنقولنّ اى كذا ونحلف انا لصادقون فيما قلنا او على انه حال من فاعل لنقولنّ * ولما ورد ان يقال كيف يكونون صادقين فيما قالوا وهو خبر غير مطابق للواقع وجود لما فعلوه عمدا *اجاب عنه بوجهين الاوّل ان الكذب انما يلزمهم ان لو انكروا المباشرة ولم ينكروها بل انكروا الشهود وانكاره لايستلزم انكار المباشرة ليلزم الكذب والثانى انهم انما انكروا شهود مهلك اهله وحده وهم صادقون فيه سمى الله مواضعتهم على قتل صالح واهله خفية مكرا لكونها مكرا فى الحقيقة لان المكر قصد الاضرار على طريق الغدر والحيلة وسمى تدميره واهلاكه اياهم وهم لايشعرون على سبيل المجازاة على مكرهم مكرا ايضا تشبيها له بالمكر من حيث كونه اضرارا فى خفية لقوله وهم لايشعرون او للمشاكلة ﴿قوله فى الحجر﴾ وهو اسم مدينة ثمود قال تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين *الراغب الحجر ماسوّر بالحجارة وبه سمى حجر الكعبة وديار ثمود والشعب بالكسر ما انفلج بين الجبلين وقيل الطريق فى الجبل ﴿قوله زعم ان يفرغ منا الى ثلاث﴾ وذلك انهم لما عقروا الناقة اخبرهم صالح بنزول العذاب المستأصل عليهم عند انتهاء ثلاثة ايام فقالوا ذلك قال ابن عباس ارسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح عليه السلام يحرسونه فاتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلوهم وهو قول الكلبى وقال قتادة والسدّى دخلوا ليلا فى خرق جبل يفترصون فارسل الله تعالى عليهم صخرة فسدّت عليهم فم الخرق فهلكوا فيه وأهلك الله تعالى سائرهم بصيحة جبريل وقرأ الكوفيون انا دمرناهم بفتح الهمزة والباقون بكسرها على الاستئناف واختار المصنف قرآءة انا بكسر الهمزة وجوّز حينئذ ان تكون كان تامة وناقصة وجوّز على تقدير كونها ناقصة ان تكون ان المكسورة مع ما فى حيزها استئنافا وان تكون خبر مبتدأ محذوف ولا ينافيه اقتضاؤها الصدارة لانها انما تقتضى ان تكون فى صدر الجملة التى دخلت هى عليها وهذه الصدارة حاصلة سواء جعلت خبرانّ او خبر كان الا انه لم يجوّز كونها خبر كان لان المكسورة مع ما فى حيزها جملة والجملة لاتكون خبرا بدون العائد بخلاف المفتوحة فانها مع فى حيزها فى تأويل المفرد فيصح كونها خبرا بدون العائد وعلى تقدير كونها مستأنفة بحيث يتم الكلام قبلها وذلك بان تكون كان تامة وعاقبة فاعلها وكيف حالا منها اى فانظر يا محمد على اىّ حال عاقبة امرهم او بان تكون ناقصة وعاقبة اسمها وكيف خبرها ويجوز على تقدير ان تكون ناقصة ويتم الكلام قبل ان المسكورة ان يكون قوله انا دمّرناهم بكسر الهمزة خبر مبتدأ محذوف اى وهى انا دمرناهم على معنى وتلك العاقبة انا دمّرناهم وعلى قرآءة الكوفيين يجوز ان يكون انا دمّرناهم خبر مبتدأ محذوف سواء جعل كان تامة او ناقصة فانه ان جعل كان تامة وعاقبة فاعلها وكيف حالا منها جاز ان يكون انا دمّرناهم خبر مبتدأ محذوف كما اذا كانت ناقصة وجاز ايضا ان تكون بدلا من عاقبة والمعنى كيف كان تدميرنا اياهم بمعنى كيف حدث ووقع ويجوز هذا الوجه على تقدير ان يكون كان ناقصة ايضا كما اشار اليه بقوله او بدل من اسم كان ولم يقل من فاعل كان ويجوز على تقدير كونها ناقصة ان يجعل عاقبة اسمها وانا دمّرناهم خبرها وكيف حالا اى فانظر اىّ حال كان عاقبة مكرهم تدميرنا اياهم اجمعين ولا يجوز على تقدير كون كان ناقصة وعاقبة اسمها وكيف خبرها ايضا ان يكون انا دمرناهم بدلا من كيف لان قوله انا دمرنا ليس معه حرف الاستفهام والبدل من الاستفهام يلزم فيه اعادة حرف الاستفهام نحو كم مالك أعشرون ام ثلاثون وكيف فلان أصحيح ام سقيم ولو قلت

﴿واانا لصادقون﴾ ونحلف انا لصادقون اووالحال انا لصادقون فيما ذكرنا اذ الشاهد للشئ غير المباشر له عرفا اولانا ماشهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك مارأيت ثمة رجلا بل رجلين ﴿ومكروا مكرا﴾ بهذه المواضعة ﴿ومكرنا مكرا﴾ بان جعلناها سببا لاهلاكهم ﴿وهم لايشعرون﴾ بذلك روى انه كان لصالح فى الحجر مسجد فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون فى اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه قوله ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمّرناهم وقومهم اجمعين﴾ وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استئناف اوخبر محذوف لاخبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فيكف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على انه خبر محذوف اوبدل من اسم كان اوخبره وكيف حال ﴿فتلك بيوتهم خاوية﴾ خالية من خوى البطن اذا خلا اوساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهى حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ﴿بما ظلموا﴾ بسبب ظلمهم ﴿ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون﴾ فيتعظون ﴿وانجينا الذين آمنوا﴾ صالحا ومن معه ﴿وكانوا يتقون﴾ الكفر والمعاصى فلذلك خصوا بالنجاة

عشرون او صحيح بغير اعادة حرف الاستفهام لم يجز ﴿قوله﴾ واذكر لوطا او وارسلنا لوطا ﴿يعنى ان لوطا منصوب اما باذكر مضمرة او بارسلنا المدلول عليه بما ذكر فى القصة السابقة لان قصة لوط معطوفة على قصة ثمود وقد ذكر فى فاتحتها ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا فيقدّر لها مثله واذ بدل اشتمال من لوطا على تقدير ان يكون لوطا منصوبا باذكر ولا يجوز ان يكون ظرفا لاذكر لان ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام اياه ليس فى زمان قوله لقومه اتأتون الفاحشة او ظرف لارسلنا على تقدير ان يكون لوطا منصوبا به ولا يجوز ان يكون بدلا من لوطا حينئذ اذ لا يستقيم ان يقال وارسلنا وقت قوله والفاحشة الفعلة القبيحة وأراد بها اللواطة باتفاق المفسرين ﴿قوله﴾ او يبصرها بعضكم من بعض ﴿يعنى ويجوز ان يكون تبصرون من بصر العين لا على ان المعنى وانتم تبصرون ماتأتونه بل على انه يبصر بعضكم فعل بعض واعلان المعصية معصية زائدة على اتيانها ﴿قوله﴾ بيان ﴿يعنى ان قوله ائنكم لتأتون الرجال عطف بيان لقوله أتأتون الفاحشة لكونه اوضح فى الدلالة على فعلتهم القبيحة وقوله شهوة مفعول له اى اتأتون الرجال لقضاء الشهوة متجاوزين النساء مع انه تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فأتيانكم الرجال للشهوة مضادّ لحكم الله تعالى وحكمته ﴿قوله﴾ تفعلون فعل من يجعل قبحها الخ ﴿جواب عما يقال كيف وصفهم بالعلم اوّلا حيث قال وانتم تبصرون اى تعلمون فحشها ثم وصفهم بعده بالجهل حيث قال بل انتم قوم تجهلون فكيف يكون عالما وجاهلا معا * اجاب بثلاثة اجوبة الاوّل انه ليس المعنى انتم تجهلون فحشها ليلزم التناقض بل المعنى تفعلون فعل من جهل فحشها مع علمكم بذلك والثانى ان المراد بالجهل السفاهة والحماقة التى كانوا عليها والثالث ان المراد تجهلون القيامة وعاقبة العصيان ﴿قوله﴾ والتاء فيه ﴿جواب عما يقال تجهلون صفة لقوم وهو اسم ظاهر منزل منزلة الغائب فينبغى ان تكون صفته بياء الغيبة لتطابق الصفة الموصوف * ومحصول الجواب ان القوم وان كان غائبا باعتبار لفظه فهو مخاطب باعتبار معناه لكونه جاريا على انتم خبرا عنه فلما اجتمع فيه جهتا الغيبة والخطاب اعتبر جانب الخطاب لان الاصل فى الكلام انما هو المتكلم والمخاطب والغائب متوسط بينهما ﴿قوله﴾ يتنزهون عن افعالنا ﴿اى لا يوافقوننا فيها بل ينهون عنها ونحن لا نرضى بتركها فليس لنا حظوة الا باخراجهم من بيننا قرأ الجمهور فما كان جواب قومه بنصب جواب على انه خبر مقدّم وقرئ بالرفع والنصب احسن لان أن قالوا فى تأويل قولهم فهو اعرف من جواب قومه لان المضاف الى المضمر أعرف من المضاف الى المضاف الى المضمر ولان أن قالوا لا يقبل التنكير بخلاف جواب قومه فانه يقبله بان يقال جواب لقومه ﴿قوله﴾ قدّرنا كونها من الباقين ﴿يريد ان المضاف مقدّر فى قوله قدرناها لان التقدير متعلق بغبورها وكونها من زمرة الباقين فى العذاب لا بذاتها فانها ان بقيت مع جملة من بقى فى القرية اهلكها الله بعذاب الاستئصال وان خرجت منها مع لوط عليه الصلاة والسلام هلكت بان اصابها حجر فى الطريق والمتبادر من هذه الآية ان امطار الحجارة غير مختص بشذاذ القوم بل هو امر شامل لجميعهم وان الباقين فى القرى المؤتفكات اهلكوا بنوع آخر من العذاب ايضا ﴿قوله﴾ الزام لهم ﴿يعنى ان الآية بظاهرها وان دلت على ان المقصود الموازنة بينه تعالى وبين الاصنام واستعلام انه تعالى خير لمن عبده ام الاصنام لعابديها ولا وجه له ضرورة ان احدا من العقلاء لا يزن المخلوق العاجز بالخالق القادر على كل شئ فى معنى الخيرية بل المقصود الزام المشركين والتهكم بهم وتسفيه رأيهم بين الله تعالى اوّلا اهلاك كفار الامم السالفة ونجاة الموحدين المؤمنين ثم خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم وامره ان يحمد الله تعالى على هلاك المشركين السالفين ويسلم على المصطفى للتوحيد والايمان من عبيده او خاطب لوطا عليه الصلاة والسلام وامره بذلك ثم التفت الى المشركين وخاطبهم على سبيل التبكيت والالزام بقوله آلله خير أم ما تشركون ومن قرأ يشركون بياء الغيبة حمله على ماقبله من قوله وامطرنا عليهم ومابعده من قوله بل اكثرهم وام فى قوله ام مايشركون متصلة عاطفة بمعنى ايهما خير ومابمعنى الذى وقيل مصدرية على حذف المضاف من الاوّل اى أتوحيد الله خير ام شرككم وام فى قوله امّن منقطعة بمعنى بل والهمزة اشار اليه المصنف بقوله بل ام من لعدم تقدّم همزة الاستفهام وقصد التسوية ومن موصولة مرفوعة المحل على الابتداء وخبرها محذوف والتقدير بل ام من خلق السموات والارض خير اضرب عن السؤال بايهما خير الى تقريرهم اى حملهم على الاقرار بان من قدر على خلق العالم فهو خير من جماد لا يقدر على شئ كأنه قيل دعوا هذا السؤال الستم تقرّون بانه تعالى خالق العالم فهو خير من جماد لا يقدر فهو

(ولوطا) واذكر لوطا او وارسلنا لوطا ﴿يعنى ان لوطا منصوب اما باذكر مضمرة او بارسلنا المدلول عليه بما ذكر فى القصة السابقة لان قصة لوط معطوفة على قصة ثمود وقد ذكر فى فاتحتها ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا فيقدّر لها مثله واذ بدل اشتمال من لوطا على تقدير ان يكون لوطا منصوبا باذكر ولا يجوز ان يكون ظرفا لاذكر لان ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام اياه ليس فى زمان قوله لقومه اتأتون الفاحشة او ظرف لارسلنا على تقدير ان يكون لوطا منصوبا به ولا يجوز ان يكون بدلا من لوطا حينئذ اذ لا يستقيم ان يقال وارسلنا وقت قوله والفاحشة الفعلة القبيحة وأراد بها اللواطة باتفاق المفسرين ﴿قوله﴾ او يبصرها بعضكم من بعض ﴿يعنى ويجوز ان يكون تبصرون من بصر العين لا على ان المعنى وانتم تبصرون ماتأتونه بل على انه يبصر بعضكم فعل بعض واعلان المعصية معصية زائدة على اتيانها ﴿قوله﴾ بيان ﴿يعنى ان قوله ائنكم لتأتون الرجال عطف بيان لقوله أتأتون الفاحشة لكونه اوضح فى الدلالة على فعلتهم القبيحة وقوله شهوة مفعول له اى اتأتون الرجال لقضاء الشهوة متجاوزين النساء مع انه تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فأتيانكم الرجال للشهوة مضادّ لحكم الله تعالى وحكمته ﴿قوله﴾ تفعلون فعل من يجعل قبحها الخ ﴿جواب عما يقال كيف وصفهم بالعلم اوّلا حيث قال وانتم تبصرون اى تعلمون فحشها ثم وصفهم بعده بالجهل حيث قال بل انتم قوم تجهلون فكيف يكون عالما وجاهلا معا * اجاب بثلاثة اجوبة الاوّل انه ليس المعنى انتم تجهلون فحشها ليلزم التناقض بل المعنى تفعلون فعل من جهل فحشها مع علمكم بذلك والثانى ان المراد بالجهل السفاهة والحماقة التى كانوا عليها والثالث ان المراد تجهلون القيامة وعاقبة العصيان ﴿قوله﴾ والتاء فيه ﴿جواب عما يقال تجهلون صفة لقوم وهو اسم ظاهر منزل منزلة الغائب فينبغى ان تكون صفته بياء الغيبة لتطابق الصفة الموصوف * ومحصول الجواب ان القوم وان كان غائبا باعتبار لفظه فهو مخاطب باعتبار معناه لكونه جاريا على انتم خبرا عنه فلما اجتمع فيه جهتا الغيبة والخطاب اعتبر جانب الخطاب لان الاصل فى الكلام انما هو المتكلم والمخاطب والغائب متوسط بينهما ﴿قوله﴾ يتنزهون عن افعالنا ﴿اى لا يوافقوننا فيها بل ينهون عنها ونحن لا نرضى بتركها فليس لنا حظوة الا باخراجهم من بيننا قرأ الجمهور فما كان جواب قومه بنصب جواب على انه خبر مقدّم وقرئ بالرفع والنصب احسن لان أن قالوا فى تأويل قولهم فهو اعرف من جواب قومه لان المضاف الى المضمر أعرف من المضاف الى المضاف الى المضمر ولان أن قالوا لا يقبل التنكير بخلاف جواب قومه فانه يقبله بان يقال جواب لقومه ﴿قوله﴾ قدّرنا كونها من الباقين ﴿يريد ان المضاف مقدّر فى قوله قدرناها لان التقدير متعلق بغبورها وكونها من زمرة الباقين فى العذاب لا بذاتها فانها ان بقيت مع جملة من بقى فى القرية اهلكها الله بعذاب الاستئصال وان خرجت منها مع لوط عليه الصلاة والسلام هلكت بان اصابها حجر فى الطريق والمتبادر من هذه الآية ان امطار الحجارة غير مختص بشذاذ القوم بل هو امر شامل لجميعهم وان الباقين فى القرى المؤتفكات اهلكوا بنوع آخر من العذاب ايضا ﴿قوله﴾ الزام لهم ﴿يعنى ان الآية بظاهرها وان دلت على ان المقصود الموازنة بينه تعالى وبين الاصنام واستعلام انه تعالى خير لمن عبده ام الاصنام لعابديها ولا وجه له ضرورة ان احدا من العقلاء لا يزن المخلوق العاجز بالخالق القادر على كل شئ فى معنى الخيرية بل المقصود الزام المشركين والتهكم بهم وتسفيه رأيهم بين الله تعالى اوّلا اهلاك كفار الامم السالفة ونجاة الموحدين المؤمنين ثم خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم وامره ان يحمد الله تعالى على هلاك المشركين السالفين ويسلم على المصطفى للتوحيد والايمان من عبيده او خاطب لوطا عليه الصلاة والسلام وامره بذلك ثم التفت الى المشركين وخاطبهم على سبيل التبكيت والالزام بقوله آلله خير أم ما تشركون ومن قرأ يشركون بياء الغيبة حمله على ماقبله من قوله وامطرنا عليهم ومابعده من قوله بل اكثرهم وام فى قوله ام مايشركون متصلة عاطفة بمعنى ايهما خير ومابمعنى الذى وقيل مصدرية على حذف المضاف من الاوّل اى أتوحيد الله خير ام شرككم وام فى قوله امّن منقطعة بمعنى بل والهمزة اشار اليه المصنف بقوله بل ام من لعدم تقدّم همزة الاستفهام وقصد التسوية ومن موصولة مرفوعة المحل على الابتداء وخبرها محذوف والتقدير بل ام من خلق السموات والارض خير اضرب عن السؤال بايهما خير الى تقريرهم اى حملهم على الاقرار بان من قدر على خلق العالم فهو خير من جماد لا يقدر على شئ كأنه قيل دعوا هذا السؤال الستم تقرّون بانه تعالى خالق العالم فهو خير من جماد لا يقدر فهو

﴿ولوطا﴾ واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه ﴿اذ قال لقومه﴾ بدل على الاوّل ظرف على الثانى ﴿أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون﴾ تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فتكون أفحش ﴿ائنكم لتأتون الرجال شهوة﴾ بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة فى المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر ﴿من دون النساء﴾ اللاتى خلقن لذلك ﴿بل انتم قوم تجهلون﴾ تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به فى معنى المخاطب ﴿فما كان جواب قومه الا ان قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون﴾ يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدّون فعلنا قذرا ﴿فأنجيناه واهله الا امرأته قدّرناها من الغابرين﴾ قدّرنا كونها من الباقين فى العذاب ﴿وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين﴾ مر مثله ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ امر رسوله بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام على المصطفين من عبيده شكرا على ما انعم عليه وعلمه ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدّمهم واجتهادهم فى الدين او لوطا بأن يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك ﴿آلله خير ام ما يشركون﴾ الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء ﴿امّن﴾ بل ام من ﴿خلق السموات والارض﴾ التى هى اصول الكائنات ومبادى المنافع وقرئ أمن بالتخفيف على انه بدل من الله

﴿وانزل لكم﴾ لأجلكم ﴿من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة﴾ عدل به من الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله ﴿ما كان لكم ان تنبتوا شجرها﴾ شجر الحدائق وهى البساتين من الاحداق وهو الاحاطة ﴿ءاله مع الله﴾ أغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين ﴿٤٩٨﴾ وقرئ أ آلها باضمار فعل مثل أتدعون او أتشركون

استفهام تقرير ﴿قوله﴾ لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى ﴿﴾ فانه لو اخرج الكلام على مقتضى الظاهر وقيل فأنبت به حدائق لأفاد الكلام اختصاص الانبات به تعالى بحكم المقابلة بين الشركاء وخالق العالم فلما التفت ونسب الفعل الى ذاته تأكد ذلك الاختصاص حيث دل عليه بأمرين ﴿قوله﴾ من الاحداق وهو الاحاطة ﴿﴾ فان الحديقة كل روضة وبستان عليه حوائط وانشاز محدقة اى محيطة به والنشز المكان المرتفع ﴿قوله﴾ أغيره يقرن به ﴿﴾ يعنى انه استفهام انكار بمعنى هل معه معبود سواه امانه على خلق اصول الكائنات وانزال ماينبت به ارزاق المخلوقات وليس له شريك فى ذلك وانما جاز الابتدآ بالنكرة وهو اله لتخصيصه بالعموم المستفاد من همزة الانكار الداخلة على النكرة ﴿قوله﴾ يعدلون عن الحق ﴿﴾ على انه من العدول وقيل هو من العدل بمعنى التسوية والمعنى بل هم يعنى كفار مكة قوم يعدلون بالله غيره وهو الاصنام ﴿قوله﴾ بدل من ام من خلق ﴿﴾ فتكون ام فيه منقطعة ويكون معنى الهمزة التقرير كما فى المبدل منه ﴿قوله﴾ خلالها ﴿﴾ يجوز ان يكون ظرفا لجعل بمعنى خلق المتعدية الى مفعول واحد وان يكون فى محل المفعول الثانى لجعل على ان يكون بمعنى صير ﴿قوله﴾ جبالا تتكون فيها المعادن ﴿﴾ بيان لوجه كون خلق الجبال فى الارض من جملة وجوه الانعام وذلك لان اكثر العيون والاشجار والمعدنيات انما تتكون فى الجبال وفيما يقرب منها والرواسى من الجبال الثوابت الرواسخ من رسا الشئ يرسو اى ثبت ولم يذكر من منافع الجبال كونها حافظة للارض عن الميلان كما قال الله تعالى وجعلنا فى الارض رواسى ان تميد بهم لان تلك المنفعة فهمت من قوله تعالى جعل الارض قرارا فانها لا تكون مستقرا للخلق الا بكونها ساكنة سالمة من الاضطراب ﴿قوله﴾ او خليجى فارس والروم ﴿﴾ الخليج من البحر ماتشعب منه قال بعضهم المراد بالبحرين بحر فارس وبحر الروم جعل الله تعالى بينهما جزيرة العرب حاجزا وسميت جزيرة لما جزر عنها الماء اى ذهب وقال بعضهم المراد بهما بحر الشام وبحر العراق ﴿قوله﴾ واللام فيه للجنس ﴿﴾ جواب عما يقال انه تعالى ذكر فى جملة ماتفضل به على عباده انه يجيب المضطر اذا دعاه والمضطر اسم جنس محلى بلام الاستغراق فيفهم منه انه يجيب كل مضطر دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام وبدونه والحذف وقرئ تتذكرون بتاءين وقليلا صفة مصدر محذوف كما ذكر ﴿قوله﴾ ولو صح ان السبب الاكثرى الخ ﴿﴾ جواب عما يقال لانسلم انه تعالى هو الذى يحرك الرياح ويرسلها فان الفلاسفة قالت الرياح انما تتولد من الادخنة المتصاعدة بتصعيد الحرارة اياها سواء كانت الحرارة حرارة الشمس او حرارة النار فانها اذا صعدت ادخنة كثيرة الى فوق فاذا وصلت الى الطبقة الباردة وانكسرت ببرد ذلك الهوآء لامحالة تثقل وتنزل فيحصل من نزولها تموج الهوآء فيحدث الريح وقوله ولو صح اشارة الى منع ماذكروه وذلك ان الريح عند حركتها يمنة ويسرة ربما تقوى على قلع الاشجار وهدم الجدر فلو كانت الريح عبارة عن الهوآء المتموج بسبب حركة تلك الاجزآء الدخانية الى اسفل حركة طبيعية وجب ان تهدم سقوف البيوت عند وقوع تلك الاجزآء عليها لان الحركة الهابطة طبيعية فتكون اقوى من الحركة العرضية التى هى الحركة يمنة ويسرة ولاشك ان شيأ من السقوف لايسقط بسقوط الاجزآء الدخانية عليه فظهر به فساد ماذكروه ثم انه تعالى لما عدد نعم الدنيا اتبع ذلك ذكر نعم الآخرة فقال ام من يبدأ الخلق ثم يعيده فان نعم الآخرة لاتتم الا بالاعادة بعد الابدآء والابلاغ الى حد التكليف وذلك لايتم الا بالارزاق فلذلك قال بعده ومن يرزقكم من السماء والارض * ولما ورد ان يقال كيف يمكن الزام الكفرة بذكر نعمة الاعادة ومايترتب عليها وهم منكرون للاعادة * اجاب عنه بانهم وان انكروا الا انهم لما لم يكن لهم عذر فى انكارها من حيث قيام الادلة القاطعة الدالة على امكانها وكونها مقدرة لله تعالى واقتضت الحكمة وقوعها نزلوا منزلة من اقر بها فتوجه اليهم الالزام والتجهيل بذلك ثم بين ان امر الدين لايبنى الا على الحجة والبرهان ولايصح بمجرد التقليد فقال قل هاتوا برهانكم وقرر ههنا ذكر الدلائل الدالة على كمال قدرة الله تعالى وفضله وبين بعده انه المختص بعلم الغيب ليثبت بمجموع الامرين تفرده تعالى بالالوهيه واستحقاق العبادة فان الاله الحق هو الذى يحيط علمه بأعمال المكلفين من الطاعة والمعصية ويقدر على مجازاة كل احد جزآء وفاقا بحيث لايزيد عقاب العاصى على قدر معصيته ولايضيع شيأ من طاعة المطيع ﴿قوله﴾ والاستثناء منقطع ﴿﴾ لعدم دخوله تعالى فى قوله من فى السموات والارض والمستثنى المنقطع منصوب ابدا عند الحجازيين فانهم يقولون ماجاءنى احد الا حمارا ورفع المستثنى المنقطع فى الآية مبنى على لغة

﴿ومن يرزقكم من السماء والارض﴾ اى باسباب سماوية وارضية ﴿ءاله مع الله﴾ يفعل ذلك ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ على ان غيره (بنى) يقدر على شئ من ذلك ﴿ان كنتم صادقين﴾ فى اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية ﴿قل لايعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله﴾ لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه ماهو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع

بنى تميم فانهم يقولون مافى الدار احد الا حمار ويجعلون المستثنى المنقطع فى حكم المفرّغ ويقولون قولك مافى الدار احد الا حمار اصله مافيها الا حمار على ان يكون المستثنى منه المقدّر اعم العام بمعنى مافى الدار شئ الا حمار الا ان المتكلم لما ظنّ ان المخاطب يستبعد خلوّ الدار من الآدمى ذكر الاحد من جملة افراد المستثنى منه المقدّر تأكيدا لمنع كون الآدمى فيها وابقى اعراب المستثنى مرفوعا على ما كان عليه فى الاصل تنبيها على الاصل وقد كان المستثنى فى الاصل مرفوعا على الفاعلية فلما ذكر الاحد كان بدلا منه فعلى هذا الوجه لا يكون المستثنى المنقطع من قبيل المتصل حيث لم يعتبر دخول المستثنى فى المستثنى منه الذى جعل بدلا وهو الذى يفهم من قول صاحب الكشاف يقولون مافى الدار احد الا حمار كأنّ احدا لم يذكر الا ان قوله بعد ذلك اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن فى السموات والارض ففيهم من يعلم الغيب يدل على انه جعل المنقطع كالمتصل وقدّر دخوله فى المستثنى منه ليشتمل الكلام على التعليق بالمحال ليفيد الكلام المبالغة فى نفى علم الغيب عن اهل السموات والارض وهذه المبالغة لا تحصل على تقدير النصب لانه حينئذ يكون المعنى لا يعلم من فى السموات والارض الغيب لكنّ الله يعلمه فيكون نصبه على انه اسم لكنّ وتفوت هذه المبالغة المبنية على تعليق علمهم الغيب بالمحال ﴿قوله او متصل﴾ فلا يحتاج فى رفع المستثنى الى العدول عن مذهب الحجازيين الى مذهب بنى تميم لان المستثنى المتصل يجوز فيه النصب ويختار البدل فى كلام غير موجب اذا كان المستثنى منه مذكورا باتفاق الجمهور والآية الكريمة من هذا القبيل ووجه اندراجه تعالى فى من فى السموات والارض قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقول المتكلمين الله فى كل مكان على معنى أن علمه فى الاماكن كلها فكأنّ ذاته فيها وردّ صاحب الكشاف هذا الوجه بانه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز فى كلة واحدة وبيانه ان الظرفية المستفادة من قوله من فى السموات حقيقة بالنسبة الى غير الله تعالى ومجاز بالنسبة اليه تعالى ولا يجوز الجمع بينهما فى كلة واحدة عند اكثر العلماء وان قال به الامام الشافعى رحمه الله كما فى قولهم القلم احد اللسانين والخال احد الابوين ومنه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبىّ وجوّزه المصنف اما بناء على مذهبه واما بناء على ماذكره الامام وهو قوله لا يقال كونه تعالى فى السموات والارض مجاز وكونهم فيهنّ حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة الحقيقة والمجاز غير جائز لانا نقول كونهم فى السموات والارض كما انه حاصل حقيقة وهو حصول ذواتهم فى تلك الامكنة كذلك حاصل مجازا ايضا وهو كونهم عالمين بتلك الامكنة فاذا حملنا هذه الكونية على المعنى المجازى وهو الكون فيها بمعنى العلم دخل الرب سبحانه وتعالى فيه فصح الاستثناء ﴿قوله والضمير لمن﴾ يعنى ان قوله ومايشعرون وصف لاهل السماء والارض نفى اوّلا ان يكون لهم علم بالغيب ثم نفى عنهم الشعور بوقت البعث من بين جملة الغيب للدلالة على تفرّده بعلمه وقيل ضمير يشعرون للكفرة الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم ايان مرساها انكارا لاصل البعث فوبخهم الله تعالى بقوله وما يشعرون ايان يبعثون مع استوآء الخلائق بأجمعهم فى الجهل بوقت البعث والمقصود توبيخهم على انكار اصل البعث وقد اشار اليه المصنف بقوله وأكد ذلك بنفى شعورهم بما هو ما لهم لا محالة وهو اصل البعث الا انهم لما انكروه بقولهم اىّ وقت وقت ارسائها واقامتها وبخهم على انكار وقت البعث بذلك اشعارا بطريق انكارهم له واشارة الى ان الجهل بقرب وقته مما لا ينبغى فضلا عن الجهل باصله ﴿قوله لما نفى عنهم﴾ اى عن اهل السماء والارض وقوله بل أدرك قرأه ابى بكر ادّرك بتشديد الدال واصله افتعل قلبت التاء دالا وادغمت وفى التيسير قرأه ابن كثير وابى عمرو بل أدرك بقطع الالف واسكان الدال من غير ألف بعدها والباقون بوصل الالف وتشديد الدال بعدها الف وهذا صريح فى انّ عاصما يوافق من قرأ ادّارك من غير خلاف عنه فيكون من قرأ به خمسة نفر والله اعلم والمصنف اختار قرأه ابن كثير وابى عمرو فانهما قرأ ابل أدرك بهمزة القطع كأكرم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وعاصم ادّارك بهمزة الوصل وتشديد الدال المفتوحة بعدها الف اصله تدارك ابدلت التاء دالا وادغمت الدال فى الدال واجتلبت همزة الوصل للابتدآء فصار ادّارك كاثاقل وجعل ادرك بمعنى بلغ وانتهى من قولهم ادركت الفاكهة اذا بلغت وتكاملت نضجا وقدّر مضافا بعد قوله أدرك حيث قال وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج وبين وجه الاضراب فى قوله بل أدرك علمهم مع كون ارتباطه بما قبله خفيا من حيث ان مدلول الآية المتقدّمة انه تعالى وحده هو الذى يعلم الغيب ويعلم متى الساعة ولا تظهر المناسبة بينه وبين الآية الدالة على ان اسباب علمهم بان الآخرة والقيامة كائنة قد تكاملت واستحكمت

ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن فى السموات والارض ففيهما من يعلم الغيب مبالغة فى نفيه عنهم او متصل على ان المراد ممن فى السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولى العلم من خلقه وهو موصول او موصوف ﴿ومايشعرون ايان يبعثون﴾ متى ينشرون مركبة من اىّ وآن وقرئت بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة ﴿بل أدرك علمهم فى الآخرة﴾ لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفى شعورهم بما هو ما لهم لا محالة بالغ فيه بأن اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات وهو أن القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغى ﴿بل هم فى شك منها﴾ لمن تحير فى امر لا يجد عليه دليلا ﴿بل هم منها عمون﴾ لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن فى السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل

والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وقيل الاوّل اضراب عن نفى الشعور بوقت القيامة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم فى امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها تلك غايتها التى عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وعاصم بل ادّارك بمعنى تتابع حتى استحكم اوتتابع حتى انقطع من تدارك بنوا فلان اذا تتابعوا فى الهلاك وابوبكر ادّرك ﴿ ٥٠٠ ﴾ واصلهما تفاعل وافتعل وقرئ أدرك بهمزتين

حتى تتوسط بينهما كلمة الاضراب ومحصول ماذكره من المناسبة ان خلاصة ماسبق بيان عجزهم عن علم مالادليل عليه اصلا وهو مطلق الغيب وخصوص وقت قيام الساعة وخلاصة قوله بل أدرك علمهم فى الآخرة بيان عجزهم عن علم ماتعاضدت الادلة على وقوعه لامحالة حيث لايعلمونه كما ينبغى فظهر وجه المناسبة بينهما وصحة الاضراب الثانى عن الاوّل ثم قال والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم اى من حالة سيئة دنيئة الى ماهو اسوأ وادنى منها فانه تعالى وصفهم اوّلا بانهم لايشعرون وقت البعث اى لايعلمون متى يوم القيامة ثم بين ان حالهم ادون واسوأ من هذا بان قال بل ادرك علمهم فى الآخرة اى تكاملت اسباب علمهم بانّ القيامة ستقوم وستقع وهم مع ذلك لايعلمونه كما ينبغى وهذه المرتبة اسوأ وانزل من الحالة الاولى لان اصل البعث ليس بغيب من حيث انه تعاضدت الادلة على حقية وقوعه فكأنه قيل لايعلمون الغيب بل ولا ماليس بغيب ولاشك ان الجهل بمثله اسوأ حالا من الجهل بما هو غيب ثم بين ان حالهم اسوأ حالا من هذه المرتبة اى من الجهل بان القيامة ستكون بقوله بل هم فى شك منها اى هم مستقرّون فى جهلهم لايطلبون التفصى منه بالتفكر فى الدلائل المنجية من ظلمات الشكوك والاوهام فحالهم اسوأ حالا من حال الجاهل المتردد الذى يطلب الحق والتوصل الى الصواب ثم بين انهم اسوأ من هذا ايضا بقوله بل هم منها عمون بمعنى انه ليس لهم بصيرة يدركون بها دلائل وقوعها من حيث ان اشتغالهم باللذات النفسانية من همّ البطن والفرج صيرهم كالبهائم والانعام وابطل استعدادهم للنظر والتفكر وهذه الحالة اسوأ من الحالة الاولى *ولما ورد ان يقال مضمون الاضرابات الثلاث على ماذكرتم مختص بالمشركين المنكرين للبعث فكيف ترجع الضمائر المذكورة فى قوله علمهم وبل هم منها فى شك وبل هم منها عمون الى قوله من فى السموات والارض *اجاب عنه بقوله وهذا وان اختص بالمشركين ممن فى السموات والارض الخ ﴿ قوله وقيل الاوّل اضراب عن نفى الشعور بوقت القيامة ﴾ عطف على قوله بان اضرب عنه اى عن نفى علم الغيب عنهم اى وقيل فى بيان المناسبة بين الآيتين ووجه الاضراب الاوّل ان المراد على هذا الوجه التهكم وقوله بل ادارك علمهم هو علمهم بانهم ايان يبعثون وان القيامة شئ يقع واما على الوجه الاوّل ففى الآية نفى انهم لايعلمون ان البعث كائن مع كثرة الدلائل عليه ﴿ قوله وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل ﴾ عطف من حيث المعنى على قوله بين ان ما انتهى وتكامل الخ فانه يتضمن تفسير الادراك بالتكامل والاستحكام وعلى هذا التفسير لاحاجة الى تقدير المضاف ثم فسر قراءة ادّارك بوجهين ايضا احدهما تدارك وتتابع حتى استحكم وثانيهما تتابع فى الهلاك حتى انقطع ﴿ قوله وابوبكر ادّرك ﴾ عطف على قوله نافع فهذه القراءة ايضا من السبعة على رواية ابى بكر عن عاصم ثم ذكر ثمانى قراآت من الشواذ ثنتان بأم وثنتان اخريان ببلى والباقية ببل وصحح الزمخشرى قراءة بل ادرك بقوله بالتخفيف والنقل اى بتخفيف الهمزة ونقل حركتها الى اللام واصله ماقرأبه ابن كثير وابوعمرو ثم ذكر قراءة اخرى بقوله بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل أدّرك على سبيل الاستفهام انتهى كلامه فيكون اصله ادّرك على وزن افتعل دخل عليه همزة الاستفهام فسقطت همزة الوصل فصار أدّرك بهمزة مفتوحة بعدها دال مشدّدة ثم نقلت حركة الهمزة الى اللام فصار بل ادّرك ولم يذكر المصنف هذه القراءة بل ذكر احدى عشرة قراءة ثم شرع فى بيان معانيها فقال ومافيه استفهام صريح اومضمن كما فى قراءة ام ادرك وام تدارك فان ام فيهما بمعنى بل والهمزة فانكار لادراك علمهم اى لانتهائه وتكامله ﴿ قوله ومافيه بلى فاثبات لشعورهم ﴾ فانه لما قيل بلى أدرك بعد قوله ومايشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بادراك علمهم فى الآخرة على سبيل التهكم الذى معناه المبالغة فى نفى العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة انهم لايعلمون كونها فيرجع الى نفى الشعور على ابلغ مايكون فقوله وتفسيره اتماهو على قراءة بلى أدرك بغير همزة الاستفهام واما على قراءة بلى آأدرك على الاستفهام فالمعنى حينئذ بلى يشعرون متى يبعثون بناء على ان بلى لاثبات شعورهم ويكون الاستفهام الذى بعدها لانكار علمهم بوجود الآخرة وثبوتها والمعنى ماادرك علمهم بنفس وقوع الآخرة فضلا عن علمهم بوقت وقوعها على ان يكون المقصود من انكار علمهم بنفس وقوع الآخرة نفى علمهم بوقت وقوعها بالطريق البرهانى ﴿ قوله اوردّ وانكار لشعورهم ﴾ عطف على اضراب عن التفسير يعنى ان قوله تعالى بل هم فى شك منها متعلق بالتفسير او بالمفسر المستفاد من بلى وقوله عمون جمع عم وهو اعمى القلب يقال عمى عليه الامر اذا التبس ورجل عمى القلب اى جاهل بل يستجهلون لجهلهم وقوعه ﴿ وان ربك ليعلم ماتكن صدورهم ﴾ ماتخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اى سترت ﴿ ومايعلنون ﴾ من عداوتك فيجازيهم عليه

بل استحكم علمهم فى امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها تلك غايتها التى عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وعاصم بل ادّارك بمعنى تتابع حتى استحكم اوتتابع حتى انقطع من تدارك بنوا فلان اذا تتابعوا فى الهلاك وابوبكر ادّرك ﴿ ٥٠٠ ﴾ واصلهما تفاعل وافتعل وقرئ أدرك بهمزتين وآأدرك بألف بينهما وبل ادّرك وبل ادارك وبلى ادرك وبلى أدرك وام ادرك وام تدارك ومافيه استفهام صريح اومضمن من ذلك فانكار ومافيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسيره بالادراك على التهكم ومابعده اضراب عن التفسير مبالغة فى نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون اوردّ وانكار لشعورهم ﴿ وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون ﴾ كالبيان لعمههم والعامل فى اذا مادل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وانّ واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة فى الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث اومن حال الفناء الى الحياة ﴿ لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ﴾ من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث نظرا الى الاهتمام ﴿ ان هذا الا اساطير الاوّلين ﴾ التى هى كالاسمار ﴿ قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل مانزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين فى ترك الجرائم ﴿ ولاتحزن عليهم ﴾ على تكذيبهم واعراضهم ﴿ ولاتكن فى ضيق ﴾ فى حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اى امر ضيق ﴿ مما يمكرون ﴾ من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ العذاب الموعود ﴿ ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم ﴾ تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد او الفعل مضمن معنى فعل يعدّى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ﴿ بعض الذى تستعجلون ﴾ حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف فى مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بأنّ الرمزة منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله تعالى ووعيده ﴿ وان ربك لذو فضل على الناس ﴾ بتأخير عقوبتهم على المعاصى والفضل والفاضلة الافضال وجمعهما فضول وفواضل ﴿ ولكنّ اكثرهم لايشكرون ﴾ لايعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه (قوله)

﴿وما من غائبة فى السماء والارض﴾ خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما فى الرواية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء فى عافية وعاقبة ﴿الا فى كتاب مبين﴾ بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة ﴿انّ هذا القرآن يقص على بنى اسرآئيل اكثر الذى هم فيه يختلفون﴾

﴿قوله وهما من الصفات الغالبة﴾ جعلهما من قبيل الراوية دليل على ان ليس مراده من الصفات الغالبة الصفات التى غلبت عليها الاسمية لان الراوية ليست من تلك المقولة لكونها من ألفاظ المبالغة بمعنى كثير الرواية فينبغى ان يكون مراده الصفات الغالبة على آحاد جنسها من حيث القوّة والكمال فتكون الغائبة والخافية بمعنى شديد الغيبوبة والخفية وتكون التاء فيهما للدلالة على هذا المعنى كما فى الراوية ويحتمل ان لا يكونا صفتين بل يكونا اسمين لما يغيب ويخفى فتكون التاء فيهما كالتى فى العافية والعاقبة من حيث كونهما اسمين بنيا على التاء مثلهما ثم انه تعالى لما قص احوال الانبياء مع امهم وانه دمر من خالفهم وعصاهم وانجى من آمن بهم واطاعهم وقال لكفار مكة على سبيل الالزام والتبكيت آللّه خيرام ماتشركون وبين انه خير بتفصيل مايدل على قدرته الكاملة وآلائه المتكاثرة فى تفرّده بعلم الغيب والشهادة وهدّد منكرى البعث بحملهم على النظر فى احوال المكذبين وما نزل بهم بشؤم تكذيبهم قال بعده ان هذا القرآن يقص على بنى اسرآئيل اكثر الذى هم فيه يختلفون تحريكا للمشركين على اتباع القرآن فانه لما اشتمل على بيان الحكم والحق فى اكثر ما اختلف فيه اهل الكتاب الذين هم فى زمن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ولم يحدوا مطعنا فى شئ مما قصه وبينه وكان المشركون يرجعون اليهم فى كثير من امورهم وعلموا عجزهم عن الطعن فيه ظهر لهم ان مافيه من الشرائع واصول القواعد الدينية كالتوحيد والحشر والنبوّة وشرح صفات اللّه تعالى وبيان نعوت جلاله مطابق لما تقتضيه العقول السليمة وموافق لما فى الكتب المتقدّمة وذلك يحرّك لهم داعية القبول والاتباع * فان قيل ان بنى اسرآئيل يعلمون بأنفسهم ما اختلفوا فيه ولا يحتاجون فى بيانه الى القرآن * فالجواب واللّه اعلم ان المعنى ان هذا القرآن يبين لهم الحكم او يبين لهم الحق فى اكثر ما كانوا يختلفون فيه * وقيل ذكر فى مواضع من القرآن ان فيه بيان كل حكم حيث قال ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى فاوجه قوله يبين لهم الحكم فى اكثر ما كانوا يختلفون فيه واجيب بان المراد انه يبين لهم اكثر ما اختلفوا فيه على طريق التنصيص والتصريح ويبين الباقى بطريق الدلالة والاشارة فان البيان ضربان صريح ودلالة ﴿قوله بما يحكم به وهو الحق﴾ جواب عما يقال القضاء والحكم شئ واحد فقوله يقضى بحكمه بمنزلة ان يقال يقضى بقضائه او يحكم بحكمه فما معناه وفائدته * وتقرير الجواب ان الحكم بمعنى الحق المحكوم به او بمعنى الحكمة ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة ﴿قوله فان اسماعهم فى هذه الحال ابعد﴾ بيان لفائدة التقييد بقوله اذا ولوا مدبرين فان الاصم اذا تولى مدبرا ثم ناديته كان ابعد من الاسماع حيث انضم الى صممه بعد المسافة ﴿قوله وقرأ ابن كثير ولا يسمع﴾ اى بفتح الياء التحتية ورفع الصم على الفاعلية والباقون بالتاء المضمومة وكسر الميم والفاعل الضمير المستكنّ وفيه نصب الصم والدعاء على انهما مفعولاه ﴿قوله تعالى بهادى العمى عن ضلالتهم﴾ اى بمبعدهم عنها بالهدى كما يقال سقاه عن العيمة اى ابعده عنها بالسقى والعيمة شهوة اللبن ثم انه تعالى تكلم فيما يتعلق بقيام الساعة فذكر اوّلا من العلامات الواقعة عند قيام دابة الارض فقال واذا وقع القول عليهم واراد بالقول متعلقه ومدلوله وبوقوعه قربه من الوقوع بحيث يكون فى حكم الواقع والجساسة بالجيم المهملة من يتجسس الحال ويتخبر خبرها ويتفحص عنها قيل سميت الدابة جساسة لانها تجس الكافر اى تطلبه والزغب الشعرات الصفر على ريش الفرخ قيل فى وصفها ان لها رأس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وهو التيس الجبلى وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرّة وذنب كبش وخف بعير وروى ان رأسها يبلغ السحاب وما بين قرنيها فرسخ للراكب وروى انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وقيل لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وروى ان لها ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن زمانا ثم تخرج قريبا من مكة ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس فى اعظم المساجد على اللّه حرمة يعنى مكة لم ترعينهم الا وهى فى ناحية المسجد ما بين ركن الحجر الاسود وباب بنى مخزوم عن يمين الخارج فى وسط ذلك وقيل تخرج من الصفا ولا يخرج الا رأسها وعنقها فيبلغ رأسها السحاب فيراه اهل المشرق والمغرب ثم تعود الى مكانها ثم تزلزل الارض فى ذلك اليوم ست ساعات فيبيتون خائفين واذا اصبحوا جاءهم الصريخ بان الدجال قد خرج ﴿قوله اذ قرئ تكلمهم﴾ بفتح التاء وسكون الكاف وضم اللام من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم والجمهور على التشديد وهو من الكلام ويجوز ان يكون من الكلم ايضا ويكون بناء التفعيل لكثرة المحل كما فى غلقت الابواب ﴿قوله وهو حكاية معنى قولها﴾ واعلم انه قرأ الكوفيون أن الناس بفتح الهمزة والباقون بكسرها ووجه القراءة بالكسر كون الكلام حكاية لقول الدابة

﴿كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح﴾ ﴿وانه لهدى ورحمة للمؤمنين﴾ فانهم المنتفعون به ﴿ان ربك يقضى بينهم﴾ بين بنى اسرآئيل ﴿بحكمه﴾ بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه ﴿وهو العزيز﴾ فلا يردّ قضاؤه ﴿العليم﴾ بحقيقة ما يقضيه فيه وحكمته ﴿فتوكل على اللّه﴾ ولا تبال بمعاداتهم ﴿انك على الحق المبين﴾ وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ اللّه ونصره ﴿انك لا تسمع الموتى﴾ تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن متابعتهم ومعاضدتهم رأسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باسماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم فى قوله ﴿ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين﴾ فان اسماعهم فى هذه الحال ابعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم ﴿وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم﴾ حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرأ حمزة تهدى العمى ﴿ان تسمع﴾ اى ما يجدى اسماعك ﴿الا من يؤمن بآياتنا﴾ من هو فى علم اللّه كذلك ﴿فهم مسلمون﴾ مخلصون من اسلم وجهه للّه ﴿واذا وقع القول عليهم﴾ اذا ناوقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب ﴿اخرجنا لهم دابة من الارض﴾ وهى الجساسة روى ان طولها ستون ذراعا ولها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروى انه عليه الصلاة والسلام سئل من اين مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على اللّه يعنى المسجد الحرام ﴿تكلمهم﴾ من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروى انها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتنكت بالعصا فى مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم فى انف الكافر نكتة سوداء فيسوّد وجهه ﴿ان الناس كانوا بآياتنا﴾ خروجها وسائر احوالها فانها من آيات اللّه تعالى وقيل القرآن ﴿لا يوقنون﴾ لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول اللّه

او علة خروجها او تكلمها على حذف الجار قرأ الكوفيون أن الناس بالفتح وغير الكوفيين ان الناس بالكسر ﴿ ويوم نحشر من كل امة فوجا ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ ممن يكذب بآياتنا ﴾ بيان للفوج اى فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبى واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين ﴿ فهم يوزعون ﴾ يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم ﴿ حتى اذا جاؤا ﴾ الى المحشر ﴿ قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما ﴾ الواو للحال اى أكذبتم بها بادى الراى غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اى أجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها ﴿ ام ماذا كنتم تعملون ﴾ ام اى شئ كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك ﴿ ووقع القول عليهم ﴾ حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم فى النار بعد ذلك ﴿ بما ظلموا ﴾ بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله ﴿ فهم لا ينطقون ﴾ باعتذار لشغلهم بالعذاب ﴿ ألم يروا ﴾ ليتحقق لهم التوحيد ويرشد الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهر وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور فى مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحياة فى مواد الابدان وأن من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم فى معاشهم ومعادهم ﴿ انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه ﴾ بالنوم والقرار ﴿ والنهار مبصرا ﴾ فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ لدلالتها على الامور الثلاثة ﴿ ويوم ينفخ فى الصور ﴾ فى الصور او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ فى البوق ﴿ ففزع من فى السموات ومن فى الارض ﴾ من الهول وعبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه ﴿ الا من شاء الله ﴾ ان لا يفزع بان ثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل المراد مايعم ذلك

اما لان الكلام بمعنى القول كأنه قيل تقول لهم ان الناس او باضمار القول اى تكلمهم وتقول لهم ان الناس او حكاية على تقدير ان يكون تكلمهم من الكلم بمعنى الجرح اى يقع عند ذلك حكاية منها لقول الله تعالى عند خروجها من الارض كأنه قيل وتحدثهم قول الله تعالى ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون * ولما وردان يقال لو كان الكلام حكاية من الله تعالى لقول الدابة لقيل ان الناس بخروجى وسائر احوالى لا يوقنون * دفعه بقوله وهو حكاية معنى قولها لان قوله بآياتنا يمنع كونه نفس قولها فينبغى ان يكون قولها هكذا ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجى وسائر احوالى لان تلك الاحوال لما كانت من آيات الله تعالى كان كلامها بمعناه ﴿ قوله ﴾ او علة خروجها او تكلمها على حذف الجار ﴿ قوله ﴾ اى لان الناس وهو توجيه لقراءة الكوفيين بفتح الهمزة ﴿ قوله ويوم نحشر ﴾ منصوب باذكر مقدرا اى واذكر يوم نجمع من كل امة من امم الانبياء زمرة المكذبين بآياتنا المنزلة على انبيائنا وبالآيات الدالة على وحدانيتنا فى الانفس والآفاق فيحبس اولهم على آخرهم ليجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب حتى اذا جاؤا الى ذلك الموضع قال الله تعالى موبخا لهم ومنكرا عليهم أكذبتم بآياتى وهو استفهام توبيخ وانكار ﴿ قوله ام اى شئ كنتم تعملون ﴾ يريد ان ماذا بمنزلة اسم واحد وهو اى شئ منصوب المحل بتعملون الواقع خبرا عن كنتم ويحتمل ان تكون ما استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء وذا بمعنى الذى وكنتم تعملون صلة والموصول مع صلته خبر المبتدأ والعائد محذوف والتقدير اى شئ الذى كنتم تعملونه وام منقطعة والاستفهام الذى فى ضمنه للتبكيت والزام الخصم بحمله على ان يقر بالذى سئل عنه اولا على طريق التوبيخ والانكار وبخهم اولا بقوله أكذبتم بآياتى بادى الرأى ثم اضرب عنه الى استفهام تقرير وتبكيت كأنه قيل دعوا ما نسبته اليكم من التكذيب وقولوا الى اى شئ كنتم تعملونه غير التكذيب ﴿ قوله ووقع القول ﴾ عطف على قوله قال أكذبتم بآياتى والقول بمعنى العذاب المقول الموعود للمكذبين وقوله بعد ذلك ظرف لقوله حل اى حل بهم العذاب الموعود بعد ان خوطبوا خطاب التوبيخ والتبكيت وكبوا على وجوههم فى النار ثم قال فهم لا ينطقون كما قال فى آية اخرى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فكيف يقدر على النطق والاعتذار من استغرق فى مقاساة عذاب الجحيم وقال قتادة كيف ينطقون ولا حجة لهم وقيل لا ينطقون لان افواههم مختومة وقيل لا ينطقون بما يكون لهم حجة او عذرا فى الشرك والتكذيب ولا حجة لهم ولا عذر ثم انه تعالى لما خوفهم باهوال القيامة ذكر كلاما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة مبالغة فى الارشاد الى الايمان والمنع عن الكفر فقال الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا مضيئا يبصر فيه اما وجه دلالته على التوحيد فاذكره بقوله لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص الخ واما وجه دلالته على الحشر فاذكره بقوله وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور الخ واما وجه دلالته على بعثة الرسل فاذكره بقوله وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم وهو بعثة الرسل ﴿ قوله فان اصله ليبصروا فيه ﴾ تعليل لكون التقابل مراعى من حيث المعنى فى قوله ليسكنوا ومبصرا وان كان الاول علة لجعل الليل اى خلقه والثانى حالا من النهار من حيث الاعراب ووجه التعليل ان المعنى خلقنا الليل ليكون زمانا لسكون اهله وخلقنا النهار ليكون زمانا لابصارهم الا انه اسند الابصار الى النهار وجعل حالا من احواله اللازمة للمبالغة مثل صائم نهاره ضرورة ان الابصار لا يقوم بنفس النهار وانما يقوم باهله فلما قيل والنهار مبصرا تعين ان المراد ابصار اهله فيه وانما اسند الى نفس النهار للمبالغة فى كونه ظرفا لابصار اهله ويوم ينفخ منصوب باذكر مقدرا وقيل ناصبه متأخر عنه وهو قوله من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار ﴿ قوله فى الصور او القرن ﴾ يعنى يحتمل ان يكون الصور جمع صورة كالصور يقال صورة وصور وصور كما يقال سورة وسور وسور فحينئذ يكون النفخ فى الصور عبارة عن نفخ الارواح فى صور الخلائق واجسادهم ويحتمل ان يكون الصور عبارة عن شئ يشبه القرن وان اسرافيل ينفخ فيه باذن الله فاذا سمع الناس ذلك الصوت وهو فى الشدة بحيث لا تحتمله طبائعهم يفزعون عنده ويصعقون ويموتون والى هذا القول ذهب اكثر المفسرين ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام * كيف وصاحب الصور قد التقم القرن وحنا جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ * روى عنه عليه الصلاة والسلام انه سئل عن الصور فقال * هو القرن وأن عظم دائرته * اى فمه * مثل ما بين السماء والارض فينفخ فيه نفخة فيفزع الخلق فينفخ نفخة اخرى فيموت اهل السموات والارض فاذا كان وقت النفخة الثانية جمعت الارواح

كلها فى الصور ثم ينفخ الاخرى فتخرج الارواح منه كالنحل والزنابير ويأتى كل روح الى جسده * وتمسك به من قال النفخ ثلاث احداها للفزع وهو قوله ففزع من فى السموات ومن فى الارض ونفخة اخرى للموت وهو قوله فصعق من فى السموات ومن فى الارض ونفخة ثالثة للبعث وهو قوله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون وقال بعضهم انما هى نفختان فالفزع والصعق كنايتان عن الهلاك والنفخة الثانية للبعث قال ابن عباس ومقاتل فى قوله تعالى ففزع من فى السموات ومن فى الارض اى ماتوا بشدّة الخوف وفى قوله فصعق من فى السموات الآية اى يبلغ منهم الفزع الى ان يموتوا ويحتمل ان لايكون هناك قرن فضلا عن ان ينفخ فيه حقيقة ويكون ذكر النفخ فيه مستعارا لمسارعة الموتى الى الانبعاث من قبورهم عند سماع صوت الداعى تشبيها لانبعاثهم بمجرّد سماع صوت الداعى بانبعاث الجيش عند سماع الآلة من غير توقف ولاتخلف احد منهم ﴿قوله حاضرون الموقف﴾ اختار قراءة آتوه على لفظ اسم الفاعل المضاف الى مفعوله فان حمزة وحفصا قرأ اتوه فعلا ماضيا والهاء فى محل النصب على المفعولية والباقون آتوه باسم فاعل مضاف الى الهاء ﴿قوله ثابتة فى مكانها﴾ يقال جد فى مكانه اذا لم يبرح وقوله تحسبها جامدة جملة حالية من فاعل ترى او مفعوله لان الرؤية بصرية وقوله وهى تمرّ جملة حالية من مفعول تحسبها جامدة والمعنى انك اذا رأيت الجبال وقت النفخة الاولى ظننتها ثابتة فى مكانها جدّا لعظمتها لان النظر لايحيط بها وهى فى الحقيقة تسير سيرا سريعا كالسحاب اذا ضربتها الريح فان الاجسام الكبار اذا تحرّكت حركة سريعة على نهج واحد فى السمت والكيفية يظنّ من نظر اليها انها واقفة الاترى السماء لاتحس حركتها قال تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا اى يقلعها عن اماكنها ويسيرها كما يسير السحاب بالريح حتى تقع على الارض فتستوى بها ﴿قوله مصدر مؤكد لنفسه﴾ يعنى ان قوله صنع الله مفعول مطلق وجب حذف عامله لكونه تأكيدا لمضمون الجملة المتقدّمة التى لامحتمل لها غيره فان قوله وهى تمرّ مرّ السحاب بل جميع ماتقدّم من نفخ الصور المؤدّى الى الفزع العام وحضور الكل الموقف ومافعل بالجبال انما هو من صنع الله تعالى لامحتمل له غيره فلما كان هذا المصدر تأكيدا لمضمون تلك الجملة ولم يكن لها محتمل غيره صار كأنه مؤكد لنفسه ووجب حذف ناصبه لكون الجملة المتقدّمة كالنائب عنه والاصل صنع ذلك صنعا فلما حذف العامل اضيف المصدر الى فاعله لانه لم يذكر فى الجملة المتقدّمة وهذا التقدير يقتضى ان يقال وهو مضمون الجملة المتقدّمة بدون اللام الجارة والمعنى وذلك المؤكد بهذا المصدر هو مضمون الجملة كما وجد فى بعض النسخ الاان الموجود فى اكثر النسخ وهو لمضمون الجملة باللام فالمعنى على هذا انه مصدر مؤكد لنفسه الذى هو الحدث المدلول عليه بلفظ عامله المحذوف وهذا المؤكد مع مؤكده المحذوف مؤكد لمضمون الجملة المتقدّمة ﴿قوله وقيل خير منها اى خير حاصل من جهتها﴾ فيكون خير صفة بمعنى شئ فاضل مرغوب فيه وتكون من متعلقة بمقدّر وهى مع متعلقها المقدّر فى محل الرفع صفة لخير وعلى الاوّل يكون خير اسم تفضيل بمعنى الافضل ومن متعلقة به ولم يرض المصنف بهذا التوجيه لان المتبادر من لفظ الخير كونه للتفضيل وكون كلمة من الواقعة بعده صلة له لالمقدّر ومن ذهب الى هذا التوجيه انما ذهب اليه دفعا لما يقال من ان الحسنة التى جاء بها العبد تتناول معرفة الله تعالى والاخلاص فى الطاعات والثواب الذى هو الجنة انما هو الاكل والشرب فكيف يجوز ان يقال الاكل والشرب خير من معرفة الله تعالى ولما جعل معنى الآية من جاء بالحسنات فى الدنيا فله فى الآخرة ثواب وخير يناله من اجل ماجاء به من تلك الحسنات لم يرد ذلك والمصنف اختار ان تحمل الآية على ماهو المتبادر منها وجعل ثواب الآخرة خيرا من الحسنات التى جاء بها العبد فى الدنيا لان اجل حسناته هى معرفة الله تعالى واخلاص العمل له لان المعرفة الضرورية الحاصلة فى الآخرة ولذة النظر الى وجهه الكريم اجل واشرف من المعرفة النظرية الحاصلة فى الدنيا وان ماجاء به من الاعمال الخالصة فانية مشوبة بأنواع التقصير واقعة بانواع المشقة ومخالفة الهوى وافعال اهل الجنة سالمة من اللغو والتأثيم صافية عن كدر المشقة والتكليف وشأنهم حال استغراقهم فيما يشتهون من اللذآئذ مشاهدة جمال من انعم بها وتمجيد عظيم شأنه وعلوّ كبريائه والانس بتقديسه وتمجيده طبعا والتذاذا الافرضا وتكليفا وليس حالهم لكمال المتنعمين فى الدنيا من الاشتغال بالنعمة عن المنعم فاىّ مناسبة بين احوالهم فى الجنة واحوالهم فى الدنيا ﴿قوله يعنى به خوف عذاب يوم القيامة﴾ اشارة الى دفع التدافع بين قوله ففزع من فى السموات ومن فى الارض وبين قوله وهم من فزع يومئذ آمنون فان من قرأ من فزع يومئذ بالاضافة يحمل

(وكل آتوه) حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية اوراجعون الى امره وقرأ حمزة وحفص اتوه على الفعل وقرئ اتاه على توحيد لفظ الكل (داخرين) صاغرين وقرئ دخرين (وترى الجبال تحسبها جامدة) ثابتة فى مكانها (وهى تمرّ مرّ السحاب) فى السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحرّكت فى سمت واحد فلا تكاد تتبين حركتها (صنع الله) مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدّمة كقوله وعدالله (الذى أتقن كل شئ) احكم خلقه وسوّاه على ماينبغى (انه خبير بما يفعلون) عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال (من جاء بالحسنة فله خير منها) اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقى بالفانى وسبعمائة بواحدة وقيل خير منها اى خير حاصل من جهتها وهو الجنة قرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء (وهم من فزع يومئذ آمنون) يعنى به خوف عذاب يوم القيامة وبالاوّل مايلحق الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن

وقرأ الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وأمن يعدّى بالجار وبنفسه كقوله أفامنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها ﴿ ومن جاء بالسيئة ﴾ قيل بالشرك ﴿ فكبت وجوههم فى النار ﴾ فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدى فى قوله ولا تلقوا بأيديكم ﴿ هل تجزون الا ما كنتم تعملون ﴾ على الالتفات او باضمار القول اى قيل لهم ذلك ﴿ انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرّمها ﴾ امر الرسول بان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة اشعارا بانه قد تم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشأنه والاستغراق فى عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها وقرئ التى حرّمها ﴿ وله كل شئ ﴾ خلقا وملكا ﴿ وامرت ان اكون من المسلمين ﴾ المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام ﴿ وان اتلو القرآن ﴾ وان اواظب على تلاوته لينكشف لى حقائقه فى تلاوته شيأ فشيأ او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل ﴿ فمن اهتدى ﴾ باتباعه اياى فى ذلك ﴿ فانما يهتدى لنفسه ﴾ فان منافعه عائدة اليه ﴿ ومن ضل ﴾ بمخالفتى ﴿ فقل انما انا من المنذرين ﴾ فلا علىّ من وبال ضلاله شئ اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت ﴿ وقل الحمد لله ﴾ على نعمة النبوّة او على ما علمنى ووفقنى للعمل به ﴿ سيريكم آياته ﴾ القاهرة فى الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض او فى الآخرة ﴿ فتعرفونها ﴾ فتعرفون انها آيات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة ﴿ وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ فلا تحسبوا ان تأخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى بالياء * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدّق بسليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

سورة القصص مكية وقيل الا

قوله الذين آتيناهم الكتاب

الى قوله الجاهلين وهى ثمان

وثمانون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك ﴾ نقرأه بقرآءة جبرائيل ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا ﴿ من نبأ موسى وفرعون ﴾ بعض نبئهما مفعول نتلو ﴿ بالحق ﴾ محقين ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ لانهم المنتفعون به ﴿ ان فرعون علا فى الارض ﴾ استئناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر ﴿ وجعل اهلها شيعا ﴾ فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا فى طاعته او اصنافا فى استخدامه استعمل كل صنف فى عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه ﴿ يستضعف طائفة منهم ﴾ وهم بنو اسرآئيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة شيعا او استئناف وقوله ﴿ يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم ﴾ بدل منها وكان ذلك (لابدانه)

الفزع على الفزع المختص بذلك اليوم وهو فزع العذاب الاليم والعقاب الدائم واهل الجنة آمنون منه واما مايلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم على ما عليه الجبلة البشرية فانه يعم الكافر والمؤمن وتنوين يومئذ عوض عن المضاف اليه فان اذ تضاف الى الجملة وقد حذفت ههنا وعوّض عنها التنوين واشار المصنف بقوله يعنى به خوف عذاب يوم القيامة الى انه اختار قرآءة من قرأ باضافة فزع الى يوم وان الجملة التى اضيف اليها اذ فى الاصل هى قامت القيامة والاصل يوم اذ قامت القيامة وهو احسن من ان يجعل التقدير يوم اذ جاء بالحسنة او يوم اذ ترى الجبال او يوم اذ ينفخ فى الصور **قوله** وقرأ الكوفيون بالتنوين للافراد والتعظيم وقرأ الآخرون بالاضافة وعلى قرآءة التنوين يكون يومئذ منصوبا بالمصدر لكونه مؤوّلا بان مع الفعل تقديره وهم من ان يفزعوا يومئذ او بآمنون اى آمنون يومئذ وعلى الاضافة يكون يومئذ مبنيا على الفتح لكونه مضافا الى اذ وهو غير متمكن **قوله** وأمن يعدّى بالجار كما فى هذه الآية فان من فيها صلة آمنون **قوله** فكبوا فيها لان مايكب ويلقى فى النار ليس وجوههم وحدها الا انه اسند الكب اليها ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين ووجه الايذان انه لما اكتفى بذكر الوجوه ومن المعلوم انه لا يمكن القاء الوجوه فى النار مع كون ما وراءها خارجا عنها علم ان الوجوه اصل فى ذلك وانها اوّل مايلابس النار وان ما وراءها تابع لها **قوله** وقرئ التى حرّمها صفة للبلدة وقرأ الجمهور الذى صفة للرب عز وجل والكلام مسوق لتعظيم الرب تعالى لا لتوصيف البلدة فلذلك كانت قرآءة العامة واضحة والمعنى جعلها الله تعالى مأمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يعضد اشجارها واللائق اليها آمن والخلا بالقصر النبات مادام رطبا فاذا يبس فهو حشيش ومعنى لا يعضد لا يقطع **قوله** وان اواظب على تلاوة على ان يكون اتلو من التلاوة وهى القرآءة ثم جوّز كونه من التلوّ وهو الاتباع لاوامره ونواهيه كما قال واتبع ما يوحى اليك **قوله** وقرئ واتل عليهم اى هذا القرآن امر اله عليه الصلاة والسلام بتلاوته على اهل مكة وهو معطوف على الامر مقدّر قبل قوله انما امرت فان تقديره قل للمشركين امرت ان اخص الله تعالى وحده بالعبادة وقد اشار اليه المصنف بقوله امر الرسول عليه الصلاة والسلام بان يقول لهم ذلك وان قرئ وان اتل يكون على حكاية لفظ الامر وان يجوز ان تكون مصدرية موصولة بالامر وان تكون مفسرة كما يقال امرته ان قم والحمد لله * تمت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين

صورة القصص مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله نقرأه بقرآءة جبريل عليه الصلاة والسلام فيكون اسناد التلاوة من قبيل اسناد الفعل الى السبب الآمر اسنادا مجازيا وعلى الثانى يكون المجاز فى المفرد ويكون نتلو استعارة تبعية حيث شبه التنزيل بالتلاوة من حيث ان كل واحد منهما من قبيل التبليغ فاستعير اسم التلاوة للتنزيل استعارة اصلية ثم اشتق منه نتلو **قوله** محقين اشارة الى ان قوله بالحق فى موضع الحال من فاعل نتلو كقوله تعالى تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وقوله لقوم متعلق بقوله نتلو اى نتلوه لاجلهم **قوله** استئناف مبين لذلك البعض اى الذى اجمل من قوله من نبأ موسى وفرعون كأنّ قائلا قال وكيف نبأهما فقيل ان فرعون علا فى الارض **قوله** وذلك كان من غاية حمقه قال الزجاج والعجب من حمق فرعون ان هذا الكاهن ان كان عنده صادقا فما ينفع القتل وان كان كاذبا فما معنى القتل **قوله** او حال من يستضعف اى يستضعفهم فرعون ونحن يريد ان نمنّ عليهم اى ننعم عليهم بخلاصهم منه وقدّر نحن لتكون جملة اسمية يعنى ليصح دخول الواو فان المضارع المثبت اذا وقع حالا لا يدخله الواو ولما جوّز كونه حالا ورد ان يقال جعله حالا يستلزم اجتماع المتنافيين وهما استضعاف فرعون اياهم وارادة الله المنة عليهم لان الله تعالى اذا اراد شيأ كان ولم يتوقف الى وقت آخر فيلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له وهما اجتماع المتنافيين لان ارادته تعالى ازلية مستمرّة فتكون مقارنة لاستضعافه اياهم ويكون المراد حادثا عند تعلق الارادة به ولا استحالة فى أن يريد الله تعالى حال استضعافه اياهم ان يمنّ عليهم بالخلاص فى وقت قدّره وقضاه وانما الاستحالة فى ان تتعلق ارادته بخلاصهم حال الاستضعاف وذلك غير لازم من جعله حالا وهذا الجواب لا يتأتى على مذهب المعتزلة فانهم قالوا ارادة الله تعالى حادثة لا فى محل قائمة بذاتها لان كاهنا قال له يولد مولود فى بنى اسرآئيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدّق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه ﴿ انه كان من المفسدين ﴾ فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ﴿ ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ﴾ ان تفضل عليهم بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ او حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز ان يجرى مجرى المقارن ﴿ ونجعلهم ائمة ﴾ مقدّمين فى امر الدارين ﴿ ونجعلهم الوارثين ﴾ لما كان فى ملك فرعون وقومه

لابذاته تعالى فيلزم من كون قوله ونريد ان نمنّ حالا من فاعل يستضعف ان تقارن الارادة الاستضعاف ومقارنتها له تستلزم مقارنة المراد له على مذهب المعتزلة وهى اجتماع المتنافيين والجواب عن مذهبهم ماشار اليه بقوله مع ان منة الله بخلاصهم الخ وخلاصته ان الله تعالى لما اراد ان يمنّ على بنى اسرائيل بعد هلاك فرعون ونجاتهم منه وكانت تلك المنة قريبة الوقوع جعلت كأنها واقعة مقارنة لاستضعافهم ﴿قوله وقرئ ويرى بالياء﴾ اى قرأ حمزة والكسائى ويرى بفتح الياء والرآء مضارع رأى مسندا الى فرعون وماعطف عليه فلذلك قرأ الاسماء الثلاثة بالرفع وقرأ الباقون بضم النون وكسر الرآء وفتح الياء بعدها مضارع أرى فلذلك نصب فرعون وماعطف عليه مفعولا اوّلا وماكانوا هو ثانى المفعولين ومنهم متعلق بفعل الرؤية او الاراءة لايحذرون لان مابعد الموصول لايعمل فيما قبله ﴿قوله واوحينا الى ام موسى بالهام اورؤيا﴾ ذهب عامّة المفسرين الى ان الوحى ههنا لم يكن بارسال رسول اليها من الملائكة واخبارلها بواسطتهم لانه لوكان وحى ارسال لكانت رسولا وذلك لايجوز كما قيل

* وماكانت رسولا قط انثى * ولا عبد وشخص ذو افتعال *

اى ولا رجل ذوكذب لانه يجب تصديق النبى عليه الصلاة والسلام والكاذب لايجب تصديقه وكذا لايجوز ان يكون العبد نبيا لان الرقبة اثر من الكفر والكفر لايجوز على الانبياء وكذا لايجوز ان تكون المرأة نبيا فان اهل السنة والجماعة اتفقوا على ان الذكورة شرط للرسالة لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم وفيه بحث لانه وان جاز ان تلهم هى ارضاعه والقاءه فى اليم كيف يجوز ان تلهم انا رادّوه اليك وجاعلوه من المرسلين فانه لاسبيل الى معرفة ذلك وعلمه الا بطريق المشافهة والقول الصريح من احد ويجوز ان يوحى اليها بارسال رسول يخبرها بذلك مشافهة ولايستلزم ذلك كونها رسولا كما فى قصة مريم من ان جبريل عليه الصلاة والسلام ارسل اليها وقال لها انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا فقد اوحى اليها بارسال الملك اليها ولم تصر بذلك رسولا فلم لايجوز ان يكون الوحى الى ام موسى كذلك وكانت ام موسى بنت لاوى بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام ﴿قوله ولاتخافى عليه ضيعة ولاشدّة﴾ اشارة الى الفرق بين الخوف والحزن اذالخوف غم يلحق الانسان لتوقع لم يقع بعد وهو بصدده والحزن كالحزن لغتان بمعنى كالعدم والعدم غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا واومنت بالوحى اليها ووعدت مايسليها ويسكن قلبها وهو قوله تعالى انا رادّوه اليك لتكونى انت المرضعة وجاعلوه من المرسلين الى اهل مصر والشام ﴿قوله فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا﴾ روى انه ذبح فى طلب موسى تسعون الف وليدسعوا فى دفع قضاء الله تعالى بما لاطائل تحته ثم اخطأوا فى التقاط سبب هلاكهم وربوه بأيديهم وتبنوه وليس ذلك الا لان قدر الله تعالى كائن لامحالة وان الحذر لايغنى من القدر ﴿قوله فالجملة اعتراض﴾ يعنى ان قوله تعالى ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وان قوله وقالت امرأة فرعون معطوف على قوله فالتقطه آل فرعون فقوله خاطئين ان كان مأخوذا من الخطأ ضدّ الصواب يكون الاعتراض لتأكيد خطاهم فى الالتقاط فان معنى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا فأخطأوا والتقطوا عدوّهم فاكد هذا المعنى بالمعترضة وان كان مأخوذا من الخطئ بمعنى الذنب يكون الاعتراض لبيان الموجب لما ابتلوا به كأنه قيل انهم خاطئين آثمين بالكفر والمعاصى فعوقبوا على ذلك بماجرى عليهم بسببه ﴿قوله هو قرّة عين لنا﴾ يريد ان قرّة عين خبر مبتدأ محذوف وقوله لى ولك صفتان لقرّة روى انه لما رأته اعوان قوم فرعون قالوا هذا هو الذى تحذر منه فائذن لنا فى قتله فهمّ فرعون بذلك فقالت آسية قرّة عين لى ولك لاتقتلوه فان الله تعالى أتانا به من ارض اخرى وليس من بنى اسرآئيل وقالت عسى ان ينفعنا فلما قالت ذلك قال فرعون عسى ان ينفعك اما انا فلا اريد نفعه قال وهب عن ابن عباس رضى الله عنهما لوان عدوّا لله قال فى موسى كما قالت امرأته آسية عسى ان ينفعنا لنفعه الله تعالى به ولكنه ابى للشقاء الذى كتبه الله عليه ومعناه انه لولم يكن مطبوعا على قلبه لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت قال المفسرون كانت آسية لاتلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال لآسية سميه قالت سميته موشى لانا وجدناه فى الماء والشجر فوهو الماء وشى هو الشجر * قال الامام كان لفرعون بنت ولم يكن له ولد غيرها وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد شاور الاطباء والسحرة فى امرها فقالوا ايها الملك لاتبرأ هذه الامن البحر يؤخذ منه شبه الانس فتأخذ من ريقه فتلطخ به برصها فتبرأ

الامر ﴿ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم﴾ من بنى اسرآئيل ﴿ماكانوا يحذرون﴾ من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع ﴿واوحينا الى ام موسى﴾ بالهام اورؤيا ﴿ان ارضعيه﴾ مامكنك اخفاؤه ﴿فاذا خفت عليه﴾ بأن يحس به ﴿فألقيه فى اليم﴾ فى البحر يريد النيل ﴿ولاتخافى﴾ عليه ضيعة ولاشدّة ﴿ولاتحزنى﴾ لفراقه ﴿انا رادّوه اليك﴾ عن قريب بحيث تأمنين عليه ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾ روى انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بنى اسرآئيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها عن السعاية فأرضعته ثلاثة اشهر ثم ألح فرعون فى طلب المواليد واجتهد العيون فى تفحصها فأخذت له تابوتا فقذفته فى النيل ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنا﴾ تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤدّاه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائى حزنا ﴿ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ فى كل شئ فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ماكانوا يحذرون اومذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوّهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتأكيد خطئهم اولبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف خاطئين اوخاطين الصواب الى الخطأ ﴿وقالت امرأة فرعون﴾ اى لفرعون حين اخرجته من التابوت ﴿قرّة عين لى ولك﴾ هو قرّة عين لنا لانهما لما رأياه اخرج من التابوت أحياه اولانه كانت له ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحرىّ يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرئت وفى الحديث انه قال لك لالى ولوقال لى كما هو لك لهداه الله كما هداها ﴿لاتقتلوه﴾ خطاب بلفظ الجمع للتعظيم ﴿عسى ان ينفعنا﴾ فان فيه مخايل

﴿ وهم لايشعرون ﴾ حال من الملتقطين اومن القائلة والمقول له اى وهم لايشعرون انهم على الخطأ فى التقاطه اوفى طمع النفع منه والتبنى له اومن احد ضميرى نتخذه على أن الضمير للناس اى وهم لايشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه ﴿ واصبح فؤاد ام موسى فارغا ﴾ صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون كقوله وافئدتهم هوآء اى خلاء لاعقول فيها ويؤيده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اى هدرا ومن الهم لفرط وثوقها بوعد الله تعالى اولسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ﴿ ان كادت لتبدى به ﴾ انها كادت لتظهر بموسى اى بأمره وقصته من فرط الضجرة اوالفرح بتبنيه ﴿ لولا ان ربطنا على قلبها ﴾ بالصبر والثبات ﴿ لتكون من المؤمنين ﴾ من المصدقين بوعد الله اومن الواثقين بحفظه لابتبنى فرعون وعطفه وقرئ مؤسى اجرآء للضمة فى جار الواو مجرى ضمتها فى استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ماقبله ﴿ وقالت لاخته ﴾ مريم ﴿ قصيه ﴾ اتبعى أثره وتتبعى خبره ﴿ فبصرت به عن جنب ﴾ عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه ﴿ وهم لايشعرون ﴾ انها تقص اوانها اخته ﴿ وحرمنا عليه المراضع ﴾ ومنعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع اومرضع وهو الرضاع اوموضعه يعنى الثدى ﴿ من قبل ﴾ من قبل قصها اثره ﴿ فقالت هل أدلكم على اهل بيت يكفلونه لكم ﴾ لاجلكم ﴿ وهم له ناصحون ﴾ لايقصرون فى ارضاعه وتربيته روى ان هامان لما سمعها قال انها لتعرفه واهله فحذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فأمرها فرعون بان تأتى بمن يكفله فأتت بأمها وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد أبى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لااوتى بصبى الا اقبلنى فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله ﴿ فرددناه الى أمه كى تقر عينها ﴾ بولدها ﴿ ولاتحزن ﴾ بفراقه ﴿ ولتعلم ان وعد الله حق ﴾ علم مشاهدة ﴿ ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ ان موعده حق فيرتابون فيه

من ذلك وذلك فى يوم كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون فى مجلس كان له على شفير النيل ومعه آسية بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون فى جوارٍ لها حتى جلست على الشاطئ اذ أقبل النيل بتابوت تضرب به الامواج وتعلق بشجرة فقال فرعون ائتونى به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فنظرت آسية فرات نورا فى جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته وفتحته فاذا هى بصبى صغير فى مهده واذا نور فى عينيه فألقى الله محبته فى قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرئت وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا الذى نحذر منه رمى فى البحر خوفا من ذبحه فهم فرعون ان يقتله فاستوهبته امرأة فرعون وتبنته فترك قتله ﴿ قوله ﴾ اومن احد ضميرى نتخذه ﴿ فتكون الجملة من كلام امرأة فرعون وعلى تقدير كونه حالا من آل فرعون اومن القائلة والمقول له يكون من كلام البارى ﴿ قوله ﴾ صفرا من العقل ﴿ اى حتى ذهلت عن الوحى الذى اوحى اليها ان ألقيه فى اليم ولاتخافى ولاتحزنى انا رادوه اليك وروى انه جاءها الشيطان وقال لها كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون لك اجر فتوليت انت اهلاكه فألقيته فى البحر فأوقعه البحر فى يد عدوه ﴿ قوله ﴾ اومن الهم ﴿ عطف على قوله من العقل والفرغ بكسر الفاء وسكون الرآء والغين المعجمة الهدر ﴿ قوله ﴾ انها كادت لتظهر ﴿ يريد أن ان مخففة واللام فارقة فالباء فى به مزيدة فى المفعول اى لتظهره وتقول انه ابنها اوتقول وا ابناه وقوله لولا ان ربطنا جوابه محذوف اى لأبدت كقوله وهم بها لولا ان رأى برهان ربه ﴿ قوله ﴾ من فرط الضجرة ﴿ مبنى على كون قوله فارغا بمعنى صفرا من العقل وقوله او الفرح مبنى على كونه بمعنى صفرا من الهم فكما ان فرط الضجرة يصح كونه مؤديا اياها الى اظهار امر موسى فكذا الفرح بما سمعته من ان فرعون احبه واكرمه وتبناه يصح كونه مؤديا اليه ايضا لاسيما وقد انضم اليه الاعتماد على تكفل الله تعالى بمصلحته * فان قيل كيف يكون فؤادها فارغا من الهم والحزن والله تعالى يقول لولا ان ربطنا على قلبها وهل يربط الا على قلب الجازع المحزون * قلنا الحصر ممنوع فانه تعالى كما يربط على قلب الجازع الحزين يربط على قلب الواثق بوعد الله تعالى وضمانه ومعنى الربط على القلب الهامه الصبر وتقويته كما يربط على الشئ المتقلب ليقر ويطمئن وقوله لتكون من المؤمنين متعلق بربطنا اى ربطنا على قلبها لتكون من المصدقين بوعد الله تعالى وهو قوله انا رادوه اليك وقوله اومن الواثقين بحفظه لابتبنى فرعون مرتبط بقوله او الفرح بتبنيه ﴿ قوله ﴾ تعالى فبصرت به ﴿ اى ابصرته فان بصر به وابصره بمعنى واحد ﴿ قوله ﴾ ومنعناه ان يرتضع ﴿ لما كان التحريم الحقيقى لكونه عبارة عن النهى واقتضاء ترك الفعل غير متصور ههنا لكونه فرع التكليف جعل التحريم مستعارا للمنع من الارتضاع بان شبه المنع بالتحريم للمناسبة بينهما فى التأدية الى الامتناع فأطلق عليه اسم التحريم واشتق منه حرمنا فانه تعالى منعه أن يرتضع ثدى كل مرضع اما بان احدث فى طبعه عليه الصلاة والسلام النفرة عن لبن سائر النساء فلذلك لم يرضع اواحدث فى لبنهن من الطعم مايتنفر منه طبعه اووضع فى لبن أمه لذة فلما تعودها اى تعود موسى عليه الصلاة والسلام لبن امه لاجرم كان يكره لبن غيرها فانه روى ان امه قد ارضعته ثلاثة اشهر حتى عرف ريحها فلا يبعد ان لايقبل لبن غيرها لذلك والمراضع جمع مرضع وهى المرأة التى ترضع اومرضع وهو موضع الرضاع يعنى الثدى اومصدر بمعنى الرضاع ﴿ قوله ﴾ يكفلونه لكم ﴿ اى يضمنون رضاعه والقيام بمصالحه لاجلكم والنصح اخلاص العمل عن شائبة الفساد ﴿ قوله ﴾ فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون ﴿ اى قالت لااعرف الغلام وانما قلت ذلك ليزول اضطراب الملك ويسكن قلبه فخلصت نفسها بهذه الكلمة من التهمة واحسنت وليس ببدع لانها من بيت النبوة واخت نبى لابيه وامه فحق لها امثال ذلك روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال لما قالت اخته هل ادلكم على اهل بيت قالوا لها من هى قالت امى قالوا ولاتك لبن قالت نعم لبن هرون اخى وكان هرون ولد فى سنة لم تقتل فيها الولدان فقالوا صدقت ﴿ قوله ﴾ واجرى عليها ﴿ وفى الكواشى فدفعه اليها واجرى اجرتها عليها واخذتها لانها مال حربى لانها اجرة حقيقة على ارضاعها ولدها فذهبت به الى بيتها وقيل لما دفعه اليها لم يبق من آل فرعون احد الا اهدى اليها وأتحفها بالذهب والجواهر ﴿ قوله ﴾ علم مشاهدة ﴿ اى علما بمشاهدة الموعود فانها كانت عالمة قبل ذلك بطريق الوحى ان ماوعده الله تعالى اياها من انه يرده اليها حق لكن ليس الخبر كالمعاينة وصاحب الكشاف حمل الوعد على الوعد بجعله من المرسلين حيث قال انجز الله وعده فى الرد فعندها ثبت واستقر فى علمها انه سيكون

نبيا فان الله تعالى وعدم موسى امرين ردّ موسى اليها وجعله من المرسلين فحين حقق الامر الاوّل استقرّ فى علمها انه تعالى يحقق الثانى ايضا ﴿ قوله ﴾ اوان الغرض الاصلى ﴿ عطف على قوله علم مشاهدة يعنى ان المراد من العلم اما العلم الحاصل بالمشاهدة او اصل العلم ﴿ قوله ﴾ لا يزيد عليه نشؤه ﴿ اى شبابه والناشئ الحدث الذى جاوز حدّ الصغر يقال نشأت فى بنى فلان نشأ اذا شببت فيهم ﴿ قوله ﴾ اوعلم الحكماء ﴿ عطف على قوله نبوّة يعنى ان قوله حكما وعلما يحتمل ان يراد به النبوّة ومايعرف بها من العلوم والاخلاق ويحتمل ان يراد به علم الحكماء واخلاقهم فعلم موسى عليه الصلاة والسلام قبل ان يبعث نبيا علمهم ويدل عليه قوله وكذلك نجزى المحسنين لانه تعالى جعل ايتاء الحكم والعلم مجازاة على احسانه والنبوّة لا تكون جزآء على العمل وعلى تقدير ان يراد به النبوّة ليس فى الآية دليل على أن هذه النبوّة كانت قبل قتل القبطىّ او بعده لان الواو فى قوله ودخل المدينة لا تفيد الترتيب وقدمرّ انه لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين سنة ثم بقى بعد الغرق خمسين ﴿ قوله ﴾ وقيل من منف ﴿ اسم مدينة من ارض مصر ومنف كماه وجور فى وجوب منع صرفه لاجتماع التأنيث والعلمية والعجمة يعنى انه اختلف فى المدينة فقيل هى مصر وقيل هى منف وقيل قرية تدعى خابين على رأس فرسخين من مصر وقيل عين شمس وقوله على حين غفلة فى موضع الحال من فاعل دخل اى دخل كائنا على حين غفلة اى مستخفيا متجسسا للخبر اومن المدينة اى دخلها حال غرّة اهلها واشتغالهم بعيدلهم وقيل بين المغرب والعشاء وقيل وقت الظهيرة عند المقيل وليس فى طرقها احد لاشتغال اهلها بالقيلولة ومن اهلها صفة لغفلة اى غفلة صادرة من اهلها واختلف فى السبب الذى لاجله دخل موسى على حين غفلة من اهلها فقيل انه كان يسمى ابن فرعون وكان يركب ويترل معه فركب فرعون يوما وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب فى اثره فادركه المقيل بارض منف فدخلها نصف النهار وليس فى طرقها احد فذلك على حين غفلة من اهلها وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام لما بلغ اشدّه وآتاه الله الحكم والعلم وعلم فرعون وقومه على الباطل خالفهم فى دينهم وفارقهم ولحق بشيعة له من بنى اسرآئيل يستمعون منه ويقتدون به فلما عرف ذلك منه اخافوه واخافهم فكان لا يدخل قرية فرعون الا خائفا فدخلها يوما على حين غفلة من اهلها وقيل ليس المراد من قوله على حين غفلة من اهلها حصول الغفلة فى تلك الساعة بل المراد الغفلة عن ذكر موسى عليه الصلاة والسلام وامره وذلك لان موسى حين كان صغيرا ضرب رأس فرعون بالعصا ونتف لحيته فأراد فرعون قتله فقالت امرأته هو صغير لا يعرف التمر من الجمر فجيئ بجمرة فأخذها وطرحها فى فيه فصلت عقدة فى لسانه فقال لا اقتله ولكن اخرجوه عن الدار والبلد فأخرج ولم يدخل عليهم حتى كبر والقوم نسوا ذكره فدخل يوما على حين غفلة من اهلها ولا يهمنا ترجيح بعض الروايات على بعض اذ ليس فى القرءآن ما يدل على شئ منها ﴿ قوله ﴾ والاشارة على الحكاية ﴿ اى رجلين مقولا فيهما هذا من شيعته وهذا من عدوّه كقوله جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط اى بمذق مقول فيه هذا القول ﴿ قوله ﴾ ولذلك ﴿ اى ولكونه متضمنا معنى الاعانة والنصرة عدّى بعلى ﴿ قوله ﴾ وقرئ فلكزه ﴿ الوكز واللكز كلاهما بمعنى واحد وهو الضرب بجمع الكف على الصدر وقيل الوكز فى الصدر واللكز فى الظهر وجمع الكف بالضم الكف المقبوضة الاصابع وكان عليه الصلاة والسلام شديد البطش فلذلك لم يتحمل القبطى وكزه ومات قيل الاسرآئيلى الذى اعانه موسى عليه الصلاة والسلام هو السامرىّ والقبطى طباخ فرعون وكان يسخر الاسرآئيلى لحمل الحطب الى مطبخ فرعون ﴿ قوله ﴾ فقتله ﴿ بيان لحاصل المعنى فان قضاء الشئ اتمامه والفراغ منه وكل شئ اتممته وفرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه فندم موسى عليه الصلاة والسلام على القتل الصادر منه وان لم يكن قصده لقتله فدفنه فى الرمل وقال مشيرا اليه هذا من عمل الشيطان من حيث انه هيج غضبى وحملنى على الوكز نسب والقتل الى الشيطان من حيث كونه سببا له ﴿ قوله ﴾ وسماه ظلما ﴿ جواب عما يقال قوله تعالى وهذا من عدوّه يدل على ان القبطى كان كافرا حربيا وكان دمه مباحا فلم جعل قتله من عمل الشيطان وظلم به نفسه واستغفر منه * ومحصول الجواب انى قتل قبل ان يؤذن له فى قتل الكافر فكان زلة يستغفر منها المتقون على عادتهم وان كانت محقرة صدرت خطأ ﴿ قوله ﴾ اى اقسم بانعامك علىّ بالمغفرة ﴿ قدّر متعلق الباء وجعل مامصدرية وجعل انعامه تعالى عليه بالمغفرة مقسما به ولا ادرى كيف علم ان الله تعالى غفر له وقد كان هذا قبل ان اوحى الله اليه وعين ان الجواب المقدّر هو قوله لأتوبنّ

اوأنّ الغرض الاصلىّ من الردّ علمها بذلك وماسواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون ﴿ ولما بلغ اشدّه ﴾ مبلغه الذى لا يزيد عليه نشؤه وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروى انه لم يبعث نبىّ الا على رأس الاربعين ﴿ واستوى ﴾ قدّه او عقله ﴿ آتيناه حكما ﴾ اى نبوّة ﴿ وعلما ﴾ بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل مايستجهل فيه وهو أوفق لنظم القصة لان الاستنباء بعد الهجرة فى المراجعة ﴿ وكذلك ﴾ ومثل ذلك الذى فعلنا بموسى وامّه ﴿ نجزى المحسنين ﴾ على احسانهم ﴿ ودخل المدينة ﴾ ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل من منف او خابين اوعين شمس من نواحيها ﴿ على حين غفلة من اهلها ﴾ فى وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين ﴿ فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوّه ﴾ احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنوا اسرآئيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية ﴿ فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوّه ﴾ فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدّى بعلى وقرئ استعانه ﴿ فوكزه موسى ﴾ فضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه اى فضرب به صدره ﴿ فقضى عليه ﴾ فقتله واصله فانهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر ﴿ قال هذا من عمل الشيطان ﴾ لأنه لم يؤمر بقتل الكفار اولانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطا وانما عدّه من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه على عادتهم فى استعظام محقرات فرطت منهم ﴿ انه عدوّ مضل مبين ﴾ ظاهر العداوة ﴿ قال رب انى ظلمت نفسى ﴾ بقتله ﴿ فاغفرلى ﴾ ذنبى ﴿ فغفرله ﴾ باستغفاره ﴿ انه هو الغفور ﴾ لذنوب عباده ﴿ الرحيم ﴾ بهم ﴿ قال رب بما انعمت علىّ ﴾ قسم محذوف الجواب اى اقسم بانعامك علىّ بالمغفرة وغيرها لأتوبنّ

﴿فلن اكون ظهيرا للمجرمين﴾ او استعطاف اى بحق انعامك علىّ اعصمنى فلن اكون معينا لمن أدّت معاونته الى جرم وعن ابن عباس انه لم يستثن فابتلى به مرّة اخرى وقيل معناه بما انعمت علىّ من القوّة اعين اوليائك فلن استعملها فى مظاهرة اعدآئك ﴿فأصبح فى المدينة خائفا يترقب﴾ يترصد الاستقادة ﴿فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه﴾ يستغيثه مشتق من الصراخ ﴿قال له موسى انك لغوىّ مبين﴾ مبين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر ﴿فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدوّ لهما﴾ لموسى والاسرآئيلى لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعدآء بنى اسرآئيل ﴿قال يا موسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس﴾ قاله الاسرآئيلىّ لانه لما سمعه غويا ظنّ انه يبطش به او القبطىّ وكأنه توهم من قوله انه الذى قتل القبطىّ بالامس لهذا الاسرآئيلىّ ﴿ان تريد﴾ ما تريد ﴿الا ان تكون جبارا فى الارض﴾ تتطاول على الناس ولا تنظر العواقب ﴿وما تريد ان تكون من المصلحين﴾ بين الناس فتدفع التخاصم بالتى هى احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتق الى فرعون وملئه فهموا بقتله فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال ﴿وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى﴾ يسرع صفة رجل اوحال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لاصلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف ﴿قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ يتشاورون بسببك وانما سمى التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر ﴿فاخرج انى لك من الناصحين﴾ اللام للبيان وليس صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدّم الموصول ﴿فخرج منها﴾ من المدينة ﴿خائفا يترقب﴾ لحوق طالب ﴿قال رب نجنى من القوم الظالمين﴾ خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم يكن فى سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان ﴿قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل﴾ توكلا على الله وحسن ظنّ به وكان لا يعرف الطرق فعنّ له ثلاث طرق فأخذ فى اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فأخذوا فى الآخرين ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها ﴿وجد عليه﴾ وجد فوق شفيرها ﴿أمّة من الناس﴾ جماعة كثيرة مختلفين ﴿يسقون﴾ مواشيهم ﴿ووجد من دونهم﴾ فى مكان اسفل من مكانهم ﴿امرأتين تذودان﴾ تمنعان اغنامهما من الماء لئلا تختلط باغنامهم (ولا)

اى لأرجعنّ مما فرط منى من الزلة وجعل قوله فلن اكون معطوفا على الجواب المقدّر فتكون الجملة الخبرية التى اكدت بالجملة القسمية هى المجموع من المعطوف عليه المقدّر وما عطف عليه ﴿قوله او استعطاف﴾ عطف على قوله قسم جعل الاستعطاف قسيما للقسم مع أن النحاة صرّحوا بان القسم على قسمين قسم للاستعطاف وقسم لغير الاستعطاف وقالوا القسم جملة انشائية يؤكد بها جملة اخرى فان كانت الاخرى خبرية فالقسم لغير الاستعطاف وان كانت طلبية فهو للاستعطاف ولم يجعله المصنف والزمخشرى قسما لان القائل اذا قال بالله لأفعلنّ كذا انعقدت اليمين على القائل واما لو قال بالله افعل كذا لا ينعقد اليمين لا على المتكلم ولا على المخاطب فلذلك لم يجعلاه من القسم ومن جعله قسما من القسم اعتبر الظاهر لان صورته صورة القسم من حيث انه يؤكد الطلب على المستعطف وليس بقسم على الحقيقة لان شرطه ان يؤكد به جملة خبرية موجبة او منفية ومن امثلة قسم الاستعطاف قول ابراهيم بن هرمة

* بالله ربك ان دخلت فقل له * هذا ابوه هرمة بالباب *

وعلى تقدير كون قوله بما انعمت علىّ استعطافا مؤكدا لجملة طلبية مقدّرة وهى اعصمنى يكون قوله فلن اكون جوابا للامر المقدّر سببا عنه ﴿قوله وعن ابن عباس رضى الله عنه انه لم يستثن﴾ تأييد لكون قوله بما انعمت قسما لا استعطافا لان الابتلاء انما يكون بازلة لا بعدم كونه مجاب الدعوة وقوله فابتلى به مرّة اخرى فى اليوم الثانى قال الامام هذا ضعيف لانه فى اليوم الثانى لم يبتل باعانة المجرم بل ترك الاعانة وانما خاف منه ذلك العدوّ فقال ان تريد الا ان تكون جبارا لانه وقع منه ذلك ﴿قوله وقيل معناه بما أنعمت علىّ من القوّة الخ﴾ فعلى هذا القول لا تكون الباء للقسم ولا للاستعطاف بل تكون للسببية اى بسبب ما انعمت علىّ من القوّة اشكرك فلن استعملها الا فى مظاهرة اوليائك لا ادع احدا من اعدآئك يغلب احدا من اوليائك ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما قتل ذلك القبطى بالوكز اصبح اى صار خائفا على نفسه من ان يظهر انه هو القاتل ويستقاد اى يطلب ان يقتل قودا وتعريف المدينة للعهد والمعهود المدينة التى قتل فيها القبطى وخائفا خبر أصبح وفى المدينة متعلق به ويترقب بدل من خائفا او خبر ثان ومفعول يترقب محذوف أى يترقب وينتظر المكروه روى ان ولى الدم جاء فرعون وقال له قد قتل بنوا اسرآئيل مناقتيلا فخذ حقنا منهم فقال له اما علمت ان لا نقضى الا بالبينة فبيناهم يطوفون فى طلب البينة اذا مرّ موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلىّ يقاتل فرعونيا آخر فاستغاثه على الفرعونى فغضب عليه موسى فقال انك لغوىّ مبين اى بين الغواية والضلال على ان الغوىّ فعيل بمعنى الغاوى وقيل انه بمعنى المغوى والمعنى انى وقعت بالامس فيما وقعت فيه بسببك فالآن تريد أن توقعنى فى ورطة اخرى فلما اراد موسى ان يبطش بالقبطى الذى هو عدوّ لموسى عليه الصلاة والسلام وللاسرآئيلى فوثب عليه ليمنعه من اخذ الاسرآئيلى وتسخيره ظنّ الاسرآئيلى انه عليه السلام اراد ان يبطش به بناء على انه عليه الصلاة والسلام خاطبه بقوله انك لغوىّ مبين ورأى الغضب عليه فقال له يا موسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس فصار هذا القول منه سببا لظهور ان القتل الواقع امس صدر من موسى عليه الصلاة والسلام حيث لم يطلع على ذلك الا الاسرائيلى فلما سمع القبطى قول الاسرآئيلى علم ان موسى هو الذى قتل ذلك الفرعونى امس فانطلق الى فرعون واخبره بذلك فأمر فرعون بقتل موسى ﴿قوله او القبطىّ﴾ عطف على الاسرآئيلى اى توهم من قول موسى عليه الصلاة والسلام له انك لغوىّ مبين انه الذى قتل القبطى بالامس لاجله *قال الامام هذا هو الظاهر لقوله فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدوّ لهما قال يا موسى فان الظاهر ان ضمير قال هو عدوّ لهما وايضا فقوله ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض لا يليق الا بالقبطى الجافى والجبار هو الذى يفعل ما يريد من الضرب والقتل ظلما لا ينظر فى العاقبة وقيل هو المتعظم الذى لا يتواضع لاحد ﴿قوله اذا جعل من اقصى المدينة صفة له﴾ يعنى ان يسعى مع كونه مؤخرا عن النكرة انما يكون حالا منها اذا تخصصت بالصفة فان ذا الحال اذا كان نكرة وجب تقدّم الحال عليه كما فى قوله * لعزة موحشا طلل قديم * ﴿قوله قرية شعيب﴾ هو شعيب بن نويب بن مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان لابراهيم اربعة بنين اسمعيل واسحق ومدين ومداين واليهما نسبت البلدتان مدين ومداين ﴿قوله جماعة كثيرة مختلفين﴾ الامّة جماعة يجمعهم امر ما اما دين واحد او زمان او مكان واحد سواء كان الامر الجامع حاصلا لهم اختيارا او تسخيرا وأخذ اختلاف الناس من لام التعريف لانه ليس للاستغراق وهو ظاهر

ولا للجنس لان قوله يسقون يغنى عن بيان أنّ المراد بالامّة جنس الناس فثبت انه للعهد والمعهود عرفا ان تكون الجماعة المجتمعة للاستقاء اناسا مختلفين وفسر من دونهم بقوله فى مكان ادون من مكانهم ويجوز أن يفسر بسوى تلك الامّة والمراد بالامرأتين ابنتا شعيب عليه الصلاة والسلام قيل كبيرتهما اسمها صفرآء والاخرى صفيرآء والرعاء جمع راعى كقيام جمع قائم قيل الرعاء هم الذين يرعون المواشى والرعاة هم الذين يرعون الناس وهم الولاة قوله دونه اى دون المفعول وبيانه قوله وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر اى بفتح الياء وضم الدال اى يرجع يقال صدر يصدر اذا رجع من الماء وهو لازم والمعنى حتى ينصرف الرعاة وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الدال من الاصدار وهو متعدّ والمعنى حتى يردّوا ويصرفوا مواشيهم والرخال بكسر الرآء جمع رخل بكسر الخاء وهو الانثى من ولد الضأن والرخال بضم الرآء اسم جمع قوله مع ما كان به من الوصب وكيف لا وقد خرج عليه الصلاة والسلام من غير زاد ولا حذآء ولا ظهر ولم يطعم فى الطريق الا ورق الشجر وسقط جلد قدميه فى الطريق وكانت خضرة البقل تترأى فى بطنه من الهزال ورقة البدن وجلده قيل لما سقت الرعاء مواشيهم ووضعوا صخرة على البئر كما هو عادتهم فى كل سقية وكانت عادة ابنتى شعيب ان تسقيا من فضل مواشيهم انتهى موسى عليه الصلاة والسلام الى البئر وقد اطبقت عليها الصخرة الموصوفة فاقتلعها بنفسه ثم سقى لهما غنمهما وفى رواية الكلبى انه كان للبئر دلو يجتمع اربعون رجلا حتى يخرجوها من البئر فأتى موسى الماء فسألهم ان يهبوه دلوا من الماء فقالوا ان شئت اعطيناك الدلو على ان تستقى انت فقال نعم فاخذ موسى الدلو فاستقى بها وحده فصب فى الحوض ودعا فيه بالبركة ففرّ بتا غنمهما فروى منه جميع الغنم وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما سمع قولهما رجعهما فاقتلع صخرة من رأس بئر اخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل فى وجه الجمع بين قوله وجد عليه امّة من الناس يسقون وبين كون موسى هو الذى رفع الحجر وحده عن رأس البئر أن معنى قوله يسقون يريدون ان يسقوا الا انهم منتظرون لحضور الرعاة جميعا ليتعاونوا على رفع الحجر فرفعه موسى عليه الصلاة والسلام وسقى لهما قبل اجتماع الرعاة وسقيهم وهو الاظهر قوله لاىّ شئ انزلت الىّ من خير جعل ما موصوفة بقوله انزلت الىّ من خير ولما كان الوصف بالعام يفيد عموم الموصوف قال لاىّ شئ انزلت الخ والا فالظاهر ان يقال لشئ انزلته الىّ وفى الوجه الثانى جعل ما موصولة لان ما انزلت فى الوجه الاوّل عبارة عن شئ غير معلوم لان مطلوبه شئ من جنس الخير اىّ شئ كان بخلاف الثانى لان ما انزلت فى ذلك الوجه عبارة عن خير الدين وتنكير خير فى الوجه الاوّل للتعميم وفى الوجه الثانى للتعظيم قوله ولذلك اى ولاجل ان قوله فقير ضمن معنى سائل وطالب عدّى باللام فان قوله لما انزلت متعلق بفقير وكان الاصل فيه ان يعدّى بالى وقيل ليست اللام متعلقة بفقير حتى يحتاج الى اعتبار التضمين لان المعنى انى وان صرت فقيرا فى الدنيا الا ان ذلك الفقر انما اصابنى لما انزلت الىّ من الخير العظيم المتعلق بالدين وهو الخلاص من صحبة الظالمين وقوله لانه كان فى سعة عند فرعون بيان لكون خروجه من عنده سببا لفقره من جهة الدنيا وقال ذلك رضى بالبدل وفرحا به وشكرا قوله متخفرة على لفظ اسم الفاعل من الخفر بالتحريك وهو شدّة الحياء تقول منه رجل خفر بكسر الفاء وجارية خفرة متخفرة اى مستحيية اشدّ الحياء قوله ولعل موسى عليه الصلاة والسلام الخ جواب عما يقال انه سقى اغنامهما تقرّبا الى الله تعالى خالصا لوجهه فكيف يليق اخذ الاجرة عليه فان ذلك غير جائز فى الشريعة روى انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس قال ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبى فاستدعيه لى فلما أتته وبلغت اليه رسالة ابيها تبعها موسى فألصقت الريح ثوبها بجسدها فوصفت جسدها لموسى لان الريح كانت تجيئ من خلفها فجعل موسى يعرض عنها مرّة ويغض بصره اخرى فناداها يا امة الله كونى خلفى وارينى الطريق بقولك وفى رواية بحجر ترمين به الى قدّامى ان اخطأت الطريق فلما دخل على شعيب وكان العشاء يهيأ قال له شعيب اجلس ياشاب فتعش فقال له موسى اعوذ بالله فقال له شعيب ولم ذلك ألست بجائع قال بلى ولكنى اخاف ان يكون عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نبيع شيأ من عمل الآخرة بملئ الارض ذهبا فقال له شعيب لا والله ياشاب ولكنها عادتى وعادة آبائى نقرى الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى يأكل قال الضحاك لما دخل عليه قال له من انت ياعبدالله قال انا موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب وذكر له جميع امره من لدن ولادته وامر القوابل والمراضع والقذف فى اليم وقتل القبطى وانهم يطلبونه ليقتلوه فقال له

(قال ما خطبكما) ماشأنكما تذودان (قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء) يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا من مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه الى السقى لهما ثمة دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر اى ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال (وابونا شيخ كبير) كبير السنّ لا يستطيع ان يخرج للسقى فيرسلنا اضطرارا (فسقى لهما) مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر فأقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرا اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها (ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما انزلت) لاىّ شئ انزلت (الىّ من خير) قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام (فقير) محتاج سائل ولذلك عدّى باللام وقيل معناه انى لما انزلت الىّ من خير الدين صرت فقيرا فى الدنيا لانه كان فى سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك (فجاءته احداهما تمشى على استحياء) اى مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفورآء او صفرآء وهى التى تزوّجها موسى (قالت ان ابى يدعوك ليجزيك) ليكافئك (اجر ما سقيت لنا) جزآء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرّك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لاطماعه فى الاجر بل روى انه لما جاءه قدّم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان من فعل معروفا فاهدى بشئ لم يحرم اخذه (فلما جاءه وقصّ عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) يريد فرعون وقومه

شعيب عليه الصلاة والسلام لاتخف نجوت من القوم الظالمين اى لاسلطان له بارضنا ولسنا فى مملكته *فان قيل ان المفسرين قالوا ان فرعون يوم خرج على اثر موسى ركب فى ألف ألف وستمائة ألف والملك الذى هذا شأنه كيف يعقل ان لايكون فى ملكه قرية على بعد ثمانية ايام من دار ملكه * والجواب ان هذا وان كان نادرا لكنه ليس بمحال والقصص مصدر قص قصا وقصصا سمى به المقصوص ﴿قوله﴾ استأجره ﴿ى اتخذه اجيرا ليرعى اغنامنا ثم قالت ان خير من استأجرت القوىّ الامين من قوى على العمل وادّى الامانة ﴿قوله﴾ وللمبالغة فيه الخ ﴿بيان لوجه العدول عن مقتضى الظاهر فان الظاهر ان يجعل القوىّ الامين اسم ان وخير من استأجرت خبرها وأن يؤتى بلفظ المضارع بدل استأجرت فعكس جميع ذلك وجعل خير من استأجرت اسما وهو نكرة والقوىّ الامين خبرا وهو معرفة وعبر عن الآتى بلفظ الماضى للمبالغة فى الدلالة على انه حقيق بالاستئجار وذلك لان ماهو اعنى فهو للتقديم اولى فان شدّة العناية والاهتمام لما كانت متعلقة بالخيرية قدّمت وجعلت اسم ان ونظيره قول الشاعر

* الا ان خير الناس حيا وهالكا * اسير ثقيف عندهم فى السلاسل *

يعنى ان المناسب للمقام بيان ان موسى عليه الصلاة والسلام بخصوصه حقيق بالاستئجار لقوّته وامانته لكونها فى صدد تعليل طلبها لاستئجار موسى بخصوصه وذكرت فى تعليله مايدل على ان مطلق من وجد فيه القوّة والامانة حقيق بالاستئجار لتستدل بهذه المقدّمة الكلية المسلمة على مدّعاها وهو استحقاق موسى للاستئجار ﴿قوله﴾ على ان تأجر نفسك منى ﴿ على ان يكون المفعول الثانى محذوفا اى تأجر منى نفسك من قولهم أجرت دارى ومملوكى غير ممدود وآجرت ممدودا كلاهما بمعنى اكريتهما والاوّل اكثر ﴿قوله﴾ او تكون لى اجيرا ﴿ من قولهم أجرته اذا كنت له اجيرا او هو من يأجرنى اى يصير اجيرى كما يقال ابوته اذا كنت له ابا وعلى التقديرين يكون ثمانى حجج منصوبا على الظرفية وعلى ان تأجرنى فى محل النصب على الحال من كاف انكحك ﴿قوله﴾ او تثيبنى الخ ﴿ على ان يكون تأجرنى من أجرك بمعنى اثابك فان اصل الاجر الثواب والعوض وكان عليه الصلاة والسلام يعزى بأن يقول أجركم الله الجنة والمفعول الثانى فيه محذوف اى تأجرنى العوض الجميل فيكون ثمانى حجج حالا ويجوز ان يكون مفعولا به بتقدير رعية ثمانى حجج لان العمل هو الذى يقع به الاثابة لانفس الزمان ﴿قوله﴾ فاتمامه من عندك ﴿ اشارة الى ان قوله فمن عندك خبر مبتدأ محذوف والجملة جواب الشرط والتزوّج على رعى الغنم جائز بالاجماع لانه من باب القيام بامور الزوجة فلا منافضة بخلاف التزوّج على الخدمة فانه لايجوز عندنا لما فيه من الهوان والذل والزوج قوّام عليها بالنص والمراد بالقوّامية المالكية وكونه مستخدما لها فلو جاز امهار الخدمة لصارت مالكة مستخدمة ولصار هو مملوكا خادما فعاد على موضوعه بالنقض ﴿قوله﴾ وهذا استدعاء العقد لانفسه ﴿ جواب عما يقال كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز ونكاح المبهم لايصح لانه عقد موضوع لحل الاستمتاع وهو انما يرد على المعينة دون المبهمة وعلى تقدير تسليم ان المنكوحة معينة فالمهر غير معين لكونه رعية احدى المدتين وهو غير معلومة وايضا كيف تجوز الاجارة على رعية احدى الاجلين من غير تعيين مدّة العمل وايضا كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه فى رعية غنم ابيها مع ان الصداق يجب ان يحصل للمنكوحة لالابيها باتفاق العلماء وذلك لانه بدل بضع المرأة فيجب ان تكون منفعة الرعى حاصلة لها لالابيها * واجاب عن الاوّل بان قول شعيب ليس انشاء لعقد النكاح حتى يجب تعيين النكاح بل هو مواعدة مع موسى عليه الصلاة والسلام ذكر له انه يريد شيئين احدهما انكاح احدى ابنتيه اياه وثانيهما ان يكون موسى اجيرا لرعى الغنم ولا محذور فى الابهام عند المواعدة والظاهر ان العقد جرى على المعينة وعن الثانى بان قوله على ان تأجرنى ثمانى حجج ليس المقصود منه جعل عمله مهرا لها بل المقصود ان يزوّجها اياه بمهر آخر فكان هناك عقد ان مختلفان عقد الاجارة بالاجرة المعلومة وعقد النكاح بالمهر المعين وعلى تقدير ان يكون العمل مهرا لها فلانسلم ان مدّة العمل غير معلومة بل هى متعينة وهى الاجل الاوّل غاية مافى الباب ان موسى وعد له ان يوفى الاجل الاخير ان تيسر له قبل العقد وعن الثالث ان الاغنام للمنكوحة لالابيها ثم قال ويجوز ان يكون النكاح جائزا فى تلك الشريعة بشرط ان تكون منفعة العمل فى المدّة المعلومة لولى المرأة كما يجوز فى شريعتنا بشرط رعى غنمها فى مدّة معلومة ﴿قوله﴾ ذلك الذى عاهدتنى فيه قائم بيننا ﴿ اشارة الى ان ذلك مبتدأ والاشارة به الى ماتعاهدا عليه والظرف الذى بعده خبره واىّ فى ايما الاجلين منصوب بقضيت ومازائدة مؤكدة لابهام اىّ وهى شرطية وجوابها فلاعدوان علىّ اى

(قالت احداهما) يعنى التى استدعته (يا ابت استأجره) لرعى الغنم (ان خير من استأجرت القوىّ الامين) تعليل جامع يجرى مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه جعل خير اسما وذكر الفعل بلفظ الماضى للدلالة على انه امين مجرّب معروف وروى ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوّته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوّب رأسه حين بلغته رسالته وامرها بالمشى خلفه (قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتىّ هاتين على ان تأجرنى) على ان تأجر نفسك منى او تكون لى أجيرا او تثيبنى من أجرك الله (ثمانى حجج) ظرف على الاوّلين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اى رعية ثمانى حجج (فان اتممت عشرا) عملت عشر حجج (فمن عندك) فاتمامه من عندك تفضلا لامن عندى الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لانفسه فلعله جرى على اجرة معينة ومهر آخر او برعية الاجل الاوّل ووعد له ان يوفى الاخر ان تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع فى ذلك (وما اريد ان اشق عليك) بالزام اتمام العشر او المناقشة فى مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان مايصعب عليك يشق عليك اعتقادك فى اطاقته ورأيك فى مزاولته (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) فى حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة (قال ذلك بينى وبينك) اى ذلك الذى عاهدتنى فيه قائم بيننا لانخرج عنه (ايما الاجلين) اطولهما او اقصرهما (قضيت) وفيتك اياه

(لايعتدى)

لايعتدى علىّ فى طلب الزيادة على ما اتممت ووفيت ومن المعلوم انه لايتعدّى عليه بطلب الزيادة على اطول الاجلين لكن جمع بين اطول الاجلين واقصرهما ليعلم ان الوفاء بالاقصر كالوفاء بالاطول فى ان طلب الزيادة عليه ظلم وعدوان كما ان طلب الزيادة على الاطول كذلك ﴿قوله﴾ اوفلا اكون معتديا ﴿/قوله﴾ فعلى هذا يكون علىّ متعلقا بمحذوف واقع فى محل خبر لا اى ثابت علىّ اوواقع علىّ وكذا على الوجه الاوّل هو متعلق بمحذوف واقع فى محل خبر لا لكن المعنيان مختلفان من حيث ان المراد بالعدوان على الاوّل اعتداء الغير عليه بطلب الزيادة وعلى الثانى اعتداؤه وظلمه على نفسه بارتكابه الاثم وهو ترك الزيادة عليه فهو على الثانى بمعنى لااثم علىّ ولايجوز ان يكون علىّ متعلقا بعدوان والا لكان عدوان مشابها للمضاف من حيث ان كل واحد منهما عامل فيما بعده ومابعدهما متمم ومخصص لهما فكان يجب نصبه لما تقرّر فى النحو من ان اسم لا التى لنفى الجنس اذا كان مضافا اومشابهاله يجب نصبه ﴿قوله﴾ وهو ابلغ ﴿/قوله﴾ اى النظم الواقع فى التنزيل ابلغ فى تقرير كونه مخيرا بين الاجلين من ان يقال ان قضيت الاقصى فلا عدوان علىّ وان كان مقتضى الظاهر ان يقال هكذا اذلا يتصوّر عدوان غيره عليه ولا عدوانه على نفسه على تقدير ان يقضى اطول الاجلين حتى يجمع بينهما ويقال ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علىّ ﴿قوله﴾ نظرت نصرا والسماكين ﴿/قوله﴾ اى انتظرت رجلا مسمى بنصر والسماكين طلبا لمعرفتهما ولم افرق بين نصر والسماكين فى الجود ولم اعلم ايهما استهلت مواطره علىّ من الغيث والسماكان نجمان السماك الاعزل وهو الذى لاشئ بين يديه والسماك الرامح وهو الذى بين يديه الكواكب وهل السحاب واستهل اذا انصب شديدا ونصر اسم الممدوح بالجود وايهما بسكون الياء اصله ايهما فسكن الياء للضرورة ومن فى قوله من الغيث للبيان والمواطر جمع ماطرة اى سحابة ماطرة وقوله ايهما الخ فيه حذف تقديره لااعلم ايهما انصب علىّ ولما رضى موسى بان يرعى غنم شعيب هذه المدّة باجرة معلومة وعلق شعيب انكاح احدى ابنتيه اياه بالرعى المذكور بان يرعى على ان ينكح هو ابنته اياه وتم العقد الذى جرى بينهما امر شعيب ابنته ان تعطى موسى عصايدفع بها السباع عن غنمه وكانت عصىّ الانبياء عنده فدخلت فاخذت عصا فأتته بها فلما رآها شعيب قال لها ردّى هذه العصا وائتيه بغيرها فدخلت وألقتها وارادت ان تأخذ غيرها فلم يقع فى يدها الاهى حتى فعلت ذلك سبع مرّات فعلم شعيب ان لموسى شأنا واختلفوا فى تلك العصا فقيل كانت من آس الجنة هبط بها آدم من الجنة فتوارثتها الانبياء حتى وصلت الى شعيب وقيل كانت تلك العصا استودعها اياه ملك فى صورة رجل ولذلك لم يرض ان يعطيها لموسى وامر ابنته ان تردّها الى موضعها وتأتى بغيرها وقيل ماكانت الاعصا اخذها موسى عليه الصلاة والسلام من عرض واحد من جنس الشجر اى من جانب الشجر وعلى القولين الاوّلين لما اخذها موسى من شعيب واصبح قال له شعيب سق هذه الاغنام الى مفرق الطريق ثم خذ جانب يمينك وليس فيه عشب كثير ولا تأخذ جانب يسارك وفيه عشب كثير لكن فيه تنين اخاف منه عليك وعلى مامعك من المواشى فساق موسى المواشى الى مفرق الطريق فاخذت نحو اليسار ولم يقدر موسى على ضبطها وسرّحها فى الكلأ ونام موسى فخرج التنين فقامت العصا فصار لها شعبتان من حديد وحاربت التنين حتى قتلته وعادت الى موسى فلما انتبه موسى رأى العصا مخضوبة بالدم والتنين مقتولا فارتاح لذلك وعاد الى شعيب فس الاغنام فاذا هى امثل حالا فسأله عن القصة فاخبره بها ففرح بذلك شعيب واراد ان يجزى موسى عليها فقال كل ماولدت الاغنام فى هذه السنة من اولاد سود فهو لك فكانت الاولاد فى تلك السنة كلها سودا فحازها كلها وفى السنة الثانية شرط ذلك فى البيض فولدت كلها بيضا فحازها جميعا وفى السنة الثالثة قال كل ماولدله لونان سواد وبياض فهو لك فكان الكل كذلك فحازها كلها وعلم شعيب بذلك ان له عند الله منزلة ولما قضى موسى الاجل استأذن شعيبا فى ان يخرج الى مصر مع اهله ليصل اخاه واخته وقرابته التى فيها فاذن له فسار باهله اليها فأظلمت عليه ليلة من الليالى فى الصحراء وهبت ريح شديدة فرّقت ماشيته وضل الطريق واصابهم مطر وبرد شديد واخذ امرأته الطلق فعند ذلك ابصر من جانب الطور نارا فسار اليها ليطلب فيها من يدله على الطريق وهو قوله لعلى آتيكم منها بخبر فانه يدل على انه ضل الطريق وقوله او آتيكم منها بجذوة من النار لعلكم تصطلون يدل على انه اصابهم برد شديد وفى الجذوة ثلاث لغات فتح الجيم وضمها وكسرها مع سكون الذال وقرئ بهن جميعا وهى العود الغليظ سواء كان فى رأسه نار اولم يكن واورد بيتين استشهد بارّ لهما على ان الجذوة تطلق على العود الذى لم يكن فى رأسه نار وبالبيت الثانى على انها تطلق على مافى رأسه نار فالبيت الاوّل قوله

﴿فلا عدوان علىّ﴾ لايعتدى علىّ بطلب الزيادة فكما لااطالب بالزيادة على العشر لااطالب بالزيادة على الثمانى اوفلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لااثم علىّ وهو ابلغ فى اثبات الخيرة وتساوى الاجلين فى القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علىّ وقرئ ايما كقوله

تنظرت نصرا والسماكين ايهما *

علىّ من الغيث استهلت مواطره *

واى الاجلين ماقضيت فتكون مامزيدة لتأكيد الفعل اى اىّ الاجلين جرّدت عزمى لقضائه وقرئ عدوان بالكسر ﴿والله على مانقول﴾ من المشارطة ﴿وكيل﴾ شاهد حفيظ ﴿فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله﴾ بامرأته روى انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا آخر ثم عزم على الرجوع ﴿آنس من جانب الطور نارا﴾ ابصر من الجهة التى تلى الطور ﴿قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر﴾ بخبر الطريق ﴿اوجذوة﴾ عود غليظ سواء كان فى رأسه نار اولم يكن قال

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها *

جزل الجذى غير خوّار ولادعر *

والقى على قيس من النار جذوة *

شديدا عليها حرّها والتهابها *

* باتت حواطب ليلى يلتمسن لها * جزل الجذى غير خوّار ولادعر *

والمراد بحواطب ليلى جواريها التى يطلبن لها الحطب والجزل الحطب اليابس وماعظم منه ايضا والجذى جمع جذوة وفى الجمع ايضا ثلاث لغات كما فى مفرده والخوّار الضعيف من الخور وهو الضعف والدعر الردىء من قولك دعر العود بالكسر يدعر دعرا فهو عود دعر اى ردىء كثير الدخان ومنه اخذت الدعارة وهى الفسق والخبث والبيت الثانى قوله

* والقى على قيس من النار جذوة * شديدا عليها حرّها والتهابها *

اى اهلك قبيلة قيس بأن ألقى عليها نار الفتنة والعداوة والجذوة فى الآية هى التى فى رأسها نار بقرينة قوله لعلكم تصطلون ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولصحة اطلاق الجذوة على العود الذى فى رأسه نار بينها بقوله من النار جعلها لشدّة تشبث النار بها كأنها نار كلها ﴿قوله اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى﴾ اشارة الى ان كلة من فى قوله من شاطئ لابتداء الغاية وان الايمن من اليمين المقابل لليسار لامن اليمن وهو البركة وانه صفة للشاطئ لا للوادى وان كون الشاطئ ايمن انما هو بالنسبة الى موسى وشاطئ الوادى حافته وطرفه ﴿قوله متصل بالشاطئ﴾ من حيث انه متعلق بمحذوف على انه حال من الشاطئ والبقعة قطعة من الارض لاشجر فيها وصفت بكونها مباركة لانه حصل فيها ابتداء الرسالة وتكليم الله تعالى اياه ﴿قوله هذا وان خالف مافى طه والنمل﴾ قال تعالى فى سورة طه نودى يا موسى انى انا ربك وقال فى سورة النمل نودى ان بورك من فى النار ومن حولها وهما مخالفان لما فى هذه السورة من حيث اللفظ الا ان الجميع متوافقة فى المقصود وهو فتح باب الاستنباء وسوق الكلام على وجه يؤدّى اليه *قال الامام لامنافاة بين هذه الاشياء فهو تعالى ذكر الكل الا انه حكى فى كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك النداء ﴿قوله تعالى وأن ألق﴾ اى ونودى ان ألق ﴿قوله اى فألقاها فصارت ثعبانا واهتزت﴾ اى تحرّكت يريد ان هذه الجمل الثلاث مضمرة فى الآية وصيرورتها ثعبانا قد نص عليها فى سورة الشعراء بقوله تعالى فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ولما كان الثعبان اسما لما يكون عظيم الجثة من الحيات والجانّ اسم للحية الصغيرة الدقيقة الملساء توهم ان يكون قوله كأنها جانّ مناقضا لقوله فاذا هى ثعبان مبين فاشار الى دفعه بقوله كانها جانّ فى الهيئة والجثة او فى السرعة يعنى ان التناقض انما يكون ان لو قيل انها فى نفسها جانّ ولم يقل هكذا بل الله تعالى شبهها بالجانّ فلا يكون هذا مناقضا لانقلا بها ثعبانا عظيم الهيئة والجثة الا ان تشبيهها بالجانّ فى الهيئة والجثة يقوّى جانب المناقضة ظاهرا فوجب ان يكون مراده انها تشبه الجانّ فى الهيئة وقت انقلابها حية ولا ينافيه تورّمها وتزايد جرمها بعد ذلك الى ان تبلغ غاية عظم الثعبان لان مشابهتها بالجانّ فى اوّل حالها وبالثعبان فى ما آلها ومنتهاها واما قوله او فى السرعة فواضح اذ لا منافاة بين كونها فى عظم الثعبان وجثته وبين كونها فى سرعة الجانّ وخفته ﴿قوله أدخلها﴾ عبر عن هذا المعنى بثلاث عبارات احداها فى هذه السورة وهو قوله تعالى اسلك يدك فى جيبك وثانيتها قوله فى سورة طه واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء وثالثتها قوله تعالى فى سورة النمل وأدخل يدك فى جيبك اى فى مدرعتك والمدرعة ثوب من صوف يلبس بدل القميص ولا يكون له كم بل ينتهى كمه عند المرفقين ويقال لها زرنباقة وقيل الجيب القميص ﴿قوله بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى﴾ فيكون ضم يديه الى نفسه وادخالهما فى الجيب متغايرين من حيث العبارة والمعنى اما اذا فسر ضم اليدين بادخالهما فى الجيب فلا يكون التغاير الا فى العبارة لا فى المعنى وجاز تكرير الفعل بالمعنى الواحد عند اختلاف الغرض فانه اذا كرر الفعل الواحد ليتعلق بكل غرض آخر صار كأنّ هناك فعلين باعتبار الغرضين كما فى هذه الآية فان الغرض فى قوله تعالى اسلك يدك فى جيبك خروج اليد بيضاء وظهور معجزة اخرى وفى قوله واضمم اليك جناحك اخفاء الرهبة والتجنب عن الفضاضة وهى الذلة والنقصان لدى العدوّ فانه تعالى لما قلب العصا حية فزع موسى عليه الصلاة والسلام واتقاها بيده اى جعل يده حاجزة بينه وبين الخوف فقال تعالى بعد ان امره بادخال يده فى جيبه واضمم اليك جناحك فكأنه قال اذا ألقيتها عند العدوّ اظهارا للمعجزة فانقلبت حية هائلة مخوفة لاتتقى بيديك فان ذلك غضاضة ونقصان عند العدوّ بل اذا ألقيتها فانقلبت حية ادخل يدك فى جيبك ليحصل الامران احدهما اظهار الجرأة والتجنب عما هو غضاضة عليك والثانى اظهار معجزة اخرى ﴿قوله ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات﴾ استعارة من حال الطائر حين

ولذلك بينه بقوله ﴿من النار﴾ وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات ﴿لعلكم تصطلون﴾ تستدفئون بها ﴿فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن﴾ اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى ﴿فى البقعة المباركة﴾ متصل بالشاطئ او صلة لنودى ﴿من الشجرة﴾ بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ﴿ان ياموسى﴾ اى ياموسى ﴿انى انا الله رب العالمين﴾ هذا وان خالف مافى طه والنمل لفظا فهو طبقه فى المقصود ﴿وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز﴾ اى فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز ﴿كأنها جانّ﴾ فى الهيئة والجثة او فى السرعة ﴿ولى مدبرا﴾ منهزما من الخوف ﴿ولم يعقب﴾ ولم يرجع ﴿ياموسى﴾ نودى ياموسى ﴿أقبل ولا تخف انك من الآمنين﴾ من المخاوف فانه لا يخاف لدىّ المرسلون ﴿اسلك يدك فى جيبك﴾ أدخلها ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ عيب ﴿واضمم اليك جناحك﴾ يديك المبسوطتين تتقى بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالهما فى الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك فى وجه العدوّ اظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن والطمأنّ ضمهما اليه

صار ذلك اللفظ مثلا فى امنه شبه الانسان فى حال ثباته وضبطه نفسه بالطير الآمن ثم اثبت له ماهو من لوازم المشبه به وهو ضم الجناح ليكون تخييلا للاستعارة المكنية ﴿قوله﴾ اى اذا عراك الخوف ﴿﴾ اى اصابك عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك من اجل اصابة ذلك جعل الرهب الذى كان يصيبه عند رؤية الحية سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه عن مجاهد انه قال كل من فزع فضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع وقرأ الآية ﴿قوله﴾ وقرئ بضمهما ﴿﴾ اى فى الشواذ وقرأ حفص بفتح الراء وسكون الهاء وباقى السبعة بفتحتين ﴿قوله﴾ مرسلا ﴿﴾ تقدير لتعلق قوله من ربك الى فرعون واتصابه على انه حال من كاف الخطاب فى فذانك والعامل فيها معنى الاشارة اى اخاطبك بالاشارة اليهما مرسلا من ربك الى فرعون ويحتمل ان يكون من ربك متعلقا بمحذوف هو صفة برهانان والى فرعون متعلقا بمرسلا المقدّر المنصوب على الحالية من كاف ربك والعامل فيها مافى الاضافة من معنى الفعل وردئا حال من مفعول ارسله اى اجعله رسولا معى الى فرعون وقومه حال كونه معينا يقال ردأته على عدوّه اذا اعنته عليه ردأ بالفتح والردئ بالكسر اسم لمايعان به فعل بمعنى مفعول كالدفئ والصبغ والشبع لمايدفأ به ويصبغ ويشبع فاطلق على المعين الذى يتبع غيره معينا له تسمية للفاعل باسم مايفعل به وقرئ يصدّقنى بالرفع على الوصفية اى ردئا مصدّقا وبالجزم جوابا لأرسله وليس طريق تصديقه اياه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق اخى موسى لانه لايحتاج فيه الى اختصاصه بزيادة الفصاحة لان سحبان وباقلا فيه سواء وانما طريق تصديقه ان يلخص الحق بلسانه ويجادل الكفار ببيانه وذلك يجرى مجرى التصديق كما يصدّق القول بالبرهان ﴿قوله﴾ فان قوّة الشخص بشدة اليد ﴿﴾ يعنى ان سنشدّ عضدك عبارة عن قوله سنقوّيك فهو مجاز مرسل على طريق اطلاق السبب وارادة المسبب بمرتبتين فان شدّة العضد سبب مستلزم لشدّة اليد وشدّة اليد مستلزمة لقوّة الشخص فشدّة العضد سبب لقوّة الشخص فى المرتبة الثانية فصح ان تطلق شدّة العضد ويراد بها قوّة الشخص على طريق المجاز المرسل ﴿قوله﴾ غلبة اوحجة ﴿﴾ يعنى ان السلطان اما بمعنى التسلط والاستيلاء او بمعنى الحجة والبرهان سميت الحجة سلطانا لكونها سببا للتسلط والغلبة ﴿قوله﴾ او قسم جوابه لايصلون ﴿﴾ فيه تساهل لان جواب القسم لايتقدّم عليه وايضا لاتدخل الفاء فى جواب القسم عند الجمهور ولعل مراده انه قسم حذف جوابه اعتمادا على دلالة ماقبله عليه ﴿قوله﴾ بمعنى انه صلة لما بينه ﴿﴾ كأنه قيل بماذا نغلب فأجيب بآياتنا فالباء متعلقة بمحذوف قدّر بانا للغالبون ولايتعلق بنفس الغالبون لان اللام فيه موصولة بمعنى الذى ولايتقدّم مافى حيز الصلة عليها الا ان يكون اللام فيه للتعريف لابمعنى الذى فحينئذ يجوز ان تتعلق الباء به ﴿قوله﴾ سحر تختلقه ﴿﴾ يريد ان بين فائدة توصيف السحر بقوله مفترى مع انه قد علم كونه مفترى من تسمية المعجزة سحرا لان من اظهر المعجزة يدّعى انها امر خارق للعادة خلقه الله تعالى على يده تصديقا له فى دعواه الرسالة فمن سماها سحرا لزمه ان يجعلها مفترى على الله فلا يظهر لتوصيف السحر به فائدة فالمصنف فسر قوله مفترى بثلاثة اوجه على الاوّلين يكون صفة مخصصة لقوله سحر لان كل سحر لايكون كذلك وعلى الثالث يكون صفة مؤكدة مثل نفخة واحدة الوجه الاوّل ان يكون مختلقا مصنوعا من قبله لم يسبقه احد فيه من قولهم فريت المزادة اى خلقتها وصنعتها وظاهر ان كل سحر لايكون كذلك لانه كم من سحر يصنعه اكثر السحرة بل جميعهم والثانى ان يكون مسندا الى الله تعالى كذبا ولايكون كل سحر مفترى على الله تعالى ويكون لفظ هذا اشارة الى خصوص ماظهره موسى عليه الصلاة والسلام مع قطع النظر عن انه عليه الصلاة والسلام اظهره ليكون معجزة والثالث ان يكون بمعنى مكذوب فيه اى فى ادّعاء ان حقيقة العصا قد انقلبت ثعبانا مبينا بل هو من قبيل التمويه والتلبيس كما هو شأن كل سحر ﴿قوله﴾ كائنا فى ايامهم ﴿﴾ اشارة الى ان فى آبائنا فى محل النصب على انه حال من هذا فاجمل موسى عليه الصلاة والسلام فى جوابهم تلطفا فى الخطاب وايثارا لأحسن الوجوه فى المجادلة معهم فقال ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده والمعنى ماجئتكم به حق وهدى وليس بسحر وربى عالم بذلك وانتم مبطلون ﴿قوله﴾ لانه قال ماقاله جوابا لمقالهم ﴿﴾ فان الجملة الثانية اذا كانت كالمتصلة بالاولى لكونها جوابا لسؤال اقتضته الاولى تنزل الاولى منزلة السؤال فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال لما بينهما من الاتصال ويسمى الفصل لكون الثانية جوابا لسؤال اقتضته الاولى استئنافا كما تسمى نفس الجملة الثانية بذلك ووجه القرآءة المشهورة ان المراد حكاية قولهم ذلك وقول موسى هذا بعطف احداهما على الاخرى ليوازن الناظر بين القول والقول ويعرف فساد احدهما

بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات ﴿فذانك﴾ اشارة الى العصا واليد وشدّده ابن كثير وابو عمرو ورويس ﴿برهانان﴾ حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن ﴿من ربك﴾ مرسلا بهما ﴿الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين﴾ فكانوا أحقاء بان يرسل اليهم ﴿قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف ان يقتلون﴾ بها ﴿واخى هرون هو افصح منى لسانا فأرسله معى ردئا﴾ معينا وهو فى الاصل اسم مايعان به كالدفئ وقرأ نافع ردا بالتخفيف ﴿يصدّقنى﴾ بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة ﴿انى اخاف ان يكذبون﴾ ولسانى لايطاوعنى عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقنى بالرفع على انه صفة والجواب محذوف ﴿قال سنشدّ عضدك بأخيك﴾ سنقوّيك به فان قوّة الشخص بشدّة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدّتها بشدّة العضد ﴿ونجعل لكما سلطانا﴾ غلبة اوحجة ﴿فلا يصلون اليكما﴾ باستيلاء او حجاج ﴿بآياتنا﴾ متعلق بمحذوف اى اذهبا بآياتنا او بنجعل اى نسلطكما بها او بمعنى لايصلون اى تمتنعون منهم او قسم جوابه لايصلون وبيان للغالبون فى قوله ﴿أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ بمعنى انه صلة لما بينه اوصلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذى ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ماهذا الا سحر مفترى﴾ سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر ﴿وما سمعنا بهذا﴾ يعنون السحر او ادّعاء النبوّة ﴿فى آبائنا الاوّلين﴾ كائنا فى ايامهم ﴿وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ فيعلم انى محق وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قال ماقاله جوابا

﴿ ومن تكون له عاقبة الدار ﴾ العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هى الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء ﴿ انه لا يفلح الظالمون ﴾ لا يفوزون بالهدى فى الدنيا وحسن العاقبة فى العقبى ﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى ﴾ نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضى الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد عليه ويطلع على الحال بقوله ﴿ فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى ﴾ كأنه توهم انه لو كان لكان جسما فى السماء يمكن الترقى اليه ثم قال ﴿ وانى لأظنه من الكاذبين ﴾ او اراد ان يبنى له رصد يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدّل دولة وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اوّل من اتخذ الآجرّ فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا فى وسط الكلام ﴿ واستكبر هو وجوده فى الارض بغير الحق ﴾ بغير استحقاق ﴿ وظنوا انهم الينا لا يرجعون ﴾ بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائى بفتح الياء وكسر الجيم ﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم ﴾ كما مرّ بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الآخذ واستحقار للمأخوذين كأنه اخذهم مع كثرتهم فى كف وطرحهم فى اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴿ فانظر ﴾ يا محمد ﴿ كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ وحذر قومك عن مثلها ﴿ وجعلناهم ائمة ﴾ قدوة للضلال بالحمل على الاضلال

وصحة الآخر فان الواو تفيد جمع القولين فى ذهن السامع فيميز بين الصحيح والسقيم لان كل شئ يتميز بضدّه ﴿ قوله لانها خلقت مجازا الى الآخرة ﴾ يعنى ان الدنيا خلقت موضع الجواز والمرور الى الآخرة والمقصود بالذات من الآخرة انما هو الثواب والجنة والعقاب انما حصل من سوء اختيار العصاة فالعاقبة الاصلية للدنيا هى الجنة لان العاقبة السوءى لا اعتداد بها لانها من نتائج ايثارا للذات العاجلة على الحظوظ الباقية ومما يدل على ان المراد بالعاقبة المحمودة قوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن فان المراد من الدار الدنيا وقد صرّح بان عقباها الجنة ﴿ قوله وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء ﴾ اى من تحت للفصل بينه وبين اسمه ولكون تأنيث العاقبة غير حقيقى وقرأ العامة تكون بالتاء الفوقية لتأنيث العاقبة فانه اسم كان وله خبرها ﴿ قوله نفى علمه باله غيره دون وجوده ﴾ اى لم ينف وجود اله غيره بان يقول ليس لكم اله غيرى بناء على انه لم يكن عنده ما يقتضى الجزم بانتفائه واثبات الهية نفسه حيث قال من اله غيرى فكان عنده ما يقتضى الجزم بالهيته والظاهر انه لا يريد بالهية نفسه كونه خالقا للسموات والارض وما فيهما من الذوات والصفات فان العلم بامتناع ذلك مما لا يخفى على احد فالشك فى ذلك يقتضى زوال العقل بالكلية فالمخذول كان يظنّ ان هذه الكواكب والافلاك كافية فى خلق احوال هذا العالم السفلى فلا حاجة الى اثبات صانع فلهذا قال ما علمت لكم من اله غيرى وكان يقول لا يجب على الناس الا ان يطيعوا ملكهم ويقادوا لامره كما قيل

* لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا *

وهذا هو المراد من ادّعائه الالهية لا كما يظنّ من انه يدّعى كونه خالقا للسموات والارض الا ان قوله هذا فيه نوع مناقضة لقول اصحابه فى حق موسى ويذرك وآلهتك فان من يزعم تفرّده بالالوهية كيف يكون له آلهة فكأنه قال هذا الكلام لملئه واشراف قومه بخصوصهم فانه كان اتخذ للاتباع والسفلة اصناما يعبدونها وجعل للملأ عبادة نفسه فانه لما لم ير الاتباع اهلا لعبادة نفسه جعل لهم عبادة الاصنام من حيث انه لم ير انهم اهل لعبادته ﴿ قوله ولذلك امر ببناء الصرح ﴾ اى امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة حيث قال اوقد لى على الطين ولم يقل اطبخ لى الآجرّ واتخذه والوجه فى كون التعريض بتعليم الصنعة مبنيا على التعظيم ان ايقاد النار على الشئ المسمى بالطين امر هين حقير يقدر عليه الحجائر والصبيان فيكون التعبير عن الامر بطبخ الآجرّ الذى يكفى لبناء الصرح المذكور بقوله اوقد لى على الطين مبنيا على الاهانة بطبخه وعدم الاعتداد به ولان طبخ الآجرّ صنعة خسيسة لا يليق بالملوك وعظماء الناس ان يأمروا بها ويذكروا اسمها على ملأ الناس فهذا معنى قوله مع ما فيه من تعظيم وكذلك كل واحد من ندآء وزيره باسم العلم من غير تكنية وتلقيب وندآئه بحرف يا الموضوع لندآء البعيد مع كون المنادى قريبا وندائه فى وسط الكلام مع ان العادة تقديم الندآء على المنادى له مبنى على التعظيم والتجبر ودليل عليه اما كون الاوّلين مبنيين على التعظم فظاهر واما كون الثالث مبنيا عليه فلأنه لو قدّم الندآء وقيل يا هامان اوقد لى لزم ان يقدّم ذكر هامان على ذكر نفسه ولم يرض به تعظما وتجبرا ﴿ قوله كأنه اخذهم مع كثرتهم ﴾ روى ان جنوده يوم خرج خلف موسى كانوا الف الف وستمائة الف فان افعال العباد واقعة باسباب ومرجحات تفيض عليهم من عنده تعالى وذلك ان كان نحو طاعة يسمى توفيقا ولطفا وان كان نحو معصية يسمى خذلانا وطبعا كذا ذكره فى شرح المصابيح ﴿ قوله بالحمل على الاضلال ﴾ متعلق بقوله وجعلناهم ائمة اى صيرناهم قدوة لاهل الضلال بان حملناهم على اضلال اولئك فالآية من جملة ما تمسك به اصحابنا فى انه تعالى خالق للخير والشرّ حيث ذكر فيها انه تعالى جعلهم قادة ورؤساء يدعون اتباعهم الى عمل يوجب النار من الكفر وانواع المعاصى كما ذكر فى حق الرسل واهل الخير انه تعالى جعلهم ائمة يدعون الى الحق والهدى حيث قال وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا فدل ذلك على انه كان من الله تعالى فى حق اهل الخير صنع حتى صاروا بذلك ائمة الخير ولم يكن ذلك منه فى حق اهل الشرّ والضلال ولو كان الامر كما زعمت المعتزلة من ان رعاية الاصلح واجبة عليه تعالى وهو منحة الالطاف لامنعها ولم يكن من الله تعالى عناية خاصة بالرسل وقادة الخير بل كان ذلك منه لكل كافر وفاسق لما كان لقوله فى حق احد الفريقين جعلناهم ائمة يدعون الى النار وفى حق الآخر جعلناهم ائمة يدعون الى الهدى والصراط المستقيم وجه فدل ذلك على انه كان منه فى احد الفريقين ما صاروا به ائمة الخير وفى حق الآخر ما صاروا به ائمة الشرّ غاية ما فى الباب انه جعل كل فريق اماما يقتدى به فيما هو عليه من الطاعة

والعصيان فكانوا ائمة بحسب اعمالهم فظن بذلك ان ما كان من الله تعالى اليهم فهو على السوآء فيما بينهم وما كان بينهم من التفاضل ليس الا بحسب تفاوت اعمالهم لابان الله تعالى جعل بعضهم ائمة الخير وبعضهم ائمة الشر وليس كذلك لان ما صدر عنهم من الخير والشر وان كان سببا لجعلهم ائمة فيما هم عليه من الخير والشر الا انه تعالى له صنع فى ذلك السبب فان فعلهم لا يتحقق بلا اقدار الله تعالى اياهم عليه باعطاء الآلة والقدر والاختيار ونحو ذلك فتى اضيف الجعل اليه تعالى نظر الى كونه تعالى موجدا لحقيقة الفعل والاسباب جميعا ولو اضيف الى فعل العباد نظر الى مجرّد قيام الفعل بهم وكسبهم اياه من غير ان يكون لهم مدخل فى اسباب وجوده فكان اضافته اليه تعالى وقد وجد منه حقيقة الفعل والاسباب اولى من اضافته اليهم ولم يوجد منهم الا الفعل دون الاسباب والله اعلم

﴿ **قوله** وقيل بالتسمية ﴾ اى قالت المعتزلة الجعل محمول على التسمية كما فى قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وكما فى قولهم جعله بخيلا وفاسقا بمعنى سماه بخيلا فعنى الآية وسميناهم ائمة دعاة الى النار وقلنا انهم كذلك وهو معطوف على قوله بالحمل وكذا او بمنع الالطاف وهى الامور المقرّبة الى الله تعالى يعنى الاتيان بالطاعة والاجتناب عن المعاصى فانه تعالى يمنعها ممن علم انها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذى لا تغنى عنه الآيات والنذر والقول بانه تعالى خذلهم ومنع عنهم الالطاف لا ينافى مذهبهم من ان رعاية الاصلح واجبة عليه تعالى لانهم يقولون انما خذلوا ومنع عنهم الالطاف من جهة انفسهم وهو تصميمهم على الكفر ﴿ **قوله** من المطرودين ﴾ على انه من القبح بمعنى الابعاد والطرد يقال قبحه الله تعالى اى نحاه عن الخير ﴿ **قوله** انوارا لقلوبهم ﴾ يعنى ان بصائر جمع بصيرة وهى نور القلب الذى يبصر به الرشد والسعادة كما ان البصر نور العين الذى تبصر به المحسوسات وبصائر حال من الكتاب اى آتيناه الكتاب انوارا للقلوب اى مشبها بانوار القلوب من حيث ان القلوب لو كانت خالية عن انوار التوراة وعلومها لكانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل فأوقع بصائر حالا من الكتاب ليؤذن بشدّة احتياج القوم الى ما تنفتح به قلوبهم العمياء ﴿ **قوله** ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر ﴾ يعنى ان لعل للترجى الا انه لما كان مستحيلا منه تعالى صرف الى من يعرف حال الكتاب ويمكن بسببه من ادراك الحق وقبوله ومنهم من شبه الارادة بالترجى من حيث ان كل واحد منهما متعلق بامر كائن فاستعار الترجى للارادة اصالة ثم لعل تبعا ففسر قوله تعالى لعلهم يتذكرون بقوله ارادة ان يتذكروا قال القاضى عبد الجبار وذلك يدل على ارادة التذكر من كل مكلف سوآء اختار ذلك ام لم يختره ففيه ابطال مذهب الجبرية الذين يقولون ما اراد التذكر الا ممن يتذكر فاما من لا يتذكر فقد كره ذلك منه ونص القرآن دافع لهذا القول وهذه الدلالة مبنية على كون الترجى مستعارا للارادة وهو غير مسلم واشار المصنف بقوله وفيه ما عرفت الى انه تعالى لو اراد من كل مكلف ان يتذكر بما فيه من المواعظ والبصائر لوجب ان لا يموت احد على الكفر والضلال لئلا يلزم تخلف المراد عن ارادة الله تعالى

﴿ **قوله** يريد الوادى ﴾ يعنى ان الغربىّ صفة موصوف محذوف وهو الوادى او الطور والتقدير وما كنت بجانب الوادى الغربىّ من مقام موسى او بجانب الطور الغربىّ منه والوجه فى ارتكاب الحذف ان الغربىّ لو جعل صفة للجانب وكان اصل الكلام وما كنت بالجانب الغربىّ لزم ان يكون اضافة الجانب الى الغربىّ من اضافة الموصوف الى صفته وهى ليست بجائزة عند البصريين لكونها فى قوّة اضافة الشئ الى نفسه فان الصفة هى الموصوف فى المعنى فانك اذا قلت جاءنى زيد الظريف فلفظ الظريف يدل على شئ متعين فى نفسه حصلت له الظرافة الا انه مجهول من حيث كونه مدلول هذا اللفظ فاذا اضفت زيدا الى الظريف لزم اضافة زيد الى زيد فلذلك ذهب البصريون الى امتناع اضافة الموصوف الى صفته والتجأوا فى قوله تعالى بجانب الغربىّ وقوله وذلك دين القيمة وقوله حق اليقين وقوله ولدار الآخرة الى تقدير موصوف وقالوا تقديرها جانب المكانى الغربى ودين الملة القيمة وحق الشئ اليقين ودار الساعة الآخرة ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه والكوفيون جوّزوا اضافة الموصوف الى صفته مطلقا والمصنف بنى قوله او الجانب الغربىّ منه على مذهبهم حيث جعل الغربىّ صفة للجانب ولم يقدّر موصوفا آخر ﴿ **قوله** للوحى اليه او على الموحى اليه ﴾ الاوّل على ان يكون الشاهد من الشهود بمعنى الحضور والثانى على ان يكون من الشهادة والمعنى ما كنت حاضرا فى المكان الذى اوحينا فيه الى موسى عليه الصلاة والسلام ولا كنت من جملة الشاهدين للوحى اليه او على الموحى اليه حتى يكون وقوفك على ما جرى من امر موسى عليه الصلاة والسلام فى ميقاته واخباركم به من جهة المشاهدة * فان قيل لما قال وما كنت بجانب الغربىّ ثبت انه

وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه ﴿ يدعون الى النار ﴾ الى موجباتها من الكفر والمعاصى ﴿ ويوم القيامة لا ينصرون ﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿ وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ﴾ طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون ﴿ ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ من المطرودين او ممن قبح وجوههم ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ التوراة ﴿ من بعدما اهلكنا القرون الاولى ﴾ اقوام نوح وهود وصالح ولوط ﴿ بصائر للناس ﴾ انوارا لقلوبهم تبصرها الحقائق وتميز بين الحق والباطل ﴿ وهدى ﴾ الى الشرآئع التى هى سبل الله تعالى ﴿ ورحمة ﴾ لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت ﴿ وما كنت بجانب الغربىّ ﴾ يريد الوادى او الطور فانه كان فى شق الغرب من مقام موسى او الجانب الغربىّ منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى ما كنت حاضرا ﴿ اذ قضينا الى موسى الامر ﴾ اذ أوحينا اليه الامر الذى اردنا تعريفه ﴿ وما كنت من الشاهدين ﴾ للوحى اليه او على الموحى اليه

وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على أنّ اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التى لاتعرف الا بالوحى ولذلك استدرك عنه بقوله ﴿ ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر ﴾ اى ولكنا اوحينا اليك لانا انشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرّفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه ﴿ وما كنت ثاويا ﴾ مقيما ﴿ فى اهل مدين ﴾ شعيب والمؤمنين به ﴿ تتلو عليهم ﴾ تقرأ عليهم تعلما منهم ﴿ آياتنا ﴾ التى فيها قصتهم ﴿ ولكنا كنا مرسلين ﴾ اياك ومخبرين لك بها ﴿ وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ﴾ لعل المراد به وقت اعطائه التوراة وبالاوّل حينئذ استنبأه لانهما المذكوران فى القصة ﴿ ولكن رحمة من ربك ﴾ ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة ﴿ لتنذر قوما ﴾ متعلق بالفعل المحذوف ﴿ ما اتاهم من نذير من قبلك ﴾ لوقوعهم فى فترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببنى اسرآئيل وماحوالهم ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ يتعظون ﴿ ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدّمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا ﴾ لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة فى سياقها لانها مما اجيبت بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء مايجاب به وانه لايصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدّقين ماارسلناك اى انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم ﴿ فنتبع آياتك ﴾ يعنى الرسول المصدّق بنوع من المعجزات

لم يكن شاهدا لان الشاهد لابدّ وان يكون حاضرا فما الفائدة فى اعادة قوله وما كنت من الشاهدين * فالجواب يظهر مما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت ماشهدت ماوقع فيه مما جرى على موسى فانه يجوز ان يكون هناك ولا يشهد ولا يرى ما كان فيه ﴿ قوله المختارون للميقات ﴾ الميقات هو الوقت المحدود المضروب للفعل ثم استعير منه للمكان كما فى قولهم مواقيت الحج وكما فى هذا الموضع لان المراد المكان الذى عينه الله تعالى لمناجاة موسى عليه الصلاة والسلام ربه وتكليمه فيه وقوله تعالى تتلو عليهم يجوز ان يكون حالا من الضمير فى ثاويا وان يكون خبرا ثانيا اى لم تشاهد ماتقدّمك من الاحوال فتخبر بها اهل مكة عن مشاهدة ولكنا ارسلناك اليهم رسولا تحيى آثارهم وتظهر سنتهم واعلامهم وانزلنا عليك هذه الاخبار ولولا ذلك لما علمتها ولما اخبرت بها والمقصود اثبات نبوّته صلى الله عليه وسلم بالمعجزة الدالة على صدقه فى دعوى النبوّة فكأنه قال ان فى اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة ولا تعلم من اهله دلالة ظاهرة على نبوّتك لانه تعالى لا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ﴿ قوله لعل المراد به ﴾ يعنى انه تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام قال لرسوله صلى الله عليه وسلم وما كنت بجانب الغربى ثم قال وما كنت ثاويا فى اهل مدين ثم قال وما كنت بجانب الطور للدلالة على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن حاضرا فى هذه المواضع التى جرى فيها على موسى ماجرى من الاحوال العظيمة ثم اخبر بتلك الاحوال على ماجرت ووقعت من غير ان يشاهدها ويتعلمها من احد ثبت به انه رسول بعثه الله تعالى وعرّفه هذه الاحوال رحمة من ربه وتفضلا منه عليه فوجب ان تكون المواضع المذكورة وما جرى فيها من الاحوال امورا متغايرة اختار المصنف فى وجه مغايرتها ان يكون المراد بالاوّل حيث استنبأه فى اثناء رجوعه من مدين الى مصر وبالثانى ماتقدّم عليه من اقامته فى مدين مع شعيب وبالثالث وقت اعطائه التوراة بناحية الطور اذ جاء لميقات ربه مع السبعين فكلمه ربه واعطاه الالواح وناداه ربه بقوله يا موسى خذ الكتاب بقوّة واشار اوّلا بقوله او على الموحى اليه الى جواز ان يكون المراد بالاوّل حيث انزل عليه التوراة فيكون المراد بالثالث حيث استنبأه فى ليلة المناجاة والله اعلم ﴿ قوله متعلق بالفعل المحذوف ﴾ اى ولكن علمناك او ارسلناك لتنذر قوما ماتاهم من نذير من قبلك وهم العرب على رجاء تذكرهم واتعاظهم فان دعوة عيسى عليه الصلاة والسلام ان كانت مختصة ببنى اسرآئيل تكون العرب واقعة فى فترة بين رسول الله عليه الصلاة والسلام وبين اسمعيل عليه الصلاة والسلام وان تناولتهم ايضا يكونون فى فترة بينه وبين عيسى عليه الصلاة والسلام فقوله ماتاهم من نذير فى موضع نصب على انه صفة لقوما ومافيه نافية ﴿ قوله لولا الاولى امتناعية ﴾ لولا الامتناعية هى التى تدل على امتناع القضية الثانية لوجود القضية الاولى والقضية الثانية هى جوابها وهو محذوف ههنا وهو ما ارسلناك اليهم وهى ههنا دلت على امتناع عدم الارسال لوجود قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم على تقدير عدم الارسال ربنا هلا ارسلت الينا رسولا الخ وقوله ان تصيبهم فى موضع رفع بالابتداء وقوله فيقولوا عطف على مافى حيزان اى لولا اصابتهم مصيبة بسبب ماقدّمته ايديهم من الشرك والمعاصى فيقولهم ربنا لولا ارسلت الخ ماارسلناك يعنى ان الحامل على ارسال الرسل ازاحة عللهم بهذا القول ولما كان اكثر الاعمال مزاولا بالايدى جعل كل عمل معبرا عنه بانه كسب اليد وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع فى الكلام وجعل الاقل تابعا للاكثر وعطف المعاصى على الكفر فى قوله بسبب كفرهم ومعاصيهم اشارة الى ان الكفار كما يعذبون بترك الايمان يعذبون بارتكاب مايعلم حرمته بالدلائل العقليه من الكبائر والصغائر والفاء فى قوله فيقولوا عاطفة وفى قوله فنتبع فاء جواب لولا التحضيضية فانها مما اجيب بالفاء لكونها فى حكم الامر من حيث ان الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والفاء تدخل فى جواب الامر فكذا فى جواب ماهو فى حكمه ﴿ قوله مفعول يقولوا ﴾ خبر بعد خبر لقوله والثانية ﴿ قوله وانه لايصدر عنهم الخ ﴾ اى المنبهة على ان ذلك القول لايصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة اليه والمقصود الجواب عما يقال ماالفائدة فى هذا التطويل امايكفى ان يقال لولا ان يقولوا هذا العذر لما ارسلناك * وتقرير الجواب انه ارتكب هذا التطويل للدلالة على انهم لو لم يعاقبوا وقدعرفوا بطلان دينهم لما قالوا ذلك القول بل انما يقولونه اذا لاسهم العقاب فيدل ذلك على انهم لم يذكروا هذا العذر تأسفا على كفرهم بل لانهم ما اطاقوا العذاب وفيه تنبيه على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم

﴿ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق﴾ يعنى الرسول المصدّق بنوع من المعجزات ﴿من عندنا قالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى﴾ من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا ﴿أولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل﴾ يعنى ابناء جنسهم فى الرأى والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد ﴿قالوا ساحران﴾ يعنون موسى وهرون او موسى ومحمدا ﴿تظاهرا﴾ تعاونا باظهار تلك الخوارق او توافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا على الادغام ﴿وقالوا انا بكل كافرون﴾ اى بكل منهما او بكل الانبياء ﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما﴾ مما نزل على موسى وعلىّ واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ﴿أتبعه ان كنتم صادقين﴾ انا ساحران مختلفان وهذا من الشروط التى يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجيئ حرف الشك للتهكم بهم ﴿فان لم يستجيبوا لك﴾ دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول له للعلم به ولان فعل الاستجابة يعدّى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعى فاذا عدّى اليه حذف الدعاء غالبا كقوله

وداع دعايا من يجيب الى الندى * فلم يستجبه عند ذاك مجيب *

﴿فاعلم انما يتبعون اهواءهم﴾ اذ لو اتبعوا حجة لأتوا بها ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه﴾ استفهام بمعنى النفى ﴿بغير هدى من الله﴾ فى موضع الحال للتأكيد او التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق ﴿ان الله لا يهدى القوم الظالمين﴾ الذى ظلموا انفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى ﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ اتبعنا بعضه بعضا فى الانزال ليتصل التذكير او فى النظم لتتقرّر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر ﴿لعلهم يتذكرون﴾ فيؤمنون ويطيعون ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾ نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب وقيل فى اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير فى من قبله للقرآن كالمستكنّ فى ﴿واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به﴾ اى بانه كلام الله تعالى ﴿انه الحق من ربنا﴾ استئناف لبيان ما اوجب ايمانهم به ﴿انا كنا من قبله مسلمين﴾ استئناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما رأوا ذكره فى الكتب المتقدّمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته فى الجملة ﴿اولئك يؤتون اجرهم مرتين﴾ مرّة على ايمانهم بكتابهم ومرّة على ايمانهم بالقرآن ﴿بما صبروا﴾ بصبرهم وثباتهم على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ﴿ويدرأون بالحسنة السيئة﴾ ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه الصلاة والسلام أتبع الحسنة السيئة تمحها ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ فى سبيل الخير ﴿واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ تكرّما ﴿وقالوا﴾ للاغين ﴿لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم﴾ متاركة لهم وتوديعا او دعاء لهم بالسلامة مما هم فيه ﴿لا نبتغى الجاهلين﴾ لا نطلب صحبتهم ولا نريدها

﴿قوله يعنى ابناء جنسهم﴾ يعنى ان الكلام مسوق لتوبيخ اهل مكة بانهم اقترحوا من الآيات ما ظهر به عنادهم فقالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى فكأنه تعالى قال لو عذبناهم قبل الارسال لقالوا هلا ارسلت الينا رسولا وقد ارسلنا الى اهل مكة فقالوا لولا اوتى مثل الخ فقبل البعثة تعللوا بشبهة وبعد البعثة باخرى فليس شأنهم الا الدفع والعناد ثم قيل فى حقهم لبيان ان اقتراحهم هذا ليس لطلب اليقين بل لمجرّد التعنت والعناد اذ لو كان لطلب اليقين لما كفروا بما اوتى موسى عليه الصلاة والسلام وقوله اولم يكفروا بما اوتى موسى قبل الظاهر ان يكون ضمير يكفروا راجعا الى كفار مكة الا انهم لما لم يكفروا بما اوتى موسى حيث لم يكونوا موجودين فى عصره بل الذين كفروا هم الذين كانوا فى زمانه جعل ضمير لم يكفروا راجعا الى ابناء جنسهم وجعلهم مع كفار مكة بمنزلة جماعة واحدة من حيث اشتراكهم فى التعنت واللجاج فلما كفر هؤلاء بما شاهدوه من آيات موسى عليه الصلاة والسلام فكفار مكة اولى بالكفر به لانهم مثل اولئك فى العناد بل هم اعتى واطغى او هو توبيخ للعرب بالذات بناء على ما روى عن الحسن انه قال قد كان للعرب اصل فى ايام موسى فعناه على هذا اولم يكفر آباؤهم وقالوا فى موسى وهرون ساحران تظاهرا ﴿قوله بتقدير مضاف﴾ اى هما ذوا سحرين وعلى هذا كان ينبغى ان يفرد سحر لكنه ثنى تنبيها على التنويع ﴿قوله او اسناد تظاهرهما الى فعلهما﴾ اى الى ما فعلوه واظهروه من الكتابين وعلى الاوّلين يكون التظاهر مسندا الى نفس النبيين لان الضمير فى قولهم هما ساحران راجع اليهما وعلى هذا يكون الضمير راجعا الى كتابيهما فيكون التظاهر مسندا الى الكتابين دلالة على سبب اعجاز القرآن ﴿قوله تعالى وقالوا انا بكل كافرون﴾ معطوف على قوله قالوا ساحران ولما اقترح المشركون تعنتا وعنادا بقولهم لولا اوتى مثل ما اوتى موسى واجاب الله تعالى عن اقتراحهم بقوله اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل اى من قبل محمد عليه الصلاة والسلام او من قبل هذا القول بين كيفية كفرهم بما اوتى موسى من وجهين الاوّل قولهم ساحران تظاهرا والثانى قولهم انا بكل كافرون ثم انه تعالى لما اجاب عن اقتراحهم ببيان انهم متعنتون فيه امر رسوله عليه الصلاة والسلام بان يتحدّاهم بما يحقق عجزهم عنه ليكون ذلك حجة على صدقه فى دعوى الرسالة فقال قل فأتوا بكتاب من عند الله الآية وقوله أتبعه مجزوم على انه جواب الامر وهو فأتوا وقرئ أتبعه بالرفع استئنافا اى فأنا اتبعه ﴿قوله وهذا من الشروط التى يراد بها الالزام والتبكيت﴾ لان مثل هذا الشرط انما يذكر ممن يثق بأمره ويعتمد على صحته كقول العامل لمن اخر جعله ان لم اعمل لك فقل اقطع العمل ﴿قوله لحذف المفعول﴾ فان استجاب بمعنى اجاب وهو يقتضى الدعاء البتة ويتعدّى اليه * فأن قيل فاين الدعاء من قبله عليه الصلاة والسلام * قلنا هو امره اياهم بقوله فأتوا بكتاب من عند الله فان الامر بعث على الفعل ودعاء اليه ﴿قوله ولان فعل الاستجابة يعدّى بنفسه الى الدعاء﴾ فيقال استجاب دعاءه وباللام الى الداعى فيقال استجاب له فاذا عدّى الى الداعى كما فى الآية حذف الدعاء غالبا فلا يقال استجاب له دعاءه الا نادرا فحذف الدعاء فى الآية ايضا اتباعا للعرف الغالب والاوّل كما فى البيت

وداع دعايا من يجيب الى الندى * فلم يستجبه عند ذاك مجيب *

فقلت ادع اخرى وارفع الصوت جهرة * لعل ابى المغوار منك قريب *

اى رب داع دعاهل من مجيب الى الندى اى هل احد يمنح المستمنحين فلم يجبه احد واورد البيت استشهادا على تعديته الى الدعاء بنفسه بناء على ان تقديره فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف فمعنى الآية فان لم يستجيبوا لك فيما تدعوهم اليه ولم يأتوا بمثل التوراة والانجيل والقرآن فاعلم انما يتبعون اهواءهم وان ما ارتكبوه من الكفر لا حجة لهم فيه ثم ذمهم على ايثارهم الهوى على الهدى بقوله ومن اضل الآية وهذا من اعظم الدلائل على فساد التقليد وانه لا بدّ من الحجة والاستدلال ﴿قوله اتبعنا بعضه بعضا﴾ يعنى ان التوصيل بمعنى الوصل ضدّ القطع واصله من وصل الحبل والمراد بهذا التوصيل اما التعاقب فى النزول واما التناوب والتعاضد ولعل بناء التفعيل للدلالة على كثرة الوصل وتكرّره باىّ معنى كان ولا وجه لكونه للتعدية لان الوصل ايضا متعدّ ﴿قوله تعالى الذين آتيناهم﴾ مبتدأ وهم مبتدأ ثان ويؤمنون خبره والجملة خبر الاوّل وبه متعلق يؤمنون قدّم على عامله لكونه عناية متعلقة ببيان ايمانهم به ولا يمكن جعله للاختصاص لانهم لو خصوا ايمانهم بهذا الكتاب فقط لزم كفرهم بما عداه وهو عكس المراد ﴿قوله باعتقادهم صحته فى الجملة﴾ اى ولكونهم على دين الاسلام باعتقادهم

﴿انك لاتهدى من احببت﴾ لاتقدر ان تدخله فى الاسلام ﴿ولكن الله يهدى من يشاء﴾ فيدخله فى الاسلام ﴿وهو اعلم بالمهتدين﴾ بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت فى ابى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ياعم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله قال يا ابن اخى قد علمت انك لصادق ولكنى اكره ان يقال جزع عند الموت ﴿وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا﴾ نخرج منها نزلت فى الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف اتى النبى عليه الصلاة والسلام فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فردّ الله عليهم بقوله ﴿اولم نمكن لهم حرما آمنا﴾ اولم نجعل مكانهم حرما ماذا أمن بحرمة البيت الذى فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه ﴿يجبى اليه﴾ يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب فى رواية بالتاء ﴿ثمرات كل شئ﴾ من كل اوب ﴿رزقا من لدنا﴾ فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف نعرّضهم للخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ﴿ولكن اكثرهم لايعلمون﴾ جهلة لايتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اى قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله على ماهم عليه بقوله ﴿وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ اى وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم فى الامن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرّب ديارهم ﴿فتلك مساكنهم﴾ خاوية ﴿لم تسكن من بعدهم﴾ من السكنى اذ لا يسكنها الا المارّة يوما او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها ﴿الا قليلا﴾ من شؤم معاصيهم ﴿وكنا نحن الوارثين﴾ منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرّف تصرّفهم فى ديارهم وسائر متصرّفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت ﴿وما كان ربك﴾ وما كانت عادته ﴿مهلك القرى حتى يبعث فى امها﴾ فى اصلها التى هى اعمالها لان اهلها يكون أفطن وأنبل ﴿رسولا يتلو عليهم آياتنا﴾ لازام الحجة وقطع المعذرة ﴿وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون﴾ بتكذيب الرسل والعتوّ فى الكفر

صحته وان لم يتدينوا به قبل ذلك ﴿قوله نزلت فى ابى طالب﴾ روى انه قال عند موته يامعشر بنى عبد مناف اطيعوا محمدا وصدّقوه تفلحوا وترشدوا فقال صلى الله عليه وسلم ياعمّ تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخى قال اريد منك كلمة واحدة لانك فى آخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخى قد علمت انك صادق ولكنى اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ذلك لأقررت عينك بها ولكنى على ملة اشياخى عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقصىّ فقام عليه الصلاة والسلام من عنده باكيا لما كان حريصا على اسلامه لتكفله اياه فى صباه وذبه عنه فى كبره حتى قال ابو طالب لقريش حين هموا بقتله

* كذبتم وبيت الله لاتقتلونه * ولما نطاعن حوله ونقاتل *

* ونسلمه حتى نصرّع حوله * ونذهل عن ابنائنا والحلائل *

وهذه الآية حجة لنا على المعتزلة فى قولهم ان الهدى هو البيان وقد هدى الناس جميعا ولكن لم يهتد البعض منهم بسوء اختيارهم فهذه الآية دلت على ان ورآء البيان ماسمى هداية وهو خلق الاهتداء واعطاء التوفيق والقدرة التى هى داعية اكتساب الخير والاجتناب عن الشرّ اذ يفعل مايشاء بحكمته لايسأل عما يفعل ﴿قوله اولم نجعل مكانهم حرما ماذا أمن﴾ اشارة الى مامرّ من أن اصل التمكين ان يجعل للشئ مكان يتمكن فيه ولما تضمن معنى الجعل عدّى بنفسه الى قوله حرما وان قوله آمنا فاعل بمعنى النسب اى ذا أمن يكون كلّ من دخله آمنا ومن قرأ تجبى بتاء التأنيث اعتبر لفظ ثمرات ومن قرأ بالياء نزل الفاصل منزلة التاء واعتبر كون التأنيث غير حقيقى والجملة صفة ثانية لحرما والظاهر ان الرزق اسم بمعنى المرزوق فيكون فى موضع الحال من ثمرات لتخصصها بالاضافة كنصبك الحال من النكرة المتخصصة بالصفة ويجوز أن يكون مفعولا له بمعنى سوقها اليه رزقا وان يكون مصدرا من غير لفظ الفعل لان يجبى اليه بمعنى يرزق * فان قلت فحينئذ يكون التقدير يرزق الحرم ولا معنى له * قلنا يجوز ان يسند الرزق الى الحرم مجازا والاصل يرزق اهله ﴿قوله جهلة لايتفطنون له﴾ اى لقدر ربوبية الله تعالى وعظمته حيث آمنهم ورزقهم بحرمة الحرم حال شركهم فكيف لايعصمهم من الخوف والقحط اذا ضموا الى حرمة الحرم التوحيد فيكون الاستدراك متعلقا بمضمون قوله اولم نمكن لهم حرما آمنا لابقوله من لدنا كما ذهب اليه صاحب الكشاف ﴿قوله ثم بين ان الامر بالعكس﴾ اى بعد ما ردّ الله تعالى عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا بين لهم ان الامر بالعكس اى بعكس مايظنون من ان الايمان يستلزم الخوف من زوال نعمة الدنيا فان الاصرار على عدم قبول الايمان هو الذى يزيل هذه النعمة لا الاقدام على الايمان ﴿قوله وخفض العيش﴾ الخفض الدعة والرفاهية وكم فى محل النصب بقوله اهلكنا ومعيشتها منصوب بنزع الخافض اى فى معيشتها والبطر الطغيان فى النعمة وان لايحفظ حق الله تعالى فيها بصرفها فيما امر به ﴿قوله تعالى فتلك﴾ مبتدأ ومساكنهم خبره ولم تسكن جملة حالية والعامل فيها معنى تلك ويجوز ان تكون خبرا ثانيا والاقليلا اى الا سكنى قليلا والا زمانا قليلا ﴿قوله وانتصاب معيشتها بنزع الخافض﴾ كقوله زيد ظنى مقيم اى فى ظنى جعل كل واحد من المعيشة والظن ظرفا مبنى على الاتساع وليسا بظرفين حقيقة لانهما مصدران والمصدر لايكون ظرفا للحدث الا انه جعلت المعيشة كأنها زمان البطر والظنّ زمان الاقامة او زمان الاخبار عن اقامة زيد او زمان الحكم به عليه او زمان اسناد القيام الى زيد وهذا معنى قول شرف الدين الطيبى والعامل فى ظنى الامر المنتزع من معنى الجملة كالاخبار والاسناد والحكم وقد تقرّر ان ظروف الزمان كلها تقبل النصب بتقدير فى على اعتبار نزع الخافض بخلاف ظرف المكان فانه لايقبله الا اذا كان مبهما او محمولا على المبهم فان اتسع بجعل المعيشة مكان البطر احتيج الى اعتبار نزع الخافض وان جعلت زمان البطر تكون ظرفا بنفسها او باضمار زمان مضاف اليها كقولك آتيك خفوق النجم ومقدم الحاج اى بطرت ايام معيشتها ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه ﴿قوله او مفعولا﴾ اى او بجعلها مفعولا لبطرت على تضمينه معنى كفرت او جهلت اى كفرت نعمتها او جهلت شكر معيشتها ثم حذف المضاف ﴿قوله التى هى اعمالها﴾ اى توابعها وسوادها وضمير هى يرجع الى القرى ﴿قوله لان اهلها﴾ اى اهل ام القرى يكون افطن وانبل اى اكثر فطنة ونباله وهى الفضل والشرف يقال نبل فلان فهو نبيل اى شرف فهو شريف فان الرسل انما تبعث غالبا الى الاشراف وهم غالبا يسكنون المدن والمواضع التى هى ام ماحولها فلذلك خصت ام القرى

بعثة الرسل فيها ووجه اتصال قوله تعالى وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امّها رسولا بما قبله أنه تعالى لما قال وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها توجه ان يقال لم لم يهلك الله تعالى الكفار قبل بعثة الرسل عليهم السلام مع انهم كانوا مستغرقين فى الكفر والبطر وان يقال ولم لم يهلكهم بعد بعثته عليه الصلاة والسلام مع استغراقهم فى الكفر بالله تعالى وتكذيب رسوله صلى الله عليه وسلم ومعاداته فاجاب الله تعالى عن الاوّل بقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امّها رسولا الزاما للحجة وقطعا للمعذرة وعن الثانى بقوله وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون اى انفسهم بالشرك واهل مكة ليسوا كذلك فان بعضهم قد آمن وبعضهم علم الله تعالى منهم انهم سيؤمنون وآخرون علم الله تعالى انهم وان لم يؤمنوا لكن يخرج من نسلهم من يكون مؤمنا * اعلم ان الله تعالى ردّ اوّلا على الذين قالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا ثم بين ان الامر بالعكس ثم شرع فى ازاحة شبهتهم بوجه آخر فقال وما اوتيتم من شئ فتاع الحياة الدنيا لان حاصل شبهتهم ان قالوا تركنا الدين لئلا تفوت منا الدنيا فبين الله تعالى ان ذلك خطأ عظيم لان ما عند الله خير وابقى ﴿ قوله وهو ابلغ فى الموعظة ﴾ لان الالتفات من الخطاب الى الغيبة يدل على ان حقهم ان يولى عنهم وان لا يتوجه اليهم بالخطاب كانهم منسلكون فى سلك المجانين خارجون عن حدّ العقل بالكلية فيكون ابلغ فى الزجر والموعظة ثم انه تعالى لما رجح ثواب الآخرة على منافع الدنيا اكد هذا الترجيح بقوله أفمن وعدناه على ايمانه وعدا حسنا هو الجنة وثوابها فهو لاقيه اى مصيبه ومدركه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين والفاء فى قوله أفمن وعدناه للتعقيب والتقدير بعد هذا التفاوت العظيم بين منافع الدنيا والآخرة والمقصود انهم لما قالوا تركنا الدين للدنيا قال الله تعالى لهم لو لم تحصل عقيب دنياكم مضرّة العقاب لكان العقل يقتضى ترجيح منافع الدنيا على منافع الآخرة كيف وهذه الدنيا يحصل بعدها العقاب الدآئم ثم انه تعالى بين انه يسأل الكفار يوم القيامة عن ثلاثة اشياء اوّلها قوله ويوم يناديهم فيقول اين شركائى وثانيها قوله تعالى وقيل ادعوا شركاءكم وثالثها قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فان الكفار يعرفون يوم القيامة بطلان ما كانوا عليه وصحة التوحيد والنبوّة بالضرورة فيقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ اين شركائى فظاهر انهم يعتذرون حينئذ بان الشياطين او الرؤساء دعونا الى عبادتها وحملونا على الغواية فحكى الله تعالى ما يقوله الشياطين او الرؤساء فى جوابهم فقال قال الذين حق عليهم القول الآية فانهم اختلفوا فى أن الذين حق عليهم القول من هم فقال بعضهم هم الرؤساء الدعاة الى الضلالة وقال آخرون هم الشياطين ﴿ قوله اى هؤلاء هم الذين أغويناهم ﴾ يريد ان هؤلاء مبتدأ وقوله الذين اغوينا صفة للخبر المحذوف واغويناهم مستأنف واغوينا صلة الذى حذف فيها العائد الى الموصول واعربه صاحب الكشاف بان جعل هؤلاء مبتدأ والذين اغوينا صفته بحذف العائد وجعل اغويناهم خبرا وجعل كما غوينا نعتا لمصدر محذوف عامل ذلك المصدر مطاوع لذلك الفعل اى فغووا غيا كما غوينا ولم يرض به المصنف لانه ليس فى الخبر زيادة فائدة على ما فى صفته * فان قلت قد وصف الخبر بقوله كما غوينا وفيه زيادة ليست فى الصفة والموصوف * اجيب بان الزيادة فى الظرف لا تصيره اصلا فى الجملة لان الظروف فضلات قال ابو البقاء ولا يمتنع ان يكون هؤلاء مبتدأ والذين صفته واغويناهم الخبر لانه يفيد فائدة زآئدة على ما يستفاد من الصفة من اجل ما اتصل به وان كان ظرفا لان الفضلات فى بعض المواضع تلزم كقولك زيد عمرو فى داره فان فى داره وان كان ظرفا لكنه لا بدّ منه ليعود من الجملة ضمير الى المبتدأ فصار بذلك كأحد شطرى الجملة ﴿ قوله اى اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا ﴾ حاصله انه لا فرق بين غينا وغيهم فى ان كل واحد منهما بالاختيار اما غينا فلانه ما كان لنا قاسر على ذلك ولا داع اليه بل هو وسوسة لنا واما غيهم فلانه ما كان لهم قاسر ألجأهم عليه بل غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق بين غينا وغيهم فى ان كل واحد منهما وقع بالاختيار ﴿ قوله اى ما كانوا ايانا يعبدون ﴾ اشارة الى ان اياما مفعول يعبدون قدّم لاجل الفاصلة وعلى تقدير ان تكون ما مصدرية لا بدّ من تقدير حرف من اى تبرّأنا مما كانوا اى من عبادتهم اياناكما اشار اليه المصنف ﴿ قوله فدعوهم من فرط الحيرة ﴾ اى لاتباء على اعتقادهم ان الاصنام يشفعون لعابديهم ويخلصونهم مما اصابهم من العذاب لان المشركين يعرفون بالضرورة يوم القيامة ان الحكم لله الواحد القهار وانه لا يشفع احد الا باذنه * قال الامام فالاقرب ان هذا على سبيل التقدير والفرض لانهم يعلمون انه لا فائدة فى دعائهم لهم فالمراد انهم لو دعوهم لم يوجد منهم اجابة فى النصرة وان

عند الله ﴾ وهو ثوابه ﴿ خير ﴾ فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة ﴿ وابقى ﴾ لانه ابدى ﴿ أفلا تعقلون ﴾ فتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير وقرأ ابو عمرو بالياء وهو ابلغ فى الموعظة ﴿ أفمن وعدناه وعدا حسنا ﴾ وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود ﴿ فهو لاقيه ﴾ مدركه لا محالة لامتناع الخلف فى وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية ﴿ كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ﴾ الذى هو مشوب بالآلام مكدّر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ﴿ ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾ للحساب او العذاب وثم للتراخى فى الزمان او الرتبة وقرأ نافع وقالون فى رواية والكسائى ثم هو بسكون الواو تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتى قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ﴿ ويوم يناديهم ﴾ عطف على يوم القيامة او منصوب باذكر ﴿ فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون ﴾ اى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما ﴿ قال الذين حق عليهم القول ﴾ بثبوت مقتضاه وحصول مؤدّاه وهو قوله لأملأنّ جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد ﴿ ربنا هؤلاء الذين اغوينا ﴾ اى هؤلاء هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول ﴿ أغويناهم كما غوينا ﴾ اى اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استئناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فأفاده زيادة على الصفة وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم ﴿ تبرّأنا اليك ﴾ منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدّمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ﴿ ما كانوا ايانا يعبدون ﴾ اى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرّأنا اى تبرأنا من عبادتهم اياناً ﴿ وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم ﴾ من فرط الحيرة ﴿ فلم يستجيبوا لهم ﴾ لعجزهم عن الاجابة والنصرة ﴿ ورأوا العذاب ﴾ لازبأيديهم ﴿ لو انهم كانوا يهتدون ﴾ لوجه من الحيل

يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمنى اى تمنوا انهم كانوا مهتدين ﴿ ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ﴾ عطف على الاول فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء ﴿ فعميت عليهم الانبـاء يومئذ ﴾ فصارت الانباء كالعمى عليهم لاتهتدى اليهم واصله فعموا عن الانبـاء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان مايحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ماأجابوا به الرسل اوما يعمها واذا كانت الرسل يتعتعون فى الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوّضون الى علم الله تعالى فـاظنكم بالضلال من امهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه لمعنى الخفاء ﴿ فهم لايتسـاءلون ﴾ لايسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة اوالعلم بانه مثله ﴿ فاما من تاب ﴾ من الشرك ﴿ وآمن وعمل صالحا ﴾ وجمع بين الايمـان والعمل الصـالح ﴿ فعسى ان يكون من المفلحين ﴾ عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام اوترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح ﴿ وربك يخلق مايشاء ويختار ﴾ لاموجب عليه ولامانع له ﴿ ماكان لهم الخيرة ﴾ اى التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفى الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لااختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ماروى انه نزل فى قولهم لولانزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ماموصولة مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصلاح ﴿ سبحان الله ﴾ تنزيها له ان ينازعه احد اويزاحم اختياره اختيار ﴿ وتعالى عمايشركون ﴾ عن اشراكهم اومشاركة مايشركونه به ﴿ وربك يعلم ماتكنّ صدورهم ﴾ كعداوة رسـول الله وحقده ﴿ وما يعلنون ﴾ كالطعن فيه ﴿ وهو الله ﴾ المستحق للعبادة ﴿ لااله الاهو ﴾ لااحد يستحقها الاهو ﴿ له الحمد فى الاولى والآخرة ﴾ لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده ﴿ وله الحكم ﴾ القضاء النافذ فى كل شئ ﴿ واليه ترجعون ﴾ بالنشور ﴿ قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا ﴾ دآئما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كيم دلامص ﴿ الى يوم القيامة ﴾ باسكان الشمس تحت الارض (سرمدا) اوتحريكها حول الافق الغائر ﴿ من اله غير الله يأتيكم بضياء ﴾ كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين ﴿ أفلا تسمعون ﴾ سماع تدبر واستبصار

العذاب ثابت وكل ذلك على وجه التوبيخ ﴿ قوله يدفعون به العذاب ﴾ صفة لقوله لوجه من الحيل ولوكان جواب لو لقيل لدفعوا به العذاب بلفظ الماضى كما قال لمارأوا العذاب والمقصود ان جواب لو محذوف وهو قوله لمارأوا العذاب وتقدير الكلام لوكانوا يهتدون الى الحق فى الدنيا لمارأوا العذاب فى الآخرة اولوكانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب لدفعوه به لمارأوه وعلى تقدير ان تكون لو للتمنى يكون المعنى ورأوا العذاب متمنين الاهتداء فى الدنيا ﴿ قوله فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ﴾ توبيخا لهم على عبادة غير الله تعالى بناء على توقع الاجابة والنصرة منهم ثم على تكذيبهم الانبياء تبكيتا لهم بالاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل وذكر بينهما مايقوله الشياطين اوالرؤساء بناء على انهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة كانوا يعتذرون بانهم استغووونا وصدّونا عن الهدى وزينوا لنـا عبادتها فحكى الله تعـالى جواب الشياطين اوالرؤساء لهم بقولهم أنحن صددناكم عن الهدى بعداذ جاءكم بل انتم غويتم باختياركم ثم عقبه بذكر مايشبه الشماتة بهم من استغاثتهم بالهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم فهذا وجه ارتباط الكلام من قوله تعالى ويوم يناديهم اين شركائى الى قوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ﴿ قوله فصارت الانباء كالعمى عليهم ﴾ اشارة الى ان الانباء استعارة بالكناية بان شبهت فى النفس بذوى الارادة المتوجهين الى شئ وجعل اثبات العمى لها دليلا عليه والعمى عمى العين يقال عمى يعمى عمى اذا اختل عينه وقولهم عمى عليه الخبر اى خفى مجاز من عمى البصر فالاصل ان يسند العمى عن الانباء الى الكفار لكنه عكس مبالغة فان الاصل يوهم ان يتحقق الجواب فى نفسه وانهم لم يطلعوا عليه لخلل من قبلهم بخلاف العكس ﴿ قوله يتعتعون فى الجواب عن مثل ذلك ﴾ اى السؤال وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لاعلم لنا انك انت علام الغيوب والتعتعة فى الكلام التردّد فيه من حصر اوعىّ ﴿ قوله فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله تعالى ﴾ لدخول اختيارهم فى عموم قوله تعالى يخلق مايشـاء فان قوله مايشـاء يتنـاول الاعيان والاعراض وقد اتفق المسلمون على انه تعالى شـاء جميع مايفعله العباد من جميع الخيرات والطـاعات التى من جملتها اختيار الطاعة فلما كان جميع ذلك مما شاءه الله تعالى لزم ان يوجد بخلق الله تعالى اذ اخبر انه يخلق مايشاء فالآية حجة لنا على المعتزلة فى مسـائل خلق افعال العبـاد لانه اذا كانت الخيرة بمشيئة الله تعالى وجب كونها من مخلوقات الله تعالى بحكم هذه الآية ﴿ قوله وقيل المراد ﴾ اى قيل ليس المراد نفى الاختيار عنهم رأسا بل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه شيأ من الامور بل الخيرة لله تعالى فى جميع افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فى جميع مافعله فيكون قوله ماكان لهم الخيرة بيانا لقوله ويختار فلذلك لم يعطف عليه ولما قال المشركون لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم واختاروا للرسالة الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفى من الطائف ردّ الله تعالى عليهم انه يختار من يشـاء انبوّته ورسالته اى فكما ان الخلق له فالاختيار للنبوّة اليه فليس لهم ان يختاروا على الله تعالى شيأ من افعاله ﴿ قوله وقيل ماموصولة ﴾ فعلى هذا يوقف على قوله وربك يخلق مايشاء ويبتدأ بقوله ويختار ماكان لهم الخيرة بخلاف ماذا كانت كلمة ماحرف نفى فانه حينئذ يوقف على قوله وربك يخلق مايشـاء ويختار ويبتدأ من قوله ماكان لهم الخيرة ﴿ قوله عن اشراكهم اومشاركة مايشركونه به ﴾ على الاول ما مصدرية وعلى الثانى موصولة بتقدير المضاف ﴿ قوله ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده ﴾ لابناء على الامر بالتكليف ومما يدل على ان الحمد فى الآخرة على وجه اللذة لاعلى وجه الكلفة ماروى عن جابر رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول * ان اهل الجنة يأكلون ويشربون ولايتفلون ولايبولون ولايتغوّطون ولايتمخطون * قالوا فمابال الطعام قال جشاء وريح كريح المسـك يلهمون التسبيح والتقديس كما يلهمون النفس والالهام ان يلقى الله تعالى فى النفس امرا يبعثه على الفعل اوالترك وهو نوع من الوحى فان قوله عليه الصلاة والسلام يلهمون يدل على انهم لايكلفون بهما ثم انه تعـالى لما بين انه المحمود فى الاولى والآخرة لكونه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها فصل عقيب ذلك بعض مايجب ان يحمد عليه مما لايقدر عليه سواه فقال قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الآية ونبه به ايضا على هدم قاعدة الشرك ببيان انتفاء لازم الالوهية مما سواه وهو القدرة على كل شئ فيكون تقريرا لقوله لااله الاهو ﴿ قوله كيم دلامص ﴾ وهو البرّاق يقال دلصت الدرع تدلص من باب نصر اى صارت لينة برّاقة ويقال درع دلاص وادرع دلاص فالواحد والجمع على لفظ واحد والميم زآئدة فى دلامص وكذا فى

سرمدا فوزنه فعملا نبه الله تعالى بهذه الآية على ان الليل والنهار نعمتان متعاقبتان على الزمان ووجه ذلك ان المرأ في الدنيا مضطرّ الى ان يتعب لتحصيل مايحتاج اليه ولا يتم ذلك الا براحة وسكون بالليل ولابدّ منهما في الدنيا واما في الجنة فلا نصب فيها ولا تعب فلا حاجة لاهلها الى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء واللذات فبين بذلك ان القادر على ذلك ليس الا الله تعالى فقوله تعالى قل أرأيتم اى اخبروني يا اهل مكة وسرمدا مفعول ثان لجعل ان كان بمعنى صير وحال ان كان بمعنى خلق وانشأ والظاهر ان يقال هل اله لان المقام مقام انكار اله يقدر على ذلك غير الله تعالى لا مقام تعيين اله يقدر عليه غيره الا انه ذكر من بناء على زعمهم تعدّد الاله فقيل في الردّ عليهم ان الالوهية تقتضي القدرة على كل شئ فاىّ شئ مما تزعمون انه اله من دون الله يقدر على ماذكرنا ﴿قوله﴾ ولعله لم يصف الضياء ﴿يعنى انه تعالى وصف الليل بقوله تسكنون فكان المناسب ان يصف الضياء بما يقابل ما وصف به الليل ويقول من يأتى بضياء تتصرّفون فيه ان جعل الله الليل سرمدا الا انه عدل عنه ولم يصف الضياء اصلا للايذان بان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولو قيل بضياء تتصرّفون فيه لفهم انه انما يقصد لما يتوصل اليه ولا يقصد لنفسه لانه لو وصف الضياء بما يقابل ما وصف به الليل لفهم أنّ منفعته منحصرة فيما وصف به وليست بمنحصرة فيه بل له منافع كثيرة فاطلق الايذان بذلك والاحتراز عن توهم الانحصار ﴿قوله﴾ ولذلك ﴿اى ولاجل كون منافع الضوء اكثر من منافع مايقابله قرن بالضياء مايكون منفعته اكثر من منفعته مايقارن الليل وهو البصر وانما قلنا ان منافع السمع اكثر من منافع البصر لان العقل لايستفيد من البصر الا صور المبصرات بخلاف السمع فان العقل يدرك بواسطة السمع جميع انواع المحسوسات بل المعقولات الصرفة اذا عبر عنها بالعبارة الدالة عليها ﴿قوله﴾ ولكى تعرفوا نعمة الله في ذلك ﴿اى في خلق الليل والنهار بحيث يتعاقبان على وجه معين بين الله تعالى بهذه الآية ان الحكمة في خلقهما هكذا ثلاثة اشياء اثنان منها يترتبان على خلقهما بطريق اللف والنشر والثالث يترتب على خلقهما جميعا فليس فيه اعتبار اللف ﴿قوله﴾ والثانى لبيان انه ﴿اى القول بالشركاء لم يكن عن سند بقرينة مابعده فان قوله ونزعنا فقلنا معطوفان على قوله ينادبهم فيقول او ثر فيهما لفظ الماضى لكونهما في حكم الواقع لتحقق وقوعهما وجعل المقام مقام ذكر الغيبة وجعل ضل مستعارا بمعنى غاب بتشبيه ماغاب بالشئ الضائع الهالك من حيث تحقق اليأس من حضوره والانتفاع به واطلاق اسم الضال عليه على طريق اطلاق اسم الاسد على الشجاع ﴿قوله﴾ شهيدا وهو نبيهم ﴿سمى النبى شهيدا لانه شهد ما عملوا وحضر ما كان منهم من التصديق والتكذيب والردّ والقبول ﴿قوله﴾ يصهر بن قاهث ﴿عطف بيان لعمه فان يصهر اباقارون وعمران اباموسى كانا اخوين ابنى قاهث وكان كل واحد من موسى وقارون ابنا لعم الآخر لان قارون كان ابن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وموسى عليه الصلاة والسلام كان ابن عمران بن قاهث بن لاوى وقيل معنى كونه من قوم موسى عليه الصلاة والسلام انه كان مؤمنا وكان اقرأ بنى اسرآئيل للتوراة فنافق كما نافق السامرى وروى أن قارون كان من السبعين المختارين الذين سمعوا كلام الله عزوجل * والبغى تجاوز الحدّ في الظلم وذكر المصنف في طريق بغيه اربعة اوجه الاول انه طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت يده ولا يبعد فان كثرة المال سبب للبغى والتكبر والثانى انه تكبر وتجبر وسخط عليهم والثالث ان فرعون ملكه على بنى اسرآئيل فظلمهم والرابع انه حسدهم لما روى ان موسى عليه الصلاة والسلام لما قطع البحر واغرق الله فرعون وجعل الحبورة لهرون فحصلت له النبوّة والحبورة فكان له القربان والمذبح وكان لموسى الرسالة غضب قارون من ذلك في نفسه فقال ياموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شئ لا اصبر انا على هذا فقال موسى والله ماصنعت ذلك لهرون بل جعل الله له ذلك فقال لا اصدقك ابدا حتى تأتيني بآية اخرى اعرف بها ان الله تعالى جعل ذلك لهرون فأمر موسى عليه الصلاة والسلام رؤساء بنى اسرآئيل ان يجيئ كل واحد منهم بعصا فجاؤا بها فألقاها موسى في القبة التى كان الوحى ينزل عليه فيها وكان يعبد الله فيها وكان ذلك بامر الله تعالى ودعا موسى ربه ان يريهم بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم فأصبحوا واذا بعصا هرون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجرة اللوز فقال موسى ياقارون اما ترى ماصنع الله تعالى لهرون فقال والله ماهذا بأعجب مما تصنع من السحر فاعتزل قارون بأتباعه وكان كثير المال والتبع من بنى اسرآئيل فاكان يأتى موسى ولا يجالسه ﴿قوله﴾ من الاموال المدّخرة ﴿الكنوز في الاصل عبارة عن الاموال المدفونة تحت الارض فشبهت الاموال المدّخرة بها فأطلق عليها اسم الكنوز

﴿قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة﴾ باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق ﴿من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه﴾ استراحة من متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل حيث قال تسكنون فيه ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به أفلا تسمعون وبالليل ﴿أفلا تبصرون﴾ لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ في النهار بانواع المكاسب ﴿ولعلكم تشكرون﴾ ولكى تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ﴿ويوم يناديهم فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون﴾ تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لاشئ اجلب لغضب الله من الاشراك به او الاوّل لتقرير فساد آرآئهم والثانى لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشهى وهوى ﴿ونزعنا﴾ وأخرجنا ﴿من كل امة شهيدا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه ﴿فقلنا﴾ للامم ﴿هاتوا برهانكم﴾ على صحة ماكنتم تدينون به ﴿فعلموا﴾ حينئذ ﴿ان الحق لله﴾ في الالهية لايشاركه فيها احد ﴿وضل عنهم﴾ وغاب عنهم غيبة الضائع ﴿ما كانوا يفترون﴾ من الباطل ﴿ان قارون كان من قوم موسى﴾ كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى وكان ممن آمن به ﴿فبغى عليهم﴾ فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره اوتكبر عليهم اوظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بنى اسرآئيل اوحسدهم لحالته لما روى انه قال لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شئ الى متى اصبر ﴿وآتيناه من الكنوز﴾ من الاموال المدّخرة ﴿ما ان مفاتحة﴾ مفاتيح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو مايفتح به

وقيل خزائنه وقياس واحدها الفتح ﴿لتنوء بالعصبة اولى القوة﴾ خبران والجملة صلة ماوهو ثانى مفعولى اتى وناء به الحمل اذا اثقله

حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ﴿اذ قال له قومه﴾ منصوب بتنوء ﴿لا تفرح﴾ لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان مافيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال *اشد الغم عندى فى سرور *تيقن عنه صاحبه انتقالا *ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهى ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال ﴿ان الله لا يحب الفرحين﴾ اى بزخارف الدنيا ﴿وابتغ فيما آتاك الله﴾ من الغنى ﴿الدار الآخرة﴾ بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ﴿ولا تنس﴾ ولا تترك ترك المنسى ﴿نصيبك من الدنيا﴾ وهو ان تحصل بها آخرتك او تأخذ منها ما يكفيك ﴿وأحسن﴾ الى عباد الله ﴿كما احسن الله اليك﴾ فيما انعم عليك وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام ﴿ولا تبغ الفساد فى الارض﴾ بامر يكون علة للظلم والبغى ﴿ان الله لا يحب المفسدين﴾ لسوء افعالهم ﴿قال انما اوتيته على علم عندى﴾ فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال على علم فى موضع الحال وهو علم التوراة وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندى صفة له او متعلق بأوتيته كقولك جاز هذا عندى اى فى ظنى واعتقادى ﴿أولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا﴾ تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأه فى التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ اورد لادعائه العلم وتعظيمه به ينفى هذا العلم عنه اى أعنده مثل ذلك العلم الذى ادعى ولم يعلم هذا حتى يقيه نفسه مصارع الهالكين ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كأنه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة ﴿فخرج على قومه فى زينته﴾ كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه (وقيل)

﴿قوله وقيل خزائنه﴾ عطف على قوله مفاتح صناديقه اى وقيل مفاتحه خزائنه كما فى قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب اى خزائنه وقياس واحده مفتح بفتح الميم لانه ليس اسم آلة بل هو اسم لمكان الفتح وكلة ما فى قوله ما ان مفاتحه موصولة بمعنى الذى وان مع اسمها وخبرها وما يتعلق به صلة الذى ولهذا كسرت ان والموصول مع صلته فى محل النصب على انه مفعول ثان لآتيناهم والباء فى قوله لتنوء بالعصبة للتعدية كالهمزة فى قولك أناءه الحمل اى اثقله والمعنى ان المفاتح لتثقل العصبة الاقوياء فكما يعدّى ذهب تارة بالباء والاخرى بالهمزة فكذا ناء بمعنى ثقل يتعدّى بالهمزة فيقال اناءه الحمل ويعدّى ايضا بالباء فيقال ناء به اى اثقله ﴿قوله وقرئ لينوء بالياء﴾ اى من تحت بناء على ان يكون الضمير فى مفاتحه لقارون وان يكون المفاتح بمعنى الخزائن فاكتسب المضاف من المضاف اليه التذكير كما يكتسب منه التأنيث فى قولهم ذهبت اهل اليمامة ﴿قوله وهو ان تحصل بها آخرتك﴾ فان نصيب المرء من الدنيا ان يتوسل بها الى سعادة الاخرة بان يطلب الاجر بها ويقدّمها لذلك واما ما خلفه فهو نصيب غيره وجوّز ان يكون المراد بنصيبه من الدنيا ان يتمتع بها فى الوجوه المباحة ﴿قوله بامر يكون علة للظلم والبغى﴾ يعنى ان المراد بالفساد فى الارض الظلم والبغى ويكون ابتغاؤه بمباشرة ما يؤدّى اليه كحب المال والجاه والركون الى الدنيا واشار الحظوظ الفانية على اللذات الباقية فان من ابتلى بمثل هذه الرذائل لا يتحاشى عن الظلم والبغى كما قيل حب الدنيا رأس كل خطيئة وكل من عصى الله تعالى فقد طلب الفساد فى الارض من حيث ان شؤم المعصية ينقص بركة الارض وقيل فى تفسير قوله تعالى ولا تبغ الفساد فى الارض اى لا تجعل نعمة الله تعالى عليك ذريعة الى عصيانه وعونا على مخالفة امره ونهيه وقيل الفساد فى الارض ما كان عليه من الظلم والبغى وهو معنى ما وجد فى بعض النسخ نهى له عما كان عليه من الظلم والبغى وقيل هذا الواعظ هو موسى عليه الصلاة والسلام وقيل هو مؤمن قومه كائنا من كان فقد جمع فى وعظه ما لو قيل لم يكن عليه مزيد لكان حقا لكنه ابى ان يقبل بل زاد عليه كفر النعمة فقال انما اوتيته على علم اى انما اعطيت هذا المال كائنا على علم وفضل علمه الله تعالى عندى فرآنى اهلا لذلك ففضلنى بهذا المال عليكم كما فضلنى بسائر الفضائل نظر الى نفسه ورأى ان ما حصل له من هذه السعة انما حصل له لفضله واستحقاقه ولم ينظر الى منة الله تعالى عليه فى ذلك فافتخر بها وادّعاها لنفسه فهلك وكذا كل من زين فى عينه افعاله واقواله واحواله وابتهج بها ولم يعرف حق من انعم بها فانه يهلك بشؤم صنعه كما خسف بقارون لما ادّعى لنفسه فضلا فقوله على علم حال من مرفوع اوتيته فيه العامل للاشارة الى علة الاتيان وبيان وجه استحقاقه له وقال سعيد بن المسيب والضحاك كان موسى عليه الصلاة والسلام يعلم الكيمياء انزل الله تعالى علمها عليه من السماء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يونا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وكان ذلك سبب كثرة اموال لانه كان يأخذ الرصاص فيجعله فضة والنحاس فيجعله ذهبا وقال عطاء انه اصاب كنزا من كنوز يوسف عليه الصلاة والسلام قيل كلمة ما فى قوله انما اوتيته ليست بكافة بل هى بمعنى الذى اى ان الذى اوتيته على علم وعندى صفة لعلم ﴿قوله تعالى واكثر جمعا﴾ معناه اكثر جمعا للمال واكثر جماعة وعددا وحاصل الجواب ان اغتراره بماله وقوّته وجوعه من الخطأ العظيم فانه تعالى اذا اراد اهلاكه لم ينفعه ذلك ولا مانع يدفعه اضعافا كثيرة ﴿قوله اورد لادّعائه العلم﴾ عطف على قوله تعجب وتوبيخ الاوّل على ان يكون قوله اولم يعلم اثباتا من الله تعالى بعلمه بان الله قد اهلك من القرون قبله من هو أقوى منه واغنى على ان يكون الاستفهام فى أولم يعلم للانكار لان انكار النفى نفى النفى ونفى النفى اثبات والثانى على ان يكون نفيا لعلمه بذلك بناء على ان يكون الاستفهام للتقريع ﴿قوله سؤال استعلام﴾ اى لا يسألون ليعلم ذلك من قبلهم لانه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة به الى ان يسأل عن كيفية ذنوبهم وكميتها ولا ينافيه ان يسألوا سؤال توبيخ وتقريع كما دل عليه قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون ويحتمل ان يكون المراد بالسؤال المنفى سؤال المعاتبة ويكون المعنى انهم يدخلون النار بغير حساب ويعذبون فيها بذنوبهم بدون ان يناقشوا ويعاتبوا عليها وقوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ينبغى ان يحمل على وقت آخر حينئذ ﴿قوله كأنه لما هدّد قارون الخ﴾ اشارة الى وجه اتصال قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون بما قبله ﴿قوله على بغلة شهباء﴾ وهى التى يغلب ما فيها من البياض على سوادها والارجوان قطيفة حمراء وقيل كل ما يكون لونه احمر بناء على ان الارجوان معرّب ارغوان وهو شجر له نور أحمر وكل ما يشبهه فهو ارجوان ﴿قوله على زيه﴾ وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وفى المغرب الديباج الثوب الذى سداه ولحمته ابريسم

﴿قوله على زيه﴾ اى على هيئته ﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا﴾ على ما هو عادة الناس من الرغبة

وقيل اسم للنقش ﴿قوله﴾ حذرا من الحسد ﴿وهوان يتمنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه وهذا التمنى مذموم بخلاف الغبطة وهى ان يتمنى مثل نعمة صاحبه من غيران تزول عنه ومافى الآية من هذا القبيل ﴿قوله﴾ تعالى فخسفنا به ﴿اى غيبناه فى الارض يقال خسف المكان يخسف خسوفا ذهب فى الارض وخسف الله به الارض اى غيبه فيها ﴿قوله﴾ فبرطل بغية ﴿اى اعطاها الرشوة ومنه المثل * البراطيل تنصر الاباطيل * وهو جمع برطيل وهو فى الاصل الحجر الطويل واريد به ههنا الرشوة كما يقال ألقمه الحجر اذا اسكته بالحجة ﴿قوله﴾ مشتقة من فأوت رأسه ﴿فوزنها فعة والهاء عوض عن اللام الساقطة بالاعلال سميت الاعوان فئة لميلهم الى صاحبهم بالمعاونة والنصرة ﴿قوله﴾ منذ زمان قريب ﴿اى اوّل زمان قريب والامس فى الاصل اسم لليوم الذى قبل يومك واستعير ههنا للزمان القريب والمعنى وصار القوم الذين تمنوا منزلته ومارزق من المال والزينة بالوقت القريب الى زمان خسفه مما مضى يقولون الخ فانه يعبر عن الصيرورة بأصبح وامسى واضحى ﴿قوله﴾ مركب من وى للتعجب ﴿فان القوم الذين شاهدوا قارون فى زينته لما شاهدوا مانزل به من الخسف تنبهوا لخطاهم فى تمنيهم مثل ماأوتى قارون حيث علموا ان بسط الرزق لايكون لكرامة الرجل على الله تعالى ولا لضيقه لهوانه فتعجبوا من انفسهم كيف وقعوا فى مثل هذا الخطأ ثم ابتدأوا يقولون كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اى لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته وحكمته اى يضيق على من يشاء بحكمته وقضائه ابتلاء وفتنة والمعنى ليس الامر كما زعمنا من ان البسط يبتنى على الكرامة والقبض على الهوان بل الاشبه ان كل واحد من القبض والبسط مقتضى المشيئة الالهية المستندة الى الحكمة وكذا الكلام فى قولهم ويكأنه لايفلح الكافرون تعجبوا من تمنيهم مثل حال قارون ثم قالوا ماأشبه الحال بان الكافرين لاينالون الفلاح والهاء فى كأنه ضمير الشان ﴿قوله﴾ وقيل من ويك ﴿اى قال الكوفيون ويكأنّ مركب من ويك وأنّ واصل ويك ويلك الذى اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع والبعث على ترك مالايرضى وفتح ان لكونها مع مافى حيزها فى موضع النصب بفعل محذوف وهو اعلم فعلى هذا يكون معنى الآية الزجر والردع عن الجهل بأن كل واحد من القبض والبسط ليس الا بمشيئة الله تعالى وحكمته والبعث على العلم بهذه القضية وهى ان الله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وهكذا الكلام فى قوله ويكأنه لايفلح الكافرون فان المقصود فيه ايضا الزجر عن الجهل والبعث على العلم بان الكافرين لايفلحون ﴿قوله﴾ لخسف بنا ﴿قرأ حفص لخسف بفتح الخاء والسين اى لخسف الله تعالى بنا وأدخلنا فى الارض والباقون بضم الخاء وكسر السين على بناء المفعول فقوله بنا هو القائم مقام الفاعل ﴿قوله﴾ اشارة تعظيم الخ ﴿معنى التعظيم مستفاد من الاشارة بلفظ البعيد تنزيلا لبعد درجة المشار اليه ورفعة محله منزلة بعد المسافة كما فى قوله تعالى الم ذلك الكتاب فان الاصل فى اسماء الاشارة ان يشار بها الى مشاهد محسوس قريب او بعيد الا انه قد يشار بها الى محسوس غير مشاهد والى مايستحيل احساسه ومشاهدته بناء على تصييره كالمشاهد المحسوس وتنزيل الاشارة العقلية منزلة الحسية ومانحن فيه من هذا القبيل ﴿قوله﴾ كما اراد فرعون وقارون ﴿يعنى ان المراد من عدم ارادة العلوّ عدم ارادته كارادة فرعون حيث استكبر عن الايمان واستعلى على مافى الارض من خلق الله تعالى ولاسيما على نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة ومن عدم ارادة الفساد ان لايريده كارادة قارون لقوله تعالى ان فرعون علا فى الارض ولقول ناصح قارون ولاتبغ الفساد فى الارض وليس كل من يصدق عليه انه اراد علوّا وفسادا فى الجملة محروما من سعادة دار الآخرة للنصوص الدالة على ان كل مؤمن من اهل الجنة ومن جملتها قوله عليه الصلاة والسلام * من قال لااله الاالله دخل الجنة وان زنى وان سرق * ثلاثا وقال فى الثالثة على رغم انف ابى ذرّ الا ان الآية فيها زجر بليغ عن الخصلتين حيث لم يعلق الوعد بترك العلوّ والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلب اليهما كما علق الوعيد بالركون الى الظلمة دون نفس الظلم فى قوله تعالى ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وايضا فيها دلالة على ان ارادة مالايس له من العلوّ والرفعة مما ينقص حظ المرء من سعادة الآخرة لما روى عن علىّ رضى الله عنه انه قال ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحت الآية وعن الفضيل بن عياض انه قرأها ثم قال ذهبت الامانىّ ههنا يعنى ان الآية تدل على وجوب ترك التمنى وارادة مالايس له من العلوّ والرفعة كما تدل على وجوب ترك ارادة الفساد وكرّر كلمة لا فى قوله ولافسادا ليفيد ان كل واحدة من الخصلتين على حدتها تمنع سعادة الآخرة وان لم تجامع الاخرى ثم انه تعالى لما بين ان الدار الآخرة ليست الا لمن اتقى عذاب الله بأدآء فرائضه واجتناب

الضمير فيه للكلمة التى تكلم بها العلماء اوللثواب فانه بمعنى المثوبة اوالجنة اوللايمان والعمل الصالح فانهما فى معنى السيرة والطريقة ﴿الا الصابرون﴾ على الطاعات وعن المعاصى ﴿فخسفنا به وبداره الارض﴾ روى انه كان يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بنى اسرآئيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولوكنت قال ولوكنت قال ان بنى اسرآئيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاستحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على ان ارميك بنفسى فخرّ موسى شاكيا منه الى ربه فأوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال ياارض خذيه فأخذته الى ركبته ثم قال خذيه فأخذته الى وسطه ثم قال خذيه فأخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرّع اليه فى هذه الاحوال فلم يرحمه فأوحى الله اليه ماأفظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتى وجلالى لودعانى مرة لأجبته ثم قال بنوا اسرآئيل انما فعله ليرثه فدما الله حتى خسف بداره وامواله ﴿فما كان له من فئة﴾ اعوان مشتقة من فأوت رأسه اذا ميلته ﴿ينصرونه من دون الله﴾ فيدفعون عنه عذابه ﴿وما كان من المنتصرين﴾ الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوّه فانتصر اذا منعه منه فامتنع ﴿واصبح الذين تمنوا مكانه﴾ منزلته ﴿بالامس﴾ منذ زمان قريب ﴿يقولون ويكأنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لالكرامة تقتضى البسط ولالهوان يوجب القبض وويكأن عند البصريين مركب من وى للتعجب وكأنّ للتشبيه والمعنى ماأشبه الامر ان الله يبسط وقيل من ويك بمعنى ويلك وان تقديره ويك اعلم ان الله ﴿لولا ان منّ الله علينا﴾ فلم يعطنا ماتمنينا ﴿لخسف بنا﴾ لتوليده فينا ماولده فيه فخسف بنا لأجله ﴿ويكأنه لايفلح الكافرون﴾ لنعمة الله اوالمكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة ﴿تلك الدار الآخرة﴾ اشارة تعظيم كأنه قال تلك التى سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر ﴿نجعلها للذين لايريدون علوّا فى الارض﴾ غلبة وقهرا ﴿ولافسادا﴾ ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون

﴿والعاقبة﴾ المحمودة ﴿للمتقين﴾ مالا يرضاه الله ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ ذاتا وقدرا ووصفا ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات﴾ وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم ﴿الا ماكانوا يعملون﴾ اى الا مثل ماكانوا يعملون فحذف المثل واقام مقامه ماكانوا يعملون مبالغة فى المماثلة ﴿ان الذى فرض عليك القرءآن﴾ اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه ﴿لرادك الى معاد﴾ اىّ معاد وهو المقام المحمود الذى وعدك ان يبعثك فيه او مكة التى اعتدت بها على انه من العادة وردّه اليها يوم الفتح كأنه لما حكم بان العاقبة للمتقين واكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى فى الدارين روى انه لما بلغ جحفة فى مهاجره اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت ﴿قل ربى اعلم من جاء بالهدى﴾ وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم ﴿ومن هو فى ضلال مبين﴾ وما استحقه من العذاب والاذلال يعنى به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله ﴿وما كنت ترجوان يلقى اليك الكتاب﴾ اى سيردّك الى معادك كما ألقى اليك الكتاب وما كنت ترجوه ﴿الا رحمة من ربك﴾ ولكن ألقاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كأنه قال وما ألقى اليك الكتاب الا رحمة اى لاجل الترحم ﴿فلا تكونن ظهيرا للكافرين﴾ بمدارتهم والتحمل منهم والاجابة الى طلبتهم ﴿ولا يصدّنك عن آيات الله﴾ عن قرآءتها والعمل بها ﴿بعد اذ انزلت اليك﴾ وقرئ يصدنك من أصدّ ﴿وادع الى ربك﴾ الى عبادته وتوحيده ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ بمساعدتهم ﴿ولا تدع مع الله الها آخر﴾ هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم ﴿لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه﴾ الا ذاته فان ماعداه ممكن هالك فى حدّ ذاته معدوم ﴿له الحكم﴾ القضاء النافذ فى الخلق ﴿واليه ترجعون﴾ للجزآء بالحق * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدّق موسى وكذب ولم يبق ملك فى السموات والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا

معاصبه بين بعد ذلك مايحصل لهم فقال من جاء بالحسنة فله خير منها اى ذاتا وقدرا ووصفا فانّ ثواب المعرفة النظرية الحاصلة فى الدنيا هى المعرفة الضرورية الحاصلة فى الآخرة ولذة النظر الى وجهه الكريم جل جلاله ولاشك ان هذه خير من الاولى ذاتا وكذا خير منها قدرا لان الثواب دآئم والعمل منقض وكذا وصفا لان العمل فعل العبد والثواب فعل الله تعالى وقيل فله خير حاصل من جهة ماجاء به من الحسنة لئلا يرد مايقال الحسنة التى جاء العبد بها يدخل فيها معرفة الله تعالى والاخلاص فى العمل والثواب انما هو الاكل والشرب فكيف يجوز ان يقال الاكل والشرب خير من معرفة الله تعالى وقدمر هذا البحث فى آخر سورة النمل ﴿قوله اىّ معاد﴾ اشارة الى ان تنوين معاد للتعظيم والمعنى ان الذى حملك على صعوبة هذا التكليف لينيبك عليه ثوابا لايحيط به الوصف بان يردّك الى معاد يخصك ولا يليق بغيرك من البشر وهو المقام المحمود الذى وعده الله تعالى ان يبعثه فيه بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا والظاهر ان المعاد ههنا بمعنى المصير والمنقلب لا بمعنى المتبادر منه وهو المكان الذى يكون المرء مدّة فيه ثم يرجع اليه بعد ان فارق عنه لانه عليه الصلاة والسلام لم يكن فى ذلك المقام مدّة حتى يعود اليه ﴿قوله او مكة التى اعتدت بها﴾ اى صرت معتادا بها وكانت موضع اعتيادك على ان يكون المعاد اسم مكان من عاده بمعنى اعتاده وتعوّده اى صار عادة له يقال عوّد كلبه الصيد فتعوّده واعتاده * قال الامام الاقرب ان يراد بالمعاد مكة لان ظاهر المعاد انه كان فيه وفارقه وحصل العود اليه وذلك لايليق الا بمكة والمصنف جوّز ان يكون المراد بالمعاد مكة الا انه جعل المعاد حينئذ من العود بمعنى الاعتياد لان مكة لم تكن مرجعا له حينئذ الا باعتبار مايؤول اليه وكانت موضع اعتياده حقيقة ولا يصار الى المجاز الا اذا تعذرت الحقيقة ووجه تنكيره حينئذ ان مكة فى ذلك اليوم كانت معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها وظهور عز الاسلام واهله وذل الشرك وحزبه ﴿قوله لما بلغ جحفة﴾ وهو موضع بين مكة والمدينة وهو ميقات اهل الشام فلما نزلت الآية هناك لم تكن مكية ولا مدنية وكانت من جملة مايدل على نبوّته صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن الغيب ووقع كما اخبر فتكون من جملة معجزاته ﴿قوله ومن منتصب بفعل يفسره اعلم﴾ لا بنفس أعلم لان اسم التفضيل لايعمل فى مظهر لعدم كونه بمعنى الفعل لانه يدل على التفضيل والفعل لايدل عليه فاوقع فى حيز معموله فانه معمول لمضمر يدل عليه اسم التفضيل لما وعد الله رسوله عليه الصلاة والسلام ان يردّه الى المعاد قال له قل للمشركين ربى أعلم من جاء بالهدى الآية تقريرا للوعد السابق ﴿قوله محمولا على المعنى﴾ فان قوله ماكنت ترجوان يلقى اليك الكتاب فى معنى مايليق اليك عبر عنه بقوله ماكنت ترجو للمبالغة فان نفى رجاء الالقاء ابلغ من نفى الالقاء فكأنه قيل وما القى اليك الكتاب الا رحمة اى فى حال كونه رحمة او الا لاجل رحمة فيكون الاستثناء متصلا مفرّغا ويكون المستثنى منه اعم الاحوال او اعم العلل ولا يجوز ان يكون الاستثناء باعتبار اللفظ لانه اذا قيل ماكنت ترجوه الا رحمة لزم ان يكون عليه الصلاة والسلام راجيا ان يلقى اليه الكتاب لاجل الرحمة وظاهر انه عليه الصلاة والسلام لم يكن راجيا له اصلا ثم انه تعالى لما اظهر المنة عليه بانزال القرءآن عليه مع عدم رجائه اياه نهاه عن مظاهرة الكافرين وان يلتفت اليهم ويسمع اقوالهم فيصدّوه عن اتباع آيات الله يعنى القرءآن قال الضحاك ذلك حين دعوه الى دين آبائه ليزوّجوه ويقاسموه شطرا من أموالهم اى لا تلتفت الى هؤلاء ولا تركن الى قولهم فيصدّوك الخ قرأ العامة يصدّنك بفتح الياء وضم الصاد من صدّه يصدّه وقرئ بضم الياء وكسر الصاد من أصدّه بمعنى صدّه وهى لغة كليب قال شاعرهم * اناس أصدّوا الناس بالسيف عنهمو * صدود السواقى عن انوف الحوائم * والحوآئم العطاش من حام اذا عطش ﴿قوله بمساعدتهم﴾ فان من ساعدهم بان رضى بطريقتهم او مال اليهم كان منهم ﴿قوله فان ماعداه ممكن هالك فى حدّ ذاته معدوم﴾ فان الممكن لما استفاد الوجود من الخارج كان الوجود له كالثوب المستعار بالنسبة الى الفقير فكما لا يخرج الفقير باستعارة ذلك الثوب من الغنىّ عن كونه فقيرا فى حدّ ذاته فكذا الممكنات لا تخرجن عن كونها هالكة عارية عن الوجود فى حدّ انفسها فظهر بهذا ان كل ماسواه من الممكنات هالك فى الحال فجاز ان تكون الجنة والنار مخلوقتين الآن كما يدل عليه قوله تعالى فى صفة الجنة اعدّت للمتقين وفى صفة النار اعدّت للكافرين كما قال الله تعالى اكلها دآئم وظلها مع كونهما هالكتين بهذا المعنى * تم بعون الله مايتعلق بسورة القصص وقد تم طبع هذا الجزؤ لاربعة عشر ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلثمائة بعد الالف من هجر من له السعادة والشرف

﴿ طبع فى المطبعة النفيسة العثمانية لازالت شرفها الى يوم القيامة ﴾

١٣٠٦

Library of

Princeton University.

2273 Shaykh-zādeh, ʿAbd al-Raḥmān ibn Muḥammad,
.S86S d.1667
Ḥāshiyat Shaykh-zādeh ʿalā tafsīr...
al-Bayḍawī, ⟨Istanbul, 1282-1306
⟨1865-88⟩
2 v. 36 cm.

In Arabic.

onto.
no.

LeM-

1.al-Bayḍawī, ʻAbd Allāh ibn ʻUmar, d.ca. 1286. Asrār al-tanzīl

Zohar. *Zohar ḥadash.*

זהר חדש מהתנא האלקי שמעון בן יוחאי על חמשה חומשי תורה וחמש מגלות ותיקונים ומדרש הנעלם ונוסף ... א) זהר חדש על מגילת רות ... ב) ביאורי מאמרים מרבינו מנחם די לונזאנו ... ד) הגהות ישראל מ"מ דקאזניץ. ה) הגהות וביאורים מהגאון דוד לוריא. בני-ברק, בית הסופר [1965?]

143 l. 27 cm.

Photo-offset.

1. Cabala.

Title transliterated: Zohar ḥadash.

BM525.A6Z6 1965

HE 66–1198

PL 480 : Is–2850

Library of Congress [3½]

Princeton University Library
32101 069586301